جمادى الثانى ١٣٩٥
يوليـو
(تموز) ١٩٧٥

ميناء الاسكندرية،عروس البحر المتوسط

الثمن

الكـويت	١١٠ فلوس	العـراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربى	٢ ريالق	لبنـان	١٠٠ قـرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريـال	الاردن	١٠٠ فلـس	تونـس	٢٠٠ مليم
البحـرين	٢٠٠ فلس	سـورية	١٠٠ قـرش	الجزائر	٢ دينـار
اليمـن	٥ر٢ ريـال	ج٠م٠ع٠	١٠ قروش	المغـرب	٢ درهـم

لوحـــة « الهجرة »

للفنان كامل مصطفى

(انظر صفحة ١٥٢)

عزيزي القارئ

سألني سائل عن القضية الفلسطينية ، وعن وجوه حلها . واجبته ، بعد قليل من التروي ، بأن القضية ليس لها ، في المنطق النظري ، حل واحد ، بل حلول، ليس كلها في حكم القضاء سواء .

● من الحلول أن يعود كل اسرائيلي ، دخل اسرائيل مهاجرا الى بلده التي جاء منها،من شرق كان أو من غرب•وتعود فلسطين الى سابق عهدها .. أكثرية هائلة من العرب ، والقلية ضئيلة من اليهود ، اولئك الذين ولدوا ، ونشأوا في البلاد .

● ومن الحلول أن تخلع من اسرائيل صبغتها الدينية الحاضرة ، ويخلع عنها اسمها ، ويعود لها اسمها الصحيح « فلسطين » . ويعود الى فلسطين كل عربي نزح عنها ، من أى دين . وتصبح الدولة دولة تجمع كل الاديان ، وتنظر في صوالح كل الطوائف . والقدس تصبح موضعا قدسيا يحج اليه من المسلمين وأهل الكتاب من يشاء .

● ومن الحلول انشاء الدولةالفلسطينية في غزة والضفة الغربية من الاردن ، تعينهاالدول العربية الى أن يصبح للدولة الناشئة كيان ، وتكون قوة ، وتكون ذات آمال في المستقبل عريضة .

● أظن الى هنا تنتهي الحلول .

الحل الاول هو العدل المطلق الذى لا ريبة فيه .

الحل الثاني هو ما دعا اليه رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في خطابه في هيئة الامم المتحدة .

الحل الثالث : هو الذىيتراءىانه الراى الذى تغلب الصحف ووكالات الاخبار .

وتسألني يا سائلي : أى هذهالحلول يختار العرب ..

والعرب لا يختارون . فلينظروا ما عندهم من قوة ، فالقوة ، قوة الدبابة والصاروخ والطائرة ، هى التي تختار .

المحرر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

ALARABI - No. 200 JULY 1975 - P. O Box 748 KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

ميناء الاسكندرية من اقدم الموانىء فى العالم ، وقد ظل منفذ مصر الوحيد على البحر سنوات طويلة ٠٠ سنوات الاستعداد للحرب الى مابعد العبور والنصر ٠٠ وقد اصابه ما اصاب كل مرفق من المرافق الحيوية فى مصر من الاهمال اضطرارا ، ثم بدا الميناء يصحو ويشرق ، اشراقة تلك الابتسامة التى ارتسمت على وجوه هؤلاء الفتيات ، وهن يتطلعن الى الميناء من حولهن بنظرة ملؤها الامل (اقرأ الاستطلاع ص ٧٦)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى، العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ، ٠ لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٠٠ مليم ٠ الجزائر ديناران جزائريان ٠ المغرب درهمان ٠ اليمن ٥ر٢ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت، وعنوانها : بيروت ــ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى ٠ وبالنسبة لبلدان المغرب العربى يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ــ ساحة باندونج ــ ص٠ب ٦٨٣ ــ الدار البيضاء ــ المغرب ٠

رد على رد

● جاء في العدد ١٩٨ في باب « بريد القراء » استفسار من قارىء كريم حول مقالي عن حقيقة طول قناة السويس ، وردكم عليه .

واستجلاء للحقيقة، ارجو ان تسمحوا لي بابداء الملاحظة التالية :

« ان طول القناة يختلف في حساب العسكريين عنه في حساب هيئة القناة .. فهيئة القناة تعتبر ان طولها هو المسافة التي تقطعها السفينة بمصاحبة المرشد عند عبورها من نقطة الدخول الى نقطة الخروج ، وهو ١٦٢ كلم ، كما جاء في استطلاع مجلة « العربي » عن القناة .. وهو رقم صحيح مستقى من الهيئة نفسها . في حين ان طول القناة في نظر العسكريين هو طول جبهة المواجهة مع العدو على الضفة الشرقية وهو ١٧٥ كم، أو طول الساتر الترابي الذي اقامه العدو وهو ١٧٠ كم .. وهذه الارقام استقيتها من القادة العسكريين المصريين . كما انها ذكرت في جميع الكتب العسكرية التي تحدثت عن العبور وخط بارليف .

الكويت — الدكتور احمد شوقي المصري

العربي الصغير

● انا قارىء من قراء « العربي » الدائمين ، فمنذ كنت طالبا في الجامعة اقبل على شراء « العربي » . واقرأ كل عدد من اعداده من الغلاف الى الغلاف .

وانا الان اعمل مدرسا لمادة الجغرافية في مدارس العراق ، وقد لاحظت ان تلاميذي الصغار يقبلون على شراء « العربي » من اجل قراءة « العربي الصغير » ، يقرأونها بشوق كبير، وخاصة موضوعات الجغرافية، كما لاحظت اهتمامهم وشغفهم بالموضوعات التي تبحث في الشمس والنجوم والبراكين والزلازل.

فيا حبذا لو اكثرتم من نشر هذه الموضوعات ، لتكون بابا ثابتا في « العربي الصغير » .

جعفر سلمان حسن
محافظة البصرة/العراق

تصويب
حول مقال
« فقه عائشة » ام المؤمنين
المنشور في العدد ١٩٩ من « العربي »

صفحة	عمود	سطر	
٢٨	٢	٢٢	لقد رأيت الاكابر
٢٩	٢	٢	اللذان تأثرا بها
٣٠	١	٦	فاذا فرق موضوع
٣٠	١	٣٠	عدم احداث الفتنة وترتب الفساد
٣٠	١	٣٢	لو ادرك رسول الله
٣٠	٢	٩	ابن ام مكتوم
٣٠	٢	١٧	لقول امرأة لا ندرى رواه ابن ماجه
٣١	١	٧	فنقرة الطبق
٣١	١	٢٠	عن مسروق .. لقد قف
٣١	٢	٨	عبدالله بن عمرو بن العاص
٣١	٢	١٥	عبدالله بن عمرو بن العاص
٣١	٢	٢٥	بعد التثبت
٣٢	١	١١	الرضعة الواحدة

مع الله في الأرض

● لقد درجتم على تقديم ركن « مع الله فى الارض » منذ بضع سنوات .. ولقد تتبعنا فيه ـ نحن القراء ـ دراسة الاحياء .. وطفنا معه من شعبة الاسفنج حتى نهاية المطاف، الصد الثدييات.. واعجبنا كثيرا بالجهود التى بذلتموها خلال هذه المسيرة .

واتماما لما بدأتم ، نرجو ان تجعلوا للمملكة النباتية ـ اسوة بنظيرتها الحيوانية ـ دراسة موجزة حتى يتسنى لنا ، نحن قراء « العربى » ، ان تكتمل استفادتنا، خصوصا وان المراجع العربية فى هذا النوع من المعارف فى حكم المفقودة .

محمد المهدى البكتورى
تطوان / المغرب

« العربى » لاتباع فى ليبيا منذ ثلاثة أعـوام

● من المؤسف حقا ان تخلو مكتبات ليبيا من مجلة « العربى » .. فمنذ ثلاث سنوات لم ار « العربى » تباع فى مكتبات ليبيا .. وهذا شىء يخال من الخرافة وهو صدق ..

فما السبب يا ترى ؟

عادل الصاوى / ليبيا

لغة الضاد

● لقد كثر فى هذا العصر اللحن فى اللغة العربية ، حتى اخذت تسير فى طريق الانقراض ، واصبحت لدى اهلها نسيا منسيا .. فقد هجروها واستبدلوا بها اللهجات العامية الضيقة ، حتى صار بعضهم لا يفهم كلام البعض الآخر ، واخذ الرؤساء يتكلم كل واحد منهم بلهجة قومه ، وكذلك الاذاعات فى معظم برامجها .. وهذا مما يهدد بضياع لغتنا العربية .

ان حفظ اللغة فى الكتب لا يكفى لحمايتها اذا نحن اضعناها من السنتنا ، لان اطفالنا ياخذون عنا اللهجة العامية الضيقة ، وهم بدورهم يورثونها ، وهكذا دواليك ، حتى ياتى اليوم الذى تصبح فيه اللغة العربية الفصيحة الرا بعد عين .. بحيث تعجز الاجيال القادمة عن قراءة هذه اللغة فى الكتب .

صرخة اطلقها ، فلعلها تجد اذانا صاغية .

القصيم ـ السعودية فهيد عقيل الطوبان

مجلة « العربى »

سفـــــر المعــارف والأخـــلاق والأدب ... ومنبر الرأى . رأى العالم العربى
وشعلة فى ســماء الفكـر لامعـة ... فى كل افـق . على ما فيه من سحب
كأنها الشمس فى الأجـواء ساطعة ... لكنها رغم جنح الليـل لـم تغب
فيهـا الحقائق مثل الصبح ناصعة ... انواره فى ظلام « الشك والريب »
موسوعة فى « حديث الشهر » كاملة ... تغنيك عن قصة الاسهاب فى الكتب
ونفحة من سمو الفكر صار بهـا ... تراؤهـا بـين ملهـوف ومرتقب
ان « انت تسأل » تجد علما ومعرفة ... ومرشدا للهدى عـن غير مـا تعب
وصورة عند « الاستطلاع » واضحة ... لواقع العـرب تدعونا الى العجب
و « الطب » تلقـاه ابحاثا منسقة ... فيهـا الشفاء من الأسقام والوصب
وصفحة جاءنا « التاريخ » يكتبها ... تروى لنـا قصص الأزمان والحقب
و « الشعر و القصص » المنثور نقرأه ... فى روعة من نتاج الفكر والأدب
و « الاقتصـاد » دراسات موسـعة ... فى المقال والنقـد ترضى كل ذى ارب
امـا « السياسة » فالآراء مجدية ... لكن مقص ذوى السلطان من كثب
قد بوركت فى المجلات التى ظهرت ... كأنها العلم فى ثـوب مـن الذهب
مجلـة كـل مـا فيهـا يزينهـا ... كأنها « الكوكب الدرى فى الشهب »
روائـع ليس يسلـوهـــا اخـو ادب ... مزبدة الرأى والأفكار فى « العربى »

فاتح ارسلان ـ المحامى ـ حلب

حديث الشهر

الى أين تسير بها

بقلم رئيس التحرير

٤/٦/١٩٧٥

■ بلغت الاحداث العربية ، فى هذا الشهر المنصرم ، كثرة اوقعت المتحدث عنها فى حيرة ، فهو لا يدرى ما يأخذ منها وما يدع ·

وتختلف هذه الاحداث التماعا ·

واجتماع القمة الذى وقع بين رئيس مصر ، السادات ، ورئيس الولايات المتحدة، جرلد فورد ، التمع فى الصحف العربية، والمع فى الصحف الاوروبية ، وغطته صحف الولايات اخبارا وصورا تغطية كاملة ·

وهذا يدل على ما للقضية العربية من مكانة فى العالم ، لا سيما فى العالم الغربى ·

وساهمت الصحافة العربية ، فى اكثر الوطن العربى ، فى نشر هذا اللقاء ، الا نفرا كان دأبه دائما تصغير كل كبير ، وتحقير كل خطير،يقوم به عربى ، يختلفون فى الرأى واياه ·

ومن هؤلاء من رفض ان يسمى هذا اللقاء ، بين رئيسى دولتين ، لقاء قمة · انما هو سيد امر مسودا ان يلتقى به ، فلبى هذا الاخير أمره ·

وآخرون قالوا ، وهم عرب ايضا ، ان رئيس الولايات اراد ان يستمع لرئيس عربى ، فلبى هذا الاخير هذه الرغبة · فاللقاء اذن ، هو أذن امريكية مفتوحة لتسمع ، ولسان عربى يتحرك فيتكلم · ومنهم من كان اكثر دقة ، فوصف

العرب والاعداء والولايات المتحدة

الأرسيـام ؟

اللسان وفق قاموسه اللغوى بأنه لسان مصرى • وعلم الرئيس المصرى بهذا ، فاذا بالصحف تنشر عنه ، انه قال : انا ذاهب الى سالزبرج بالنمسا لاسمع من الرئيس الامريكى ، وأقول ، وليسمع هو منى ، ويقول ، ولاسأله : أمريكا ، تريد ان تحمى اسرائيل داخل حدودها ، ام تريد ان تحميها ايضا فى الارض التى احتلتها وانتهبتها من العرب عام ١٩٦٧ ؟

وسائل يسال

ولقد سألنى من هؤلاء سائل قال : لماذا اختار رئيس الولايات رئيس مصر خاصة، ليتحدث اليه ، ثم لماذا لم يشرك معه غيره • قلت ان الواحد يتحدث الى الواحد ، والعشرة تتحدث الى العشرة • واحسب ان رئيس الولايات لما اراد ان يختار ، كان عليه ان يختار من دول المواجهة ، واذن فمن اكبر هذه الدول عددا •• موقف بسيط لا يحتاج الى سؤال ، ومنطق بسيط لا تعقيد فيه، الا ان يكون فى القلوب ريبة •

وانا انما أؤكد هذه المعانى واكررها حتى تنقى القلوب من ريبها ، وحتى لا يتاثر بهذه الريب قراء هذه الصحف العربية التى تروج ، باسم حرية الكلمة ، لهذه الافكار الناشزة • ان الوحدة العربية ضرورة لازمة لكل عربى ، ولكل دولة عربية ، فى هذا اليوم الحاضر ، وفى الغد، قريبه والبعيد • ويجب على كل عربى حماية معانى الوحدة المقدسة الطاهرة فى القلوب المؤمنة بها ، من كل قلم عربى يكتب للتشكيك فيها ، وبث الريبة فى رجالها والزعماء، بل وفى الشعوب العربية، خالصة العروبة ، كذلك •

الرئيس المصرى يطوف بالبلاد العربية

واحس الرئيس المصرى بالتبعة التى القاها على اكنافه رئيس الولايات المتحدة، بدعوته الى اللقاء به وحده ، يتحدث فى القضية العربية · واستجابة لهذا الحرج رأى الرئيس المصرى ان يدور على البلاد العربية ، قبل هذا اللقاء ، ليحمل معه اراء العرب جملة · وبدأ بزيارة الكويت فاستقبله شعبها،واستقبلته اجهزة اعلامها، بما لم يكد ان كان سبق مثله لرئيس دولة قبله·عرف الكويت خطورة الرسالة فاعطى رسولها ، هكذا اعلانا ، اكبر مناصرة بعطاها رسول ·

فى سالزبرج

ليس لدىّ الكثير الذى اقوله عن لقاء الرئيسين ، الأمريكى والمصرى ، فى سالزبرج · فقد ذكرت منه الصحف والمجلات ، فى كل المقاع الشىء الكثير انما هى ملاحظات عابرة ·

فاول لقاء الرئيسين كان على مائدة السادات ظهرا ، وهو الداعى ، وهذا فيه من المعنى ما فيه ·

والذىعرف من الامريكان المقدار الكافى يدرك لاشك انك تستطيع بسرعة ان تتحدث الى رجل الولايات فتنسجم معه انسجاما · فهم على العموم ليس فيهم ترفع ، مهما ارتفعت اقدارهم ، وهم فى الصحبة صادقون · وان كانوا فى غير الصحبة قد يكونون غير ذلك · وكذلك هو الرئيس المصرى ، على مثل طرازهم ، وهو يزيد · فلا عجب ان اتسق الرجلان اتساقا · وكان بينهمانكات وضحكات رآها وسمعها الحاضرون ،ونقلها الينا المصورون · فلم يكن بينهما ماقال بعض العرب من انها دعوة سيد لمسود ·

سالزبرج ·· مدينة من اجمل البلاد واقدمها،مولد موزارت

الرئيسان السادات وفورد ، لقاء مكاشفة

كان لقاء على صعيد واحد ، وكدت اقول ، كان اشبه بصعيد الرفقة الطيبة · ودعا رئيس الولايات رئيس مصر لزيارة الولايات ، فلبى · ودعا رئيس مصر رئيس الولايات لزيارة مصر فلبى ،وزاد رئيس الولايات انه يرجو ان يلقى من الترحاب فى مصر ما لقى سلفه نكسن عندما مازارها ! ·

اما من حيث مااتفقا عليه الرئيسان ، فالرأى انهما لم يتفقا على شىء ، وما اجتمعا ليتفقا او يختلفا · انها مكاشفة بآراء ، لها مابعدها ·

وعند اختتام المحادثات ، **قال** رئيس الولايات ، ان مما كسبه فى هذا **اللقاء** ، التعرف الشخصى بالرئيس المصرى ،**وكذلك قال** الرئيس المصرى · وهو **كسب للقضية** العربية ، عند التفاوض ، غير **قليل** ·

مابعد سالزبرج

بعد سالزبرج سيجتمع الرئيس فورد برئيس وزراء الصهاينة فى عاصمة الولايات · ثم يكون بعد ذلك للولايات فى القضية العربية رأى آخر ·

وقالوا : ان وزير خارجية الولايات سيعود الى الشرق الاوسط لاستعادةسياسة الروحة والجيئة بين العواصم كما كان فعل اولا ، واخفق · وقيل غير ذلك ·

وسوف تظهر الأيام ماسوف يكون ·

بين التفاؤل والتشاؤم

بين التفاؤل والتشاؤم ، تقسم العرب·

وكان حامل راية التشاؤم فيهم الرئيس الحبيب بورقيبة ، **قال** : لن ينجح شىء لا سياسة المكوك ، ولا مؤتمر جنيف ·

الحبيب بورقيبة ليس بكاتب صحفى ، فوجب عليه من اجل ذلك على الأغلب ، ان يكتب فى خط مرسوم • انه رئيس دولة عربية • وهو فى الحكم عتيق • وهـــو بأسرار الدول عارف ، والدول العربية خاصة • فان جاز لأحد ان يؤمن برأى دون ان يسأل عن اسبابه ، فهو رأى الحبيب •

وهو رأى الكثيرين الذين يسكتون فــلا يكتبون ولا يتحدثون •

للتشاؤم اسباب ثلاثة

وتسأل عن السبب ، او انك انت تروح تبحث عنه ، فتعلم ان له اسبابا ، موضعها العــرب ، واسبابــا موضعــها الأعــداء الصــهاينة ، وأسبابا ثالثــة ، موضــعها الولايات المتحدة •

الرئيس الحبيب بورقيبة
لا يؤمن بحل القضية العربية
بالطرق والأساليب الجارية

العرب لم يجتمعوا على صيغة واحدة ترضيهم جميعا •

اما العرب فهم من تصـوّر المستقبـل بحيث لا يمكن ان يجتمعوا على سلم ، او يتفقوا على صيغة واحدة ترضيهم جميعا ، ويرضى بها الاطراف الآخرون ، بل ترضى الدنيا فى هذا الزمان الجائر • فمن العرب من لايرضى الا بأخذ الفطيرة كاملة ، والا فلا أخذ ولا فطيرة •

ومن العرب من يرضى ، اضطرارا لا رغبة منه ولا محبة، بأخذ اكثر ما 'يستطاع اليوم من الفطيرة ، والفرن لايزال مشتعلا ، والدقيق لايزال ميسورا ، وكذا السمن ، وسائر ماتحتاجه الفطائر لصنعها ، وكذا من يحسنون صنعها • والحياة الدنيا عند هؤلاء سوف لاتتزايل فى الغد القريب ،او فى بعد غد • ونحن اذا لم ناكل اليــوم الفطيرة كلها ، اكل ماتبقى منها من بعدنا الأبناء والأحفاد •

وقديما رأى كسرى انوشروان شيخا مسنا يزرع شجرة زيتونة لا يمكن ان يحيى الشيخ ليأكل منها • فلما سأله كسرى فى ذلك قال قولته المشهورة : زرع من سبق فأكلنا، ونزرع ليأكل من يجيء بعدنا • وبهذا المنطق يقول بعض العرب : نأخذ اليوم من الحقوق اكثر ما نستطيع ، وتقره علينا الدنيا ، فاذا تخلف من الحقوق شيء ، واستعصى علينا استعصاء ، اخذه من يجيء من العرب بعدنا ، اما رضاء واما عنتا •

العرب يخشون المفاوضة

فالعرب يخشون اول مايخشون المفاوضة، ولو غير مباشرة ، لانها سوف تكشف هذا الخلاف الذى بينهم • وهو كان مكشوفا فى المفاوضة السياسية التى اسموها سياسة خطوة خطوة ، وهو أكثر انكشافا فى مؤتمر جنيف اذا جاز لهذا المؤتمر أن ينعقد •

ولقد تكشف ذلك للروس يقينا ، فهم لذلك لايستعجلون اليوم انعقاد هذا المؤتمر،

مؤتمر جنيف ، كما كانوا يفعلون من قبل ، ويؤكدون على العرب مرارا وتكرارا ، فى صحفهم ، ان لا يذهبوا اليه الا وهم رأى واحد ، وهدف واحد ، وخطــة الـى هذا الهدف واحدة · حتىانهم ضربوا للمؤتمر موعدا آخر هذا العام ·

ولا احسب ان هناك من حطط السلم الممكنة ما يمكن ان يجتمع عليه العرب ، وهم اليوم ماهم · ان الشىء الواحد ،المتاح لهم ان يجتمعوا عليه اليوم ، عن رضى ، انما هو الحرب ، اذا انسدت فى وجوههم سبل السلام انسدادا ·

والعدو يخشى السلم

كذلك لا أحسب ان الأعداء يريدون سلما· انهم يخشون السلم · وبهذا قال الرئيس المصرى · انهم يخشون السلم لأنه يبقيهم داخل حدود عام ١٩٦٧ · انهم يطلبون المزيد ، وهم يعلمون ان لا حياة لهم فـى مستقبل الأيام ، بين الأمواج العاتية لهذا الاقيانوس الهائل الجبار المحيط بهم من الأجيال العربية الحاضرة ، والتى سوف تلى ، لاحياة لهم فى هذا المحيط الزاخر مهما هاجر اليهم من استطاع من صهاينة الأرض مهاجرة ·

وموقف الولايات المتحــدة كذلك لن يؤدى الى سلم

بقى موقف الولايات المتحدة ، وقداتفقت مع الروس ، ان تتصدر هى ، اولا ، الى حل القضية العربية الاسرائيلية حلا يرضى الجميع ، ما استطاع حل ان يرضى جميعا كلّه ·

لــقد علمنا من فشل وزير خارجيــة الولايات ، الدكتور كيسنجر ، فى مجهوده السلمى ما علمنا · وسمعنا بغضب الوزير، والرئيس فورد ، لهذا الفشل الذى كان · وسمعنا بالقائهم اللوم فى هذا الفشل على الاسرائيليــين · وسمعنا باعــادة الولايات

كيسنجر
فشل فى مجهوده السلمى
والقى باللوم على الاسرائيليين

النظر فى سياستها ، فى الشرق الاوسط ، لتغير منها تلك الجوانب التى يمليها سبب الفشل الذى كان · وشاع ان المقصود مــن ذلك صياغة سياسة تكون اقرب الى الاتزان، والى العدالــة والنصفــة بـين دول هذه المنطقة الحساسة من الارض ·

كل هذا سمعناه · وكل هذا صدقناه ·

وزاد تصديقـا له خــروج الرئيــس الامريكى عن امريكا ولقاؤه الرئيـــس المصرى ، بحسبانه لسانا يتحدث عن العرب فى سالزبرج بالنمسا ·

وتم كل هذا ·

وبقى ابداء الرأى ، ما استطعنا ، فيما سوف يكون بعد هذا ·

والرأى انه لن يكون من كل ذلك الا ما كان فى العام الذى مضى ، وفى العام الذى قبله ، والعام الذى سوف يأتى ·

رئيس بلا رئاسة

ان رئيس الولايات فورد ، على ما رأينا منه ، وما سمعنا عنه ، وخاصة ما وصفه به الرئيس المصرى من كلمات للتحية ولكنها صادقات ، رئيس الولايات هذا رجل صادق أمين . وقد جاز ان يأتى ، بعد لقاء الآخرين ، بخطة للسلم لا يكون فيها للعرب غبن كثير . ولكنه لو فعل ، ولو فرضنا ان العرب قبلت خطته، فسوف تكون خطة بغير تنفيذ . حبرا على ورق .

ان الرئيس الامريكى اعتزم ان يتقدم لرياسة الولايات المتحدة العام القادم ، عام ١٩٧٦ . ولا بد لهذا التقدم من مكافحة . واحتجز الكمبوديون السفينة الامريكية عندما وجدوها فى شواطئهم ، او ما ادعوا انها شواطئهم ، واسروها ، واسروا من كان عليها من بحارة . وقامت الولايات المتحدة لهذا الحادث ، ولم تقعد الا بعد ان اتخذ الرئيس الامريكى ما اتخذ من العمل الحربى السريع ، وانقذ السفينة والبحارة . وهتفت له الولايات .

ولعله كان اول هتاف تهتف له به الولايات .

عمل ناجح لا شك فى هذا ، احوج ما يكون اليه رجل يعتزم ان يتصدر للرئاسة من عام او يزيد . واراد ان يتبعه بآخر . فكانت تلك الرحلة الى اوربا ، تلك التى ختمها اللقاء بالسادات .

وأجرى فى هذه الرحلة الكثير من اللقاءات ، واصدر الكثير من البيانات ، وتعهد بالكثير من التعهدات ، تلك التى كان اهم مافيها تقريب الولايات المتحدة الى قلوب ساسة اوروبا، بعد ان كان اصابها من ضياع الثقة بالولايات ما كان بسبب فشلها الذريع الفاضح فى فتنام .

ومن مكاسب رئيس الولايات فى رحلته هذه ما جرى بينه وبين السادات .

ولكن السؤال هو هل يكون لما يرتأيه رئيس الولايات ، من رأى وخطط ، تتصل بنا نحن العرب ، نفاذ ؟ وكم يكون ؟

نظام الحكم فى الولايات

ان نظام الحكم فى الولايات **نظام عجيب** رئيس للادارة ، ومجلس بل مجلسان للتشريع ، ثم رؤساء وزارات ومصالح شتى ، وكل هؤلاء لا يجمعهم على رأى واحد جامع .

فرئيس الجيش ، والمفروض انه تحت امرة الرئيس ، رئيس الولايات المتحدة ، يلقى بتصريحات فى السياسة تتناقض مع مايلتيه الرئيس . يقول رئيس الجيش ، او من هو فى حكم رئيسه ، باحتمال غزو بلاد الزيت العربية ، وان هذا احتمال وارد فى خطة الولايات . ويأتى الرئيس، من قبل هذا التصريح ومن بعده ، فيناقض هذا الانذار .

والرئيس يؤجل بعض المطالب الاسرائلية من مال وعتاد حرب ، فاذا بمجلس الشيوخ يرسل اليه خطابا يطلب فيه من الرئيس ان يظل على تزويده اسرائيل بالعتاد والمال .

ويرسل مجلس الشيوخ هذا الخطاب قبيل قيام الرئيس برحلته الى اوروبا ، والتقائه بالسادات . فكيف ترجو نجاح آراء طيبة وآمال مرتجاة للعرب قد يحملها رئيس الولايات الى واشنطن اذا هو عاد .

وعدا هذا ، فأكثرية المجلسين ، الشيوخ والنواب ، اكثرية ديمقراطية . والرئيس فورد رئيس جمهورى . فهو من الآن خصم لمجالس التشريع الأمريكية . وهم سوف يخذلونه فى كل شىء ، يتصل

في الشائعة التي قالت بهذا التحول في الرأي العام ، هذا التحول المزعوم ·

ثم مـاذا

صور من الاحداث لا شك لا اشراق فيها ·

ولكن ، هل تفتت هذه الصور في عزم العرب ، فتقعد بهم دون بلوغ ما استهدفوه من اهداف · هي بعض صميم الحياة في كل حي ؟

بالطبع لا ·

ولكنها صور تبعث على الكثير من التأمل ، واعمال الفكر الرزين ·· ولعله فكر يحتاج الى مراجعة اصيلة في كل ما نختطه من امور ·

ولكن ، مهما يكن لنا من خطة قديمة نحتفظ بها ، ومن خطة جديدة نستجدها ، فأول شيء لا بد ان نتجنبه ان يكون من خططنا ، قديمها والجديد ، مايجعل اجيالا منا قادمة أضعف منا في ملاقاة الاعداء · لابد من قوة في الذراري ، قوة ابدان ، وقوة أرواح ، وتفتح أنفس ، واشتداد عزائم ، مع مسايرة الدنيا في علم وامجاد حياة ·

لقد اتضح اليوم ان القضية لا يقضى فيها في عام او عدة من اعوام ، الا ان تقوم بالدنيا كارثة ·· واول دفاع في هذه القضية على المدى الطويل ، هو خروجنا من التخلف الذي نحن فيه · فلن نأذن لشيء ان يبقى فينا فقرنا ، او يبقى جهلنا وأميتنا ، او يمنع من تقدمنا حتى لانلحق بالسابقين · ان الحياة لم تكن قط متعة · ان الحياة عمل وعرق ، وهي على الملال متعة ، بقدر ما نعمل ونعرق ·· والله لايضيع اجر العاملين ·

●●

احمد زكي

ادوارد كينيدي الديمقراطي
يجري الترويج له هذه الايام
لانتخابه رئيسا للولايات

بالقضية العربية · كل شيء يحتمل ان يتراءى للناس انه كسب للرئيس ·

ومكاتب للاعلام مئات ، في الولايات

وعدا هذا وهذا ، **فهناك مكاتب الاعلام** الصهيونية ، وهي مئات منتشرة في الولايات ، **ولها ميزانيات سنوية تبلغ الملايين العديدة** من الدولارات · وذكر الذاكرون لنا ان الرأي العام في الولايات قد تحول الى جانبنا ، وبدأنا نصدق ، على الرغم من علمنا بقوة الاعلام الصهيوني ، وان الصهاينة كادوا ان **ينشئوا لهم حكومة** داخل حكومة الولايات ·· ولكن جاء خطاب مجلس الشيوخ ، وبه امضاء ثلاثة ارباع اعضائه ، جاء الى رئيس الولايات يناصر الغاصبين ، فزال عند العقلاء منا كل شك

مسابقة العربي

■ مسابقة هذا العدد تشتمل على عشرة اسئلة مختلفة .. والمطلوب منك معرفة الاجابة الصحيحة على ثمانية منها على الاقل ، لتفوز باحدى الجوائز التى مجموعها ١٠٠ دينار .

١ ـ مصلح عربى جزائرى كبير .. كان يصل الليل بالنهار عاملا على بعث الجزائر العربيه الاسلامية .. فى ظروف كان المستعمر متسلطا على زمام امور شعب الجزائر ، الذى كان مشوه الثقافة واللسان مفصولا عن تاريخه وحضارته .. وفى عام ١٩٤٠ مات هذا المصلح العربى الجزائرى الكبير ، بعد ان ايقظ الشعب الجزائرى من سباته .. واسم هذا العالم هو :

ابن باديس ـ ابن خلدون ـ ابن بطوطة .

٢ ـ فى الخليج العربى دولة عربية تقوم فوق ٣٣ جزيرة صغيرة مجموع مساحتها ٢٤٠ ميلا مربعا يعيش فوقها نحو ربع مليون نسمة ..

فما اسم هذه الدولة العربية التى اعلنت استقلالها فى ١٥ اغسطس سنة ١٩٧١ ؟

٣ ـ فى عام ٧٩ قبل الميلاد شعر سكان مدينة بمباى Pompeii بان السماء تمطر عليهم حمما واحجارا ، ولم يستطع السكان وكان عددهم اكثر من ثلاثة آلاف نسمة الهرب بل دفنوا احياء تحت حمم تراوح ارتفاعها بين ١٥ و ٢٥ قدما .. وظل كل شىء محفوظا تحت الحمم كما هو ، حتى بدأ الناس يحفرون عنها فوجدوا المنازل والاثاث ، وحتى اللوحات الملونة والملابس على ماهى عليه .. وهذا البركان الذى دمر هذه المدينة هو بركان :

فوجى ياما ـ كليمنجارو ـ فيزوف .

٤ ـ تظهر على خرائط الكرة الارضية خطوط واضحة هى خطوط الطول وخطوط العرض وكل منها يحمل ارقاما مختلفة وخط الصفر بين خطوط الطول هذه هو الخط المعروف بخط جرينتش،او خط التوقيت الدولى..

فأى خط عرض يعرف بانه خط رقم صفر ؟

٥ ـ عند القناطر الخيرية بجوار القاهرة يتفرع النيل الى فرعين ، ضما بينهما مساحة عظيمة من الارض تعرف بارض الدلتا ، وذلك للشكل المثلث الذى ضم هذه الارض بين فرعى النيل والبحر الابيض المتوسط . وهو شكل يشبه الحرف الرابع من الحروف الاغريقية القديمة وهو حرف الدال ، ويعرف عندهم باسم دلتا .. ومنذ ذلك الوقت اصبح اسم (دلتا) يطلق على كل نهاية نهر يتفرع الى فرعين عند مصبه .. وعند طرف دلتا النيل تقع مدينتان هما :

ـ الاسكندرية ، بور سعيد ـ دمياط ، ورشيد ـ ابو قير ، والبرلس .

٦ ـ ارسطو اوناسيس ، واحد من اغنى اغنياء العالم ، توفى يوم ١٥ مارس ١٩٧٥ فى المستشفى بباريس عن ٦٩ عاما ، بعد مرض ذات الرئة ، وقد حظيت ارملته جاكلين مع ابنتها بمائة مليون دولار من ارثه ..
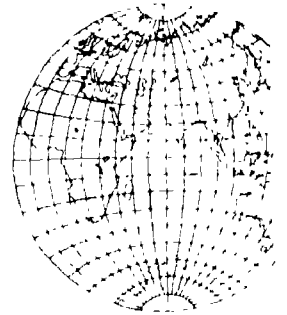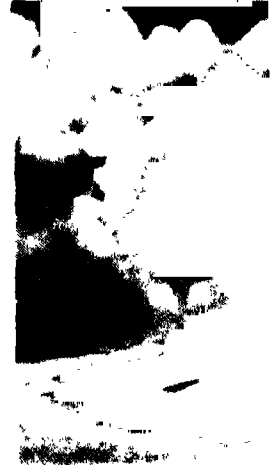
وترك لابنته كريستينا ، وهى من غير زوجته جاكلين كندى مبلغ ٤٥٠ مليون دولار ٠٠ وهذه المرة الثانية التى تترمل فيها جاكلين . فقد كانت زوجة لرجل عظيم اسمه :

روبرت كندى ـ ادوارد كندى ـ جون كندى ٠

٧ ـ باب المندب هو المدخل الجنوبى للبحر الاحمر . وفى وسط هذا المدخل تقع جزيرة عربية صغيرة تتحكم فى هذا المضيق الاستراتيجى الهام ٠٠ فما اسم هذه الجزيرة :

كمران ـ فراسان ـ بريم اوميون ٠

٨ ـ فى العراق يجرى نهران كبيران هما دجلة والفرات ٠٠ وفى الهند يتدفق نهران كبيران من جبال الهملايا ، ويسيران فى سهل كبير يمتد الفى ميل من الغرب الى الشرق ٠٠ وهذان النهران الهنديان هما :

ـ الأندس والجانجس ٠

ـ الميكونج والهيوسانج ٠

ـ زامبيزى والهوانج ٠

٩ ـ الالعاب الاولمبية بمعناها الحديث بدأت فى اثينا باليونان عام ١٨٩٦ وتم تنظيمها بمجهودات البارون الفرنسى كوبرتان Coubertin التى استوحى فكرة هذه الاولمبياد من المباريات الاولمبية الاغريقية القديمة التى ظهرت لاول مرة عام ٧٧٦ ق٠م ٠ ثم الغاها الامبراطور تيودوسيوس عام ٣٩٤ بعد الميلاد ٠٠ ومما يذكر ان ٩ دول فقط اشتركت فى اولمبياد ١٨٩٦ اما اليوم فتتنافس اكثر من ١٠٠ دولة فى الاولمبياد ٠٠ وفى عام ١٩٧٦ ستقام الاولمبياد فى مدينة مونتريال بكندا ٠٠

ترى ما هو عدد السنوات التى تمر بين كل دورة اولمبية واخرى ؟

١٠ ـ يستخرج الملح عـادة فى وطننـا العربى من ماء البحر بعد تبخيره ٠٠ وفى مناطق اخرى يتم استخراجه من الارض والجبال بنسف الصخر وغيره لتكسير كتل الملح الهائلة ٠٠ واكبر كمية ملح حجرى فى وطننا العربى موجودة فى :

ـ تمانراسيت بالجزائر ٠

ـ الصليف باليمن ٠

ـ عين دراهم بتونس ٠

جاكلين كندى

شروط المسابقة

ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٠٠ » ٠

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ ٠

يمنح الفائزون ١٠٠ دينـار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ٠ الجائز الثانية ٢٠ دينارا ٠ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠

٨ ـ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠

من تاريخ العلم عند العرب

ابن وحشية

وكتابه في الفلاحة
وهو من أقدم الكتب في العربية

(٠٠٠ ـ ٢٩٦ هـ) (٠٠٠ ـ ٩٠٩ م)

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ هو ابو بكر احمد بن علي بن المختار بن عبد الكريم بن جرثيا الكسداني الكلداني . من اهل قسين ، كان يدعي انه ساحر ، يعمل اعمال الطلسمات ويعمل الصنعة . ومعنى كسداني نبطي، ويعرف بابن وحشية (ابو بكر) عالم بالفلاحة ، والكيمياء . والسحر . والسموم . وغير ذلك .

له من الكتب « السر والطلسمات » . وكتاب « السحر الكبير » ، و « نزعة الاحداق في ترتيب الاوفاق » ، و « شوق المستهام في معرفة رموز الاقلام » و « كتاب الفلاحة » .

ذكر له ابن النديم في الفهرستماينوف على الثلاثين كتابا في هذه العلوم . وقال كان له مناظرات في الكيمياء مع عثمان بن سويد ابو حرى الاخميمي . وانه نقل اكثر كتبه من اللغة النبطية، ولم ينشر من تاليفه في اللغة العربية سوى «شوق المستهام في معرفة رموز الاقلام» ، وقد ذكر في آخر كتابه هذا انه ترجم من اللغة الكردية ، كتابا في علل المياه ، وكيفية استخراجها واستنباطها من الاراضي المجهولة الاصل .

وله كتاب « السحر الصغير » ، كتاب دوار على مذهب النبط ، وهو تسع مقالات ، وكتاب «مذهب الكلدانيين في الاصنام » وكتاب « الاشارة في السحر » ، وكتاب « اسرار الكواكب » ، وكتاب الفلاحة الكبير والصغير ، وكتاب الحياة والموت في علاج الامراض .

الفلاحة النبطية

ولا شك ان اشهر كتبه هو الفلاحة النبطية الفه باللغة العربية عام ٢٩٦ هـ . ويمثل هذ الكتاب عقائد الصابئة وهو خلاصة النظريات والمعتقدات الوثنية عند النبط والارامين وما فيه من آراء مستمد من عالم وثني . وعرف عند ابن الوحشية باسم « كوثامي » ويشتمل الكتاب كذلك على معلومات في علم الفلاحة والنبات .

ويحكي ابن خلدون في مقدمته « ان جابر بن حيان » في الشرق،« ومسلمة ابن احمد المجريطي » في الاندلس ، تاثرا بهذا الكتاب في تاليفهما .

وله كتاب العشرين في الكيمياء ، وسماه ايضا كتاب الفوائد،قال « وانما سميته بهذا الاسم لاني ذكرت فيهجميع مااستفدته في اسفاري ».ويقع كتاب الفلاحة في ستمائة وعشر ورقات مصورة عن دار الكتب وتوجد المخطوطة في معهد المخطوطات بالجامعة العربية .

وقد قسمه المؤلف الى أبواب عديدة منها باب في ذكر خواص الزيتون ، وثان في استنباط المياه ، وثالث في كيفية حفر الآبار ، ثم الاحتيال في الزيادة في ماء البئر ، وباب في صفة اطلاع الماء من عمق بعيد . وثان في الزيادة في تنمية

الماء فى الآبار وثالث فى تغير طعم المياه ، وباب فى الكلام على اختلاف طبائع المياه وافعالهاواخر فى صفة ابلاج التلقيح وزرعه وغرسه .

مختلف انواع النباتات

لم يخصص ابوابا بمختلف انواع النبات وكيفية غراستها او زرعها وتسميدها وريها ، فيتحدث من الخيرى والسوسن والنيلوفر ، والنرجس والاقحوان والياسمين والنسرين والاذريون ، والخزامى والاس ، وشجرة الفار ، وشجرة الخروع ومنافعها،والخطمى والبنطم وامير باريس،والزعرور وازدرخت والدلب ، والخلاف ، والقنشر ، والدردار ، والدفلى ، والاترج ، والخرنوب الشامى ، والعوسج .

ويخصص ابوابا بكيفية عمل البيادر وخزن الحنطة ، واوقات الزرع ومعرفة الاهوية ويسهب فى الحديث عن حبوب الحنطة ، والشيلم والذرة والارز . ثم يفيض فى الحديث عن الباقلاء والماش، والعدس ، والكرسنة ، والحمص واجليان،واللوبيا والترمس ، وطرماكى ، والقطن ، وبذر الكتان ، والسمسم ، والسيسبان ، والخشخاش والهليون ، والسلجم ، والسلجم البرى ، والبصل ، والثوم ، والفجل الشامى ، والفجل البرى،والجزر البستانى، والجزر البرى ، وبصل الفار ، والسلق ، والحس والحماض ، والنعنع ، والاسارون ، والزعفران ، والزنجبيل ، والخردل ، والباذروج ، والجرجير ، والكرفس ، والسفندر ، والسذاب ، والهندقوق ، والحرا ، والصعتر ، والقرنفل ، والاسفناخ والكوسة ، والقطف ، والكزبرة ، والبقلة اللينة، والكشوث ، والحلبة،والكرنب الخراسانى،والقرفة، والقنبيط ، والقرع والباذنجان ، والخيار ، والبطيخ ، والكروم ، وكيف تزرع ، والرمان ، وجوز الهند ، واللوز ، والبندق والفستق ، والبلوط ، والشاهبلوط .

الفواكه والخضراوات

لم يفرد بابا خاصا لذوات النوى من الثمار مثل المشمش ، والخوخ ، والاجاص ، والعناب ، والنبق ، والقطلب ، والقراصيا .

لم يتحدث عن التين ، والجميز والكمثرى ، والسفرجل ، والتفاح ، والتوت ، والصنوبر ، والارز ، والشربين ، والقيقب ، والسنديان ، والزرنب .

لم يفصل الحديث من القسطل والاذخر والمر ، والحصض ، والاقاقيا ، والحناء ، والمران ، والابهل، والملوخية .

يقول ابن وحشية فى مقدمة كتاب الفلاحة النبطية ، انه نقل من الكسدانية او النبطية عام ٢٩١هـ ثم املاه على الطالب احمد بن حسين بن على بن محمد بن عبد الملك الزيات سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة من الهجرة .

ويقول انه يكتبه بقصد صلاح الارض ، واصلاح الزروع والشجر والثمار وعلاج آفاتها ، ويقول انه خطر له بعد ذلك ان يختصره.. فقد استكثرته واطلته ، ومن الخير اختصاره ليكون ايسر منالا لدى طلاب هذا النوع من المعرفة » .

ويختم ابن وحشية هذا الكتاب النفيس بقوله انه وجد فيه اجل المنافع واكثر الفوائد ، وكان يحتوى على افلاح مواتها وتدبيراتها وعلاجاتها من ادوائها وصرف المهالك عن الشجر والنخل والكرم بمبلغ الجهد ومقدار الطاقة . ومع الذكر للمنافع والمضار من الاغلال وصرف الادواء من ابدان الناس .

اما البقر والغنم وغيرها من الحيوانات المعينة لنا على الفلاحة ، فقد افردنا لها كتابا ، جعلناه تاليا لهذا الكتاب .

وكذلك الحمام والطيور والكراكى سنفرد لها بابا خاصا فى ذلك الكتاب .

ويلاحظ كذلك ان الكتاب نباتى زراعى فقط . لم يشر الى الفوائد الطبية او ما يتخذ منها من عقاقير الا نادرا ، ولذا فهو اشبه بكتاب النبات للدينورى وكتاب الفلاحة لابن العوام .

يقول ابن وحشية وبهذا القول ختمنا كتابنا هذا ، والسلام .

وبعد ، فهذه المامة قصيرة عن « ابن وحشية » ذلك الذى رجع اليه كثير ممن كتبوا فى فنون الفلاحة والزراعة من امثال ابن العوام وغيره ، ويطرد ذكره كثيرا فى اعمال قدامى المؤلفين من امثال النويرى فى كتابه نهاية الارب ، كما يتخذه ابن العوام مرجعا من اهم المراجع التى ذكرها فى مصنفه الاشهر « الفلاحة » ■■

عبد الحليم منتصر

بقلم : دكتور مهندس احمد خالد علام

■ لعبت الطرق منذ فجر التاريخ دورا هاما فى بناء الحضارات المختلفة ، وساعدت على نقل السكان والبضائع من جهة لاخرى ، كما كان لها دور هام فى اغراض الحرب ٠

كما لعبت وسائل النقل الحديثة بكافة انواعها فى الوقت الحاضر دورا هاما فى عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية ولا سيما فى الدول الصناعية ٠ فلقد ساعدت على توزيع السكان على اقاليم الدولة المختلفة وعلى استغلال الثروات الطبيعية فى المناطق النائية التى كان يصعب الوصول اليها وعلى انتشار الصناعة وتوزيعها وربطت بين مراكز الانتاج ومناطق التوزيع والاسواق ٠

كما كان لها دور فعال فى توفير الطعام الكافى لسكان الحضر ٠ فربطت المدن بالقرى والمزارع التى حولها وسهلت نقل الخضر والفاكهة والمحاصيل الزراعية الى سكان هذه المدن ٠ ومن جهة اخرى يسرت نقل الآلات الزراعية والاسمدة الكيماوية والبذور المنتقاة والمبيدات الحشرية الى هذه المزارع ٠ وفى نفس الوقت ساعدت على تقريب المسافة بين جمال الطبيعة الريفى الى اهل المدن وجمال الحياة الحضرية الى سكان الريف ٠

الطرق البرية

ويأخذ النقل بالطرق البرية فى دول الوطن العربى المركز الاول من وسائل النقل الداخلى حيث يستأثر بالنصيب الاكبر فى نقل السلع والافراد . ولا سيما فى الدول ذات المساحات الشاسعة كالسعودية وليبيا •

ولقد اهتمت الدول العربية ببناء طرق برية حديثة تخدم العمران والاغراض الاقتصادية والدفاعية •

الا انه رغم الجهود التى بذلتها هذه الدول فى بناء الطرق الحديثة فما زالت قليلة بالنسبة لسكان ومساحة هذه الدول ، فمثلا يخدم الكيلومتر من الطرق فى بعض الدول الصناعية حوالى ٥٠ فردا ، بينما يخدم فى بعض من الدول العربية ١٠٠٠ فرد •

كما ان معدل النمو فى بناء هذه الطرق لا يتناسب مع النمو الصناعى والتجارى والعمرانى لهذه الدول مما ترتب عليه كثير من المشاكل •

ولم تمتد شبكات الطرق الحديثة الى ريف كثير من الدول العربية حيث الثروة الزراعية ، او الى المناطق الصحراوية حيث الثروات المعدنية واراضى الاستصلاح مما ترتب عليه عدم استغلال هذه الثروات •

كما ان الطرق المرصوفة فى هذه الدول اقل بكثير من اطوال الطرق غير المرصوفة (الترابية) فتصل نسبة الطرق المرصوفة حوالى ثلث الطرق غير المرصوفة فى كثير من هذه الدول •

ويتوقف استخدام بعض الطرق الترابية فى بعض فصول السنة بسبب الامطار فى بعض الدول مثل وسط السودان وشمال الدلتا فى مصر •

كما لا يوجد على مستوى الوطن العربى ككل اى مقاييس نمطية يسهل توصيف الطرق العربية بها ، فمثلا الطريق الذى تصفه دولة عربيـــة عندها بانه طريق سريع رئيسى (درجة اولى) تصفه دولة اخرى عربية اكثر تقدما بانه طريق محلى (درجة ثانية) •

السكة الحديد

توجد شبكة سكة حديد فى دول الهلال الخصيب ومصر والسودان ودول المغرب بالاضافة الى خطوط قصيرة فى السعودية وليبيا •

وتتكون سكك حديد دول الهلال الخصيب من شبكة تربط كلا من العراق وسوريا ولبنان والاردن (بالاضافة الى تركيا) •

وفى مصر توجد شبكة تغطى الدلتا والوادى وتعتبر القاهرة مركزا لانتشارها حيث يمتد منها خطوط الى ثغور مصر : الاسكندرية وبور سعيد والسويس • كما تمتد الى عواصم المحافظات فى الوجه البحرى والقبلى حتى اسوان فى اقصى الجنوب •

وفى السودان تبدأ السكة الحديد عند وادى حلفا فى الشمال الى الخرطوم ومنها تتفرع الى عدة خطوط داخلية •

وتربط سكة حديد دول المغرب : تونس والجزائر ومراكش ، حيث يمتد الخط الحديدى الرئيسى من صفاقس شرقا بتونس ، حتى الدار البيضاء فى المغرب • ويتفرع من هذا الخط خطوط فرعية تربط مراكز الانتاج الزراعى والمعدنى والمدن الكبرى بهذا الخط الرئيسى •

وعلى العموم فان اطوال السكة الحديد فى الوطن العربى قليلة جدا اذا قيست بتعداد سكانه وتخدم اغراضا محلية • ولا تساعد على ان تكون اساسا يبنى عليه تكاملها الاقتصادى •

وهذه الشبكات تختلف مقاساتها فبعضها ذات عروض دولية (عريضة) وبعضها ذات عروض ضيقة • كما تنفصل بعضها عن بعض مما يصعب معه ربط دول الوطن العربى بشبكة واحدة باستثناء دول الهلال الخصيب وسكة حديد بلاد المغرب •

فلا يوجد خط حديدى يربط شمال الوطن العربى بجنوبه ولا بين شرقه وغربه لا فى افريقيا ولا فى آسيا •

فسكة حديد مصر مثلا تنتهى جنوبا عند اسوان بينما تبدأ سكة حديد السودان عند وادى حلفا (بالاضافة الى اختلاف العروض) وكذا لا تصل سكة حديد بلاد المغرب بسكة حديد مصر (الممتدة غربا الى ساحل البحر الابيض) الى ليبيا •

وفى داخل الدولة الواحدة لا تمتد شبكة السكة الحديد ولا تنتشر فى كل اطرافها فصحارى مصر وليبيا والجزائر والشام خالية من الخطوط وبذلك لم يمتد اليها النشاط العمرانى او الاقتصادى •

الطرق النهرية

والملاحة النهرية عنصر هام منذ فجر التاريخ كوسيلة نقل داخلي وغالبا ما تستعمل في نقل السلع ذات الاحجام الكبيرة الضخمة حيث تمتاز برخص تكلفة النقل ، بالاضافة الى نقل الافراد .

ولا يمثل النقل النهري مكانة هامة بين وسائل النقل الاخرى في الوطن العربي باستثناء نهري دجلة والفرات في العراق ونهر النيل في مصر والسودان . ولا يسهم نهر دجلة ونهر الفرات بقدر ما يسهم به نهر النيل حيث تنخفض مياههما في بعض فصول السنة (في غير اوقات الفيضان) الى مستوى تتعذر فيه الملاحة . اما انهار الدول العربية الاخرى فهي قصيرة موسمية لا تصلح للملاحة .

الموانى البحرية

وبالنسبة للنقل البحري والموانىء البحرية ، فيتمتع الوطن العربي بموقع جغرافي ممتاز عند ملتقى القارات الثلاث وبهذا يمتلك سواحل طويلة على البحار التى يطل عليها – الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الاحمر والمتوسط والمحيط الاطلسي – ولقد جعل هذا لمعظم دوله منافذ على هذه البحار .

وتنقسم الموانى البحرية العربية من حيث طبيعة نشاتها ووظيفتها الى موانى الممرات الجبلية او نهاية طرق قديمة مثل بيروت وبنى غازى وطرابلس وتونس ووهران والجزائر والدار البيضاء وموانى الاودية النهرية كالبصرة والاسكندرية وموانى المضايق البحرية كعدن وطنجة وموانى البترول وموانى الصيد وهى كثيرة .

وتقوم هذه الموانى بنقل اكثر من ٨٠٪ من واردات وصادرات الوطن العربي من والى العالم الخارجي بواسطة الملاحة البحرية الدولية – كما توجد طرق للملاحة البحرية تربط بعض الدول العربية ببعضها ولكنها قليلة ولا تربط موانىجميع الدول ، واغلبها غير منتظمة ومتواضعة جدا في اهميتها كوسيلة نقلبحرى كما ان كثيرا من الموانى العربية غير عميقة وغير مجهزة باجهزة الشحن والتفريغ الحديثة مما يصعب معه استقبال السفن الكبيرة كما لا توجد شبكات طرق برية او حديدية تربط هذه الموانى بداخل الدولة التى توجد بها هذه الموانى .

النقل الجوى

وبالاضافة الى موقع الوطن العربي الاستراتيجي فانه يتمتع بغلاف جوى معتدل على مدار السنة مما جعل له اهمية كبرى في المواصلات الجوية الدولية بين الشرق والغرب . كما توجد خطوط جويةبين بعضالدول العربية – الا ان النقل الجوى في هذه الدول لا زال يمثل وسيلة نقل اقليمية وليست وسيلة نقل تعم كل اجزاء الوطن العربي او تستغل على نطاق واسع داخل هذه الدول .

الخلاصة

يتضح مما تقدم ان شبكات الطرق ووسائل النقل بمختلف انواعها في الوطن العربي تمثل احدى مشاكله الرئيسية . وتحتاج الدول العربية الى شبكات من الطرق البرية والحديدية لتربط بين اجزائه المختلفة واستغلال ثرواته الكامنة . كما يحتاج الى وسائل مواصلات بحرية تنقل انتاجه سواء للوطن العربي او الى العالم الخارجي .

ويجب تخطيط هذه الشبكات في اطار السياسة العامة التى ترسمها هذه الدول في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية وسياسة التصنيع على ان يراعى في تخطيط هذه الشبكات التكامل بينها والاخذ باسلوب التوحيد القياسي في توصيف هذه الطرق بمعنى آخر يجب ان يكون هناك ٤ مستويات على الاقل لهذه الشبكة وهى :

طرق على مستوى الوطن العربي ككل تربط الدول العربية ببعضها (طرق دولية) .

طرق على مستوى الدولة تربط بين اطرافها (طرق قومية) .

طرق على المستوى الاقليمي داخل الدولة تربط بين اقاليم الدولة الواحدة (طرق اقليمية) .

طرق على المستوى المحلى تربط بين قرى ومدن الاقليم (طرق محلية) . ■■

دكتور مهندس
احمد خالد علام – القاهرة

الدكتور احمد نجيب الجراح المصرى حقق نجاحا كبيرا فى حقل جراحة الاعصاب ، اكسبه الكثير من الترحيب الذى قلما عرفه الجراحون فى امريكا

الدكتور معتز الهمل ، من مواليد دمشق متخصص فى الجراحة التقويمية ويشغل منصب مساعد استاذ الجراحة فى كلية الطب بجامعة فلوريدا .

٤ آلاف طبيب من أصل عربي

يعملون في الولايات المتحدة الامريكية

■ يعيش اليوم فى الولايات المتحدة الأمريكية حوالى اربعة الاف طبيب من اصل عربى ،يمارسون مهنة الطب هناك ، والبعض من هؤلاء حققوا شهرة عالمية فى ميدان اختصاصهم .

وقد وردت هذه الاحصائية فى مقال نشرته مجلة امريكية شبه رسمية ، تحدثت فيه عن انجازات بعض هؤلاء العلماء فى مجالات الطب المختلفة .

ومن هذه الشخصيات المشرقة التى تحدثت عنها المجلة ، الدكتور احمد نجيب الشاب العربى المصرى المتخصص فى جراحة الأعصاب .. تقول المجلة : « ان اسهاماته الرائدة » فى حقل جراحة الأعصاب اكسبته الكثير من الترحيب والاستحسان الذى قلما عرفه الجراحون فى ولاية الينوى » .

ويعتقد الدكتور احمد نجيب ان اعظم انجازاته الكثيرة واكثرها لوايا من بين ماحققه فى ميدان الطب ، هو الشكل الجديد من جراحة الحبل الشوكى، والذى يعزى اليه الفضل فى تحسينه .. فقد كان يفترض دائما ان الطريق المباشر الى العمود الفقرى فى العنق هو ما كان خلال ظهر العنق ، حيث يكون هذا العمود اقرب ما يكون الى السطح ... وقد وجد الدكتور نجيب ان الوصول اليه من امام الرقبة ينطوى على اخطار اقل ما دام الجزء الأمامى من العمود الفقرى ليس بمثل هذه الصلابة .. والجراحة الأمامية تحتاج الى درجة عالية من المهارة .. وكثيرا ما دعى الدكتور احمد نجيب لشرح طريقته للجراحين الذين لم يألفوا مثل هذا النوع من الجراحة بعد .

وفى حقل امراض الدم يشرق وجه الدكتور عادل اسعد يونس العربى اللبنانى ، الذى يقول : « بحلول عام ٢٠٠٠ سيكون الانسان قد توصل الى التغلب على معظم الامراض المائة المتميزة التى تعرف (مجتمعة) بالسرطان » .

ويتطلع الدكتور يونس الى اليوم الذى نستطيع فيه ان نزرق انفسنا بلقاح ضد السرطان ، كما نفعل فى حالة الشلل والجدرى ... وكثيرون من العلماء ومنهم الدكتور يونس يحبذون النظرية التى تقول : بان السرطان هو (فيروس) .. ويشغل

الدكتور منصور ارملي – من مواليد شفاعمرو ،قرب حيفا (فلسطين) وهو يرأس دائرة طب العيون في جامعة جورج واشنطن منذ عام ١٩٧٠

الدكتور يونس اليوم وظيفة استاذ ورئيس قسم الدم فى ميامى ، والكثير من أبحاثه يمولها برنامج امريكي ضخم خاص بالسرطان ٠

اما ميدان طب العيون ، فقد برز فيه الدكتور منصور ارملى ، طبيب العيون العربى، الفلسطينى الاصل ، الذى يعمل فى مستوصف جامعة واشنطن بالعاصمة الامريكية ٠٠ والدكتور أرملى منمواليد « شفاعمرو » بفلسطين ، ويعتبر من اعلام الطب الثقاة فى مرض الجلوكوما ٠٠ وخلال اقامته فى ولاية « آيوا » انشا مركزا خاصا بابحاث مرض الجلوكوما (المـاء الازرق) فى معاولـة لتحديد أسبابـه ، ووسائل السيطرة عليـه ٠٠ وافضت دراسته والدراسات اللاحقة الى تغيير أساسى فى مفهومه ٠

ويقولالدكتور ارملى «ان ابحاثهتكلف الكثير٠٠ فمنذ سنة ١٩٥٧ ونحن نعمل بموجب ميزانية سنوية تقارب الاربعمائة مليون دولار ٠٠ وما كان بوسعي ان اتوقع دعما على هذا المستوى فى اى مكان آخر غير الولايات المتحدة !!! » ٠ وتجدر الاشارة هنا الى ان معظم الاموال المخصصة لأبحاث الدكتور منصور أرملى تاتى من معهـد الصحـة القومى الامريكى ٠

وفىمجال الجراحة التقويمية يبرز الدكتور معتز الهبل العربى السورى الذى يشغل اليوم منصب مساعد استاذ الجراحـة فى كليـة الطب بجامعـة فلوريـدا ٠٠٠ « ويشمل عمله التركيب العظمى للوجه، اى اعادة بناء المناطق المشوهة عند الولادة، او من جراء حادث او مرض ٠٠ وحقل الجراحة التقويمية حقل جديد مجهول بين حقول الطب ، اذ لا يكاد يتجاوز عمره خمس سنوات ، فى معظم الحالات ، ثم هو حقل بالغ الدقة ، لانه غالبا ما يتطلب العمل (الجراحى) حول الدماغ » ٠

والدكتور معتز الهبل دماغ عربى من أدمغـة عربية كثيرة ، وجدت فى امريكا التربة الخصبة لاجراء أبحاثها ٠٠ وهو يعمل اليوم فىمشروع طبى خاص يبحث فيه عن امكانعلاج تلكالطائفةمنالناس الذين ولدوا بدون آذان طبيعية ، او من خسر منهم الاذن فى حادث ما ٠ ! وتشمل عملية هذا المشروع محاولة اعداد شكل اذن صناعية مكونة من مادة شحمية ذات نسيج دقيق من الخيوط المرنة ، وتدعى هذه المادة الاصطناعية (داكرون بوليبوراثين) ٠

هذه نماذج اربعة من بيناربعة آلاف طبيب عربى يعملون اليوم فى حقل الطب فى الولايات المتحدة الامريكية معظمهم دونالاربعين من العمر،والغالبية منهم تمارس الطب فى عيادات خاصة ، والبعض حققوا شهرة عالمية فى حقل اختصاصهم ٠

■■

« عن مجلة المجال الامريكية بتصرف »

عبد الحميد شومان

بين

و

بقلم : محمد أديب العامرى

■ بعض الاحداث الجسيمة تحملك على النطق والحديث ولو اردت لنفسك الصمت والتامل ٠ وقد بقي طيف المرحوم عبد الحميد شومان منذ وفاته يخالج ضميرى ، ولعله خالج ضمائر كثيرين ممن عرفوه ، ويحفزنى الى الكتابة عنه ، بل انى لاجد هذا الكلام واجبا يفرضه الاعجاب بالرجل ، ودينا علينا للاجيال الناشئة ، ولذلك ابادر بالاقتراح بان يتولى ابناؤه الكرام اصدار كتاب عنه يروى تاريخ حياته بشيء من التفصيل ٠

كان المرحوم شومان نموذجا عاليا لكل شاب عربى يريد ان يفتح لنفسه باب المستقبل على مصراعيه ، ليصبح شيئا مذكورا او خالدا فى قومه وبلاده ٠ فلقد بدا شومان من نقطة الصفر كما يقولون ، فى العلم،فى المال ،فى الاعمال ، ولكنه انتهى قمة بين رجال المال والاعمال فى النطاق العربى ، وشخصية ذات شان فى النطاق العالمى ، لم يحد من استكمالها الا موافاة المنية وانتهاء الاجل ، كما كان الفقيد نموذجا كاملا للخلق الرفيع والتضحية والوطنية الصادقة ٠

معيشة بسيطة وعمل جبار

عرفت الرجل عن كثب ، على فترات متباعدة خلال ما يزيد على ثلاثين سنة ، فامتلأت نفسى به سعادة واعجابا ومحبة ٠ كنت احاول احتصار ذلك الرجل البسيط الماثل امامى فيختصر معى فى جوهر داخلى من العظمة الشخصية ، تشعر به ولا تستطيع القبض عليه ٠ كان التواضع الظاهر والانبساط المرح والحماس الخشن الشديد، او اللين الوادع ، يغطى الجوهر الخفى فى الرجل فتضيع روح العظمة عند البسطاء السطحيين من الناس فلا يكادون يجدون فيه الا غنيا يتواضع او كبيرا يتنازل ٠

سمعت عن عبد الحميد شومان اول ما سمعت عندما اسس البنك العربى سنة ١٩٣٠ ٠ كانت المحاولة الاولى فى البلد الذى اناخ عليه الانتداب البريطانى والصهيونية الغاشمة لتاسيس « بنك عربى » ٠ لقد كانت كلتا الصفتين آنئذ توحى بالفشل ، ولكن الجوهر الماسى الصلب فى نفس الرجل دفعه الى التاسيس ، فمضى لا يلوى على

فيه ، ولم يلبث النجاح ان بدا ماجلا على محيا المؤسسة الجديدة فالتف الناس من حولها • كان عبد الحميد دائما هناك بايمانه الراسخ واندفاعه الدائم في الطبقة الثانية من المبنى المحدود في باب الخليل بالقدس الشريف • بدا برمال قدره خمسة عشر الف جنيه ، ومبنى ذي بضع غرف ، وانتهى بموجودات تزيد الآن على ٢٠٠ مليون دينار اردني ، وما يقارب الخمسين فرعا من البنوك في البلاد العربية واوروبا وافريقيا • وكنت تستطيع في الازمات السياسية والاقتصادية الحادة ان تشك في التعامل مع اى بنك في فلسطين او الاردن ، ولكنك لم تكن تستطيع الشك في التعامل مع البنك العربي • ولذلك قصة تعود الى سنة النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، يوم هجم العديد من المساهمين على البنك لسحب اموالهم فلبى عبد الحميد مطالبهم جميعا •

وكانت سن الفقيد آنئذ تقارب الخمسين عاما ، ومع ذلك كان يصر على المشي مسافة ما بين بيته والمكتب ذهابا وايابا ، وهي نحو اربعة كيلومترات. وكنا نسكن معا حي الشيخ جراح في القدس فاذا صادف وقت غدوي للعمل وقت غدوه ، حملني على المشي معه الى مكتبي الذي يقع في طريقه ، فيبدأ الحديث عن منافع المشي مثلا ثم يستطرد الى احاديث شتى تتعلق بالقضية الوطنية والاحوال الاقتصادية والشؤون الخاصة ، كالتدخين او الزواج من اجنبيات • وتوفي عبد الحميد وهو يبشر بالامتناع من التدخين ويحث على اجتناب الخمر ، كما ظل حياته ينشر بحماسة مبادىء حب الوطن والجهاد في سبيل فلسطين ضد الانتداب والصهيونية •

وعندما نعي شومان اهتزت لنعيه جنبات الوطن العربي كله ، وشاركت بعض المحافل الاجنبية في تابينه وبكت عليه عيون الضعفاء والمساكين، وابنته اقلام الكتاب والمثقفين ، فما سبب ذلك ؟ كان شومان ، وهو الرجل البسيط ، يدخل على الملوك والرؤساء باسم الثغر متفتح الاسارير مطمئن النفس • وكان يعمد الى زيارة ابسط الناس اذا اقتضى الامر او ياكل معه او يجالسه ، دون فارق في الحالين • كانت بساطته عظيمة، ولم يشب خلقه اى تعقيد ، ولا طبعه اى احساس بالنقص، فقد كان يروى ايام عمله كحجار مثلما يروى ايام نجاحه كمليونير .

اسباب نجاحه

ولقد وصفه لنا الناعي يوم وفاته بكلمات جاء فيها انه « كان قويا متواضعا صريحا جريئا تقيا وطموحا يقدس العمل ويحب العاملين » • ومع ان مزايا شومان تفيض عن هذا الوصف حقا ، فان الوصف صادق كل الصدق يؤيده كل من عرف الرجل • واذا نظرت الى النجاح الباهر الذى اصابه البنك العربي في الشرق والغرب قفزت الى ذهني صفة فكرت فيها كثيرا في حياة ذلك الرجل وهو ينشىء فروع البنك هنا وهناك ، الا وهي « تعيين الرجل المناسب في المكان المناسب » • كان الفقيد دائم التفتيش عن الكفاءات • ولقد لفت نظرى انه يختار رجل الكفاءة بعد نجاحه في العمل لا بعد نجاحه في الدراسة • وقد امتلات مؤسسة البنك العربي بكفاءات عليا تتراوح بين من شغل مركز الوزارة (المالية مثلا) وبين من شغل وكالة الوزارة او ادارة الدائرة العليا • فلما اختار من يحسن اللغات او العلوم كان ذلك لوظائف تحتاج الى هذه المؤهلات ، كالعلاقات الخارجية والاحصاءات ، ولكن اكثر الوظائف الادارية كانت تملأ بمن درس العلوم المتصلة بالبنوك وادارة الاعمال والاقتصاد والتجارة وما يماثلها • وكانت الامانة عنده صفة اولى ، كما كان رحمه الله يؤمن ايمانا خاصا باخلاق اهل الريف ، ولا عجب فقد كان هو رجلا ذا خلق رفيع كما كان ينتمي الى قرية (بيت حنينا بجوار القدس) • وفيما انت تجد عند العرب عامة الى اليوم غفلة مذهلة عن اهمية الادارة والكفايات العالية اللازمة لها ، لا فرق في ذلك بين امير ووزير ومدير مجلس لشركة ، فانك كنت تجد عند شومان يقظة حاضرة والتفاتا منقطع النظير الى هذه الناحية ، فكان ، وهو ذو الحظ المحدود من العلم، الذى لم يتم منه ما يعادل الدراسة الابتدائية ، يختار الخريجين من كمبردج وكولومبيا والجامعة الامريكية وغيرهم ممن ثبتوا اقدامهم في عواصف التجارب العلمية • وقد اغناه ذلك غناء عظيما عن الاستعانة بالخبراء الاجانب الذين كان يرفض استخدامهم ، في مثل هذه الحال على اقل تقدير •

اما تصرفه في العمل اليومي نفسه فيصفه كاتب اقتصادى عمل اربع سنوات في البنك العربي• قال يوم وفاة « الحاج » عبد الحميد شومان : « كان الحاج اول من يصل الى البنك قبل

ساعة او ساعتين من بدء الدوام . الامر الذى كان يضطر المديرين لمجاراتــه والحضور مبكرين حيث يتم فتح البريد وتوزيعه على الاقسام قبل الساعة الثامنة صباحا ، لكي يتم انجازه في نفس اليوم . وكان سائقه يضطر للنزول بالسيارة الى مبنى البنك بدون معلمه الذى يكون قد سبقه الى البنك سيرا على الاقدام مع انه في حوالي الثمانين ، في حين كان يعتذر الموظفون الشباب عن تاخرهم بازدحام حركة السير عند الساعة الثامنة .

« وكان لا يحب الاعتماد على المراسلين ويحث الموظفين على نقل اوراقهموتبادلها بالحركةالسريعة دون انتظار المراسل الكسول .

« واذا دخل فرعا من فروع البنك في جولة تفقدية سريعة كان لا يغفل الذهاب للمنافع للتاكد من نظافتها التامة ، لانه يعتقد بحق ان مستوى الفرع وموظفيه ينعكس في نظافة دورات المياه التي يستعملونها . وكان يكره التدخين ويحث على الاقلاع عنه . اما شرب الخمرة فغير وارد في قاموسه ، واما فطوره عادة فهو حبة برتقال .

« ولم يكن سعيدا بالموظف الذى يتاخر لما بعد ساعات الدوام لانجاز اعماله ، لاعتقاده ان مثل هذا الموظف يجب ان يكون بطيئا او مهملا اذا لم يستطع ان ينجز عمله في وقته .

« وكان يهتم بالاشياء الصغيرة ابتداء من اطفاء النور الذى لا يلزم احدا ، الى جمع الدبابيس من البريد الوارد ، الى غير ذلك مما يتوهم معه المرء بانه كان بخيلا ، في حين انه اذا جاء وقت السخاء ودعى الى تبرع او مساهمة في مجهود عام تبين انه يصعب مباراته في الكرم » .

اعماله الخيرية

وقد صادف ان خبرت المرحوم شومان خبرة موجزة من الناحية العلمية ، اذ كنت قد ارتبطت به سنة ١٩٥٢ ــ ١٩٥٣ بحكم وظيفتي وكيلا لوزارة التربية والتعليم الاردنية لانشاء كلية علمية في قريته ، على نفقته ، وكان قد اعد ارضا فسيحة بجوار القرية ووضع تحت تصرفنا المال الكافي . وكان ذلك باعثا لاندفاعنا ، فانشانا البنايات اللازمة للتعليم والبحث والاقسام الداخلية . فلما تم العمل وانشئت كلية التعليم الريفي ، وافتتحت فيها الدراسة باحتفال رسمي ، اعلن رحمه الله انه يعتبر الكلية مقدمة لانشاء جامعة يقيمها بماله الخاص . وتوفي وهو يذكرني بمشروعه كلما التقينا ، وبعزمه على المضي فيه في يوم من الايام . وليس التبرع بانشاء كلية بيت حنينا الا نموذجا واحدا من تبرع شومان للجامعات والمدارس ودور العلم عامة .

ولست انسى في هذا الصدد انه نهض منذ سنوات قليلة في اجتماع حافل في مدرج الجامعة الاردنية ، فاعلن عن تبرعه لاقامة جناح في مبنى كلية التجارة والاقتصاد التي انتوت الجامعة احداثها . نهض فقال : « انى غير متعلم ولم يسعفني الحظ بان اتابع تعلمي . ولكني اقدر العلم والعلماء واجلهم ، ولذلك اتبرع بتكاليف اقامة الجناح المطلوب » . وجلس فقوبلت كلمته بالاستحسان الاجماعي ، واجرت دموع كثيرين ممن كانوا يقدرون هذا الرجل ويحبونه .

ومن حوادث وعيه الاجتماعي الوطني وكرمه ، الذى اشرت اليه فيما سبق ، انه امضى منذ سنوات قليلة شطرا من فصل الشتاء في اسوان بمصر . فلما راى البلدة متسخة ، وسط الجو الرائع المشهور بدفئه ونقائه وهدوئه تبرع لبلدية المدينة بعشرة الاف دينار تنفق على نظافتها .

ولم يكن عبد الحميد شومان يباهي او يتظاهر بما يقدم من المشاركة في الاعمال الوطنية او دعم الحركات التحررية العربية . وقد ساعد فيما اعلم اكثر الثورات العربية ان لم يكن كلها ابتداء بالثورة السورية سنة ١٩٢٥ وانتهــاء بالثورة الفلسطينية الحالية . وقد نعته منظمة التحرير الفلسطينية واحتفت بوفاته اعظم احتفاء ، وودعته في بيروت وفي الحرم القدسي الشريف .

كان اذا سلمعليك كصديق يهز يدكهزا شديدا ويسالك عن قوتك وشبابك . ولم الحظ فيه وهنا يذكر او ضعفا يلحظ ، يوم اجتمعت به اخر مرة في اول الربيع الماضي . كان قد كرر لي امنيته ببناء الجامعة . وسالته عن تبرعه لبلدية اسوان . كان بريق العينين النافذتين قد اخذ يخبو ، كما اضحت الكلمات النابرة تخرج في شيء من التثاقل والتمهل ، ومع ذلك فلم اقدر ان تلك الشعلة التي استمر سناها خمسة وثمانين عاما ستنطفيء بعد هذا الوقت القصير . ■■

عمان ــ الاردن/**محمد أديب العامري**

مع ...

وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى فى بديع صنعه

فى الأرض

الهرمونات

■ سبق أن شبّهنا الجسم الحى بالمدينة العظيمة ، سكانها الملايين التى لا تكاد تعدّ من الخلايا ، ولكل منها اعمال نقوم بها ، لنفسها ولغيرها من الخلايا ، فهى تعمل أخذا واعطاء · ومن الخلايا تتألف الأنسجة ، ولكل نسيج عمل خاص به ، لنفسه ولغيره من الأنسجة · ومن الأنسجة تتألف الأجهزة ، ولها فروضها والواجبات· والجسم كله وحدة متواحدة ، ولا يكون تواحد مع هذه الاجراءات الحيوية الكثيرة المختلفة ، والمتناقضة المتعارضة احيانا ، الا ان يقوم بينها تنسيق وتأليف وتعاون ، واذن لا بد من منسق ومنسقات ·

الجهاز العصبىّ منسّقا

وذكرنا فيما سبق الجهاز العصبى منسقا ، وانه عن طريق الأعصاب ، وهى عديدة مترامية متشابكة ، تجرى الاتصالات والمواصلات بين اجزاء هذه المدينة الهائلة لتجرى بها الحياة الواحدة على احسن وجه ·

الجهاز الهرمونى منسقا

والآن نأتى على ذكر الجهاز الثانى ، الجهاز الهرمونى ، تلك الهرمونات التى تنتجها غدد الجسم المعروفة بالصماء ، فتقوم بنوع من التنسيق اشبه ما يقوم به الجهاز العصبى ·

والجهازان سبيلاهما مختلفان

فالأعصاب تعمل بواسطة دفعاتImpu ses كهربائية كيماوية تجرى فى الأعصاب ، أشبه بما تجرى به المواصلات بالتلفونات ، مع اختلاف بالطبع شديد · اما الهرمونات، وهى مواد كيماوية ، فعملها كيماوى ، وهو أشبه برسائل ترسلها الغدد الصماء ،

بقلم الدكتور أحمد زكى

بمقادير معلومة ، فى أوقات مقدرة مرسومة ، فتدور فى الدم . حتى تصل الى هدفها ، وهناك تقوم بأثرها المطلوب.

ولا يفوتنا أن نقول ان هناك ضوابط للجسم غير هذين ، ولكنها أقل شأنا .

كذلك لا يفوتنا أن نقول ، ان الجهاز العصبى بعضه يعمل بارادتنا ، ولكن كثرته الكبرى تعمل فى ادارة الجسم والتنسيق دون وعى منا .

أما الغدد وما تنتجه من هرمونات فتعمل دون وعى منا . انها حكومة داخل حكومة. ولولا العلم وبحوثه ما انكشف لنا من أمرها ما انكشف . وهذا وجه من وجوه عجز الانسان ، عن ادراك نفسه ، عن ادراك جسمه ، وما يجرى فيه . انه هو لا يجريه .. واذن يبقى السؤال دائما حائرا يتطلب جوابا شافيا ، ذلك السؤال هو : فمن اذن يجريه ؟!!

الغدد الصمَّاء

ليس منا من لايعرف معنى الغدد ، ومن امثلتها الغدد اللعابية ، وهى فى الفم ، وتفرز اللعاب فيه عن طريق قنوات تصب فى الفم .

ومن امثلة الغدد ، الغدد المعدية ، وهى تفرز السائل الهاضم فى المعدة عندما يحل الطعام فيها ، وذلك عن طريق قنوات تصب فيها .

اما الغدد الصماء التى نحن بصددها Ductless glands ، أو الغدد باطنية الافراز Endocrine فانما سميت كذلك
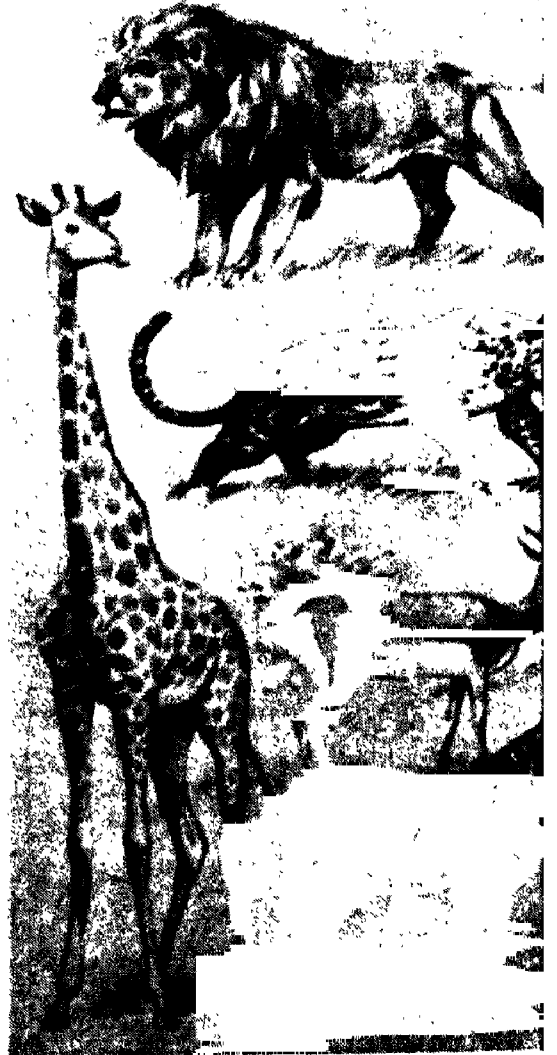
ان أكثر ما نعرفه عن الغدد الصماء وهرموناتها ، أو عن نظام الافراز الداخلى للغدد ، يدور حول الحيوانات الفقارية. وعلى الاخص الحيوانات ذات الثدى ، كالحيوانات البرية ، وكذا الحيوانات الجارحة ..

موضع الغدد الصماء من جسم الانسان

لأنه لا قنوات لها ، وافرازاتها انما تجرى مع الدم الذى بها ، وعن طريق الدم تتوزع على كل ارجاء الجسم ، وتصل خاصة الى الاهداف التى تستهدفها فى الجسم ، فتفعل فيها افعالها المقصـودة ٠

وترى فى الصورة المرفقة غدد الرجل، وغدد المرأة،فى مواقعها من جسم الانسان :
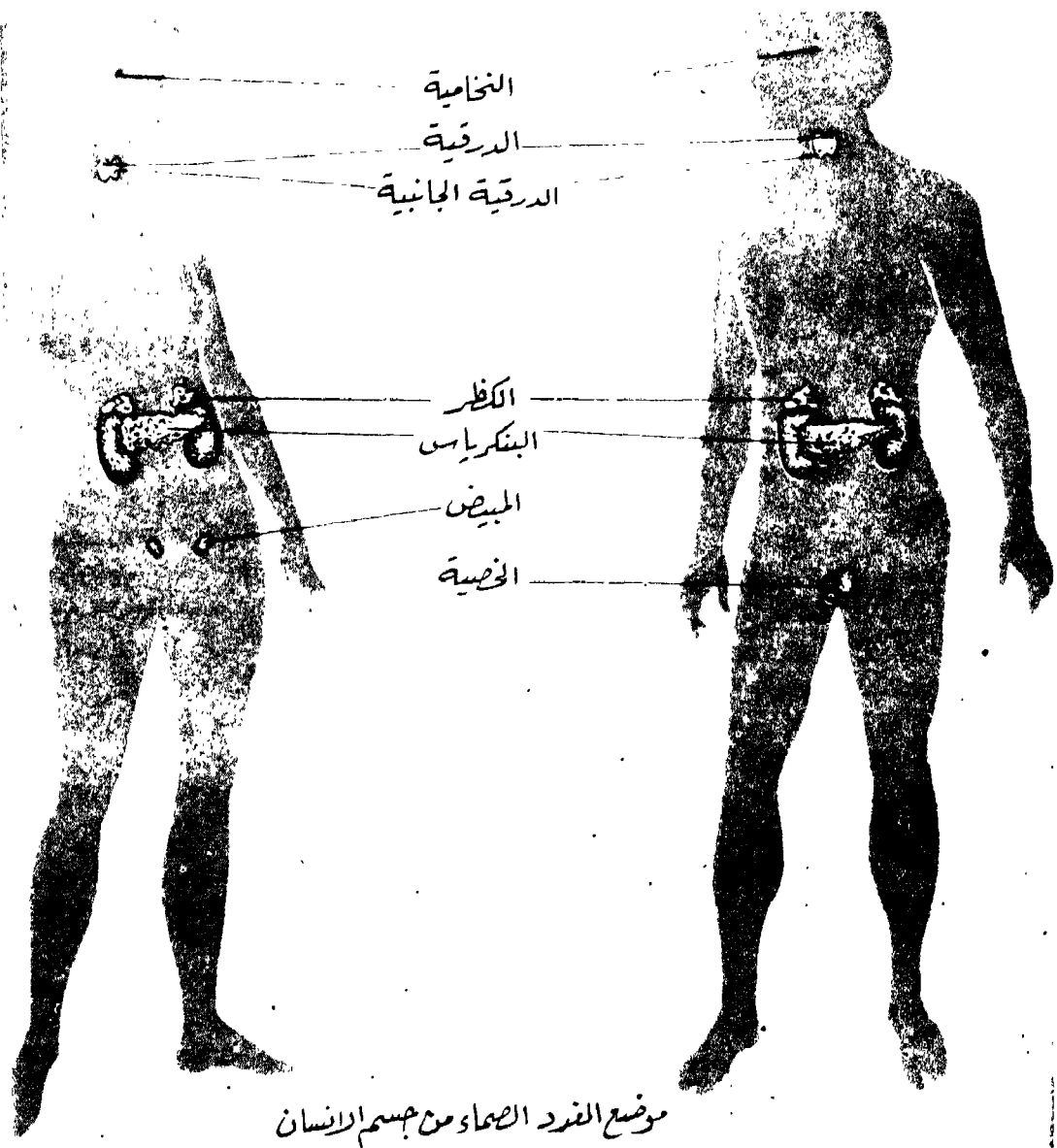
وهى الغدة النخامية ، والغدة الدرقية ، والفـوق الدرقية او الجنيبة ، والغـدة الكظرية بـل الغدتان ، والبنكرياس والخصيتان للرجل ، والمبيضان للمرأة ٠

الهرمونات

والمادة التى تفرزها هذه الغدد تعرف

بالهرمونات ، وهى مواد كيماوية ، بسيطة التركيب احيانا ، كالهرمون المعروف باسم ادرينالين Adrenaline ويفرزه الكُظر ، او هى مواد كيماوية ذات اصول دهنية كالهرمونات الجنسية Sex Hormones او هى مواد بروتينية او من مشتقاتها لا يزال البحث جاريا فى استجلاء تركيبها .

ومن خصائص الهرمونات ان لها أثرا فى الجسم كبيرا مع صغر المقدار الذى تُحقن به الاجسام او تفرز فيها . ومن أمثال ذلك ، ان حقن مقدار من هرمون الادرينالين ، لا يبلغ الا بعض اجزاء من مليون من الجرام ، فى جسم كلب ، يزيد فى ضربات قلبه .

والذى لا شك فيه ان الهرمونات تؤثر فى اهدافها من الخلايا ، بالتأثير فيما يجرى فيها من عمليات كيماوية حيوية . والهرمونات لها الأثر الظاهر فى كل الاجراءات الحيوية فى الجسم ، وهى تتضمن النمو ، والتطور والانسال ، واستهلاك الطاقة ، ودرجة النفاذ من خلال الخلايا الى باطنها ، وغير ذلك .

الغدد الصماء والهرمونات فى سائر الحيوانات

لعلنا نقف هنا وقفة قصيرة ، نقطع فيها متابعتنا لعمل الغدد والهرمونات فى جسم الانسان ، لنربط المقدار الذى ذكرنا من ذلك بالذى يكون منه فى سائر الحيوانات ، دعما للوحدة التى تشمل الحيوانات جميعا . ثم نعود فنسير مسيرة اعمق فى شرح عمل الهرمونات فى الانسان ، وكشف أشباه تقوم بين الجهاز الهرمونى والجهاز العصبى فى عمل كليهما فى ضبط الأمور الحيوية التى تجرى فى الأجسام .

ان اكثر ما نعرفه من الغدد الصماء وهرموناتها ، أو ان شئت من نظام الافراز الداخلى للغدد Endocrine System يدور حول الحيوانات الفقارية ، وعلى الأخص الحيوانات ذات الثدى .

على انه لو ان هذا النظام وجد فى الحيوانات الثديية وحدها ، وانواعها من الكثرة ما نعلم (ففيها اكثر ما نألف من الحيوانات الثديية كالقطط والكلب ، والحمر والخيل ، وكالمواشى والأغنام ، وكالأرانب والفئران ، وكذا الحيوانات البرية ، كالأيلات والغزلان ، وكالفيلة والبرى من الثيران ، وكذا الحيوانات الجارحة من ذئب وفهد ونمر وآساد) ، لو ان هذا النظام وجد فى الحيوانات الثديية وحدها ، لكان مثلا من الوحدة التى عمّت وانتشرت وجمعت بين هذه الاصناف كلها .

فاذا هبطنا فى السلم الحيوانى الى الحيوانات التى لا فقار لها ، وجدنا فى الصنوف الأرقى منها كالحشرات والقشريات وبعض الحيوانات الرخوة انسجة تفرز افرازات داخلية أشبه بما تفعل الغدد ، ووجدنا بها هرمونات ايضا .

اما غير ذلك فلم يظهر البحث الى اليوم دليلا على وجود غدد هرمونية فى الحيوانات اللافقارية .

وليس معنى هذا ، انه لا يوجد بهذه الحيوانات ضبط لعمليات الحياة التى تقوم بها مواد كيماوية . فالمؤكد انه يوجد فى هذه الحيوانات كيماويات او هرمونات تقوم بالضبط والربط المطلوب ، ولكنها مبعثرة بين خلايا الجسم التى تصنعها ، ولم تتهيأ بعد لهذه الخلايا المبعثرة ان تتجمع فيكون منها غدة ، او غدد مكتملة .

●●

احمد زكى

السـود في أمريكا...

ومايقوم بينهم من حروب

بقلم : علم الهدى حماد

■ تمر الولايات المتحدة الامريكية الآن بفترة عصيبة يسيطر عليها العنف بدرجة خطيرة ، جعلت الحكومة الفدرالية وحكومات الولايات في قلق دائم وتوتر بلانهاية • والعنف ظاهرة تكاد تكون ملحوظة بلا استثناء في جميع الاماكن ، ويعترف بها المجتمع الامريكي مرضا يهدد كيان الشعب وأمنه ، وتعتبر مكملا للامراض الاجتماعية الاخرى كالدعارة والمقامرة وتجارة المخدرات •

الحرب بين السود

ان العنف الذى يعكس الحقد الذى يكنه الرجل الاسود للابيض ليس بجديد في حد ذاته ، ولكنه جديد في صوره واشكاله • والعنف لاينحصر فيما يوجهه السود نحو البيض ، بل بين السود بعضهم وبعض •

قد يكون من المقبول فهمه وجود حرب شعواء بين الرجل الاسود والابيض ، لما عاناه الاول في الماضي من حرمان واستغلال • لكن ماالسبب في وجود هذه الحرب بين السود ؟

لقد حاولت وسائل الاعلام المختلفة تجاهل الحرب الشعواء التى شنها السود بعضهم على بعض ، والتى وصلت الى حد يمكن ان نطلق عليها «حربا أهلية » • ولكنه أمر محير فعلا •• فكيف يتحول الصدام الذى دام طويلا بين الرجل الاسود والابيض ليصبح بين الاسود والاسود ؟

كان مقتل مارتن لوثر كنج Martin luther king الذى تزعم حركة القوة السوداء Black Powermovement بداية نشوب الحرب الاهلية بين السود في امريكا • والذى لاشك فيه هو نجاح لوثر كنج قبل مقتله في السيطرة على حركة السود ، وتوجيهها في تيار واحد متجرد من العنف • وعلى هذا الاساس وبمقتل زعيم الحركة مارتن لوثر كينج أصبح مركز القيادة شاغرا وبدأ الصراع بين فئات السود المختلفة ، لفرض زعامتها على الحركة ، والسيطرة على القوة السوداء • وهكذا اصبح الثوريون السود مشغولين بالصراع والحرب فيما بينهم وليس لديهم الوقت والطاقة لخوض المعركة الاصلية بينهم وبين البيض •

ان ابعاد الحرب الاهلية بين السود لها من الملامح والتعقيد مايذكرنا بالصراع بين امراء عصر النهضة ، وما كان قائما بينهم من نزاع يسيطر عليه الدهاء « الماكيا فيللى» • ويمكن القول بان حركة القوة السوداء قد تلقى حتفها كنتيجة طبيعية للصراع المميت القائم داخلها • ومن المسلم به ان

احدى الفئات المشتركة فى الصراع - اذا نجحت فى الاستحواذ على الزعامة-فسيمكنها من السيطرة الكاملة على احياء السود المعروفه « بالجيتو » Ghetto ، (وهى الاحياء الدنيا للسود) ، وذلك يؤدى الى السيطرة على الدعارة ، والمقامرة ، وتوزيع المخدرات • هذا ومن المعروف ان اكثر عمليات تهريب المخدرات تتم خلال هذه الاحياء ، وتصل قيمتها الى بلايين الدولارات ، ويتضح بذلك مدى القوة التى يصل اليها المسيطرون على هذه العمليات •

فحسب الاحصائيات الحكومية تصل عمليات الهوروين الى ٥ر٥ بليون دولار سنويا •

ومن المعروف الان أن « المافيا » (مجموعة عصابات تكونت اصلا من المهاجرين الايطاليين) بما لها من قوة ارهابية - لم تستطع ان تتدخل فى « الجيتو » ، بل سحبت ايضا نشاطها من المدن الكبرى مثل نيويورك ونيواوليانز ، تحت تهديد عصابات السود •

المسلمون السود

وفى هذا الوقت نفسه نجد أن جماعة المسلمين السود Black Muslims لها دخل كبير فى العديد من الحوادث والمعارك الطاحنة بين جماعات السود المختلفة ، وذلك من اجل حماية عرش امة الاسلام Nation of Is am الذى تربع عليه اليجه محمد Elijah Muhammad والذى توفى اخيرا عن عمر يناهز السابعة والسبعين • *

وترجع نشاة جماعة المسلمين السود الى سنة ١٩٣٠ حيث بداها ولتر فارد Walter Fard بمدينة ديترويت Detroit ، وقد ادعى النبوة واعتبر نفسه « الله على الارض » ، وعين له مساعدين لادارة المنظمة ، كان بينهم اليجه بول من ولاية جورجيا•وفى سنة١٩٣٤ اختفى ولترفارد فجاة ، ولم يكشف السر عن ذلك حتى الان •• وباختفائه حاول مساعدوه الفوز بالسلطة ، ولكن اليجة بول الذى حول اسمه الى اليجه محمد استطاع ان يكون جماعة قوية فى شيكاغو ، سيطر بها على حركة المسلمين السود،ولم تحرز اى محاولة النجاح فى التخلص من اليجه محمد ، ويعتبر مالكولم اكس Malcolm X اول ثائر على اليجه محمد ، واول شهيد فى حركة المسلمين السود •

وقد عانى اليجه محمد العديد من المشاكل التى هددت بفقدانه السيطرة على حركة المسلمين، ولذلك حاول ان ينقل السلطة لزوج ابنته ريمون شريف الذى يبلغ من العمر ٥٢ عاما ، ويرأس الحرس القوى الذى يطلق عليه « فاكهة الاسلام » كما يترأس تحرير جريدة محمد يتكلم Muhammad Speaks.

الانشقاق بين المسلمين السود

هذا وقت ان بدأت سلسلة من قتل المسلمين الذين يقال انهم خرجوا عن طاعة اليجه محمد ، فمنهم اثنان قتلا فى مدينة انديانا بوليس،واربعة فى سان فرانسسكو ، وواحد فى شيكاغو • وتلا تلك الحوادث اعلان مجموعة من حركة القوة السوداء انفصالهم عن اليجه محمد ، واطلقوا على انفسهم « الشباب المسلمين » Young Muslims • ويرجع هذا الانفصال - حسب رأيهم - الى ان اليجه محمد قد جمع ثروة المسلمين لنفسه • ومن المعروف ان المسلمين مطالبون بدفع ثلاثين فى المائة من دخلهم للمنظمة ، فى الوقت نفسه الذى يعانى فيه الفقر فقراء السود • وبينما يدفع المسلمون ثلث دخلهم تقريبا للمنظمة نجد اليجه محمد قد بنى لنفسه قصرا فى ضواحى شيكاغو تبلغ تكلفته ٦٠٠ر٠٠٠ دولار • وحسب قول « آرثر شاباز » العضو السابق فى جماعة المسلمين السود والمنظم لجماعة « المحاربين المسلمين » المنشقة:لم يستخدم المسلمون اموالهم لمساعدة الفقراء ، فى الوقت الذى كان يملك فيه اليجه محمد ثروة تقرب من ١٠٠ مليون دولار•

وتعتبر ثروة « امة الاسلام » وفيرة ، فهناك ٢٥ر٠٠٠ فدان من الاراضى الزراعية فى ولايات الاباما وجورجيا ومتشجن ، ومنتجات هذه الاراضى تباع فى محلات يملكها المسلمون ، كما يملكون المخابز والمطاعم والمقاهى • وتقدر قيمة مطابع جريدة المنظمة « محمد يتكلم » مليونى دولار •

وتوجد حاليا جماعات عديدة انشقت على جماعة اليجه محمد،فنجد « المحاربين المسلمين » فى بوسطن، و«السعوديين العرب»المحاربين فى نيويورك وغيرها تحت اسماء مختلفة •

ولا شك أن هذا الجو المشحون بالنزاع جعل

* توفى اليجه محمد فى فبراير ١٩٧٥ واعلن عن وفاته يوم ١٩٧٥/٢/٢٥

اليجه محمد فى قلق دائم خوفا من القتل . ولذلك وبالاضافة للحرس الدائم كانت توجد آلات فوتغرافية تلفزيونية خارج قصره وفى ردهاته . وقد حاول اليجه محمد تبرير ذلك بانه كان هناك العديد من الافراد والجماعات يحاولون الاستحواذ على الزعامة حتى ولو كان ذلك بقتله .

بين الحكومة والسود

وتعكس احداث « باتون روج » فى « لويزيانا » مدى العنف الذى وصلت اليه منظمات السود . ولاشك ان هذه الاحداث – بما مثلته من صدام بين الحكومة والسود – كان لها تأثير كبير على معالجة الحكومة لامور منظمات السود . كانت هذه الحوادث بمثابة ناقوس الخطر الذى هدد الامن العام، ولذلك حاولت الحكومة ان تسيطر على زمام الامور ، قبل ان تفلت ، وبادرت بارسال القوات القومية (جيش) لقمع اى محاولة مسلحة .

الفهود السود

وتوجد بجانب جماعة المسلمين السود جماعات اخرى ، لها دور فى تحريك العناصر السوداء التى تشارك فى الصراع الدموى القائم بينها . وتعتبر « الفهود السود » من اهم هذه الجماعات بما لها من شهرة فى استخدام اساليب العنف . وتاريخ هذه الجماعة حافل بالصدام مع البوليس ، وتبادل اطلاق النيران . وقد قتل فى احدى المعارك ٤٠ شخصا . تكونت جماعة « الفهود السود » فى اوكلاند – كاليفورنيا سنة ١٩٦٦ من اجل حماية السود من تعسف رجال الامن . وقد تابع افراد هذه الجماعة البوليس فى حملاته على الاحياء السكنية للسود ، رغبة منها فى منع اى اجراء تعسفى .

ولاشك ان الصورة التى اضفتها وسائل الاعلام على منظمة « الفهود السود » اعطت افرادها صفة الاشرار ، ووصمت المنظمة بعلامة الارهاب ، بما عرف عن نشاطها المسلح وحرب العصابات بخاصة . وقد مثل الشعار التى رفعته المنظمة : « اقتل رجلا ابيض » ، كابوسا رهيبا ، ووصل حد انزعاج السلطات الى تكوين النائب العام لفرقة خاصة بوزارة العدل لضرب حركة الفهود السود .

وللاسف الشديد برهنت الايام على ان هذه الجماعة لم تعاد الا نفسها ، وقد ادى ماقامت به من نشاط اجرامى الى سجن ٣٤٨ من اعضائها ، لم ادى الى زعزعة لاعلاج لها .

وحاليا تعتبر الحرب داخل جماعة الفهود السود قائمة بين مجموعة الساحل الشرقى ومجموعة الساحل الغربى للولايات المتحدة، وعلى هذا الاساس تحاول كل مجموعة التحرك لتصفية المجموعة الاخرى ولو بالقتل . ويرجع الصراع داخل هذه الجماعة الى ماقام به الدريدج كليفر ، الذى هرب بعد صدور حكم ضده ، ويعتنق الماركسية . ويؤمن بالعنف والثورة ضد مايسميه بالقوة الفاشستية والعنصرية الاستعمارية . وقد هرب كليفر الى كندا ، ومنها الى كوبا ، ثم زار كوريا الشمالية ، وبعض البلاد الشيوعية ، واستقر اخيرا فى الجزائر ، وحسب قول بعض اعضاء هذه المنظمة : كان كليفر يعتبر الفهود السود اخوة لمنظمات التحرير الفلسطينية، كما كان يعادى « الصهيونية الامريكية » و « المؤامرة اليهودية العالمية ضد السود » .

بين العنف واللاعنف

وفى هذا الجو نجد فى قيادات الفهود السوداء من ينادى بالثورة المسلحة وحمامات الدماء كحل حتمى ووحيد لمشكلة السود فى امريكا . ويعتقد بعض بان هناك مايقرب من ٤٠٠٠ عضو فى هذه المنظمة مدرب ومستعد للقتال المسلح – وان كانت هناك بعض الحقائق التى تستبعد هذا الرقم، فيقال انه لايوجد خارج السجون غير ٤٠٠ عضو ، وان الموارد المالية قد نضبت بعد ان كانت تصل الى ١٢٠٫٠٠٠ دولار شهريا ، بالاضافة الى انشغال اعضاء المنظمة بالخلافات الداخلية . وبينما نجد ان مجموعات الساحل الشرقى تؤمن بافكار « كليفر » المنادية بالعنف والثورة ، تنادى مجموعات الساحل الغربى بالحد من العنف . وهكذا تحولت قضية « العنف واللاعنف » الى عنف ملموس بين الاعضاء انفسهم .

ان قصة الحرب الاهلية بين السود فى امريكا لاتنتهى عند هذا الحد ، فهناك جديد كل يوم . ان الامل فى وقف سفك الدماء يبرز كشعاع ضئيل تخنقه اطماع تلك المنظمات . ولا شك ان ماعاناه الرجل الاسود من الابيض حقبة طويلة من الزمن يخرج الان بشكل انتقامى يهدد كيان المجتمع الامريكى . ويالها من حرب تفصل فيها بين الحق والباطل شعرة واهية ندر من رآها .

■■

علم الهدى حماد
واشنطن العاصمة . امريكا

المواريث في الاسلام

بقلم : محمد ابراهيم الخطيب

■ رأيت أن اكتب في الميراث ، لانه على جانب كبير من الاهمية ذلك لان علم الميراث باب من الفقه افرده بعض العلماء بالتاليف اهتماما به ، ويسمى علم «الفرائض» ، والفرائض جمع فريضة ، وهي في الاصل ما يفرض على المكلف ، والمراد بها هنا السهام المقدرة للورثة من التركة .

وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليمه وتعلمه ، انه يقول : «تعلموا الفرائض وعلموه الناس فانه نصف العلم وهو ينسى ، وهو اول شيء ينزع من امتي» وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعلموا القرآن وعلموه الناس ، وتعلموا العلم وعلموه الناس ، وتعلموا الفرائض وعلموه الناس ، فاني امرؤ مقبوض وان العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة لا يجدان من يقضي بها » وفي رواية » لا يجدان احدا يفصل بينهما «واصول هذا العلم الكتاب والسنة والاجماع ولا مدخل للقياس فيه . واريد في هذا البحث ان اجيب عن اسئلة ثلاثة :

السؤال الاول : ماقواعد الميراث في الاسلام ؟

والجواب ان استحقاق الميراث يقوم في نظر الشريعة الاسلامية ويبنى اولا : على علاقتي القرابة والزوجة : وتشمل القرابة : قرابةالولادة «الآباء والابناء» وقرابة الاخوة بجهاتها الثلاث : للاب والام معا وللاب فقط وللام فقط وتشمل الزوجة : الزوج والزوجة وهذه اسباب الميراث..

كما بنى ثانيا على الغاء صفات الذكورة والانوثة ، والصغر والكبر في اصل الاستحقاق .

وبني ثالثا : على ان الآباء والابناء ـ اعني الاصولوالفروع ـ لا يسقطون فياصل الاستحقاق بحال ما ، وان كان يؤثر عليهم وجود غيرهم في كمية النصيب .

وبني رابعا : على انه لا ارث للاخوة والاخوات مع وجود الابوين وان كانوا ينزلون بنصيب الامن الثلث الى السدس .

وبني خامسا : على انه متى اجتمع فيالوارثين ذكور واناث اخذ الذكر ضعف الانثى .

والسؤال الثاني : ما احكام القرآن الكريم في الميراث ؟

وقبل ان اشير الى الايات الكريمة التي تناولت هذه الاحكام اذكر بان القرآن شرع للارث نظاما عادلا محكما حرم به كثيرا من ضروب الظلم التي كانت شائعة في العرب وغيرهم من الامم ، فقد كان الاولون لا يورثون الاطفال ولا النساء انما كانوا يورثون الكبار من الابناء ، لانهم هم الذين يحملون السيف ويحمون البيضة ، وقد وقع كثير من الامم الاخرى حتى اليوم في مثل هذا الظلم وفاتهم ان الصغير يحتاج في تربيته وتنشئته وكذا فيما يستقبله من الايام الى المال كما يحتاج الكبير بل ربما كانت حاجته اشد وسيصير ـ اذا قدرت له الحياة ـ كبيرا ، ويحمل من الاعباء والتبعات مثلما يحمل ، وكذلك المراة في حاجة الى المال يصونها من الفقر والابتذال اذا لم تجد من يعولها ، وما عليها من الواجبات الاجتماعية في السلم ومعونة الرجال في الجهاد والحرب لا يقل عن واجبات الرجل .

١ ـ ولقد هدم القرآن ما كانت عليه الجاهلية

من قصر الاستحقاق على الرجال وقضى باستحقاق المراة الارث فقال تعالى في سورة النساء : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ،مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا » .

٢ ـ بين احوال « اولاد الميت » ونصيبهم في كل حال بقوله في السورة نفسها « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك ، وان كانت واحدة فلها النصف » والحكمة في تفضيل الذكر على الانثى واخذه مثل حظ الانثيين : ان على الرجل من التبعات المالية وما وضعه الله عن المراة ، فهو عند التزوج يعطي امراته مهرا ويجب عليه ان يعد لها مسكنا وان ينفق من ماله عليها وعلى اولاده منها سواء اكانت فقيرة ام غنية ،وليس عليها نفقة نفسها ولاشيء من نفقة اولادها ، ثم قابل ذلك باخته التي اخذت نصف نصيبه ، فهي اذا تزوجت لا تبذل مهرا ، وعلى زوجها نفقتها ونفقة اولادها منه ، لا تكلف شيئا من ذلك الا ان تتطوع ، وما نصيبها الذي تستحقه ارثا الا بمثابة المال المدخر لها لوقت الحاجة او الاضطرار ، كما اذا لم يتح لها الزواج او مات زوجها ولم يترك لها ما تنفقه على نفسها او نحو ذلك فالذكر اذن احوج الى المال من الانثى ، لان الرجال قوامون على النساء ، كما انه انفع للميت في حياته منها والى ذلك اشار الله سبحانه وتعالى بقوله « آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ».

٣ ـ قال الله تعالى في ميراث « الوالدين » : « ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له إخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين » .

٤ ـ وقال جل شانه في ميراث « الزوجين » : « ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم أن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين » .

٥ ـ ثم بين ميراث « أولاد الام » فقال تعالى : « وان كان رجل يورث كلالة (١) او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم » وظاهر الاية التسوية بين ذكورهم واناثهم في القسمة يقول ابن قيم الجوزية في الجزء الثاني من اعلام الموقعين ص ١١٣ مبينا حكمة التسوية بينهم في الارث: انهم يرثون بالرحم المجرد فالقرابة التي يرثون بها قرابة انثى فقط. وهم فيها سواء، فلا معنى لتفضيل ذكرهم على اناثهم بخلاف قرابة الاب .

٦ ـ وبين ميراث «الاخوة والاخوات لابوين او لاب» فقال في آخر سورة النساء : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم ».

السؤال الثالث : ما الهدف من تشريع الاسلام للميراث ؟

وفي كلمة سريعة أقول أن الميراث خدم حياة الرجل والمراة ، وحياة الاسرة ، وحياة الجماعة.. خدم الرجل والمراة حين قدر أعباء كل في الحياة. وجعل نصيب كل يتناسب مع هذه الاعباء وصولا الى حياة هادئة مستقرة .. وخدم الاسرة لان توزيع الميراث على أرباب القرابة والزوجية يجلب الاخلاص مضاعفا ، ويزيد من أمنيات الخير بين الجميع .. وخدم الجماعة حيث قضى على طغيان المال حين يتكدس في يد واحدة ، كما قضى على الاثر الخطير في الجماعة اذا حرم الجميع من جهود الاباء والابناء والازواج والاقارب .. وهكذا يكون جمال الاسلام الذي رضيه الله دينا لعباده حيث قال : « أن الدين عند الله الاسلام » ■

محمد ابراهيم الخطيب .

---

(١) الكلالة ان كانت صفة للميت كانت دالة على المورث الذي لم يخلف ولدا ولا والدا وان كانت صفة للوارث فالمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد ولا الولد .

طريقان للمعرفة لهما فى الاجيال انصار .. وخصوم

بقلم : على ادهم

لكل انسان موقفه الخاص وطريقته المالوفة فى تناول الامور الدنيوية ومشكلات الحياة مهما يكن لونها وطبيعتها ، وقد لا تكون عنده فكرة واضحة عن طبيعة الموقف الذى يتخذه،وقد لا تكون طريقته متماسكة واضحة الاسباب والمسوغات ، ولا يمكن بطبيعة الحال استقصاء هذه المواقف المختلفة وحصرها ، ولكن يمكن ردها الى بضعة مواقف رئيسية حددها المفكرون خلال دراستهم للمذاهب الفكرية والنظم الفلسفية على مدى الدهور وفى مختلف الحضارات .

موقف جماعة المتشككين

وكان الموقف الاول هو موقف جماعة المتشككين،وقد مثل هذا المذهب فى اشد انطلاقاته،واصرح اتجاهاته، المفكر اليونانى- بيرون الاليسى Pyrrho of Elis الذى عاش من سنة ٣٦٠ الى سنة ٢٧٠ ق.م،وقد عاصر ارسطو ، وصحب الاسكندر المقدونى فى غزواته للهند ، وبعد عودته الى وطنه قضى بقية حياته فى بلدته (اليس) حتى وفاته ، ولم يؤلف كتبا ، وكان لتلميذه تيمون Timon الفضل فى اذاعة مذهبه .

وعند بيرون انه ليس هناك اساس عقلى مقبول لتفضيل اى مذهب على مذهب آخر لانه لا يمكن ادراك طبيعة الاشياء ، والذى يتلمس هدوء البال وراحة النفس عليه ان يمتنع عن حكمه على الاشياء جهد طاقته ، ويرى برناندرسل ان هذا اللون من الشك يمكن ان يسمى « الشك الدجماتيكى » ، لان المتشكك الفلسفى يقول : « لا احد يعرف ولا احد يستطيع ان يعرف ، وهذا العنصر الدجماتيكى هو الذى يجعل الشك قابلا للنقد والتجريح،والمتشككون ينكرون تاكيدهم لعدم امكان المعرفة ، ولكن انكارهم (١) كما يرى رسل غير مقنع .

(١) صفحة ٥٢٧ من كتاب « تاريخ الفلسفة الغربية لبرناند رسل History of Western Philosophy

وهناك عوامل كثيرة قادت بعض المفكرين الى الشك ، منها ان المعرفة الانسانية نسبية ولها حدودها التي لا نستطيع ان نتجاوزها ، ومنهـا اختلاف آراء كبار الفلاسفة وسائر المفكرين فـي كثير من مشكلات الحياة وقضايا الفكر،ومهما يكنمن الامر فاننا نستطيع ان نفرق بين نوعين من الشك، الشك الدجماتيكي الذي يؤكد اننا لانستطيع ان نعرف شيئا ، والشك المعقول الذي يتطلب الاثبات الكافي والحجة المقبولة ، وهو امر لازم اذا كنا نعرص على ان نعرض كل شيء على محك الفكر ، ونزنه بميزان العقل ·

والدجماتيكيون ينظرون الى معتقداتهم باعتبارها حقائق لا يسمو اليها الشك ، ولا تقبل المناقشة ، وتاتي الدجماتية في اكثر الاحايين من قلة المعرفة وضيق حدودها . وكلما ترامت حدود المعرفة ، واتسعت آفاقها ، قلت ثقة الانسان في انه قـد وسع عمله كل شيء ·

موقف جماعة العقليين

والذين يؤمنون بقوة العقل يعتقدون ان العقل في وسعه الاحاطة بكل شيء ، وان الحقائق التي يصلون اليها عن طريق العقل لايمكن ان يتطرق اليها الباطل او الخطا ·

ويحاول العقليون ايجاد المقدمات التي يقيمون عليها تفكيرهم العقلي ، والعقل في رأيهم قادر على معرفة الحقائق سواء كانت هذه الحقائق تجريبية او اخلاقية او دينية ، ويختبر العقليون ماتوافينا به الحواس ، ويستخرجون منها التعميمات التي نقيم عليها معرفتنا، والعقليون يؤدون خدمة كبيرة للانسانية ، ويقدمون لنا معلومات مؤكدة الى حد كبير ، وفضلهم في حركة التقدم الانساني وترقي الحضارة لايمكن انكارها او المماراة فيها ، ومعظم مايستمتع به الانسان في الحضارة الحديثة هو ثمرة التقدم العلمي القائم على الاعتماد علـى العقل واكبار شانه ، والعناية بنتائج البحوث العقليـة والكشوف العلمية ·

موقف جماعة الحدس ، من فلاسفة الهند

ولكننا قديبدولنا ان نسال هل المعرفة كلها لاتصل الينا الا عن طريق العقل ؟ وهل لا يوجد نوع آخر من المعرفة غير المعرفة العلمية القائمة على التجربة والنطق والاستنتاج ؟ الا يوجد معرفة نصل اليها عن طريق آخر ؟

والمسالة هنا تتضمن امرا له خطورته ، فهـل هناك معرفة من طبيعتهـا انه لا يمكن صبها فـي في قوالب القضايا العقلية ، وتضمينها صيغا منطقية ؟ وهذه المعرفة برغم ذلك لها قيمتها وجلالة شانها ، ويمكن الاعتماد والثقة بها ؟

والمعروف ان الانسان في جوهره مخلوق عقلي ،وانه يفكر تفكيرا منطقيا ، ويعمل بطريقة يخضع فيها لاحكام العقل ، فيتحرى مافيه نفعه ، ويتجنب ما يسبب له الضيق والاذى والحرمان ، وقد لوحظ بوجه خاص ان العقل الغربي يعني بالعلم والمنطق والنزعة الانسانية ، وهذا الاعتماد على العقل في طليعة الاسباب التي ساعدت الغربيين على بلوغ المستوى الحضاري الذي وصلوا اليه ، ولكن يلاحظ من ناحية اخرى ان كثيرين من كبارالمفكرين في الهند يستمسكون بيقين شديد باننا لنا ملكة اكثر تغلغلا في صميم نفوسنا واحتواء لوجداننا منه، وعن طريق هذه الملكة الداخلية نصبح عالمين بالواقع في فرديته الصحيحة ، ومداخله الخفية ، لا بمظهره السطحي وصورته الماثلة للعيان · وعند فريق من فلاسفة الهند ان المذهب الفلسفي الحق بصيرة نفاذة ، ومشاهدة باطنية للحق ، وليس موضوعا للمنطق الجدلي والاثبات والتدليل فحسب · ويمكن ان يتحرر الانسان من نير هذا التفكير النظري القائم على القضايا المنطقية ويصل الى فهم حقائق الحياة وخفايا الوجود عن طريق هذه المعرفة الحدسية ، فالحدس Intuition (٢) سبيل الخلاص من سيطرة العقل وتحكمه ، والذي يصل اليها يصل الى قمة

---

(٢) الحدس هو المصطلح الفلسفي لما يحسه الفرد بالشعور والالهام لا عن طريق العقل والمنطق ·
Belief and Action By Viscount Samuel

الحكمة ، ويعرف جوهر الكون ، وقد لاتكون هذه المعرفة الحدسية محدودة محصورة ، ولكنها مع ذلك جلية مؤكدة ، ، وعند بوذا ان الانسان لايستطيع ان يفكر في الطريق المفضي الى الحقيقة ، وانما يستطيع ان يحياها ، وهذا ابرز سمات الفلسفة الشرقية التي تتكيء على المعرفة الحدسية الخلاقة ، فيحين ان مذاهب التفكير الغالبة علىالغرب تمتاز بشدة تعلقها بالعقل،وفرط ايثارها للاعتماد عليه وحده دون شريك او معين ٠

العقل والحدس ، يعملان في علم ودين

ويرى بعض المفكرين ان هناك مجالين منفصلين ، مجال العلم وهو يعتمد على البحوث والتجارب العقلية ، ومجال الدين وهو يعتمد على الحدس ، ولكن البحث يرينا ان العقل والحدس يتدخلان في المجالين ، فعقل العالم الباحث في معمله يعمل مستعينا بالعقل والحدس ، وفي مجال الدين كذلك يلتقي الفعل بالحدس ٠

ويقول السياسي المفكر هربرت صمويل في كتابه (٣) « الاعتقاد والعمل » انه حتى الكثيرون من المفكرين الهنود يقرون بان الحدس لايمكن الاكتفاء بالاعتماد عليه منفصلا عن العقل ، والفيلسوف الهندي رادا كريشنان يقول : « لكي نستطيعالقول بان التجربة الدينية تكشف الحقيقة ، ولكي ننقل التاكيد الديني الى تاكيد منطقي ، فاننا مضطرون الى ان نقدمبيانا عقليا عن التجربة،والفكرالهندي ليس من شانه عدم الثقة بالعقل اذ لايوجد صدع قائم بين التفكير والحدس في العقل الانساني » ٠

وهو يصل في بحثه الى هذه النتيجة التي تقول « ان الحقائق التي كشفت الفيدا يمكن ان نعيد تجربتها مع مراعاة احوال وشروط مؤكدة ،وتستطيع ان تميز بين السليم الخالص والشاذ الزائف في التجربة الدينية ، لا عن طريق المنطق وحده ، ولكن من خلال الحياة ذاتها ، وبتجربتها لتصورات عقلية دينية مختلفة وربطها بباقي حياتنا نستطيع ان نميز السليم من غير السليم »

الغرائز صور بسيطة للحدس

وليس من النافع ان نبحث اى الاثنين اسمى واحق بالاتباع العقل ام الحدس،وعند الحدسيين انالوجدان يحوى بعض عناصر الحق الجوهرية،وان هذهالاستجابة الوجدانية هي خير معين للعقل،ويمكن اعتبارالغرائز صورا بسيطة للحدس ٠ ويصل الاحياء عن طريق الغرائز الى اشياء لا تكاد تصدق ، فالطفل الرضيع يتجه الى الرضاعة دون ان يتعلم ذلك ، وانما يقبل على الرضاعة بدافع من الغريزة ، والطير يبنى عشه ويفر من الخطر الذى يتهدد حياته بدافع من ذلك الاحساس الغريزى الكامن في نفسه ، وهذا الدافع الداخلي اشبه بذاكرة متنقلة على مدى الاجيال ، وحياة النمل ترينا انموذجا عجيبا لفعل الغرائز في التنظيم والتوجيه ، ولا نزاع في ان الغرائز تزود الاحياء بمعرفة جوهرية لازمة لها في حياتها والمحافظة على كيانها ، ويرى الحدسيون ان الحدس يستطيع ان يوافينا كذلك بمعرفة اسمى من مستوى هذه المعرفة الغريزية ٠

اخطاء العقل ، واخطاء الحدس

ويقال ان العقل قد يخطيء ، وهذا من الواضح المشاهد ، فكثيرا ما ضلت العقول في بيد التفكير وكثيرا ما سار العقليون في طريق الخطأ المضل ، والامثلة على ذلككثيرة في عالم الاخلاقوالسياسة، وكثيرا ما اعلنت مبادىء عامة قائمة على دراسة التاريخ وعلى فلسفة سياسية او اخلاقية ، وعندما وضعت موضع التنفيذ اتضح انها ضارة ، والفرق بين اخطاء العقل واخطاء الحدس هو ان اخطاء العقل يمكن استدراكها عن طريق العقل بنفسه ، اما الحدس فانه لا يقدم لنا ما يصلح لاعادة النظر فيه ولذلك تبقى اخطاؤه مستمرة ، ولا يعالج ما بها من نقص الا بعد ان نحتكم الى العقل ونتنازل عن ادعاء السلطة القاهرة للحدس٠

فهل نستطيع اننصل الى لباب الحقائق ونلمس اكبادها اذا اتخذنا الحدس دليلا واتجهنا الى الحق على اجنحته ؟ لا نستطيع ان نثق بذلك الثقة كلها ، وسبب ذلك ان الحدس في حد ذاته

(٣) الاعتقاد والعمل صفحة ٧١

جزء متمم للعمليات العقلية ، وكشوف العالم المتصوف قد تكون ممكنة ، ومحتملة ، والعلم لا يسارع الى انكارها والتشكيك في قيمتها ، ولكن ليس معنى ذلك ان يتقبل كل ما ياتي به الحدس ، ولا يستطيع العقل الاكتفاء بالتعويل على كل ما يوافيه به الحدس والتسليم بصحته .

عند اسبنوزا المعرفة ثلاث درجات

وقد كان الفيلسوف الكبير اسبنوزا (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧ م) يميز بين ثلاث درجات من المعرفة(١) معرفة منخفضة المستوى ، وهي المعرفة التجريبية التي نحصل عليها من طريق الحواس (٢) معرفة علمية وهي التي نحصل عليها عن طريق العقل والتفكير المنطقي، وبها نصل الى استخلاص القوانين الطبيعية، (٣) المعرفة الحدسية وهي عنده المعرفة الاسمى لانها تتضمن فهم الكون في كليته الشاملة باعتباره نظاما مترابط الحلقات محكم الصلات . ولا ينتقص اسبنوزا النوع الاول من المعرفة ولا النوع الثاني ، وانما يرى اننا نصل الى ذروة المعرفة في النوع الثالث من المعرفة القائمة على الحدس .

برجسون رفع شان الحدس

وقد كان برجسون (١٨٥٩ ـ ١٩٤١) هو الفيلسوف الذي اكد شان الحدس ورفع مكانته ، وقد اكد قوة الحدس معارضا بها الاسراف في اعلاء شان المعرفة العلمية التجريبية ، وعنده ان المعرفة العقلية الخالصة معرفة خارجية ، فما نراه ونسمعه وما الى ذلك انما هو معرفة نسبية ، والعقل عاجز بطبيعته عن فهم الحياة ، وفهم الحياة هو مجال الحدس . وعند برجسون ان الحقيقة في مجموعها شيء حي ، والحياة هي الحقيقة الماثلة خلف المادة ، ومن لم لا يمكن ان نفهم شيئا فهما كاملا الا عن طريق الحدس . والحدس هو الوسيلة لفهم ما نحتاج معرفته الى نوع من التعاطف والاندماج الداخلي . وقيمة الحدس عند الحدسيين انه يرد علينا الثقة بانفسنا في محاولة كشف الاسرار الكونية . واذ كان اللاادريون يقولون انه ليس هناك سبيل لفهم ما هو خلف الظاهر فان الحدسيين يقولون اننا نستطيع عن طريق الفهم العاطف ادراك الحقيقة ادراكا مباشرا . على ان الحدس يحتاج الى العقل للتعبير عن محتوياته وكذلك للدفاع عن مكانته واظهار فضله وقيمته .

وقد هاجم برجسون العقل ووقف الى جانب الحدس ، وعمل على اثبات ان الحدس اصدق نظرا من العقل وابعد مرمى ، ويرى نقاد برجسون انه قد بالغ حينما ذهب الى ان العقل لا يدرك الا حالات متقطعة منفصلة عن الحقيقة ، وانه عاجز عن ادراك ما في الحركة من اتصال واستمرار، ويقول نقاده ـ انه اصاب حينما حد من تطرف المذهب العقلي ، ولكن مبالغته في اكبار شان الحدس كانت مما شجع على اتخاذ الحدس وحده دليلا على صحة الآراء وسلامة المذاهب ، مما ادى الى نتائج عملية وسياسية خطيرة ، فقد شجع على ظهور الفاشية والنازية وامثالهما من المذاهب المعارضة للنزعة العقلية .

شيوع الاتصالات الروحية ، والتمرد على العقل

وقد اكد موجهو العقائد والاديان وبعض المذاهب الفلسفية والنزعات الفكرية حقيقة الاتصال الشخصي بالمقدس ، واعلن ذلك الاولياء والقديسون ، وفي كل الطوائف ظهرت مذاهب تشير الى طرائق لادراك الحقائق غير الطرائق العقلية ، مثل مذهب اليوجا في الهند ومثل بعض النزعات الصوفية في الاسلام. ويحدثنا الكثير من الرجال والنساء خلال مختلف العصور انهم شعروا بانهم اتصلوا اتصالا ذاتيا بالروح التي تثبت الحياة في الموجودات وتحدثوا عن الاشراق الذي حل بنفوسهم، وعن تلك الموسيقى الفاتنة والرؤى البارعة والصوت الخفي الهامس الذي يصحب الابتهالات والتهجد وضروب العبادات.

وقد كانت نزعة التمرد على العقل التى ظهرت فى الفكر الحديث ثمرة من ثمرات التحليل النفسى عند العالم النفسانى فرويد وكشفه لما وراء الوعى، وكان كذلك نتيجة لاتجاهات فى فلسفة نيتشه وبرجسون وكروتشه وغيرهم من اعـلام الفكر الحديث .

وقد استمدت الحركات السياسية فى المانيـا وايطاليا بوجه خاص وحيها من تعاليم هؤلاء المفكرين الذين رجعوا جانب المعرفة الحدسية على جانب المعرفة العقلية . وحقيقة ان بعض الزاهدين والمتصوفين كانت لهم غرائب غير مالوفة ونواح من الشذوذ قد نحار فى تعليلها وحالات قد نحسبها من قبيل الاضطرابات العصبية ، ومعنى هذا ان الكشوف التى تبدو لهم والاسرار التى يتحدثون عنها تصلهم وهم فى حالات غير عادية ، ولكن هذا لا يتضمن نفيا او انكارا لما قد يكون فى هذه التجارب من اصالة وصدق ، والعالم النفسى الامريكى وليام جيمس James يقول فى كتابه القيم « ضروب من التجربة الدينية » Varieties of Religious Experiene ان هذه الاضطرابات النفسية قد تكون حالة لازمة لتلقى الايحاءات الحدسية » ، ويؤكد ذلك وليام جيمس قائلا : « كما ان وعينا التنبهى الاول يفتح حواسنا للمسات الاشياء المادية فانه مما يمكن تصوره منطقيا انه اذا كانت هناك عوامل روحية اسمى يمكن ان تمسنا مباشرة فان الحالة النفسية لعملها قد تكون فى امتلاكنا منطقة ما وراء الوعى ، وهو وحده الذى يسمح بوصول ذلك ، وضجة حياتنا اليقظة قد تقفل الباب الذى قد يظل مورويا او مفتوحا فى حالة التسامى الروحى العالم » .

ويشير (٤) برناردشو على لسان جان دارك فى مسرحيته « سانت جون » الى حالة تشبه ما وصفه لنا وليام جيمس :

جان دارك : انى اسمع اصواتا تخبرنى ماذا اعمل ، وهذه الاصوات بلاغ من الله .

روبرت : انها صادرة من خيالك .

جان : بطبيعة الحال ، وهذه هى الطريقة التى تبلغنا بها الرسائل الالهية ، وكثيرا ما يؤثر فى نفوسنا ما يبدو من صدق السريرة والاخلاص فى امثال هذه الرسائل من العالم المجهول والتى قد تكون من ثمرات المجاهدة الروحية التى قد تستطيع اختراق حجب الحواس المضروبة حولنا وقد تكون فيها اضواء ولمحات من الاتصال بالمقدس .

لا يمكن قبول كل ادعاءات الوحى والالهام

وقد تختلف الآراء وتتباين الاحكام فى تقدير قيمة الحدوس ، ولكن هناك ناحية يمكن ان تتفق عليها الآراء ، وذلك انه لا يمكن بحال قبول كل ادعاءات الوحى والالهام واعتبارها احكاما روحية وارشادات قدسية ، ولا يكفى الاعتماد على حسن نية المتصوف وشدة ايمانه بما يعتقد انه قد اوحى به اليه . ويقول وليام جيمس « بين الرؤى والرسائل ما هو ظاهر السخف ، ومن تجليات الغيبوبة ونوبات الانتفاضات ما هو شديد الجدوبة غير صالح للسلوك والاخلاق ولا يمكن قبوله وحيا قدسيا او كلاما مفيدا » .

وتاريخ الانسانية حافل بادعياء النبوة والاولياء المزيفين والدجالين المضللين ، وبعضهم كان يصيبه مس من الجنون والخبل فتخال ما تصوره له اوهامه وحيا منزلا ورسالة سماوية ، ويمكن ان نستخلص من ذلك اننا مضطرون الى الاحتكام الى العقل للتفرقة بين الحدس الصادق المعقول والحدس الكاذب الزائف ، واذا كانت عدم الثقة بالعقل واحكامه تؤدى الى اعتماد على الحدس ، فان الاسراف فى الثقة بالحدس تؤدى كذلك الى الشك فى قيمته وعدم التعويل على احكامه ، ومن الخير ان نستعين بالعقل والحدس فى تفهم مشكلات الحياة وغوامضها .

على ادهم

(٤) صفحة ١٠٤ من مسرحية سانت جون لبرناردشو ـ طبعة تختنز Saint John By Bernard Shaw

آفات ثلاث

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث لايسلم منهن احد : الطيرة ، والظن ، والحسد، قيل : « فما المخرج منهن يارسول الله ؟ » قال « اذا تطيرت فلاترجع، واذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسدت فلا تبغ ٠ »

حلمي

● حكي ان رجلا أراد أن يمتحن عمرو بن العاص في حلمه ، فجعل له قومه أحسن جائزة ان سأل عمرو بن العاص عن أمه وهو يخطب على المنبر ، فلما ارتقى عمرو بن العاص المنبر ، قام اليه الرجل وهو يخطب ، فقال له : « أيها الامير ، أخبرنا عن أمك » فقال : كانت امرأة من

صفة الامام العادل

● لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافةكتب الى الحسن البصرى أن يكتب اليه بصفته الامام العادل ٠ فأجابه : « اعلم ـ يا أمير المؤمنين ـ أن الله جعل الامام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ،وصلاحكل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف ٠

والامام العادل ـ ياأمير المؤمنين ـكالراعى الشفيق على ابله ، الرفيق الذى يرتاد لها اطيب المرعى،ويزودها عنمراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنفها من أذى الحرّ والقرّ ٠

والامام العادل ـ ياأمير المؤمنين ـ كالاب الحانى على ولده ، يسعى لهم صغارا ، ويعلمهم كبارا يكتسب لهم فى حياته ، ويدخر لهم بعد مماته ٠

والامام العادل ـ ياأمير المؤمنين ـ كالام الشفيقة البرة الرفيقة بولدها ، حملته كرها ، ووضعته كرها ، وربته طفلا ، تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتفطمه اخرى ، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته ٠

يشمون ريح الاماني

● قيل أن ابن أبى عتيق (حفيد أبى بكر الصديق) تمنى أن يهدى له فى يوم العيد جدى سمين،يتخذ منه طعامالعيد٠ فسمعته جارة له كانت تتلصص فى سماع اخباره وكلامه فظنت انه قد أمر أنيشترى له جدى ، ويطبخ لهذا اليوم ، فانتظرت الى وقت الطعام ، ثم جاءت تدقّ الباب ، وقالت : « شممت ريح قدوركم فجئت لتطعمونى » ٠ فضحك ابن عتيق وقال : « جيرانى يشمون ريح الأمانى » ٠

اصم

ربيعة اصيبت بأطراف الرماح ، فوقعت في سهم الفاكه بن المغيرة ، فاشتراها ابى، فوقع عليها . والان انطلق وخذ ما جعل لك على هذا السؤال » . وفي مثل ذلك قال الشاعر :

« قل ما بدا لك من زور ومن كذب
حلمي أصمُّ ، وأذني غير صماء » .

لماذا عزل

● قيل ان زياد بن ابي سفيان كان كاتبا لابي موسى الاشعري ، فعزله عمر بن الخطاب عن عمله ، فقال زياد لعمر بن الخطاب : « اعن عجز عزلتني يا امير المؤمنين ام عن خيانة ؟ » فقال له عمر : « لا عن ذلك ولا عن هذا . ولكني كرهت ان احمل على العامة فضل عقلك» .

أفي هذا نجاة

● كان النعمان بن المنذر من ملوك عرب الحيرة في الجاهلية ، خرج يوما الى الصيد، ومعه عدي بن زيد ، فمروا بشجرة ، فقال له عديّ بن زيد: أيها الملك: اتدري ماتقول هذه الشجرة « قال : « لا » ، قال تقول :

رُبَّ رَكب قد أناخوا عندنا   يشربون الخمر بالماء الزلال
عصف الدهرُ بهم ، فانقرضوا   وكذاك الدهر : حالا بعد حال

ثم جاوز الشجرة ، فمر بمقبرة ، فقال له عدي : « أيها الملك أتدري ما تقول هذه المقبرة » قال : « لا » قال : « تقول:

أيها الركب المخبُّو   ن على الارض ، المجدون
مثلكم من قبل كنا   وكما نحن تكونون

فقال له : « ان الشجرة والمقبرة لاتتكلمان ، وقد علمت أنك انما اردت عظتي ، فما السبيل التي تدرك بها النجاة ؟ » قال : « تدع عبادة الاوثان ، وتعبد الله . قال : وتدين بدين المسيح عيسى بن مريم أو في هذا النجاة ؟ » قال: « نعم » . فتنصر يومئذ .

أهذا من ذاك !

● قيل ان الأواني التي كان يأكل فيها كسرى كانت من ذهب خالص، فسَرق رجل من خاصته آنية ، وكسرى ينظر اليه ، فلما رُفعت الموائدُ افتقد الطباخ الآنية فرجع يطلبها ، فقال له كسرى : « لا تتعبن نفسك ، فقد أخذها من لا يردُّها ، ورآه من لا يُفشِي عليه . ثم أن الرجل دخل على كسرى بعد ذلك بأيام، وقد حلى سيفه ومنطقته ذهبا ، فقال له كسرى وقد أشار الى سيفه ومنطقته : « أهذا من ذاك » . فقال : « نعم » .

بقلم : حسن فتحي خليل

■ ان الذى يعنينا فى هذا البحث هو القراءة المتفهمة والدراسة الجادة ، التى تصل بالقارىء الى مدارج من المعرفة والفهم للاحاطة بكل ما يراه ويحسه فى هذا العالم الذى يكتنفه .

كما نعنى بالكتابة .. الواعية منها ، المؤثرة ، التى تصل الى قلوب القراء ونفوسهم فتحشد تفكيرهم وتنمى فهمهم .

لكل من هذه القراءة وتلك الكتابة سيكولوجية كما يقول علماء النفس .. واصول كما يقول كبار الادباء والكتاب .

كيف تقرأ ؟

ان كثيرا من الناس لا يعرفون كيف يقراون ، فهذا لا يتوقف على مدى تذوقهم او تعلمهم او حتى المادة التي يقراونها ، انما يتوقف اساسا على الروح التى يتناول بها القارىء اى كتاب يقع بين يديه ، سواء أكان ديوان شعر او رواية طويلة او بحثا تاريخيا او عملا عقليا .

ولقد كان الاستاذ الانجليزى سير آرثر كويلر كوتش Sir Arthur Quillercouch ينصح تلاميذه دائما بقوله « ارجوكم بحق السماء ان تذكروا دائما انه من الممكن جدا ان تقعوا فى الخطأ» كما يقول الناقد الانجليزى ماكسويل بيركنز Maxwell Perkins (١) « ان الصعوبة التى يعانيها المحررون الذين يعملون فى دور النشر الكبرى تخفى عن الكثيرين . فالواجب عليهم ان يعطوا انفسهم عطاء كاملا لاى كتاب مقدم لدار النشر، فيقراونه اولا كاى قارىء عادى حتى ينتهوا الى اعجابهم به او الانصراف عنه . فالمفروض الا يطبقوا على اى كتاب معايير علمهم ومراجعهم الا بعد ان ينتهوا من قراءته . ومع ان الامر يبدو هكذا سهلا الا ان الواقع هو ان الكثيرين من هؤلاء المحررين الذين يراجعون الكتب لا يتناولونها بهذا المقياس ، انما هم يقراونها ونصب أعينهم ، بل ثابت فى اذهانهم ، بعض الكتابات الممتازة ذات الشهرة الادبية ، فاذا بهم والحالة هذه يجرون ، دون وعى، مقارنات بين الكتابتين وهنا يكمن الغبن.

المفروض فيهم اذن ان يحكموا على اى كتاب حكمهم على الناس . فهم اذا ما قابلوا شخصا ما وتحدثوا اليه مثلا فانهم لن يقولوا فى انفسهم ان هذا الشخص لا شبه بينه وبين شخص آخر معين يعرفونه ، ولا يجرون مقارنة بينهما ، ولكنهم يقدرونه طبقا لشخصيته وفى حدودها ووقعها فى نفوسهم .. وهذاهو الطريق الوحيدالسليم للحكم عليه . »

---

(1) Makwell Perkins: Editor to Author

وبمعنى آخر فان الكتاب كالانسان ، يجب أن نهيء له الفرصة كي يترك اثره في نفس القارىء وذهنه ٠

يجب ان نفسح المجال أمام ما نسميه بفطنة الكاتب، وما يريد ان يقوله لنا، فاذا ما ادركنا ان الكاتب اختط اتجاها معينا وتساءلنا لماذا اختار تلك الطريقة بالذات ، حينئذ يبدا تقييمنا لعمله، بشرط ان يكون هذا التقييم حرا غير مرتبط باية عقائد او مبادىء ادبية او غير ادبية ٠

ويقول الكاتب والناقد الانجليزى فرانك سوينرتون Frank Swinnerton « اعتقد ان اكثر القراء يتناولون الكتاب وعقولهم غير مهياة له ٠ فهم يعجزون عن أن يضعوا انفسهم مكان الكاتب ، ولا يملكون الصبر على أن يتركوا الكاتب يستكمل اقواله ٠ وسرعان ما يعبرون عن سخطهم وغضبهم بقولهم « ان هذه كتابة قديمة جامدة » أو « هذا هراء المولعين بالجديد » أو « هذه كتابة من الدرجة الثالثة » وهم فى هذا انما يشبهون رجلا جاهلا اعطيته يوما كتابا يناقش بعض النظريات الاقتصادية ولكنه اعاده الى وهو يقول « لن اقرأ هذا الكتاب،لان اى كتابة ضد هذه النظريات تغضبنى قطعا »

ولا يعنى مثل هؤلاء القراء ما اذا كان الكاتب قد أوضح الغرض من كتاباته فى لغة سليمة ، كلا ٠٠ فما دام هو لم يساير المبادىء أو الافكار التى يعتنقونها ، سواء كانت قديمة او حديثة ، فهو كاتب تافه لا قيمة له ، بينما تكون موهبة الكاتب ذات قيمة فعلا ، أما موهبة القارىء فى هذه الحالة ، فهى التى تحتاج حقا الى وضوح ٠

لماذا ؟

ربما لان قراء اليوم قليلو الاحتمال ، نافدو الصبر ، لا يملكون قوة الخيال ٠

والمقصود بالخيال هو النشاط الروحى وليس الخيال الرومانتيكى ٠ فهذا النشاط الذهنى هو الذى يهيء للقارىء أن يضع نفسه كلية فى مكان العقول والقلوب الاخرى فيكتشف فيها الحب والتعاطف لا البغض والكراهية ٠

كما يجب أن يبتعد القارىء عن الصلف والغرور العقلى اللذين هما اسوأ ما فى التعصب الاعمى ، كما يجب الا يكون القارىء حسودا أو حقودا أو لديه ميول الى القسوة فى النقد ٠

ان كثيرا من القراء يبدأون قراءة الكتاب وفى ذهنهم حكم مسبق عنه ، مما يجعلهم يتحاملون عليه او يتحيزون ضده ٠ وبدلا من ان يسالوا انفسهم « ما الذى يقوله هذا الكاتب ؟ » اذا بهم يتساءلون ما هو رايى فى هذا الكتاب ؟ »

والمفروض ـ ، حين يتناول القارىء الكتاب ـ، ان يقول لنفسه « لعل كاتب هذا الكتاب ذو موهبة فنية او لعله كاتب فاشل ، ومع ذلك فانى سأقرأه وكأنه اول كتاب تم تاليفه » وبانتهاء قراءته يصل فيه الى رأى ٠

والقراء احيانا ما يتاثرون بصورة الغلاف أو باسم المؤلف أو بطريقة الطباعة أو بنوع الورق أو بحجم الكتاب ٠ ولكن كل هذا لا يهم ، المهم هو أن يضع القارىء نصب عينيه ما جاء فى الكتاب من افكار وأساليب والا يتاثر باى شيء غيرها ، ويجب ان يستكشف القارىء بنفسه ما يعتبره طيبا او سيئا فى الكتاب دون التقيدبعقائد معينة ودون مشايعة لكاتب بالذات على حساب كاتب اخر كما يفعل الكثير من النقاد اليوم ٠

وهكذا ، اذا كان الكثير من القراء لا يعرفون كيف يقراون فيجب ان نرشدهم ونوضح لهم الطريق،وننهيء لهم السبل حتى يمكنهم القراءة بعقول مفتوحة • فيجب عليهم الا يقارنوا هذا الكتاب بكتابات فلان او فلان من كبار الكتاب •• كلا •• بل يجب ان يهتموا بنوع الكتاب ••فالمهم دائما هو موهبة المؤلف •

ويقول استاذنا محمود تيمور رحمه‌الله(١)« ان القارىء يجب ان يقرا القصة (مثلا) متدبرا فكرة المؤلف فيسال نفسه •• لماذا عقد هذا الحوار؟ لماذا تلت هذه الحادثة ذلك الموقف ؟ كيف رسمت الشخصية ؟ كيف ارتبطت اجزاء القصة بعضها ببعض ؟ كيف اسلمت المقدمات الى النتائج ؟ »

من كل ما اسلفناه تتضح القراءة الحقة •• القراءة الدارسة •• القراءة المتفتحة •• التي تصل بنا في النهاية الى ما يريده المؤلف •• فان نجح في ايصاله الينا كان ناجحا ، اما ان فشل في اقناعنا به فهو كاتب فاشل •

كيف تكتب ؟

بعد ان تناولنا فن القراءة ، نرجو ان نتناول الفن المقابل له وهو فن الكتابة • وهو فن جد عويص • قليلون هم الذين امتلكوا ناصيته • فليس عن طريق قراءة الكتب الموجهة او بالتدريب يمكنك ان تكون كاتبا ناجحا •

وها هو الكاتب الانجليزي جولد سميث Goidsmith يقول : « ان القواعد اللغوية فحسب لا يمكن ان تجعل من اى كتابة شيئا بليغا ، انما هي تساعد على عدم الوقوع في الخطا • وعلى ذلك فهي لا تقدم الجماليات التي تشعر انها ذوب الروح والطبيعة »

كما يقول •ج•هـ• فالنيس G.H. Vallins (٢) « لا يمكن ان نتعلم ابدا كيف يمكننا انتقاء الكلمات المناسبة الصحيحة ، فذلك يرجع الى موهبة الكاتب فحسب » •

والسؤال دائما هو « كيف نبدا الكتابة » ؟ ينصح ستيفنسون Stevenson باتباع طريقة « القرد المثابر » وذلك بتقليد كتابة كبار الكتاب • كما يقول دكتور جونسون Dr. Jonson

« انقل كتابات كتابك المفضلين حتى تتمكن يوما ما من ان تكتب مثلهم ، فغريزة المبتدىء هي التقليد ، فالاطفال يقلدون آباءهم حتى يذهبون الى المدرسة فيقلدون مدرسيهم او زملاءهم ، وكثير منهم يظلون على هذا التقليد طوال عمرهم، بينما يستقل الاخرون بشخصياتهم ، وعلى ذلك فمن الطبيعي •• من ناحية الكتابة •• ان ياخذوا بهذه العادة مبكرين » •

ويعارض سوينرتون Swinnerton هذه النظرية قائلا « انا لا اوافق هؤلاء الذين يقولون بنظرية «القرد المثابر» اذ اعتقد انالكتابة المقلدة تعوزها الاصالةوالشخصية مما ينفر منها القارىء»•

ولنعد الى جولد سمث Gold Smith الذى يقول « يعتبر الكاتب بليغا اذا ما تمكن من ان ينقل احساساته التى تاثر بها الى نفوس الآخرين ، فالبلاغة ليست في الكلمات فحسب ولكنها في المضمون ، وكلما افصح الكاتب عما يريده في سهولة ويسر كلما ارتفع بفنه • »

وهذا الذى يقوله جولد سمث Gold Smith هو الحق • فهنا تكمن موهبة الكاتب وبلاغته ،وهنا أساس‌الفن لحقيقي•فالكتاب انما يدبجون كتاباتهم لاثارة مشاعر القراء ، لاقناعهم ، لالقاء الأضواء على حياتهم ، فالكاتب الحق اذن لا يتبع نموذجا معينا ، لا يكتب المواعظ ، بل يجب ان يتفهم موضوعه جيدا ، ويختار اللغة السليمة التي يكتب بها ، ويقتنع بالحقائق التي يقدمها ، لو فعل ذلك فسيصل الى قمة العمل الأدبي •

وينصح جولد سميث Gold Smith « ان ما تود ان تقوله يجب ان تقوله في وضوح ، فيجب الا تكون نسخة من آخرين سواء في الفكر أو التعبير » •

فالكاتب هو تجسيد لنفسه ، فاذا ما قلد غيره كان مجرد اصداء فارغة للماضي او للحاضر •

والكتابة الجيدة يجب ان تخاطب قلب القارىء وعقله • فالكثيرون الآن يعرفون ـ نظريا ـ كيف يكتبون الرواية او القصة او الشعر ، ولكن النظريات شيء والموهبة شيء آخر •

---

(١) محمود تيمور • دراسات في القصة والمسرح

(2) H. G. H. Vallins : Good English.

ويقول استاذنا محمود تيمور فى هذا « (١) ان الفـن القصصى كسائر الفنون لا يمكن ان يكتسب بـدرس قواعـده واستذكارهـا او تطبيق قوانينـه تطبيقا آليا » • والراى عنده « انه لا بد فى تنشئة القاص الفنى من تساند خمسة عوامل : ميل فطرى وموهبة اصيلة ودراسة منظمة واطلاع دائب ومرانة فطنة » •

وينصح تيمور الكاتب بان يكون دائب الاطلاع فى كل فن وعلم ولا يقصر فى متابعـة التطـور الفكرى دائما ، كما ينصحه بان يتانى فى انتاجه وبان يؤمن بما للوقت من اثر فى انضاج فنه ، وان يستفيد من تجاربه فى الكتابة وان يقنع نفسه انه عرضة للذلل فلا يمتلكه الغرور •

واهم ما يضعه الكاتب نصب عينيه هو الصدق ، صدق الاحساس ، وصدق التعبير •• وهذا الصدق لا بد له ان يعتمد على نفاذ البصيرة والمعية الفكر ، فانه لا سبيل الىالاحساس الصادق والتعبير الصادق الا اذا كان الكاتب مزودا بقوة الفهم للنفس ، وبالقدرة على سبر اغوارها ، وبالحذق فى تصيد خوالجها الباطنة •

فيجب على الكاتب اذن ان يحس بما يدور فى المجتمع احساسا صادقا ، فيعبر عنه تعبيرا صادقا دون قصد مكشوف وفرض محتوم •

ويعود تيمور فيقول « لا فن الا اذا كان مصدر الوحى أعماق النفس واغوار الشعور ، ولا صدق الا اذا تحققت الاستجابة والتاثر بين الكاتب وما يعالج من تصوير وتعبير ، ولا ايحاء ولا استجابة الا اذا اطلق الكاتب نفسه على سجيتها فى آفاق رحيبة لا تحدها القيود والحدود • »

واهم عنصر يجب ان يتوفر فى الكاتب هو الموهبة، فهى التيار الذى يبث الضوء وينشر الشعاع ولكنها على الرغم من عظيم اثرها يجب ان تعان بالصقل والتجربة والمران • والعمل الفنى يجب ان يتوافر له اثارة العاطفة ومنادمة الوجدان وتناول العناصر الحية فى المجتمع البشرى وتصوير النزعات النفسية من موارد انسانية اصيلة ، وكل هذا لا يتاتى الا اذا تناوله كاتب ذو موهبة ومران •

والكاتب الامريكى وليـم ساروبان William Saroyan ارسل الى كاتب ناشىء ينصحه بقوله :

« ارجو انتفهم كيف تستطيع ان تصقل اسلوبك، ان فكرة الاسلوب فى الاصل هو الوضوح والجلاء ، فالقارىء يجب ان يفهم تماما ماذا تعنى مهما كان ما تعنيه معقدا • استعمل الكلمات التىتحتاج اليها فقط وانبذ تلك التى لا تعبر عن معنى معين فهى كلمات عقيمة لا نفع فيها ، وبدونها ستكون كتابتك اكثر تاثيرا » •

« يجب ان تكون جزءا فعالا من هذا العالم ، بقلب طاهر ، وتذكر دائما ان هناك ما يضحك وسط اعظم المآسى ، وان هناك خيرا كثيرا وسط اعظم الشرور ، تذكر ذلك التناقض من طرفه الاول الى طرفه الآخر » •

« كما اود ان تكتب بطريقة لم يسبق لكاتب فى العالم ان يكتب بها، فاى كاتب فنان حقيقى يستطيع ان يفعل ذلك ، واذا كنت لا تعرف كيف تبدا بداية صحيحة فانك لن تستطيع ابدا ان تكون كاتبا ، سيضعونك فى ادنى مرتبة كواحد من الكتاب الذين تاثروا بغيرهم فقاموا بتقليدهم وستكون تلك نهاية عملك الادبى » •

يجب ان تكون مستقلا ، وان تؤمن بما تفعله ، وان تكون متواضعا امام الله والعالم والحياة ، ويجب ان تكافح فى شق طريقك •

« اما اذا كان هناك ما يمنعك عن الكتابة ويحول بينك وبينها، فانصحك الا تجبر نفسك على الكتابة، لانك لن تكون كاتبا قط •• اما اذا كنت كاتبا حقا •• فلن يحول اى شىء دون ممارستك للكتابة التى تدفعك اليها بواعث عظيمة » •

وهكذا •• فالحياة هى منبع الفن والكتابة ، واصطراع المعتقدات والآمال والمخاوف ، كل هذه هى القوة الدافعة للسلوك الانسانى وهى التى قال عنها الكاتب الامريكى وليام فوكنر William Faulkner فى الكلمة التى القاها بمناسبة تسلمه جائزة نوبل « ان مشاكل القلب الانسانى فى صراعه الذاتى تستطيع وحدها ان تنهض حافزا على الكتابة الابداعية ، لانه ما من شىء سواها يستحق ان يكون موضوعا للادب •• ويستحق من الكاتب الفنان كل هذا العذاب والعرق » •

حسن فتحى خليـل

(١)محمود تيمور : المرجع السابق

سكان الارض عام ٢٠٠٠ ٧ بليون

من اين ؟ من اين

المجاعات العالمية ... متى تبدأ

بقلم : الدكتور عبد الوهاب علام

ابعاد المشكلة :

■ تعتبر مشكلة الغذاء فى الوقت الحالى من اهم مشكلات العصر التى تشغل العالم ٠واذا كانت السيادة فى هذا العقد لازمة الطاقة فان ازمة الغذاء ستسود العقد القادم كما يقرر ذلك خبراء التغذية والزراعة ٠ ولكى نتفهم حقيقة الموقف يجب ان ننظر الى مشكلة السكان آملين ان نصل الى توازن بين الاعداد المتزايدة من البشر والموارد المتاحة من الغذاء ٠

سكان الارض

ففى اوائل هذا القرن كان عدد سكان العالم حوالى ١٥٠٠ مليون نسمة ويبلغ اليوم ٣٧٠٠ مليون نسمة ، وبنهاية هذا القرن سيصل الى ٧٢٠٠ مليون نسمة ، والى ٢٤٠٠٠ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٥٠ ٠٠٠ اى سيصبح عدد سكان العالم اكثر من ٦ اضعاف ماهو عليه الآن ٠

انتاج الغذاء لا يساير زيادة السكان

ومع الزيادة المطردة فى السكان فانه لا يتوقع ان يساير انتاج الغذاء هذه الاعداد المتزايدة من البشر فى ربع القرن القادم ٠٠٠ وربما مات ملايين البشر جوعا ما لم يحدث توسع فى انتاج المحاصيل الغذائية ٠ ويلاحظ بعض الخبراء اننا غير قادرين حاليا على اشباع ادنى مستوى للمتطلبات الاساسية لتغذية ملايين البشر وخاصة فى الدول النامية وان تقدم العالم نحو القضاء على الجوع ونقص التغذية يسير بخطى بطيئة وانه لا يوجد بادرة امل فى ايجاد توازن بين الاعداد البشرية المتزايدة والانتاج الغذائى المحدود ٠ اذا استمر النمو السكانى بمعدلاته الحالية ٠

المجاعات متى تبدأ

ويتنبأ بعض الكتاب بحدوث المجاعات فى العام القادم بينما يمهلنا البعض الآخر حتى سنة

خاصة وقد ارتفعت أسعار الاسمدة ارتفاعا كبيرا وانتشرت الكوارث المناخية كالجفاف الذى أصاب مناطق واسعة من شبه القارة الهندية وفى أواسط افريقيا (حيث يقدر عدد من فقدوا بحوالى ربع مليون نسمة) ، وكذلك اجتاحت الفياضانات بعض الولايات المتحدة الامريكية والباكستان . ويتوقع البعض ان تتسع الرقعة التى تعانى من الجفاف حتى تمتد من أواسطافريقيا الى الشرق الاوسط فالهند وجنوبى آسيا وشمال الصين - وربما شمال السهول الكبرى فىالولايات المتحدة . وكل ذلك يؤدى الى تذبذب الانتاج الزراعى وبالتالى ندرة المخزون العالمى من الحبوب اذ وصل المخزون الى أدنى حد له حتى أصبح لا يتعدى حاجة العالم لاكثر من ٢٧ يوما . هذا مما أدى الى تسابق الدول المتقدمة والغنية بشراء الكميات المخزونة مما أدى بدوره الى رفع السعر العالمى للحبوب والموارد الغذائية الى ما فوق امكانية الدول الفقيرة وخاصة دول العالم الثالث.

العالم الثالث :

الدول النامية تستورد غذاءها من الدول المتقدمة

وتتضح الصورة أكثر اذا نظرنا لمشكلة الغذاء على نطاق الدول النامية . فاعتماد العالم الثالث على استيراد الغذاء من الدول المتقدمة فى تزايد مستمر منذ بداية الخمسينيات وحتى الان . وتبين الاحصائيات أنه ما بين عام ١٩٦٢و١٩٦٨ استطاعت ٢٢ دولة نامية أن تقلل من اعتمادها على الغذاء المستورد بنسبة ١٦٪ فى حين زاد اعتماد خمس عشرة دولة منها على الاستيراد بنسبة ٣٢٪ لنفس المدة . وهذه المجموعة الاخيرة تضم اكثر البلاد معاناة من الاعتماد على الاستيراد لاطعام شعوبها ومن بينها الهند والباكستان وماليزيا وجمهورية مصر العربية .

وفى ظل زيادة السكان فى مصر نرى أن الطلب المتوقع على الانتاج الزراعى سيزداد الى كميات هائلة بسنة ٢٠٠٠ كما يتضح من الجدول التالى . كما أورده دكتور مصطفى الجبلى (وزير

١٩٨٥ .. ويظن فريق المتفائلين أن ذلك لن يحدث حتى سنة ٢٠٠٠ وربما ٢٠٥٠ .. ويرى أكثر المتفائلين ان الموارد المالية المتاحة للبشرية وفى ظل الثورة التكنولوجية المعاصرة ستكفى لتغذية العالم وتحسين نوعية الغذاء لفترة العشرين أو الثلاثين سنة القادمة على الاقل .

ويذهبون الى القول انه اذا امكن الوصول بنسبة النمو السكانى الى ٥ر١ أو ٢٪ (معدل النمو السكانى الحالى ١ر٢-٨ر٢٪) فسيصبح عدد سكان العالم حوالى ١٠٠٠٠ مليون نسمة مع حلول عام ٢٠٥٠ . ومع أن هذا العدد رقم مخيف الا انه فى ضوء الامكانيات والموارد الطبيعية المتاحة الان فان قدرة الارض تعتبر كافية لاعاشة واعالة مثل هذا العدد ، بل سيتوفر لهم مستوى مرتفع من المعيشة .

ندرة الارض الصالحة ومياه الرى

ويزيد من مشكلة انتاج الغذاء ندرة الارض الصالحة للزراعة ومياه الرى بتكلفة معقولة ..

الزراعة السابق) بصحيفة الاهرام الصادرة فى ١٩٧٤/٥/٤ ·

السلعة	الانتاج سنة ١٩٧٤ (بالمليون طن)	المطلوب سنة ٢٠٠٠ (بالمليون طن)
القمح	٥٠ر١	٢٥ر٩
الأرز	٧٠ر١	٢٠ر٣
السكر	٥٥ر–	٨٠ر١
اللحوم	٢٥ر–	٣٠ر١
الزيوت	١٢ر–	٦٥ر–

ومن هذا نرى انه ـ لكى نحافظ على مستوى التغذية الحاضر بمصر الان ، لاطعام السكان عام ٢٠٠٠ ـ يجب ان نزيد انتاج القمح بمقدار ٦١٥٪ والارز بمقدار ١٨٠٪ والسكر بمقدار ٣٣٠٪ واللحوم بمقدار ٥,٢٠٪ والزيوت بمقدار ٥٤٠٪ مما هو عليه الان ·

هذا يوضح الصورة بالنسبة لجمهورية مصر العربية،كما أن الدلائل تشير الى أن مثل ذلك سيحدث فى معظم دول العالم الثالث ، وقد تعدى الامر الدول النامية الى دول المعسكر الشرقى الذى أصبح مستوردا لكميات هائلة ومتزايدة من الحبوب والاغذية فى السنوات الاخيرة · ويمكن الاستدلال على ذلك اذا نظرنا الى حجم التبادل التجارى للقمح الذى تعتمد عليه معظم هذه الدول فى التغذية فى السوق العالمية اذ وصل الى حوالى ٣٥٠٠ مليون دولار سنة ١٩٧٢ وتضاعف الى ٧٠٠٠ مليون دولار فى سنة ١٩٧٣ ـ وارتفع هذا العام ١٩٧٤ الى ٩٠٠٠ مليون دولار (تقدير شهر مايو) ·· وقد يرجع ذلك الى زيادة الطلب وقلة الناتج ·· وارتفاع الاسعار كنتيجة لازمة الطاقة والتضخم المالى ·

هل ينفد الغذاء ؟

اشارت « مجلة نيوزويك الامريكية » الصادرة فى مطلع ابريل ١٩٧٤ الى ان الدكتور بورما مدير منظمة الاغذية والزراعة (الفاو) اقترح انشاء مخزن احتياطى لمواجهة نفاد الغذاء ، ولكن اقتراحه وجد معارضة من كل من الولايات المتحدة الامريكية وكندا واستراليا ، وهى الدول التى بها فائض يذكر من الحبوب اذ وصلت صادرات كل منها من القمح فى عام ١٩٦٩ حوالى ٥ر١٤ ، ٧ر٨ ، ٣ر٥ مليون طن على التوالى · وقد قدم هذا الاقتراح ايضا لمؤتمر الغذاء العالمى والذى انعقد فى روما فى نوفمبر ١٩٧٤ السيد/المهندس سيد مرعى رئيس المؤتمر ووجد نفس المعارضة السابقة · واضافت المجلة « ان الحكومات لا تريد تسليم هذا السلاح السياسى الخطير الى العالم · وزادت بقولها « انه ربما استخدمت الولايات المتحدة الامريكية مواردها الزراعية كورقة او عملة رابحة فى الصراع الدولى حول الغذاء » ··· بل وقد استخدمته فى عمليته الوفاق بين المعسكرين الشرقى والغربى ·

قد يكون هذا اذن هو سلاح المستقبل الذى قد يستخدم فى الثمانينات ·· ولسوف ينقلنا من ازمة الطاقة الى ازمة الغذاء الذى قد يوفر لمالكه ان يتحكم فى العالم باسره بوجه عام وفى الدول الفقيرة والنامية بوجه خاص ·

كل هذه العوامل ساعدت على ظهور ما يعرف بالتكتلات الاقتصادية فظهرت السوق الاوروبية المشتركة وسوق الدول الاشتراكية الاوروبية « الكيموكون » ونظرية الوفاق الدولى بين المعسكرين الاشتراكى (الشيوعى) والراسمالى ، واخيرا ما يسمى بالتكامل الزراعى العربى،وان كان ما زال اسما فى حد ذاته الا انه يمثل سفينة النجاة ، وطريقا للاكتفاء الذاتى للمنطقة العربية باكملها ·· اذا ما حرصت منظمة الاغذية والزراعة العربية على تدعيمه وانجاحه ·

أين تقف الدول العربية من المشكلة ؟

لسنا بحاجة الى ان نذكر انفسنا باننا كدول عربية وافريقية نامية مكتظة بالسكان ربما كنا من أول المستهدفين مع بقية الدول النامية لمعركة سياسية يكون الغذاء امضى واخطر اسلحتها ·

فالدول العربية تستورد حاليا حوالى ٥٠٪ من

غذائها واغلبه بالعملة الصعبة..وان مصر وحدها ستسورد قمحا ولحوما وزيوتا باكثر من ٦٠٠ مليون جنيه استرليني في العام القادم . ويقدر المشتغلون بالزراعة انه لكي يتم اكتفاء ذاتي لانتاج الحبوب في المنطقة العربية يلزم زراعة ما بين ١٢ ـ ١٣ مليون فدان على ان تصل غلة الفدان الى حوالي ٪ طن . كما ان احتياجات القارة الافريقية من الغلال سترتفع في عام ١٩٨٥ الى حوالي ١٥مليون طن من الحبوب الغذائية يتطلب انتاجها زراعة ما لا يقل عن ٢٠ مليون فدان .. وهذه الارقام لا تشمل اى احتياطى يرصد لمواجهة تقلبات الانتاج او اى توقعات لزيادة الاستهلاك الفردى او تغير في نمط التغذية .

فاذا نظرنا الى مشكلة الغذاء والسكان في ظل التكامل الزراعي العربي ـ خصوصا وان المنطقة العربية ممتدة بين خطى عرض ٤ و ٣٧° شمالا حيث تشمل المناطق الجغرافية للانتاج الزراعي من نباتات المنطقة الاستوائية حتى نباتات المنطقة الباردة ـ نرى اننا نقف ندا مع الاتحاد السوفييتي او الولايات المتحدة كوحدة انتاجية ..وعلى سبيل المثال فان السودان تقف ندا قويا للدول المصدرة للغلال . فالاراضي الصالحة للزراعة بالسودان تقدر بحوالي ٢٠٠ مليون فدان (منها ٨٠ مليون فدان من المراعي في منطقة السافانا) في حين ان كل الاراضي المستغلة في الزراعة في استراليا لا تتعدى ٨٥ مليون فدان على احسن تقدير ، وفي كندا لا تزيد عن ١١٠ مليون فدان .. اى ان السودان كدولة عربية وقوة افريقية نامية في العالم الثالث يملك وحده من الاراضي الصالحة للزراعة اكثر مما تملكه استراليا وكندا اللتان تنتجان معا فائضا يوازى الفائض الذى تنتجه الولايات المتحدة من الحبوب .

بل ان الولايات المتحدة الامريكية نفسها لا تزرع من الاراضي الزراعية الا الاكثر قليلا من ضعف اراضي السودان القابلة للزراعة .. واما المساحات التى تخصصها لزراعة الحبوب ـ سلاح الثمانينات ـ فاقل من ١٥٠ مليون فدان . اى اقل من المساحة غير المستغلة من اراضي السودان الزراعية .

اذن من واقع هذه الارقام يمكن للسودان زراعة مساحة ٤٠ مليون فدان لازمة لاطعام سكان المنطقة العربية والقارة الافريقية سنة ١٩٨٥ . بل يمكن للسودان ان يكون واحدا من ثلاث دول (مع كندا واستراليا) قادرا على اطعام العالم مستقبلا .. فبجانب تفوق السودان في المساحات القابلة للزراعة ذكر الدكتور محمد هاشم عوض بوزارة الاقتصاد السودانية عدة ميزات للانتاج الزراعي تحت ظروف السودان منها : (أ) ان نسبة المستغل من اراضي السودان يقدر بحوالي ٩٪ الان بينما تصل هذه النسبة الى ٤٠٪ لاستراليا و ٦٠٪ بكندا . وهذا يعطى للسودان كفاءة توسعية اعلى ، حيث تتوفر الاراضي الصالحة للانتاج . (ب) قلة كثافة السكان نسبيا ـ مما يسمح بتوجيه قدر كبير من الانتاج للتصدير ، وهذا بالاضافة الى قلة او عدم وجود الميكنة المستغلة حاليا في الانتاج الزراعي .

وقلة عدد السكان بالسودان لن يقف حائلا دون مضاعفة السودان للاراضي التى يزرعها اذ يمكن التغلب على ذلك بميكنة الزراعة تحت ظروف اتساع الرقعة الزراعية او الارض القابلة للاستغلال الزراعي وكذلك يمكن توفير العنصر البشرى والكوادر المدربة عن طريق مصر ، والامكانيات المادية من الدول العربية الشقيقة مثل السعودية والكويت وغيرها من دول الامارات والجزائر،وانتاج الاسمدة الكيماوية والمبيدات كنواتج ثانوية من آبار البترول والغاز الطبيعي .

وما قيل بالنسبة للسودان يمكن ان يقال عن منطقة الشام لانتاج السكر والحبوب والبطاطس والماشية ، والعراق لانتاج القمح والبطاطس والبلح والدواجن ، والشمال الافريقي لانتاج الزيوت والغلال والضأن ، في ظل تكامل عربى شامل حتى يدخل الوطن العربي العقد القادم بأمضى اسلحة العصر الا وهي الغذاء في ظل الاعداد المتزايدة من البشر والانفجار السكاني الذى يهدد العالم بالمجاعات وعدم الاستقرار وربما الحروب الا من رحم ربى . ■■

عبد الوهاب علام

معهد بحوث المحاصيل بجيزة مصر

■ كان اجدادنا العرب ـ حتى خلال جاهليتهم ـ يقدرون المرأة حين تتقن اى حرفة يدوية تناسبها ، وتؤدى اعمالها بحذق واتقان ، فكانوا يصفونها بانها « صَناع » ، كما كانوا يَضيقون ببطالة المرأة ، او عدم اتقانها احدى الحرف المناسبة ، وبادائها لاعمالها فى هوج فتاتى بها ناقصة او مختلة ، ويصفون هذه المرأة بانها « وَرهاء » او « خَرقاء » ، وقد اصابوا فى تكريم الاولى ، والاستهانة بالثانية ، فلا خير اجدر بان يحرص عليه الانسان فى الحياة ـ رجلا كان او امرأة ـ من اتقانه عملا ينفعه وينفع الآخرين ، ولا شرَّ أجدر ان يجتنبه من البطالة او التقصير فى اداء عمل نافع يختص به ، ويبلغ فيه غاية الاتقان الميسور له ، فان فى البطالة والعمل الفوضى هدما لكيان الانسان نفسا وبدنا ، بل هدما لكيان كل بنية حية ، لان الحى ـ ولو كان نباتا او حيوانا ـ لا يستكمل نموه ويحقق ذاته الا من خلال احتكاكه بمحيطه عن طريق ما يمارسه من اعمال فى معاونته لمحيطه او مقاومته له ، ولا يتيسر ذلك بغير جهد ذاتى مرن منظم ، يدأب عليه طوال عمره ، اذ التربية لا تنتهى الا بالموت ، وهذا الجهد الزم للانسان من سائر الاحياء ، لان قابلياته اكثر وأوسع وأمرن من قابلياتها، ولا شيء من القابليات ينشط وينمو ويتاصل حتى يصير ملكة او سليقة الا بممارسة تجارب شتى واعية مطردة ، تبلغ به الاتقان بقدر ما يحاوله ويستطيعه •

ومن الكلمات الحكيمة الكثيرة التى تدلنا على ان عقلاء العرب منذ الجاهلية كانوا ينفرون من بطالة المرأة ومن قصورها عن حذق حرفة ، أو اداء عملها دون اتقان ـ ما قاله الحارث بن كعب المذحجى يوصى ابناءه وقد دنا أجله « اياكم والحرقاء ، فانها ادوأ الداء ، وان ولدها الى افن (حمق) يكون »، ولم يكن طلب العرفة واتقانها مقصورا على الفقيرات او بنات الدهماء ، بل شمل بنات الاشراف ، لانه يدل على حسن التربية والقدرة على شغل الفراغ ، كما انه يورث القلب شجاعة فى مواجهة تقلبات الحياة •

الحرف النسائية فى الجاهلية

وقد زاولت المرأة العربية منذ الجاهلية كثيرا من الحرف المناسبة لها ولا سيما الحرف البيتية وما يقاربها ، كجمع القوت والحطب ، واعداد الطعام والملبس ، ومن اهم صناعاتها غزل الصوف والوبر ، وفى تقدير ذلك يقول المثل العربى

« نعم لَهو الحرّةِ المغزل » حتى بنات الاشراف كنّ يشاركن فى رعى الماشية وتطبيبها •

ومن الشريفات من اشتغلن بالتجارة واشتركن فى قوافلها ، مثل السيدة خديجة التى كان النبى - قبل بعثته - من المتجرين باموالها ، وعن هذا الطريق تعارفا فاعجبت بفضائله وبراعته التجارية فتزوجا ، ومنهن ام شاعرنا عمر بن ابى ربيعة ، وكانت اعظم تجارتها فى الطيوب والعطور اليمنية ، وكانت الفقيرات يتجرن بالسلع الرخيصة الخفيفة فيدرن بها على البيوت او الاسواق ، ومنهن من كانت تخدم القوافل اذا نزلت فى حيها ، فتقدم لها الماء والطعام ، كما تدلنا على ذلك اخبار غزوة بدر الكبرى وغيرها ، ومنهن من كانت ترضع اطفال غيرها كحليمة السعدية مرضعة محمد (ص) •

وكان من الحرف النسوية النياحة على الموتى ، والسحر ، والكهانة ، والعرافة ، والغناء ، والعزف والرقص ، واخبارهن فى ذلك كثيرة فى تراثنا الجاهلى ، كما كان من صناعات المراة التطبيب اليسير كعلاج الجروح وجبر الكسور ، وقد شاركن فى الحروب بسقيا الماء واعدادالطعام وتشجيع المقاتلة ، ومعالجة الجرحى ودفن الموتى •

حرف النساء العربيات بعد الاسلام

واشرقت شمس الاسلام ، فانتشر العرب فى بلاد كثيرة شرقا وغربا ، وخالطوا اهلها - ومنهم سابقون الى الحضارة،وصناعاتها الراقية -فتعلموا منهم شتى ما عندهم من صناعات ، وازدادت فرص العمل الحرفى امامهم ، وكذلك تعلم نساؤهم من خليطاتهن هناك حرفا شتى ، وزاولنها مثلهن ، الى جانب ما كانت تزاوله جداتهن فى الجاهلية من حرف ، فاشتغلن بكل ذلك ، وشاركن الرجال فى كثير من الحرف المناسبة لهن كالتطبيبوالتعليم والتاليف ونسخ الكتب وتجليدها ، ولم يخل عصر اسلامى من نساء نوابغ شاركن فى تعلم الثقافة الاسلامية بشتى فروعها ، وشاركن فى نشرها بين النساء والرجال ، وكانت منهن من تتخذفى بيتها حلقة تعلم فيها الصغار او الكبار ، حتى الفنون الجميلة كالعزف والرقص والغناء شاركن فيها ، فكانت الحرائر يزاولنها تهذيبا وتسلية ، ولم يكن يحترفها الا الاماء •

وقد استحب الاسلام العمل فى اى حرفة صالحة، وحض عليه واعتبره عبادة رفيعة ، كما جاء فى الحديث «ما عبد الله بمثل عمل صالح » وكذلك اعتبر افضل الرزق ما بلغه المرء بجهده ، كما قال النبى « ما أكل احد طعاما قطّ خيرا من ان يأكل من عمل يده » وفى هذا التكريم للحرف الصالحة تكريم لاهلها مهما يكونوا من رقة الحال او ضعف المنزلة الاجتماعية • وقد كان من زوجات النبى - عليه السلام - زينب بنت جحش وكانت اقربهن رحما به لانها بنت عمته ، ويذكر التاريخ ان زينب هذه كانت فى بيت النبى صناع اليدين تدبغ وتحرز وتبيع ما تصنعه ، وتتصدق بثمنه •

والتاريخ يحدثنا ان عمر بن الخطاب فى خلافته لم يستنكف ان يزوج ابنه عاصما من بائعة لبن اعجب بتقواها ورغب فيها قبل أن يراها ،فعرضها على ابنائه لانه كما قال « لايهش للزواج » ، واختص بها ابنه عاصما لانه كان عزبا، وقد صحت فراسته فيها ، فكانت هى وذريتها من آيات النجابة، فقد انجبت لعاصم ابنته ليلى (ام عاصم) التى تزوجها عبد العزيز بن مروان الاموى لرغبة بنى امية فى التقرب من البيوتات الشريفة ولا سيما الصالحة ، ولما قتل الامويون الحسين فى كربلاء غضب اهل المدينة واجلوا منها الامويين ، فتعرض لهم فى جلائهم الرعاع بالايذاء ، فقاتلت ام عاصم الرعاع لتحمى احماءها الامويين من السفهاء لم هى ام الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى كان قمة فى تقواه وعلمه وعدله ورحمته ، كما كان انجب ساسة بنى امية وخليفتهم الفذ •

وقد بقى العرب فى ازهى عصور حضارتهم الاسلامية يستحبون للمراة انتكون ذات حرفة صالحة تشغل وقتها ، ولو كانت فى غنى عن اى حرفة بكثرة ثرائها وسلطانها واعوانها وخدمها ، وذلك لان المراة كالرجل لابد لها من عمل صالح يشغلها، ويحرك همتها وعقلها ، ويهذب خلقها ، ويقوى صلاتها بالآخرين ، فالعمل حياة وتربية ومنفعة ، واحترافة سبيل المعرفة والكرامة والتعاطف مع الناس والحياة ، سواء كان باجر أو بلا اجر ، ومع الحاجة اليه او دون حاجة ، والبطالة اقوى حبائل الشيطان فى افساد الانسان رجلا كان او امراة ، وتسخيره فى تدمير حياته وحياة الآخرين ، او - على الاقل - فيما لايجديه او يجدى غيره نفعا ولا شرفا •

الحرف في عزلة البيت لا تحرر المرأة

واذا كانت نساؤنا قد عملن بعد الاسلام في مهن اكثر وادق مما كان في الجاهلية ، فان اعمالهن غالبا لم تلجئهن الى الخروج من عزلة البيت الى فضاء المجتمع ، والاشتراك في مسئولياته العامة كحال نسائنا اليوم ، وكذلك كانت النساء في سائر الامم قبل قيام النهضة الصناعية المعاصرة ، ولو كانت اعمال نسائنا يومئذ تلجئهن الى الخروج الى شتى المحافل لازددن معرفة بالناس والحياة كشأنهن اليوم ، ولاستطعن ان ينتفعن عمليا بكل ماقررته لهن منذ البدء شريعة الاسلام في شئونهن الخاصة والعامة، من واجبات وحقوق جاءتهن هدية من السماء عفوا صفوا بلا جهاد منهن ، بل بغير طلب ولا امل ، وهي هدية لم تقدم مثلها الى النساء اى شريعة او قانون حتى الآن ، ولوطدن - اذن سلطانهن الاجتماعي ورفعنه مكانا عليا على اوسع نطاق، ولبدلن وجه الامة بل كيانها ، ولتجنبن كثيرا من المظالم التى حاقت بهن وحاقت بالامة ، لم تزل رواسبها وجرائرها وطيدة حتى الآن • ولكن من اعذارهن قبل النهضة الحديثة عدم تهيؤ المناخ الاجتماعي النسائي لتشرب تلك المبادىء الاسلامية بسبب ضعف اسبابه ، ومنها قلة الصناعات العامة ، ويدويتها ، والاستغناء في معظمها عن النساء بالرجال والصبيان ، ومنها انتشار الامية بين النساء ، وذلك واضح من الموازنة بين حالة النساء في الحضارات القديمة وحالتهن في الحضارة الحديثة.

مع النهضة الصناعية بدأ تحرر المرأة

ففي الغرب بدات النهضة الصناعية الحديثة باكتشاف قوة البخار ثم الكهرباء في ادارة الآلات المتنوعة، صغيرة فكبيرة، وتسخيرها في انجاز مايراد من اعمال كانت مجهولة ، او كانت تتم يدويا ، وقد اضطرت هذه الاعمال اصحابها هناك الى الاستعانة في انجازها بالنساء ، فخرج بعضهن (الفقيرات) من عزلة البيت الى فضاء المجتمع طلبا للكسب ، وقد أغرى الطرفين بذلك ان المرأة غالبا تقنع بمالا يقنع به الرجل من الأجر وتمضى في الصبر والطاعة الى ابعد مما تاباه على الرجل رجولته وكثرة مطالبه ، واعتياده على حظ اكبر من الحرية والاستقلال بامره ، وسهولة اغترابه عن موطنه واسرته، وسهولة انتقاله من عمل الى آخر ولو كان اشق منه، ولا يتيسر ذلك للمرأة مهما تبلغ قوتها نفسا وبدنا •

ومع هذه البداية الصغيرة في الغرب - حيث بدات النساء العمل خارج البيت فرادى وشرائح متفرقة - بدات النهضة النسائية المعاصرة ، وسارت وئيدة في طريقها الشاق الطويل، ثم انتشرت آثارها في سائر بلاد العالم، ولا يعرف ما يماثل حضارة اليوم او يقاربها شمولا ورقيا في اى عصر سابق ، لان اسبابها التى استدعتها لم تعرف من قبل ، فهي حضارة صناعية وهي عالمية شاملة ، فاكتشاف البخار والكهرباء ، وتسخيرهما فيما اخترع من وسائل المواصلات الحديثة قد سهل الانتقال بين شتى اقطار الارض ، وقرب المسافات بينها ، حتى صارت الارض كالمدينة الكبيرة ، وشتى اقطارها كالاحياء المتجاورة ، وكانما ركب فيها جهاز عصبي واحد للحس والحركة ، فحيثما وقع حدث مهم في اقصى الاقطار واضعفها احست به سائر الشعوب واهتزت له ، ومن هنا تعارف المتناكرون ، وتآلفوا طوعا وكرها، وهذه وجهة التاريخ في هذا الطور الانساني المعاصر •

وقد شاركت المرأة في هذه النهضة اضطرارا ثم اختيارا ، وتبينت طريقها ، وكشفت حقوقها وواجباتها ، لاحتياج العمل اليها ، واحتياجها اليه ومن هنا عرفت فضل المشاركة في العمل على اوسع المجالات وما يكسبها ذلك من ثقافة وحرية وكرامة في المجتمع كله ، فمن طريق هذه المشاركة في العمل خرجت من عزلة البيت على استحياء الى فضاء بيئتها ثم وطنها وشاركت الرجل في التعلم والعمل ، فاكتشفت مواهبها وكفايتها ، حتى وثقت بنفسها ثم ازدادت ثقة ، وتطلعت الى المشاركة في كل المسئوليات العامة قومية وعالمية ، وعرفت انها خلقت حرة مستقلة لتعمل الى جانب الرجل بقدر كفايتها وكفايته ، ولتحمل معه كل مسئولية اجتماعية على نطاق العالم كله، وانها لم تخلق جارية مسخرة لخدمته والترفيه عنه ، يتصرف فيها تصرفه في السائمة الداجنة ، ان شاء اعزها او اذلها او نبذها الى الضياع ، وان شعور اى انسان بالتبعية التامة لغيره ، وانه عالة عليه - شعور ساحق للشخصية ، لانه يثير القلق الدائم، والتخبط في المجهول ، ومحاولة توقى العواقب الضارة بالرياء والخداع ، وهذا ماتحاول المرأة

التخلص منه الآن بفضل التعلم والمشاركة فى الاعمال العامة على اوسع نطاق ، وعلى قدر تمسكها بما اتيح لها من ذلك نجحت حتى الآن وستزداد نجاحا طالما حرصت عليه .

النهضة النسائية عالمية

وقد بدات الامم متفرقة ، تدعم قانونيا مقام المراة ، بفتح كل ابواب التعليم لها على اختلاف مراحله وشتى انواعه المناسبة لها ، كما فتحت لها ابواب العمل رسمية واهلية فى معظم المرافق، وقد شاركت الرجل فى اعمال كثيرة : كلاالجنسين صالح لها ، وهناك اعمال هياصلح لها منالرجل، فهى فى طريقها الى الاستئثار بها لمصلحتها ومصلحته العمل ايضا ، ثم جاءت هيئة الامم المتحدة تؤيد كل ذلك وتزيده دعما بتوصياتها وقراراتها الخاصة بالنهضة النسائية ، ومن ذلك توصياتها بشان النساء العاملات .

ولايعنينا هنامافدمته دولنا العربية متفرقة او لجان الجامعة العربية ، او لجنة الامم المتحدةلمركز المراة من تشريعات خاصة بحقوق المراة السياسية، او باحوالها الشخصية كالزواج ، او سائر حقوقها الاجتماعية كحق التعلم ، ولكن يعنينا من حقوقها الاجتماعية حقها فى العمل ، وتدريبها لمزاولته ، واجرها عليه ، وما يخصها فى العمل من مشاكل .

وفى هذا المجال اصدرت « لجنة الامم المتحدة لمركز المراة » عدة اقتراحات او توصيات ، صارت كالاتفاقات الدولية ، اذ اعترفت بها دول كثيرة – ومنها بعض دولنا العربية – فصارت جزءا من قوانينها الوطنية ، كما ان دولنا سنت قبل ذلك وبعده قوانينها الخاصة بشئون المراة العاملة ، وهى تختلف بين دولة واخرى ، وان كانت كلها تحاول ان تقترب من المستوى الرفيع لامثالها فى الدول الراقية . ومن مظاهر عناية دولنا العربية بالمراة العاملة عندنا ما تقوم به « ادارة الشئون الاجتماعية والعمل » فى الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، اذ عقدت عدة مؤتمرات ذات لجان متخصصة ، تعمل على دعم النهضة النسائية بعامة عندنا ، وتعنى ايضا بالمراة العاملة ومحاولة انصافها فى المؤسسات الحكومية والاهلية ، وتنسق بين جهودها جميعا ، حتى تتقارب احوال العاملات فى شتى المؤسسات ، وتكون اشد انصافا ، واقرب الى ما تدعو اليه « لجنة الامم المتحدة لمركز المراة » فى اقتراحاتها الانسانية بشان المراة العاملة .

ومن اقتراحاتها مثلا مساواة المراة بالرجل فى الاجر اذا تساوى العمل ، واكثر دولنا العربية تقرر ذلك ، وقد اجازت ايضا زواج العاملات مع بقائهن فى العمل ، وكان ذلك محظورا ، اذ كان زواج العاملة يؤدى تلقائيا الى اعتبارها مستقيلة، وبهذا استراحت العاملات والدولة من مشاكل كثيرة.

مواعيد العمل وساعاته الاسبوعية

وكانت المراة فى العالم كله تعمل فى نهار او ليل كالرجل ، وفاقا لمطالب العمل ، او لاهواء المشرفين عليه فصدرت توصية دولية تمنع تشغيل المراة ليلا فى اى منشاة صناعية عامة او خاصة (او فى احد فروعها) الا فى حالة الضرورة القاهرة ، وحدد الليل باحدى عشرة ساعة متوالية بين السادسة مساء حتى الخامسة صباحا ، ثم عدل هذا الاتفاق ، فحددت فترة الليل بسبع ساعات من العاشرة مساء حتى الخامسة صباحا ، واستثنى من ذلك العاملات فى مراكز ادارية او فنية ذات مسئولية ، وفى خدمات الصحة والرفاهية . وقد اقرت الجامعة العربية وبعض دولها هذه التوصية ، واخذت بها غالبا ، ولكن لا بسبب ان التوصية دولية ، بل لموافقتها عاداتنا الاجتماعية ، وعاداتنا ارضى لنفوسنا واشد رسوخا ، واذا كانت القوانين فى معظم دولنا لا تحدد مقدار ساعات العمل الاسبوعية للعاملة ، فان بعضها يجعلها ثمانيا واربعين ساعة ، عدا ساعات العمل الاضافية ، ودولنا تتقارب فى ذلك اتباعا للاعراف الجارية فى شتى الامم ، وهى تقوم مقام القانون عند غيابه .

وتقضى التوصيات الدولية بعدم استخدام النساء فى المناجم – اى كل مكان فى باطن الارض تستخرج منه مواد للتصنيع – واستثنت من ذلك الاعمال غير اليدوية : كالوظائف الادارية والصحية والاجتماعية ، وقد اقرت ذلك بعض دولنا ويلاحظ ان بلادنا تكاد تخلو من مناجم تضطر فى استخراج موادها الى تشغيل النساء ، ثم ان اعرافنا – وهى اثبت واوضح – تابى تشغيل النساء فى الاعمال الشاقة او الضارة صحيا ، وان لم تكن كل دولنا قد شرعت ذلك ، ولكنها جميعا تسير عليه ،اتباعا لاعرافنا القومية .

اجازات الوضع بأجر وبغير أجر

واما اجازة الوضع فكانت التوصيات الدولية تقضي فيها بدءا بعدم تشغيل المرأة خلال ستة اسابيع بعد الوضع بمرتب كامل ، ثم تجيز لها قبله انقطاع ستة اسابيع عن العمل بلا مرتب ، ولها حينئذ حقها في تعويض كاف يمكنها هي وطفلها من العيش في احوال صحية طيبة ، ولا يجوز فصلها عند غيابها خلال ذلك على اى حال ، كما انلها ارضاع طفلها مرة خلال العمل. ثم جعل للمرأة دوليا الحق في اجازة اجبارية بعد الوضع ، وترك للقوانين الوطنية تحديدها ، على ان لاتقل الاجازة بعد الوضع وقبله عن ستة اسابيع . ولا نعرف ان دولة من دولنا وافقت على ذلك . ولكن قوانين التامين الاجتماعي في بعض دولنا تضمنه ، كما ان القوانين فيها جميعا تقرر اجازة الوضع، وتختلف في مدتها بين ثلاثة اسابيع وشهرين ، ومعظم دولنا تجعلها بعد الوضع ، وبعضها تبيح جزاء من الاجازة قبل الوضع يحسب من مدة الاجازة الكلية له . وقد اجازت بعض دولنا للعاملة ارضاع طفلها مرتين يوميا خلال ساعات العمل ، كما نصت قوانين بعضها على تهيئة غرفة في مكان العمل لاطفال العاملات اذا كن كثيرات (بلا تحديد) وما دام الطفل دون السادسة ، واوجبت بعضها اعداد مقاعد للعاملات خلال العمل لتامين راحتهن فيه .

وهذا كله يراعى غالبا اذا كانت العاملة موظفة في مؤسسة حكومية او شبه حكومية او مؤسسة اهلية كبيرة .

فاما العاملة في المؤسسات الاهلية الصغيرة فامرها خاضع لوعي صاحب العمل ولمروءته ، وقلما تلجا العاملات هنا ـ لقلتهن وضعفهن وفقرهن ـ الى القانون او القضاء لانصافهن ، ولهذا يبقين في حالة متخلفة ، ومكانتهن في هذه المؤسسات اشبه بمكانة الخادمات في البيوت او أسوا ، لان البيت يلتزم ادبيا للخادم فيه بما لاتلتزمه المؤسسة لمن فيها من عمال وعاملات .

وكثير مما قضت به التوصيات الدولية في شان المرأة العاملة تبنته لجان الجامعة العربية ، ولكن واقع العاملات عندنا دون ماتقرره هذه التوصيات الانسانية ، والمرأة العاملة في الدول المتقدمة احسن حالا من زميلتها في الدول النامية ، ومنها دولنا العربية .

العاملات في الريف

وما قلناه هنا في شان المرأة العاملة عندنا انما يحدث في المدن ، واما زميلتها في الريف فحالها اضعف ، ويلاحظ هنا ان اهل الريف رجالا ونساء يتجهون الى المدن لان فرص العمل فيها اوسع ، وفيها من اسباب النفع والرحمة للصغار والكبار ماليس في الريف ، وفي بعض الارياف تكون المرأة هي العاملة مع الرجل او اكثر منه ، ولكن قلما تلتفت الحكومات الى النساء فيما توزعه من حقول ومنازل على اهل الريف ، فهي لاتعطيهن كما تعطي الرجال ، وفي ذلك انحراف عن العدل والسداد ، اذ هو يعوق الاصلاح في الريف والوطن كله ، ويغرى الريفي الكسول بمزيد من الكسل والاستبداد ، فيظلم المرأة ويظلم نفسه والامة جميعا ، ولا نريد حرمان الرجال بل انصاف النساء ، ويلاحظ انهن احرص على صيانة ما بايديهن ، ومحاولة تنميته مهما يبلغ من القلة والتفاهة ، فاذا استنارت الريفية بالتربية والخبرة كالرجل كانت مثله او خيرا منه في تدبير ما تملك ، وهي لا تانف ان تثمر ما بيدها ولو كان دجاجة واحدة ، وليس الرجل كذلك مهما يشتد فقره وعجزه .

مسئولية الهيئات الشعبية

ولا تغني الحكومات وقوانينها في هذا المجال عن نشاط الشعب افرادا وهيئات ، لاسيما الاتحادات النسائية وفروعها ، حتى تصل آثارها الى الريف في اعماقه ، ومهما تبلغ النهضة النسائية في امة فستبقى مزعزعة الاسس ، غير مامونة النكسة ، ما لم تمتد الى نساء الريف ، وتغرس جذورها هناك ، فالريف مادة الامة في كل مرافقها ، وهو منها بمنزلة الجذور من الشجرة تقوم عليها سائر اجزائها ، وتستمد منها اسباب غذائها ونمائها ، وان لم يكن للجذور مالبقية الاجزاء من حلاوة طعم او بهجة لون ومنظر او طيب رائحة ، ولا امان لنهضة الامة في المدن بغير اتخاذ اصولها في الريف ، وان كانت النهضة في المدن ستبقى دائما اعظم مما هي في الريف ، وبقدر ما تضيق الشقة

بين الحياة فى المدن والحياة فى الريف يكون ذلك خيرا للامة كلها ، وان لم يكن ممكنا ان تتساوى الحياتان ، ولا خير لاحد فى هذه المساواة ·

هل ينفر المجتمع من عمل المرأة

واذا كان فى مجتمعاتنا اليوم كثير ممن ينظرون باستكراه الى المراة العاملة ، فان مما يهون هذه النظر المنحرفة مجافاتها لروح العصر ، وانها ضد المصلحة العامة ، مع مايشوبها من النفاق والهزل ، وهى لذلك الى زوال ، وكثير مناصحاب هذه النظرة لايصدقون مع انفسهم ، لاننا نجدهم فى مقدمة الحريصين على مشاركة فتياتهم ونسائهم فىالتعلم والعمل،للاستحواذ على اعظم ما للنهضة من مغانم المال والمنصب والنفوذ ، والمراة العاملة اليوم تلقى من التقدير والقبول فى كل مجتمع ما لا تجد سواها ·

النظرة التربوية أصوب النظرات

ومهما يكن من حاجة المراة الى العمل وحاجته اليها اقتصاديا ، فلا بد من النظرة اليها واليه نظرة تربوية ، وهذه النظرة اصح النظرات واولاها بالرعاية أولا واخيرا ، لانها وحدها النظرة الانسانية ، والمراة كالرجل انسان ، وليست هى ولا هو سلعة ، ومن حقها وحقه ان ينال كل منهما اعظم حظه من التربية والمشاركة فى العمل الذى يصلح له ، ومهما يكن العمل فلا بد من اعتباره وسيلة تربية ، او هو الوسيلة الوحيدة لها ، ومنه وحده يستمد العامل ـ رجلا كان او امراة ـ تحقيق ذاته وكرامته ، وكل علاقاته بالناس والحياة، فاما البطالة فهى انتحار او قتل بطىء ، وهى مصدر كل فساد وافساد لصاحبها وللآخرين ·

ومهما يكن من امر فان « النساء شقائق الاقوام » اى الرجال كما يقول مثلنا العربى ، وهن نصف المجتمع فبطالتهن مضيعة لهن وللامة جميعا ، لانها تحرم الامة من نصف كفايتها واقتدارها على العمل النشيط النافع ، وما اكثر الاعمال التى تصلح لها المراة بفطرتها وكفايتها كالرجل ، او افضل منه، ومن الاعمال ما لا يصلح له الرجل، فاذا اسندت هذه الاعمال للمراة فرغ الرجل الى ماهو به اولى وعليه اقدر من سائر الاعمال ·

برامج التنمية والمرأة

وهناك برامج التنمية الاقتصادية فى دولنا وغيرها ، ولا فلاح لها فى اى دولة مالم تعتمد على برامج التربية الاجتماعية ، وتتخذها اساسا ، وكل برنامج اجتماعى او اقتصادى لايعول على المراة الى جانب الرجل فيتيح لها مثله فرص العمل والتدرب عليه ، حتى تبلغ وسعها من القدرة والكفاية ـ فهو برنامجاعرج او كسيح · والعنصر الانسانى فى كل تنمية اقتصادية او اجتماعية وفى كل عمل هو اهم العناصر ، وذوو الكفاية فيه اعز وجودا ، وغاية كل شىء مصلحة الانسان ، او كما قال السيد المسيح « خلق السبت للانسان ولم يخلق الانسان للسبت » وصلاح البلاد بصلاح اهلها وهم كنوزها الحقيقية لا ما فى بطنها او على ظهرها من ثروات ·

القوانين وسيلة توعية وانصاف

ونحن لا نغالى بقيمة القوانين وان كنا نحرص عليها ، لانها وسيلة توعية وتربية للجماهير ،وكثيرا ماتكون السلطة التشريعية اسبق وعيا فتسن القوانين لتنبيه جمهورها الى ماينبغى له ، ومهما يكن من طاعة الناس او عصيانهم للقانون فوجوده خير من عدمه والرياء بالفضيلة ـ مع قبحه ـ شر من المجاهرة بالرذيلة،وقيام القانوندليل على خير مؤجل او مؤمل،واعتراف المدين بدينه ـ ولو دون سداد ـ خير من انكاره له ومن حق الخير ان يؤمل ، ولهذانطالب دولنا بسن القوانين التى تدعم مكانة المراة العاملة ، وتضمن لها الانصاف ، وقد كانت المراة عندنا قديما فى حمى اهلها قبل الزواج ، وحين يطلقها زوجها او يموت عنها ، وقد تراخت اليوم هذه العلاقات الاجتماعية لاسباب لايعنينا هنا بيانها ، ولكن يعنينا ان المراة اليوم فقدت حمى الاسرة او العشيرة ، ولا حمى لها الا عملها الذى تحسنه ، ورزقها منه ، ومهما يكن حماها عزيزا عند اهلها فهى لاتامن صروف الزمان ، وكل خطب محتمل عندها ما بقيت لها حرفة تحسنها ، وترتزق منها ، فتسد حاجتها وتصون كرامتها ، والا فهى ضائعة · ولا خير فى حياة لا يجد فيها الانسان ما يصون كرامته ، ويكفل رزقه معا · ■■

محمد خليفة التونسى

لها في اللغة الفصحى أصالتها

ندعو إلى استعمالها كتابة ومحاضرة

نقول : الرجلان حضرا
ونقول : الرجلان حضروا

■ تعود الاسماء في اى لغة الى بداية الزمن الذى نشات فيه هذه اللغة ، بل أن الاسماء هي اول ما يظهر في اى لغة ، ومن الاسماء أو بعدها تنشا الانواع الاخرى من الكلمات فيها ، وبنشوء الاسماء ينشا ما ينوب عنها في الكلام كالضمائر ، ومثلها اسماء الاشارة ، والاسماء الموصولة ، وكل علامة لسانية تدل عليها ، سواء من حيث دلالتها على العدد (المفرد والجمع) او من حيث دلالتها على الجنس (المذكر والمؤنث) •

واذا درسنا الاسماء من حيث دلالتها على العدد نجد انها فيلغتنا الفصيحة تختلف عما هي عليهفي سائر اللغات المعروفة قديمة وحديثة ، فالاسم في فصيحتنا اما مفرد أو مثنى أو جمع ، والاسم في عامة اللغات غالبا اما مفرد واما جمع، واذا وجدت في قليل منها آثار للتثنية فهي لا تتسع ولا تطرد في كل الاسماء وما ينوب عنها كما هي مطردة في لغتنا الفصيحة •

فالقاعدة العامة في اللغات هي أن الاسماء في دلالتها العددية اما أن تدل على الافراد ، أو الجمع وكذلك ما ينوب عنها ، والقاعدة الخاصة بلغتنا الفصيحة هي أن هذه الاسماء وما ينوب عنها ذات أحوال ثلاثة : الافراد والتثنية والجمع ، وهذه بعض الامثلة :

هذا هو الشاعر الذى فاز بالتقدير •

هذان هما الشاعران اللذان فازا بالتقدير •

هؤلاء هم الشعراء الذين فازوا بالتقدير •

وهذا ما نقوله حين نقتصر على حالات التذكير ، فاذا اردنا استيعاب حالات التانيث أيضا قلنا :

هذه هي الشاعرة التى فازت بالتقدير

هاتان هما الشاعرتان اللتان فازتا بالتقدير

هؤلاء هن الشاعرات اللواتى فزن بالتقدير •

وندع هنا دلالة الجنس من تذكير وتانيث ، ونحصر كلامنا في دلالة العدد افرادا وتثنية وجمعا •

فالملاحظ في الجمل السابقة ان حالة التثنية واضحة متميزة في الاسم او الوصف، وفي الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول، ثم في الف الاثنين الملحقة بالفعل ، الدالة على التثنية (١) •

ولغتنا الفصيحة لا تخرج فيالتثنية عن قاعدتها

---

(١) لا شأن لنا هنا بالخلاف بين النحويين فيألف الاثنين ، هل هي ضمير ، أو اسم ، أم هي مجرد علامة للتثنية ، فهي حرف ، وان كنا نميلالى أنها حرف في الفعل كما هي في الاسم ، مثل « العارفان يعرفان » •

الخاصة بها الى القاعدة العامة بين سائر اللغات الا نادرا، والشرط فى هذه الندرة او هذا التوسع هو أمن اللبس عند السامع اعتمادا على فهمه ، وذلك حين يوحى اليه المقام بالمقصود ، وكثيرا ما يعتمد الفصحاء على فهم السامع فى مثل هذه الحالة ، اذ لا خوف من اللبس او الخفاء • فيقول العربى الفصيح أحيانا : « محمد وعلى حضروا ، بدلا من ان يقول : « حضرا » وقد يحدث هذا فى الفصيحة احيانا ، وهو تعبير صحيح، وقلما يلتفت اليه مع انه من سنن العربية ، ولهذا يدهش من يفاجأ به اذا لم يتنبه سريعا اليه ، وقد يظنه خطأ او لحنا • ومن ذلك ما ذكر من ان الشعبى كان يتحدث فى مجلس عبد الملك بن مروان ، فقال : « رجلان جاءونى » فقال عبد الملك : «لحنت يا شعبى » قال : « يا أمير المؤمنين ، لم الحن ، مع قول الله تعالى : هذا خصمان اختصموا فى ربهم » فقال عبد الملك : « لله درك يا فقيه العراقيين قد شفيت وكفيت » •

ومثل هذا قليل ، ومنه قول الله تعالى

«وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله » •

وقوله « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما » ولم يقل « يديهما » ، مع ان هذا هو المقصود ، لان السارق لا تقطع له فى سرقة واحدة الا يد واحدة•

وقوله تعالى فى خطاب زوجتين من زوجات النبى عليه السلام : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » اى مالت ، ولم يقل « قلباكما » ولكل منهما قلب واحد ، اذ « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » ولا لامرأة •

ومعلوم تاريخيا ان النبى حين هاجر خفية من مكة كان فى صحبته أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة يخدمهما ، وفى طريقهم الى المدينة نزلوا خيمة أعرابية تسمى « ام معبد » ـ وكان زوجها غائبا ـ فاستضافتهم بقدر ما يتاح لفقيرة مثلها ، فلما عاد زوجها ابو معبد اخبرته بقصة ضيوفها فى غيبته ، وان بينهم رجلا مباركا ، وكانت قصة افلات النبى ناجيا من رقابة قريش قد ذاعت فى اكثر بوادى الحجاز وحواضره ، حتى سمع بها ابو معبد ، فلما سمع من زوجته خبر هذا الرجل المبارك طلب منها ان تصفه ، ولا يعنينا هنا من وصفها البارع للنبى الا قولها فيه بين رفيقيه « غصن بين غصنين ، فهو انضر الثلاثة ، له رفقاء يحفون به ان قال انصتوا لقوله ، وان امر تبادروا الى امره » فقال : « هذا صاحب قريش » • فهى بعد قولها « غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة » ، لم تقل : « له رفيقان يحفان به ، ان قال انصتا لقوله وان أمر تبادرا الى أمره » •

ولغتنا الدارجة ـ تراعى التثنية فى الاسماء ، فتقول : رجل ورجلين ورجال ، وكتاب وكتابين وكتب ، ولكنها فى الاوصاف والضمائر واسماء الاشارة لا تراعى التثنية ، بل تسير على القاعدة العامة لسائر اللغات،وهذا ما تسير عليه الفصيحة كما اوضحنا ، فنقول فى الدارجة مثلا « محمد وسعيد حضروا ، وملابسهم فاخرة ، وهم مؤدبون » وكل هذا عربى فصيح •

معاملة المثنى كالمفرد

وقد يعامل المثنى فى الفصيحة معاملة المفرد اذا كان الاثنان يقومان بعمل واحد كالعينين، والاذنين، واليدين ، فتقول : « عيناى ابصرت شبحا، واذناى سمعت غناء ، ويداى امسكت كتابا » •

وقريب من ذلك ان يذكر شيئان ثم يعاد الضمير على احدهما مع ان المقصود هو الشيئان ، ومن ذلك قول الله تعالى فى عتاب بعض الصحابة « واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما » ، فعاد الضمير على التجارة ، مع ان « اللهو » مقصود ايضا ، ومثله قول الله تعالى فى تهديد من يكنزون المال : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » والمقصود الذهب والفضة ومثله قوله تعالى : « والله ورسوله أحق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين » والمقصود « ان يرضوهما » •

■■

م • خ • ت

ركن الأسرة والمرأة

كان ثرياً فأشقاها

ثم عاد اليها فأسعدها وشفاها !

■ اين السعادة ؟

هل هي في المال الذى نجمعه ونملأ به جيوبنا ؟

هل هي في الجاه والسلطة والنفوذ ؟

هل هي في البنين الذين تنجبهم للدنيا ، فيملأون حياتنا ؟

انها ليست في شيء من هذا كله !!

يقول ايمرسون ، فيلسوف امريكا : « ان السعادة لا تشترى ، لانها احساس داخلى ينتاب المرء رجلا كان ام امراة .. وهو قد يجدها ، وهي قد تعثر عليها ، في اى مكان .. في اى شيء .. في اى ظروف قد لا تمت الى المال والجاه والبنين بصلة من قريب او من بعيد .. ! »

* * *

ويقول سمايلى بلانتون : « ان السعادة الحقيقية لا تجيء الا باحساس الانسان بقيمة الحياة ، واحساسه بهؤلاء الذين يشاركونه حياته ويعيشون معه وحوله . فلا سعادة بين تعساء ، ولا تعاسة وسط السعداء في الاسرة الواحدة .

يروى بلانتون قصة الرجل الذى ظن في يوم ما انه قد ملك الدنيا بين يديه ، وانه استطاع ان يشترى السعادة لنفسه ولاسرته .. ثم ما لبث ان اكتشف ان اموال الدنيا كلها لم تستطع ان تعوضه عن شيء واحد ، طالما تاق اليه وافتقده .. لم تستطع ان تعوضه عن الحب الذى غاب عن قلبه في غمرة انشغاله بجمع المال الذى تصور انه السعادة كلها حتى لم يعد في قلبه متسع لغير المـال .

كان زوجا وابا لثلاثة اطفال اكبرهم في التاسعة من عمره ، وكان رجل اعمال ناجح وكان يجرى وراء رزقه الكبير ، تماما كما يجرى الارنب من مكان الى مكان ، وسط الحقل الفسيح ، باحثا عن العشب الاخضر حيث يكثف ويكثر فيظل ياكل وياكل حتى يمتلىء .. فاذا شبع ، راح يبحث عن الماء يعب منه ، فاذا فعل ، ركن الى الهدوء، ولكننا سرعان ما نجده قد عاد الى القفز من جديد بحثا عن المزيد ، حتى قبل ان يجوع !

كان الرجل دائم الحل والترحال ، ينزل من القطار الذى عاد به من رحلة طويلة ، ليركب قطارا آخر .. وتهبط به الطائرة ليستقل طائرة اخرى الى حيث تنتظره صفقة جديدة من تلك الصفقات

الناجحة التى كان يجمع من ورائها ثروات هائلة راحت تقفز برصيده فى البنوك الى ارقام خيالية لم يكن يحلم بها اى شاب فى مثل سنه ، وهو الذى لم يكن قد بلغ بعد عامه الخامس والثلاثين !

وكان يعود الى بيته والى زوجته واطفاله ، بعد غيباته الطويلة احيانا ، القصيرة احيانا ، فيتعلقون به ويلتفون حوله ، ولا يتركونه الا عندما يرجوهم ، ويلح فى الرجاء ان يدعوه وشانه، فقد استبد به التعب وهو يريد ان ينام ليستريح !

وعلى مقربة من الفراش الذى نام عليه الزوج وحده ، مع احلامه السعيدة بالمال الوفير الذى كان يجرى بين يديه ، ومع قصص النجاح التى كانت تمر فى مخيلته وكانها شريط سينمائى لا ينتهى ، كانت زوجته وام اطفاله تجلس على هذا المقعد الصغير ، ترقب هذا الجسد المتهالك امامها على الفراش ، وفى عينها دمعة ، وفى قلبها غصة ٠٠ هل هذه هى الحياة التى كانت تحلم بها مع الرجل الذى ارتضته زوجا لها ؟ هل هذه هى السعادة التى كانت تنتظرها عندما اصبحت اما ؟ انه لا يكاد يحس باطفاله ٠٠ انه لا يراهم لاكثر من ساعات معدودة مرة او مرتين كل اسبوع ٠٠ انه لا يعرف شيئا عن حياتهم وكيف يمضون وقتهم بعيدا عن الاب الغائب دائما ٠٠ لقد بدا اصغر اطفالها الذى دخل عامه الثانى ، ينطق بتلك الكلمات التى يتوق كل الآباء الى سماعها ٠٠ مع خطواته الاولى المترددة الضعيفة على الارض ، بدا يناديها « ماما » ٠٠ فقد كان يسمع اخوته وهم ينادونها ، فهى دائما معهم ووسطهم ٠٠ وعز على الام ان تسمع اسمها وحده يتردد على لسان الطفل الصغير ، فراحت تعلمه كيف يقول « بابا » ٠٠ ولكن بلا جدوى ، فلم يكن الصغير يرى اباه الا للحظات قصيرة يحمله فيها،كما يفعل اى‌رجل آخر من‌الاقارب والاصدقاء ٠٠ وكم من مرة جاءت اليه مهرولة وهى‌تسمع صياحه فاذا به تراه بين ذراعى والده ، وكانه يستنجد بها ان تنقذه ٠٠ ولا يعود الطفل الى هدوئه الا عندما تتلقفه امه وتضمه الى صدرها وتحنو عليه ، وهو لا يكف عن التطلع الى والده بعينيه اللتين امتلاتا بالدموع وكانه يسال : « من انت ؟! » ٠

★ ★ ★

كان الاب يعود الى بيته محملا بالهدايا ، لزوجته واطفاله ، ولكن هداياه لم تكن تسعدهم كما كان يتوقع ، حتى عندما كان يقف وسطهم ويفضها بيديه ويقدمها لهم ، لم يكن يحس بان هداياه قد غيرت شيئا ٠٠ فقد كانوا ينظرون اليه كما لو كان ضيفا لا يكاد يستقر به المقام بينهم حتى يغيب عنهم من جديد ٠٠ وكانوا يتطلعون اليه بعيون استبدت بها الحيرة ، وكانهم يتساءلون : « متى تعود الينا ؟ متى تعيش وسطنا كما يفعل كل الآباء ؟ » ٠٠ لقد افتقدوه فى الحفلات التى تقيمها المدرسة ٠٠ وافتقدوه فى الرحلات التى كانت تصطحبهم امهم اليها ٠٠ فكل الاطفال من

حولهم مع ابويهم .. كل زملائهم واصدقائهم يتحدثون عن مغامراتهم مع آبائهم الذين نزلوا معهم الى حمام السباحة ، وانضموا اليهم فى مباراة كرة القدم ، وجلسوا يشرحون لهم ما صعب عليهم فهمه من الدروس .. اما هم فقد كانوا دائما مع امهم وحدها .. او كانوا دائما وحدهم فى رعاية آباء غيرهم من الاصدقاء عندما تعتذر لهم امهم عن مرافقتهم ، لان امامها عمل كثير ينتظرها فى البيت ، او لان اخاهم الصغير فى حاجة الى رعايتها ..

★ ★ ★

اما هى .. الزوجة والام التى نسيها رجلها فى زحام حياته الحافلة بالاسفار جريا وراء المال ، فقد كان الحزن يعصر قلبها ولكن فى صمت..كانت تنام وعيناها مفتوحتان وقلبها وفكرها مع الرجل الذى دخل فى سباق مع الناس ومع الزمن من اجل تلك الثروة التى كان يحدثها عنها كلما اضاف اليها شيئا جديدا .. الى ان جاء يوم صممت فيه الزوجة على ان تنفس عما فى صدرها من الم حبيس ، فتكلمت .. قالت : « الا يكفينا ما جمعت ؟ » واجاب الزوج وعلى شفتيه ابتسامة « استنكار » : « وهل يرفض الرجل المزيد من المال لان عنده ما يكفيه ؟ كفى عن هذا الحديث يا عزيزتى .. وتذكرى دائما اننى انما افعل هذا كله من اجلك انت ، ومن اجل اطفالنا .. من اجل حاضرهم ومستقبلهم البعيد .. ثم ماذا ينقصك انت... انك تسكنين بيتا اشبه ما يكون بالقصور .. وعندك كل ما تتمناه المراة وتشتهى .. الملابس الفاخرة والمجوهرات الثمينة .. وكل شىء .. اليست هذه هى الحياة التى تتمناها كل امراة ؟ ثم اننى لا اريد ان احرم اطفالنا من شىء .. فقد عرفت الحرمان فى طفولتى ، ثم لا تنسى كم عانينا فى بداية حياتنا .. هل نسيت ايام الفقر والعوز التى عشناها ونحن نبدا رحلة الحياة معا ؟

هل نسيت الاهل والاصدقاء الذين تنكروا لنا وتخلوا عنا فى اشد لحظات الضيق التى مررنا بها ؟ لقد اصبحنا اثرياء .. ولم يكن لاحد اى فضل فيما وصلنا اليه .. فقد صنعت هذا كله بجهدى وعرقى .. الا يكفيك هذا يا عزيزتى ؟

قالت : « ولكنك نسيت شيئا هاما .. نسيتنى انا نسيت أطفالك .. اننا لسنا فى حاجة الى مالك بقدر ما نحن فى حاجة اليك..الى حبك والى رعايتك .. ان البيت السعيد يا عزيزى لا تصنعه امراة بغير رجل ، ما من مرة بحثت عنك ، واحتجت اليك فوجدتك بجانبى ! حتى لقد كدت انسى انى زوجة .. ربما كان الشىء الوحيد الذى ما زال يصل بينى وبينك هو هؤلاء الاطفال الذين اصبحت لهم اما واصبحت لهم انت ابا .. اننا نريدك انت ! » .

وضحك من « سذاجتها » ، ولم يتكلم ، فقد كان موعد سفره قد اقترب ، فى رحلة اخرى من رحلاته التى يعود منها غانما دائما .. فقام يجمع ملابسه ويضعها فى الحقيبة التى اعدتها له زوجته ، واقترب منها يودعها،ولم تستطع ان تحبس دموعها، فبكت !

وانقضى اسبوع كامل .. كانت اطول مدة يغيب فيها الزوج عن بيته واطفاله .. واحست بقلق شديد .. خشيت ان يكون قد الم به مكروه ، ولكنها تمالكت نفسها ، واخفت دموعها عن الاهل والاصدقاء .. وراحت تنتظر .

وانقضى اسبوع ثان ، وكادت الزوجة المسكينة تخرج الى الشارع تصرخ وتستغيث .. واخيرا عاد اليها .. وافلتت منها صرخة مكتومة ، عندما راته يقف امام باب البيت الخارجي ، قبل ان يمد اليها ذراعيه ويرتمى على الارض عند قدميها !

واسرعت تساعده على النهوض .. كان الليل قد انتصف ، وكانت تجلس وحدها مع افكارها واحزانها ، كما تعودت كل ليلة ، عندما ياوى الاطفال الى فراشهم ليناموا ، ويهرب النوم من عينيها هى .. كان الصمت يلف البيت الكبير عندما عاد اليها حطاما للرجل الذىعرفته ! واستند اليها واتجها معا الى فراشه ليلقى عليه جسده المتعب المهدود ..

واسرعت الى المطبخ لتعد له قدحا من الشاى .. ولكنها ما لبثت ان احست بخطواته تقترب منها ، وبانفاسه الباردة تلفح وجهها !

قالت : « يجب ان تستريح .. ارجوك ان تعود الى فراشك .. ساعد لك الشاى فورا ! » .

قال : « لقد انتهينا يا عزيزتي..ليتنى استمعت الى نصائحك .. ليتنى اكتفيت بما جمعنا من مال .. لقد ضاعت ثروتنا .. فقدتها كلها فى صفقة واحدة .. لم اعد املك شيئا حتى هذا البيت الذى نعيش فيه ! » .

★ ★ ★

واحست الزوجة بوقع الصدمة على رجلها .. ولكنها تمالكت نفسها ، وضمته الى صدرها ، كما لو كان طفلا صغيرا .. وراحت تداعب شعر راسه باناملها .. وانتابها احساس عجيب .. شعرت بان شيئا ما قد حدث فى تلك اللحظة..احست بزوجها الذى عرفته منذ اكثر من عشر سنوات يعود اليها فجاة .. لقد عاد اليها فقيرا كما كان ، عندما التقيا وتحابا وتواعدا على الزواج ..

« واحست بالحياة تعود اليه من جديد .. اليس غريبا ان يحدث هذا كله مع الفقر ، وان تفتقده فيه تماما مع الثروة والجاه .

وتطلعت اليه ، فرات عينيه تمتلئان بالدموع .. لقد كان يبكى كما يبكى الاطفال .. ومدت اصابعها تمسح بها دموعه ، وتكلمت : « قالت : لا يا عزيزى انك لم تفقد كل شيء .. فما زلت انا معك ، وما زال اطفالنا يملأون حياتنا ! تعال معى نجلس ونتحدث ونبحث معا مشاكلنا ومستقبلنا .. »

وجلسا حيث كانت تجلس وحدها كل ليلة .. ومضت تكمل حديثها الذى بداته منذ لحظات ، قالت : « اياك والياس يا عزيزى .. اننا نستطيع دائما ان نبدأ من جديد .. لقد اقتصدت مبلغا لا باس به من المال الذى كنت تغدقه علينا بلا حساب .. ثم لاتنسى ان لدى مجموعة من المجوهرات الثمينة ، اننى لست فى حاجة اليها الان ، بعد ان عادت الى اغلى جوهرة .. بعد ان عاد الى زوجى .. لقد تصورت انت فى يوم من الايام انك تستطيع بهذه الاشياء الصغيرة ان تعوضنى عن نفسك .. نعم صغيرة ، فلا شيء فى الدنيا يعوضنى حبك ! » .

★ ★ ★

وحملت الاسرة الصغيرة ما تبقى لها من هذا البيت الكبير ، ونزحوا الى الريف ، حيث قرر الزوجان شراء مزرعة صغيرة يعيشان مع اطفالهما فى وسطها ، ويشتغلان بالزراعة وتربية الدواجن والابقار ..

واصبح الزوج مزارعا ، ولكنه لم يكن وحده فى هذا العمل الجديد الذى تعيش عليه الاسرة وترتزق منه .. لقد كانت زوجته معه ، تعاونه وتساعده وتشاركه كل عمل يقوم به .. واحس بها ، فقد كانت قريبة منه ، وكانت تعمل طول النهار ولا تكف عن العمل ابدا .. وكثيرا ما وقف يتوسل اليها لكى تريح نفسها ، وهو يرى العرق يتصبب منها ، والتعب يبدو على وجهها المرهق .. فكانت تضحك وتقول : « ان هذا هو الذ عرق واجمل تعب عرفته فى حياتى معك يا عزيزى ! » .

لقد كان يرقبها وهى تصحو فى الفجر لتطعم الدجاج ، وتحلب الابقار ، وتعد طعام الافطار له ولاطفالها وكانت الدهشة تستبد به وهو يكتشف هذه القوة فى تلك الانسانة الرقيقة الجميلة التى بدا يراها ويحس بها لاول مرة منذ عشر سنوات ! .

واكتشف الزوج شيئا آخر .. اكتشف نفسه ، واكتشف زوجته وشعر لاول مرة بهذا الشعور الذى غاب عنه سنوات طويلة..شعور الاب بزوجته وابنائه واسرته .. واحس بسعادة غامرة تغمر صدره ، وتدفعه الى المزيد من العمل والمزيد من الانتاج من اجل اسرته .. ونجح الزوجان فى عملهما الجديد .. وعادت السعادة الى الاسرة الصغيرة تحت سماء الريف الصافية ، ومياهه العذبة والخضرة التى تكسو ارضه الطيبة ..

واشرقت الشمس معلنة بداية فجر جديد .. وصحت الزوجة من نومها لتستقبل يوما جديدا .. ولكنها لم تكن تقف وحدها عندما فتحت نافذة غرفة نومها لتملأ رئتيها بنسيم الصباح .. كان زوجها يقف بجوارها ويلف عنقها بذراعيه ، ويهمس فى اذنها : «اننى احبك ! لا،اننى اعبدك يا عزيزتى!»

واغرورقت عيناها بالدموع .. فقد كانت هذه اول مرة تسمع فيها هذه الكلمات الحلوة التى تترق الى سماعها كل زوجة ، منذ اكثر من عشرة اعوام !! ■■

(م ٥ ن)

■ « الفنان هو انسان صاحب مهنة ٠٠ مثلهفي ذلك مثل اى شخص ، مع اختلاف بسيط ولكنه اساسي ٠٠ فالطبيب عنده زبائنه ٠٠ والبقال عندهزبائنه ٠٠ وصاحب المطعم عنده زبائنه ٠٠ كلهم عندهم الزبائن الذين يشترون منهم انتاجهم ٠٠٠ما عدا الفنان العربي ٠٠ فهو الوحيد من بين اصحاب المهن الذى ليس عنده زبائنه المستديمونالذين يقبلون على شراء انتاجه !! لهذا نجده مضطرا للكفاح في مجالات اخرى بعيدة عن مجالابداعه،من اجل ان يوفر لقمة العيش له ولاولاده».

كان الاستاذ حسين بيكار ، الفنان العربي الكبير الذى تتلمذ على يديه مجموعة من اكبر الفنانين العرب ، يتحدث الينا في صالة الفنون بالكويت اثناء افتتاح معرض الكويت الرابع للفنانين التشكيليين العرب ٠٠

أسف

وتابعنا حديثنا مع الاستاذ بيكار قائلين : « ٠٠ ولكنك عالجت الموضوع من ناحية ، وتناسيت ما يشكوه المواطن العادى من الارتفاع الفاحش في اسعار اللوحات الفنية العربية ٠٠ » .

فاجابنا بمرارة : « سعر الفن في العالم كله مرتفع ، ما عدا الفن العربي ، فهو يباع عندنا بسعر التراب ، ومع ذلك نشتكي ونتذمر من ارتفاع اسعاره ، متجاهلين ان الفنان يعطى قطعة من ذاته في كل عمل فني ينتجه » .

« ومن المؤسف ان المواطن العربي ما زال يتفاخر ويتباهى بانه دفع اكثر من ١٠٠ جنيه للراقصة التي « احيت » لمدة ربع ساعة حفل زواج ابنه ، ولكن نفس هذا المواطن لا يتفاخر ابدا بوجود لوحة فنية اصلية في منزله ٠٠ »

الاصالة والادعاء

وهنا سالنا الاستاذ حسين بيكار : « قلت ان الفنان يضطر للكفاح في مجالات اخرى لتامين حياته ٠٠ فما رايك في ان بعض الدول العربية ، عندما قدمت للفنان « بدل تفرغ » اصابه الكسل وهبط مستواه وتوقف عن الانتاج ٠٠ »

فقال : « الفنان الاصيل لا يتوقف عن عمله ابدا، حتى لو وضعته في زنزانة فهو سوف يرسم بالحديد او الحجر الذى يلقاه ٠٠ لهذا تجد الفنان الاصيل لا يحتاج الى « بدل تفرغ » لينتج ، وانما يحتاجها ليعيش ٠٠ ومن الظلمان نفرض على الفنانالاصيل رقابة ، لانى لا اتصور ابدا عملية تحديد مقدار معين من العمل على الفنان الاصيل ، فهو قد ينتج طوال العام عملا فنيا واحدا يكون روعة من الروائع ، تفوق عشرات اللوحات التي قد ينتجها مجموعة من الفنانين او ادعياء الفن » .

١٣٩ عملا فنيا من ١٤ دولة عربية

كان الاستاذ حسين بيكار يتحدث الينا في صالة الفنون بالكويت حيث اقيم المعرض الرابع للفنانين التشكيليين العرب ٠٠ معرض يطلقون عليه اسم « بينالي الكويت » وهو اسم ايطالي لانه يعقد فيها كل عامين اى « كل سنتين » ٠٠ توجه فيه الكويت الدعوات رسميا الى جميع الحكوماتالعربية

امام تمثال « اتزان » وقف الاستاذ حسينبيكار، والفنان ايوب حسين يستمعان الى شرحالاستاذ « صبحي جرجس » ، صاحب التمثال .

« الدار » لوحة جمعت بين الدار وادوات الطرب التقليدى استوحاها الفنان البحرينى « احمد حسين المريفى » ، من اغنية « شادى الخليج » مطلعها « ويطربنا على اللذات عود .. » وقد كتبها الفنان فى اسفل لوحته .

« ريشوك السنانى » اى اقطار البنائين .. لوحة من واقع الحياة التى اندثرت . رسمها الفنان الكويتى « ايوب حسين » ، لقد اهتم بالمعنى وبالموضوع العام . ولم يهمل شيئا من طين وحصى جندل وصخور مستخرجة من البحر وصفيحة الماء ..

لتختار اروع اعمال فنانيها وترسلها مع فنان تستضيفه الكويت .

وفى معرض هذا العام اشتركت ١٤ دولة عربية وتغيبت ست دول هى : العراق ، والجمهورية العربية اليمنية ، وموريتانيا ، ودولة الامارات ، وسلطنة عمان ، والصومال ..

ومن خلال الاعمال الفنية التى عرضت ، وعددها ١٣٩ عملا ، ظهر الصراع واضحا بين الاسلوبين : التجريدى والواقعى ..

بيكاسو واللص والبطيخ !

والفنان التجريدى هو الفنان الذى يحاول تحطيم الشكل المألوف المعتاد للصورة .. انه فى ثورة على « اسلوب الكاميرا » او ما تراه العين .. « انى ارى ابعد مما تراه العين .. » هذا ما قاله لنا احد الفنانين التجريديين العرب ..

وهذا القول ذكرنا بأقصوصة مشهورة ينسبونها الى الفنان المعروف بيكاسو : « .. شاهد بيكاسو لصا فى منزله ، ولكنه لم يحرك ساكنا ، وانما عمد بعد هرب اللص الى رسم صورته تماما كما رآها، وعمموا الرسم على مراكز الشرطة .. وفى اليوم التالى تم القبض على ٣٠ حصانا و ١٠ بقرات وكمية من البطيخ والشمام ، للاشتباه فى انها مطابقة لرسم اللص الذى سرق بيكاسو !!» .

مداعبة مع الفراغ

وقد تركزت اللوحات والتماثيل التجريدية فى القسم المصرى من المعرض .. ووقفنا طويلا نتامل تمثال « اتزان » سيخ من الحديد مطلى بالبرونز يرتكز على قاعدة صغيرة ، وطلبنا من صانعه ، الاستاذ صبحى جرجس سعد الاستاذ بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، ان يحدثنا عن « تمثاله »

الى اسفل : الاستاذ عبد العزيز حسين وزير الدولة، والاستاذ سعدون محمد الجاسم وكيل وزارة الاعلام . يفتتحان معرض الكويت للفنانين التشكيليين العرب ·

العمل رقم ٥٠ هو عنوان لوحة الفنان الكويتى عبد الله سالم ، وقد جسد فيها التراث القديم باسلوب معاصر حديث ··
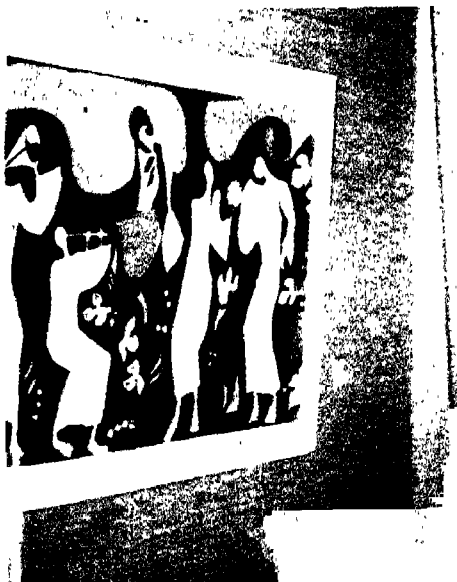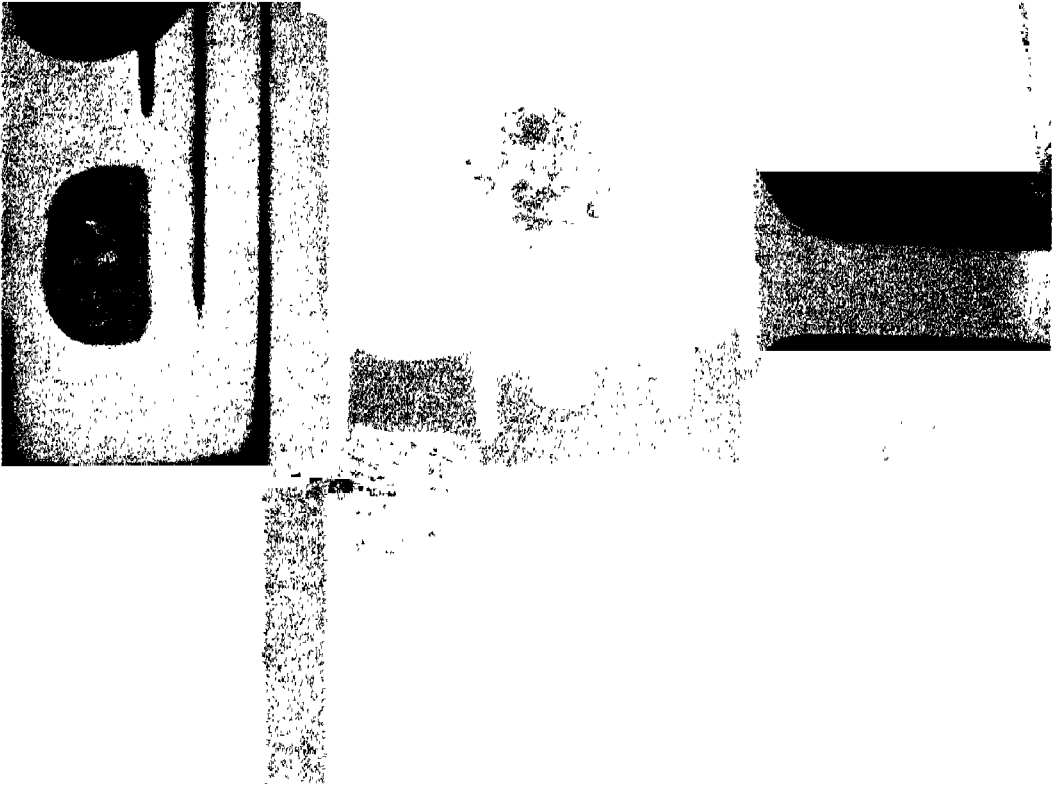
تميزت بعض اللوحات المعروضة باستعمال الحروف العربية والآيات القرآنية باشكال زخرفية جميلة ..
وهذه لوحة « بسم الله » للفنان اللبناني وجيه نخلة الذى تخصص فى استعمال الخط العربى في لوحاته،
الى جانب وحدات زخرفية من السيرة النبوية .. وهذا النوع من اللوحات يلاقى اقبالا كبيرا من الجمهور.

السعلوة او الغول .. نحت رائع من الخشب للفنان الكويتى
عيس صقر ، اضاف اليه القلائد والاساور ..
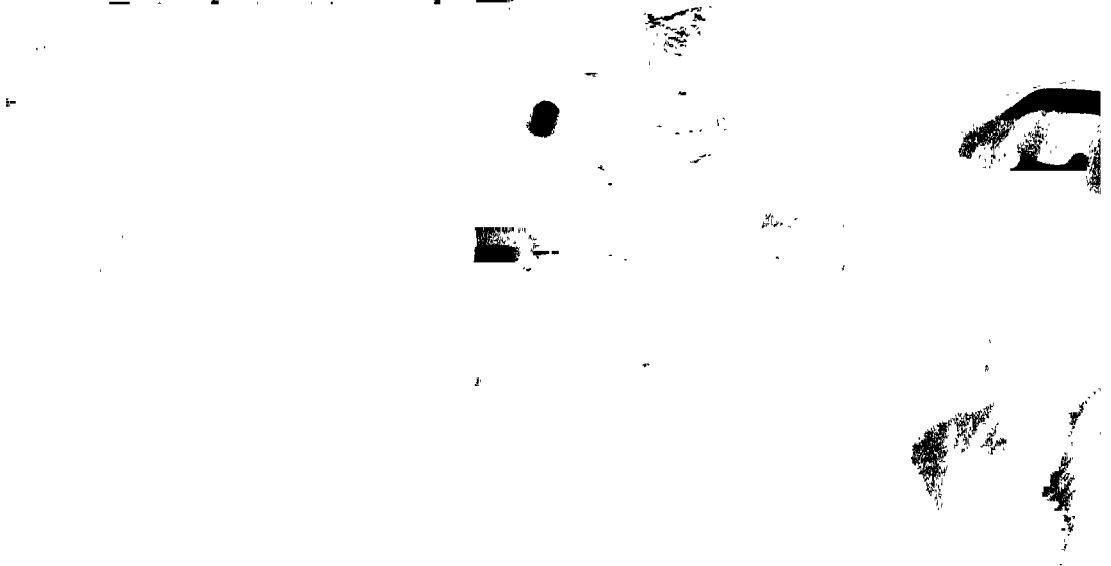
تكـــوين وجـة
للفنان البحريني ناصر اليوسف .

ان استضافة الكويت للفنانين العرب مرة كل سنتين ، اوجدت بينهم رابطة فنية حقيقية ، من خلالها عرف كل فنان اعمال شقيقه ، ومشاكله . واشتركوا في رسم لوحة تذكارية كبيرة حملت رسومهم وتوقيعاتهم كلها . كما ترى في الصورة ٠

فقال : « انها مداعبة مع الفراغ في اضيق نطاق ممكن ٠٠ انها مشاريع يمكن وضعها في الحدائق العامة ليتعايش الناس من خلالها » ٠

وهنا قلنا : « الا تشعر يا استاذ صبحي بالحرج وانت تعرض مثل هذه الاعمال التجريدية ، التي هي ابعد عن مفاهيم المترددين على المعرض ؟ » ٠

فاجابنا على الفور : « انها ليست ابعد من مفاهيمهم ابدا ولكنها يمكن ان نسميها عدم التعود على رؤية هذا النوع من العمل ٠٠ وهي في هذا مثل الانسان الذي تدعوه لسماع كونسرتو بيتهوفن ٠٠ انه لن يتلذذ ابدا ، لان اذنه تعودت على الحان عبد الوهاب بصفة مستديمة ؟!

« اني على ثقة من ان المواطن العربي العادي سيرتقي ويصل الى ان يفهم اعمالا اكثر تقدما من هذا العمل ، عندما يتعود على رؤيا الاعمال الفنية الحديثة ٠٠ ان هذا العمل الذي امامنا صنعه انسان ٠٠ انسان سابق الرؤيا ٠٠ »

كرنفال الوان

وفيما عدا الجناح المصري ، فان بقية الاقسام في معرض الفنانين العرب اتسمت بالاعتدال في نوعية معروضاتها ، اللهم الا بعض الصور القليلة التجريدية ، اما الغالبية فقد اتجهت الى التراث العربي ، والهندسة المعمارية العربية ، والخط العربي القديم ، والبيئة العربية تستلهم منها لوحاتها ٠

والواقع ان استضافة الكويت للفنانين مرة كل سنتين ، اوجد رابطة حقيقية بين الفنانين العرب ، تعرفوا من خلالها على اعمالهم واساليبهم في الرسم ، وتحسسوا مشاكلهم المتنوعة ٠٠

لقد عاشت الكويت مع الفنانين العرب فترة سعيدة كانت تحلم خلالها بالالوان الفرحة البهيجة، التي اصبح يميل لها ابناء الكويت ، فالمطاعم والمتاجر تستعمل الوان قوس قزح في تلوين جدرانها لجذب الزبائن ٠٠ وفي الليل تتحول المناطق التجارية الى كرنفال الوان تشع من اضواء الفلوسنت والنيون ، حتى اضواء شوارع الكويت تجدها صفراء وبيضاء ، ولم يتاخر التلفاز الكويتي عن الاشتراك في كرنفال الالوان هذا، فقلب ٣٥٪ من برامجه الى برامج ملونة !!

كيف نقدر عمر الفنان ؟

ان المسئولين عن الفن في الكويت يدركون تماما

صـــم بكـــم .. لايستطيعون التعبير ،فجاء الفنان وعبر عن مأساتهم.. لقد دمر العدو الصهيونى مدرستهم فى ضاحية المزة، أثناء غاراته على دمشق فى حرب اكتوبر .. وحتى اليوم لم يتم اعادة بناء مدرستهم بعد .. انها صرخة بالالوان يشحن بها الفنان السورى غازى الخالدى ، عواطفنا ، لنساعد هؤلاء الاطفال .

ان الاحتكاك والتعرف على الفن العالمى واقامة المعارض المحلية ، يصقل الفنان الكويتى ، الذى تجمعت لديه تجارب طيبة جعلته سفيرا فنيا متجولا لبلاده فى الخارج ، يشترك فى المعارض الفنية العربية ، ويعرض انتاجه فى اكبر صالات اوربا والولايات المتحدة .. وهكذا ظهرت فى الكويت مجموعة مـن الرسامين الشباب الذين اضحوا يقيسون اعمارهم بعدد المعارض التى اشتركوا فيها .. فابراهيم اسماعيل وعمره ٣٠ سنة اشترك فى ٤٠ معرضا .. وسامى محمد صالح وعمره ٣٢ سنة اشترك فى ٤٨ معرضا .. وعبد الحميد اسماعيل وعمره ٣٥ سنة اشترك فى ٤٥ معرضا .. وعبد الرسول سلمان وعمره ٢٩ سنة اشترك فى ٤٥ معرضا .. وعيسى الصقر عمره ٣٥ سنة اشترك فى ٥٠ معرضا .. ومحمود رضوان وعمره ٣٦ سنة اشترك فى ٤٣ معرضا .

الدولة تنزل بثقلها

لقد شبت الحركات الفنية فى الكويت عـن الطوق ، واحست انها بحاجة الى جهاز خاص مسئول عنها ، وتجاوب المسئولين مع هذه الحركة .. فنزلت الدولة بثقلها الى الميدان الفنى ، تنفخ فيه روحا فتية من خلال مجلسها الوطنى للثقافة والفنون والآداب الذى ولد عام ١٩٧٣ ليتحمل مسئولية الارتقاء بالفنون والثقافة والادب فى الكويت .

وحتى يكون هذا المجلس على مستوى المسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه ، تم الحاقه برئاسة مجلس الوزراء مباشرة ، واختير وزير الدولة الاستاذ عبد العزيز حسين رئيسا له ، وعين الاستاذ الشاعر احمد العدوانى امينا عاما له .

وانطلق المجلس الوطنى يعمل فى مجالات اختصاصه المتعددة الواسعة ، وما يهمنا فى هذا المجال هو دور المجلس مع الفنانين التشكيليين .. لقد خصص صالة كبرى فى وسط العاصمة ، لتكون متحفا ومعرضا دائما للفنون التشكيلية .. وفى هذه الصالة الكبيرة اقيم المعرض الرابع للرسامين التشكيليين العرب الذى احتضنه المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب .

الدولة تشترى انتاج الفنان

ان عدد الفنانين التشكيليين فى الكويت يزيد
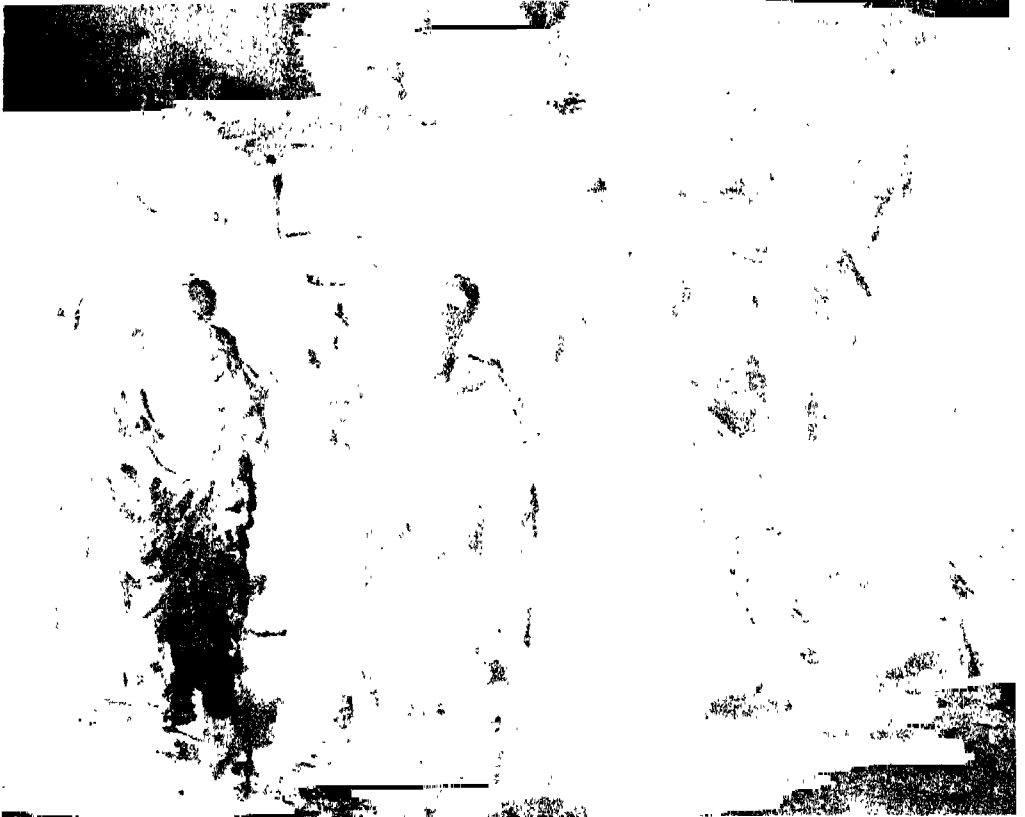
الوان صارخة كثيفة ، تكاد تمثل كل الوان قوس قزح ، طرحها الفنان الجزائري محمد بوزيد في لوحته « اجتماع في الخلاء » ·· انه الاسلوب الذي كان يتبعه الفنان العالمي فان جوخ ··

الى اسفل : الفنان الفلسطيني عبد الهادي شلا يشرح للطلبة الصغار قصة « الموت الاحمر » الذي جسده في لوحته ·· ان الميت هو الارض السليبة ·· والسحابة الحمراء هي رمز عدم الاستقرار ·· والشمس رسمها بلون قاتم لانها التي لم تعد تعطي المألوف منها ·· تعبيرات نابعة من رواسب قومية ، وارتباط الفنان بقضيته وارضه وذكرياته ·· ان الفنان يطرح فكرته بألوان مستمدة من عمق الارض ·

تميزت لوحات فنانى اليمن الديمقراطية بطابعها الخاص المتميز باستعمال الخامات التى لها علاقةبالتراث اليمنى ، وفى هذه اللوحة حاول الفنان اليمنى على عوض غراف أن يحلل ما ترتديه المرأة من مصوغات تحت الحجاب فاحاط الرسم بثلاثة وثلاثين قطعة فضية ، وثلاثة احجار من العقيق اليمنى القديم !

الى اليسار : مضارب البادية .. لوحة للفنان السعودى محمد موسى السليم .. الوانها الهادئة مستوحاة من البيئة الصحراوية المحارقةالتى تحيط بالفنان ..

تصوير : ا . م .

على المائة فنان ، يسعى ١٢ منهم سعيا حثيثا من اجل الصعود الى القمة بسرعة ..

وتقف الدولة الى جانبهم تساعدهم وتاخذ بيدهم ، ولا يقتصر تشجيعها على الناحية الادبية ، بل نجد المجلس الوطني يخصص مبلغ خمسة آلاف دينار كويتي سنويا لاقتناء بعض اعمالهم .. وتم فعلا اقتناء ٣٢ لوحة سوف تكون نواة للمتحف الفني الوطني الكويتي .

وامتد تشجيع المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب الى الفنانين العرب ، فالى جانب رصد نحو ٧٠٠٠ دينار لاستضافة الفنانين واقامة المعرض الرابع للفنانين التشكيليين العرب ، قام المجلس الوطني بشراء تمثال وثلاث لوحات صنعها اربعة فنانين عرب من سوريا ومصر والسعودية وفلسطين..

النارجيلة .. هو الاسم الذى اختاره الفنان القطرى جاسم محمد زينى لهذه اللوحة

مهمـة الفنـان

ان الفنانين الكويتيين يؤمنون ـ مثل بقية الفنانين في العالم ـ بان تطور الفن هو المقياس الحقيقي للتطور الحضارى لاى بلد من البلدان ..

ويقول الفنان امير عبد الرضا رئيس الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية : الازميل والفرشاة كان لهما دائما دور ايجابي في المجتمع ، فالفنان ـ من حيث ما يتميز به من رؤية شفافة ونظرة لماحة ـ هو القدر في التعرف على كل ما هو سيء وشاذ في المجتمع ، وبالتالي فهو المكلف ـ قبل غيره ـ بتعرية ذلك السوء او ابراز ذلك الشذوذ ، منبها وداعيا الناس الى نبذ هـذا والابتعاد عن ذاك ..

« والفنان بالتالي هو الشخص القادر على بث المعاني السامية والافكار البناءة بفرشاته ونشر فنه .. لهذا يجب ان يحظى هذا الفنان العربي بكل تشجيع واحترام لنساعده على تادية مهمته على الوجه الاكمل .

سفينة الفن تنطلق

وقد استحدث المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عشر جوائز ثمينة اطلق عليها اسم : جائزة الشراع الذهبي .. انها اشبه بجائزة الاوسكار العالمية .. منحت لاول مرة للاعمال العشرة المتفوقة في المعرض الرابـع للفنـانين التشكيليين العرب .

وختاما ان سفينة الفن في الكويت تعتمد على انفاس المسئولين والفنانين الكويتيين من اجـل انطلاقة سريعة نحو آفاق واسعة بعيدة .. تهدف الى ايجاد مجتمع حديث .. يلعب فيه الفنان دور الانسان المبدع الخلاق الذى يرتقي بالنفس الى آفاق جميلة سامية شفافة تهفو الى كل ما هو جميل نظيف ، وتطرح كل ما هو منفر كريه ، سواء في الافكار او فيما تقع عليه الابصار !! ■■

سليم زبال

نتيجة مسابقة العدد ١٩٧

موزارت عاش ٣٥ عاماً فقط

■ قامت مسابقة العدد ١٩٧ من« العربى » على اسئلة متنوعة فى شتى مناحى المعرفة،فمن اسئلة فى علم الجغرافياالى اسئلة فى علم التاريخ والسير الى ثالثة فى الاختراعات الحديثة ، وقداستطاع القراء ان يجيبوا على معظم اسئلة المسابقة ٠

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابةالصحيحة ، واسماء من فازوا بجوائز المسابقة ٠

١ ــ العباسيون هم الذين نقلوا مقر الخلافة من دمشق الى بغداد ٠

٢ ــ شارك فى اختراع السينما الأخوان : اوجست ولويس لومبير ٠

٣ ــ قلعة حلب ٠

٤ ــ غرناطة اخذها فرديناند الثانى سنة ١٤٩٢ من العرب ٠

٥ ــ أثقل جرس فى العالم يعرض الآن فى موسكو ٠

٦ ــ تمتد تهامة على ساحل البحر الأحمر ٠

٧ ــ عاش موزارت الموسيقى النمساوى ٣٥ سنة ٠

٨ ــ هذا الثائر العربى الذى أعدمه الايطاليون هو عمر المختار ٠

٩ ــ المؤرخ الذى يلقب بابى التاريخ هو « هيرودوت » ٠

١٠ ــ توماس اديسون هو مخترع (الجرامفون) او ما يسمى بالحاكى ٠

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى ، قدرها ٣٠ دينارا فاز بها **:محمد عبدالله الطريفى**/الرياض/السعودية

الجائزة الثانية ، قدرها ٢٠ دينارا فازت بها **:تارا جمال شرف**/السليمانية/العراق

الجائزة الثالثة ، قدرها ١٠ دنانير فازت بها **:زينبمحمد الحجار**/دبى/الامارات العربية

٨ جوائز مالية قدرها ٤٠ دينارا ، كـل منها ٥ دنانير ، فاز بها كل من :

١ــمحمد عثمانسعيد خيال/بورسودان/السودان

٢ ــ غسان عفيف الفقير/حلب/سوريا

٣ ــ يوسف على الحاج عبدالله/اربد/الاردن

٤ ــ فايز عبد الوهاب التتئة/الكويت

٥ ــ رءوف وصفى صبحى/القاهرة/مصر

٦ ــ ياسر يوسف عليان/طرابلسالغرب/ليبيا

٧ ــ اسامة رءوف نافع/عكار/لبنان

٨ ــ خلدون على صالح غرامة/عدن/اليمن الديمقراطى ٠

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها ٠ ■■

قطار الشحن ، داخل ميناء الاسكندرية ، انه احدى وسائل النقل الثلاث التى تستخدم فى سحب السلع والبضائع المكدسة على الارصفة..

في وطنك ايها العربي

ميناء الاسكندرية

عاصر الزمان طويلاً

ومازال فى كفاحه سبّاقاً

استطلاع بقلم
منير نصيف

تصوير
اوسكار مترى
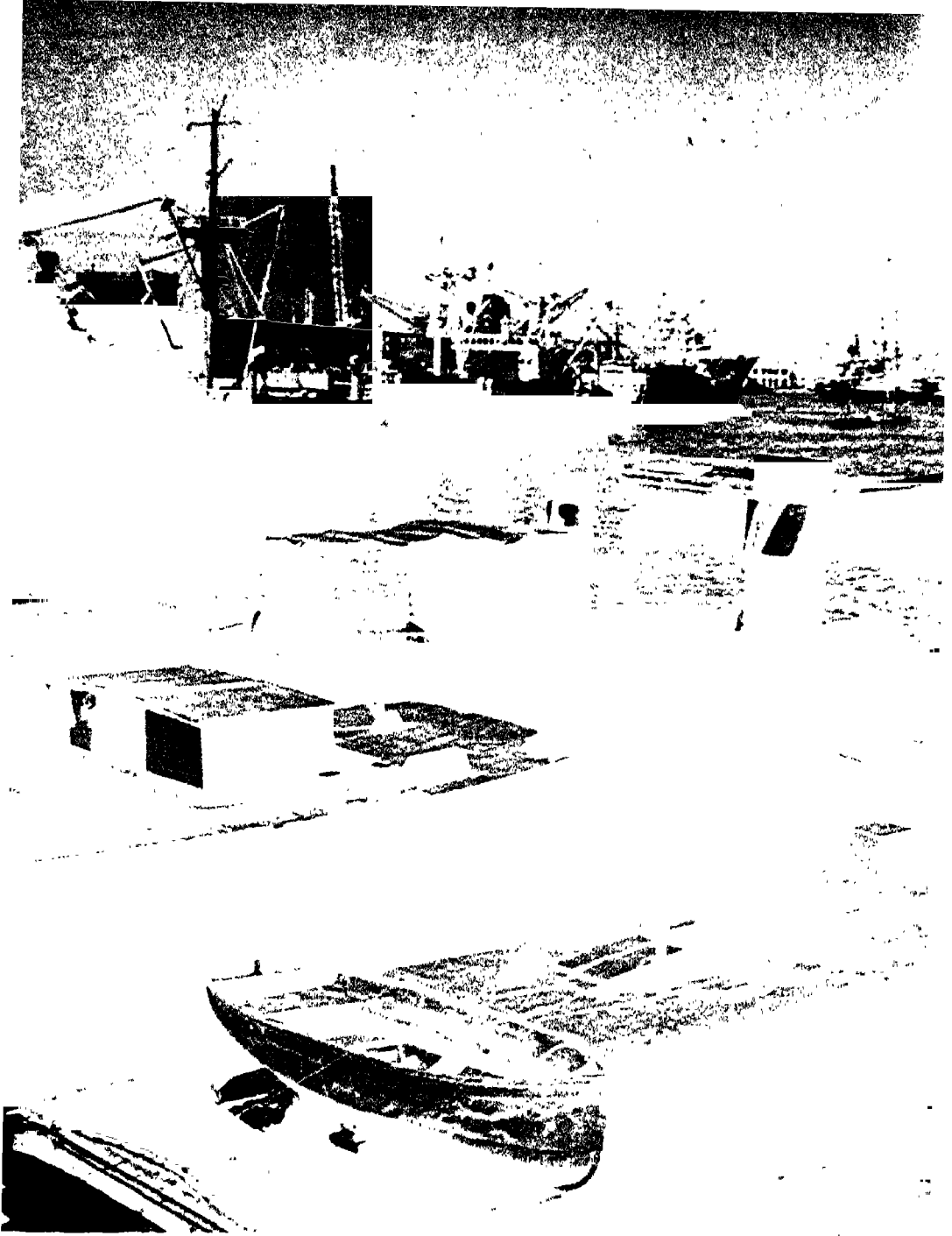
جانب من ميناء الاسكندرية الكبير ، الذى يبلغ طوله خمسة كيلو مترات وعرضه ثلاثة كيلو مترات ويضم ٧٣ رصيفا ٠٠ وقد ظهرت فى الصورة عشرات من السفن التى تنتظر دورها لتفريغ شحناتها على ارصفة الميناء ٠٠ ان مصر تدفع ملايين الدولارات غرامة لاصحاب هذه السفن بسبب تأخير تفريغ حمولاتها ٠

رصيف الاخشاب،وقد تكدست فوقه كميات ضخمة من الاخشاب التى تنتظر دورها لتنقل من الميناء الذى ازدحم بالسلع والبضائع ، وظهرت وراء هذه الاكوام من الاخشاب ، سفن الشحن التى تأتى بالاخشاب من رومانيا وبلجيكا والاتحاد السوفيتى ٠

■ ميناء الاسكندرية موضوع استطلاعنا اليوم

ولكن لماذا الآن ؟ هل هو شيء جديد لم يكن قائما وموجودا ؟

لقد مرت عشرات السنين والميناء القديم، اضخم واكبر موانيء البحر المتوسط يؤدي دوره الكبير بوصفه العمود الفقري الذي تعتمد عليه مصر في بناء اقتصادها ، تصدر منه وتستورد الوف الاطنان من البضائع والسلع والمـواد الغذائية ، والمنتجات الزراعية والصناعية ٠٠

فلماذا كان اهتمام مجلة « العربي » اذن بميناء الاسكندرية الآن ؟

الذي حدث ان هذا الميناء القديم الكبير اصبح بسبب الحروب منفذ مصر الوحيد ووسيلة اتصالها الكبرى بالعالم الخارجي ، اذا استثنينا بطبيعة الحال النقل الجوي ، فهو وسيلة باهظة التكاليف محدودة القدرة لا يمكن بحال ان تصبح بديلة للنقل البحري الا في حالات الضرورة القصوى ٠٠ وهو ليس نقلا تجاريا ولن يصبح كذلك طالما بقيت البحار مفتوحة آمنة للملاحة والتجارة بين اركان الارض الاربعة ٠٠

اصبح ميناء الاسكندرية اذن منفذ مصر الوحيد على البحر ، منذ العدوان الاسرائيلي على مصر في عام ١٩٦٧ وما ترتب عليه من اغلاق القناة وموانيهـا الصغيرة في السويس وبـور سـعيد والاسماعيلية الى ان كانت معركة العبور ، وحرب النصر وعودة الحياة مرة اخرى الى القناة ومدنها وموانيها ٠

عبء كبير

وطوال هذه السنوات ٠٠ سنوات ما بين الهزيمة والنصر من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ ، والميناء الكبير يئن تحت وطأة العبء الكبير الذي اثقل ارصفته ومياهه التي ضاقت بما تحمله اليها وتنقله منها يوميا عشرات السفن التي تنتمي الى كل الجنسيات، وتاتي اليه من شتى انحاء العالم ٠٠

وكانت الصيحة التي اطلقتها الصحف ، وهي ترى هذا المرفق الحيوي يزحف اليه الشلل بعد ان اختفت ارصفته تحت مئات الالوف من اطنان السلع والبضائع التي يتم تفريغها ، وتبقى على الارصفة اسابيع طويلة ، قبل ان تمتد اليها الروافع لتنقلها وتزيحها عن الطريق ، لتفسح مكانا لعشرات الشحنات الجديدة التي تحملها السفن ، تنتظر دورها لتفرغ هي الاخرى شحناتها ٠٠

ومع هذه الصيحة التي تردد صداها في كل مكان، انتقلت بعثة مجلة « العربي » الى الاسكندرية وميناها لترى على الطبيعة ما يجرى في مرفا عروس البحر الابيض المتوسط ٠٠

الاموال الضائعة

فماذا رأينا ؟

رأينا اجهزة الميناء الكبير وقد تحولت الى خلية نحل ٠٠ الرجال الذين يقفون في مواقع المسئولية يتحركون وكانهم يحملون فوق رؤوسهم اثقالا تنوء الجبال بحملها ٠٠ العمال بدورهم في حركة دائبة لا تهدأ ٠٠ ولكنهم في حركتهم وعملهم يبدون كما لو كانوا يدورون حول انفسهم ٠٠ ماذا يصنع هؤلاء وهؤلاء وحجم المسئولية الملقاة على عاتقهم اكبر منهم واكبر من الميناء نفسه ، واكبر من كل الامكانيات المتاحة لهم ؟

في الميناء قصور ٠٠ نعم !

في الميناء تكدس للسلع التي كان من المفروض ان يتم نقلها وتوزيعها ٠٠ نعم !

واخيرا ففي الميناء ازمة خطيرة ٠٠ ازمة تدبير وتوفير الشاحنات والناقلات البرية والنهرية التي تستطيع وحدها ان تخلص ارصفة الميناء من عشرات بل ومئات الالوف من الاطنان المكدسة ٠

ولقد بقي هذا الوضع سنوات طويلة ، كانت مصر تخسر فيها ملايين الجنيهات من العملة الصعبة في صورة غرامات تدفعها لاصحاب السفن التي تقف خارج بوغاز الاسكندرية اسابيع طويلة تنتظر دورها لتفريغ شحناتها ٠٠ وبقيت المشكلة قائمة دون ان يسمع بها احد الى ان عادت للصحافة المصرية حريتها ، فراحت تسلط الاضواء على اموال الشعب الضائعة ! ومضت صحف القاهرة في حملاتها ٠٠ ومع دقات ناقوس الخطر ، بدأ

خريطة ميناء الاسكندرية والمشروعات المقترحة
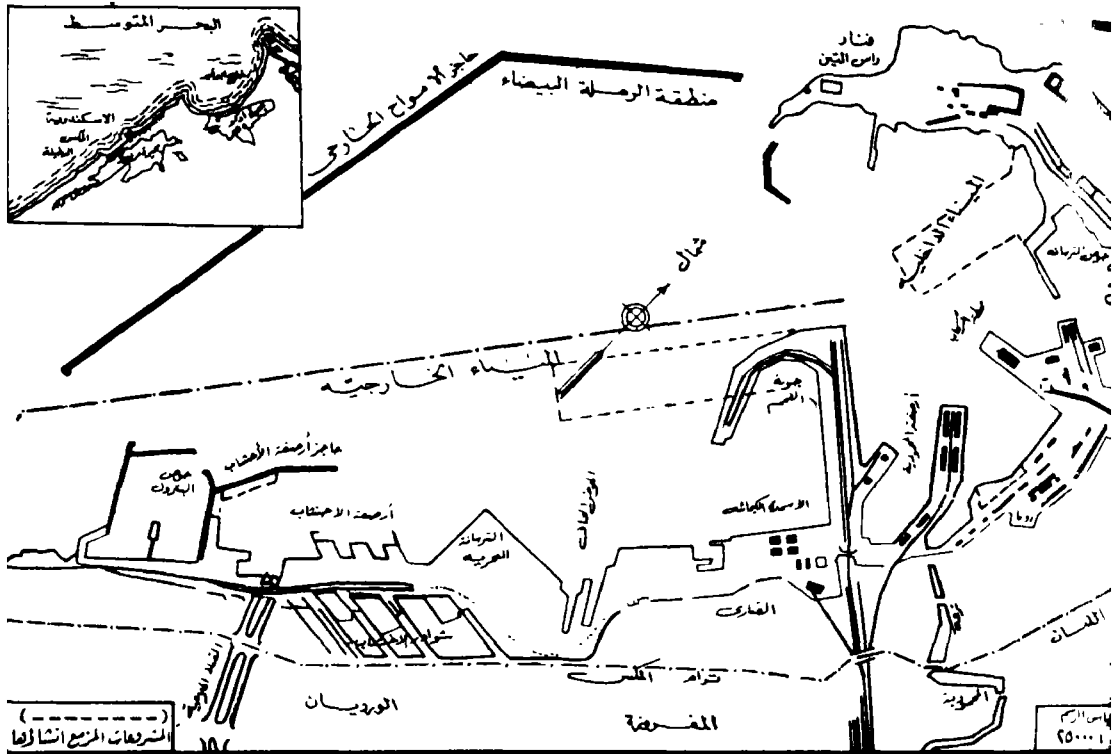
خريطة تبين مختلف الارصفة فى ميناء الاسكندرية .. عدة موانىء فى ميناء واحد . والى اليسار اعلى خريطة تبين موقع ميناء الاسكندرية على البحر المتوسط ، والمنطقة المقترحة للميناء الجديد فى المكس والدخيلة الى العرب .

المسئولون يتحركون ويعملون ويهرشون رؤوسهم بحثا عن الحلول التى يمكن ان تعيد للميناء الكبير سمعته وتوفر للشعب ملايينه الضائعة . ان قوت مصر وشعب مصر كلها ينصب فى ميناء الاسكندرية، ثم هو بعد هذا الواجهة الامامية التى تطالع السائحين والزائرين الذين يفضلون المجىء الى مصر عن طريق هذا البحر الواسع الذى يصل ما بينها وبين اوربا والشرق الاقصى والامريكتين .. فهل من المعقول ان يكون هذا هو بداية اللقاء بمصر وارضها واهلها ؟

ونتوقف قليلا هنا ، قبل ان نمضى فى سرد الحقائق والارقام والظروف التى ادت بميناء الاسكندرية الى ما آل اليه اليوم .. وهى وقفة تاريخية لا بد منها ، تنقلنا من الماضى الى الحاضر وتصل فيما بينهما ..

بين الماضى والحاضر

ان تاريخ هذا الميناء القديم يرجع الى عام ١٩٠٠ قبل الميلاد عندما قام الفراعنة ببناء ميناء صغير يقع بالقرب من جزيرة فرعون (فاروس) ، وقد اسموها « راكودا » وكانت تقوم فى النهاية الغربية الشمالية بجزيرة فاروس ، وهى منطقة راس التين حاليا . وكان طول هذا الميناء القديم يبلغ حوالى ٢٣٠٠ متر وعرضه ٣٠٠ متر . ولها حياض ذات اعماق مختلفة ، ولها اكثر من مدخل واحد .ولكن حدث هبوط كبير فى الارض منذ قرون عديدة ،كما غطت الرمال الجزء الاكبر من الميناء حتى كاديختفى تماما ، الى ان امكن الكشف عن بقاياها فى اوائل القرن الحالى .

ثم جاء الاسكندر الاكبر وعهد الى المهندس دينوقراط بتشييد ميناء الاسكندرية ، وتم ذلك عن طريق وصل جزيرة فاروس بالشاطىء بواسطة جسر طوله حوالى ١٢٠٠ متر وعرضه حوالى مائتى متر ، وبذلك امكن تكوين حوضين احدهما فى الشمال وكان يستخدم فى الاغراض الحربية (موقع الميناء الشرقى حاليا والآخر فى الجنوب ،

مئات الالوف من اطنان القمح التى تعاقدت مصر على شرائها لتوفير « رغيف الخبز » للشعب ٠٠ ماراك جانب منها ينقل على السيارات الكبيرة الى مختلف انحاء مصر ٠٠ انها طريقة نقل قديمة بطيئة ، بدأت تستبدل الآن بالشماطات الى المخازن مباشرة ٠

صورة اخرى للتكديس على رصيف الاسمدة والكيماويات،وتظهر اعدادكبيرة من البراميل التى تحوى مواد مساعدة للصناعات مثل الصباغة والشحومات اللازمة لصناعة الصابون ، ويظهر ايضا جانب من الروافع الضخمة التى جهزت بها الارصفة اخيرا ٠
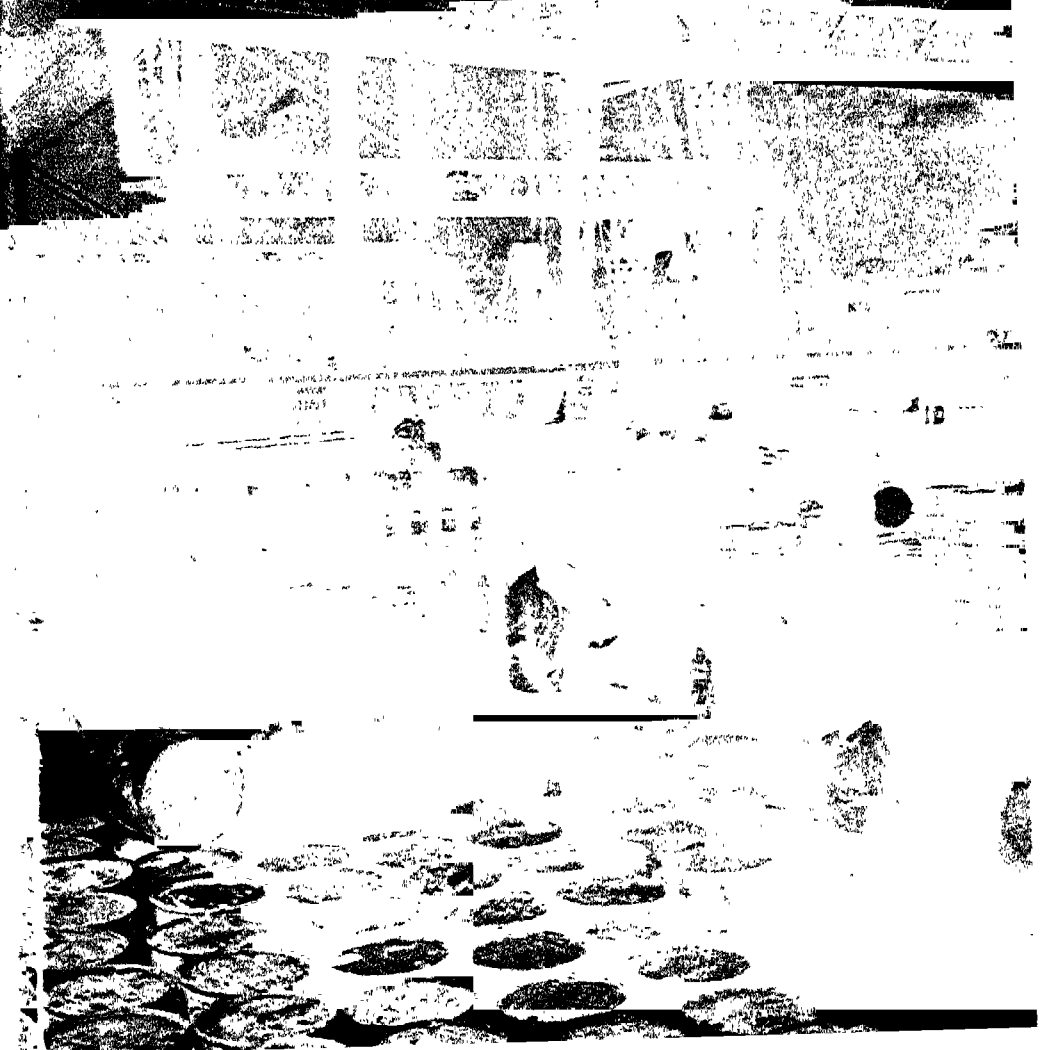
سيارات النقل محملة بالاسمدة والكيماويات ·· ولكن الارصفة ما زالت مغطاة بالالوف من الاطنان التى تنتظر دورها ، لتنقل الى حيث تنتظرها الارض والزرع ·· ان الميناء فى حاجة الى اسطول من هذه الناقلات الحديثة السريعة ·

الشفاطات الحديثة التى اقيمت فى ميناء القمح وتعمل بالكهرباء وهى تقوم بشفط القمح من عنابر سفن الشحن ونقله مباشرة الى صوامع الغلال i os ، التى شيدت فى قلب الميناء ·· ومن هذه الصوامع او المخازن ينقل القمح الى مختلف جهات القطر حسب الحاجة ··
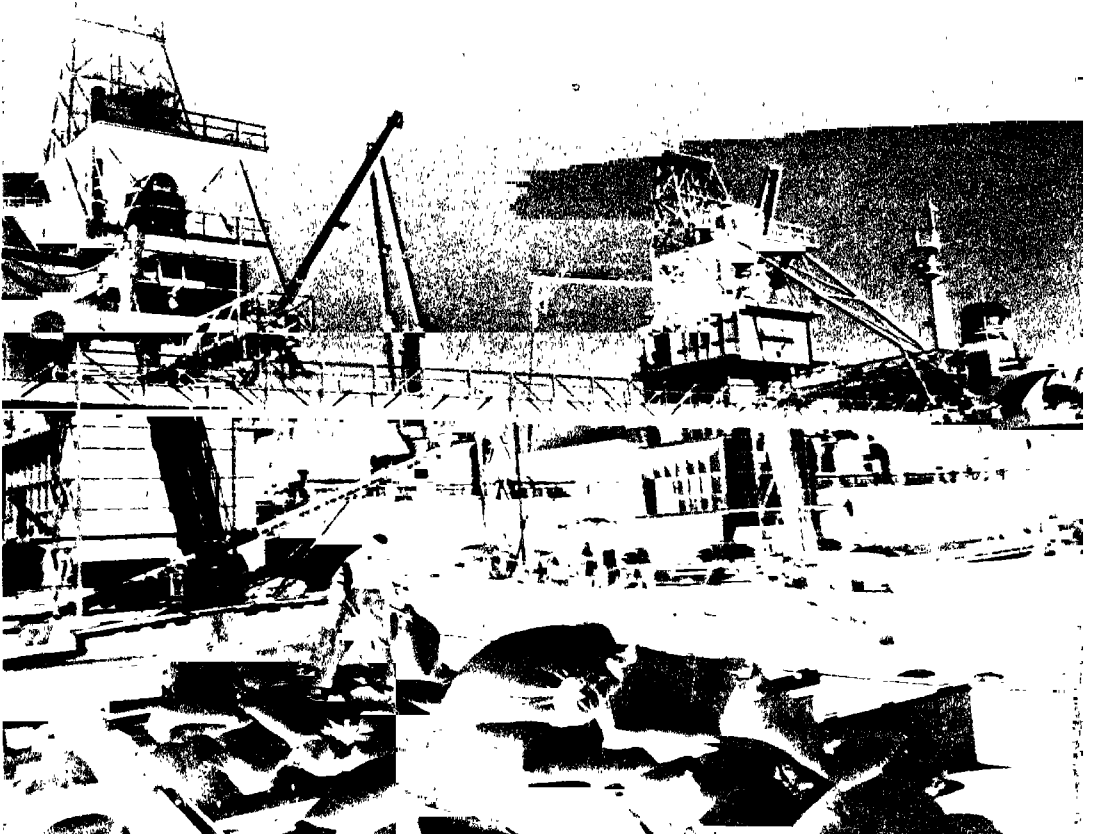
ميناء الفحم ، ميناء مستقل ، وقد اسندت ادارة الميناء لشركة « ستيلكو » مهمة زيادة طاقة تفريغ وتحميل ال
الحديد والصلب فى حلوان ·· ويجرى العمل الان فى تركيب روافع ضخمة على رصيف الميناء ·· وينقل ال
والصورة للصنادل امام الرصيف اثناء تحميلها بالفحم·· ان مصر تستورد مليونى طن من الفحم المجرى سو
طريق ترعة النوبارية ·· وكانت كميات كبيرة من الفحم تتطاير فى الهواء اثناء سير القطار لان العربات

وكان يستعمل فى الاغراض التجارية (موقع ميناء الاسكندرية الحالى) ·

ومرت عدة اعوام قبل ان يقوم سوستراتس ببناء منارة فاروس الشهيرة ، وقد ازدهرت التجارة فى هذا الميناء ، ثم بدات فى الاضمحلال عقب عهد البطالسة نتيجة للاحتلال الرومانى لم اكتشاف امريكا واكتشاف طريق راس الرجاء الصالح ·

وفى اوائل القرن التاسع عشر اصاب الميناء الاضمحلال ، الى ان جاء محمد على الكبير فانشا عدة أعمال صناعية بالميناء الغربى حيث بدا بحوض الترسانة ، التى اختارها لتكون الميناء الاساسى لانها اكثر عمقا واكبر مساحة ··

حركة الانشاءات

واستمر النمو فى منشآت الميناء ، فاقيمت حواجز الامواج وفنار راس التين وارصفة الفحم وتم انشاء الحوض الجاف بمنطقة القبارى وارصفة
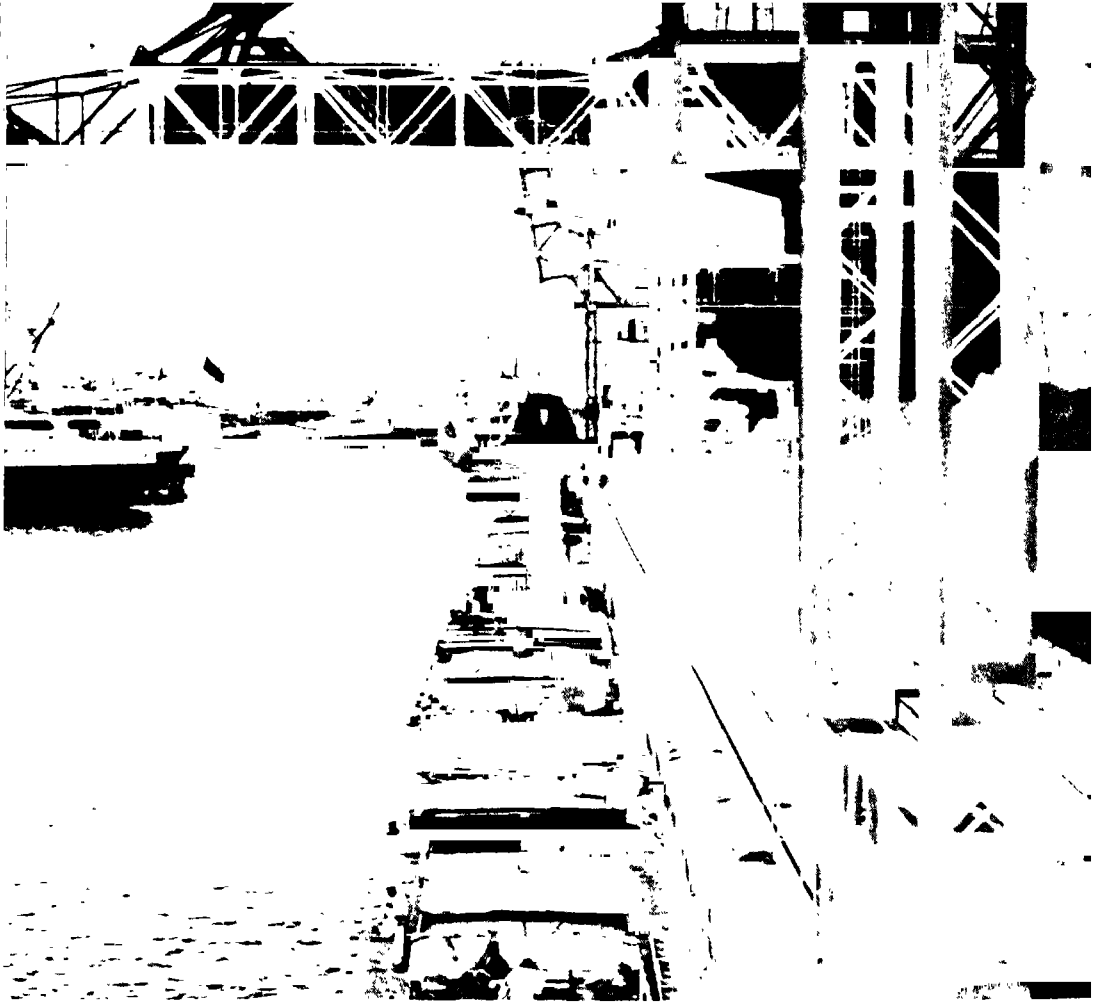
ث اضعاف ما هى عليه الان ، نظرا لزيادة طاقةانتاج الحديد والصلب بعد التوسعات الجديدة لمجمع
لصنادل عن طريق ترعة الخوبارية الى حلوان ٠٠ان طول رصيف الفحم ٦٠٠ متر وعرضه ٧٥ مترا ٠٠
ر سا وبولندا وامريكا وروسيا ٠٠ وكانت هـــذهالكميات تنقل بالسكة الحديد الى حلوان ، قبل افتتـــاح
٠٠ سيحل النقل بالصنادل النهرية الآن هذهالمشكلة٠

الاخشاب . وقد تمت كل هذه الانجازات فى اوائل القرن الحالى ٠٠ القرن العشرين ٠٠ وفى عهـد ثورة ٢٣ يوليو حدث توسع كبير فـى الانشـاءات بميناء الاسكندرية ، بهدف تطويره حتى يمكن ان يساير التقدم الكبير فى حجم التجـارة نتيجـة مشروعات خطة التنمية ومضاعفة الدخل القومى، وقد أخذ المسئولون عن اعمال الانشاءات فـــى اعتبـارهم الزيـادة المضطردة فى حجم الســفن الناقلات ٠٠ وامكن انجاز العديد من المشروعات فى مقدمتها :

ـ انشاء ميناء منفصل يشمل خمسة مراس ، ثلاثة منها بعمق ١٢ مترا واثنتان بعمق عشرةامتار، بحيث يسمح بدخول الناقلات حمولة ٣٥ الف طن و ٢٥ الف طن على التوالى ٠

ـ بناء ارصفة للركاب والبضائع يصل طولها الى ١١٦٠ متـرا ويتراوح عمقها بين عشـرة امتار و ١٢ مترا ٠ وقد انشئت على هذه الارصفة محطة بحرية للركاب روعى فى تصميمها النظـم الحديثة ٠ وفى هذه المحطة تتم جميع الاجراءات الجمركية ٠

الميدان الفسيح الذى يؤدى الى مدخل ميناء الاسكندرية ، وقد شيد مكان عشرات من المنازل والعمارات القديمةالتى كانت تواجه السائحين والزائرينالذين يصلون بطريق البحر ، بمجرد خروجهم من المنطقة الجمركية عند البوابة رقم ١٠ .
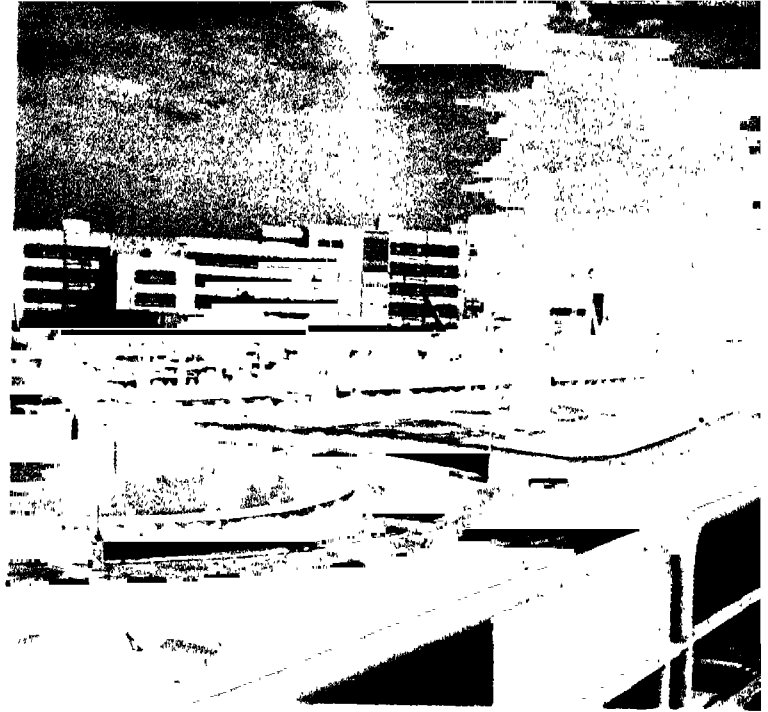
ميناءالاسكندرية القديم (الميناء الشرقى)،بالانفوشى .. فى هذا المكان قام الميناء منذ عشرات السنين ، قبل ان ينقل الى مكانه الحالى ، ثم اصبح الميناء القديم اليوم ناديا للبحوث ، ترسو فيه السفن الشراعية وسفن الصيد القديمة التابعة لشركة المصايد الجنوبية .. وفى مياهه يسبح الناس الذين يجيئون بحثا عن الهدوء .
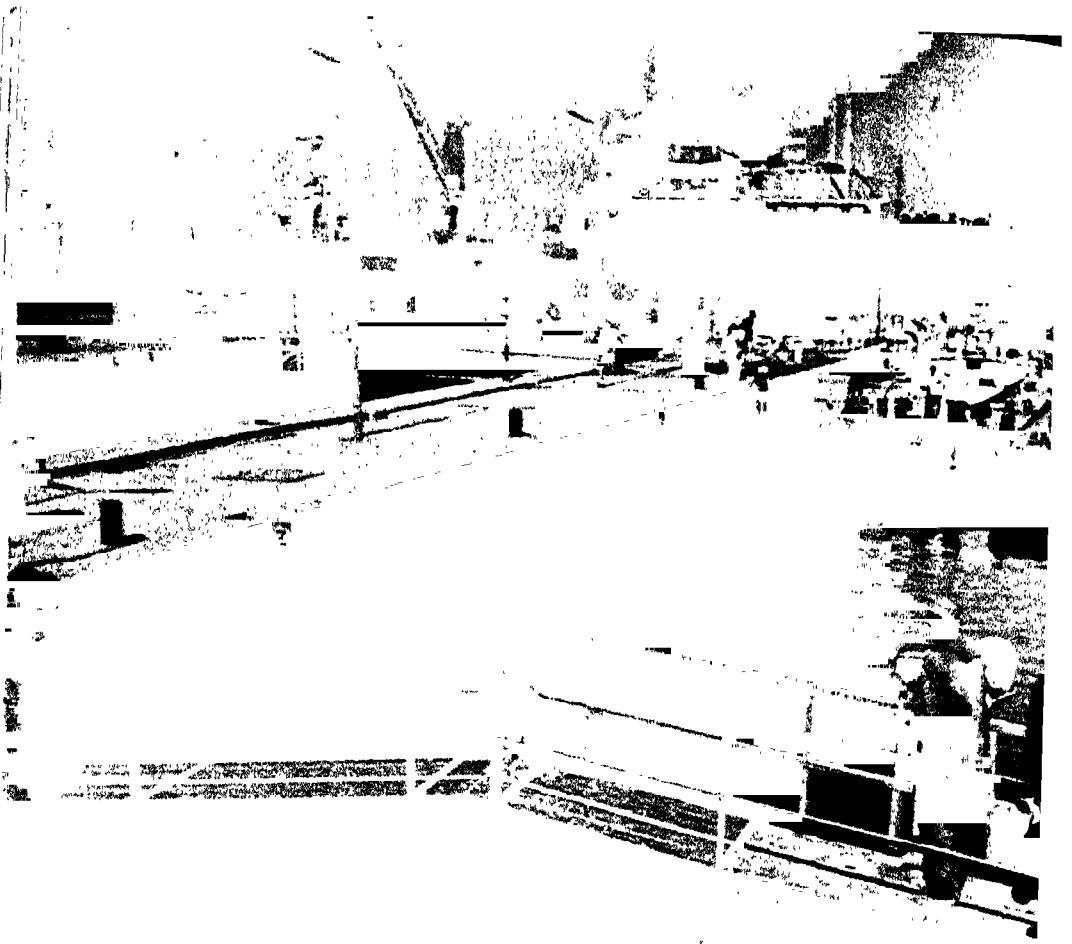
هويس ترعة النوبارية . وقدافتتح احيرا في يوم ٦ اكتوبر ،ذكرى العبور والنصر ، وتمر

عـن طريقه الصنادل المحملة
بالفحم الى حلوان ، وكذلك
الغلال والاسمدة الكيماويةالتى
تنقلها الصنادل الى جميـع
انحاء الجمهورية عـن طريق
النيـل ٠٠ هويس النوبارية
اختصر الفتـرة التـى كانت
تستغرقها الصنادل للوصول من
١٥ يوما الى خمسة ايام ٠
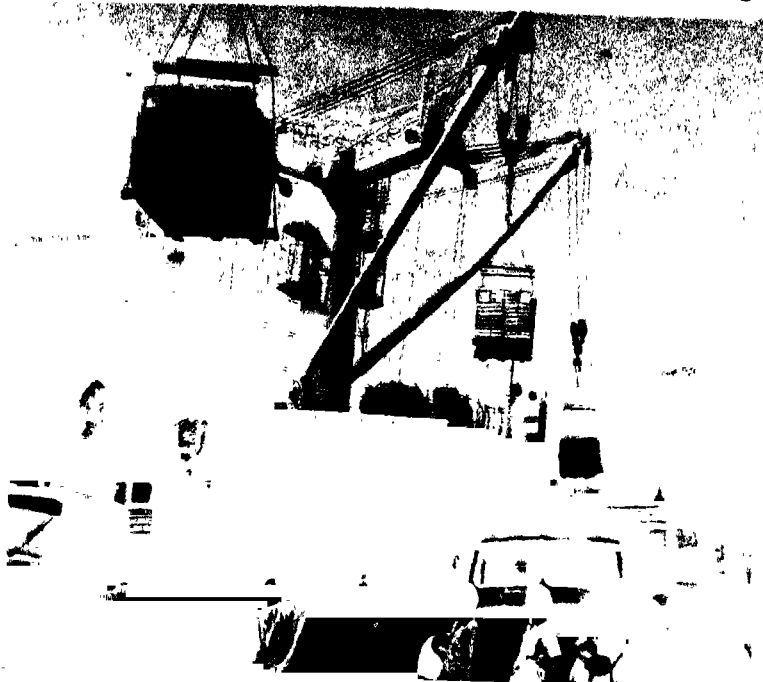
حدى سفن الشحن الروسية ،
هى تقوم بنقل شحنة مـــن
لبرتقال المصرى الى الاتحاد
سوفيتى ، وقد قامت سيارات
نقل الضخمة بتوصيل صناديق
رتقال الى رصيف التصدير٠

ـ انشاء ارصفة الاسمدة الكيماوية ويبلـغ طولها ٤٥٠ مترا وعمقها عشرة امتار ، وقـد جهزت بالمخازن اللازمة ٠

ـ انشاء ارصفة لصوامع الغلال يصل طولهـا الى ١٦٥ مترا وعمقها عشرة امتار ، وكذلـك حوض للصنادل يشتمل على ارصفة اخرى يصل عمق المياه فيها الى ثلاثة امتار ونصف متر ٠ كما تم انشاء صومعة للغلال (Silo) خلف الرصيف سعتها ٤٨ الف طن ، وجهز الرصيف بالشفاطات الكهربائية والسيور الناقلة من سفينة الشحن الى الصومعة مباشرة٠كما رصفت الطرق اللازمة، وتم مد خطوط السكك الحديدية لتسهيل نقـل الغلال الى داخل البلاد ٠

ـ انشاء محطة اشارات « القمرية » الجديدة لارشاد السفن اثناء دخولها الى الميناء وخروجها منه ، وكانت هذه المحطة موجودة بالفعل ، ولكنها اصبحت غير صالحة للاستعمال بسبب احتجاب الرؤية عنها لمساحات كبيرة بالميناء بعد انشاء صـوامع الغلال العالية ٠

ـ انشاء ارصفة للدقيق طولها ٢٢٠ متـرا وعمقها عشرة امتار ٠

ـ بناء حوض جاف كبير داخل ميناء الاسكندرية طوله ٢٦٠ مترا وعرضه ٤٤ مترا وعمق الميـاه فيه ١١ مترا ، وهو يتسع لاصلاح سفن حمولتها ٥٠ الف طن ٠

الترسانة البحرية

واخيرا تم انشاء الترسانة البحرية في عام ١٩٦٢ ، لاصلاح وبناء السفن ، وهي مازالت تحت الانشاء حتى الان ٠

وقد شيدت فوق ارض تبلغ مساحتها مائتي فدان، ويعمل فيها اليوم ما يزيد على الثمانية آلاف مهندس وعامل فني ٠ وقد قامت الترسانة حتى الان ببناء اربع سفن حمولة ١٣ الف طن ، وست ناقلات بترول حمولة ٥٠٠ طن ، ضمن خطة لبناء ٣٠ ناقلة من هذا النوع ٠ كما يجرى العمل حاليا في بناء سفن حمولة ٨ آلاف طن للاسطول التجاري المصرى ، وقد انتهى العمل في بناء اول هذه السفن وهي السفينة « رمسيس » ،وهي واحدة ضمن عشرين سفينة من هذا النوع ٠ كما تقوم الترسانة البحرية في الوقت نفسه ببناء واستكما عدة سفن لهيئة قناة السويس ٠ وتضم الترسا ١٩ ورشة لبناء بدن السفن وتجهيزاتها والآلات وتصنيع قطع الغيار اللازمة لها ، الى جانب ورش الحدادة والمسابك وغيرها ٠

عدة موانىء في ميناء واحد

هذه اطلالة على تاريخ هذا الميناء القديم ، انتقلنا منها الى حاضره ٠ فهل استطاع الحاضر ان يفي بحاجات البلاد ؟ انه ليس ميناء واحدا كما رأينا ٠٠ انه عدة موانىء في ميناء ٠٠ انه ميناء ضخم يبلغ طوله حوالى خمسة كيلومترات وعرضه كيلو مترين ، وتصل المساحة المائية في ميناء الاسكندرية الى مايزيد على السبعة ملايين ونصف مليون متر مربع ، وهي من اكبر المساحات المائية لموانىء العالم ٠ وهو يضم بعد هذا ٧٣ رصيفا زودت بالعديد من الروافع من مختلف الاحجام ٠

كما حرصت الهيئة على تدعيم مرافق الميناء عن طريق انشاء المخازن الجمركية الكبيرة لرفع طاقة التخزين ، واعداد المساحات المكشوفة لتشوين البضائع غير القابلة للتلف ٠ والتي يمكن نقلها مباشرة خارج الميناء للحد من مشكلة التكدس ، كما حرصت الهيئة في الوقت نفسه على اعادة رصف وتجديد شبكة الطرق بالميناء لسرعة سحب وورود البضائع من والى الميناء والمحافظة على سلامة المعدات الميكانيكية ٠ وتم انشاء الموازين الارضية حمولة ٥٠ طنا لسرعة وزن البضائع الواردة والخارجة ٠ من المنطقة الجمركية ، كما تم انشاء وتجهيز نقط المطافىء المنتشرة بالميناء وتجهيزها باحدث المعدات لمكافحة حوادث الحريق ٠

سر عجز الميناء

وبقي السؤال الآن : « لماذا عجز ميناء الاسكندرية على ضخامته عن تادية دوره في استقبال الواردات وتصريف الصادرات ؟ لماذا كان هذا التكدس الهائل من البضائع والسلع بهذه الصورة المخيفة التي اقامت اجهزة الدولة كلها ولم تقعدها ؟ ما هي الاسباب المباشرة وغير المباشرة التي ادت الى ضياع ملايين الجنيهات من العملة الصعبة في صورة غرامات دفعتها مصر لاصحاب السفن التي تسبب تكديس البضائع على الارصفة ، في تاخير تفريغ

القبطان شباسى مدير عام الحركة بميـــــناء الاسكندرية ، قال: وهناك عدة وسائل للقضاء على ظاهرة التكدس فى الميناء ، اهمها فى رايى تنظيم وصول السفن المحملة بالسلع والبضائع الى الميناء على مدار السنة ، ودعم وسائل النقل البرى والنهرى ، وأخيرا رفـع رسوم الارضية .. اذا رفعنا الرسوم سارعت الهيئات والمؤسسات الى سحب بضائعها مــن ارصفة الميناء فورا » .

شحناتها وبقائها اسابيع طويلة بلا عمل ؟

يقول القبطان مصطفى كامل شباسى ، مدير عام الحركة بالميناء : « هناك اسباب عديدة ادت الى الحالة التى وصلت اليها الامور فى الميناء . ولكن فى رأيى ان الاسباب الاساسية التى ادت الى ازدحام الميناء بالسلع والاسمدة والاخشاب الى اخر ما هناك ، وتكدس هذه السلع المستوردة على الارصفة ، ترجع الى عدم وجود تنظيم وتنسيق لمواعيد وصول سفن الشحن على مدار السنة ، بصورة تتفق مع طاقة الميناء من ناحية واحتياجات المرافق المختلفة فى الدولة من ناحية اخرى ، وفى نفس الوقت امكانيات النقل من الميناء واليه داخل البلاد .

« أما السبب الثانى فى رأيى فيرجع الى عدم الاهتمام بعمليات سحب السلع الواردة من الميناء ، نحن نستورد القمح والاسمدة والفحم والاخشاب والورق وخاصة ورق الصحف الذى تصل منه كميات هائلة نظرا للارقام الضخمة التى وصل اليها توزيع الصحف فى مصر ، كما نستورد ايضا ادوات التصنيع والمصانع الثقيلة ، وسلعا اخرى كثيرة، ان حجم الاستيراد يصل الى ثمانية ملايين طن سنويا الى جانب اربعة ملايين طن من البترول .

« ثم نحن نصدر بعد هذا الموالح وبعض الحاصلات الزراعية مثل القطن والارز والبصل والبطاطس الى جانب السيارات والثلاجات والمواسير والاطعمة المحفوظة ، ويبلغ حجم التصدير حوالى مليونين او اكثر من الاطنان سنويا .

« وهكذا ترون الحجم الهائل للتبادل التجارى بين مصر والخارج ، وهو فى ازدياد مستمر من الناحيتين . والحل الوحيد فى رأيى هو تدعيم النقل البرى والنقل النهرى عن طريق ترعة النوبارية التى افتتحت فى العام الماضى ، ومطالبة الشركات والمؤسسات المختلفة ، بتدبير وسائل نقل السلع والبضائع التى تستوردها » .

مدير الميناء يتكلم

وقصدنا للقاء اللواء يوسف سماحة مدير عام الميناء فى مكتبه بمقر الهيئة ، وكان قد عاد لتوه من جولته الصباحية التى تعود القيام بها لتفقد مرافق الميناء مع اشراقة الشمس كل يوم . واستقبلنا الرجل مرحبا ثم بدأ يتكلم قال : « اعرف لماذا جئتم . واعرف ماذا رأيتم بعد الذى قرأتموه فى الصحف عن ميناء الاسكندرية وعن البضائع والسلع المكدسة على ارصفتها. ان الميناء هو هو لم يتغير . ولكن الذى تغير هو الظروف التى نعيشها ، ومع هذا فنحن دائما ننظر الى النتائج وننسى الاسباب .

اننى اريد ان اوضح نقطة هامة ربما تكون قد غابت عن اذهان البعض ، وهى الظروف التى مررنا بها خلال الفترة ما بين حرب عام ١٩٦٧ وحرب النصر فى اكتوبر ١٩٧٣ ، ظروف الاستعداد للقتال ، والحرب التى خضناها ضد العدو الرابض فوق ارضنا !

« اننا نعترف بان الضرورة كانت تحتم علينا ميكنة عمليات الشحن والتفريغ والتخزين ، وان الضرورة كانت توجب ايضا انشاء ارصفة حديثة لخدمة السحارات ، وهى التى سبقتنا اليها الكثير

احدى الورش الضخمة التابعة للترسانة البحرية التى انشئت فى قلب ميناء الاسكندرية ، وتضم الترسانة ١٩ ورشة مجهزة باحدث الآلات .

الارصفة الخاصة برسو سفن الركاب ، وهى تتسع لرسو اربع سفن ركاب ضخمة فى وقت واحد .. وتقع هذه الارصفة بالقرب من المبنى الجديد الذى شيد اخيرا لاستقبال السائحين وانهاء الاجراءات الجمركية .
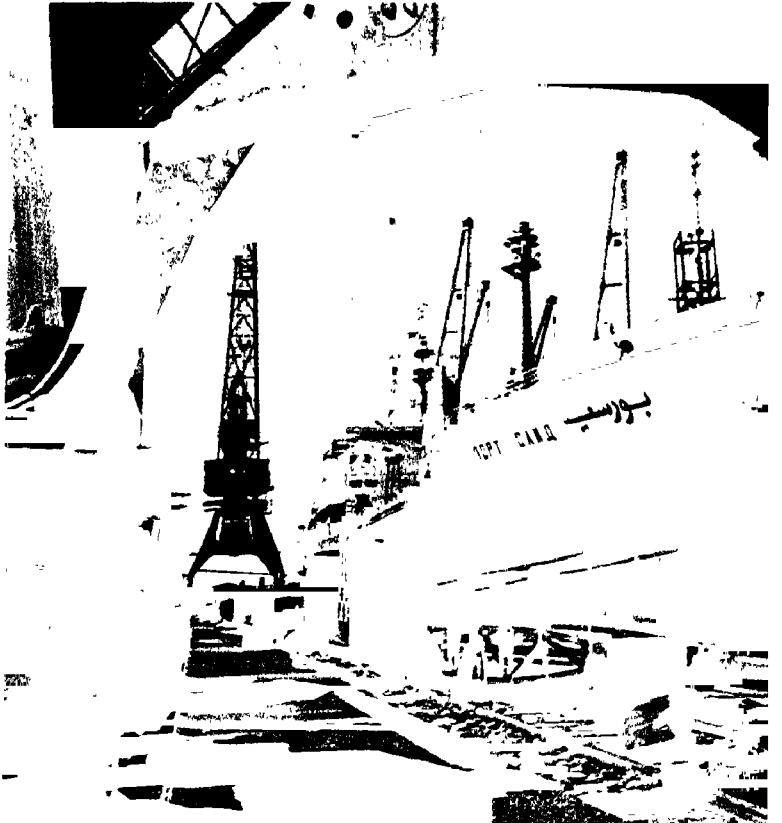
سفينة الشحن بورسعيد فى رصيف التجهيزات بعد اتمام بنائها وتدشينها وحمولتها ١٣ الف طن تقريبا ، وقد استغرق بناؤها حوالى عام كامل وهى آخر سفينة تم بناؤها بأيد مصرية صميمة فى عام ١٩٧٤ .

السعينة مصر ، وهى تابعة للشركة العربية للملاحة ، اثناء وجودها فى حوض الترسانة البحرية لاتمام اعمال الصيانة والاصلاح ، وهى اول باخرة نقلت الحجاج الى بيت الله الحرام عبر قناة السويس بعد تطهير القناة اخيرا ·

اللواء يوسف سماحة مدير عام الميناء ، قال لنا « في الميناء تكدس ؟ نعم ، ولكننا نتحدث دائما عن النتائج وننسى الاسباب ، لقد نسينا اننا كنا وما زلنا في حرب واننا كنا نضع كل طاقاتنا ، وكل اموالنا وكل امكانياتنا من اجل معركتنا مع العدو .. تلك المعركة التي كتب الله لنا فيها النصر .. وعلى اية حال فالحلول للقضاء على ظاهرة التكدس موجودة ، وقد بدانا في تنفيذها .. »

من الموانىء الكبرى منذ سنوات عدة . وكانت العاجة ايضا تتطلب الكثير من القيام باعمال التطوير للميناء ومرافقه الحيوية ! ولكن لا بد لنا هنا من وقفة لنتساءل : « هل كان لهذه الطلبات الملحة اولوية وافضلية على احتياجات قواتنا المسلحة ومعركتنا من اجل الحرية واستعادة الارض المحتلة ؟

ثمن النصر والحرية

« انه سؤال في رايي ليس في حاجة الى جواب. ولو اضطررنا الى نقل البضائع على اكتافنا ، فلم يكن هذا ليسيىء لنا ، بل هو مفخرة لشعب ضحى بكل شيء وحرم من كل شيء في سبيل استعادة ارضه وشرفه وكرامته . فقد كانت مصر في حاجة لكل دولار من العملات الصعبة لشراء ما يحتاج اليه جيشنا من معدات واسلحة لتحرير بلادنا .

« فما الميناء اذن الا واحد من المرافق الحيوية التي ارجانا تطويرها من اجل التفرغ لقضيتنا القومية الكبرى .

« ارجو ان اكون قد استطعت ان اوجز لكم بعض الاسباب التي ادت الى الحالة التي نشكو منها اليوم في الميناء .

التنسيق معدوم

« على ان هناك اسبابا اخرى جانبية وقد كان في يدنا وحدنا التخفيف من اثرها على حالة التكدس الموجودة في الميناء الان .. انني استطيع ان اقول ان ميناء الاسكندرية بوضعه الحالي يستطيع استيعاب المزيد من كميات السلع والبضائع المستوردة ، بشرط ان يكون هناك تنسيق في عمليات وصول شحنات البضائع المختلفة خلال اشهر السنة .. وبشرط ان يكون هناك تحديد في بعض النوعيات من البضائع العامة ، بحيث يمكن زيادة الكميات التي ترد منها في اشهر معينة من السنة وهي الفترة الواقعة ما بين اوائل ابريل حتى شهر اكتوبر من كل عام . على أن تخفض هذه الواردات خلال موسم تصدير سلعنا خلال الفترة من اواخر اكتوبر حتى نهاية شهر مارس .

« ان هذا التنسيق بين مواعيد وصول الواردات ومواعيد شحن الصادرات سيكون له اثر كبير على سير العمل في الميناء ، الذي ظل منفذنا الوحيد على البحر طوال هذه السنوات منذ العدوان في عام ١٩٦٧ حتى اليوم بعد العبور ، وبعد حرب النصر » .

الاسعار في السوق العالمية

ومضى اللواء سماحة يتكلم ، قال : « واود ان انتقل بكم بعد هذا الى بعض الاسباب الاخرى التي ادت الى « اختناق » ميناء الاسكندرية ، وهي ليست من صنعنا ، وانما هي اسباب فرضتها الاسعار في السوق العالمية . فانتم تدركون ولا شك ان هناك زيادة مطردة في اسعار الحبوب والدقيق والذرة ، وكان على الدولة ان تختار بين احد امرين ، فاما ان توفر الغذاء للشعب ، واعنى به هنا (رغيف الخبز) ، وباكبر كمية يمكن التعاقد عليها ، في الفترة التي لم تكن فيها اسعار الحبوب قد ارتفعت بعد ، واما ان تكتفي بشراء كمية محدودة بسعر

مئات السيارات المستوردة التى تنقلها السفن الى ميناء الاسكندرية ، ويزدحم الميناء بها ، وتبقى السيارات حيث هى بعد انزالها الى الارصفة . وتمر اسابيع طويلة قبل ان يصل اصحابها لدفع الرسوم الجمركية واستلامها .. ان السيارات تمثل جانبا كبيرا من مشكلة التكدس نظرا للحيز الكبير الذى تشغله فى الميناء .

مناسب دون النظر الى ما سيكون عليه الحال من ارتفاع كبير فى الاسعار ، فاختار المسئولون الامر الاول . وقد انعكس هذا بطبيعة الحال على الصورة التى رأيتموها فى الميناء ، وسفن الشحن تقف فى انتظار دورها لتفريغ حمولاتها ..

« وما يقال عن القمح ، يقال عن الاسمدة اللازمة للزراعة وغير ذلك من السلع الضرورية . ومع ذلك فان مختلف الاجهزة فى الدولة تعمل اليوم جاهدة للتغلب على ظاهرة التكدس فى الميناء .

تحسين وسائل النقل

« ان الوسيلة الاساسية لانهاء حالة التكدس فى الميناء تكمن فى تحسين وسائل النقل من الميناء اليه ، واعنى بها السكة الحديد،وسيارات النقل البرى ، والنقل النهرى ، وهذه المرافق عانت ما عانت بسبب ضعف الاعتمادات نتيجة لتخصيص الجزء الاكبر من ميزانية الدولة للمجهود الحربى كما اوضحت .

ان النقل الان هو المشكلة الاولى التى تواجهنا وتستاثر باهتمامنا كله . وفى رأيى ان النقل البرى بالسيارات لن يحل المشكلة ، لان الطرق الحالية ، وما قد ينشا من طرق جديدة فى المستقبل القريب والبعيد ، لن تتمكن من مواجهة الكميات الهائلة المرتقبة بعد سياسة الانفتاح ، وما تعتزم الدولة تنفيذه من مشروعات جديدة للنهوض باقتصاديات البلاد . ولهذا فاننا نتجه الان الى الاهتمام بالنقل النهرى عن طريق ترعة النوبارية، وسنعمل على تطويره ، فهو افضل وسائل النقل اطلاقا . ويكفى ان ادلل على هذا بان الصندل الواحد يستطيع ان ينقل شحنة تزن ٦٠٠ طن دفعة واحدة ، بينما لو اردنا نقل هذه الشحنة

السائحون وهم يستقلون سيارات الاوتوبيس التابعة لشركة مصر للسياحة ، بعد الانتهاء من اجراءات الجوازات والجمارك ، حيث تنقلهم الى الفنادق والى منطقة وسط المدينة .

مبنى المحطة البحرية من الخارج ، وهو من احدث المباني التي شيدت بالقرب من الارصفة المخصصة لرسو سفن الركاب .. ويجرى العمل الان لادخال عدة تعديلات على المبنى الحديث ، وتجهيزه باحدث التجهيزات الموجودة في المحطات البحرية في الموانيء الاخرى .
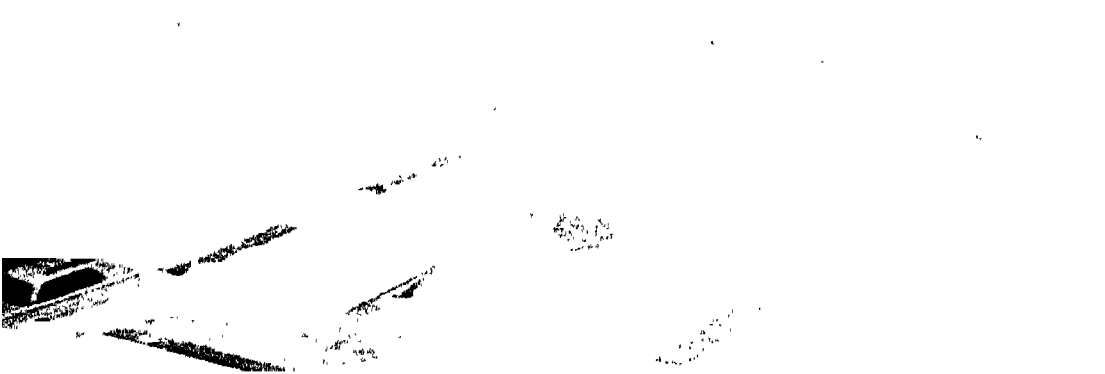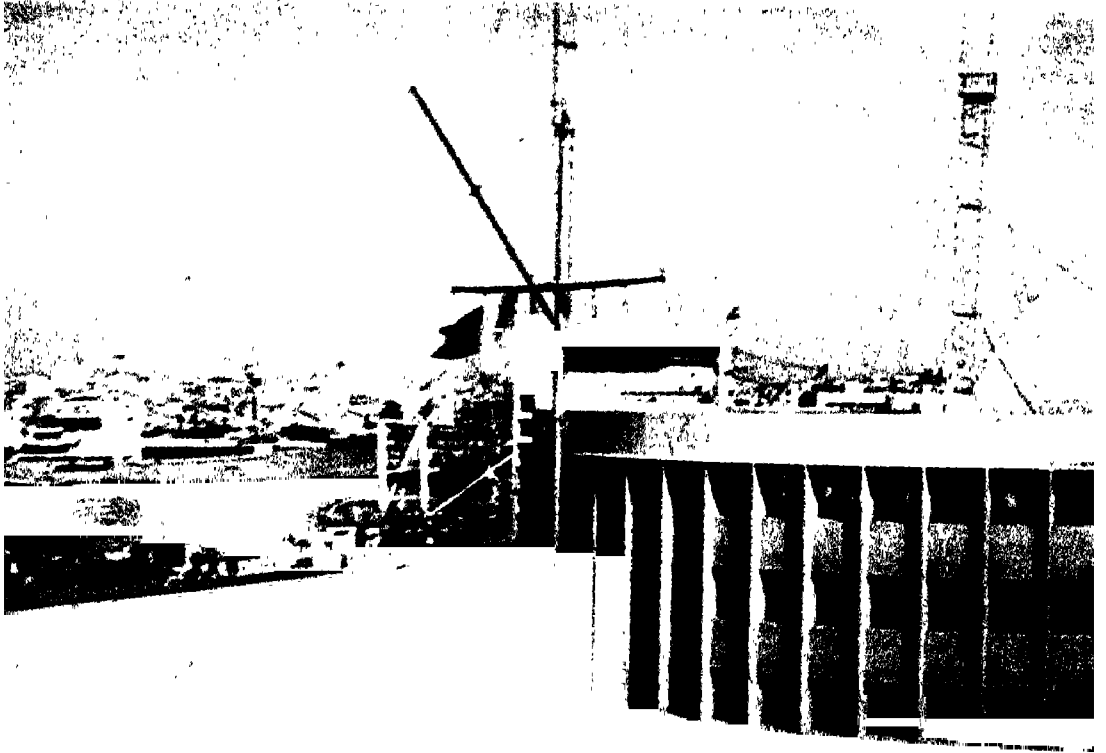
مرحبا بكم فى الاسكندرية، لافتة كبيرة تطالع السائحين والزائرين بمجرد نزولهم الى الميناء قبل دخولهم المنطقة الجمركية فى المحطة البحرية التى شيدت اخيرا وهى تحوى مكتب الجوازات وفروعا للمعارض، ومتاجر صغيرة لبيع التحف والآثار ، ومطعما لتناول الوجبات الخفيفة والمرطبات٠

السائحون وهم يتنزلون من الباخرة الى رصيف الميناء ، ومعهم بعض موظفات السياحة اللواتى يقمن بارشاد الزائرين ، وتسهيل الاجراءات الجمركية ٠٠ اما عملية مراجعة الجوازات فغالبا ماتتم على ظهر الباخرة قبل نزول السائحين الى الميناء ٠

بالقطار لاحتجنا الى عدد يتراوح بين ٤٠ و ٦٠ عربة من عرباته ، او ٣٠ سيارة نقل ضخمة اذا نقلت بطريق البر .

قلنا للواء يوسف سماحة : « هذا عن حاضر ميناء الاسكندرية ومشاكله ، والحلول المقترحةلحل هـذه المشاكل . فماذا عـن المستقبل ؟ ما هي المشروعات التي اعددتموها لتطوير الميناء وتوسيعه والنهوض بمرافقه ؟ » .

مشروعات المستقبل

قال : « هناك العديد من المشروعات الجديدة فليس من المعقول ان يكون لمصر اليوم ميناء واحد كبير . وفي مقدمة هذه المشروعات . مشروع انشاء ميناء الدخيلة . وقد تمت البحوث الخاصة به بالاشتراك مع اليابان والبرازيل والولايات المتحدة الامريكيه . وقد قررت مصر ان تشترك في المشروع بنصف التكاليف.وبدأت بالفعل عمليات جس التربة، وسوف تنتهي المرحلة الاولى بانشاء رصيف لتفريغ خام الحديد الاسفنجي Sponge Iron وانشاء حاجز للامواج . وسوف يتم استيراد خام الحديد هذا من البرازيل ، وسيعالج هذه الخامة بالغاز المستخرج من ابار البترول في خليج ابي قير ، وسينتج عن ذلك خام الحديد الزهر.وستبلغ كمية الانتاج في المرحلة الاولى ، عند اتمامها في عام ١٩٧٦ (٨٠٠) الف طن ، ترتفع الى اربعة ملايين طن في عام ١٩٧٨ باذن الله عند اكتمال المشروع وسيكون نصيب مصر منها ثلث هذه الكمية التي سنستخدمها في الاغراض الصناعية ، ونصدر باقي الكمية للخارج .

« وفي خلال هذه الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٧٦ ــ ١٩٧٨ ، سوف يتم انشاء مجموعة من الارصفة الجديدة التي تصلح لرسـو الناقلات الضخمة حاملات الحبوب . كما سنقوم بتصدير خام الفوسفات التي تقدر كمياته بحوالي ٣ مليون طن سنويا وسوف تستخرج هذه الكميات الكبيرة من الفوسفات من منطقة السباعية . وفي تقديرنا ان هذا الميناء الجديد سيصبح قادرا على تداول كميات صناعية،المستورد منها والمصدر ، لا يقل حجمها عن اربعة عشر مليونا من الاطنان..اما باقي النوعيات من الحبوب والسلع العامة والبضائع ، فينتظر ان

الاسمدة مكدسة على الرصيف المخصص لها في ا الدولة كل امكانياتها لا

يصل حجمها الى ٦ ملايين طن ، فيصبح المجموع ٢٠ مليون طن سنويا » .

قلنا : « وماذا عن الميناء الحالي ؟ » .

تطوير الميناء الحالي

قال اللواء سماحة : « لقد بلغت طاقة ميناء الاسكندرية في عام ١٩٧٤ ، ١٤ مليون طن ، ولا بد لنا من الحفاظ على الميناء الحالي وتطويره وزيادة اعماق الارصفة عن طريق استقطاع جزء

المزارع . كل هذا سوف يتلاشى بعد أن جندت
لتكدس بميناء الاسكندرية .

من المسطح المائى ، ومد الارصفة الى هذه المواقع الجديدة بحيث تسمح لرسو البواخر ذات الغاطس الكبير . وسوف تتطلب هذه التطويرات الجديدة نقل حوض البترول الحالى الى ميناء آخر جديد ليكن الى منطقة « سيدى كرير » التى تبعد ٣٠ كيلو مترا غربى الاسكندرية ، حيث يجرى العمل الآن فى انشاء مرسى خط الانابيب البترولية الجديد الذى يصل ما بين خليج السويس وسيدى كرير .

« ان ارصفة البترول تقع الان داخل الميناء ،

● ميناء الاسكندرية

ولا شك ان نقلها الى مكان آخر سيسهم بصورة فعالة فى تطوير ميناء الاسكندرية وسيقضى نهائيا على احتمالات نشوب الحرائق » .

« اما عملية توسيع الميناء واضافة ارصفة جديدة له ، فلا يمكن ان تتحقق الا فى اتجاه واحد ، الاتجاه الغربى نحو منطقتى المكس والدخيلة،وذلك نظرا لاستحالة الاستفادة من المنطقة الجنوبية بسبب قيام العديد من المنشآت والمرافق العامة التى انشئت منذ عشرات السنين خارج اسوار الميناء مباشرة .. ولذلك فان ايسر السبل واسهلها هو الاتجاه الى الغرب حيث المساحات الشاسعة من الشواطىء وكذلك الرقعة المائية المتسعة المحمية من اتجاهات الرياح » .

وكان اللواء سماحة قد وصل الى نهاية حديثه معنا ، وهو يحدثنا عن حاضر ميناء الاسكندرية ومستقبله ، ويشرح لنا الاسباب التى ادت الى تلك الظاهرة الخطيرة .. ظاهرة تكدس البضائع على ارصفة ميناء الاسكندرية ، ونظر الينا الرجل الذى يحمل فوق رأسه عبء هذا العمل الكبير وقال : « لعلنى وفقت فى ان اشرح لكم بعض الاسباب التى ادت الى تلك النتائج التى رأيتموها .. ان الميناء مظلوم .. صدقونى ! » .

الصنبور والحوض

وفجأة توقف عن الحديث وكأنه قد تذكر شيئا فاته ان يذكره ، قال : « ماذا يحدث عندما يقف احدكم فى الصباح امام حوض غسيل الوجه ويفتح صنبور المياه بقوة ؟ انك لا تلبث ان ترى الحوض وقد امتلأ بالماء او كاد !! وهذا هو حال ميناء الاسكندرية اليوم .. وصنبور المياه هنا هو السلع والبضائع التى تصل بكميات كبيرة ، والبالوعة هى عملية السحب بكل ما لدينا من وسائل نقل متاحة .. افتحوا الصنبور برفق حتى لا يمتلىء الحوض ويغرق كل ما حوله بالماء ، والا فلنسارع معا ببناء حوض جديد كبير يتسع لمياه عدة صنابير لا صنبور واحد ، حتى لو تدفقت بكل قوتها ! »

■■

منير نصيف

زيارة للمكتبة السليمانية باسطنبول

■ على الهضبة الصخرية ، المترفة على ساحلبحر مرمرة ، وعلى التقاء خليج البسفور بخليج القرن الذهبي ، تقع مدينة اسطنبول القديمة ،أو قل القسطنطينية ، حيث المساجد التاريخية الضخمة ، الرائعة بهندستها ونقوشها ، تشـقمآذنها أجواز الفضاء ، وتلمـع قبابهـا المذهبة الرءوس ، المتراكب بعضها فوق بعض في تناسقبديع .

وقـال ياقـوت عن القسطنطينيـة : اسـمها« اصطنبول » .

استولى عليها الفاتح

ولم توغل مساجد القسطنطينية في القدم ، اذ ان سلطة الاسلام عليها لم تمتد الا في سنة ٨٥٧ هجرية ، التي توافق سنة ١٤٥٣ ميلادية ، وذلك حينما نجح البطل العظيم محمد الفاتح ، في اقتحام المدينة ، بعد تنفيذ خطة حربية ، دل تدبيرها على الألمعية وحدة الذكاء ، واحتاج تنفيذها الى الغاية في المهارة وقوة الباس ، وصدق العزيمة فـي التصميم ، وكانت أولى صلاة للجمعة تقـام في القسطنطينية داخل كنيسة أيا صوفيا . التي حولها محمد الفاتح الى مسجد . كان الفتح في ١٩ جمادي الأولى وفي يوم الجمعة التالية للفتـح أقيمت صلاة الجمعة في أيا صوفيا ، ثم بنيت حولها المنارات التي يخرج منها صوت المؤذن داعيا للصلاة .

سليمان القانوني

وفي سنـة (٩٢٦ هـ) (١٥١٩ م) تولـى السلطان سليمان القانوني الحـكم في تركيـا . وامتد عهده الى سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٦) أي حوالي ٤٨ عاما .

وكان السلاطين يتنافسون في بنـاء المساجـد الضخمة التي تحيط بها المدارس ومساكن ومطاعم للمتعلمين ، ومشـارب وحمامـات للمتطهـريـن ، ومستشفيات للعلاج ، ومكتباب تحوي ما يحتاج اليه الدارسون والمدرسون ، وما يكون مرجعا للباحثين مع التجليد الفاخر والتذهيب الفني اللائق بقيمة الكتاب .

وقد يصل أن يكون المسجد وما حوله مغطيـا لمنطقة من الارض تربو على العشرين الف « متر » مربع ، وكل مدرسة تتوسطها أرض فضاء ، تكون متنفسا لما يحيط بها من ممرات ، تطل عليها أبواب الحجرات ، وهذا الفضـاء المتوسـط يكون بهجـة للعين ، وراحة للنفس ، بما ينبت فيه من أشجار ذات أوراق خضراء ، وأزهـار مختلفة الالوان .

والظاهرة الواضحة أن كل السقوف على الحجرات وفوق المساجد هي قباب متشابهة ، لا تختلف الا في الحجم ضيقا وسعة وارتفاعا .

وفي سنة ١٥٤٩ أمر السلطان ببناء مسجده وما يحيط به من منافع ، وتم كل ذلك في سنة ١٥٥٧

المكتبة وما ضمت من كتب

ولست الان بصدد التاريخ للمكتبة السليمانية التي اختير لها في العهود القريبة مدرستان مـن المدارس التي تحيـط بمسجد السلـطان سليمان القانوني ، وبهذا سميت السليمانية ، ومجموع الحجرات التي تشتمل عليها المدرستان ٥٨ حجرة ، عدا قاعة كبيرة في كل مدرسة ، احداهما للمطالعة، والاخرىجعلت معرضا لبعض المخطوطاتوالخطوط.

واخر احصاء لما تحويه المكتبة السليمانية مسجل في كتيبها المطبوع سنة ١٩٧٤ باللغة التركية ، وفيه أن مجموع ما فيهـا من كتب يبلـغ ٩٦٥٣٧ كتابا ، الكتب المخطوطة منها ٦٣٩٠٨ والمطبوعـة ٣٢٦٢٩ والذي باللغة العربية من هذه الكتب هو ٦٣٢٢٩ منها ٤٨٨٨٤ مخطوطا و ١٤٣٤٥ مطبوعا . ومـا كـان باللغـة التركيـة ١١٤٢٠ مخطوطـا و ١٥٧٣٢ مطبوعا، وما كانباللغةالفارسية ٣٦٤١ مخطوطا و ١٧٠٤ مطبوعا وما كان بلغات أخرى ٨٤٨ مطبوعا . وليس هـذا كله محصـول المكتبة السليمانية وحدها ، بل انها قد ضم اليها جميع ما كان في ٩٤ مكتبة متفرقة ، كانت في مساجد أو في مكتبات .

وهناك اربع مكتبـات قائمة بذاتها في دور خاصة ، لكنها تابعة لادارة المكتبة السليمانية ، وهي مكتبة عاطف افندي ، ومكتبة كوبرلو، ومكتبة نور عثمانية ، ومكتبة راغب باشا ، تحوي هذه المكتبـات الاربع من المخطوطات العربية وحدها حوالي عشرة آلاف كتاب ، في عاطف ٢٤٠٦ ، وفي كوبرلو ٢٢٩٨ ، وفي نور عثمانية ٣٧٦٧ ، وفي راغب باشا ١١٦٥ ، هذا الى جانب المطبوع وما ليس باللغة العربية .

رسم تخطيطي لاسطنبول القديمة موضح عليه اهم معالمها ومنها مسجد السلطان سليمان القانوني الذى تقع فى بعض مبانيه المكتبة السليمانية ·

قاعة المطالعة

ان المناضد المعدة للقراءة فى داخل قاعة المطالعة عليها مصابيح مظللة من أعلى « اباجورات » · على كل منضدة مصباحان · يضاف الى ذلك الثريات المتدلية من سقف القاعة · ولكل قارىء لوحتان من الخشب موضوعتان على المنضدة ، متصلتان من جهة ، ومنفرجتان من جهة ، بطريقة خاصة ، ليضع القارىء على اعلى اللوحتين الكتاب ، ويفرجهما من الجانب البعيد عنه ، ليعلو الكتاب ويهبط حسبما يريد · والمرء مضطر للاستعانة بهاتين اللوحتين فى قراءة الكتب المخطوطة الضخمة التى يبلغ طول الصفحة منها ٤ سم ويرتفع الكتاب من جهته العليا بواسطة القاعدة الخشبية لتقترب منه الاسطر والكلمات ·

والتعب للقارىء فى زمن الشتاء هو ان التيار الكهربائي لا يطلق فى المصابيح الا فى الساعة العاشرة صباحا ، مع ان المكتبة تفتح ابوابها الثامنة والنصف ، والنوافذ المطلة على فضاء حولها ليست من السعة بحيث تسمح لضوء النهار لان يتخلل القاعة الفسيحة وبخاصة وسطها · جانب ان الشمس فى الشتاء قلما تظهر ، والسماء ملبدة بالغيوم · حقا ان المكتبة مفتوحة الى الساعة الخامسة والنصف مساء ، طوال أيام الاسبوع ما عدا يوم الاحد ، لكن المراجعين والمطالعين يتاخرون مضطرين الى حين اضاءة الانوار ، والقليل النادر مثلي ، المحدود المدة يلجأ الى اقرب مقعد بجوار نافذة ، ويخرج مكبرته ليستطيع ان يتبين الكلمات المخطوطة · واذا سبقني الى قرب النافذة احد ، وقل ان يكون ذلك ، فانى انتظر على مضض الى الساعة العاشرة جالسا فى الظلمات ·

من المخطوطات المكرر

ولا يظنن احد ان هذه الالاف المؤلفة من كتب التراث كلها مختلفة التاليف والمؤلفين ، ذلك أن كثيرا منها هو نسخ من مؤلف واحد ، اذ كان الكتاب حينما يؤلف ويشتهر يتنافس الحاكمون والاغنياء والعلماء فى اقتناء نسخة منه ، ويدفعون للناسخين اموالا طائلة فى سبيل الحصول على بغيتهم ، لكن الناسخين يختلفون فى جودة الخط وحسن الفهم ، وبهذا تكون نسخة من كتاب قيمة مرتفعة القدر ، لا سيما حين يقرؤها عالم معروف بالضبط والاتقان ، او تقرأ عليه ويوقع هو بصحة ذلك · ونسخة المؤلف هى قبل كل شيء ذات القبول والاعتماد ، ومثلها التى اعتمدها المؤلف نفسه بعد ان يقراها او تقرأ عليه ·

جمهرة ابن دُرَيد

فمثلا من الكتب المعروفة فى اللغة كتاب الجمهرة لابن دريد ، له فى حيدر اباد بالهند حين طبع ثلاث نسخ مخطوطة · وراجع المستشرق كرنكو عدة نسخ مخطوطة من الجمهرة ، احداها فى مكتبة جمعية العلوم بليدن Leiden من هولندة، وواحدة فى خزانة المتحف البريطاني فى لندن،عدا مختصرات لها فى المتحف البريطاني ايضا ، ثم توجد نسختان فى مكتبة باريس · وفى دار الكتب المصرية نسختان، وفى جامع القرويين بمدينة فاس نسختان ، وفى استانبول ثماني نسخ، وفى بغداد فى بعض المكتبات الخاصة نسختان، فهذه احدى وعشرون نسخة لكتاب واحد ، منسوخة فى عهود مختلفة ، بعضها مكتوب منذ الف عام ، وبعضها مكتوب منذ حوالى مائة وخمسين عاما ، ولعل له نسخا اخرى فى كثير من المكتبات ·

كتاب الاغاني

وكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، حين الف في القرن الرابع الهجري ، أي منذ اكثر من الف عام ، تنافس الناس في اقتناء نسخة منه ، وأولهم الخلفاء والملوك والامراء ، فازدانت به المكتبات المنتشرة في انحاء العالم وتناثرت بعض أجزاء من نسخة في المكتبات العامة والخاصة ، وتبلغ النسخ التي روجع عليها كتاب الاغاني في طبعته الصحيحة أكثر من اثنتي عشرة نسخة مختلفة الخطوط والازمان ، والجودة والاتقان .

كتب الدين وكتب القواعد

أما كتب الدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه وتوحيد وتصوف ، فان الكتاب الواحد قد توجد منه مئات النسخ ، حيث كانت تملى في المساجد والمدارس ، ويتلقاها الطلبه يوما بعد يوم ، ومثل ذلك يقال في كتب النحو والصرف والبلاغة .

ولا تخلو مكتبة من عشرات المصاحف المخطوطة ، وعشرات النسخ من صحيحي البخاري ومسلم ، ومئات النسخ من كتب الفقه في كل مذهب .

كثرة الصفحات وقلتها

ولقد يخطر على البال أن هذه الآلاف المؤلفة كلها كثيرة الصفحات ، أو كلها ذات بال ، ولكن الحقيقة ان هناك كتبا نسمي رسائل ، لا تتجاوز بضع صفحـات ، بل منها ما هو في صفحة أو صفحتين ، فمثلا للصغاني رسالة في أسماء الحية لا تزيد على صفحة . وللسيوطي وغيره عشرات الرسائل ، لا تبلغ أكثرها عشر صفحات .

وهذه الرسائل معدودة ضمن الآلاف التي تحويها كل مكتبه ، بجانب ما يوجد فيها من مؤلفات يبلغ المجلد منها مئات الصفحات مع الطول والعرض ، وكثرة الاسطر الحاوية للعديد من الكلمات .

والغث له نصيب

ولئن حفلت المكتبة السليمانية بنوادر الكتب وجليل المؤلفات ، فان منها في نظري على الاقل ما هو عبث وضياع وقت ، ودليل على نوع من العقول في بعض الازمنة ، واليك أمثلة من ذلك :

١ ـ الوديك في فضل الديك ٢ ـ طوق الحمام الطرطوث في فوائد البرغوث ٣ ـ رسالة فيمن قال عند التعجب : الله الله ٤ ـ رسالة في مرثـ آدم هابيل ٥ ـ رسالة باسم تحفة الاكمل في جو ـ لبس الاحمر ٦ ـ رسالة في فضل الطيلسان ٧ ـ رسالة في القلنسوة ٨ ـ رسالة في رؤية البارئ هل تحصل للنساء ...

ومن المكتبات المضافة الى مكتبة السليمانية مكتبة أسعد افندي ، مجموع ما فيها من الكتب والرسائل ٣٩١٩ تجمع ما بين الغث والسمين ، ولكل ساقطة لاقطة . وسبحان مقسم العقول والافهام .

نوع من المؤلفات فريد

ومكتبـة « لاله لي » المضمومـة الى المكتبـة السليمانية ، فيها جزء من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب ، وهو حسب ما جاء في مقدمته ستة أجزاء ، يشتمل على مائتين وأربعة وستين شاعرا من شعراء العرب ، وعلى ألف واحدى وخمسين قصيدة ، وعلى تسع وعشرين مقطوعة وعلى تسعه وثلاثين ألفا وتسعمائة وتسعين بيتا . جمع هذا كله في كتاب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، من ادباء القرن السادس الهجري لكن بقية اجزاء الكتاب الخمسة مفقودة ، قد تكون منزوية في دور كتب مختلفة بدون عنوان . وفي دار الكتب المصرية جزء آخر من الكتاب ، ويبدو أنهما من نسختين مختلفتي الخط، الجزء الاول وحده يحوى ٥٨ شاعرا و ٢١٩ قصيدة ومقطوعتان مجموع ما فيه من أبيات ٧٢٦٤ بيتا .

ذكرت هذا الكتاب للدلالة على ما كان يقوم به القدامى من جهود في البحث والجمع في نوع واحد. أما كتب الشريعة والتاريخ والتراجم واللغة والادب فما أكثر الضخم منها الذى قضى أصحابه في جمعه وتاليفه عشرات السنين ، فتركوا لنا تراثا تزدان به دور الكتب ، في مختلف الدول والانحاء ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، بمختلف الخطوط ، على انواع من الورق والجلود ، منها المضبوط وغير المضبوط ، ومنها المنقوط وغير المنقوط .

المراجعة باذن والتصوير باذن عسير

ولست أدرى لماذا تكبل الثقافة بقيود ، وتوضـ حولها حواجز وحدود .

كانت المكتبات في تركيا الى عهد قريب مفتوحـ لكل طـالب علم ، تقدم المخطوطـات في رعايـ المشرفين الى من يقصدون تركيا طلبا للمراجع

المدرستان اللتان تحويان المكتبة السليمانية ، كل حجرة سقفها قبة ، أما القبتان الكبيرتان فاحداهما تغطى قاعة المطالعة والاخرى قاعة العرض .

والاطلاع ، وكان الاذن مباحا بتصوير ما يراد من المؤلفات على افلام مكرونية (ميكروفلم) او على لوحات ، ثم اذا بالامر صار محتاجا الى استئذان، فالاطلاع على المخطوطات لا يسمح به لغير التركى الا بعد موافقة وزارة الخارجية التركية ووزارة الثقافة ، وتصوير المخطوطات لا بد من أن تكتب قائمة بما يراد تصويره وترسل الى وزارة الثقافة لتاذن بما تشاء ، وتمنع ما تشاء ، ولا بد ان يوضح مدير المكتبة أن هذا المخطوط يوجد منه نسخ او هو نسخة فريدة ، وأن هذا المخطوط بخط المؤلف أو ليس بخطه ، بحجة ان ما كان فريدا ، وما كان بخط المؤلف ، غير مسموح بتصويره .

لا شك ان الذى وضع هذه القيود والحدود والشروط قد جانبه الصواب من حيث لا يدرى .

القيمة لا تنقص بالتصوير

ان القيمة الاثرية للمخطوط هى فى أوراقه الاثرية ، وصورته الماخوذة منه لا تفقده شيئا من قيمته مهما تملأ بها الامكنة والبقاع . وجميع التحف فى المتاحف العالمية ، مما يقدر ثمنه بعشرات الآلاف ومئات الالاف ، تنتشر صوره ، ولا تؤثر على قيمته ، بل تزيد قدره وتغرى برؤيته على الطبيعة . هذا الى أن طبع الكتاب بعد تحقيقه ومراجعته على النسخة الفريدة يجعله ذا نفع كبير ويكون خيرا من أن يترك قابعا تبليه الايام .

وليست كتب التراث ذات اسرار حربية ، أو بها أسرار تفجير الذرة ، أو تشتمل على أسرار فى الصناعات ، لكى تجعل غير مباحة للمريدين . ان المحبين لزيارة تركيا ، طلبا للاستفادة من دور كتبها الحافلة بعشرات الآلاف من المخطوطات ، فى كل لون وفن ، مما مضى زمنه وبقى له بعض نفعه ، سيحجمون عن الزيارة لها ، وعن زيارة كل دولة تضع قيودا على الثقافة .

المدير معذور

ولقد كدت ألقى اللوم على مدير المكتبة السليمانية الاستاذ « معمر اولكر » لولا ان ابرز الرجل عذره فى منشور يلزمه بالتقيد بما فيه . وحين جاءه الاذن كان المدير خير عون فى الاطلاع والمراجعة ، هو ومن تحت ادارته من الموظفين والموظفات ، ولا زلت منتظرا منه ومن وزارة الثقافة ما طلبناه من مصورات . ولقد طاف بى المدير فى أرجاء المدرستين اللتين صارتا المكتبة السليمانية ، وشرح لى كل جهاز ، وكل ما تحويه الحجرات ، وهو يفهم بعض ما يقال باللغة العربية ، لكنه يعجز عن الحديث بها الا

هي القليل . وكان يصحبنا في هذه الجولة الممتعة الدكتور احمد صبحي فرات استاذ اللغة العربية في جامعة استانبول . وكان له الفضل الكبير في تسهيل كثير من امور المطالعة والمراجعة ، وتبادل الحديث ما بين العربية والتركية . وله تلاميذ يوجههم للدراسة والمراجعة والبحث في المخطوطات العربية، كما انه الآن يقوم بتحقيق كتاب الاقتراح للسيوطي على نسخة عثر عليها نادرة في مكتبات بلاده تركيا : فهو تركي الجنسية .

التعقيد آفة منتشرة

وليس هذا الذي وضع القرارات المعقدة بدعا على تركيا فقد حدث منذ حوالي ١٥ عاما ان وضعت في مصر قوانين ضرائبية تحجر على ذوي العقول من موظفي الدولة ان يتجاوزوا حدا معلوما من الايراد ، وما زاد على ذلك من مؤلفاتهم الناجحة تاخذه الدولة حلالا بلالا ، ارضاء لهذا الجاهل واضع القانون الذي لا يريد احد انيحسن التفكير . واذكر ان استاذنا المرحوم الدكتور طه حسين سخر كل السخرية من هذه العقلية المتحجرة الحاقدة . لكن الاستاذ يوسف السباعي ، أكرمه الله وابقاه . وكان اذ ذاك امينا عاما للمجلس الاعلى للفنون والاداب، استطاع ان ينقذ مصر من هذه الوصمة فسارع باستصدار قانون يستثني ذوي الفكر من هذا الغباء والجمود ، فكانت تلك يدا تضاف الى ما سبقها وما تلاها من اياديه على الثقافة والمثقفين .

اجهزة لحماية المخطوطات

ان المخطوطات يعرض لها التلف بسبب الرطوبة او بسبب الحرارة او بفعل دابة الارض «الارضة» تلك التي لم ينج سيدنا سليمان عليه السلام من افسادها ، اذ أكلت منساته اي عصاه .

« فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين » .

وكم راينا من كتب قد امتلات ثقوبا ،وصارت بعض اوراقها تتساقط فتاتا كالطحين ، او انطمست معالم حروفها بسبب تلك العوامل .

لكن المكتبة السليمانية قد اتخذت لكل ذلك عدته . ففي كل حجرة جهاز يمتص الرطوبة ليحمي ما فيها من المخطوطات الموضوعة على ارفف من حديد وصاج .

ثم ان كل مخطوط يدخل في جهاز معد للتعقيم بمواد خاصة ، تقضي على ما قد اصابه او يصيبه من آفات .

وهناك قسم كبير يعمل دائبا في ترميم كل كتاب، والصاق ما تناثر من صفحاته . في مهارة ورقة ونعومة ، فلا عجب ان يكون اغلب العاملين في هذا القسم الخاص بالترميم من النساء .

وتحول الاوراق وجلود الغزلان المرممة الى اجهزة ضاغطة ،ثم تعال الى قسم خاص بالتجليد فيخيل اليك ان هذا الكتاب لم تمسسه يد البلى لولا ما فيه من بعض الثقوب التي سبقت الاصلاح والترميم .

قسم ترميم المخطوطات سواء اكانت من ورق ام من جلد ويغلب على هذا القسم الجنس اللطيف ، وترى خبيرة في الترميم لها اكثر من عشرين عاما تعمل في هذا القسم واماما انواع مرممة وانواع ستترمم

الفهارس

وللمكتبة السليمانية فهارس . كتبت على جزازات ، وهي نوعان : جزازات باسماء الكتب وجزازات باسماء المؤلفين ، وكلها مرتبة ترتيبا هجائيا ، لكن ذلك بالحروف اللاتينية التي جعلها الاتراك في القرن العشرين وسيلة لكتابتهم ، بعد ان كانت الحروف العربية هي التي يكتبونها . ولقد فصلوا بذلك بينهم وبين ما كان لهم من تراث ثقافي مكتوب أو مطبوع بالحروف العربية ، وهم يحاولون ان ينقلوه الى الحروف اللاتينية ولكن هيهات هيهات .

وهناك دفاتر مطبوعة تشتمل على فهارس كثير من المكتبات المهمة التي ضمت الى المكتبة السليمانية . وكذلك السليمانية نفسها قبل ان يضم اليها شيء . وهذه الدفاتر مطبوعة بالحروف العربية ، ومرتبة حسب الموضوعات ، وموضوعة في قاعة المطالعة . وتبلغ هذه الدفاتر ٣٨ يتراوح تاريخ طبعها ما بين سنة ١٣٠٠ وسنة ١٣١٢ هجرية ماعدا فهرس مكتبة اسعد افندي فهو مطبوع سنة ١٢٦٢ تضم هذه الفهارس اسماء الآف الكتب او المئات حسب ما كانت تحويه كل مكتبة . ولا تخلو هذه الفهارس من خطا ، ولهذا تحتاج الى اعادة مراجعة المخطوطات على ما كتب في الدفاتر . وما كتب على الجزازات . بمعرفة من يحسنون المعرفة بالكتب وما فيها .

وعلى سبيل المثال رايت في احد الفهارس كتابا بعنوان طبقات الشعراء ، ولما طلبته وجاءني تبين انه بعنوان طبقات الفقهاء . وكتاب مختصر جمهرة ابن الكلبي مكتوب بعنوان التبيين فيانساب القرشيين ، والخطا في العنوان قديم وقع فيه خطاط لا يدرى مايحويه . وكتاب اسمه اخبار القضاة الشعراء ، وحين احضروه لي تبين انه اخبار القضاة ، اما الكلمة الزائدة وهي الشعراء فاضافها احد الجاهلين ، بقلم رصاص ، قبل طبع الفهرس ، ثم طبع الفهرس باسم اخبار القضاة الشعراء .

مراجعون ومراجعات

المراجعون للمخطوطات غير كثيرين ، ولعل ذلك راجع الى برودة الشتاء في الوقت الذي ذهبت فيه ، لكن الذي اعتقده ان السبب الاهم يرجع الى التعقيد الذي لا يسمح لغير التركي بالمراجعة الا بعد اذن ، ولهذا لم اجد هناك الا شابا مصريا اسمه محمد حرب ، وهو معيد في جامعة عين شمس بمصر ، وحصل على منحة للحصول على الدكتوراه من جامعة استانبول . وكل طالب في الجامعة مسموح له بالمراجعة ما دام يحمل بطاقة الالتحاق بها .

وكنت اتوهم اني ساجد رجالا كبار الاعمار . لكنني لقيت أكثر المراجعين شبانا ، ممن لهم اهتمام باللغة العربية او البحث عن المصادر العربية التي تحفل بها المكتبة ، الى جانب المراجع الضخمة المطبوعة في قاعة الاطلاع ، ومنها تاج العروس الذي تطبعهوزارة الاعلام بدولةالكويت، ويبدو ان وضع هذا التاج في القاعة كان سببا في الحفاوة بي بعد ان رأوا اسمي عليه محققا او مراجعا .

وليس كل المراجعين من الشبان ، بل تتردد بعض الفتيات الباحثات عن العلم ، ويغلب عليهن الجمال ، لكن حداهن استحوذت على الانظار ، بلبسها الكاسي لكل جسمها ماعدا وجهها وكفيها، مع انها صحفية وفنانة،ولعل رقتها التي تكادتجعلها تذوب ، وفتنتها التي تقيد الأبصار ، هي التي جعلت جميع المراجعين والموظفين يجاذبونها الحديث، فترد في نبرات خفيضة يغلبها الحياء المشع . واسمها « انجي » مدون على غلاف كتاب تركي ، رسمت لوحته الفنية ، تحمله كما تحمل عشرات الصور التي التقطتها في موسم الحج هذا العام حين ذهبت مع امها تؤديان الفريضة ، وقد استدركت تشرح معنى اسمها باللغة العربية وهو لؤلوة ، وحقا ان « انجي » كذلك .

ومن المهتمين بالدراسات العربية شاب تركي اسمه «سليمان» يعد رسالة عن مؤلفات ابن دريد، المخطوطة الموجودة في المكتبات التركية .

تراث مجموع قبل فتح القسطنطينية

واذا علمنا أن القسطنطينية فتحت في سنة ٨٥٧ هجرية ١٤٥٣م تبين لنا ان اكثر الكتب العربية السابقة في تاريخ نسخها على ذلك العهد قد جلبت من البلاد العربية والاسلامية التي حكمها العثمانيون عدة قرون ، سواء اكان ذلك شراء ،ام استيلاء عن قهر ، أم تقريبا وزلفى . ■■

عبد الستار احمد فراج

بقلم : الدكتور ظافر طوباسى

■ مرض الحصبة احاطته الغرافات فقتلت من اطفالنا الاعزاء اكثر مما قتلت الحصبة نفسها ٠

الحصبة مرض معد « فيروسى » وهو سريع الانتشار ويصيب الانسان مرة واحدة حيث يكتسب بعدها مناعة تمنع الاصابة بالمرض ثانية ٠ ونادرا ما يصاب الطفل بالحصبة قبل الشهر السادس من العمر لان جسم الطفل يحتوى على الاجسام المضادة للحصبة والتى تكون قد انتقلت اليه من دم الام خلال المشيمة والحبل السرى ٠ الا ان هذه الاجسام المضادة تبدأ بالتناقص تدريجيا بعد الشهر السادس الى ان تختفي ويصبح الطفل بعدها معرضا للاصابة ٠

طريقة العدوى :

يتم انتقال المرض بواسطة الرذاذ او افرازات الفم عن طريق الجهاز التنفسى ويساعد الذباب ايضا على نقل فيروس المرض من الشخص المصاب الى الشخص السليم ٠

اعراض الحصبة :

تبدأ باعراض مشابهة لاعراض الرشح وهى سعال جاف مع احتقان بالانف والتهاب بجفون العين ، مصحوبة بارتفاع فى درجة الحرارة وفقدان الشهية وغالبا تبدأ هذه الاعراض بالظهور بعد مرور حوالى عشرة ايام على مخالطة الشخص المريض ٠ يبدأ الطفح بالظهور بعد ٤ ــ ٥ ايام من هذه الاعراض واول ما يظهر بالفم على شكل حبيبات صغيرة كحبيبات الملح البيضاء ٠ اما طفح الجلد فاول ما يظهر على الوجه وخلف الاذنين ثم ينتشر بالتدريج ليشمل الجسم كله ٠

تستمر الحرارة بعد ظهور الطفح لمدة يومين او ثلاثة ايام ثم يبدأ الطفح بالزوال تدريجيا مع هبوط درجة الحرارة اذا لم تحصل مضاعفات ٠

طريقة العلاج والعناية بالمريض :

هناك خرافة منتشرة فى معظم الاقطار العربية وقد لاحظت لها اصولا حتى فى بريطانيا وهى (ان الماء والحصبة لا يجتمعان) فاذا علمنا ان النظافة واعطاء السوائل بكثرة ضرورة مهمة من ضروريات علاج هذا المرض ادركنا خطا هذا القول٠ ان تنظيف فم الطفل ، وانفه ، وعينيه والكمادات الباردة لتخفيض درجة الحرارة واعطائه السوائل بكثرة اهم خطوة فى العلاج ٠

اما الخرافة الاخرى التى تصاحب مرضى الحصبة فهى ما يعرف (بكمر الطفل) اى تغطيته باغطية كثيرة حتى تظهر الحصبة بسرعة ٠ ان تغطية الطفل المصاب تؤدى الى ارتفاع فى درجة الحرارة مــن ثم الى مضاعفات قد تؤذى المخ ٠

من المهم جدا العناية بالطفل فى غرفة جيدة

أهم طرق العلاج والوقاية من الحصبة هى عزل الطفل المصاب حتى لايكون سببا للعدوى

التهوية ، بدون مجرى هواء ، والباسه ملابس خفيفة تساعد على خفض درجة حرارته •

وخرافة اخرى تنتشر بالتدريج وهى (الحقنة او الابرة التى تساعد على ظهور الحصبة) • الواقع انه لا وجود لمثل هذه الابرة فالحصبة ستظهر سواء اعطى الطفل هذه الابرة ام لم يعطها •

ان أهم طرق العلاج والوقاية هى :

١ ـ عزل الطفل المصاب حتى لا يكون سببا للعدوى •

٢ ـ نظافة الطفل المصاب خصوصا الفم ، والانف والعين والجلد •

٣ ـ اعطاء السوائل بكثرة لتعويض ما يفقده الجسم بسبب ارتفاع درجة الحرارة •

٤ ـ استعمال الكمادات الباردة ومخفضات الحرارة عند الضرورة •

٥ ـ استشارة الطبيب اذا بقيت الحرارة مرتفعة بعد ظهور الطفح او اختفائه • او اذا اشتكى الطفل من ضيق بالتنفس او الم بالاذن او اذا حصلت تشنجات •

كما ينصح باستشارة الطبيب فى حالة الاطفال المصابين بضعف البنية او بامراض اخرى كامراض القلب والسكرى • لان تعرض مثل هؤلاء الاطفال للحصبة يؤدى الى اصابة اشد مما هى فى الاطفال العاديين •

مضاعفات المرض :

١ ـ التهاب الدماغ الحاد وهذا نادر الحدوث ويحصل بنسبة حالة واحدة لكل ٥٠٫٠٠٠ حالة حصبة •

٢ ـ التهاب الحنجرة الحاد •

٣ ـ التهاب الرئتين •

٤ ـ تقرح العينين نتيجة عدم النظافة مما قد يؤدى الى تكوين ندبة على القرنية (اللقطة) •

٥ ـ امراض سوء التغذية قد تزداد سوءا بسبب امتناع الاهل عن تقديم الغذاء الضرورى المتكامل للطفل خلال فترة الحصبة •

التطعيم ضد الحصبة :

خلال السنوات العشر الاخيرة اصبح متوفرا هناك مطعوم ضد مرض الحصبة وهو عبارة عن فيروس المرض المعالج بطرق خاصة بحيث يؤدى الى تكوين مناعة لدى الطفل دون ظهور اعراض الحصبة • ويعطى عندما يبلغ الطفل حوالى ١٠ ـ ١٢ شهرا من العمر • ■

دكتور ظافر طوباسى

اخصائى الاطفال ـ عمان

طرائف غريبة ..

عمالقة واقزام

●● قال بسمارك السياسي الالماني الكبير يوما المقاتلون وحدهم هم الذين يعرفون ويلات الحرب . وهم اول الذين ينادون بالسلام ونبذ القتال ! »

ولعلنا نجد فيما قاله الجنرال عمر برادلي Omar Bradley الذي تولى رئاسة هيئةاركان حرب القوات الامريكية بعد الجنرال ايزنهاور في عام ١٩٤٩. هذا المعنى الذي ذهب اليه بسمارك فقد قال « ان عالمنا اليوم هو عالم عمالقة الذرة واقزام الاخلاق . فنحن نعرف عن الحروب اكثر مما نعرف عن السلام .. نعرف عن القتل اكثر مما نعرف عن الحياة .. انني ابتهل الى الله ان ياتي اليوم الذي يتحول فيه الاقزام الى عمالقة، ويخرج كل رجل وامرأة وطفل ليشاركوا في حفر اكبر مقبرة في التاريخ لكل اسلحة الموت والدمار .. ان شجرة الزيتون لن تموت طالما بقيت مياه الحياة تروى جذورها ! »

الطفولة والقراءة !

● لورنس بيرسول جاكس Lawrence Pearsall Jacks عميد كلية مانشستر في اكسفورد (١٨٦٠ - ١٩٥٥) كان استاذا للفلسفة . وصحفيا . ومؤلفا وضع العديد من الكتب . قال يوما يحدثنا عن طفولته : « روت لي امي تجربتها معي . وهي لم تروها الا بعد ان عدت اليها حاملا شهادتي الجامعية ! قالت لي امي وهي تلمس وجهي باصابع يدها الحانية وتدعو لي بمزيد من النجاح : « كنت اعرف انك ستصبح رجلا ناجحا يا بني .. فقد رايت في طفولتك نبوغا .. كنت تعشق الكتب ، وكانت القراءة بالنسبة لك جزءا لا يتجزأ من حياتك اليومية .. تماما كالطعام واللعب والحب التي يسعى اليها كل طفل . ولكنك كنت تفضل القراءة على الكثير من متع الحياة التي يبحث عنها الاطفال ! » .

ويقول لورنس بيرسول : « ان انفتاح الطفل على الكتب في هذه السن المبكرة هو انفتاح على الدنيا وما تحويه من حقائق واسرار .. والطفل الذي يجهل الحقيقة ، ويعتمد فقط على ما يسمعه من والديه من ردود على الاسئلة الكثيرة التي تحيره ، هو طفل ضائع لن يجد نفسه ابدا ! لقد وجدت نفسي لانني تعلمت كيف ابحث بنفسي عن كل ما يتصل بالدنيا واسرارها وبالفضاء وغموضه وبالكون اللانهائي من حولي : وكل ذلك من كتاب » .

فلسفة عالم كبير

● فردريك سانجر Fredrik Sanger العالم البريطاني ، واستاذ الكيمياء الحيوية جامعة كمبريدج ، الذى فاز بجائزة نوبل فى الكيمياء علــى اكتشافه للتركيب الكيمائى للانسولين ٠ كتب يقول وهو يتسلم جائزته فى عام ١٩٥٨ : « لقد علمنا المثاليون ان الفكرة الجديدة تهزم عندما لا يقرها العارفون او الذين يدعون المعرفة ٠ ولكن تجاربى علمتنى ان العكس هو الصحيح ، فكم من افكار جديدة وقضايا كثيرة كانت الهزيمة نصيبها ، ثم اكتشف هؤلاء الذين تسببوا فى موتها ، ان هده الافكار كان من الممكن ان تنقذ العالم لو انها خرجت الى حيز الوجود ٠٠ ان فى قصة الكسندر فلمنج مخترع البنسلين درس لكل صاحب فكرة جديدة آمن بها ٠٠ فقد خذلوه ، وبقى اختراعه ميتا سنوات طويلة ، ثم اذا بهم يعودون اليه فجاة لينقذ الملايين من الجرحى والمرضى فى الحرب العالمية الثانية ! » ٠

معنى السعادة

● جين اوستن Jane Austin المؤلفة الانجليزية المشهورة (١٧٧٥ ـ ١٨١٧) ، صاحبة قصة ايما Emma ، التى غزت بها عالم الادب ، كتبت يوما تقول : « ان الانسان الذى يظن انه يستطيع ان يكون سعيدا طوال ايام حياته ، هو انسان مجنون ! فنحن جميعا نعرف ان الدليل الوحيد على تمتعنا بكامل قوانا العقلية ، يكمن فى قدرتنا على الشعور بالتعاسة عندما نفاجا بحدث يعكر صفو حياتنا ٠٠ ان الحياة الحقيقية هى فى السعادة التى نشعر بها من بعد حزن ٠٠ هى فى صفاء النفوس من بعد خلاف ٠٠ هى فى الحب بعد المعارك التى تنشب بين الزوجين ٠٠ هى فى النجاح الذى نصل اليه من بعد فشل ٠٠ هى فى الامل الذى يملأ صدورنا بعد ان نكون قد يئسنا من الحياة وكل ما تحمله لنا ٠٠ هذه هى الحياة وهذه هى فلسفتها ! » ٠

الحب ليس حفــــرة !

●● لافونتين La Fontaine الشاعر الفرنسى الكبير (١٦٢١ ـ ١٦٩٥) ، ترجمت اعماله الى كل اللغات ، وخاصة تلك التى حدثنا فيها عن نظرته الى الحياة ، وعن الحب ، وكل ما يتصل بتلك العاطفة التى عرفها الانسان عندما اكتشف نفسه ٠

قال يوما يصف الحب : « خطا هذا الذى يقال فى وصف الحب بانه حفرة يقع فيها المحب ٠٠ ما اكثر ما قرأت هذا التعبير الغريب فى وصف المحبين ، عندما يشيرون اليهم بقولهم : « لقد وقعوا فى الحب » ٠٠ اى انهم كانوا يسيرون بثقة وطمانينة على الطريق الذى استوى امامهم ، ثم اذا بهم فجاة يصادفون بئرا يقعون فيها دون ان يشعروا بوجودها او بما حدث لهم !

« وهذا اسخف وصف فى الحب ٠٠ فهذه العاطفة النبيلة التى تربط بين قلبى الرجل والمرأة ، لا يمكن ان تكون حفرة ولا يمكن ان تكون بئرا ٠٠ ان الحب بزرة صغيرة يلقى بها فى الارض ، وهى لكى تنمو وتكبر وتثمر لا بد لها من وقت ، فلم ار بزرة تتحول الى شجرة بين يوم وليلة ٠

هكذا الحب الذى اعرفه ٠٠ انه فى حاجة الى ارض خصبة طيبة ، تمد البزرة بالغذاء ، وفى حاجة الى مياه ترويها ٠٠فالحب يبدأ صغيرا وينمو مع الزمن ٠٠ اما الحفر والآبار التى يقع فيها المحبون ، فنادرا ما نجدهم يخرجون منها ، واذا خرجوا وجدناهم قد ضلوا طريقهم فى الحياة !

الرحلة الفضائية
السوفيتية الأمريكية المشتركة
فتح جديد للتعاون العالمي

بقلم : المهندس سعد شعبان

■ بزغ عصر الفضاء فى اكتوبر عام ١٩٥٧ باطلاق القمر الصناعى السوفييتى الاول « سبوتنيك ـ ١ » . ومنذ ذلك الحين يتخذ العلم يوما بعد يوم ابعادا جديدة • وقد تميز فجر عصر الفضاء بسيل منهمر من الاقمار الصناعية التى اطلقتها كل من روسيا وامريكا ، من اجل الابحاث العلمية فى الفضاء • الا ان البحث اخذ سمات التسابق بين الدولتين واصبحت السماء حلبة صراع صامت بين الاقمار الصناعية وسفن الفضاء •

ومع مطلع عام ١٩٥٨ بدات السنة الجيوفيزيقية الدولية . التى يتبادل خلالها علماء مختلف الدول المعلومات التى توصلت اليها ابحاثهم ، خلال اجهزة الامم المتحدة • وكانت اولى ثمار هذا التعاون ما توصل اليه العالم الامريكى « فان الن » Vanallen من اكتشاف مصادر تركيز الاشعة الكونية فى حزامين حول الكرة الارضية على ارتفاعات عليا لم تعرف من قبل ، ولم تصل اليها آية قياسات سابقة ، حتى تمكنت سلسلة الاقمار الصناعية الامريكية « اكسبلورر » Explorer من اجراء هذه القياسات على ارتفاعات شاهقة فى الفضاء •

وخلال الستينيات اخذ السباق صورا مختلفة ، بين طيران كونى حول الارض بكبسولات تضم داخلها احياء من الحيوانات ، ثم بسفن فضاء تحوى روادا من البشر • واخيرا انقلبت حلبة الصراع بين الدولتين الى رقعة اوسع وارحب ، حيث اصبحت سفن الفضاء تجوس خلال الفضاء الذى يفصل بين الارض والكواكب ، وبين الكواكب بعضها وبعض • ولكن مع مطلع السبعينيات خفت حدة هذا التسابق ، وبدأ البحث العلمى يتخذ بعدا جديدا ، سِمَته التعاون بين الدولتين فى ابحاث الفضاء •

الدولى لصالح البشرية

فمنذ زيارة الرئيس الامريكى السابق نيكسون موسكو فى مايو ١٩٧٢ ليفتح فى علم السياسة ما اصطلح على تسميته « بسياسة الوفاق » ، بدا ايضا عهد جديد فى التعاون الدولى الفضائى. وكانت اولى الاتفاقات فى هذا المضمار ، القيام برحلة فضائية مشتركة ، حدد منتصف شهر يوليو من عام ١٩٧٥ موعدا لانجازها .

الرحلة الفضائية المشتركة

نص الاتفاق بين الرئيس الامريكى السابق « نيكسون » ، والزعيم السوفييتى « بريجنيف » على ان تتم الرحلة بسفينتى فضاء ، الاولى من طراز « ابوللو » الامريكية ، والثانية من طراز « سويوز » السوفيتية .

ويتحقق التحام السفينتين فى الفضاء ، اثناء دورانهما على مدار واحد حول الارض . ثم يلتقى الرائدان اللذان يستقلان كل سفينة خلال وحدة ربط او مهاياة تحقق عملية الالتحام بينهما .

ومن المعروف ان برنامج « ابوللو » الامريكى بدأ منذ نهاية عام ١٩٦٧ ، ولقد استهدفت الرحلات الفضائية من رحلة ابوللو ـ ٧ حتى رحلة « ابوللو ـ ١٠ » دراسة القمر من قرب . وفى يوليو ١٩٦٩ حققت السفينة « ابوللو ـ ١١ » الحدث التاريخى بهبوط اول انسان على سطح القمر بواسطة رائدين على متن مركبة قمرية حطت فوق سطحه برفق . وانتهى برنامج أبوللو بالرحلة رقم ١٧ فى ديسمبر ١٩٧٢ .

اما رحلات سفن « سويوز » السوفيتية ، فقد بدأت منذ ابريل عام ١٩٦٧ وكان من كل منها رائد واحد ، ثم تطور الامر منذ اطلاق السفينة «سويوز ٥ » فى يناير ١٩٦٩ واصبح فى كل منها رائدان. وما زالت تتوالى رحلات سفن سويوز حتى عامنا الحالى ، وقد انتهت برحلة « سويوز ـ ١٧ » فى يناير ١٩٧٥ .

برنامج مشترك

ومنذ تم الاتفاق على انجاز هذه الرحلة ، بدأت الدولتان برنامجا فضائيا مشتركا يضمن تحقيق نجاح الرحلة ، بوضع الخطط اللازمة لتذليل العقبات القائمة نظرا لاختلاف تصميم السفينتين.

ولقد اخذ هذا البرنامج المشترك ثلاثة اتجاهات مختلفة ، الاول يتعلق بوضع خطة تدريب الرواد الامريكيين والسوفييت معا . ومن اجل ذلك تمت زيارات متبادلة بين رواد كل دولة للدولة الاخرى للاطلاع على اوجه النشاط الفضائية فيها ، ولاجل التدريب على « محاكيات » فضائية تحقق انجاز التجارب المطلوبة فى الفضاء .

اما الاتجاه الثانى من البرنامج المشترك فيشمل وضع خطة هندسية لتصنيع وحدة الربط او المهاياة التى ستحقق خلالها التحام السفينتين . ومن اجل ذلك اطلعت كل من الدولتين مهندسى الدولة الاخرى على تصميم سفينتها الداخلى والخارجى . وقام طاقم مشترك من مهندسى الدولتين بتصميم وحدة الربط .

وثالث بنود البرنامج المشترك يتعلق بوضع الخطة العلمية للرحلة ، والاستقرار على التجارب التى سيكلف الرواد انجازها ، وتصميم الاجهزة اللازمة لتحقيقها. وهذا أهمها فى الموضوع. فقد وضعت قائمة التجارب لتحقق مزيدا من النفع لكلتا الدولتين ولتلبى طلبات بعض الدول الأخرى بالنسبة لتعليمات علمية خاصة مطلوبة من الفضاء.

عقدة الالتحام

من المقرر ان يطلق الاتحاد السوفييتى سفينة سويوز من قاعدة « بايكنور » الفضائية تضم رائدين ، وبعد سبع ساعات تطلق امريكا السفينة ابوللو من قاعدة « كيب كيندى » Cape Kennedy بولاية فلوريدا وتضم رائدين ايضا . وتدور كلتا السفينتين حول الارض بمعدل دورة كل ٩٠ دقيقة . وبعد التحامهما ستظل السفينتان فى الفضاء مكونتين جسما واحدا لمدة ٤٨ ساعة تدوران خلالها حول الارض ٢٥ دورة . ومن المقرر ان تهبط السفينة السوفيتية الى الارض بعد الانفصال

فوق جمهورية اوزبكستان ، اما السفينة الامريكية فستظل تواصل التجارب في الفضاء مدة تدوم بعد الانفصال ستة ايام ٠ ومن المقرر انه خلال هذه المدة سيلتقط الرائدان الامريكيان ما يقرب من ٨٠٠ صورة لمناطق مختلفة على الارض لاجراء مسح جيولوجي لها ٠

وتمثل عملية الالتحام بين السفينتين العقبة الرئيسية في الرحلة،ولذلك يجد الرواد السوفييت في التدريب عليها ٠ ولهذا السبب توالت رحلات سفن الفضاء « سويوز Soyuz ـ ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ » واحدة الى الاخرى منذ عام ١٩٧٣ لاختبار الاجهزة التي ستستخدم في الرحلة المشتركة وللتدريب على الالتحام بالمحطات المدارية السوفيتية من طراز ساليوت Salute ورغم ان اطلاق المحطة المدارية « ساليوت ـ ٢ » قد باء بالفشل ، الا ان المحطة « ساليوت ـ ٣ » قد افلح الالتحام بها بواسطة رواد السفينة « سويوز ـ ١٤ » والبقاء بها ١٦ يوما ، بينما فشل الالتحام بواسطة رواد « سويوز ـ ١٥ » ٠ وقام رواد السفينة « سويوز ـ ١٦ » بتجربة اجهزة الالتحام في ديسمبر ١٩٧٤ لم نجح رواد « سويوز ـ ١٧ » في الالتحام بالمحطة المدارية « ساليوت ـ ٤ » في يناير ١٩٧٥ وتجاوزوا الارقام القياسية السوفيتية السابقة للبقاء في الفضاء ٣٠ يوما ٠ وكل هذه الاستعدادات للتدريب على انجاز عملية الالتحام بنجاح ولتدريب الرواد على القيام بالتجارب المطلوبة ٠

تجارب لصالح البشرية

تثبت قائمة التجارب الموضوعية لرحلة الفضاء المشتركة ان ابحاث الفضاء لم تعد ترفا في البحث العلمي ، بل اصبحت ضربا من العلم الملتزم لتحقيق الرفاهية للبشر على الارض ٠ ولذلك لا تقتصر التجارب على القياسات العلمية المجردة بل تتسرب الى واقع التطبيق لتحقيق مزيد من التطبيقات الفضائية المستعدلة على الارض ٠

ولقد تم اتفاق وكالة الفضاء الامريكية «الناسا» مع اكاديمية العلوم السوفيتية على التجارب المقررة وهي تبلغ ١٨ تجربة تتكلف ما يربو على عشرة ملايين دولار وتعنى بالاعراض التالية :

١ ـ تصوير الهالة الشمسية حول قرص الشمس المضيء « الفوتوسفير » بغرض زيادة دراسة الطاقة الشمسية كحل بديل لازمة الطاقة المستحكمة في امريكا ٠

٢ ـ قياس الاشعاعات فوق البنفسجية وخاصة اثناء الليل في طبقات الجو العليا حيث تنعدم جزيئات الاوكسجين والايدروجين ، لمعرفة مسارات توزع هده الاشعاعات حول الارض ٠

٣ ـ دراسة ظاهرة بريق الضوء في الفضاء التي لاحظها رواد بعض الرحلات الفضائية السابقة والمعتقد ان سببها الاشعة الكونية التي تصل الى الارض من المجرات الخارجية ٠

٤ ـ دراسة سريان غاز الهليوم في الفضاء الذي بين الكواكب داخل المنظومة الشمسية وتصوير البريق الذي يصدر عنه ٠

٥ ـ دراسة سلوك الاشعة السينية « اكس » في الحدود بين ١ ، ١٠٠ انجشتروم ٠

٦ ـ دراسة انصهار المعادن وسبائكها في الفضاء تحت التاثر بانعدام الوزن بصنع سبيكة من معادن الحديد والجرافيت والذهب ٠

٧ ـ دراسة تاثير المواد المستخدمة في الصناعات الالكترونية بحالة انعدام الوزن ، كمادة الجرمانيوم المستخدمة في اشباه الموصلات ٠

٨ ـ تصوير مصادر تلوث البيئة في بعض الاماكن الامريكية والسوفيتية ٠

٩ ـ تصوير جبال الهملايا في الهند ، لدراسة مسارات تسرب المياه منها اذا ما تعرض الجليد الذي فوقها للذوبان ، ولاكتشاف ما تحت الجليد من معادن ٠

١٠ ـ اجراء تجارب طبية في الفضاء لدراسة [...]كان فصل البروتينات والفيروسات والخلايا الحية [...]ن دم الانسان ودم الارانب لاعداد اللقاح ·

١١ ـ اجراء تجارب طبية لدراسة قابلية العدوى بالبكتريا في اثناء الوجود في الفضاء ، ومدى تاثر كرات الدم البيضاء بها ، وتاثير حالة انعدام الوزن عليها · وذلك بتحليل عينات من دم الرواد قبل الرحلة وبعدها ·

١٢ ـ دراسة طريقة مستحدثة لاقتراب سفينة فضاء من سفينة اخرى باستخدام جهاز لاسلكى يعمل على الترددات العالية جدا لقياس تغير المسافة بينهما ·

١٣ ـ اجراء قياسات عن الجاذبية الارضية وعمل مسح جيولوجى لبعض المناطق على الارض ، واستشعار اماكن احتمال حدوث الزلازل ، واماكن تجمع الرواسب المعدنية تحت القشرة الارضية ·

١٤ ـ التعاون مع احدى الجامعات الالمانية في اجراء تجارب على بعض المواد العضوية كالبيض وجذور نبات الفول ، والاحياء البحرية كالجمبرى لمعرفة مدى تاثرها بالاشعة الكونية ·

هذه القائمة من التجارب تبين ان برنامج الرحلة سيكون ذا نفع لبعض الدول لتحقيق مزيد من الدراسات التى يصعب اجراؤها بالوسائل التقليدية على الارض ·

ومن المشرف ان الدكتور « فاروق الباز » الجيولوجى المصرى ، له باع في الاعداد لهذه التجارب · وقد قام بجولة في اواخر عام ١٩٧٤ مر فيها بالهند وبعض البلاد العربية وبوطنه مصر ، واتفق مع المسئولين فيها على ان يقوم رواد الرحلة بتصوير الصحراوات المصرية للكشف عن مصادر ثرواتها الدفينة ·

■■

المهندس سعد شعبان
رئيس لجنة الفضاء بنادى الطيران المصرى

وصية اعرابى لابنه

● أى بنى ، أجلس أمنحك وصيتى .وبالله توفيقك ، أى بنى أرى داعى الموت لا يقلع ، وارى من مضى لا يرجع ،ومن بقي فاليه ينزع،وانى موصيك بوصية فاحفظها · عليك بتقوى الله العظيم ،وليكن أولى الامور بك شكر الله ، وحسن النية في السر والعلانية ، فان الشكور يزداد والتقوى خير زاد ·

أى بنى لا تزهدن في معروف ، فان الدهر ذو صروف ، والايام ذات نوائب ، على الشاهد والغائب ، فكم من راغب قدكان مرغوبا اليه ، وطالب أصبح مطلوبا ما لديه ، واعلم ان الزمان ذو الوان ، ومن يصحب الزمان يرى الهوان ·

أى بنى كن جوادا بالمال في موضع الحق ، بخيلا بالاسرار عن جميع الخلق ، فان أحمد جود المرء الانفاق في وجه البر ، وان أحمد بخل الحر الضن بمكتوم السر ·

أى بنى اذا أحببت فلا تفرط ، واذا أبغضت فلا تشطط ،فانه قدكان يقال: احبب حبيبك هونا ما ، عسى ان يكون بغيضك يوما ما ، وابغض بغيضك هونا ما ، عسى أن يكون حبيبك يوما ما وعليك بصحبة الاخيار ، وصدق الحديث ، واياك وصحبة الاشرار ·

بـلا وَكْـرٍ ..

بقلم : الدكتور محمد عبده غانم

لا الدار داري ولا الأوطارُ أوطاري
أمسي ضياعي حديث المُدْلج الساري

مستوفز الحس لا نوم ألوذُ به
ولا سمير له أُفضي بأسراري

ماذا جنيتُ. وماذا ـ ياترى ـ اقترفت
يداي في الحب من ذنب وأوزار ؟

حتى أُحمَّلَ همَّ الليلِ مغتربا
وِزْراً تنوء به أكتافُ جبَّار

أرنو إلى الأفْق في شوق . لعلَّ به
نجماً يرق لعُسرِي بعد إيساري

وأسأل الليلَ لما طال طائله
عن فجر كانونَ لا عن فجر أيار (١)

والليلَ يعجب من حالي. ويسخرُ من
سعيي إلى الفجر في جِد وإصرار

حتى إذا لاح فجرٌ في أواخره
كان النذيرَ بليل ساخرٍ ضاري

★ ★ ★

ياليل لندنَ في كانونَ . أين ترى
داري وإلفي وأصحابي وزوَّاري ؟

أين العيون التي كانت تغازلني
في سفح «شمسان» بل توحي بإشعاري؟

أين الشفاهُ التي كانت تشاطرني
في شطِّ «حقَّاتَ» أقداحي وأسماري؟

وأين أين حديث الموج ينقله
من حول « صيرةَ » تيارٌ لتيار ؟

وأين أين ذيول كان يسحبها
عهد الهوى بين آصال وأسمار ؟

ياهل ترى ترجع الأيام دورتَها
في ظل عهد بلحْن الحب موَّار ؟

أم أنها وحدها الذكرى نلوذ بها
من هول داجٍ من الأشجان زخَّار ؟

★ ★ ★

ماذا جرى لحليف الدار يهجرها
حتى غدا اليوم ديَّارا بلا دار ؟

يهيم كالفلك تجري دون ما هدف
في اليم ، لا دفَّةٌ فيها ولا صاري

للطير في الليل أوكارٌ تعود لها
فأين ياليل في دنياك أوكاري

تساقطتْ أم ذرَتْها الريحُ أم عبثت
فيها الصقور بمنقار وأظفار .

---

(١) كانون الأول والثاني (ديسمبر وبناير) من شهور الشتاء ، وأيار (مايو) من شهور الربيع .

أفاد جناحي حين طرت بـه … بحثا عن الوكر من غاب إلى غار ؟

وادمى والخوافي كلها تعبت … من رحلتي فهي أنضاء لأسفار

أن المهيض بلا وكر أنال بـه … دفئا ، فيرتد شأوى بعد إقصارى

المَلْمُ الريشَ من حولى ، ليدفئنى … وأين للريش جمعٌ بعد إعصار ؟

وكيف أقطع ليلا لا أنيس بـه … والريح تزأر ، والأسْدافُ كالقار

وليس لى في الدجى نجمٌ يسامرنى … قد أقفر الليل من نور ومن نار

ليل الشتاء طويل . كيف أقطعه ؟ … قد ضاع في الليل تطوافي وتسيارى

★ ★ ★

ماذا دها البلبل الشادى وكان له … في الروض وكرٌ على نبع به جارى ؟

يشدو به بين أفراخ حواصلها … زغبٌ . بلحنٍ له كالنَّبْع ثرار

ويجمع القشَّ من عُشْب يجاوره … والحبَّ من سنبل غضٍّ وأشجار

والإلفُ في وكره الشادى تبادلُه … لحنا بلحن ، وأوطارا بأوطار

ماذا دهاه فأمسى ما بساحته … وكرٌ يقى الطير من ضَيْم وأوضار ؟

وكرٌ يقيه الأذى والليل ليس به … إلا الأذى إن يطف ليل بأطيار

ما ذنبه حين يلقى الليل في جزع … وهو الوحيد . غريبَ الدار والجار ؟

ما من أنيس له ينسى بجانبه … ما يجلب الليلَ من همٍّ وأكدار ؟

هل ذنبه أنه يخشى الظلام إذا … وافى فألقى به في لجه العارى ؟

أم ذنبه أنه طيرٌ . وأن لـه … لحنا ينوح على طَير وأزهار ؟

على الوكور التى غابت . فليس له … من بعدها غيرُ أطلال وأطْمار

★ ★ ★

ياليل لندن في كانونَ . ما صنعت … أيامنا بالمنى . أم لست بالدارى ؟

ام كنا إذا لاح الضياء لنا … نُضَفّر الفجر إكليلا من الغار

سج الشمس إن مدت أشعتها … أثواب عطر على أعطاف أبكار

ن تلك المنى . ياليل، هل ذهبت … كيما تعود لنا من بعد إدبار ؟

ل ترى تَرجع الأيام ناعمةً … تهفو لشعرى إذا غنى وأوتارى ؟

ليس من عودة فالليل يحبسها … عنى . ليَجْنى على لحنى وقيثارى

د . محمد عبده غانم

السجن بين: الأمس واليوم
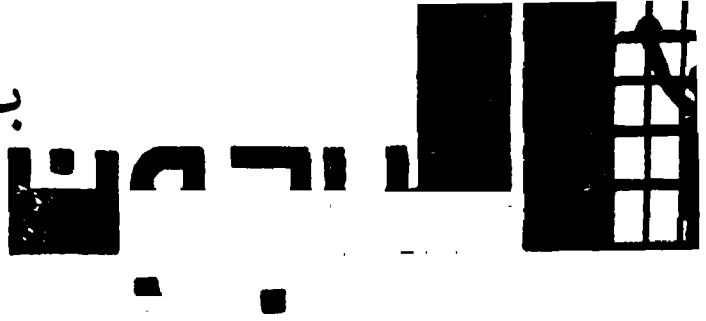
بقلم : الدكتور جمال الدين محمد محمود

عقوبة معروفة من قديم . ولكن طرق تنفيذ هذه العقوبة ووسائلها قد تغيرت على مدى الزمن . وتبعا لتغير الظروف والافكار فى البلاد المختلفة ، واذا كان السجن على الدوام مكانا كريها للانسان تسلب فيه حريته ، فقد كان فى وقت من الاوقات مكانا لا يحتمل الانسان مجرد البقاء فيه ، الا انه اصبح الآن فى النظم الحديثة للسجون مكان محتمل للمحكوم عليه ، ولكنه لن يصبح يوما مكانا مفضلا كما وصفه بذلك شاعر عربى ابتلى بعقوبة السجن(١) .

كان السجن فى العصور القديمة مكانا معدا للانتقام والتعذيب . ولم يكن بقاء المحكوم عليه فيه رهنا بمدة معينة ، ولا كان يستهدف شيئا غير مجرد التنكيل والايلام ، دون ان يلقى المحكوم عليه من الرعاية او الارشاد ما يعيده بعد العقوبة انسانا سويا ، فلم يكن السجن تقويما او اصلاحا بقدر ما كان تعذيبا وتنكيلا .

السجون فى مصر القديمة

ومع ذلك فان بعض المجتمعات القديمة كان لها تنظيم معين فى قضائها وفى سجونها ، كما كان الحال فى مصر القديمة ، يحكى لنا القرآن الكريم أن السجن فى مصر كان عقوبة لمن يخرج على ارادة فرعون ، ولو كان الامر يتعلق بالعقيدة او بقضية راى ! فقد ناقش فرعون مصر النبى موسى عليه السلام فى قضية الالوهية ، وبعد ان ساق النبى له الشواهد والآثار الدالة على وحدانية الله ـ قال له فرعون « لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين » سورة الشعراء آية ٢٩ . وكذلك تعرض النبى يوسف عليه السلام لمحنة السجن ، وكان ذلك كما تشير الآيات فى سورة يوسف بغير ذنب جناه . ولو فى نظر من ادخله السجن ، فقد كان السبب ـ كما يبدو من آيات القرآن ـ ان يقفل باب الحديث فى شغف امرأة العزيز بيوسف عليه السلام ، وذلك بايداعه السجن « حتى حين » كما حكى القرآن الكريم ـ غير ان ما تهمنا الاشارة اليه هو ان السجن فى عهد فرعون لم يكن بالغ القسوة ، فقد روت الآيات فى سورة يوسف ما يدل على ان السجن لم يكن انفراديا ، وكان يباح فيه اجتماع المسجونين ، وجلوسهم للحديث بعضهم مع بعض ، فان كل واحد من صاحبى السجن قد روى للنبى يوسف ـ عليه السلام ـ ما رآه فى المنام ، ووعظهما النبى ، ولفت نظرهما الى وجود الله ووحدانيته ، ثم عبر لكل منهما رؤياه .

واوصى احدهما ـ ولعله كان على موعد قريب مع الافراج عنه ـ بان يذكره للحاكم ، ولكنه بعد خروجه نسى وصية «يوسف» له !

السجون فى العصور الوسطى

ونجد السجون فى العصور الوسطى وفى كل البلاد تقريبا اداة ناجحة للانتقام والتعذيب ، لا تختلف فى ذلك سجون الغرب عن سجون الشرق الاسلامى ، فحدث ما شئت عن سجون اوربا وقت

---

(١) وهو « على بن الجهم » .

السجن المركزى الحديث فى الكويت

الاقطاع ، ووقت ازدياد نفوذ الكنيسة ، فيما يتعلق بجرائم الاشخاص ضد الدين او الكنيسة ، وحدث كذلك عن سجون الشرق فى عصر الخلفاء المتاخرين ، والدولة العثمانية ، وسجون المماليك، مما نجده فى كتب التاريخ والادب احيانا ، حتى نصل الى سجون اليمن فى وقت غير بعيد ٠

سجون لها نظم مشهورة

وقد اشتهرت بعض البلاد بنظم السجون فيها كنظام السجون البنسلفانى ـ نسبة الى ولاية بنسلفانيا ـ بامريكا الشمالية وكان نظاما قاسيا ـ يحبس فيه المسجون منفردا عن غيره ليلا ونهارا ولا يسمح له بالحديث مع غيره ، وظل كذلك وقتا طويلا(٢) ، حتى عدل عنه الى نظام السجن الجماعى، لان نظام السجن الانفرادى يقتضى نفقات باهظة فى اقامة المسجونين وفى حراستهم ٠

ونجد كذلك النظام الايرلندى Systeme Irlandais وفيه يتدرج المسجون من الحبس الانفرادى ، الى الاجتماع بغيره من المسجونين نهارا فقط ، والزامه بالصمت ، وهو نظام اخف ٠

السجن الآن فى كل البلاد

والسجن الآن فى كل البلاد تقريبا قد اصبح جماعيا ، فهو نظام السجن العادى الآن فى العالم ، مع معالجة الآثار السيئة التى تنتج من اختلاء المسجونين بطرق عديدة ، كالفصل بين الرجال والنساء ، وبين الكبار والصغار ، وبين معتادى الاجرام والمبتدئين فيه ٠

حركة اصلاح السجون

وقد بدات حركة اصلاح السجون والرفق فى معاملة المسجونين منذ وقت طويل ، فقد نادى بذلك جون هوارد John Howard الانجليزى سنة ١٥٧٧ م(٣) ، وبدات بعض الهيئات الدولية تتبنى الافكار التى تستهدف ان يكون السجن اداة للاصلاح والتهذيب ، وشكلت الجمعية الدولية للعقوبات والسجون سنة ١٨٨٠ م ، ووضعت نموذجا للقواعد التى يتعين اتباعها فى معاملة المسجونين سنة ١٩٣٣ م ، ونوقشت هذه القواعد فى عصبة الامم سنة ١٩٣٥ م ، ولهذا الغرض ايضا انشئت لجنة خاصة فى المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع

---

(٢) ولا يخفى ما يسببه ذلك للمسجون من اضرار، تصل الى اصابته بالبله او الجنون ، بسبب هذه المعاملة القاسية ٠

(٣) كما حمل لواء الدعوة الى اصلاح السجون فولتير الفرنسى وبنتام الانجليزى، وبكاريا الايطالى. وتهدف حركة الاصلاح فى مجموعها الى تحقيق علاج المحكوم عليه ، وتهذيبه ، والى توظيف هذه العقوبة لخدمة المجتمع ، باعادة المجرم اليه بعد علاجه فى حال افضل ، وذلك باستبعاد الاكراه فى التنفيذ ، والقسوة فيها ، سواء فى العمل ، او فى ظروف الحياة فى السجن (يراجع : « الاختبار القضائى » للدكتور فتحى سرور، وكتاب « الجريمة والمجرم والجزاء » للدكتور رمسيس بهنام) ٠

للامم المتحدة . ويلاحظ ان الكنيسة قد دعت الى التخفيف فى معاملة المسجونين ، بعد ان كانت قد اشتهرت بغلظة السجن ، ووظيفته فى الانتقام فيما يتعلق بالجرائم ضد الدين او الكنيسة .
وتوجد الآن بعض النظم التى تخف فيها وطأة السجن على المحكوم عليه تحقيقا كثيرا، ومثالها فى البلاد الزراعية السجون الزراعية ، وينفذ فيها نظام الحراسة المخففة ، ويعمل فيها المسجون بلا حارس ، وتطورت هذه السجون الى نظام السجون المفتوحة ، وفيها يتمتع المحكوم عليه بحرية التنقل داخل السجن وخارجه ، مع اداء عمل مهنى يتفق مع استعداده طالما لا يخشى هربه . وقد اثبتت التجارب فى هذا النوع من السجون فى امريكا وسويسرا والسويد ان اغلب المسجونين لا يرون مصلحـة لهم فى الهرب ، ولهـذا اصدر مؤتمر مكافحة الجريمة المنعقد بالقاهرة سنة ١٩٥٢ توصية بالمسارعة الى تنفيذ نظام السجون المفتوحة .

السجون فى البلاد العربية

وبدل اتجاه التشريعات فى البلاد العربية على الرغبة فى ان يكون السجن ـ وهو عقوبة فى الاصل ـ وسيلة لتهذيب المحكوم عليه واعادته الى الطريق السوى ، فقد الغى النص على تكبيل المحكوم عليه بالاشغال الشاقة بالحديد فى قدميه فى مصر ، بعد ان كان منصوصا عليه فى لائحـة السجـون الصادرة بالمرسوم ١٨٠ لسنـة ١٩٤٩ م ، والفارق فى عقوبة السجن وعقوبة الحبس (وهى اخف العقوبات السالبة للحرية) لا يظهر سواء فى القانون المصرى (م ١٦ عقوبات) او القانون السورى (م ٤٤ عقوبات) او القانون اللبنانى (م ٥١) ، بل ان عقوبة الاشغال الشاقة تنفذ فى سوريا فى السجون العادية ، والفارق بين عقوبتى الاشغال الشاقة والسجن غير ملموس ، كما اخذت مصر فجعلت العمل بدل الحبس ، سنة ١٩١٠ م واخذت سوريا بذلك فى الفـ ـ من سنـة ١٩٢٠ حتى الغى عـام ١٩٤٩ . وهو نظام يحبذه علماء القانون الجنائى ، وثبتت فائدته حتى فى صورة ابعاد المجرم الى مكان آخر للعمل فيه ، كما كانت تفعل انجلترا فى ابعاد المجرمين الى ولاية فرجينيا ، والى استراليا ، فقد كان هذا النظام ناجحا فى اصلاح المجرمين حتى الغى بسبب اعتراض هذه البلاد على ابعاد المجرمين اليها ـ حوالى سنة ١٧٨٠ م(٤) .

السجون لا تفيد فى اصلاح الجرم

على ان عقوبة السجن يتوجه اليها والى عقوبة الحبس ايضا ـ انها لا تكاد تفيد فى اصلاح المجرم ، بسبب اختلاط المجرمين فى نظام السجن الجماعى السائد الآن ، ودلت دراسة قام بها العلامة هاكر Hacker على ان نسبة عودة المسجون الى السجن مـرة اخـرى خلال عامى ١٩٢٢ ، و ١٩٣٣ م كانت فى ايرلندة ٥٩٪ ، و ٦٣ر٢٪ على التوالى ـ وكانت فـى الولايات المتحـدة ٤٦ر٥٪ ، و ٥٤٪ وفى السويد ٢٨ر٢٪ ، و ٣٠ر٢٢٪ على التوالى ، واشار جون مانرنج
John Mannering
الى ان نسبة العائدين فى سجون الولايات المتحدة سنة ١٩٥٧ ـ كما جاء فى تقرير المكتب الفيدرالى للسجون ـ من ٥٠٪ الى ٧٠٪ ، وهى فى مصر ـ برغم عدم المعرفة الدقيقة بسوابق النزلاء ـ لاسباب عملية ـ بلغت ٧١ر٣٪ فى سنة ١٩٦١ م ، و ٧٢ر٤٪ فى سنة ١٩٦٢ م .

ولعل ذلك يكشف لنا الحكمة فى ان التشريع الاسلامى بالذات لا يتخذ العقوبة السالبة للحرية اصلا او اساسا فى سياسة العقاب(٥) .

(٤) كان المجرمون الخطرون يبعدون طبقا للقانون الانجليزى الى امريكا الشمالية ـ قبل الثورة الامريكية وذلك ابتداء من سنة ١٥٩٧ م والغى هذا النظام واعيد فى استراليا سنة ١٧٨٧ . وقدم تقرير الى مجلس العموم بفائدته وانه نجح فى اصلاح ٣٨٫٠٠٠ من بين ٦٠٫٠٠٠ من المجرمين المبعدين (بحث ظاهرة العود الى الجريمة والاعتياد على الاجرام للدكتور احمد عبد العزيز الالفى) .

(٥) لم ترد عقوبة السجن فى جرائم الحدود او القصاص ، وهى عقوبة تعزيرية يفوض تحديد مدتها وكيفية تنفيذها الى الحاكم او القاضى ، فهى عقوبة احتياطية فى الشرع الاسلامى ، واذن فالعقوبة البدنية هى الاساس فى سياسة العقاب .

التشريع الاسلامي والعقوبة السالبة للحرية

السجن من العقوبات البليغة ــ كما قال احد الفقهاء(٦) لان الله تعالى قرنه بالعذاب الاليم في سورة يوسف فقد حكى القرآن الكريم على لسان امراة العزيز «قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم» آية ٢٥ ، وقد ورد عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده ان النبي (ص) « حبس رجلا في تهمة ساعة من نهار ثم خلى سبيله » وقد رواه الخمسة ــ وكان هناك ما يشبه الحبس او السجن في تقييد الحرية وهو الملازمة او الاسر ــ فقد كان من الدائن ان يلازم مدينه لاستيفاء دينه ، وفي حديث الهرماس بن حبيب ان النبي (ص) قال له « ما تفعل باسيرك » فسمى المدين اسيرا ــ للذلة التي تحصل له من الملازمة حتى انه لا يخرج للجهاد الا باذن الدائن كما رأى البعض(٧) •

ولم يكن في عهد النبي (ص) ــ او في عهد ابي بكر بعده ــ سجن او مكان معد للحبس ولكن عمر بن الخطاب ابتاع دارا بمكة من صفوان بن امية باربعة آلاف درهم وجعلها سجنا ، ولذلك قال العلماء انه يندب اتخاذ سجن للتاديب واستيفاء الحقوق(٨) كما فعل عمر وعثمان(٩) رضي الله عنهما •

والحبس في الشرع الاسلامي قد يكون في تهمة : اي عقابا على جريمة او معصية لم يرد فيها حد مقرر او قصاص ، وهو نوع من انواع الحبس ، والنوع الآخر قد يكون للاستظهار ، او كشف الحال ويشبه ان يكون ذلك كالحبس الاحتياطي ، حتى يتبين حال المتهم ولا سيما ان كان من المعروفين بارتكاب المعاصي • وهذا النوع من الحبس قيده البعض بالا يزيد على شهر ، وقال آخرون انه غير موقوت ، اما اذا كان الشخص من غير اهل الريب ، وليس معروفا بمثل ما اتهم به فلا يجوز حبسه(١٠) ، ويبدو ان الفقهاء المسلمين قد خففوا في شان حبس الاستظهار ، فيجوز عندهم « ان يزور المحبوس اقرباؤه للتشاور ، ولا يقيد المحبوس ، ولا يغَل ، ولا يهان ، ولا يهدد ، ويوضع له فراش بسيط وغطاء ، ولكن لا يجوز له ان يستانس باحد » ، وفوق ما تقدم من تخفيف يفقد السجن معناه(١١) •

واما حبس العقوبة فقد اختلف الفقهاء في حده الاعلى من حيث المدة ، وقد رأينا في الحد الادنى ان النبي (ص) حبس رجلا ساعة من نهار ، وقال البعض ان اقل مدة للحبس هي يوم واحد (كالشان في القوانين الوضعية) ورأى البعض ان الحد الاعلى لايزيد على ستة اشهر ، أو يصل الى سنة على اكثر تقدير ،

---

(٦) « فتح العلي المالك » وبهامشه « تبصرة الحكام » ص ٣١٥ •

(٧) نيل الاوطار للشوكاني حـ ٧ ص ١٢٢ •

(٨) المرجع السابق ص ١٥١ •

ويلاحظ ان السجن في التشريع الاسلامي يكون عقوبة . ويكون من اجل المماطلة في اداء الدين مع الميسرة ، وهو عقوبة ووسيلة لتحصيل الدين ،كما يكون وسيلة لظهور الحقيقة بشان اتهام ب جريمة حد او قصاص ، ويكون لغير ذلك ،فقد جعل صاحب تبصرة الحكام انواع الحبس ثمانية•

(٩) سجن عمر بن الخطاب رجلا كان يعرض بالتاويل للغريب من الفاظ القرآن ونفاه الى العراق ، وعثمان بن عفان سجن ضابىء بن حارث وكان من لصوص بني تيم حتى مات في الحبس •

(١٠) يبدو من كتب الفقه ان حبس الاستظهار هو بذاته الحبس الاحتياطي المعروف في القانون الوضعي . فقد تشدد الفقهاء في تحديد مدته بشهر ، كما منعوا حبس من لا يعرف عنهم ارتكاب الاثم بمجرد التهمة ، واجازة ذلك مع غيرهم من اهل الريب •

(١١) لم يتناول الفقهاء الزام المحبوس بعمل معين،ولكن قيامه بخدمة نفسه ومكان حبسه لا يرد عليها نص شرعي ، وهو ما يحدث في تنفيذ عقوبة الحبس البسيط في القانون الوضعي •

ورد في عقوبة القاتل الذى لم يحكم عليه بالقتل قصاصا أنه يسجن ويجلد مائة ولكن تحديد المدة لم يرد في الشرع كما يقول ابن رشد في بداية المجتهد حـ ٢ ص ٤٤٠ • وبالتالي فان التعزير بالحبس او السجن لا يتقيد بمدة معينة في الشرع•

والشافعية يجعلونه هاما لا يزيد ـ كالتغريب في الزنا ـ وقد ورد الشرع بانه عام ، غير ان الفقيه الحنفي ابن عابدين اجاز ان يحبس الشخص حبسا مؤبدا(١٢) ، كما اجاز آخرون ان يبقى المحبوس مكفوفا شره حتى يموت ·

وفي « الاحكام السلطانية » للقاضي الحنبلي ابي يعلى انه يجوز للامير حبس من تكررت منه الجرائم حبسا مستديما ، لدفع ضرره ، ويقوم بقوته وكسوته بيت المال ·

معاملة المسجون

يبدو ان الشرع الاسلامي يتقبل تماما ما تستهدفه النظم الحديثة للسجون من اصلاح المجرم وارشاده للطريق السوي ، فان تعريف عقوبة الحبس لا يظهر منها مطلقا انها اداة للتعذيب او التنكيل · يقول ابن القيم عنها : «الحبس ليس هو الحبس في مكان ضيق(١٣) وانما هو تعويق الشخص ، ومنعه من التصرف بنفسه حيث شاء ، سواء كان في بيته او في المسجد » واشار بعض الفقهاء عند تحديد مدة الحبس في التعزير ان يكون ستة اشـهر « للتاديب والتقويم » ومن الغريب حقا اننا نلمح شدة في معاملة المحبوس من اجل الدين ـ فهو حبس تضييق وتنكيل للمماطل ويضـرب فـي الحبس(١٤) · ولعل ذلك لانه ظلم مستمر على الدائن ، يستوجب الامر قطعه وانهاءه بالضغط على المدين ، اما عدا ذلك فان السجن او الحبس يكون لدفع الاذى فقط(١٥) ، وليس للايذاء ، فليس في كتابات الفقهاء المسلمين ما يستوجب ان يكون السجن اداة للتعذيب ، او الانتقام ، او ما يبيح ان تنتهك للمسجون حرمة في نفسه او بدنه او كرامته · بل ان التوبة ـ وهي تحسن حال المذنب وعودته في الارجح الى الطريق السوي ، قد تكون سببا للافراج عنه(١٦) ، وظهور التوبة له علامات عددها العلماء ، ويمكن الاختيار منها(١٧) ·

الحكمة في التشريع الاسلامي

والرغبة في ارشاد المحبوس ونصحه تبدو واضحة ، مثال ذلك ان من يرتد عن الاسلام يستتاب بضعة ايام (او اكثر في راي بعض الفقهاء) حتى يتوب ويعدل ، فلا يقتل بردته ، وهو عند حبسه ، لا يجوع ولا يعطش ، سواء وعد بالتوبة او لم يعد ، ويطعم ويسقى من ماله ، ويندب له من ينصحه ويخوفه من عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة ·

وقصارى القول ان ما تستهدفه النظم الحديثة للسجون من جعل السجن او الحبس عقوبة تؤدي الى اصلاح المحكوم عليه اثناء تنفيذها ـ يجد له سندا قويا من الشرع الاسلامي ، وقبل ذلك واهم منه في نظري ان الشرع الاسلامي لم يلجا الى العقوبة السالبة للحرية بصفة اصلية واساسية في سياسة العقاب ، وهو مسلك صائب اذا تحرر قدرنا ان هذه العقوبة تتعرض لنقد عنيف من علماء القانون الجنائي في كثير من الصور ، فيما يتعلق بمدتها وطرق تنفيذها ، وقلة جدواها في اصلاح المجرم ، ثم في ظهور كثير من المضار تترتب عليها اما في الشرع الاسلامي فهي عقوبة احتياطية للحاكم او للقاضي ان يوقعها ـ اذا لم يكن حد او قصاص ـ متى كانت ملائمة للجريمة ، ولحال المجرم . وفضلا عن ذلك فان تنفيذها ـ كما اشرنا ـ يتم بطريقة تؤدي الى اصلاح الجاني ورده سويا الى المجتمع الذي خرج عليه · ■■

ليبيا ـ جمال الدين محمد محمود

---

(١٣) وقد كان ضيق المحبس وحشر الناس فيه سمة عالمة للسجون حتى بداية القرن التاسع عشر ! « العقوبات الجنائية في التشريعات العربية » للدكتور توفيق الشاوي ·

(١٤) « فتح العلي المالك » وبهامشه « تبصرة الحكام » ص ٣١٧ وهذا القول لا يراه اهل الفقهاء ·

(١٥) قال ابو حنيفة « الحبس لدفع اذاه فقط » نيل الاوطار للشوكاني حـ ٧ ص ١٥٦ ، ومثل الحبس هنا النفي او التعريب ـ فالهدف الاول كما يبدو هو كف الشر عن الناس ، وليس مجرد الحاق الاذى بالمحكوم عليه بالحبس ·

(١٦) قال الكاساني في « بدائع الصنائع » فيمن تكررت منه جريمة السرقة مرات عديدة « يحبس حتى يتوب ، كما فعل علي بن ابي طالب » ص ٨٦ ·

(١٧) قد تكون التوبة باداء الفروض ، او النوافل ، او رد المظالم ، مما يدل على صلاح الحال ·

الكرة الارضية
تتباطا فى دورانها

● دقت الساعات اجراسها مؤذنة بدخول السنة الجديدة ، سنة ١٩٧٥ ٠٠٠ ولكن دقاتها جاءت متأخرة ٠٠ ومع ان تأخرها هذا لا يزيد على ثانية واحدة ـ وقد يبدو هذا تافها فى نظر الكثيرين ـ الا انه فى نظر العلماء هام للغاية وخطير ٠٠ فهو دليل على ان العالم فان لا محالة ، وانه سينتهى آخر الامر الى العدم اذا ما استمرت الكرة الارضية فى تباطئها ، وتأخرت فى دورانها حول نفسها بمعدل ثانية سنويا ٠
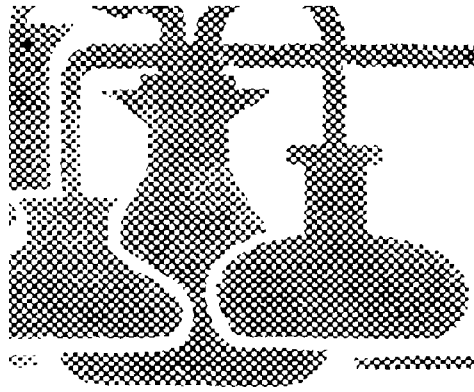
هذا ، وقد عمد علماء الفلك منذ سنة ١٩٧٢ الى العمل بنظام الثانية الكبيس ، وذلك ضمانا لانتظام عمل الساعات الالكترونية ، وتحاشيا لوقوع هذه الساعات فى خطأ ، وهى التى لا تخطىء او على الاقل ينبغى الا تخطىء ٠ وقد بلغ عدد الثوانى الكبيس اربعا حتى الان ٠

اما سبب هذا التباطؤ ، فهو فى رأى العلماء الاحتكاك الناجم عن أمواج البحر فى مدها وجزرها ٠

الموت
موت المخ لا القلب

● كان القلب سبب الموت والحياة منذ اقدم الازمان ٠ فاذا توقف القلب عن الخفقان اعتبر المريض ميتا بلا جدال ٠٠ ووورى التراب دون تأخير ٠

الا ان مفهوم الموت هذا لم يعد مقبولا ٠ [illegible] العلم بطلانه ، وعمدت الهيئات [illegible] والسلطات القضائية فى الغرب [illegible] التخلى عنه ، والاخذ بتعريف آخر [illegible] ينسجم والتطورات الطبية الاخيرة ٠

[illegible] الموت انما هو موت المخ لا القلب ، [illegible] هذا التعريف الجديد ٠٠ ولكن [illegible] بموت المخ ليس سهلا ٠٠ لذلك [illegible] له جهازا يدل عليه Electroence[illegible] Phal[illegible] ويسمونه اختصارا E. E. G

فمتى دل هذا الجهاز على توقف مخ مريض ما عن العمل ، اعتبر ذلك المريض ميتا ٠

ولكن هذه النتيجة لا تعتبر نهائية ، ما لم يعط الجهاز الذى ذكرنا ، قراءتين متطابقتين تفصل بينهما فترة نصف ساعة ٠

وجدير بالذكر ان عددا من الهيئات والمجالس فى الولايات المتحدة قد تبنت هذا التعريف الجديد للموت بصورة رسمية ٠ نذكر منها على سبيل المثال المجالس التشريعية فى ولايتى كنساس ومارى لاند ، ونذكر كذلك هيئة الحقوقيين الامريكية ٠ (American Bar Association)

قوة جنسية خارقة

● مليونان ونصف مليون دولار .. ذلك هو الثمن الذى اشترى به بعض الكنديين مؤخرا ثورا من احد اصحاب المزارع الاميركيين .. والغريب ان المشترى سعيدا جد بالصفقة .. فهو واثق من ان ثوره الجديد ، سيعود عليه بايرادات ضخمة تبلغ ٣ر٥ مليون سويا .

ولا عجب .. فالثور ليس ثورا عاديا .. انه من فصيلة جديدة من البقر عملوا طويلا على تهجينها .. وتتمتع بخصائص فريدة تميزها على كافة فصائل البقر المعروفة .

من تلك الخصائص اللحم الطرى ، الطيب المذاق . الذى لا تقل محتويات البروتينات فيه عما هى عليه فى البقر العادى .. ومنها السرعة الكبيرة التى تنمو بها صغارها بحيث تبلغ الوزن المطلوب فى السوق (٥٠٠ كم) فى سنة واحدة .. ومنها اطعام هذه الفصيلة الجديدة واعتمادها على الحشيش الرخيص بدلا من الحبوب الباهظة الثمن .. وهذا يعنى ان تكاليف تنشئة هذه الابقار قليلة . واسعار لحومها مزاحمة وهى تقل عن اسعار لحم البقر العادى بما يتراوح بين ٢٠ ـ ٤٠٪ .

على ان اهم تلك الخصائص هى الخصوبة الجنسية بلا نزاع .. ذلك ان ذكور الفصيلة المهجنة الجديدة تستطيع افراز كميات كبيرة من السائل المنوى . فالثور الذى بيع بمليونين ونصف مليون دولار ، يستطيع افراز ما يقدر بنحو ٤٠٠ جرعة من السائل المنوى اسبوعيا ، وذلك على مدار السنة كلها . وهذه الجرعات ، وهى معبأة ضمن (امبولات) معدة للبيع وبقصد التلقيح الاصطناعى ، كافية بمجموعها السنوى لانجاب نحو ٣٠٠٠٠ر عجل . وهذا يعنى دخلا لا يقل عن ٣ر٥

مليون دولار فى السنة الواحدة ، كما ذكرنا . لا عجب اذن ان سعد الكنديون بشراء هذا الثور الذى سيضمن لهم ارباحا صافية لا تقل عن مليون دولار فى السنة الاولى وحدها .

بقى ان نذكر ان المزارع الامريكى (المستر يازولو) الذى نجح فى تهجين الفصيلة الجديدة لم يحرز نجاحه هذا الا بعد تجارب عديدة بلغ عددها الف تجربة ، وكلفت صاحبها حوالى مليون دولار ..

وقد حصر المستر بازولو اهتمامه فى فصائل من البقر قديمة هى الهرفورد Hereford والكاروليس Charolais والجاموس Buffalo الامريكى العادى . وراح يجرى تجاربه بتلقيح هذه الفصائل بعضها ببعض . تم اجراء مثل هذا التلقيح بين الولائد ، ثم اجراؤه بين هذه الولائد والفصائل الاصلية وهكذا .. وانتهت التجارب بنهاية سنة ١٩٧٤ واصبح فى حوزة المستر بازولو ٦٠٠٠ رأس من الفصيلة الجديدة منها ٠٦ ثورا .

بقى ان نذكر ان الفصائل المهجنة لم تحتفظ بخصائصها الجديدة لمدة طويلة ولا بد للمستر بازولو من تدعيم فصيلته بين حين وآخر اذا هو اراد الحفاظ على خصائص تلك الفصيلة .

اللدين
يدخل صناعة الورق

● منذ اكثر من سنتين والعالم يعانى من ازمة ورق عالمية . فقد تضاعفت اسعار الورق اضعافا ونقصت الكميات المعروضة منه فى الاسواق نقصانا بالغا وباتت مصانع الورق الكندية والاسكندنافية وغيرها عاجزة عن شحن ما يطلب منها بالسرعة المرغوبة او دون تأخير .. ولهذه الازمة اسباب عديدة كما لا يخفى . الا ان ما يهمنا من هذه الاسباب هنا ما اتصل منها بالعجينة الخشبية التى يصنع منها الورق . فقد شح محصول الخشب من الغابات وعزت بالتالى العجينة الخشبية التى تصنع من ذلك الخشب فنقصت كميات الورق ، تلك التى تنتجها المصانع وتلك التى يتداول عرضها وبيعها التجار .

لا عجب اذن ان بذلت الجهود وقامت الابحاث تتلمس طريقها الى صنع عجينة اخرى بديلة قد تضاهى العجينة الخشبية وتقوم مقامها كثيرا او قليلا فى صنع الورق .

ويبدو ان تلك الجهود والابحاث نجحت اول ما نجحت فى اليابان .. تلك الدولة الشرقية التى بزت دول الغرب الصناعية فى كثير من المجالات .. فقد تمكن احد مصانع الورق فى طوكيو من صنع عجينة بلاستيكية من الياف مكروئية من اللدين المعروف باسم راتنج بوليسترين .

فلو مزجت هذه العجينة الصناعية بقليل من العجينة الخشبية الطبيعية بنسبة (٨٠ ـ ٢٠٪) لكان فى الامكان صنع صنوف من الورق فاخرة وبتكاليف زهيدة .

الفسفات
فى الصحراء المغربية

● قد يعجب المرء لتشبث الاستعمار الاسبانى بالصحراء المغربية العربية ، التى دأب على تسميتها بالصحراء الاسبانية .. او لعله لا يعجب اذا ذكر الفسفات ..

والصحراء الغربية غنية جدا بالفسفات .. اذ تقدر كميات هذا السماد فيها بحوالى ٢٠٠٠ مليون طن . وتبلغ قيمة هذه الكميات اكثر من ١٢٠٫٠٠٠ مليون ... وذلك بأسعار الفسفات الحالية . ومواطن الفسفات فى الصحراء توجد مكثفة فى شريط من الارض طوله على ٤٦ ميلا . اما اهم ... المستغلة حاليا ، فتوجد فى «بوكرا» ... البلاد .

... الاشارة الى الطريقة التى ينقل بها الاسبان هذا الفسفات من الداخل الى الساحل ، الى عيون ، العاصمة وميناء التصدير .. فبدلا من السكك الحديدية والسيارات ، عمد المستعمرون الى اقامة احزمة دوارة Conveying Belts تمتد على طول المسافة البالغة ٦١ ميلا . ولا يخفى ان هذا الحزام القليل التكاليف نسبيا يعمل على نحو متواصل ، ليل نهار ، ودون توقف ، وان تحميله بالفسفات عملية سهلة ، وذلك للتعجيل بافراغ المناجم مما بها .

بقى ان نذكر ان مساحة الصحراء الغربية تبلغ ١٠٣٠٠٠ ميل مربع ، وعدد سكانها ٦٠٫٠٠٠ نسمة ، الاسبان منهم ١٠٫٠٠٠ نسمة ..

بقلم : عزت محمد ابراهيم

■ هل كتب على العباقرة والنابغين ان يحيوا حياة القلق والاضطراب،وان يعانوا الفاقة وشظف العيش ؟

هذا سؤال يعرض كثيرا لمن قرأ سيرة عظيم ، او الم بتاريخ نابغة . فكانما هى ضريبة العظمة يدفعها العظيم منسعادته وهنائه واستقرار عيشه، يكتبها عليه القدر . او تتقاضاها منه الحياة فان لم يكن دميم الخلقة ، شائه المنظر ، كان بائس الحياة ، عليل الصحة ، وقد يجمع المحنتين معا ضريبة مزدوجة لنبوغه وعبقريته .

قامة قصيرة ورأس كبير

وهكذا كان « ريتشارد فاجنر Richard Wagner »

كان قصير القامة ، كبير الرأس ، غزير الشعر ، متنافر الاعضاء . فهو يألم لقصر قامته . ولكنه لا يستسلم لنقصه ، وانما يجد لنفسه العزاء فى « نابليون » و « قيصر » و « بيتهوفن » . ويمنيها بمستقبل كمستقبلهم : « ان قصار القامة همالذين يعرضون انفسهم على العالم فرضا . وهم الذين يفرضون رغباتهم على الناس »

اطوار له غريبة

وكان متمردا على قواعد الحياة تمرده على قواعد الموسيقى ، التى ان كان يرى فيها قاعدة اساسية ، فهى خرق قاعدتها الاساسية ، وكان يهرب من مدرسة ، ويسىء السلوك فى اخرى ولا يعبا بشىء فى سبيل حبه للموسيقى ، وشغفه بالتـاليف الموسيقى ، ويستعير الكتب والمؤلفات عنها ، ويعجز عن سداد اجر استعارته لها ، لا يعير ذلك اهتماما ، ولا يعنى ـ وهو رئيس للاوركسترا ـ بالاحتفاظ بمفتاح شقته فى جيبه ما دام فى تسلق الجدار مندوحة له عن ذلك فاستحق من امه فىصباه لقب « المجنون الصغير

طلبه المال من كل واحد

وعرف فيه اصحابه غرابة الاطوار . فكان يجد غضاضة فى مد يده للناس ، طالبا الصدقة والاحسان، ولا يراها هو صدقة او احسانا ، وانما يراها واجبا محتوما ، فهو يهبهم عملة ذهبية عبقريته ، وهم يعطونه معدنا خسيسا تمتلىء جيوبهم . وعملته باقية . ومعدنهم الخسيس ذاهب

وبلغت رغبتــه فى « المعدن الخسيس » مــدى بعيد يبلغ حد الهوس والجنون . وثار عليه غضب صديقه « فرانز لست [illegible] » حين راى أن لم يعد له حديث فى رسائله غير طلب المـال ، و « فاجنر » يلح فى طلبه من « سيت » ومن غيره . وكان يعد ذلك تنازلا منه ، حين يطلب من احد البارونات قرضا ، اذا سمع انه قد اصبح فى عداد الاغنياء ، ويمنيه عليه بان مساعدته ستجعله قريب الصلة به . « وسوف تسعـد بلقائى اذا دعوتنى الى قضاء ثلاثة اشهر فى مزارعك ،وحبذا لو كان ذلك فى مزرعتك المشرفة على نهر الرين » .

افتتاحية للمسرح لم يفهمها أحد

وقد كتب « فاجنر » فى بدء حياته الموسيقية قطعا رائعة ، واذهلت معرفته العميقة « بيتهوفن » رئيس اوركسترا مسرح «ليبزج» فعزف له افتتاحية كتبها للمسرح ،وكان اذ ذاك فى التاسعة عشرة من عمره ، ولم يفهمها احد ، وضحك منها كثيرون ، وخرج هو من المسرح حزينا اسفا يندب حظه ، ويلعن سوء طالعه ، ويتعثر فى اذيال خيبة الأمل التى منى بها .

لازمه الحظ الاسود

وبدات خطوات سوء الحظ والفشل تلازمه الى مدى بعيد ، كما لو كانت ملازمتها اياه تحالفا بينهما ، فلا مناص منه ، ولا مهرب من محالفته . فتتأجل احدى اوبراته « لظروف طارئة لم تكن فى حسبان احد » كما اعلن مدير المسرح ، كما انها ظروف تثير الضحك ايضا ، فقد غازل احد عازفى الفرقة مغنيتها الاولى ، وثارت ثائرة زوجها ، واحتدم غيظه ، فاشتبك فى عراك معه ، وحاولت المغنية فض ما شجر بينهما من خلاف ، فتحـول الزوج اليها يصب عليها جام غضبه ، وينهـال عليها بالضرب المبرح الذى لا لين فيه ولا هوادة ، وتد[illegible] المشاهدون يشايع بعضهم هـذا ، ويناصر اخر[illegible] ك ، وانقلب المسرح الى ساحة قتـال . [illegible] وخرج « فاجنر » يقلب يديه يائسا [illegible] وقد ترامى له ان كل واحد من هؤلاء له [illegible] هذه الليلة ليصفى حسابه مع غريمه .

وتتراكم عليه الديون
فيرحل ليغير حظه

وتتوالـى عليـه المحـن ، وتتراكم الديـون وينتظره شرطى فى كل ليلة يعود فيها الى بيته ليطالبه بالسداد والوفاء بمـا عليه من حقـوق للدائنين ، او يهدده بالسجن ان امتنع او ماطـل فى السداد .

ويغادر « ماجد بورج » الى « برلين » سعيا وراء حظ جديد ، وفرارا من ديون تلاحقه . فلا يجد فيها غير ما وجد فى غيرها ، ويستمد من كـل ذلك القلق والاضطراب والتوجس آيات فنـه ودلائل نبوغه ، وينزح الى « ريجـا » على بحـر البلطيق ، فيعمل رئيسا للاركسترا فى مسرحها . ويصف مديره حينذاك بانه كان كثير الانطـواء على نفسه ، كثير الميل الى الوحدة والانعزال .

ومن انطوائه ووحدته وفشله، كان يستمد القوة على مواصلة السعى فى طريقه التى رسمها لنفسه والتى فرض بها موسيقاه وفنه على زمانه وابناء زمانه ، والتى قدر لها ان تتخطى حدود الزمـن بعد ذلك .

لا يخلف الفشل والخذلان وعده معه فى «ريجا» ، كما لم يخلفه فى « ليبـزج » و « ماجـد بورج » و « برلين » . ولكنه حين اعد العدة للذهاب الى « باريس » . فباع اثاث بيته وجمع اوراقه تاهبا للرحيل حال الدائنون بينه وبين مبتغاه ، مطالبين بما لهم من حقوق عليه . ولا يجد مخرجا من مأزقه الا ان يهرب هو وزوجته على حين غفلة من حراس الحدود ، ويتبعان فى قبـو سفينة شراعية ، ظـل يغالب امواج البحر حتى استقر بهما فى موضع أمين، بعد ان كاد يغرق بمن فيه ،وكانما قد ساور ربانه الشك فى ان يكون هذان الغريبان قـد جلبـا له ولمركبه النحس ، فلم يسلما من نظراته ونظرات بحارة سفينته الشزراء .

فى باريس

ولا يعيش « فاجنر » فى باريس من الموسيقى . ولكنه يقتات من مقالات يكتبها عنها ، فيكتب عن الموسيقى الالمانية ، ويبدا الحديث فى مقالتـه « زيارة لبيتهوفن » بعبـارة يوجههـا الى الفقيـر « الرفيق المامون للفنان الالمانى » . وتهوى زوجه

« ويلهلمينا » الى حضيض المهانة . وتنحدر الى الدرك الاسفل من الذل الذى تضطر معه الى أن تهبط الى مستوى خادم تمسح الارض ، وتخــدم سيدتين المانيتين تستاجران شقة فى البيت الــذى تسكنه هى وزوجها .

ويبكى « فاجنر » من سوء حاله ، ومن البؤس الذى ران عليه ، وبسط رواقه على حياته ، وما يكتبه فى مفكرته عن هذه الأونة سجل حافل لمعانى الفقر والبؤس والتشرد التى قدر عليه أن يجرع كؤوسها مترعة حتى الثمالة :

ـ ماذا يكون عليه حال الشهر المقبل ؟

ـ لم يعد فى جعبتى غير خمسة وعشرين فرنكا .

ـ انى اخفى عن زوجتى المسكينة مبلغ ما انـا فيه من سوء حال ، انـى ارثى لها سويداء قلبى .

عندما تغير الحظ

ووسط خيبة الامل والفقر والحرمان ، كتب « فاجنر » أوبريت « ريينزى Rienzi » ، على مرحلتين ، يفصل بينهما مرحلة قضاها فى السجن، وفاء ببعض ديونه .

وتمثـل الاوبريت فى « دريسدن » بالمانيـا ، فترتفع الهتافات لها تشق أجواء الفضاء ، ويدوى التصفيق اعجابا بها حتى تكاد الايدى أن تدمى ، وينزوى هو فى ركن قصى من المسرح ، غير مصدق أن يبسط له الحظ يد السخاء الى هـذا الحـد ، وهو الذى لم يتعود منه غـير الاكفهرار والبؤس والتجهم .

حظ لم يدم طويلا

ويكلل بالغار جبينه ، ويشاهد الملك والاميرات مسرحيته ، ويصبح الحديث عنها شغل النـاس الشاغل ، ويحسب ان قد ودع حياة الفاقة والعوز، ولا يكون ما حسبه الا الى حين ، ليعود اليه من دهره ما تعود : التشرد والضياع والفقر والتنقل من بلد الى بلد ، لا يكاد يستقر له فيه مقام حتى ينبو به ، فيرحل منه الى سواه .

ويمد يده الى صديقه « فرانزليست » يستعين به على نشر اوبراته، او سد خصاصته، وتخليصه من براثن الحاجة والمذلة التى انشبت فى جسمه اظفارها ، وجعلته حمى مستباحا لها ، ور ته اليه تفيض بالاعتراف لـه بالجميـل ، وا رار بالفضل ، كما تفيض بالشكوى من الزمان وا اس ونكد الحياة ، وتظهره تلك الرسائل بمظهر من لم يكن يطمع فى مال او ثراء ، ولا يتطلع الى عظمة او شموخ ، وانما هو الطامح فحسب الى اداء رسالته الموسيقية ، والى حمل الناس على الارتفـاع الى سموه ، وكراهيتـه النزول الى حضيضهم .

وكان يجد فى الحدب والعطف أمنيـة يسعى اليها، وكانت رسالة واحدة تحمل اليه املا فيهما، وترد اليه ثقته فى نفسه، وتحمله على حب الحياة التى كرهها ، تلك الحياة التى تخلى ناسها عنه ، حتى اقربهم اليه، والصقهم به، واجدرهم برعايته والعطف عليه ، وها هى ذى اسرته تتكره ، وتخشى الاتصال به احتراسا من مغبة الاتهام بالتواطؤ معه فى اعتناق أفكاره السياسية التى اصبحت مصدر شر له ، وللمتصلين به ، واذ يتلقى بعد ذلك رسالة من ابنة اخيه ، فكانما قد هبطت عليه سعادة لا حد لها ، يظهر اثرها فى رده عليها :

« آه لو تعلمين مدى الفرح الذى يمكن ان يرفرف بجناحيه علينا اذا عرفنا فقط كيف يحب بعضنا بعضا ، أن ما احتاج اليه هو فقط الحب ، وان مظـاهر الشهرة والمجد والعظمـة اشياء لا تعنينى ، ولا تحظى بشىء من اهتمامى . »

وتأتيه دار ، هدية من ثرى

وتاتيه دار فى بقعة جميلة بعيدا عن الضوضاء طالما حلم بها ، هبة يرسل بها الحظ ، او ترمى بها الصدفة، فان صديقه التاجر الثرى «ويزندوك» كان قد اشترى ارضا اقـام عليها دارا جميلة لنفسه ، واشترى طبيب دارا تجاورها ، ازمع ان يتخذ منها مستشفى لناقصى العقول، وازعج التاجر الثرى هذا الجوار الذى لا يستحب ، فاشترى دار الطبيب، واراح نفسه من جوار ساكنيها المنتظرين ولم يدر ما يصنع بها ، فاهداها الى « فاجنر » الذى هزته الفرحة من اعماقه، فسارع الى صديقه « ليست » يعبر له فى رسـالـة عن مدى فرحه وسعادته بالحظ الحسن الذى وافاه على غير توقع او انتظار .

و ... ننتظر بعد ذلك لفاجنر ؟

ا... الظن ان تتوقع مضى الحظ فى طريقه ، بعد ... اعتدل واستقام عوده ، ولكنه حظ غريب لرجل غريب ، فلا يلبث ان يهبط من اعلى الى اسفل ليرتفع مرة ثانية ، ثم ليعود كما كان او اشد انحدارا مما كان ، فهو كخط بيانى يسجل اسعار سوق شديدة الاضطراب •

وها هو ذا « فاجنر » فى « باريس » ينظم ثلاث حفلات موسيقية يقدم فيها مختارات من اوبراته : « الهولندى الطائر » و «تانهاوزر» و «لوهنجرين» و « تريستان » ، تهيئة للمشاهد الباريسى لتذوق اوبراه : « تانهاوزر » • وقد رحب المشاهدون بمسرحياته فى الحفلة الاولى ، وهاجمته الصحافة حين تجاهل دعوة المشتغلين بها لحضور حفلته ، وانعكس رأيها على الناس فخلت قاعة المسرح من المشاهدين تقريبا فى الحفلتين التاليتين ، واصابت « فاجنر » كارثة الفشل ، تصحبها الخسارة الجسيمة فى المال ، وقد قارب الخمسين من عمره : السن التى كان ينبغى لمجده الفنى ان يكون قد رسخت له فيه اقدام ثابتة •

ولم تفلح الامبراطورة « اوجينى » ، ولا اوامر زوجها الامبراطور « نابليون الثالث » فى مغالبة حظ « فاجنر » ، فلم يكد يبدأ عرض أوبراه حتى بدأ الهمس بين المشاهدين يرتفع رويدا رويدا حتى يصبح صياحا منكرا ، وتنطلق تعليقات سخيفة من هنا ، ليعقبها ضحكات استهزاء من هناك •

وينهار كل شىء امام « فاجنر » ، فهذا هو السقوط الماحق لكل شىء امامه ، وهذا هو الصرح الذى ينهار فيصبح ركاما أمام ناظريه : « ليس لى حظ ، ومن الضرورى ان يكون للمرء شىء من الحظ للمحافظة على ارتباطه بهذا العالم ، لقد اصابنى الزهد فى الحياة ، والملل منها ، وليس فى وسع الانسان خلع ربقة حياته اذا لم يحن حينها ...

... المرة الوحيدة التى ركبت فيها البحر لكن ... ، ولو ذهبت الى امريكا لقابلنى لاضطهاد ... سخط وكراهية تبدوان فى صورة اعصار مدمر ... لكن الغريب انى قد نجوت بالرغم من كل ذ...

هذا هو فاجنر

اهذا هو « فاجنر » الذى شاهد الملك والاميرات اوبراه ، والذى مهد له امبراطور فرنسا كل ما يحقق له اغراضه ، وييسر له مراميه ؟

اهذا هو « فاجنر » الذى سمع الدوى والتصفيق يكاد يصم الاذان ؟

أهذا هو « فاجنر » الذى رمى له الحظ بدار جميلة لم ينفق فيها درهما واحدا ، ولم يتجشم فى سبيلها ادنى عناء ؟

نعم هو هذا •

هو هذا الخليط العجيب من مفارقات ومتناقضات •

هو « فاجنر » الذى يكتب فى الادب والموسيقى ، ويقرض الشعر ، ويقود الاوركسترا ، ويؤلف الاوبرات •

وهو « فاجنر » الذى يسير فى شوارع «باريس» رث الثياب ، ممزق الحذاء ، والذى تعمل زوجه عمل الخادم ، وتبيت معه على الطوى ، او على الكفاف الشديد الذى لا يغنى من جوع ، ولا يكاد يسد رمقا ، او يقيم أودا ، او يبقى على حياة ، الا فى مشقة وعسر •

وهو « فاجنر » الذى تطارده السلطات ، وينفى عن وطنه ألمانيا اثنتى عشرة سنة •

وهو « فاجنر » الذى تستدعيه الملكة «فكتوريا» لتعلنه بانها سعيدة بالتعرف اليه ، وتعلن له عن رضاها عن الحانه التى أمتعتها •

وهو « فاجنر » الذى يكتب الحانه رافلا فى أغلى الحلل وابهاها ، تنبعث من حجرته الغالية الاثاث ، أثمن الروائح والعطور •

وهو « فاجنر » الذى يكتب عنه « برناردشو » ـ من بعد ـ كتابا ، فيختار له عنوان « فاجنر العظيم » •

ثم هو « فاجنر » الذى تصفه دائرة معارف كبار الملحنين بالغش والخداع والكذب والسعى وراء نفعه الخاص ، ومصلحته الذاتية دون سواها ، مضحيا فى سبيلها بكل خلق ومثال •

رسالة من ملك بافاريا ، ثم لقاء

وهل تقف لعبة الحظ عند فشله في « باريس » ، ثم تدبر له مفاجاة من مضحكاتها ومبكياتها ، حين تدور عجلتها التي لا تكف عن الدوران ؟ كان على وشك مغادرة « سويسرا » التي لاذ بها هربا من ملاحقة الدائنين له في « فينا » . وكان يهم بمغادرة فندقه في شتوتجارت ، حين قدم اليه الخادم بطاقة تحمل اسم كبير امناء ملك بافاريا « لودفيج الثاني » . ولم يتعود « فاجنر » من دهره خيرا . ولم ينتظر منه مسالمة او هدوءا . ولا بد ان كبير الامناء يحمل اليه كارثة جديدة . فيرفض مقابلة صاحب البطاقة ، ويعود اليه الرد بانه قد اتى برسالة من الملك نفسه ، ويقدم اليه صورته مرسومة على ماسة خاتم ، ويجد « فاجنر » كلمات قليلة في رسالة الملك ، فيها تعبير عن اعجابه به ، واكبار لفنه .

وكانت مفاجاة للموسيقى السيء الحظ في مقابلته لملك « بافاريا » ، فهو يضمه الى صدره ويعوضه بكلمات مشجعة عما فاته من تقدير الناس وعما ملئ به من اساءة فهمهم له . لقد كان « فاجنر » خير استاذ للملك منذ نعومة اظفاره وخير صديق عرف كيف يصل الى قلبه .

ونسمع كلمات « لودفيج » التي نقمة الحياة على جبين « فاجنر » ، حين يعده بحياة تلائم موهبته ونبوغه ، وتصبح الوعود حقائق ملموسة . فيسدد ديونه ، ويستقر في بيت في « ميونيخ » هدية من الملك . وينتقل من وهدة الشقاء الذي لازمه ، ولكن الى حين ، لكي يعود الشقاء . ويعود خط حياته الى الانحدار مرة اخرى انه في صراع مع القدر . والقدر ينتصر دائما . واعداؤه يتربصون به . ويوغرون صدر الملك عليه ، فيطلب منه الرحيل من « ميونيخ » بعد كل ما نعم به فيها من عطف ولين عيش . فكانها حلم سعيد استيقظ منه بغتة على واقع مؤلم قاس ، او كانها قصة « المتنبي » مع « كافور الاخشيدي » تعاد في مكان غير المكان وزمان غير الزمان .

وكانما جر « فاجنر » اذيال سوء حظه على ولي نعمته ، فانتهت الى الملك لودفيج نفسه بفقد عقله وانتحاره غرقا .

بين فاجنر والفلاسفة

لا غرابة بعد ذلك في ان يجد « فاجنر » في كتابات الفيلسوف الالماني « شوبنهور » ملاذا يلوذ به ، ويجد فيه العزاء والسلوى ، ثم لا يلبث ان يعتنق مذهبه في التشاؤم .

ولا غرابة في ان تتصل الاسباب بينه وبين الفيلسوف الالماني « نيتشه » ، فلا يكاد يلتقي به ـ وهو اذ ذاك استاذ للفلسفة في جامعة « بال » ـ حتى يجد عنده ما وجده في مؤلفات « شوبنهاور » ، ويجد فيه « نيتشه » الصورة التي رسمها « شوبنهور » للعبقرية في مثالية الانسان وانسانيته وطموحه الى الجد والمثابرة والسمو .

ولكن الصورة اهتزت امام عيني « نيتشه » المتعبتين الكليلتين ، فاستحال الحب والاعجاب الى مقت وكراهية بلغت الذروة بعد خمس سنوات من وفاة « فاجنر » حين كتب « نيتشه » كتابه « افول فاجنر » ومن العجيب ان تنتهي حياة « نيتشه » باختلال العقل،كما انتهت حياة « لودفيج الثاني » . فكانما هي بركات « سوء الطالع يمنحها « فاجنر » لمن تتصل الاسباب بينه وبينهم . وقد قاسى « شوبنهور » و « فاجنر » الشيء الكثير من الالم والعذاب ، فاذا هما اعتقدا معا في التشاؤم . فهو الاعتقاد النابع من حالة النفس واضطراب احوالها ، وكان « شوبنهور » يقول انه تعلم من صفحة واحدة من كتب الهنود الاقدمين اكثر مما تعلمه من المجلدات العديدة للفلاسفة الاوربيين بعد « كانت » ، وكان « فاجنر » يرى السلام والهدوء في حالة « النيرفانا » التي يطمح الى الوصول اليها :

« ان الشيء الوحيد الذي اطمح اليه في رغبة متصلة هو النيرفانا » .

وقد وصل اليها ، ولكن بعد ان فاضت روحه وهدات نفسه الوثابة التي لم ترحه لحظة ولا اراحت الناس من حوله . ■

عزت محمد ابراهيم

من.. سخرية الاقدار

بقلم : لطفى ملحس

■ . عين غزال » اسم لمورد ماء قريب من . عمان » عاصمة الاردن ، ولا يبعد عنها اكثر من اربعة كيلو مترات ، والى الشمال الشرقى منها . ومن قبيل تسمية الكل باسم البعض ، نفلت اسم « عين غزال » على وادى غزال ، الذى تقع فيه هذه العين الغزير ماؤها .. ومياه الوادى لا تقتصر على مياه العين فقط ، فهناك انبجست فى جنبات الوادى ، اكثر من نبعة عذبة رائقة ، قد اعشوشبت على امتدادها مساحات من الزروع ارتوت منها اشجار حراجية وغير حراجية ..

وهذه العين ، او هذا الوادى ، قد كان ولم يزل مغنى من المغانى يختلف اليه الغادى والرائح ، ما دام هو « بمنزلة الربيع من الزمان » .. وان هذه البقعة الفينانة ، الغناء ، الوارفة الظلال ، بعد ان كانت فيما مضى مشاعا لا مالك لها ، قد استحوذ بعضهم فى ايامنا هذه على اقسام منها .

فتعهدوها بالرعاية والعناية ، وغرسوها بالاشجار المثمرة ، لا سيما باشجار البرتقال ، والليمون ، والكباد ، والابرج ، والبوملي ، وسائر انواع الموالح او الحمضيات التي يتكون من مجموعها ما يقال له « بيارة » .

اما البدو الذين كانوا الى عهد قريب يحطون خيامهم في جنبات هذا الوادي ، وفي مسافات قريبة او متباعدة منه فقد اشتهر منهم « عـــرب الشبيكات »احدى بطون الدعاجنة،«وعرب الهباهبة»، « والشوارية »،وكلهم من عشائر البدو في الاردن .. وكان قد حدث ما كدر صفو احدى هذه القبائل، وهي « التسبيكات » منذ اربعين سنة خلت ..

والحادث الذي تتكون منه قصتنا قد تناقلته في وقتها السنة المعاصرين له هنا في عمان ، وفيما جاور الوادي ..

وذلك الحادث هو ان الشاب « هايل » ابن شيخ العشيرة ، منصور كان قد ورد الى عين غزال مع رهط من اقاربه ، مخلفين وراءهم مضارب عشيرتهم الشبيكات ، البعيدة عن الوادي بما يقدر بنحو الاربعين كيلو مترا .. وفيما كان الربيع متفيئا في ظلال اشجار السرو الباسقات عاد اليهم احد رفاقهم واسمه « بخيت » الذي كان قد ابتعد عنهم قليلا حتى العين . ولما سالـه هايل عـن سبب تغيبه اجاب : ان الداعي لتغيبي يا حفيظ السلامة هو انشغالي بالحديث مع بدوي من أعراب نجد قد ورد الى العين فوق ذلوله « ناقته » ويا حلاوة ما شاهدته في الذلول (« يا هايل ») يا ابن شيخنا .. ثم مضى يقول . « وانني من قبل ان يصل هذا النجدي الى حيث وقفت عند العين كنت أمد بنظري الى بعيد استطلع ذلك القادم ، وكانه يجري فوق سحابة او نعامة .. وان هي الا هنيهة حتى رأيته أمامي ، فحياني وانتسب ، وقد فعلت انا كذلك ، واخذ هو يحدث بينما كنت انا لاهيا عنه ، منبهرا بذلوله التي ما رأيت على شاكلتها بعد .. راقبتها قادمة تجري ، وتاملتها واقفة ، وحيث هي الآن باركة بجوار العين .. انها ناقة ولا كالنوق .. ضامرة ، نشيطة ، متباعدة المرفقين خفيفة حركة اليد ، أدماء « بيضاء اللون » ، سريعة ، سهلة السير .. وكانت هي سائرة تنفض براسها كانها تسير في خيلاء .. والحق يا هايل انها لمرواح .. أما السنام فما ازينه فيها . انها قوراء « طويلة السنام » .. وبالاجمال فنعم الذلول هي ، وما راء كمن سمع ، يا طويل العمر ، يا هايل .. ! » .

وعند هذا الحد من الوصف المثير هب هايل واقفا ثم قال لجماعته : هلموا بنا نشاهد الذلول التي وصفها بخيت .. فساروا نحو العين ، وهناك بعد ان حيوا النجدي المعتمد على كوعه الى جانب ناقته ، وبعد أن رد عليهم التحية بما يرد به الاعراب عادة ، اخذوا يتملون بمحاسن تلك الذلول ، حتى تبين لهم من ان (بخيت) قد كان مقصرا في وصفه لها كما هي عليـه الآن ماثلة امامهم .. اما هايل فقد استهوته الذلول واخذت بمجامع لبه ، كما لو كانت غادة حسناء ، فاقترب منها يجس كل ناحية فيها برفق ولطف .. واذ امتلأت عينه منها طلب الى صاحبها ان يبيعها له ، فرفض ، فالح عليه وهو يعرض عليه ثمنا عاليا ، واستمر هايل يزيد بالثمن والنجدي لا يرد عليه الا بالرفض ، دون ان يابه لما يذكره هايل من اثمان .. وانه حين احس بالحرج والضجر من الحاح هايل قال له مغضبا : ويحك يا اخا العرب ! أنسيت وانت اعرابي مثلي ، مدى هيامنا وتدلهنا بالنياق الذي يربو على حبنا للاصائل ؟ اتق الله يا رجل ! تريد ان تفرق بيني وبينها كما لو كنت تريد ان تفصل بيني وبين زوجتي .. انها ذلولي ذمولي ..

وازاء هذا الاصرار على الرفض من النجدي ـ وكان قد اعتلى متنها ـ ظهرت على وجه هايل امارات الغضب والتحدي والتصميم . فامسك بزمام الناقة ، ثم طلب من صاحبها ان ينزل عن ظهرها وانه سياخذها منه عنوة . فحاول النجدي ان يتملص بالفرار بذلوله الا ان هايل بقي ممسكا بزمامها ، ويحاول اناختها على الارض . فهاج النجدي واربد وجهه .. ايسلم ذلوله وهي اعز ما يملك ؟ ويجعلها تؤخذ منه عنوة ، وهو الذي يتغزل بها كما يتغزل المدنف الولهان بحبيبته ؟ وكيف العمل ؟ انه الآن في ارض غريبة لا ناصر له فيها ولا معين .. وهل تجعله الغربة يسلم مطيته تسليم الجبان الرعديد ؟ .. اخذت هذه الخواطر تمر في ذهنه ، وهو صامت يرى محاولة خصمه لاناخة ذلوله وهو يعلو جيدها بعصاه ، بينما اخذت الذلول ترغي وتزبد ، ولم تذعن لمحاولته ، وكانها تقول : لا اذعن لغير صاحبي .. !

اشتد الهياج بالنجدي وهو يرى هذا الموقف

. فصاح قائلا : كلا ، لن اسلمك يا عزيزتى،
.لى ، دون دفاع تستحقينه او اقتل دونك
.. ال هذا وهو يختطف بندقيته المسنودة قرب
الخرج ، وصوبها الى خصمه ، وبحركة آلية ضغط
الزناد ، فاذا بالرصاصة تستقر فى صدر « هايل »
حتى سقط صريعا يتخبط فى دمه .

تلفت النجدى حوله ، فوجد اقرباء القتيل
ينظرون اليه وقد اذهلتهم المفاجاة . وقبل ان
يفيقوا من هول الصدمة ، لكز ذلوله ، وارخى
لها العنان ، فاخذت تنهب به الارض نهبا ..
ولكنه بعد هنيهة سمع ازيز الرصاص واحس
به يتطاير من فوق رأسه ويتساقط حواليه . ولما
التفت خلفه تحقق له ان اقرباء القتيل يطاردونه،
وسمع اصواتا تقول : الثار . الثار . الويل
للقاتل الاثيم .. غير انه تنفس الصعداء حينما
شاهد قريبا منه ، وهو يغذ السير ، واديا يمكنه
ان ينزل فيه . فيغيب عن اعين المتتبعين له .
ولكنه ما كـاد يرتـاح الى ما لاح له حتى وجـد
نفسه مقبلا على مضارب كثيرة ملأت ذلك السهل
المنبسط امامه ، وليس له طريق الا منه ، وان
هو سلكها فسيلحق به مطاردوه ، ويستنجدون باهل
المضارب ، وبهذا لا شك هالك .

احتار فى امره ، ولكن حيرته سرعان ما تبددت
اذ شاهد بالقرب منه بيتا كبيرا ، فحث ذلوله اليه
مستجيرا . وهناك وجد شيخا كبيرا تلوح على
وجهه امارات الهيبة والوقار . فاخذ الشيخ
يرحب به ، ثم سأله عن حاله ، ولما اخبره بامره ،
وانه جاء مستجيرا ــ صاح الشيخ : ابشر يا ولدى،
وصلت ، ادخل وعليك الامان .. ولم يكد الشيخ
ينتهى من قوله ومواراته للنجدى ومواراة ذلوله
حتى سمع بالخارج ضجيجا وجلبة يتخللها صياح
وعويل . فترك بيته وخرج مسرعا ليرى ما الخبر ؟
.. فماذا رأى ؟ رأى عن بعد رهطا من الرجال ،
و.. وصل اليهم شاهدهم يحملون على اكتافهم
.. النعش وتنزف الدماء من تحته ..
.. الجماعة حين رأوا الشيخ ، وقدموا اليـه
..لون .. فرأى ، ويا لهول ما رأى ! يا
.. القدر ، ويا لعظم المصيبة ! ان القتيل
.. سوى ابنه وحشاشة كبده .. حقا انها
كبيرة ، ومصيبة اليمة فوق هول المفاجاة .
.قتيل المسجى امامه والمضرج بدمائه هو ابنه،
لقاتل الاثيم فى بيته .. فماذا هو صانع ؟

تضاربت فى ذهنه هذه الهواجس وهو يرنو الى
النعش بعين حزينة تغشاها الدموع فيمنعها الحياء
من ان تنحدر .. لكنه سريعا ما دبت فى رأسه
النخوة العربية والشهامة الابية .. تذكر كلماته
لدخيله حين قال له : « ادخل وعليك الامان » ..
حينئذ صمم على انقـاذ الدخيل مهمـا كلفته
التضحية ، فسيطر على اعصابه ، وتمالك نفسه ،
فطلب الى حملة القتيل ان يذهبوا به الى بيت
اعمامه ، زاعما انه يخشى على عائلته هول
المفاجاة ، فيحيق بهم ما يكرهون . ثم كر راجعا ،
فدخل الى بيته وتدجج بسلاحه ، ثم اوى الى حرم
عائلته وسيفه مصلت بيده وقال : يمينا بالله
اقسم ، لاضربن عنق من اسمع منها صياحا او
عويلا .. ان ولدى (هايل) قد قتل . وها هو ذا
فى بيت اعمامه ، فاذهبن الى هناك واندبنه ما شئتن
ان تندبن ، ولا تعدن الى هنا هذه الليلة . لانى
اود البقاء وحدى .. ولم يكن يقصد بهذا الا
تغطية الموقف عن الدخيل ، كى لا يفطن احد الى
الحقيقة . وبعد ان صرف الشيخ منصور النسوة
اتى الى دخيله وقال له : تجلد يا بنى ، ولا ضير
عليك . فان المغدور هو ابنى ، وقد وهبتك دمه ..
قال له هذا ، ثم خرج فورا يطوف حوالى البيت ،
ويحرسه . ولما ارخى الليل سدوله عاد الى حيث
كانت الذلول باركة فاخذ عنها المزودة (الخرج)
فوضع فيها من الزاد ما فيه الكفايـة ، ثم أسرج
فرسه وقال للنجدى : هلم يا بنى ، وانج بنفسك،
فانى اخشى ان تعلم بك عشيرتى ، وتغلبنى على
امرى .. وسار معه مدة ثلاث ساعات ، الى ان
اخرجه من حدود القبيلة وهناك ودعه بقوله :
« مع السلامة يا ابنى ، اعذرنا اذا نحن قصرنا
بحقك » ..

فصاح النجدى ، وهو يبكى : سيدى ، لا ادرى
ماذا اقول ، وماذا اصنع ، وارجو ان تسامحنى ،
وان تتقبل منى هذه الذلول التى لا اذكر ان فى
بلاد نجد كلها اجود منها .. اتوسل اليك يا
سيدى قبولها منى عن طيبة خاطر ، وتكفيرا عـن
جرم ارتكبته تجاهك .. فابتسم الشيخ منصور
ثم قال : « لتبق لك ذلولك ، وقد دافعت عنها
دفاع الرجال ، فسر على بركة الله يا بنى » ..
ثم قفل الشيخ منصور راجعا الى مضارب عشيرته .

■■

عمّان ــ لطفى ملحس

كتاب الشهر

مقدمات في دراسة المجتمع العربي

تاليف : الدكتور هشام شرابي

عرض : الدكتور عبد الاله ابو عياش

■ يقع الهيكل التنظيمي للكتاب في ستة اقسام رئيسية ، يطلق عليها المؤلف « مقدمات لدراسة المجتمع العربي »، وهذه المقدمات (المتعلقة بسلوكنا الاجتماعي ، بنية العائلة في المجتمع العربي ، الاتكالية ، العجز ، والتهرب ، الوعي والتغيير ، الانسان العربي والتحدي الحضاري ، والمثقف العربي والمستقبل) مبنية على سلسلة من المحاضرات القاها المؤلف على طلبة الماجستير والدكتوراة ، في جامعة جورج تاون بواشنطن . في العام الدراسي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ حيث كان استاذا للتاريخ الحضاري والعلوم السياسية . وكان محور المحاضرات يتعلق بالتغير الحضاري الذي يواجهه المجتمع العربي .

تخوف من نشر الافكار

ففي مقدمة المقدمات يتعرض المؤلف لقضايا شخصية يعبر فيها عن تخوفه من نشر الافكار والمفاهيم التي عبر عنها في هذا الكتاب وما يمكن ان ينجم عنها من ردود افعال سلبية . بسبب الاسلوب المباشر الصريح الذي اتبع في طرح المشاكل الرئيسية وتحليلاتها المختلفة . لم يتعرض لمشكلة لغوية . اذ بالرغم من تعلق المؤلف بالعربية فقد كانت سنوات الغربة والمهجر الطويلة تسبب اياها . اذ ركز على استعمال اللغة الانجليزية . مما افقده الكثير من ملكة اللغة العربية التي كان يتمتع بها في صغره . ويشير الى عهد قطعه على نفسه بان يحاول من الان فصاعدا الكتابة بالعربية والتوجه بشكل مباشر الى القارىء العربي .

بعض من سيرة حياة المؤلف

ان المحتوى الرئيسي للقسم الاول من الكتاب عبارة عن سرد سيرة حياة المؤلف . والاحداث التي صقلت تجربته الشخصية كانسان فلسطيني اولا . وجد نفسه فجاة بلا وطن ، واخذ يبحث فيها عن منفذ لعالم واسع مترام ، وكعربي عاش احداث المنطقة العربية وتطوراتها وتفاعلاتها التي صهرت تفكيره وغيرت كثيرا مما كان يعتبر حقائق . « لا يستطيع الانسان ان يعيش بلا « حقيقة » ولكل انسان « حقيقته » . يضم حياته حولها . فتحدد اهدافه دلالة ومضمونا » .

هناك ثلاث مراحل ميزت حياة المؤلف . المرحلة الاولى انتهت بمغادرته يافا متوجها الى امريكا

المتعلم بصحبة فايز صايغ . وكانت تلك اول مرة يلقي فيها نظرة على مرحلة الانتماء والكينونة . ويتحول الى الغربة وعدم الانتماء . وربما من هنا يبرز تعلق شرابي بكتابات الوجوديين وخاصة « البير كامو » .

وفي المرحلة الثانية التي استمرت منذ حصوله على كرسي محاضر في الجامعات الامريكية الى حين وقوع هزيمة ١٩٦٧ . وكانت حياته في هذه المرحلة تتميز بما يسميه البرجوازية القائمة على حب الظهور والانغلاق الطبقي .

ثم تبعتها مرحلة التحول الثوري في طريقة تفكيره وسلوكه ، رفض « البدلات » وربطات العنق والعودة من جديد الى حركة انتمائية جديدة ربطته بذكرياته في يافا واطلته من شواطيء (ناكزهيد) في ولاية كارولينا الشمالية ، الى شواطيء الطفولة في فلسطين . في هذه المرحلة تحول شرابي الى فلسطيني حالك يمتلك رؤيا الهوية تاركا كرسيه في قاعات المحاضرات بجامعة جورج تاون ، طاقفا الولايات المتحدة من جامعة كولومبيا في الشمال الشرقي ، الى كليات وجامعات كاليفورنيا في الجنوب الغربي . فقد

اصبح لديه اقتناع لا بديل له ولا تراجع عنه « ان الفلسطيني لا يمثل تحرير فلسطين وانما يمثل ايضا ، موضوعيا ، ارادة التحرير الانساني الشاملة وان لم يستوعب ذلك ذاتيا كل فلسطيني » ..

الكتاب يجيب على اسئلة اربعة

يمكن اعتبار محتوى الكتاب محاولة للاجابة على اربعة اسئلة رئيسية طرحها المؤلف في مقدمته .

اولا : لماذا نعجز عن العمل لتحقيق اهدافنا الاجتماعية ، في حين تبدو الظروف الموضوعية مواتية لتحقيق هذه الاهداف ؟

ثانيا : لماذا نحن فرديون وسلبيون في تصرفاتنا الاجتماعية ، الى حد يمنعنا حتى من التعاون في حين ان التعاون من مصلحتنا جميعا ؟

ثالثا : لماذا نقبل في اعمالنا ما نرفضه في اقوالنا وتفكيرنا الخاص ؟

رابعا : ما الاسباب الاجتماعية (الموضوعية) وما الدوافع النفسية (الذاتية) التي تصنع هذه الهوة بين ما نرمي اليه بالقول ، وما نفعله بالممارسة ، فنبقى غائصين في تناقضاتنا ، عاجزين عن تغيير وضعنا ؟

بنية العائلة في المجتمع العربي

ان المحور الرئيسي في المناقشة المطروحة في هذا الجزء مبني على وجهة النظر القائلة بان تغيير اسس المجتمع يقوم على اجراء تحول حقيقي في الذات . وان هذا التحول لا يمكن ان يتم الا اذا جرى تحرر اجتماعي اساسه تحرر الذات وتخليصها من القيود التي علقت بها وعاقت تقدمها .

« ان اي تغيير فعلي في مجتمع لا يمكنه ان ينبثق الا من صميم ذلك المجتمع (اي بتغيير الذات) فالتحرر الصحيح لا يمكن ان يحصل الا من خلال عملية تنبثق من قلب المجتمع (اي التحرر الذاتي)، كذلك لا بد ان تصدر عن ذلك المجتمع نفسه ، واذا كانت تقصد العمل لا الفكر المجرد فحسب ، فيجب ان تكون معرفة ذاتية قائمة على معرفة النفس ومستمدة من اختبار داخلي صميم » .

يعتمد شرابي في تقييمه للاوجه المختلفة على علوم اخرى غير التاريخ وخاصة علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي في محاولته لتحليل عوامل

تطوير المجتمع العربي . وقد دفعه اعتماده على هذه العلوم الى تبني اهمية العائلة وبنيتها وتركيبها في صياغة وصقل شخصية الفرد ، ويتركز التحليل بشكل رئيسي على العلاقة المتينة القائمة بين الانماط السلوكية للفرد ، والآثار التي يتركها المجتمع على شكل السلوك الاجتماعي للفرد .

ان المنطلق الاساسي في معالجة هذا الموضوع هو ان العائلة كمؤسسة اجتماعية ، هي الوسيط الرئيسي بين شخصية الفرد والحضارة الاجتماعية التي ينتمي اليها ، وان شخصية الفرد تتكون ضمن العائلة ، وان قيم المجتمع وانماط السلوك فيه تنتقل الى حد كبير خلال العائلة وتتقوى بواسطتها .

ولان الفرد هو حصيلة عوامل وراثية وبيئية ، ولان طرق تربية الطفل هي التي تقود الى تكوين شخصيته ، ولان العائلة هي اهم بيئة اجتماعية تؤثر في سلوك الفرد وتصرفاته ، فان التركيز على العائلة يصبح وجها مهما من اوجه معرفة خصائص التكوين العائلي والأجواء العائلية التي ينمو فيها الطفل . ان الانتماء العائلي ، وارتباط ذلك بالطبقة الاجتماعية للفرد ، ثم مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وما تجسده من قيم وعادات للفرد - هي التي تعمل على صياغة شخصية الفرد . ويركز شرابي في دراسته للعائلة العربية « على نموذج عائلة عربية تجسد القيم والمواقف السائدة في وسط اسلامي مدني وفي طبقة اجتماعية وسطى او اقرب الى الوسطى . هذا مع العلم بان بعض التعميمات يمكن ان تنطبق على المجتمع العربي ككل ، بما فيه البدو والفلاحون » .

والعائلة العربية هي صورة مصغرة للمجتمع ، ولذلك فان اهم ما يميز العلاقات بين اعضاء العائلة وبالتالي اعضاء المجتمع هو النزعة نحو السيطرة التي يكون الاب اساسها ، وهو محور السيطرة في البيت ، عنه تصدر الاوامر ، وهو الذي يحدد منهج السلوك لابنائه .

ان الآثار السلبية التي يمكن ان تنتج عن السيطرة هو فقدان الطفل لقدرته على تحقيق استقلال ذاتي ، وبذلك تشتد لديه نزعة الخجل والشعور بالذنب لمواضيع كثيرة يعتقد ان التطرق اليها عيب اجتماعي ، وهو بالتالي يحاول ، خداعا ، الابتعاد عنها ، والعمل على اغفالها .

واذا تجاوزنا العائلة الى المجتمع وجدنا ان التعليم يتصف بمميزات للعمل على تضييق افق الطفل ، وقتل تفكيره المستقل ، فالتعليم في العائلة وخارجها يتم بالتركيز على اهمية العقاب الجسدي ، وبالتلقين وما يتبعه من ترديد وحفظ عن ظاهر قلب ، والواقع ان الكثير من مؤسساتنا التعليمية تعاني من هذه المظاهر السلبية ، وعلى القارىء ان لا يندهش اذا عرف ان مثل هذا الاسلوب يمارس حتى على مستوى الجامعة في بعض الدول العربية .

الاتكالية ، التهرب ، العجز

تمثل هذه الصفات الثلاث جوانب اخرى لمشاكل يعاني منها الفرد العربي . ويتركز محور المناقشة هنا على اعتبار هذه العناصر صفات وقيما اساسية من صميم السلوك البرجوازي الاقطاعي،لقد عاني الوطن العربي في المجتمعات التي استفحل فيها التفكير البرجوازي الاقطاعي من هذه المظاهر التي عاقت تقدمه وتنميته . وخطرها يتضح عندما تصبح القاعدة الشعبية هي ايضا ذات تطلعات طبقية برجوازية ، وتصبح الطبقة البرجوازية مثالا لطبقات المجتمع المسحوقة . ولكن على الرغم من محاولات عامة الشعب المشاركة في بعض القيم البرجوازية ، الا ان ثقافة الجماهير على المدى البعيد لا يمكن ان تطابق الثقافة البرجوازية،فالثقافة البرجوازية الاقطاعية لا يمكنها ان تطبع الثقافة القومية بطابعها الخاص الا بقدر ما تكون عامة الشعب مشاركة في قيمها وتطلعاتها ، وخاضعة لايديولوجيتها ، الا ان ثقافة الطبقات المسيطرة لا يمكنها ابدا ان تطابق ثقافة الجماهير مطابقة كلية ، بمعنى انها تتعايش واياها في حركة استقطاب متعارضة ولكن دون ان تحل محلها .

والواقع ان الاتكالية والعجز والتهرب تجسم شعورا برجوازيا نموذجيا هو الشعور بعدم القدرة، فالاستجابة العفوية المباشرة تجاه التحدي والصعاب، نجدها في قول الفرد : « لا اقوى على ذلك » بمعنى الاحجام عن مواجهة الصعاب ، وطلب مساعدة الغير ، والعمل على المراوغة ، والانسحاب ، والتهرب ، وهذا يعني الهروب من مواجهة وقائع

المشكلة ، ورفض الالتزام ، ومحاولة للتغاضي عن اسباب وكوامن النزال والتنصل من المسؤولية •

ويمكن ان يكون هذا التحليل مرتبطا بالعلاقة الوثيقة التي قامت بين بعض الطبقات البرجوازية وتحالفها التطفلي في فترات الاستعمار ، مع السلطات القمعية التي كانت تمارس سحق الجماهير، وتطلعاتها الثورية نحو الاستقلال ، ثم ارتباطها الانهزامي الانتهازي مع الذين تسلموا السلطة بعد الاستقلال •

الوعي والتغيير

تؤكد المناقشة الرئيسية الواردة ضمن هذا الموضوع على ان عملية التغيير الاجتماعي لا يمكن ان تتم بدون معرفة الترابط الذي يقوم بين العائلة والمجتمع ، لذلك فان التركيز على جانب واحد واهمال الجانب الآخر سيؤدي الى عزل عنصر رئيسي من عملية التغيير وفهم اصولها ومسالكها •

تبتدىء عملية التغيير — في نظر المؤلف — بمحاولات جادة لادراك الذات ، والتسلح بالمعرفة النقدية والوعي الاجتماعي ، والفهم والادراك العملي لابعاد المشاكل التي تواجه عملية التغيير • « لا يستطيع المجتمع الذي يرمي الى تغيير ذاته — النجاح في هذه العملية ، دون ان ينفذ اولا الى عملية معرفة الذات • فالمعرفة الذاتية هي الشرط الاساسي للتغيير الذاتي في الفرد كما في المجتمع • ولا تكون هذه المعرفة مجرد معرفة نظرية ، بل معرفة تقدمية قادرة على اختراق الفكر السائد ، والنفاذ الى قلب القاعدة الحضارية التي ينطلق منها سلوكنا الاجتماعي ، وينبع منها فكرنا وقيمنا واهدافنا » •

« وفي مجتمعنا ، منذ بداية عصر النهضة غلبت المعرفة الدفاعية والفكر « الدفاعي » على المعرفة النقدية والفكر النقدي • فاخذ مثقفونا يرسمون لنا صور تاريخنا وحضارتنا ومجتمعنا في شكل تبريري ، في وجه سيطرة الغرب ونفوذه ، واصبح هدف المعرفة درء الخطر عن الذات ، بدلا من معرفة الذات وتفهمها ، وبذلك تحجر الفكر النقدي منذ البداية ، وبدلا من ان ياخذ خط التفهم والتحليل اخذ خط التفسير والتبرير •

من هنا تميز الفكر العربي المعاصر بخروجه عن خط المعرفة العلمية (معرفة الذات والنقد الذاتي) واندفاعه في متاهات تجريدية ، وتهربه من مجابهة الواقع وكشفه » •

ومما يقمع القدرة على نقد الذات وادراك العيوب والنواقص الذاتية ، عملية المراوغة والتمويه التي ينشا عليها الطفل ، والمقصود بالتمويه هو محاولة حجب الحقيقة عن شيء ما ، او واقع معين ، بمختلف الطرق والوسائل ، وليصبح الفرد في علاجه لقضاياه معتمدا على ما يفرض عليه من قيم وعادات ، وليس من خلال تفكيره وتعقله ، وبذلك تشل قدرة الفرد في الاعتماد على وجهة نظره ، والتفكير بشكل مستقل ، والنظر الى الامور بمنظار مستقل • « ان عملية النقد العلمي تقع على عاتق الجيل الجديد من المثقفين ، ربما كان الجيل الجديد اكثر قدرة من الجيل السابق على رفض التمويه ، واتخاذ مواقف نقدية نحو القيم والافكار (التي تبثها المدارس والجامعات والتي يفرضها الغرب بواسطة المجتمع الاستهلاكي القائم) بصفته جيل الاستقلال والثورة ، فافراده نشاوا وترعرعوا في مرحلة الثورة على الاستعمار ، واصبحوا فيها رجالا في الفترة التي حققنا فيها استقلالنا ، واصبحنا احرارا في كل جزء من وطننا » •

لذلك يدعو المؤلف الى البدء بالخطوة الاولى في عملية التغيير وهي رفض المثال الغربي الذي حذت حذوه الاجيال المثقفة منذ بدا القرن التاسع عشر ، واصبح النموذج العالم لكل متعلم تقريبا • « ان هذا النموذج الغربي ينبثق من مجتمع يختلف عن المجتمع الذي تصوره ويتصوره مثقفونا ، وهو يعبر عن قيم واهداف غير تلك التي يعتقدونها ، فهذا المجتمع موبوء ، وهو ذو قدرة هائلة على نقل عدواه الى المجتمعات النامية ، وما الفوضى والتضارب والتمويه التي عانيناها ، ولا نزال نعانيها ، الا احدى نتائج هذه العدوى » •

الانسان العربي والتحدي الحضاري

ينتقل المؤلف في هذه المقدمة للحديث عن ثلاث علاقات تشكل القواعد الرئيسية للتحدي الحضاري الذي يواجهه الانسان العربي • والعلاقات الثلاث

من الكتب التي وصلتنا

الحجاج بن يوسف الثقفي حياته وآراؤه السياسية

تاليف : احسان صدقي العمد

الناشر : دار الثقافة بيروت/لبنان

■ دراسة وافية عن الحجاج بن يوسف الثقفي، احد مشاهير التاريخ ، ملأ الدنيا باخباره واعماله، وترك اثره في كل ناحية من نواحي الادارة والحكم والحرب والتنظيم المالي ، وهو عصر القوة في تاريخ بني امية ، وقد استطاع الحجاج بعزمه وقوة شكيمته ومساندة الخلفاء له ان يملأ مركزه ، وينجح في اقرار الامن والنظام والاستقرار في الاجزاء الشرقية من الدولة الاموية •

وقد قام المؤلف بتحقيق حياة الحجاج ، ودرس ظروف حياته واعماله ، على ان الحجاج رجل سياسة وحرب ، تولى الحكم لدولة كان معظم الناس في ذلك الوقت ينكرون شرعيتها ، وكان لا بد ان يتعرض للكثير من النقد وبخاصة انه اخلص لتلك الدولة اخلاصا يثير الدهشة والعجب ، وضرب بذلك مثلا لرجل الدولة وخادمها الذي لا ينظر الا لمصالحها دون ان يحفل برأي الناس فيه ، فلم يضر الحجاج ان يكون مغلب فقط للدولة الاموية ، بل تحمل الاوزار والصعاب، بل اعتقد ان هذه المصاعب والاوزار خدمات لابد منها للدولة والجماعة،خدمات للسلام واهله،فبينماكان يرى انه يقوم بواجب عظيم للسلام كان يتحول في نظر الناس الى طاغية ظالم وجبار عنيد •

وهكذا خرج المؤلف بصورة للحجاج جديدة تختلف عن الصورة التقليدية القديمة ، صورة الجبارالظالم الذي يظلم للذة الظلم ، ويسفك الدم حبا في سفك الدم ، فقد اخرجه لنا المؤلف في صورة رجل دولة يقوم بواجبه نحو الدولة التي اخلص لها وارانا ان الحجاج كان يؤمن بشرعية خلافة البيت الاموي وان واجب المسلمين هو الالتفاف حول الخليفة ، ولذلك فان الخروج عليه جريمة تستحق العقاب ، ولذلك فان عقابهم خدمة للامة والاسلام •

الحركة الادبية والفكرية في الكويت الجزء الاول

تاليف : الدكتور محمد حسن عبد الله •

الناشر : رابطة الادباء في الكويت ــ الكويت •

● يعالج هذا الكتاب جوانب حضارية وتاريخية وفكرية في الكويت بالاضافة الى فنون النثر ، واهمها : فن المقالة ، والفن القصصي ، والفن المسرحي ، وهذا الكتاب يعتبر بحق المحاولة الاولى ــ في مجالات القصة والمسرح والمقالة والنقد الادبي والبناء الفكري العام والتطور الحضاري ــ لوصف كل ما يقوم بين هذا البناء وذاك التطور ، مع بحث في تطور الصحافة الكويتية ، وتاريخ الحركة النسائية ، والاهتمام بالتربية والتعليم ، وتاريخ الجمعيات والنوادي •

ثم ان الكتاب بالتالي دراسة موسعة كبيرة وتسجيل واف للحركة الثقافية والفكرية ، لانه المحاولة الاولى لتسجيل هذه الحركة ولان المؤلف لا يستطيع ان يلمس الامور لمسا عابرا ، او ان يحيل القارىء الى مرجع آخر بحكم ان هذا المرجع غير ميسور ، وهذا بالطبع ضريبة المحاولة الاولى ومسؤولية من يشق طريقا لم يمهد له من قبل ، كما ان الكثير من مادة هذا الكتاب متفرقة في صفحات الجرائد والمجلات وغيرها من الدوريات • وان تركها في طيات الصحف يعني تركها نهبا للاغفال والضياع ، والكتاب ينقسم الى اربعة اقسام وهي : من الكويت وآدابها ، والمؤسسات الثقافية ، والفنون الادبية ، ثم اخيرا الحركة الفكرية •

الاطلس العلمي
الجزء الاول
عالم الحيوان

اعداد : زهير الكرمي ـ محمد سعيد صباريني
الناشر : دار الكتاب اللبناني ـ بيروت / لبنان .

● تفتقر المكتبات العربية دوما الى الكتب العلمية ذات الرسوم والصور الملونة الواضحة ، لذلك اتجهت النية الى اصدار سلسلة من الاطالس العلمية،يختص كل اطلس منها بفرع من فروع العلم .

وهذا الجزء يختص بعالم الحيوان ، اما طريقته في عرض الموضوع فهو ان يختار نموذجا لطائفة من حيوانات معينة ، ويتحدث عن أهم الخصائص والمميزات المشتركة بين هذا النموذج و سائر حيوانات تلك الطائفة ، فيخرج الطالب وقد اتضحت له معالم عالم الحيوان ، والعلاقات التي بين طوائفه ، بالاضافة الى ان الطالب يجد معلومات اضافية عن انواع من الحيوانات التي يدرسها .

وقد حرص المؤلفان في هذا الجزء على ان يتضمن الاطلس نبذة ، تقدم للقارىء فكرة عما يشاهده من صور الحيوان ، وان تكون هذه النبذة مبسطة مختصرة ، بحيث يستفيد الطالب من الاطلس ، لاكبديل عن كتابه العادى ، بل جهد اضافي في تكوين صورة متكاملة عن هذا الفرع من عالم الحيوان .

البحرين
من سنة ١٧٨٣ ـ ١٩٧٣

تاليف : امل الزياني ـ البحرين .

■ تتناول هذه الدراسة موضوع استقلال البحرين ، وموقف هذه الدولة من احداث الخليج العربي بخاصة ، والسياسة الدولية في الشرق الاوسط بعامة ، وتبدا الرسالة بتحليل العوامل ذات التاثيرات الايجابية في مركز البحرين ، مبتدئة بعرض مركزها الجغرافي ، مشيرة الى التطور الاقتصادى الذى طرا عليها منذ الكشف عن النفط في هذا الاقليم ، ثم تتناول تطلعات الدول الى البحرين ، والاسباب التي مهدت للتدخل البريطاني في امورها ، ثم تناولت الحديث بعد ذلك عن رد الفعل الوطني لمواجهة الاستعمار البريطاني، كما خصصت فصلا لدراسة المطالب الايرانية في البحرين ، والوثائق التي اعتمدت عليها الحكومة الايرانية في مطالبها ، يليه فصل آخر عن انسحاب بريطانيا من البحرين ثم عن منطقة الخليج ثم الاسباب الاقتصادية والسياسية التي حملت بريطانيا على الانسحاب .

ومن الواضح ان موضوع البحرين ودورها في محيط العلاقات الدولية وتطور الاحداث في منطقة الخليج قد اخذ يكسب كل يوم افكارا جديدة ومن ثم فان مجال البحث ما زال مفتوحا امام الدارسين وخصوصا بعد استقلال البحرين .

اما ختام الرسالة فعنوانه مستقبل البحرين وفيه تتنبا المؤلفة عن العلاقات التي قد تنشا مستقبلا بين البحرين وامارات الخليج بخاصة ودول العالم العربي بعامة . وقد اعتمدت المؤلفة في مصادرها على الوثائق الرسمية ، ومنها وثائق عصبة الامم، ووثائق الامم المتحدة ، ووثائق الحكومات التي هي اطراف في القضية ، كما انها رجعت الى اهم المؤلفات العربية والانجليزية التي تصدت لسياسات دول الخليج العربي .

بطل لاننساه
عزيز المصري وعصره

تاليف : محمد صبيح
الناشر : المكتبة المصرية ـ صيدا بيروت ـ لبنان

● عزيز المصري احد اعلام نهضتنا العربيـــة الحديثة ، وبطل من أبطال الثورة العربية الـــذي تفجرت منذ مطلع هذا القرن ، فهو أحد اولئك الشباب الذين تفتحت عيونهم وهم يطلبون العلم في الآستانة على مظالم الترك ، وهضمهم حقـوق العرب ، وقمعهم كل حركة تحريرية تلوح تباشيرها في اى قطر من اقطارها .

انتسب الى اكثر من جمعية سرية،فعمل وجاهد، وعرّض حياته لافدح الاخطار ، ولم يقتصر جهاده على مقاومة الترك،بل قاوم الاستعمار البريطاني في مصر ، وحارب الطليان في طرابلس ، وقـــد ترفع عزيز المصري عن الاقليمية،وفتح قلبه للعرب جميعا مؤمنا بانهم سواء في المصلحة والمصير ، وعمل باسمهم غير متوان عن معالجة مشكلاتهم .

ويجد القارىء في هذا الكتاب تفصيلا وافيـا لاطوار حياة المرحوم عزيز المصري ، ومواهبه ، وجهاده الفريد الذي يجدر بالشباب العربي ان يطلع عليه ويقتدي به .

■■

انت تسأل .. ونحن نجيب

الطلقاء في الاسلام

● جاء في المعجم المسمى « المنجد » ما يأتي « الطلقاء : الذين ادخلوا في الاسلام كرها » أفلا ترون ان هذا خطأ لغوي متعمد ، واساءة ادبية ودينية؟ارجو توضيح الحقيقة،وشكرا٠

جمال عبدان / حلب / سوريا ٠

ـ راجعنا عدة طبعات من « المنجد » فوجدناه ـ في مادة « طلق » من قسمه اللغوي ـ يذكرمانقله صاحب السؤال بحروفه ، ويكرر ذلك في طبعة بعد طبعة ، وهذا امر جامع لعدة عجائب ، والاصرار عليه اعجب ، وهو من اختراع المنجد دون سائر المعاجم ٠ حيث لا يعرف فيتاريخ الاسلام كله ـ منذ ظهوره حتى اليوم ، جماعة او افراد يسمون « الطلقاء » دخلوا الاسلام كارهين او ادخلوا فيه مكرهين ، وقصة « الطلقاء » التي يشير اليها « المنجد » مفخرة من اعظم المفاخر الانسانية في التاريخ العربي ، بل العالمي كله ، جديرة ان ينوه بعظمتها كل نبيل محب للانسانية ، ولو كان على غير دين ، او لم يكن من العرب ، ومجمل القصة كما اجمعت عليها كتب التاريخ وكتب السيرة ، وهي وحدها المصدر هنا ـ ان النبي محمدا عليه السلام لما دعا قريشا (وهي قبيلته) في مكة للايمان بالله وحده قاومت دعوته ، كما طاردته هو والقلة التي اتبعته بكل ما استطاعت من صنوف الاذى في النفس والاهل والمال ، حتى بلغت ببعضهم القتل ، مما اضطر كثيرا منهم الى الفرار بدينه ، فهاجر بعضهم الى الحبشة ، ثم اضطر النبي نفسه للهجرة الى المدينة اتقاء القتل ، وهاجر اليها اكثر اتباعه لاجئين الى حماية انصاره فيها ، وحلوا فيهم اولا ضيوفا ، ثم شركاء في العمل لكسب الرزق الشحيح ، لانهم اخوانهم في الدين،فلما انتقلوا جميعا هناكحول النبي،وجدوا انهم ـ مع قلتهم وضعف حالهم ـ اكفاء قريش في الدفاع عن انفسهم ، ومجازاتها على سوء صنيعها بهم ، فجرت بين الفريقين حروب ، حاولت فيها قريش القضاء عليهم وعلى دينهم ونبيهم فلم تنجح ، حتى تم بينهما صلح الحديبية سنة ٦ هـ على هدنة لاجل معلوم بشروط معينة ، وقبل انتهاء الاجل نقضت قريش الصلح سنة ٨ هـ ، ثم احتالت لتثبيته مع اطالة الهدنة فلم توفق ، فاضطر النبي الى الاسراع بجيشه لمهاجمتها في مكة بحركة مفاجئة ، تجنبا لاراقة الدماء ، ورغبة في اصلاح اهلها الذين هم اهله واهل

حرب رمضان اثبتت

● ما هي الاسلحة التي تلقتها اسرائيل من الولايات المتحدة ابان حرب رمضان ٠٠ خليل سكيك ـ عمان

ـ هذا موضوع قديم نسبيا ، وقد استوفت الحديث فيه وفرة من الصحف والمجلات والكتب الاجنبية والعربية ٠ وكان الاولى بك ان تسألنا عن الاسلحة الامريكية الفتاكة التي تسلمتها اسرائيل بعد حرب اكتوبر ، لا قبلها ، او الاسلحة الاخرى التي بات في وسع العدو صنعها محليا٠ولا يخفى ان هذين السؤالين الهامين يصعب الاجابة عليهما بالاقتضاب الذي يفرضه هذا الباب ولا بد من التصدي لهما في مقالات وافية ومصورة ٠٠ نرجو ان نتمكن من موافاة قرائنا بمثلها في مستقبل قريب ٠

ونغتنم هذه الفرصة للتنبيه الى كتاب ظهر مؤخرا وتناول حرب رمضان ، لامن حيث احداثها او اسلحتها ، وانما من حيث الدروس العسكرية

كثير من اتباعه المهاجرين،وحين امر كتائبه بدخولها تشدد فى توصيتهم ان لا يقاتلوا الا من يبدأ بقتالهم ، وان يتجنبوا الاعتداء بكل وجوهه ، وفوجئت قريش فلم تجد بدا من الاستسلام وهنا احست بالرعب من ان تعامل معاملة المدن المفتوحة عنوة ، اذ يسلط عليها النهب والاسر وهتك الاعراض والقتل الجماعى دون تمييز ، حتى حين تكون بريئة ، فكيف وقريش قد تعددت اساءاتها بل جرائمها وحروبها قبل ذلك مع هؤلاء الفاتحين• واذا كانت شريعة العدل فى السلم هى القصاص ، فشريعة المنتصر فى الحرب ـ لا سيما بعد الاساءة من المغلوب ـ هى رد الاساءة بما هو شر منها • ولكن النبى لما دخل مكة وجاء الى البيت الحرام فيها حاول تهدئة القلوب فطاف بالكعبة ثم دعا بحامل مفتاحها عثمان بن طلحة ، فدخلها ، ثم وقف على بابها ، فخطب خطبة يلغى فيها بعض الاعراف الجاهلية الوثنية،ويعلن الاخوة الانسانية على اختلاف الاجناس والالسن والالوان « الناس كلهم لآدم وآدم من تراب » ، وان اكرم الناس عند الله اتقاهم ، ثم التفت الى قريش ، وقد استبشرت بما رات وما سمعت منه فقال لهم : « ما تظنون انى فاعل بكم ؟ » قالوا : « خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم » • فاجابهم بما حقق املهم فى عفوه ، اذ قال : «اذهبوا فانتم الطلقاء» اى عفوت عنكم جميعا،ولم يقل كلمة تشير من قريب او بعيد الى ان هذا العفو مقرون باى شرط كالدخول فى الاسلام ، وهذا ما كان ، ولهذا بقى بعضهم على شركه ، واراد على بن ابى طالب ـ ومفتاح الكعبة فى يده ـ ان يحتفظ به لتكون لعشيرته بنى هاشم حجابة البيت الحرام الى جانب ما كان لهم من سقاية الحجيج ، فابى النبى ذلك ودعا صاحب المفتاح وسلمه اليه •

وكان النبى قبل دخوله مكة قد اهدر دماء افراد باعيانهم ، ولو وجدوا متعلقين باستار الكعبة ـ

ثم الدبابات فى وجه الصواريخ

والاستراتيجية التى استفادها العالم منها • وقد صدر هذا الكتاب فى الربيع الماضى ، عن المؤسسة الدولية للدراسات الاستراتيجية ، وكان عنوانه بالانجليزية كما يلى :

The Arab - Israeil War Oct 1973
Background & Events.

واهم تلك الدروس ، حسبما يؤكد هذا الكتاب، ما اتصل منها بالصواريخ والدبابات • فقد اثبتت حرب اكتوبر ان يوم الدبابة قد انقضى او كاد ، وان الدبابات لم يعد فى مقدورها ان تلعب الدور الحاسم الذى لعبته فى حروب الماضى • وما ذلك الا لظهور الصواريخ عامة ، والصواريخ المضادة للدبابات بخاصة ، كصاروخ ساجر Saggar الذى استعمله العرب بنجاح وعلى نطاق واسع فى حرب اكتوبر •

فالدبابة الواحدة تكلف بالمتوسط حوالى ٢٥٠,٠٠٠ جنيه استرلينى •• وهذا مبلغ كبير ويكفى لشراء قاعدتين للصواريخ و ٨٠ صاروخا كالذى ذكرنا • وغنى عن البيان ان كل واحد من هذه الصواريخ الثمانين كفيل بتحطيم الدبابة فى لحظة واحدة لتصبح اثرا بعد عين ، هى وثمنها الربع مليون جنيه ••

هذا ونفقات صيانة الدبابة تفوق نفقات الصواريخ ، وقل مثل ذلك فيما تفقده بالاستعمال ونتيجة الاستهلاك • ثم ان طاقم الدبابة يتطلب تدريبا اشق واكثر كلفة من تدريب مطلقى الصواريخ• ومع ذلك فالاجادة والاحكام فى اصابة الهدف متيسر لهؤلاء اكثر من تيسره لطاقم الدبابة ، علما بان الفضل فى ذلك انما يعزى اكثره للصاروخ نفسه •

ويشير الكتاب بعد ذلك الى حسنة اخرى للصواريخ •• فهى لا تعلن عن نفسها بوميض او دخان ولا باصوات جنازير او محركات •• وهكذا بدأ الغرب يعيد النظر فى الحرب الهجومية من حيث جدواها بالمقارنة مع الحرب الدفاعية •

(ع • ز)

لما تقدم من جرائمهم ـ وفر بعضهم ، فلما عادوا معتذرين عفا النبي عنهم ، بل ان رجلا اندس في الزحام لقتل النبي نفسه ، فلما تنبه النبي دعاه اليه ، ووضع يده على صدره حتى استقر ، ثم صرفه راضيا بسلام ، وكان جماعة قد قاتلوا كتيبة خالد بن الوليد في دخولها مكة فقاتلهم حتى انهزموا ، وفروا فلما عادوا مستامنين امنهم النبي لما علم ان هوازن تعد لحربه بعد فتح مكة ، صفوان بن امية ، وكان من سادات قريش ، فان النبي لما علم ان هوازن تعد لحربه بعد فتح مكة ، استعد لها ، وسار لحربها واستعان بما عند صفوان من اسلحة ، فقال له « اغصبا يا محمد ؟ » فقال النبي : « بل عارية ، مضمونة نردها اليك » فاعطاه صفوان وهو على شركه ، مائة درع بما يكفيها من السلاح ، ومنهم هبيرة بن ابي وهب من سادات مخزوم وكان ممن قاتلوا وهربوا ، ثم بقي في قومه على شركه حتى مات ، وكانت زوجته هند (ام هاني) بنت ابي طالب خلال الفتح امنت رجلين مخزوميين ممن قاتلوا خالدا فاختفيا في بيتها ، واراد اخوها « علي » قتلهما ، فاغلقت عليهما بابها وذهبت الى النبي وقصت عليه قصتها وشكت اليه اخاها ، فقال النبي : « قد اجرنا من اجرت ، وامنّا من امنت ، فلا يقتلهما » فلم يشترط على احد من قريش ان يسلم حتى يعفو عنه .

وكان اولى بالمنجد غير ما ذكر ، فيقول مثلا : « الطلقاء : جماعة قريش الذين كانوا في مكة عندما فتحها محمد ، فعفا عنهم واطلقهم احرارا ، فهم « الطلقاء » دون شرط ، بعد ما كان بينه وبينهم من حروب بسبب اضطهادهم له ولدعوته واتباعه » .

وحسبنا تعقيبا على ذلك ان ننقل ما عقب به مؤرخ مسيحي معاصر ، هو الدكتور فيليب حتي ، اذ قال في كتابه « تاريخ العرب » ما نصه « وقد عومل الناس مع ذلك معاملة غاية في كرم الاخلاق، وقل ان تجد دخول انتصار في سجلات التاريخ القديمة يعدل هذا الدخول » .

(م . غ . ت) .

كمبوديا وسنوات الحرب الخمس التي انتهت بتحريرها

● قرانا في الصحف كثيرا عن كمبوديا ، الدولة التي عاد السلام اليها اخيرا بعد قتال مرير لاكثر من خمس سنوات كاملة . هل لكم ان تقدموا لنا نبذة سريعة عن هذه البلاد ، وعن اسباب تلك المعارك الدامية التي ظلت تدور بين ابناء البلد الواحد طوال هذه الاعوام ؟

احمد شفيق ـ قطر

ـ تقع كمبوديا او جمهورية خمير في جنوب شرقي آسيا ، وهي احدى جمهوريات الهند الصينية التي استعمرتها فرنسا ثم اليابان ، ثم فرنسا مرة اخرى بعد الحرب العالمية الثانية قبل تدخل الولايات المتحدة الامريكية وتورطها في الحروب الطاحنة التي ظلت هذه المنطقة مسرحا لها بعد جلاء الفرنسيين عنها اثر هزيمتهم في معركة ديان بيان فو الشهيرة في عام ١٩٥٤ .

وتبلغ مساحة كمبوديا حوالي ٧٠ الف ميل مربع ، الا ان ثلاثة ارباع اراضيها تكسوها الغابات والاحراش الكثيفة بينما الجزء الاوسط منها سهل يمثل وادي نهر الميكونج Mekong ومناخها استوائي وعاصمتها فنوم بنه ، ويبلغ تعداد سكان كمبوديا ٧ مليون و ٦٤٠ الف نسمة طبقا للتقديرات الاخيرة التي اجريت في عام ١٩٧٤ ، وهم يعتمدون في عيشهم ورزقهم على صيد السمك وزراعة الارز بصفة خاصة ، وهو يشكل ٨٠٪ من حاصلات البلاد ، كما يزرعون المطاط والذرة والقطن والفلفل والتبغ وينتجون الحرير الطبيعي ويستخرجون الزيت من بذرة القطن ويربون الماشية ويقطعون الاخشاب من الغابات . وتحوي ارضهم بعض المعادن مثل الحديد والنحاس والمنجنيز وكميات بسيطة من الذهب .

وقد شهدت كمبوديا حضارة قديمة هي حضارة خمَر التي ازدهرت في الفترة الواقعة بين القرنين التاسع والثالث عشر ، ثم بدأ الاستعمار الفرنسي في عام ١٨٦٣ على وجه التحديد واصبحت كمبوديا تابعة للاتحاد الفرنسي بمقتضى معاهدة وقعت في ٨ نوفمبر من عام ١٩٤٩ ، غير انها ما لبثت ان أعلنت استقلالها عن فرنسا بعد ذلك باربع سنوات، يوم ٩ نوفمبر عام ١٩٥٣ ، واصبحت عضوا في الامم المتحدة ٠

وننقل فيما يلي عرضا سريعا للاحداث التي ادت الى حرب السنوات الخمس التي انتهت اخيرا بعودة السلام الى هذه البلاد ، وتولي العناصر الوطنية مقاليد الحكم في الأرض التي مزقتها الحرب ٠

× كانت كمبوديا مملكة يجلس على عرشها الامير نوردوم سيهانوك في الفترة ما بين ١٩٤١ و ١٩٥٥ ولكنه ما لبث ان تنازل عن العرش بعد حصول بلاده على استقلالها في عام ١٩٥٣ ، لوالده نوردوم سوراماريت الذي تولى عرش كمبوديا عام ١٩٥٥ ٠

× في عام ١٩٦٠ توفى الملك سوراماريت ، وعاد سيهانوك الى الحكم ، ولكنه رفض ان يكون ملكا مرة اخرى ، فالغى الملكية ، واصبح رئيسا للدولة كمبوديا الجديدة ٠

× كان سيهانوك يعطف على ثوار فيتكونج الذين كانوا يحاربون من اجل استقلال بلادهم ، فيتنام ، وتوحيدها ، وقد لجا العديد من هؤلاء الثوار الى كمبوديا ليحتموا بها من الاغارات التي كانت تشنها الطائرات الامريكية التي كانت تساعد حكومة فيتنام الجنوبية ، على مراكزهم وقواعدهم في فيتنام الشمالية ٠ ولكن هجمات الامريكيين لم تتوقف فقد لاحقت الثوار في كمبوديا وقصفتهم بالقنابل ٠

× تقدم سيهانوك باحتجاج شديد على هذا الاعتداء وقطع علاقاته الدبلوماسية مع الولايات المتحدة ٠ وكان ذلك في عام ١٩٦٥ ٠

× في عام ١٩٧٠ سافر نوردوم سيهانوك الى فرنسا التي تلقى علومه في جامعاتها ،وانتهزت بعض العناصر اليمينية فرصة غيابه عن البلاد ، وقامت بانقلاب بزعامة الجنرال لون نول ، اطاح بحكومة سيهانوك ٠ ثم ما لبث زعماء الانقلاب الجديد ان طالبوا بانسحاب جميع قوات فيتنام الشمالية التي كانت تقوم بتدريب جيش كمبوديا ، وكذلك ثوار فيتكونج الذين لجأوا اليها هربا من القصف الامريكي لفيتنام الشمالية ٠

× لجا سيهانوك الى الصين ، ثم ما لبث ان اعلن قيام حكومة كمبوديا في المنفى بمدينة بكين العاصمة ٠

× دارت الحرب سجالا بعد ذلك ، عندما اعلن الرئيس الامريكي السابق نيكسون ان القوات الامريكية قد ارسلت الى كمبوديا لدعم مركز الحكومة اليمينية الجديدة ومساعدتها في عمليات طرد الشيوعيين اى ثوار فيتكونج من الاراضي الكمبودية ٠

× استمرت الحرب خمس سنوات بين مؤيدي سيهانوك بمساعدة قوات فيتنام الشمالية وبين القوات الامريكية وقوات فيتنام الجنوبية ٠٠ تلك الحرب التي انتهت اخيرا بتحرير كمبوديا وعودة سيهانوك وحكومته الشرعية الى البلاد بعد سقوط عشرات الالوف من القتلى والجرحى من الجانبين ٠

(م ٠ ن)

سكة حديد الحجاز

■ خط سكة حديد الحجاز ذلك الذي تسأل عنه ، هو الاسم الذي يطلق على الخط الحديدي الممتد من دمشق حتى المدينة المنورة .

وقصة هذا الخط الحديدي مثيرة غريبة ، بدأت في مطلع هذا القرن ، اي في عام ١٩٠٠ عندما بوشر بالعمل من اجل تنفيذ « الارادة السنية » التي اصدرها السلطان عبد الحميد لربط مدينة دمشق ومكة المكرمة بخط سكة حديدي طوله ١٣٠٢ كيلومترات .

وبعد اربع سنوات من بدء العمل ، اي في عام ١٩٠٤ وصل الخط الحديدي من دمشق حتى مدينة معان ، في جنوب الاردن (انظر الخريطة) ...

وبعد اربع سنوات أخرى ، اي في عام ١٩٠٨ امتد الخط من معان حتى المدينة المنورة وتوقف عندها ، ولم يمتد الى مكة المكرمة ، أو الى ميناء جدة كما كان مخططا له .

والهدف الرئيسي من مد هذا الخط الحديدي الضيق ، الذي يبلغ عرضه ١٠٥ سنتمترات ، وهو خط واحد للذهاب والرجوع ، كان لتسهيل وصول الحجاج المسلمين الى الاماكن المقدسة ، ولهذا السبب اوقف الناس على هذا الخط ،اوقافا خيرية هائلة ، حتى يستمر في تأدية عمله على الوجه الاكمل .

الا ان نشوب الحرب العالمية الاولى الحق اضرارا فادحة بالجزء الممتد من مدينة معان حتى مكة المكرمة ، وطوله ٨٤٣ كيلو مترا ، فتوقف استعمال هذا الجزء منذ عام ١٩١٧ اما الجزء الشمالي من الخط ، وهو الممتد من دمشق حتى معان فما يزال يعمل حتى اليوم ..

وجرت محاولتان لاصلاح الخط المعطوب في عام ١٩٢٩ وفي عام ١٩٣٤ الا انهما فشلتا ، وفي عام ١٩٣٥ دعا الملك عبد العزيز آل سعود لاعادة اصلاح خط الحجاز ، ودفع مليوني ليرة سورية لتحقيق هذا الغرض ، وتبرعت الحكومة السورية بمبلغ ٢٧٠ الف ليرة سورية .

ولكن قيام الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ اوقف العمل بمشروع اصلاح الخط ، الذي ظل مجمدا حتى عام ١٩٥٠ عندما تألفت لجنة فنية من الدول المعنية : سوريا ـ الاردن ـ السعودية قامت بالدراسات اللازمة وطرحت مناقصة عالمية

عام ١٩٦٣ لاصلاح الخط ، الان الشركتين اللتين رست عليهما المناقصة بمبلغ تسعة ملايين دينار اردني ، توقفتا عن العمل ، اذ تبين ، عند التنفيذ، ان المشروع يحتاج الى اموال كثيرة اضافية،بعد ان ثبت عدم امكانية استعمال او الاستفادة من المعدات والمواد القديمة ، التي فرض اثناء الدراسة امكانية استعمالها ، او الاستفادة منها ، وتشمل هذه المواد ـ مباني ومستودعات و ١١ قاطرة و ١٣٠ عربة وشاحنة ، وغيرها الكثير ..

وقدرت التكاليف الاضافية المطلوبة ب ١٥ مليون دينار اردني ، بالاضافة الى الملايين التسعة المقدرة في المناقصة ..

وفي عام ١٩٦٦ تأسست شركة جديدة استطاعت انهاء جميع الاعمال الترابية وهدم الجسور القديمة، وبنا الحديث منها في كل المشروع ، وكادت ان تنتهي من بناء واصلاح محطات الخط ، وعددها ٢٣ محطة .. ومدت نحو ٢٠٠ كيلو متر من الخط الحديدي من معان باتجاه المدينة المنورة جنوبا .. ويقدر ماصرف على هذا المشروع حتى اليوم ، بحوالي عشرة ملايين دينار اردني ..

ان هذا الخط الحديدي سيصبح عصب الطرق العربية الهامة في الجناح الشرقي لوطننا العربي.. فهو سيربط بين بيروت على البحر المتوسط ، وبين جدة ، في منتصف البحر الاحمر .. مرورا بدمشق وعمان ومعان والعقبة وتبوك والمدينة المنورة ومكة المكرمة وجدة ..

انه طريق المستقبل الذي ينتظره جميع ابناء المنطقة .. لان فوائده في نقل الركاب والبضائع اكثر من ان تحصى ..

(س ٠ ق)
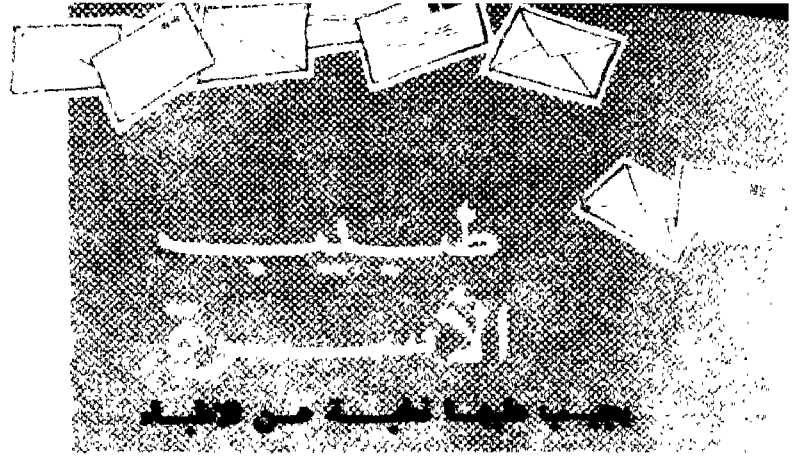
تسلخات الأطفال حديثي الولادة

● اصيبت طفلتي بتسلخات في جسمها لا سيما في اليتها ٠٠ فما سبب هذا ؟ وهل من علاج ؟

معظم الاطفال في الشهور الاولى من اعمارهم يلاحظ والدوهم احمرار الجلد في اسفل البطن ومنطقة الالية وأعلى الفخذين، ويكون الطفل قلقا في نومه ، وقد يصحب ذلك بعض الالتهابات والافرازات وذلك عادة يكثر في الاناث اكثر من الذكور ٠ اما سببها ، فالجلد في هذا السن يكون رقيقا سريع الالتهاب ، كما ان استعمال الحفاظات التي تقي فراش الطفل من البلل وغيره ضروري ، وكثيرا مايلبس الطفل لباس النايلون فوق الحفاظات ، فتكون النتيجة ان يختلط البول بالبراز ٠ وبالبراز ملايين الميكروبات منها ما يهاجم البول ويحلله، وتخرج منه نتيجة ذلك مادة الأمونيا (النوشادر) وهي مادة قلوية تهيج الجلد وخاصة اذا ما تأخرت الوالدة او الحاضنة في تغيير الحفاظة بعد ابتلالها ٠ وقد تنزعج الام عند ذلك ، وتعتقد انها قصرت في نظافة الطفل وتكثر من تنظيفه بالماء والصابون مما يزيد الامر سوءا نتيجة الصودا الكاوية التي يحتوى عليها الصابون العادى غالبا ٠ كما قد تهاجم بعض الفطريات المعروفة بالخمائر هذه المنطقة وتزيد الطين بلة ٠ من ذلك نرى ان الامر متعلق بالحفاظات ، ويظهر في هذه الفترة التي تستعمل فيها ، وعادة تختفي بعد الاستغناء عنها عندما يكبر الطفل ، ومن هنا كان الاسم لهذا النوع من الالتهابات هو التهاب الجلد الخاص بالحفاظات (Napskin Dermatitis)لذلك يجب على الام الاسراع بتغيير الحفاظات كلما اتسخت وابتلت والاقلال من استعمال الصابون العادى ويمكن استعمال صابون الجلسرين الخاص الذى لا يحتوى على قلويات كثيرة لانه قريب التعادل ، واثناء وجود الالتهابات يكتفي بتنظيف الجلد بزيت دافيء ويفضل زيت البارافين ، ثم توضع الكريمات المضادة للالتهاب التي يصفها الطبيب وزيارة الطبيب ضرورية لاستبعاد وجود الفطريات او الالتهابات الثانوية ، وفي حالة وجودها، فيجب علاجها كما يجب ، وعندما تختفي يكفي تغيير الحفاظات باستمرار وتنظيف الجلد بصابون او سائل خاص بالأطفال ، ووضع بودرة او كريم واق يحمي الجلد من ملامسة الفضلات ٠

مرض أديسون ـ ما هو ؟

● علمت ان احد اقاربي يعاني من مرض اديسون ، فما هو هذا المرض وما مدى خطورته ؟

ـ مرض اديسون Addison's Disease وسمى كذلك باسم من اكتشفه فى بادىء الامر ، هو نتيجة لقصور فى عمل الغدتين فوق الكلية (الكظرية) نتيجة لضمور بهما او بعد ازالتهما بسبب تورم بهما او نتيجة لمرض مزمن أتى على انسجتهما فأصبحتا لا تفرزا الهرمونات والتى أهمها الكورتيزون اللازم للجسم ، ويرجع السبب فى بعض الحالات الى تدرن الغدتين أو بسبب افراز مادة داخل الجسم تسبب ضمور الخلايا وتصبح منيعة ذاتيا Outo immune او وجود ترسبات سرطانية بهما تطمس معالم الغدتين وتأتى على أنسجتهما او نزف بداخهما ٠

ويحدث المرض عادة تدريجيا فى السن ما بين الثلاثين والاربعين ـ فيشكو المصاب من هزال وضعف شديدين ، وينقص الوزن ـ ويهبط ضغط الدم ويلاحظ المريض عدم قدرته على الاتزان عند الوقوف ـ مع سرعة النبض والشعور بالخفقان ـ كما يتلون الجلد بلون بنى خصوصا فى الوجه واليدين ويظهر ذلك بوضوح فى ثنيات اليدين وعلى الغشاء المخاطى المبطن للشفتين والشدقين ـ كما ان المريض يحس بفقدان للشهية والشعور بغثيان ربما ادى الى قىء وكذلك يعانى من اسهال يعقبه امساك شديد ٠

وتزداد حالة المرض سوءا عندما يتعرض لأزمات حادة نتيجة لتعرضه للالتهابات فى الجسم ، أو الاسهال او الجوع الشديد او البرد القارس ، وتعاطيه بعض الادوية مثل المورفين او البنج او املاح البوتاسيوم ، وفى هذه الازمات تهبط نسبة جلوكوز الدم مع ارتفاع فى درجة الحرارة ، وقىء شديد وهبوط فى ضغط الدم وفقدان لسوائل الجسم ، فيحدث ذلك جفافا شديدا ، مع ضعف عام٠

وكذلك يشكو المريض من ألم فى منطقة المعدة وفى بعض الاحيان يكون هذا نذيرا لحدوث النوبة ٠ واذا كانت النوبة شديدة ولم يسعف المريض فى اسرع وقت ممكن فربما قضى عليه ، لذا كان من الواجب ملاحظة المريض وابعادة عن الاسباب التى تؤدى الى هذه الازمات وتعريف اقاربه بهذه الاسباب ، وابلاغ الطبيب فى اسرع وقت ممكن ، أو اخذ المريض الى المستشفى للعلاج ٠ وهناك فحوصات خاصة للتوصل الى التشخيص لهذا المرض ٠

والنظرة الى هذا المرض قد تحسنت بعد اكتشاف الكرتيزون فهو العلاج فى مثل هذه الحالات ، ويستمر العلاج مدى الحياة ولكن كميته تختلف من آن الى آخر حسب حالة المريض ،لذا كان من الواجب مراجعة المريض من آن الى آخر للملاحظة وتقدير العلاج اللازم ٠

حب الشباب

● انا شابة في سن العشرين ، ظهر فيوجهيما يسمونه«بحب الشباب» وقد اتبعت نصائح الكثيرين لعلاجه ، الا انني ما زلت اعاني منه ٠٠ فما هو العلاج الحاسم لحب الشباب ؟

ـ هذه الحبيبات والبثور التى نسميها حب الشباب ازعجت ولا تزال تزعج اكثر من نصف سكان العالم وهى تظهر فى اى سن من فترة ما قبل البلوغ مباشرة حتى حوالى الثلاثين ٠ وليس معناه انه اذا لم يظهر فى سن البلوغ ، فانه لن يظهر بعد ذلك ٠ ولا معناه انه اذا ظهر فى هذه السن المبكرة ، فلابد ان يستمر حتى الثلاثين ، ولكنه يظهر فى اى وقت فى هذه الفترة ، واختفاؤه بعد الثلاثين كان سببا فى الاعتقاد القديم الذى لايزال سائدا ، وهو انه يختفى بعد الزواج ، فلا علاقة بين الاثنين ٠

يصيب حب الشباب البشرة الدهنية ، اى التى يحتوى الجلد فيها على كمية كبيرة من الغدد الدهنية التى لها نشاط زائد ، وتكثر هذه الغدد فىالوجه والصدر والظهر واعلى الذارعين ٠ وكل غدة عبارة من انبوب معقد التركيب له قناة ضيقة تنزلق الى قناة الشعر وتصب افرازها على الجلد من نفس الفتحة التى يخرج منها الشعر ٠ وكثيرا ماتحدث بعض التغييرات الكيماوية ، ويجمد الافراز على هذه الفتحة الضيقة مكونا ما يشبه السدادة السوداء وتسمى الرؤوس السوداء ، ولكن نشاط الغدة لا يتوقف فتتورم وتنتفخ ، وتبرز على سطح الجلد على شكل حب الشباب ، وكثيرا ماتلتهب ويحمر لونها ، كما ان محتوياتها تعتبر غذاء دسما للميكروبات التى قد ترتع فيها ويظهر الصديد ٠ وتظهر هذه الحبيبات فى المناطق سابقة الذكر التى تحتوى على اكبر كمية من الغدد الدهنية ، وليس من الضرورى فى جميعها ، ولكنها قد تظهر فى اى مكان منها اى ، مثلا فىالوجه فقط ، او الظهر او الكتفين ، او الصدر ، او بعضها او جميعها ٠

ولذلك فيجب عند من لديه الاستعداد ان يغسل الوجه بالماء والصابون مرتين يوميا على الاقل والاكثار من الحمام ، وذلك لتنظيف فوهات الغدد وازالة السدادات السوداء ، ويمكن استعمال الصابون المطهر او سوائل التنظيف الخاصة ، كما يجب الاقلال من كل ما يساعد على انسداد هذه المسام ، وذلك مثل البودرة ومواد التجميل ، وان كان لامحالة فاعلا ،فيجب غسل وتنظيف الوجه قبل النوم مباشرة ، وبعض هذه المواد تحتوى على مواد كيماوية تهيج الجلد ، وبذا تضيق هذه الفوهات ويساعد ذلك على غلقها ٠

ويلاحظ ان اقلال نشاط هذه الغدد غير ممكن ، ولكن يمكن تجنب زيادة نشاطها بالابتعاد عن انواع الاطعمة التى قد تسبب ذلك ، وخاصة المواد النشوية والحلويات والدهنيات الكثيرة ، وخاصة الشكولاتة والمكسرات والتوابل الحارة كالفلفل والشطة وما شابهها ٠

ويعالج حب الشباب بمواد تساعد على تفتح المسام وتنظيف الدهون على سطح الجلد ، وكثيرا ما يحتاج الامر لاعطاء عقاقير تقشر الطبقة السطحية للجلد لازالة هذه السدادات وليس لهذه الحالة ـ الى اليوم ـ دواء شاف بصفة دائمة ، ولكن الاعراض تزول طالما كان العلاج مستمرا ، ويجب ان يستمر طوال هذه الفترة التى يظهر فيها حب الشباب ٠٠ وقد يطول ذلك لبضع سنوات ٠

■■

بقلم : غبريال وهبة

■ مائة واثنتان وعشرون عينا صغيرة تبرق وتلمع وتطيل النظر الى « ابلة وهيبة » وتواصل التحديق فيها . كان هناك واحد وستون من صغار التلاميذ والتلميذات يجلسون في مقاعدهم خلف ادراجهم الخشبيــة .. يحـاولون استطلاع شان مدرستهم التي كانت في الحلقة السادسة من عمرها ، وسبر غور كل جزء منهـا .. فكانت عيونهم تنخفض الى حذائها الاسود المسطح الذى لا كعب له .. وجوربهـا المصنـوع من القطـن الاسود .. وترتفع حينا الى المسطرة التى في يدها النحيلة المعروقة ، وترتفع بعد ذلك الى شعرها الرمادى الذى يكسو راسها المرهق ، وقد جذبته بقسوة الى الخلف ، وكومته على هيئة كرة اشبعتها طعنا ووخزا بالدبابيس . ولقد شاهدوا النظارة ذات العدسات السميكة، والعينين الصفراوين الباهتتين كانما غسلتهما دموع مالحة مريرة طوال سنوات عجاف .. وكانت الجفون تطبق عليهما في حركات سريعة مرتعشة . وهاهم اولاء يعاودونّ التطلع الى الحز الاحمر اعلى انفها والناشىء من طول احتكاك اطار نظارتها به .. ثم الى طقم اسنانها الصناعية .. كانت اسنانا كبيرة الحجم ذات لون لاهو بالابيض ولا بالاصفر..

فتحت ابلة وهيبة فمها فبدت لوهلة وجيزة حفرة سوداء محاطة باطار احمر باهت من اللثة .

« ـ تقولين لي ماذا حدث ! .. لماذا يا آنسة وهيبة ؟! كيف تجلسين هنا في هدوء تحسدين عليه وتسالين ماذا حدث ! ترى في أى شيء تفكرين ؟! ..»

كان الاطفال يجلسون في صمت واستغراق . لم تكلمت ابلة وهيبة وهي تقرع الدرج بالمسطرة بين الفينة والفينة ..

قالت في صوت واهن : انتباه يا اطفال .

ولاول مرة منذ ان دخل التلاميذ الفصل سكتوا، بعد ان كانوا يتنقلون من اماكنهم ويتهامسون . وراح البعض يلكزون زملاءهم باكواعهم .. بينما امتدت ايدى آخرين الى ضفائر التلميذات تجذبها، وفريق ثالث كان ينقر بالاقلام فوق الادراج .

وضعت ابلة وهيبة مسطرتها جانبا ، واخذت تضرب احدى كفيها بالاخرى وهي تقول بصوت اعلى:

اسكتوا ايها الاطفال ! ·· يجب ان تلزموا الهدوء !

جلس الاطفال ساكتين مرة اخرى وهم في حالة ترقب ·

واصلت ابلةوهيبة الحديث قائلة : درس اليوم لن نكتب فيه شيئا ·· وسنكتفي بالمطالعة في كتاب الوزارة الجديد ·· كتاب نحن نقرأ ·· الكتاب الثالث للصف الثالث الابتدائي · ستحبونه ·· انا واثقة من ذلك ·· كل واحد منكم ·· نعم ·· حتى انت يا ممدوح · انني اراك وانت تجلب شعر نازك من الخلف ·

سحب الشيطان الصغير يده المؤذية ·· وزحفت في بطء مبتعدة على استحياء كأنها خجلى من الضحية البريئة · بينما واصلت ابلة وهيبة الحديث ، ومع هذا فقد عاد الشيطان الصغير يرمق جارته بنظرة ازدراء وتعد انبعثت من عينين ولحتين في وجه مكتنز باللحم والشحم ·· وكان ذا رأس أصلع يغطيه بطاقية لاصابته بالقراع · وأخرج الطفلان لسانيهما احدهما للآخر ثم صمتا·

ـ نعم ·· ؟ ! أتخرجان لسانيكما ؟ ! ·· الا تخجلان من نفسيكما ؟ ! ·· انني استطيع ان آمركما بالوقوف ووجهاكما للحائط بقية الحصة ، واحرمكما من القراءة في الكتاب الجديد· أتفهمان ؟!

فخفض الطفلان بصريهما وهما يبتسمان ·· فقد سرهما ـ شأن سائر الاطفال ـ ان يكونا موضع الاهتمام ·

وعاودت ابلة وهيبة الكلام قائلة : ـ أيها الاطفال ! ·· اؤكد لكم ان هذا الكتاب ستجدون فيه ما يسركم ·· كل صفحة فيه · ولا اذيع سرا اذا قلت لكم انني اخذته معي الى المنزل وامضيت الليلة البارحة اتصفحه لانتقي لكم مايروقكم · ان عناوين قصصه شائقة ، وصوره جميلة ·· لقد استمتعت به يا اطفال ·· اي والله العظيم ·

وشرعت تكتب عنوان الدرس بأحرف كبيرة على السبورة ·· فانبعث صرير حاد من احتكاك الطباشير الخشن بالسطح البالي ·· فانثنت الى بقعة مجاورة بدت لامعة فلم تظهر الكتابة ·· فقد كانت مغطاة بطبقة من الشمع ·· وهاهي ذي تضغط بقوة فانكسر اصبع الطباشير·· وانطلقت الضحكات الهازئة عندما انحنت بصعوبة لتلتقط النصف المكسور من فوق الارض ·

ما كادت تستوي واقفة حتى مالت بجسدها فوق مقدمة مكتبها ·· واطل من عينيها الباهتتين ألم جديد ·

دارت عقارب ساعتها، التي التف شريطها البالي حول معصمها ، مسجلة مرور خمس دقائق عندما سمحت للاطفال الذين كادوا يقفزون من مقاعدهم بالمرور سريعا على اسطر قصة الاطفال والسنونو·

وعندما فرغوا من القراءة وهجاء الكلمات وتذوقوا الوان الصور المحلى بها الكتاب ، بدا الدرس .

قالت ابلة وهيبة وقد تغضن جانب فمها، وطقطقت اسنانها الصناعية العجيبة : ـ ساجعلكم تقراون جميعا .. وحاولوا ان تنطقوا الالفاظ بوضوح وجلاء . ولا تنسوا في اثناء المطالعة ، ان تجيدوا التعبير بصدق وغيرة وحماس . وليتصور كل منكم انه ممثل يعبر عن افكار المؤلف . وسترون ان ذلك سيجعلكم تقراون افضل كثيرا من ذي قبل .

ثم اردفت : ـ مجدي .. انت ستقوم بدور العصفور .. اما بقية الفصل فسيقراون دور الاطفال .. والآن اقراوا عنوان القصة ..

امتدت يد ابلة وهيبة تسوى اوراق كتابها الملتوية حتى لا تقفز وتغطى الصفحة التى تتابع فيها الكلمات التى يقراها الاطفال .

صاح الاطفال : ـ الاطفال والعصفور .

ثم صمتوا ..

ـ هيا .. ابداوا ..

فقراوا جميعا في نفس واحد :

مرحبا اهلا وسهلا
ايها الطير الصغير

ها قد اصطدناك عفوا
لا تخف سوء المصير

سرحت ابلة وهيبة ببصرها في افق بعيد .. « لا تخف سوء المصير .. كيف لا اخاف وقد قاسيت بنفسي سوء المصير بعد موت امي وانا لم ازل في السادسة من عمري .. فتزوج والدي باحدى المدرسات التى سامتني العذاب الوانا .. وياليت الامر اقتصر عليها وحدها .. بل رزقت من ابي بسبعة اطفال سرعان ما شبوا ، فكانوا يرشقونني باقذع الشتائم ، ويعتدون علي بالضرب بتحريض امهم . وكم كنت ارثى لابي وانا انظر لثيابه الرثة .. وحذائه الممزق .. كان يؤثر السكوت وقد اذله الفقر .. واخرسه الخوف من زوجته الشرسة التى كانت تستولي على مرتبه اولا باول مهددة اياه بهجره تاركة اطفاله معه يلقى سوء المصير .. وليأكل معهم حجارة ان كان يستطيع ..

ولن انسى ـ ما حييت ـ اول عيد فطر بعد زواج ابي .. كنت اجلس القرفصاء في المطبخ ارتدي ثوبا باليا يبدي عن كتفي كما يبدي عن ظهري وصدري .. ورحت ابكي بحرارة .. لماذا اختصت اطفالها وحدهم بالاثواب جديدة يرفلون فيها فرحين .. الست اختهم ؟ فما كان من زوجة ابي الا ان خلعت حذاءها وانهالت به على راسي في عنف شديد وانا الف كانما يحركني لولب .. ثم جثوت وقد جمعت يدي الى وجهي وانا اتلوى من الالم .. لماذا كل هذا الغضب المنكر العنيف وانا لم ارتكب ذنبا .. لقد استحالت زوجة ابي الى جنية ثائرة .. انتعلت حذاءها بسرعة .. ووثبت فوقي فانكفات على وجهي فجمعت شعري بين يديها وراحت تجذبه في قسوة ووحشية وتدفع بقدميها وجهي حيثما اتفق » .

كان صوت الاطفال حادا وهم يقراون بصوت عال .. نظرت اليهم ابلة وهيبة وقالت : ـ حسبكم ! .. حسبكم ! .. قفوا عند هذا الحد .. هيا يا مجدي ..

وقف التلميذ الصغير وراح يقرأ :

كيف تحلو لي الحياة
انني عبد اسير

ليس لي الا الممات
آه لو كنت اطير

فقالت في نفسها .. « نعم .. احسنت ايها العصفور .. معك حق .. كيف تحلو لي الحياة وانا عبدة اسيرة .. لقد ذقت مرارة الاسر وادركت معناه .. كنت غريبة في بيت ابي .. وكم تمنيت الموت كمهرب لي من آلامي ووسيلة للخلاص من عذابي .. ليته يختطفني كما اختطف امي من قبل » .

وعلا صوتها .. وهي تقول : انت لا تهوى القراءة .. اراك تقرا بلا اكتراث .. ودون ادنى اهتمام . والآن جاء دوركم يا اطفال ..

جلس مجدي .. وما كاد وجه ابلة وهيبة

يختفى خلف صفحات كتابها .. حتى اخرج لها لسانا قرمزيا مسحوبا .. وضحك فى استهزاء . وصاح التلاميذ قائلين :

لا تـخـف سـوءا فانـا
قـد كلفنا بالطـيـور
عش عزيـزا بحمانـا
تجـتن الخـير الغـزير

لهزت راسها اسفا وهى تهمس لنفسها فى استنكار : « كلا .. كلا .. هذا كذب .. كلام منمق لتخدير الفريسة توطئة لالتهامها وابتلاعها والتلذذ بها .. هذا ما فعلته زوجة ابى فى اول الامر .. كم اعطت والدى من طرف لسانها حلاوة .. واشبعته وعودا جذابة عن السعادة التى ستحققها له ولابنته .. العصفورة الجميلة التى ارسلها الله لها .. وانها ستتفانى فى خدمتها لتعيش عزيزة بحماها ... كلا .. ! .. هذا خطا ورد بالكتاب .. انه خطا مؤكد .. » .

قلبت ابلة وهيبة عينيها فى وجوه التلاميذ . كان الفصل مسرحا للهمسات والتاوهات وامتلا بالجلبة والضوضاء .. فقد تعب الاطفال وملوا من كثرة ترديدهم للابيات .. فراحوا يضربون باقدامهم الارض .. وكانت كتبهم ملقاة فوق الادراج فى غير نظام .

اخذ التلاميذ يقرص بعضهم بعضا من تحت المقاعد ..وينثرون الحبر علىمرايلهم الصفراء.. بينما ارتسمت البسمات حول افواه التلميذات وهن يقذفن بعضهن بعضا بقصاصات من الورق.. ويلطخن وجوههن بالطباشير ..

كان الجو باردا ، والرطوبة تملا المكان ، والامطار تنقر زجاج النوافذ ..

نهضت ابلة وهيبة واقفة فى ثوبها الكالح .. وتوالت طرقات المسطرة فوق الدرج .. فانتبه اليها بعض الاطفال . انثنت تضرب احدى راحتيها فوق الاخرى فهدا التلاميذ .. وبدات الاعين البراقة تحملق فيها بنظرات ثاقبة تكاد تخترق جسدها الهزيل الذى لا يكاد يستقيم من الضعف .

ـ سكوت يا اطفال !

ثم واصلت الحديث قائلة :

ـ اسمعوا .. لنرى ان كنتم تستطيعون الجلوس هادئين لمدة خمس دقائق كاملة دون اية حركة او كلام او همس . ساتطلع الى ساعتى .. وانتم تربعون اذرعكم فوق صدوركم صامتين حتى اعلن لكم انقضاء الفترة المحددة .

استمع لها التلاميذ كان على رؤوسهم الطير ، وجلسوا ساكنين . كانهم التماثيل .. ورفعت ابلة وهيبة يدها اشارة البدء كانها تعلن بدء مباراة رياضية .

حبس الاطفال انفاسهم والتصقوا بمقاعدهم . رمقت ابلة وهيبة عقارب ساعتها وقالت : باقى دقيقة واحدة .

غير ان مجدى لم يستطع ان يصمد للنهاية فانفجر يسعل ويعطس . وفى لحظة تبدل الهدوء ضجيجا وعجيجا .. واغرق التلاميذ فىالضحك .. وعادوا يلكز بعضهم بعضا . وانزلت التلميذات سواعدهن ، واستدرن فى مقاعدهن وقد تاججت فى صدورهن جذوة التشوق الى استكشاف الذى تسبب فيما حدث .

قطبت ابلة وهيبة وجهها وبدت مكفهرة الجبين تنتقر بمسطرتها على القمطر فى ارتباك وحيرة .. وهى تحاول ان تخاطب التلاميذ بجفاء .. فقالت لهم فى صوت مختنق : ـ يا اطفال .. ايها الاطفال .. اليس عندكم ادب بالمرة ؟ ! .. كان يجب ان تخجلوا من انفسكم ؟ ! .. وخصوصا انت يا مجدى من دون التلاميذ جميعا .. ساشكوك لوالدك عند قدومه فى شارعنا لتوزيع الخطابات .

ساد صمت ثقيل .. وعادت الاذرع تتربع فوق الصدور مرة اخرى .. واستقامت الظهور ..

قالت وهى تنظر الى ساعتها :

ـ الآن .. اذا استطعتم التزام الهدوء خمس دقائق هذه المرة ، سامنحكم جميعا فسحة قدرها ربع ساعة .

وفى هذه المرة تحمس التلاميذ لتنفيذ مطلبها .

دار العقرب الكبير ببطء خمس دورات ..

فتنفست ابلة وهيبة الصعداء .. وشعرت برد اعتبارها .. واذا بها تعطي الشارة من يدهـا بانتهاء الوقت المتفق عليه . وها هي تسير رافعة الرأس نحو النافذة وتتطلع من خلال الزجاج الى الفناء الذي غطاه الطين ..

قالت :

ـ استمعوا الي يا اطفال .. ما زال المطر يهطل بغزارة مما قد يحول دون خروجكم . ولكن نظرا لانكم احسنتم التصرف فساكون عند وعدي.. وسامنحكم فسحـة ربع ساعـة ، ولكن يجب ان تمضوها في دورة المياه بعيدا عن المطر . واحذركم من احداث اي جلبة او ضوضاء .. واذا اردتـم الحديث فليكن همسا . السير على اطراف الاصابع .. والتجول واللعب في الفناء ممنوع . لا تتركوا صنابير الميـاه مفتوحـة .. اغلقوها عقب الشرب مباشرة .. وفـوق كـل شيء اياكم ان تسمعكم الناظرة .. ان حجرة ابلة حميدة مواجهة لدورة المياه ، واذا صدر منكم ادنى صوت فستطل عليكم من النافذة . عليكم بالتزام الهدوء التام كما كنتم منذ لحظة .. عندئذ ساكون مسرورة منكم .

تسلل التلاميذ من الفصل وساروا في الطرقة بهدوء متجهين الى دورة المياه .. بينما عادت ابلة وهيبة الى مقعدها .

التقطت كتاب نحن نقرا .. الكتاب الثالث .. وراحت تقرا من حيث انتهى التلاميذ .

ـ قال العصفور ردا على الاطفال :

بعـــد مـــا اذيتمونـــي
هـــل تحبـــون الطيـــور
سرحونـــي اعتقونـــي
استطيب طعـــم الســـرور

اطلقت العنان لفكرها .. «لقد آذتني زوجة ابي شر ايذاء .. ولم اعش عزيزة بحماها ، ولا بحمى والدي الذي لم يكن له حول ولا قوة من جبروتها .. وحتى اخوتي لم يكن ابي ليستطيع ان يذودهم عني وهم يعتدون علي بالضرب .. لقد حاول ذلك مرة واحدة فكان جزاؤه السب والتحقير والتعيير بانه امي معدم وامهم اصبحت ناظرة ، فلم يحر جوابا واطرق برأسه الى الارض مقتما حزينا . كنت بين شقي الرحى .. كان ايذاء من جانبين .. فاستحضر في ذهني صورة بشعة من عصور الظلم والاستبداد.. صورة الضحية المشدودة الوثاق الى الجياد الجامحة .. التي تعدو ذات اليمين وذات اليسار دون ان تلوي على شيء فتمزق الفريسة المسكينة شر ممزق .

سافرت زوجـة ابي ذات صيف ومعهـا اخوتي واخواتي للتصييف.. وتركتني مع والدي . خرجت في يوم ما لزيارة صديقة لي وعدت مساء . كان المنزل هادئا تسمع فيه رنة الابرة .. فاعتقدت ان والدي قد تعب من انتظاري وآوى الى فراشه .. تسللت الى حجرته .. لم يكن نائما .. كانت يداه باردتين ، وساقاه متخشبتين ، فخشيت ان يكون قد فارق الحياة .. وقفت مكاني واجمة ساهمة كانني قطعة من الرخام ، اريد ان ابكي فلا اجد الدموع ، واريد ان اصرخ ولكـن صوتي احتبس في حلقي . خرجت اسعى في ظلمة الليل القاتمة ، الهث بحثا عن طبيب الى ان وفقت اخيرا .. ولما فحص والدي ، سحب ملاءة السرير وغطاه بها وشد على يدي قائلا : « البقية في حياتك » . لم ارفع صوتا بعويل ولم اخفض صوتا بنحيب ، وجلست ساكنة مطرقة بجسمي كله الى الارض ، وفجاة فاض من عيني دمع غزيز غير منقطع . اكنت ابكي ابي ؟ ام كنت ابكي نفسي ؟ لقد انتهى ابي كما انتهت امي ، وكما سننتهي جميعا الى الموطن الذي لا يكون فيه ظالم ولا مظلوم ، والذي لا يكون فيه فقير ولا غني ، والذي تتحقق فيه المساواة بـين الناس جميعا حتى يستحيلوا الى تراب كما خلقوا من تراب ... » .

نسيت ابلة وهيبة الكتاب وما فيه وهي تحملق في قطرات المطر التي ترصع زجاج النافذة دون ان تراها .. واذا بالباب يفتح فجاة على مصراعيه واندفعت شابة هيفاء القوام الى داخل الفصل . انهـا الانسة سامية ، المدرسة المعينة حديثـا .. وخريجة دار المعلمات ..

قالت بدهشة : يا انسة وهيبة .. مهما كان ما تفكرين به .. الا تعرفين مـاذا حـدث ؟ .. الم تسمعي ؟ ! .. ان عراك الاطفال وما احدثوه من

لذب كان كافيا لإيقاظ الميت ! .. وابلة حميدة تغلي غضبا .. واني التمس لها العذر .

حملقت المدرسة المرهقة في المدرسة الشابة .. وهمست متسائلة : ماذا هناك يا عزيزتي ؟ ماذا حدث ؟

ـ تقولين لي ماذا حدث ! .. لماذا يا آنسة وهيبة ؟ ! ..

كيف تجلسين هنا في هدوء تحسدين عليه وتسالين ماذا حدث ! ترى في اي شيء تفكرين ؟ ! .. او تتركين عصبة من صغار الشياطين خارج الفصل ساعة كاملة قبل حلول ميعاد فسحتهم .. وفي اي مكان ! .. في دورة المياه ! .. هل عدمت الاماكن في المدرسة ! .. انك انما تخلقين بذلك المشاكل لنفسك .. كما حدث فعلا . ان مجدي وهبه حاول ان يدفع راس احدى التلميذات صوب صنبور المياه فشجت راسها واصيبت بجرح بالغ .. وسقطت الطفلة والدم يسيل منها .. فتقهقر الاطفال الى الوراء وهم يصرخون ويستغيثون . ان ابلة حميدة في حالة غضب منكر عنيف وانت قابعة هنا في منتهى الهدوء تقراين كتابا للاطفال وتتساءلين ماذا حدث .

ارتعشت شفتا ابلةوهيبة وبدت الفجوة السوداء بين فكيها .. واطرقت واجمة وهي تلهث.وتكلمت اخيرا بصوت متحشرج : ـ حقا لم اكن اعرف .. لم يدر بخلدي قط انه قد يحدث شيء . لقد قلت لهم ان اللعب والتجول ممنوع .. صدقيني هذا ما نبهتهم اليه . كان يبدو عليهم التعب والارهاق .. ففكرت ...

لا شيء يزعج الآنسة سامية ويضايقها مثل عدم تقدير المواقف .. فنظرت اليها بالمتزلزل وقالت : ـ لقد فكرت .. أليس كذلك ؟ .. حسنا .. لن اندهش اذا اعطتك الناظرة في تقريرك السري تقديرا بدرجة ضعيف كما سمعتها تقسم على ذلك وهي ثائرة . وتعلمين انه سيترتب على ذلك فصلك من العمل ، مما سيتبعه سحب شهادة الكفاية منك التي منحتها اياك المنطقة التعليمية عندما كنت تعملين بمدرسة خاصة .. ولولا انها اشفقت هذا العام لما وزع مدرسوها على المدارس الاميرية .

تدلى فك ابلة وهيبة فازدادت الفجوة السوداء اتساعا .. واخذت تتنفس بصعوبة .. وفي عينها دموع تريد ان تسقط ولكنها تعلقها بين جفونها بشق الانفس . تحركت يدها تتحسس منديلها تحسسا اعمى .. وسقط كتاب « نحن نقرا » على الارض ..

كان اخشى ما تخشاه ان تنحدر دموعها على وجنتيها . يجب الا تراها الآنسة سامية وهي تبكي . ولكي تخفي دموعها طاطات راسها الى اسفل، وانحنت بجذعها الى الامام لتلتقط الكتاب فانكفات من فوق مقعدها على الارض وتمددت فوقها لا حراك بها .

نظرت اليها سامية باستخفاف وازدراء على انها تصطنع الاغماء . ثم لاحظت ان احد ذراعيها الذي يشبه عصا رفيعة ، كان منثنيا بطريقة مؤلمة تحت الجسد الخامد ، والنظارة مدلاة من اذن واحدة .. فاحست بدبيب الخوف يزحف الى فؤادها فجاة .

امسكت بكتفي المدرسة المسنة واخذت تهزها قائلة : ـ آنسة وهيبة .. قومي ..هوني عن نفسك .. قومي ! .. يمكننا تسوية الامر .. انا متاكدة .

سمعت سامية طقطقة، ورات الاسنان الصناعية الكبيرة تنزلق من مكانها ببطء فاطلقت ساقيها للريح وهي تصرخ .

انقضى بعض الوقت قبل ان يعود الاطفال .. ويتسللوا في هدوء داخل الفصل وهم يتحركون في خفة الظباء على اهبة الاستعداد للانطلاق هاربين لدى سماع ادنى صوت . وها هم اولاء يقفون على هيئة دائرة يحملقون دهشة في الفم المفتوح على اتساعه ، وفي وجه ابلة وهيبة الذي بدا لهم هذه الساعة غريبا .. ■

القاهرة ـ غبريال وهبه

■ كامل مصطفى هو عميد كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية .. ولد عام ١٩١٧ ، ودرس بالقاهرة ، حتى تخرج فى كلية الفنون الجميلة عام ١٩٤١ (كان اسمها فى ذلك الوقت مدرسة الفنون الجميلة العليا) وقد عمل بتدريس الفن منذ تخرجه ، وسافر الى ايطاليا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية،ليعود استاذا لفن التصوير الزيتى بكلية الفنون بالقاهرة عام ١٩٥٠ .

وعندما انشئتكلية الفنونالجميلة بالاسكندرية عام ١٩٥٨ تولى منصب رئيس قسم التصوير بها، ثم اصبح عميدا لها عام ١٩٦٨ . وقد شوهدت اعماله فى عدد كبير من المعارض المصرية باوروبا، ولكنه لميقمالا معرضا واحدا لانتاجه عام ١٩٧٠ بالاسكندرية ، وهو ـ رغم غزارة انتاجه ـ فانه لا يملك منه الا القليل ، اذ يقبل الكثيرون على شراء لوحاته .

ولوحة « الهجرة » واحدة من مجموعة ٦ لوحات، رسمها الفنان ليشارك بها فى معرض اقيم بالاسكندرية عن القضية الفلسطينية ، وتدور جميعهذه اللوحات حولموضوعتشريد الفلسطينيين وطردهم من ديارهم .

اما الاسلوب الذى يستخدمه الفنان فى رسمه فهو «التاثيرى» الذى يهتم اهتماما خاصا باتجاهات الضوء والظل ، لا كما تحتمه القواعد القديمة ، بل كما تحدده اللحظة التى يقوم فيها الفنان بالتصوير .. والخطوط المحددة للاشكال ليست حادة واضحة ، بل تتدرج باعتبارها انعكاسات ضوء ، وليست حقيقة جامدة غير قابلة للتغيير او التبديل .

ان الانفعال والاثر النفسى لهذا الاسلوب فى الرسم يتغلغل الى اعماق المشاهد ، لانه قادر على تحريك عواطف الجمهور ، واقناعه بالقضية التى يعرضها الفنان « التاثيرى » من خلال لوحته .

والفنان كامل مصطفى يعتبر رائدا لهذا الاتجاه فى مصر بعد ان رحل عن الحياة اول من مارسه فى منطقتنا العربية ، وهو الفنان « يوسف كامل » استاذه واستاذ جيل باكمله . ■■

صبحى الشارونى

تفرّج على صورة مثاليّة بتلفزيون فيليبس
دع الصورة على شاشة التلفزيون تتحكم في قرارك عندما تعتزم شراء جهاز تلفزيون. ان صورة
التلفزيون الجيدة هي الصورة الناصعة الحادة الأطراف التي تمكنك من رؤية كل التفاصيل.. ثم إنها
صورة ثابتة لا تتعب عينيك. كل هذا تحققه لك وبأفضل شكل، شاشة تلفزيون فيليبس. إلا أن
فيليبس تقدم لك الكثير غير هذا.. تقدم لك التصميم الجذاب الرائع. الق نظرة على جهاز إكس ٢٤
ق ٦٨٤ بهيكله الخشبي الفاخر وبابه الجرار.. ثم
انها تقدم لك صيانة سريعة وخبرة فنية تدعمها
شبكة عالمية. كل هذه الخصائص جعلت من صورة
تلفزيون فيليبس الصورة المثالية.
PHILIPS
PHILIPS

من الأعمال المختارة

برتولت برشت - ١

طبول في الليل • حياة جاليليو

ترجمة وتقديم د. [illegible]

جنسبو
ادق واشهر الساعات السويسرية
GINSBO SWISS
PRECISION FOR TIMING THE WORLD
AIR-LAND-SEA
لاتوجد ساعة على
الاطلاق تماثل
ساعة جنسبو
في دقتها براً وجواً وبحراً
ان خبرة خمسين سنة في صنع
الساعات مكنتنا من صنع اجود
الساعات من صنع هذه
الساعة الفريدة في دقتها .
وهذه الساعة دليل آخر على
احتفاظ جنسبو بالجودة الدقيقة
والتكنولوجيا المتقدمة .
بالاضافة إلى أشكالها العصرية
GINSBO
MON
14

اجعل هذا اليوم يومًا خاصًا لشخص تعزه

قدم له ولاعة رونسون، فهي الهدية التي تقدم في كل وقت في المناسبات العادية كأعياد الزواج أو الميلاد أو غيرها من الأعياد، وفي المناسبات الاستثنائية عندما تريد، مثلاً، ان تعبر عن شكرك لشخص عزيز عليك.

ولاشك في ان ولاعة رونسون هي خير ما يذكر بشخص محترم ومحبوب.

رونسون
RONSON

قدّم أكثر من هدية ... قدّم رونسون

نقطة زوديا ... الحمراء

شمس في س...
تشير الى التوا... با...

محلات البابل للساعات

ملد ١٠
جب ٣٩٥
أغسطس
آب) ١٩٧٥

لوحة

ـا قصة

عزيزى القارئ
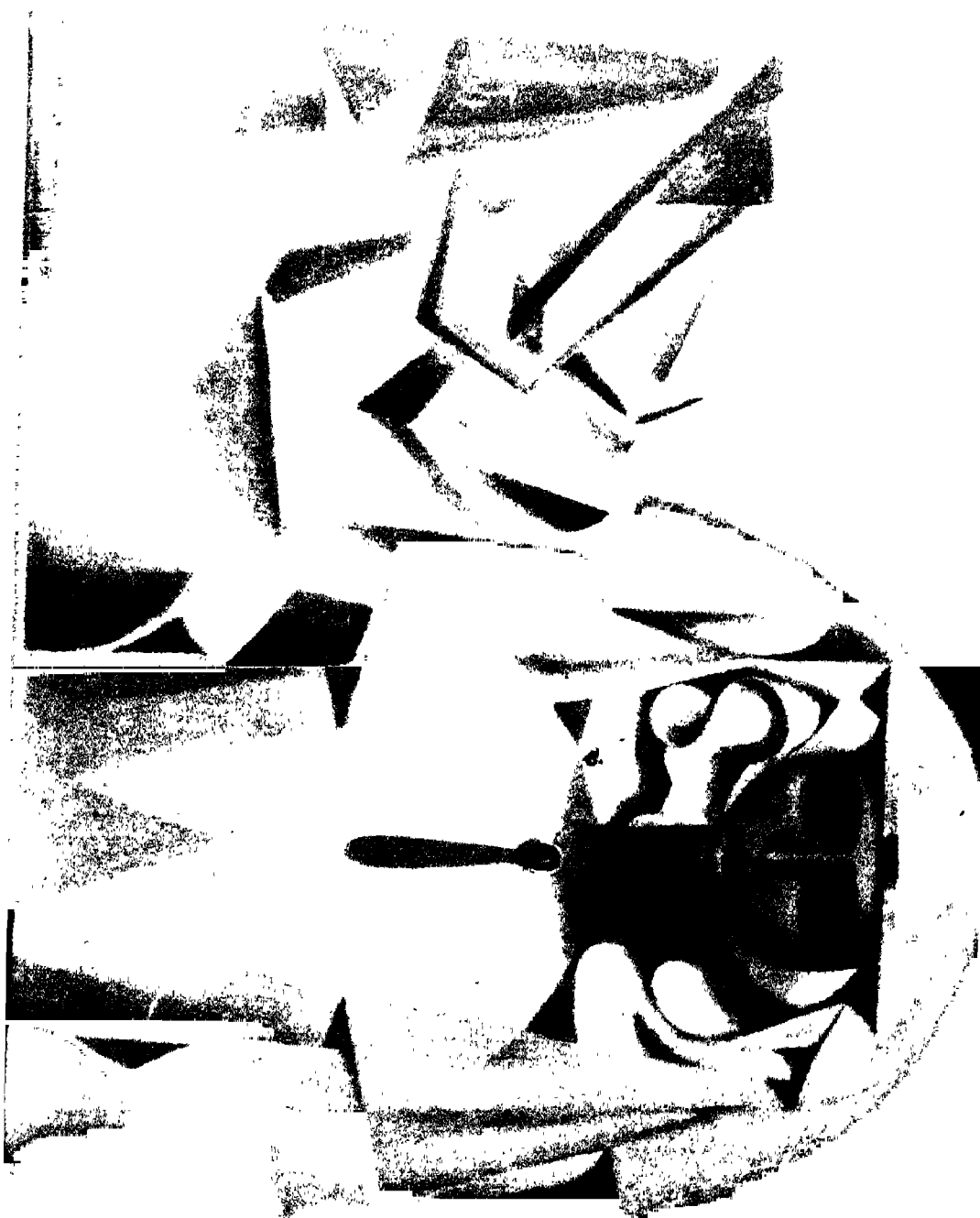
جلس الىّ ساعة .

انه استاذ جامعة ، وظل يستعرض احداث اليوم استعراضا جديرا بالثناء ، وكذلك أوضاع العرب وما بينهم من فرقة . ثم الاعيب اسرائيل ..

قلت : وما النهاية ؟

قال : الحرب الخامسة لا بد منها .

قلت : انت استاذ جامعة ، والحكم عندك لا بد ان يسبقه بحث . والحرب لا بد لها من قوة ، وسؤالى هل أداك بحثك الى ان العرب ، ومصر خاصة ، عندها من القوة ما تؤمّن بها النصر ، وهل خطر لك ان الهزيمة ، ان وقعت ، فسوف تكون هزيمة منكرة . خذلان أشد من ذلك الخذلان الذى كان فى عام ١٩٦٧ ؟

قال : هذه مسألة استراتيجية ، وانا علمى باستراتيجيات الحرب قليل . ولكن عند زعماء الدول العربية ، وهم لا بد عارفون من اسرار قوتهم او ضعفهم ما يعرفون ، تقول بالحرب ، وانهم سيفعلون بالعدو ويفعلون ..

قلت : علمك باستراتيجية الحرب قليل، فهل علمك باستراتيجية السياسة كذلك قليل ؟

قال : كيف ؟

قلت : اليس فى السياسة خدعة ، كما فى الحرب خدعة ، وان السياسة تقضى دائما ابدا الظهور بالقوة ، كانت القوة عندهم ما كانت ؟

قال : اذن ندع لزعماء العرب ، بل لقادة دولهم الحكم ، أتكون حرب او لا تكون ..

قلت : هذا ما أردت ان أصل اليه ، حرب او لا حرب ، ليست من شأن صحفى ، ولا من شأن استاذ جامعى ، ولا من شأن رجل من رجال الشعب ، ما لم يكن له بواقع الامر علم وثيق . الخطر كل الخطر ان نشجع أفواه الشعوب على الصياح بالحرب ، ثم لا يكون بعد ذلك الا النكبة ، التى لا يكون من عثراتها قيام .. ومن يدرى ، فقد يكون نصر عظيم .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No. 201 AUGUST 1975 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صور الغلاف :

الى جزر القمر ، عند مدخل مضيق موزمبيق طارت بعثة «العربي» ، لتقدم لك اول استطلاع عربي مصور عن هذه الجزر ، التي اكتشفها العرب منذ ٣٠ قرنا فسكنوها وتكاثروا فيها .. ثم نسوها تماما .. انها جزر العطور والريحان والياسمين .

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٧٦)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٠٠ مليم . الجزائر ديناران جزائريان . المغرب درهمان . اليمن ٢ر٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي . وبالنسبة للمغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ص.ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

لغة الضاد
براء مما تتهمون

● قرات فى العدد ١٩٨ من « العربى » مقالا للدكتور زكريا ابراهيم تحت عنوان(الانسان حيوان ناطق ·· ينطق صدقا ·· وينطق كذبا) وقد استمتعت بالمقال أيما استمتاع ·· ولكن الذى لفت نظرى هو ان الكاتب الفاضل عزا الكذب ، فى اكثر من موضع ، الى اللغة العربية ، واتهمها بانها عامل مساعد فى نشوء وانتشار الكذب ·

وهذا الاتهام يحتاج لوقفة منا لتحليله ··والحق ان اللغة اية لغة لا يمكن ان تكون عاملا يساعد الكاذب على الكذب ، لان اللغة وسيلة وليست غاية ·· والكذب ليس عنصرا من عناصر اللغة·· والكاذب لا يصير كاذبا بفعل اللغة ، وانما بفعل جرثومة الكذب التى تصيبه من خلال تربية فاسدة·

والحقيقة ، انه رغم كونى انتسب الى العروبة، واعتز بلغتى العربية ، وادفع هذه التهمة من موقع الحافظ عليها ·· الا اننى لا اصدر عن تعصب ·· فالباعث على الكذب ليس هو اللغة ذاتها ، وانما هو التلاعب بالفاظ هذه اللغة كوسيلة لايصال الكذب والتحايل لاستخدام الكلمات والالفاظ لخداع الآخرين ··

اتمنى لكم وللكاتب الفاضل التوفيق ·

عبد الحميد محمود مراد
بغداد/العراق

العربى : نود ان ننبه القارىء الكريم ان الدكتور زكريا ابراهيم لم يتطرق فى مقاله الى ذكر اللغة العربية بالذات ···

الاردن ··
لماذا نسيتموه ؟ !

● ان مجلة « العربى » التى اخذت على عاتقها تعريف المواطن العربى باجزاء وطنه العربى الكبير من خلال ما تنشره من استطلاعات مصورة ، قد نسيت الاردن هذا البلد العربى الصامد المتطور ، رغم ما اعتوره من احداث ومحن !

فهل حقا نسيت مجلة « العربى » الاردن · ؟ ام انها تفكر باستطلاعه لتنقل للقارىء العربى صورة حية عن اوجه النشاط والتقدم التى حققها هذا البلد ، وتطلعه على مناطقه السياحية المليئة بالآثار ؟!

وليد هاشم الخطيب
عمان / الاردن

« العربى » : نحن لم ننس الاردن ·· فمندوبو « العربى » قامت مؤخرا باستطلاعات عنه ، ستنشر فى اعداد قادمة ان شاء الله ·· ولا ننسى ان نذكر بأن « العربى » سبق ان نشر عددا من الاستطلاعات عن الاردن فى اعداد سابقة ·

هـــل صا

● قرات فى العدد ١٩٨ (عدد مايو/١٩٧٥) منمجلة «العربى» قصةبعنوان (عروس سيد العرب) بقلم محمد الزيات ، وفى نفس الشهر قرات نفس القصة فى العدد ١٢٥ منمجلة « الوعى الاسلامى » ولكن تحت عنوان آخر هو « بهيسة فتاة طىء » بقلم محمد على الزيات ·

ومع ان القصة واحدة ·· فلست ادرى ما الذى قصده الكاتب من تغيير فى عنوانها ، تلاعب فى الفاظها ، ونشرها فى اكثر من مجلة ! هل هو النفع المادى ··· ام افتراضه سذاجة لقراء ·· ام ماذا ·· وما تعليق مجلة « العربى » على هذا!!

ايها العرب ..
تناسلوا تكاثروا ..
حتى تملأوا البر والبحر عربــا

● استوقفنى كثيرا حديث الشهر لاستاذى الكبير الدكتور احمد زكى ، والذى نشره «العربى» فى عدد مايو ــ ٧٥ تحت عنوان « ايها العرب تناسلوا تكاثروا .. حتى تملأوا البر والبحر عربا » .

وارجو ان يتسع صدر « العربى » لوجهة نظر قد تبدو مخالفة وموافقة فى نفس الوقت .

ان حقيقة المشكلة السكانية ليست فى زيادة او قلة المعدلات السكانية .. وانما هى مشكلة النسبة بين الامكانيات الاقتصادية وبين الاعداد السكانية .. فالمشكلة السكانية قائمة فى المجتمع المصرى بصورة صارخة ، وعلاجها لا يكون الا بالتحديد . وهو ما عبر عنه الحديث (جهد البلاء كثرة العيال مع قلة الشىء) . وعبر عنه الصحابى ابن عباس (ان كثرة العيال أحد الفقرين ، وقلة العيالاحد اليسارين) .. وهذهالمشكلة قائمة بنفس المستوى الخطر فى المجتمعين الكويتى والسعودى ، وانما فى صورة قلة .. ويكون علاجها بالاكثار ، وهو ما عبر عنه الحديث النبوى (تناكحوا تناسلوا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة) .

وتنظيم النسل امر مطلوب شرعا..وهذا التنظيم سواء بالتحديد او الاكثار يخضع لظروف الزمان والمكان .. وقد يبدو مثلا من ظروف الشعب المصرى حيث الزيادة فى عدد السكان مع قلة الدخول ، وقصور معدلات التنمية عن مجاراة هذه الزيادة السكانية ما يقضى بتنظيم النسل عن طريق التحديد .. فى حين يختلف هذا الوضع بالنسبة للمجتمع الكويتى والمجتمع السعودى .

ويجب ان نفرق بين الدعوة الى تنظيم النسل عن طريق تحديده بالاكتفاء بطفلين او ثلاثة ، وبين منع النسل اصلا ، بقطع الصلاحية للانجاب ، كما يجرى الان فى الهند .. فهذا الاخير ممنوع شرعا .

كذلك يجب ان نفرق بين وسائل منع الحمل والحيلولة دون حدوثه ابتداء ، بالعزل او بالحبوب واللولب .. وبين الاجهاض او القضاء على الحمل بعد وقوعه .. فالاول جائز شرعا .. اذ ورد فى الآثار (كنا نعزل على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولم (ينهنا) بخلاف الآخر ، فهو ممنوع شرعا ، وهو ما حذر منه الرسول الكريم بقوله (ان ذلك هو الواد الخفى) وينطبق عليه قوله تعالى (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، نحـــن نرزقهم واياكم) .

والكثرة التى يتطلبها الاسلام والتى عبر عنها الحديث النبوى (تناكحوا تناسلوا ...) لا تكون بالكم وكثرة العدد المهمل ، وانما بالكيف وحسن الاداء ، ذلك ان الشريعة الاسلامية اذ تتطلب الكثرة ، انما تتطلبها قوية لاهزيلة .. حتى ان الحديث النبوى يقول (توشك الامم ان تتداعى عليكـم ، كما تتداعى الاكلـة على قصعتــها) فقال قائل : أمن قلـة نحن يومئذ ؟ فقال عليـه الصلاة والسلام (لا بل انتم كثيرون ، ولكنكـم غثاء كمثاء السيل) .

الدكتور محمد شوقى الفنجرى
المستشار بمجلس الدولـة بالقاهرة
واستاذ الاقتصاد الاسلامى المنتدب / جامعة الازهــر

...ب تجارة ! ؟

...صفحات اولى بنشر الجديد .

عبد الهادى عثمان ابو النور
اسوان /مصر

... العربى كل ما تقولـه حق .. ولو ان ...صيغة ... ة فى « العربى » كانت مطابقـة ...صيغة ال... شرت فى مجلة « الوعى الاسلامى » ... عذرا .. ولكن ما ذكرت من تغيير ... بعض الصيغ يشير الى انها كانت ...

...هو قد حظىبأجره من «العربى».. حلالا ان شاء الله !!

حديث الشهر

سوق عكاظ

أيكون له نشر من بعد انطواء ؟

بقلم رئيس التحرير

● جاء فى اخبار مكة ان المملكة السعودية تنوى احياء سوق العرب القديمة، سوق عكاظ ، وانها حصصت لاحيائها ٢٥٠ مليون دولار ، منها ١٥٠ مليونا تنفق فى اقامة مجامع ادبية ، واروقة للمؤتمرات ، ومسارح وفنادق،وطرقا معبدة تصل اليها، فى موضعها جنوب مكة ، الى الشرق ، على مرحلتين من بيت الله الحرام ومرحلة من الطائف ·

وجاء ان الامير فيصل ، ابن الامير فهد بن عبد العزيز ، ولى عهد المملكة العربية السعودية ، هو القائم على هذا المشروع ، والحافز له ، وانـه قد اتصـل بمصادر الثقافة فى الدولـة ، وبوزارة التربيـة والجامعات خاصة ، ليشركهم فى هذا العمل الضخم ، وقد وعدهم ان يزيد المال المقدر اذا تطلبت الاهداف ذلك · فهو يريد ان يضم الى ما ذكرنا ، متحفا ، ودار كتب او دورا ، وجامعة اسلامية،وسكرتارية دائمة لعكاظ تهيء لاجتماعه السنوى اثناء العام·

وهذا الاجتماع السنوى لعكاظ سيمضى على غرار سنته القديمة ، فيتبارى فيه الشعراء والكتاب من الوطن العربى كله ، دانيه وقاصيه ، لينتج الاحدثون فيه روائع من مثل ما انتج الاقدمون . امرؤ القيس ، وزهير بن أبى سلمى ، والنابغة الذبيانى ·

وباحياء السوق يحيا التراث العربى الاصيل ، من كرم ، ونجدة ، وفـ لة ، وكذا التراث الاسلامى · ويرجو الامير ان تكون لهذه السوق ، بحسبانها ركزا

ـتسع منه الفكر الاسلامى ، مكانة تنافس بها مكة ازهر القاهرة .

والسوق عندما تبدأ سوف تقام فى شهر ـى القعدة ، فهكذا كانت تقام عكاظ .

مشروع فخم ، لا شك فى هذا

ا ـ هذا المشروع فخم ، لا شك فى هذا ، ـهو ـ ـلف والمشاريع الاخرى الكثيرة النافعة ـلتى قامت بها المملكة العربية السعودية فى ـ العصور المدنية القريبة ، فى ـشتى . فى مجال التربية ، ومجال ـ ومجال المواصلات، وفى التعمير، ـن منه بالشئون الاسلامية خاصة ، ـالمسجد الحرام والمسجد النبوى ، ـئون المدنية عامة والقيادة الدينية، ـلات العربية والمعونات السخية فى ـى سلام .

ومشروع اليوم ، لاحياء سوق عكاظ ، مشروع عاطفى شديد العاطفة ، عربى شديد العروبة ، به الحنين الشديد الى عصر ذهبى من عصور العرب ، كانت لهم فيه امجاد ادبية بالشعر مرصعة .

كانت عكاظ سوقا اولا

والأحدثون اليوم، لا سيما الشباب منهم، اذا ذكرت عكاظ ، ذكروا بها الشعر الذى انطلق فيها . وما كان الشعر الا نشاطا واحدا من انشطة عدة .

كان من اول هذه الانشطة العدة ، التجارة ، ومن اجل هذا سميت «عكاظ» سوقا .

كانت سوقا ياتيها من رجال العرب ، ومن نسائهم كل من أراد بيعا أو أراد شراء .

الى عكاظ كانت تساق الابل

جاءوا اليها من ارجاء الجزيرة العربية، ومن وراء تلك الارجاء ، بالشيء الكثير .

من هجر والعراق جاءت الخمر ، ومن اليمن جاءت البرود الموشاة وجاء الأدم ، ومن الشام جاءت مواد الزينة والسلاح . ومن كل صوب جاءت الابل وجاءت الاغنام وسائر الماشية .

حتى الرقيق كان يساق الى عكاظ ، ويباع فيها بيع المتاع .

وكان للعرب اسواق عدة ، لها مواسم عدة . منها سوق عمان ، وسوق عدن ، وسوق صنعاء ، وحضرموت . ولكن سوق عكاظ كانت اكبرها واشملها ، او ابعدها صدى .

عكاظ سجل تاريخي للكثير من ايام العرب

ان الذى نزل الينا من تاريخ عكاظ به الشيء الكثير من احداث العرب ،واخبار القبائل التى كانت تفد اليها كل عام ، وصورا من الحياة الجاهلية تلقى الضوء الكثير على ما جاء بعدها ، وفى ظلها الاخير ، من اسلام . ولا يكاد رجل عاش فى ذلك الزمان ، ذو بال ، ولا تكاد امرأة، ذات شان ، الا ورد له ولها ذكر فى ذلك السجل التاريخى الذى اتصل قرنا او قرنين من الزمان .

عكاظ معجة اجتماعية سياسية

وكانت عكاظ معجة اجتماعية وندوة سياسية ، ففيها كانت تعرض الخصومات ، وتعلن الحروب ، وتنقل الاخبار . ومن طلب جيرةواستجارة اعلن فى عكاظ ذلك، ومن اراد ان يُجرِّم أحدا او ان يتبرأ من جريمة او جناية . اعلنها هناك . ومن ذلك ما رووا ان قيس بن الحدادية ، كان شاعرا من شعراء الجاهلية ، وكان فاتكا شجاعا ، وكان من بين الصعاليك خليعا . واضر بقومه خزاعة ضررا بليغا ، فأرادت ان تتبرأ منه ، فجاءت سوق عكاظ فخلعته اعلانا ، فلم تعد تتحمل تبعة جريمة يأتيها، ولا تطالب بجريرة يجرها عليه احد .

والاغنام .. انها سوق اولا .

ولا يستطيع المـرء ان يقيم النشـأة الجديدة المطلوبة لسوق عكاظ ، فى عصرنا هذا الحديث ، الا اذا هو عرف ما كانت عليه هذه السوق ، وما كان لها من خطر فى تلك الذواهب من الايام .

والآن فلنأت بصورة قليلة من هذا السوق ، ثم ننتهى بعد ذلك الى النظر فى الوضع الجديد الذى يكون لها ، بعد ان مضى على انطوائها اكثر من اربعة عشر قرنا من الزمان .

كسرى وسوق عكاظ

ولمكانة عكاظ فى حياة العرب ، كان يرسل كسرى من وراء الجزيرة العربية بالنادر الجميل من مصنوعات الفرس ، سيفا قاطعا ، او حلة حسنة ، او فرسا موصلا ، يرسلها الى عكاظ . وفى عكاظ يقوم رسوله ينادى فى الناس : هذه تحف كسرى ، لا يأخذها الا سيد من سادة العرب . وعندئذ لا يتقدم اليها الا السادة فيهم . وبهذه الوسيلة كان كسرى يتبين من فى العرب سادة ، فيتصل بهم وكلاؤه ليعاونوه فى حفظ الامن على الحدود فى داخل البلاد ، وحماية القوافل عندما تمر ببلاد العرب .

والنعمان بن المنذر

وبما فعل كسرى ، ما فعل النعمان بن المنذر اذ كان يبعث الى عكـاظ كل عام محملة بضائع يقوم على حمايتها فى طريق اشراف العرب ، حتى تصل الى السوق ، وهناك تباع ، وبأثمانها يشترى الوكلاء من بضائع السوق ما راق لهم .

وفى عكاظ كان يثار العرب

وكان الفرسان اذا حضروا عكاظ تقنعوا حتى لا يعرف بعضهم بعضا ، فينال بعض من بعض .

وكان طريف بن تميم العنبرى من شجعان العرب وفرسانهم ، فجاء عكاظ غير مقنع .

وكان طريف قتل رجلا من بنى شيبان ، ولحق به رجل من بنى شيبان يريد ان ياخذ بثاره . ولم يكن يعرفه . فسأل عنه حتى عرفه . وجعل كلما مر به يتامله . فقال له طريف : مالك تنظر الىّ ؟ قال الرجل : أتوسمك لاعرفك ، والله ان لقيتك يوما لاقتلك .

وفى ذلك قال طريف الابيات التى اولها البيت الشهير :

او كلما وردت عكاظ قبيلة
بعثوا الىّ عريفَهم يتوسّم

وحدث بعد ذلك ان ظفر الرجل بطريف فى يوم من ايام العرب ، فقتله .

وكان للعرب رايات غدر ورايات وفاء يقيمونها ، فى الناس اعلانا واعلاما

كان العرب يقدرون الوفاء ، ويرفعون من قدر الاوفياء . وكذلك كانوا يكرهون الغدر ، ويشهرون بالغادرين .

وكانت طريقتهم فى ذلك ان ترفع القبيلة فى عكاظ راية غدر او راية وفاء ، ويقف الى جانبها المنادى ينادى بالغادرين ، وما

كان منهم من غدر ، وبالأوفياء ، وما كان منهم من وفاء • وتنفض السوق وتسير في الجزيرة العربية حكايات الغدر وحكايات الوفاء ، فتنزل باقدار هؤلاء ، وترفع من اقدار هؤلاء •

لم تكن فى البلاد صحافة ، ولا وسائل اعلام • فكانت هذه من بعض وسائلهم •

وفى عكاظ كان يؤدَّب السفهاء

من ذلك ان عبد الله بن جعدة كان فى العرب سيدا • وجاء عكاظ ، وجيء له باتاوة من ثياب جمعت اليه فجلس عليها • فجاءه سمير بن سلمة القشيرى ، فأنزل الشيخ عنها سفاهة منه • فجاء رباح بن عمرو بن ربيعة ، وقال له : مالك ولشيخنا تنزله عن اتاوته ؟ قال القشيرى : كذبت ، ما هى له •

ثم مد القشيرى رجله وتحدى رباح ان يضربها ، ان كان حقا عزيزا فى قومه • فرفض رباح ان يفعل •

فقال القشيرى : اذن فمد رجلك لتنظر هل اضربها •

فقال رباح : ولا افعل هذا،ولكنى افعل ما هو أعز لى ، وأذل لك •

وسقط على القشيرى ، وسحبه من قفاه ونحاه ، واقعد الشيخ فوق الاتاوة مكانه •

غلظة فى الباطل وجدت ما هو اغلظ فى الحق •
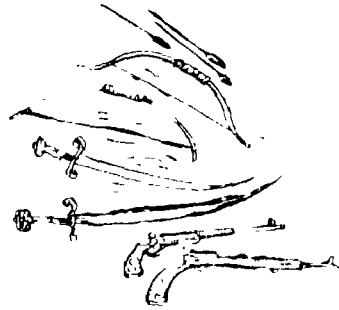
والسلاح كان ياتى الى عكاظ من اليمن ، من سيوف وسهام وغير ذلك •

وفى عكاظ
قام قس بن ساعدة الايادى يعظ الناس

انها موعظة فى التاريخ العربي شهيرة ، حفظناها صغارا ، وادركنا مافيها من ادب رفيع كبارا :

« ايها الناس ، اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات ابراج • ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وارض مدحاة ، وأنهار مُجراة • ان فى السماء لخبرا ، وان فى الارض لعبرا • مابال النــاس يذهبون ولا يرجعون » •

الى ان يقول :

في الذاهبـــين الأولـــين
مـن القـرون لنـا بصائـر
لمـــا رأيـــت مـــواردا
للمـوت ليس لهـا مصـادر
ورأيـت قـومـى نحوهـــا
يمضـى الأكـابر والأصـاغر
أيقنـت انـى لا محالـــة
حيـث صـار القـوم صائر

موعظة تتصل بحقيقةالحياة المرة اتصالا، لم اجد أعمق منها فيما قرأت من مواعظ •

فهذه كان صاحبها قس بن ساعدة الايادى، وصدع بها فى عكاظ ، وهو شيخ كبير • واحتشد الاقوام لسماعها وانفض القـوم حيارى ، لايدرون كيف يهتدون • انصرفوا وانصرف معهم فتى لم يلق اليه احد بالا ، ولم يعرفوا له اسما • ولم تمض السنوات ، عشرين او ثلاثين ، حتى انتشر اسمه فى كل بادية وحاضرة •

لم يكن هذا الفتى الحدث ، الا صاحب الرسالة الاسلامية ، محمد رسول الله •

ومضى على هذا الحدث نحو من اربعين سنة ، عندما وفد قـوم قس عـلى النبى (صلعم) • فلما رآهم ذكر هذا المشهد القديم ، فسألهم عن قس بن ساعدة ، مافعلت به الايام،قالوا مات يارسول الله• قال الرسول : كأنى انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له اورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة •

في عكاظ : يجتمع العرب من انحاء شتى،فيتبادلون الآراء ، ويتناقشون ، ويقوم فيهم الخطباء ٠

وفي عكاظ
نلتقي بالنابغة الذبياني

وهو صاحب المعلقة الشهيرة ٠

وهو شاعر النعمان بن المنذر ملك الحيرة ووشي به عند النعمان من وشى ، فقال قصيدته الرائعة التي يقول فيها :

انا... ، ابيت اللعن ٠٠ أنك لمتني
و... التي تصطك منها المسامع
م... أن قد قلت سوف أناله
و...ك من تلقاء مثلك رائع

و... يقول :

... كالليل الذي هو مدركي
...ن خلت أن المنتأى عنك واسع

و... **النابغة الحكم فيما يتنافس فيه الشع... من الشعر في عكاظ ، وكانت له قبة ... أدم يجتمع فيها اليه الشعراء ، وينش... كل مالديه من الشعر،ويحكم النابغة بعد ... اعه ٠**

وحدث ان اجتمع عنده الشعراء ، وكان منهم حسان بن ثابت والأعشى والخنساء ، وسبق فانشده الاعشى من شعره ، فحكم له ٠ ثم انشدته الخنساء قولها ترثي أخاها صخرا :

قذى بعينيك ام بالعين عوار
ام اقفرت اذ خلت من اهلها الدار
كأن عيني لذكراه اذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي خُناس على صخر وحق لها
اذ رابها الدهر ان الدهر ضرار

وتقول فيها :

وان صخرا لكافينا وسيدنا
وان صخرا اذا نشتو لنحار
أغر ابلج تأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار
جَلد،جميل المحيا ، كامل وَرِع
وللحروب غداة الروع مِسعار

فى خيمة عالية ، كان يقوم النابغة الذبيانى ، ويجتمع اليه الشعراء من كل صوب ، وينشدون ، ويقضى بينهم ٠٠ منهم احسن شعراء ذلك العام٠٠

حمال ألوية ، هباط أودية
شهاد أندية ، للجيش جرار

فقال النابغة : لو لم ينشدنى أبو بصير ، يعنى الأعشى ، قبلك ، لقلت انك اشعر من كل ذات مثانة٠قالت ووالله من كل ذى خصيتين ٠

وفى عكاظ
انطلق نواح الخنساء وشاع

اما نواحها فكان على من قتل من اهلها، ابيها عمرو بن الشريد ، واخويها معاوية وصخر ، وعلى الاخص الاخير ٠

ظلت الخنساء تبكى بالشعر قتلاها على مر السنين ٠ وكانت تذهب كل عام الى سوق عكاظ على هودج مسوّم يعرفها به الناس ٠ وتبكى بالشعر ويبكى الناس ٠

وجاء الاسلام وكان للخنساء فيه شأن عظيم ، ومع هذا لم تنقطع عن الذهاب الى عكاظ وتبكى فى لباسها الاسود ، وقد جللها الشيب ٠

وفى عكاظ
نلتقى بعمرو بن كلثوم

انه صاحب المعلقة الشهيرة :

الاهُبى بصحنك فاصبحينا
ولا تُبقى خمور الاندرينا

وفيها يفتخر بقومه فيقول :

ونحن التاركون لما سخطنا
ونحن الآخذون لما رضينا
وكنا الأيمنين اذا التقينا
وكان الايسرين بنو أبينا
فصالوا صولة فيمن يليهم
وصلنا صولة فيمن يلينا
فآبوا بالنّهاب وبالسبايا
وأُبنا بالملوك مصفّدينا
الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا
لنا الدنيا وما أمسى عليها
ونَبطش حين نبطش قادرينا
بُغاة ظالمين وما ظُلمنا
ولكنا سنبدأ ظالمينا

ـحر .. ماغلا ، ولكنه فى المذلة وعند الادلاء بـ السمع راحة ٠

وكان عمرو صاغ قصيدته فى العراق، ثم بدا له ان يذهب بها الى منبر العرب الاكبر،الى سوق عكاظ ، وهناك انشدها٠ وكذلك فعل اصحاب المعلقات الطويلة، ذهبوا بشعرهم هذا الى عكاظ،ومن عكاظ انتشر فى البوادى والحواضر ٠ (*)

عكاظ
لايمكن ان تعود الى مثـل ماكانت

سألت صديقا شيخا : هل تمنيت يوما ان تعود الى الشباب ؟

واجابنى بقوله : نعم،ولكن‌وقف دونى تحقيق هذه الرغبة قول المتنبى :

حلفت ألوفا لورجعت الى الصبـا
لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

قلت : هـب ان هـذه الرغبة صحـت واكتملت ، فهل كنت تتمنى ان تعود الى مثل شبابك الذى مضى ؟

فقال بعد شيء من الروية : لو تمنيت هذا ما جاز، وما يجوز انى الى‌مثل شبابى أعود ٠ شبابى الذى مضى‌رداء لا يأتلف وأردية هذا الزمن الحاضر ٠ ان كان لابد من شباب فقد وجب ان يكون شبابا يرضى به اليوم‌ويرضى الغد لا الامس البعيد ٠ ان الامس قد ذهب وانطوى ، ولم يبق منه الا حب الحاضر لايامه الذاهبة ٠

ومثل هذا الجواب يكون الجواب لمن‌يسال: عكاظ ، نحييها على مثل ما كانت ؟

اننا نحييها على مثل ما كان من اهداف لها رفيعة ، ولكن يجب ان تاتلف وحاجات هذه الايام ٠

ولقد لمح ـ لاشك ـ صاحب المشروع هذا المعنى ، فاقترح ما اقترح من انشاء مجامع علمية ، ومنتديات فكرية ، ومتاحف ومسارح ٠

ومـع هذا ، فقـد بقى لهذا المعنـى مايعززه ٠

ان كثيرا من وظائف‌سوق عكاظ القديمة قـد تحولت الآن الى وظائف تقوم بهـا مؤسسات حديثة انتشرت فى سائر ربـوع الوطن العربى ، والاسلامى كذلك ٠

فمن حيث ان السوق تجارة ، فقـد كثرت الاسواق فى كل الارجاء ، واختلفت ادواتها واختلفت وسائلها ، ووجـدت البورصات ووجدت البنوك والمصارف حتى لم يكن لمثل شيء من هذا موضع فى عكاظها الجديد الا ان يكون منتدى دوليا عربيا ، اسلاميا ، تثار فيه من مشاكل الاقتصاد الدولية مايثار ٠

(*) فى‌كتاب «اسواق العرب فى‌الجاهلية والاسلام»وصف مفصل وهو للاستاذسعيد الافغانى ٠

نزلت الينا بعض‌الاخبار،تذكر ان‌العرب‌كتبوا احسن ما كان‌يتلى‌فى‌عكاظ‌من‌شعر، على‌لوح فاخر،ويعلقونه على‌حائط‌الكعبة٠٠واسموا هذا الشعر بالمعلقـات ٠

واما من حيث انه سوق نشر للأخبار والاعلام ، فقد اتسعت النظم الاعلامية واختلفت وسائلها . وتعددت ، وتعقدت ، حتى لن يكون في عكاظ الجديد لشيء من ذلك مكان • ومع هذا نعود فنقول ، الا اعلاما تكون فيه شركة نافعة تربط الاواصر ، وتحمى الذمام •

واما من حيث ان عكاظ سوق ادب ، فأنعم بذلك وأعظم •

ومع هذا ، نلاحظ ان ادب العرب في جاهليتهم كان شعرا • لم تكن القراءة والكتابة سائدة ، ولا الاوراق منتشرة ، وكان النقل مشافهة ، وكان الشعر اسهل حفظا ، واحلى نغما •

وبقي الشعر حتى في أوائل الاسلام ، وله الكثير من السيطرة •

نعم جاء الاسلام بالقرآن فانكبوا على تلاوته ، ولكنهم لم ينسوا الشعر ابدا • وكان للرسول الكريم شاعر هو حسان بن ثابت • وكان النبي يستحث حسان على قول الشعر ، ويستحث غيره من الشعراء ، وكان يستنشد الصحابة الشعر • قال الشريد بن سويد الثقفي استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم شعر امية بن أبي الصلت فأنشدته ، وهو يقول . هيه ، هيه ، حتى انشدته مائة قافية •

وجاء في الاخبار ان ابا بكر كان نسابة راوية للشعر الجاهلي ، وكذلك كان عمر • وكان لا يفد عليه وافد من قبيلة ، الا سأله عن بعض شعرائها •

وجابر بن سمرة قال : جالست رسول الله اكثر من مائة مرة • فكان اصحابه يتناشدون الاشعار في المسجد واشياء من امر الجاهلية ، فربما تبسم رسول الله •

فالشعر كان لسان العرب الاول ، والنثر كان لسانها الثاني •

ومع اعظامي للشعر ، وهو عندي ملذة من ملاذ الدنيا ، لابد من الاعتراف بان اليوم غير الامس • وان الشعر اصبح لا يرد اليوم الا على السنة الخاصة • وهي خاصة من المثقفين خاصة ، فاعداد غفيرة من مثقفي العرب ، العرب اليوم لايعرفون من شعر ولا غير العرب ، شيئا •

انها الحضارة الحاضرة ، هبط ... الشعر **هبوطا كبيرا • والثقافة الحاضرة** اتسعت حقا ، وانتشرت في الناس انتشارا ، ولكنها انتشرت على ضحالة ، واقتبس العرب من الغرب هذه الضحالة فيما اقتبسوا •

ومع هذا بقي من شباب العرب بقية ، اذا ارادت ان تصعد الى سلم الادب ، لم تجد الى ذلك الا وسيلة واحدة ، هي الشعر المقفى • والظاهر ان مدرسي اللغة العربية كثروا كثرة هبطت بشغفهم بالادب عامة ، فكان من ذلك الشعر الضعيف الذي ينتجه شباب اليوم ، بعد انتهاء من دراسة •

انه الحب ، يريد الشباب ان يتروحوا منه ، فيصبونه شعرا ، قبل نضوج • ان قول الشعر فيه شفاء لقائله ، وهو بذلك يؤدي في الشباب غاية •

على كل حال لن يكون للشعر في عكاظ الحديثة ما كان له في قديمها • ولن تكون بعكاظ الحديثة قبة كقبة النابغة ، ولا شعراء ينشدون مثل ذلك الشعر الذي انشده الاعشى وحسان وغيرهم من الشعراء •

وعرب الجاهلية ربطوا موعد قيام السوق بموعد الحج • اقاموا السوق بعكاظ في شهر ذي القعدة • وانتهى هذا الشهر ، وجاء ذو الحجة فارتحلوا الى البيت الحرام بمكة •

هل تبقى هذه الرابطة في الزمان ، وندور في امر عكاظ الحديثة مع القمر كما دارت بعكاظ القديم ، فمرة نعقد مؤتمرها في البرد اشد البرد ، ومرة في الحر اشد الحر ، ام نتبع في عكاظ الحديثة ومؤتمراتها الشمس • والشمس اعظم ، والقمر اصغر ، وكلاهما من خلق الله • والشمس مصدر كل حياة ؟

ان الانسان لم يعط الناس تقويم **القمري • كان قبل الاسلام تقويم** ... **وتقويم الجاهلية ، وتقويم من عبد ال**... ومن **عبد الاوثان •**

المسارح ،لم يكن لها فى عكاظ القديم مكان ، وفى عكاظ الحديث ، سوف يكون لها مكان اى مكان ، ويكون للادب العربى الحديث نشر اى نشر ··

السمس اعطت للناس معنى اليوم ،
فهو ظلام يأتى من بعده نور ·

والشمس اعطت الناس معنى العام ،
فهى تقترب وتبتعد ، فتعطى الحر وتعطى
البرد وتعطى الفصول ·

ولو لم يكن قمر ماعرف الناس معنى
الشهر · هو عداد سماوى يكتمل كل
... ، بل دونها قليلا ·

وك... الناس فى حاجة الى فترة
... صغر من سنة ، فجاءهم هذا
... بهذه الحاجة ، مصادفة · وهو
... حياة على هذه الارض،ولا تتصل
... اخرى بكواكب تدور حولها ·

... ان نوفق بين معنى السنة التى
... ياه الشمس ، ومعنى الشهر ،

فابتدعنا السنة القمرية · وهو معنى مصنوع ، وهو من اصطناعنا·وهو لايتصل بجرم من السماء · السماء تعرف سنة الشمس ، ولا تعرف ، وما عرفت للقمر سنة قط ·

على كل حال هذا استطراد اشبه بالثرثرة ·

فليمض الناس على ماهم فيه فللتقاليد قوة فوق المنطق ، لاسيما اذا هى عززتها وغرستها وصانتها فى قلوب الناس السنون· فلنسر مع القمر ،فى صحبة وثيقة ،ربطت اواصرها القرون ·

●●

احمد زكى

تذكّريني

شعر : الدكتور سعيد عبده

■ أفيضي من سياطك واجلديني ... وزيدي عُزلةً ، وتجنبيني

ولكن لى لديك رجاءُ روح ... تحشرج في التّراقى ، فاسمَعيني

اذا ولّى صباك – ولا يولّى ... ودام لك الصبا – فتذكريني

وان غامت سماؤك ذات يوم ... بحبّ يائس ... فتذكّريني

وان رفّت شفاهك ضاحكاتٍ ... وقلبك يَنزِفُ الدم ، فاذكريني

وان سالتْ دموعُك جارياتٍ ... على الوجنات ، حُمرا ، فاذكريني

وان وَمَض السهادُ جوًى وحبا ... وأضناكِ الأسى ، فتذكريني

وان أحسست بين حشاكِ شيئا ... يحرِّق أو يمزِّق ، فاذكريني

وان طال النوى بك ، أو ترامى ... ولوّعك الحنين .... تذكريني

وما الذكرى بآسية جراحي ... ولا الذكرى بمطفئة أنيني

ولكني سأفرح – لو رفاتا – ... إذا احسستُ انك تذكريني

وما فرحي شماتا ، لا .. ولكن ... بأن الجدب أينع بعد حين !

وأن الصخر لان ، ولو لغيري ... وفاض الماء منه عن يقين

وان الله عالمُ كل شيءْ ... ومدركُ ما أدينك أو تديني
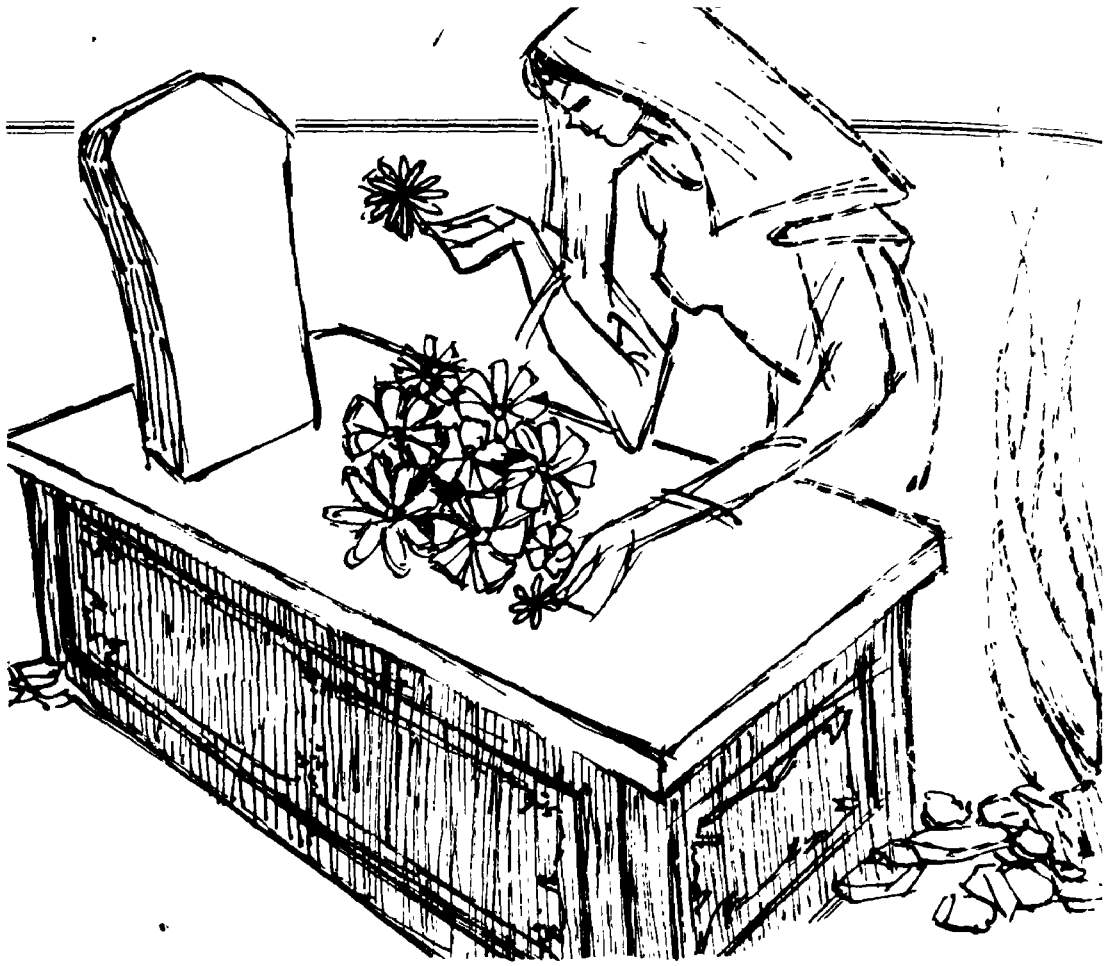
وشاهدٌ لوعتى ، وبرىءِ حبى ... ومطّلعٌ على حزني الكمين

سيملأ كأس حبك من دنانى ... وينصفْ منك مالم تنصفينى

ويومئذ عليك بعين شمس ... فزورى مرقدى واستغفرينى

ـعي شفتيك فوق رقيم قبرى ... بلا زهو المدلّ وقبّلينى

ويومئذ سأغفر كلّ شيْ ... واشرب نخب حبك من شئونى

ـنسى هول فرقتنا وكفّا ... تكاد تشع من ثلج دفين

ـعرا كاد يسخر من شجونى ... ومن دمعي ومن قلبي الطعين

ـمئذ سأدعو الحبّ يرضى ... فيمنحك الذى لم تمنحيى

ـمئذ سأهتف من ترابى ... يعيش لك الهناء وتذكرينى ■■

المعادى ـ القاهرة ـ **سعيد عبده**

بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

■ أبوبكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة،اول خليفة للمسلمين ، يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جده السابع مرة بن كعب . كان فى الجاهلية كريما عزيزا ، وكان تاجرا واسع المال ، كما كان أعلم الناس بانساب القبائل واسمائها حتى كانوا يسمونه « عالم قريش » ، وقد وكلت اليه قريش فى الجاهلية امر الديات والمغارم ، لسداد رأيه ، ورجاحة عقله ، فكان يجمع الابل والمال والعروض ، حتى اذا طرات حادثة استلزمت غرما تدفعه قريش اداه هو ، وصدقت قريش على صنيعه ، لثقتهم بـه ، واطمئنانهم اليه .

كان صديقا لمحمد بن عبد الله منقبل الرسالة، وكثيرا ما صحبه فى تجارات قريش ، وكان يانس اليه ويميل الى التحدث معه ، اذ يرى فيه صدق الحديث وحسن الخلق وكريم الصفات .

اسلامه ومن أسلموا على يديه

ولما بدأ الوحى وكلف الرسول صلى الله عليه وسلم تبليغ الدعوة . كان أبو بكر اول من آمن به وصدقه من الرجال . لم تاقت نفسه الى اظهار دين الله واعلان هذه الدعوة . فقام بجـوار الكعبة ـ وشيوخ قريش جالسـون ـ يخطـب الناس ، ويبشرهم برسالة الاسلام ويدعوهم الى اتباع محمد فى دعوته ، ونبذ ما هم عليه مـن ضلال ، فقام عليه الناس ضربا ولكما وآذوه بكل انواع الأذى ، حتى ضربه عتبة بن ربيعة بنعلـه على وجهه فسال منه الدم . وكان بذلك اول من اوذى فى سبيل الله من المؤمنين من أتباع محمد .

لم يثن هذا الايذاء ابا بكر عن ما آمن بـه وصدق ، بل زاده ذلك حبا فى الاسلام والدعوة اليه ، فجاهد من اجل نشر الدعوة بنفسه وبماله فكان يشترى العبيد والاماء الذين يعذبهم سادتهم بسبب اسلامهم ، ويعتقهم فى الحال ليتحرروا من ربق العبودية الا لله سبحانه ، وكان من هؤلاء بلال بن رباح مؤذن رسول الله ، وعامر بن فهيرة، وزنيرة الروميـة ، وام عبيس ، وتـروى كتب السيرة أن جملة من اشتراهم أبو بكر واعتقهم من هؤلاء سبعة .

كما اسلم على يديه رهط من المسلمين الاوائل: منهم سعـد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بـن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وابو عبيدة بن الجراح ، وكلهـم ممـن حسـن اسلامهم ، وابـلوا فى الاسلام بلاء حسنا ، وكانوا من خيرة الصحابة .

كان أبو بكر رقيق القلب ، سريع التاثر جياش القلب ، فكان اذا قرا القرآن غلب عليه البكاء، وانهمرت دموعه من خشية الله ، نتيجة تامله فى معنى ما يقرا ، وقد كان لهذا اثره فى نفوس بعض من يسمعه ، حتى خافت قريش مغبة ذلك ، فاذاه البعض حتى القى احد السفهاء التـراب على راسه ، وكان ذلك امام العاص بن وائـل الذى يحب ابا بكر ويقدره ، لكنه لم يدفع عنه

الأذى وانما نظر اليه فى اشفاق وقال له : « انت فعلت هذا بنفسك يا أبا بكر » .

ويروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما اشتد المرض عليه اناب عنه ابا بكر ليصلى بالناس وقال: «مروا ابا بكر فليصل بالناس» حينئذ اشفقت عليه ابنته السيدة عائشة زوج الرسول وقالت: «ان ابا بكر رجل اسيف – اى سريع الحزن والبكاء – وانه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصل بالناس » . لكن الرسول اصر على انابة ابى بكر وقال : « انكن لانتن صواحب يوسف » . (١) .

ولم يكن ابو بكر من المكثرين فى الفتوى . ولا من المقلين وانما فى الدرجة المتوسطة ، كما لم يعرف بكثرة الرواية عن الرسول اذ لم يرد عنه الا نحو مائة وخمسين حديثا ، ولعل مرجع ذلك تقدم وفاته قبل انتشار الحديث والعناية بجمعه . ومع هذا فقد عرف بفقه النفس ،ونفاذ البصيرة كما سيتبين القارىء من الصور التى سنعرضها بعد .

هجرته مع النبى الى المدينة

ولما اذن رسول الله لاصحابه بالهجرة الى يثرب بادر ابو بكر فى الاستئذان بالهجرة لكن النبى استبقاه وقال له : « لا تعجل ، لعل الله يجعل لك صاحبا » ولما تبين ان الصحبة ستكون مع الرسول بكى من شدة فرحه ، وكان ابو بكر – وهو فى الطريق مع الرسول الى غار ثور باسفل مكة استعدادا للهجرة – يتقدم النبى تارة ويتاخر عنه تارة اخرى . فساله رسول الله عن ذلك . فقال : « اذا كنت خلفك خشيت ان تؤتى من امامك ، واذا كنت امامك خشيت ان تؤتى من خلفك » ولما وصلوا الى فم الغار ابى الا ان يدخل اولا ليطمئن على سلامة الرسول من اى أذى .. ويروى عن الرسول عليه السلام انه قال : « لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ، ولكن صحبة واخاء ايمان ، حتى يجمع الله بيننا » .

ولما استقر المسلمون فى المدينة واختلطوا بمن فيها من اليهود والنصارى . عرض ابو بكر الاسلام على احد احبار اليهود . فرد هذا الحبر ردا فيه غلظة ومكابرة ، وفيه بعد عن الايمان بالله ، اذ قال : « ما بنا الى الله من فقر ، وانه الينا لفقير ، ولو كان غنيا ما استقرضنا اموالنا كما يزعم صاحبكم . ينهاكم عن الربا ويعطيناه ؟ » يشير بذلك الى قول الله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ، فيضاعفه له اضعافا كثيرة » فما كان من ابى بكر – وقد اثاره هذا الكلام ورأى فيه خروجا على مقام الالوهية لا ينبغى ان يصدر من كتابى يؤمن برسالة السماء – الا ان لطمه وقال : « والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت راسك يا عدو الله » ففقه ابى بكر جعله يتحكم فى نفسه احتراما للعهد ووفاء به .

من آرائه فى حياة النبى

ومن فقه ابى بكر قوله حين ارادت قريش ان تؤلبه على النبى بمناسبة حديثه عن الاسراء : « والله لئن قاله لقد صدق ، انه ليخبرنى ان الخبر ياتيه من الله من السماء الى الارض فى ساعة فاصدقه ، فهذا ابعد مما تعجبون منه ! » وهذا فى الحق منطق الفقيه الصادق ، ومن اجل هذا سمى « الصديق » .

وانظر الى فقه ابى بكر وثاقب نظره لما بين له عمر . كيف رضى رسول الله ان يكون اقل مكانة من المشركين فى معاهدته معهم بالحديبية وكانت متضمنة التهادن عشر سنوات ، وان من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وان يرجع المسلمون فى عامهم هذا عن مكة ، فلا يدخلوها .

عندئذ رد ابو بكر فى هدوء الفقيه فى دين الله وقال : انه رسول الله يا عمر ، فالزم غَرْزَه – اى لا تعد عن طريقه – ولما علم رسول الله

---

(١) ويعلق على ذلك القسطلانى بقوله : اى مثلهن فى اظهار خلاف ما فى الباطن فان السيدة عائشة تخشى فوق ما اظهرت ان يتشاءم الناس به وقد تجمعوا للصلاة خلف رسول الله . ويكون هذا نذير سوء من صحة الرسول .. مثلها فى اخفاء هذه الحقيقة كما يشبه الرسول مثل امراة العزيز وقد دعت نساء المدينة متظاهرة باكرامهن ،ولكنها تبغى ان يرين حسن يوسف فيعذرنها فى محبته .

بمقالة عمر ، واغتمام بعض المسلمين قال : « أنا عبد الله ورسوله لن اخالف امره ولن يضيعني »· فكان ذلك تاكيدا لفقه ابى بكر من ان ما فعله الرسول كان من هدى الرسالة ·

ولقد صدقت الأيام فائدة هذه المعاهدة · فقد اعترفت قريش بمقتضى هذه المعاهدة بكيان المسلمين وبانهم قوة مستقلة . كما هيات الهدنة للمسلمين نشر دينهم بلا معارضة نتيجة اختلاط المشركين بالمسلمين ووقوفهم على تعاليم الاسلام حتى بلغ عدد جند المسلمين عام فتح مكة عشرة آلاف مقاتل ، بينما كانوا عام صلح الحديبية الفا وأربعمائة · كما أسلم الكثير من اهل مكة وكونوا عصابة كانت تعتدى على قريش ، وفضلا عن كل ذلك فقد اظهرت شدة تعلق المسلمين بدينهم وبرسول الله اذ لم يخرجوا على رسول الله ولم يرتد احد منهم الى مكة (٢) ·

وهكذا نجد ابا بكر يسبق عمر بن الخطاب الفقيه الألمعى الى نواح من الفقه في الله فلا تاخذه الدهشة التى اخذت عمر حين أخبر بوفاة النبى ، وهدد من يقول بذلك ، وانما ذهب الى بيته متمالكا نفسه ــ وهو من عرف برقة القلب، وشدة التاثر ــ ورفع عن وجه الرسول الغطاء الذى كان يحجب جسده ، وقبله قبلة الوداع ، وهو يقول : « بابى انت وامى ــ أمّا الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موتة ابدا » واعاد الغطاء على وجهه كما كان ثم خرج فراى الناس مجتمعين خارج المسجد يجادل بعضهم البعض فى نبا وفاة الرسول فادعى قوم منهم عمر أنه لم يمت وانما رفعه الله اليه كما رفع عيسى مستندين الى قوله سبحانه فى سورة القصص « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » ·

موقفه من الخلافة وتنظيم شئونها

فقال أبو بكر بلسان الفقيه المؤمن : على رسلك ياعمر · انصت ثم قام فى الناس خطيبا فقال : « أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت · » وتلا قول الله تعالى فى سورة الزمر « انك ميت وانهم ميتون » فبكى الناس وبكى عمر و[illegible] : « والله لكانى ما قراتها قط » ثم قال : لقد أيقنت انك ميت ولكنما أبدى الذى [illegible] الجزع » (٣) ·

نظر أبو بكر ما الذى ينبغى ان يكون عليه شان هذا المجتمع بعد وفاة الرسول · وهل لا بد من خليفة له يقوم على رعاية شئون الدولة فجمع الناس من المهاجرين والأنصار وقال : انه لا بد لهذا الدين من يقوم به فقال قائل من الأنصار ، وقد فهم انهم أحق بان تكون الخلافة فيهم لأنهم الذين ناصروا الرسول وآووه ــ نحن أنصار الله وكتيبة الاسلام ، وانتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا وقد دفت دافة منكم يريدون أن يختزلونا ــ أى يقتطعونا ــ من اصلنا ؟!

فقال أبو بكر ــ وكان يتكلم بلسان المهاجرين ــ وقد فهموا انهم احق بالخلافة لأنهم اهل بيت النبى ومعظمهم من قريش ــ انا معشر المهاجرين أول الناس اسلاما ونحن عشيرته واقاربه وذوو رحمه ··· قدمنا فى الكتاب عليكم « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » فنحن الامراء وانتم الوزراء ···· وانتم يا معشر الأنصار الذين آوو ونصروا وانتم أحق الناس بالرضا بقضاء الله ··· وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين · واخذ بيد كل من عمر ، وابى عبيدة بن الجراح فبايعوا أيهما شئتم ·

ولما حدث جدال قال بشير بن سعد الانصارى : « ·· ان محمدا رسول الله رجل من قريش وقومه احق بميراثه وتولى سلطانه » ··· لكن عمر قال لابى بكر : « ما يكون لاحد منا ان يلى هذا الامر وانت بيننا » وقال الناس من حوله : « ان رسول الله ارتضاه فى أمر من أمور الدين افلا نرضاه فى أمر من أمور الدنيا ؟ ! ومدوا أيديهم لمبايعته·

فاقتنع أبو بكر بهذا الحكم الفقهى المأخوذ من القياس ثم خطب فقال : « أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينونى وان اسأت فقومونى · الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له بحقه · والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله · لا يدع احد منكم الجهاد فانه لا [illegible]

---

(٢) أنظر لنا المدخل للفقه الاسلامى الطبعة الثالثة ص ٥١/٥٢ ·

(٣) أنظر لنا مناهج الاجتهاد فى الاسلام الجزء الاول ·

قوم ، ضربهم الله بالذلة . اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم » .

وبهذا فان ابا بكر يقرر مبدا مسئولية الحاكم هذا المبدا الدستورى الكبير ، ويبين ان الحاكم مسئول امام الامة ولها بواسطة نوابها ان تحاسبه على اعماله . فهو بهذاكان اسبقمن كلالحضارات التى عرفت هذا المبدأ وعملت به .

ولما امتنع على كرم الله وجهه عن مبايعة ابى بكر فى اول الامر ، وغضبت السيدة فاطمة رضى الله عنها وقالت لابى بكر : والله لادعون عليك فى كل صلاة اصليها » بكى ابو بكر ولما اجتمع عليه الناس قال لهم : يبيت كل رجل منكم .. مسرورا باهله وتركتمونى وما انا فيه ؟ لا حاجة لى فى بيعتكم اقيلونى بيعتى . قالوا : يا خليفة رسول الله ان هذا الامر لا يستقيم وانت اعلمنا بذلك ـ انه ان كان هذا لم يقم لله دين . فقال : والله لولا ذلك ، وما اخافه من رخاوة العروة ما بت ليلةولىفى عنق مسلم بيعةبعد ماسمعت ورايت من فاطمة .

ومن الواضح ان ابا بكر خلف الرسول فى السلطان المادى فقط يسوس المسلمين ويدير شئونهم مستندا الى احكام الشريعة . اما السلطان الروحى فان الاسلام لم يجعل لاحد سلطة روحية على احد سوى سلطة الموعظةالحسنة والدعوة الى الخير والتنفير من الشر .

بقى ابو بكر فى الخلافة عامين وثلاثة اشهر وعشر ليال حكم الامة فيها على احسن ما يكون الحكم فاسند ما يتعلق باموال الدولة من خراج وصدقة والعشور والجزية وانفاق ذلك علىمصالح المسلمين الى ابى عبيدة بن الجراح ، كما اسند القضاء والفصل فى الخصومات الى عمر بن الخطاب ، وكانت الولايات فى عهده عشرا ، ولاية مكه وجعل عامله عليها عتاب بن اسيد ، وولاية الطائف وكان عليها عثمان بن ابى العاص، وولاية صنعاء وجعل عامله عليها ابن ابى امية ، وولاية حضرموت وجعل عليها زياد بن لبيد الانصارى ، وكان عامله على قبيلة خولان باليمن يعلى بن امية ، ويقال له يعلى بن منيه وعلى زبيد باليمن ابو موسى الاشعرى ، وعلى الجند معاذ بن جبل وعلى البحرين العلاء بن الحضرمى ، وعلى نجران جرير بن عبد الله ، وعلى جرش باليمن عبد الله بن ثور .

موقفه من الفتوح

وانظر الى فقه ابى بكر وسياسته فى معالجة الامور لما طلب منه جمع من الصحابة ايقاف ارسال اسامة بن زيد الذى كان الرسول اعده للشام ، او عزل اسامة لصغر سنه وتولية قيادة الجيش لآخر .. لكن ابا بكر تذكر قول الرسول فى اخريات ايامه : انفذوا جيش اسامة . فصمم على ان يبعث الجيش كما امر رسول الله ولو كان فى ذلك موته وهلاكه وقال : والذى نفسى بيده لو ظننت ان السباع تخطفنى لانفذت بعث اسامة كما امر رسول الله . ولو لم يبق فى القرى غيرى لانفذته » وقال لعمر وقد طلب منه تغيير القيادة: ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب !! استعمله رسول الله وتامرنى ان انزعه ؟!

وكان ارسال جيش اسامة مدعاة لخوف كثير من القبائل اذ قالوا : لو لم يكن بالمسلمين قوة لما ارسلوا هذا الجيش . وهكذا وقف ابو بكر وقفة قوية فىهذا استجابة لامر الرسولوتحقيقا لرغبته. كما كان حازما مع القبائل التى ارتدت قبل ان يستفحل الامر واعد جيوشا كثيرة لاسكات الفتنة والضرب على أيدى الخارجين : جيشا بقيادة خالد بن الوليد، وآخر بقيادة عكرمة بن ابى جهل وثالثا بقيادة المهاجر بن ابى امية ، وآخر بقيادة خالد بن سعيد ، وآخر بقيادة عمرو بن العاص ، وآخر بقيادة حذيفة بن محصن ، وهكذا بلغت الجيوش احد عشر جيشا ارسلها الى جهات مختلفة وادت مهمتها بمهارة .

وقد كانت هذه القبائل تريد ان تمتنع عن اداء الزكاة وقالوا : انها كانت تدفع للرسول عليه السلام فقط وانهم فى حل من دفعها لخليفته . فلجا الخليفة الى المشورة فرأى عمر بن الخطاب عدم مقاتلتهم لان رسول الله قال : أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا دماءهم واموالهم الا بحقها ، فقال ابو بكر : الم يقل الا بحقها ؟! فمن حقها ايتاء الزكاة كما ان من حقها اقامة الصلاة. ثم قال : والله لاقاتلن منفرقبين الصلاة والزكاةفانالزكاة حق المال.والله لومنعونى عقالا كانوا يؤدونه الى الرسوللقاتلتهمعلى منعه.فوافقه عمر،وقال:فما هو

الا ان رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

منهجه فى الفقه

ومن هذا تتبين منهج ابى بكر الفقهى ودقته فى التمسك بالنصوص وفهمها واتجاهه الى الاقيسة والاخذ بالرأى عند انعدام النص ، والرأى الفقهى على حد ما كان يفهمه الصحابة هو ما يراه القلب بعد فكر وتامل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الامارات . وكان ابو بكر يقول اذا ما اجتهد فى أمر برأيه : هذا رأيى فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطا فمنى واستغفر الله » .

ولما استشكل على الصحابة المراد بالكلالة فى قوله تعالى فى سورة النساء « قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك » حتى روى عن عمر بن الخطاب انه قال : قبض رسول الله ولم يبين لنا ثلاثا ولو علمتها لكان أحب الى من الدنيا وما فيها : الكلالة والخلافة والربا ، ولما سئل ابو بكر عنها نظر فى النص بنظر الفقيه الفاحص وجمع بينه وبين غيره من النصوص وقال : انها ما عدا الوالد والولد . ويعلق على ذلك ابن القيم فيقول : ان من الطف فهم النصوص وادقه ما قاله ابو بكر فى الكلالة .. وهو الموافق للفقه .

وكثيرا ما اقتنع ابو بكر بالمصلحة . ومن ذلك استخلافه لعمر لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستخلف احدا . وقد تفادى ابو بكر بهذا الاختيار الاختلاف فى اختيار الخليفة فى وقت هم فى أمس الحاجة الى الاتفاق وفى هذا تحقيق مصلحة المسلمين .

جمع القرآن فى عهده

ومن ذلك ايضا اقتناعه بجمع القرآن . وقد دخل عليه عمر وعرض عليه ذلك وقال : ان القتل قد استحر بقراء القرآن – فى موقعة اليمامة – وانى اخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقال أبو بكر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ؟ فقال عمر : هذا والله خير . ولم يزل عمر يراجع أبا بكر حتى شرح الله صدره لذلك ودعا زيد بن ثابت وقال له : انك شاب عاقل لا نتهمك ، كنت تكتب القرآن لرسول الله وقد حضرت العرضة الاخيرة . ثم كلفه بجمع القرآن فى مجموعة واحدة فاخذ زيد يجمعه من الرقاع المختلفة يعاونه فى ذلك كل من أبىّ بن كعب وعلى بن ابى طالب ، وعثمان بن عفان ، وكان أبىّ يقوم بالاملاء وزيد يكتب وكان عمر يقف مع زيد بامر من الخليفة على باب المسجد ليجمعا القرآن من صدور الرجال زيادة فى الحيطة فكان ان جمعت المتفرقات،وانضمت بعضها الى بعض مرتبة حسبما ارشدهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى أماكن الآيات من السور وطبقا للعرضة الأخيرة التى عرضها الوحى على الرسول وبعد ان تم جمعه على هذا الوجه جمع ابو بكر الصحابة وقال : التمسوا له اسما .فقال بعضهم سموه سفرا، فقال ابو بكر سموه مصحفا فوافقوه على ذلك . وكان ابو بكر اول من سماه مصحفا . وكان أساس هذا الاقدام من ابى بكر على هذا العمل الجليل المصلحة .ورحم الله أبا بكر فقد قال : فى كل كتاب سر ، وسر الله فى القرآن أوائل السور ..

موقفه من رواية السنة

وقد كان ابو بكر يحتاط فى الأخذ بالسنة التى لم يسمعها بنفسه من الرسول ولم تتواتر روايتها . وكان منهجه فى ذلك ان يطلب من الراوى شهودا يؤيدونه فى ذلك ، وقد روى انه قال فى خطبة له : « انكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم اشد اختلافا . فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا فمن سالكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه » وكان ذلك منه رضى الله عنه من قبيل الاحتياط . ولذا فانه كما قلنا لم ترو عنه أحاديث كثيرة .

واخيرا كان رضى الله عنه يتعفف عن الانفاق من الأموال العامة الا بمقدار ما تتطلبه الحاجة وقد كان اول من جعل بيتا للمال فى الاسلام . ولما مات ابو بكر يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ ، وكان قد أمر برد ما فضل عنده من الأجر المقدر له من مال المسلمين – قال عمر : لقد أتعب من بعده !! ■■

محمد سلام مدكور
رئيس قسم الشريعة
كلية الحقوق – جامعة القاهرة

■ ليس ادعى الى الاستثارة عند «الرجل» من ان يقال له انه يحمل فى اعماق شخصيته بعض عناصر «الانوثة» : فان اى «رجل» ـ كائنا من كان ـ لايريد لنفسه ان يكون سوى مجرد«رجل» وكانما هو لايحمل فى اعماق شخصيته سوى عناصر «الذكورة» ! وقد لايختلف الحال كثيرا لدى «المراة» عما هو عند «الرجل» : فانه ليس ادعى الى الاستياء لدى «المراة» من ان يقال لها انها تحمل فى اغوار كيانها النفسى بعض عناصر «الرجولة» ، خصوصا وان كل «امراة» ـ كائنة من كانت ـ لاتريد لنفسها سوى ان تكون مجرد «امراة» ، والا تعرضت لسخرية بنات جنسها ممن اعتدن التندر على جماعة «النساء المسترجلات» .

ولكن الحقيقة ـ كما لاحظ عالم النفس المعروف كارل يونج Karl Jung ـ ان فى اعماق كل منا ـ رجلا كان او امراة ـ «مبدا ذكورة» اطلق عليه اسم « الانيموس » Animus ، و « مبدا انوثة » اطلق عليه اسم « الانيما » Anima .

فلو اننا سلمنا بمثل هذه «الثنائية» التى تقوم عليها نظرة يونج السيكلوجية الى «الانسان» ، لكان علينا ان نقول ان «قطب الرجولة» ،و«قطب الانوثة» قطبان اساسيان يدخلان فى تكوين بنية الانسان، مادام «الموجود البشرى» ـ بطبيعته ـ «كائنا مزدوجا» يجمع بين «العقل» و «الخيال» ، بين «العلم» و «الشعر» ، وبين «النوازع العدوانية» و «الميول السلمية» ، بين «حياة النهار» و «حياة الليل» ..

أهى « ثنائية » ام «ثلاثية » ؟ !

ولكننا ما نكاد نتحدث عن «ثنائية» الموجود البشرى ، حتى يعترضنا الفيلسوف الفرنسى المعاصر جاستون بشلار Gaston Bachlard (١٨٨٤ـ ١٩٦٢) مؤكدا ان الانسان ليس مجرد كائن «ثنائى» ، بل هو فى الحقيقة موجود «ثلاثى» وحجة بشلار فى هذا الزعم ان المرء لايكون «انسانا» ـ بحق ـ اللهم الا حين يجمع فى شخصه بين ابعاد ثلاثة : ١) بعد « الطفولة » ، ٢) بعد « الانوثة » ، ٣) بعد «الرجولة» ، ومعنى هذا ـ بعبارة اخرى ـ ان الشخص البشرى الواحد يطوى فى اعماقه «ثالوثا» سيكولوجيا يتالف من « طفل » و « امراة » و « رجل » !

أما ان الانسان « طفل » ـ اولا ـ فذلك لانه موجود « متجدد » يشعر دائما بالحاجة الى النمو والترقي ، والتلقائية ، والانطلاق ، واللهو ، والبراءة ، والشعور بالامن،والرغبة في الاستمتاع بضرب من الحياة الدافئة ! واما ان الانسان « امراة » ـ ثانيا ـ فذلك لانه موجود « عاطفي » يشعر دائما بالحاجة الى مواجهة الواقع بروح الانسجام ، والتوافق ، والتعاطف ، والتناغم الوجداني ، والتعايش السلمي ..

واما ان الانسان « رجل » ـ ثالثا واخيرا ـ فما ذلك الا لانه موجود « مريد ، فاعل » ، لا يملك ان يحيا الا على الصراع ، والعدوان ، والتحدي ، والمواجهة المستمرة ، والرغبة في مقاومة الواقع ، والحرص الدائب على اخضاع الطبيعة ..

الطفل الكامن في اعماقنا هو منبع اصالتنا .. !

ان الانسان ـ سواء اراد ام لم يرد ـ موجود « زماني » يحن الى « الماضي » ، ويحس دائما بالحاجة الى استعادة « ذكريات طفولته » ، وقد لاحظ بعض علماء النفس ان حاجة الانسان الى « سرد » احداث السنوات الاولى من عمره ، وهي اشبه ما تكون بحاجته الى « تفسير » احلامه ، فنحن نعود بذاكرتنا الى عهد الطفولة ، كلما شعرنا بالحاجة الى الرعاية ، والحدب ، والامن ، والطمانينة : اعني كلما احسسنا ضرورة العودة الى « صدر الام » ، من اجل الاستمتاع بالحياة الحارة الدافئة ، و « الطفولة » ـ عندنا ـ تمثل « المهد » و « العش » و « البداية السعيدة » .. انها تعبر عن الحاجة الى «معاودة البدء من جديد»!

والانسان حتى بعد ان يكون قد شارف النهاية ـ يظل مفتقرا دائما الى نضارة الرؤية ، وبكارة المبادأة ، انه الموجود الذي يشعر دائما بانه ما يزال في حاجة الى اللعب ، والنشاط ، والانطلاق ، والتلقائية الحرة . انه الكائن الذي لا يملك الانفصال عن « طفولته » : لان«الطفولة» ـ عنده هي عهد الرؤى البراقة والاحلام الجميلة ! ولكن « الطفولة » عنده ايضا هي تلك المسافة الطويلة التي تفصل « الفعل » عن « الحلم » وهل كان الانسان ليستطيع العمل والحركة ، لولا تلك « المسافة » ؟ !

والواقع ـ كما قلنا في موضوع آخر ـ ان « نقص » الموجود البشري (او « عدم اكتماله ») قد جعل منه « الكائن الوحيد الذي لا يستطيع ان « يكبر » بحق ! انه يظل ينمو ويترقى ويتطور ، ولكن دون ان يتوقف او يكتمل ، او ينضج تماما ! ومعنى هذا ان الانسان هو « الكائن الوحيد الذي يظل «شابا» ـ ان لم نقل « طفلا » في هذا العالم!

وحينما قال احد علماء النفس ان « حجرة اللعب » هي البيئة المثالية لظهور كل ما يكمن لدى الانسان من قدرات ومواهب ، فانه كان يعني بذلك ان « الطفل » الكامن في « الرجل » هو منبع اصالته ، ومصدر قوته الابداعية ...

والطفل الكامن في اعماقنا هو ايضا سر سعادتنا .. !

... ان « الطفولة » ـ بالنسبة الينا ـ هي ذلك «العصر الذهبي» الذي كنا ننعم فيه بالفراغ، والحرية ، والانطلاق ! وقد لا تخلو ذكريات الطفولة ـ لدى البعض منا (على الاقل) ـ من تجارب اليمة او خبرات غير سارة ، ولكننا ـ مع ذلك ـ نسترجع (بشيء من السرور) تلك المرحلة الماضية من حياتنا حينما كنا مجرد « اطفال » ، مستغرقين بتمامنا في تهاويل « الحلم » و « اللهو » و « اللاواقعية » ! وليس « التوتر » الذي يقترن لدينا بمرحلة « المراهقة » ، سوى مجرد تعبير لا شعوري عن جزع المرء لقرب انتهاء عهد « الطفولة » .

فليست المشكلة ـ بالنسبة الى المراهق (او الشاب) ـ انه لم يصبح بعد « رجلا » ، بل المشكلة انه لم يعد بعد « طفلا » ، ولكننا ـ لحسن الحظ ـ نشعر في كثير من الاحيان ، بانه لا يزال في وسعنا ان نعاود « البدء » من جديد لا لكي نعيش طفولتنا الماضية من جديد ، بل لنبدا « طفولة ثانية » هي ثمرة نشاطنا الابداعي الحر ! وحينما نقول ان « الطفل » الكامن في

اعماق هو سر سعادتنا ، فاننا نعنى بذلك ان السعادة البشرية رهن بمدى قدرة الانسان على استعادة روح الانطلاق ، واللعب ، والاستغراق ، والفراغ ، والخيال ، والحلم والدهشة ،والاعجاب.. الخ . ولسنا نعنى بذلك الغاء «الحاضر»، لحساب «ماض» وهمى ، بل نحن نعنى بذلك ابداع «مستقبل» جديد يكون ثمرة لقدرتنا على «المبادأة»، ورغبتنا فى «معاودة البدء من جديد» .ومن هنا فقد لانجانب الصواب اذا قلنا : «ان من لايستطيع ان يصبح «طفلا» . لايستحق ان يدعى «رجلا» !

.. عنصر « الانوثة » الكامن فينا هو مبعث الهدوء فى حياتنا

فاذا ما انتقلنا الى قطب « الانوثة » الكامن فينا ، الفينا انفسنا بازاء عنصرى « الماء » و « التراب » (وهما عنصرا « الانوثة » فى الوجود)، اعنى بازاء اقوى العناصر الفعالة فى تاصيل جذورنا الحيوية فى اعماق تربة الواقع . ولعل هذا ما عناه بشلار حين قال : « ان جذور انتسابنا الى العالم لهى ــ فى صميمها ــ انثوية » . ولو كان « الانسان » ــ فى جوهره ــ « ذكورة » خالصة، لما كان ثمة موضع فى حياته للرغبة فى الاستقرار، او النزوع نحو الثبات ، ولكن الحقيقة ان اعماق وجودنا « طبيعة نباتية » تميل بنا نحو طلب « الهدوء » ، والتماس « السكينة » ، وحب « الاستقرار » . وعلى حين ان قطب « الذكورة » فينا يمثل الحركة والاندفاع ، نجد ان قطب«الانوثة» فينا يمثل الاستقرار والثبات . او ربما كان الادنى الى الصواب ان نقول ان « الرجولة » الكامنة فينا هى بمثابة تعبير عن تلك « الطبيعة الحيوانية » التى تتصف بالحركة والتنقل والميل الى الاقتناص ، فى حين ان « الانوثة » الكامنة فـ... بمثابة تعبير عن تلك « الطبيعة النباتية » التر... صف بالهدوء والسكينة وحب الاستقرار . ومر... فقد شبه جانكلفتش Jankelevitch ، « ... » بالنار او الهواء ، وقال عن عنصر « ...لة » فينا انه العنصر الحيوانى ، بينما شب... المراة » بالماء او التراب ، وقال عن عند... الانوثة » فينا انه العنصر النباتى ! وهكذا

اصبح قطب « الذكورة » عندنا بمثابة تعبير عن الوجود البشرى من حيث هو « فعل » ، بينما صار قطب « الانوثة » فينا بمثابة تعبير عن الوجود البشرى من حيث هو « طبيعة » . ولما كانت « الرجولة » حليفة الرغبة الحادة فى التغيير ، والنزوع القوى نحو التنقل،فقد اصبحت «الانوثة» علما على الميل والهدوء ، والحرص على السكينة . ولعل هذا ما عناه بشلار ــ مرة اخرى ــ حين قال : « لو لم يكن فينا عنصر انثوى ، فكيف كنا لنعرف طعم الراحة ؟ » !

« والانوثة » ايضا هى « شعر الخيال » وملكوت الصور والاحلام !

... لقد قلنا ان « المراة » هى الدفء ، والحب، والسلم ، والسكينة ، والاستقرار . وقال آخرون ان جوهر العنصر الانثوى فى الانسان هو الاستخفاف، والتهاون ، واللامبالاة ، وعدم الاهتمام ! والواقع انه اذا كان من شان العنصر المذكر فينا ان يجعلنا نحب الاشياء لما فيها من فائدة او منفعة ، فان من شان العنصر المؤنث فينا ان يجعلنا نحب الاشياء لذاتها ، بكل ما فى الانوثة من معانى التباطؤ ، والتثاقل ، والتوقف الطويل ! والحق ان «الرجولة» تعبر دائما عن التاريخ والزمان والصيرورة المستمرة، فى حين تعبر « الانوثة » عن حضرة « الابدية » فى الزمان ، ومن هنا فان العنصر المؤنث فينا يمثل قطب « المتصل » Ilecontinu ، بينما يمثل العنصر المذكر فينا قطب «المنفصل» Ladiscontinu ولا بد لكل انسان من هذا الجدل (الديالكتيك) الحى ، بين « المتصل » و « المنفصل » ، او بين قطب « الانوثة » وقطب « الذكورة » او على حين ان اتقاد الوعى ، والرغبة فى النقد ، والحرص على الفهم هى جميعا سمات الوعى للمذكر ، نجد ان اشتعال الحس ، والاقتصار على التقبل ، والميل الى الاستسلام للعواطف ، سمات اساسية تميز الوعى المؤنث ، وهكذا اصبحت « الانوثة » علما على حياة حلم اليقظة (او احلام اليقظة) التى تسمح للمرء بان يحيا حاضرا حافلا بالصور الجميلة ! ولا غرو ، فان « الانوثة » هى « شعر الخيال » و « ملكوت الصور والاحلام » ! ونحن

حين ننعم بتذوق الصور الشعرية الجميلة ، فاننا نستسلم لتلك السكينة الانثوية التي تنقلنا الى عالم الاخيلة ، والاحلام ، والاطياف الهاربة من اسر الزمن !

هل تكون « الرجولة » هي غلبة « حياة النهار » على « حياة الليل »

واما اذا انتقلنا الى القطب الثالث ـ والاخير ـ من اقطاب حياتنا ، فسنجد انفسنا بازاء قطب « الرجولة » ، ولكن ، ماذا عسى ان تكون دلالة « الرجولة » في حياة الوجود البشري ؟ هذا ما يجيب عليه بشلار بقوله « ان الرجولة هي المشاريع ، والهموم ، والمشاغل ، اعني ذلك النمط الخاص من انماط عدم الحضور امام الذات » ! والواقع ان النشاط الواعي ، والجهود الارادية ، والمساعي المبذولة في سبيل السيطرة على العالم ، والرغبة في تحقيق السيادة للعقل على الواقع : كل هذه سمات مميزة لقطب الذكورة في الوجود البشري ، بحيث قد يحق لنا ان نقول ان الوجود المصنوع من « نار » و « هواء » لا يمكن ان يحيا الا على الحركة والتغيير والبناء ! وحينما يعطي المرء للعمل (او « لفعله ») الصدارة في حياته على الحب (او « العشق ») ، فانه عندئذ يقدم لنا الدليل على انه يريد لقطب « الرجولة » ان يجيء فيشغل المحل الاول من حياته • وليس من شك في ان ثمار « الرجولة » ـ في تاريخ البشرية ـ هي الثقافة ، والمعرفة ، والعلم ، والتكنية ، وكل توابعها •• فما كان للانسان ان يسيطر على الطبيعة ، ويتحكم في نفسه ، لو لم ياخذ على عاتقه ان يغلب الفهم على المخيلة ، وان يحكم العقل في الحس • وهكذا كان « العلم » ثمرة لانتصار « حياة النهار » على « حياة الليل » ، وغلبة عنصري « النار والهواء » على عنصري « الماء والتراب » !

لا بد من مواجهة الواقع بروح التحدي والعدوان !

••• ان الجانب الاكبر من حياتنا لينقضي في دنيا النهار ، اعني في عالم الهموم والمشاغل والمخاطر ، فليس في وسع الانسان ان يحيا على الاحلام والاخيلة والصور الجميلة ! واذا كان « العقل البشري » نفسه ـ على حد تعبير احد الفلاسفة المعاصرين ـ « وظيفة عدوانية » لا تكف عن مهاجمة الواقع ، فليس بدعا ان يجيء عنصر « الذكورة » الباطن فينا ، فيفرض علينا مواجهة العالم الخارجي بروح التحدي ، والمقاومة ، والرغبة المستمرة في السيطرة • وسواء أكنا رجالا ام نساء ، فاننا لن نستطيع ان نستمر على قيد البقاء لحظة واحدة ، لو اننا اقتصرنا على « الحلم » ، واجتزانا بـ « الخيال » ، دون ان نقرن الحلم بالفعل ، او دون ان نجمع بين المخيلة والفهم • ولا شك ان «العقل» حين ياخذ على عاتقه مهمة السيطرة على العالم ، والتحكم في الطبيعة (خارجية كانت ام داخلية) ، فانه بذلك انما يضع « الواقع » نفسه تحت امرة الانسان • ومن هنا فان دلالة « الرجولة » في حياة الانسان هي دلالة « العمل » و « القوة » ، و « الانتاج » •• الخ •

كلمة اخيرة

••• أما بعد ، فقد حاولنا ان نضع بين يدي القارىء ـ في ايجاز ـ معالم نظرة«ميتاسيكولوجية» Metapsychologie ، تقوم على اعتبار الانسان موجودا « ثلاثيا » يتالف من طفل ، وامراة ، ورجل! واذا كان معظم الباحثين قد درجوا على النظر الى « الوجود البشري » باعتباره « علاقة مزدوجة » تقوم على التناقض بين « قطب الذكورة و « قطب الانوثة » ، فقد حاولنا ـ نحن ـ ان نفسح مجالا لقطب آخر قد لا يقل اهمية عن هذين القطبين المتناحرين ، الا وهو « قطب الطفولة » ، وربما كانت « روح الطفولة » (بما لديها من تلقائية ، وابداعية ، وقدرة مستمرة على معاودة البدء من جديد) هي الكفيلة وحدها بالعمل على التاليف بين « الحس » و « العقل » ، بين « المخيلة » و « الفهم » ، بين « الشعر » و « العلم » ، بين « حياة الليل » و « حياة النهار » ولا يمكن ان يبقى المرء « طفلا » اللهم الا اذا صهر «الرجولة» في بوتقة « الانوثة » ، بحيث يخلق من نفسه ذلك « الانسان الاعلى » الذي هو « وتر مشدود » بين كل من « الرجل » و « المراة » ! • ■■

زكريا ابراهيم

تراثنا العربي

لابد أن نتوخى الأمانة عند تحقيقه ونشره

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ ان تجديد التراث العربى القديم من اجل الامور التى حدثت فى هذا العصر لما ينطوى عليه من ابعاد كثيرة متشعبة ، منها ان التجديد حفظ هذا التراث العظيممن الاندثار ، اذ كان كثير من التراث العربى الذى ننعم وننتفع به الآن معرضا للضياع ، لقد كان فى اماكن غير حصينة ولا امينة ، وكانت الحشرات ترتع فيه كيفما شاءت • وكان حراس تلك الاماكن لا يعرفون قدره مما جعلهم يبيعونه بابخس الاثمان حتى اصبح طريق وصوله الى مكتبات الغرب ومتاحفه سهلة ميسورة• لهذا نجد الموسوعات العربية القديمة مثل الاغانى ونهاية الارب ومسالك الابصار ونظائرهـا مـن الموسوعات مجزأة فـى مكتبـات اسبانيـا وتركيا وروسيا وانجلترا وفرنسا وغيرها من المكتبات الاجنبية • وينطبق هذا الحال على معظم التراث العربى القديم •

صلة التجديد بالنهضة

اما صلة التجديد بالنهضة العربية فهى مـن الامور التى لا تحتاج الى توضيح ، فالامة حينما تعرف ما قدمت للحضارة والانسانية من خدمات ، وان تراثها يحتوى على جميع فروع المعرفة ، وان الحضارة الحديثة ارتكزت عليه فى جملة ما ارتكزت

- اذا عرفت الامة ذلك معرفة اكيدة ، لا ترضى ان تظل متاخرة متخلفة • فان معرفتها بحضارتها الماضية عامل قوى ، يدفعها الى اللحاق بالامم المتقدمة لتصل حاضرها بماضيها • وهذه المعرفة لا يمكن ان تتاكد الا اذا استطاعت ان تطلع على ما ساهم به اسلافها من مشاركة وابداع فى ميادين الفنون والعلوم ، لهذا نجد الاهتمام بالتراث العربى كبيرا من قبل الامة العربية ، افرادا وحكومات •

والحق ان التجديد شمل قسطا وافرا من تراثنا العظيم ، مما جعل الباحثين والمفكرين يبدون آراء تستند الى وثائق لا يرقى اليها الشك ، تثبت ان الحضارة العربية الاسلامية من اعظم الحضارات التى عرفتها البشرية ، وما زال كثيرمن تراثنا العربى الاسلامى القديم فى حاجة الى التجديد ، والمجال لا يحتمل ان اتوسع فى الحديث عما سلكه المهتمون بتجديد التراث العربى ، فان الطرق التى سلكوها شاقة متشعبة لكنهم استطاعوا ان يتغلبوا على ما صادفهم من عقبات ومشاق،اذ كانوا مؤمنين بقيمة التراث العربى ايمان العارف به المقـدر لمنزلته وتاثيره ، وقد كتب محققو التراث احاديث مفصلة عميقة عما صادفوه من عقبات وعما فـى تجديد التراث من قيمة ودوافع تحفز هذه الامة الى اليقظة والنهوض •

الامانة فى نقل التراث

ومن الامور التي لا تحتاج الى توضيح ان الذين اصدروا تراثنا العظيم علماء متمسكون بتعاليم الدين الحنيف لا يرتاب احد فى علمهم او ايمانهم • ولست فى حاجة الى القول ان الامانة فى النقل هى من اهم اركان الايمان والعلم •

لهذا نجد اولئك العلماء الاعلام يؤدون الامانة كاملة فيما ينقلون ويؤلفون، بمعنى انهم لا يتركون شاردة ولا واردة حتى ولو كان فيما ينقلون ادبا مكشوفا لا يرضى المتمسكين بالاخلاق ، فان فى اشعار بعض شعرائنا وفى سيرتهم ما يخالف الذوق السليم • لكن علماءنا الاعلام يرون ان الامانة العلمية تقتضى منهم رواية كل ما يعرفون عن الادباء والخلفاء والوزراء والحجاب والجوارى وامهات الخلفاء والوزراء وزوجاتهم، لتكون الصورة متكاملة لا ينقصها شيء •

لذلك نجد اسلافنا الاقدمين من العلماء قد تبسطوا فى روايتهم لشعر الشعراء وسيرة الخلفاء والوزراء وحاشيتهم جميعا ، دون ان يروا فى رواية ذلك مخالفة للاخلاق او للاذواق السليمة • وان يكن هناك لوم او انتقاد ، فانه يقع على من قال او عمل لاننا لو حذفنا المجون من تراثنا القديم لاصبحت الصورة ناقصة بحيث لا تمكن المفكرين ان يبدوا آراء صحيحة او يصدروا احكاما علمية فى تعفف هذا الشاعر او مجون ذاك الوزير•

الامانة العلمية لا ترضى بحذف شيء من كتاب عند تحقيقه

ولسنا نعتقد ان الامانة العلمية تسمح بترك اى كتاب ناقص اذا اردنا تجديده • ومن غريب الامر ان يوجه النقد الى المحقق حين يجدد كتابا من كتب التراث كما الفه صاحبه ، وكان المفروض ان يوجه النقد اليه اذا نقص شيئا من• الذى يريد تحقيقه ، خاصة اذا كان مؤلف الكتاب من العلماء المعروفين بالتمسك بتعاليم الدين ا .يف ، امثال القاضى ابى العباس احمد بن مح . بن ابراهيم المعروف بابن خلكان ، مؤلف كتاب « وفيات الاعيان » ، وابى منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابورى ، الاديب اللغوى صاحب كتاب « يتيمة الدهر » ، وشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن محمد البكرى التميمى القرشى النويرى الكندى ، صاحب كتاب « نهاية الارب فى فنون العرب » ، وشهاب الدين ابى العباس احمد بن يحيى بن محمد بن فضل الله القرشى العمرى ، الامام المؤرخ الحجة صاحب كتاب «مسالك الابصار»، وابى القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الاصبهانى الفاضل ، المتبحر الماهر فى اللغة العربية والحديث والشعر والادب مؤلف كتاب « المحاضرات » و « مفردات القرآن » ، والذى قارنه بعضهم بالامام الغزالى ، وياقوت بن عبدالله الرومى الحموى المولد البغدادى الدار مؤرخ ثقة من ائمة الجغرافيين ومن العلماء باللغة والادب مؤلف كتاب « معجم الادباء » و « معجم البلدان » وغيرهم من العلماء والادباء واللغويين الذين شهدت كتب التراجم بثقتهم وايمانهم • وهؤلاء العلماء اذا ما تاملنا فى تضاعيف كتبهم نجدها لا تخلو من المجون ، فهل يجوز لنا ان نحذف ذلك من كتبهم اذا ما اردنا تجديدها ؟ لا اعتقد ان عاقلا يقدر منزلة الامانة العلمية يبيح لاى محقق ان يتصرف فى اى كتاب يريد تجديده وانما يريد منه ان يخرجه كما الفه صاحبه •• ذلك ما تقتضيه الامانة العلمية كما اشرنا فيما سبق ، وذلك ما جرى عليه معظم المحققين •

غير اننا نرى بعضهم لم يراع ما تقتضيه الامانة فى التحقيق فيلغى المجون شعرا كان او غير شعر بحجة المحافظة على الاخلاق ، وكانه كثر تمسكا بها من اولئك العلماء الاعلام غافلا ان حذفه لاى داع يخالف بعض الاذواق ، تصرف فى امر لا حق له ان يتصرف فيه ، فاما ان يخرجه ملا غير منقوص واما ان يتركه وشانه •

ابن الحجاج خير مثال

ولعل ابا عبد الله الحسين بن احمد المعروف بابن الحجاج خير مثال نقف عنده بهذه المناسبة . فانه بالرغم من تسمية بعض مترجميه بانه «امير من امراء الفحش » ، وهذا القول فى جانب الصواب لان اكثر شعره فى المجون والهزل ، لم يمنع المحدث الحافظ المعروف بالذهبى من القول فى حقه بانه شاعر العصر وسفيه الادب . وقال فى حقه القاضى ابن خلكان بانه فرد زمانه لم يسبق الى تلك الطريقة ، ورثاه الشريف الرضى وهـــو المعروف بالعفة والتقى .

ومثل هذا الحال ينطبق على « محمد بن احمد المعروف بابن سكرة الهاشمى » وابى نواس وابن الرومى وبشار وغيرهم من الشعراء الذين لا يترفعون عن قول المجون ، فانك تجد الثناء على هؤلاء الشعراء من قبل اولئك العلماء الاعلام بوجه يصور اولئك الادباء على حقيقتهم ، حيث تجد الكثير من اشعارهم ومجونهم مرويا فى مؤلفات اولئك الاعلام .

وفى الحق ، اننا لا نستطيع ان نعرف اى اديب حق المعرفة الا اذا وقفنا على كل آثاره من جد وهزل ، وعفة ومجون ، فان الباحث لا يستطيع ان يبدى رأيا صحيحا او يصدر حكما علميا الا اذا كانت الصورة بجميع جوانبها موجودة لديه .

تزمت لا معنى له

ومن عجب ان يورد المؤرخون كل ما عرفوا عن الشاعر والاديب وهم فى عصور لم ينشا فيها علم النفس الذى يعتمد على كل شاردة وواردة من قول الانسان او فعله ، ويطلب من محققين يعيشون فى عصر سيطر فيه العلم على كل شىء بان يمتنعوا عن رواية ما يكشف عن نفسية قائليه ويصور سيرتهم على حقيقتها .. ذلك امر ليس من المبالغة فى شىء اذا قلت بانه تزمت لا معنى له ، او ان ضرره اكثر من نفعه خاصة وانا فى عصر لم ير بعض فلاسفته وادبائه باسا بان يعلنوا ان كثيرا من المشاكل والامراض تعود اسبابها الىغريزة الجنس، ونحن وان كنا لا نشارك اولئك الادباء والفلاسفة فيما ذهبوا اليه ، الا اننا نعتقد بان حقيقة الانسان ينبغى ان لا نغطيها بظلال تخفى معالمها .

وخلاصة القول ان الامانة العلمية تحتم على كل من يريد تجديد كتاب قديم ان لا يتصرف فيه بزيادة او نقصان . ■■

الكويت ــ عبد الرزاق البصير

كريم وهو فى السجن

● كان سعيد بن عمرو مؤاخيا ليزيد بن المهلب ، فلما حَبَسَ عمر بن عبد العزيز يزيد ، ومنع الناس من زيارته والاتصال به أتاه سعيد بن عمرو ، وقال له : « يا أمير المؤمنين ، لى على يزيد بن المهلب خمسون ألف درهم ، وقد حلت بيني وبينه ، فان رأيت ان تأذن لى ، فاقتضيه ؟ » فاذن له عمر ، فدخل سعيد بن عمرو على يزيد بن المهلب فسُرَّ به كثيرا وقال : « كيف وصلت الىَّ ؟ » فاخبره ، فقال يزيد : « والله لا تخرج الا وهى معك » فامتنع سعيد ، فحلف يزيد ليقبضنها ، فقال عدى بن الرقاع فى ذلك :

« ولم ار محبوسا من الناس واحدا	حبا زائرا فى السجن ، غير يزيد
سعيدُ بن عمرو ، اذ اتاه أجــاره	بخمسين ألفــا عُجِّلت لسعيــد »

١٠ أسئلة و..
٦ أعداد من "العربي"!

مسابقة هذا العدد استوحيناها من المعلومات التي حوتها الاعداد الستة الاخيرة من « العربي » .. والمطلوب أن تعرف الاجابات الصحيحة على ثمانية اسئلة على الاقل، لكي تفوز باحدى جوائز المسابقة ،وهي ١٠٠ دينار كويتي ..

١ ـ طريقان رئيسيان يخترقان الهضبة الوسطى لشبه جزيرة سيناء ، الاول هو الطريق الشمالي ، وبه ممر استراتيجي هام طوله ٤٠ كيلومترا .. والطريق الثاني يعتبر من اهم الطرق الاستراتيجية في سيناء ، وبه ممر هام طوله ٣٥ كيلومترا ، ولا يتجاوز عرضه ١٥ مترا فقط .. فما اسم هذين الممرين ؟

٢ ـ في اعماق المحيطات توجد سهول واسعة كبيرة كسهول سيبريا او صحاري افريقية، وسلاسل جبال تمتد بطول هذه المحيطات .. واعمق عمق كشفوه في المحيط الاطلسي كان ٢٧٩٦٠ قدما ، ولكنهم كشفوا في المحيط الهندي جنوب جوا ، عمقا بلغ ٣٦٢٩٠ قدما ، واول من قام بالكشف عن اعماق اعالي البحار هو رجل عاش بين عام ١٤٧٠ و ١٥٢١ م ، وكان اسمه :

كولمبس ـ فاسكو دي جاما ـ ماجلان

٣ ـ اقدم استعمار اوروبي لافريقية بدأ منذ عام ١٤٨٩ باحتلال ميناءين افريقيين عربيين ما زالا حتى اليوم يرزحان تحت نير هذا الاستعمار .. فما اسم الدولة المستعمرة وما اسم الميناءين ؟

٤ ـ في عام ١٩٧٥ انتخبت اول امرأة زعيمة لواحد من اكبر الاحزاب السياسية في بريطانيا .. وقد جاء انتصار « مارجريت تاتشر » في الوقت الذي يحتفل فيه العالم كله بالعام الدولي للمرأة .. فما هو اسم الحزب البريطاني الذي اصبحت زعيمته هذه المرأة ؟

٥ ـ ينتج الصومال محصولا زراعيا رئيسيا يصدره كله تقريبا الى الدول الاوروبية والدول العربية .. وهذا المحصول بالنسبة للصومال هو بمثابة القطن لمصر والسودان .. والزيتون لتونس والتفاح للبنان .. والتمر للعراق .. فما اسم هذا المحصول الزراعي الصومالي ؟

٦ ـ قبرص .. الجزيرة الممزقة .. سكانها حسب احصاء ١٩٦٠ بلغوا ٤٣٠ الف يوناني

و ١٠٠ الف تركي ، ومساحة الجزيرة ٩٢٨٢ كيلو مترا مربعـا ، وتاريخها القـديم مرتبط اوثـق الارتباط مع الدول العربية ·· والمدن الرئيسية في هده الجزيرة هي : ليماسول ، وفاما جوستا ، ونيقوسيا ، فأى هده المدن هى عاصمة قبرص ؟

٧ ـ في عام ١٨٩٨ ظهر اول كتاب عربي يحمل اسم « تحرير المرأة » حمل هده الدعوة ونشرها في الامة العربية ·· واقترنت هذه الدعوة باسم مؤلف الكتاب منذ اعلنها حتى الآن ·· وقد عرف بها كما عرفت به ·· فهو بطلها ورائدها ·· فما اسم صاحب هده الدعوة ؟

٨ ـ واحة عربية خضراء ذاع صيتها وانتشر ، على اثر خلاف تمت تسويته اخيرا ·· وهذه الواحة كانت تضم تسـع قرى ، تحولت ست منهـا الى مدينة واحدة عامرة نشطة ·· اتخذت اسم واحدة من القرى القديمة اسما لها ·· فما هو اسم هده المدينة العربية الجديدة ، الواقعة في دولة الامارات العربية والتي يقدرون عدد سكانها بنحو ٢٥ الف نسمة ؟

٩ ـ جبل كليمنجارو هو اعلى قمة جبلية في افريقية ، ارتفاعه ٦٠١٠ من الامتار وهذه القمة تغطيها الثلوج ، رغم ان هذا الجبل قريب من خط الاستواء · فاين يقع هدا الجبل ؟
كينيا ـ تانزانيا ـ اوغندا

١٠ ـ في السودان ١٦ مليون فدان من الاراضي الزراعية التي يمكن ريها بمياه النيل وروافده ·· به ايضا ٢٠٠ مليـون فدان تعتمد على ميـاه الامطار بعد استصلاحها ·· اى ان مجموع مساحة الاراضي الصالحة للزراعة في السودان هو ٢١٦ مليون فدان ، لا يستغل منها حاليا الا نحو ١٤ مليون فدان ، واكبر رقعة مزروعة تبلغ مساحتها مليوني فدان ، وتنحصر في المنطقة الواقعة بين النيل الازرق والنيل الابيض ·· ونظرا لموقعها الفريد ، اطلقوا عليها اسما خاصا ·· فما هو هدا الاسم ؟

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فيذيل هذه الصفحة ·
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ·
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليـه العنوان الاتى :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٠١ »
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الاول من شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥

الجوائز مائة دينار

تمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الاتى :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا · الجائزة الثانية ٢٠ دينارا · الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ·
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ·· وعند تعدد الاجابات الصحيحـة تمنـح الجوائز بطريقة الاقتراع ·

كوبون مسابقة

ثلاث ، وثنتين ،

● حكى ان بعض الخلفاء سأل رجلا عن الاحنف بن قيس ، وعن صفاته .. فقال الرجل يا امير المؤمنين : ان شئت اخبرتك عنه بثلاث ، وان شئت اخبرتك عنه باثنتين ، وان شئت بواحدة .. فقال . اخبرني عنه بثلاث : قال : « كان لايحسد

أربعة

● قال عمرو بن العاص : اربعة لا أملهم : جليسي ما فهم عني ، وثوبي ما سترني، ودابتي ما حملت رحلي، وامراتي ما احسنت عشرتي.

الخليفة الفقيه

● قال الخليفة المأمون لمرتد الى النصرانية. «خبرنا عن الشيء الذي اوحشك من ديننا بعد انسك به ، واستيحاشك مما كنت عليه ، فان وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به ، وان اخطأ بك الشفاء ونباعن دائك الدواء ، كنت قد أعذرت ، ولم ترجع على نفسك بلائمة . قال المرتد :أوحشني مارأيت من كثرة الاختلاف فيكم . قال المأمون لنا اختلافان، أحدهما كالاختلاف في الاذان والتكبير في الجنائز ، والتشهد ، وصلاة الاعياد وتكبير التشريق ،ووجوه القراءات ووجوه الفتيا ، وهذا ليس باختلاف ، انما هو تخير وسعة ، وتخفيف من السنة ، فمن أذن مثنى واقام مثنى لم يخطىء ، ومن أذن مثنى وأقام فرادى لم يخطىء ، وهم لا يتعايرون بذلك ولا يتعايبون، اما الاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا وتأويل الحديث مع احتماعنا على اصل التنزيل ، واتفاقنا على عين الخبر ، ولو شاء الله ان ينزل كتبه ويجعل كلام انبيائه وورثة رسله ، لايحتاج الى تفسير لفعل ، ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيادفع الينا على الكفاية ، ولو كان الامر كذلك لسقطت البلوى والمحنة ، وذهبت المسابقة والمنافسة ، ولم يكن هناك تفاضل. وليس على هذا بنى الله الدنيا .. فقال المرتد. اشهد ان لا اله الا الله، وان محمدا رسول الله ، وانك امير المؤمنين حقا .»

تسبيح

● حكي ان رجلا من العباد، كان له زنبيل مملوء حصا للتسبيح ،فكان يسبح بواحدة واحدة ، فاذا مل طرح ثنتين ثنتين ، ثم ثلاثا ثلاثا ، فاذا زاد ملاله بعد ذلك طرحه قبضة قبضة ، وقال : « سبحان الله .. بعددك» فاذا ضجر أخذ بعرى الزنبيل، وقال: « سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله » بعدد هذا كله .

وواحـــدة

احدا ، ولا يبغى على احد ، ولا يمنع احدا حقه » . قال : « فاخبرنى عنه باثنتين » فقال « كان الاحنف يفعل الخير ويحبه ، ويتوقى الشر ويبغضه . » قال : « فاخبرنى عنه بواحدة » . قال : « كـان من اعظـم الناس سلطانا فى قيامه على نفسه » .

أمير أو أسير

● قيل ليزيد بن المهلب : لماذا لا تبنى بالبصرةدارا ؟ فقال : لانى لا ادخلها الا اميرا او اسيرا ، فان كنت اسيرا فالسجن دارى،وان كنت اميرا فدار الامارة دارى .

احمق يتمارض

● كان الاحوص بن حريث من حمقىقريش المشهورين،قيل ان اصحابه قالوا له يوما « ما بال وجهك اصفر ! اتشتكى من علة ؟»واعادوا عليه ذلك مرات ، فرجعالى هله يلومهم ، ويقول لهم : « اننى مريض،ولا تخبرونى ! القوا علىّ الثياب ، ابعثوا الى الطبيب .. فاننى احس اننىاموت » . فسمع اصحابه بهذا الخبر ،فدخل عليه شراعة بن عبيد الله ، وكان منأملح اهل الكوفة ، ومن المتماجنين ،فعرف انه متمارض فقال : « يا احوص : كناامس بالحيرة ، فاخذنا الخمر ثلاثين قنينة بدرهم » (والخمر يومئذ ثلاثقنانى بدرهم)فرفع الاحوص رأسه واستوى جالسا ، وقال « هات شرابك ، » فشربا يومهما .

لا رهبانية

● قال احد اصحاب الامام جعفـــر الصادق له : « جعلت فداك ، اننى احـب الانسان الذى يأكل الجشب ويلبس الخشنويخشع فيرى عليه اثر الخشوع » . فقال الامام : ويحك انما الخشوع فى القلب ،او ما علمت ان نبيا ابن نبى كان يلبس فيه الديباج مزرورة بالذهب ، وكانيجلس ويحكم بين الناس فما احتاجالناس الى لبسه ، وانما احتاجوا الـى عدلـهوقسطه ، كذلك يحتاج الناس من الامام الى يقضى بالعدل ، اذا قال صدق واذاوعد انجز ، واذا حكم عدل . ان الله عز وجل لم يحرم لباسا أحله ، ولا طعاما ولاشرابا من حلال ، وانما حرم الحرام قل او كثر ، وقد قال عز وجل (قل من حرمزينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق) » .

عودة الى .. الهرمونات

والغدد التى تفرزها غير ذوات القنوات

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ وهى من أكبر غدد الجسم ، وأكثرها ظهورا ، لأن موضعها الرقبة من امام ، وتحت الجلد مباشرة ، وقد يعتريها المرض فتكبر ، فتظهر واضحة ·

والغدة نصفان أشبه بالجناحين ، يلتفان حول الرقبة ، فوق القصبة الهوائية ، وتحت الحنجرة · وهما نصفان متصلان ، تصلهما من امام وصلة كأنها البرزخ ·

والهرمون الدرقى Thyroid hormone ينظم تفاعلات كيماوية حيوية خاصة من التى تجرى الحياة ، وهى تتصل بالنمو · فالطعام على ما نعلم يصل بعد هضم الى خلايا الجسم جميعها ، وفيها تحدث به تفاعلات كثيرة ، منها التأكسد باكسجين التنفس ، ومن هذا الاحتراق البطىء تنتج طاقة الحياة · ومن فتات حطام الغذاء فى الخلايا ، تتألف أجسام اكثر تركبا ، تصنعها الخلايا لصالح نفسها او لصالح الخلايا الاخرى ·

وهرمون الدرقية يضبط كل هذا · والأكسدة خاصة ، لهذا لزم أن تفرز الغدة الدرقية من هذا الهرمون المقدار الذى يؤدى الى توازن هذه العمليات ، فلا تزيد عما وجب ، ولا تنقص عما وجب ·

والغدة الدرقية اذا زادت نشاطا عما وجب ، أو قلت نشاطا ، أصيب الجسم بالمرض ·

ونقص الهرمون ينزل بالقدر الواجب من التأكسد فى الجسم ، وبنشاط الجهاز العصبى ، وهذا يورث العجز فى الجسم

الغدة الدرقية وهى تلتف حول القصبة الهوائية

تضخم الرقبة بتضخم الغدة الدرقية

لعقل • وعمل القلب يهبط ، وفى كثير
، الحالات يزداد القلب حجما • وزيادة
برمون تؤدى الى زيادة التأكسد بخلايـا
جسم وزيـادة الاحتــراق ، وهــذا أشبه
يادة احتراق الشمعة الذى يؤدى بها الى
ناء •

واذا اختل عمل الغــدة فى الطفولـة
نشأ عن ذلك قصور فى النمو جسما وعقلا •

والغدة الدرقية بها نسبة اليــود أعلى
ـ نسبته فى أى جزء من أجزاء الجسم •
نقص اليود فى الغدة الدرقية هو السبب
الأكبر فى تضخمها • ويعالج هذا فى المناطق
التى يكثر فيها هذا المرض باضافة اليــود
الى ملح الطعــام • أو يضاف الى مــاء
الشرب • ويعالج المرض أيضا فى حالات
الافراد باليود ، وباليود المشع •

الغدد الدرقية الجنيبة

واسمها Parathyroid glands ، وهي أربعة تظهر في الغدة الدرقية وكأنها دفينة فيها ٠

وهرمونها يتحكم في انتاج عنصر الكلسيوم في الجسم ، فهو يتحكم في نمو العظام ، وفي صلاح العضلات وفي النشاط العصبي للجسم ٠

ومقدار الكلسيوم اللازم للموازنة المطلوبة حاجة من حاجات الجسم كبرى ٠

الغدتان فوق الكليتين

هما غدتان ، موضعهما فوق الكليتين Adrenal glands.

وتعرف الغدة الواحدة منهما بالغدة الكُظرية ٠

وهذه الغدة تتألف من طبقة خارجية تلفها كما تلف القشرة ، وتعرف بالقشرة Cortex ، وسائر الغدة التي تلفها القشرة تعرف بالحشوة Medulla ٠

وهما مختلفتان ٠

الكظران ، وكل كظر فوق كليته

اما القشرة فتصنع هرمونا مركبا يعرف باسم كو تين، والهرمونات التي يحتويها لازمة غاية اللزوم للجسم ، لانها تضبط وجوها معينة تتصل بالتحولات الكيماوية الحيوية التي تجرى للمواد النشوية والسكرية والدهنية والبروتينية في الجسم •

ولها شأن في ميزان الملح والماء في الجسم •

ومن الكورتين يستخرج العقار المعروف باسم كرتيزون Cortisone ، وهو يستخدم في اعراض شتى ولا سيما في علاج المرض المعروف بمرض اديسون Addison •

اما جزء الغدة الكظرية المعروف باسم الحشوة فيصنع هرمونا اسمه ادريالين Adrenaline •

وهذا الهرمون يعرف بهرمون الازمات، فهو يفرز فى الازمات التى تصيب الآنسان والحيوان وعند الفزع • فاذا وقع الانسان ما فى أزمة ، وأحاطه الخطر من كل جانب، وجب عليه الكفاح • وأعانه الجسم فهيأ له بهذا الهرمون كل مساعدة فى ذلك •

من ذلك هرب الدم من الوجه، ومن سائر سطوح الجسم، وذلك حتى اذا اصاب الجسم جرح لم يفقد من دمه الكثير •

ومن ذلك زيادة مقدار الدم في العضلات والمخ والقلب، وكل عضو يتصل بالكفاح •

ومن ذلك ازدياد ضغط الدم ، وسببه ما فرضه الجسم على اوعية الدم السطحية من ضيق ، وعمل القلب ، وما يجريه من دم يتزايد •

والكبد ، وهى تختزن السكر مصدرا للطاقة عند الحاجة ، تطلق في الدم من سكرها المخزون •

غدة البنكرياس وهرمونها الانسولين

لا يذ . الانسولين فى حضارتنا هذه العام الا ذكرنا معه المرضى العديدين بالبول السكرى • وما الانسولين الا افراز داخلى للغدة المعروفة بالبنكرياس Pancares

البنكرياس

اما هذه الغدة البنكرياسية فهى غدة متطاولة موضعها من جسم الانسان خلف المعدة على مقربة من جدار الظهر الداخلي، وهى تزن في الرجل البالغ نحو ٣ أ'نسات او ما يقرب من ستين جراما •

وهى غدة جمعت بين صنفي الغدد فى الجسم من صماء وغير صماء •

فهى غدة يتألف اكثر جرمها من خلايا تفرز عدة من أنزيمات ، اى خمائر ، عملها هضم الطعام، وتخرج هذه الافرازات عن طريق قناة تصب في الجزء الاعلى من المعاء الدقيق المعروف بالاثنى عشرى • وهذه العصارة الهضمية تتضمن عدة خمائر منها ما يهضم النشا ، ومنها ما يهضم الدهن فى الطعام ، ومنها ما يهضم البروتين ، ومن اشهر هذه التربسين Trypsin •

والى جانب ان البنكرياس غدة هاضمة لها قناة ، ففيها تكتلات من خلايا ، صغيرة الحجم ، يبلغ قطرها نحو ثلث المليمتر ، منتشرة فيها ، وتعرف هذه الكتل بالجزر ، او على التصغير بالجزيرات ، وتنسب الى مكتشفها لانجرهنس Langarhans وهذه الجزيرات لا قناة لها تصب فيها ، وانما هى تصب افرازها فى الدم مباشرة، كما تفرز الغدد الصماء •

والجزيرة الواحدة يتألف اكثرها من خلايا تفرز الهرمون الشهير ، الانسولين • وهو الهرمون الخطير الذى يعين الجسم على الانتفاع بما يتناوله من سكر •

الانسولين

الانسولين هرمون بروتيني، وهو يتضمن ٥١ حامضا عضويا أمينيا Amino acids ووزنه الجزيئى ٦٠٠٠ • فجزيئه شيء

عظيم ٠ واذا مسته خمائر الجسم الهاضمة أتلفتـه ، وهو لذلك لا يعطى بالفم فى علاج المرضى بالبول السكرى ، فتتلفـه خمائر الجهاز الهضمى ، وانما هو يعطى حقنة فى الدم مباشرة ٠

وانتـاج الجسم للانسولين هدفه تنظيم تحول السكر ، والسكر الناشيء من النشا ، فى الجسم ٠ اما كيف يفعل ذلك ، فلا يزال الامر ذلك غير واضح تماما ٠

والمعروف ان الانسولين ، بتأثيره فى السكر الذى بسائر اعضاء الجسم كالكبد وغيرها ، يثبت نسبـة السكر فى الدم ، فيقف بها عند ١٠٠ ملى جرام من سكر الجلوكوز فى كل ١٠٠ سنتى متر من دم الانسان ٠

والانسولين اذا دخـل الى الدم هبط بتركيز السكر (الجلوكوز) فى الدم ، اولا باعانة الخلايا على الانتفاع به واكسدته وتكون الطاقـة منه ، وثانيـا باختزان الفائض من السكر فى الكبد على الصورة المعروفة باسم جليكوجن Glycogen ، وهو يختزن هناك احتسابا لحين الحاجة اليه ٠ فاذا نقص السكر فى الدم ، اطلقت الكبد من سكرها هذا لكى تتزن الامور ٠

مرض البول السكرى

ينشأ فيما ينشأ عن قلة ناتج الجسم من الانسولين ٠ واذن يحدث امران : السكر يتراكم فى الدم بسبب نقص الانسولين ، وعدم استطاعـة خلايا الجسم الانتفـاع بالسكر فى غيبة الانسولين ٠ وبتراكمه فى الدم يبلغ درجة من التركز تعجز عندها الكليتان على الاحتفاظ بكميته المتراكمة فى الدم ، فهو عندئذ يفلت منها ويخرج عنها الى البـول فيكون له مذاق حلو ٠ ويحدث هذا عادة اذا زاد مقدار الجلوكوز فى الدم عن ١٨٠ ملى جرام فى كل ١٠٠ سنتى متر من الدم ٠

وعندئذ يلتـجيء المريض الى الطبيب للعلاج ، بحقن من الانسولين او غير ذلك ٠

والجسم ، اذا امتنع انتفاعـه بالسكر لغيبة الانسولين ، اتجه الى دهون الطعام يطلب منها الطاقة اللازمة للحياة ٠ وهو لهـذا يؤكسد الاحماض العضويـة التى تدخل فى تركيب الدهون ، ولكنه لا يصل بهذه الاكسدة الى النهاية ٠

فتنتج من هذه الاكسدة الناقصة مواد كيماويـة تعـرف بالكيتونيـة Ketone bodies اذا تركت بلا رعاية طبية ادت بصاحبها الى الموت ٠

ولا بأس ان نضيف الى ما ذكرنا ، ان بعض خلايا الجزر الهرمونية هذه ، جزر لنجرهنس ، تنتج هرمونا آخر ، سموه جلوكاجون ، صرفنـا النظر عن ذكره ، لقلة خطره الى جانب الانسولين ٠

الغدة النخامية

Pituitary gland

سيدة الغدد

هكذا قالوا ، للاسباب الاتية :

اولا : هى غدة صغيرة ، فهى لا تزيد عن حجم الحمصة ٠

وموضعها تحت المخ مباشرة ٠

وهى تتألف من فصين ، اعلى واسفل ، او أمامى وخلفى

والفص الاعـلى او الامـامى Anterior lobe يصنع بضعة هرمونات مختلفة ٠

منها هرمون يؤثر فى نمو الجسم ، او هو هرمون النمو Growth hormone ، وهو يتحكم فى نمو الهيكل العظمى للجسم ،

ومن شأن هذا الهرمون انه اذا اختل انتاجه فزاد مقداره عن المقدار المألوف فى سنوات نمو الجسم ، كبر هيكله ، واعطانا رجلا عملاقا . وقدرأينا فىملاعب السيرك رجالا بلغوا منالطول مترين ونصف متر ، وبلغوا من الوزن ٣٠٠ رطل .

اما اذا زاد مقدار الهرمون الناتج ، والرجل بالغ ، فيظهر اثر ذلك فى ضخامة عظام الوجه وضخامة اليدين والقدمين ، وضخامة الفك والانف وغير ذلك .

واذا هبط مقدار هذا الهرمون نتج عن ذلك رجل قزم ، او بالطبع امرأة قزمة . ولكن اعضاءه متناسبة فيما بينها من

رجلعملاق عملقه الافراز الزائد لهرمون النمو فى الصغر . وامراة قزمة بسبب نقص هذا الهرمون .

★ ★ ★

رجل تضخم وجهه ويداه وسائر جسمه بسبب زيادة افراز هرمون النمو الذى تفرزه الغدة النخامية وذلك بعد تمام نموه .

احجام صغيرة . ولا يفقد القزم شيئا من فطنته الطبيعية على خلاف ما يحدث للعمالقة النخاميين .

ومن هرمونات الفص الاعلى للغدة النخامية هرمون يؤثر فى تطور اعضاء التناسل ، ويؤثر ايضا فى ما تفرزه الخصى فى الرجال ، والمبايض فى النساء .

وهرمون آخر يزيد افراز اللبن فى الثدى .

وآخر يزيد نشاط قشرة الغدد الكظرية .

اما الفص الآخر من الغدة النخامية فيصنع هرمونين ، أحدهما ينظم ضغط الدم ، وينشط العضل الاملس .

والغدة النخامية سميت بسيدة الغدد الهرمونية لانها تتدخل ، على صغرها ، فى عمل غدد الجسم الاخرى، ولكن المعروف اليوم انها هى ايضا تؤثر فيها هذه الغدد الاخرى ، لا سيما الدرقية والكظرية .

وهكذا . انها رقابة .. من فوقها رقابة .. ومن تحتها رقابة ، تجعل حكم الجسم يجرى على حال سوى ما أمكن هذا الحال .

هرمونات الذكر وهرمونات الانثى

الجهاز التناسلى فى الذكر والانثى متعدد الاجزاء ، ومن أخطر هذه الاجزاء ذلك الجزء الذى ينتج فى الذكر الحيوانات المنوية ، وذلك الجزء الذى ينتج فى الانثى البويضات التى تلتقى بالحيوان المنوى ، فتتلقح ، فتنتج فى الرحم الجنين . ومن الجنين يخرج الانسان الطفل الكامل ، ذكرا كان أو أنثى .

والجزء الذى ينتج فى الذكر ،الحيوان المنوى ، هو الخصية ، وللرجل خصيتان .

والجزء الذى ينتج فى الأنثى [illegible] هو المبيض ، وللمرأة مبيضان .

وهذه العملية، هى الأصل فى الاسال. ولكن ليست هى حديثنا الآن .

فموضوعنا الهرمونات . والخصية والمبيض ، ينتجان الى جانب ما ذكرنا ، الهرمونات التى بها يتم النسل ، ويتم على الوجه الأمثل . فالخصية والمبيض اذن غدتان تعملان كذلك عمل الغدد التى ليس لها قناة ، فينتجان الهرمونات ، تلك التى نسميها بالجنسية Sexual hormone وهى هرمونات للأنثى وهرمونات للذكر .

وتعرف الخصية والمبيض بالغدتين الجنسيتين Gonads . وعلى ما ذكرنا لهما وظيفتان مختلفتان : انتاج « بذرة » الأنسال ، وانتاج الهرمونات التى تعين على اكتمال النسل .

هرمونات الانثى

الاستروجين Estrogen

ان مبيض الأنثى يفرز هرمونين شهريين ، هذا أحدهما .

وهو ليس بهرمون واحد ، انما هو مركب من عدة . وله وظائف عدة .

منها انه يعمل على نمو المسالك الجنسية نموا طبيعيا ، وعلى اعطاء الأنثى مظاهر الأنوثة التى تعرف بالثانوية ، كاستدارة الجسم ،واتساع الحوض ،وزيادة الدهن ، وما يتصل بالشعر فى اكثر من موضع .

وجاز عند الباحثين انه الهرمون الذى ينتج الشبق فى الأنثى ، ومن اجل هذا سماه بعض رجال العلم الحاضرين بالهرمون « المودق » ، والجمع « مودقات » ، [illegible] لأنه جاء فى المعاجم « ودقت ذات [illegible] اذا هى طلبت الفحل » ..

ومن وظائفه اصلاح بطانة الرحم من الداخل من بعد حيض ، واعداد الرحم لتقبل بويضة اخرى ، اذا هى جاءت .

ومن وظائفه المعونة فى تطوير غدد اللبن فى الثدى ، واحسان عملها .

الهرمون بروجسترون
Progesterone

هذا هو الهرمون الأنثوى الأساسى وتمرره المبايض فى النصف الثانى من الدورة الشهرية للمرأة .

ومن وظائفه تنمية جدران الرحم اكمالا لما بدأه الاستروجين فى النصف الأول من الدورة، وتحضيرا لزرع البويضة المخصبة فى هذه الجدران ، ليبدأ الحمل . ومن هذا المعنى جاء لفظ Progestrone ومعناه : ما قبل الحمل . وهو فى هذه الدورة يقوم مقام الاستروجين فى اجراء وظائفه ، عندما يقل افرازه ، فى الحفاظ على المسالك الجنسية للجهاز التناسلى ، واظهار الصفات الأنثوية الثانوية فى المرأة .

هرمونات الذكر

وهى تعرف باسم Androgens واسموها بالعربية منشطات الذكورة .

والهرمون الأساسى فيها هو المعروف باسم Testosterone وتعريبه تستوستيرون ، وترجمته هرمون الخصية . تفرزه خلايا فى الخصية خاصة .

وهناك هرمون ثانوى آخر تفرزه خصى اكثر الـ ... انات ذوات الثدى .

والهرمونات الذكرية هى القائمة على تنمية ... تلك الجنسية ، وما يتصل بذلك من غدد ...

وهى ... تحدث الشهوة فى الرجال .

وهى كذلك تقوم على تنشئة ما يتصل بصفات الرجل ، من اعضاء جنسية ، وصفات ثانوية ، تتصل بالوجه والجسم عامة . وتتصل بالشعر ، ومن ذلك الشوارب . والصوت يخشن ويصبح اكثر عمقا .

واذا ازيلت الخصيتان عن الذكر ، من قبل بلوغ ، اختفت فيه مظاهر الرجولة .

تفاعل الهرمونات الجنسية عند اختلاطها

هرمونات الذكورة لها فى الأجسام آثار هى عكس آثار الهرمونات الأنثوية . فالهرمون الذكرى اذا استخدم فى التجارب لحقن الاناث ، اظهر فيها صفات الذكورة، واضعف الأنوثة . فاذا حقنت هذه الاناث بالهرمون الأنثوى عادت اليها انوثتها .

على ان من اجسام الذكور ما ينتج شيئا من هرمونات الأنوثة ، ومن اجسام الاناث ما ينتج شيئا من هرمونات الذكورة . ويقوم الكثير باضاعة أثر القليل ، ومع هذا ، فكثيرا ما نجد نساء مترجلات ، ورجالا مستأنثين فيهم الضعف واللين .

ونعود فنقول : ان عمل هذه الهرمونات جميعا تتدخل فيه رقابة الغدة الهرمونية، الغدة النخامية سيدة الغدد ، وهى تتأثر بها كذلك .

هرمونات اخرى

وفى الجسم هرمونات اخرى غير ذلك، سوف نمس بعضها ، اما عند الكشف عن ابداع الصنعة فى الخلق ، او فى ايضاح لوحدة الخلق من حيث انها وحدة واحدة الهدف ، عندما تشمل ، وعندما تتقاصر .

●●

أحمد زكى

■ نشهد فى السنوات الاخيرة ــ فى البلدان المتقدمة بوجه خاص ــ عناية بمرحلة الطفولة ، فيها من الافراط مايكاد يجنح بها نحو التفريط • ونكاد ننتقل انتقالا مفاجئا ومغاليا من عهد كنا نغفل فيه ثروات الطفولة وامكاناتها ووعودها ، الى عهد تبلغ فيه رعايتنا لتلك الثرواتوالامكانات حد الاساءة للطفولة ، بل حد الغائها وحذفها •

الدراسات المحدثة كشفت عن قدرات هائلة لدى الاطفال

لقد قامت فى العقدين الاخيرين بخاصة،دراسات تترى ، تكشف عن قدرات الطفل الهائلة وعن طاقاته الجبارة التى تتبدى منذ نعومة الاظفار • وبينت تلك الدراسات ــ كما نعلم ــ اننا لم نكن نقدر امكانات الطفل حق قدرها ، وان فى نظرتنا اليه خطا كبـــيرا من الانتقاص لقابلياته وامكاناته فى ذلك الطور المكبر من حياته • واستطاعت تلك الدراسات بحق ان تظهر قدرات الطفل علـــى حقيقتها ــ وان تثبت ان فى وسعه ــ خلافا لما كنا نتصور ــ ان ينال منذ طور مبكر جدا من حياته حظا واسعا من المعرفة اذا نحن عرفنا كيف ننقلها اليه بالطرائق والاساليب الملائمة •

اولم تثبت تلك الدراسات ان الطفل قادر على ان يتعلم كثيرا من الحقائق الحسابية والرياضية منذ السنوات الاولى من حياته ؟ اولم تبين ان فى وسعه ان يتعلم المعادلات الجبرية قبل التاسعة من العمر ، وان يتعلم الضرب على الالة الكاتبة قبل ذلك العمر ، وان يعرف وهو فى رياض الاطفال كثيرا من حقائق الاقتصاد الحديث والعلم الحديث حتى التكنولوجيا الحديثة ؟

مرحلـــة الطفـــولة المبكـــرة هى المرحلة الفضلى لتكوين الشخصية

ولسنا فى معرض التفصيل فيما وصلت اليه الدراسات المحدثة حول قدرات الطفل الهائلة والمبكرة • كما اننا لسنا فى معرض التشكيك فى تلك الدراسات او الانتقاص من شانها •فنحن

من المؤمنين بان الطفل يملك حقا قدرات هائلة سعمة منذ طور مبكر فى حياته ، وان سنوات الطفولة الغضة احفل سنوات العمر بالخصب والعطاء والحيوية ، وان علينا بالتالى ان نعمل على تفتيح قابليات الطفل وامكاناته منذ نعومة الاظفار • بل نحن من المؤمنين ان الطفولة لاتعنى بالتعريف القدرات والطاقات • بل نذهب الى ابعد مزيدا فنقول : ان مرحلة الطفولة المبكرة هى المرحلة التى تتكون فيها شخصية الطفل الاساسية ومواقفه واتجاهاته ونظرته الى العالم ، وهى التى ينبغى ان تتفتح خلالها قابلياته الحقيقية حتى اقصى مداها • ومن خلالها نقوى على بث روح الخلق والابداع فيه ، وعلى تكوين الاتجاهات الخلقية والقومية والانسانية ، وعلى تشكيل المواقف الملائمة لعصر العلم والتكنولوجيا • ولا نغلوا اذا قلنا ان مرحلة الطفولة هى نقطة الانطلاق فى اى تربية سليمة نريد ان نقدمها ، واننا ان فوتناها كدنا نفوت كل شىء فى تربية المواطن • ولا نقول جديدا اذا قلنا ان سنة من سنوات الطفولة تعدل فى طاقاتها وامكاناتها سنوات عديدة فى سن الرشد، وان العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر •

تلك كلها حقائق لاننكرها ، ترفع من شان الطفولة وتبرز مافيها من قدرات هائلة ينبغى ان نعمل على تفتيحها ونظهر ان نقطة البداية فى اى اصلاح تربوى ينبغى ان تكون مرحلة الطفولة المبكرة•ومن هنا كانت تلك العناية المتزايدة خلال السنوات الاخيرة بمرحلة رياض الاطفال بل بالمرحلة السابقة عليها • ومن خلال ذلك ندرك اهمية العناية بالام وبتربية المراة بالتالى•

العناية بالطفولة لاتعنى اغفال منازعها

غير ان العناية بالطفولة وبتفتيح امكاناتها وقدراتها شىء ، وطمس الطفولة ونسيانها وتجاوزها باسم العناية بها شىء اخر • والحد الفاصل بين الموقفين كثيرا مايكون دقيقا وصعبا والانزلاق من احدهما الى الاخر خطر فعلى اخذ يتهدد التربية فى ايامنا •

ومن هنا بدانا نشهد بعض ردود الفعل على العناية المفرطة والخاطئة بالطفولة ، وبدأ بعض الباحثين يدق ناقوس الخطر ، منذرا بتفجير الطفولة كلها باسم تفجير قواها وقابلياتها وقدراتها ·

واذا كانت هذه الظاهرة الخطيرة تاخذ ابعادها الواسعة في البلدان المتقدمة بخاصة ، فان بلداننا النامية ليست في منأى عنها ، بل هي معروضة لمخاطرها دون ان تصيب الكثير من مغانمها · ولعلنا في هذا المجال ـ شاننا في كثير من المجالات الاخرى ـ في موقف من يدفع الغرم دون أن يصيب الغنم ·

فما هي سمات هذا المنزع نحو التفريط بالطفولة نسيانها بدلا من اخصابها والهابها ·

التسابق من اجل تفتيح طاقات الطفل قد يؤدى الى ارهاق الطفولة

ان التفصيل في ذلك قد يستغرق الصفحات الطوال · غير اننا نقول موجزين ان التسابق من اجل تفتيح قدرات الطفل المبكرة والارتفاع بطاقاته الوليدة يكاد يؤدى الى تحميل الطفولة ماتحتمل وما لاتحتمل ، ويكاد يقود الى ارهاق الطفولة بل نسيانها بدلا من اخصابها والهابها ·

ان هذه المنازع المغالية تنسى اولا ان الطفل ينبغي ان يعيش طفولته ، وان الاستمتاع الكامل بالطفولة شرط لازم لبلوغ الرجولة الحقة · وهي تنسى بعد ذلك ان امكانات الطفل وقدراته ليست كلها امكانات وقدرات عقلية ، وان فيها جوانب عاطفية وجمالية وخلقية لاتقل اهمية عن سواها· وهكذا نراها تنطلق انطلاقا محموما نحو تعليم الطفل منذ طور مبكر جدا مبادىء القراءة والكتابة والحساب ، واصول الكثير من المعارف الانسانية الحديثة · وهكذا نراها تحرص على تعليم هذه المبادىء منذ السنة الثانية او الثالثة من العمر في بعض الاحيان ، وتصطنع شتى الاساليب والوسائل لتجعل منه طفلا متفوقا وهو ما يزال في المهد · ولا نغلو اذا قلنا ان الكثير من الاباء يريدون ان يعدوا طفلهم للجامعة وهو بعد في ميعة الصبا ، وان « عصاب » دخول الجامعة ودخول الفروع الصعبة فيها يسيطر على تعاملهم مع اطفالهم منذ الصغر · انهم ينسون ـ ... هذا الهدف النفعي ـ حاجات الطفولة ومط...بها ، وتخيم على سلوكهم مع اطفالهم نزعات النجح والفعالية التي تخيم على عصرنا الحديث كله ، وتقودهم منازع النضال من اجل الثروة والجاه ، فيلقون اعباءها على اطفالهم ، ويوكلون امرها اليهم · وقد بلغت هذه المنازع حدودا غير معقولة في مثل الولايات المتحدة فمما نعثر عليه في بعض المحلات التجارية هناك « فوط » للاطفال الصغار طبعت عليها عبارات كالآتية : « ارجوك يا ماما ، علميني ان اقرأ » وقد استطاعت احدى المؤسسات هناك ان تبيع خلال ايام معدودة زهاء سبعين الف نسخة من « طريقة جديدة لتعليم القراءة » بدءا من الشهر السادس من العمر ! ومن المنشورات التي ذاعت وشاعت منشور بعنوان « امنحي طفلك دماغا هائلا » ، وفيه نجد التعليمات مفصلة تبين كيف نستطيع ان نجعل الطفل قبل السنة الخامسة من عمره يقرا مائة وخمسين كلمة في الدقيقة ، ويقوم سريعا بعمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة ، ويفهم نظام الكسور ومبادىء الجبر ·· ومن المشروعات القائمة هناك مشروع تبلغ تكاليفه مليون دولار يستهدف شراء « آلات » تتكلم وتقرأ وتكتب وتعرض صورا وتتيح انماطا عديدة من التمرينات والالعاب · وكلفة كل آلة للالون الف دولار والهدف منها ـ في ذهن اصحاب المشروع ـ ان تستخدم من اجل تعليم الاطفال بين السنة الرابعة والعاشرة من العمر · هذا اذا لم نذكر مئات من مختبرات البحث القائمة في الولايات المتحدة ، وضعت هدفا لها دراسة « وسائل تعجيل عملية التعلم » او نعجب بعد هذا كله اذا قرانا وسمعنا ان بعض دور الحضانة هناك تضطر الى ان تقدم للاطفال الصغار « حبوبا مهدئة » ؟

العقل الانساني ليس آلة هدفها زيادة النتاج باى ثمن

ولا نغلو اذا قلنا ان عصر العلم والت...ولوجيا ـ رغم فضائله الهائلة ـ كاد يقود بعض ...ربين ـ ولا سيما في البلدان المتقدمة ـ الى ان ين... وا الى العقل الانساني نفسه نظرتهم الى آلة ... ون ان نستخرج منها اكبر مردود ممكن في ا... ع وقت ممكن ·

ولسنا – مرة اخرى – ضد العناية باستخراج طاقات العقل الانسانى حتى مداها · بل نحن ندعو الى ذلك · غير أن استخراج هذه الطاقات لا يمكن ان يتم من خلال هذه الحمى التى تدفع بعض المربين وبعض الآباء الى ان يجعلوا من الاطفال عباقرة وموهوبين قبل الاوان ، والتى تجنح بهم الى اغراق الطفل منذ الصفر وعبر رحلته المدرسية الطويلة باكبر زاد من المعرفة والى تحويله الى آلة تحصيل ودرس، ولو كان ذلك على حساب نمو شخصيته وطباعه وعواطفه ·

ان الخوف من الفشل ومن الرسوب يرهق الآباء كما يرهق الابناء ، بل هو يؤدى عند هؤلاء فى النهاية الى الفشل الفعلى · وان الرغبة فى التفوق تقود الآباء الى ان يحبسوا اطفالهم سنوات طوالا فى سجن عقيم ، وتجرهم الى عزل هؤلاء عن الحياة من حولهم ، والى تكوينهم بالتالى تكوينا صنعيا،كما تتكون فراخ الطير فى « الحاضنة الصنعية » وان الغلو فى تبنى المنازع العلمية يؤدى بالآباء والمربين الى سلوك يقيم هوة كبيرة بين العقل وبين الشعور ، بين الفكر وبين الحياة ، بين الانسان وبين اطاره الانسانى الفنى المتكامل ·

وهل نستطيع ان نقبل ان يكون هدف المدرسة تنمية القدرات الفكرية وحدها ؟ هذا ان صح جدلا ان فى وسعنا ان ننمى هذه القدرات تنمية حقة عن طريق مثل هذا التسابق على اقتناء المعارف التى تدعى اساسية ·

وهل يصح ان نسلم بان المجتمع يتكون فى النهاية عن طريق التكنولوجيا والمعرفة العلمية وحدهما ؟ وهل تبيح لنا مبادىء التربية السليمة ان يكون شعارنا عبادة الرياضة الفكرية والعبودية للعلم والتكنولوجيا ، متناسين ما وراء ذلك كله من قيم انسانية لا بد ان تكون الهدف الاساسى والنهائى لتربية الانسان ؟

وفوق ذلك وذاك، لماذا نعنى بان يستمتع الراشد بالراحة والفراغ والمتع الفنية والاجتماعية ، ونحرم منها الطفل على الطفل ، باسم المستقبل وباسم النجاح والتفوق ؟ وهل ننسى ان النجاح والتفوق لا يتأتيان من خلال تربية تقتل امكانيات الطفل من خلال ارهاقه وتخويفه ودفعه الى السباق من اجل التفوق ؟ هل ننسى ان النجاح فى الحياة وليد الشخصية المتوازنة المتكاملة ، والطبع الذى يعرف الحياة فى وفاق مع نفسه ومع الآخرين ، والبنية النفسية التى تفتحت جوانبها المختلفة ؟

الآثار السيئة للغلو فى استغلال الطفولـــة

ان النتائج السيئة لمثل هذه النزعات المغالية بدات تظهر ، وهى خير ما يفضح بطلانها : فالفشل المدرسى هو من ابرز نتائج هذه النزعات التى يوجهها فى الاصل الخوف من الفشل · ولا غرابة اذا وجدنا ان معدلات الفشل المدرسى فى الاوساط التى تاخذ بمثل هذا الاتجاه آخذة فى الازدياد ، كما تدل كثير من الدراسات فى البلدان المتقدمة ·

واولئك الشبان الذين ينجح الآباء والمعلمون – بعد لأى وجهد – فى ان يخلقوا منهم علماء صغارا – والذين يجدون بسهولة مكانا لهم فى الجامعة كما رغب آباؤهم ،هم فى معظم الاحيان – كما تدل دراسات عديدة – شبان يشكون من اضطراب فكرى ونفسى ، ويتعرضون لازمات خلقية ويتعاطون المخدرات الخطيرة · وهم على اقل تقدير شبان عاجزون غالبا عن ان يحكموا على حياتهم الشخصية حكما ناضجا ، وعاجزون عن فهم مجتمعهم وعن اقامة علاقات سليمة فى اطار عملهم ومهنتهم ·

وهل نعجب بعد ذلك اذا وجدنا – فى البلدان المتقدمة بخاصة – ارتفاعا واضحا فى معدلات الانتحار لدى الشبان ، واذا شهدنا بينهم الكثير ممن ينصرفون الى السرقة والمجون والانحرافات الجنسية ؟ ولا نقول ان هذه الاعراض والامراض المغالية تزيد من حدتها دون شك وتهيىء لها تربية مؤاتية ·

نحو فهم سليم للطفولة فى بلادنا

وبعد ، ان مجتمعاتنا النامية ، وهى تقبل على بناء كيانها التربوى السليم ، لا بد أن تعى هذه المسالة ، وان تفيد من الدروس البليغة التى تقدمها لنا فى هذا المجال تجارب الدول المتقدمة · ان عليها ان تعنى بالطفولة وطاقاتها وقدراتها ، وان تنطلق منها لبناء الانسان الجديد · وان عليها ان تقدر تلك الطاقات حق قدرها وان تحرص على ان تجعل من طور الطفولة ، منذ بواكيره ، الطور

الذى تتكون فيه اتجاهات المواطن وشخصيته ، والذى تتفتح فيه طاقات الابداع وامكانات الخلق والابتكار ومنازع التغيير والتجديد . غير ان عليها في الوقت نفسه ان تفهم هذا المطلب فهما سليما ـ والا تقع في ضروب الغلو التى وقعت فيها بعض البلدان المتقدمة ، حين جنحت الى تحطيم الطفولة باسم الافادة الكاملة من امكاناتها ، وحين اوشكت ان تخنق قدرات الطفولة باسم تعهدها ورعايتها . ان لتعهد الطفولة شروطا ينبغى الا تنسى ، وان لرعاية القدرات مبادىء واصولا لا يجوز ان تهمل . والتعهد السليم للطفولة يعنى تعهد كل ما فيها واخصاب قواها وطاقاتها جميعها واغنائها كلها . انه يعنى اولا وقبل كل شىء ان نفتح الطفولة وقدراتها من خلال حاجات الطفولة ومطالبها ، والا نضحى بتلك المطالب والحاجات عن طريق تعجل الآمال التى نعقدها على الطفولة .

ان آثار تلك النزعات المغالية التى تردنا من الغرب بدأت تظهر عندنا . بل هى تظهر ، كما قلنا منذ البداية ، دون ان تصاحبها ما فى تلك النزعات من ظواهر ايجابية فى الاصل . اننا ننقل ما فى تلك النزعات من حرص مبكر ومفرط على تحميل الطفل فوق ما يحتمل ، وعلى ان نجعل منه « لجة علم » كما يقول « مونيتنى » وان هوس النجاح المتفوق فى الشهادات الرسمية ، ومعه هوس الاعداد لدخول الجامعة ، يغزونا ويربكنا ، ويثقل على حياتنا وحياة ابنائنا . ويزيد فىخطورة هذا الهوس انه يتخذ مجراه فى اطار بنية تربوية تقليدية ، تهتم اصلا بالتلقين والحفظ ، اكثر من اهتمامها باى شىء آخر . يضاف الى هذا كله ان التسابق على تكوين الطفل المتفوق فى ذكائه وقدراته ومعارفه ، يتم فى البلدان المتقدمة عن طريق وسائل تربوية معدلة قد تخفف من مخاطر الغلواء . اما عندنا فتسود التربية الطرائق التقليدية التى نعرفها ، ومن هنا فان مطلب النجاح والتفوق يؤدى الى مزيد من الارهاق القتال . ولا نزعم ان علاج مثل هذا الداء الوافد ممكن ان يتم عن طريق الآباء وحدهم بل لا بد ان يكون سبيله تطوير نظام التربية كله ونظام الامتحانات بخاصة . غير ان من الهام ان يدرك الآباء اولا اى خطر يعرضون له ابناءهم حين يتساهلون مع تلك الحمى التى تغزو بلادنا كما تغزو العصر . واخطر ما فى تلك الحمى انها تغزونا باسم العلم وباسم المعرفة وباسم التقدم .

وهل لزام علينا ـ بعد هذا كله ـ ان ننقل الصيغ التربوية المجلوبة وان نعيد على حسابنا تجارب الدول الاخرى ، بمحاسنها واخطائها ؟ الا يتوجب علينا ان نولد نظاما تربويا سليما ، ينبثق من حاجاتنا وواقعنا ، ويفيد من تجارب الامم الاخرى ، دون ان ينقلها نقلا حرفيـا ، بعجرها وبجرها ؟

واذا كان مثل هذا الموقف لازما فى مجالات التربية جميعها ، فهو فى هذا المجال الذى نتحدث عنه ، مجال الطفولة ، الزم واوجب . ذلك ان منطلق التربية السليمة عندنا لا بد ان يكون ـ كما قلنا ونقول ـ مرحلة الطفولة نفسها . فاذا نحن افسدناها عن طريق صيغ مجلوبة او ادواء اصابت تجـارب البلـدان الاخـرى ، واذا نحن حطمناها عن طريق الفهم الخاطىء لتكوين الانسان، نعنى الفهم الآلى الميكانيكى الذى يجعل منه آلة انتاج ، حطمنا لا محالة آمال التطوير التربوية ومن ورائه آمال التطوير الاقتصادى والاجتماعى .

اننا احوج ما نكون الى تربية تنمى الطفولة وتفيد من امكاناتها الهائلة ، من خلال حاجات الطفولة نفسها ومطالبها،ومن خلال اهداف التربية المتكاملة . ان للطفولة ـ رغم كل شىء ـ منطقها وطبيعتها ، ومن ذلك المنطق لا بد ان ننطلق ، وعن تلك الطبيعة لا بد ان نصدر . وان الايمان بقدرات الطفولة الكبيرة ، لا يعنى ان نعامل الطفل منذ الصغر معاملتنا لراشد صغير . انه لا يعنى اننا امام « وعاء علينا ان نملأه » بل يعنى « اننا امام موقد علينا ان نلهبه » كما قال « سينيكا » منذ القديم . والهاب الموقد لا يكون الا بافساح المجال امام اهتمامات الطفل المختلفة ، وبتفتيق قدراته الذاتيـة تفتيقا حرا ، وبارواء منازعه النفسية العديدة من اجل تمكينه من القيام بالدور الاجتماعى الذى ينتظره . انه لا يكون الا بانتهاج اسلوب تربوى متكامل ، يجعل من فهم البنية البيولوجية والنفسية والاجتماعية للطفل المتكا الذى نتكىء عليه فى سبيل بنائه بناء يجعله قادرا على ان يقدم اكبر عطاء لمجتمعه . ■■

عبد الله عبد الدائم

مادة جديدة
للحريق عازلة

● المواد العازلة للحرارة والرطوبة وغيرها كانت دائما موضع اهتمام العاملين في صناعة البناء .. وهي كثيرة في الاسواق ، ومنها ما هو طبيعي ، ومنها ما هو اصطناعي ، صنعوه من مواد بلاستيكية او خلافها .

والظاهر ان التعاون بين بعض الشركات الانجليزية والاميركية قد ادى الى صنع عازل جديد يمتاز بمقاومته للحريق ، وتفوقه على سائر المواد العازلة المعروفة ، من حيث العزل نفسه، وهو يبلغ في العازل الجديد حوالي ضعفي ما هو عليه في المواد الاخرى .

والعازل الجديد هذا رغوة يستخرجونها من مادة Isocyanurate ويصنعون منها الالواح التي تغطى بها سطوح المنازل. وهذه الالواح تقاوم طائفة كبيرة من المؤثرات الجوية ، ويمكن صنعها طرية كاللدين ، او قاسية كالحديد . ثم ان لها مزايا اخرى ، منها السرعة الفائقة التي يتم بها صنعها ، وقلة التكاليف التأسيسية التي تحتاج اليها . فالمكابس الكبيرة ذات الضغوط العالية والاثمان الباهظة غير ضرورية في صناعة هذه الالواح العازلة الجديدة .

حبوب منع الحمل
للرجال

● حبوب لمنع الحمل جديدة .. يتناولها الرجال فتمنع الحمل في الزوجات .

ولا يخفى الباعث على البحث عن حبوب او طرق لمنع الحمل جديدة .. فالحبوب القديمة التي تتناولها النساء تترك آثارا جانبية خطيرة ، ما زال العلماء يكتشفون المزيد منها .

والحبوب الجديدة التي نحن بصددها والتي ما زالت قيد التجارب يقوم بها عالمان يعملان في مستشفى الفرد في مدينة ملبورن في استراليا هما الدكتور ميشيل Dr. Michael والدكتور ماكسين بريغز Dr. Maxine Briggs . وقوام هذه الحبوب هرمونان رئيسيان هما هرمون الاستروجين Oestrogen الانثوي ، وهرمون الاندروجن Androgen وهو هرمون ذكورة . والقصد من تلك الحبوب وقف افراز الحيوانات المنوية في الرجال بحيث يصبح السائل المنوي فيهم غير مخصب ، وتصبح زوجاتهم بالتالي في منأى عن الحمل .

وبدأ العالمان تجاربهما في اواخر السنة الماضية، سنة ١٩٧٤ ، واعتمدا فيها على احد المركبات الهرمونية التي تحتوي الهرمونين اللذين ذكرنا ، وهي كثيرة في الاسواق . واختارا لتلك التجارب الاولى

رجلين استمرا في تناول المركب الهرموني بضعة شهور ٠

واثبتت الفحوص بعد ذلك ان كلا الرجلين عقيم،وان كبديهما لم يتأثرا،بل كانا يقومان بوظائفهما على نحو سليم ٠ وهذا يعني ان المركب الهرموني اعطى النتيجة المرجوة دون ان يترك آثارا جانبية او يعود بأضرار ، باستثناء بعض التوعك الذي شعر به الرجلان في البداية ٠

ومضى العالمان فيابحاثهما وتجاربهما ، وتبين لهما ان النتائج المتوخاة ، يمكن الحصول عليها منمركب هرموني يصنعونه بحيث لا تزيد محتويات الحبة الواحدة منه على :

٢٠ ميكروجرام من هرمون الانوثة (اى ٢٠ من مليون جزء من الجرام)

١٠ مليغرام من هرمون الذكورة (اى ١٠ من الف جزء من الجرام)

ثم جرب العالمان هذا المركب في خمسة من المتطوعين، الذين راحوا يتناولون تلك الحبة مرتين في اليوم ولمدة ٢٤ اسبوعا ٠

وبعد مضى ٩ اسابيع توقف افراز الحيوان المنوى في اربعة من اولئك المتطوعين ٠٠ اما الخامس فقد احتاج الى ١٥ اسبوعا ٠٠ واجريتالفحوص للخمسة لدى انتهاء فترة التجربة (٢٤ اسبوعا) فلم يظهر ان ايا منهم قد اصيب بأضرار فيكبده او تعرض لأى آثار جانبية اخرى، بسبب تلك الحبة ، ما عدا التغير الطفيف الذى طرأ على شهوتهم الجنسية ، والذى ما لبث ان زال ٠

وتبين للعالمين ايضا ان اثر الحبة غير دائم ٠ فالعقم الذى تحدثه في الرجل مؤقت ، ولا يلبث ان يزول ، فيعود الى الرجل اخصابه ، وذلك في غضون ١٥ اسبوعا بعد التوقف عن تناول الحبوب ٠

نفق المانش
انصرفت انجلترا عن بنائه

● تراجعت بريطانيا وقررت في مطلع السنة الحالية ايقاف العمل في مشروع نفق المانش ، ذلك النفق الذى استهدف الوصل بين بريطانيا وفرنسا ، والذى تم الاتفاق على شقه بين الدولتين في اواخر سنة ١٩٧٣ ، (انظر العدد ١٨٤ مارس ١٩٧٤ من « العربى ») ٠ ويعجب المرء لتراجع بريطانيا هذا لا سيما وان مشروع النفق قد اجتاز مرحلة الدراسات والتجارب ، وهي مرحلة باهظة التكاليف، كما لا يخفى ، ودخل مرحلة التنفيذ والتحقيق ٠ وحسبنا ان نشير الى ان اعمال الحفر والشق بدأت فعلا علىكلا الشاطئين، وان ما انجزت بريطانيا حفره وشقه من النفق بلغ نحو ٣ كيلو مترات ٠

اما سبب التراجع ، فتعزوه حكومة العمال وانصارها الى حالة بريطانيا الاقتصادية المتدهورة ٠٠ والى النفقات الهائلة التي يتطلبها مشروع النفق والتى تضاعفت تقديراتها اضعافا في الشهور الاخيرة بسبب التضخم والغلاء ٠٠ ويرى آخرون ان العوامل الاقتصادية لا يمكن ان تحول دون تنفيذ مشروع كهذا تم اقراره من بعد دراسات وافية ومشاورات طويلة اثبتت فيما اثبتت انه مشروع مربح ٠٠ ويؤكد هؤلاء ان تراجع حكومة العمال البريطانية عن المضى في تنفيذ المشروع انما له صلة وثيقة بموقف هذه حكومة المتردد من عضوية بريطانيا في السوق الاوروبية المشتركة ٠

صفقة القرن العشرين

● الطائرة الامريكية المقاتلة الحديثة ى ف ـ ١٦ هى بلا جدال احدث الطائرات المقاتلة فى الولايات المتحدة الامريكية · وقد اقدم الجيش الامريكى فى مطلع هذه السنة على شراء ٦٥٠ طائرة من هذه الطائرات التى تصنعها مصانع General Dynamics الامريكية ، وذلك بقصد التحديد ، تجديد العتاد والسلاح الذى تعمد اليه الجيوش الحديثة بين حين وآخر ·

وقل مثل ذلك فى جيوش حلف الاطلسى· فقد اتفقت اربعة من دول هذا الحلف ، هى بلجيكا، والدانمارك وهولندة والنرويج، اتفقت على توحيد طائراتها ، وراحت تبحث عن طائرة مقاتلة حديثة تشتريها ، لتحل محل طائراتها القديمة · اى انها قررت تحديد طائراتها المقاتلة وتوحيد تلك الطائرات بحيث يصبح لدى اساطيلها الجوية طراز واحد منها ·

وكانت طائرة الميراج الفرنسية طراز ف ١ ـ م ٥٣ FI/M53 ، فى طليعة الطائرات التى اولتها تلك الدول اهتمامها · ولا عجب ·· فطائرات الميراج التى تنتجها مصانع دسو Dassault طائرات مجربة، وقد حظيت بأعظم تقدير فى مشارق الارض ومغاربها · ثم انها مصنوعات اوروبية ، وقد بدأت دول اوربا الغربية مؤخرا تنزع الى الحد من اعتمادها على الولايات المتحدة ، وتحرص على شراء المصنوعات الاوروبية بدلا من الامريكية ، ما أمكنها ذلك ·

وهكذا قامت منافسة شديدة بين طائرة الميراج الفرنسية هذه، والطائرة الامريكية المقاتلة التى ذكرنا · ووضعت الطائرتان موضع التجربة الفعلية طيلة شهور · ثم كانت الصفقة، صفقة القرن كما سموها· فقد اقدمت الدول الاربع على شراء ٣٥٠ طائرة من الطائرات الامريكية YF-16

ولا ريب ان لفارق الثمن الكبير بين الطائرتين أثرا · اذ يبلغ ثمن طائرة الميراج بالطراز الذى ذكرناه ٥ر٥ ملايين دولار للطائرة الواحدة ، بينما لا يزيد ثمن الطائرة الامريكية المقاتلة YF-16 على ٥ر٤ مليون دولار · واليك فيما يلى مواصفات هاتين الطائرتين :

الطائرة الامريكية ى ف ١٦

المصانع	General Dynamics
الطول	٤٧ قدما
العرض الأقصى	٣٠ قدما
الوزن	٢٠٠٠٠ رطل
السرعة القصوى	٢ ماك
الثمن	٥ر٤ مليون دولار
مجال القتال	٥٠٠ ميل
الاسلحة الملحقة	صاروخان (In fra-ne مدفع واحد ٢٠ ملم (Gatling gun)

طائرة الميراج ف ١

المصانع	Dassault
الطول	٤٩ قدما
العرض الأقصى	٢٨ قدما
الوزن	٢٥٠٠٠ رطل
السرعة القصوى	٥ر٢ ماك
الثمن	٥ر٥ مليون دولار
مجال القتال	أكثر من ٥٠٠ ميل
الاسلحة الملحقة	صاروخان جو/جو مدفعان ٣٠ ملم

حفل عشاء فى الهواء الطلق .. اللحم المشوى هو الطبق الرئيسى وبقايا اسوار الكويت القديمة تسبح تحت الاضواء . وبرامج للتلفاز الملون تجمع بين الثقافة والتسلية ونار غاز البترول لا تنطفىء ابدا .. علامة مميزة للكويت حديثة الناهضة .
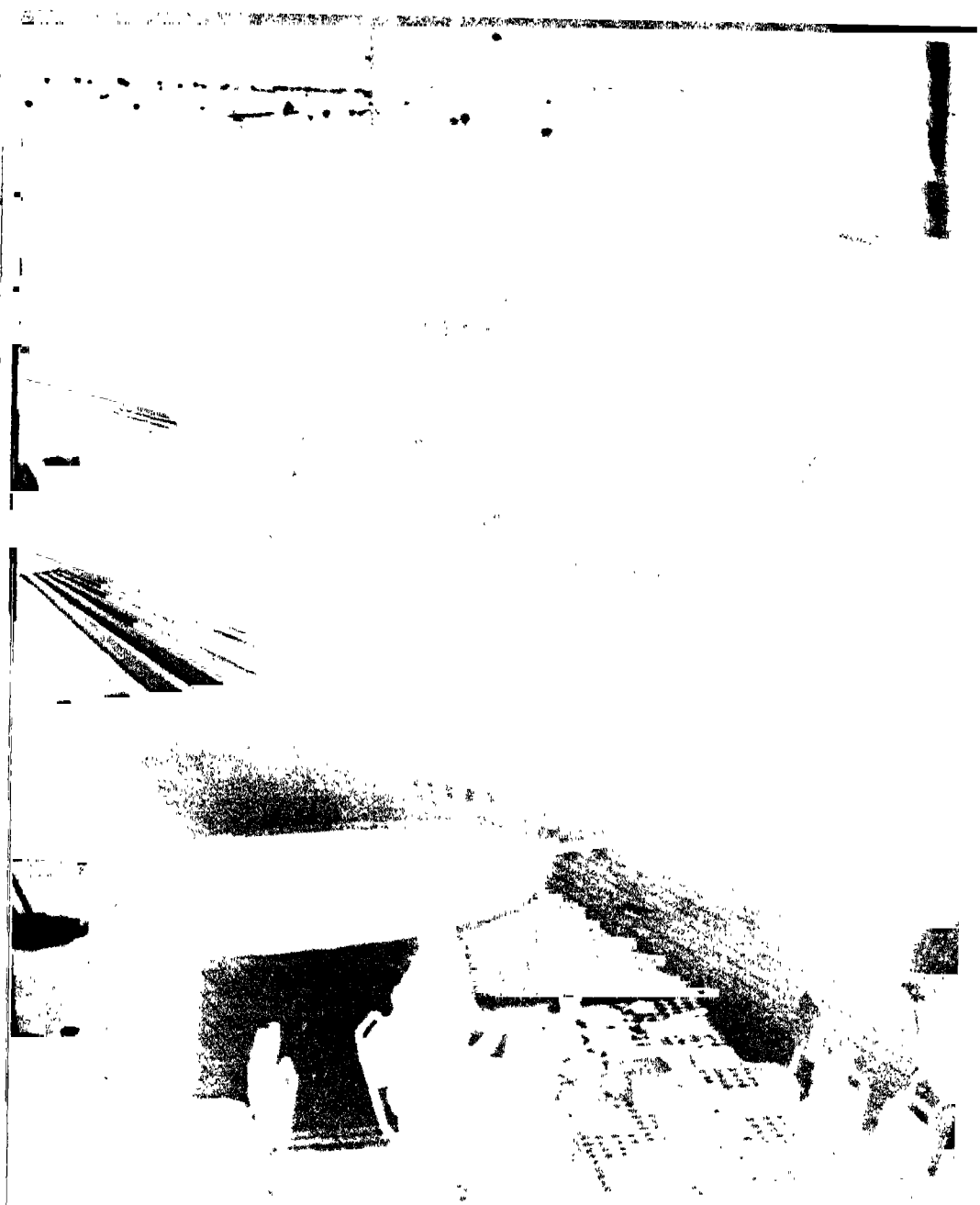
تصویر : أوسکار متری

■ الليل للسهر والسمر والحكايا في الديوانيات ·· والليل للترويح والتر ه بعد المعاناة ·· والليل للراحة والاسترخاء والنوم بعد تعب النهار ·· والليل للعش ق والمحبين الذين لا يعرفون النوم لانهم لايعرفون اليقظة ·
ولكن ·· الليل ايضا للعمل ·· فبعض الناس ليله نهار ·· ونهاره ليل ··

★★★

مرت السنوات العجاف واقبلت سنوات الخير والنعم ·· فسلكت الكويت دروب النهضة واجتازت فترة المراهقة ·· وبلغت اليوم مرحلة النضوج ·· اشبه بنضوج الفتاة التى تتميز بالجمال والسحر الحلال ودخلت عصرا ذهبيا جديدا من الابداع والحيوية والقوة واشرق ليل الكويت بالضياء بعد العتمة ، وامتلأ بالحياة والنشاط والحركة بعد السكون والنوم ·

تعالوا معنا نجوب كويت الخير ليلاً

الساعة الآن جاوزت التاسعة مساء ·· تعالوا معنا نزر المدينة التى لم يمض على انشائها أكثر من خمسة عشر عاما ·· تعالوا نعش حياة الليل فى الكويت ·· تعالوا لنراها معا ·· تخلع المدينة فى الليل رداء العمل وتعود الى طبيعتها نشوانة تتحلى كعروس فى ليلة الزفاف تسبح فى شلالات من الضياء وتستحم فى ينابيع من الالوان زاهية بديعة ·· وعلى ضفاف شواطئها الطويلة الممتدة يحتضنها الخليج على طول طريق « الكورنيش » بحنان وحب وفى حراسة هذه الصفوف المتراصة من أعمدة الكهرباء التى تشع منها أنوار مصابيح الزئبق والصوديوم فتعكس اضواء بيضاء وصفراء فى خطوط متسلسلة لامعة يراها الرائى من بعيد كعقد من الماس المتالق ·· يلف المدينة لفا ويغمرها نورا وبهجة ·

ويمضى الطريق بعيدا بعيدا فقد اتسع فى السنوات الاخيرة العمران وازدهرت حركة البناء والكويت من المدن التى يتحدد فيها ارتفاع المبانى الى علو معين لا يتجاوزه فامتد العمران افقيا وشيدت الاحياء النموذجية الكثيرة تشقها طرق عريضة فسيحة ذات ثلاث او اربع مسارات تجرى فيها السيارات مسرعة ، فطابع الحياة اصبح يتسم بالحركة والنقل السريع ، وكلما ازداد ثراء الناس زاد عدد السيارات التى يمتلكونها فتزدحم الطرقات ، وعند مفارق الطرق ينظمون السير باشارات ضوئية تعمل الكترونيا ·· ويعلقون بجوارها لوحات لارشاد الراجلين والركاب وتنعكس عليها اضواء السيارات ليلا فتضيء ، فيعرف الكل الطريق الى مبتغاه ·· وتزدحم الاسواق باعداد متزايدة من السيارات كل ليلة ·· فاين تقف كل هذه السيارات ؟ ان مواقف السيارات صغيرة المساحة اذا قورنت باعداد السيارات المتزايدة وتشكل ضياعا للارض بسبب ارتفاع اسعار اراضى البناء فى وسط المناطق التجارية · واخيرا وجدت شركة العقارات الكويتية الحل لهذه المشكلة وهو يتمثل فى بناء مواقف للسيارات عمودية فى طوابق عديدة ··

حتى التاريخ لم ينسوه

وفى غمرة زحف العمران السريع لم تنس الكويت الماضى القريب حينما شيد الاجداد لضروارات دفاعية سورا حول المدينة القديمة يحميها من غارات المغيرين ولم يبق من هذا السور التاريخى القديم الا بواباته الاربعة : المقصب والجهراء والشامية والشعب ، فابقوا عليها رمزا لكفاح وتعاون القدماء ، ولانها جزء من تاريخ الكويت ، والتاريخ لا ينسى · ولم يكتفوا بهذا فقد اقاموا حولها الحدائق ونسقوا ا هور وسلطوا عليها الانوار الكاشفة ليلا فا بحت وكانها نصب للجنود المجهولين الذين ضحو فى الزود عن وطنهم الصغير ·

وعلى جانبى الطرق غرست الاشجار و ليت المساحات المستطيلة بين نهرى الطريق بال س الاخضر ونمقت فى وسطها احواض ال ود

في الليل تسبح المدينة في الاضواء وتشع انوار المصابيح ويراها الرائي من بعيد كعقد من الماس المتألق .

والرياحين ، وفي الحنايا اقاموا النافورات المضيئة ينساب منها الماء كشعلة من الضياء تنعكس عليها الانوار ليلا بالوان زاهية جميلة ، ويلتف حولها الناس . يتاملون الجمال من حولهم والبشر يملأ نفوسهم .

اسواق الكويت في الليل

والحياة في الطرقات ظهرا تنام وكانها تاخذ راحتها وقت القيلولة وخاصة في حر الكويت القائظ ، ثم تبدأ هادئة متمهلة وقبيل الغروب تنقلب الى دوامة من الناس والسيارات الراكضة وتتسارع نبضات الشوارع وينزل اليها سكان الكويت من اهل البلاد ومن الوافدين اليها من بلاد شتى .. من البلاد العربية الشقيقة ومن ايران والهند وباكستان ومن غيرها وتستطيع ان تلمس بوضوح ملامح هذا الطابع الدولي لهؤلاء السكان والوافدين ضيوفا وهم يقبلون على الاسواق يشترون الكثير من معطيات الحياة العصرية ومن ثمرات التقدم التكني من الاجهزة الالكترونية والساعات السويسرية الى احدث موديلات السيارات الاوروبية والامريكية والى اخر مبتكرات باريس وروما ولندن من الازياء والمنسوجات والعطور فالكويت سوق مفتوح على العالم شرقيه وغربيه .. وقد تفنن التجار في عرض بضائعهم وتنسيق محلاتهم وتوزيع الاضواء ، ونمت الاسواق نموا عظيما في السنوات الاخيرة فتعددت وتنوعت وارتفع ذوق زخرفتها واحتضنتها الانوار والالوان الزاهية الخاطفة للابصار ، واصبح التنافس بينها واضحا ، فلجات لفنون مختلفة من الاعلانات واللوحات المضيئة بالوان الطيف الساطعة .

هذه صورة من صور الليل في الكويت ..

وننتقل من الشوارع الفسيحة والاسواق التي تعج بالناس ليلا ، الى الاحياء النموذجية التي تتكون منها مدينة الكويت .. وتمر عليها بالليل فترى المباني العصرية ، والفلات الانيقة وقد انبعثت منها الاضواء الجميلة من الداخل حينا ومن الخارج حينا وكثيرا ما يدور النور احزمة حول المنازل في اشكال فنية بديعة وكانما هي فرح دائم قائم .

الشواطيء بعد الغروب

ثم ماذا . ؟ اننا نصطحبك معنا بعد جولتنا هذه في طرقات المدينة واسواقها واحيائها لنذهب الى شواطيء الكويت في ضاحية السالمية وفي القرى التي تليها حيث نرى هؤلاء الذين يجتذبهم

البحر ليلا ٠٠ البحر الذى كان دوما جزءا من حياتهم ٠٠ فنراهم يقفون ويتطلعون الى الافق الهادىء المترامى ٠٠ منهم من استاجر « شاليه » من الشاليهات العديدة المنتشرة ومنهم من افترش رمال الشاطىء الناعمة كلهم يستمتعون بقضاء امسياتهم ويتلذذون بتناول شرائح الشواء الساخن على الفحم المتوهج ٠ وكثير من اهل الكويت يحمل فى حنايا صدره حنين الاجداد الى ركوب البحر ، فهو يمتلك زورقا يجره خلف سيارته الى مياه الخليج حيث ينساب فوق مياهه الصديقة وقد امسك مشعلا كهربانيا لاتكاد الاسماك تراه حتى تعوم حوله فيصطاد منه ما يكفيه لوجبة شهيه ٠ كل ذلك فى الليل ٠

الخروج الى البر

تحدى الكويتيون جفاف الحياة فى الصحراء التى تحملتها اجيال كثيرة مضت بشجاعة وما زال يحن اليها كبارهم فى السن ٠ ان حنينهم الى هذه الحياة يملأ قلوبهم فى الربيع نهارا وفى الصيف ليلا ٠٠ واهل الكويت اليوم يمكنهم التمتع بجو الحياة الخلوية فىالصحراء ٠٠ تلك التى تضاءلت مشاقها بفضل توفر اسباب الراحة فقد اصبح فى استطاعة الكويتى أن يذهب الى الصحراء حاملا معهأسباب الرفاهية الى أعماق الصحراء فهو يحمل معه جهاز التلفاز الملون ومبرد المياه يمده بالماء المثلج وأطايب الطعام ، كما يستطيع ان يحمل معه مولدا صغيرا للكهرباء يغذى ادوات المتعة هذه ويمده بالنور ليلا ٠٠ حتى الصحراء لم يعد يلفها الظلام فى ليل الكويت اليوم ٠

التلفاز

والليل فى محطة تلفاز الكويت نهار ٠٠ يبدأ الارسال مع غروب الشمس لقد أصبح للتلفزة الكويتية شعبية كبيرة فهى تاتى فى المقام الاول بين أسباب الترفيه وأن أكثر البيوت فى الكويت لديها على الاقل جهاز تلفاز واحد وبعضها يمتلك جهازين أحدهما قديم يعرض الصور بالابيض والاسود والآخر جديد يعرضها بالالوان الطبيعية ٠ وفى كل مساء يدير المواطن مفتاح جهازه المفضل للاستماع الى نشرة الاخبار ليعرف ما حدث فى الكويت وفى العالم من أحداث ، وترافق نشرة الاخبار تغطية مصورة للاحداث وتشمل النشرة أخبارا رياضية ومقتطفات مصورة للمباريات الرياضيةالهامة وكذلك بيانابحالة الطقس ورحلات الطيران والصيدليات التى يستمر عملها طوال الليل ٠ وتنوعت برامج الثقافة والترفيه فى التلفاز وتلعب التلفزة الكويتية دورا كبيرا فى الاسهام فى عرض آراء الكثيرين من أصحاب الرأى فى مشاكل الساعة وقضاياها وفى مقدمتها القضية العربية وقضايا التنمية الاقتصادية ، وذلك فى شكل ندوات يقدمها اساتذة الجامعة وغيرهم وهكذا تحاول التلفزة الكويتية أن تجمع بين البرامج الخفيفة التى توفر للبعض تسلية مريحة وسهلة ليتفادوا الملل والضجر خلال ساعات الليل الطويلة التى يحلو فيها السهر ٠

تكثر المكالمات التلفونية الخارجية فى الليل، ويلعب التلفون دورا هاما فى الحياةالاجتماعية والعلاقات الانسانية ٠٠ فيقرب البعيد ويخفف من الم الفراق ٠ وفى الصورة عاملات التليفون فىالمبنى الرئيسى للبريد والبرق والهاتف انهن يعملن ليل نهار فى صبر وجلد ٠

ى الصيف تعد وزارة الاعلام برامج ترفيهيةتسهم فيها فرق عربية وأخرى أوروبية تاتى من الخارج وفى الصورة احدى الفرق العربية تؤدىرقصة شعبية .

.. وفى اذاعة الكويت

وفى محطة اذاعة الكويت يسهر العاملون ويسهر معهم الالوف من المستمعين الذين تشدهم الاذاعة ببرامجها الاخبارية والثقافية ، ومن الناس من يفضل الاستماع الى الاذاعة فهى ترفه عنهم دون ان تاخذ كل اهتمامهم فيستطيعون سماع اغانيهم المفضلة وفى نفس الوقت يزاولون اعمالا اخرى تهمهم خلال ساعات السكون التى تعقب الصخب فى النهار . كما أن برامج الاذاعة تبقى الى ساعة متاخرة من الليل .. وهناك محطة خصصت لاذاعة برامج الموسيقية المختلفة كما تبث احدث الاغانى الاجنبية وأنجحها وتبلغ ساعات البث فيها سبع عشرة ساعة يوميا .

.. وفى السينما والمسرح

وتساهم المسارح وفرق التمثيل مع السينما فى احياء سهرات الناس ، ففى الكويت وضواحيها تعرض الافلام السينمائية فى دور كبيرة حديثة مكيفة الهواء يبلغ عددها تسعة احداها تكاد تنفرد بها الكويت دون الشرق الاوسط وهى سينما السيارات وهى التى يتمكن المشاهد منتتبع الفيلم لسينمائى وهو جالس فى سيارته فى العراء وبواسطة أجهزة تنقل الصوت والهواء المكيف الى سيارته صيفا وشتاء .

وكذلك المسرح فهو يلعب دورا كبيرا فى الكويت الحديثة الناهضة والمسرح يبدأ فى الاماسى . وقد تعددت فى الكويت الفرق المسرحية حتى زادت عن الخمس تتنافس فيما بينها لتقديم عروض مسرحية ترفه عن الناس وفى الوقت نفسه تعرض عليهم افكارا جديدة وتعالج مشاكل مجتمعهم المحلى ضمن أطار كوميدى . وتقبل الجماهير على المسرحيات اقبالا شديدا ..

المطاعم الفاخرة ، والمطاعم الشعبية

ويلجا الناس قبل ذهابهم الى السينما أو المسرح فى المساء او بعد ذهابهم الى مطاعم الشطائر الخفيفة والتى يزيد عددها عن الالف مطعم فى الكويت وهى مطاعم نظيفة انيقة المظهر افتتحت فى الاحياء والضواحى ، ولكن قد يلذ للبعض تناول العشاء فى احد المطاعم الفاخرة حيث تقدم صنوف من الطعام الغربى والشرقى وبعضها يقدم للزبائن اصنافا من الاطعمة القومية المختلفة .. حتى الخبز تجدهم قد اتقنوا صناعة العديد من اصنافه فهناك الخبز الافرنجى والمصرى والعربى والايرانى ..

مع التوسع فى النشاط التجارى وبتطور ونمو حجم الاعمال فى الكويت .. وببروز دور النفط فى الاقتصاد العالمى أصبحت الكويت مركزا هاما

والليل بالنسبة للكثيرين من الناس عمل وجهد وعرق ·· نهارهم ليل ، ولليلهم نهار ·· انهم هؤلاء الذين يسهرون من اجل راحة اخوانهم (الى اليسار) ·· شارع فهد السالم اقدم شوارع الكويت الحديثة . الحياة لا تهدأ فيه طوال الليل والمبنى العالي في الصورة لمؤسسة الخطوط الجوية الكويتية تلك التي ربطت بين الكويت وبين شتى انحاء العالم قريبه والبعيد ·· (تحت) فوت الشمس من المحطة تنقله الشماطات من سفن الشحن الى الصوامع وتعمل الشماطات ليل نهار ··

معامل شركة المطاحن تعد رغيف العيش الليل ليكون طازجا على الموائد ما

محطات تموين السيارات بالسرين تعمل ٢٤ ساعة ·
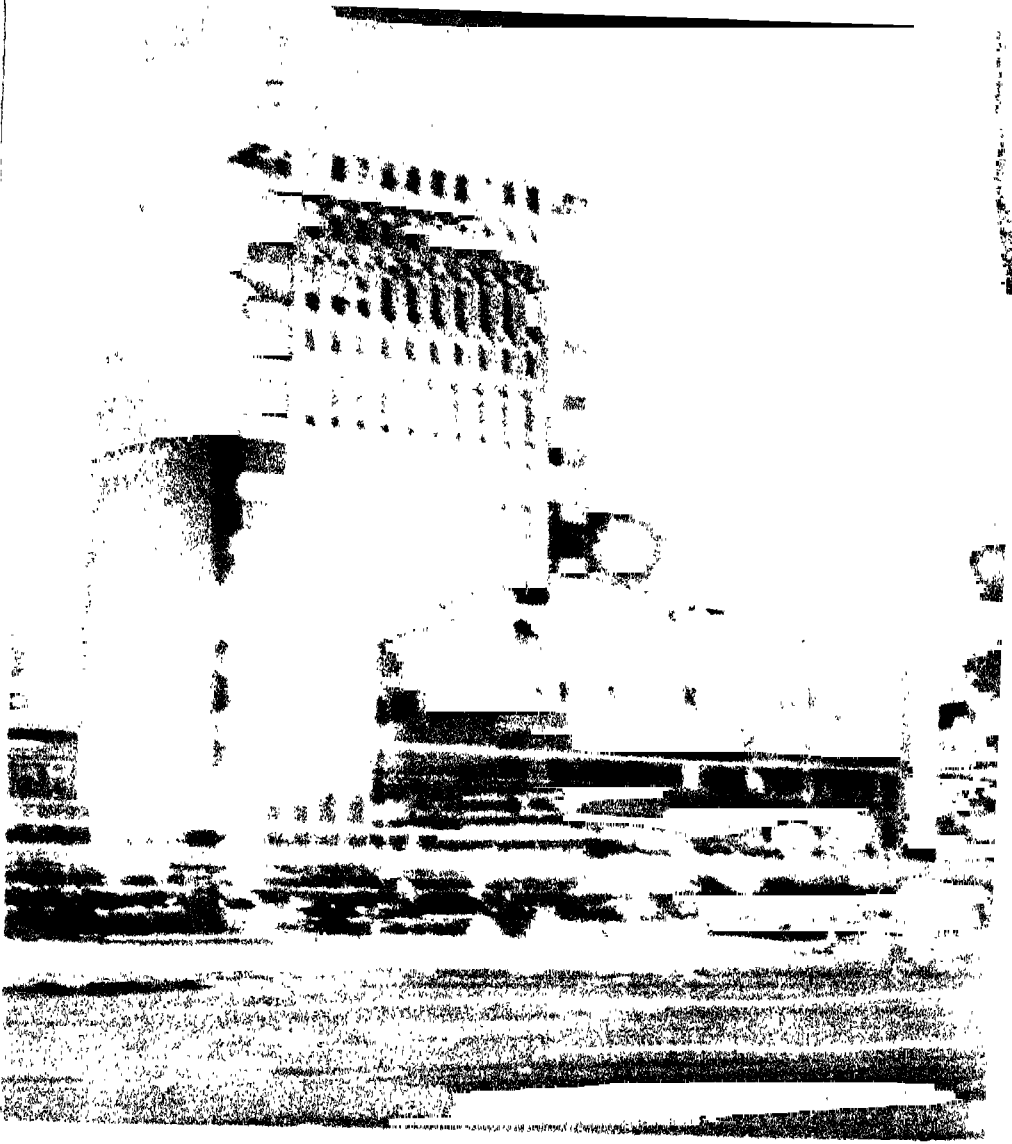
والـدواء للمرضى .. فى كل حى صيدليـة
واحدة على الاقل تبقى ساهرة طول الليل .

مطاعم الكبرى يقومون باعـداد
ـات العشاء الدسمة .
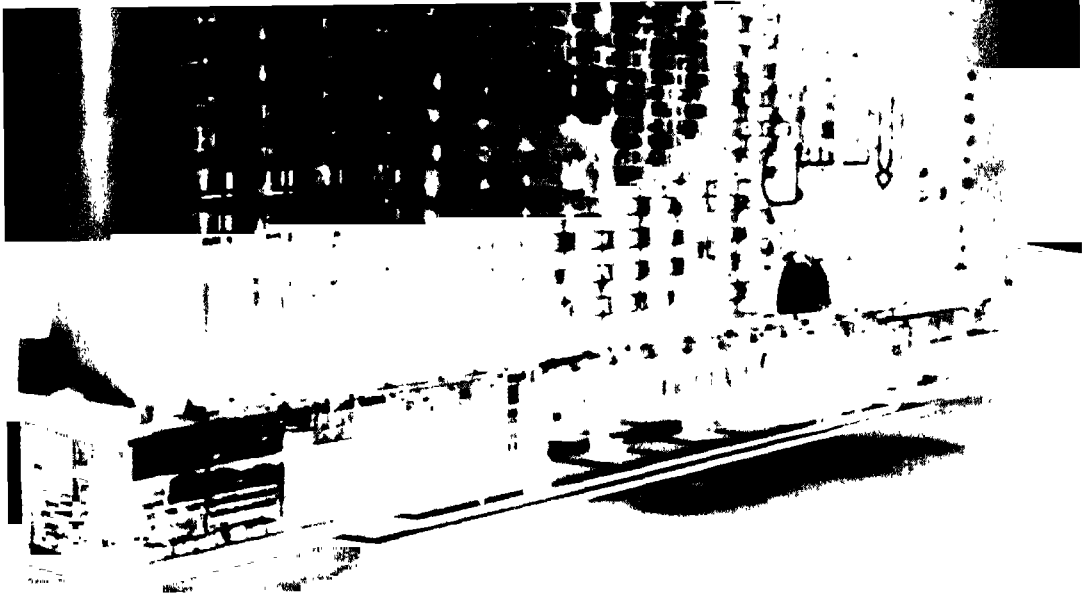
فى الكويت تسع دور سينمائية حديثة مكيفة الهواء تعرض افلاما متنوعة .. عربية وعربية وهندية . وفى الصورة احدى هذه الدور (سينما الاندلس) .

فى عالم الاعمال والتجارة فاقبل الناس من كل فج لعقد الصفقات التجارية ومن اجلهم شيدت الفنادق الفخمة لتستوعب هذا العدد المتزايد من ضيوف الكويت وتحرص هذه الفنادق الجديدة على توفير كافة أسباب الراحة والرفاهية لنزلائها فمن الغرف المكيفة وحمامات السباحة وملاعب البولنج والتنس والنوادى الصحية لحمامات السونا والتدليك الى تقديم أصناف الاطعمة الدولية التى تقدمها فى قاعات فخمة . وفى ليالى الصيف تقام حفلات للعشاء خلوية بجوار أحواض السباحة ، ويقدم فيها اللحم المشوى والناس ياكلون على انغام الموسيقى العالمة والمرحة ويرقصون وهم نشوى بنعمة الله .. انها صورة أخرى للحياة فى الكويت بالليل .

برامج للترويح فى الصيف

وبالرغم من الجهود التى تبذل لتوفير كل وسائل الراحة والترفيه لسكان الكويت فى الصيف ولياليه الحارة وقد ذكرنا بعضا منها فقد اهتمت وزارة الاعلام اهتماما خاصا بالذين لم تسمح لهم ظروفهم بالسفر الى الخارج لقضاء الصيف فاعدت برامج ترفيهية تسهم فيها عناصر فنية من أهل البلاد كما تشارك فيها فرق عربية ، واحيانا اوروبية تاتى من الخارج وتقدم الوانا مختلفة من العروض والنشاطات الفنية وبالاضافة الى تركيز البرنامج على الترويح والتسلية فهو يوفر عناصر اخرى تثقيفية كافتتاح المكتبات وعقد الندوات فى الجمعيات الثقافية والادبية والاجتماعية وعرض الافلام السينمائية وذلك فى الليل والامساء واصبح ارتياد المتنزهات ليلا يستهوى الكثير من العائلات ياتون باعداد غفيرة ليستمعوا الى الحفلات الموسيقية والغنائية التى تقوم باحيائها الفرق النحاسية والفرق الشعبية والمطربون الكويتيون . ويتقاضى الفنانون الذين يسهمون فى هذه البرامج اجورا على خدماتهم أما بالنسبة للجمهور فارتيادهم لجميع الحفلات التى تقام فى الحدائق بالمجان واما العروض التى تقام فى المسارح ودور السينما فهى برسم دخول رمزى .

لقد كان قضاء السهرة منذ سنوات فى الكويت مشكلة .. كان السؤال اين يذهبون ؟ .. وكيف يقضون لياليهم ؟ .. اما اليوم فقد تعددت الاسباب وتنوعت السبل .

الذين يعملون ليلا

واذا كان الناس يتطلعون الى الراحة أو الى الترويح والسهر عند قدوم المساء فهناك من تنتظره العمل مع زحف الليل ويبدأ عملهم عند تظهر النجوم فى السماء .. فرجال الشرطة حرس الليلى هؤلاء الجنود الذين يسهرون و ... ون ...

وقد قامت فى الكويت ايضا عدة فرق مسرحيـــة تتنافس فيما بينها وتعالـــج فى مسرحيات مشاكل المجتمع المحلى وفى الصورة فرقة مسرح الخليج فى احدى المسرحيات المكاهية ٠

صمت من اجل توفير الامن والطمانينة للمواطنين فى البلاد ورجال المطافىء يقفون دائما على أهبة الاستعداد لتلبية اول اشارة تصلهم لاخمـــاد حريق أو اغاثة ملهوف ٠٠ وبجانب هؤلاء وهؤلاء يعمل آخرون على تامين الماكل والمشرب، فالمخابز الاهلية تعمل ليل نهار ، وفى مقدمتها مخابز شركة مطاحن الدقيق الكويتيـة التى يستمر العمل فيها ليـل نهار وهى التى تتولى انتاج جانب رئيسى من غذاء الشعب اليومى وتقدمه له مصنعا من أجود الخامات وبافضل المواصفات ويبلغ مجموع انتاجها فى عام ١٩٧٤ حوالى مليون ونصف المليون طنا من الدقيق والخبز والمكرونة والبسكويت ٠

ولا يقتصر العمل الليلى على صانعى المواد الغذائية بل ويتعداه الى المصانع الاخرى ٠٠ وقد يبدو غريبا أن نجد فى بلد صغير كالكويت مصانع تعمل فى الليل ٠٠ ولكن الحقيقـة ان الحكومـة الكويتية ..ركت مساوىء الاعتماد التام على اقتصاد ذى مصد.. واحد ، اى البترول ولذا كان لزامـا تنويع .. در الدخل القومى واصبح الهدف هو تطوير .. ناعة وتنميتها وقد بدأ العمل فى تنفيذ هذه الـ.. ـة فى عام ١٩٦٥ بوضع الخطط لتامين وتوزيع .. الة اكثر للدخل وتحقيق اقتصاد أكثر تنوعا وتطوير الطاقات البشرية والتكامل فى التنميـ.. قتصادية للعالم العربى وسنت القوانين لتشجيع تطوير الصنـاعى واصبح فى الكويت حاليا قطاع صناعى آخذ فى النمو مثل تكرير النفط والسمـاد الكيماوى والغـاز السائل والكلورين والطحين والمشروبات الغازية والاسماك ومشتقاتها والمفروشـات والمنتجـات المعدنيـة ومواد البنـاء والبطاريات ٠٠ وغيرها ٠

ومن اجل تنمية هذا القطاع الصناعى وتدعيمه تـم فى سبتمبر ١٩٧٣ انشـاء مكتـب التنميـة والاستشارات الصناعية بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة للتنمية الصناعية ٠

واصبح اليوم فى الكويت صناعات يبشر تطورها بالخير كما شهدت بذلك بعثات اقتصادية محايدة ومن هذه البعثات بعثة منظمة الامم المتحدة للتنمية الصناعية، وبعثة البنك الدولى للانشاء والتعمير، وبعثة المستشارين الفرنسيين ٠

وهكذا يواصل الرجال الليل بالنهار للعمل فى تقدم الوطن وازدهاره ٠

عمل متصل ٢٤ ساعة بلا توقف

والماء اصل الحياة لا غنى عنه ، ولا بديل له ولذلك اهتمت الكويت باقامة محطات تقطير المياه فى الشويخ وفى الشعيبة وهى تعمل ليل نهار فى تحويل ميـاه الخليج المالحة الى مياه نقية عذبـة صالحة للشرب واصبحت محطات التقطير فى البلاد اثنين وستين مليون جالون من الماء العذب يوميا ، خلال الاربع وعشرين ساعة متصلة !

وينام الناس في الهزيع .
الأخير من الليل ·ولكن
تبقى العيون الحارسة
ساهرة على ارواحهم
واموالهم
(فوق) اغلق المتجر ولم
تبق منه غير نافذته
الضيقة بمحتوياتها ·

(الى اليسار) حارس
المصرف لا يغمض له
جفن في وقفته الصارمة

(فوق) وحدات المطافىء تقف على اهبة الاستعداد لتلبية اى نداء او استغاثة طوال ساعات الليل .

(الى اليمين) مبنى المواصلات السلكية واللاسلكية شبكة هائلة من الخطوط تربطنا بكل ركن من اركان الأرض . فى اى لحظة وفى اى ساعة من ساعات الليل والنهار ..
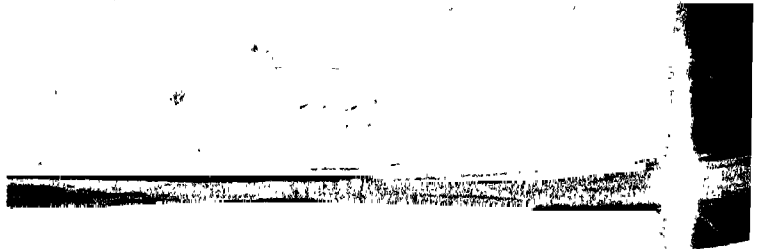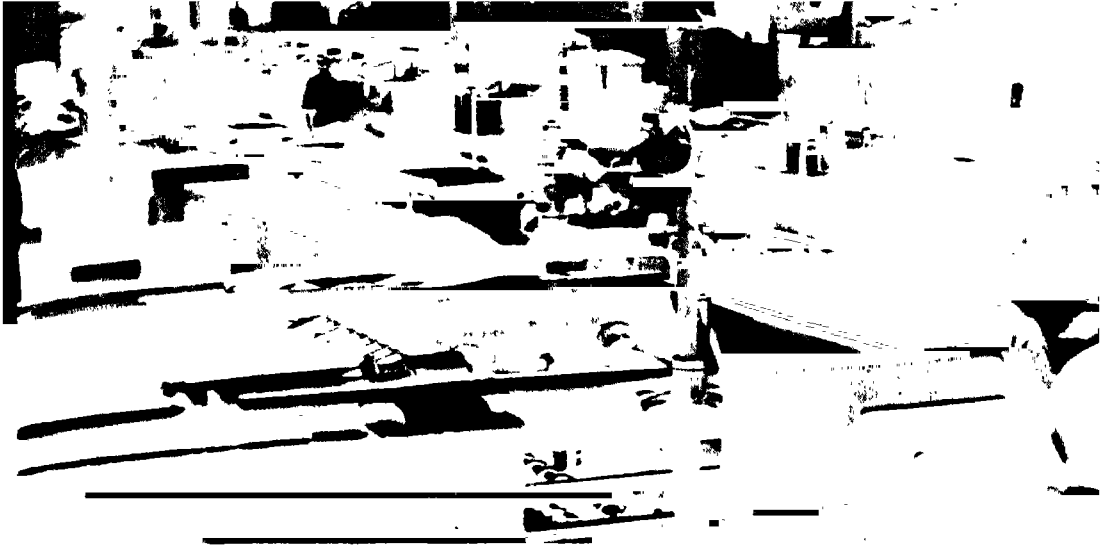
وفى الليل لا يهدأ العمل فى مطابع الحكومة وفى مطابع دور الصحف اليومية .. فالاولى عندها الكثير من الكتب والمجلات والاستمارات التى تتطلبها شتى الوزارات وكذلك طبع مجلة العربى وتطبع منها ما يزيد على المليونين والنصف من النسخ سنويا ، ومطابع دور الصحف تسهر بدورها لاعداد الصحف حتى تكون أول شىء يطالعه المواطن بما تحويه من أخبار على مائدة الافطار .

البرق والهاتف

من الصعب أن يظل المرء بعيدا عن الهاتف فى الكويت فهو موجود فى كل مكان .. فى البيوت .. وفى المكاتب وفى أكشاك عمومية وحتى فى السيارات وقد كان للقمر الصناعى أثره فى تسهيل حركة الاتصال بين الكويت والعالم .. وتتزايد المكالمات باتساع النشاط التجارى وتكثر المكالمات فى الليل . أن تكنية الهاتف المتميزة بسرعة رائعة تساعد الانسان على توثيق العلاقات التجارية والانسانية بين البشر .

جنود الليل

كثيرون هم هؤلاء الجنود الذين يعملون بالليل من أجل توفير الراحة لاخوانهم وأن ننسى لا ننسى ملائكة الرحمة والاطباء الساهرين أبدا على صحة المواطنين ففى قلب كل حى من احياء الكويت وحدة طبية مجمعة تستقبل المرضى طوال ساعات النهار والليل وتظل فاتحة أبوابها حتى صباح اليوم التالى لتقديم الخدمات الطبية للحالات الطارئة .

.. ورجال الصحافة

ثم الصحف التى تحمل الينا اخبار العالم القريب والبعيد والتى تصل الى القارىء صباح كل يوم .. من الذى أعد أخبارها ومقالاتها ومن الذى نسقها واشرف على اعدادها وطبعها ؟

انه جهد كبير وراءه جيش من الكتاب والخبراء والعمال يعملون ليلا لتصل الجريدة الى قارئها مع الافطار صباح كل يوم .

وفى الكويت سبع صحف يومية ، اثنتان منها باللغة الانجليزية وثلاثين جريدة ومجلة بين اسبوعية وشهرية . جميع هذه الصحف تطبع على ماكينات حديثة وتصدر ملاحق بالالوان واصبحت صحافة الكويت الناشئة تضارع قريناتها فى الدول التى سبقتها فى هذا المضمار من زمن بعيد .

الله نور السماوات والارض

ويتململ الليل ويتثاءب وتبدأ تباشير فجر يوم باسم فيؤذن المؤذن مناديا للصلاة ويفيق عباد الرحمن المؤمنون لصلاة الفجر فى المساجد وسطع النور .. سر الكون .. والحياة .. وقبس من الخالق العظيم « الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى اجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة ركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضى ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله ور من يشاء .

محمد حسنى زك

نتيجة مسابقة العدد ١٩٨

الموناليزا مقرها باريس

■ قامت مسابقة العدد ١٩٨ من «العربى» على اسئلة متنوعة فى مجالات شتى من المعرفة الانسانيــة المختلفــة وبالأخــص الأسئلة التاريخية والجغرافية التى كان لها النصيب الاكبر فى المسابقة . وقد استطاع القراء ان يجيبوا على جميع اسئلة المسابقة اجابات صحيحة الا فيما ندر . كما ان المشتركين فى المسابقة ازداد عددهم زيادة ملحوظة ، وهذا ما نرمى اليه من ان يقبل اكبر عدد ممكن من القراء على الاشتراك فى مسابقات « العربى » .

واليك أيها القارىء الكريم نموذجا للاجابة الصحيحة . ثم أسماء من فازوا بالمسابقة :

١ ـ صــاحب الخطبــة هو الحجاج بن يوســف الثقفى .
٢ ـ عصب ومصوع هما ميناءان فى ارتيريا .
٣ ـ نهر المسيسبى يمر عبر اراضى الولايات المتحدة الاميركية وحدها .
٤ ـ عمر بن الخطاب هو الذى جعل هجرة الرسول بدء التاريخ الاسلامى .
٥ ـ هذه الصــحراء اسمها الصــحراء الكبرى وتقع فى شمال افريقيا .
٦ ـ بوذا هو الامير الهندى جوتاما .
٧ ـ الموسوعــة البريطانيــة اشتراهــا تجــار امريكيون .
٨ ـ نقلت لوحة الموناليزا من مقرها الدائم فى باريس
٩ ـ عرف هذا الرحالة باسم ابن بطوطة
١٠ ـ تنزانيا كانت تعرف سابقا باسم تنجانيقا

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها نجيب أحمد السعد / الكويت
الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها ايفا فايز فاخورى / طرابلس / لبنان
الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها نور الدين البازرباش / دمشق / سوريا

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كويتيا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ على حسين عطا الله المزينى / المدينــة المنورة / السعودية
٢ ـ جمال عبد الباسط صالح / طنطا / مصر
٣ ـ فيصل عبــد الرزاق العيــارى / السلط / الاردن
٤ ـ مصطفى أحمد طاهر / الحديدة / اليمــن
٥ ـ يحيى محمد عبد الحليم / عطبرة/السودان
٦ ـ محمد قيس سلمان / البصرة / العراق
٧ ـ عبد الرحمن الاحدب / طرابلس / لبنان
٨ ـ عائشة شريف محمود / مقديشو / الصومال

بقلم : منير نصيف

« عندما يحس الانسان بالتعاطف ·· عندما يبدأ الاحساس بالشفقة على نفسه وعلى الآخرين ، يطرق قلبه ، فقد عرف أخيرا كيف يتخلص من آلامه ·· لقد تغيرت نظرتـه للحياة ، وتغيرت صورتها امامه وبدأ يعيش من جديد ! »

هذا بعض ما قاله كاتب الانجليز الكبير هـ·ج·ولز، وهو يندفع الى الصندوق الصغير الذى وضعوه على ناصية الطريق المزدحم بالمارة ، لكى يلقـى فيه اصحاب القلوب الكبيرة بما تجود به ايديهم من اجل ضحايا القنبلة الذرية فى هيروشيما ، ابان الحرب العالمية الثانية ·

يقول الكاتب والشاعر الامريكى ادجار آلان بو الذى افتقد الدفء فى فقره وحرمانه ، فكان يضع قطته الصغيرة عند قدمى زوجته المريضة بداء السل، لكى تعطيها من فروتها دفئا يعاونها على النوم فى ليالى الشتاء الباردة ·· يقول بو : « ان التعاطف هو انبل واقوى المشاعر الذى عرفها الانسان ·· فلولاه لما تحرر العبيد ، لقد كان ابراهيم لنكولن اقوى رجل عرفه التاريخ ، فقد كان انسانا ·· واعظم ميزة ينفرد بها الانسان عن سائر المخلوقات، هى تلك القوة التى تتمكن منه وتستحوذ علـى كيانه ، عندما يحس بآلام الآخرين ويتعاطف معهم ، ويقف بجانبهم ويبذل كل ما لديه من جهد محاولا ان يخلصهم مما هم فيه » ·

الطريق الموحش

والتعاطف مشاركة ، يدفعنا اليها الامل فى حياة افضل ، او يدفعنا اليها الياس من الحياة ·· فكثيرا ما تقسو الحياة على الناس ، فنجدهم فجأة وقد ساروا فى طريق آخر تلفه الوحدة والوحشة ·· وهو طريق لا يمت الى طرق الحياة المألوفة بصلة ·· فقد زهدوا فى متعها ، ولم يقووا على مشاركة السعداء حياتهم ، فاختاروا طريق الوحدة ، بعيدا عن العيون ·· ولكنهم على هذا الطريـق الموحش المقفر تجدهم فجأة ، وقد التقوا برفقاء لهم فى وحدتهم وآلامهم ·· وتقوم بين هؤلاء وهؤلاء الفة ومحبة وصداقة وتعاطف ·· فلا يلبثوا ان يعودوا الى الحياة ، وتعود اليهم الحياة ··

قـوة القـدر

يروى وليام جولدوين (١٧٥٦ ـ ١٨٣٦) الف الانجليزى قصة المراة التى هجرت الدنيا والناس بعد ان اخذت منها كل ما كانت تملك ·· الزوج ·

ان اخذت منها كل ماكانت تملك .. الزوج والطفل الصغير الذى تركه لها زوجها بعد رحيله .. لقد مات زوجها اثر مرض عضال لم يهمله طويلا بعد زواج قصير لم يدم لاكثر من ستة اعوام انجبا خلالها طفلا جميلا ..وعاشت الام من اجل صغيرها، وهى لا تدرى انه قد ورث عن ابيه علته .. فلم تكد تمضى بضع سنوات اخرى ، حتى ذهب الطفل ايضا . وبقيت هى مع احزانها وآلامها..وتركت بيتها وهجرت الأهل والاقارب والاصدقاء وحملت حقيبة الصغيرة التى ملأتها بذكرياتها وملابسها، لتعيش فى احضان الريف ، لعلها تجد فى هدوء ... راء وسلوى .

... اهل القرية ، فتاة جميلة تكسو وجهها ... ن هائل .. وتلمع فى عينيها الجميلتين دمعة ... رة لاتريد ان تفارقها ابدا .

مع الذكريات والاحزان

« وعاشت الارملة الصغيرة فى غرفة فى بيت يملكه رجل عجوز وزوجته .. عاشت مع ذكرياتها واحزانها ، ومع الاطفال الصغار الذين كانت تقضى كل وقتها معهم فى المدرسة التى التحقت بها للعمل فى التدريس .. فقد قررت ان تهب حياتها لهؤلاء الاطفال الذين كانت ترى فى كل واحد منهم وجه طفلها هى الذى تركها ورحل » .

« كانت تترك غرفتها فى ساعة مبكرة من صباح كل يوم ، لتبدأ مسيرتها الطويلة الى مدرسة القرية التى تبعد مسافة كيلو مترين ، كانت تقطعهما سيرا على قدميها فى الذهاب .. وفى الاياب كل يوم .. وكانت تجد فى رحلتها الى مقر عملها صحبة تؤنسها فى وحدتها ، وخاصة وهى تتطلع الى وجوه الاطفال من حولها .. فى لعبهم ومرحهم وفرحتهم بالحياة .. وكثيرا ماكانت تتوقف لتداعبهم وتقدم لهم ما تحمله فى حقيبة يدها من قطع الحلوى الصغيرة ، ثم لاتلبث ان تمضى فى طريقها .»

دموع .. ودموع

الى ان جاء يوم ، شاهدت فيه الفتاة شيئا هز كيانها هزا .. وجعلها تقف فى مكانها بلا حراك ، وهى تتطلع بعينيها وقلبها وكل عواطفها الى وجه هذه الصبية الصغيرة التى جلست على رصيف الشارع تبكى بحرقة .. واتجهت اليها مسرعة ، وامسكت برأسها الصغير بين يديها

وراحت تجفف لها دموعها .. وعرفتها .. انها واحدة من تلميذاتها الصغيرات في المدرسة ..

ـ ما الذي يبكيك يا صغيرتي .. حدثيني ، لعلي استطيع ان افعل شيئا ؟

ـ عدت الى البيت ياسيدتي فوجدت ابي المسكين يعاني من آلام المرض الذي اصابه اخيرا..لقد نفد الدواء الذي اقدمه له كل مساء .. وليس عندنا مال نشتري به زجاجة جديدة من دواء والدي .. انني اعيش وحدي مع ابي بعد ان ماتت أمي ومعاشه لايكفينا .. لا ادري ماذا افعل .. ارجوك الا تتركينا وحدنا .. لابد ان احصل على هذا الدواء ، ولكن كيف ؟ ..

شركـاء في الألم

ولأول مرة منذ رحل طفلها ، أحست الفتاة بان هناك من يتالم مثلها في هذا العالم الذي تصورت في وقت من الاوقات انها الوحيدة التي تعيش فيه مع الامها واحزانها .

ـ تعالى معي ياصغيرتي ..

وامسكت بيدها وراحا يعبران الشارع الى الرصيف الآخر.حيث كان مخزن العقاقير الذي جلست امامه الصبية تبكي . .ودفعت الفتاة ثمن الدواء ووضعت الزجاجة بين يدى الصبية ، وقالت لها، سارافقك الى البيت يا صديقتي الصغيرة ..

واحتضنت الصبية الزجاجة ، وكانها تضـم الى صدرها اثمن كنز في الدنيا .. وراحا يسرعان الخطى ، حتى اذا ما اقتربا من البيت مدت المدرسة يدها تصافح الصبية وتقبلها وتتمنى لها ليلة سعيدة ، وشفاء عاجلا لابيها المريض .

ولكنها استوقفتها: « ارجوك ان تنتظريني لحظات حتى اعطي ابي الدواء ، ثم اعود اليك .. لماذا لاتدخلين ياسيدتي .. انه لن يراك .. تستطيعين ان تجلسي في غرفتي انا ، ارجوك ، فربما احتاج ابي الى شيء آخر ، واحتجت انا اليك ! »

الاب المريض

ودخلت الفتاة بعد تردد .. ومن وراء الستارة الرقيقة التي تفصل بين حجرة الاب وحجرة ابنته.. شاهدت رجلا شاحب الوجه ، يرقد على فراشه بجوار نار المدفأة التي بدأت تخبو ، وقد تدثـر بغطاء ثقيل !

وما كاد يرى الاب ابنته تمد اليه يدها بزجاجة الدواء ، حتى قال في صوت ضعيف يسالها : « من أين أتيت بالمال ياصغيرتي ... ارجـ الا تكوني قد استدنت ثمنها .. انت تعرفين ـنى اكره ان امد يدي لاحد .. انك لم تنسى هـ .. اليس كذلك ؟

ولم تجب الصغيرة ، سارعت تقدم لابيها كوبا من الماء ، واخذ الاب الدواء،واعاد رأسه المتعب الى الوسادة بينما انهمكت الصبية في تغذية ـــار المدفأة بالحطب ..

حب ووفاء

وتذكرت مدرستها وصديقتها التي تركتها في الغرفة المجاورة منذ لحظات ، وما لبثت ان عادت اليها وارتمت بين ذراعيها وهي تتطلع اليها بعينين تحملان كل معاني الحب والوفاء .. وقالت الصغيرة وهي تودع صديقتها : « لن يموت أبي .. أليس كذلك ياسيدتي » لن يموت . ! »

وسارعت الفتاة بالخروج ، ولم تنظر وراءها ، فقد كانت عيناها الجميلتان الحزينتان قد امتلأتا بالدموع ..

ومرت الايام .. والصديقتان لاتفترقان لحظه واحدة . في المدرسة ، وبعد انتهاء الدراسة . وفي الطريق الى بيت الصبية حيث كانت تصر على مرافقتها لتحكي لها كل شيء عن حياتها مع ابيها المسكين الذي اقعده الحزن والمرض والالم بعد وفاة زوجته وام ابنته .

ولأول مرة وجدت الفتاة نفسها تحكي لها كل شيء عن ماساتها هي مع القدر . وادهشتها ان تجد في هذه الصغيرة التي لم تتجاوز بعد عامها التاسع انسانة تحس بالامها ، بل وتحاول ان تخفف عنها احزانها ، وكانها امرأة اكتملت عقلا ونضجا .. لقد عصرها الالم ، وهي ترى والدها المقعـد المريض ، فكبرت عشرين عاما .

وانقضت بضعة اسابيع ، قدمت فيها الفتاة كل ماتبقى في قلبها من حب لصديقتها الصغـ ة ، وكل ما كان يحويه كيس نقودها من مال لشراء العقاقير والادوية التي يحتاج اليها الاب ـ ـى مرضه ..

ابتسامة الحياة

وفي صباح احد الايام ، جاءت الصبية ـى المدرسة.وكان وجهها الصغير الجميل يشرق بابـ مة حلوة ، وسالتها صديقتها في لهفة : « ـاك سعيدة اليوم يا عزيزتي ، لا بد ان والد ـقد

بدأ ... سائل للشفاء .. اليس كذلك ؟ •

ـ لقد شفى ابى يا سيدتى .. بالامس عاده الطب . وشد على يده مهنئا . لقد تركته مع الزهور فى الحديقة ومع الطيور التى بدأ يسمع ... لاول مرة منذ مرضه الطويل .. لقد رويت له كل شيء عنك..حدثته عن السيدة الكريمة التى التى ساعدتنا فى محنتنا . انه يريد ان يلقاك .. يريد ان يشد على هذه اليد الكريمة التى انقذته من الموت ! •

وكان اللقاء .. وانتابها احساس غريب . وهى ... منه حيث كان يجلس على مقعده فى حديقة ... . وصديقتها الصغيرة تمسك بيدها وتشدها وتدعوها الى الدخول . الى ان اصبحت امامه وجها لوجه .. لقد احست فى هذه اللحظة ان هذا الرجل ليس غريبا عليها . وانها تعرفه منذ سنوات وسنوات .. ترى هل هو ذلك الشعور بالتعاطف الذى دفعها الى مساعدة رجل التقت به على طريق الوحدة والالم .. هل هو احساسها بان انسانا ... يتألم مثلها حتى قبل ان تراه .. ربما كانت هذه العوامل مجتمعة هى تلك التى جعلتها تشعر بان هذا الرجل ليس غريبا عنها ..

وكان اللقاء

وجلست . وحاول والد الطفلة ان يقول شيئا . اى شيء .. ولكن الكلمات تعثرت على لسانه . واخيرا لم يجد سوى بضع كلمات راح يرددها كلما ... عيونهما فى حديث صامت يحمل كل معانى ... الجميلة.. «لا ادرى يا سيدتى كيف اشكرك.. لا اعرف متى وكيف ارد لك بعض هذا الجميل الذى غمرتنا به انا وابنتى الصغيرة .. لقد ... العناية الالهية لانقاذنا .. »

واذهلتها كلماته . واحست بالعرق يتصبب ... ، ولاول مرة بدأت تشعر بالحياة تعود ... .. هل صحيح انها نجحت فى ان تفعل كل ... هى الانسانة الضعيفة الوحيدة التى افتقدت ... ومتعتها ؟

... ان تغير دفة الحديث ، وعندما فتسللت ... مقعدها،ومدت يدها تصافح والد صديقتها ثم انحنت تقبلها ، وتركت البيت مهرولة ... ..

... غرفتها الصغيرة فى بيت العجوزين الطيبين ... شيء فى تلك الليلة حتى القطة الصغيرة

التى كانت تستقبلها عند عودتها كل مساء .. اما هى فقد بقيت ساهرة مع الحياة الجديدة التى وجدتها فى تلك الكلمات الحلوة التى سمعتها باذنيها من شفتى ذلك الرجل الذى التقت بـه وبابنته على طريق الوحدة والالم ..

موعد مع الحياة

وعندما اشرقت الشمس فى الصباح ، كانت معها على موعد . ومن خلال نافذة غرفتها ، وقفت لاول مرة تتامل قطرات الندى فوق اوراق الشجر الخضراء . وهى تتساقط منها فتبلل الارض التى كساها الجفاف من تحتها ..

وارتدت ملابسها بسرعة .. وجلست تتناول طعام الافطار الذى اعدته لها صاحبة البيت العجوز واكلت ..

وفى خطى رقيمة هادئة راحت تشق طريقهـا الطويل الى المدرسة .. كانت فى شوق شديد هذا الصباح للقاء صديقتها الصغيرة .. الصبية الجميلة التى استطاعت ان تعيد الى وجهها الحزين ابتسامة الحياة •

ولقيتها..ولكنها لم تكن وحدها،كان معها أبوها الذى وقف على بعد خطوات قصيرة يرقب هذا اللقاء .. واحست برجفة تسرى فى جسدها ، وهى تتجه بعينيها الى حيث كان يقف ، وتقدم اليها ، واقترب منها ، ومد لها يده مصافحا ،وقال: « لقد امضيت الليل كله ساهرا افكر ، واخيرا لم اجد سوى شيء واحد استطيع ان اكافئك بـه على ما قدمته الينا • سوف اعطيك نفسى، وروحى وابنتى .. سنصبح اسرة واحدة ، أتوسل اليك ان تقبليننى زوجا لك .. ! »

عودة الى الحيـاة

واذهلتها المفاجاة .. ولكنها لم تلبث ان خرجت من ذهولها عندما وجدت كل ابنائها .. تلاميذ مدرستها يرقصون حولها وينشدون .. وامتلأت عيناها الجميلتان بالدموع .. اما هو فقد امسك بيدها الرقيقة وانحنى يلثم بشفتيه تلك اليد التى اعادت اليه الحياة ..

وفى منزل صغير بالقرية الهادئة ، عاشت الاسرة الصغيرة ، لقد عادوا الى الحياة .. وعادت اليهم الحياة من جديد •

■■

منير نصيف

العالم العربى لا يتقدم الا ...

والتصنيع فى حاجة الى دراسة واسعة

بقلم : الدكتور السيد ابو النجا

■ لم يعد العالم العربى فى مجموعه محتاجا الى رؤوس الاموال بقدر حاجته الى البحث العلمى Reseach ٠ ان حاجته الى التصنيع قد تدفعه فى مغامرات غير محسوبة الى بناء مصانع كبيرة الكلفة وان كانت غير قابلة للحياة ٠ والقابلية للحياة Viability شرط ضرورى لقيام المصنع ، والا اصبح ما ينفق فى انشائه هباء ، وما يبذل فى تشغيله عبثا كبيرا ٠

لقد قامت فى اوربا وامريكا من اجل ذلك الوقمن مكاتب بحث الجدوى Feasibility Study مهمتها ان تستقصى مدى توافر العناصر الضرورية لنجاح المشروع قبل قيامه ٠ وفيما يلى اربع نواح فسيحة لا بد من استيفائها ٠

أولا : سلامة الموقع

ان مصانع الحديد والصلب فى السويد وفى الولايات المتحدة وغيرهما تقوم عادة عند سفوح الجبال التى تحتوى على ركام الحديد ، وبقرب البحار والمحيطات التى تعبرها السفن لنقــل المنتجات ٠ ومصانع الورق تقوم فى كندا وفنلندا والسويد والنرويج قريبة من الغابات او متصلة بها عن طريق جداول مائية تطفو فوقها الاخشاب فى طريقها الى الطواحين Mills ، ومنها الى البحار ، فالاسواق ٠ ومصانع الغزل والنسيج تقوم عادة وسط مزارع القطن ومراعى الغنم فى جو رطب ، يغنى عن التكييف ، وهو كثير النفقة ٠

ومصانع التعليب تقـوم وسط المراعى وبقرب مصائد الاسماك او مزارع الخضروات والفواكه ٠

ويكفى لتجسيد اهمية الموقع ان نقول ان موقع قناة السويس بين البحر الابيض والبحر الاحمر هو الذى اثار اهتمام العالم اجمع بافتتاحها يوم ٥ يونيو سنة ١٩٧٥ ٠ ووقوع ميناء عدن على طريق البواخر الى هذه القناة هو الذى يهيىء لها الانتعاش المرتقب ٠ ان انتقال متجر من السالمية بالكويت الى شارع فرعى قد ينتهى به الى الافلاس ٠ ووقوع دكان للشطائر امام احدى دور السينما قد يكفى لاقبال الطاعمين عليه ٠

واهم العوامل المؤثرة فى اختيار موقع المصنع هى قربه من المواد الاولية اللازمة ، وبخاصة اذا كانت ثقيلة الوزن ، وقربه من السوق اذا كانت منتجات المصنع لفئات معينة من الناس او لمصانع اخرى ٠ وقربه من مصدر العمال المحترفين والكهرباء والمياه مع مراعاة تكاليف الارض وهى اليوم باهظة الثمن٠ ذلك ان تكاليف النقل لا يمكن تجاهلها عند دراسة الجدوى ٠

ثانيا : القدرة التنافسية

قبل ان يضع المستثمر العربى امواله فى مـ ـع لا بد ان يستوثق من قدرة هذا المصنع على ا ـوق على المصانع القائمة فى العالم العربى ، وان ـدر المدة التى يبلغ بعدها سن الرشد ، فينافس ا ـع النظيرة فى الخارج ٠ وهنا تثور اسئلة مهمة ،

ثانيا

١ ـ ما هى نقطة التعادل Break - even Point التى يتساوى عندها الايراد بالمصروف ، وبعدها تتحقق الارباح ؟

ان للمشروعات حجما مثاليا لا بد ان تبلغه ، والا قصر الانتاج عن تغطية النفقات الثابتة ٠

٢ ـ هل المواد الاولية الرئيسية الى بقاء او نفاد ؟ وهل الطلب على منتجات المصنع مهدد بالتوقف اذا ظهر بديل مرتقب مثل ما حدث لمصنع الجامكسان فى مصر وقد كان معدا لمكافحة دودة القطن ثم ظهر ان فعاليته فى ذلك توقفت بعد قليل ؟

٣ ـ الى اى مدى يمكن الاستعانة بالخبرة الاجنبية عن طريق المشاركة او الاستخدام ؟ وهل يمكن العمل تحت اسم معين مع الاستفادة من اسرار الصنعة مقابل نسبة معينة على رقم الانتاج او البيع ؟ ان للولايات المتحدة مصانع كثيرة فى اوروبا وفى اليابان تنقل معها الخبرة وتستفيد فى عملية الصنع بالايدى العاملة المتوافرة بالقرب من الاسواق ٠

٤ ـ كيف يتم التوسع فى المصنع ؟ راسيا او افقيا ؟ اى هل نزيد وحدات الانتاج من نفس السلعة او نضيف اليها سلعا اخرى متصلة ؟

ان التوسع قد لا يكون مطلوبا فى جميع الاحوال، وليس من الضرورى ان يلجا مصنع للصلب الى اقامة مصنع للحديد ، ومن اجل الحديد يقيم مصنعا لفحم الكوك ، فالتخصص هو سمة العصر، وقد يشترى مصنع للسيارات ما يلزمه من ساعات واجهزة راديو من شركات متخصصة ، لانها تكون من [illegible] جيد وبسعر معتدل ٠ وقد يشترى مصنع للثلاجات ما يلزمه من موتورات ، فيجد ذلك [illegible] ارخص ٠

[illegible] ماذا ينتظر ان يكون عليه ربح المصنع؟وهل [illegible] منه يكافىء ما يستثمر فيه من اموال ؟ [illegible] الصناعة ليست للمفاخرة بل للمتاجرة ، الا [illegible] للدولة مصلحة فى قيام صناعة لازمة [illegible] عن البلاد ، او للعناية بالفقراء ، ففى مثل هذه الحالة يدخل فى دراسة الجدوى مقدار الاعانة التى تتعهد الدولة بتقديمها للمصنع ٠

ثالثا :
الملاءمة بين سوق السلعة وخواصها

كيف تؤدى السلعة وظيفتها ؟

ان الغسالة الكهربائية قد يكون من اللازم وضع الماء ساخنا فيها ، وقد تقوم هى بتسخين الماء ٠ والمكواة قد تصمم للكى فقط ، وقد يراعى فى تصميمها ان ترش الماء قبل الكى ٠ والخلاط قد يؤدى خدمات اضافية اذا ركبت فيه قطع جديدة٠

وكيف تؤدى السلعة وظيفتها بكفاية ؟

ان فتاحة العلب يجب انلا تجرح اليد ، او تسقط فتات الغطاء داخل محتوى العلبة او الزجاجة ٠ وموقد البوتاجاز يجب ان يكون ارتفاعه بحيث لا يضطر سيدة البيت الى الانحناء عند استعماله ٠ والاثاث يجب ان يكون بحجم يسمح بادخاله الى الحجرات من الابواب فى يسر ٠ والثلاجات واجهزة التكييف يجب ان تكون صامتة فلا تؤذى الساكنين بضجيجها ٠٠ وهكذا ٠

وكم يكون عمر السلعة المصنعة ؟

ان العمر غير الجودة ، فطلقة الرصاص او الصاروخ لا يتعدى عمرها الثوانى ولكن هذا لا يعنى ان تصنع من مادة رديئة ٠ ومستوى الجودة فى الاجزاء التى تتكون منها السلعة يجب ان يكون متوازنا بحيث تنتهى جميعا فى اوقات متقاربة ٠ ومما يطيل عمر السلعة ان تصنع من اجزاء نمطية يسهل استبدال غيرها بها عند الحاجة ٠

واخيرا لا ننسى مظهر السلعة . فمن السيارات مايتفوق ميكانيكيا ولكنه لا يقف امامسيارات اخرى تتميز بالكروم والتشكل الانسيابي . والمظهر الانيق .

رابعا :
التقنية النوعية

لقد كنا نتعلم - ونحن صغار - ان الصناعة لا تقوم في بلد الا اذا توافر فيه الفحم والحديد . وكنا ندرس في علم الاقتصاد ان التجارة الخارجية مبعثها الوحيد هو اختلاف نفقات انتاج السلع في بلد عنه في الآخر ، وان مبعث هذا الاختلاف هو مدى توافر المواد الاولية والقوى المحركة ورخص الايدي العاملة .. واخيرا تغير كل شيء . فقد اصبحت اليابان من اغنى بلاد الدنيا وليس في مناجمها فحم او حديد ، وليس في مزارعها قطن او حبوب . ولكنها اعدت لنفسها اسطولا ضخما من السفن يجلب لها ما تشاء من المواد الاولية باسعار قليلة من اسواق العالم ، ثم يعيدها مصنعه باسعار عالية الى هذه الاسواق . فيبقى لليابان فرق السعر وهو كبير . لقد برز دور التكنولوجيا في التجارة الخارجية ، وتراجع دور توافر المواد .

ان اليابان تبيع اليوم راديو الترانزستور ، واجهزة التليفزيون ، وآلات التصوير ، والساعات، لا بمقدار ما فيها من معدن ومطاط ، ولكن بمقدار ما في تصميمها من علم وخبرة .

والولايات المتحدة تبيع اليوم اجهزة الكمبيوتر ، والطائرات النفاثة ، واسلحة الدمار ، ومعدات الطهو والغسل والكي والتبريد ، لا بمقدار ما في حديدها من جودة ومتانة ، ولكن بمقدار ما في كهربائها والكتروناتها من جدة وفاعلية . بل ان مصانع القماش تتميز اليوم بما تستحدثه فيه من خصائص سهولة الغسل والتجفيف وعدم الانكماش .

التقنية في الكويت ومصر

ما دام هذا هكذا فانني اتساءل ماذا يمنع الكويت - ولديها رأس المال - من ان تسرع باستقدام التكنولوجيا الحديثة ، فيكون لها من المصانع ما يدر عليها دخلا لا يقل عن دخل البترول ؟ ذلك والبترول الى نفاد ، على حين ان الصناعة الى بقاء وتزايد . لقد نجحت الطباعة في الكويت . ونجحت صناعات الرخام والتعليب والتجميع والصيد والفندقة ، فلماذا لا تنجح صناعات الاثاث المعدنية والبلاستيك والورق والصيني والمصنوعات الجلدية ، ثم تتبعها صناعات الساعات والراديو والتليفزيون والثلاجات والتكييف ، بل السفن والسيارات ؟

ان الجيل الجديد من الكويتيين الذين يدرسون العلم في اوربا وامريكا قادرون على ان ينقلوا الى الكويت احدث ما وصلت اليه التقنية الصناعية. والتقنية هي اليوم - كما قدمت - حجر الزاوية في كل تقدم .

وما اقوله عن الكويت اقول مثله عن السعودية وليبيا وامارات الخليج والعراق وغيرها .

لقد قطعت مصر شوطا بعيدا في تصنيع نفسها . وقررت اخيرا ان تنفتح على الغرب وعلى الشرق جميعا ، لانها ادركت ان الآلات لا تنتج وحدها . ومهما تقدمت العقول الالكترونية فهي دائما في حاجة الى عقول فوق الاكتاف . ولذلك تسعى مصر الى الاستعانة برؤوس الاموال العربية وبالخبرة الاوربية والامريكية ولن تجيء رؤوس الاموال والخبرة الا اذا اشتركنا في الصناعة . اما الاقتراض واما الاستخدام فهما وسيلتان ثبت اخفاقهما في تحقيق ما عقد عليهما من آمال . ولا خوف من الاستعمار الاقتصادي ما دامت الدولة متنبهة الى فرض سيادتها في كل حالة بخصوصها .

ان رؤوس الاموال العربية نصف ، يحتاج الى نصفه الآخر وهو الخبرة الغربية ، ومتى تلاقى النصفان انتقل العالم العربي من حالة التخلف التي يعانيها في سنة ١٩٧٥ الى عصر التصنيع في سنة ٢٠٠٠ . ولا شك ان هذا يتطلب خطة اقتصادية تضعها الجامعة العربية للربع الاخير من هذا القرن ، فتقوم بمسح شامل للامكانات المادية والبشرية المتاحة في كل بلد عربي ، وتحقق التكامل بين الاقطار العربية لتقوم التجارة بينها . وبالتجارة يتحقق التفاعل ، فتتم الوحدة ، او على الاقل - الاتحاد .

ولا بد ان يسبق كل مشروع صناعي دراسة مستفيضة لمدى قابليته للحياة . اما الاكتفاء في ذلك بالانطباعات والاماني فقد يصلح لتدبيج المقالات والخطب ، ولكنه لا يحقق ما يرجوه العالم العربي لنفسه في القرن القادم من مكان بين الامم . ■

السيد أبو النجا

كلمات في الدارجة

لها في اللغة الفصحى أصالتها ندعو إلى استعمالها كتابة ومحاضرة

الفسحة والفرجة

الفسحة والفسح في الدارجة مثل نزهة ونزه ، وزنا ومعنى ، وهو استعمال فصيح ، ولو لم يرد في معجم ولا في نص ماثور ٠ لأن كل ما يشتق في الفصيحة من مادة « فسح » ـ يدل على السعة ، اما حسيا (وهو الأصل في الدلالة) واما عقليا (وهو متفرع عن الحسي في الدلالة)٠

ومن الحقيقة الحسية : فسُح المكان ، وافسح ، وتفسح ، وانفسح : فهو فسيح ، وفسَحت وتفسحتُ في المجلس لصديقي : اى وسعت له ٠ وقد جاء في موضع واحد من القرآن الكريم : « يايها الذين آمنوا ، اذا قيل لكم : تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم » وتفسحوا وتفاسحوا : وسع بعضهم لبعض ٠

ومن المجاز : « لدينا فسحة من الوقت » : اى سعة ٠ « وهو في فسحة من الرزق » : اى غنى ، ورجل فسيح الصدر » ، اى حليم ٠ « وهو فسيح الافق » : اى واسع الفكر ، او واسع المعرفة ٠ « واذا كان في احكام بعض المذاهب تضييق فان في احكام غيرها فسحة » ، اى سعة ٠ وفي المرض والسفر خلال رمضان فسحة للافطار»، اى سعة من حرج الصيام ، لان الله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر ٠

فاذا قلنا : خرج الرجل في فسحة ، او هو متفسح في الحديقة ، فمعنى ذلك انه يطلب التوسعة على نفسه وانبساطها ، لان هذا العمل ونحوه مما يشرح الصدر ، وينفس الضيق ٠ وكذلك نقول : للطلاب الان في فسحة : اى في سعة وراحة من دراسته ، واكثر ما تكون في الراحة بين درسين ٠

الفرجة

الفرجة في الدارجة التطلع لاشياء او احداث تثير الاهتمام ٠ فهل هي فصيحة ، ولو انها لم ترد في مراجعنا اللغوية ؟

ان ما يشتق في الفصيحة من مادة « فرج » يدل على الشق ، او الاتساع بين شيء وغيره،سواء كانت الدلالة حسية (حقيقية) او مجازية (عقلية)

فمن الحقيقة لغويا : فُرجة الجدار او الثوب : الشق فيه ٠ وفرَجتُ بين الكراسي : وسعت بينها ، والثوب مفرّج : اى مشقوق ، وتفاريجه ، شقوقه ، وتفاريجُ الاصابع : الفتحات بينها ، وافرج لاخيك في المجلس ، وفرّج له : اى وسع وافسح له ٠

ومن المجاز : « فرَجَ اللهُ كربتك ، وفرّجها تفريجا » ، اى ازالها فاتسعت الحال بعد ضيق ، ومنه قول النبي عليه السلام : « من فرّج عن مؤمن كربة في الدنيا ، فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » ، ونقول اليوم : « حكم القاضي بالافراج عن المتهم ، اى ببراءته من تهمته، اذا كان متهما بجناية او جنحة عقوبتها الحبس ، ويقول الشاعر :

« ربما تكرهُ النفوسُ من الأمـ
ـر له فرجة كحل العِقال »

اى قد تكره النفوس امرا تضيق به ، واذا الفرج ياتي سريعا سهلا ، كما ينحَل عن البعير عقاله ، فتنشط وتنطلق خفيفة مثله ٠ وماذا تتوخى النفوس من التطلع الى الاشياء او الاحداث التي تثير اهتمامها او فضولها ، ولا سيما الاشياء او المناظر البهيجة ؟ انها تطلب التفرج او الفرجة من ضيقها ، او الترويح والتسلية ، وتسمية ذلك فرجة انما هي تخصيص للمعنى العام ، او هي من قبيل اطلاق معنى عام على معنى خاص ، وهو امر شائع في كل اللغات ، ومنها العربية ، وهو مما يفرج السبل للمتكلمين بها فتنمو وتتطور٠

وليس من الضروري ان يكون المنظر او الحدث بهيجا حتى يتطلع اليه الناس ، فقد يتطلعون في الشارع الى معركة بين طرفين ، او صدام سيارتين مما يحرك الانفعالات ، ويثير الاهتمام ، وقديما أشار ارسطو في كتابه « الشعر » الى ان مشاهدة المأساة Tragedy في المسرح تثير الاشفاق ، وفي ذلك « تطهير » للنفس ٠ فكل سبل الترويح فرج ، تتسع بها النفوس ، فالوجه الحسن فرجة النظار ، والكتب فرجة القراء ، والحديث مع الاصدقاء فرجة لهم ، وتامل الافكار الحكيمة فرجة المتامل ٠٠ ، وان لم تكن هناك رؤية لشيء محسوس، وكل من يتفرج فانما يطلب السعة من ضيق ٠

(م ٠ خ ٠ ت)

« جنة الله على الارض » لقب اطلقه الفرنسيون،عن جدارة واستحقاق ، على جزر القمر الجميلةالساحرة

اعرف وطنك ايها العربي

جزر القمر

استطلاع : سليم زبال

تصوير : اوسكار مترى
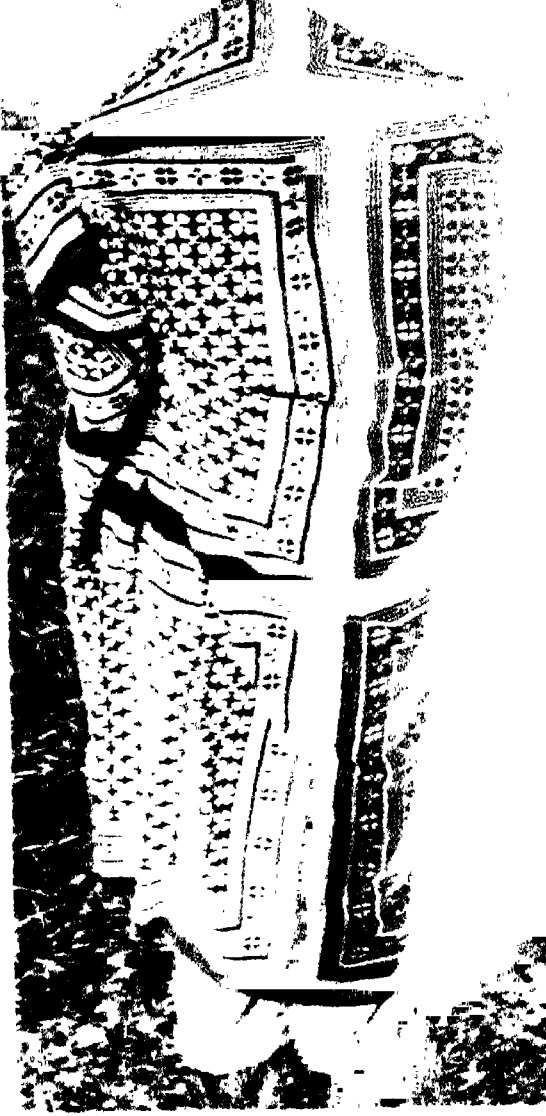
الشيرومان ، او اغرب حجاب شهدناه على امرأة! والى اسفل ثلاثة وجوه معبرة لابناء جزر القمر ،

● جزر أربع ، سكانها ٣٠٠ ألف نسمة

● جاءها العرب منذ ٣٠ قرنا ٠٠ ثم نسوها

● ٧٥٪ من عطور فرنسا مصدرها جزر القمر

■ جزر القمر ٠٠ اسم ساحر جميل ، يخفـي واقعا عربيا أليما مريرا ٠٠

لقد اكتشف العرب جزر القمر فسكنوها ،وتكاثروا فيها قبل ان يتركوها وينسوا اولادهم هناك ٠٠

ان عطر الريحان والنرجس والياسمين يخفي بمهارة رائحة الفقر والعذاب التى يعيشها ابناء جزر القمر ٠٠

لقد مضت عليهم خمسة قرون وهم يعيشون في ظلال التاريخ بعيدا عن الاضواء ، فوق اربعة جزر خضراء ، يولدون ويموتون بهدوء دون ان يدري بهم احد ٠٠ !

وجاءهم الفرنسيون منذ ١٣٠ عاما ، فاحتلوا اراضيهم دون عناء ٠٠ وانحنى القمريون على دينهم وعاداتهم وتقاليدهم يحمونها بحرارة من كل دخيل غريب ٠٠ ودقت طبول الحرية والاستقلال ٠٠ واستيقظ القمريون مع الشعوب المستضعفة ،وحصلوا على حريتهم ، وكادوا ان يصبحوا مستقلين تماما ٠٠

فترة انتقال صعبة

وتفتحت عيونهم على حقيقة اوضاعهم ، فترقرقت الدموع فى ماقيهم لفرط ما اكتشفوه من تخلف فى حياتهم المجمدة منذ ١٣٠ عاما كاملة ٠٠ لقد فاتهم قطار التطور ، فجلسوا يندبون حظهم ويبحثون عن وسيلة يجابهون بها مشاكل الحياة الجديدة المعقدة ٠٠ الذئاب الانسانية تحيط بهم من كل جانب تريد افتراسهم ٠٠ وصحف فرنسا تحطم اعصابهم بقولها ان مذبحة زنجبار الدموية ، سوف تتكرر فى جزر القمر !

فترة انتقال صعبة يعيشها القمريون حاليا ٠٠ الوزراء الفرنسيون بدأوا يرحلون ومعهم خبرة ١٣٠ عاما عن الجزر ٠٠ والوزراء الوطنيون بدأوا العمل ومعهم خبرة ١٣٠ يوما ، مع نقص كبير فى الحنكة ، واصول اللعبة السياسية ٠٠ وبين هذين العهدين يكمن التاريخ الحديث لجزر القمر

الجان وحمم البركان تحمى عرش بلقيس !

أما بداية قصة جزر القمر فتعود الى قرون السحيقة الماضية عندما حدثت الانفجارات الكونية وتغير شكل الارض ، فظهرت عند مدخل قناة

عباءة سعودية ٠٠ وعمة زنجبارية ٠٠ وخنجر يمنى ٠٠ وطربوش من ممباسا ٠٠ ورقصة الزارلة التى تشبه رقصة العرضة فى دول الخليج

موزمبيق اربع جزر بركانية صغيرة ، هى جزر القمر الحاضرة ، أخذت براكينها تخمد الواحد تلو الاخر ، حتى لم يبق منها اليوم سوى بركان كارتالا الثائر ، الذى يقولون ان فوهته هى اوسع فوهة بركان على الارض ..

وحول هذه الفوهة تدور اسطورة لطيفة مؤداها ان عرش ملكة اليمن بلقيس ، موجود بداخلها ، تحميه الجان وحمم البركان !

وطبيعى ان تلك الاسطورة تقف صماء بكماء ... القاء عرش بلقيس فى فوهة البركان .. ولكن ... يمكن ان نستشفه من هذه الاسطورة ... مدى ارتباط العرب منذ قديم الزمان ... ..

عرب هناك منذ ٣٠ قرنا ..

وقد ... الفرنسيون فى احدى هذه الجزر ... مخطوطا عربيا قديما يقول : « هذه ... القمر فى العصور القديمة ، فقد روى ... انه بعد عصر النبى سليمان بن داود ، جاء الى جزيرة جاريداد (القمر الكبرى) رجلان عربيان من منطقة البحر الاحمر ، ومعهما زوجتاهما واطفالهما وخدمهما . واستقروا فى هذه الجزيرة .. وبعدهم جاء اناس كثيرون من افريقيا وبحار ليسكنوا الجزر .. »

من هذا المخطوط القديم ، الذى يذكره كبار الكتاب الفرنسيين ، يتضح لنا ان العرب كانوا اول من قدم الى جزر القمر منذ حوالى عشرة قرون قبل ميلاد المسيح ..

فقراء .. نعم ولكننا لسنا تعساء !

واليوم وبعد مرور حوالى ٣٠ قرنا من الزمان الطويل على هجرة العرب الى جزر القمر ، نجد ان الناس قد تبدلوا واختلفوا ، ومن هنا كان اول سؤال وجهناه الى رئيس الوزراء القمرى السيد احمد عبدالله :

— من انت ايها القمرى ؟ .

فاجابنا رئيس الوزراء : « نحن مسلمون .. هذا هو ردى .. كنا مسلمين فرنسيين ، فاصبحنا مسلمين

الى اليسار : التعطش الى تعلم العربية شهدناه داخل غرفة صغيرة ضيقة يتكدس فيها عشرات الشباب من نادى الملاح بهروان يتعلمون اللغة العربية ، على يد الاستاذ التونسي نور الدين خلف الله ·· ان شباب النادى يستصرخ المسئولين فى الحكومات والهيئات العربية لمساعدته بكل شىء ·· ، لان العطشان ما يختار نوع الماء ، على حد قولهم !

الصورة العليا لواحد من مقابر « الشيرازى » المنتشرة فى الجزر ·· قالوا لنا : « اصلحوا قبورنا ، قبل ان تبنوا لنا ميناء جديدا ! » ·
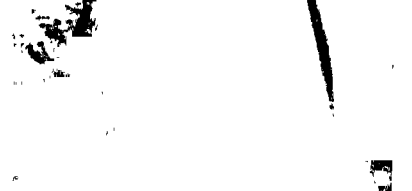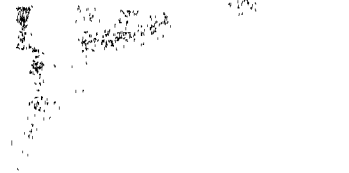
يقول المؤرخون الفرنسيون ان العرب هم اول من سكن جزر القمر بعد عهد سليمان الحكيم، جاءوا اليها من سواحل البحر الاحمر مع نسائهم واطفالهم وخدمهم ، وتعاقبت السنوات والقرون · وجزر القمر تعيش معزولة عن العالم ، ومع ذلك استمر اهلها يحافظون بغيرة زائدة على دينهم وعاداتهم وتقاليدهم العربية القديمة حتى طراز ملابسهم التى تثبت انهم من نسل التبابعة ، والاقيال فى اليمن الحضرمي القديمة ظلوا متمسكين به (الصورة العليا) فى قرية حنجونى بجزيرة مايوت جدا ، مسجد (الصورة اليسرى) كتب على محراب « بنى هذا المحراب السلطان عيسى بن السلطان محمد يوم ١٤ ذو العقدة بعد مضى ٤ تسعمائة من الهجرة النبوية » ·

قمريين .. لسنا افارقة .. ولسنا عربا .. ولسنا ملجاش .. نحن قمريون احدادنا العرب تروحوا افريقيات كثيرات وانحبونا .. وكثيرون من بلادنا ضائعو الماضي ، وان يكن بعضهم يحفظ ماضيه تماما ..

« زوروا بلادنا وقولوا انكم وصلتم الى ارض احدادكم .. حقيقة انا فقراء .. ولكننا لسنا تعساء .. انا بلد لا يموت سكانه جوعا ، فكل شيء ينبت بارضنا ، وبوفرة .. »

الاستقلال دون اراقة دماء ..

وتابع رئيس الوزراء حديثه قائلا : « اني سعيد بوصول اول بعثة صحفية عربية الى بلادنا .. اننا نامل كثيرا من اخوتنا العرب ، وانا ارحب برؤوس الاموال العربية وادعوها لاستثمار اموالها عندنا.. انها الارض البكر ، واى مشروع فيها سيحقق لصاحبه ربحا خياليا دهبيا .

« ان السياحة يمكن ان تصبح الصناعة الاولى في بلادنا ، فكل شيء جميل مجهول في جزرنا .. شواطىء رملية ساحرة محاطة باطار من الطبيعة المذهلة..لقد فتحنا مطارنا الدولي وبدات طائرات البوينغ في الهبوط فيه منذ ١٠ يناير الماضي .. انا في حاجة الى منشآت سياحية عديدة ، حتى نستطيع جذب اكبر عدد من السياح .. وعندنا مشروع كامل لزراعة القصب واستخراج ٢٥ الف طن سكر سنويا .. ان بلادنا هي بلاد قصب السكر، ولكن هذا المشروع يسير ببطء لعدم وجود راس المال اللازم لتنفيذه ، ومقداره ٢٣ مليون دولار تقريبا ..

« انا ننتظر كثيرا من اشقائنا العرب ومن فرنسا .. حقيقة ان فرنسا لم تعمل كثيرا لجزر القمر ، ولكنها في نفس الوقت لم تعمل قبيحا .. احترمت ديننا وعاداتنا .. واليوم وافقت على استقلالنا دون اراقة نقطة دم .. ان فرنسا دولة ممكن التعاون معها ، وعلاقتكم انتم العرب معها ، علاقة اقتدى بها ..

« بامكاننا ان نربح الكثير بالصداقة .. وقد ربحنا فعلا استقلالنا بالصداقة .. ولا ارى هناك اى مانع من انضمامنا لمنظمة الوحدة الافريقية او لجامعة الدول العربية .. ان هذا الانضمام سوف يقوى شخصيتنا » .

الشيرازيون في جزر القمر

وجزر القمر الاربعة متباعدة بعضها عن بعض جغرافيا .. واذا انقسمت سياسيا ، فقل عليها السلام .. لهذا ينادى المسئولون دائما بضرورة تامين الوحدة الوطنية ..

انها بقايا تاثيرات الماضي القريب ، فكل جزيرة منها كانت تؤلف سلطنة مستقلة لها سلطانها وجنودها ونظامها ، وجزيرة القمر الكبرى كانت تنقسم الى تسع سلطنات مستقلة متناحرة .. كل هذه الانقسامات بالاضافة الى موقع الجزر الاستراتيجي عند المدخل الشمالي لقناة موزمبيق ، جعلها تعاني الامرين من الفتوحات والغزوات التي توالت عليها

تهمة مرفوضة .. معكوسة !

ومن المؤسف ان بعض الدول الافريقية تسعى الى تشويه سمعة اهل جزر القمر الطيبين ، فتدعي ان جزر القمر كانت المركز الرئيسي لتجارة الرقيق في المنطقة ..

القـمر .. أو القـمَر ؟

يطلق العربيون اسم جزر القومور Comore على هذا الارخبيل المكون من اربع جزر صغيرة .. ويطلق عليها المواطن العربي العادى اسم جزر القمر (بفتح القاف) . اما ياقوت الحموى فيقول في كتابه معجم البلدان **« والقمر بالضم ثم السكون ، جمع أقمر ، وهو الابيض الشديد البياض . ومنه سمي القمرى من الطير .. وقمر بلد بمصر .. والقمر ايضا جزيرة في وسط بحر الزنج ، وليس في ذلك البحر جزيرة اكبر منها »** يقصد به الكلام جزيرة مدغشقر التي كان يسميها المؤرخون العرب جزيرة القمر ، اما اليوم فاصبحت جزر القمر هي الجزر التي نتحدث عنها في هذا الاستطلاع

في دار السلام عاصمة تنزانيا ، شهدناهم وقد خصصوا الصالة الرئيسية في متحفهم الوطني لتجارة الرقيق .. علقوا الصور والمخطوطات التي تثير الضغينة والحقد على العرب « تجار الرقيق » على حد قولهم ..

تهم كاذبة ملفقة ، بل معكوسة .. لان اهل افريقيا هم الذين كانوا ياخذون عرب جزر القمر ، ويبيعونهم عبيدا في اسواق النخاسة !

وهذا ليس كلامنا ، بل كلام المؤرخ الفرنسي اوربان فور Orbain Faure الذي خصص فصلا عن قصة العبيد في جزر القمر في كتابه L'arch.pel Aux Sultans Batailleurs قال فيه : «بعد طرد القراصنة من بحر الانتيل ، لم يجدوا مكانا افضل من مياه موزمبيق ليتابعوا قرصنتهم ، ولكنهم اكتشفوا ان العمل في « تجارة العبيد » اكثر ربحا واقل مشقة .. فاتفقوا مع التجار الفرنسيين في جزر « مدغشقر » والاتحاد « وفرنسا » ، على جلب العبيد اليهم من افريقيا للعمل في مزارع المستعمرين .. وبدأوا تجارتهم اللاانسانية من سواحل افريقيا مرورا بجزر القمر ومدغشقر حتى الجزر الفرنسية السابقة .

« ازداد الطلب على « العبيد » وقل عددهم في افريقيا ، فرأى القراصنة في سكان جزر القمر انفسهم « مادة طيبة » يمكن استغلالها .. فدفعوا اهل مدغشقر بالاغارة مرة كل خمس سنوات على جزر القمر .. وكان المدغشقريون ينطلقون في اسطول كبير مؤلف من ٥٠٠ سفينة تحمل نحو ٢ الف شخص ، حتى يصلوا مدن جزر القمر ، فيهرب منهم الاهالي الى داخل القلاع العالية ، ويبدأ المدغشقريون بعملية نهب كل شيء من منازل ... ثم يجلسون بالايام متكاسلين تحت ظلال ... التي لجأ اليها القمريون المساكين ..

... وطأة الجوع والعطش يخرج القمريون من ... لتبدأ المعركة او المذبحة ، على الفور .. ... غير متكافئة فكل قمري يقابله خمسة ... .. وكان المدغشقريون يقتلون في ... من يحاول مقاومتهم من القمريين ، ويأخذون الاطفال وبقية الرجال الى السجن ويطلقون ... مدغشقر .. مخلفين وراءهم الخراب ..

... المذابح حدثت في عامي ١٨٠٠ و ١٨٠٥ ... كانت الاناث القمريات يتسلقن بركانا جامدا يرتفع نحو مائة متر ، ويلقين بانفسهن على صخور البحر حتى لا يقعن احياء في ايدي تجار العبيد القادمين من مدغشقر ..

« ولم تتوقف غارات المدغشقريين الحماسية الا في عام ١٨٢٠ بعد توسط حاكم جزر موريشيوس البريطاني .. »

هذه هي القصة الحقيقية لما يسمونه « تجارة الرقيق » في جزر القمر اوردناها باختصار لعل واحدا من سفرائنا العرب في دار السلام بتنزانيا يطلع عليها ، فيقوم بزيارة لقاعة المتحف الوطني هناك ! !

اجتماع لمجلس الوزراء المؤلف من عشرة أشخاص ورئيسهم أحمد عبد الله .. ان الدول العربية مطالبة بمساندة هذه الوزارة التي تعمل في ظروف صعبة للغاية .. ان دعوة هؤلاء الوزراء لزيارة الدول العربية ، سيخلق فيهم روحا فتية سوف تدفعهم لمضاعفة العمل .. « انا نعتمد كثيرا على اخواننا العرب .. »

« الخراب المستعجل .. »

ونشأ عن هذه المذابح والمعارك ، تقلص في عدد الرجال ، وازدياد في اعداد الاناث ، ولكن سرعان ما ضاقت الشقة بين الجنسين نتيجة للنظم الاجتماعية السائدة حاليا ، فالاسرة تقوم على اساس تعدد الزوجات ، والرجل ينتقل كل ليلة من منزل الى منزل ، وهي منازل تمتلكها الزوجات ،

الى اليسار : سمكة ، لا كل السمكات ، اعتقدوها ـدثرت منذ ٦٠ مليون سنة ، ولـا يها لا تزال تعيش على عمق ٥٠٠ متر في مياه جزر القمر !! انهـا سـكمة السـلينكانت الاسطورية··

وتدفع الحكومة القمريـة ٧٠ الف فرنك لكل مـن يصطاد سـمكة منها ، لتبيعها بمبلغ ٣٥٠ الـف فرنـك لمتـاحـف وجامعات العالم !! وحتى اليوم تم اصطاد ٨٣ سمكة منها فقط ·

الى اليمين : الليموريان ·· حيوان آخر نادر غريب ، يعيش في غابات جزر القمر ويجمع بين صفات القرد وآكل الحشرات!

الى اليمين : ١٠ اطباء قمريين ، ومثـلهم من الفرنسيين يعالجون اهل جزر القمر من الملاريا والسل في ظروف صعبة للغاية ·

الى اليسـار : نقـل العرب الى جزر القمر عاداتهم وتقـاليدهم ، وحتى هندسة مبانيهم·
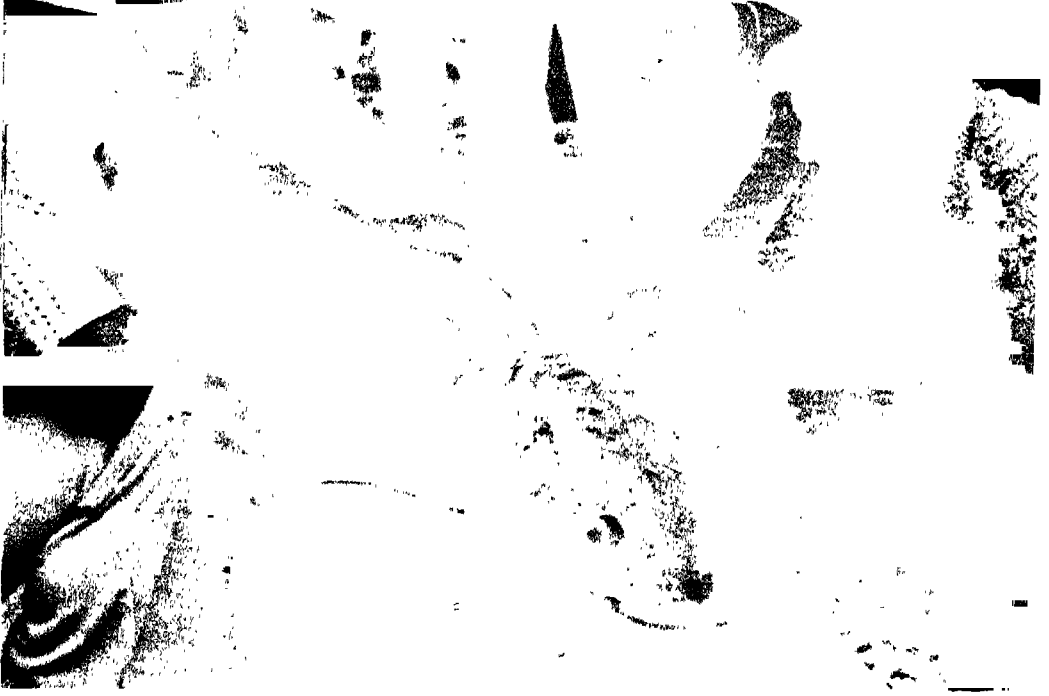
الى اليمين : اغرب المقابر هي مقابر اهل جزر القمر ، انهم يغرسون شجرة خضراء في وسط كل قبر ، وعندما سالناهم عن السبب قالوا : بعض علماء المذاهب الاربعة يقول : « ان كل شجرة ما دامت رطبة فهي تستغفر لصاحب القبر » .

ثلاثه مساجد كبيرة و ٢٠ مسـ
التى تصم نحو ٢٠ الف سمه

المدافع الانجليزية القديمة ما زالت فى اماكنها داخل القلعة التى
تشرف على مدينة متسمودو ،عاصمة جزيرة هنروان ٠٠ لقد
جلب السلطان عبد الله الاول هده المدافع من الهند عام ١٧٨٦ ليدفع
بها غارات اهل مدغشقر المدمرة ،على جزيرته .

فاذا حدث الطلاق بينهما فان الرجل هو الذى يرحل عن المنزل !

ويقوم الآباء ببناء المنازل لبناتهم منذ ولادتهن ٠٠ ويستمر البناء حتى تاريخ الزواج ، وكثيرا ما يتوقف البناء لعدم وجود المال لدى الاب ٠٠ ولهذا نجد البيوت فى معظم المدن وهى غير منتهية البناء.

والغريب ان تعدد الزوجات فىجزر القمر شائع منتشر ، رغم الارتفاع الهائل فى المهور ونفقات الزواج ، فالعريس فى العائلات الغنية يقدم لعروسه كمية ضخمة من الذهب يصل وزنها ثلاث كيلوجرامات تقريبا ، ويذبح ابو العروس نحو ٢٠ بقرة ليطعم بها اهل الحى فى ولائم متصلة تستمر عشرة ايام . وهذا « العراك المستفحل » دفع بالعرسان الى التوجه صوب مالاجاسى (مدغشقر سابقا) وساحل افريقيا للتزوج من هناك والعودة مع عروس قليلة التكاليف ٠٠

ولا يقتصر الغلاء على المهور والافراح ، بل يمتد الى مختلف مواد الحياة ، فبالاضافة الى موجة الغلاء العالمية نجد ان جزر القمر تستورد كل شىء من الخارج ، وهى لا تستورده مباشرة ، وانما يأتيها عن طريق تجار مدغشقر وافريقيا ، الذين يضيفون ارباحهم على البضائع قبل اعادة تصديرها لجزر القمر ، حيث يتحكم تجار الجملة الهنود والفرنسيون وقلة من القمريين فى اسعار الاسواق٠٠

السمكة الاسطورية

حتى السمك الذى تزخر به مياههم لا يحفلون به ، ويتجهون الى مدغشقر يشترون منها السمك باسعار فاحشة ٠٠

ان الصياد القمرى اصبح منذ عام ١٩٥٢ يحلم وهو مفتح العينين ٠٠ يحلم بصيد سمكة حدة تغنيه فى العال ٠٠ ! انها سمكة السيـ ...انت Coelancanthe النادرة الفريدة ٠٠ مائة ...معة ومتحف علمى فى جميع انحاء العالم يريدون ...راء سمكة واحدة من هذا النوع ، الذى تكمن اهـ... فى انه قد عاش فى العصور الاولى الموغلة فى ا... م ، اى منذ ٣٥٠ مليون سنة ، ثم اندثر منذ ٦٠ ...يون سنة ، ولم يعد له وجود فى مياه الكرة ا... ...ضية

ترتفع في موراني العاصمة
. لمسجد الجمعة الكبير .

يضيق الجامع الكبير فى العاصمةموروني بجموع المصلين .. فاهل جزر القمر قوم يتدينون رغم نقص التوجيه والارشاد .. واغلبهم لا يفهم العربية الا انهم ينصتون بكل انتباه الى خطبة شيخ الجامع ، التى يقرأها بالعربية من كتاب فى يده ..

لهذا كان لنبا العثور على سمكة منه فى مياه جزر القر ، دوى عظيم فى الاوساط العلمية العالمية .. اذ استطاع العلماء لاول مرة فحص التركيب البنائى لحيوان عاش فى العصور الاولى للانسان ..

ومما يذكر ان فريقا امريكيا مجهزا بمعدات خاصة للصيد فى اعماق البحار سوف يصل الى جزر القمر فى محاولة لصيد اول سمكة سيلنكانت حية فى التاريخ ..

وموسم صيد هذه السمكة ينحصر بين سبتمبر ومارس .. وهى تعيش على اعماق تتراوح بين ١٥٠ ، ٥٠٠ متر ، على مسافة تبعد نحو نصف ميل . الشاطىء ..

ثروات مهملة ..

ان ثروة السمكية غير المستغلة فى جزر القمر تمثل واحدة من الثروات الكثيرة المهملة فى هذا البلد الذى تتساقط عليه الامطار بغزارة لمدة ٧ شهور من السنة بمعدل ستة امتار سنويا على

الجبال ، ومترين ونصف على السفوح والوديان .. هذه الكمية الهائلة من مياه الامطار حولت حمم البراكين الى اراض زراعية ينمو فوقها اكثر من الفى نوع من النباتات والاشجار !

وتندفع مياه الامطار فى وديان جزيرة هنزوان على هيئة انهر سريعة الجريان تخلق فى طريقها شلالات عالية،يمكن استغلالها فىاستخراج الكهرباء على نطاق واسع لاغراض التصنيع ..

ومن الغريب ان الصناعة ازدهرت فى هذه الجزر فى نهاية القرن التاسع ، لتندثر وتنمحى مع اوائل هذا القرن ..

وهذه الصناعات قامت على تصنيع انتاج الارض .

فى البدء كان استخراج السكر من القصب .. لقد زرعوا جزيرة مايوت باكملها قصبا ، ونجحت زراعته نجاحا مذهلا منذ عام ١٨٥٠ حتى بلغ عدد مصانع السكر ١٨ مصنعا كانت تنتج ثلاثة آلاف طن سنويا ..

كان هدف اصحاب هذه المصانع الفرنسيين هو جمع اكبر كمية من المال فى اقل وقت ممكن ،

٧٥٪ من حاجة فرنسا الى اصول العطور، تستورده من جزر القمر ٠٠ ومعروف ان انتاج فرنسا من العطور يوازى نصف انتاج العالم ٠٠ وتعتبر جزر القمر فى مقدمة دول العالم انتاجا لاصول العطور ٠٠ ومحصول زهرة « الليلانج » بالنسبة لجزر القمر هو بمثابة محاصيل القطن لمصر والسودان، والتفاح للبنان ، والزيتون لتونس ، والموز للصومال ٠٠ وشجرة الليلانج تغطى الجبال والوديان فى كل مكان بجزر القمر ، وتعمر لمدة ١٥٠ سنة ٠٠ وتعطى زهورا بعد ٣ سنوات من زرعها ، بمعدل ٥ كيلو جرامات لكل شجرة ، وينقل الاهالى الزهور الى مناطق التجمع حيث يتم وزنها قبل تحويلها الى المقطرات ليتحول كل ٧٥ كيلوجراما منها الى لتر من العطر المركز ، الذى يصدر الى مدينة جراس عاصمة العطور فى فرنسا ٠٠ ومن المؤسف ان تجار فرنسا هم الذين يتحكمون ويضغطون لتخفيض سعر هذا العطر ٠٠ » ومنذ ٣ سنوات القينا بعشرة اطنان من رحيق الليلانج فى المياه لنحافظ على مستوى السعر ٠٠ وفى هذا العام تكررت نفس القصة (**الصورة السفلى**) ولكننا نامل ان نبيع لاسواق اخرى غير اسواق فرنسا ، عندما ناخذ امورنا بايدينا ٠٠ »

نريد العودة الى قصب السكر لانقاذ اقتصاد جزر القمر ٠٠ » وتحقيقا لهذا الهدف جلبوا ٢٠ نوعا من قصب السكر الكيني ، زرعوه في جزيرة مايوتة تحت اشراف خبراء فرنسيين ، وكانت النتائج مدهشة رائعة ٠٠ فالقصبة الواحدة تنتج قصبا لاربع انتاجات متتالية ٠٠ انها مقدمة لعمل مصنع كبير للسكر ينتج ٢٥ الف طن سنويا ٠٠ ولكن تمويل المشروع يقف عقبة في سبيل التنفيذ ٠

الكوبرا Cobra هو الاسم ... سطح القشرة ٠٠ وتنتج جوز الـ... تصدر للخارج لاستخراج الـ... واحدا في الجزيرة لا ستخراج ... الزراعة من المناء ٠٠

فلم يحفلوا كثيرا بتطوير هذه الصناعة او بانشاء ميناء وطرق لتصدير انتاجهم ، فبدأت ارباحهم تقل ، ومع نهاية الحرب العالمية الاولى شرعوا في اغلاق مصانعهم الواحد تلو الآخر ، وكانت نهاية صناعة السكر في عام ١٩٥٥ عندما اغلق آخر مصنع ابوابه ، ولم يتبق من هذه الصناعة سوى المداخن العالية المهجورة ٠٠

من السكر الى الفانيلا والحبال !

وانهارت صناعة السكر لتعقبها صناعة تقطير حشيش الـ Lemongrass وهي حشائش ليمونية تنبت في الهند الشرقية لها رائحة طيبة وزيت له عطر نفاذ يستخدم في صناعة الروائح ٠٠ وثبتت هذه الصناعة من مطلع هذا القرن حتى عام ١٩٣٥ وبعده تدهورت لعجزها عن منافسة انتاج الهند والصين ٠٠

وفي نفس الوقت بدأت زراعة الفانيلا ، وهي شجرة متسلقة يصل طولها نحو عشرة امتار تقريبا، تزهر زهورا يتم تلقيحها باليد لتعطي ثمرة طويلة مثل الفاصوليا ٠٠ يتم جمعها وغليها فيتحول لونها الى لون بني داكن ٠٠ وفي العام الماضي كان مجموع انتاج جزر القمر ٧٥٠ طنا من الفانيلا الخضراء ، تتحول الى ١٥٠ طنا بعد تصنيعها ٠٠ انها تصدر خاما الى الخارج ، في حين ان انشاء مصنع صغير يمكن ان يحولها الى فانيلا بودرة ! ٠

وعندما اندثرت عملية تقطير حشائش (الليمون جراس) تحول اصحاب المال في عام ١٩٣٥ الى زراعة نبات جديد يسمى السيزال Sisal كانوا يستخرجون منه الحبال بنجاح وبكميات كبيرة ، حتى ظهرت الحبال الصناعية في عام ١٩٥٥ فتدهورت صناعة الحبال الطبيعية وانقرضت تماما في عام ١٩٦٩ ٠٠

وازداد التركيز على استخراج العطور من الزهور ، وخاصة من زهرة الايلانج ، وفي العام الماضي انتجت جزر القمر ٩٠ طنا من العطور المركزة ٠٠

. عنى نب حورة الهند الذى
. لاف طن من « الكوبرا » ،
نصاعة الصابون ٠٠ ان مصنعا
نهد . كميل بأن يمقد هده

يشكل الارز الذى تستورده حزرالقمر نزيفا ماليا مستمرا للبلاد ٠٠ فهى تستورد سنويا ما قيمته ٨٠٠ مليون فرنك أفريقى (كل ١٩٠ فرنكا = دولارا) وفى المآتم والعمارات يطبخون كمية هائلة من الارز يبلع ورمهاحـو الطن توزع على حفافل المعزين ، والذى يتبقى من الارزالمطبوخ يلقى به فى البحر !!

كل شيء ممكن زراعته ولكن ٠٠

وتحدثنا الى المهندس احمد جابر مدير الزراعة والانتاج فقال لنا « الاراضى الزراعية فى جزيرة القمرالكبرى لا يزرع منها سوى ٦٠٪ من مساحتها، والباقى لا يزرع لقلة المادة ، وليس لنقص اليد العاملة ٠٠

« ومن الزراعة الناجحة فى الجزر ، زراعة القرنفل ويبلغ انتاجه ٢٥٠ طنا سنويا سترتفع قريبا الى الف طن ٠٠ وهناك زراعة جوز الهند وقد بلغ انتاجه ٥آلاف طن وهناك البن ويبلغ انتاجه ١٠٠ طن يمكن ان نضاعفها ٠٠ وعندنا الكاكاو وننتج منه ٥٠ طنا ٠٠ وعندنا اشجار القرفة ، وجوزة الطيب والفلفل والبهار ، الى جانب عشرات الانواع من اشجار الفواكه ٠٠ ان كل شيء ممكن زراعته فى جزرنا.ولكن الذى ينقصنا هو الامكانيات المادية » ٠٠

١٨ مدخنة مهجورة ٠٠ هى كل ما تبقى من ١٨ مصنع للسكر اقفلت ابوابها ٠٠ والطفل فى الصورة يحمل فى يده كمية من قرون الفانيلا التى حدت مكانة السكر ٠٠

لماذا يفضل البطالة ٠٠

والضريبة المفروضة على الصادرات تعتبر من اهم المشاكل التى لها تاثير على زراعة المحاصيل التصديرية ، وفى نفس الوقت تجعل الشركات

الى اليمين : فى ١٩ ديسمبر ١٩٧٤ . ت
اهالى جزر القمر الى جانب الاستة ،
بعد ان ظلت فرنسا تحكمهم منذ عام ١ ١٨
والصورة اليمنى ، تبين رئيس وزراء جزر
القمر السيد احمد عبد الله ٠

الى اليسار : القاضى عيد محمد ، يطل
من شباك المحكمة فى جزيرة مهيلى ،
لياخذ راى احدى الشاكيات ٠٠ والزواج
باكثر من واحدة شائع هناك ، وفى كل شهر
يحدث نحو ٣٠ طلاقا على يد القاضى عيد !

الصورتان الى اسفل : يتميز اهالى جزيرة
مايوت باللطف والكرم وحب الغناء، يعزفون
على على الآلات القديمة والحديثة ويغنون
للطبيعة الساحرة التى اغدقت بهجتها
على الجزر الاربع بسخاء وبدون حساب ٠

تضغط على عمالها فتخفض مرتباتهم الى الحضيض توفيرا للاموال وتخفيضا للسعر ، وهذا ما دفع بالعمال الى تفضيل حياة البطالة بدلا من العمل باجور متدنية للغاية ..

ان القمري انسان طيب يفهم الحياة بأسلوبه الخاص .. الطبيعة تزرع له الاشجار ، فاذا جاع رفع رأسه وقطف ثمرة المانجو او البابای او الموز ، او شرب ماء جوزة الهند .. واذا اراد البطاطا او المانيوك (نوع من القلقاس) حفر الأرض ليستخرج حباتها ..

ان مطالبه من الحياة ما زالت بسيطة .. الكهرباء غير موجودة في مهيلي ومايوتة .. وهو لا يزرع خضروات في ارضه ، لان كل قمري يملك قطعة ارض يزرع فيها حاجته وحاجة عائلته من الطعام ، فهو لن يشتري من الاسواق .. حياة اتكالية اوجدها نمط الحياة البشرية على مر الزمان ..

أزمة الشباب ..

ولكن نظرة الشباب بدأت تختلف عن نظرة الآباء .. انه شباب ثائر على وضعه .. انه يشعر بالاختناق في بلده المفتوح المعطر !!

واجتمعنا الى مجموعة من الشباب في ناديهم بجزيرة موالي نستمع الى متاعبهم وآمالهم وامانيهم .. كلهم يريدون منحا دراسية لتكملة علومهم في الخارج . لان المدارس في الجزر لا تؤهل لاي عمل جدي .. وتحقيقا لهذا الهدف التعليم في الخارج ـ بدأ اغلبهم في تجميع ٤٠ الف فرنك افريقي من اجل استخراج جواز سفر وتذكرة طائرة الى دار السلام ..

قلنا لهم : « ولماذا ستقصدون دار السلام ؟ »

اجابونا : « ان ابواب السفارتين الروسية والصينية مفتوحة لاي واحد منا من اجل الحصول على منحة دراسية نتعلم في واحد من هذين البلدين .. » .

أول جريدة قمرية ..

وفي لقاء مع السيد سيد علي يوسف وهو وزير مفوض بالرئاسة . ومكلف بالداخلية والاعلام . سألناه عن رأيه في موضوع جوازات السفر فقال:

« ما زال نظام منح الجوازات يتم عن طريق المقيم الفرنسي بعد تقديم الطلبات الى المحافظ ووزير الداخلية .. وقد اوقفت فعلا العديد من المعاملات التي تقدم بها الطلبة للحصول على جواز سفر . لان الدعاية الروسية والصينية انتشرت على نطاق واسع بين طلبة الثانوي وما كان بامكاننا معالجة هذا الوضع الا بالاقلال من منح الجوازات للطلبة » ..

قلنا : « رأينا في البلاد نشرة واحدة تطبع على الآلة الكاتبة وتضم بعض الاخبار عن جزر القمر فهل في النية السماح باصدار صحف ومجلات ؟ » .

فاجابنا وزير الداخلية والاعلام : « .. وزارة الاعلام لم يبدأ العمل فيها بعد ، ونحاول حاليا تنظيمها ووضع الخطط اللازمة لها .. اما بالنسبة للصحافة فانه لا توجد مطبعة في موروني العاصمة . ولكن خمسة من الشباب القمري الذين يدرسون في باريس قدموا لنا مشروعا لاصدار اول جريدة قمرية بالاتفاق مع جريدة الفيجارو الفرنسية وهذه الجريدة بدأت تصدر للقمريين في خارج البلاد .. وعندما يعود هؤلاء الطلبة بعد الانتهاء من دراستهم سيصدرون الجريدة من موروني العاصمة .

« وفي العاصمة محطة اذاعة فرنسية تعمل لفترة ٤ ساعات يوميا لتذيع منها باللغة القمرية .. وعندنا مشروع لانشاء محطة تلفاز .. لكن كل شيء متوقف على الميزانية .. »

أول مسجد كبير يقام في جزيرة مايوتة .. التي تضم ١٢٨ مسجدا صغيرا .. ويشترك الاهالي في العمل التعاوني من اجل اكمال بناء هذا المسجد الكبير ، ويقوم الحاج أحمد صالح ممثل جزر القمر في المجلس الاقتصادي الفرنسي ، بتغطية الجزء الكبير من نفقات بنائه ..

وعــد الحر ..

و... رئيس القضاة السيد محمد عبد الرحمن عن ر... ى مشاكل الشباب فقال :

« ... نا فى دور صراع داخلى .. جيل جديد ... يطالب بحريات اكثر .. وجيل قديم يريد التمسك بالقديم .. وهذا الصراع موجود فى كل مجتمعات العالم .. ومجتمعنا هو واحد من هذه المجتمعات .. ولكنى اطمئنك بان الغالبية من الشباب متمسكة بمبادىء دينها .. وكلنا على مذهب الامام الشافعى انه المذهب السائد .. والاحكام الشافعية تطبق حتى فى المحاكم الفرنسية، بحيث القاضى يجلس مساعدان عارفان بقوانين الشريعة الاسلامية ، يحكمون بموجبها فى الدعاوى الحقوقية ..

• اما الحد فلا يطبق لان المحاكم الجنائية ما زالت تابعة للفرنسيين يطبقون فيها القانون الفرنسى ..

• اننا نريد معهدا دينيا لتعليم ابنائنا اصول دينهم ... وفى عام ١٩٧٤ وعدتنا رابطة العالم الاسلامى ومقرها فى مكة بانشاء هذا المعهد .. كما سبق ان وعدتنا ليبيا عام ١٩٧٣ بفتح معهد دينى .. ونحن ما زلنا ننتظر تنفيذ واحد من هذين الوعدين » ..

نقبل ٣٢٪ من الطلبة

وجلسنا الى وزير التربية الاستاذ على مروجاى الذى يتحدث العربية والفرنسية بطلاقة ، نسأله عن دور وزارته فى النهوض

... الحديث **فقال** : « لقد ... منطقة مثقلة بمشاكل لا ... لها .. فالطالب يجد ان ... تثقل عقليه .. لانه ... غير لغته .. انه ... اللغة القمرية فى ... س بالفرنسية فى ... رغم ذلك فهناك ... الذين يحق لهم التعليم ، نرفض وجود اماكن لتعليمهم ..

التعليم عندنا هو ابتدائى وثانوى ... ٢٧ الف طالب ابتدائى و٤ آلاف .. ومأساتنا الثانية تكمن فى اننا ... ٥٠٪ من الطلبة الذين يحق لهم دخول

... حال كذالك نعواون ر حسن يو...
يكاو نغواو خول ننجن حاو يسال...
تسي يفوت .
يسر كال يخنس ندوم يوند يعن ت...
يمشتك يجوليي حيصاب يحي
تحيفوت . ووآند وحلتنغوليش :
بيليوان وحمخكم محو يفرنسا
يحز خسر زحساب .
يسر كال يوفق وكي يغرم يحيفو...
يفر ا د

هل يمكن أن نتدارك اللغة القمرية ، ونجعلها تستمر فى استعمال الحروف العربية ؟ لقد بدأ بعض الشباب يكتبها بالحروف اللاتينية ، لجهلهم بالحروف العربية .. والحكومة لا يمكنها تعليم العربية فى المدارس لعدم وجود المعلم اللازم .. والمعلم العربى لن يذهب الى هناك ، لان المسئولين العرب لا يعلمون شيئا عن جزر القمر !؟

« ومشكلة الحصول على الاساتذة تأتى فى مقدمة متاعبنا .. فنحن فى موقف حرج بالنسبة لتعليم اللغة العربية ، عندنا استاذ واحد فقط ، بينما المطلوب ١٠ اساتذة على الاقل لتدريس اللغة العربية وآدابها فى الثانوى فقط .. نريد من الدول العربية مساعدتنا بالاساتذة ، حتى يتعلم ابناؤنا العربية ..

« وعندنا حاليا ٢٠٠ استاذ منهم عشرة قمريين ، تقدمهم لنا فرنسا ، وفى كل عام دراسى جديد نحتاج الى ٢٠ استاذا اضافيا .. اننا نتساءل ماذا سيحدث لنا بعد الاستقلال ترى هل ستظل فرنسا تقدم لنا الاساتذة مجانا .. ؟؟ »

ويتابع وزير التربية حديثه قائلا : « ان المتاعب امامنا هائلة ، ونحن نعرف جيدا مشاكلنا التربوية ومشاكل ابنائنا .. انهم يتعلمون القرآن ويحفظونه عن ظهر قلب — دون ان **يفهموه** — قبل دخولهم المدارس الابتدائية ، وفى هذه المدارس تنقطع صلتهم باللغة العربية ويصبح التعليم بالفرنسية، وهذا شىء مؤلم لاطفال لا يتكلمون العربية ولا الفرنسية فى منازلهم .

الى اسفل : تميل المرأة القمرية الى الاناقة وحسن المنظر ، وتحقيقا لهذا الغرض تطلى وجهها بهذا القناع المعطر · من عجينة النرجس والياسمين ·· تتركه مدة ٢٤ ساعة ، وتسير به في الطرقات ·· ان كل شيء يهون عند حواء من اجل طراوة البشرة ونعومتها !!

، عدد النساء فى بلادنا يزيد ثلاث مرات على عدد الرجال ، لهذا يجب ان نتزوج باكثر من واحدة ! ، هذا ما اكده لنا اكثر من رجل ، ولكن التعداد الرســمى اثبت عكس ذلــك ، فالرجال اكثر من النساء ، فيما عدا فى جزيرة القمر الكبرى حيث يزيد عدد الاناث بنحــو ١٥٠٠ انثى ، وفى سوق العاصمة بموروني ، تقوم النساء ببيع كميات قليلة من الخضراوات والقرفة والبهارات وجوزة الطيب والطماطم والاناناس والموز (**الصورة اليسرى**) وترتدى المراة فى الجزر الاربع ملاءة غريبــة يطلقون عليها اسم . الشيروماں ·· تغطى جسم المراة تماما ، فيما عدا العينين ، فان يدى المراة تشدان الشيرومان ليترك فتحة طويلة رفيعــة تظهر من خلالها عيــون المــراة (**الصورتان السفلى واليمنى**) ·· واول مكان ظهر فيه الشيروماں كان فى جزيرة انجوان ، حيث اخذ مكان العباءة العربية السوداء ، ويقولون ان اصله من تركيا ·· وهو على لونين احمــر وبنى ·· واليوم اصبحت الفتيات يرتدين تحت « الشيرومان » احدث الازياء الفرنسية ، من الميني والميكرو حتى البنطلــون والماكســى !

« وإذا تجاوزنا هذه المشكلة نجد أن بلادنا فى أمس الحاجة الى اليد الفنية البسيطة أننا فى حاجة الى مدرستين تكميليتين لتعليم أبنائنا النجارة والحدادة .. ونحتاج الى مدرسة زراعية .. ومدرسة بحرية .. ومعهد للمعلمين فى العاصمة».

تنظيم المنح

قلنا : وماذا عن المنح الدراسية التى تقدمها البلاد العربية ؟

فاجابنا وزير التربية : « حتى الآن كانت الحكومة القمرية تجهل تماما المنح المقدمة من البلاد العربية لأبنائنا .. فهذه المنح قدمت لرجال الدين فى بلادنا . الذين تحملوا مشقات السفر من أجل تعليم أبنائنا .. وكنا نبارك مسعاهم لأنه يربطنا بالدول العربية التى ماكان بوسعنا الاتصال بها رسميا لأن أمورنا الخارجية كانت بيد فرنسا .. أما اليوم فقد بدأنا فى .. قائمة بالمنح من أجل توزيعها بالعدل على .. الجزر الاربع بمساعدة كبار القضاة في .. جزيرة .. »

« كيف لا يلتفت العرب الينا .. لم نجىء نطلب دراهم ، بل جئنا نستعطفهم فى تعليم ابنائنا ، وارسال بعض المصاحف والكتب .. ان الدول الشيوعية تفتح ابوابها على مصراعيها أمام شبابنا .. بينما الدول العربية تعطينا بالقطارة .. مع وعود ووعود .. ونحن لا نريد وعودا .. ان عندى ٤٠ طالبا أريد أن أعلمهم ، ومن أجل مستقبل هؤلاء الابناء أدق ابواب الدول العربية .. » هذا ما قاله لنا الشيخ هادى أحمد عبد الهدار ، المستشار الثقافى لرئيس الوزراء القمرى الذى قام برحلة الى الدول العربية للحصول على منح دراسية لأبناء « القمر »

تعالوا لزيارتنا

وينهى الاستاذ على مروجاى وزير التربية حديثه قائلا : « أنا تعبان جدا .. والذى يعنينى هو طموحنا الكبير الذى يفوق امكانياتنا .. والأمر معروف يمكن أن تسديه الينا مجلة العربى هو أن تعرض مشاكلنا دون تعميق . وتدعو اخوانـ.. العرب لزيارتنا . أو يدعونا هم لزيارتهم .. انه سيفهمنى ويفهم مشاكلنى عندما يرانى . وانا اخاف من الذهاب اليه ولا يفهمنى !! »

صـرخـة

وكانت لنا لقاءات طويلة اخرى مع كبار المسئولين ورئيس البرلمان مزور عبد الله ، كلها احاديث صريحة وجريئة نكتفى منها لضيق المكان . بالحديث الذى اجريناه مع الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الرحمن بن شيخ عامر ، رئيس قضاة جزيرة هنزوان ، الذى قال لنا :

« لقد رأيتم بلادنا على حقيقتها ، ورأيتم مآسينا .. لقد حكمونا لمدة ١٣٠ سنة .. أولادنا يهربون منا الى الدول الشيوعية ، وتلاميذنا يحفظون القرآن دون أن يفهموه .. من أجل هذا كله نطالب الدول العربية أن تفتح لنا أبواب معاهدها ليتعلم فيها أبناؤنا .. اننا فى حاجة الى كل معونة ممكنة فنحن نبدأ من الصفر .. وحالتنا لا تسر أى مسلم . فنحن فى عجز كامل سواء فى تعليم الدين أو الادب أو الاخلاق .

واعرباه ..

وحيثما ذهبنا كنا نسمع الاهالى يستعجلون المعونات العربية التى لم يعرها لهم أحد حتى الآن .. انهم يعتبرونها واجبا دينيا وقوميا مقدسا لا يمكن ان تتأخر عن ادائه اية دولة ..بية أو اسلامية .. لان الشعب الذى نقل الا..م الى الدول الافريقية لا يمكن تركه يضيع فى « مضيق موزمبيق ». ■■

سليم ..ال

حقوق السحب الخاصة تهز

الدولار الأمريكى

انها وحدة في تقييم عملات الدول جديدة

بقلم : روحى سالم باطه

■ طالعتنا الصحف فى الايام الماضية من امتزام عدد من الدول المصدرة للنفط ـ ومنها الكويت وقطر والمملكة العربية السعودية ـ باستبدال الدولار الامريكى كعملة تقبضها ثمنا لصادراتها من البترول وقبض الثمن بما يسمى بحقوق السحب الخاصة .

لا ابالغ اذا قلت ان هذه البادرة ستحدث ثورة فى اقتصاديات دول العالم ، وخاصة النامية منها ، الا قدر لها ان تصبح قاعدة للتعامل التجارى بعد ان يؤخذ بعين الاعتبار شروط نجاحها ، حيث سيفقد الدولار وبعض العملات الاخرى دورها التحكمى فى اقتصاديات الدول النامية .

من اجل فهم حقيقى لابعاد هذه البادرة لا بد لنا من فهم حقيقى لماهية النقود والمشكلة التجارة العالمية ، لكى نعرف انظمة التعامل التجارى منذ ما قبل الحرب العالمية الاولى الى وقتنا هذا ، ومن خلال ذلك سابرز دور الدولار الامريكى كعملة متداولة بين جميع الشعوب ، والمزايا التى يجنيها الاقتصاد الامريكى من جراء ذلك على حساب بقية دول العالم . وفى النهاية سنتعرف حقوق السحب .

وحقوق السحب الخاصة ، ومزاياها ، وشروط نجاح التعامل بها .

ماهية النقود

لكي نفهم ماهية النقود ، لا بد لنا من ان نرد الامور الاقتصادية المعقدة التي نعيشها اليوم الى اصولها البسيطة والسهلة الفهم لنعرف ثلاثة اشكال للتعامل الاقتصادي (البيع والشراء) عرفها الانسان وطبقها خلال تطوره الحضاري،وهي :

١ ـ اقتصاد المقايضة .

٢ ـ اقتصاد الديون .

٣ ـ اقتصاد النقود .

قد تكون هذه الاشكال الثلاثة ، وخاصة الاول والثاني منها قد تداخلت بشكل او بآخر خلال العصور القديمة ، الا انني ولاسباب توضيحية سافصل بينها جميعا بحيث تبدو وكان المجتمع البشري قد انتقل بشكل فجائي وبالتسلسل من الشكل الاول ، مارا بالثاني ، حتى الثالث .

ان تداخل هذه الاشكال الثلاثة من التعامل الاقتصادي يعني ان خواصها او شروطها الاقتصادية التي كانت تتحكم فيها كانت متشابهة حسب نوع التداخل ، والفصل بينها يعني الفصل بين خواصها ، كما ان الانتقال من شكل لآخر يعني اسقاطا ، لواحد او اكثر من هذه الشروط .

للتبسيط ايضا سنتصور دولة ما عرفت خلال تطورها الاشكال الثلاثة للتعامل الاقتصادي ، الا انها خلال التسلسل التاريخي لهذا التطور ظلت معزولة اقتصاديا، بحيث لم تعرف التبادل التجاري مع بقية دول العالم . هذه الفرضية التي ساقوم باسقاطها فيما بعد لنستعرض مشكلة التبادل التجاري بين الدول .

الدولة في عهد اقتصاد المقايضة

كانت الشروط الاقتصادية التي تسيطر على هذا العهد كالتالي : ـ

١ ـ تتم عمليات البيع والشراء بين السكان عن طريق المقايضة ، اي انهم لا يعرفون النقود ، وبما انهم لا يعرفون النقود فان البنوك بالتالي غير موجودة .

٢ ـ تتم عملية المقايضة او تبادل السلع في الحال ، اي بدون ان تنشا الديون .

للضرب مثلا على ذلك تحت هذه الشروط ان فلاحا يادل قسما من محصول قمحه مقابل محراث من حداد ، وبطريقة الرسم :

هنا نلاحظ ان اتجاه السهم الاسفل معناه ان المحراث انتقل من ملكية الحداد ليستقر في ملكية الفلاح ، اما اتجاه السهم الاعلى فمعناه ان القمح انتقل بالمقابل من ملكية الفلاح ليستقر في ملكية الحداد . كلا الطرفين اصبح المالك القانوني وفي نفس الوقت ايضا المالك الاقتصادي للسلعة الجديدة التي حصل عليها . لكي نعرف الفرق بين المالك القانوني والمالك الاقتصادي لا بد من اسقاط الشرط الاول من اقتصاد المقايضة لكي تدخل الدولة في عهد اقتصاد الديون .

الدولة في عهد اقتصاد الديون

ساعيد هنا ضرب المثل الاول بصيغة اخرى لنقول ان الفلاح اخذ من الحداد المحراث مقابل ان يعطيه قسما من محصول القمح وذلك بان يكتب له تعهدا خطيا بذلك . هذا التعهد الخطي سنسميه سند دين ، وبالرسم :

الحداد ⟵ المحراث ⟵ الفلاح

اتجاه السهم يعني ان الفلاح اصبح في الوقت الحاضر المالك القانوني للمحراث ، اما عدم وجود سهم آخر في الاتجاه المعاكس فمعناه ان الحداد ما زال المالك الاقتصادي للمحراث الى ان يتلقى من الفلاح قسما من محصول القمح بالمقابل،وعندها تصبح هذه العملية عملية مقايضة مثل سابقتها . والفرق الوحيد بين العمليتين هو عنصر الزمن

الذى ادخل على الثانية . لهذا يطلق عادة على اقتصاد الديون اسم اقتصاد مقايضة بواسطة الديون .

الدولة في عهد اقتصاد النقود

عند مقارنة اقتصاد المقايضة باقتصاد الديون نجد ان الثاني يسهل على الناس في بعض الحالات قضاء مصالحهم بالسرعة اللازمة ، الا انه تبرز في حالات اخرى مشكلة استيفاء الديون . يضاف الى هذا انه مع مرور الزمن وزيادة عدد السكان يصبح من الصعب ان يجد شخص ما دائنا يكون على استعداد ليصبر مدة طويلة او قصيرة لاستيفاء حقه على شكل سلعة يحتاجها . لهذا يوكل السكان السلطة في دولتهم مشكلة استيفاء الديون . والسلطه بدورها تحدث مؤسسة تكون وظيفتها تحصيل الديون بالطريقة التالية :

تقوم هذه المؤسسة باخذ سندات الديون التى تنشأ بين الافراد للتحصيل مقابل ان تعطيهم سندات دين عليها . والفرق بين السندات من النوع الاول والسندات من النوع الثاني ان الاولى غير متداولة بين الناس اما الثانية فميزتها التداول .

المؤسسة التي ذكرناها آنفا ما هي الا ما يعرف باسم البنك المركزى وفي بعض الدول مثل المملكة العربية السعودية تعرف باسم مؤسسة النقد .

اما السندات التى تعطيها (ونقول الآن تصدرها) هذه المؤسسة بالمقابل فهي ما نسميه بالنقود كالدينار والريال والدولار .

بهذا نكون قد تعرفنا على ماهية النقود ونقول بأنها ديون على البنك المركزى (١) .

لا يستطيع الافراد العاديون هذه الايام بالطبع مبادلة سندات الديون التى تنشأ بينهم بديون على البنك المركزى (نقود) ، وانما هذه مهمة منوطة بالبنوك التجارية وبالحكومة . فاى بنك تجارى وخاصة في الدول الصناعية يستطيع اذا كان بحاجة لسيولة نقدية خصم كمبيالات لدى البنك المركزى تحت شروط معينة ومقابل فائدة معينة لحساب البنك المركزى تكون في العادة اقل من الفائدة التى يسجلها البنك التجارى لحسابه عندما يكون قد قام بخصم هذه الكمبيالات لشركات او مؤسسات صناعية . كذلك تقوم الحكومات تحت شروط اقتصادية معينة بالاستقراض من البنك المركزى لانفاق هذه النقود من اجل تنشيط الحياة الاقتصادية .

هذه لمحة بسيطة ومختصرة جدا عن ماهية النقود والطريقة التى تتم بها اصدارها تخدم هدفنا .

مشكلة التجارة العالمية

لكي ندرك الواقع الاقتصادى الذى نعيشه اليوم يبقى علينا أن نسقط فرضية الانعزال الاقتصادى حيث تنفتح دولتنا على العالم اقتصاديا وتصدر الفائض من انتاجها لكي تستورد بالمقابل من دول اخرى ما هي بحاجة اليه .

الا أن المشكلة التي تواجه المصدرين والمستوردين هي ان المصدر لبضاعة ما ليس من الضرورى ان يكون مستوردا لبضاعة اخرى ومن نفس هذه الدولة ومن نفس الشخص الذى صدر اليه بضاعته .

المشكلة اذن كيف يستطيع المصدر ان يتقاضى ثمن بضاعته وكيف يستطيع المستورد ان يدفع ثمن البضاعة التى استوردها .

لقد سهلت عملية تبادل السلع بين الناس في دولتنا الخيالية باستحداث ما يسمى بالنقود عن طريق انشاء المؤسسة الحكومية المسماة بالبنك المركزى . اما مشكلة التبادل التجارى بين الدول فهي أنه لا يوجد هناك بنك مركزى يصدر نقودا تقبل بها الدول المختلفة بسبب الاستقلال السياسى والاقتصادى لتلك الدول .

نظام الذهب

حتى ما بعد الحرب العالمية الاولى كان المستوردون والمصدرون يدفعون ويقبضون ثمن وارداتهم وصادراتهم بالذهب ، سواء أكان ذلك

---

(١) لعل العملة الورقية للمملكة العربية السعودية من العملات القليلة في العالم التى توضح هذه الحقيقة . فالعبارة التالية مطبوعة على الريال السعودى : تتعهد مؤسسة النقد العربي السعودى بأن تدفع عند الطلب لحامل هذا السند مبلغ ريال واحد .

بصورة مباشرة او غير مباشرة . كان الذهب ادن (ولا زال) العملة المتداولة آنذاك والتي يقبل بها الجميع على اختلاف جنسياتهم وانظمتهم الاقتصادية التي ينتمون اليها. يعرف نظام التبادل التجاري بين دول العالم آنذاك باسم نظام الذهب ولسنا هنا بصدد ذكر المؤثرات السلبية على اقتصاديات الدول الصناعية آنذاك والتي ادت الى سقوط هذا النظام . والاعتقاد الشائع ان العملات في العالم اليوم وخاصة تلك المسماة بالصعبة وعلى راسها الدولار الامريكي مغطاة بالذهب هو اعتقاد خاطيء . ويمكننا ان نستدل على ذلك بالاستنتاج :

١ ـ لو كانت العملات في العالم مغطاة بكاملها بالذهب لما سقط نظام الذهب ولبقي قاعدة التعامل التجاري بين دول العالم حتى اليوم .

٢ ـ عندما يرتفع سعر الذهب يهبط سعر الدولار الامريكي وعكس ذلك عندما يرتفع سعر الدولار يهبط سعر الذهب ولو كان الدولار الامريكي مغطى بكامله بالذهب لكان ارتفاع سعر الذهب دليلا على ارتفاع سعر الدولار . ويمكن للقاريء ان يثبت ذلك لنفسه بان يطالع اسعار العملات والذهب في الصحف .

من بين أسباب سقوط نظام الذهب ، وهذا ما يهمنا معرفته الان انه لم يكن ليستطيع ان يفي بمتطلبات التبادل التجاري بين الدول في ما بعد الحرب العالمية الاولى بسبب زيادة قيمة حجم التبادل التجاري بعد الحرب ، حيث ان كمية الذهب آنذاك لم تكن تكفي لتمويل التجارة العالمية . لهذا تحول العالم بالتدريج وحسب توزيع مراكز القوى فيه الى نظام آخر يعرف باسم نظام النقد والذهب.

نظام النقد والذهب

Gold-Exchange Standard

كانت البنوك المركزية في دول العالم المختلفة حسب هذا النظام تحتفظ الى جانب احتياطيها من الذهب بعملات اخرى هي الدولار والجنيه الاسترليني التي تكون قابلة في كل وقت لتحويلها الى ذهب. كانت الثقة بهاتين العملتين هي التي ادت الى عدم سقوط هذا النظام ، اذ انه لو طالبت البنوك المركزية في العالم مجتمعة في وقت واحد بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بتبديل ما لديها من دولار وجنيه استرليني، بذهب لانهار هذا النظام. وقد ظل معمولا به الى ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث اخذ الدولار يحتل بالتدريج مركزا رئيسيا بسبب المساعدات الامريكية والمعروفة باسم مشروع مارشال لاعادة اعمار اوروبا بعد الحرب

اضفيت على الدولار الامريكي والجنيه الاسترليني ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ صبغة قانونية كعملة رئيسية لتمويل التجارة العالمية بتوقيع معاهدة بريتون وود[١] . الا ان الدولار الامريكي الذي كان يستمد قوته من قوة الاقتصاد الامريكي اخذ يزاحم الجنيه الاسترليني بسبب الخراب الذي حل ببريطانيا خلال الحرب الثانية لهذا يطلق ايضا على نظام النقد والذهب فيما بعد الحرب اسم نظام الدولار والذهب .

(١) بريتون وود Bretton Wood هي مصيف صغير . على الساحل الشرقي للولايات المتحدة الامريكية .

نظام الدولار والذهب

Gold-dollar Standard

اجتمع مندوبو ٤٤ دولة في بريتون وود (١) في مؤتمر نقدي عالمي عام ١٩٤٤ من اجل تسهيل حركة التجارة العالمية ووقعوا على معاهدة بريتون وود التي اقرت انشاء صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وقد انضمت الى هذه المعاهدة دول اخرى فيما بعد حتى اصبح عدد الموقعين عليها اكثر من ١٠٠ دولة . والذي يهمنا من بنود هذه المعاهدة هي تلك التي اضفت على الدولار الامريكي الصبغة القانونية كعملة رئيسية تقبل بها جميع دول العالم .

حسب المادة الرابعة لصندوق النقد الدولي فانه يجب على كل دولة تكون عضوا فيه ان تقيم عملتها بالذهب او بالدولار الامريكي . كان يقال مثلا ان الدينار يساوي وزنا معينا من الذهب وبالتالي فهو يساوي كذا دولارا امريكيا . اما الدولار الامريكي بدوره . فيقيم بالذهب فقط . حيث نصت المعاهدة ان سعر الأونس الواحد من الذهب يساوي ٣٥ دولارا امريكيا . (الأونس «الأوقية» = ٣١ر٣ غرام) . بهذا تتعهد الولايات المتحدة الامريكية للدول الموقعة على المعاهدة بمبادلة هذه الدول ما لديها من دولارات (عند الطلب طبعا) بذهب او ان تشتري ذهبا مقابل بيعها دولارات ،بعبارة اخرى تكون الولايات المتحدة الامريكية قد تعهدت بأن تحافظ على سعر الدولار ثابتا بالنسبة الى سعر الذهب .

لكي ندرك مدى النفع الذي عاد بهذه المعاهدة على الاقتصاد الامريكي . ولكي ندرك بالتالي مدى اطلاق يد السياسة الامريكية في مقدرات الشعوب . وتسييرها لمصلحة السياسة والاقتصاد الامريكيين - يحسن بالقارىء ان يعيد الى الذهن الامثلة التي قراها في البداية والتي استخلصنا منها ان العملات ومنها الدولار ما هي الا ديون على البنوك المركزية التي تصدرها وبالتالي فهي ديون على الدول التي تحمل هذه العملات اسمها .

الدولار الامريكي والاقتصاد العالمي

ان الناظر لظواهر الامور يرى ان الاقتصاد الامريكي هو اقوى اقتصاد على الكرة الارضية . فهو يستطيع ان يكون سندا للسياسة الامريكية بشن الحروب وتحمل اعبائها لسنين عديدة وبمنح المساعدات الاقتصادية والعسكرية او بايقاع العقوبات الاقتصادية . كذلك فهو يشارك في المؤسسات الصناعية الضخمة خارج امريكا او يشتريها .

الا اننا عندما نأخذ بالتحليل وتحت ضوء الواقع روافد هذه القوة ، سنجد ان مركز الدولار الامريكي في العالم يشكل بلاشك رافدا رئيسيا لها . فبواسطته تمول ثلاثة ارباع حجم التجارة العالمية . حتى ان التعامل التجاري مع الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية يتم بواسطة الدولار .

منذ الحرب العالمية الثانية وحتى بداية الحرب الكورية استطاعت الولايات المتحدة الامريكية ان تدافع عن سعر الدولار المنصوص عليه في معاهدة بريتون وود ، فعندما كان يهبط سعره كانت تلجا لبيع كميات من احتياطيها من الذهب وبالعكس عندما كان يرتفع سعره كانت تقوم بشراء الذهب من الاسواق العالمية . الا ان الحرب الكورية - شانها في ذلك شان حرب فيتنام - كانت تتطلب من امريكا اسلحة وعتادا وكل ما تحتاجه آلة الحرب .

ومن المعلوم ان كمية الاسلحة التي تصنع في زمن السلام تكون عادة اقل بكثير منها في زمن الحروب . لهذا كانت الصناعات الاستراتيجية وقسما من الصناعات الاستهلاكية التي تنتج بضائع للاستهلاك او الاستثمار المدنيين تحول معظم سعتها الانتاجية لانتاج وتزويد الجيش الامريكي بالاسلحة والعتاد ، للارباح الطائلة التي تجنيها من وراء ذلك بسبب انعدام او قلة المنافسة . هذا يعني نشوء فجوة بين الكمية المنتجة من السلع للاغراض المدنية وبين الطلب على هذه السلع ، وفي هذه الحالة كان الاقتصاد الامريكي يسد هذه الفجوة عن طريق الاستيراد . بفضل ان الدولار عملة مقبولة لدى جميع الدول .

لهذا يمكن القول ان دول العالم اشتركت مع الاقتصاد الامريكي في تمويل حرب امريكا في كوريا كما مولت وتمول المساعدات العسكرية والاقتصادية الامريكية وكذلك الاستثمارات خارج امريكا بطريق غير مباشر . مع العلم ان كمية الدولارات التي اشترت وتشتري بها امريكا من دول العالم تفوق

بكثير جدا كمية الذهب لديها ، وهي التي تستطيع بها ان تدافع عن سعر الدولار في اسواق النقد .

كان ـ والحالة هذه ـ ان هبط سعر الدولار اثناء الحرب الكورية وبعدها هبوطا كبيرا . الا ان امريكا استطاعت بطريقة او باخرى تلافي الازمة الاولى للدولار . الى ان جاء ديغول عام ١٩٦٠ وطالب بخفض سعر الدولار بالنسبة للذهب لكي يصبح ٧٠ دولارا لكل اونس من الذهب الصافي . ويبدو ان ديغول كان في ذلك الوقت على علم بالقيمة الحقيقية للدولار . لم تستطع امريكا آنذاك تلافي ازمة الدولار مرة اخرى لولا مساعدة البنوك المركزية لدول اوروبا الصناعية وهذه البنوك اخذت تبيع الذهب مقابل الدولار للمحافظة على سعره .

محاولات لنجدة الدولار

مرة اخرى هبت الدول الصناعية لنجدة الدولار عندما قامت امريكا بتوسيع الحرب في فيتنام عام ١٩٦٨ حيث زادت كميات البضائع المستوردة الى امريكا لسد الفجوة بصورة كبيرة . مما اضطر تلك الدول آنذاك لبيع ٤٠٠ طن من الذهب مقابل دولارات امريكية ، الا ان ضخامة كمية الدولارات المعروضة للبيع آنذك كانت اكبر من ان تستطيع البنوك المركزية في اوروبا شراءها مقابل الذهب. لهذا طلبت امريكا من تلك الدول اغلاق اسواق الذهب الرسمية لديها ، وبقيت ازمة الدولار الى يومنا هذا .

والجدول باسفل الصفحة يبين بالارقام سبب الازمات التي حلت بالدولار :

يقف الدولار الآن بدون سند او دعم ، بعد ان قامت الدول الصناعية بتعويم عملاتها ، حيث يقرر قانون العرض والطلب الحر ـ اي بدون تدخل البنوك المركزية في اسواق النقد ـ اسعار العملات المعروضة للبيع والشراء . ومنذ بداية حرب فيتنام وحتى الآن نزلت قيمة الدولار الى اكثر من ثلث قيمته الاصلية .

كان من نتائج حرب فيتنام التضخم المالي الذي يعيشه العالم اليوم ، فهي قد التهمت قسما كبيرا من الانتاج القومي الامريكي واستطاعت امريكا سد الفجوة عن طريق الاستيراد وذلك بكميات ادت الى تناقص العرض امام الطلب ، مما ادى الى ارتفاع الاسعار في الدول الصناعية في البداية ثم الى بقية دول العالم .

جاء التضخم المالي كارثة في العالم ، الا انه يبدو في الوقت ذاته انه جاء منجدا لامريكا بسبب الديون الهائلة المتراكمة عليها اذ ان كل موجودات البنوك المركزية بالدولار انما هي ديون على الاقتصاد الامريكي . وهبوط سعر الدولار معناه التحلل بطريقة غيرقانونية منقسم من هذه الديون، والسبب في ذلك « معاهدة بريتون وود » التي كان لامريكا دور رئيسي في اخراجها الى حيز الوجود ، والتي نصت بالحرف ان سعر الاونس الواحد من الذهب الصافي يساوي ٣٥ دولارا امريكيا .

هناك نتيجة اخرى يمكن استخلاصها مما تقدم ، وهي المناداة بضرورة سحب الارصدة العربية بالدولار من البنوك الامريكية . ان كون الدولار دين على الاقتصاد الامريكي يبين لنا سذاجة هذه النداءات ، فالديون حقوق لاصحابها والحقوق لا تسحب .

صحيح انه يمكن تحويل هذه الدولارات الى ماركات المانية مثلا ولكن هذا لا يعني بالضرورة سحبا لتلك الارصدة ، اذ انه في هذه الحالة يصبح الاقتصاد الامريكي مدينا للاقتصاد الالماني الذي يكون بدوره مدينا للدول التي حولت ارصدتها الى ماركات المانية .

تكاليف حرب فيتنام بالسنة	٣٠ الف مليون دولار .
مساعدات اقتصادية وعسكرية في السنة	٦ آلاف مليون دولار .
استثمارات خارج امريكا من عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٧٣	٥٧الف مليون دولار

حقوق السحب وحقوق السحب الخاصة مزاياها وشروط انجاح التعامل بها

مع فقدان الثقة بالدولار كان لا بد من ايجاد عملة بديلة للتعامل التجاري بين دول العالم . لهذا فقد اجتمع في الثلاثين من آذار (مارس) عام ١٩٦٨ وزراءالاقتصاد ورؤساء البنوك المركزية لنادي الدول الصناعية العشرة بحضور مراقبين عن صندوق النقد الدولي ، وبعض المؤسسات العالمية الاخرى ، وقرروا ان يتم دفع ثمن الواردات بين الدول كالاتي :

تدفع جميع الدول الاعضاء في صندوق النقد الدولي ٢٥٪ من راس ماله بالذهب وذلك حسب امكانيات كل دولة . اما ال ٧٥٪ المتبقية فتدفع بالعملة الخاصة بكل دولة ، كان تدفع الكويت مثلا حصتها بالدينار الكويتي ومصر بالجنيه المصري وهكذا . وعندما تستورد مصر مثلا من فرنسا بضاعة فانها تقدم طلبا لصندوق النقد الدولي لتشتري منه فرنكات فرنسية مقابل ان تدفع الثمن اما بالذهب او بالجنيه المصري . وعندما تحتاج دولة ما الى سيولة نقدية فانها تتقدم بطلب لصندوق النقد الدولي وتطلب منحها قرض مؤازرة Stand by credit يسمى حقوق السحب Drawing Rights لمدة ٦ اشهر الى سنة ويمكن تمديده .

اما احتياطي البنوكالمركزية في العالم فسيكون بدلا من العملات الصعبة المتعامل بها حاليا وعلى رأسها الدولار الامريكي ـ ما يسمى بحقوق السحب الخاصة Special Drawing Rights وهي تختلف من حقوق السحب في انها ليست قروضا وانما هي عملة عالمية يصدرها صندوق النقد الدولي سنويا بكمية تتناسب وحجم التجارة العالمية الذى يحسب سلفا . وتوزع حقوق السحب الخاصة على الدولالاعضاء حسب عملية حسابية معينة وتستعمل لسد ما يسمى بالعجز التجاري في ميزان المدفوعات حيث يجب على جميع الدول الاعضاء قبولها ثمنا لصادراتهم .

تنبعاهمية حقوق السحب وحقوق السحب الخاصة مما يلي :

١ ـ انها لا تمثلديونا علىدولة معينة كالدولار الامريكي مثلا ، لهذا فان قيمتها لا ترتفع ولا تنخفض حسب الحالة الاقتصادية لدولة ما بل تبقى ثابتة ، ذلك انها مُقيّمة بالذهب فقط .

٢ ـ تقضي على المزايا التي يتمتع بها الاقتصاد الامريكي على حساب الدول الاخرى وخاصة النامية منها .

٣ ـ لا تتعلق كمية هذه العملة ، وبالتالي قيمتها ، بمقررات دولة ما ، وانما تاتي نتيجة مقررات الدول الاعضاء .

٤ ـ تستطيع الدول الفقيرة ان تكون اكثر حرية في التخطيط لنموها الاقتصادي لانه ستقل اهمية المساعدات والقروض المشروطه التي تمنحها الدول الكبرى للدول الصغرى . ولاول مرة في التاريخ الحديث لا تكون خطط التنمية في الدول النامية صدى مباشرا لقيمة الصادرات لهذه الدول .

شروط انجاح التعامل بحقوق السحب الخاصة :

١ ـ يشترط ان لا يرتفع سعر الذهب في الاسواق الحرة ارتفاعا يؤدي بالبنوك المركزية الى عدم التخلي عن ذهبها مقابل شرائها لهذه الحقوق لسد حالة العجز الطويل الامد فيميزان المدفوعات.

٢ ـ ان لا تستعمل حقوق السحب الخاصة لسد العجز في ميزان المدفوعات لدولة ما او لعدة دول لمدة تقاس بالسنوات .

٣ ـ يتطلب التعامل بحقوق السحب الخاصة ان تتعاون كافة الدول الاعضاء بصورة عملية وخالية من الاطماع .

وبعد ، فانه انطلاقا من مبدأ المعاملة بالمثل يتوجب على الدول العربية المصدرة للنفط البيع بعملاتها التي تقوم بتعويمها كما تفعلمعظم الدول الصناعية الان . الا انها بتعاملها بحقوق السحب الخاصة تظهر تسامحا وانسانية تجاه كافة دول العالم وخاصة الفقيرة منها .

روحي سالم باطه
ماجستير اقتصاد سياسي
عمان ـ الاردن

من أمراض الصيف

التعرض للشمس والحرارة

وتأثيره على الجسم

بقلم : الدكتور محمد محمد ابو شوك

■ ويمر صيف ، ويأتي من بعده صيف اخر لعام جديد ، وبحلول الصيف تكون امراضه الخاصة به من ضربة الشمس او الحر ، الانهاك الحراري ، واثر الشمس على الجلد وغيرها من امراض •

وان أنس لا انسى صيف عام ١٩٦٠ عندما اشتركت في بحث عن تأثير حرارة الشمس على حجاج بيت الله الحرام • وكان صيفا واي صيف • فلقد اجتاحت الشرق الاوسط موجة عارمة من الحر الشديد ، فبلغت درجة الحرارة في ايام الحجيج ٤٤ - ٥٠ ° م ، وكانت نسبة الرطوبة تتراوح ما بين ١٠٪ - ١٥٪ •

اولا : ضربة الشمس

لو استعرضت للقارىء ما حدث في هذا العام من عدد اصابات ضربة الشمس في ثلاثة ايام ، يوم عرفة ، واليومين الأولين من الاقامة في منى ، اذن لعرف مدى خطورة هذا المرض • فلقد ادخل المستشفى في هذه الأيام الثلاثة مايقرب من ٧٤٤ حالة منهم ٤٨٤ حالة مصابة بضربة شمس توفي منهم ٣٧٧ • وهذه نسبة عالية للوفاة ، ولكن اتضح ان معظم الذين حولوا الى المستشفى كانوا في حالة خطرة ، وحضروا الى المستشفى بعد فوات الاوان لانقاذهم ، وبعد تعرضهم لفترة طويلة الى حرارة الشمس المحرقة •

ومن هذا البحث ايضا اتضح ان هؤلاء المرضى كانوا يعرضون انفسهم لحرارة الشمس وقتا طويلا ظنا منهم انهم بذلك يكسبون اجرا عظيما ، وما ذلك في الدين من شيء •• فعملهم هذا لا يتفق وقوله تعالى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) وديننا سمح ، ليس فيه مشقة ولا رهبانية ، حريص على صحة الفرد وصحة الابدان •

ولقد اتضح في هذا البحث ايضا ان للجنس اهمية في نسبة حدوث حالات ضربة الشمس • ففي الاجناس ذوي البشرة غير الملونة ، والذين لم يتعودوا التعرض للشمس كانت النسبة عالية• وتقل هذه النسبة بين الملونين وقاطني المناطق الاستوائية وشديدة الحرارة وارتفعت النسبة بين المسنين ، وضعيفي البنية ، وذوي السمنة المفرطة، ومن يعانون من امراض مثل ارتفاع ضغط الدم ، ومرض البول السكري ، وهبوط القلب ، وغيرها من الامراض •

ولقد وضح جليا انه كلما اسعف المريض فور اصابته بضربة الشمس ، وبسرعة مع تبريد جسمه تدريجيا امكن نجدته من خطر محدق به ربما يودي بحياته •

وضربة الشمس او ضربة الحر لا يعني انه لا بد ان يتعرض الانسان لحرارة الشمس فقط ، بل انها تحدث فيمن يقفون امام الافران المتوهجة او

تتجمع الحرارة داخل الجسم وترتفع ٠٠ وتوقف افراز العرق فى حالات ضربة الشمس لا يعرف سببه للان ، ولعله لوجود اضطراب فى الجهاز المنظم لحرارة الجسم ٠

الاعراض

وعودة للبحث ، وجد ان الاعراض التى تظهر على مريض ضربة الشمس ، ان حرارته ترتفع فجاة الى مستوى عال ربما الى ٤٠ او ٤١° م مع جفاف فى الجلد ٠

ويشكو المصاب من صداع شديد ، مع دوار ، والشعور بالاغماء مع اضطرابات فى البطن من قىء او اسهال ، والم بالبطن ٠٠

وفى الحالات الشديدة كان يحضر المصاب فى حالة غيبوبة تامة ، مع ارتفاع شديد فى درجة الحرارة وجفاف شديد بالجلد ، وسرعان ما تعتريه نوبات تشنجات عصبية ربما تستمر لفترة طويلة ٠٠ وفى الحالات الشديدة لا يوقفها اى علاج ، وربما اودت بحياة المصاب ٠

وفى هذا البحث ايضا اتضح انه فى بعض الحالات ان العبء ربما يقع على الجهاز الهضمى ، فبعد ارتفاع الحرارة والهذيان تعترى المريض نوبات شديدة من الاسهال ربما كان مدمما ، وكذلك قىء شديد متواصل يكون مدمما كذلك ، وسرعان ما يدخل المريض فى صدمة شديدة وخطيرة ٠

واكثر الاعضاء تأثرا بضربة الحر هى الاعضاء الهامة ، كالمخ ، والقلب ، والكلى ، والكبد ، ولقد وجد ان هذه الاعضاء تكون ملأى بنزف بين الخلايا المكونة لها مما يسبب فى بعض الحالات مضاعفات بعد زوال الصدمة او الغيبوبة ، ففى بعض الحالات الشديدة يترك المصاب بشلل نصفى ، او عدم القدرة على الاتزان والحركة لوجود مضاعفات فى المخيخ الذى يقوم بهذه العملية ، وكذلك تصاب خلايا الكلى فيكون النزف ووجود اسطوانات وزلال بالبول ، وهبوط عمل الكبد وما يتبع ذلك من زيادة النزيف اذا حدث بالجسم٠

وقد لوحظ فى هذا البحث ايضا ان الوقاية هامة جدا ، فالاحتراس من التعرض للشمس لفترة طويلة مهم ٠ وتثقيف الناس حتى لا يعرضوا انفسهم للمخاطر بكثرة تعرضهم للشمس والوقوف

ان فى جو مرتفع الحرارة لمدة طويلة ، مع وجود رطوبة عالية فى الهواء المحيط به ٠٠ ففى هذه الحالة تتوقف اهم عملية للحفاظ على حرارة الجسم فى الجو الحار ٠٠ وهى تبخر العرق الغزير الذى يحدث فى مثل هذه الحالة ٠٠ فترتفع تبعا لذلك حرارة الجسم ٠٠ وتحدث ضربة الشمس او الحر كذلك عندما يتوقف افراز العرق وبالتالى

على الجبال ، ثم الاهتمام بالملبس على ان يكون خفيفا وفضفاضا • ومن النوع الفاتح كالابيض مثلا ، وعدم الزحام ، وتوسيع الشوارع المؤدية للاماكن التى يحتشد بها الناس كرمى الجمرات مثلا ، ثم تسهيل النقل وزيادة طرق المواصلات ، ووفرة المياه والثلج فى الاماكن التى يقل فيها الظل ، كل هذا اتى ثماره فى الاعوام التى تلت هذا العام عام ١٩٦١ وما حدث به من حالات وفيات كثيرة ، نتيجة لضربة الشمس •

طرق العلاج

وفى طرق العلاج ، وكما اوضحت سرعة احضار المريض الى المستشفى من اهم العوامل المساعدة على نجاح العلاج وانقاذ المريض ، فكلما تاخر المريض زادت احتمالات الوفاة او حدوث المضاعفات بعد الافاقة •

والمعروف فى طرق العلاج فى مثل هذه الحالات انها متعددة ، منها ان يوضع المصاب بسرعة فى حمام مليء بالماء المثلج ، او حتى مليء بقطع من الثلج لتهبط درجة الحرارة بسرعة فيفيق المريض من الغيبوبة • وباستعمال هذه الطريقة وجد ان نسبة الوفيات عالية ، لانها تعرض المريض لصدمة شديدة لا يمكنه التغلب عليها••ولقد وجد بالبحث ان انجع الطرق فى مثل هذه الحالات هو ان يوضع المريض فى حجرة مكيفة باردة ، وتخلع ملابسه ، ويغطى المريض بملايات خفيفة مبللة توضع فوق الجلد بعد حكه بشاش مبلل بالماء ، وتدار مراوح الهواء فوق المريض ، وبذلك تقلد الطريقة الطبيعية لما يقوم به الجسم • فعندما يتبخر الماء من فوق الجلد يسبب انخفاضا تدريجيا فى درجة الحرارة ، وتستمر هذه العملية لفترة طويلة او قصيرة حسب كل حالة الى ان تنخفض درجة الحرارة الى درجة ٣٨° م بالشرج •• ثم توقف العملية وتلاحظ المريض ، فاذا ارتفعت الحرارة ، امكن تكرار العملية ، وهكذا الى ان يفيق المريض وتتحسن حالته •• واذا وجد ان المريض قد فقد سوائل كثيرة من جسمه استعيض عنها بمحلول الملح يعطى بالوريد ، وكذلك يجب ملاحظة المريض لفترة طويلة • وعلاج المضاعفات عند حدوثها ، ولقد اثبتت هذه الطريقة بالكويت فى السنين التى تلت هذه السنة اى سنة ١٩٦٢ فعاليتها ، ونجا كثير ممن كانوا يصابون بضربة الشمس • على انه فى الكويت قلت نسبة حوادث ضربة الشمس لتحسن طرق الوقاية •• فانتشرت المكيفات ، وارتفعت المبانى المكيفة ، وازداد الوعى بين الناس ، فاصبحوا لا يتعرضون للحر الا عند الضرورة القصوى ، وتوقف الاعمال عندما ترتفع درجة الحرارة ، وتزداد نسبة الرطوبة •• واذا كان لا بد ان يتعرض العامل للشمس فى الصيف ، فان ذلك يكون على فترات وجيزة يعود بعدها الى الظل بحيث لا يتاثر بطول مدة التعرض ، فاصبحنا لا نواجه الا حالات قليلة ممن يفدون على الكويت فى الصيف ، ويعرضون انفسهم للحر لفترة طويلة وهم لا يملكون قدرة التكيف والتعرض لشدة الحرارة •

ثانيا : الانهاك الحرارى

هذه الظاهرة كثيرة الحدوث فى الصيف ، ويكون فى بعض الاحيان مفاجئة للمصاب بها ، وفى معظم الاحيان يكون السبب هو تعرض الجسم لدرجة حرارة عالية ، فيفقد الجسم كمية كبيرة من العرق ، والذى يحتوى على كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) • ويحس المصاب بضعف عام ، ودوار ، وصداع ، ويتبع ذلك الاحساس بغثيان وفقدان للشهية ، وعدم القدرة على القيام باى مجهود عضلى ، وربما سقط على الارض مغشيا عليه من كثرة الاعياء ، والمريض فى هذه الحالة يكون شاحب اللون ، وجلده بارد ومغطى بطبقة من العرق البارد مع هبوط فى ضغط الدم ، ويكون النبض فى بعض الحالات ضعيفا وسريعا وفى بعضها قويا وبطيئا معتمداً على ما فقده الجسم من سوائل ، وتكون درجة الحرارة طبيعية او اقل من الطبيعى ، وتقل كمية البول • والوقاية فى مثل هذه الحالات هامة ، فاذا تعرض الانسان لحرارة الشمس او لمصدر حرارى وفقد عرقا كثيرا لا بد ان يعوض هذا العرق باخذ كميات كبيرة من السوائل مع زيادة كمية الملح فى الطعام او تعاطى اقراص ملح فى بعض الحالات • وفى الحالات الشديدة يحتاج المصاب الى دخول المستشفى ويعطى محلول الملح فى الوريد الى ان يستعيد قواه ويرتفع ضغط الدم الى مستواه الطبيعى •

ويعود البول الى حالته الطبيعية ، وترتفع حرارة الجسم الى المستوى الطبيعي •

ثالثا : التقلصات العضلية

ونلاحظ في ذوى الاجسام العادية او الرياضية عندما يقومون بمجهود عضلي ويتعرضون في الوقت نفسه الى ارتفاع في درجة الحرارة • وسبب ذلك ايضا هو نقصان في كمية الاملاح في الجسم ، ويصحب ذلك الم شديد في العضلة المصابة ، وربما تاثرت عضلات البطن فيحس الذى يتعرض لمثل هذه الحالة بالام في بطنه شديدة وربما اخطا من يراها لاول وهلة انها ترجع الى اضطراب داخل البطن وتتحسن هذه الحالة بالراحة وعدم التعرض لمصدر الحرارة واعطاء المصاب محلول الملح بالوريد او اقراص ملح •

وفي الصيف تكثر الالام العضلية والمفصلية ، ويحسبها المصاب انها الام روماتيزمية ، ولكنها تحدث لتاثر بؤرة في العضلة المصابة عندما تتعرض للفحات البرد من المكيفات والمراوح التى تستعمل بكثرة في الصيف وينتج عنها تصلب في العضلات، وتتحسن هذه الحالات بتعاطي اقراص الاسبرين وما شابهها مع التدليك والتدفئة •

رابعا : التهاب الجلـــد نتيجة للتعرض للشمس

ويلاحظ ذلك في الاشخاص الذين لم يتعودوا الوجود في المناطق الحارة والشديدة الحر في الصيف ، وذوى البشرة غير الملونة والتى لاتتحمل اشعة الشمس ، ومن عجب ان هؤلاء يحبون التعرض لاشعة الشمس عند زيارتهم للمناطق الحارة ولفترات طويلة • فاذا كان التعرض لمدة وجيزة احمرت الاجزاء المعرضة ويصحب ذلك حكة في الجلد مع الشعور بحرقة به ، وفي الحالات الشديدة تزداد حمرة الجلد ، ويتورم وبعد ساعات تظهر فقاعات مملوءة بسائل ، واذا تعرض جلد الوجه للحرارة صحب التهاب الجلد التهاب في العينين • واذا تحسنت الحالة فان الفقاعات الجلدية تفرغ ما فيها من سائل ، ثم يتحسن ما بها من التهاب ، ويحدث تسلخ بالجلد تاركا وراءه اجزاء من الجلد زاد لونها واصبحت داكنة ، واخرى باهتة لفقدان المادة الملونة للجلد •

وفي الحالات الشديدة ربما تعرض المصاب لميكروبات تنمو على الجلد المصاب فتسبب تقيحا يعويتبع ذلك ارتفاع في درجة الحرارة واعياء شديد مع صداع وشعور بالقيء او القيء الشديد • وفي الحالات الخطيرة ربما سببت صدمة للمريض واودت بحياته، وهذا نادر الحدوث •

والعلاج في هذه الحالة هو الوقاية اولا ، فلا يتعرض الشخص عندما تكون اشعة الشمس على اشدها ، ويكون التعرض لفترة قصيرة ، وعلى فترات متباعدة ، واذا حدث الالتهاب لا يغسل الجلد بالمواد المهيجة له مثل انواع كثيرة من الصابون ، وتستبدل ذلك بغسول الكالامينا ان وجد او زيت بارافين ، واذا وجدت دهونات للجلد تحتوى على مركبات الكورتيزون استعملت هذه ولها تاثير فعال ، فهى تحسن الالتهاب بسرعة ، وفي حالة الحكة الشديدة تستعمل الادوية التى تؤثر على الحساسية •

وتستعمل المضادات الحيوية عندما يتقيح الجلد•

واذا كان الالتهاب شديدا وتعمق داخل الجلد عومل المصاب كان به حرقا ، وعولج بالمستشفى تحت الملاحظة الشديدة ، وعولجت المضاعفات التى تحدث في مثل هذه الحالات •

واحب ان الفت النظر انه في حالة استعمال الدهونات التى تقي الجلد من تاثير اشعة الشمس كما هو متبع ، فلا بد ان تستعمل هذه على فترات متعددة لا مرة واحدة فقط ، طوال مدة التعرض للشمس،ولا تكون طبقة الدهن سميكة حتى لا تمنع العرق من التبخر فيصاب الجسم بضربة شمس ، وهذا ادهى وامر •• ولا ننسى اثر التعرض للشمس لمدد طويلة بين العمال ، ففي هذه الحالة تكون الامراض المزمنة ، فيحدث ضمور في الجلد مع فقدان مادة الجلد الملونة ، او انها تصبح داكنة ، وفي بعض الحالات يزداد سمك الجلد • ولا ننسى ما يحدث في الوجه المعرض للشمس او هؤلاء العمال من تغيير في لونه ، وما يصحب ذلك من حكة في الجلد ، وفي بعض الحالات يتعرض الشخص لنوع من الاكزيما نتيجة للحساسية من التعرض لاشعة الشمس • ■■

محمد محمد أبو شوك

المرأة في الأدب الكويتي

بقلم : الدكتور محمد حسن عبد الله

مدرس الادب العربي ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت

■ من الطبيعي ان يكون الادباء اسرعَ التفاتا الى الظواهر الاجتماعية الجديدة ، واكثر تجاوبا مع ملامح التطور ، ودواعي التقدم ، لما يملكون من قوة الرصد والتحليل ، وما يتملكهم من الوفاء للمعاني الانسانية ، والقيم النبيلة · ولا شك ان قضايا المراة ، كالحجاب والسفور وحق العمل والمشاركة في البناء الاجتماعي ، فضلا عن قضية المساواة ـ وهي مسالة نفسية وحضارية لا تقف عند المظهر المجرد ـ لا شك ان هذه القضايا يمكن ان تكون محكا صادقا للحكم على نوازع التطور ووجهته ودواعيه ، وموقف الصفوة المفكرة منه ·

الشعراء ·· والمراة

والشعر هو الفن الاكثر قدما في الكويت ، ومن حقه ان يعتبر صاحب المشاركة الاولى في مناصرة قضايا المراة ، وان ظلت مشاركته محدودة بقدرة القصيدة الغنائية في ذاتها وبمدى ارتباط الشعراء انفسهم بالثقافة العصرية · فاذا رجعنا الى دواوين الثلاثة الكبار بين شعراء الاربعينيات والخمسينيات لم نجد لهم موقفا محددا من قضايا المراة ، فخالد الفرج (وقد اتجه الى القضايا السياسية غالبا ، فاذا غادرها فالى الواجبات التقليدية كالمدح والرثاء والشكر الخ) ، لا نجد للمراة في شعره الاجتماعي القليل ذكرا ، اما صقر الشبيب فظروفه الخاصة وانتماؤه بعمره الى الجيل الاسبق يشفعان له في صمته عن المراة ، على انه كان ينادي بالاصلاح ـ بصفة عامة ـ فاذا ذكر المراة ذكرها متغزلا في شعر تقليدي لا ينهض بمعان جديدة ، ولا يدل على احساس معين (١) ·

ولكننا نجد قصيدة للسيد مساعد السيد عبدالله الرفاعي ، لعلها اول طرح صريح لقضية المراة وضرورة تعليمها ، واذا عرفنا ان الشاعر كان من المترددين على ديوانية النقيب ـ استطعنا ـ على التقريب ـ ان نحدد المناخ الاجتماعي الذي بدات فيه الدعوة الى انصاف المراة ، وفتح مجالات وانماط جديدة من الحياة امامها ·

يقول السيد مساعد في مطلع قصيدته : ـ

وواقفة بقرب البحر تبكي ... لعظم بكائها عيل اصطباري

فقالت انما أبكي لهذا ... وزوج زُجَّ في قعر البحار

فخذ هذا اليتيم لدار علم ... ليشرب حب مصلحة الديار

وبعد ان يفرغ من الدعوة العامة الى التعليم، يستمر الحوار بينه وبين المراة ليدعو الى تعليم بنات جنسها : ـ

---

١ ـ انظر ديوانه ص ٣١٦ ، ٣٦٠ على سبيل المثال·

ولكن ما حياة بنات جنسي
وما أخلاق ربات الخمار

فتلك لها معارفهن أضحت
ينقش الكف مع لبس السوار

ولا يسطعن تدبيرا لبيت
ولا يحسن تربية الصغار

فراحت تلطم الخدين حزنا
ودمعتها الغزيرة بانهمار

والقصيدة تدعو الى نصرة المراة وتعليمها باسلوب استعطافي ـ لا يطالب بحقها ، وانما يدعو للشفقة عليها ، وهذا هو الاسلوب الذى كان سائدا ، ويمكن ان توضع هذه القصيدة الى جانب قصيدة حافظ ابراهيم عن اليتيم وقصيدة الرصافى عن المراة المرضعة .

طمع الاهل وقسوتهم

ويختلف الامر قليلا مع فهد العسكر ، فشعره ذاتي وحداني غالبا ، ورأى مجتمعه التقليدى في سلوكه العام ربما شغله عن مناصرة قضية سيكون لها موضع تهمة وتحامل . ومع هذا ، له قصيدة ذات طابع قصصي (٢) ، تصور ـ بعاطفية مسرفة ـ قسوة الاهل في تزويج الفتاة الشابة من الشيخ العجوز ، طمعا في ثروته او جاهه ، وتجاوزهم عن مشاعرها الخاصة ، وما في ذلك كله من حرمان، وهي القصيدة التي مطلعها : ـ

عادة حطم الفؤادَ بكاها
ليت شعرى ما بالها ما دهاها

قد حباها الله الجمال ولكن
لم يصنه ، يا ليته ما حباها

لم يصف كيف وقفت على شاطيء الخليج تبثه شكواها وحزنها،فحدا الشاعر شعوره الى مساءلتها ومشاركتها حزنها :

كفكفت دمعها وكفكف دمعي
وسألت العذراء عما دهاها

فشكت ظلم امها وأبيها
قاتل الله أمها وأباها

أرغماها على الزواج بشيخ
ذي ثراء ،من أجل ذا أرغماها

---

(٢) القصيدة كاملة في كتاب عبدالله زكرياالانصارى ـ فهد العسكر حياته وشعره ص ٢٥٢
وله قصيدة اخرى نحو الغرض نفسه ص ١٩١ من المرجع المذكور .

ويمضي في قصته ليصور شقاء الفتاة بحرمانها من حبيب صباها ، واكراهها على الزواج بمن لا ترضى ٠

القصاصون والمراة

وربما كانت القصة والمسرح - كفنين جديدين - القدر على التحليل الموضوعي لقضايا المراة،ووضع هذه الجوانب في اطارها الاجتماعي المناسب ٠واول محاولة في هذا السبيل ، نجدها في قصة « آلام صديق » التي نشرها فرحان راشد الفرحان سنة ١٩٥٠ وفيها نجد النزعة المنفلوطية واضحة ، في حرارتها ورومانسيتها ، واذ يكتب الشـــاب رسالة الى محبوبته يعلنها بحبه ، يضع تصورا جديدا للمراة لم تالفه البيئة من اقلام الكتاب ، يقول : « انا لا انظر الى المراة نظرتهم ، ولا احترم المراة واقدسها الا على اساس انها ينبوع الحياة وفيض البركة والسعادة البشرية،والا على انها نعمة من الله على عبده يجب عليه احترامها وتقديسها، والا على انها باعث لصقل الحواس وتثقيف الفكر، واطلاق الروح في عالمها الهيولي ، تسرح وتمرح واهمة حالمة،في جو شعري جميل كله اماني وآمال (٣) » ٠ وتعاطف هذا القصاص مع المراة مـــن موقف المواســـاة والعطف على آلامها واضح في اكثرية قصصه التي نشرت في تلك الفترة ٠

ويكتمل الموقف الرومانسي من المراة عند ادباء الجيل الذي عاصر بداية الدعوة الى حرية المراة ، وضرورة خروجها الى المجتمع ، حين نقرا قصـــة « احلام » التي كتبها عبد العزيز محمود (الرائد يونيو ١٩٥٣) وفيها يبرز بكثير من التوفيق الفني - الاثار المدمرة للعزلة بين الجنسين ،ليس على النساء وحسب ، وانما على الرجال ايضا ، اذ تنمي فيهم معاني الحرمان والياس والخوف ، وتفتح امامهم آفاق تخيل العجز عن مواجهة الواقع ٠

اما هيفاء هاشم - القصاصة الكويتية التي يمكن ان نلتمس عندها قلق الفتاة الكويتية ورفضها للسلبية المفروضة عليها - فانها تعبر عن جناية القسر والعنف في معاملة المراة تعبيرا صارخا ، ففي قصة «الانتقام الرهيب» (٤) تصور - في صدق واقعي - اثر الحرمان من التعليم على نفسية الفتاة التواقة الى التحرر ، فاذا اجتمع ذلك الشوق الى الحرية ، مع معاملة غير انسانية من اسرتها ، قوامها الشك والقسوة والعقوبة البدنية الرادعة - لم يكن امام الفتاة الا ان تحرق نفسها ٠

وتعبر هيفاء هاشم - - مرة اخرى - عن الحرمان العاطفي في قصة «سخرية الاقدار» (٥)،وهي تتخذ لها موضوعا من نكبة فلسطين وانتشار سكانها النازحين ، ولكن هذا الموضوع القومي يشف عن معاناة الفتاة الكويتية عاطفيا في تلك الفترة ، كما يكشف عن رغبتـــها في المشاركة القوميـــة والوطنية ٠

الصورة الجديدة

ولم يكن الفرحان وعبد العزيز محمود وحيدين في مجال مؤازرة المراة والتعبير عن قيم جديدة ، يجب التبشير بها ، واقرارها في المجتمع الجديد ، فهذه النزعة نجد لها اصداء في قصص فاضل خلف ايضا ، ولكنها اكثر وضوحا وتحددا عند جاسم القطامي في قصة « الصورة الجديدة »(٦) التي حمل فيها على الحجاب ، وحمله مسئولية انصراف الشباب الكويتي الى الزواج من غير الكويتيات ، وربط ذلك بوجود فجوة نفسية وفكرية بين جيل الاباء وجيل الابناء ، ولم ينه قصته هذه حتى راح يهتف معرورا : « الا قاتل الله هذه الرجعيـــة العمياء » ٠

وتظهر الرواية الكويتية الاولى سنة ١٩٦٢ وهي رواية « مدرسة من المرقاب » ، بقلم عبد اللــه خلف ، هي - كما هو واضح من عنوانها - تبشر

---

٣ - آلام صديق ص ٣٦ ٠
٤ - مجلة الرائد - مايو ١٩٥٣ ٠
٥ - مجلة البعثة - نوفمبر ١٩٥٢ ٠
٦ - مجلة البعثة يناير ١٩٥٢ ٠

بالمرأة الجديدة ، المرأة العاملة التى تجعل بناء الكويت الحديثة اهم مطامحها وآمالها • وحين تنزل الى ميدان كتابة الرواية ، نجد فى روايتى: «الحرمان» و «واحة العبور» وهما لنورية السداني- حرصا على تاكيد قيمة المرأة اجتماعيا ، وحقها فى ان تحيا عاطفيا دون ان ينال ذلك من كرامتها، ودون ان تحسب على مستوى الطبقة التى تنتمى اليها •

واذا كانت هذه الروايات تعبر عن ايمان راسخ بضرورة اتاحة فرص اكبر للمرأة ، فانه يجب ان نربط ذلك بدعوة عبد الصمد التركى فى كتابه « لكى لا تنفخوا فى رماد » ، الصادر سنة ١٩٥٨، ودعوة حمد يوسف العيسى فى كتابه « الكويت والمستقبل » الصادر سنة ١٩٦١ – الى اعتبار المرأة ركيزة التقدم على مستوى الاسرة ، ومستوى الدولة ، ومن ثم فتح آفاق العلم والحرية السياسية والتمثيل النيابى امامها دون قيود ••

•• والمسرح أيضا

وقد شارك المسرح المرتجل فى تلك الفترة المبكرة فى الدعوة الى تعليم الفتاة وضرورة استشارتها قبل الزواج ، وضرورة تعارفها مع خاطبها قبل الاقتران به ، ولكننا لا نجد نصوصا – بالطبع – تجعلنا قادرين على تحديد موقف المسرح فى تلك الفترة ، ويغلب على الظن – استمدادا من اتجاهه العام – انه كان اكثر تحفظا ، لانه يواجه الجمهور بصورة مباشرة ، وربما لم يامن ردود الفعل ، وانه آثر التعبير الساخر جليا للاضحاك ، مثل « ليلة عرسه نام على السيق » ولكن الاسراف فى الاداء التهكمى الكاريكاتورى كان يؤدى الى تمييع القضية ان كان ثمة قضية •

وحين بدأت المسرحية الكويتية تغادر مرحلة الارتجال والاقتباس نجد الكاتب المسرحى الكويتى يهتم بقضايا المرأة اهتماما كبيرا،وبخاصة القضايا العاطفية التى يقف فيها الكاتب صراحة ضد التقاليد القائمة على الكبح والحرمان ، مراعاة للطبقة او الثروة الخ •

يدافع صقر الرشود فى مسرحيته : « المخلب الكبير » و « الحاجز » عن هذا الحق المقدس للمرأة، ويصورها شهيدة للجمود الفكرى والطبقى ، كما يهتم عبد العزيز السريع فى مسرحياته بهذه المعانى ايضا ، وبخاصة فى مسرحية « نفوس وفلوس » ومسرحية « عنده شهادة » ومسرحية « الجوع » ، وهو يتجاوز الدفاع عن حق الحب الى جوانب اجتماعية اخرى،مثل غرور المثقف الكويتى بثقافته، وسعيه للزواج من غير بنات بلده ، اعتقادا بانهن اقل منه ثقافة ومعرفة ، وقد ثار الكاتب للمرأة دائما ، ونصر موقفها على غرور الرجال •

ومن الجدير بالتامل ان يتاثر شاعر حديث هو « على السبتى » باحدى شخصيات مسرحية «الجوع» وهى شخصية « فاطمة » التى تلح على اخيها ان يوافق على تزويجها ، وعدم التعنت فى شروط الزوج المطلوب – فيقول الشاعر على لسانها ، بعد ان يقدم لقصيدته بمقطع من المسرحية : –

لا ياأخى ••
لسنا جلاميدا ••• حديد
نحن البنات لنا مشاعر مثلكم •••
نبغى ••• نريد
نهفو الى البيت السعيد •
للزوج يؤنس وحشة القلب الكئيب •
للطفل نسقيه المحبة والرجولة •• والحليب
أنا لن أكون ضحية لخرافة الاصل الرقيع
سأخط دربى باختيارى •• سوف أشبع
لن أظل يميتنى ظمأ وجوع •• (٧)

■■

محمد حسن عبد الله

---

٧ – مجلة صوت الخليج ١٩٦٤/١١/٥ والقصيدة لم يضمها ديوانه •

كتاب الشهر

تاليف : برتراند رسل

عرض : محمد خليفة التونسى

■ يعد برتراند راسل Bertrand Russel من عمالقة الفلسفة والرياضيات والمنطق فى العصر الحاضر ، وذلك بما احدث فى اسس هذه المجالات الثلاثة ومناهجها ونتائجها من تجديدات كثيرة عميقة . بعضها للهدم ، وبعضها للبناء ، وكان اسلوبه الأثير لديه غالبا فى بحثها وبحث كـــل موضوع تناوله ، هو اسلوب التحليل الذى يرد الاشياء الى بسائطها ، ولم يكن غرضه فى هدم ما هدم منها الا ليخفف زحام مشاكلها ، ويرفض من فروضها كل مابدا له دخيلا فيها ، او طفيليا لاحاجة اليه فى اقامة كيانها ، ثم يعرضها امام الافكار واضحة متماسكة فى ابسط صـــورة . وقد كانت هذه المجالات الذهنية ، ومفاهيمها التجريدية من اهم مشاغل فكره وهواه طوال حياته ، وله فيها عشرات المؤلفات التى يكبرها المتخصصون فى بحوثها ، وان خالفه بعضهم فى كثير من آرائه خلالها او قليل ، ولكن كل جهاده واعماله الضخمة هذه لم تكن لتكفل له المكانة الرفيعة التى حظى بها اليوم بين ملايين القراء فى شتى انحاء العالم ، على اختلافهم فى الاستعدادات والامزجة ، واختلاف مستوياتهم من الفهم والمعرفة ، ولا ينحصر قراؤه بين العارفين بلغته الانكليزية التى كتب بها مؤلفاته ، وان كانت الانجليزية عالميا اوسع اللغات انتشارا بين المثقفين ، ولكن قراءه يعدون بالملايين فى شتى

الملفات الراقية . سواء بما الف فيها من سيرته واعماله او ماترجمه من ذلك بعضها عن بعض ، وايا كان العمل المؤلف والمترجم كثيرا او قليلا ، ولو اقتصر صاحبنا رسل على اعماله المتخصصة في هذه المجالات الذهنية الثلاثة لاقتصرت مكانته على الاوساط الاكاديمية التى تستطيع وحدها فهم كتاباته المتخصصة ، والتجاوب معه فـــى موضوعاتها العويصة . وهؤلاء ولو بلغوا عشرات الالوف ـ فئات قليلة ، الى جانب الملايين العارفة بفضله ، كما ان هذه الفئات منحصرة النفوذ والاثر داخل صوامعها الحجرية او ابراجها العاجية، لانقطاعهـا فى رهبانيتها الفكرية عن جماهـير الشعوب .

وهكذا بقى رسل ايضا وبقيت مكانته فى عزلة داخل الاوساط الاكاديمية التى انقطع معها بفكره وتاليفه ومعيشته الى ان ظهرت نذر الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، فكانت هى « القارعة » التى زلزلت كيانه . واشعلت فكره وضميره وعزيمته نارا ، فختمت بذلك المرحلة الاولى الانطوائية فى حياته وبدات مرحلة اخرى استمرت حتى لفظ اخر انفاسه وهو فى الثامنة والتسعين .

اتجاهه الى الدراسات الانسانية

وفى هذه المرحلة الثانية التى امتدت ٥٦ سنة لم يترك التاليف فى مجالاته الذهنية المحببة اليه، ولكنه نزع مع ذلك الى امرين آخرين ، هما اللذان اتاحا له هذه المكانة العالمية ، وكان مصـــدر هذا النزوع حبه العميق للانسانية ، وعشقه للسلام، ومقته للحرب ، فراح يؤلف الكتب ويلقىالمحاضرات والخطب باوضح اسلوب فى الموضوعات الاجتماعية والتربوية والسياسية ، ولا سيما مايتصل منها بقضايا الجماهير الشعبية اليوم ، فاقبل النــاس عليها وعليه ، حتى فطت مؤلفاته فى الدراسات الانسانية او كادت تغطى على مؤلفاته فى الفلسفة والرياضيات والمنطق ، وكادت الجماهير تنسى ان رسل عملاق فىهذه المجالات الثلاثة، فهى لا تذكره الا كاتبا او مربيا او مصلحا اجتماعيا انسانيا ، واذا ذكرته فيلسوفا فلكى تدعم فى نظرهامكانته الاصلاحية . وقد قوبلت كتاباته السياسية منذ البداية بالاهتمام بل الفزع ، فمع نذر الحرب العالمية الاولى ومع نشوبها فعلا سنة ١٩١٤ ،مضى يجاهر بدعوته الى السلام ومعاوضته للحرب ، حين كان الشغل الشاغل ، يومئذ لامته ، استنفار كل قواها وقوى حلفائها ، ضد المانيا وانصارها ، فانكرت على رسل دعوته السلمية ، واتهمتــه بتخذيل نفيرها ، وتعطيل جهودها الحربية ، فزج به فى السجن ، وفصل من وظيفته وكان يومئذ على كرسى الزمالــة فى كليــة « ترينتى » بجامعــة « كمبردج » ، ولولا مكانته العلمية ، ومكانته الاسرية الارستقراطية ، وطهارة سمعته التى رفعته فوق الشبهات ، ونزاهة القضاء فى بلده ، لاتهم بما هو اشنع ، لينال عقوبة اشد ، وقـد تكرر منه امثال هذا « الذنب » الذى يشرف بـه كل انسان ، وتكرر امثال هذه العقوبة ، فلم تزده الا ايمانا بمبادئه ، وداب على نشرها ماستطاع ، وكل ذلك مما نشر صيته ، وزاد من احترامه والاهتمام به غربا وشرقا .

اتصاله بالجماهير وهمومها

اما الامر الثانى الذى روج لرسل وزاد فـى الاقبال عليه والمودة له فهو خروجه بنفسه الـى الجماهير فى الندوات مبشرا وهاديا ونذيرا ، ليشاركها همومها المضنية فى معايشها اليومية ، ويناقش معها مشاكلها العاجلة ، ويعاون فـى الاهتداء الى حلولها ، ليخفف ماستطاع من متاعبها وشقاتها اليومى ، وكثيرا ماجال معها خلالالشوارع، ليشارك فى مظاهراتها ، او يقودها بنفسه ، احتجاجا على عمل فى بلاده او بلاد اخرى،يراه هو منافيا لمصلحة الانسانية ، او نذير شر لحضارتها . ومهما تَنسَ نحن معاصريه من ذلك فلن ننسى له صورته شيخا نحيفا ، تلفه بالجلال مكانته الفكرية العليا ، وعراقة اصله الارستقراطية ، وشيخوخته الواهنة التى جاوزت التسعين حتى قاربت المائة ، وهو يجلس فى سذاجة الطفل وبراءته على ارصفة ميدان الطرف الاغر فى شتاء للندن القاسى ، وقد تكوكبت حوله عامة الجماهير التى تضنيه همومها ، وان كان هو فى حصانة منها ، متظاهرا واياهم ضد عمل غير انسانى كصناعة الاسلحة النووية ، او التفرقة العنصرية ، او الحرب الفيتنامية ،وهى الحرب التى انتهت قبل اسابيع بانتصار الوطنيين الحاسم على الغزاة البغاة المتجبرين ، وهى نهاية تسره لو كان حيا .

مهمة الفلاسفة في قيادة الشعوب

ولم تكن مكانته الفكرية لتمنعه الاختلاط بالجماهير ومظاهرتها ، فكانه كان يعرف ان الفلسفة او الفكر مسئول عن هموم الجماهير ، وله الحق او عليه الواجب في قيادة الشعوب ، ولم يمنعه ذلك ايضا اصله الارستقراطي ، فكانه كان يرى ان « سيد القوم خادمهم » ولم تمنعه شيخوخته الواهنة حتى بعد ان اوغل فيها مدى بعيدا ، اذ كان له من حيوية الضمير والهمة والفكر ماينفخ فيه العزم، فيجبر ضعف جسمه ، وكان عونه على ذلك ايضا حيوية قلبه ، او خضرة احساسه وحسبنا من ذلك انه تزوج اربع مرات كان آخرها وهو في الثمانين من عمره حين تزوج الشابة الامريكية اديث فنش Edith Finch سنة ١٩٥٢ .

ولن ننسى له نحن العرب تاييده النزيه المخلص لنا في صراعنا ضد الاستعمار والصهيونية ووليدتهما اسرائيل وآخر فضله في ذلك رسالة كتبها ووجها الى العالم قبل وفاته بايام ، وارسلها الى المؤتمر النيابي العربي الذى انعقد بالقاهرة في اول فبراير سنة ١٩٧٠ ، ورسل يومئذ في الاحتضار ، ليموت في اليوم التالي ، مشيعا بالتقدير والحسرة من كل اوداائه ، وكل العقلاء من خصومه .

تلك جوانب من العبقرية التي كانت تجيش في كيان رسل على مدى حياته الطويلة العريضة، فكانت ـ مع نحافة جسمه ـ تجود له باعاجيبها في كل ما يختلج داخله من احساسات وصور وافكار ، وكل ما يصدر عنه من مساع واعمال ، وهي تكشف لنا بنفسها عن نفسها في هذا الكتاب ، الذى هو سيرته بقلمه Autobiography .

الكتاب وطريقة عرضه

ونحن في عرضنا لهذه السيرة ، لا يخطر لنا تلخيصها في بال ، فانها تقارب الف صفحة ، لم هي اشتات لا يربط بينها الا تعلقها برسل ، وترتيبها تاريخيا ، وهي رحلة طويلة عريضة ، خلال عالم سحرى شائق ، متصل المناظر والآرائق ، وان كان واقعيا في جملته وادق تفاصيله،ورائدنا في هذه الرحلة حكيم فنان ، يحسن استخلاص العبر ، واستهواء القلب والبصر ، بحديث سهل جذاب ، فاذا الرحلة كلها متع وعبر متصلة تنعش الشعور والعقل والخيال من اول مشهد فيها الى آخر مشهد .

وحسبنا في عرض السيرة ان نبين دواعي تاليفها والفترة التي تشملها من حياة صاحبها ، ونظامه في تنسيقها ، واسلوبه في عباراتها ، مع ذكر اقباس من نصوصها تمثل بعض محتوياتها ، ونكتفي من ذلك بما كتبه عن نشاته منذ طفولته حتى تخرجه في جامعة كمبردج ، وهي تشمل الفصول الثلاثة الاولى من السيرة ، فان كل ما جرت عليه حياته الفكرية والشخصية بعد هذه الفترة ـ انما يقوم على جذور نشاته وتكوينه خلالها ، او هو من قبيل التفصيلات لها والاضافات اليها، ونضيف الى هذه النصوص استهلاله الكتاب واهداءه،لنعرف اهداف رسل في حياته ، وما بلغ منها في النهاية . واقول ان هذه النصوص « اقباس » ولا اقول « مختارات » فكل ما في السيرة اهل للاختيار ، لامتاعه ولدلالته على رسل ومواهبه لا سيما حين نقرن النص الى مناسبته وموضعه من السيرة وصاحبها ، اما هذه الاقباس فانها قطوف كما يتفق للمتناول حيث تمتد عيناه او اصابعه .

ولهذا قنعت بهذا القدر من النصوص دون ندم. ولعل من الافضل ان نصف بناء الكتاب ومادته بشيء من الوفاء على ان لا نطيل في استخراج اقباسه ، فهي شيء يطول .

وقد شرع رسل في كتابة سيرته سنة١٩٥٢ بعدان بلغ الثمانين ، ووصل الى القمة التي لا امل في الوصول الى ابعد منها في الفكر والتجربة ،ولكنه لم يفرغ منها ليقدمها للطباعة ، الا قبل وفاته سنة ١٩٧٠ ،وقد نشرها في ثلاثة اجزاء يتضمن الاول منها سيرته في المرحلة الاولى من حياته وهي مرحلة العزلة على نحو ما اشرنا قبل ، وهي تبدأ بمولده سنة ١٨٧٢ وتنتهي سنة ١٩١٤ مع بداية الحرب الاولى التي اخرجته من عزلته عن الجماهير،واهبطته من القمة الباردة بين الاكاديميين والارستقراطيين ، ودفعت به الى السهول والاغوار للقاء الجماهير في الندوات والشوارع ، وقيادتها وهدايتها وفاقا لمبادئه الانسانية ، وهذا القسم المترجم الذى بين يدينا يشمل المرحلة الاولى ، اما المرحلة الثانية وهي الاخيرة ، فقد تضمنها الجزآن الآخران ، ونامل ان تظفر بهما العربية قريبا .

كيف كتب رسل سيرته

وحياة « رسل » حافلة بجلائل الاعمال كما هي حافلة بصغائرها ، وهو يذكر صغائر حياته خلال جلائلها فلا ينقص ذلك من جلاله شيئا ، ولكن ذكر الصغائر مما يرفع الهيبة او الوحشة ، ويزيد القرب والانس والمودة ، ورسل لا يدعي العصمة او القداسة ، فهو يذكر كثيرا من مآخذه أيضا بالاشارة اليها دون اطالة ، حتى لا يتقول عليه اعداؤه ما هو اكثر او اكبر منها ، ولكي يبين ان له حظه من الضعف البشرى الذى لا نجاة منه لبشر ولو كانت له طهارة رسل،وترفعه الاخلاقي،وضبطه لسلوكه على احكم نظام ، وقد املى له في ذلك ما تعوده القوم من « اعتراف » امام الكاهن ، للتنفيس عن الضمير ، والرغبة في التطهر .

ورسل لا يكتفي في توضيح احداث حياته بما يذكره هو وحده او كما يراه وحده ، بل يذكر ما سجله الآخرون عنها ، سواء في مذكراتهم او رسائلهم ، او ذكروه في الصحف والكتب ، وكثيرا مايذكر رسل يومياته او يوميات الاخرين خلال المرحلة التى يعرضها ، لتثبيت الحدث في موقعه من سيرته ، وليقدمه طازجا كما وقع او كماانطبع في نفسه لاول مرة ، وان كانت سيرته هذه تنقل الحادث بعد وقوعه بسنوات .

والعيب الاكبر لرسل في كتابة سيرته ، بل فضيلته الكبرى فيها انه اتخذ طريقة « الدردشة » أو الحديث المهلهل ولكن في احكم ما يستطاع من نظام . انها « دردشة » حكيم جبار العقل عميق الحس بالناس والاشياء ، فهو مهما يخلط بين الموضوعات فنحن نتلقى الوحى من اعماق الطبيعة بكل ما فيه من حرارة البساطة والصدق والاخلاص، وواجبنا نحن حيال ذلك ان نحسن الاصغاء ،ونحسن التجاوب معه في تاملاته ومشاعره وخيالاته العالية، ثم لنا ما نريد وفوق ما نريد من حكمة ومتعة .

نظام الجزء الاول من السيرة

يبدأ هذا الجزء باستهلال موجز تحت عنوان « ما عشت من اجله » ويليه الاهداء « الى ادث » ثم سبعة فصول : يوضح الاول مرحلة طفولته ، والثاني مرحلة المراهقة ، والثالث في ذهابه الى كامبردج وتعلمه بها ، والرابع في فترة خطوبته لزوجته الاولى ، والخامس في فترة زواجه بها والسادس في الفترة التى الف فيها كتابه « اصول الرياضيات » ، والسابع في فترة عودته الىجامعة كمبردج محاضرا حتى فصل منها سنة ١٩١٤ ، في بداية الحرب العالمية الاولى كما اشرنا قبل .

ماعشت من اجله

في هذا الاستهلال ، وبهذا العنوان ، يجمع رسل كل ماكان يتوخاه في حياته ، وهو بذلك يكشف عن أعمق اغوار نفسه ويلخص نهاية تجاربه ويبرز كل مبادئه الانسانية وكل همومه الخاصة وهمومه العامة ، وما نجح في ادراكه او فاته من حظوظ . ولهذا ننقل الاستهلال كله ، مع ملاحظة ان رسل هنا يبدأ سيرته بما هو الخاتمة منها ، او شبه الخاتمة ، وقد اصاب فيما رسم .

قال : « لقد تحكمت في حياتي انفعالات ثلاثة ، بسيطة ، بيد انها متناهية في القوة : الحنين للحب، والبحث عن المعرفة ، والاشفاق الشديد علىالذين يقاسون ويتعذبون . ولقد تقاذفتني هذهالانفعالات كالرياح العاتية في طريق غير مستقيم ، فوق بحر عميق من العذاب ، يصل الى حافة الياس ذاتها .

تلمست الحب اولا لانه يجلب النشوة ، وهي نشوة عارمة وصلت من العمق حدا كان يمكنمعه ان اضحى بما بقى من الحياة من اجل بضعساعات من هذه السعادة . ثم تلمسته ثانيا ، لانه يخفف الوحدة ، هذه الوحدة الرهيبة التي يشرف بها الوعى الراجف على حافة عالم يدلف الى هوة باردة سحيقة ، لايسبر لها غور ، ولاحياة فيها ، ثم تلمسته اخيرا في الرؤية التى تتمثل للشعراء والقديسين ، حين ينظرون بعين الخيال الى الفردوس، وذلك عن طريق الحب الذى يربط بين قلبين ربطا كاملا ، فيستشعران تجاوب العشاق الالهيين . هذا هو ماسعيت اليه ، وبالرغم من انه يبدو افضل مما تمنحه حياة الانسان ، فقد كان فيالنهاية هو ما وجدته .

وبنفس الدافع سعيت الى المعرفة ، كنت ارغب في فهم قلوب الناس ، ومعرفة السبب الذى يجعل نجوم السماء تضيء ، كما حاولت ان اتبين القوة التى قال بها فيثاغورس ، والتى بمقتضاها يسيطر بها العدد على فيض الكائنات . ولقدحققت شيئا من ذلك ، ولكن لم اصل الى الكثير .

وقد ادى بي ذلك الحب وتلك المعرفة . بقدر ماتوفر لي منهما . الي التسامي الذي بلغ بي الى عنان السماء ولكن عاطفة الاشفاق كانت تعيدني ثانية الى الارض • ان صرخات الالم تتردد صرخاتها في قلبي• ان وجود اطفال يتضورون جوعا . وضحايا يتعذبون على ايدي الطغاة ،وشيوخ عاجزين قد اصبحوا عبئا مقيتا على ابنائهم - ان وجود عالم من البؤس والوحدة والالم لما يحيل الحياة الانسانية . كما يجب ان تكون . الى سخرية للساخرين • انني اتوق الى تخفيف وطأة الشر ، ولكني لا استطيع فانى اعاني منه انا الآخر •

تلك كانت حياتي . لقد وجدت فيها ما استحق ان اعيش من اجله ، ولو سنحت الفرصة لاسعدني ان اعيشها مرة اخرى • »

الاهداء « الى اديث »

واديث كما قدمنا هي زوجته الرابعة والاخيرة، وهو يهدي اليها سيرته « عرفانا بجميلها في اسعاده» وهو يقدمها اليها بهذه القصيدة المنثورة التي تعبر بايجاز عن اعمق مواجد قلبه ، كانها جملة حصاد حياته المدبرة فيقول : « عبر اعوامي الطوال ظللت ابحث عن السلام،ولكني وجدت النشوة ووجدت العناء المضني ووجدت الجنون ووجدت الوحدة ووجدت الالم الموحش ، الذي يعز في القلب •

اما السلام فلم اجد . والان وقد ادركتني الشيخوخة . واشرفت على النهاية ، عرفتك •

ومن خلال معرفتي بك ، وجدت النشوة ووجدت السلام ، وعرفت الراحة بعد سنوات عديدة من الوحدة الموحشة ، عرفت كيف تكون الحياة ويكون الحب، فاذا رقدت الآن فانى ارقد راضي النفس •»

من ذكريات الطفولة

يقول الشاعر الانجليزي ورد زورث « الطفل ابو الرجل » ورسل مصداق ذلك ، فالانسان انما ينمو طول حياته على جذور طفولته ، ورسل فيما يورده من ذكريات طفولته يثبت انه ذو ذاكرة صلبة ووعي مبكر ، فهو يورد ذكريات له في سن الرابعة بل الثالثة بل الثانية وانطباعاتها في نفسه ويورد مثل ذلك في كل سنوات طفولته مع بعدها عنه

وقد جاوز الثمانين . وخلال كلامه على طفولته يذكر لنا الاسرتين الاوستقراطيتين اللتين نسل منهما ، ويكشف لنا من تاريخهما وشخصياتهما بقدر ما يتبين لنا من اسرار وراثته لهما ، ولاسيما اسرته لابيه ، على حين كان اخوه الاوحد - وهو يكبره بسبع سنوات - اقرب بالوراثة الى اسرة امه .

وهو يذكر محاسن كل من الاسرتين وعيوبها ولايخفي ميله الى اسرة ابيه ، لا لانه اشبه بها فحسب ، بل لانه تربى فيها ، فقد ماتت امه بعد ميلاده بسنتين ، وبعدها بثمانية عشر شهرا مــات ابوه « اللورد وامبرلي » فتربى يتيما مع اخيه في كفالة جديه لابيه ، في قصر فخم بلندن كان هدية لهما من فكتوريا ملكة بريطانيا ، ليسكناه مدى الحياة . وهو يذكرهما كما يذكر كثيرا من اجداده لامه وذوي عمومته وخئولته رجالا ونساء ، ومن كانوا خلال طفولته في القصر من اتباع ، وعلاقته بكل منهم ونوادره معهم وحسنات كل منهم وسيئاته .

ونعرف من حديثه ان اسرتي ابيه وامه كان جلهم من الاحرار (الليبراليين) في السياسة كما كانوا ذوي آراء تحررية في العقيدة والنظم الاجتماعية وكان ابوه قبل وفاته قد ترك الوصاية على ولديه لرجلين ملحدين ، فلما توفي وعلم بذلك الجدان استنقذا الطفلين ليكونا في كفالتهما . فتربى صاحبنا داخل القصر منطويا على نفسه . خجولا نفورا ، في جو من التقوى والتقشف المتزمت (البيوريتاني) محروما من المتع الاجتماعية للطفولة ، دون ان يفتقدها ، لانه كان يجهلها ، وكانت السياسة مشغلة اسرة ابويه وعملها ومظهرها في المجتمع • وكان جده اللورد جون رسل (وهو من حزب الحريين او الاحرار) قد تولى رياسة الوزارة في بريطانيا مرتين ثم اصبح اول من حاز لقب « ايرل » في اسرة رسل ، وفي قصره ذاك انعقد برئاسته مجلس الوزراء حين اتخذ قرار دخول بريطانيا حرب القرم سنة ١٨٥٧ وبعض اعضاء الوزارة في تلك الجلسة نيام ، ويذكر صاحبنا هذا الجد قليلا لانه ادركه فترة قصيرة وهو شيخ مقعد قد جاوز الثمانين ، اما جدته فيطيل الحديث عنها لانها ربته وبقيت تشرف عليه حتى بعــد تخرجه في الجامعة وزواجه الاول سنة ١٨٩٤ • وهي الشخص الاول في حياته ، وهو يذكرها ويذكر فضلها ومزاياها بكل حب واكبار ، ولكنه -كعادته في الصراحة والصدق - لايتسى ماخذها • ولهذا

...عل بصيرا من الواله فيها لنعرف آثار تربيتها
فيه والمشابه بينها وبينه .

جدته لابيه ، وآثارها فيه

يقول فيها ، كانت كام وجدة شديدة الحنان ،
وان لم يكن حنانها دائما فى محله ، وفى تصورى
انها لم تكن تقدر مطالب الغرائز الحيوانية فى
الانسان او الطاقة المتوثبة فيه » . ويقول : « كان
تعليمها على السنة المعهودة فى عصرها ، فكانت
تتكلم الفرنسية والالمانية والايطالية دون ماخطأ ،
بل دون ان تلعثم فى احداها لكنة الاجنبى كما انها
درست بتمعن شكسبير وملتون وشعراء القرن
الثامن عشر .. كما كانت ملمة الماما دقيقا بتاريخ
انجلترا من زاوية حزب الاحرار . هذا علاوة على
احاطتها بالاعمال الادبية الخالدة الفرنسية والالمانية
والايطالية .. ولكن لم يكن فى تربيتها وثقافتها
محل لاى شىء يتطلب اعمال الفكر ، او يمت بصلة
لحياتها العقلية .. اما حب المال وحب السلطة
والغرور فكلها دوافع ذميمة عندها » و « كانت
مجردة تماما عن الدنيوية كما كانت تحتقر
اولئك الذين يقدرون ماتمنح الحياة من جاه وشرف،
وحين استرجع الذكريات وقد تقدم بى العمر ،
يزداد ادراكي لاهمية الدور الذى لعبته فى تشكيل
نظرتى للحياة . ولقد اعجبت بشجاعتها واهتمامها
بالقضايا العامة ، وعدم اكتراثها بالمواضعات او
رأى الاغلبية . وكان لهذه الصفات اثرها فى
نفسى باعتبارها تستحق التقليد » و « كانت
شديدة التحمس لفكرة اقتصار انجلترا على حدودها،
وكانت ترفض الحروب الاستعمارية بشدة وقد
اخبرتنى ان حرب الزولو (فى افريقية) حرب
بالغة غاية الالم » .

هل يصف رسل هنا نفسه ام جدته ؟ ، او ليس
هو رسل فى أهم سمات حياته ؟

اسرة أمه : برج بابل

وعندما بلغ رسل السابعة رأى (آل ستانلى)
اسرة امه وكان جده لامه ميتا ، اما جدته لامه وهى
الليدى ستانلى » فكانت يومئذ تعيش مع
بناتها ، مود » فى قصر اجرته قريبا من قصر
جدته لابيه ، وهو يقول فى هذه الجدة « كنت كثيرا
انفى لاتناول الغداء معها ، وبالرغم من ان
الطعام كان شهيا ، لم يكن سرورى كاملا لانها
كانت سليطة اللسان ، ولم تكن تلقى اعتبارا
لاحد مهما كان عمره او جنسه ، وكان الخجل يتملكنى
فى حضرتها ، وكان هذا ايضا يضايقها ، لانه
لم يكن فى اسرة ستانلى انسان خجول» ويذكر رسل ان
جدته هذه كانت من الاسر الايرلندية البارزة ،
وانها نشأت فى فلورنسا حيث كان ابوها وزيرا ،
ويقول « لم اعرف جدى لامى ، ولكنى سمعتهم
يقولون انه اعتاد ان يمتهن جدتى ، وشعرت انه
اذا كان الامر كذلك فلا بد انه كان رجلا رائعا ، وكان
لها اسرة ضخمة من الابناء والبنات ، وكان معظمهم
ياتى لتناول الغداء معها فى أيام الاحد ، وكان
ابنها الاكبر (هنرى) مسلما ، ويكاد يكون اصم
تماما ، أما الثانى « ليون » فقد كان حر التفكير ،
وكان ينفق وقته فى مهاجمة الكنيسة ، وكان الابن
« الجرنون » قسا كاثوليكيا ، وباورا بابويا ...

المراهقة

« كانت طفولتى ، بوجه عام ، سعيدة ومستقيمة
لا التواء فيها ، وشعرت التماها باحساس ودى
نحو معظم الكبار الذين تم احتكاكى بهم ، ولكنى
اذكر تغيرا واضحا محددا طرأ على عندما بلغت..
مرحلة البلوغ ففى تلك المرحلة كان يلذ لى ان
استخدم اللغة الدارجة، واتظاهر بانعدام الشعور،
واتشبه « بالرجال » عامة ، وبدأت احتقر اهلى
لذعرهم الشديد من تلك اللغة، واعتقادهم السخيف
بان تسلق الاشجار يفضى الى المهالك ، بلغ من
كثرة ما حرم علىّ ان افعله ، ان تولدت عندى
عادة الكتمان والمخادعة التى لازمتنى حتى سن الحادية
والعشرين واصبحت بعد ذلك اصدر عن طبع راسخ حين
احتفظ لنفسى بما اريد ان افعله ، لا افضى به
لاحد ، ولم يفارقنى ذلك الشعور الطاغى ابدا ،
بل كان يدفعنى بشكل غريب الى الاخفاء والتعمية»

« وكانت اهتماماتى موزعة بين الجنس والدين
والرياضيات ، وذكرياتى فيما يتعلق بموضوع
الجنس اذ ذاك يشوبها شعور من عدم الارتياح .
ولا احيان اعود بالذاكرة الى ما كنت اشعر به فى
تلك السنين .. هذا الانشغال الجسدى كان يلازمه
تعلق شديد بالمثاليات، ومحاولة للهروب من الواقع
والاقبال على قراءة الشعر » ويذكر رسل انه
قرأ بعض شعر تنيسون ، لم قرأ خلال سنتيه

(١٦، ١٧) كل اشعار ملتون ، ومعظم شعر تنيسون ، ثم اقبل على شلى فقراه ثم حفظه كله عن ظهر قلب ، وتمنى لو انه كان لقيه ، اذ خطر له انه لا احد يتجاوب معه شعوريا غير شلى ، ثم يقول « والى جانب اهتمامى بالشعر كنت اهتم بالدين والفلسفة ، اهتماما كبيرا » ثم يذكر ان جده لابيه كان تابعا لكنيسة انجلترا الانجيلكانية ، وان جده لامه كان تابعا للكنيسة المسيحية الاسكتلندية ، ثم انتهى الى التوحيد ، فكان رسل يذهب فى كل احد اسبوعيا الى هذه الكنيسة مرة ، والاخرى فى المرة التالية ، وكان يلقن فى البيت مذهب التوحيد وهو مذهب آمن به حتى سن الخامسة عشرة تقريبا ، ويذكر رسل انه يومئذ وقع فى شكوكه الدينية ، وخلص بالانكار فاستراح . ولكنه لم يتخل قط عن القراءة فى كل تلك السنوات فتعلم الايطالية الى جانب لغته الانجليزية ، واللغتين الفرنسية والالمانية اللتين عرفهما قبل ، وبدا يقرا فى الفلسفة والاجتماع والاقتصاد والتاريخ والمنطق والرياضيات والشعر والروايات فاستبحر فيها، ولكن حياته العقلية هذه لم يفتضح امرها لاحد ممن كان يعاشرهم ، بل بقيت مدفونة فى خاطره .

تعلمه وتخرجه فى كامبردج

كان اخوه قد سبقه الى جامعة اكسفورد ، اما هو فانه التحق بكامبردج لاهتمامه بالرياضيات ، وكان قد تعود شيئا من الانس بالآخرين ، ولا سيما انه كان قد لقى فى قصر جده قبيل دخول الجامعة بشهور « جلادستون » رئيس وزراء بريطانيا يومئذ، حين جاء ليحل ضيفا عليهم ، فكان كثير الحديث معه فى خلال خلوته معه ، وفى الجامعة درس الرياضيات والفلسفة والاخلاق والاقتصاد ، وعرف كثيرا من نبهاء الاساتذة وكثيرا من الزملاء الذين اشتهروا مثله فيما بعد ، واصبحوا من النوابغ والقادة ، وكانوا له اصدقاء ، وهو يحدثنا حديثا طويلا او قصيرا عن كل هؤلاء ، وما استفاده وافاده هناك .

« ومنذ لحظتى الاولى فى كامبردج كنت ، رغما عن خجلى ، اجتماعيا للغاية ، ولم اجد اى عائق مطلقا بسبب تعليمى الذى تلقنته فى البيت ، لا فى المدرسة ، وتحت تاثير الصحبة اللطيفة اصبحت بالتدريج اقل تزمتا . »

ولكن ماراية فى الجامعة واساتذتها وما حصله منهم ؟ قال « لم يسهم اعضاء هيئة التدريس الا قليلا فى متعتى بكامبردج » « ولقد اقتنعت وانا بعد طالب بعدم جدوى اعضاء هيئة التدريس فى الحياة الجامعية ، فلم اكن اجنى اية فائدة من المحاضرات ، حتى اننى اقسمت الا احسب حسابا لفائدة المحاضرات عندما اصبح محاضرا فى الوقت الملائم ، ولقد حافظت على هذا القسم » .

ولعل من اسباب ضيق رسل بالجامعة،واساتذتها ومحاضراتها سعة ماتعلمه قبل دخولها ، وتطلعه كشان العباقرة مثله الى اعلى مما كانت تمنحه لطلابها العاديين ، ونسى ان العباقرة يغلون فى تطلعهم اذا طلبوا من الجامعات ما يرضيهم وهو فوق ما فى وسعها .

ومع غبطة رسل شيئا ما باصله الارستقراطى وما بلغه بعد ذلك من مكانة علمية ، فانه كان كجدته لابيه من ابعد الناس عن المظاهر الدنيوية ، فلما آل اليه فى اسرته لقب « اللورد » رفضه ، ولكننا سمعنا انه قبله بعد ذلك لسبب طريف . فالمصريون قبل اربعين سنة يذكرون انه كان للقاهرة « حكمدار » (رئيس الشرطة) من الانجليز هو « رسل باشا » وهو من ذوى عمومة صاحبنا الفيلسوف ، فلما وجد صاحبنا ان اللقب سيكون لهذا الحكمدار الذى كان عنده متهما بالرشو والقسوة فى معاملة المصريين وقمع مظاهراتهم الوطنية بالرصاص ـ وهذا صحيح ـ استكبر عليه اللقب ، ورضيه لنفسه ، واذكر انى حضرت محاضرة لهذا الحكمدار فى تلك السنوات عن اضرار المخدرات ووسائل المهربين فى تهريبها ـ وكان هو الموكل بمقاومتهم ـ فارضانى منه تواضعه الظاهر وبساطته حين حمل بنفسه حقائبه الثقيلة التى فيها ادوات عرض الاشرطة السينمائية ، وتحت يده مئات الشرطة يحملونها عنه لو شاء ، ولكنى حين تاملته لاحظت تحت مظاهر وجهه الوسيم ووداعته ما وراء تقاسيمه من قسوة وازدراء ، فلم يدهشنى الخبر بان صاحبى الفيلسوف كان حكيما عادلا حين اخذ اللقب لنفسه ، ضنا به على ابن عمه الذى لم يكن يستحقه عنده . وهل يستحق القاب الشرف الا من هم فى انفسهم شرفاء ؟

محمد خليفه التونسى

الامام الصادق والمذاهب الاربعة

تاليف : أسد حيدر ·

الناشر : دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان ·

دراسة موسعة للمذاهب الاسلامية الاربعة وفقه الامام جعفر الصادق وفقه الشيعة الاثنى عرية منها · توضح نشاتها ، وعوامل انتشارها ، لتعرف على شخصيات رؤسائها ، واعطاء صورة ن الخلافات المذهبية والاراء الفقهية والحوادث تاريخية وغير ذلك مما له صلة بالموضوع ·

لم دراسة موسعة لتاريخ المذهب الجعفري وما نه وبين المذاهب الفقهية الاربعة من صلات روابط يجهلها الكثيرون من علماء هذه الامة ، لى الرغم مما حصلوا عليه من ثقافات تاريخية فقهيةوفلسفية،كمايوضح الكتاب الدور الخطير الذى بته السياسة الاموية والسياسة العباسية في صوير المذاهب الفقهية ، وحين نعلم عن يقين يقبل الشك مدى ما اصاب الشيعة من عنت اضطهاد في ظل هاتين الاسرتين الحاكمتين خلال ماية قرون كاملة ·

وقد قسم المؤلف كتابه ثلاثة اجزاء كبيرة ، مهد ى الكتاب الاول للتاريخ الاسلامي واثره في كيان لمذاهب الفقهية ، وكيف كانت حياة الامام الصادق موقفه منها واين كان يقف المذهب الجعفري ، م مدى تاثيره في المذاهب الاربعة الاخرى ومدى بينه وبينها من خلافات اكثرها في الفروع لقليل منها في الاصول ·

شفاء الغليل
ى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل

تاليف : الشيخ الامام ابى حامد الغزالي ·
تحقيق : الدكتور حمد الكبيسي ·
الناشر : رئاسة ديوان الاوقاف ·
احياء التراث الاسلامي / الجمهورية العراقية ·

● تحقيق لكتاب من تراثنا العربي الاسلامي الخالد ، له مكانة جليلة بين كتب علم اصول الفقة لا سيما المتخصصين في هذا العلم ، وقد استحق محقق الكتاب درجة الدكتوراه على تحقيقه لهذا الكتاب ·

لقد قام المؤلف بجمع مخطوطات هذا الكتاب من مختلفمكتبات العالم،وقارن بينها شارحا وموضحا، مع دراسة للنص قيمة ، والكتاب يتالف من مقدمة وخمسة أركان اما المقدمة فيتناول فيها الامام الغزالي معنى القياس والعلة ، والدلالة والفرق بين القياس والعلة ، وبين العلة والدلالة ، اما القسم الاول فيستعرض فيه طرق اثبات العلية ، اما الركن الثاني فيدرس فيه العلة وحدها وما يجوز ان يجعل علة ، اما الركن الثالث من الكتاب فقد خصص للكلام عن الحكم · (اى حكم الاصل)· والركن الرابع تناول فيه الاصل وذكر شرائطه ومتى يصح القياس عليه،واما الركن الخامس فيدرس الفرع ويبين شرائطالفرع المقيس على الاصل ، والغزالي في هذا الكتاب يجمع بين عقل الفيلسوف وعقل الاصولي عمقا ودقة وشمولا ، وقد استطاع المحقق ان يجلي النصوص ، ويوضح غوامضها ، ويجاري المؤلف في خطاه بكفاية واقتدار ·

موشحات مغربية

تاليف : الدكتور عباس الجراري ·

الناشر : مطبعة دار النشر المغربية — الدار البيضاء / المغرب ·

يدرسهذا الكتابفنالموشح وشكله،وموضوعاته، ونشاته وعلاقته بالزجل ، واهميته ، وما صنف المشارقة والاندلسيون فيه من مصنفات ، ثمالمغاربة وما كان لهم في فن التوشيح من مساهمة وقد اورد المؤلف في كتابه هذا احدى وخمسين موشحة ، وثلاثين شاعرا من مختلف العصور ابتداء من عصر الموحدين حتى العصر الحاضر وقد حاول عند اختياره للموشح ان تكون هذه الموشحات قد صدرت عن مغاربة وان كانوا مجهولين ·
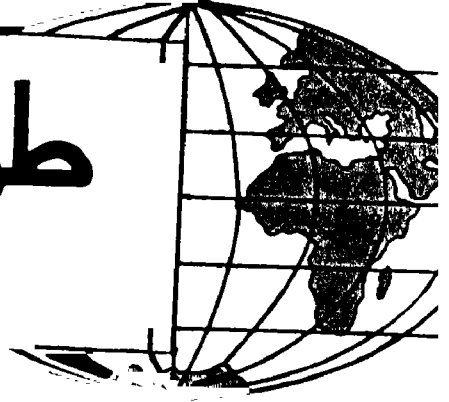
جمال المراة فى غموضهــا !

●● اين سحر المراة ؟ هل هو فى صوتها ؟ ام هو فى حديثها ام فى ذكائها ؟ يقول وليام جيمس ، عالم النفس والفيلسوف الامريكى الشهير : « ان المراة عندما تغلق فمها وتطبق شفتيها الجميلتين وتسكت عن الحديث ، تصبح اكثر نساء العالم جمالا وجاذبية . فالغموض الذى يحيط بشخصيتها فى صمتها يكسبها جاذبية قد لا يجدها الرجل فى قوامها او فى حديثها او مشيتها !

« ان صمت المراة وابتسامتها الحلوة يجعلان الرجل فى حيرة من امرها سواء فى وجودها او عندما تغيب عن عينيه . واذا نجحت المراة فى اجتذاب اهتمام الرجل بها الى هذا الحد ، فقد نجحت فى ان تملا راســه وعينيــه وقلبه وكل حواسه !

« مازلت اذكر اننى عندما تقدمت للفتـــاة التـــى اصبحت زوجة لى فيما بعـــد ، اطلب يدهـــا ، لم تقل لى شيئا .. حتى عندما سالها والدها .. فقد وقفت هناك فى ركن مـــن الحجـــرة ، صامتـــة لا تحـــرك ساكنا ، ولكننى عندما نظرت اليها وجدت وجهها كله يتكلم .. لقـــد تكلمت بابتسامتهـــا وبعينيها ، وبكل قسمات وجهها .. وقـــرات حديثهـــا الصامت .. لقد كانت تقول لى : « كم احبك أيها الشاب الوسيم ! »

« هكذا ترجمت لى زوجتى مشاعرهـــا ، وشرحت لـــى احاسيسها لاول مرة ، ونحـــن نحتفل بعيد زواجنا العاشر »

ذكريات عالم كبير مع الآلة !

● توماس اديسون المخترع الامريكى الشهير (١٨٤٧ – ١٩٣١) كتب يوما يصف ولعه بالآلة ، وكان يومها يعمل فى وظيفة صغيرة باحد مكاتب البرق ، قبل ان يصبح مخترعا من اعظم مخترعى القرنين التاسع عشر والعشرين ، قال : « لا ادرى لماذا اعشق هذه الادوات والآلات الصغيرة .. اننى اقف امام نوافذ المحال التجارية التى تبيعها ، وامضى الساعات الطويلة اتاملها واتغزل فيها ، تماما كما يفعل المحب مع حبيبته .. وكنت اشعر بالتعاسة وانا ابحث وابحث ، فى جيوبى عن قطعة نقود واحدة ادفعها ثمنا لاحدى هذه الادوات ، فلم تكن امى تترك لى شيئا من اجرى .. وكنت اعود الى البيت حزينا لاننى لم استطع ان اقتنى شيئا منها ، فاجلس الى مكتبى الصغير،

جيفرسون ..

الحياة تبدأ في الشيخوخة !

● توماس جيفرسون Thomas Jefferson الرئيس الامريكي الاسبق (١٧٤٣ - ١٨٢٦)، الذي شارك في حرب الاستقلال الامريكية ، ووضع اعلان استقلال بلاده ، مات عن ٨٣ عاما ، دون ان يشكو من اى مرض الم به خلال حياته الطويلة .

قالوا له في شيخوخته ، بعد ان جاوز السبعين ، وكان وقتها مشغولا بتسجيل ذكرياته في كتاب لم يقدر له ان يرى النور ، اذ ضاعت معظم اصوله ، قالوا : « كيف وجدت الحياة ، وكيف كانت رحلتك معها ؟ » .

وقال جيفرسون : « الحيات ثلاث ، عمل وهدف نسعى الى بلوغه ، وصحة اذا افتقدناها، افتقدنا معها الحياة ذاتها .. وقد كانت حياتي حافلة بالعمل والكفاح من اجل بلادي .. وكان هدفي واضحا ، وهو ان ارى الاستعمار الانجليزي يحمل عصاه ويرحل .. وعشت لارى هذا اليوم . ثم ، لقد انعم على الله بصحة طيبة . فلم افتقد المعنى الحلو للحياة يوما .. ولكن هل تعلمون كيف يكون شعور الرجل عندما يبلغ من العمر ما بلغت ، انه يتمنى لو انه استطاع ان يعيش حياته كلها من جديد .. انه يشعر بقدرة عجيبة علىالاستمرار في العمل وفي الحياة وكانه ما زال شابا ! » .

واسك بقلمي واحاول ان ارسم على الورق شكل كل آلة من تلك الآلات التي طالعتني من نافذة المتجر وتمنيت لو انني امتلكت واحدة منها .. وكنت اتطلع الى الرسم الذي سجلته بقلمي ، فاجد فيه الجمال والبساطة والسهولة وكانها تحدثني بصراحة ، وتحكي لي ما استطيع ان اصنع بها ، بلا تعقيد .. انها ادوات صغيرة لم تصنع لكي تبدو جميلة ، وانما صنعت لكي تقدم لنا كل شيء جميل ، وهذا هو سر جمالها الخفي ! » .

التغيير .. والجمود !

● سومرست موم الكاتب والمؤلف الانجليزي الشهير (١٨٧٤ - ١٩٦٥) ، كان يفاخر دائما بعدم انتمائه الى بلد معين .. فهو قد ولد في باريس عن ابوين انجليزيين ، ولكنه امضى الجانب الاكبر من سني حياته زائرا لكل بقعة من بقاع العالم الفسيح من حوله ، واستطاع بفضل رحلاته الطويلة ان يتميز عن كل كتاب عصره بتلك النظرة الفاحصة المدققة لطبيعة النفس البشرية .. وهي نظرة انعكست على معظم كتبه ومؤلفاته .. سالوه يوما عن رأيه في فرنسا البلد الذي ولد فيه ونشا وتعلم ، وعن رايه في انجلترا التي يحمل دم ابنائها في عروقه ، فقال الكاتب الكبير : « هو نفس الفرق بين التغيير والجمود .. بين الحركة والتوقف .. لقد مل الفرنسيون حياتهم التقليدية القديمة فاعلنوها ثورة غيرت مجتمعهم ومجرى حياتهم من جذورها .. اما الانجليز فلم يتفقوا على شيء مثل اتفاقهم على استنكار كل محاولة للتغيير .. واذا حدث وعثرت على رجليدعو الىالتغيير وينادي به،كما فعل برنارد شو ، و هـ.ج ولز ، ولويد جورج وغيرهم ، فسوف تجد ان هؤلاء جميعا ليسوا من اصل انجليزي .. عد الى جذورهم فستجدها قد نبتت في ايرلندا واسكتلندا وربما امريكا بعد اكتشافها . ان الرجل الانجليزي قد يغير من نفسه ، وقد يغير من اسلوب حياته ، ولكنه لا يلبث ان يستنكر هذا التغيير ان سرا وان علانية ، وفجاة يعود سيرته الاولى .. يعود انجليزيا .. فهذه هي قلعة التقاليد !! » .

قالوا : « وانت لمن تنتمي ؟! » .

قال موم : « انا مواطن،وطنه الدنيا كلها » .

قصة قصيرة لسومرست موم

■ رايتها في احد المسارح ٠٠ فلما اومات التي ٠٠٠ انتهزت فرصة الاستراحة ، ورحت الى حيث كانت تجلس ، وجلست الى جانبها ٠٠

لو ان جارها لم يسمها باسمها لما ذكرته ، لانى لم اكن قد لقيتها من زمن طويل ابتسمت صاحبتي وقالت : الا ترى ان الزمن يطير ؟ سنوات وسنوات مضت منذ لقائنا ٠٠ اتذكر لقاءنا الاول؟ يوم دعوتني للغداء ؟

قلت في نفسي : كيف انساه ؟ كيف ؟

كان ذلك قبل عشرين سنة ، وكنت اعيش اذ ذاك في باريس ، في شقة متواضعة ، تطل على مقابر الحي اللاتيني ، ودخلي لا يزيد على فرنكات معدودات تكاد لا تكفي ما تفرضه ضرورات الحياة٠

كانت قد قرات احد كتبي ، فبعثت الى برسالة فيها تعليق على الكتاب يرضي كبرياء صاحبه ، وكتبت اشكرها،وعاودت الكتابة لتقول انها ستكون في باريس لساعات يوم الخميس ، ويسرها ان تلقاني رغم ضيق وقتها،واقترحت ان ادعوها لغداء خفيف في مطعم « فويوت » ، ملتقى اعضاء البرلمان الفرنسي وغيرهم من الساسة ، وهو فوق ما يرتفع اليه دخلي المحدود٠٠ولكن اشبع كبريائى ان تطلب مني امراة ان ادعوها ٠٠

ولم استطع ردها ٠٠ كان ما في جيبي لنفقات الشهر كله ٨٠ فرنكا لا غير ، واحقر غداء في مطعم « فويوت » لن يكلفني اقل من ١٥ فرنكا ٠٠ وقررت ان احرم نفسي من قهوة الصباح بقية ايام الشهر ، لاوفر لصاحبتي غداءها في مطعم«فويوت»، وكتبت اليها مؤكدا انى سالقاها يوم الخميس ٠٠

لم تكن في مقتبل العمر كما توقعت ، او كما تمنيت ، وكان وقارها فوق جاذبيتها ٠٠ كانت في الاربعين ، ــ والمراة في سن الاربعين جذابة ولكنها لا تثير في الرجل شهوة عارمة من اول نظرة ــ وخيل الي ان الطبيعة زودتها بعدد من الاسنان يفوق العدد المالوف الذى نحتاجه عادة في حياتنا اليومية ٠

كانت ثرثارة ، ولكن لما كنت انا موضوع الحديث، اصغيت اليها بكل جارحة ٠٠ وسرت في جسدي رعدة لما قدم الجرسون قائمة الطعام ، وقرات ما عليها من اسعار فاقت كل ما ارتقى اليه خيالي٠٠ ولمحت هي ذلك فطمانتني ٠

ــ انا لا آكل شيئا عادة في وجبة الظهر ٠
وبادرتها برد حاتمي : لا تقولي ذلك ٠

ــ انا لا آكل غير صنف واحد ٠٠ صنف واحد فقط ٠٠ الناس يفرطون في الاكل هذه الايام ٠ ربما شريحة من السمك ٠٠ ترى هل عندهم سمك سليمان (السلمون) ؟

وحمدت الله انى لم المح هذا السمك على قائمة الطعام فهو والكافيار اغلى ما يمكن ان تستهل به اكلة ٠٠ ولكنى سالت الجرسون ، ولشد ما كان فزعي ان قال ان السمك يصلهم بعد طبع القائمة وطلبت صاحبتي سمكة ٠٠ وسالها ان كانت تود ان تتسلى باكل شيء آخر وهي تنتظر طهي السمك الموعودة ٠

واكلت صاحبتى الكافيار ، واكلت السمك ، وشربت الشمبانيا، وتحدثت فى مرح عن الادب والفن والموسيقى ، وانا عنها فى شغل، افكر فى قائمة الحساب ..

- لا ٠٠ لا ٠٠ انا لا آكل فى الظهر الا صنفا واحدا ٠٠ اللهم الا اذا كان هناك بعض «الكافيار» التى به الوقت ٠٠ فقلت للجرسون : كافيار للسيدة ..

وتوقف قلبى عن النبض لهول الصدمة ، فالكافيار فوق طاقة من هم اغنى منى وايسر •

- وانت يا سيدى ٠٠ كافيار

فقلت فى لهفة بعد أن فحصت القائمة وبحثت عن ارخص صنف : لا ، شريحة من الضان

ونظرت الى وكانى ارتكبت الما لا يغتفر ، وقالت : لِمَ تنفرط فى اكل اللحم ؟ وكيف تستطيع أن تواصل عملك بعد الظهر اذا اتخمت معدتك بكل هذا الضان ؟

وسكت ولم اجد جوابا ٠٠ وجاء دور الشراب فقالت : انا لا اشرب شيئا مع غذائى •

فقلت فورا - ولا انا

- اللهم الا القليل من النبيذ الابيض • فليس هناك اخف من النبيذ الفرنسي الابيض ٠٠ انه يفيد الهضم ، ويصلح المعدة •

- وماذا تؤثرين من انواعه •

- امر الطبيب نافذ على ٠٠ امرنى الا اشرب الا الشمانيا

وأمرت الجرسون ان يحضر نصف زجاجة فقالت : وانت ؟ ماذا تشرب ؟

- الماء ٠٠ الماء ياسيدتى

واكلت صاحبتى الكافيار ، واكلت السمك ، وشربت الشمانيا ، وتحدثت فى مرح عن الادب والفن والموسيقى ، وانا عنها فى شغل ، افكر فى

قائمة الحساب .. كم يصل المبلغ .. في جيبي ٨٠ فرنكا ما العمل ان زاد الحساب عن ذلك . توقطعت على سلسلة افكاري

ـ عجبت انك تفرط في الاكل في وجبة الغذاء . هذا اللحم الثقيل . لم لا تحذو حذوي . صنفا واحدا لاغيره . خذها قاعدة تتمسك بها . لتتحسن صحتك وتجود .

ـ اعدك ان اعمل بنصحك

ـ الطعام في حد ذاته لايهم .. انا اتخذه مناسبة للحديث .. ولا آكل الا صنفا واحدا .. والتفتت للجرسون وقالت : اذا كان عندكم اليوم بعض الهليون Asparagus . فهو يسليني فعلا

وقال الجرسون . لعنه الله : عندنا اطيب انواعه. من اكبر الاحجام . طري كالزبد . نغطيه بالزبدة الساخنة حتى يكاد يعوم فيها .

ـ وهو كذلك .

ثم نظرت الي . والى الجرسون . فقال الجرسون:

ـ السيدة تسال ان كنت تحب ان تشاركها في قليل من خضراء الهليون .

ـ لا شكرا . انا لا اقربه .. ولا احبه .

وسرح فكري في الفرنكات الثمانين التائهة في جيبي .. لم تعد المسالة ماسيتبقى لي . لاصرفه حتى اخر الشهر .. ولكن المسالة اصبحت اخطر من ذلك .. هل يكفي ما معي لسداد الحساب .. ثم هب ان الحساب زاد .. وهب ان ليس معها ما يغطي الفرق .. يالفضيحة .. اذن اترك ساعتي رهنا .

وظهر الهليون مغطى بالزبد المغلي وفاحت رائحته .. وكدت التهم الصحن نفسه ..وتداركت لعابي . واخذت اراقب المراة وهي تمص الواحدة بعد الواحدة فتنزلق الى لهاتها سائغة .. حتى قضت على كل ماهناك .. ومصت اناملها .. في رشاقة .. فقلت : قهوة ياسيدتي ؟

ـ مع الايس كريم

ولم اجزع .. ولم افزع .. مابجرح بعيت ايلام .. انتظار الكارثة كان له اثر البنج علي.

وقلت وانا في شبه غيبوبة : هل اكلت كفايتك ياسيدتي ؟

ـ ايماني انه من الافضل دائما ان اترك المائدة وانا اشعر انى استطيع ان استوعب المزيد من الطعام

ـ يعني تشعرين بالجوع الآن ؟

ـ لا. لا اشعر بجوع . فانا عادة لا اتناول وجبة غداء كاملة .. قهوة في الصباح . ثم العشاء في المساء . ولا آكل الا صنفا واحدا في الغداء . كما قلت لك .

ـ مفهوم

ووقعت الطامة .. كنا ننتظر القهوة . ومر الجرسون وهو يحمل سلة رائعة فيها اكبر واطيب ما رايت من انواع الخوخ : كل خوخة بدت كالعذراء على خدها حمرة الخفر . ولم نكن في موسم الخوخ. ويعلم الله كم كان ثمنه . ومدت صاحبتي يدها دون تفكير . واخذت واحدة . وقالت : ليتك لم تحش معدتك باللحم . انا قد تمتعت بوجبة خفيفة تمكنني من ان اسعد بهذه الخوخة الهائلة .

وجاء الحساب .. وكان معي مايكفي . وبقيت فرنكات ثلاثة . بقشيشا . متواضعا للجرسون تركتها على الصحن .. ونظرت هي في حياء الى الفرنكات الثلاثة . وتصورت انى ابخل من الشعب.. وخرجت من المطعم وانا اواجه شهرا كاملا لا املك من نفقاته فلسا واحدا .. وضعت يدها على كتفي وقالت : احذ حذوي .. ولا تاكل الا صنفا واحدا في الغذاء .

والتفت اليها وقلت : سافضلك ياسيدتي وا آكل في عشائي شيئا على الاطلاق .

ـ اوه .. لك الله . انت تحب الدعابة بفطرتك انت فكاهي .. فكاهي لاشك

واخيرا وبعد سنوات . انتقمت لي الاقدار .مع اني لست حقودا ولا شريرا بالطبيعة .ولكن المقادير هي التي اخذت بيدي . وانتقمت لي من صاحبتي ان وزنها يبلغ اليوم ١٢٠ كيلو غرام !

ترجمة : جمال كناني

منظمة حلف شمال الاطلسى ..
الى اين ؟

● طالعتنا الصحف العربية بأنباء تقول ان حلف الاطلسى يواجه خطر انسحاب اكثر من دولة من الدول الاوروبية الاعضاء فيه وذلك لاسباب عسكرية وسياسية واقتصادية . فهل لكم ان تحدثونا من هذا الحلف ، وما هى مداه . ومتى ولماذا انشىء ؟

محمد قاسم ـ اليمن الجنوبية

ـ كان ميلاد هذا التحالف فى اليوم الرابع من شهر ابريل عام ١٩٤٩ عندما اجتمع فى واشنطون عاصمة الولايات المتحدة الامريكية وزراء خارجية كل من كندا وبلجيكا والدانمرك وفرنسا وايسلند وايطاليا ودوقية لوكسمبرج وهولندا والنرويج والبرتغال وبريطانيا واخيرا امريكا حيث وقع الجميع معاهدة التحالف والدفاع المشترك التى اطلق عليها اسم منظمة حلف شمال الاطلسى.

North Atlantic Treaty Organization

وكان الهدف الاساسى منها هو تدعيم وسائل الدفاع فى دول اوربا الغربية . او الدول الحرة ، كما شاء لهم تسميتها عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية . ضد خطر الزحف الشيوعى بزعامة الاتحاد السوفيتى ، الذى كان بالامس حليفا لامريكا ولهذه الدول الغربية نفسها فى حربها للقضاء على المانيا النازية او المانيا الهتلرية . ومن اهم بنود هذه المعاهدة التى تتالف من ١٣ بندا ، هو الوقوف معا صفا واحدا فى مواجهة اى هجوم مسلح يقع على اية دولة من الدول الاعضاء فى هذا الحلف . الموقعة على هذه المعاهدة التى وضعت موضع التنفيذ يوم ٢٤ اغسطس عام ١٩٤٩ ، ثم ما لبثت ان انضمت اليها فيما بعد اليونان وتركيا فى عام ١٩٥١ ، ثم جمهورية المانيا الاتحادية او الغربية فى عام ١٩٥٤ .

هذه نبذة موجزة عن هذا الحلف الذى عقد فى ظروف مغايرة تماما للظروف التى يمر بها العالم اليوم . فعندما وقعت دول اوربا الغربية معاهدة حلف شمال الاطلسى ، كانت فى حالة من الدمار والخراب والضعف ، التى دفعتها دفعا الى الارتماء فى احضان الولايات المتحدة طلبا للحماية العسكرية والاقتصادية .

اما اليوم وبعد انقضاء ما يزيد على الربع قرن من الزمان ، فلم تعد فى اوربا دولة تشعر بان هناك خطرا يتهدد امنها الاقتصادى او السياسى واكبر دليل على هذا اتجاه الولايات المتحدة الامريكية نفسها الى اتباع ، سياسة الوفاق ، مع الاتحاد السوفيتى الذى كان بالامس يشكل الخطر الاساسى على امن هذه الدول وكيانها السياسى والاجتماعى . بل ان الكثير من دول اوربا الشرقية التى كانت تتبع الاتحاد السوفيتى وتدور فى فلكه قد بدات تخلص نفسها وتخلص اقتصادها بصفة خاصة من السيطرة السوفيتية ، وتسعى فى الوقت نفسه لاقامة كيان مستقل بعيدا عن النفوذ السوفيتى .

وقد كانت فرنسا ، اول دولة غربية فى اوربا ترفع راية العصيان فى وجه هذا التحالف الغربى وتخرج من التنظيم العسكرى لحلف الاطلنطى فى عهد الجنرال ديجول الرئيس الفرنسى الاسبق فى عام ١٩٦٧ .

على ان هناك اسبابا اخرى حدت ببعض دول اوربا الغربية الى اعادة النظر فى موقفها من هذه المعاهدة ، فالبرتغال مثلا تعيد النظر الان فى موقفها من حلف الاطلسى بعد قيام الحكومة اليسارية فيها ، وخاصة بعد انتهاء فترة استئجار امريكا للقواعد الحربية فى جزر الازور التابعة للبرتغال ، وهى تلك التى استخدمتها الولايات كمحطة لتوصيل شحنات الاسلحة والعتاد الحربى لاسرائيل اثناء حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ .

تسأل .. ونحن نجيب

ثم هناك اليونان التى بدات بدورها تهدد بالانسحاب من الحلف بسبب تاييد امريكا للحكومة العسكرية اليونانية التى سقطت فى صيف العام الماضى ، مما دفع قسطنطين كرامانلس رئيس وزراء اليونان الجديد الى المطالبة بتخفيض الوجود الامريكى فى بلاده ، وانهاء التسهيلات التى كانت بلاده تقدمها للسفن الحربية الامريكية فى الميناء العسكرى القريب من اثينا ٠

بقيت تركيا ، وقد اظهرت الحكومة التركية غضبها الشديد لموقف الولايات المتحدة المؤيد لليونان فى النزاع بين الدولتين فى قبرص ، وللقرار الخطير الذى اتخذه الكونجرس الامريكى بوقف المساعدات لتركيا ، مما حدا بالولايات المتحدة الامريكية الى ايفاد وزير خارجيتها هنرى كيسنجر فى مهمة عاجلة الى انقرة ، كان الهدف منها تهدئة المسئولين الاتراك ووعدهم بالعمل على اقناع الكونجرس بضرورة استئناف هذه المساعدات. وقد فعلوا ٠

هذه بعض الاسباب التى ادت بدول اوربا الغربية الى اعادة النظر فى موقفها من معاهدة عقدت منذ ربع قرن من الزمان ، وفى ظروف مغايرة تماما للظروف التى يعيشها العالم اليوم ٠

(م ٠ ن)

مهرجان اسلامي كبير

● قرات فى بعض الصحف البريطانية عن مهرجان اسلامى كبير سيقام فى العاصمة البريطانية عما قريب ٠٠ نرجو ان تعطونا فكرة ما عن هذا المهرجان ٠٠

المهرجان الاسلامى الذى تذكر سيكون حدثا كبيرا ، على ما يبدو ٠ وقد لا يجد المرء له شبيها الا فى المهرجان الاسلامى الضخم الذى اقامه الالمان فى مدينة ميونخ سنة ١٩١٠ ٠ وحسبنا ان نذكر تكاليفه التاسيسية التى بلغت حتى الان نحو مليون جنيه استرلينى ٠٠ وان ١٥ متحفا من المتاحف البريطانية الرئيسية ستشترك فى المهرجان وتسهم فى عرض الروائع والتحف الاسلامية طيلة مدة المهرجان البالغة ٣ شهور ابتداء من شهر ابريل (نيسان) سنة ١٩٧٦ ٠

وستشمل هذه الروائع والتحف طائفة كبيرة معارة ، يبلغ عددها حتى الان ٢٥٠٠ رائعة ، ويبلغ عدد الدول المعيرة ، وهى دول اوربية واسلامية ، ٣٠ دولة ٠ وسيكون بين هذه الروائع ما لم يسبق عرضه فى اى من دول الغرب ٠

ومع ان اكثر متاحف لندن الهامة ستشترك فى عرض هذه الروائع ، كما ذكرنا ، الا ان متحف هيوارد Hayward Gallery ، سيحتل مكان الصدارة بينها ٠ وستضم معروضات هذا المتحف فيما تضم السجاد والاقمشة والمصنوعات الخزفية٠٠ هذا الى جانب الاحجار الكريمة والمخطوطات ٠

ذلك ان المهرجان الاسلامى المرتقب مهرجان حضارة بمفهومها الجامع ، ولن يقف نشاطه عند الجوانب الفنية ، بل سيشمل ايضا الجوانب الثقافية والعلمية ٠

ولعل اول ما يذكر فى هذا الصدد البرنامج الحافل الذى اعده متحف العلوم Science Museum البريطانى وذلك بقصد اظهار امجاد المسلمين العلمية واستعراض كل ما قدمه علماؤهم فى شتى الميادين : فى الطب والصيدلة والكيمياء والفلك الى آخر ما هنالك ٠

اما مكتبة المتحف البريطانى British Museum فستختص بعرض شامل للقرآن الكريم ، يضم فيما يضم مخطوطاته الاصلية الاولى ٠٠

هذا وسيتخلل المهرجان عدد كبير من المؤتمرات الدولية والمحاضرات وندوات البحث والنقاش ٠

اضف الى ذلك ان المهرجان المرتقب سيشهد صدور ١٥ كتابا من الكتب الجديدة الرصينة التى تتناول جوانب مختلفة من الحضارة الاسلامية ، وقد كلف بتاليف هذه الكتب ذوو الاختصاص من الباحثين البريطانيين وغير البريطانيين ٠ وسيشهد المهرجان ايضا وضع النواة لموسوعة اسلامية جديدة شاملة تصدر تباعا فى العاصمة البريطانية ٠

وتجدر الاشارة الى ان متحف الجنس البشرى Mankind Museum فى لندن قد بدأ يعد العدة لمعروضاته المثيرة ٠ وقوام هذه المعروضات مدينتان

بارزتان من مدن التاريخ الاسلامي ، هما مدينة فاس المراكشية ومدينة صنعاء اليمنية ‥ فسيعمل المتحف الذى ذكرنا على بعث هاتين المدينتين المسمى الحياة ، وعرض نماذج لهما بشوارعهما ومبانيهما على نحو ما كانتا عليه وهما فى اوجهما فى العصور الماضية ٠

بقى ان نذكر ان الهيئة المسئولة عن المهرجان الاسلامى هى مجلس الفنون البريطاني Arts Council وقد عهد بالاشراف الفعلى على اعمال المهرجان الى مجلس امناء ، وعهد برئاسة هذا المجلس الى السير هارولد بيلى سفير بريطانيا السابق لدى مصر ٠

(ى ٠ ز)

ابن اسحاق صاحب السيرة النبوية

● حين تذكر كتب السيرة النبوية يذكر بينها كتاب السيرة لابن اسحاق ، ممن هو ؟ وهل طبع كتابه ، وما منزلته بين كتب السيرة ؟ نرجو التفضل بالاجابة ٠

عبد الجليل حسين ـ الدقهلية/مصر

ـ اشهر بكنيته « ابن اسحاق » ، وهو محمد ابن اسحاق بن يسار، وقد أسر جده يسار" صغيرا مع غلمان آخرين من معبد فى « عين التمر » ، وهي قريه على حدود الصحراء قرب الحيرة (او قرب الكوفة بعدذلك) ، افتتحها خالد بن الوليد ايام ابى بكر سنه ١٢ هـ (٦٣٣ م) ، وحمل منها الى المدنه بعض الغلمان الذى كانوا رهائن فى يد كسرى ، وكان منهم يسار هذا ، الذى استقر هو ودريه فى المدينة ، وفيها ولد حفيده محمد بن اسحاق هذا سنة ٨٥ هـ/وفيها ايضا نشا وتعلم حتى تخرج على شيوخها وقد روى عنهم اخبار النبي واحاديثه ، وغزواته ، وتبحر فيها حتى كان مرجعا لطلابها ، تؤخذ عنه وقد وصف بانه كان ذا ملامح فارسية : جميل الوجه والشعر ، مع حوَل فى عينيه، ويروى انه كان ماجنا فى شبابه حتى ان والي المدينة ضربه لمغازلته النساء ، ونهاه عن الجلوس في مؤخرة المسجد لهذا الغرض ، ثم استقام وصلح ، وكان من سوء حظه ان اصطدم فى المدينه بمعاصره الفقيه والمحدث الكبير الامام مالك (صاحب المذهب) فطعن كل منهما فى روايات الاخر ، حتى اضطر ابن اسحاق الى ترك المدينة ، فى بين الاسكندرية والحيرة والرى ثم استقر فى ا‍‍د ايام مؤسسها (المنصور) الى ان مات ودفن فى الجانب الشرقي (الرصافة) سنة ١٥١ هـ الارجح ، واكثر رواياته عن شيوخ الاسكندرية يظهر انه اطال القيام بها ، وكانت اليها اولى لاته ، وقد كانت شخصيته ورواياته محل جدل كثير بين الاخباريين والمحدثين ، فمنهم من يطعن فيها وفيه ، واكثرهم يوثقها ويثنى عليه ٠

وله كتابان كلاهما مفقود احدهما كتابه هذا فى السيرة والاخر يتممه وهو«تاريخ الخلفاء»،ومن أهم الاسباب فى بقاء كتابه فى السيرة مشهورا حتى الآن ان عبد الملك بن هشام لخصها واضاف اليها كثيرا من غيره حين الف سيرة النبي ، او ما يسمى « سيرة ابن هشام » التي طبعت اكثر من مرة ، وكذلك نقل الطبرى كثيرا من كتاب ابن اسحاق ، ومن هذه النقول نعرف ان كتاب ابن اسحاق لم يكن خاصا بالسيرة النبوية وحدها ، بل كان ثلاثة اجزاء : المبتدا والمبعث والمغازى ، فالمبتدا فى تاريخ ما قبل الاسلام من اخبار الرسل ، وتاريخ اليمن وقبائل العرب واديانها وتاريخ مكة واجداد النبي عليه السلام ، ولا ذكر فيه للاسانيد ، وكثيرا ما يقول : « قال اهل العلم الاول » ويقصد بهم احبار اليهود ومن هنا كثرة الاسرائيليات المدسوسة فى هذا الجزء ، وكثرة الاساطير ايضا ، واما المبعث ففي حياة النبي والمسلمين الاول في مكة ، واما المغازى ففي حياة النبي وصحابته فى المدينة ، ومن هنا يظهر ان سيرة ابن اسحاق اوسع نطاقا من سيرة ابن هشام التي اقتصرت فيما قبل الاسلام على جزء من تاريخ مكة واجداد النبي فيها ، وفي كتاب ابن اسحاق كثير من الشعر المنحول (المسند الى غير اصحابه) ، وقد تخلص ابن هشام فى كتابه من كثير من هذا الشعر المنحول وكان اعلم بالشعر ونقده من ابن اسحاق ٠

(م٠خ٠ت)

انت تسأل .. ونحن نجيب

قصة سكيم لم تنته بعد ..

● سمعنا في الاذاعة اخبارا من بلد يدعى سكيم ، وما جرى فيه من استفتاء رفضوه باطلا . والواقع انى لا أعرف شيئا من هذا البلد ، فهل يمكنكم اعطائى لمحة عنه .

احمد العراقى – بنها – مصر

ـ فجأة ظهر اسم « سكيم » Sikkim على مسرح الاحداث .. اذ تناقلت الاذاعات نتائج الاستفتاء الذى اجرته الحكومة هناك ، حيث صوت ٦٠ الف مواطن الى جانب انضمام سيكيم الى الهند . وعارض ١٥ الف مواطن عملية الانضمام .

وتوالت ردود الفعل سريعة بعد ظهور نتيجة الاستفتاء .. فحاكم سكيم – ويطلقون عليه اسم Chogyal . شوجيال – اى المهراجا الصغير – طعن فى نتيجة الاستفتاء .. بعكس مملكة نيبال الجارة التى انحت باللائمة على الشوجيال الذى لم يستطع التكيف مع روح التغيير .. اما الصين الشعبية فقد انطلقت تطعن فى الاستفتاء الذى جرى تحت اشراف الموظفين الهنود ، وتكيل التهم للهند لابتلاعها سيكيم ، بموافقة ومساعدة الاتحاد السوفيتى ! ولم تعلق مملكة بوتان على الموضوع ، وان كانت تميل الى تاييد نتيجة الاستفتاء .. اما الهند فقالت ان هذا الاستفتاء هو « تحصيل حاصل » فسكيم كانت دائما قطعة من تراب الهند .. والوضع يختلف تماما من وضع التبت التى استولت عليها الصين الشعبية عام ١٩٦٥ .

واهتمام هذه الدول الاربع بسيكيم عائد الى وجود حدود مشتركة بينها وبين هذه الامارة الصغيرة القابعة فى الطرف الشرقى من جبال هملايا ..

وتعتبر سيكيم اصغر مملكة فى آسيا ، اذ تبلغ مساحتها نحو ٢٨٠٠ ميل مربع ، يسكنها ٢١٠٫٠٠٠ نسمة (احصاء ١٩٧٣) اغلبهم نزحوا اليها من البلاد المجاورة .. وعاصمتها جانجتوك يعيش فيها ١٥ الف نسمة ، واميرها هو الشوجيال (المهراجا) بالدن ثاندوب ناميجيال ، تزوج فى عام ١٩٦٣ عندما كان وليا للعهد ، بفتاة امريكية من نيويورك ..

وارض سيكيم هى جزء من جبال هملايا تنخفض فى الجنوب الى ٢٤٠ مترا تحت سطح البحر ، وترتفع حتى تصل الى ٨٥٨٥ متر ، وتهطل عليها الامطار بغزارة (٩٦٠ ملم سنويا) فتحيلها الى جنة خضراء جعلت الانجليز يقيمون عليها مصحا للامراض الصدرية عام ١٨٣٩ ، قبل ان يضعوها تحت الحماية البريطانية .. ومع جلاء بريطانيا من الهند فى عام ١٩٤٧ اصبحت سيكيم تحت حماية الهند ، التى كانت ترسل قواتها العسكرية فى كل مرة يثور فيها الشعب على الشوجيال .

والى جانب هذا ، كانت الهند تتولى الشئون الخارجية،وشئون الدفاع والمواصلات ، ومسئوليات العدل والنظام وتمويل الخطة الخمسية للبلاد .. وبمعنى آخر كانت الهند تدير شئون سيكيم الفقيرة بمواردها ..

وهكذا كان الفوز فى انتخابات المجلس النيابى من نصيب انصار الهند ، الذين كانت تتعالى اصواتهم مطالبين بالاندماج التام مع الهند .

ولكن الشوجيال – او مهراجا سيكيم – كان غير راض عن هذا الوضع ، وكان على طرفى نقيض مع اعضاء المجلس النيابى ..

ولم يكن من الممكن ان يستمر هذا الوضع طويلا ، فقامت الحكومة باجراء هذا الاستفتاء ، الذى ايد انضمام سيكيم الى الهند ، والغى نظام الشوجيال ..

اما مصير الشوجيال او المهراجا الصغير ، فقد انضم الى القافلة الطويلة المكونة من ٥٦٠ مهراجا متقاعدا ، كانوا يحكمون مقاطعات الهند قبل استقلالها ..

ولكن القصة لم تنته فصولها .. فالصين الشعبية التى ازعجها هذا التحول لصالح الهند ، بدات تلوح بان اهل سيكيم سوف يثورون على الحكم الهندى الذى اغتصب بلادهم وجعلها الولاية رقم ٣٢ من ولايات الهند !!

(ص . ن)

لوحة لها قصة

زمردة..

للفنان حسين بيكار

بقلم : صبحى الشارونى

■ الفنان الكبير « حسين امين بيكار » الذى اشتهر بتوقيعه على رسومه بامضاء « بيكار » .. يعتبر استاذا رائدا لجيل من الفنانين فى مصر .. ولد فى مطلع عام ١٩١٣ والتحق بكلية الفنون الجميلة ـ وكان اسمها « مدرسة الفنون الجميلة العليا » ـ عام ١٩٢٨ .. وبعد تخرجه فيها عمل بالتدريس متنقلا بين محافظات مصر ثم سافر الى المغرب ليعمل استاذا « للتربية الفنية » بالمعهد الخليفى فى (تطوان) من عام ١٩٣٨ حتى ١٩٤٢ .. وهناك حصل على وسام الاعتزاز من الحكومة « الخليفية » .

وعاد الى القاهرة ليعمل مدرسا لفنون الرسم والتصوير الزيتى بكلية الفنون الجميلة حتى وصل الى منصب رئيس قسم التصوير .. وعندئذ استقال ليتفرغ للرسم الصحفى محررا وناقدا فنيا ورساما بدار اخبار اليوم ابتداء من عام ١٩٥٩ حتى الان .

وقد زار بيكار معظم الدول الاوربية والافريقية فى رحلات فنية وصحفية ، حيث سجل بالريشة والقلم مشاهداته وملاحظاته فى استطلاعات مرسومة .. كما كان ممثلا لمصر فى مؤتمر الفنون التشكيلية الذى عقد فى يوغوسلافيا .

وقد نال الفنان بيكار عام ١٩٦٧ وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى ـ وهو اعلى وسام يمنح للفنانين فى مصر ـ تقديرا لجهوده وكفايته فى المجال الفنى .. كما اختير عضوا فى عدد من اللجان التى توجه وتشرف على حركة الفن التشكيلى فى مصر .

يعتبر « بيكار » من اوائل الذين وضعوا فنهم فى خدمة الصحافة حيث تطور الرسم الصحفى على يديه تطورا كبيرا وبخاصة ما يتعلق بصحافة الاطفال والرسوم التوضيحية للكتب . وبالاسلوب نفسه رسم لوحات فيلم « ابو سنبل » وعددها ٨٠ لوحة ، وقد اخرج هذا الفيلم المخرج الكندى « جون فينى » حيث صور برسوم بيكار تاريخ المعبد خلال آلاف السنين ثم عمليات انقاذه ورفعه فوق مستوى بحيرة ناصر على الطبيعة .

اما قصة « زمردة » .. هذه اللوحة الزيتية الكبيرة المعروضة حاليا بمتحف الفن الحديث بالقاهرة فتتلخص فى ان الفنان وضع فكرة لوحة تصور التضاد بين الخير والشر .. فرسم هذا الوجه الطاهر البرىء فى جانب اللوحة الايمن وصور الشر فى وجه يفيض مكرا وخديعة فى جانبها الايسر .. ولكنه قبل ان يضع اللمسات الاخيرة فى لوحته لم يرض عنها .. واستاء لوجود الخير والشر فى لوحة واحدة .. وهو ما لا يحدث فى الواقع .. ان الخير كل الخير لا يجتمع ابدا مع الشر كل الشر ولا بد ان ينتصر الخير فى النهاية .. وفعلا انتصر الخير وازال الفنان الوجه الشرير واكمل اللوحة بثوب العرس الطويل ، وكان الخير عروس فى يوم زفافها ، طاهرة بيضاء الثوب ترصع جيدها بزمردة ذات لون مضىء يحس الرائى انها قطعة من حجر كريم ثبتت فى هذا المكان .. فاذا اقترب منها ادرك انها رسم متقن .

اما الشر فقد صوره الفنان فى لوحة مستقلة سماها الفنان « انثى العنكبوت » وجسد فيها كل معانى الشر ورموز القبح دون ان يؤدى ذلك الى ان يكون الرسم قبيحا .. انها قدرة الفنان الاستاذ الذى تتسع خبراته الفنية لتشمل الى جانب الرسم فنون العزف الموسيقى وكتابة الشعر المرسل مما يؤكد رهافة احساس الفنان واصالته .

■■

القاهرة : صبحى الشارونى

قصة

الزعيمة..

بقلم : سمير عطا

■ علية هانم سيدة مثقفة انيقة جميلة ، عائلتها من كرائم العائلات فى مصر .. تلقت تعليمها فى اوربا على غير المعتاد فى بنات جنسها فى ذلك الوقت من الربع الاول من القرن العشرين، وعادت من دراستها بعقل متفتح ، واناقة متزايدة، مع رزانة وحشمة ورصانة لم تكن متوقعة فى واحدة مثلها ، عادت من بلاد الافرنج بعد ان عاشت فيها ردحا من الزمن ، ولاشك ان نفسها قد حملت بعض الاثر مما بها من تقاليد لايستسيغها الذوق والتقاليد والعرف الذى تسير عليه بلادها ..

وبقدر ما امتدح الناس جمالها فى احترام واكبار بقدر مادهشوا واعجبوا بما دابت عليه من رصانة الحديث وسعة الافق ورحابة الفكر وذلاقة اللسان . وهى وان كانت قد حاولت ـ كما عهدها الناس ـ أن تقرب بعض الافكار الغربية الغريبة عن مجتمعها الى هذا المجتمع الا انها لم تكن فى سندها ترجع الا الى مايدعو اليه الشرع وما تحض عليه السماء . وكان ما انكره البعض منها اول الامر دعوتها الى حرية المراة ومشاركتها للرجل فى كل اعمال الحياة . ولم تقل ان ذلك هو مايسود المجتمعات الاوروبية وان تضمنت احاديثها ما يشير الى ذلك ، كما لم تقل ان ذلك سمة العصر وسنة التطور وضرورة الحياة، وان عرضت لذلك بما يفهم منه كل ماتريد التعبير عنه والايماء اليه .. بل ركزت فى احاديثها وخطبها على آيات القرآن وقصص السيرة وكفاح امهات المؤمنين .. من هنا ذهب الانكار وانقضى ليحل محله سيل من الاعجاب والفتنة المتدفقة ، فحيى الناس فيها شجاعتها وايمانها وما تدعو اليه ، وهى لاتدعو الى شىء جديد وانما تحيى قديما درس ـ ومجدا تالدا كان للعرب ، كم فاخروا به الامم والبلاد .. وكالت لها الصحافة ماكالت من أسباب التحية والتقدير لابنة الشعب التى نبتت وسط الذهب دون أن يعشى عينيها بريقه ، ونشات وسط الحرير دون أن تهدهدها برودته ونعومته ، وترعرعت وسط الانوف الشم والكبرياء الجوفاء والارستقراطية المتعالية الا انها اصبحت

ما اصبحت ٠٠ زعيمة لبنات جنسها تطالب لهن بالحرية والمساواة فى غير انطلاق ٠٠

وفى ذلك اليوم من ايام فصل الخريف وقد بردت نسمة الليل وغمر القمر الكون بضيائه فى صفاء وسكون ، انطلق صوت الزعيمة وسط حديقة منتدى خاص بالسيدات انشاته هي وغيرها ممن جرين على سنتها من زعيمات الحركة النسائية التجديدية فى ذلك الوقت، وكانت تتحدث عن دور الفن فى حرية المراة ٠٠ وكيف ان الفن مظهر حضارى يساعد على رقى الدول الاوروبية فى العصر الحاضر ، وقد عرفه العرب قبل الاسلام وبعده وان النبى صلى الله عليه وسلم كان يطرب للصوت الحلو وكان يبتسم للأداء الخفيف الظل ، وكيف ان كثير من الناس فى مصر ـ جهلا بذلك ـ مازالوا ينظرون الى الفن نظرة مجردة من كل قيمة حضارية ولا يخالونه الا مظهرا اجوف من مظاهر الفساد او الاسترزاق الرخيص لاسيما فيما يتعلق بالنساء على وجه خاص ٠

افاضت الزعيمة فى الحديث عن اهمية المراة بالنسبة لهذا المظهر الحضارى لم اهميته نفسه ـ اهمية الفن ـ فى حاضر الشعوب ومستقبلها لثقافة وحضارة وارتقاء بالعقل البشرى ٠٠ وحين انتهت الزعيمة من القاء خطابها ، هرع اليها بعض مندوبى الصحف الذين تعبت اصابعهم من الجرى بالقلم وراء كلماتها الرنانة وحديثها المعبر ، حتى لايفوتهم منه كلمة او ايماءة ، يسالونها المزيد من الحديث عن الفن والمراة ونظرة المجتمع اليهما ٠٠ وسالها احد المتزاحمين حولها : « هل يمكن ياسيدتى ان تفسرى لنا ما الذى تقصدينه بالفن ؟ »

اجابت : « الفن هو كل ما يتصل بمظاهر الحياة من احساسات راقية ينقلها او يعبر عنها فئة من الناس ليشعر بها ويستمتع الآخرون » ٠

فعاد المتزاحم يقول : « ليس ما أريده تعريفا للفن بقدر ما اريد تصنيفا لمظاهره » ٠ فقالت : « ان الادب فن من الفنون ٠٠ والشعر والنحت والتصوير والموسيقى وما يتعلق بها ٠٠ »

فاسرع المتزاحم يلتقط هذا الخيط ويسال : « هل يمكن ان توضحى لنا ما المقصود بقولك « مايتعلق بها »٠٠ و٠٠ لماذا تتحرجين من الافصاح؟ »

فقاطعته فى شبه غضب قائلة : « ماالذى يدعو الى الحرج فى موضوع أفضت فى الحديث عنه ، وسمعته كل أذن حاضرة معنا ؟ أم لعلك قد نسيت أذنيك فى درج مكتبك ؟»

ضحك الحاضرون ، وضحك صاحب السؤال وشاركتهم الزعيمة فى الضحك ثم اضافت : «الموسيقى يصاحبها غالبا الغناء ٠٠وهذا ماالقصد»

فاسرع المتسائل قائلا : « والرقص ؟» ٠٠

اجابت فى هدوء : «والرقص ، تصاحبه الموسيقى طبعا لانه لايمكن الاستمتاع به دون موسيقى » ٠

فعلق آخر : الرقص اذن وسيلة استمتاع وليس مظهرا فنيا ٠٠

فاجابته بحدة : « لا ٠٠ من قال ذلك ؟
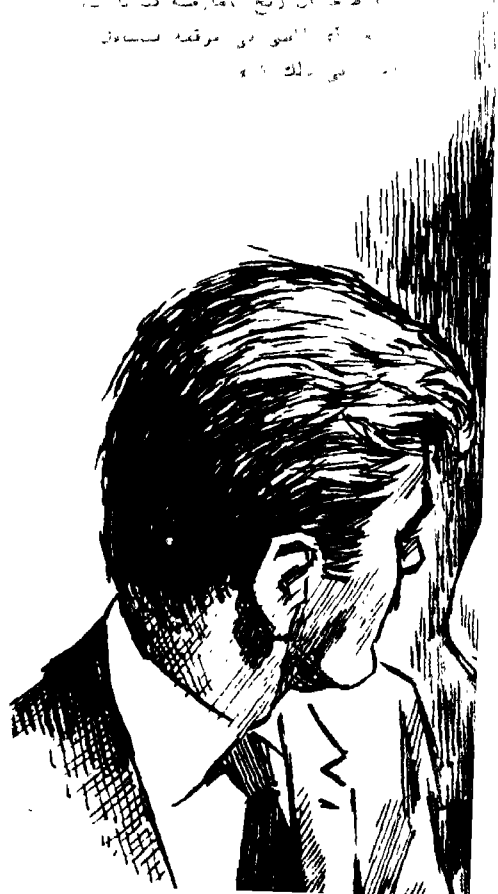
ان الرقص فن من اعرق الفنون في العالم ، ولقد كانت الشعوب في اوج حضارتها تتخذ منه وسيلة تعبير دينية فضلا عما كانت تعبر به عبر مظاهر الحياة نفسها ٠٠ فرحها وترحها ٠٠ سلمها وحربها ٠٠ »

فعاد المتسائل الاول يقول : « وهل تعدين الرقص العالي يا سيدتي مظهرا من مظاهر الفن ؟ » ٠

فاجابت باصرار : « هو مظهر من ارقى المظاهر الفنية ٠ واذا كان قد انتابه انحراف في بعض جوانبه فان الانحراف ينتاب اى مظهر آخر من مظاهر الحياة بغض النظر عن مدى اصالته » ٠

فقال المتسائل : « وهل تعدين العاملات به ٠٠ اعني الراقصات ٠٠ من طبقة النساء المكافحات ؟ » ٠

اجابت : « لا شك ان بعض الراقصات يمثلن نوعا من التحرر الذى ننادى به ٠٠ واهن يقمن بوظيفة اجتماعية عن طريق الفن الذى يؤدينه ويمكن للدولة على اى حال ان تنظم او تعدل اى اعوجاج او انحراف قد يمس جوهر الرقص كصورة من صور الفن بوجه عام ٠ »

وفي صباح اليوم التالي ظهرت الصحف تحيي الزعيمة الكبيرة بنت الشعب ٠٠ وحملت نوال احدى هذه الصحف واخذت تهزها في يدها وكلها اعجاب وتقدير ، ثم قالت لعبد الرحمن : « يا سلام ٠٠ علية هانم ٠٠ انها مفخرة من مفاخر هذا العصر ٠٠ انها هبة الله لنساء هذا الجيل ٠ انني احسدك يا عبد الرحمن على اختك هذه » ٠

فابتسم عبد الرحمن واخذ يديها بين يديه وضغط عليهما وقال : « هى كما تقولين يا نوال ، ولعلك لا تدرين انني الذى ادرت الحديث الذى اعقب خطبتها امس » ٠

فسحبت نوال يديها وسالت : «ماذا تقول؟ » ٠

فزادت ابتسامته اتساعا وقال : « لقد كان بنفسى شيء ، لنقل عليه ذرة من الشك في ان علية هانم قد توافق على زواجى منك وانت تعملين راقصة ٠٠ من هنا اتفقت مع زميلين من اصدقائي يعملان بالصحافة على معرفة رايها في حرفة الرقص ومن يعملن بها قبل ان افاتحها في شيء لعل فيما تصرح به منفذا انفذ منه اليها » ٠

فقالت نوال وقد اكتسب وجهها مسحة من الالم : « الحق انني لم يتطرق الى نفسى مثل هذا الشك ابدا ٠٠ انني من اشد المعجبات بعلية هانم وارى فيها مثلا اعلى لسيدات هذا الجيل ٠ وكنت واثقة من انها لا يمكن ان تقف عقبة ضد زواجنا » ٠

فقال عبد الرحمن : « اذن لماذا كنت تحاولين التاجيل والتسويف دائما ؟ » ٠

قالت : « ليس خشية منها ، وانما خشية منك ومن نفسى ٠ لقد دفعتني الظروف الى احتراف الرقص ٠٠ ويعلم الله انني وانا في بؤرة قد لا يسلم منها كل انسان قد صنت نفسى بكل ما وهبني الله من عزة النفس ، وكان كل هدفي ان اجمع بعض المال لانتشل نفسى من هذه البؤرة واشق طريقي بعيدا عن الفن واهل الفن ٠٠ لكم كانت علية هانم كريمة وهى تتحدث عنا ، نعم ٠٠ كانت كريمة حقا ولكنها انسانة ذات مبدأ وكنت اراها دائما كما اراها الآن ٠ أما انا وانت فقد كنا العقبة التي تقف في طريق زواجنا ٠٠ لقد كنت دائما اسال نفسى ٠٠ أيمكن ان اغفر لنفسى هذه الايام ؟ وهل يمكن أن تنسى وتستمر في النسيان ؟ » ٠

فاحتضنها عبد الرحمن وربت على كتفها وقال :

« لطالما تحدثنا في ذلك يا حبيبتي وانا ادرك كل شيء ٠٠ ولا داعي للاعادة والتكرار فيما لا افكر فيه » ٠

قال ذلك ثم امسك بيدها وقال في حماس :

« ما رايك يا نوال ؟ ٠٠ اليوم ٠٠ سأفاتح علية هانم في موضوع زواجنا ؟ » ٠

فعادت مسحة الحزن الخفيف تكسو وجهها وحاولت ان تقول شيئا فكتم ما كان يتلاعب على شفتيها من غمغمات ، بقبلة خاطفة واسرع يودعها ويخرج ٠

وما ان غاب عن بصرها حتى قفزت الى نافذة بجوارها كانها تحاول ان تتابعه بعينها وقلبها وهو يعبر الشارع ، ثم رفعت عينيها الى السماء وتمتمت في صوت خفيض : « يا رب ٠٠ انت تعلم انى احبه ، وانني لم ارتكب ما يغضبك » ٠

وبدون ان تدرى احست ببسمة خفيفة تطوف بشفتيها وبريق يلمع في عينيها وعادت تتمتم :

« ستقبل ٠٠ انا اعلم انها ستقبل » ٠

وفي قصر علية هانم العتيق الذى ورثته هي واخوها عن والدها الباشا الثرى ، دخل عبد الرحمن على اخته في حجرة مكتبها وهى تقرا بعض ما كتب عنها في صحف اليوم ٠٠ وحين راته بادرته قائلة :

« ما رايك يا عبد الرحمن في حديث الامس ؟ هل قرات جرائد الصباح ؟ » ٠

فجلس عبد الرحمن امامها وقال في حماس :

« لقد كان حديثا رائعا ولا شك انك جديرة بما اضفوه عليك من صفات وما كالوه لك من مديح » .

فضحكت علية هانم وقالت : « يا ولد يا شقى .. لقد بدات تحسن حديثك . فيا ترى ما وراء ذلك ؟ هل تريد السفر الى اوربا ؟ » .

فاجاب عبد الرحمن دون مقدمات وهو يرنو اليها بعينين مترقبتين متلهفتين : « لا .. بل اريد الزواج » .

فتهقهت علية هانم وبدا عليها وكأنها لم تفاجأ بالخبر ، ثم قالت بعد لحظة : « الحق .. انني لاحظت ذلك عليك من مدة . انا لا يخفى على شىء » .

فتطلع اليها عبدالرحمن فى دهشة ووجل وقال : « لا يخفى عليك شىء ؟ .. هل تعرفين ؟ .. » .

فقاطعته قائلة : « طبعا .. لقد لاحظت ذلك ورايتك وانت معها » .

فسال فى عجب وقلبه يخفق بشدة : « معها ؟ .. مع من ؟ .. » .

فقالت فى تخابث : « مع من ستتزوجها » .

فاسرع يسالها : « متى ؟ واين ؟ » .

فعادت تقهقه حتى كادت تستلقى على ظهرها ثم قالت فجاة : « فى الحلم يا ولد .. » .

بلع عبد الرحمن ريقه ، غير ان موقفها منه زاده انفعالا وسره الحديث فعاد يقول : « على اية حال ، انك رأيتها فعلا ، على الاقل فى الصحف » .

فاعتدلت فى جلستها وبدا عليها الاهتمام وقالت: « اذن هى سيدة مجتمع ؟ » .

وشعر عبد الرحمن بقلبه يدق فى عنف اذ جاءت اللحظة الحاسمة الا انه اسرع ينهى هذا الموقف بقوله : « لا .. انها فنانة .. را .. راقصة » .

قالها بتلعثم وهو ينظر فى عينى اخته ، ولشد ما راعه ان وجد البريق الذى كان يكسوهما قد اختفى فجاة ، وحلت محله نظرة غريبة جعلته يجمد فى مكانه مترقبا .. وبعد برهة تحركت شفتاها متسائلة فى بطء : « ماذا قلت ؟ » ..

فلم يرد . فعادت تردد : « نعم .. انك قلت راقصة .. اليس كذلك ؟ » .

وهنا كان قد استجمع بعض شجاعته وهز راسه قائلا : « نعم هذا هو ما قلته ؟ » .

فرفعت اصبعها واشارت اليه فى تثاقل وقالت له وهى تخرج الكلمات من بين اسنانها : « تقول نعم ؟ .. عبد الرحمن بك ابن سلطان باشا يتزوج راقصة ؟ » ..

كان واضحا ان ريح المعارضة قد بدات ، الا انه رأى المضى فى موقفه فتساءل : « وماذا فى ذلك ؟ » .

هبت علية هانم واقفة فجاة وهى تضرب المكتب بجمع يدها وصاحت قائلة : « عبد الرحمن .. هل فقدت عقلك ؟ » .

اضطرب عبد الرحمن وبدت عليه الحيرة والارتباك واخذ يجول بعينيه فى كل مكان وهو لا يدرى بم يجيب وفجاة وقع بصره على الصحف المنثورة على المكتب فواتاه الرد سريعا ذهب واقفا واشار بيده الى الصحف وقال ببطء : « هل قرأت الحديث الذى صدر عنك امس ؟ » .

ترددت عيناها بينه وبين الصحف على مكتبها ولم تفهم ما يقصده فأضاف : « فى هذا الحديث الذى قلته امس .. وتقراينه الآن .. حديث عن .. الراقصات » .

فجاة .. عاد البريق الى عينيها الا انه كان بريقا يبدو فيه من الجنون اكثر ما يبدو من الانبساط او الغيظ ، وصاحت : « يا مغفل .. .. انك اخى .. عشت معى تحت سقف هذا البيت طوال هذه السنين ولا تعرف اختك ؟ » .

اثاره هذا الرد فنظر متسائلا اذ لم يفهم تماما ماذا تريد ان تقول له . وادركت هى حيرته فنظرت فى عينيه طويلا ثم قالت وهى تشير الى الصحف :

« افهم ان تستمتع كما يستمتع غيرك من الشباب بمثل هذه الراقصة .. لا ان تطلب ان تتزوجها .. اما هذا الحديث .. يا عبد الرحمن .. فهو للاستهلاك الشعبى ، امتطى به رقاب هؤلاء الناس فتظل رؤوسهم منحنية واظل انا .. نظل نحن .. فى مستوى القيادة والزعامة . هل فهمت ما وراء هذه السطور المنشورة هنا والتى قيلت امس ؟ » .

وسقط فك عبد الرحمن بعد ان عقد الذهول لسانه .. .

وفى مكان غير بعيد كانت نوال (الراقصة) ما زالت تنظر الى السماء وتتمتم :

« انا اعرف انها ستوافق .. انها هبة الله لنساء هذا الجيل .. » . ■■

سمير عطا

بقلم : محمد على سليمان

■ يقول المؤرخون ان افظع فصول التاريخ واعظمها اثارة للفزع هو سقوط بغداد .. ويقول ابن خلدون ان مليونا وستمائة الف افناهم القتل والقتال ، واحرقت القصور والمساجد وذبح العلماء والادباء والائمة بالقسوة التى احرقت بها مكتبات كاملة ، او القيت بها فى نهر دجلة ، وهى ذخائر القرون ، ونفائس النتاج الاسلامى فى العلوم الفنون .

ويقول العالم براون انه لا يمكن وصف الخسارة التى حاقت بالفنون والعلوم الاسلامية عندما سقطت بغداد على يد الطاغية هولاكو ، وان خسارة الانسانية فى ذلك لتتجاوز حد الخيال .

ومن هذه الكلمات القصيرة يمكننا ان ندرك مدى ما وصلت اليه الحضارة العربية حتى سنة ١٢٥٨ ميلادية (٦٥٦ هـ) وليس هناك شك فى ان مثل هذه الحضارة قد صاحبتها حضارة موسيقية عريقة تنطق بها البقية الباقية مما كتبه الرواة والمستشرقون، مما جعل الدكتور هنرى فارمر يستهل كتابه عن تاريخ الموسيقى العربية بكلمة العلامة سيسيه اذ يقول : « يجب ان نقلع عن اعتبار بلاد العرب صحراوية بربرية جدباء . فلقد كانت مركزا تجاريا فى العالم القديم،ولم يكن المسلمون الذين خرجوا منها لغزو المسيحية واقامة الامبراطوريات غير خلف لهؤلاء الذين كان لهم تاثير عميق فى مصير الشرق منذ اقدم العصور » .

وهناك حقيقة يقررها علم الموسيقى المقارن ، هى ان الموسيقى مرآة لحضارة اية دولة كانت ، فهى تعكس للناس مدى حظها من الرقى او التخلف.. ولا يمكن ان تقوم نهضة موسيقية الا فى دولة ذات قيم حضارية ...

ماموقفنا من الموسيقى الغربية ؟

فلئن كان الامر كذلك فما هو موقفنا حيال الموسيقى عامة وهي الفن الذى يتخذه الانسان وسيلة للتعبير عن احاسيسه ومشاعره فى شتى بقاع الارض باديها وحاضرها ؟ وماذا سيكون اتجاهنا بموسيقانا بعد ان اصبحت الموسيقى فى ذاتها اداة الاعلام فى كل زمان ومكان ، تنتقل خلال الانسان ، حيث كان ، وانى وجد ؟ .

هل نستسلم للغزو الفنى فندع الموسيقى الغربية تطمس معالمنا التاريخية والحضارية ونصبح شعبا بلا حضارة وبلا موسيقى ؟ .

لقد امتدت آثار الغرب الى حياتنا ، وتوغلت بصورة زلزلت القيم المتوارثة فى مفاهيمنا ،وخلقت فيما بيننا صراعا حضاريا حادا انعكست آثاره على موسيقانا بجلاء .. وبدا ذلك واضحا فى حيرة الشباب العربى بين الموسيقى الغربية التى بهرته بامكانياتها التعبيرية الضخمة،وبين الموسيقى العربية المتوارثة .. ولقد ادى ذلك الى ان اتخذ الفن الموسيقى فى بلادنا طابعا جديدا قد يتسم بشيء من الحيرة والقلق ، فلم تتبلور لدينا الموسيقى الجديدة المناسبة التى تستطيع ان تفى بالاحتياجات الجمالية والوجدانية للانسان العربى الجديد ، بعد ان تفتح ثقافيا وعلميا وفكريا .. وتطلع الفنانون من العرب الى الموسيقى الاوروبية فوجدوا لديها ينابيع باهرة ظنوها من صنع الاوروبيين وحدهم ، واعتقدوا ان تلك المحسنات الصوتية والبدائع التعبيرية فى الحانها مقومات اساسية لاصول الموسيقى الغربية ، ولو انهم تدارسوا الاسس التى قامت عليها نهضة الموسيقى الاوروبية للمسوا ان طفرتهم هذه قامت على اسس عربية تناولوها منذ البداية ، ثم بنوا عليها نهضة موسيقية اشاد بها تقدمهم الحضارى بصورة كادت تطمس معالم الحقيقة والتاريخ فى امجاد موسيقانا العربية .

الغرب يأخذ موسيقاه بادئا من الشرق

لقد ظلت الموسيقى الاوروبية لفترة طويلة من الزمان مجرد موسيقى لحنية استوردوها عن طريق الحضارة اليونانية من حضارات المصريين القدماء ، والاشوريين ، والبابليين،وقدامى الفرس والهند .

واخذت الموسيقى الاوروبية طريقا نحو التحضر والترقى فدخلتها المحسنات البديعية عن طريق تعدد التصويت ، وتعدد الالات ، وظهور التدوين ، ومن هنا كانت بداية نهضة حقيقية للموسيقى الاوروبية ، وبدات فنونها تغزو العالم باسم الحضارة والعالمية والسمو الفكرى فى صياغة الموضوعات والالحان ، وكانما حاول ارباب هذه النهضة ان يبرزوا للناس صورة براقة من وراء اضواء تعشى الابصار عن معالم الطريق الذى اوصلهم الى هذا المستوى ..

اما الطريق فكانت بدايته الافكار العربية .فلقد ظلت المخطوطات العربية نسيا منسيا عند اصحابها الشرعيين ، بينما عكف اهل الغرب عليها فى محاريب المكتبات الاوربية،يستكشفون ويتدارسون، حتى وصلوا الى لباب حضارة موسيقية رفيعة سبقت الى تعدد الاصوات الذى تطور وتحول الى علم الهارمونى ، وافادت ايضا من التدوين الابجدى والجدولى بالحروف والارقام ، الذى تحول بعد ذلك الى التدوين الموسيقى المعروف . وبلغ بنا الامر اننا كدنا ان نقتنع ونقنع بان موسيقانا لحنية بحتة ، وان التدوين الموسيقى اوروبى بحت، وان الفضل كل الفضل لاوربا وحدها فى علوم الهارمونى والتدوين الموسيقى ..

مخطوط لابن سينا فى الهرمونى

لابن سينا مخطوط كتب فيه عن الهارمونى تحت عنوان حلو رقيق اطلق عليه : « معاسن اللحن » قال فيه « محاسن اللحن اربعة التوصيل والترعيد والتركيب والمزج » ثم عرف التركيب بقوله « واما التركيب فان يخلط الضارب بالنغم الاصلية فى نقرة واحدة نغمة موافقة لها »ولعلنا نحس جيدا بان موسيقانا حتى فى بعض مستوياتها الشعبية تهضم تعدد التصويت كما فى الارغول والمجوز وكما نسمعه فى حلقات الذكر وموشحات الانشاد الدينى ..

وسبق عبد المؤمن الارموى الى التدوين

اما التدوين فقد سبق اليه عبد المؤمن الارموى فيما اسماه التدوين الجدولى للالحان ...والتدوين الحالى يقوم اساسه على الرمز الى النغمات بالحروف والمقاطع (دو ، رى ، مى ، فا ، صول ، لا ، سى)

مع استخدام نسب حسابية لطول النغمة وقصرها وهكذا، كانشأن عبد المؤمن الارموى، فلقد استخدم الحروف الابجدية مع ارقام حسابية تكاد ان تحدد اللحن ، ولولا انتكاس الحضارة العربية لكفانا جهاد عبد المؤمن وامثاله في الموسيقى عناء تأخر ظهور التدوين الموسيقى الى مشارف القـــرن السادس عشر •

ضعف الموسيقى العربية ـ ضعف مؤلفها

ومع ذلك فقد جرت مساجلات عديدة ومناظرات كثيرة حول المفاضلة بين الموسيقى العربيةوالموسيقى الاوربية، واتهمت الموسيقى العربية حتى من بعض ابنائها بالضعف الفني والاضطراب والقصور عن متطلبات العصر • وهذه نتيجة حتميـة لحملات التغريب والغـزو الثقافـي الخارجي ، فجوهـر الموسيقى العربية مستمد من جوهر اللغة العربية ذاتها ، وواقع الضعف في الموسيقى العربية هو نتيجة لضعف المؤلف العربي ، وابتعاده عن دنيا الابتداع والتجديد والابتكار • فان الاسس التي تقوم عليها الموسيقى العربية اشبه بحروفالكتابة وقواعد النحو والصرف • ومجرد الوقوف عند دراسة الحروف والقواعد لايعني تخريج الكاتب والاديب والشاعر ، فكذلك قواعد الموسيقى وحدها لاتكفي لتخريج الموسيقار الدارس الواعي • بل لابد من تيارات ثقافية وفنية مختلفة يجب ان تصب في رأس الفنان حتى يخرج انتاجا فنيا متكاملا •

الفارابي يوضح أصناف الالحان ويعين غاياتها

ولو رجعناالى امسية منامسيات عروبتناالزاهرة وعشنا مع الفارابي في تخيلاته وتاملاته الموسيقية لرأينا كيف كان يفكر ذلك العملاق في تصنيف الموسيقى وتقسيمها فلقد جاء عنه في كتـــاب الموسيقى الكبير ماياتي :

اصناف الالحان وغاياتها ثلاثة : ـ

١ ـ الالحان الملذة وهي التي تكسب النفس مجرد لذة الاستمتاع ، دون ان يكون لها صنيع آخر في النفس •

٢ ـ الالحان المخيلة وهي التي تفيد النفس تخيلات وتاملات وتوقع فيها تصورات مختلفة الالوان، وشانها في ذلك شان التزاويق والتماثيل المحسوسة بالبصر •

٣ ـ الالحان الانفعالية وهي التي تحدث فـي الانفعالات النفسية مايزيدها او ينقصها « اوبمعنى آخر تهدئها او تثيرها » •

وان في هذا التعريف الفارابي ماجمع خلاصة وافية لاثر الموسيقى وفلسفة بنائها •• وان احدث كتب التعبير والتذوق الموسيقى التي وضعهـــا الغربيون لتستمد منهذه الكلمات ابدع موضوعاتها في تعريف الموسيقى ونقدها • فهل يدرك ذلك ابناء العروبة في عصرنا الحاضر ؟

الموسيقى بين سلالمها الغربية وسلالمها العربية

ان الغربيين يغالون دائما في الدعاية لفنونهم وحضاراتهم ويدعون في كل مناسبة الى تبنـــي الحياة الغربية ككل ، ولكن الشعوب لا يمكن ان تنفصل عن حياتهـا وميراثها في سهولة ويسر ، ولهذا فاننا ـ في هضمنا لحضارات الغرب ـسننزع الى طبيعتنا التي اكتسبناها من الدين والعروبة، فكما ان الدين قد هضم في داخله الاديان السماوية السابقة ، وكما ان الحضارة العربية هضمت فـي داخلها حضارات غيرها من الامم التي سبقتها ـ ، فاننا ايضا يجب ان ننظر لفنون الغرب نظـرة تنبعث من طبيعتنا هذه بالنسبة للموسيقى • ولكن علينا الا نقبل من الغرب الا بقدر ما نهضم ، وبقدر ما تتسع له طبيعة موسيقانا ، وبشرط الا يخرجها ذلك عن طابعها العربي •

عند تلقين الاطفال اوليات الموسيقى

ولئن عاب علينا البعض اننا نبدأ في تلقين اطفالنا اوليات الموسيقى على اسس السلالـــم الغربية غناء وتدوينا ، فان ذلك في واقعه اتجاه صحيح يساير المبدأ التربوى « البدء بالبسـيط والانتقال منه الى المركب » • فالسلالم الغربية ابسط في الدرجات وفي البناء ، علاوة علـى انها لا تخرج عن كونها مقامات تشملها الموسيقى العربية ضمن مقاماتها المتعددة ، ويمكن ان يتدرج في دراسة الموسيقى الى دراسة المقامات والاوزان

العربية بألحان ذات طابع عربي ، قديمة وحديثة ، ميلودية ذات خط غنائي واحد ، او هارمونية ذات خطين غنائيين او اكثر .

ونحن عندئذ احوج ما نكون الى المدرس العارف الواعي لاصول موسيقانا ، المتمكن من جوهر الموسيقى العربية تمكنا يدعوه الى التمسك بها ، والاعتزاز بمقوماتها عن طريق العلم والمعرفة ، فالناس دائما اعداء لما جهلوا ويا حبذا لو عنى المسؤولون باقامة دراسات تدريبية تناقش فيها الوسائل والافكار التي تصون للموسيقى عروبتها، وفي الوقت ذاتها لا تحرمها من التطور والاستفادة بما وصل اليه الغرب . فان كل عمل موسيقى لا يخرج عن انيكون انتاجا قوامه الآلات، او انتاجا قوامه الغناء ، وكلا النوعين يحتاج الى المحسنات اللحنية التي ذكرها ابن سينا قبل مئات السنين.. والتي بها امكن الغرب ان يغزونا بموسيقاه ، رغبة فيما يعود به الغزو من فوائد ماديةواقتصادية تخدم الاستعمار من قريب او من بعيد .

أصالة موسيقانا العربية

لذلك كثيرا ما نلمس ان الاستعماريين وبعض المواطنين «عن حسن نية» لم ينقطعوا عن التشكيك في قيمة فنوننا وموسيقانا ، والانتقاص من اقدارنا في العمل والانتاجالفني من حيث القابلية لمسايرة الحياة الحديثة ، ووقفوا بنهضاتها عند العصور الوسطى وكانما اصاب انتاجنا العقم ، فلم يعد اهلا للابداع والابتكار .

ولكننا لو تتبعنا تطور الموسيقى في امتنا العربية لرأينا انها بدأت في العصر الجاهلي على ايدي القيان والجواري ، ثم اخذت تسمو بسمو الحضارات العربية حتى اصبحت لثقافة عالية يقوم عليها الفلاسفة والعلماء والامراء من امثال الفارابي والموصلي وابراهيم بن المهدي وابن سينا والكندي واخوان الصفا ، وغيرهم ، ممن جعلوا الثقافة الموسيقية ينابيع عالية .. ولئن خبت الثقافة الموسيقية في عصور حكمها الاستعمار ــ فان الوقود السابق ظل يحرك الامة العربية بين حين وآخر ، فلم تمت الثقافة الموسيقية العربية ولم تندثر . بل فرضت وجودها وكيانها على الامم الغزاة انفسهم فاحاطوا علومها بالرعاية والدراسة ، وتخصصوا لها ، وبحثوا عن كنوزها وآثارها وتعصبوا لهااعترافا بفضلها وسبقها، ولا يخفى فيذلكما كتبه الدكتورهنرى فارمر والدكتور هورن بوستل والبارون دى آر لانجيه واضرابهم في التنويه بفضلها العظيم .

لا باس أن نتخذ من الموسيقى الاوروبية هاديا

وعلى الرغم من ذلك كان البعض منا يرون ان نهضة الموسيقى الاوربية يجب ان تكون لنا اماما وهاديا في انهاض موسيقانا .. وهذا امر لا غبار عليه وليس ما يمنع اطلاقا من الاخذ به .. ولكن قام آخرون ونادوا بان نترك موسيقانا بماضيها ومآثرها ، ونتخذ من موسيقى الغرب ما يغذى مشاعرنا ، تاركين القديم من تراثنا للمتاحف تتولى عرضه وتقديمه !! ولكن معنى هذا اننا نتجاهل شخصيتنا ، ونفنى كياننا الموسيقى في فن الغرب وثقافة الغرب ..

ان جماهير الغرب انفسهم لم يطيقوا انيصبروا على فن واحد واقبلوا على تطورات فنية متلاحقة فكفروا بفنونهم في كل ناحية .

ركود في التاليف الموسيقى الغربى

وانا لنلمس في العصر الحاضر ركودا في التاليف الموسيقى الغربى . فلم يعد الانتاجيتتابع في غزارة الانتاج الماضى ، ووقف انتاج الاوبرات وانكمش في عصر الاذاعة والتلفزيون ، فظهرت في امريكا اوبرا الحجرة وهي نموذج مصغر من الاوبرا يتسم بسرعة تنوع المناظر ، وتغطى حدود الزمان والمكان.كما هبطت بعض موضوعاتالاوبرا فتناولت ملاعب البيس بول وصورت بالموسيقى ما يحيط بالملاعب من باعة القشار والجزر وحبوب التسلية .. وكل ذلك في لغة ركيكة تهبط الى اللغة العامية الامريكية » .

موسيقانا تتطور مع الاحتفاظ باصالتها الذاتية

اما موسيقانا العربية فانها ستواكب نهضاتنا ، وتعبر عنها بوسائل العلم والفن ، وليس هناك

ما يعوقها من الاستفادة ببعض الاساليب الغربية المناسبة التي لها اصل في ثقافاتنا وفنوننا الموسيقية ، وبما لا يتعارض مع طابعها العام فلا باس بتعدد التصويت في انساق ترتاح اليها الاذن العربية التي الفت الافصاح في لغتها واساليبها البلاغية ، ولا باس من تعدد الآلات وتنوعها والاعتماد على التدوين الموسيقي بالطريقة الاوربية ، وتدارس التراث الموسيقي في كل زمان ومكان ، فكما ان المثقف العام يحتاج الى فهم اللغات الاجنبية لينفذ منها الى اجواء المعرفة العالمية،فكذلك الموسيقار العربي بتذوقه ودراسته لانتاج الغرب ، لن يعدم في تلك الدراسة وسيلة يفيد منها في انتاجه وابداعه ، فان الافكار المبتكرة تثيرها افكار مكتسبة • ولكن حذار من الاخذ دون وعي وتبصر فما كل ما لدى الغرب مما يجب مجاراته والسير بمقتضاه •

الغرب عاش متقلب النزعات

فلقد عاش الغرب كطبيعة بلاده متقلب النزعات، لا يكاد يستقر على امر حتى يثور عليه ، فانه استقر حينا على الكلاسيكية التي قامت على انها قيم جمالية تسيطر عليها صفات الوضوح والتوازن ، والبساطة والصفاء والرشاقة والايقاع الجيد والفكر النبيل وتناسق الهارموني ـ وبناء على هذا النحو انتج كل من هايدن وموتسارت وبتهوفن ، ولكن ما كاد يستقر الامر عند هذه الكلاسيكية حتى ظهرت ثورة اتجهت بالفن نحو الرومانتيكية التي اعتقد روادها ان الكلاسيكية لون من الارستقراطية في الفن ، ونزعة الى التخلف ، والسير الى الوراء ، وعودة الى نظم قديمة دارسة من عهد افلاطون • وبناء على ذلك هاجم الرومانتيكيون الكلاسيكية بنظمها وقواعدها وهاموا بالطبيعة،وتطرفوا في التعبير عن العواطف والنزعات ، وجروا وراء التطرف والمتناقضات .. وتطورت الثورة الرومانتيكية وتولدت منها ثورات اخرى آزرتها لم هاجمتها وتعددت الوان الثوار .

اما نحن العرب فان مبادئنا وعقائدنا تقودنا دائما الى خير الانماط ، سواء في ذلك الفن ، والادب ، والسياسة ، واسلوب الحكم فتالقت ولمعت حضاراتنا ردحا طويلا من الزمان محتفظة بالمصادر الاولى للاخلاق والتشريع متطورة عبر الازمان والبلدان مسايرة لسياسة الحكم اني كان لونها ونوعها •

موسيقى الامة
صدى حياتها الاجتماعية

والتاليف الموسيقي لا يمكن ان ينفصل عن الحياة الاجتماعية في اية امة فهو تعبير عن ماضيها وواقعها ومستقبلها ، وبذلك لا يمكن ان تقف جهود المؤلفين الموسيقيين عند الحدود التي رسمتها القرون الماضية ، وفي الوقت ذاته لن نقبل ان نتخلى عن طابعنا الموسيقي ، ونستبدل به غيره •

فما من بقعة في العالم العربي الا فيها حركة مباركة تتجه نحو التجديد او البعث ، وعلينا حينئذ الا نغفل جوهر طبيعة فننا ، فننقاد الى موسيقى الغرب انقيادا غير متزن ولا متعقل ، فان حضارتنا اصيلة وفنوننا عريقة ولن نقبل التخلي عنها مطلقا ولكن لا باس من الاقتباس والمزاوجة التي تنتج موسيقى تجمع خصائص الموسيقى العربية والاوربية في توافق وانسجام، ولا شك في ان نظرتنا العربية ستهدينا الى اقوم الطرق، فنفيد مثلا بتنوع الآلات والتوزيع الآلي والهارموني المناسب الذي لا تضيع معه بلاغة البيان اللحني الكائن في موسيقانا مثل الكانون Canon والكنتربونت Counterpoint ومراعاة الجمال اللحني خلال سير الهارموني لمختلف الاصوات،وعدم المغالاة في الالتجاء الى المتنافر من الاصوات بالصورة التي التجا اليها بعض مؤلفي الغرب ، وعارضهم فيها من عاصروهم ، او من جاءوا بعدهم •

ولقد كانت للموسيقى مكانتها لدى الفكر العربي ، وتناول الكتاب والمؤرخون والفلاسفة والعلماء والفقهاء البحوث الموسيقية في شتى صورها وانواعها ، وتركوا في ذلك مخطوطات كثيرة مازال معظمها رهين المحبس يبحث عن الاضواء ، ولما تتح له فرصة الظهور الى ميدان البحث والدراسة ، ونذكر منها على سبيل المثال

ماذكره الدكتور هنرى فارمر فى كتابه عن الموسيقى العربية ، من هذه الامثلة : رسائل اخوان الصفا ، نفائس الفنون للعامولى ، اجتماعات للفلاسفة لحنين بن اسحق ، الكافى فى الموسيقى لابن زيله، درر علم الموسيقى لابن سينا ، الشفاء لابن سينا، الامتناع والانتفاع للشلاحى ، درة التاج للشيرازى، كتاب الادوار لصفى الدين عبد المؤمن ، جامع الالحان لابن غيبى ، احصاء العلوم للفارابى ، كتاب الموسيقى للفارابى ، رسالة فى اللحون للكندى .

ويضاف الى هذه المخطوطات ماكتبة الشعراء والمؤرخون عن الادب الموسيقى فى كل من الاغانى وكتاب القيان وكتاب الاماء الشواعر وكلها لابى الفرج الاصفهانى ، وكتاب النغم وعلل الاغانى العبد الله ابن طاهر ، وكتاب مؤنس فى الموسيقى لمنصور بن طلحة ، وكتاب ادب السماع وكتاب الندماء والجلساء لابن خرداذبة ، وكتاب اخبار المغنين الطنبوريين لابن طرخان ، وكتاب الدلالة على اسرار الغناء للسرخسى ، وكتاب الموسيقى الكبير وكتاب الادوار للفارابى .

ولعل الكثير من هذه المخطوطات لم يتناوله الشرح والبحث والتحقيق ، فدراسة المخطوطات مما يتطلب دراية خاصة وثقافة واسعة تتصل بالتاريخ واللغة والدين والطب والادب والشعر والفيزياء لامكان تدارك اخطاء النسخ .

وسنضرب لذلك مثلا مما جاء فى كتاب «الموسيقى الكبير » للفارابى ، حيث حصر اصناف الالحان وغاياتها فى ثلاثة انواع وهى لا تخرج عما قرره كل من كتبوا عن التذوق الموسيقى .

قال الفارابى

اصناف الالحان وغاياتها ثلاثة :

١ ـ الالحان الملذة وهى التى تكسب النفس لذة، وانفا مسموعا ، دون ان يكون لها صنع آخر فى النفس .

٢ ـ الالحان المخيلة وهى التى تفيد النفس تخيلات وتوقع فيها تصورات لاشياء . وحالها فى ذلك حال التزاويق والتماثيل المحسوسة بالبصر .

٣ ـ الالحان الانفعالية وهى التى تحدث عن الانفعالات فهى اما مزيدة لها او منقصة منها .

اما الالحان الغنائية فهى توافق غريزة طبيعية فى طلب اللذة او التخييل او الانفعال وهذه كلها من غايات الالحان .

ولعل الاوربيين فى العصر الحاضر لم يخرجوا اطلاقا عما حدده الفارابى عندما قسموا الموسيقى الى :

أ ـ موسيقى بحتة وهى تاليف يستند الى قوانين الموسيقى وتالفاتها وانتقالاتها وتسلسل اجزائها بدرجة قوية من المنطق والجمال .

ب ـ موسيقى مفيدة بموضوع « موسيقى البروجرام » وهى تاليف يستند الى تصوير موضوع محسوس حيث نشعر مع الالحان ، وكانها تمثل اصوات الطير والحيوان وانسياب المياه وتدفق الشلالات فوق الصخر ودوى الرعد ووقع الرماح وصليل السيوف وتخيل القصائد والحكايات والاساطير وتصوير الفزع والرعب والاثارة والتهدئة .

ولايفوتنا ان ننوه بان هناك جهودا رائدة فى تحقيق هذه المخطوطات ، تمت فى مصر والعراق قام بها كل من الدكتور محمود احمد الحفنى والاستاذ زكريا يوسف وغيرهما .

ويرى الكثيرون من المشتغلين بالموسيقى العربية انه ماحوجنا الى احصاء جميع المؤلفات الشرقية والغربية التى تبحث فى موسيقانا لنجمع من خلالها كل شاردة وواردة من مخطوطاتنا الموسيقية، التى اختفت فى متاحف ومكتبات الشرق والغرب تمهيدا للحصول على صور لها تحتفظ بها كل دولة عربية فى مكتباتها،فلعل وعسى ان تنعكس الاضواء على هذه المخطوطات ،فنرى الى اى مدى بلغت الحضارة العربية فى فن من ابرز الفنون واعظمها اثرا فى ماضينا وفى حاضرنا

■■

محمد علي سليمان
عميد معهد الدراسات الموسيقية ـ الكويت
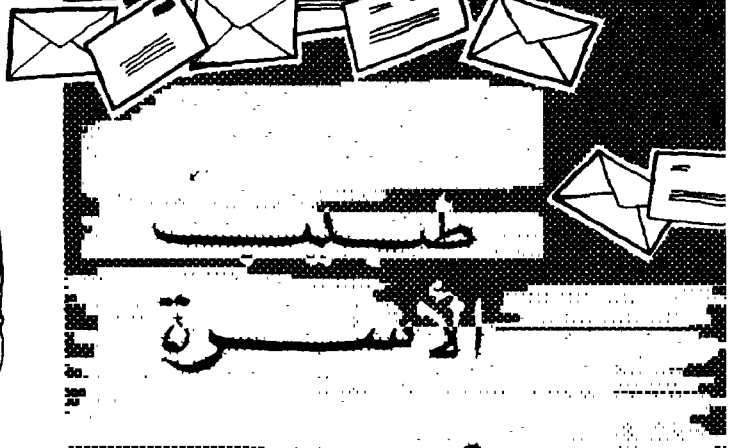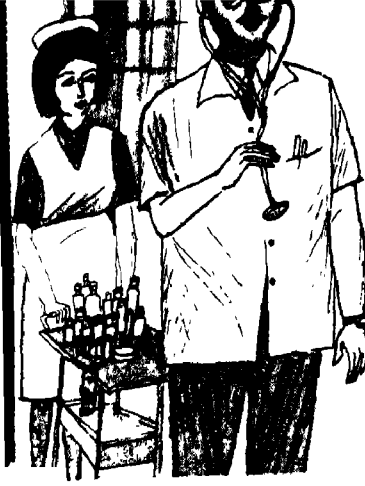
يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

التجشؤ ووسائل علاجه

● منذ مدة وانا اعاني من وجود غازات .. كثيرا ما تجد مخرجا لها عن طريق التجشؤ .. فما سبب تجمع هذه الغازات..وكيف استطيع التخلص منها نهائيا ؟

ـ التجشؤ عبارة عن خروج غاز من المرىء او المعدة ، وفى بعض الاحيان ينتج من تناول كميات كبيرة من المياه الغازية او بيكربونات الصودا .. ولكن في معظم الحالات ينتج من بلع كميات كبيرة من الهواء او امتصاص او اندفاع كمية منه في المرىء والمعدة نتيجة لوجود ضغط منخفض عن الهواء الجوى داخل القفص الصدرى.لذا نرى الذين يتجشأون يخرجون كميات بسيطة من الهواء ، وهم يحسبون انهم بذلك يتخلصون من هذا الهواء .. ولكن على العكس ، تزداد كمية الهواء الداخل الى المرىء والمعدة .. .وهكذا نرى ان المعدة تنتفخ بالهواء الداخل اليها اذا تكررت مثل هذه العملية . ونلاحظ تلك الظاهرة فيمن يعانون من ارتباك فى الجهاز الهضمي ، وعسر الهضم ، وامراض الحويصلة الصفراوية،وتوسع فتحة الحجاب الحاجز التى يمر منها المرىء ، وفى قرحة الاثنى عشر ، وامراض البنكرياس . على انه،في بعض الحالات تحدث نتيجة لالتهاب بالرئة ، وفى الحالات المصحوبة بآلام فى الغشاء المبطن للرئتين (البللورا) . ففى هذه الحالات يرتفع الضغط السلبى داخل الصدر مع وجود اضطراب فى عملية الزفير ، يساعد على دخول كمية من الهواء داخل المرىء والمعدة ، فيحاول المريض اخراجها . ولعل اسوأ حالات التجشؤ هو حدوثها فى الاضطرابات النفسية مما يجعل المصاب يتجشأ لساعات اعتقادا منه ان ذلك الغاز يتكون فى المعدة من تخمر الغذاء فيها ، لذا يحاول التخلص منه .

ولكن على العكس تزداد حالتهم سوءا..

والعلاج فى مثل هذه الحالات هو علاج السبب الاصلى ، وان يشرح للمريض ان حالته تزداد سوءا بازدياد التجشؤ،وينصح بأن يبلع ريقه عند احساسه بهذه العملية او يضع قلما او حامل سيجارة بين اسنانه، وبذلك يتفادى هذه العملية ، وينجو من دخول الهواء داخل المرىء والمعدة بكميات كبيرة .

نزول دم مع البول

● لاحظت نزول دم مع البول ·· وهذا يعتريني بشكل متقطع ·· فما هو السبب ، وما هو العلاج ؟

ـ ان خروج دم من مجرى البول من آن الى آخر ، له اسباب عدة ، اهمها التهاب الكلى الحاد ، وارتفاع ضغط الدم ، وامراض الدم المختلفة ·· التي تسبب نزفا لا في مجرى البول وحده ، بل في عدة اجزاء من الجسم ، على انه يجب ان لا ننسى ان يكون المريض يتعاطى مسيلات الدم كما هو الحال في مرض الجلطة بالقلب ، او بالاوردة (الدوالي) ·

وفي احصائية اجرتها احدى المستشفيات في مانشستر على مدار أربع سنوات ونصف ، وجد من بين ٦٤ حالة نزف من مجرى البول ، ٦ يعانون من احتقان في البروستاتا ، ٣ كانوا يتناولون مسيلات الدم ، ولم توجد اى علامات على مرض عضوى فى ٢٢ حالة ، اما فى باقى الحالات ، فوجد ان النزف يكون بعد الجماع ، او تعاطى المشروبات الروحية بكميات كبيرة ، او بعد اجهاد عضلى شديد كما هو الحال عند الرياضيين · وبتتبع هذه الحالات وجد ان ثلاثة منهم اصيبوا بأورام فى الجهاز البولى ، ومن هنا اصبح من الواجب تتبع الحالات التى تصاب بنزف فى مجرى البول من آن الى اخر لاكتشاف سبب هذا النزف ، وان لم يكن واضحا فى اول الامر ·

مادة الرصاص وأثرها على جسم الانسان

● اعمل دهانا فى شركة ·· وانا اعلم ان الدهان الذى اعمل به يحتوى على مادة الرصاص ، فهل من الضرر لهذا الرصاص على جسمي ؟

ـ ينتج التسمم بالرصاص من بلعه ، كما يحدث مع الدهانين ، عندما يضعون الفرشاة التى بها الصبغة التى تحتوى على الرصاص بين اسنانهم ، او مرور الماء فى أنابيب من الرصاص وبقائه بها لمدة طويلة ·· او عند استنشاق الدخان المحمل بالرصاص كما هو الحال عند حرق البطاريات المستعملة ، وحتى من وجود « رش » فى اى تجويف بعد الاصابة بطلق نارى يحتوى على هذه المادة · فانه يمتص بالتدريج ، ويسبب التسمم بالرصاص ·

وتظهر اعراض التسمم سريعا فى حالات استنشاق كميات كبيرة او بلعها ، كما حدث فى حالات الاطفال الذين تسمموا بهذه المادة عند حرقهم للبطاريات المستعملة فى انجلترا ·

وفى معظم الحالات تظهر الاعراض تدريجيا بعد التعرض لفترة طويلة لمصدر الرصاص وتجمعه داخل الجسم · وتظهر هذه الاعراض على هيئة آلام بالبطن شديدة ، لا تشير الى اصابة عضو محدد داخل البطن مع تقلص شديد لعضلات البطن · وكثيرا ما تجرى عمليات جراحية لهؤلاء على انها نتيجة لمرض حاد داخل البطن كالتهاب الزائدة الدودية مثلا ، او

انفجار فى عضو داخل البطن ، او ثقب فى قرحة الاثنى عشر ٠

والملاحظ فى هذه الحالات انها تتكرر مع حدوث التهابات بالجسم بعيدا عن البطن، او الافراط فى تعاطى المشروبات الكحولية ٠

وكذلك تحدث فى الاطفال التهابا فى المخ ويظهر على هيئة تشنجات عصبية وعدم النوم ، وهذيان ثم غيبوبة ٠٠ واذا أفاق الطفل من الغيبوبة فانه يعانى من ضعف فى قواه العقلية ٠

وفى الحالات المزمنة يحدث التهاب فى الاعصاب الطرفية ، ويتبع ذلك شلل العضلات التى اصيبت اعصابها ، فمثلا يحدث شلل فى عضلات الرسغ ٠

وفى بعض الحالات يحدث فقر دم ، ويتضح ذلك من فحص عينة للدم مع وجود تغيرات فى نوع من انواع الكريات البيضاء ٠٠ وكذلك يظهر خط اسود عند تقابل الاسنان باللثة فى بعض الحالات ٠

هل هناك علاج للتخلص من السمنة المفرطة ؟

● اعانى من سمنة مفرطة ٠٠ تعيقنى عن الحركة السريعة ، وقد سمعت عن اقراص تساعد على انقاص الوزن ٠٠ فسرعان ما اشتريتها ٠٠ ولكنى اود ان أسال ، عما اذا كان هناك مضاعفات يمكن أن تحدث لى بسببها ؟

ـ الاقراص التى تستعمل فى تخفيف الوزن عديدة ٠ وكلها تعتمد على انها تؤثر على مركز الشهية فى المخ ، وبالتالى تجعل البدين لا يميل ولا يطلب الاكل ٠ ويختلف هذا التأثير من شخص الى آخر ، ففى بعض الحالات يكون ناجحا ، وفى بعضها يفشل دون ان ينقص وزن الذى يتعاطاها ٠ ولانها تؤثر على هذا المركز، فان مفعولها يمتد الى مراكز اخرى فى المخ،واهمها مركز التحكم فى الشرايين٠٠ لذا فان بعضها يسبب هبوطا فى ضغط الدم ، وما يتبع ذلك من دوار وهبوط عام ، خصوصا عند الوقوف السريع ٠ او تؤثر على مراكز اخرى فتسبب القلق ، وعدم النوم ، وهزة باليدين ٠٠ والاعتقاد بأن هذه الحبوب تذيب الدهن فى الجسم اعتقاد خاطىء ، وكل الذى يحدث انه اذا قل تناول الطعام ، فان الجسم يأخذ الطاقة وما يحتاجه من سعرات حرارية من الدهن المختزن ٠ لذا كان التقيد بكمية قليلة من الطعام ونوع خاص من الطعام فى حدود ١٠٠٠ الى / ١٥٠٠ / سعر دون اللجوء الى حبوب انقاص الوزن من أهم العوامل فى تخفيف الوزن ٠٠ اى ان مفعول الحمية الخاصة والتقيد به احسن بكثير من تعاطى الحبوب التى ربما سببت مضاعفات٠واحب ان الفت النظر الى ان بعض الناس يستعملون الاقراص المدرة للبول ٠٠ وهذه ذات مفعول مؤقت اذ ان الذى يستعملها يضطر ان يعوض ما يفقد من سوائل بكثرة الشرب ، ويعود الوزن الى حالته الاولى ٠

ويجب ان لا نستعمل الاقراص المنشطة للغدة الدرقية الا فى حالات ضمور الغدة الدرقية ، وما يتبعها من زيادة فى الوزن ، كما ان لهذه الحبوب مضاعفات ، خصوصا على القلب ، وما يتبع ذلك من خفقان ٠٠ وكذلك الاضطرابات النفسية التى تحدثها٠

بقلم الدكتور : محمود كامل

■ كان فى طريقه الى غرب افريقيا لاداء مهمة كلفته بها الامم المتحدة خاصة بدراسة الاحتمالات السياحية فى فولتا العليا ، وامكانيات وضع خطة لاستغلال هذه الاحتمالات وتنميتها ٠

فى جمع الوثائق

وبادر قبل سفره الى جمع ما استطاع جمعه من مراجع عن منطقة عمله الجديد ٠ لم تزد على صورة فوتوغرافية لبضع صفحات من (تقويم) بسيط عنغرب افريقيا «الفرنسى» كما استطاعان يحصل على كتيبات جامعية عن غرب افريقيا ٠ لم تضف كثيرا الى ما كان قد عرفه اثناء زيارتين سريعتين قام بهما من قبل لنيجيريا وليبيريا ، الا بعض معلومات تاريخية عن امبراطورية « غانا » (٧٩٠ - ١٢٤٠ م) التى كانت تضم اراضى ما يسمى حاليا « مالى » واجزاء من « موريتانيا » والسنغال وغينيا وفولتا العليا المتحدثة بالفرنسية

وكانت الامم المتحدة قد طلبت منه التوقف ثلاثة أيام فى اديس ابابا - مقر اللجنة الاقتصادية لافريقيا - للتزود ببعض الوثائق المتصلة بمهمته، وبضعة أيام اخرى فى باريس ، للتشاور مع خبراء هيئة فرنسية من هيئات النقل الجوى كانت قد كلفت بدراسة مستقبل التسويق السياحى فى دول غرب افريقيا المتحدثة باللغة الفرنسية ٠ وكانت الوثائق الجديدة تضم الكثير من الاحصائيات الوثيقة الصلة بالمهمة الموكولة اليه من ناحيتها السياحية « الفنية » ولكنه كان يؤمن بان محور السياحة هو « الانسان » السائح الذى يغادر وطنه ليلقى « الانسان » الذى سيلقاه فى المنطقة السياحية التى يزورها ، ويرى ويسمع مالايراه ولا يسمعه فى وطنه ٠ وليعيش حياة يختلف نمطها عن نمط الحياة التى عاشها من قبل ٠

المرشد الأزرق الفرنسى
اثار دهشة الباحث

فانتهز الباحث (١) فرصة الايام التى قضاها فى باريس للحصول على مزيد من المراجع ، فعثر على الجزءالخاص بغرب افريقيا من سلسلةالمطبوعات السياحية « المرشد الازرق » التى تصدرها دار النشر المعروفة « هاشيت » لارشاد السياح الى مغريات المناطق السياحية التى يزورونها - لميكد

(١) ظاهر ان الباحث هو نفسكاتب هذا المقال٠

يطلع على هذا الجزء حتى يدهش .. كانت مقدمته لاستاذ فرنسى تخصص فى تاريخ وجغرافية غرب افريقيا . هو الاستاذ « ريمون مونى » الذى تعمد ان يقتصر بحثه فى تلك المقدمة على عصر ماقبل التاريخ والتاريخ منذ الاصول حتى القرن السابع عشر . وبدا جليا مـن بحثه انه اراد ان يثبت للسائح ان غرب افريقيا لم يكتشفه الاوروبيون فى القرن الخامس عشر كما يتصور الكثيرون . بل ان هذا الغرب له تاريخ عريق موغل فى القدم يعود قرونا عديدة الى ما قبل قدوم الاوروبيين اليه ، ولم يجد الاستاذ الفرنسى دليلا على ذلك ـ وهو فى صدد دعم الارشاد عن احدى المغناطيسيات السياحية الجاذبة وهى عراقة التاريخ ـ اقوى من الاستناد ألى كتب الرحالة العرب الذين بداوا زيارة غرب افريقيا منذ القرن الثامن .

اول حملة عربية فى غرب افريقيا

ولفت نظر الباحث ان مقدمة « المرشد الازرق » الفرنسية قد ركزت على ان اول حملة عربيـــة الى غرب افريقيا كانت فى عام ٧٣٤ م . اى بعد عامين من موقعة « بواتييه » بين العرب والفرنسيين فى فرنسا وبعد قرن واحد من وفاة النبى (عليه السـلام) وان العـرب وصلوا الى قلب فرنســا والى غرب افريقيا الاستوائية فى الوقت نفسه ، وان الامويـين قـد بادروا الى فتح الطـريق عبر الصحراء من شمال افريقيا الى غرب افريقيا عن طريق حفر الابار بين جنوب مراكش وادرار (شرق مالى) وانه منذ عام ٨٠٠ اشار الجغرافى العربـى « الفـزارى » الى «غـانـا » بـلاد الذهب ، كما ان « الخوارزمى » قد استطاع ان يبرز على خريطته التى وضعها عام ٨٣٣ مدينة « غانا » التى عرفت فيما بعد باسم« كومبى صالح» فى جنوب شرقى موريتانيا والتى اصبحت عاصمة لامبراطورية « غانا » فيما بعد وان يبرز مدينة « جاو » (شرق مالى على مقربة من حدود فولتا العليا الشمالية الحالية) .

فولتا العليا

وكان الباحث ـ قبل ان يبدأ عمله فى فولتا العليا ـ قد تبين له ان سكان البلاد ـ وكان يبلغ عددهم منذ عام (١٩٦٩ م) نحو خمسة ملايين ـ ينضوون تحتثمانى مجموعات عرقية رئيسية .وان بينهم ما يزيد على مليونى مسلم ، منهم رئيس الدولة نفسه ، وقد أدى فريضة الحج هذا العام (١٩٧٤) وان المجموعتين الرئيسيتين الاسلاميتين هما مجموعة « ألموسّى » ويناهز عددهم ثلاثة ملايين نسمة و « البيول » او « الفولانى » الذين يبلغ عددهم نحو ثلث المليون ، وان المنطقة ـ حتى الغزو الفرنسى فى عام ١٨٩٦ ـ كان يحكمها امبراطور « الموسّى » الذى يطلقون عليه اسم « المورونابا » وهو مسلم لا يزال يحتفظ بالسلطات الروحية على رعاياه وبقايا من مظاهر السلطات الاخرى .

ابن حوقل ، والبكرى ، وبن بطوطة كتبوا عن غرب افريقيا

ولذلك لفت نظره ـ بصفة خاصة ـ ما اورده الاستاذ « مونى » فى « المرشد الازرق » عـن ألجغرافى العربى « .ن حوقل » من انه اول رحالة زار تلك البلاد فى القرن العاشر ، وانه من حسن حظنا اننا حصلنا على معلومات ممتازة عن فترة من اهم فترات غرب افريقيا فيما كتبه الجغرافى العربى « البكرى » عام ١٠٦٧ ، الذى يعد وصفه لغرب أفريقيا اكمل موجز خلفته لنا القرون الوسطى عن هذه المنطقة لانه سجل هذا الوصف ـ اعتمادا على مصادر اعلامية ودون ان يزور المنطقة بنفسه ـ قبل ان يحتل المرابطون البلاد مباشرة (عام ١٠٧٦ م) .

واضاف « مونى » ـ وهو يدعم المغريات السياحية لغرب افريقيا ـ بفقرات من وصف ابن بطوطة (١٣٥٢) لكى يبرز للراغبين فى زيارة هذه المنطقة من السياح اصالة تاريخها استناداً الى وثائق تاريخية ثابتة التاريخ .

وازاء ذلك لم يتردد الباحث فى ان يتزود بالترجمات الفرنسية لكتب «ابن حوقل» و «البكرى» و « الادريسى » و « أبن بطوطة » من المكتبتين المتخصصتين فى بيع كتب المستعربين (احداهمـا بشارع«موسيولوبرانس» فى الحى اللاتينى والاخرى بشارع « فافان » فى « مونبارناس »

وبدا الباحث عمله ، وكان يشمل وضع خطة سياحية « اقليمية » تضم الى جانب «فولتا العليا» البلاد المحيطة بها:« مالى »و« توجو »و« داهومى» و « ساحل العاج » و « النيجر » مـن الـدول المتحدثة بالفرنسية ثم «غانا» المتحدثة بالانجليزية.

ولما شرع في عمله هذا لاحظ اطراد الاستناد الى هؤلاء الجغرافيين العرب في جميع الكتب العلمية (تاريخية او جغرافية او اجتماعية او لغوية) التي صدرت عن هذه المنطقة .

رد اصول اهل تلك البلاد الى وادى النيل

كما لاحظ الاصرار على رد اصل اهل المنطقة الى وادى النيل بصفة عامة ، والى قدماء المصريين بصفة خاصة ، فمن بين المراجع التى اعتمد عليها كتاب وضعه بالفرنسية مفكر مسلم من السنغال هو « الشيخ انتاديوب » عن « شعوب سود وثقافة » طبع في باريس وقد حاول فيه جهده ان يثبت اصولا للغات الافريقية السوداء في اللغة الهيروغليفية . لغة المصريين القدماء ، وان يثبت ان للمعتقدات الدينية عند مختلف المجموعات العرقية في افريقيا السوداء اصولا في معتقدات المصريين القدماء الدينية ، وانه « من اى جانب جمعنا الاساطير التى تحكى اصول شعب من شعوب افريقيا السوداء فان الاتجاه السليم يقودنا الى وادى النيل كنقطة البداية ، ولذلك فان شعوب افريقيا الغربية التى لا تزال تذكر اصولها تؤكد انها قدمت من الشرق وهذه النظرية تتفق مع أساطير السود الذين يعيشون في وادى النيل فهم لا يشيرون الا الى أصل محلى . اى الى وادى النيل ذاته . فعلى مدى التاريخ القديم لم يذكر النوبيون والاثيوبيون الا هذا الاصل المحلى اى نفس المنطقة التى ولدوا وعاشوا فيها » .

ومن هذا المنطلق اخذ هذا العالم الافريقى يؤكد – بادلة لغوية ودينية لامجال لها في هذا البحث الاصل المصرى القديم لقبائل « البيول » الذين يعيشون في فولتا العليا وفي مالي والمناطق المجاورة لها ، ولقبائل «اليوروبا » في « نيجيريا » ولطوائف اخرى من قبائل افريقيا الغربية التى هاجرت في رايه ، بعد ان ازدحم وادى النيل بالسكان وبعد توالى الانقلابات الاجتماعية ، من منطقة البحيرات عبر الصحراء الكبرى التى كانت تغطيها الغابات ، أو عبر الطريق الساحلى على البحر الابيض المتوسط الى المغرب ثم الهبوط جنوبا الى غرب افريقيا ، وانهم عند وصولهم الى منطقة منحنى نهر النيجر القريبة من التقاء حدود « مالي » و« النيجر » و « فولتا العليا » الحالية ، وهي المنطقة المعروفة باسم منطقة « قوس النيجر » ، او شواطىء بحيرة تشاد ، او ساحل المحيط الاطلسى لم يشعروا بالحاجة الى استخدام الالة التى كانوا يستخدمونها في الزراعة بوادى النيل ، او الى ممارسة العلم الذى تلقوه في وادى النيل والذى كانت ممارسته ضرورية لتوفير ضرورات الحياة او الاستعانة بالتقويم الفلكي لضبط مواعيد فيضان النيل ومواسم الزراعة والرى ، ومن هنا ندرك – في رايه – ان بعض عناصر حضارة وادى النيل قد اختفت في داخل القارة بينما ظل البعض الاخر من اهم هذه العناصر محتفظا بطابعه الى يومنا هذا .

سفير الولايات المتحدة في فلتا العليا يعتمد في دراسته على البكرى

ولم تكد تنقضى بضعة ايام على الباحث في « واجادوجو » عاصمة « فولتا العليا » حتى علم ان سفير الولايات المتحدة بها امريكى اسود ، اختير لهذا المنصب لانه وضع رسالة الدكتوراه التى قدمها الى احدى الجامعات الامريكية عن طائفة « الموسّى » الذين سبقت الاشارة اليهم وانه كان قد قدم الى المنطقة اثناء اعداد رسالته واقام فيها متنقلا ، ثم اصدر عنها كتابا اسماه « عصر مجيد في افريقيا » .

ومرة اخرى .. لم يلبث الباحث أن تبين أن « ايليت سكينر » Skinner السفير الامريكى في دراسته لتاريخ افريقيا قد اعتمد – اولما أعتمد – على « البكرى » ، اى على الترجمة الفرنسية او الانجليزية لكتاب « المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب » حين اشار الى ان « ملك غانا يستطيع ان يجند مائتى الف ، منهم رماة يزيدون عن اربعين الفا » ، وعقب السفير المؤلف على ذلك بان « البكرى » سجل هذه الملاحظة عن قوة جيش غانا في عام ١٠٦٧ م اى بعد عام واحد من عبور دوق نورماندى وليم الفاتح لبحر المانش وغزوه لانجلترا .

وعاد السفير « سكينر » فابرز ما ذكره «البكرى» عن ذهب « غانا » وان ملكها يحتفظ بسبائك هذا الذهب النادر ويترك للناس التبر الدقيق « ولولا ذلك لكثر الذهب بايدى الناس حتى يهون » .

ولم يقتصر «سكينر» على البكرى بل انه اعتمد في التدليل على عراقة تاريخ غرب افريقيا – وهي على راس المغريات السياحية الجاذبة – على

« الادريسي » في محاولة لتحديد مكان « وانجارة » او « وانقـارة » التي كان اجماع الروايات التاريخية الشفوية المتوارثة جيلا عن جيل على انها المكان الذي يستخرج منه ذهب « غانا » • فقد جاء في كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذي وضعه الادريسي في عام ١١٥٤ أن « وانقارة » جزيرة طولها ٣٠٠ ميل وعرضها ١٥٠ ميل و «والنيل» (ويقصد نهر السنغال اذ ذكر انه يجري من الشرق الى الغرب ، فقد ظن معظم قدامى الجغرافيين ان كل انهار القارة فروع من النيل) يحيط بها من كل جهة في سائر السنة ، فاذا كان شهر اغسطس وحمي القيظ وخرج النهر وفاض غطى هذه الجزيرة او اكثرها واقام عليها مدته التي من عادته ان يقيم عليها ، ثم يأخذ في الرجوع ، فاذا أخذ النهر في الرجوع والجزر ، رجع كل من في بلاد السودان الى تلك الجزيرة يبحثون طول ايام انحسار النيل فيجد كل انسان منهم في بحثه هناك ما اعطاه الله سبحانه كثيرا او قليلا من التبر ، فاذا عاد النهر الى حده باع الناس ما حصل بأيديهم من التبر وتاجر بعضهم مع بعض ، واشترى اكثره اهل المغرب الاقصى واخرجوه الى دور السك في بلادهم فيضربونه دنانير •• وهي اكبر غلة عند السودان ، وعليها يعولون صغيرهم وكبيرهم ، وارض « ونجارة » ـ او « وانقارة » ـ فيها بلاد معمورة ومعاقل مشهورة ، واهلها اغنياء، والتبر عندهم وبأيديهم كثير ، والخيرات مجلوبة اليهم من اطراف الارض والاصيها » •

وقد اتضح فيما بعد ان الوصف السياحي الذي ساقه الادريسي لمنطقة استخراج الذهب من غانا ـ وسبق ان ذكرنا انها كانت تشمل ما يعرف الآن باسم مالي الى جانب اجزاء من السنغال وموريتانيا وغينيا وفولتا العليا ـ انما هو وصف سليم • وكل ما هناك ان « وانقارة » انما هي تسمية اطلقتها قبائل « الهاوسا » التي تعيش في « نيجيريا » على فرعين من فروع شعب«الماندانج» ـ وهو الشعب الذي تعود اليه اصول معظم قبائل « مالي » ـ وهما الفرعان اللذان يعيشان في منطقة مناجم الذهب ، وليس اسما لمنطقة جغرافية كما ظن « الادريسي » وجاراه الكثيرون ومنهم السفير الامريكي « سكينر » ••

ولم يقتصر الاعتماد على « ابن حوقل » في القرن العاشر ، والبكري في القرن الحادي عشر، ثم الادريسي في القرن الثاني عشر و «ابن بطوطة» في القرن الرابع عشر ، كما سوف نرى على فريق من الباحثين المتخصصين في تاريخ غرب افريقيا • بل ان هذه المصادر العربية اصبحت مراجع علمية « ثابتة التاريخ » يعتمد عليها في الكتب الدراسية المقررة على الطلبة حتى مستوى الدراسة الثانوية في مدارس غرب افريقيا ، بعد ان كاد يرسخ في الاذهان ان تاريخ هذه المنطقة الموثوق به لا يبدأ الا بقدوم البرتغاليين في نهاية القرن الخامس عشر ، ومن ثم رسخت هذه الوثائق العربية كمادة اعلامية شائقة للمطبوعات السياحية التي تصدر بمختلف اللغات الاوروبية ، لارشاد السياح الى المناطق السياحية في غرب افريقيا •

كتاب البكري

ولقد دهش الباحث ـ فعلا ـ وهو يباشر مهمته السياحية في « فولتا العليا » من دقة البيانات الواردة في كتـــاب « البكـري » عـن النواحي « الفولكلورية » في حياة أهل تلك البلاد بعد ان تبين ان كثيرا من العادات ، والطقوس الدينية ، ونظم التوارث ، لا تزال تُمارَس كما كانت تمارس تماما في عصْر البكري ، اى منذ تسعة قرون ، ومنها الافضلية المعطاة لابن الاخت على الابن في نظام التوريث ، ومراسم الاحترام للملك ـ او الامبراطور او « المورونابا » كمـا يسمى عاهل « الموسى » اكثر قبائل « فولتا العليا » عددا « اذا دنا أهل دينه منه ـ وهم الآن مسلمون ـ جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم ، واما المسلمون فانما سلامهم عليه تصفيقا باليدين » •

واصبح مالوفا ـ اذا ما اراد مؤلف اوروبي او أميركي او افريقي الاشارة الى تاريخ غرب افريقيا في القرون الوسطى ـ ان يكون اول اعتماده على هذه الوثائق العربية ، او بتعبير ادق على ترجماتها الى الفرنسية او الانجليزية ، فابن فضل الله العمري مؤلف كتاب « التعريف بالمصطلح الشريف » الذي وضعه في عام ١٣٤٠ م عندما كان قاضيا بمصر في عهـد الناصر بـن قلاوون وموسوعة « مسالك الابصار في ممالك الامصار » هي المرجع لوصف زيارة منساموسى سلطان « مالي » ـ التي حلت محل « غانا » بعد ان دالت دولة الاخيرة ـ لمصر عام ١٣٢٤ في طريقه لأداء فريضة الحج وما حدث فيها ، اذ ان الناصر قد كلف العمري

بمقابلة سلطان مالى الذى كان قد جلب معه كميات ضخمة من الذهب والترحيب به . وقد سرد « العمرى » كيف لقيه السلطان موسى وكيف عامله بأدب ورقة ، وانه اقترح على السلطان ان يصعد الى قصر الناصر بن قلاوون ولكن موسى اعتذر واجاب أنه قدم فى طريقه لاداء فريضة الحج لا لأى شىء آخر . واضاف « العمرى » انه أدرك ان سلطان « مالى » لم يقبل هذا اللقاء بالناصر بعد ان علم ان المراسم المملوكية فى مصر كانت تقضى بان يلثم يد الناصر ، وكان لزاما على « العمرى » ان يقدمه الى الناصر والا يتركه حتى يرضى بما تقضى به هذه المراسم.فلما استقبله الناصر أشار عليه « العمرى » ان ينحنى حتى الارض ولكنه امتنع وابدى رفضه علنا .. وان سلطان « مالى » قد غمر ألقاهرة عند زيارته لها فى عام ١٣٢٤ بسيل من كرمه ، فلم يترك شخصا ، ضابطا فى قصر الناصر ، او موظفا ايا كان عمله الا وقدم له مبلغا من الذهب ، وقد ربح اهل القاهرة من بيع هذا الذهب ارقاما لا تحصى ، اذ ان ما وزعه سلطان « مالى » وحاشيته بلغ من الضخامة حدا هبط معه سعر الذهب فى اسواق العالم » . **وقد لاحظ الباحث ان معاهد البحث العلمى الفرنسية والكتب ألمدرسية المقررة فى غرب افريقيا تعتمد اعتمادا كبيرا على ترجمة ما كتبه « ألعمرى » عن هذه الرحلة التاريخية** اعتمادا تاما ، وقد أيد المؤرخون ما ذكره العمرى عن بذخ السلطان « منسا موسَى » ، فقد حمل معه ثمانين او مائة حمل من دقيق الذهب وكل حمل منها يزن مائة وخمسة وسبعين رطلا . وكانت القافلة التى اتجهت من « مالى » الى مصر أضخم قافلة عبرت الطريق الصحراوى فى تاريخ افريقيا ، فان بعض المصادر تشير الى انها كانت تضم ستين الف رجل ، **وقد أضاف السفير « سكينر » فى اشارته الى هذه الرحلة التاريخية وفى استناده الى ما كتبه « العمرى » عنها الى أن سوق الذهب فى القاهرة لم تسترد انفاسها الا بعد انقضاء اثنى عشر عاما على زيارة سلطان « مالى » .**

دقة وصف ابن بطوطة

ولما تحرر المفكرون الافريقيون من مركب النقص الذى حاول المستعمرون البيض ان يرسخوه فى تفكيرهم بايهامهم بان بلادهم لا تاريخ لها ، لم يجدوا امامهم وثائق اعرق تاريخا من البيانات الدقيقة التى سجلها الرحالة العرب فى القرون الوسطى وارسوا بها اللبنات الاولى فى علم السياحة وفى الجغرافية السياحية ، ولعل من ابرز من تصدى لذلك من المفكرين«كى زيربو»الفولتاوى الذى اختارته الامم المتحدة للاشتراك فى هيئتها ألعلمية التى عهدت اليها بوضع موسوعة عن تاريخ افريقيا ، والذى لم يتردد فى ان يقطع فى كتابه الذى وضعه بالفرنسية عن « العالم الافريقى الاسود » بان المصادر العربية عن تاريخ هذا العالم تحتل مكان الصدارة منذ القرنين التاسع والعاشر ، وان ابن بطوطة الذى زار « مالى » فى عام ١٣٥٢ ترك وصفا أكد فيه استقرار الامن استقرارا تاما فى الطرق التى سلكها وابرز فخامة المراسم والحفلات التى كانت تقام فى القصر الامبراطورى ، وقد اثارت دقة هذا الوصف لمراسم امبراطور « مالى » دهشة الباحث عندما شاهد نفس المراسم التى كانت تقام لامبراطور « الموسى » الذى يطلق عليه اسم«الموروناب»ما زالت مستمرة حتى اليوم .

فقد ذكر ابن بطوطة فى كتابه « تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار » فى وصف تلك المراسم : « هناك مصطبة » تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البنبى وتفرش بالحرير وتجعل المخاد عليها ويرفع الشطر وهو شبه قبة من الحرير عليه طائر من ذهب .. ويخرج السلطان من باب فى ركن القصر وقوسه بيده .. وعلى راسه شاشية ذهب مشدودة بعصابة ذهب لها اطراف مثل السكاكين رقاق طولها ازيد من شبر ، واكثر لباسه جبة حمراء .. تسمى المطنفس ويخرج بين يديه المغنون وخلفه العبيد اصحاب السلاح ، ويمشى مشيا رويدا ، ويكثر التانى وربما وقف ، فاذا وصل الى البنبى وقف ينظر فى الناس ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب المنبر وعند جلوسه تضرب الطبول والابواق .. والسودان — اى اهالى السودان — اعظم الناس تواضعا لملكهم واشدهم تذللا له ويحلفون باسمه. فاذا دعا بأحدهم عند جلوسه بالقبة التى ذكرناها نزع المدعو ثيابه ولبس ثيابا خلقة ، ونزع عمامته، وجعل مكانها شاشية وسخة ، ودخل رافعا ثيابه وسراويله الى نصف ساقه ، وتقدم بذلة ومسكنة وضرب الارض بمرفقيه ضربا شديدا ، ووقف

كالراكع يسمع كلامه ، واذا كلم احدهم السلطان فرد عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره ورمى بالتراب على راسه وظهره كما يفعل المغتسل بالماء .. وربما قام احدهم بين يدى السلطان فيذكر افعاله في خدمته فيقول فعلت كذا يوم كذا ، وقتلت كذا يوم كذا ، فيصدقه من علم ذلك ، وتصديقهم أن ينزع احدهم في وتر قوسه ثم يرسلها ، لماذا قال له السلطان صدقت او شكره نزع ثيابه وترّب ، وذلك عندهم من الادب » .

الرحيل الزائف

ومن المغريات السياحية « الفولكلورية » التى يهتم السياح الى اليوم بمشاهدتها صباح الجمعة من كل اسبوع في « واجادوجو » عاصمة « فولتا العليا » مراسم ما يسمونه « الرحيل الزائف » وهي مراسم تقام للامبراطور « الموسّي » امام باب قصره الذى يغادره محاطا بحاشيته ، وما يزال له بعض الوزراء ونواب الاقاليم حتى اليوم، يباشرون باسمه سلطات مختلفة ، مرتديا الثياب بنفس الالوان التى أشار اليها ابن بطوطة ، ثم يجلس تحت قبة تكاد تكون نفس القبة التى وصفها ابن بطوطة ، ويتلقى تحيات اتباعه الذين يقبلون من مختلف الجهات فيخلعون ثيابهم ويسجدون على الارض ثم يضربونهـا بمرافقهم ضربـا شديدا ويهيلون التراب على رؤوسهم ، ويهم الامبراطور بركوب جواده تاهبا للرحيل فيثنيه وزراؤه عنذلك فيعدل، بعد ان يكون قد تظاهر بالتصميم على الرحيل ، ولهذا « الرحيل الزائف » اصل في تاريخ المنطقة، اذ أن احد جدود الامبراطور قد هجرته زوجته وامتنعت عن العودة الى قصره في « واجادوجو » فاعتزم الرحيل لاستعادتها الا أن وزراءه اقنعوه بان بقاءه في العاصمة لا غنى عنه ، ورغم ان هذا الحدث التاريخي قد وقع في عهد امبراطور الموسّي الذى حكم بين عامي ١٦٦٦ ، ١٦٨١ ، اى منذ ثلاثة قرون ، فان مراسمه ــ التى تعد من مغريات « واجادوجو » السياحية ما تزال تمارس صباح يوم الجمعة من كل اسبوع .

ان كتابات العرب الذين اكتشفوا غرب افريقيا ــ قبل ان يعرفها الاوربيون بعدة قرون ــ قد اصبحت مادة رئيسية للمتوفرين علـى نشر الدراسات السياحية،سواء ما يتصل منها بالجغرافية السياحية أو بالارشاد السياحي ، وقد زاد الاعتماد على هذه الوثائق العربية بزيادة الاهتمام بالسياحة بعد ان استقر في الاذهان أن القرن الذى نعيش فيه هو «قرن السياحة» ولقد يسر مهمة الاوروبيين المهتمين بهذه الدراسات ان تلك الوثائق العربية قد ترجمت الى لغاتهم ترجمات عديدة،نذكر منها على سبيل المثال ترجمة « كرامير وفييت » لكتاب ابـن حوقـل « صورة الارض » ، وترجمة « ده سلان » لكتاب البكرى « المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب» . وترجمـة « دوزى وده خويـة » لكتاب الادريسي « نـزهـة المشتـاق فـي اختـراق الآفـاق » ، وتـرجـمـة هـارتـمـان لكتـاب العـمـرى « التعريف بالمصطلح الشريف»ثم ترجمة «ديفريمري وسانجوينيتي » لكتاب ابن بطوطة « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » فاعترف العالم ــ عن طريق الاعتماد على هذه الوثائق العربية الرائدة ــ بان العرب قد اوسوا القواعد الاولى للسياحـة ، علما وجغرافيـة وارشـادا ويكفي للتدليل على ذلك انه عندما طلب شارل الخامس ملك فرنسا في عام ١٣٧٥ تقديم خريطة جغرافية له عن العالم المعروف اذ ذاك ظهر في هذه الخريطة رسم ملك اسود على راسه تاج يرتدى ثوبا فخما ويمسك صولجانا بيد،وسبيكة ذهب باليد الاخرى وقد كتب تحت الصورة : « هذا العاهل الاسود يسمى موسى صاحب مالي . سيد السود .. ان الذهب يوجد في بلاده بوفرة تجعله اغنى وانبل ملوك العالم اجمع » .

وقد رسمت هذه الخريطة بعد وفاة « منسـا موسى » بسنوات عديدة ، ولكن شهرة « منسـا موسى » لم تمت معه بل ظلت حية ، فقد بهر العالم الخارجي لفترة قصيرة وتركه يفكر في ثـروة « مالي » التـي كانت تغطي مساحة تقرب من مساحة اوروبا الغربية باكملها ، ومنذ ذلك العهد اخذ الكثيرون يرسمون لذلك الملك المسلم ولبلاده الافريقية صورة خيالية رائعة عن بلاد ذات موارد لا تنضب من الذهب ، دون معرفة بهـا او علم عنها ، وظل هذا الجهل بتلك المناطق الافريقية متفشيا في اوربا نحو خمسة قرون ، في الوقت الذى كان العرب يرسون قواعد دقيقة للسياحة فيها وارشاد الناس عنها .

■■

محمود كامل
مستشار السياحة بالامم المتحدة

فيليبس هاي فاي تعزف لك أحلى الموسيقى

ان المجموعة الأنموذجية من معدات فيليبس " هاي فاي انترناشونال" قد تتألف من هذه الأجهزة:
ضخم الصوت ر.هـ ٥٩١ ، ضابط اللحن
ولاعب الاسطوانات ج.أ ٢٠٢ ، المسجل الشريطي ن ٤٥٠٠ ، مضخم الصوت ر.هـ ٥٩١ ، ضابط اللحن
ر.هـ ٦٩٧ ، الصندوقين الصوتيين ر.هـ ٤٩٦ . كل هذه معاً تقدم لك أروع ما يعرفه عالم الموسيقى ،
سواء على الشريط أو الأسطوانة أو الراديو .. وهذا أمر منطقي ، لأن محتويات هذه المجموعة هي
كلها من صنع فيليبس . فإن التصميم ينسجم مع طريقة الصنع . كل جهاز من هذه الأجهزة يحمل علامة
"هاي فاي انترناشونال" للدلالة على انه مطابق لجميع الشروط القياسية الرسمية المتعارف عليها
عالمياً . ابحث عن هذه العلامة عند شرائك أجهزة هاي فاي . انها الضمانة التي تكفل لك أجود
معدات الانتاج الموسيقي .

ان ترسلوا لي نشرتكم الجميلة الملونة بعنوان
الساعة التي تشتمل ميكانيكية الساعة وتدلني على
العرف الى "الانكابلوك". اقطع هذا الكوبون وارسله
العنوان التالي ، مركز استعلامات انكابلوك للشرق الاوسط
ص.ب ٢٧٨٢ بيروت لبنان
Incabloc®
انكابلوك يبيّن الفرق
قد تكون الساعات التي تحبونها ساعات
حقيقية ذات مخل وربما لا تكون ...
الآن الساعاتي يعرف الفرق . وانكابلوك
يعرف ايضاً ! ولهذا فان مضاد الصدمات
"انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات
الاصلية ذات مخل .
والساعة ذات مخل هي ساعة الرجل
الخبير . وهي ساعة يعتمد عليها .
ذلك هو الفرق !
ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته
شركة بورتسكاب ، لاشودي فون ، سويسرا وبورتسكاب فرنسا ، بيزانسون .

مَاذا يمكن للبَنك الذي تتعامَلون معَه ان يفيدكم عن طاقة أندونيسَيا لبلوغ مرتبَة احدى أغنى البُلدان في آسيا

هل باستطاعته ان يخبركم عما في باطن الارض الاندونيسية من كميات كبرى من خامات الحديد والنحاس والمعسيز والنيكل تنتظر من يستثمرها ؟ أو ان يوضح لكم كيف يمكن لهذه الموارد المعدنية أن تسهم في التنمية الصناعية ؟ أو كيف يمكن لاحتياطي النفط الاندونيسي أن يؤثر في الاستثمارات العالمية ؟ أو عن آثار الثورة الزراعية ،

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه ان يشرح لكم كيف يمكن لاندونيسيا أن تتأثر بالتكامل الصناعي والتجاري على نطاق اقليمي ؟ أو ان يخبركم عن تكامل الاسواق المالية ؟ أو ان يتكهن بالنتائج المترتبة على المنافسة اليابانية ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة . حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث ؟ انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في الشرق الاقصى - او في اي مكان آخر - فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولاً .

شبكة تشيس منهاتن في منطقة المحيط الهادئ

فروع في : اندونيسيا ، تايوان ، تايلاند ، سنغافوره ، غوام ، فيتنام ، كوريا ، ماليزيا ، الهند ، اليابان .

مؤسسات مشاركة :

استراليا - تشيس - ن ب أ. غروب ليمتد .

نيوزيلنده - تشيس - ن ب .أ. نيوزيلند غروب ليمتد

ان لك صديقاً في

FAVRE-LEUBA
QUARTZ RAIDER
32768 Hz
Genève

OLMA اولما

اولما للجميع .. أنيقة .. وجذابة .

مراد يوسف بهبهاني

الصفاة: ت: ٤٣٣٧٧٠ حولي: ت: ٥١٩٨٣٠

هيلتون: ت: ٥٣٢٤٥٦ الاحمدي: ت: ٩٨١٠٤٣

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول اغسطس ١٩٧٥

٧١

غرفة المعيشة

تأليف : جرام جرين
ترجمة وتقديم : ميخائيل رومان
مراجعة : د . عادل سلامة

نقطة زوديالك الحمراء
شمس في ساعتك
تشير إلى الثواني باستمرار
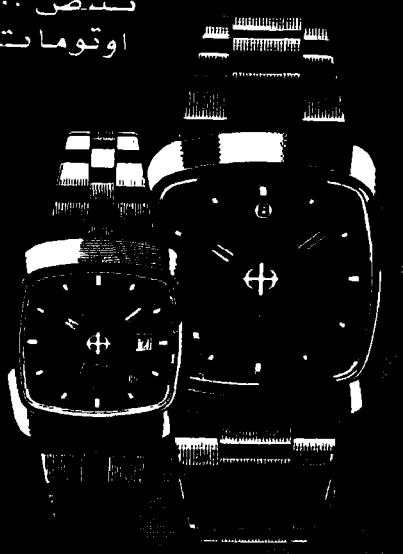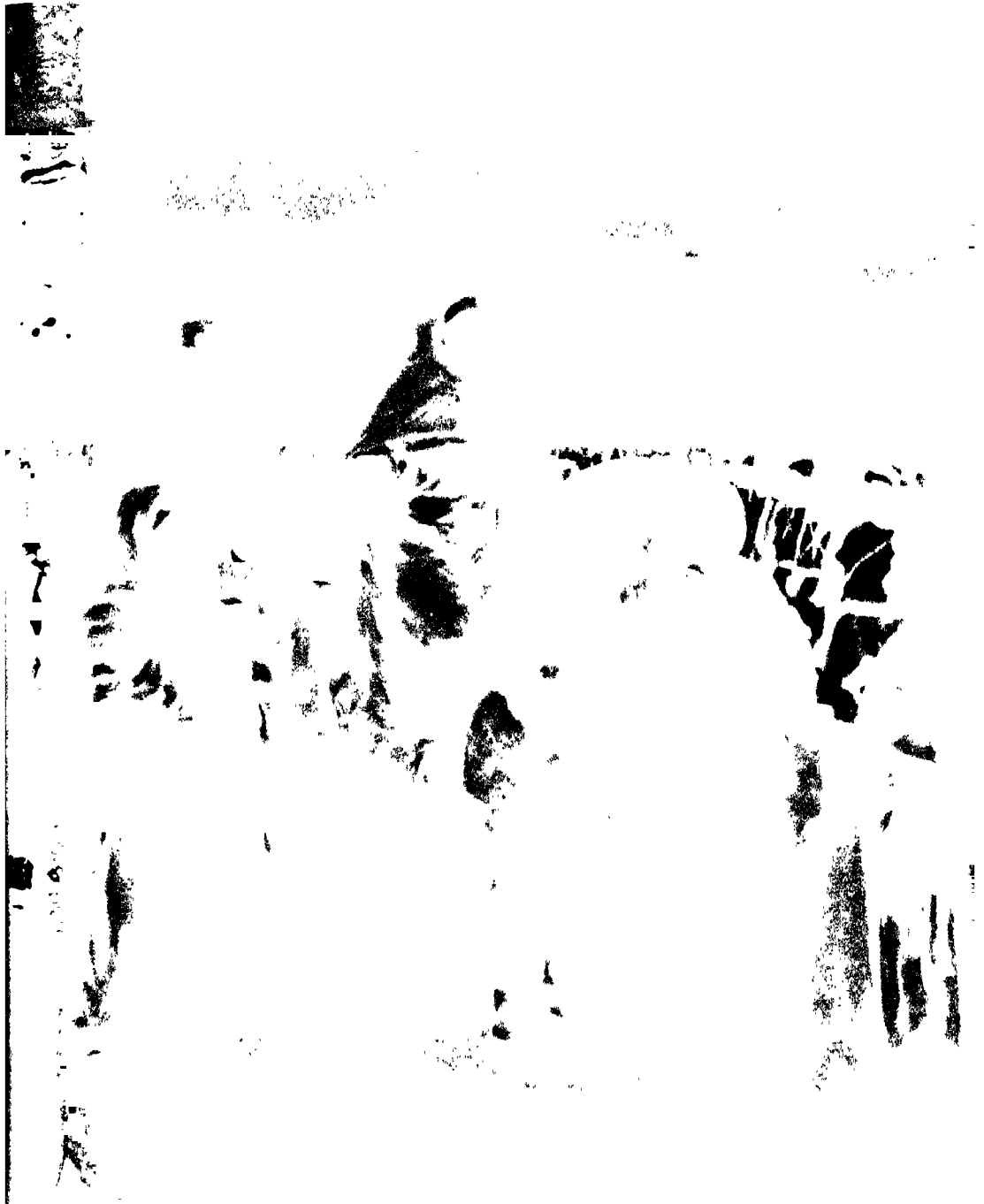
موكب سلطان مراكش للفنان ديلا كرو

(انظر صفحة

عزيزي القارئ

هذا رمضان جاءنا من بعد عام • وهو يجيء ليمضي • وهو يمضي ليجيء • وقد اطل على الناس ثم ودع الف مرة وبضع مئات • وهو يطل على الواحد الفرد منا بضع عشرات من المرات • صحبة مع الزمان لا بد ان تتمزق ، وما صحبة الا تنتهي بتمزق وفراق • والناس رجلان في لقاء رمضان :

رجل يلقاه اسلوبا من العيش غير ما تعود في سائر أشهر العيش من أساليب • والعيش الواحد رتابة ، والرتابة تمل ، ومن أجل هذا هو يحمد من رمضان حسن التغيير • وهو ان صام فالعيش عنده جوع نهارا ، ولكنه شبع بالليل ، وفوق الشبع متعة ولذاذة ، فأطيب واشهى صنوف الطعام . انما تكون في رمضان •

وعند هذا الرجل ، ان كان ذا عاطفة شديده ، أو كان فنانا ، ان رمضان صحيفة في كتاب الدهر ذات الوان دقة الطبل عند السحور ، وطلقة المدفع عند امساك وعند افطار ، وسهرة الليل على الشاى الاحمر والنعناع . وعلى الحديث الطيب يطول فلا يقلق منه صاحب . واستجلاء النجوم وهي تجمع امرها وتلم شملها استعدادا للرواح مع الصباح القادم . واصوات القراء تجلجل بالقرآن في طرف من النهار وطرف من الليل . كل هذه مما ذكرت . وامثال لها لم اذكر ، تملأ صحيفة هذا الشهر . وهي بيضاء بشتيت من الصور . هي كصور الفن تملأ النفس بهاء . وتملأها لبانا وحنانا . وتملأها غبطة •

ورجل ثان من الرجال يلقاه رمضان بكل هذا . وهو يعي كل هذا اجمالا ، ويعيه تفصيلا ، ولكن وعي العالم • انه من الوعي على هامش الوعي • وفي أوسط الوعي عنده ان رمضان حال من الزمان يذكر المخاليق الواعية على هذه الارض بخالق هذا الزمان •

« **المحرر** »

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No 202 SEPTEMBER 1975 = P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ [illegible] « العربي »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

الغلاف .

● ... المرة ... يخرج « العربي » عن حدود الوطن العربي ، ويذهب .. الى الهند ارض الفلاسفة ملبيا دعوة زعيم طائفة البهرة .. البهرة ؟ وما هي قصة انتقال التراث الفاطمي من القاهرة عاصمة .. الى الهند ارض « بهارات » .. وكيف بعث فن الهندسة المعمارية الفاطمية الى الحياة من جديد في بومباي ؟

(اقرأ الاستطلاع ص ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربي ريالان قطريان . البحرين ٢٠٠ فلس
العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس .
ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٠٠ مليم .
دينار جزائريان . المغرب درهمان . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما .
اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .
الاشتراك : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، بيروت - ص . ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي . وبالنسبة للمغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ - ساحة باندونج ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء - المغرب .

المرأة المسلمة في ميادين القتال

● لفت انتباهي خطأ في المقال الذي نشرته « العربي » في العدد ١٩٨ صفحة ٣٤ تحت عنوان « المرأة المسلمة في ميادين القتال » بقلم الدكتور احمد شوقي الفنجري . حيث ذكر الكاتب عن زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوجها ابا العاص بن الربيع وقع في الاسر في معركة بدر . فاستجار بزينب . وقامت في مسجد المدينة .. الخ ..

والحقيقة ان ابا العاص عندما اسر يوم بدر ، كانت زوجته بمكة ولم تكن بالمدينة .. وهو استجار بها عندما وقع اسيرا في سرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى العيص . وهو محل بينه وبين المدينة اربع ليال . بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيرا لقريش قد اقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومئة راكب لمعترضته وكان فيها ابو العاص بن الربيع . وقدم به وببعض العير الى المدينة . فاستجار ابو العاص بزوجته زينب رضي الله عنها . ونادت في الناس ... دخلت على ابيها . فسألته ان يرد على ابي العاص ما اخذ منه . فاجابها الى ذلك . وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم . اكرمي مثواه ولا يخلص اليك . فانك لا تحلين له . اي لتحريم المؤمنات على المشركين .. وقد طلب الرسول من اصحابه المال . حيث قال لهم : ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم . وقد اصبتم له مالا . فان تحسنوا وتردوا عليه الذي له . فانا نحب ذلك . وان ابيتم فهو فيء الله الذي فاء عليكم . فانتم احق به . فقالوا : بل نرده عليه . فرد عليه ما اخذ منه .

اما يوم بدر ، فقد اسر ابو العاص مع من اسر من قريش . وارسلت له زوجته فديه وهي بمكة وكانت الفدية قلادة لها اي لزينب بنت الرسول فلما راى رسول الله القلادة رق لها رقة شديدة وقال لاصحابه . ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا .. قالوا يارسول الله . فاطلقوه وردوا عليها القلادة فلما وصل ابو العاص مكة . امرها باللحاق بابيها فخرجت بعد موقعة بدر بشهرين .

لذا ارجو التنويه بان اجارته ورد ماله لم يكن يوم بدر ، اذ لم يكن معه يومئذ شيء من ماله وزوجته زينب كانت بمكة وليس بالمدينة

احمد بن عبد الله باعشن

جمهورية اليمن الديمقراطية

سكة حديد الحجاز

● نشرتم في العدد (٢٠٠) عدد يوليو من مجلة « العربي » ــ وفي باب « انت تسأل ونحن نجيب » معلومات عن سكة حديد الحجاز .. الا انكم لم توضحوا لنا عما اذا كان العمل متوقفا ام انه سائر لتسيير هذا الخط . لذا نرجو ان توضحوا لنا ذلك .

« **العربي** » : استفسرنا عن هذا الامر من الجهة السعودية المختصة فعلمنا ان مشروع خط سكة حديد الحجاز متوقف في الوقت الحاضر . والبحث جار حول تصفية مشاكله . والحقوق المتعلقة به وايضا حول استمراره فيما بعد على اسس جديدة اذا وافقت الاطراف المعنية .

أول مهنة
وأقدم مهنة
وأثقل مهنة
وأكرم مهنة

امتهنتها الأنثى فى شتى

جاء حطاب من سيدة ، هدا بعض ما جاء فيه .

« ٠٠٠٠ وفى التعليم اكتفيت بالتعليم الثانوى ، وجاءنى ابن الحلال . وكان جديرا بالزواج . فتزوجته ٠ وساعدنى الحظ بان ارتضاه اهلى كما ارتضيته ٠ والفتاة فى مثل السن التى كنت بها . ينفتح امامها طريقان . اما الدخول الى الجامعة ، وهى اليوم الموضة السائدة ، واما الزواج ٠ وغريزة المرء الى الزواج لا شك اقوى ٠ وهى تخاف اكثر ما تخاف ان يفوتها القطار ٠ وبعد [illegible] فكرى شديد اعتزمت على ركوب القطار قبل ان يفوت ٠ وعملى [illegible] عمل البيت ، ولى ولدان ، وانا بهما وبزوجى سعيدة ٠ وزوجى [illegible] ان يجتمع بالناس ، واجتمع بهم معه ٠ بعض معارف ، وبعض ا[illegible] والذى يضايقنى الأغراب عندما يسألون ماذا اعمل ، فأقول ربة [illegible] فأحس ان هذا جواب لم ينتظروه ٠ ينتظرون منى ان اقول انى [illegible] مهندسة ، او متخرجة من كلية اداب ، او على الاقل مدرسة [illegible] اكون ربة بيت. فعمل لا يرفع من قيمة المرأة. لا سيما الشابة مثلى
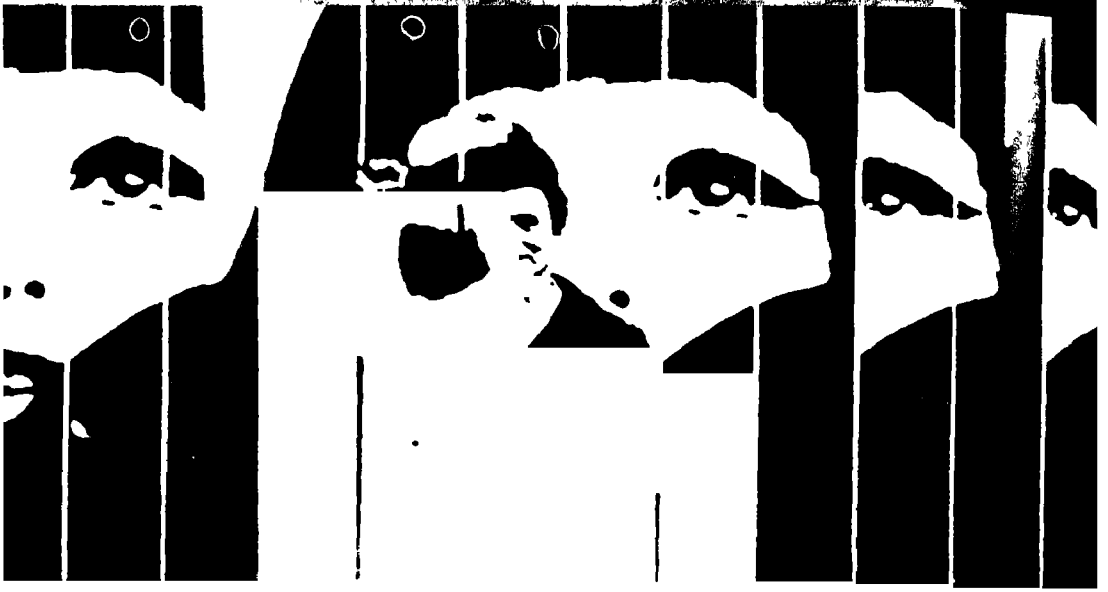
صورة ولسائر المهن فى حياة المرأة المكان الثانى

بقلم رئيس التحرير

... أفلا تظن معى ان امتهان ربة البيت امتهان لمعنى الاسرة .
لم تكن المراة ربه الاسرة ، فمن يكون ؟ ايقوم بها الرجال ؟! من
للاطفال ، من يخيط لهم ، من يعنى باجسامهم ، وبعقولهم ؟
انقلبت الاوضاع عند اهل الغرب ، وسرنا وراءهم مقلدين ،
وراءهم نسير » .

- طويل ، وقبل ... بها .
- ... بعض الجامعات ... فاطلعت ...
... من الفكر المستنير . أطلعتها على الخطاب بعد ...
... ولما سألتها عن رأيها قالت فى شىء من العصب
... رجعية » .
... حتى وصلت الى قولها
... ان الاسرة ضرورة ، ومن قال ان انجاب الاطفال ضرورة؟
... فتاة لا بد ان تصبح اما . اننا نطلب المساواة بالرجل ،
... هى التى تحمل ، فاين المساواة ؟ وبعنقها وحدها

يتعلق الاطفال ، فاين المساواة ؟ اراء هذه الفتاة قديمة ، وكل را
قديم لا بد من مسحه هذه الايام • وما أيسر مسحه ، انه كخط العلم
وهو فلم رصاص ، ما اسرع ما تمحوه محاية من مطاط » •

بين القديم والحديث

هذه المعرفة ، التى تنفى القديم ، كل قديم ، هكذا فى بساطة
لمجرد قدمه ، وتثبت الحديث ، كل حديث ، هكذا ببساطة لمجرد حداثته
تحتاج الى دقة فيها نصحح الاوضاع - انه الحسم القاطع ، ولا يعرف
لشباب كالحسم القاطع • والحكم الصادق يحتاج قبل القطع الى روية
والشباب ينقصه الصبر والروية ، وهو سريع الصبق بالذى يصدق به من
بعض التقاليد ، وحق له ان يصدق ، ولكنه لا يلبث ان يصدق ، فكرا
كل تقليد ، ما مسه من هذه التقاليد وما لا يمسه •

وكالشباب اكثر الرجال ممن فاتوا دور الشباب ، حتى يختبر
الحياة اختبارا ، فيذوقون حلوها ويذوقون مرها ، من قديم الاعرا
وحديثها • وعندئذ ، وبعد الخبرة ، يدركون حقيقة ما كانوا كرهو
من الحياة ، وما احبوا ، وان الزّواق كثيرا ما يخفى فى باطنه الفـ
والبشاعة •

وانا ، من اجل خبرة الحياة الطويلة ، لا أوثر الرأى الحد
حداثته ، ولااوثر الرأى القديم لقدمه ، وانما انا اوثر الرأى الجميل
والجميل هنا هو الحق • الرأى الظاهر النفع الذى ائتلف او يأتلف مـ
زمانه ، قديمه وحديثه •

ومع هذا فعندى للزمان حرمة ، وللسابقين من الآباء والاج
تقدير •

فكر الانسان يتطور مع البيئة والزمان

وادرك كذلك ان الفكر الانسانى ، كالانسان نفسه ، يتطور مـ
الزمان • وكذا الظروف التى يعيش فيها الحى فتلونه بلون العصـ
الذى هو فيه • فساكن الخيام ، راعى الابل ، والاغنام ، الذى يـ
الشمس تشرق صفراء فى الصباح وتغرب حمراء فى المساء ، ويـ
الليل يجثم على الارض ، وينثر على صحيفتها العالية المديدة السو
نجوما عدد الرمل تبين له نقاطا متلألئة من ضياء ، ساكن الخيام هـ
ذا فكر ، فكر بلغة الكلام التى تتجاذبه على الصمت مع ما عنـ
من احياء ، وما فى السماء من اسرار غوامض لا يتبين منها
منها من ضياء •

انا أومن ، رغم الحضارة الحاضرة ، بساكن الخيام

وأنا اومن بساكن الخيام هذا فى حاضر الزمان وسا
العقل الانسانى الذى ينطلق فى بيئته هذه يريد ان يحل -

ســـاكن الخيـــام فى حاضر الزمــان وسالفه . انطلــق عمله فى بيئته هذه نريد ان نجل عمد الحياة .

ـصـها ويحدها باسط ما لديه من وسائل . وباعسر الوسائــل وصول الى غايات .

انا اجل راى ساكن الخيام ، وسكانها ، بحسبانهـم بشرا مــن ـر . لهم عقول نمت بمقدار ما اذنت به البيئة واذنت الحياة .

ـعصه ى مثل ذلك . اعراب الجزيرة . فى تلك الايـــام التـــى ـ الجاهلية ، نسبة الى الجهالة . واقرأ لرجل من رجالهم قوله

سئمت الحياة ومن يعش ... ثمانين حـــولا لا أبالــك يسأم
في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم
ـ خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم
ـصانع فى امور كثيرة ... يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
وصل فضل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم
ـاب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب الســماء بسلم
عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم
ـد امرىء من خليقه ... وان خالها تخفى على الناس تعلم
ـ صامت لك معجب ... زيادته . او نقصه فى التكلم
نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ـ فى وصف الحياة الانسانية ومجتمعاتها باقية ، لا يكـــاد ـ ابداعها رجل حديث .

مضى عليها اكثر من الف عام ، او ما قارب ان يكــون قرنا . قالها ساكن خيام ، لسكان خيام ، او هم قاربوا وهى مقالات قديمة ، موغلة فى القدم ، يعجز ســكان ايامنا هذه الحديثة . برغم ما لهم من علم ومن فلسفة ومــن . يعجزون ان ياتوا فى وصف العلاقات الانسانية بامجــد ـا ساكن الخيام هذا . ذلك العربى الجاهلى القديم .

ان الانسان القديم ما كان لبعيد قدمه • والانسان القديم عن بشري كحس مالنا اليوم من عقول • حتى لو اتخذنا من اقوال نساء التطور اليوم سندا ، لم نجد فيما زعموه ان انسان اليوم اختلف عن انسان الامس البعيد اختلافا كبيرا •

حديث طال

لقد توسعت في هذا الحديث ما توسعت . لأخفف من حقد الحاقدين على القديم واهل القديم وعقول القدماء ، وما كان لهم من آراء . اراؤهم كانت اراء كل بيئة انسانية فيها الطيب وفيها الردىء • وليس كل ما ارتأيناه ردينا من فكر او عمل كان لهم ، حقا ردينا ، انما هو اختلاف بيئة •

اطرزة فكريـــة
كاطرزة ثياب النساء

ثم هناك ما أسميه بالأطرزة الفكرية • وانا اؤمن ان للفكر أطرزة كاطرزة الثياب ، الموضة عند النساء ، وان كل زمان له في الاراء طراز ، وكل مكان •

وانا اؤمن بان النفس البشرية هي اليوم اشبه ما تكون باختها التي كانت منذ الاف السنين ، واسألوا علماء النفس ، واسألوا علماء الحياة • وادن لابد ان يكون بين الانسان القديم والانسان الحديث حاجات مشتركه . تنتج عنها عقائد ومذاهب مشتركة • ونزيد هذا فنقول ان هذه العقائد الجديدة والمذاهب الجديدة ، الكثير منها ما هو الا اشباه لعقائد قديمة ومذاهب ، وانما اختلفت الاسماء •

ومن اجل هذا اضيق بكل كاتب يطلب اصلاحا فيطلبه باسم التجديد ، كانما التجديد هو في نفسه غاية •

وان يكن في التجديد ، بحسبانه تجديدا ، ليس الا ، غاية لا تصح الا عليه الحياة ، فلماذا لا تتجدد الشمس التي تطلع علينا كل يوم

للفكـــر اطرزة ، كاطرزة التيـــاب ، ولكل زمان في الآراء طراز •

البيت حماية للمرأة، وللذى فى احشائها، واعفى الرجل من العمل . وهو من اثقل اشياء هذا الوجود .

نفس الضوء تم تغيب . ولماذا ناكل اليوم نفس الخبز من نفس الحنطة التى اكلها الفراعنة والبابليون . ولماذا ننام مع الظلام ، ونستيقظ مع النور ، فلا نجدد ، فنقلب الميزان ، لنستمتع بالتجديد . حياة الانسان كلها اوضاع راتبة ، وهى راتبة منذ آلاف السنين . والرتابة عرض التجديد . وحياة الفرد نفسها ظاهرة راتبة من ظواهر الكون . الميلاد ، فالطفولة ، فالبلوغ ، والكهولة فالشيخوخة ، فالموت . يذهب الفرد ليجىء مكانه فرد . ويتكرر هذا مرات ملايين . رتابة سر وبها تجديد !

ربابة البيت
مهنة قديمة
اكتسبت قدسية السنين

اعود الى ربة البيت لأقول لها ، واقول لكل انثى ، ان ربابة البيت هى من اول المهن التى اصطنعها البشر للحياة على هذه الارض . اول مهنة تشرفت بها النساء . كما بدأ الصيد وجمع ثمار الأرض وكل ما فى ذلك من مخاطر ، اول مهنة للرجال تشرف بها الرجال .

للمرأة عمل البيت ، وحماية مابين السقف والحوائط ، وللرجل مصارعة الاقدار خارج الدور لجلب الارزاق .

والبيت حماية للمرأة وللذى فى احشائها . واعفى الرجل من الحمل، وهو من اثقل اشياء هذا الوجود . ووضع منظم الكون على اكتاف الرجل اثقالا وتبعات ليتساوى الثقلان . ثقل المرأة فى احشائها ، وثقل الرزق وتبعاته على اكتاف الرجل .

انه مبدأ تقسيم العمل Division of Labour **، هذا المذهب الحديث الذى اعتنقه كل ناظر فى اقتصاد الناس عالم . قالوا انه مذهب حديث . وهو اول المبادىء التى طبقها الانسان بفطرته على نفسه .**

والانسان الاول لم يكتشف هذا المبدأ عن علم واسع او تكمية ... انه اكتشفه بحكم الطبع ، لا بحكم الفكر . هداه اليه ، واعيا ع . قوة فى جسمه تقابلها قوة فى جسم الانثى هى يقينا دون الرجل . ان الانثى ما خلق جسمها لصراع . صراع مع وحش مع حياة . وكيف وهى الرنسيل الاطهر الذى يحمل الدرارى . عبر الانسان على هذه الارض . ان الانثى ، رغم لطفها . ... خلق الانسان ليفنى . والانثى تتحدى الدهر باستكثار ... حلت . وتعمير الارض التى خربت . يموت الاب . فيقوم ... ويموت الولد اذ يكبر ويحتل مكانه الحفيد . ومن ياتى ... من ياتى بالحفيد ؟ انها المرأة .. فعمل المرأة هذا هو اول عمارة الكون . ومخططه ليس الانسان . ان الانسان لا يحطط ... حسب انه يخطط ، وانما حطط له من هو اعظم ، ومن هو ... يقف وراء الحياة كلها . فيحتجب عن رؤيتنا ايما احتجاب .

واسمع عالما يقول ، ان ضعف المرأة ما كان خلقة ، وان است سجن ، وحياتها فى السجن ، على الاسر ، اضعف الاجسام ٠

كلام عالم لا علم فيه ٠

لقد نسى هذا العالم ما فى المرأة من رقة اسميناها ضعفا ، وما هى بضعف ، وانما هى رقة تاتلف وما خطط لها فى الحياة من وظائف ٠

ولقد نسى هذا العالم ان ضعف الانثى نراه فى كل ما نرى ونعرف من اناث الحيوانات ، الحيوانات المفترسة اكلة اللحم ، والحيوانات المستانسة اكلة الاخضر من نبات الارض ٠ انظر الى الاسد واللبوة ، وقد امتاز الاسد بلبدته ، وامتاز بقوته ٠ وانظر الى المواشى ، للذكور قرون ، والاناث لا قرون لها ٠ انها حاملة الدرارى ، ولا بد لها من حماية ، وقرون الذكران تحميها ٠

الدفاع عن ربابة البيت للأنثى لا رجعية فيه

انى اتحدث عن البيت وربابة البيت ، لا بوصفى عالم اجتماع ، او ضالعا فى عقيدة ، ولكنى اتحدث باسم العلم ، لا سيما علم الحياة وما وراء ذلك من اهداف ، هى صريحة للمستطلع من العلماء ٠ فليس فى مثل هذا الحديث رجعية ، وليس فيه تقدمية ، وليس فيه ميل جزافى مع محافظين واحرار ٠

ولهذا اسرع فاقول : ان ربابة البيت ليست هى المهنة الواحدة المفتوحة للمرأة التى تجب سائر المهن او سائر الاعمال ٠

ان المرأة ، على رقتها ، ولا اقول ضعفها ، يتسع وقتها للحمل واشياء غير الحمل ٠ وليس من هم الرجل ان تظل المرأة تحمل له العام بعد العام ، فلا تكون هناك فترات راحة واستجمام ٠ حتى المكنات الصماء لا بد لها من اجازة تناى بها عن العمل ٠ والمرأة تنتج بمقدار ما يحتمل جسمها ، وبمقدار ما يتسع له بيتها ويتسع رزقها ورزق زوجها ٠ ثم ان الاطفال يكبرون ، وتقل عنهم رعاية الامومة ٠

فالمرأة ان ملأت رعاية الزوج،ورعاية البيت والأولاد،وقتها كله، فانعم بذلك ، وانعم بمهنة امتهنتها هى أشرف مهن المرأة على الاطلاق ٠

والمرأة اذا فاض وقتها عن رعاية البيت ، وطلبت ... مهنة البيت مهنة اخرى ، فاهلا بذلك وسهلا ٠ وليس فى هذا ... فالمرأة من قديم الزمان خرجت عن بيتها لمعونة المرضى ومواساة الفقراء ورعاية الاشياخ الضعفاء ٠ وخرجت حتى مع الخارجين الى الميدان لتعالج الجرحى وتحمل المؤونة والسلاح٠٠ومنهن من سللن السيوف ... يدفعن مع الدافعين ٠
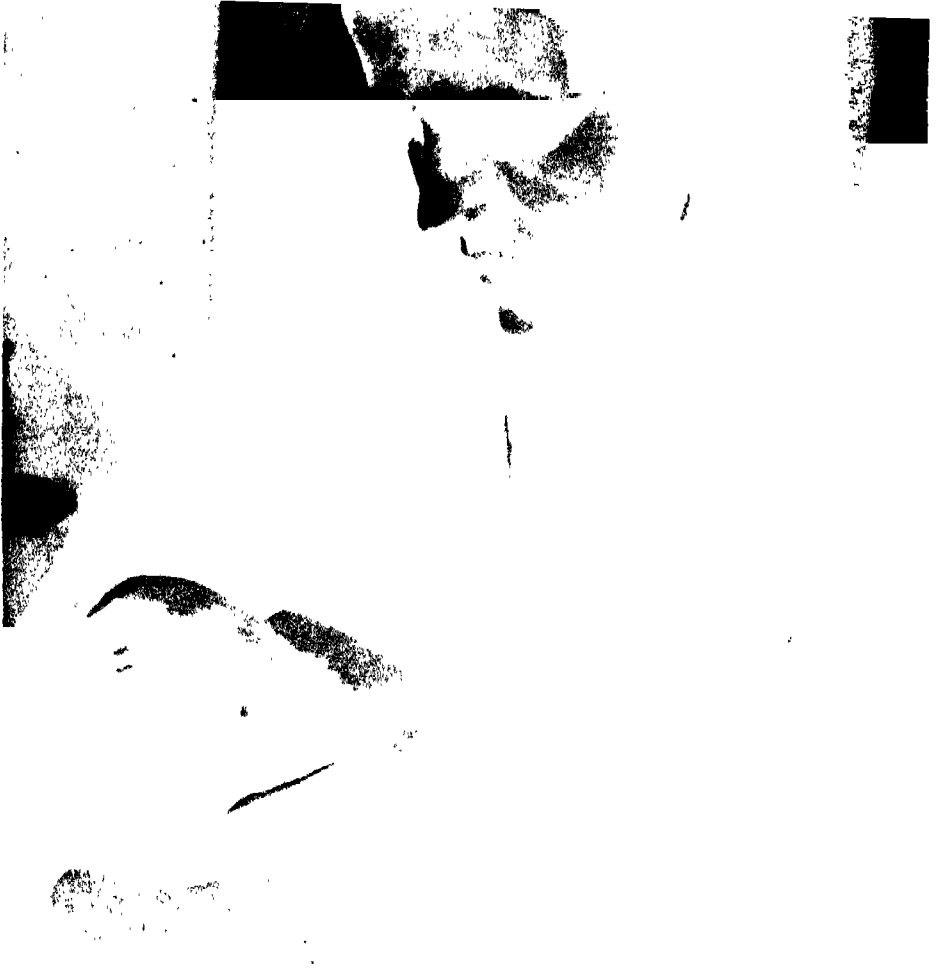
المراة، تاتى بالولد، وتاتى بالعقيد ·· ان عمل المراة هذا هـو اول التخطيط لعمارة الكون ·

والمرأة اليوم تمتهن التمريض ، وتمتهن التدريس ، ومهنا اخرى ... اصح ان الانوثة ادق اداء فيها واحسن انتاجا · ولا بأس عندى ... خرج المراة الى كل عمل ياتلف وطبيعتها · ولكن فى الرجال مروءة ... ان يروا امراة تكنس الشوارع ، او تحفر الارض ، او ... قاطرة بخارية ، او يروا امراة متمددة على الارض تحت سيارة ... صلح فيها مافسد ·

... النساء تعددت اليوم ، وهى مهن كريمة : فى الطب ·· ... ·· فى العلوم جميعا ، وفى الجامعات ·· وفى البنوك · ... وفى الصحف والاذاعات ·

... كل هذه تحتاج المراة الى حماية ·· والى حماية ... · من المجتمع ، ومن كل ذى شارب وكل حليق ·

... المراة لايكفلها فى المجتمعات الا كبح جماح الرجال · ... رجالا كان من الخطا ادماجهم فى الحس البشرى ، وهم فى احساس الماشية اولى · بل ان فى الماشية احتراما ... احترام نراه فى بعض المجتمعات الانسانية ·

المرأة اليوم تمتهن التمريض، وتمتهن التدريس . ومهنا اخرى كثيرة، اتضح ان الانثى ادق اداء فيها واحسن انتاجا .

المهنة
تؤمن مستقبل الفتاة والام
على سواء

واقصد بالمهنة هنا المهنة المأجورة ، ذات التخصص .

ان فتاة اليوم قد لا تتزوج لاسباب عدة . فهى قد ترفض الزواج مزاجا . وهى قد لا تجد الزوج المناسب في زمان اصبحت المجتمعات فيه كالاسواق ، واصبحت الفتاة فيها بضاعة ، لايقربها الا طامع فيها . وكثير من الفتيات ترفض ان تكون بضاعة ..

على كل حال هناك فتيات لم يتزوجن .

فهؤلاء لابد لهن من تأمين الرزق .

والأسر الحاضرة ، لاسيما في الدول التى مشت فى الحضارة خطوات ، لاتؤمن لابن فيها او بنت رزقا . واذن وجب ان تؤمن المهنة .

والمهنة تؤمن الرزق للنساء المتزوجات وللأمهات . فهؤلاء قد يموت عنهن ازواجهن . والطلاق فى المجتمعات الاسلامية لازال الى اليوم ميسورا ، شديد اليسر .

الزوج يقول لزوجته : « انت طالق » .. فلا يمضى عليها بعد ايام او اشهر الا وهى فى الطريق . ليس لها بيت تأوى اليه، وليست لها قبيلة تعتز بها، وليس لها اعمام واخوال ينهضون لسترها .. و « بنت المال » طوته الايام فيما طوت .

خلاص هؤلاء تضمنه المهنة . والمهنة التى امتهنتها قبل زواج يعدن اليها من بعد زواج . المدرسة تعود لتدرس ، والممرضة تعود لتمرض ، ومفصلة الثياب تعود فتفصل .

وهناك من النساء ، وعندهن أمن الحياة شيء ذو بال ... استعمر ان يحدن من زمنهن متسعا لمهنة البيت ، والمهنة التى أحببت

لقد قرات من قريب حديثا لصاحبة الجلالة زوجة الشاه تقول فيه انها سوف تبيع قصرا لها اهداها اياه الشاه هدية الزواج ، سوف تبيع جواهرها ، تأمينا لمستقبلها مما قد تاتي به الاقدار .

ملكة لامبراطورية كبيرة تطلب تأمين حياة .

فما بال نساء الشعوب !

احمد ... ى

زوجة شاه ايران سوف تبيع مجوهراتها ، تامينا لمستقبلها مما قد تاتى به الاقدار .

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ في السنة الدولية للمرأة يحسن بنا أن
- في جملة ما نقف عنده - عند ذكاء المرأة
هل المرأة اذكى من الرجل أم هي
ذكا منه ؟ هل هما متساويان في الذكاء ؟
طبيعة ذكاء المرأة عن ذكاء الرجل ؟
رات ومهارات تتفوق فيها المرأة على
مهارات وقدرات أخرى يتفوق فيها
لمرأة ؟ لماذا كان معظم العباقرة رجالا؟
رجالا ؟ وغير ذلك من عشرات
تطرأ على الذهن في هذا الخصوص.
بد لنا قبل أن نخوض في هذا
سؤال عن طبيعة الذكاء وماهيته

وقياسه وتوزعه وعلاقته بالوراثة والبيئة وخلاف ذلك من الامور ، لا سيما وان تطورات جديدة واتجاهات عديدة قد ظهرت الآن فيما يخص دراسة الذكاء .

تعريف الذكاء

الحق ان الذكاء عرف تعريفات شتى واختلفت مواقف العلماء من طبيعته ، على ان التحليل الدقيق يقودنا الى القول بأن الذكاء مشتق من القدرة على التعلم واستعمال الفرد ما تعلمه في التكيف والتلاؤم مع الاوضاع الجديدة و... الجديدة . ان مفهوم الذكاء متصل

بالقدرة على التعلم . وكن قياسات الذكاء تقيس من شيء موروث ومستقر في الدماغ . ان مميز،

التعلم في اثناء حصوله.وهكذا يكون معيار الذكاء السرعة في التعلم والدقة فيه . واكثر قياسات الذكاء الانساني شيوعا يجعل القدرة على التعلم المحل الاول والاهم . ولكنها تقيس اكثر ما تقيس بعدما حصل فعل بطبق مقاسات الذكاء على المتعلم . والفكرة الاساسية التي تقوم عليها هذه المقاسات انه حين يتاح للافراد فرص متساوية للتعلم فان اولئك الذين يعرفون اكثر من سواهم ويستطيعون تطبيق معارفهم في الاجابة على مطالب هذه المقاسات خيرا ممن عداهم هم الاذكى. ويلاحظ ان بنود قياس الذكاء ـ اي قياس ذكاء ـ يتطلب معارف ومهارات يفترض ان كل فرد يقاس ذكاؤه قد اتيحت له الفرصة لتعلمها .

والواقع ان القليل من موضوعات علم النفس هي التي جذبت اهتمام القراء وانتباه العلماء اكثر من الذكاء. ولا عجب في ذلك . فان الانسان يقبل الطعن في اي صفة من صفاته باستثناء ذكائه . هذا بالرغم من ان جميع الناس يعترفون بوجود فروق في الذكاء بين الافراد ويقرون بأن ثمة اذكياء ومتوسطين وأغبياء .

وربما ما كان قال العالم (هايم Heim) يعرف الفاعلية الذكية بأنها تنحصر في « التقاط الاساسيات في وضع (او موقف) معين والاستجابة المناسبة لهذه الاساسيات » ونضيف الى ذلك قوله بأننا نعرف جميعا بأن بعض الناس اقدر على مواجهة الاوضاع والمواقف من بعضهم.ومن هنا كانت اهمية اكتشاف الفروق بين الناس (وبخاصة الاطفال) وقياسها . ان من المضر المفجع بالنسبة للطلاب أن يعجز المربي عن تمييز نقاط قوتهم ونقاط ضعفهم والتعرف على مواهبهم ووجوه قصورهم وذلك من اجل مواجهتها واستغلالها وتفتيحها او تلافيها .

طبيعة السلوك الذكي

اصبح لكلمة ذكاء في عصرنا الحديث معان غير دقيقة . ان الكثيرين من المتعلمين بل وحتى المربين، يعتقدون ان الذكي مخلوق يمتلك كمية محددة

حاصل الذكاء (نسبة الذكاء كما تسمى في بعض البلاد العربية) هو المسئول في رأينا عن اعتقاد الكثيرين من الناس بأن الذكاء شيء كمي . وهكذا نسمع قائلا يقول ـ ولا سيما في البلاد التي تقيس الذكاء ـ « ان فلانا طالب ذكي ، ان ذكاءه ١٤٠ »

ومن هنا كان اقتراح العالم (مايلز Miles) بأن نترك جانبا مصطلح (ذكاء) وان نستعمل مصطلحا اقل غموضا وهو (السلوك الذكي) وبهذا يكون قد جعلنا التشديد على اهمية الفاعلية التي يقوم بها الشخص الذي يتعرض لانواع معينة من الخبرة وفي كيفية استجابته . وحينئذ نستطيع وصف سلوكه بالذكاء او قلة الذكاء . ويبدو أن هذا الاستبدال لا يعفينا من محاولة الجواب على السؤال : « ما هو السلوك الذكي ؟ » ولكن هذا لا يمنع من التشديد على الفاعلية الذكية بدلا من الذكاء بحد ذاته .

ولقد قال العالم الانكليزي (فيرنون Vernon) في خطاب القاه في جمعية علم النفس البريطانية بوجود انواع من تعريفات الذكاء هي (ا البيولوجية و (ب) السيكولوجية و (ج) الاجرائية .

أما التعريفات البيولوجية فتؤكد قدرة الفرد على التكيف والتلاؤم بالنسبة لميراث السمة والمقصود بالتكيف هنا هو تغير السلوك خارجيا او داخليا . نتيجة للخبرة . وواضح ان هذا النوع من التعريف يتفق الى حد ما مع تعريف (بياجة Piaget) . ثم ان (هب Hebb) يرى أن التكيف يتوقف على كيفية الارتباطات العصبية في الدماغ .

أما التعريفات السيكولوجية فتشدد على اهمية الكفاية العقلية والقدرة على التفكير الذي يتطلب استعمال الرموز وبخاصة اللغة لا سيما الكلامية والكتابية . ان (سبيرمان) يرى ان الذكاء ما هو الا رؤية العلاقات وهذه الرؤية تتوقف بطبيعة الحال على المجرد . وأما التعريفات الاجرائيه

...ضع مواصفات مفصلة للسلوك الذكـــي ثـــم ... ول ايجاد مقاييـــس لقياســـ هذه المواصـفات وهدنا فى السلوك الذكي يعبر عنه من خلال هذه المقاييس .

الذكاء بين الوراثة والبيئة

كثر النقاش فى الآونة الاخيرة بين العلماء حول ... كل من الوراثة والبيئة فى ذكاء الانسان ، وطرحت اسئلة من نوع : ماهو الاثر النسبي لكل من الوراثة والخبرة فى تحديد ذكاء الفرد ؟ هل الذكاء قابليه عقلية داخلية موروثة ؟ هـل يستطيع المحيط الجيد أن يزيد فى قدرات الانسان؟ وهل تستطيع البيئة السيئة أن تنقص منها ؟ وغير ذلك من عشرات الاسئلة التى تطرأ على ذهن الانسان .

ومن أجل الجواب على هذه الاسئلة ووضع الامور فى مواضعها الصحيحة قال العلماء بمصطلحين هما الطراز الوراثى Genotype والطراز التفاعلى Phenotype . أما الطراز الوراثى فيشير الى الصفات الوراثية للافراد التى تنقل بواسطة المورثات التى تصدر عن الوالدين لحظة الاخصاب،

وأما الطراز التفاعلى فينتج عن تفاعل الصفات ... الكامنة مع تاثيرات البيئة منذ لحظة الحمل والى ما بعد .

ومثال الطراز الاول لون العينين وطول الجسم ولون الشعر ومقاييس الجسم ، أما عن الطراز التفاعلى فيجب عدم الخلط بينه وبين الصفات ... بمعناها البسيط والواقع ان الحديث هنا ... الصفات الموروثة مع الظروف المحيطة ... سماح الظروف المحيطة للصفات الموروثة ... التفتح . وهكذا فان نبتة فتية سيئة ... لا يصلها القدر اللازم من الضوء او ... لتصبح نبتة صحيحة وعلى هذا فان ... الى انحرف فاصبح طرازا تفاعليا . ... الصفات الاساسية للطراز الوراثي ما ... موجودة فى النبتة بمعنى ان هذه النبتة اذا كانت ملفوفة فاننا نستطيع تمييزها عن بلوطة سيئة التغذية ولكن الملفوفه سيئة التغذية لاتكون تماما كالملفوفه حسنة التغذية . ومثل هذا يقال عن طفل سيء التغذية ماديا وفكريا انه لا ينمي قدراته الكامنه ــ جسديا وفكريا ــ الى حد الواجب والممكن . ثم انك تستطيع ان تقطع ذيول قطط وتزاوجها على مدى اجيال ولكنك لن تحصل على قطط مولودة بدون اذنـاب ولا بد لـك من اجل الحصول على امثال هذه القطط من ان تلجأ الى التاثير فى المورثات ان امكنك ذلك .

الذكاء (أ) ، (ب) ، (ج)

علماء النفس المحدثون ــ اذن ــ يرون فـــي الذكاء تفاعلا ديناميكيا بين الامكانيات الموروثـة الكامنة وبين الظروف المحيطة . ومن العلمـــاء المرموقين الذين ساهموا فى هذا الصدد العالـم الكندى (هب Hebb) الذى ميز بين الذكاء (أ) والذكاء (ب) وهما ذكاءان يمكن مقابلتهما بما سميناه فى الفقرة السابقة بالطراز الوراثى والطراز التفاعلى ، فبالنسبة الى (هب) يمثل الذكاء (أ) قدرة كامنـــة موروثـــة تتوقـف بصورة كاملة على التسهيلات العصبية وتعنـي قدرة الفرد على تنمية استجابات ذكية . أمـــا اذا كان الفرد سيحقق هذه القدرة ام لا ؟ فانه أمر يتوقف على ظروف الحياة . وهكذا يكون الذكاء (ب) ، مستوى من النمو الافتراضى ناتج عن التفاعل بين الذكاء (أ) والمؤثرات المحيطة .

ان الذكاءين (أ) و (ب) لا يمكن قياسهما بصورة مباشرة ، ذلك بأن الذكاء (أ) متوقف ظهوره ونموه على الاثر المباشر للخبرة . اما الذكاء (ب) فلا بد فى قياسه من اللجوء الى قياسات عديدةمن اجل تبين وجوه القدرة او القدرات الانسانية . ولقد قلنـــا (تبين) وجوه القـدرة ولم نقـــل (قياسها) مباشرة . والذكاء (ب) ليس محدودا ولا ثابتا وذلـك علـى اعتبار ان آثـار المحيط ومؤثرات البيئة ــ وبخاصة فى أثناء الطفولـــة والمراهقة ــ تسبب تغيرات فى ظواهره .

ولذلك فقد أدخل (فرنون) مصطلح الذكاء (ج) ليصف نماذج الذكاء (ب) مستعملا الاختبارات المقيسة . ومفهوم الذكاء (ج) مفيد جدا وذلك على اعتبار ان (نسبة الذكاء)، او حاصله ، كثيرا ما تسيء الاشارة الى الذكاءين (أ) و (ب) في حين انها لا تشير في الواقع الا الى الذكاء (ج) .

وعلى اعتبار ان الذكاء (ج) مستند الى الذكاء (ب) ومشتق منه وهذا بدوره مستند الى الذكاء (أ) ومتصل به فان الذكاء (ج) مستند اليهما معا ، ومتصل بهما كليهما . وعلى هذا فاننا لا نستطيع التحدث عن حاصل الذكاء (نسبة الذكاء) بوصفه قياسا للقدرة الموروثة او للقدرة المكتسبة بل نتحدث عنه بوصفه ناتجا عن التفاعل بين الوراثة والظروف البيئية .

توزع الذكاء

الذكاء موزع وفق المنحنى السوي للاحتمال فعدد الافراد يتكاثر في الوسط ويقل بابتعادنا عن الوسط سواء اتجهنا نحو حدة الذكاء او نحو شدة الغباوة . وهناك عدد من الافراد في أية نقطة من النقاط الواقعة فوق المتوسط يساوي العدد الموجود في النقطة المماثلة الموجودة تحت هذا المتوسط .

ان الكثير من الصفات البشرية الممكنة التغير تتوزع وفق هذا المنحنى ، ويكفي للدلالة على ذلك ابسط أنواع الملاحظة التي ترينا ان نسبة كبيرة من الناس ذات طول متوسط مثلا وان المفرطين في الطول او القصر هم نسبيا قلة .

وهناك دلائل كثيرة على ان الذكاء يتوزع على هذا النحو . فلقد وجد (تيرمان Terman) منذ سنوات عديدة ان حاصلات ذكاء الف طفل لم ينتقوا تنطبق انطباقا تاما على المنحنى السوي للاحتمال.وقد ايده في هذا الاكتشاف باحثون آخرون عديدون.ففي عام ١٩٢١ وجد تومسون ان حاصلات الذكاء لـ ١٧١٠ اطفال من التلاميذ الانكليز كانت كما هو ظاهر من الجدول التالي :

حاصل الذكاء	عدد الاطفال
اقل من ٦٠	٢١
٦١ ـ ٧٠	٨٣
٧١ ـ ٨٠	٢٢٦
٨١ ـ ٩٠	٤٧٥
٩١ ـ ١٠٠	٦٤٤
١٠١ ـ ١١١	٥٩٦
١١١ ـ ١٢٠	٤٠٠
١٢١ ـ ١٣٠	١٨٩
١٣١ ـ ١٤٠	٦٥

ان معرفة كيفية توزع الذكاء أمر هام وذلك لانها تعرفنا على مكان كل فرد ، من حيث ذكاؤه، بالنسبة لافراد مجتمعه . ومن الجدير بالملاحظة هنا اننا لا نستطيع اقامة فاصل بين نقطة واخرى وذلك بسبب تتابع التوزع ، لكننا حين نأخذ النتائج التي حصل عليها (تومسون) مثلا بعين الاعتبار نرى ان كل طفل حصل على حاصل ذكاء يتجاوز الـ ١٣٠ انما يكون بين الثلاثة في المائة المتفوقين ، في حين يكون الطفل الحاصل على حاصل ذكاء يفوق الـ ١١٠ بين الخمسة والعشرين في المائة الاوائل وهكذا ... هذا وقد وجد ان التقسيمات المذكورة في الجدول التالي مفيدة عمليا شريطة ان لا ننظر اليها على انها تقسيمات جامعة مانعة .

حاصل الذكاء	النسبة المئوية للحالات
اكثر من ١٣٠	٪٢
اكثر من ١٢٠	٪١٠
اكثر من ١١٠	٪٢٥
اكثر من ٩٠ ـ ١١٠	٪٥٠
اقل من ٩٠	٪٢٥
اقل من ٨٠	٪١٠
اقل من ٧٠	٪٢

وبحسب هذا الجدول يمكننا ان نقول عن شخص حاصل ذكائه ١١٥ انه في عداد ٪٢٥

المتفوق كما يمكننا ان نقول عن الشخص الذى يملك حاصل ذكاء قدره ٩٧ انه فى عداد الـ ٥٠٪ المتوسطين وعن الشخص الذى له حاصل ذكاء قدره ٨٠ انه بين الـ ١٠٪ المتخلفين ٠

الذكاء والجنس

فمقاييس الذكاء عاجزة عن الاشارة الى فروق حاسمة فى الذكاء بين الرجل والمرأة ، بل ان (بورت Burt) وجد حين قاس ذكاء ثلاثة آلاف طفل لندنى ان ذكاء البنات يفوق ذكاء البنين تقريبا فى كل عمر يتراوح بين الثالثة والرابعة عشرة ، وهو يقول « ان الاختلاف يبلغ اقصاه حول السادسة او السابعة ، أما فى العاشرة فانه ينقلب لصالح الصبيان ، لكن البنات لا يلبثن ان يستعدن تفوقهن الذى يبدو جليا حوالى الرابعة عشرة » ٠ وهو يعتقد ان النتائج التى توصل اليها تؤيد القول بان البنات ينضجن ذكائيا بسرعة اكبر من الصبيان . ولكنه على وجه العموم لا يعتقد ان الفروق بين الجنسين ذات بال ٠

ولقد توصل الباحثون الآخرون الى النتائج نفسها ، فمتوسط ذكاء الجنسين يبدو متقاربا ولا تقوم دلائل صريحة على ان أفراد الجنس الواحد يظهرون تنوعا فى الذكاء يفوق تنوع الجنس الآخر٠

وتدل الدراسات المتاخرة على ان الجنسين متماثلان فى نوعية الذكاء فى كل مستوى عمرى تقريبا ٠ ولا يتجلى الفرق فى الذكاء العام ٠ او الكلى وانما يتجلى فى نمط القابليات الخاصة التى تساهم فى تكوين حاصل الذكاء ٠

كما يلاحظ ان عدد المتفوقين اكثر من عدد المتفوقات ولكن يلاحظ بالمقابل ان عدد المتخلفين اكثر من عدد المتخلفات ، فهل سبب هذا وراثى ام بيئى ؟ ٠

ومن المعلوم ان الفتيان يتفوقون على الفتيات فى القوة العضلية والسرعة والتنسيق بين العضلات الضخمة ، فى حين ان الفتيات يتفوقن على الفتيان فى اختبارات المهارة اليدوية ، كذلك فى القابليات اللغوية ، انهن يتكلمن قبل الفتيان وخيرا منهم ويملكن عددا من المفردات ويكتبن أحسن منهم ، ويتفوق الصبيان فى تكوين المفاهيم المجردة عن العلاقات المكانية ٠

كما انهم يتفوقون فى المهارات العددية (وهذا صحيح فقط فى السنين المدرسية المتاخرة) فى حين أن الفتيات يتفوقن فى أعمال السكرتاريا، فهل لهذه الفروق من معنى أم أنها ناتجة عما يتوقع المجتمع من كل من الفتى والفتاة ؟ اننا لا نستطيع الجزم بما اذا كان هذا الامر سببا أم نتيجة ، وجل ما نعرفه ان الفروق بين الجنسين طفيفة٠

والخلاصة

فان ثمة فروقا جنسية واضحة تتجلى فى المدرسة الابتدائية فيما يخص النمو العقلى والانجاز المدرسى ، فبالرغم من أن القابليات العقلية المتوسطة للصبيان والبنات تبدو متساوية فى مختلف الاعمار فانه يلاحظ ان البنات يتفوقن على الصبيان فيما يخص القابليات اللغوية ــ كما سبق ان قلنا ــ فى حين ان الصبيان يتفوقون على البنات فيما يخص القابليات الرياضية والميكانيكية٠

أما فيما يخص الانجاز المدرسى واختباراته فان النتائج متشابهة ٠ ولقد دلت دراسات (أولسون) على أنه من الممكن القول بان البنات يتفوقن على الصبيان فى مجموع الدراسات فى المدرسة الابتدائية واذا كان صحيحا اننا فى مجتمعنا نربى الصبيان تربية تختلف بعض الشيء عن تربيتنا للبنات فان تفوق البنات الملحوظ فى المدرسة الابتدائية مردود الى أنهن أسرع نضوجا من الصبيان فى سن الدراسة الابتدائية ٠ ويرى (اولسون) ان الفرق ليس جنسيا وانما هو فرق فى النضوج ، وهذا ما دعا بعض المربين الى المناداة بوجوب ادخال البنات الى المدرسة الابتدائية فى سن الخامسة بدلا من السادسة ٠ وفى كل الاحوال يجب ان لا ننسى مسالة الفروق الفردية واعتبارها أهم الفروق بالنسبة للجنسين ، بمعنى ان فلانا قد يكون أذكى من فلانة وان فلانة قد تكون اذكى من فلان ٠

■■

فاخر عاقل

البحر والصيف و ١٠٠ دينار !!

■ مسابقة هذا العدد تشتمل على عشرة اسئلة ، نصفها عن المياه والبحار التى تنتعش سواحلها خلال الصيف ، ونصفها الآخر اسئلة مختلفة متنوعة ... والمطلوب منك معرفة الاجابة الصحيحة لثمانية اسئلة على الاقل ....

١ ـ ثلاثة مضايق ، او ممرات توصل بين مياه البحر المتوسط ومياه البحار الاخرى .. فعند الطرف الغربى يتصل البحر المتوسط بمياه المحيط الاطلسى ويكتسب منه نحو ٧٥٠ر١٫٠٠٠ متر مكعب من المياه فى الثانية عبر ممر طوله ٨ اميال وعمقه ٣٢٠ مترا..وفى الطرف الشمالى الشرقى يتصل البحر المتوسط ببحر مرمرة عبر مضيق صيق ، فيكتسب ١٢٦٠٠ مترا مكعبا من المياه فى كل ثانية . اما فى الجنوب الشرقى فيتصل بالبحر الاحمر عبر ممر مائى من صنع الانسان ..

فما اسم هذه الممرات أو المضائق الثلاثة التى توصل الى البحر المتوسط .. ؟

٢ ـ ابو الكلام ازاد ، عالم متبحر فى العلوم الاسلامية .. كما ان معالجته لكثير من القضايا السياسية معالجة علمية دقيقة ، تفوق معالجة كثيرين من الساسة المتمرسين ..

ترى الى اى البلاد ينتمى ابو الكلام ازاد : الباكستان ـ افغانستان ـ الهند ؟

ابو الكلام ازاد

٣ ـ تبلغ مساحة البحر الاسود ١٦٢ الف ميل مربع . وشكل هذا البحر اشبه بصورة رأس الجمل ، وهو بحيرة مغلقة الا ان طرفيها الشمالى والجنوبى فيهما « فقاعتان » تكون كل منهما بحرا صغيرا ..

فما اسم كل من هذين البحرين الصغيرين ؟

٤ ـ الى الشمال من عاصمة الاردن تقع مدينة اثرية ترتفع عن سطح البحر بنحو ٥٥٠ مترا . اكتشفوا فيها آثارا يرجع تاريخها الى العصر الحجرى الحديث ، ثم تعاقبت عليها أعمال البناء والهدم بفعل الحروب والغزوات ، وفى عام ٦٣ ق . م ، امر القائد الرومانى باعادة بنائها لتكون احد المراكز لنشر الحضارة الغربية فى الشرق .. واليوم أصبحت هذه المدينة بلدة اثرية يقطنها نحو ثلاثة آلاف نسمة ..

فما اسمها ؟
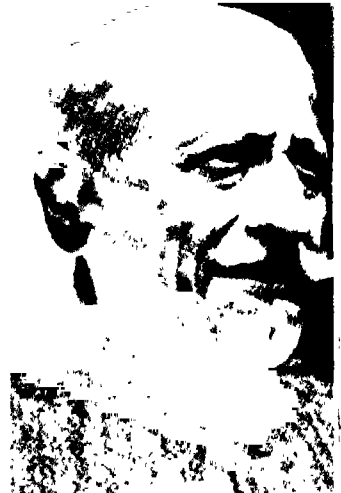
٥ ـ يكون البحر الاحمر حوضا ضيقا طويلا يبلغ طوله حوالى ٢٠٠٠ كيلومتر .. قاعه وعر غير منتظم مما يجعل الاعماق فيه متفاوتة بين ٤٩٠ مترا و ٢٣٠٠ متر .. ويتميز هذا البحر بكثرة شعابه المرجانية القريبة من سطح الماء .. وهذه الشعاب المرجانية هى التى سدت الممرات البحرية المؤدية الى ميناء سودانى شهير ، مما ادى الى تدهور الميناء واغلاقه وهجره تماما ..

فما اسم هذا الميناء السودانى ؟

٦ ـ قال الرسول الكريم : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها ، فلا هي اطعمتها ، ولا هي تركتها تاكل من خشاش الارض » ٠٠ وجسم القط يضم اكثر من ٥٠٠ عضلة ، و ٢٣٠ عظمة ٠٠ وفكا القط مزودان باسنان شديدة يصل عددها الى ٣٠ سنا عندما تكبر القطة ٠٠ والقط يسير على اصابعه ٠٠ وله ١٨ مخلبا يحملها ١٨ اصبعا ٠٠

فكم اصبعا في كل رجل من الارجل الاربعة التي فيجسم القط ٠٠ ؟

٧ ـ كريت وقبرص ورودس وصقلية ، جزر مشهورة تقع في حوض البحر المتوسط ٠٠ وفيه أيضا عدة جزر عربية ٠

والمطلوب منك معرفة اسم جزيرة عربية واحدة ـ علىالاقل ـ واقعة في هذا البحر ٠ ؟

٨ ـ ما من شخص اثار في علم النفس من الضجيج والعجيج قدر ما اثاره الطبيب النمساوي ، الذي بدأ حياته الطبية مختصا بعلم الفيزولوجيا(علم وظائف الاعضاء ٠٠) وانهاه بوصفه ابا للتحليل النفسي ، وصاحب مدرسة فيه ٠٠ فهو قد ابتدع للنفس مراتب كثيرة واسماء للخبرة النفسية جديدة ، مثل الشعور ، وتحت الشعور واللاشعور ٠٠ ورد كل الحوافز الى الجنس وسماه الليبدو ٠٠ فما اسم هذا الطبيب النمساوي : **أدلر ـ فرويد ـ ينج ٠**

٩ ـ الخليج العربي حوض ضيق طوله ٩٨٥ كيلو مترا من الشمال الى الجنوب ٠ اما عرضه فيختلف من منطقة الى اخرى ، فقرب ساحل دولة الامارات العربية المتحدة يصبح عرض الخليج نحو ٢١٠ كيلو متر ، وعند مضيق هرمز ، بطرفه الشرقي ، يضيق الى ٣٥ كيلو مترا فقط ٠٠ ويشمل الخليج مساحة تقدر بحوالي ٢٣٩ الف كيلو متر مربع ٠٠

والمطلوب ذكر اسماء الدول الثماني المطلة على مياه هذاالخليج ٠ ؟

١٠ ـ مدينة عربية قديمة حكم فيها نبي الله داود اكثر من سبع سنوات ٠٠ ونزلها سيدنا ابراهيم واقام فيها تحت اشجار البلوط التي ما زالت حتى اليوم ، رغم مرور اربعة آلاف سنة عليها ٠٠ وفي هذه المدينة رقد ابو الانبياء ابراهيم او هكذا يقول المؤرخون ٠٠ واستولى عليها العدو الصهيوني عام ١٩٦٧ ٠٠ **فما اسمها ؟**

شروط المسابقة

- ترفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فيذيل الصفحة ٠
- يكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكاملبخط واضح ٠
- ضع اجابتك في مغلف واكتب عليه : مجلة العربي صندوق البريد ٧٤٨ الكويت ٠
- آخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اليومالاول من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥ ٠

الجوائز ١٠٠ دينار

- للفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجهالآتي :
الاولى ٣٠ دينارا ٠ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ٠ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠
- جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح بطريقة الاقتراع ٠

الصراع الأبدى الدا
بين
عالم الشيوخ وعالم الشبا
أو عالم الجيل السابق
والجيل اللاحق

بقلم : على ادهم

■ بين الاجيال الانسانية المتعاقبة صراع دائم وكفاح مستمر ، فكل جيل يتناول الجيل الذى سبقه بالنقد والتحليل ، ويضعه على المشرحة ، ويحاول تقويم اعماله واقواله ، ويزن آثاره ومخلفاته ، ومن هذا الاختلاف بين وجهات نظر الاجيال المتوالية، وتباين نزعاتها ـ يتبين الطيب من الخبيث ، والغث من السمين ، وقد تهدأ حدة هذا الصراع الابدى فى الازمنة العادية ، وعصور الاستقرار ، ولكنه يَقوَى ويشتد ، ويشمل كل ناحية من نواحى الحياة فى عصور المشادة والانتقال العنيف ، ومن الامثلة التاريخية التى توضح ذلك وتدل عل الفترة التى سبقت الثورة الفرنسية ، فقد كا بوادر الاحوال ، وتعارض الاتجاهات ، واختلا نزعات الطبقات التى يتكون منها المجتمع ـ تا جميعها على قرب هبوب العاصفة الهوجا .

ويبدو هذا الغلاف فى شتى نواحى الحياة سواء الحياة السياسية ، او الثقافيـ ، الاقتصادية ففى السياسة البريطانية هنا الخلا بين المحافظين والاحرار(١) ، وفى مختلف الد الاوربية صراع بين انصار الاشتراكـ وحا

(١) ضعف حزب الاحرار بعدئذ بظهور حزب العمال الذى ينافس اليوم حزب المحاف فى السياسة البريطانية ، وما تزال لحزب الاحرار فلول . (العربى) .

النظام الرأسمالي ، ولا نزاع في أن هذا الصراع الدائم من دوافع التقدم وابراء الحياة من الركود والجمود •

رواية « الآباء والأبناء » للكاتب الروسي ترجنيف

وقد تناول هذا الموضوع الروائي الروسي الكبير ايفان ترجنيف » تناولا فنيا رائعا في روايته الرائعة الشهيرةالمسماة « الآباءوالابناء » وترجنيف احد عمالقة الادب الروسي الثلاثة الذين اثروا الادب الروسي في القرن التاسع عشر ، والآخران هما تولستوى وديستيفسكى •

ورواية « الآباء والابناء » في طليعة مؤلفات ترجنيف . « وبازاروف » البطل الذى تدور حوله احداث هذه الرواية من اقوى الشخصيات في الادب الروسي التىصورها ترجنيف ، واتخذها وسيلة لبيان هذا الصراع الدائم بين الاجيال المتعاقبة ، وكان ترجنيف من انصار الديمقراطية والاتجاهات الحرة في روسيا القيصرية ، ولكنه مع ذلك لم يكن من المنغمسين في السياسة ، الشديدى التعصب لمذاهبهم . وقد ساعده ذلك على أن يكون نزيها في تقديم صورة فنية خالصة للصراع بين انصار القديم وانصار الاتجاه الحديث في المجتمع الروسي الذى عاصره •

وقد كتب ترجنيف قبل هذه الرواية روايته المسماة « قبيل المعركة » وتدور احداثها في الفترة التى انتهت في روسيا بحرب القرم وعهد القيصر الاصيد الجبار « نقولا الاول » الذى حكم روسيا حكما استبداديا لا هوادة فيه ، وكافح النزعات الحرة اشد كفاح ، حتى كاد يسحقها ويقضى عليها •

وروا[illegible] « الآباء والابناء » تصف حركة الافكار الحرة [illegible] [illegible]دة التى بدأت تسود روسيا في الفترة الممتدة [illegible] [illegible]سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٨٧٠ وهي الفترة التى اص[illegible] [illegible] الكتاب الغربيون على تسميتها الستي[illegible] ، وقد حلل فيها ترجنيف هذا الطراز [illegible]يد من الشخصيات التى بدأت تظهر حينذاك على المسرح الاجتماعي والسياسي في روسيا ، وهو الطراز الذى عرف فيما بعد باسم « العدميين » او النهلست Nihilist . وكان ترجنيف في مقدمة من لمحوا ظهور هذا الطراز العجيب الذى قدر له ان يلعب في تاريخ روسيا دورا يلفت النظر ، ويثير التفكير •

مناسبة تأليف الرواية

وقد ذكر ترجنيف المناسبة التى كشف فيها ظهور هذا الطراز ، وان روايته للمناسبة التى لقيه فيها لتبيّن لنا ناحية من طريقة هذا الروائي الكبير في تصويره الفني للشخصيات ، ونظرا لاهميتها انقلها للقراء •

فهو يقول : « في شهر اغسطس سنة ١٨٦٠ حينما كنت في «فنتنر» Ventnar بجزيرة «وايت» للاستحمام – خطرت بفكرى اول خاطرة عن رواية « الآباء والابناء » ، وهذه هي الرواية التى بسببها فقدت حسن رأى الجيل الناشيء ، في مؤلفاتي ، وقد سمعت مرات كثيرة ، وقرات في الجرائد الموقوفة على النقد ، انني في هذه الرواية تناولت فكرة من افكارى الخاصة ، وعلى – من ناحيتي – ان اعترف بانني لم احاول قط خلق طراز من الشخصيات الا بعد ان اراه ممثلا في شخص حي ، قد انسجمت فيه العناصر المختلفة ، لا بوصفه فكرة ، وقد كنت دائما في حاجة الى اساس ابني عليه،وكانهذا شاني في رواية «الآباء والابناء» •

وقد كان اساس صورة « بازاروف » الرئيسية في الرواية شخصية طبيب شاب في الريف ، مات قبل سنة ١٨٦٠ بقليل ، ففي هذا الرجل الجدير بالملاحظة تجسم – في رايى – العنصر الذى كان قد اخذ في الظهور ، والذى كان ما يزال غامضا مختلطا ، والذى اطلق عليه بعد ذلك اسم « النهلزم Nihilism » وقد ترك هذا الفرد في نفسي اثرا قويا ، ولم استطع في باديء الامر ان احدد لنفسي معالم شخصيته ، ولكنني اجهدت عيني واذني ، وراقبت كل شيء حوله ، وحرصت على الا اثق الا باحاسيسي ، والذى حير لبى هو انني لم اصادف فكرة واحدة ، او اشارة ، عما بدا لي

انه قد بدأ يظهر في كل ناحية ، ولذلك تسرب الشك الى نفسي •

وقد ظهرت رواية « الآباء والابناء » سنة ١٩٦٢ واثارت حين ظهورها عاصفة عنيفة من الجدل ، وكان هذا الجدل عميقا طويل الامد ، حتى اصبح من الحوادث الهامة في التاريخ الادبي ، وندر ان استرعى اي فنان انظار قومه الى الافكار الجديدة التي اخذت في الظهور ، بمثل هذه البراعة الفنية التي اظهرها « ترجنيف » في هذه الرواية ، وهي ترينا من ناحية اخرى كيف تحول الاهوال السياسية، والنزعات الحزبيه بين الجمهور وبين تذوقه للطرائف الفنية الممتازة •

الصراع بين القديم والجديد في روسيا عند تاليف الرواية

وقد كان الصراع بين القديم والحديث في روسيا ـ حين ظهور هذه الرواية ـ قد بلغ حدود الشدة والتوتر ، فقد اعقب وفاة القيصر نقولا الاول سنه ١٨٥٥ ارتقاء ابنه القيصر اسكندر الثاني عرش القياصرة ولم تتملك القيصر الجديد النزعة الاستبدادية الصارمة التي طغت على نفس ابيه •

وقد عرفت السنوات المبكرة في حكمه ، والتالية لحرب القرم ، بانها عهد الاصلاحات العظيمة ، وكانت اولى خطوات هذا الاصلاح تحرير المزارعين من رق العبودية ، وقد اعلن هذا التحرير في ١٩ فبراير سنة ١٨٦١ ، ونزعت من السادة ملاك الارض السلطة الاقتصادية والسلطة الادارية ، ولم تمنح هؤلاء الملاك تعويضا عن تحرير عبيدهم المزارعين ، وقد تبع حركة التحرير نقلملكية الارض التي كانت في حوزة المزارعين ، وكانوا يعملون بها تحت اشراف السادة النبلاء، وكان على الحكومة ان تقوم بدفع التعويضات للاشراف ، ولكن المزارعين كان عليهم ان يؤدوا ثمن الارض للخزينة ، مقسما على اقساط ، والواقع ان الارض التي نقلت ملكيتها الى المزارعين كانت ـ الى حد كبير ـ اقل مما كانوا يحوزون قبل التحرير ، فالغابات والمراعي لم تنقل ملكيتها اليهم في اكثر انحاء روسيا ، ولذلك لم يسو هذا التوزيع الجديد مشكلة نظام الطبقات الذي وطده في روسيا حكم الملكة « كاترين » وحكم القيصر « الاسكندر الاول » والقيصر « نقولا الاول » •

وكان الناس في روسيا يترقبون الخطوات التالية لتحرير المزارعين •

ومن ناحية اخرى اخذ الرجعيون يجمعون جموعهم ويزعمون ان الاصلاحات الجديدة ستؤدي الى الخراب الاقتصادي ، وبدء النهاية ، واخذ الخلاف بين التقدميين والرجعيين يقوى ويشتد ، فلما ظهرت رواية « الآباء والابناء » اتخذ الرجعيون شخصية « بازاروف » الناقمة الساخطة الثائرة على اداب المجتمع واحواله دليلا على خطر الافكار الثورية المختلجة في نفوس الشبان ، والغالبة على الجيل الناشيء الجديد ، واخذوا يقدمون التهنئات لترجنيف الكاتب الذي عرف من قبل بمناصرة الفكر الحر ، لانه كان امينا في هتك الستار عن هؤلاء العدميين ، ويقول ترجنيف متحدثا عن تجربته في هذا الموضوع : « لا أتبسط في الحديث عن التاثير الذي احدثته هذه الرواية ، واكتفي بان اقول ان الالسنة في كل مكان تلقفت كلمة « النهلست » ، وفي يوم حريق مخازن ابراكيشينسكي كان اول ما قوبلت به ـ حين وصولي الى بطرسبرج ـ قول بعضهم لي « انظر ما فعله هؤلاء العدميون » وشعرت بفتور يقرب من الغضب من قوم كانوا قريبين من نفسي وعاطفين علي ، وتلقيت تهنئات حارة وما يقارب العناق من قوم من المعسكر الآخر معسكر الاعداء ، وقد ادهشني هذا ، وحير عقلي ، وحز في نفسي ، فقد كنت اعرف جيدا انني صورت بامانة الطراز الذي اخترته ، ولم اصوره بغير تحامل عليه فحسب بل صورته بنوع من العطف ، وحينما كان يهاجمني بعض الناس لاني ازريت بالجيل الناشيء ويتوعدونني وهم يضحكون ضحكة ازدراء بانهم سيحرقون صورتي كان فريق آخر ـ على نقيضهم ـ يلومونني ، لانني تملقت الجيل الناشيء ، وتحريت مرضاته ، وكتب احدهم الي يقول : « انك تعفر رأسك في التراب عند قدمي « بازاروف » ، وتدعي انك تبحث عن عيوبه ، في الوقت الذي تلعق فيه التراب عند قدميه » • وقد القي على اسمي ظل ولست اخدع نفسي فاني اعلم ان هذا الظل باق •

السخط على الرواية من الجيلين القديم والجديد

وهكذا سقط ترجنيف الفنان المخلص الصادق بين شقي الرحى ، فالابناء اغضبهم انه ... الآباء

في ... شخصية بازاروف ، وتحاملهم عليه ، وابوا الا ان يروا في بازاروف صورة مشوهة لهم، ورفضوا ان يكون بازاروف الذى صوره ترجنيف منهم ، وادعوا انه لا يمثل نزعاتهم ، ولا يحاكى ...راءهم ، وان ترجنيف قد اخطا في رسم شخصيته، واعتقد الآباء انه قد حابى بازاروف ، وزخرف عيوبه ، وجعله الشخصية الرفيعة في الرواية .

ويرينا ذلك ان كل جيل من الاجيال لا يحسن ... نفسه، ولا يطيق انيرى صورته على حقيقتها، ومن تم هذا الهجوم على الفنان الامين فى تصويره وهو هجوم من المعسكرين ، معسكر الشباب ومعسكر الشيوخ .

الجيل الجديد ونزعته العلمية

فمن هو هذا « البازاروف » الذى آثار وصف شخصيته كل هذه الضجة التى اضرت بمكانة ترجنيف فى نفوس الشباب والشيوخ من قرائه في روسيا ؟

تتفق آراء الكثيرين على ان بازاروف يمثل روح ... الذى لا يلين ولا يرحم ، والتحليل المجتاح ، والرغبة المطلقة في الهدم ، ولكن ربما كان الاصح من ذلك انه يمثل بواعث معظم الثورات الحديثة، وفى مقدمة هذه البواعث الرغبة فى تطبيق الاساليب العلمية على السياسة واحوال المجتمع ، وقد كانت ... التى تعترض هذا فى روسيا هي الخرافات ... على العقول ، والتعلق الشديد بالماضى ، ومن اجل ذلك كان الهدم والتدمير اول واجبات ... عند هذا الجيل الذى كان يمثله بازاروف، والواقع ان هؤلاء الشبان كانوا يبحثون عن الحقيقة، ولكنهم كانوا يبحثون عنها فى ظلال النزعة المادية ... التى رانت على النفوس فى الستينات ، ... ذلك ينكرون قيمة الفن والادب ، ولا ... بشيء غير العلم والتجربة .

وهذه النزعة العلمية التى تلونت بلون المادية ... في عهد بازاروف اخذت بعد ذلك صورا ... لكن مهما يكن من امر تلك الصور فان ... بازاروف كان فاصلا بين عهدين : العهد ... الماضى القائم على المعتقدات والغيبيات ، والعهد الجديد القائم على الافكار العلمية ، ومن

ثم تابى بازاروف على الخضوع للعادات والتقاليد، واستخفافه باواصر الحب وقيود الواجبات التى تعترض فى رايه تقدم الرجال الاقوياء ، فهو يمثل العقل الذى يصارع الطبيعة ، ليعرف اسرارها وقوانينها الخفية ، العقل الموكل بالبحث الحر عن الحقائق ، لا العقل الذى يجرى وراء الصور والظواهر ، او الذى يريد ان يقرر ما يجب ان يكون ، ولذلك يكره الفن ، ويمقت الشعر ، لانهما يغريان بالخضوع للطبيعة ، ويزيد من فتنتها وسحرها ، ولكن ما وراء هذا الذى يبدو من فساد ذوق بازاروف وغلظته وفحته وغروره هو النزعة الانسانية الناهضة من اغلال التقاليد ، والتى تحاول توطيد مكانة الانسان فى الارض ، وتذود عنه المحن والعوادى ، ومعظم الثائرين المحدثين الذين ظهروا فى القرن التاسع عشر كانوا انواعا مختلفة من هذا « البازاروف » الذى صوره ترجنيف ، فبيرون وباكونين وكارل ماركس وامثالهم جميعهم من انداده ونظرائه .

حركة النهلست او العدميين

وخطة رواية « الآباء والابناء » لا التواء فيها ولا تعقيد ، مثل اكثر روايات ترجنيف ، فالشابان « بازاروف » و « واركاى » يطلبان العلم معا ، ويتفقان على ان يقضيا جانبا من عطلتهما المدرسية عند والد ثانيهما ، وجانبا آخر عند والد الاول ، يظهر حينذاك الفرق بين الجيل القديم والجيل الجديد .

ويحب بازاروف - بطل الرواية - مدام اودينستون ، ولكنه كان مع ذلك فظا فى معاملة المرأة التى احبها ، كما كان غليظا فى معاملة والديه ، ويقضى بازاروف نحبه من جراء جرح اصاب اصبعه ، ويذهب الى الابدية مجهول الشان، لا يحزن لفقده سوى والديه اللذين لم يفهما شيئا من امره ، وقد وصفه ترجنيف بانه من النهلست فى هذه المحاورة التى ادارها على لسان بعض شخصيات روايته ، وكان ترجنيف اسبق الكتاب الى استعمال هذه الكلمة ، وقد شاعت بعد ذلك ، وتداولتها الالسنة ، وكتبت الفصول والفت الكتب ، وهذه هى المحاورة :

« سال بول بتروفتش - عم اركادى الذى هو صديق بازاروف - سال ابن اخيه اركادى قائلا :

« حسن يا اركادى ، اين صديقك الجديد ؟ » •

فاجاب اركادى : « في الخارج في بعض الامكنة، ويندر ان يفوته القيام بجولته في الصباح . ولكن الشيء الهام هو الا تحفل بامره ، لانه يكره كل انواع الاحترام والتبجيل » •

فقال بول بتروفتش : « لقد ادركت ذلك ، هل يمكث هنا طويلا ؟ » •

فاجاب اركادى : « سيبقى هنا ما شاء البقاء ، وسيذهب من هنا الى المكان الذى يقيم فيه والده » •

ـ واين يقيم والده ؟

ـ على مسيرة مائة وعشرين ميلا من هنا ، في نفس مقاطعتنا ، واعتقد ان له ملكا قليلا ، وكان من قبل طبيبا في الجيش •

ـ منذ الليلة الماضية وانا اسائل نفسي اين سمعت هذا الاسم من قبل ، اتذكر يا نقولا (موجها الحديث الى اخيه والد اركادى) انه كان هناك طبيب بهذا الاسم في فرقة والدنا ؟

ـ نعم اذكر ذلك •

ـ اذن هذا الطبيب والد هذا الشاب •

ولوى بول بتروفتس شاربه ، وقال سائلا اركادى : « قل لي على وجه التحديد ، ماذا يكون هذا البازاروف صاحبك ؟ » •

فاجاب اركادى : « انه نهلست » •

فاستفهم نقولا بتروفتش قائلا : « ماذا ؟ » •

فاعاد اركادى قوله : « نهلست » •

فاستفسر نقولا بتروفتش قائلا : « انى اتصور ان هذا الاصطلاح مشتق من الكلمة اللاتينية نيهيل Nihil او « لا شيء » وهى حسب ما اظن معناها انه رجل يرفض ان يقبل اى شيء » •

فاسرع بول بتروفتش قائلا : « او رجل يرفض ان يحترم اى شيء » •

فقال اركادى مصححا : « كلا ، انما تدل هذه الكلمة على رجل يتناول الاشياء من وجهة النظر الانتقادية » •

فاستفسر بول بتروفتش قائلا : « اظنهما شيئا واحدا . اليس الامر كذلك ؟ » •

ـ كلا ، ان النهلست هو الرجل الذى يرفض ان ينحنى للسلطة ، او ان يقبل اى مبدأ دون مراجعة واختيار ، مهما تكن الثقة بهذا المبدأ

فساله بتروفتش قائلا : « والى اين يمضي بنا هذا ؟ » •

ـ يتوقف ذلك على الفرد . فبعض الناس قد يؤدى بهم هذا الى الخير . وبعضهم قد يدفعه الى الشر •

ـ ولكننا نحن ـ الاكبر سنا ـ ننظر الى المسالة من ناحية مختلفة ، وامثالنا من اهل الجيل السابق يعتمدون انه من غير الممكن ان نتقدم خطوة في الحياة واحدة بدون مبادىء ، ولكنكم غيرتم هذا كله. وارجو الله ان يهبكم الصحة ، ورتبة القائد . يا حضرات النهل •• كيف تنطقون الكلمة ؟

فقال اركادى بوضوح : « النهلستيين » •

ـ تماما هكذا. لقد كان من قبل عندنا الهيجليون. والآن تحولوا الى نهلستيين . فالله يمنحكم الصحة ورتبة القائد . وسنرى كيف تعيشون في فراغ مطلق ، وخواء لا هواء فيه ، ارجو يا اخى نقولا ان تدق الجرس فقد حان ميعاد تناول الكاكاو •

وبينما كانوا يتناولون الكاكاو ، اقبل بازاروف فرفع بول بتروفتش رأسه فجاة . وتمتم قائلا : « السيد النهلستى سيمتعنا بصحبته » •

واقترب منهم بازاروف بخطواته السريعة وهو يقول : « عموا صباحا ، يا سادة ، معذرة لتأخرى. ساعود اليكم في التو واللحظة بعد ان اضع صيدى في وعاء » •

فاستفسر بول بتروفتش قائلا : «ما هذا الصيد؟ ديدان ؟ » •

ـ لا ، بل ضفادع •

ـ اتاكلها او تربيها وتستولدها ؟

فكان جواب بازاروف في غير اكتراث « انى اجمعها ، لاجرى عليها التجارب » •

وعلق بول بتروفتش على ذلك قائلا : انه يشرحها . وبلفظ آخر ، انه يؤمن بالضفادع اكثر مما يؤمن بالمبادىء » •

فنظر اركادى الى عمه نظرة منطوية على اللوم والتانيب ، وحتى نقولا بتروفتش هز كتفيه ، فادرك بول بتروفتش ممثل الجيل القديم ان كلمته كانت نابية ، فحول مجرى الحديث •

محاورة اخرى
حول الحركة النهلستية او العدمية

وفى مناقشة اخرى حامية من المناقشات التى كانت تدور بين بول بتروفتش ممثل الجيل القديم وبازاروف ممثل الجيل الجديد ، يقول بول لبازاروف : « اتظن نظريتكم شيئا جديدا ؟ اذا كان الامر كذلك فانكم تضيعون وقتكم سدى ، والمادية التى تبشرون بها مسالة لم تقل فيها بعد الكلمة الفاصلة .وقد اثبتت فى كل مرة افلاسها »•

فقال بازاروف وقد بدا عليه الغضب : « نحن النهلستيين قبل كل شىء لا نبشر بشىء على الاطلاق لان التبشير ليس من عادتنا » •

ـ ماهى عادتكم اذن ؟

ـ عادتنا ان نعلن الحقائق مثل فساد موظفينا ، وقبولهم الرشى ، واننا تنقصنا الطرق الصالحة ، والقضاة العدول ، وما الى ذلك •

ـ وقد صممتم على انكار كل شىء •

ـ صممنا على انكار كل شىء •

ـ وتسمون هذا النهلزم ؟

ـ هكذا هكذا ، فالمقصود بالنهلزم مكافحة عللنا وعيوبنا ، وانتم وحدكم الذين ستتولون انقاذنا ، وتقومون بدور البطولة • حسن وطيب ، ولكن فى ماذا ترون انفسكم متفوقين علينا ؟ انكم تكثرون من الكلام مثل غيركم •

فتمتم بازاروف قائلا : « على الاقل ليس هذا من عيوبنا ، مهما تكن عيوبنا الاخرى » •

وتدخل اركادى فى الحديث قائلا : « اننا نهدم لاننا قوة » •

فحملق عمه بول ثم ابتسم ، واسترسل اركادى يقول : « قوة ليست فى حاجة الى ان تقدم الحساب لاحد » •

فلم يستطع بول بتروفتش ان يكتم غضبه ويملك لسانه وانفجر قائلا « افكرتم فيما تؤيدونه بهذه العقيدة التعسة ؟ ان همج المغول يمثلون قوة ، وماذا تجدى هذه القوة ؟ اننا لا نقدر سوى الحضارة وثمراتها » •

وهكذا تتخلل امثال هذه المناقشات العنيفة فصول الرواية ، وتكشف لنا عن اختلاف وجهتى نظر الجيلين : جيل الآباء ، وجيل الابناء ، بل ترينا تصادم عالمين من عوالم الآراء والنزعات والاتجاهات ، وقد اجاد فيها ترجنيف ايما اجادة فى تصدير هذا الصراع الابدى الدائم بين عالم الشيوخ وعالم الشباب ، او عالم الجيل السابق والجيل اللاحق ، وكان امينا فى تصويره وعادلا نزيها ، وتوفر هذه الاسباب جعل رواية « الآباء والابناء » فى مستوى الطرف الفنية الخالدة •

■■

على ادهم

لك لا عليك

● قيل ان اعرابيا حضر مجلس سليمان بن عبد الملك ، فقال ياامير المؤمنين : انى مكلمك بكلام فيه بعض الغلظة ، فاحتمله ان كرهته ، فان وراءه ما تحبه ان قبلته • قال « هات يا اعرابى » • فقال : يـاامير المؤمنين انى سأطلق لسانى بما خرست عنه الالسن من عظتك تأدية لحق الله وحق امامتك ، انه قد اكتنفك رجال اساءوا الاختيار لانفسهم ، فابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم • خافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك •• فهم حرب للآخرة سلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، وانت مسئول عما اجترحوا ، وليسوا مسئولين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره •
فقال سليمان : اما انت يا اعرابى ، فقد سللت لسانك • وهو اقطع سيفيك • فقال: اجل لك لا عليك •

سوانح لكل سانحة أقصوصة

فى مجال الشعر وتأثيره

بقلم : عبد الستار أحمد فراج

■ مما ينسب الى ابى المنهال الاكبر ، كما ينسب الى حسان بن ثابت او لغيرهما هذه الابيات :

وانما الشعر لب المرء يعرضه
على المجالس ان كيسا وان حمقا
وإن أشعر بيت أنت قائله
بيت يقال إذا انشدته صدقا
البس جديدك إنى لابس خلقى
ولا جديد لمن لا يلبس الخلقا

والذى يعنينا هو ان الشعر نتاج القرائح ودور الافئدة • تسرع النفوس الى حفظه اذا كان حلو اللفظ ، عذب النغم ، وفى هذا للالسنة تقويم وللكتابة مدد فياض • وللمثقفين اسمار وحسن أحاديث • ولئن كانت العناية اليوم بالحفظ والروايه قليلة، فانها من قبل كانت بالغة الاهمية حتى صار للشعر شان فى التوجيه والتصرف • يدفع الى طريق ، اويصد عن سبيل ، ويقطع علاقات او يصل ماانحلت عراه فيوثقه ويقويه •

وفيما نورده من ذلك اكبر دليل :

حبابة ويزيد

اشتهرت حبابة بجمالها وحسن غنائها ، فاولع بها يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وملكها بعد ان صار خليفة ، فازداد بها هياما ووجدا حتى شغلته عن لقاء الناس • فدخل عليه أخوه مسلمة بن عبد الملك وقال له : يا أمير المؤمنين ، انك قد وليت الخلافه بعد عمر بن عبد العزيز وعدله • وقد تشاغلت بهذه الجارية عن النظر فى الامور • والوفود ببابك ، واصحاب الظلامات يصيحون وانت غافل عنهم •

وما زال به ينصحه حتى قال يزيد : صدقت • وأرجو أن لا تعاتبنى على هذا بعد اليوم •

وانقطع يزيد عن حبابة أياما • وشغلها ذلك وأحبت أن تستعيده اليها ، فارسلت الى الاحوص الشاعر ، وطلبت منه أن يقول أبياتا [illegible] الى اللهو والصبا • وشرحت له الحال ، فنظم لها [illegible] أرادت ، فلما جاءتها الابيات وجهت بها [illegible] المغنى المشهور « معبد » ، فلحنها لها ، ثم أقبلت عليه حتى أتقنت ايقاعها ، فلما تم لها ذلك [illegible] الى يزيد بن عبد الملك ترجوه ان ياذن لها [illegible] يحضر لها مجلسا واحدا ، ثم ينصرف الى [illegible] شأنه • فجاءها ، وقد هيات له المكان على أحسن [illegible] نظام • ثم بدات تغنى بابيات الاحوص وهى :

لأعلم أنى لست في الحب أوحدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا ما تلذ وتشتهي ...
وان لام فيه ذو الشنان وفندا

فلما سمع يزيد ذلك قال : صدقت والله ، فعلى مسلمة لعنة الله • وعاود ما كان فيه • ثم قال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : يقوله الاحوص • فقال : على به • فاتى به • فانشده الابيات . فامر له بجائزة قدرها ألف دينار •

ومما يذكر هنا أن (حبابة) يخطىء كثير من الناس في في نطقها . فيشددون الباء الاولى من اسمها . في حين أن الباء الاولى مفتوحة غير مشددة . ومن ذلك قول يزيد بن عبد الملك فيها :

أبلغ حبابة أسقى ربعها المطر
ما للفؤاد سوي ذكراكم وطر
إن سار صحبي ولم أملك تذكركم
أو عرسوا فهموم النفس والسهر

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا
وقد غلب المحزون أن يتجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني
ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
وإني وان فندت في طلب الصبا

هارون ومارده

ومن قبيل هذا النوع من الدعوة الى المواصلة مما كان الشعر سببا فيها بعد التهاجر ، ما روى من أن هارون الرشيد هجر مارده أم ابنه المعتصم الذى صار بعد ذلك خليفة — لكنه كاد يموت من عشقها • منعه تكبر أن يبداها بالصلح ، وتكبرت هى أيضا أن تسترضاه ، وهو الذى بداها بالهجران • فمكثا بعد ذلك مما يكابدان ما بهما من وجد وعشق ، وكاد [illegible] يتلف • وعرف ذلك وزيره الفضل [illegible] • فاحضر العباس بن الاحنف الشاعر [illegible] وعرفه القصة وقال له : قل في ذلك [illegible] :

العاشقان كلاهما متجنب
وكلاهما متعتب متغضب
صدت مهاجرة وصد مهاجرا
وكلاهما مما يعالج متعب
إن التجانب إن تطاول منهما
دب السلو له فعز المطلب

فبعث الفضل بن الربيع بالابيات الى الخليفة الرشيد . فسر بها سرورا كبيرا • ولم يستتم الرشيد قراءتها حتى قال العباس بن الاحنف أيضا بيتين فى ذلك وهما :

لا بـــد للعـــاشق من وقفــــة
تكون بين الوَصْـــل والصــرْمِ
حتى إذا الهجر تمادَى بـــــه
راجَعَ مَن يهوى على الرَّغْـــم

فاستحسن الرشيد اصابة ما قاله الشاعر فى حالهما ، وقال : والله لاصالحنها كما قال ٠

وعرفت ماردة السبب فى أنه الشعر ، ولم تدر من قالــه ٠ فسالت الرشيد فقــال : لا أدرى من صاحب الشعر ، ولكن الفضل بن الربيع بعث به ٠ فارسلت الى الفضل تساله ٠ فاعلمها ٠ فامرت للعباس بن الاحنف بجائـزة ، وأمر له الرشيـد بضعفها ٠

عبد الملك وعاتكة

اراد عبد الملك بن مـروان الخـروج لمحاربـة مصعب بن الزبيـر ، وكان مصعب قـد غلب على العراق ، وصار واليا عليه من طرف أخيه عبدالله الذى أعلن نفسه خليفة على الحجاز ٠ وأشفقت عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن يذهب زوجهـا عبد الملك بن مروان الى الحـرب ، وقالت له : يا أمير المؤمنين ، لا تخرج لحرب مصعب ، وابعث اليه الجيوش ، فلما رأت تصميمه على الخروج بكت وبكت جواريها معها ، والجوارى يقال لهـن القطين ٠ فقال عبد الملك : قاتل الله كثير عزة ، كانه كان يرى ما نحن فيه حين يقول :

إذا ما أراد الغزو لم تَثْـن همَّــه
حَصَانٌ عليها عِقْدُ دُرٍّ يَزِينهَا
نَهتْهُ فلما لم تر النهــى عاقــه
بكتْ فبكى مما شَجاها قَطِينـها

وتوجه عبد الملك للقاء مصعب ، فهزمه ، بعد أن افسد عليه وجـوه قادتـه بمـا كتب اليهم من الوعود بالولايات والاموال ٠

حفيد ابن طاهر وجاريته

وموقف السفر فى غابر الزمان كان له تاثيـر شديد ، وبخاصة حين يفترق العاشقون ، ما ذلك الا لبعد المسافات ، ومخاطر الطريق ٠ ولئن كان عبد الملك بن مروان قد راى امراته تبكى عنـد سفره هى وجواريها ، فذلـك اشفاق من مخاطـر الحروب ٠

أما محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقد عزم على السفر للحج ، فخرجت اليه جارية شاعرة ، فبكت لما رأت عدة السفر ٠ فقال محمد بن عبد الله بن طاهر :

دمعةٌ كاللؤلؤ الرطـــــــ
ــــب علـى الخـد الأسيـــلِ
هطلتْ في ســاعة البـــــ
ــــين من الطَّرْف الكحيـــل

ثم قال لها : أجيزى ، فقال :

حين هــم القمــر البـــــا
هـــر عنـــا بالأُفــــولِ
إنما يفتضـــح العشّـــا
ق في وقــت الرحيــــلِ

وأخضعُ بالعُتْبى إذا كنت مذنباً
وانْ أذنبتْ كنت الذى أتنصّلُ

قالت : نعم ، واغنى احسن منه :

فإن تقبلوا بالوُدِّ نقبلْ بمثله
وننزلكمْ منا بأقرب منزل

قال أبو الفرج الاصفهاني عن رواته : فتقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين .

عنان وابن ابى حفصة

والاجازة في الشعر ان يكمل الآخر ما بداه الاول على وزنه وقافيته . ويكون متمما للمعنى ، من ذلك أن مروان بن أبى حفصة دخل بيت الناطفي الذى كان يملك عنان الشاعرة الظريفه ، وكان الناطفي قد ضربها فقال مروان :

بكتْ عنانُ فجرَى دمعها
كالدُّرِّ إذ ينسلُّ من خيْطه

فقالت وما زالت العبرة تشجبها :

فليت من يضربها ظالما
تجفّ يمناه على سوطه

عنان وبكر بن حماد

ومن ذلك ان بكر بن حماد الباهلى قال : وجدت بيتا على كتاب . فلم أجد من يجيزه ، فاتيت به عنان ، فانشدتها اياه ، وهو :

وما زال يشكو الحب حتى رأيته
تنفّس من أحشائه أو تكلّما

فما لبثت ان قالت :

ويبكي فابكي رحمة لبكائه
اذا ما بكي دمعا بكيت له دمّا

بصبص ومحبها

وحفظ الشعر الرقيق ، والذى يومي الى حالات
دعه ، او يثير كوامن النفس . كان مما يهتم به
رو لادب وارباب الفنون ، من مغنين ومغنيات ،
امرعاشقين وعاشقات.ويروى أبو الفرج الاصفهانى
ل ترجمته للمغنية المشهورة باسم بصبص جارية
ن النفيس ان محمد بن عيسى الجعفرى عشقها ،
لهد بها ، وطال ذلك عليه ، فقال لصديق له :
قد شغلتنى هذه عن كل أمرى ، وقد وجدت بعض
سلو عنها. فاذهب بنا اليها حتى أكاشفها بذلك،
فسرح ، فاتياها ، فلما غنت لهما قال لها محمد
بن عيسى : أتغنين :

ا ذنب حكمْ وسلوتْ عنكم
عليكم في ديارِكم السلامُ

قالت : ، ولكنى اغنى :

تحمّل ...ها عنها فبانوا
على آ... ار من ذَهب العفاء

فاستحيا ... داد بها كلفا ، ولها عشقا . فاطرق
برهة ، ثم ... : اتغنين :

أمرأة ورجل

بل لقد بلغ من دقة الحس وسرعة الخاطر أن يكفي التلميح ، وتغني الاشارة عن المراد . ولعل في سياق القصة الآتية ـ ان صحت ـ ما يدل على التمكن من استحضار ما يومىء اليه أحدهم، فيعقب الآخر بما يكون فيه الجواب . ويطن السامع انهما ياتيان بالاحاجي والالغاز .

يروى ابن الجوزي في كتابه « الاذكياء » ان رجلا خرج على سبيل الفرجة ، فقعد على الجسر ، فاقبلت امرأة من جانب الرصافة ، متوجهة الى الجانب الغربي ، فاستقبلها شاب ، فقال لها : رحم الله علي بن الجهم . فقالت المرأة في الحال: رحم الله أبا العلاء المعري .

وما وقفا بل مرّ كل منهما في طريقه شرقا وغربا .

واندفع الرجل الذي كان قاعدا على الجسر متابعا المرأة .. وقال لها : ان لم تقولي معنى ما قلتما فضحتك ، وتعلقت بك . فقالت : قال لي الشاب : رحم الله علي بن الجهم ، أراد به قوله :

عيون المَها بين الرصافة والجسْر
جلبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت أنا بترحمي على أبي العلاء المعري قوله :

فيا دارها بالحزن إن مزارَها
قريب ، ولكن دون ذلك أهوالُ

المنصور والراوي

ولئن كان الساعون الى مجالس الحاكمين يعدون أنفسهم لمثل هذه المجالس ، بما يقربهم ويحببهم ، عن طريق التأدب واستحضار الرائق البديع من أفانين القول، فان الحاكمين أنفسهم كانوا يحرصون على أن يتجملوا بالآداب ، فيحفظوا من الطرائف والقصائد ما يجعلهم قادرين على تجاذب أطراف الحديث مع زائريهم وقاصديهم الذين يغلب عليهم الفهم والعلم .

ويحكى أن أبا جعفر المنصور كان وعد أحد الرواة بجائزة ، ثم لم تصل الجائزة الى الراوي ، ونسي المنصور أمرها، ومرة أراد أن يطوف بالمدينة ليرى بعض اثارها ومعالمها ، وأحب أن يصحبه من يعرف ذلك ، فقال له الراوي انني خبير بكل ما فيها يا أمير المؤمنين . وطاف معه ، وجعل يجيب على كل ما يسأله عنه المنصور من معالم وآثار . وفجأة أشار الراوي الى مكان ، وقال : وهذا يا أمير المؤمنين بيت عاتكة الذي يقول فيه الاحوص

يابيت عاتكةَ الذي أتعزَّلُ
حذرَ العدا وبه الفؤادُ موكَّلُ

ـ أتعزل يعني أتجنب ـ ولحظ المنصور انه قال ذلك دون سؤال سابق،فلما عاد الى منزله استعرض في ذهنه قصيدة الاحوص . فلما أوشك على آخرها وجد فيها هذا البيت :

وأراك تفعل ما تقولُ وبعضهم
مَذِقُ الحديث يقول مالا يفعل

حينئذ تذكر انه كان قد وعد الراوي بجائزة فاستعلم : هل وصلته : فلما علم أنها لم تصله أمر بانفاذها اليه في ساعته .

أبو العلاء وأحد الرؤساء

ويذكر أن ابا العلاء المعري كان في مجلس أحد الرؤساء الذين لم يكونوا ميالين الى ابي الطيب المتنبي، ودار في المجلس ذم له ، فقال أبو العلاء لو لم يكن للمتنبي من شعر الا قصيدته التي مطلعها

لك يا منازل في القلوب منازل .

لكفاه ذلك منزلة . وتواثبت أبيات القصيدة في ذهن الرئيس صاحب المجلس . وعلى الفور قال : أخرجوا هذا الاعمى من مجلسي . فلما أخرج قال لمن حوله : أتدرون ما الذي أراده ابو العلاء ؟ قالوا : لا ندري . قال انه يشير الى بيت في القصيدة هو الذي طردته من مجلسي لاجله ، وهو

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

فعجب الحاضرون من ذكاء كل منهما ■■

عبد الستار احمد فراج

ديلاكروا الفنان الثائر المحافظ

■ اوجين ديلاكروا Eugène Delacroix فنان فرنسي شهير ولد في ١٦ ابريل سنة ١٧٩٨ وامتدت حياته الى سنة ١٨٦٣، وهي فترة تعتبر مفترق طرق لتيارات سياسية ، ومذاهب فنية عديدة ، واكتشافات علمية كان لها تاثير كبير في مسار الانسانية .. وتاثر الفنان ديلاكروا باحداث عصره وتقلباته .. بل انه كان صورة لهذا العصر ، فكانت التناقضات سمة هذا الفنان الثائر .. المحافظ ! يهفو الى النظام والاستقرار ولكنه في الوقت نفسه مولع بالحرية والانطلاق ، وصفه فكتور هوجو Victor Hugo كاتب فرنسا الشهير بقوله : « لقد ظل ديلاكروا ثوريا في مرسمه ، محافظا في المجتمعات »

كان شغوفا بالثقافة والمعرفة تواقا الى المجد والحرية قديرا على العمل دون كلل .. درس الادب والترجمة والشعر والموسيقى والفلسفة والعلوم كما مارس رياضة ركوب الخيل والقنص واصبح التصوير هو قصة قلبه .. قصة نضاله وكفاحه .. انه العلاقة الابدية بين الفن والحياة ... » وكان التعبير عن نفسه هو قضية حياته وكان مزدوج الشخصية بل كان عدة اشخاص .. وكان مبدعا في التصوير وفي الكتابة والنقد .. فقد درج على كتابة يومياته التي وضع فيها ذوب حياته وخلاصة تجاربه في الفن وآرائه في هؤلاء الرجال العظام الذين تركوا بصماتهم على تاريخ فرنسا الادبي والفني في هذا العصر ، فقد كان معاصرا لفكتور هوجو ، وبلزاك ، وفاجنر ، وموليير، وجورج ساند .. و .. فع من الحماس او ربما لاهداف ذاتية رسم لوحة الحرية تقود الشعب سنة ١٨٣٠)* لكنه كان ضد الثورات الجامحة التي تدمر وتخرب كل شيء في طريقها . كره باريس بضجتها وضجيجها وطبقتها البرجوازية وكان يعشق السفر والتنقل فكان يرى في رحلاته وسيلة يمضي بها حياته بعيدا عما يجري في باريس ويهرب بها من الافكار التي سيطرت عليها .. كان يتمنى زيارة ايطاليا ومصر وسافر الى هولندا وبلجيكا لكنه لم يقض فترة طويلة بعيدا عن بلاده الا عندما سافر الى لندن وبعدها الى المغرب ، وكانت رحلته الاخيرة الى الشمال الافريقي لمدة ستة اشهر .. بداية تحول في حياته الفنية .. فقد اكتشف سر الاضواء والظلال فقد راى شمس الشرق القديمة ، وهذه اللوحة الزيتية معروضة في متحف أوجستين في تولوز بفرنسا وهي تصور الاحتفال الرسمي الذي رآه ديلاكروا في مكناس عندما استقبل الكونت دي مورنيه في مارس سنة ١٨٣٢ وقد استغرقت هذه اللوحة من الرسام الفرنسي المبدع جهدا غير عادي ، فهو قد قام بعمل عدة رسوم تمهيدية بالرصاص وبالالوان المائية قبل ان تاخذ اللوحة شكلها النهائي وعرضها لاول مرة في باريس عام ١٨٤٥ وتمثل هذه الصورة اهتمام ديلاكروا بالاعمال الكلاسيكية، رسم السلطان وهو يمتطي صهوة جواده كما لو كان تمثالا مهيبا يتسم بالجلال والعظمة وكانت هذه اللوحة بداية فترة فنية جديدة في حياة هذا الرسام الشهير ولم يمض وقت طويل منذ وطئت قدماه ارض افريقيا الشمالية حتى اولع برسم مثل هذه اللوحة التي تعكس حياة اهل الشرق بسحره وغموضه ورجاله الابطال . ■■

م . ح . ز

---

* شـ... ـي العدد ١٧٤ صفحة ٢ من العربي

مع ...

الله في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

أنا وأنت

في جسمينا غريبان

لا ندرك مما يجرى فيهما شيئا

بقلم الدكتور أحمد زكى

> قال صاحبى : انى أحسن هضما
> قلت لصاحبى : انت ما تحسن هضما
> وانت ما تسىء هضمـــا
> وأنت ما مارست الهضم قط ،
> او تمارسه ابـدا ٠

■ ان صاحبى هذا ، وانا مثله ،وأنت مثله . لم يمارس الهضم ، وما يستطيع ٠انه يستطيع ان ياكل ، وهذه تكاد تكون هى الارادة الوحيدة التى يستطيع ممارستها ، اما ما يأتى بعد ذلك من هضم فى فم ، فمى معدة ، ففى مِعاء دقيق ومعاء غليظ ، وحتى تخرج الفضلات من جوفه ، امـــا ذات صلابة عن طريق المستقيم ، ... ماء ، بول ، عن طريق المثانة ، ... الاجراءات تجرى وهى خارجة عن ... انها تجرى فى باطنه على غير ... وعلى غير علم ٠ واذا سالته عن ... طعامه فى ساعة ما ، من جهاز ... مادرى ، الا ظنا ٠ ان جسمه خرج ...

ونحمد الله انه خرج · فالعمليات التى تجرى ، بعيدا عن وعيه ، يلفها التعقيد والتركيب ، والمواد التى يصنعها الجسم ادوات للهضم تعلو عنفطنة الانسان علوا كبيرا · تعلو عن فهمه · اما ان يكلف بصنعها ، وهى فى تراكيبها الكيماوية المتراكبة ، فأمل يجعل من الأحلام خرافة ·

ونبدأ بالفم

ان صاحبى يبدأ بوضع الطعام فىفمه، ثم لا يلبث ان يرىفكيه يتحركان يمضغان الطعام ·والمضغ عادة كادت تكون غريزة· والطفل يمضغ وهو لا يدرى لم يمضغ · وتحريك الفك ، بل مجرد وضع الطعام فى الفم ومسه جُدرانه ، يجرى اللعاب فى الفم · واللعاب تفرزه غدد ست ، اثنتان تحت اللسان ، واثنتان تحت الفك الأسفل ، واثنتان واحدة قرب الأذن ، الواحدة ·واللعاب يحتوى خمائر هاضمة· لا يعلم الطفل ، وما كان يعلم الرجل من أمرها شيئا ، الا من مدرس فى مدرسة · وما كان له فى هذه الخمائر ولا فى عملها خيار · وهى تعمل وهى خارجة عن وعيه تماما ·

وهو لم يطلب الى الغدد اللعابية ان تعمل · لم يقل لها : هذا هو الطعام ، فابدئى الآن وافرزى · ان الجسم يرفض تدخل الانسان ، لو انه اراد ان يتدخل ، وانه استطاع ·

ان الذى طلب الى الغدد اللعابية ان تعمل انما هى الأعصاب المنتشرة فىالفم· مسَّ الطعامُ هذه الأعصاب فقامت بواجبها فاخبرت الغدد اللعابية ان الوقت حان للعمل فقامت تعمل على الفور · وهذه الأعصاب هى بعض ذلك الجهاز العصبى المتصل بالأحشاء ، وهو غير ارادى ، يعمل بعيدا عن ارادة الانسان ·

مواصلات لا بد منها

انها مواصلات لا بد منها تنقل الأخبار ، اخبار الأحداث الجارية فى الجسم ، من مكان الى مكان ، وتبلغ عن الاجراءات الجارية فيه ، والى اى حد هى بلغت ،حتى تبدأ عملية جديدة بعد عملية انتهت ، حتى تتم عمليات الحياة جميعا ·

وهذه المواصلات ، وسبق ان ذكرنا ذلك ، لها سبيلان ، سبيل الأعصاب ، وسبيل الهرمونات ·

اما الأعصاب فهى تبلغ بالحدث الواقع اشبه شىء بعمل التلغرافات والتلفونات ، واما الهرمونات فهى تبلغ بالحدث الواقع ، بدأ أو انتهى ، اشبه شىء بعمل الرسول تبعثه الادارة برسالة الى ادارة اخرى · ان الهرمون وهو الرسالة ، مادة كيماوية ، تصنعها غدد فى الجسم ، فتجرى فى الدم كله ، حتى اذا وصلت الى العضو المعنى بها ، قرأها ، واستجاب على التو بالعمل المطلوب منه فيها ·

سبيلان : عصبى وهرمونى ·

وهذه المواصلة الموجودة فىالفممواصلة عصبية لا هرمون فيها ·

ومن الفم الى المعدة

ويدخل الطعام من الفم الى المعدة عن طريق المرىء ·

وفى المعدة تستقبله العصارة الهضمية· ويتحكم فى افرازها ، ومقدار ما تفرز عاملان : الأعصاب التابعة للنظام العصبى المختص بالأحشاء ، ولا يتحكم [illegible] وعى الانسان · والعامل الآخر : [illegible]ونى ولا يتحكم فيه وعى الانسان [illegible]ك ولا يدركه ·

افراز العصارة الهاضمة : [illegible] عندما يمس الطعام جدران المعدة · [illegible] تبد

الغـــدد اللعـــابيـــة

عدد المعـدة افراز هـذه العصارة بمجرد تفكير الرجل فى الطعام قبل مجيئه ، او رؤية الطعام ، او تذوقه ، او شمه •

ومما يزيد فى العصارة المعدية ، وقد دخل الطعام المعدة ، ما تصنعه خلايا المعدة ، قرب منطقة البواب بهـا (البواب مخرج الطعام من المعدة) ، من هرمون يعرف باسم ... او جسترين Gastrin •وهو كسائر الهرمونات يدور مع الدورة الدموية فى ... ، فاذا وصل فى هذه الدورة الى ... المعـدة حفز غددهـا التى تفرز العصارة الهضمية الى زيادة افراز •

ويحدث كل هذا ايضا بعيدا عن ارادة الانسان بل وادراكه •

من المعدة الى الاثنى عشرى والمعاء الدقيق

والاثنى عشرى Duodenum هو الجزء الاول من المعاء الدقيق ، وسمى كذلك لان طوله نحو اثنتى عشرة بوصة ، وقطر انبوبه اوسع من قطر انبوب سائر المعاء الدقيق ، فقطر هذا الاخير يبلغ نحو بوصة ، وقطر انبوبه اوسع من قطر انبوب سائر المعاء الدقيق ، فقطر هذا الاخير يبلغ نحو بوصة واحدة •

ودخول الطعام من المعدة الى المعاء بادئة بالاثنى عشرى ، بالذى فى الطعام من مواد دهنيـة ، يسبب افراز هرمـون اسمـه

الغدة
اللعابية
النكفية
الفم
غدة تحت اللسان
المرئ
غدة تحت الفك
البلعوم
الكبد
القعر
الجسم
المعدة
البواب
الحويصلة المرارية
البنكرياس
الاثناعشري
المستعرض
المعاء
النازل
الكبير
الصاعد
المعاء الصغير
الزائدة الدودية
المستقيم

انتيرا جسترون Enterogastrone يدور في الدورة الدموية الى المعدة ويسبب وقف الافراز المعدى فيها اذ قد خرج الطعام منها ·

والمعاء الدقيق له ثلاثة مصادر للمواد الهاضمة والتي تساعد على الهضم فيه ·

(١) البنكرياس ويفرز العصارة البنكرياسية وتصب في الاثنى عشرى ·

(٢) الكبد وتفرز الصفراء وهي تصب في الاثنى عشرى ايضا ·

(٣) غدد جدران المعاء نفسه وتفرز عصارة المعوية فيه ·

المعدة

الاثنا عشرى

البنكرياس

جزر لنجرهانس

البنكرياس وعصارته

اما البنكرياس فيتحكم في عصارته الهاضمة العاملان معا ، العامل العصبي والعامل الهرموني ·

فعندما ينتقل الطعام من المعدة الى المعاء الدقيق، وبه من حموضة عصارة المعدة ، فانه ينشط خلايا بجدران الاثنى عشرى لتفرز هرمونا اسمه سكرتين Secretin يسرى في الدم بالدورة الدموية ، فاذا بلغ البنكرياس قام هذا على الفور بافراز عصارته البنكرياسية التي يصبها في الاثنى عشرى · انها رسالة هرمونية حملها الدم الى البنكرياس تنبئه بها ان الطعام وصل الى المعاء فعنيك بالافراز الواجب ، التي تقتضي خطة الحياة · واول واجب ان يحمل الافراز معه شيئا قلويا يتعادل مع الطعام الوارد من المعدة من حمض، لان المعاء لا تعمل فيها عوامل الهضم في حامضية المفعول · بل لا بد لها شيء من قلوية · واذن نجد البنكرياس ، وفقا للخطة ، قد حمل في عصارته الهاضمة مادة البيكربونات لتتعادل مع الحمض الآتي من المعدة ·

وهذا الهرمون له كذلك اثر في حث الحويصلة الصفراوية على صب الكثير من صفرائها في المعاء الدقيق · كذلك ينشط هذا الهرمون الغدد التي في جدران المعاء لتصب عصارتها المعوية في الامعاء ·

وهرمون آخر كشفوه اسمه بنكروزيمين Pancrozymin يزيد في تنشيط البنكرياس ليجود بعصارته الهاضمة ·

وكذلك وجدوا انه ، مما ينشط افراز البنكرياس دفعات عصبية تصل اليه نتيجة لاستحثاث عصبي تبدأه اطراف الاعصاب بجدران المعدة ·

الكبد وصفراؤها

ثم الى الكبد وما تصنعه من صفراء تساعد في الهضم ، وتساعد المعاء على امتصاص المهضوم من الطعام ·

ان الكبد تفرز الصفراء ، والحويصلة الصفراوية تختزن الصفراء ، وتحتفظ بها حتى تأتي الاشارة باطلاق سراحها لتنصب عن طريق قناتها في الاثنى عشري · اما هذه الاشارة فتأتي عند دخول الطعام ، القادم من المعدة ، الى الاثنى عشري ، وما يليه من المعاء الدقيق ، وبه من الدهون ما به · وما هذه الاشارة سوى هرمون يفرزه المعاء الدقيق فيدور في الدم بالدورة الدموية ، فيصل الى الحويصلة الصفراوية فيجعلها تنقبض فتدفع بصفرائها الى الاثنى عشري ويسهل كذلك مدخله اليه ·

واسم هذا الهرمون كول سيكلوكينين Cholcystokinin · ولا داعي الى ان يحمل القارىء ذاكرته بكل هذه الاسماء ·

ولا ننسى ان الصفراء ، بما بها من قلوية ، تساعد على معادلة حموضة الطعام الوارد من المعدة وتكسبه فوق التعادل قليلا من القلوية ، فالخمائر الهاضمة تعمل في المعاء ذات القلوية القليلة · وقد سبق ذكر هذا ·

وهناك دلائل على اشتراك الاعصاب كذلك في تسهيل نقل الصفراء الى الاثنى العشري ·

افراز غدد جدران المعاء عصارتها المعوية

انها عصارة هاضمة ، وكل العصارات الهاضمة مما ذكرنا ، عدا الصفراء ، تحتوي على الخمائر اللازمة لنوع الطعام المطلوب هضمه · وهذه العصارة المعوية التي نتحدث عنها الآن تفرزها غدد في جدران المعاء الدقيق · والظاهر ان دخول الطعام الى المعاء ، واحساسه به ، يحفز هذه الغدد التي بجدرانه ان تفرز · وهذا الاحساس يدخل ضمن الحوافز العصبية · وهناك ادلة تشير الى وجود عوامل اخرى هرمونية تشترك في تنشيط الغدد لتزيد من افراز هذه العصارة ·

الخلاصة

لسنا بهذا نريد ان نعطي القارىء علما · وانما الذي نريد ان نؤكده اننا نعيش في اجسامنا غرباء عنه ·· هو كالمنزل الذي نسكنه ، بناه غيرنا وسكناه · وفوق ذلك نحن سكناه ولسنا ندري ولا ندرك مما يجري في داخله شيئا · لا في هضم ، ولا دورة دم ، ولا تنفس ، حتى وعندما تنسل الانسال هو لنا وليس لنا · وهو مسكن من اول مرة سيء ، او مسكن طيب ، ولم يكن لنا خيار في سكناه · حتى مظاهره مما تراه الاعين غصبا عنها ، بعض يسوء وبعض يطيب · والوجه جميل او قبيح ، ويحمد الجميل ويذم القبيح ، ويحتمل صاحبه الحمد او الذم في شيء ما اجتناه ·

هذا الخلق عصي عن الفهم ، فلـ[illegible] به عند الوصف ، ولا نقول بعد ذلك [illegible] ·

●●

احمد ز[illegible]

نتيجة مسابقة العدد ١٩٩

الالياذة والأوديسا لهوميروس

المعلومات العامة كانت طابع مسابقة العدد ١٩٩ من العربي ، وقد انحصرت اسئلة المسابقة في علمي التاريخ والجغرافيا وهما من العلوم التي نستقي منها دوما اسئلة مسابقاتنا الشهرية ، وقد استطاع لقراء أن يجيبوا على اسئلة المسابقة اجابات صحيحة كما ان عدد المشتركين بالمسابقة كان في زيادة ملحوظة ٠

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة :

١ ـ الدولة العربية الذي ينفرد علمها باللون الازرق وفي وسطه نجمة بيضاء خماسية هي الصومال ٠

٢ ـ الطبيب العربي الذي تحدثت عنه المستشرقة الالمانية هونكة هو ابو بكر محمد الرازي ٠

٣ ـ الشاعر اليوناني الذي نظم قصة حرب طروادة في قصيدتي الاليـاذة والاوديسا هو هوميروس ٠

٤ ـ شلالات نياجرا تقع باراضي الولايات المتحدة الامريكية وكندا ٠

٥ ـ اسم هذا الخديوي هو اسماعيل ٠

٦ ـ هاتان الدولتان هما : فتنام ولاوس ٠

٧ ـ قارون اسم لبحيرة في مصر ٠

٨ ـ اطلقت الامم المتحدة سنة ١٩٦٨ ناميبيا على هذه المنطقة ٠

٩ ـ البلد الذي يخال لنا من الطائرة على شكل حذاء هو ايطاليا والكرة التي امامه هي جزيرة صقلية ٠

١٠ ـ المدينة التي ستنتفع بافتتاح قناة السويس هي عدن ٠

الفائزون بالمسابقة

الجائزة **الاولى وقيمتها** ٣٠ دينارا فازا بها :**محمد راوح الشيباني** ـ تعز / اليمن الشمالي ٠

الجائزة **الثانية وقيمتها** ٢٠ دينارا فازا بها :**محمد نجيب بن عثمان** ـ صفاقس / تونس

الجا[illegible] **الثالثة وقيمتها** ١٠ دنانير فاز بها :**محمود محمد سعيد** ـ الدوحة / قطر

٨ جو[illegible] : قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ [illegible]مة **محمد بغدادي** ـ صور / لبنان

٢ ـ [illegible]هيم **كداس** ـ حمص / سوريا

٣ ـ **محمد محمود** ـ كوم امبو / مصر

٤ ـ **ابو بكر المبروك** ـ بنغازي / ليبيا

٥ ـ **ملوح الشمري** ـ المفرق / الاردن

٦ ـ **محمد عواد خليل** ـ جدة / السعودية

٧ ـ **اناهيد موسى داود** ـ بغداد / العراق

٨ ـ **خليل اسماعيل محمد حسن** ـ الرميثية / الكويت ٠

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■

المازني

الكاتب المازح الساخر

بقلم : الدكتور
اسماعيل مصطفى الصيفي

هل الشاعر المبدع مصور ؟ وهل غاية الكلمة الشاعرة يقولها كغاية الريشة تحركها انامل الرسام ، ومثل غاية الازميل تحمله يد المثال ؟

او أن هناك حدودا طبيعية فارقة بين شعر وتصوير ، حدودا اذا جازها الشاعر فقد اخفق واذا تخطاها المصور فقد أخطاه التوفيق ؟

هل الشاعر المبدع موسيقي ؟ وهل يحاول بقصيدته ما يحاوله الموسيقي بمعزوفته ؟ او ان الشعر يسعه ما يسع الموسيقى من تاثير وايحاء ، ثم يزيد عليها بما يسعه من افصاح وافضاء ؟

هذه بعض تساؤلات تجيب عنها فلسفة الفن عند المازني ، وهي فلسفة ذات اربعة ابعاد متكاملة اذ تتلاقى فيها نظرية المازني في الخيال والمجاز ، بما قدمه حول الخاص والمشترك بين الفنون الجميلة ، بما ساقه في قضية الفن والتعبير ، بما دعا اليه ومارسه من التزام ، ولقد تختلف الناس مع المازني في بعض جوانب فلسفته ، ولكن الاختلاف معه حولها لا ينفي عنها صفتين هامتين ، هما العمق والتكامل ، وهما صفتان ضروريتان لكل فلسفة جديرة بالاعتبار ٠

حق المازني الناقد في تركيب فلسفته

حق الناقد في ان نستبين له فلسفة ، من خلال اتجاهاته ونقداته ، وحاجة الناقد الى ذلك ، من اوجب الحقوق ، وامس الحاجة ، وبخاصة اذا كان هذا الناقد معاصرا متصل الاسباب بتيارات الثقافة الشرقية والغربية ، قادرا على التمثيل وعلى العطاء ، كما كان المازني ٠

وفي يقيني ان حاجة المازني الى استبانة فلسفته في الفن ، وحقه في ذلك امس واوجب مما لكثيرين ، فالمازني ناقد فنان ، وكاتب صحفي ، وكل من هذا وذاك مقدمة صحيحة ، تؤدي في اذهان الناس الى نتيجة غير صحيحة ٠

فالمازني ناقد فنان ، واذن فنقداته بعثرة لا تجمعها خيوط فلسفية ودقيقة ، وانما هي انبعاثات واستجابات عاطفية ، ازاء نص يفتن او يثير ، ونحو كاتب خصيم او اثير ، وقد ساعد على هذا الظن ان المازني بالفعل كان ربما احتدم فبالغ ، وكثيرا ماسخر فغالى ، وكم احب فلطف وظرف ٠

والمازني كاتب صحفي ، واذن فهو من زمرة الصحفيين الذين يكتبون في كل شيء ، لانهم تجار مقالات ، تهمهم ملاحقة السوق اكثر مما تهمهم جودة البضاعة ، وقد اعان على هذا الوهم ان المازني كان يقوله ، ويسبق القائلين اليه ٠

ولكن المازني الذي يبدو من وراء طارىء الانفعال وضرورة الحياة جميعا ، هذا المازني ناقد ، له عالمه المتماسك من النظر الفلسفي ، والبناء المتكامل من الاتجاهات ، هذا العالم الذي يستمد اسباب وجوده من الخصب ٠ في التراث النقدي ، وفي تيارات النقد الغربي ، وفي اصالة المازني ٠

(العربي) ابراهيم عبد القادر المازني من أشهر كتاب مصر ونقادها وشعرائها وقصاصيها المعاصرين ولد بالقاهرة سنة ١٨٩٠ ، وفي مدارسها تعلم حتى تخرج في مدرسة المعلمين العليا [illegible] بالتعليم ثم تركه الى الصحافة السياسية ٠ حتى وفاته ، وله عدة كتب في الادب والقصص ، وديوان شعر ، (انظر العربي ١٩٣ ص ١١٦، والعدد ١٩٤ ص ١٨٢) قد [illegible] في تمييزه بين فني التصوير والشعر — في المقالة هنا — بآراء الناقد الالماني Lessing الذي كان يلقب « ملك النقد » في كتابه المشهور « اللاوكون » ٠

له في الفلسفة رأي وفي الفن مذهب

أكان المازنى يشفق من الفلسفة ؟

يسود بين دارسى المازنى اعتقاد بانه كان يشفق على نفسه من الفلسفة والفلاسفة ، ولهم شفيع من مثل قوله فى حصاد الهشيم : « أيسر اشفاقى من مباحث اصحابنا هؤلاء ان لا اقرب الذى فيه كتبهم ، وذا كتب الله لى ان افتحها اغمضت عينى ، ولقد كنت فى بعض ما سلف من عمرى جريئا ، وكنت لااتهيب ان افتح واحدا من هذه الكتب ، ولكنى لا اكاد اعبر بضع صفحات ، حتى احس كانى مطل من زحلوقة على هاوية سحيقة ، فتنفرج شفتاى عن صوت كهذا : بوررر فارفع رأسى فزعا ، وامسك بجوانب الكرسى حتى تطمئن نفسى، ويذهب عنى الروع ، واحمد الله على السلامة ».

فمبالغة المازنى فى تصوير شعوره هنا نحو الفلسفة هى مبالغته فى تصوير كل شىء، مسحورا بالجو النفسى . ولكن هذه المبالغة عينها تؤكد عند بعض النقاد هذا الشعور فوق دلالتها عليه .

وا ... ان المازنى هنا يتحدث عن فلاسفة الجمال، وانه ...كر ان فى مكتبته رفا خاصا بكتبهم ،والحق كذلك ...نا اذا تتبعنا مقالات المازنى وجدناه لايكتفى باير... سمائهم ونظراتهم ، بل يطبق مقررات فلسفة ... على نحو يدل على انه لم يقرأ فلسفة الجمال ...يرا وحسب ، بل افاد ومثل كثيرا ايضا ،

فالقسطاس الذى يجب ان نحتكم اليه دائما هو ظهور اثر قراءاته وتمثيله فى نقده ، وهو قسطاس يحسم كل خلاف ويكشف وجه الحقيقة الذى حجبه المازنى بسخريته الآسرة .

سخرية المازنى تخفى فلسفته

احيانا لا يتحدث المازنى عن الفلسفة حديثا مباشرا ، ولكنه يتناول الفكرة ، فيشف تناوله عن تمثيل تام لبعض الفلسفات ، فنحن مثلا لا نجد المازنى يرفع عقيرته بالحديث عن نظرية المعرفة عند المثاليين ، وعن رأى علماء الجمال منهم فى نوع وجود الجمال : أهو موضوعى له وجوده المستقل عن ذات المستمتع به،ام ذاتى يخلعه المستمتع على ما يدعوه جميلا ؟ لم يخص المازنى فى حديث مباشر عن هذا ، ولكنا نجزم جزما تاما بقراءته (كانت) او غيره من المثاليين ، وبانه مثل ما قرأ تمثيلا عميقا ، وذلك حين نفتح صحيفة (البلاغ) فنجد للمازنى هذه السطور وتلك الابيات :

« ارى ان الجمال هبة من المحب ، وعطية منه للمحبوب،فاذا جاز للجميل ان يدل بحسنه ورونقه، فان للعاشق ان يدل عليه بحبه له ، لان عين المحب هى التى تلبسه الحسن ، ولانه اذا لم يكن معنى الحب موجودا فى الجمال ، فلا مجال هناك ولا معنى اذن للضعف والاذعان من العاشق . والتدلل الثقيل من المعشوق ، واولى بالجميل ان يحب ، وان يفرحه ذلك لا ان يبطره ، وقد قلت فى ذلك ابياتا لم تنشر ، منها :

تبا لذلك من حسن ووا اسفا
عليه من مستعار ثم مردود
عطية الحب هذا الحسن فاتئدى
ولا تتيهى بحبى فهو مجهودى
ولست اهلا لامتاع برونقه
ان راح معناى فيه غير موجود
ان الرياض رياض بالشعور بها
ولسن سيين فى العمران والبيد
والحسن حسن بان تهواه افئدة
او - لا - فذلك موجود كمفقود
فمن احب فقد اهدى لصاحبه
حسنا ، وسربله سربال منشود

فالنظر الفلسفي « المستشف » من كلام المازني هنا ، هو النظر « المقرر » في عبارة له في كتابه « من النافذة » ، حين قال انه ليس « ثم وجود مادي ، وانما نحن نفكر ونحس ، فتبدو لنا هذه الدنيا ، ... وليس لشيء من دنيانا وجود مستقل عن عقلنا ، ولا حقيقة قائمة بذاتها » .

ومثل هذه الاثار كاف في كشف القناع عن الوجه الحقيقي لثقافة المازني ، هذا القناع الذي اسدله المازني ، في بعض ماكتب ، بسخريته ، ومزحه ، وتلطفه مع القارىء .

هل كان للنقاد العرب فلسفة فن ؟

لم تكن الفنون الجملية من مسائل النقد الادبي عند العرب ، ولم يعنوا بطرح قضايا فلسفة الفن الاخرى ، وان كان هذا بالطبع لم يمنع ان يكون بعضهم ذا حس فني دقيق مرهف ، يؤهله الى تقديم لمسات ذات طابع فلسفي ، كما لم يمنع ان نصادف بين كبار النقاد العرب من التفت الى التشابه بين الاعمال الفنية ، في الشعر والنحت والرسم ، غير ان التفاتهم الى التشابه بين هذه الفنون لم يبلغ ان يكون مسالة من مسائل النقد ، فضلا عن ان يكون قضية من قضايا فلسفة الفن .

وينسحب هذا الحكم نفسه على نقادنا في بيئة الاتباعية الجديدة ، في عصر النهضة ، تلك البيئة التي احتلت مكانتها بما قامت به من بعث التراث وتجديد شبابه ، والتي كان خير ممثليها الشيخ حسن المرصفي . فلم يكن ينتظر منهذه البيئة ان تثير قضية فلسفة الفن ، او تدركها ، لانها ليست من مسائل التراث النقدي .

فلما ظهرت بيئة المدرسة الفرنسية ممثلة في خليل مطران ، رايناها تعقد مقارنة ومقابلات ،بين الادب والرسم الموسيقى ، الا ان الجهد الذي بذله مطران كان الى حد كبير جهد من يقوم برحلة تذوق واستمتاع بين الفنون ، لامن يقوم برحلة تامل وتفكير ، ومن ثم فان النتائج التي انتهى اليها تغنى الذوق وتضيئه فحسب ، ثم لا تعدو ان تكون على مشارف فلسفة الفن .

ثم جاءت جماعة « المذهب الجديد في الادب والنقد » مؤلفة من العقاد والمازني وشكري ، فدخلت النقد العربي ، كما دخلت الرومانتيكية تاريخ النقد الغربي ، وما نعني بذكره هنا من التشابه بين المذهبين اهتمامهم بالعلاقة بين الفنون الجملية اهتماما يدخلها في فلسفة الفن ،لادراكهم عمق الصلات بين الفنون ، ودقة الفوارق بينها كذلك ، ففي هذا يتشابه المذهبان ، كما يتشابهان في الاهتمام بالعلاقة الخاصة بين الشعر والتصوير .

من الاسس الفارقة بين الشعر والتصوير

مما يراه المازني في التمييز بين الشعر والتصوير ، ان للتصوير لحظة في الفضاء ، وللشعر لحظات في الزمن ، وان التصوير نتيجة لهذا يسعه ان يصف الواقع المادي ، وان الشعر يفضي بالواقع النفسي ، اذ ليس من شك في ان التصوير يستطيع ان ينقل لك المنظر كما هو باد لعينيه ، وان يريك على اللوح بالالوان ما رأى هو في الواقع ، وان يضعك بذلك في موضعه ، وان يعينك على ان تاخذ في لحظة واحدة جملة ما اكتحلت به عينه هو وتفاصيله .

وليست كذلك قدرة الشاعر او الكاتب ، فلا يستطيع مهما بلغ من تمكنه من ناصية اللغة ، وافتتانه وتصرفه ، ان يرسم لك منظرا كما هو ، وان يعينك بما وصفه على تاليف المنظر وتمثله ، من اشتات العناصر والنعوت التي يقدمها اليك ، ويعرضها عليك ، فالشعر لاقبل له بذلك ، ولاطاقة له عليه ، وانما يسع الشاعر ان يفضي اليك بوقع هذا المنظر ، او مايثيره في النفس من الاحساسات والمعاني والذكر ، والامال والآلام والمخاوف والخوالج على العموم باوضح معاني هذا اللفظ ، كما يسع الشاعر ان يصف بذلك الحركات المتعاقبة في الزمن ، وان يحضرها الى ذهنك ، ويمثلها لخاطرك . وذلك مالا سبيل اليه في التصوير .

الحركة والسكون بين الشعر والتصوير

ويفرع المازني على ما سلف بعض الفر[illegible]ق ، ومن حديثه عن الحركة والسكون ، حيث [illegible]سوق مثالا على ذلك ابيات ابن الرومي المشهورة

ان انس لا انسى خبازا مررت به
يدحو الرقاقة مثل اللمح با[illegible]
مابين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالة[illegible]

الا بمقـدار ما تنـداح دائـرة
فـى لجـة المـاء يلقى فيه بالحجـر

فالصورة التي رسمها ابن الرومي مركبة من منظرين ، احدهما منظر الخباز يتناول قطعة العجين كرة ، ولا يزال بها يبسطها ويدحوها ، حتى تعود رقاقة مستدير مسطحة ، والثانى منظر الماء يلقى فيه حجر ، فيحدث وقوعه فيه دوائر ، تتسع شيئا فشيئا ، حتى تضعف قوة الدفع ، ويفتر الاضطراب الذى سببه سقوط الحجر ثم يرى المازنى ان فى كلا المنظرين حركة ، فهو مؤلف من عدة مناظر متعاقبة سريعة التوالى ، فاذا اراد المرء ان يثبتها بالرسم على اللوح احتاج ان يصنع صورا كثيرة ، تمثل كل منها واحدا ، ولكنه بعد ان يفعل ذلك لا يكون قد صنع شيئا على الحقيقة ، ولا امكننا من النظر الى جملتها كما فعل ابن الرومى ، لان ها هنا حركة هى مجال الشعر ، وليس للتصوير قبل بها او قدرة على اثباتها •

مناقشة المازنى فى هذا

ومن النقاد من يكتفى بهذا من المازنى ويؤيده فيه ، ولكنا لا نكتفى حتى نناقش هذا الراى فى عجز التصوير عن نقل الحركة ، وحتى نصل بالمناقشة الى ان للمازنى اضافة تكمل ما سلف وتعمقه ، ذلك اننا نرى ان فن التصوير ان لم يحسن ان ينقل الحركة ، فهو يحسن نقل الاحساس بها ، وهذا امر نلمسه ، وقد لمسه البحترى فى صور ايوان كسرى ، فقال فى سينيته المشهورة •

تصف العـين انهـم جـد احيـا
ء لهـم بينهـم اشـارة خـرس

يغتلى فيهمـو ارتيابـى حتـى
تتقـراهـم يـداى بلمـس

كما لمسه شوقى فى الصور على مقبرة « توت عنخ آمون » مع ايمانه بان الاصل فى التصوير السكون ، وذلك فى قوله :

صـور تريـك تحركـا
والاصـل فى الصـور السكون

صور رائـع صمتهـا
فى العـين كالنطـق المبـين

الزمـان دهانهـا
حينـا عهيـدا بعـد حـين

خـدع العيـون ولم يـزل
حتـى تحـدى اللامسـين

فاين يقف المازنى من هذه الحقيقة الفنية ، التى يبدو انها تتعارض مع ظاهر ما ذهب اليه ، من ان الاصل فى الصورة السكون وانها لاتحسن تصوير الحركة ؟

لا يتعارض المازنى مع الحقائق الفنية ، ولا يتناقض مع نفسه ، حين احمل رايه وعمقه بحديثه عن كيفية احتيال المصور لتصوير الحركة ، فقد ذكر ان المصور يتخير احفل اللحظات بالمعانى والدلائل ، وانمها — اذا استطاع — على اللحظة التالية مباشرة ، وادلها — اذا تيسر له هذا — على اللحظة السابقة ، ولكن ليس له ان يطمع فى تصوير اكثر من لحظة واحدة ، او رسم التعاقب الذى يحدث فى الزمن ، غير انه يستطيع بحسن تخيره وانتقائه للحظة الحافلة الدالة ان يجمع بين لحظتين متعاقبتين متداخلتين فى الحقيقة •

ويطبق المازنى هذا على صورة «العمامة» التى رآها فى معرض للتصوير للفنان محمد صبرى ، ففيها يرى الناظر رجلا من عامة المصريين ، وطربوشه على ركبته اليمنى ، وكفاه على طيات العمامة ، والناظر الى هذه الصورة يرى من وضع اليد اليمنى من اين جاءت فى لفها حول العمامة ، ويكاد يحس انها ستتحرك ماضية فى طريقها ، فالمصور هناك استطاع ان ينبئك عن الحركة التالية التى لم يرسمها ، وتلك قدرة واستاذية لاخفاء بهما •

ومرة اخرى نتساءل : اذا كان المازنى قد جزم باخفاق المصور كلما حاول وصف الحركة ، فهل عاد واشترط فيه ان يكون ذا قدرة واستاذية ليستطيع تحقيق ذلك ؟ لوصح هذا لما كان ثمة فارق بين شعر وتصوير فى راى المازنى من هذه الزاوية ، لان اشتراط القدرة والاستاذية امر مفروغ منه ومفترض وجوده قبل كل شىء ، اذ التفريق الصحيح العميق انما يكون بين خير الشعر وخير التصوير •

ولكنا نرى ان الفارق بعد ما يزال قائما ، لاننا نرى ان قدرة المصور المقتدر على الايهام بالحركة والتخييل بها تنحصر فيما يمكن ان اسميه الحركات « المتكررة » لا فيما يمكننى ان ادعوه الحركة « المتطورة » ولان هذين مصطلحان لم يسبق اليهما ولا الى مدلولهما احد ، ينبغى ان اشرح ماأريده بكل منهما ، فانا اعنى بالحركات « المتكررة » تلك التى يكون توالى الصور فيها وتعاقبها تكرارا

لصورة واحدة ، لا تكاد تختلف ، مثل حركة اليد وهي تلف « العمامة » ، فحركة اليد وهي تدور في المرة الثانية لا تخلو من ان تكون تكرارا لحركتها وهي تدور في المرة الاولى ، ومثل ذلك تصوير حركة السير او العدو ، اذ الخطوة تكرار للخطوة ، ومن قبيل ذلك تصوير ركض الجواد ، وخفقان جناحي الطائر ، ففي مثل هذا يسع المصور ان يختار احفل اللحظات وانمها على ما سبقها وما يليها من حركات لم يصورها .

اما الحركات « المتطورة » فاعني بها تلك التي تتكون من عدة صور متعاقبة ، كل منها تطوير لسابقتها بحيث تظهر على المشهد المنظور عناصر جديدة ، واوضاع جديدة ، ونتائج جديدة في كل مرة ، لم تكن ظاهرة في سابقتها ، ولا تظل كما هي بعد تاليتها ، وذلك مثل حركة الرقاقة حين تبدو في كف الخباز كرة ، وتظل تتسع حتى تبدو قوراء كالقمر .

ففي مثل هذه الحركات « المتطورة » يتقدم الشعر ويقف التصوير ، ولكن في الحركات « المتكررة » قد يسع المصور ان يوحي بالحركة ، وان لم يسعه نقلها ، ولعلنا بهذه الاضافة قد سددنا ثغرة في راي المازني المتكامل .

مدى اصالة المازني

جهد المازني في معالجة هذا الجانب من فلسفته الفنية ، هو جهده الذي يبذله دائما امام مراجعه الغربية ، جهد الفهم الخاص الذي يتضمن تجاربه وذوقه ، وجهد المساندة التي تقوم على تاملاته ونظراته ، وجهد التملك ، ولا اقول التعريب اذ يعطي ما ينقله وجها عربيا ومازنيا ، فالخطوط العامة لحديثه عن الفنون الجميلة مما اورده «لسنج» Lessing في كتابه « اللاوكون » Universal. Bibliothek

فمن ذلك ماسجله بعض النقاد من ان المازني قد اخطا حين انفرد في فهم « لسنج » بعجز الشعر عن التقاط اوضاع ساكنة في المكان ، لان الشعر الوصفي كما يبدو لهذا الدارس الناقد عامر بتصوير الاشياء الساكنة الثابتة ، ولم يقل احد بضرورة قصر الشعر على وصف المتحركات وملاحقتها عبر انسياب الزمن .

ونحن مع الناقد في هذا ، اجل لم يقلها احد ، ولكن المازني قد قالها ولا احسب ان هناك سبيلا الى نقضها ، فحتى الشعر الوصفي ينزع « دائما » الى تصوير الحركة ، ويتجنب « دائما » تصوير السكون ، وانا اتفق مع المازني في نظره ، وان كنت اختلف معه في تطبيقه حين راى ان ابا تمام قد اخفق حين حاول ان يرسم منظرا خاليا من الحركة في مثل قوله :

دنيا معاش للورى حتى اذا
حل الربيع فانما هي منظر
تبدو ويحجبها الجميم كانها
عذراء تبدو تارة وتخفر
حتى غدت وهداتها ونجادها
فئتين في خلع الربيع تبختر
اضحت تصوغ بطونها لظهورها
نورا تكاد له القلوب تنور
او ساطع في حمرة ، فكانما
يدنو اليه من الهواء معصفر

ذلك اننا نرى في البيت الاول حركتين تتعاقبان في الزمان تعاقب الفصول على مسرح الطبيعة ، والحركة هنا «متطورة» وفي البيتين الثاني والثالث تتوالى الحركات مع خطرات النسيم ، الذي يحسر الجميم النابت الكثير عن الازهار تارة ويبديها اخرى ، والذي يجعلها تتبختر في الوهاد والنجاد ، والحركة هنا « متكررة » ثم هناك الحركة «النفسية» التي تصحب الطباق في البيتين نفسهما ، اذ تتحرك النفس مع سفور الزاهرة وخفرها ، ومع التصعد من الوهاد الى النجاد ، واخيرا هناك الحركة « الداخلية » في البيتين الاخيرين ، ففيهما عملية صوغ هادئة مستانية ، تدل على الاتقان البالغ والتدقيق العظيم في التوشية والتانق ، فكان ابا تمام خلع على الطبيعة مذهبه الفني ، فهي تبدع النوار باحتفال وصوغ ، كما يبدع هو الشعر محتفلا بالبديع والصنعة ، وهو في البيتين الاخيرين يزيح الستار عن عملية ابداع الطبيعة حين تصوغ النوار ، ويشير الى هذا الطائف اللطيف الذي يبدو كانه يدنو اليه من الهواء فيعصفره في حركة داخلية خفية .

ففي الابيات اذن انواع عديدة من الحركات ، ولم يصف الشاعر منظرا ثابتا ساكنا ، هكذا يبدو انني لا اخالف المازني في المثال الا انني اؤيده واسانده فيما انفرد به في فهم لسنج في الحدود الطبيعية بين الشعر والتصوير .

اسماعيل مصطفى الصيفي

بقلم : محمد سلام مدكور

بن الخطاب بن نفيل، يجتمع مع رسول الله في كعب بن لؤى، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتطلع لاسلامه ويقول: «اللهم اهد عمر بن الخطاب، اللهم أعز الاسلام به» ·

ويدعى « الفاروق » لانه لما دخل الاسلام اعلن اسلامه وقال : « ألسنا على حق ففيم الاختفاء ؟» ففرق بهذا بين الحق والباطل · يقول ابن مسعود : « ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر » · وقد اسلم وهو ابن ست وعشرين سنة · وكان ذلك في شهر ذى الحجة في السنة السادسة من النبوة ، وكان عمر عظيما في قومه من قبل الاسلام ، فكانت قريش تتخذه سفيرا لها ان وقعت حرب بينها وبين غيرها ·

سداد راى ، وسلامة فطرة

كان بما له من سداد الراى وسلامة الفطرة من المكثرين في الفتوى ، وخاصة في مدة خلافته ، لطولها وكثرة الحوادث التى كانت تستوجب الفتوى في عهده · وكان عمر من امهر الصحابة في استعم... الراى ، واكثرهم توسعا فيه يعاونه على ذلك ... له من فطرة سليمة في الحكم على الاشيـ... واصابة الحق ، وله الفضل في استنباط كثير ... الاحكام أصاب فيها روح التشريع ، وعين المصد... التى جاءت الشريعة بحفظها · قال سعيد بن المسـ... : « ما أعلم أحدا بعد رسول الله أعلم من عمر · » وقد خرج ابو داود من طريق ابى ذر قال : سمعت رسول الله يقول : « ان الله تعالى وضع الحق على لسان عمر ، يقول به · »

لما انتهت اليه الخلافة

ولما انتهى اليه امر الخلافة بعد ابى بكر ساس دولته افضل سياسة ، واشاع العدل في ربوعها بحكمة ، فكانت امارته رحمة · فقد اتاح للمسلمين في أثناء خلافته لونا من الحياة لم تصل اليه في الاكتمال جماعة من بعده في بقاع العالم حتى الناحية الاجتماعية ، فقد كفلت الدولة في عهده ــ مع اتساع رقعتها ــ العيش لكل فرد في المجتمع الاسلامى من غير نظر الى دين أو جنس ·

وكان الفتح الاسلامى في عهده خيرا للبلاد المفتوحة ولسكانها الاصليين ، لان فكرة الاستغلال المالى او العقائدى كانت مستبعدة ، مما دفع الجماعات والشعوب التى تعرف حكم الاسلام وعدالته الى الدخول في الاسلام حبا فيه ·

اجتهاده في تقسيم الأموال

ومن صور العدالة اجتهاد عمر ، ومنعه تقسيم الاراضى المفتوحة بين الجنود الفاتحين ، وامره بابقاء الارض في يد ملاكها مراعاة للمصلحة ·

ثم قال : لو قسمت ارض الشام وما يتبعها ، وارض العراق وما يتبعها فمن اين انفق على الجيوش والثغور • ثم قال : « لولا آخر المسلمين مافتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله خيبر • »

واجتهاد عمر في هذا أساسه المصلحة ، وله سند من فعل الرسول في فتح مكة دون تقسيم ارضها ، مما جعل عمر يفهم ان الامر متروك تقديره للامام حسب المصلحة العامة • وان تقسيم الرسول لارض خيبر لم يكن حكما كليا (١)

من عدالته الاجتماعية

ومن صور عدالته الاجتماعية تنظيمه العطاء لجميع الفقراء مسلمين كانوا او غير مسلمين دون اعتبار الا للعامل الانساني ، ودون تفرقة بين مفهوم الانسانية بسبب دين او جنس بالنسبة لكل مواطن في دولة الاسلام • يروى انه مر بباب قوم وعليه سائل من اهل الذمة « يهودي » يسال الناس • فقال له عمر : « ما الجاك الى هذا ؟ » قال الرجل : « انا محتاج كبير السن » • فاخذ عمر بيده وذهب به الى منزله واعطاه شيئا ، ثم ارسل الى خازن بيت المال وقال له : « انظر هذا وامثاله ، فوالله ما انصفناه ان اكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم » وتلا قوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » ثم قال : « الفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من اهل الكتاب » ووضع عنه الجزية ، واصبح هذا الحكم مبدءا من بعده •

كما انه لما علم ان بعض الاغنياء امسكوا أيديهم عن التصدق قال : « لو استقبلت من امري ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء فرددتها على الفقراء » • مما يفيد ان لولاة الامر اذا قصر الاغنياء في الاسهام في اسعاد الجماعة والتعاون في البر ان يفرضوا فيأموالهم ما يسد حاجة الفقراء ، كي لا يكون المال دولة بين الاغنياء خاصة •

وكان اذا نهى الناس عن شيء جمع اهله فقال : « اني نهيت الناس عن كذا وكذا ، وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم ، واقسم بالله لا اجد احدا فيكم فعل الا اضعفت عليه العقوبة » • ولذا حرم نفسه واهله عام المجاعة من اكل اللحم والزيت حتى يشبع الناس • فجعل نفسه واهله ـ وهو الحاكم ـ اقل المسلمين حقوقا، واكثرهم واجبات ، مع انه اول عقل ممحص مستقل ممن تبعوا الرسول ودخلوا في الاسلام •

منهجه في الاجتهاد

كان من أبرز ما في نواحي عمر العلمية ناحية الفقه والافتاء والعمل بالرأي وتحكيم العقل مع النص تحكيما يعطي النص صيغة فقهية غير ما تعطيه النظرة غير الفاحصة الغواصة • وقد يبدو في فقهه احيانا انه يخالف ظواهر النصوص ، وعند التامل يبدو انه يعمل بالنص في دائرة تجعله معقول المعنى مطابقا لصالح العباد • اما اذا كان في امر تعبدي لا مجال للعقل فيه التزمه كما هو ، ومن ذلك ما قاله في الحج لما هم باستلام الحجر الاسود : اما والله اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفعولكني رايت رسول الله استلمك••» وقال في شان الرمل ما لنا وللرمل •• لكنه شيء صنعه رسول الله لا نحب ان نتركه •

كان يرجع عن الرأي اذا ظهر خطاه

كان رضي الله عنه يبغض التعصب للراي اذا ظهر له انه خطا • ومن ذلك انه كان يرى المفاضلة بين الاصابع في الدية قياسا على ما في الاسنان والاضراس • • ولما علم في التسوية بين دية الاصابع سنة عن رسول الله رجع عن رايه • ومن ذلك ما روى انه كان يقول : « الدية للعاقلة ، ولا ترث المراة من دية زوجها شيئا » حتى اخبره الضحاك بن سفيان ان رسول الله كتب اليه ان يورث امراة اشيم الضبابي من دية زوجها ، فما كان منه الا ان رجع عن رايه • كما انه يرى عدم جواز انشاد الشعر بالمسجد تكريما له ، [illegible] أراد أن يمنع حسان بن ثابت من ذلك • لكنه [illegible] عن رأيه لما قال حسان : « لقد انشدته وفيه [illegible] هو خير مني وخير منك • »

فكانرضي الله عنه يعرص على ان يكون الى الحق منهج جميع الحكام والقضاة و

(١) راجع لنا تفصيل ذلك في كتاب الاباحة عند الاصوليين والفقهاء ص ٣٥١ الطبعة [illegible]

ولذا كان مما كتب به الى أبي موسى الاشعرى « ولا يمنعك فقه قضيت به اليوم ، فراجعت رأيك، فهديت فيه لرشدك – أن تراجع فيه الحق • فان الحق قديم ولا يبطله شيء ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل • » ويروى أن واحدا من أفراد المسلمين قال له فى مناسبة : « اتق الله ياعمر • » فعاتبه آخر بقوله : « أتقول ذلك لامير المؤمنين » !! فقال عمر : « دعه فليقلها ، فلا خير فيكم ان لم تقولوها ، ولا خير فينا ان لم نسمعها

رجوعه الى القرآن ، فالسنة ، فأصحاب الرسول

كان رضى الله عنه اذا نزل به أمر بحث عن حكمه فى كتاب الله متأملا المعنى فى آياته ، ولا يقف عند ظاهر النص ، فاذا لم يجد نظر فيما يعرف من سنة ، فاذا لم يجد سأل أصحاب رسول الله • وكان منهجه – اذا أخبره أحدهم ان فيها سنة عن الرسول – أن ينظر فى الخبر فيعرضه على القرآن وما عرف هو من سنة ، وعلى الفكرة العقلية العامة المأخوذة من ظروف عصر الرسول • وكان هذا يقتضيه نوعا من النقد الداخلى لموضوع الرواية ، فضلا عن النقد الخارجى للراوى نفسه ، وكان ذلك منه ليصل الى نوع من الاطمئنان القلبى، وكان أحيانا يتطلب منه هذا الاطمئنان والتثبت اذا كان راوى الخبر واحدا أن يطلب منه شاهدا آخر يعضده فيما يرويه خشية ان يجترىء أحد على اسناد شيء للرسول لم يقله ، فاذا اطمأن الى الخبر عمل به •

ومن ذلك انه لما خرج الى الشام علم وهو فى الطريق ان الطاعون قد اشتعل بها ، فاستشار من معه فى مواصلة السير اليها أو العودة فرارا من الطاعون فاختلفوا ، وكان من رأى رؤوس [illegible] الرجوع ، واتجه عمر الى ذلك فقال له [illegible] بن الجراح : « أفرارا من قدر الله [illegible] ! فقال عمر : « لو غيرك قالها يا أبا [illegible] نفر من قدر الله الى قدر الله » • [illegible] الرحمن بن عوف – وكان متخلفا عن [illegible] علم بالامر قال : عندى من هذا [illegible] له عمر : « أنت عندنا الامين المصدق [illegible] » قال : « سمعت رسول الله يقول : « اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، واذا وقع وانتم به فلا تخرجوا منه فرارا منه» فحمد الله أن وافق الخبر ما اطمأن اليه قلبه، وأخذ به•

أما اذا عرض الخبر على القرآن وما يعرف من سنة فوجده معارضا رفضه ، ومن ذلك الخبر الذى روته فاطمة بنت قيس وقد طلقها زوجها فى حياة الرسول طلاقا بائنا • ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفرض لها السكنى ولا النفقة• فقال عمر : لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها حفظت أو نسيت • وذلك لان عموم قول الله سبحانه « أسكنوهن من حيث سكنتم » يقضى بوجوب السكنى ، وحيثما وجبت السكنى وجبت النفقة •

نهى عمر عن الاكثار من رواية الحديث

واذا كان قد عرف عن عمر التشدد فى رواية الحديث ، والنهى عن الاكثار من روايته ، ومعاقبة من لم يشهد على ما يرويه – فان ذلك كان حرصا منه على الا ينسب الى السنة ما ليس منها ، أما هو فقد حدث عن الرسول باحاديث كثيرة بلغت اكثر من خمسماية •

عمر نظم أمر الشورى

وكان – اذا نزل به امر ليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله – طلب اصحابه ، ليقف منهم على ما اذا كان احدهم سمع فيه سنة فاذا لم يجد طلب منهم مشاركته الرأى • ولقد نظم عمر أمر الشورى • فكان له مشاورات خاصة يستشير فيها كبار العلماء من الصحابة ، وبخاصة ما يحتاج الى معرفة بعلم الشرع واحكامه ، كما كانت له مشاورات عامة اذا ما اراد التثبت فى احد الامور الخطيرة • فان اتفق الرأى فى المشورة العامة كتب به الى ولاته فى الامصار •

القياس أصل فقهى عند عمر

وكان القياس مصدرا له بعد ذلك • ويؤخذ هذا مما كتبه الى قضاته ، ففى كتابه الى شريح – قاضيه على الكوفة – يقول : اذا اتاك امر فى فى كتاب الله فاقض به ، فان لم يكن ففيما سنه

رسول الله . فان لم يكن فاقض بما قضى به أئمة الهدى . فان لم يكن فانت بالخيار : ان شئت ان تجتهد رايك . وان شئت ان تؤامر ، ولا أرى مؤامرتك الا خيرا لك • وفي كتابه الى ابي موسى الاشعري « •• الفهم الفهم فيما ادلى اليك ، مما ليس في قرآن ولا سنة ، ثم قايس الامور عند ذلك واعرف الاقوال •• »

كان عمر يأخذ بفكر الرأى ومصالح الناس

والواقع ان هاتين الرسالتين(٢) تفيدان كثيرا في تعرف منهج عمر الاجتهادي ، لاحتوائهما على بعض المبادىء التشريعية التي اقرها • فهو يهدف الى تحقيق مصالح الناس في ضوء التزامه بالنصوص الدينية من القرآن والسنة • كما ان النظر في اجتهادات عمر يدل على ان فقه الرأى كان واضحا عنده ، وانه كثيرا ما اعتمد على المصلحة المرسلة ، واعتبرها اساسا له في احكامه ، فقد كانت غايته العامة في تطبيق الاحكام تحقيق مصالح الناس في عصره ، والتقاء التشريع بالمصالح العامة ، وبقدر هذا الالتقاء والتوافق يكون توفيق ولي الامر بين طاعة الله واسعاد الناس •

المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة

كان عمر في استنباطه للاحكام يتجه الى الواقع في التفكير والتطبيق ، وكان يقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة عند التعارض ، ايمانا منه بان الفقه الاسلامي ذو نزعة جماعية ، يدفع فيه الضرر الاكبر بالضرر الادنى ، ومن ذلك موقفه ممن احتكروا اقوات الناس ، اذ امر ببيعها جبرا عنهم بالسعر المعتاد الذي لا يضر بهم ولا يشق على الناس ، ومن ذلك نزعه الملكية جبرا عن صاحبها للمنافع العامة ، فقد حدث ان امر بنزع ملكية بعض دور الصحابة المحيطة للكعبة ، وامر بهدمها والحاق ارضها بحرم الكعبة لتوسعته ، وذلك بعد تقدير قيمتها ، وايداع هذه القيمة بخزانة الكعبة لحساب اصحاب هذه الدور •

كما كان رضي الله عنه يلاحظ الذرائع والوسائل عند تعرفه على الاحكام ، فيعطي الوسيلة حكم الغاية ، ومن ذلك قطعه الشجرة التي تمت تحتها مبايعة الرسول لما وجد الناس في خلافته يذهبون اليها ويصلون عندها وقال : « اراكم ايها الناس رجعتم الى العزى » (صنم كان يعبد في الجاهلية) وهذا يفيد انه خاف ان يتمادوا في تقديس هذه الشجرة ، فيعبدوها كما عبدوا الاحجار من قبل . وخاصة انهم قريبو عهد بمثل ذلك • ويروى ابن تيمية ان عمر كان اذا رأى المسلمين يتناوبون مكانا يصلون فيه لكونه موضع نبي نهاهم عن ذلك فقال « انما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار انبيائهم مساجد » ومن ذلك ما يروى انه بعد ان فتحت الشام في عهده ، وذهب لزيارة القدس ـ دخل الكنيسة بها ، ولما اراد الصلاة لم يقبل ان يصلي بداخلها ، فقيل له : « أحرام يا أمير المؤمنين ؟ » فقال : « لا ، ولكن كي لا يقول المسلمون فيما بعد : « هنا صلى عمر فيتخذونها مسجدا » •

تقييده بعض المباحات مراعاة للمصلحة

وكثيرا ما قيد عمر المباح بقيد يحقق مصلحة عامة . ومن ذلك منعه شراء اللحوم في يومين متتاليين لقلة في اللحوم رآها في بعض ايام خلافته• فعمد الى هذا المنع واوجبه ، ويروى انه كان يأتي مجزرة الزبير بن العوام بالبقيع ـ ولم يكن بالمدينة مجزرة غيرها ـ فاذا رأى رجلا اشترى لحما يومين متتابعين ضربه بالدرة وقال : « الا طويت بطنك يومين ؟! » حتى يكون هناك مجال لتداوله بين الناس•

ومن ذلك منعه كبار الصحابة من التزوج بالكتابيات ، مع ان هذا امر لم يمنعه الشرع • ولما سئل في ذلك قال : « انا لا احرمه ولكني اخشى الاعراض عن الزواج بالمسلمات » • ومن ذلك جعله الطلاق الثلاث بلفظ واحد محرما للمراة على مطلقها ، حتى تنكح زوجا غيره • وعدم حل مراجعته لها او العقد عليها بعد ذلك • وقد كان ذلك يقع طلقة واحدة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خلافة ابي بكر •

وقد اعتبر العلماء ذلك من باب تقييد المباح للمصلحة هي التشديد عند اقتضاء الحال • [illegible] بمنع الرجعة لم ينه عن واجب ، وانما نهى [illegible] مباح •

---

(٢) لقد طعن ابن حزم في صحة نسبة الرسالة الى عمر• راجع المحلي جـ ١ ص ٥٥ مـ [illegible] الاحكام

لمصلحة ، وذلك من قبيل السياسة الشرعية ، لما رأى الناس قد استعجلوا امرا جعل الله لهم فيه اناة ٠

وكان يرى ان الاصل فى الاوامر الواردة فى نصوص التشريع الاسلامى - انها تفيد الوجوب ، ما لم تصرفها عنه قرينة الى شىء آخر غيره ٠ ومن ذلك قضاؤه على ابى الدرداء بمكاتبة (٣) عبده اذا طلب ذلك ، حتى يتحرر من الرق الذى يمقته الاسلام ، بل الزم بمعاونة الرقيق فى بعض ما يطلب منه لنيل حريته ، وذلك اخذا من قوله تعالى « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ٠

ومن دقة فقه عمر ما رواه احمد عن مجاهد قال : كتب الى عمر : « رجل لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها افضل ، ام رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها ؟ » فكتب امير المؤمنين يقول : « ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » ٠

كثرة فتاواه

وقد شاعت أحكام عمر وفتاواه وذاعت بين الناس ، وها هى ذى كتب التفسير والحديث والسيرة والفقه مليئة باجتهادات عمر الفقهية ، وكان رضى الله عنه برغم نفاذ بصيرته وصدق فراسته يقول : « ان الرأى من رسول الله كان وحيا ، وهو منا ليس الا الظن والتكلف » ، وكان اذ انتهى فى شىء برايه يقول : « هذا ما اقوله برايى فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطا فمنى ، واستغفر الله » ٠

مات عمر ولم يستخلف

هذ... عمر ، ومنهجه الاجتهادى ، وسياسته للامور ... هو الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « ٠٠ عمر معى وانا مع الحق ، والحق بعدى مع عمر حيث كان » ، وقال فيما رواه احمد والترمذى « وضع الحق على لسان عمر وقلبه » ٠

روى الجماعة عن عبد الله بن عمر انه قال فى الحديث المتفق عليه : حضرت ابى حين اصيب فاثنـوا عليه وقالوا : جزاك الله خيرا فقـال : راغب وراهب ٠ قالوا : استخلف ٠ فقال : اتحمل امركم حيا وميتا ؟! لوددت أن حظى منها الكفاف لا على ولا لى ٠ فان استخلف فقد استخلف من هو خير منى - يعنى ابا بكر - وان اتركم فقد ترككم من هو خير منى - يعنى رسول الله » ٠ قال عبد الله : فعرفت انه حين ذكر رسول الله ٠ غير مستخلف ٠

رأيه فى الخلافة

ويروى الماوردى انه قال عندما سئل عمن يستخلفه: « والله لا يصلح لهذا الامر الا القوى فى غير عنف ، اللين فى غير ضعف ، الممسك من غير بخل ، الجواد من غير اسراف » ٠ وجعلها شورى فى ستة : على ، والزبير ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة ، وسعد بن ابى وقاص ٠ وهكذا لم يجعل من بينهم ابنه ، لانه يرى ان القصد بالعهد ليس مجرد حفظ التراث على الابناء وانما هو امر ينبغى ان تحسن فيه النية ما امكن خوفا من العبث بالمناصب الدينية ٠

ولقد كان عمر موفقا فى كل النواحى ، وكان ابرز ما فى نواحى عمر الفقه والافتاء والعمل بالراى وتحكيم العقل مع النص ، تحكيما يعطى النص صيغة فقهية غير ما تعطيه الفطرة غير الفاحصة ، ورحم الله عمر فقد كان وضاء بالحق، قويا فيه ، متفانيا فى خدمة امته ، وكان فى فقهه صاحب مدرسة ٠ فبهداه اهتدى فقهاء الرأى ، وعلى نهجه نهجوا ٠٠ ■■

محمد سلام مدكور

---

٣ المكاتب هو العبد الذى يطلب من سيده أن يعتقه ، مقابل مال يدفعه له او عمل يؤديه له ، ويتفق بينهما عـ... على ذلك ، ومن اجل هذه الكتابة سمى العبد : مكاتبا ٠

معنى العروبة .. اليوم

■ نحن أقوى على عوادى الزمان   إن دهتنا ، بقوة الايمان
بلقاءِ القلوب قبل التنادى   وصفاءِ النفوس قبل الطعان
بارتيادِ الجديد في عالم اليوم   وكم في الجديد من ألوان
بالطماح الدءوب – بالمثلُ العلـ   ـيا ، وبالسيف قبل فوت الأوان
ليس كاليوم دعوةٌ للتلاقى   والتخلّى عن ربقة الأضغان
جمعتنا وشائجُ الضاد والقر   ن ، وحب العلا ، ونبذ الهوان
وتمتنا إفريقيا – قد خُلقنا   من ثراها – في سالف الأزمان
أهلها – لم يحلْ عن الودّ دينٌ   أو لسانُ – أهلٌ لكل صيان
وقفوا عونَنا – مع الحق ، والعد   ل – يدينون موقف العدوان
إنما دعوةُ العروبة إنما   نٌ بحق الحياة للانسان
هى أسمى مما نخال . وأغلى   من صلاتِ الاجناس والالوان
كلٌ من أكرم الجوار وصانَ الـ   ـعهدَ – صنوُ الدماء والوجدان
كلّ من ساند العروبة يُدعى   عربيًا – رغم اختلاف اللسان
إنما المؤمنون – والدينُ للـه – يُجلون حرمة الأديان
جاء طه بمثل ما جاء عيسى   أرسلا بالهدى على الأكوان
فهما في رسالة الحق صِنْوا   ن ، وما قد جاءا به سيان
موطنُ العرب للجميع ، سواءٌ   فيه أهلُ الإنجيل والقرآن

★ ★ ★

نحن ! من نحن ؟ نحنُ جيلٌ جديد   شبَّ من مهده على برّ [illegible]
قد رأى كيف يستباح حِماه   وهو مهبُ الضّياع والحر [illegible]

شاب فَوْدُ الفتى . وما زال يهفو   لغدٍ مشرق وَضيء الأماني
وتمت طفلهُ الشريد . فأضحت   أُمَّ طفلٍ مُشرد حيران
كيف لا نثأر الغداةَ ، وتأبى   نخوةُ العُرْب وصمةَ الخذلان؟
أيها الثائرون في كل نجد   ووهادٍ . ما بين قاص ودان
علموا النشءَ كيف يحمى ثَراه   ويُعيد الحقوق للاوطان
في يديه السلاحُ ـ في كل خطو   من خطاه ـ في كل صُقعٍ . وآن
علموه معنى التحدى . ففيه   تتجلَّى بَسالةُ الشجعان
رأيتم فعل التكاتف . ياقو   م ، بجال العدا ومعنى التفانى ؟
لا تصحوا « للدولتين » فماذا   جاء « بالدولتين » في الميدان ؟
غير الدمار والغدر والكيـ   د . . وزُور الخداع والبهتان ؟
نحن لا نسأل الوعود . وفي الوجـ   ـدان ثأرٌ يدعو بكل مكان
همُّنا ليس أن نعود الى سيناء ، ولا للقناة ، والجولان . .
بل نعيد للعرب قسراً   كلَّ شبر في قبضة الطغيان
حرٌ . لن يكونَ سواه   مثلما كان فى قديم الزمان ! . ■■

ام درمان : السودان ـ **مبارك المغربى**

بقلم : الدكتور احمد شوقى الفنجرى

ماهو الطب الوقائي :

■ اتفقت الهيئات الصحية العالمية على تعريف علمى حديث لكلمة « الصحة » بانها تحسين حالة الانسان جسميا ونفسيا وعقليا ، وليست مجرد غياب المرض •

والطب الوقائى هو علم المحافظة على الفرد والمجتمع فى احسن حالاته الصحيـة ، وذلك عن طريقين :

ا ــ وقايته من الامراض قبل وقوعها ، ومنع انتشار العدوى اذا وقعت •

ب ــ وصيانة صحته بتحسين ظروف معيشته ، ومنع الحوادث واسباب التوتر العصبى •

تعاليم الاسلام الصحية من الطب الوقائى ، لا العلاجى :

فالاسلام لم يات لعلاج الامراض الجسميـة • والقرآن ليس كتاب طب او صيدلة ، ولكن الاسلام قد جاء للدين والدنيا معا • وجاء لبناء مجتمع مثالى على ظهر الارض ، بحيث يكون هذا المجتمع متكاملا فى جميع النواحى الاخلاقية والسياسيـة والاقتصاديـة والاجتماعيـة والعسكريـة وايضا الصحية •

ولذلك فقد حرص الاسلام على اعطائنا الاوامر والتعاليم الطبية الوقائية التىتؤدى الى ما نسميه « بالمجتمع الصحى » • وقد تناولت تعاليم الاسلام الصحيـة جميع ابواب الطب الوقائـى وفروعه فمنها : ــ

اولا : اوامر فىصحة البيئة الاسلامية ونظافتها Sanitation & personal Hygene ، ومن ذلك نظافةالبدن والايدى والاسنان والاظافر والشعر ونظافة الملبس ونظافة الطعام والشراب ونظافة الشوارع والبيوت والمدن • ونظافة المبـ كالانهار والآبار •

ثانيا : اوامر لمنع الامراض المعدية Epidim ...gy

وتشمل الحجر الصحى ، وعزل المريـ . وعدم الدخول على الوباء ، وعدم الفرار منه وتعقيم الايدى قبل الدخول على المريض وبعـ ...روج ،

الاسلام أول من جاء بالأسلوب العقائدى فى مكافحة الأمراض .. قبل الصين وكوريا بـ ١٤ قرناً من الزمان

والاستعانة بالطب والدواء والتطعيم فى الوقاية والعلاج .

ثالثا : اوامر فى التغذية Nutrition :

لقد منع الاغذية الضارة بالصحة كالميتة والدم ولحم الخنزير والمخدرات ، ومن الاشربة منع الخمر . وفى الوقت نفسه قاوم المذاهب النباتية التى تضعف الانسان ، فشجع اكل اللحوم سواء لحم البر ، او لحم البحر ، وكل مشتقات اللحوم ، وشجع على أكل العسل والتمر وكل ما له قيمة غذائية .

والى جانب الاهتمام بنوعية الغذاء — اهتم الاسلام ايضا بنظام الغذاء كمنع الاسراف فى الطعام ، والاكل بدون جوع ، والاكل حتى التخمة .

رابعا : الصحة الجنسية : Sex Hygene

كتحريم الزنا واللواط والعادة السرية ،وتحريم الرهبنة ، واعتزال النساء ، ومنع اتيان النساء فى المحيض ، وامر بالغسل بعد المحيض ، وبعد الجماع .

خامسا : الصحة النفسية والعقلية :
Mental & Psychic Hygene

وهى تعاليم لمنع اسباب التوتر العصبى . وذلك بالامر بالايمان بالله وقدره ، والصبر عند الشدة والمحنة والمصيبة والمرض ،وتحريم الياس والانتحار . والامر بتعاون الناس وتراحمهم لتخفيف اعباء الحياة . ومنع كل بذور التوتر فى المجتمع ، كالمقامرة والربا ، والمضاربة ، واللهو غير البرىء ، والضجة .

سادسا : تشجيع اللياقة البدنية : Body Built بالحث على الجهاد والعمل اليدوى ، والحركة ، وتشجيع الالعاب الرياضية ، والمصارعة ، وركوب الخيل ، والسباحة ، والرمى ، والمبارزة ، والتسابق بانواعه ، وكراهية السمنة ، والكرش ، والخمول .

من هذا التقسيم نرى ان الاسلام قد غطى جميع اوجه الطب الوقائى ومحاولاته ، فيقدم لنا ما يشبه الدستور الصحى الذى يتناول التعاليم الرئيسية ذات الصفة الدائمة لخلق مجتمع صحى مثالى .

لماذا اهتم الاسلام بالوقاية ولم يتحدث عن العلاج ؟

ذهب رسول الله ليعود احد اصحابه المرضى . وبعد ان رأى المريض ودعا له بالشفاء قال لاهله « ادعوا له الطبيب » فقالوا متعجبين « وانت تقول ذلك يا رسول الله » فقال : « نعم .. تداووا عباد الله فان الله لم ينزل داء الا انزل له دواء .. الا داء واحدا» قالوا : «ما هو» ؟ قال : «الهرم» اى كبر السن .

وكان رسول الله اذا مرض لا يداوى نفسه ، بل يستدعى الاطباء لعلاجه ، وفى هذا تقول السيدة عائشة « ان رسول الله كان يسقم فى آخر عمره ، فكانت تفد عليه اطباء العرب والعجم ، فتنعت له الانعات وكنت اعالجه بها » .

من هذا نجد ان الاسلام رغم اهتمامه الشديد بتعاليم الطب الوقائى *ترك الطب العلاجى* لاجتهاد الناس . وليس هذا عن قصور فى الدين ، ولكن لحكمة عظيمة مقصودة لذاتها .

فالطب الوقائى يتناول صحة المجتمع والجماهير العريضة ، فهو يدخل فى رسالة الاديان باعتبار ان صحة الاديان من صحة الابدان ، وان فى وقاية المجتمع حماية للدين ..

أما الطب العلاجى اى تشخيص المرض وعلاجه بالوصفات الطبية او العمليات الجراحية فليست من عمل الدين ولا رسالته .

والى جانب هذا فان قواعد الطب الوقائى من العقائق العامة والثابتة التى تصلح لكل زمان ومكان .. اما الطب العلاجى فيتغير باكتشاف الادوية الجديدة ، والاجهزة العلمية ، وما كان الله ورسوله ليقيد امة الاسلام بعلاج معين يلتزمون به فى كل العصور ، فلا يتطورون ، ولا يجتهدون فى الدراسة

والبحث، ولا يستفيدون منالاختراعات الحديثة ..

نعود الان الى مجال الطب الوقائى .. فنضرب هنا بعض الامثلة من تعاليم الاسلام فى مجالاته المختلفة ، وبخاصة مجال صحة البيئة وعلم مقاومة الاوبئة .

صحة البيئة فى الاسلام

المقصود بعلم صحة البيئة هو خلق بيئة صحية لا تنفذ اليها الامراض بفضل النظافة .

واهتمام الاسلام بالنظافة امر لا يدانيه فيه اى دين سماوى ، او حتى مذهب أرضى قديم او حديث ..

واذا كانت اول سورة نزلت فى القرآن تحدثت عن العلم فى قوله تعالى « اقرأ » ..

فان ثانى سورة نزلت بعدها مباشرة امرت بالنظافة فقال تعالى : « وثيابك فطهر » .

والاسلام هو الدين الوحيد الذى يجعل النظافة جزءا من العبادات بل من اصول الدين نفسه .

فاول خطوة للدخول فى الاسلام هى الغسل ، اى الاستحمام ، حتى قبل شهادة ان لا اله الا الله ، ولا صلاة الا بعد وضوء . اى غسل الايدى والوجه والاقدام .

وقد احصى فقهاء الاسلام اسباب الاستحمام فى الاسلام وبينوا انها سبعة واجبة و ١٦ مستحبة اى ٢٣ سببا ـ وللاسلام اصطلاحات خاصة فى مسائل النظافة : فهو يكنى عن الميكروبات او الطفيليات الضارة باسم الشيطان او الخبث او الخطايا ..

ويعبر عن النظافة بكلمة الطهارة ،وعن القذارة بكلمة النجاسة ..

ومن امثلة ذلك قول الرسول « قلم اظافرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها » وقوله « اذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه ، فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه » . ولهذه التعبيرات حكمة عظيمة .

لقد جاء الاسلام منذ ١٤ قرنا من الزمان .. فى وقت كان الانسان لا يعرف فيه شيئا عن اهمية النظافة فى محاربة الامراض ، ولا يعرف ماهو الميكروب او الطفيليات ، ولذلك كان الاسلام يستعمل هذه التعبيرات لكى يبسط الامور للناس، ويخاطبهم على قدر عقولهم وفهمهم وعلمهم ..

وفى الوقت نفسه كان الاسلام بهذه التعبيرات يربط النظافة بالعقيدة ، ويجعلها جزءا لا يتجزأ من تعاليم العبادة والصلاة بل جعلها جزءا من الايمان بالله فقال الرسول « النظافة شطر الايمان » اى نصفهوفى رواية : النظافة منالايمان .. وبهذا كله يجعل الاسلام مسالة النظافة عقيدة وسلوكا ملزما للمسلم فى كل شئون حياته ، وليست لمجرد الخوف من المرض وحده .. وما أعظم أن تكون النظافة غاية لذاتها قبل أن تكون وسيلة لمنع المرض .

وزيادة فى الحرص والدقة حدد الاسلام ١٣ مادة اذا أصابت احداها اى شىء مثل ثوب الانسان أو جسمه، أو طعامه ، أو شرابه، أو آناء الطعام، بل أرض الغرفة ، أو أرض الشارع ، أو اذا أصابت الماء الدائم المستعمل للشرب أو الوضوء ولو كان الماء بئرا او نهرا .. فانها تنجس هذ الشىء،ولا يتطهر الا بازالةهذه النجاسة ، وبشرط ازالة لونها ورائحتها ومن هذه المواد النجسة : الدم ، والقيح ، والبول ، والبراز ، والمنى ، والقىء ، والخمر ، ولعابالكلب ، وجسمالخنزير، وكل شىء عفن كبقايا الحيوان الميت .. وهذهأمثلة من أقوال الرسول فى النظافة : ـ

١ ـ ففى نظافة البدنيقول «حق علىكلمسلمأن يغتسل كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده »

٢ ـ ويامر الاسلام بازالة البؤر التى تتجمع تحتها القذارة فى الجسم فيقول «خمس منالفطرة الاستحداد (أى حلق شعر العانة) والختان ، وقص الشارب ، ونتف الابط ، وتقليم الاظافر ..

٣ ـ والايدى من أهم العوامل فى نق[illegible] الميكروب وذلك بعد السلام على المريض ، أو [illegible] طعام ملوث أو زبالة أو بعد الذهاب الى [illegible] الغائط وبعض الديدان تنتقل من نفس الشخ[illegible] المصاب عند التبرز الىيديه، ويختبىء بيضها [illegible] اظافره، ومن هناك تنتقل الى الشخص السليـ[illegible] ومن هذ[illegible] الديدان ديدان الاكسوريس ودودة التـ[illegible] Taenea ومن الميكروبات التى تنقلها اليد ايضـ[illegible] تيفود

والدوسنتاريا ، والنزلات المعوية ، والتهاب الكبد المعدى . وهـذا يوضح لنا حكمة قول الرسول « اذا توضأ العبد فغسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يديه » .

ولا يكتفى الاسلام بغسل الايدى عند الوضوء .. بل يامر بالغسل قبل الطعام وبعده ، وقبـل النوم وبعده ، وقبل الدخول على المريض وبعـد الخروج من زيارته ، وهذه أمثلة من أوامره

يقول الرسول : « ان الشيطان حساس لحاس ، فاحذروه على انفسكم . من بات وفى يده غمر ، فأصابه شيء فلا يلومن الا نفسه » .

ومن المأثورات : «اغسل يديك قبل الاكل وبعده»

والغمر هو بقايا الطعام فى اليد .

٣ ـ ويعتنى الاسلام بنظافة الاسنان ، فيامر بالمضمضة ، والسواك ، وتخليل الاسنان ، لازالة بقايا الطعام، وعدم بلعها بل رميها . وفى السواك يقول الرسول « السواك مطهرة للفم ، مرضـاة للرب » .

٤ ـ ويعتنى الاسلام ايضابنظافة الانف والعينين والشعر والقدمين والملابس ولكن لا يتسع المجال لذكر تعاليمه فى كل واحدة منها .

٥ ـ ويشدد الاسلام فى نظافة الطعاموالشراب: فيأمر بنظافة اناء الطعام وغسله عدة مرات ، وكان العرب لا يعرفـون الصـابون فيامرهم الاسـلام باستعمال التراب فى دعك الاناء لازالة بقايا المواد الدهنية من جوانبه . ثم يامر الاسلام بعدم ترك الطعام والشراب مكشوفا حتى لا يتعرض للغبار أو للذبـاب والحشرات ، ويامر بعدم الاكل من الطعام اذا لمسته احدى المواد النجسة التى سبق تحديدها .. وهذه امثلة من تعاليم الرسول .

فى تغطية الآنية يقول « أوكوا قربكم ، واذكروا اسم الله . وغطوا آنيتكم واذكروا اسم الله » ويقول الرسول « غطوا الاناء وأوكوا السقاء،فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء ، لا يمر باناء ليس عليه غطاء ، او سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء » .

وكم [illegible] ان يلتزم الباعة المتجولون ومحلات [illegible] الطعام اتباع هذه الاحاديث بوضع الطعام [illegible] زجاجية مغلقة ، او آنية محكمة ، [illegible] هذه الاحاديث ، حتى تكون جزءا من اوامر الدين ، لا من تعاليم مفتشى الصحة التى يمكن اهمالها .

ـ وينهى الرسول أن يتناوب الجماعة الشرب من اناء واحد ، أو ان يضعوا أفواه بعضهم مكان بعض ، لان ذلك ينتن الشراب ، وينقل العـدوى بكثير من الامراض : مثل التهابات الحلق، والفم ، والانفلونزا ، والزهرى والتهاب الكبد المعدى . وفى ذلك تقول السيدة عائشة « نهى رسول الله أن يشرب فى السقاء لان ذلك ينتنه »

٦ ـ نظافة مصادر الميـاه : كمياه الانهــار والآبار : فقد شدد الاسلام على تجنب تلويثهـا بالقاء الزبالة أو النجاسةفيها ، وينهى عنالتبرز، أو التبول فى الماء أو على شواطئه .

فالماء الملوث ينقل الكولـيرا والتيفـود وشلل الاطفال والتهاب الكبد المعدى .. وينقل ديدان البلهارسيا عند التبول فيه ، وينقل الانكلستوما عن طريق التبرز فى الطين قرب الشاطىء .

ولهذه الاسباب يعتبر فقهاء الاسلام الماء الذى يصيبه البول أو البراز نجسا ، ولا يجوز الوضوء منه ، أو الاستحمام فيه ، أو الشرب منه ، ومـن أقوال الرسول فى ذلك :

« اتقوا الملاعن الثلاث : التبول فى الموارد وفى الظل وفى طريق النـاس » وقوله « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم، ثم يتوضأ فيه، فان عامةالوسواس منه » .

ان البلهارسيا تصيب ٨٠٪ من سكان القرى فى العالم العربى والاسلامى . وسببها الرئيسى تبول الفلاحين فى الماء عند الوضوء أو الاستحمام .

ولو استطاع رجال الدين اقناع الفلاحين بـأن التبول فى الماء ينجسه ، فـلا يصلح للوضـوء أو الشرب ـ لكـان ذلـك أجـدى فى القضـاء على البلهارسيا فى بضع سنين من جهود مفتشى الصحة فى مئة عام متوالية ..

٧ ـ ويامر الاسلام بنظافة المساكن والشوارع وكل أرجاء المدينة : فيمنعالقاء الزبالةاو تجميعها فى البيوت ، أو تركها فى الشوارع، ويامر المسلم اذا وجد اى شيء ملقى فى الطريق أن يزيحـه ، ويحرم التبولأو التغوط فىالطريق أو حتىالبصق فيه ، وفى هذا يقول :

« أن اللـــه طيب يحب الطيب ، نظيف يحب

النظافة ، فنظفوا افنيتكم ودوركم ، ولا تشبهوا باليهود التي تجمع الاكباد في دورها » .

ـ ويقول « من سمى الله ورفع حجرا او شجرا او عظما من طريق الناس ـ مشى وقد زحزح نفسه عن النار »

ـ ويقول في منع التبول في الطريق « من غسل سخيمته على طريق من طرق المسلمين وجبت عليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعين » .

ـ وفي منع البصق يقول « البصق على الارض خطيئة وكفارتها ردمها » .

ومعروف أن البصق على الارض قد ينقل الكثير من الامراض واخطرها مرض السل .

الاسلام ومكافحة الاوبئة

لقد جاء الاسلام في هذا المجال بتعاليم سبق بها الطب الحديث فمن ذلك :

١ ـ الامر بعزل المريض المعدى عن غيره من الاصحاء ، اذ يقول الرسول « لا يورد ممرض على مصح » وكلمة الممرض معناها المريض الذي قد يمرض غيره ، اي ينقل العدوى اليه . وهو تعبير آية في البلاغة .

٢ ـ ويامر الاسلام الاصحاء بعدم مخالطة المريض المعدى (الممرض) الى ان تزول فترة العدوى ، ويصبح غير ناقل للمرض ، وفي هذا يقول الرسول « ان من القرف التلف » والقرف هو مقارفة المريض اى ملامسته، والتلف هو الهلاك أي العدوى .

٣ ـ وقد سن الرسول مبدأ الحجر الصحي اى عزل المريض الذي لا يرجى شفاؤه كالمجذوم .وفي هذا يقول الرسول « اجعل بينك وبين المجذوم قدر رمح أو رمحين »

٤ ـ وفي التعامل مع الوباء يضع الاسلام قاعدة خطيرة تطابق احدث ما هو متبع في عصرنا ، اذ يقول : « اذا سمعتم بالوباء بارض فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه » .

٥ ـ وينهى الاسلام عن العطس في وجوه الناس، اذ ان ذلك ينشر بينهم أمراض [illegible] كالانفلونزا والتهاب الحلق .

كان الرسول اذا عطس غطى وجهه بكفيه او طرف ثوبه .

هذه نبذة ضئيلة من تعاليم الاسلام التي اتسع المجال لذكرها في باب صحة البيئة ومكافحة الاوبئة فلننظر في أثر هذه التعاليم في وقاية الشعوب الاسلامية عندما كانوا يطبقون هذا الدين عقيدة وسلوكا .

أثر هذه التعاليم

لقد الف الاوربيون الذين احتكوا بالعرب في عصور ازدهار الاسلام في الاندلس أو في الشرق أثناء الحروب الصليبية ـ مئات من الكتب يقرون فيها أن المدن الاسلامية امثال بغداد ودمشق والقاهرة كانت انظف مدن الدنيا قاطبة . وهي أول مدن في التاريخ مهدت شوارعها ، ورصفت وأضيئت . وكان لدى العرب مستشفيات متخصصة تعزف فيها الموسيقى . وكان لديهم نظام للعزل الصحي ، والمراقبة الصحية ، ولم تحدث لديهم أوبئة .. وعندما ظهر الطاعون في أوروبا سنة ١٣٤٧ م وقتل ربع سكان القارة كلها توقف عند حدود العالم الاسلامي بسبب النظافة وحدها ..

ويذكر برناردشو في كتابه حيرة الطبيب Doctor's Dilemma ، انه عندما ابتدأت بريطانيا في استعمار العالم الاسلامي عملت على اجبار سكان (جزر السندويتش) على ترك الاسلام فما أن نجحت في ذلك حتى ابتدأت الاوبئة الفتاكة تظهر بينهم ، وتقضي عليهم بسبب تركهم لتعاليم النظافة في هذا الدين .

وهكذا يكون الاسلام أول دين في تاريخ الانسانية يخلق الاسلوب العقائدي في الطب الوقائي ، ويطبقه بنجاح قبل أن تلجأ اليه الصين والدول الشيوعية الاخرى وتنسبه اليها بأربعة عشر قرنا .

الاسلوب العقائدي في مكافحة الاوبئة وتحسين الصحة

رغم التقدم المذهل في مجالات الطب [illegible] بالادوية الحديثة ، والاجهزة المبتكرة ، [illegible] زال المبدأ الرئيسي في الطب هو ان « الوقاية خير من العلاج » ..

فجميع الامراض الوبائية والمعدية . [illegible] امراض

لمتوطنة يمكن منعها بالوعى الصحى وحده ومن هذه الامراض ما ينقلـه الذباب ، والحشرات ، والقذارة ، وتلوث المياه ، والاطعمة ، مثل الكوليرا والتيفود والدوسنتاريا والتهاب الكبد المعـدى وشلل الاطفال والطاعون والتيفوس وكل انواع الحميات .. ومنها الطفيليات الخطيرة التى تصيب ٩٠٪ من الفلاحين فى القرى فى العالم العربى ، واخطرها البلهارسيا التى تنتج عن تبول الفـلاح فى الترعة ، والانكلستوما التى سببها تبرزه فى الطين وقرب الشواطىء ..

ولكى ننشر لدىجماهيرنا العربية الاسلاميةوعيا صحيا كافيا يجعلهم يلتزمون التزاما حازما ودقيقا بكل الارشادات الصحية فلا بد من احد طريقين :

الاسلوب التقليدى فى الاعلام :

وهـو يعتمد على النشرات الصحيـة والكتب والملصقات وارشادات الاطباء ومفتشى الصحـة .

وقد ثبت أن هذا الاسلوب لا يجدى الا مع الشعوب المثقفة ثقافة عالية ، والتى تقارب نسبة التعليم فيها ١٠٠٪ ، وتتمتع برخاء اقتصادى يهيىء لها حياة كريمة وصحية ، كالشعب البريـطانى او الفرنسى او الامريكى .. اما الشعوب التى تصل فيها نسبة الامية الى ٧٥٪ ويقل دخل الانسان فيها عن حاجاته الرئيسية فلا يمكن ان يجدى معهـا هذا الاسلوب . ولا بد مـن مئات السنين مـن التعليم حتى ياتى بنتيجة .

الطريق الثانى هو الاسلوب العقائدى .

اى ربط تعاليم الصحة والنظافة بعقيدة الامة، وجعلها جزءا لا يتجزأ منحياتها اليوميةوالسياسية والمعيشية .

وهذا ما فعله الاسلام منذ ١٤قرنا منالزمان .. ونجح فى تحقيقه اعظم النجاح ، وهذا هو ما فعلته الصين وكوريا وكوبا فى القرن العشرين ،ونجحت فى تحقيقه . بل لقد حققت به المعجزات ..

بالاسلوب العقائدى وحده تخلصت الصين من الافيون والذباب والبلهارسيا فى سنوات قليلة :

وقد زرت الصين ــ بعد ان قرات الكثير عـن المعجزات التى حققتها فى مجال النظافة والقضاء على جميع الامراض المتوطنة ــ وكان اهتمامى الاول بدراسة الاسلوب العقائدى الذى اعتمدت عليـه الثـورة فى خلق الـوعى الصحى لـدى الجماهير ..

وقد بلغ هذا الوعى درجة ان العامل اذا اصيب بالزكام لا يخرج الى العمل الا وقد وضع على وجهه قناعا من القماش ، كالذى يلبسه الاطباء فى غرفة العمليات ، وذلك حتى لا ينقل العدوى الى زملائه العمال ، فيعطل الانتاج .

واهم ما فى هذه التجربة الناجحة انها تمت بدون زيادة فى الميزانية ، او الاعباء المالية ، وقد لاحظت ان العمال والفلاحين يحملون معهم اينما ساروا الكتاب الاحمر الذى يحوى تعاليم ماوتسى تونج ، فاذا جاء وقت راحتهم انهمكوا فى قراءته، كما يقرأ المسلم آيات من القرآن .. وسالت عن تعاليم النظافة فى هذا الكتاب فقـال رفيقـى المترجم : انها تقع فى فقرات قليلة تحت عنوان « الشيوعى المخلص لعقيدته هو الذى يراعى قواعد النظافة » .

فقلت له فورا : هذه الفقرة اخذت عن الاسلام. فتعاليم النظافة فى الاسلام ايضا تقع تحت حكمة للرسول ، اذ يقول : « النظافة من الايمان » اى المسلم المؤمن بدينه حقا هو الذى يراعى قواعد النظافة .

فاذا كانت العقيدة الشيوعية قد فعلت ذلك التغيير الجذرى فى حياة الملايين . فمما لا شك فيه ان العقيدة الدينية اقوى اثرا ، واشد فعلا منها فى الناس .. وذلك لان تعاليم الدين لا ترتبط بالحياة الدنيا وحدها .. ولكن بالعقاب والثواب فى الآخرة .

ومن لديه ادنى شك فى قدرة الدين كقوة محركة للجماهير ، فما عليه الا ان يزور جهات القتال حيث دارت معركة رمضان لكى يرى بنفسه كيف استطاعت العقيدة الدينية بل صرخة « الله اكبر » وحدها فى المعركة ــ ان تدفعالجندى الفلاح الى بذل روحه ودمه فىالقتال.. فكيف لا تستطيع ان تلزمه بقواعد النظافة . ■■

احمد شوقى الفنجرى

خيركم

● قال صلى الله عليه وسلم : «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه » • وقال : « ان الله قد بعثنى بالحنيفية السهلة ، ولم يبعثنى بالرهبانية المبتدعة ، سنتى الصلاة ، والنوم والافطار والصوم ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » •

حامل

● قال عبد الله بن مسعود : « ينبغى لحامل القرآن ان يعرف بليله اذ الناس نائمون ، وبنهاره اذ الناس يفرطون ، وبحزنه اذ الناس يفرحون ، وببكائه اذ الناس يضحكون ، وبصمته اذ الناس

الكلام على وجوه

● كان احد العلماء يطيل السكوت ،فاذا تكلم انبسط • فقال له احدهم ذات يوم « لو تكلمت ! » فقال : « الكلام على اربعة اوجه،فمنه كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته • فالفضل منه السلامة • ومنه كلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته •• فاقل مالك فى تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك ، ومنه كلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته ، وهذا هو الداء العضال •ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته •• فهذا الذى يجب عليك نشره »•

قال : « فاذا هو قد اسقط ثلاثة ارباع الكلام • »

وصفة

● حكى ان احد الاعراب سقط من بعير له ، فانكسرت ضلع من اضلاعه ، فأتى الى الجابر يستوصفه ، فقال : « خذ تمرا جيدا فانزع اقماعه ونواه ، واعجنه بسمن ، ثم ضعه على ضلعك المكسور » • قال : « اى بأبى انت ، من داخل ام من خارج ؟» قال : من خارج يرحمك الله • قال : « لا ابا لشانئك ، هو من الداخل انفع لى » • قال : « ضعه حيث تعلم أنه انفع • »

اشعب محدث

● قال بعض الصلحاء لأشعب « لو رويت الحديث وتركت النوادر والطرف كان ذلك انبل لك يا اشعب ؟ » قال « والله قد سمعت الحديث ورويته » قالوا : « فحدثنا اذن » • قال : « حدثنى نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خلتان من كن فيه كان من خالصة الله » • قالوا « هذا حديث حسن ، فما هاتان الخلتان ؟ » قال : « نسى نافع واحدة ، ونسيت انا الاخرى • »

القرآن

يخوضون ، وبخشوعه اذ الناس يختالون ، ويبغى لحامل القرآن ان يكون عليما حكيما ليا مستكينا ، ولا ينبغى له ان يكون جافيا ولا محاربا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا (حاد الطبع) ٠ »

ام غزوان

● حكى ان ام غزوان الرقاش، كانت من الحمقى قيل انها قالت لابنها غزوان ، وكان من الاتقياء الصالحين ، وقد راته يقرأ فى المصحف : ياغزوان ، اما تجد فى هذا القرآنبعيرا ضللى فىالجاهلية؟ فما نهرها غزوان ، بل قال : يا امة الله ، اجد والله فيه وعدا حسنا ، ووعيدا شديدا ٠

قوس حاجب بن زرارة

● قيل ان القحط توالى على قبيلةمضر سبع سنوات ، حتى كادوا ان يهلكوا ، فلما راى حاجب بن زرارة الجهد والجدبعلى قومه ، جمع بنى زرارة وقال لهم «انى قد ازمعت على ان آتى كسرى،فاطلبان يأذن لقومنا بسكنى بعضقرى العراق٠

فلما مثل حاجب بن زارة امام كسرى ،شكا اليه الجهد فى انفسهم وأموالهم،وطلب ان يأذن لهم ان يسكنوا أحد بلاده،فقال لهمكسرى«ان اذنت لكم افسدتم البلاد فقال له حاجب : « انى ضامن للملك الا يفعلوا »٠قال : « ومن لى بأن تفى بما تقول ؟ » قال: « ارهنك قوسى بالوفاء بما ضمنت لك ٠٠»ولما جاء حاجب بقوسه ، ضحك القوم ، وقالوا : « بهذه العصا يفى هذا الاعرابىللملك ؟ ٠٠ » فأجابهم كسرى « نعم » ٠

ومكث بنو زرارة فى تلك القرى مدة، ثم مات زعيمهم حاجب ، وزال القحط وخرج اصحاب حاجب الى ديارهم وارتحل عطارد بن حاجب الى كسرى ليطلب قوس ابيه ٠

فلما دخل على كسرى قال له : « ما انت بالذى وضعتها عندى » ٠ قال : « اجل ايها الملك ما انا بالذى وضعتها » ٠ قال : « فمن الذى وضعها ؟ » قال : « هلك، وهو ابى ، وقد وفى لك ايها الملك بما ضمن لك عن قومه ٠٠ » قال كسرى : « ردوا عليه قوسه » ٠ وكساه ٠

المال

● قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف : قسم سهل بن حنيف الايادى الانصارى ــ وكان من السابقين الى الاسلام ــ بيننا اموالنا ٠ وقال لى : يا ابن اختى أنى أوثرك بالقرابة ، اعلم انه لا مال لأخرق (أحمق) ، ولا عيلة (فقر) على مصلح ٠ وخير المال ما اطعمك لا ما أطعمته ٠ وان الرقيق (العبيد) جمال وليس بمال ٠

الحياة لا تُهدى

إنها عمل وكفاح وثمار يجنيها الزوجان بالجهد والعرق

بقلم : منير نصيف

● كيف نعطى ابناءنا عندما يكبرون ويتزوجون .. ماذا نعطيهم .. هل نقدم لهم اسباب الرفاهية فوق طبق من الذهب او الفضة ؟ الى اى حد يجب ان نتركهم يعتمدون علينا ؟ هل نترك ابناءنا يصعدون سلم الحياة درجة من بعد درجة ، او نحملهم بأيدينا الى القمة، ثم اين السعادة التي يبحث عنها الزوجان بعد هذا ؟ هل هى فى العمل والكفاح ام هى فى المال الذى يغدقه عليهما الآباء ؟

★ ★ ★

كان كل شىء يوحى بان شيئا غير عادى قد حدث بين هذين الزوجين الشابين .. ولكن احدا لم يستطع ان يعرف على وجه التحديد سر هذا الفتور الغريب الذى اصاب الحب الجارف الذى اجتاح قلبيهما قبل الزواج .. وحمل الزوجان مشكلتهما وذهبا يطرقان باب عيادة الطبيب النفسانى الكبير نورمان فنسنت بيل ، وبدأ الحوار التقليدى .

قال الطبيب موجها حديثه الى الزوجة : « ما هى مشكلتك يا ابنتى ؟ » .

قالت : « لا ادرى يا سيدى . لقد مضى على زواجنا عشرة اشهر..كنا اسعد ما يكون الخطيبان طوال الفترة التى عرف فيها بعضنا البعض قبل الزواج ، بعد ان قدمونى لخطيبى .. كنا نجلس تحت ضوء القمر ونحلم بالايام الحلوة التى تنتظرنا .. كنا نرى السعادة فى كل شىء من حولنا .. فى الزهور الجميلة التى نمر بها فى الحدائق وكانها تبتسم لنا .. فى الطيور الصغيرة التى كنا نسمعها تغرد وكانها تغنى لنا .. فى الشمس التى تتسلل من وراء الغيوم ، وكانها اشرقت من اجلنا وحدنا ..

« واقترب موعد اليوم الذى انتظرناه طويلا .. يوم الزفاف .. واقام والد زوجى حفلا كبيرا دعا اليه الاقارب والاصدقاء .. وانتقلنا الى عشنا الجديد .. الى البيت الذى اختاره والد[illegible] .. لم ينقصنا شىء ، فقد انفق والد زوجى [illegible] لكى يوفر لنا كل ما كنا نحلم به ونشت[illegible] .. حتى السيارة الجديدة التى اهداها لنا كا[illegible] نفس السيارة التى كنا نقف امامها ونقضى [illegible]عات الطويلة نتاملها ، ونتمنى لو انها اصبح[illegible] ملكا لنـا ..

إهـــداءً

الحياة في الجنة

« ومرت اسابيع طويلة كنا نتخيل انفسنا فيها وكاننا نعيش في الجنة ·· كان زوجي يصحو من نومه في الصباح ويذهب الى عمله ، اما انا فلم اكن اغادر فراشي قبل ان ينتصف النهار ·· كانت خادمتي تعنى بكل شيء ، باعداد الطعام ، وتنظيف

البيت وتدبير اموره ، وكنت اقضي الوقت في مراقبة برامج التلفزيون وقراءة الكتب والمجلات ، وترقب الساعة التي يعود فيها زوجي من عمله الى البيت·

« لم يكن هناك شيء ينغص علينا عيشنا ·· لم اجد سببا واحدا يدعوني الى الشكوى ·· كان كل شيء سهلا ميسورا ·· كانت امانينا تتحقق ، وكل طلباتنا تجاب ·· وكانت بعض هذه الاماني ليست دائما في متناول يدنا ، ولكن لم يكن الامر يتطلب اكثر من مجرد اتصال تليفوني بين زوجي ووالده ، فيكون لنا ما نريد ··

·· ثم بدأت الصورة تتغير

« وفجأة بدأت صور الحياة التي كنا نحلم بها تتغير ·· بدأنا نحس بالملل يتطرق الى نفوسنا ، بدأنا نشعر بفراغ كبير يحتوى حياتنا الجديدة ·· أليس غريبا يا سيدى ان ينتابنا مثل هذا الشعور ونحن ننعم بكل ما يتمناه الزوجان ·· اى زوجين في بداية حياتهما ·· أليس غريبا يا سيدى ان نمل هذه الحياة بكل ما تحويه من رفاهية وسهولة ويسر ؟ ·

لا يا سيدتي ·· ليس في هذا الشعور الذى انتابكما في بداية حياتكما الزوجية اى غرابة ·· فهذه الحياة التي تعيشانها ليست من صنعكما ، وانما هى حياة قدمها لكما والداكما « هدية » ·· والحياة لا تهدى ، الحياة عمل وكفاح،وثمار يجنيها الزوجان بالعرق والجهد »··

المتعة الحقيقية في الزواج

ويمضي نورمان فنسنت بيل في حديثه : « عندما يتزوج الرجل ، فكانه يقول للعالم : « انظروا ، لقد كبرت واصبحت رجلا ·· انني الآن استطيع ان اقف على قدمي ، وان اعول زوجتي ، وان اصبح ربا لاسرة ·· هذه المتعة الحقيقية التي يجدها الرجل عندما يصبح رجلا ويستعد للزواج ·· ولكن والده حرمه من هذه المتعة يا ابنتي ·· لقد قدم له كل ثمار الحياة التي كان عليه وحده ان يشقى ويكد ويتعب من اجل بلوغها ، فوق طبق من الذهب او الفضة !

« ليس معنى هذا ان يقف الوالدان ، والد الزوج او والد الزوجة يرقبان ولديهما وهما يتضوران جوعا ٠٠ وليس معناه ايضا ان يحرم الوالدان الزوجين الشابين من مساعدتهما لهما ، اذا كانا فى حاجة الى هذه المساعدة ، انه تقليد قديم ، فكل الآباء يمدون يد العون لابنائهم فى بداية حياتهم عندما يتزوجون ويشرعون فى بناء عش الزوجية بعيدا عن سيطرة الوالدين ٠٠

كل شيء « للاطفال الكبار »

« ولكن بعض الآباء يضلون الطريق ٠٠ انهم فى غمرة فرحتهم بالابن الذى كبر وتخرج فى الجامعة وتزوج ، والابنة التى كانت بالامس القريب طفلة ثم اصبحت عروسا جميلة تخطر فى ثوبها الابيض وسط اطراء واعجاب الحاضرين ٠٠ انهم فى غمرة هذه المشاعر الفياضة ، ينسون كل شيء فى سبيل اسعاد هذين القلبين ، فنراهم يقدمون « لاطفالهم الكبار » منذ اليوم الاول الذى يبداون فيه حياتهم الجديدة ، كل ما يمكن ان يشترى بالمال ٠٠ المال الذى جمعه الآباء بعد سنوات طويلة من العرق والدموع والكفاح !

« وهذا اكبر خطا يرتكبه الآباء فى حق ابنائهم ٠٠ فالواقع ان هذين الزوجين الشابين ليسا فى حاجة لان تحاط حياتهما فى عشهما الصغير الجديد، بكل هذه الكماليات واسباب الرفاهية التى تصور الآباء ان لا بد من توافرها لكى يضمنوا النجاح لهذا الزواج ٠٠ ونسوا انهم بهذا انما قضوا على الحافز الوحيد الذى يدفع الرجل الى العمل الجاد المثمر من اجل بناء بيته وتوفير كل ما تتطلع اليه اسرته ٠

« ان المال وسيلة الحياة ، ولا حياة بدونه ٠٠ ولكن هناك فرقا كبيرا بين ان تجد هذا المال مبسوطا بين ايدينا بغير جهد ، وبين ان نسعى اليه ونبذل العرق فى سبيل كسبه ! وما يقال عن المال نفسه، يقال عن كل شيء يشترى بالمال ٠٠

الشعور بقيمة الحياة

ان الزوجين اللذين يجدان أمامهما كل ما كانا يحلمان به ويشتهيانه قبل الزواج ، وقد تحقق بين يوم وليلة ، لايشعران بقيمة الحياة ٠٠

وعندما يفقد المرء شعوره بالحياة يفقد ... ما يمكن ان تقدمه الحياة ٠٠ فالحياة امانى و احلام وآمال يمضى الانسان عمره كله من اجل تحقيقها ٠٠ فهو يحلم بالبيت الجميل الذى يقتصد جانبا من مرتبه لكى يتمكن من شرائه ، ويحلم بالسيارة الصغيرة التى سيشتريها لاسرته ٠٠ ويحلم بالجامعة التى سيرسل ابناءه اليها لتلقى العلم عندما يكبرون وينهون مرحلة تعليمهم الثانوى ٠٠والزوج يحلم والزوجة تحلم وتامل وتتمنى ، وليس هناك من حديث الذ واحلى من الحديث عن الآمال والأحلام والقصور التى يبنيها الازواج فى الهواء ، كلما احسا بالضيق او الملل يتطرق الى نفسيهما ٠٠ ان المستقبل دائما ، والحديث عن هذا المستقبل المجهول وما يمكن ان يحمله لها من مفاجآت سعيدة، هو الشغل الشاغل لكل زوجين فى بداية طريق الحياة التى يسيران فيها جنبا الى جنب وحدهما عندما يختليان بعد الزواج ، ثم مع اطفالهما عندما يمتلىء بهم البيت ، ويصبح الحديث عن مشاكلهم ومستقبلهم هو احلى الموضوعات التى تشدهما اليها شدا فى اى وقت فى اى ساعة من ساعات الليل والنهار ٠٠ »

رؤية الغد قبل ان يجيء

ويكمل نورمان فنسنت بيل حديثه الى الزوجين الشابين فيقول : « تريدان بعد هذا ان تعرفا سر هذا الشعور بالضيق والملل الذى بدا يحتوى حياتكما ؟ اذن فاعلما انها الحياة الرغدة التى وفرها لكما والداكما بكل ما فيها من ترف ورفاهية لم تبذلا اى جهد فى سبيل تحقيقها ٠٠ لقد رأيتما المستقبل والتقيتما وجها لوجه بالغد البعيد ، وبكل ماكنتما تطلعان اليه فيه حتى قبل ان يجيء هذا الغد ٠ لقد حرمكما والداكما من متعة التلذذ بالامانى والاحلام التى كانت تملأ قلبيكما قبل الزواج لا ٠٠ ليس غريبا ان تملأ الحياة انتما تنعمان بكل متعها ٠٠ ليس غريبا ان تضيقا بالحياة بكل ماتحويه من رفاهية من حولكما ٠٠ لانكما لم تشاركا فى صنع شيء واحد هذا كله ! »

الكفاح اساس النجاح

لقد اثبتت الاحصائيات ان العمل الشاق من اجل بناء البيت والاسرة ، سواء قام به الزوج وحده . ام قام به الاثنان ، لم يكن فى يوم من الايام سببا فى فشل الحياة الزوجية . بل ربما كان العكس صحيحا ، فقد اعترف العديد من الازواج الشبان وغير الشبان . فى البحوث والدراسات الاجتماعية التى اجريت فى الماضى القريب والبعيد، ان الكفاح الذى يشترك فيه الزوج والزوجة على السواء . من أجل رفاهيـة أسرتهما وأطفالهما قد ساهم فى التقريب مابين الزوجين وتقوية رباط الزوجية بينهما ، ودعم اواصر الصداقة العميقة التى يجب ان يقوم عليها كل زواج ناجح ..

اجمل ذكريات العمر

روت زوجة فى منتصف العمر أجمل ذكريات حياتها مع زوجها بعد مضى اكثر من عشرين عاما على زواجهما ، قالت : « ما زلت احتفظ بها كلها فى رأسى وقلبى حتى اليوم .. انها اول هدية اشتراها لى زوجى من مرتبه وقدمها لى فى عيد ميلادى بعد ان انتقلنا الى بيت الزوجية .. انها اول قطعـة اثاث جديدة اشتريناهـا مـن ميزانية البيت .. انها اول عطلة سافرنا فيها الى الخارج لقضاء شهر عسل جديد بعد مرور ثلاثة اعوام على زواجنا .. انه اول قسط دفعناه معا للسيارة الجديدة التى اشتريناها .. واخيرا بها تلك اللحظة التى ملأت قلبينـا بكل الحب فى الدنـ ، عندما سمعنا صيحة طفلنا الاول ، ثمرة حبـ وزواجنا .. اننى اليوم ام لولدين .. لعلهما شيء الوحيد الذى لم استطع ان استبقيه مع مجمو ذكرياتى الحلوة مع زوجى .. فقد كبرا وتعلما وجا ، وخرجـا الى العالم الفسيح شقا ليشقا طريقهما مع الفتاتين اللتين اختاراهما لتشاركا حياتهما ! هذه هى اجمل ذكريـات حياتى مـ الرجل الذى شاركنى عمرى ، وشاركته كفاحه و وامانيه ! »

العقد النفسية

يقول وليام جيمس : « ان الاغداق على الابناء سواء فى طفولتهم او فى صباهم او بعد الزواج قد يجيء نتيجـة عقد نفسيـة يعانى منها الآباء انفسهم .. فهناك الآباء الذين حرموا من الكثير من المتع والمزايا التى كان ينعم بها غيرهم . او الذين امضوا جانبا كبيرا من حياتهم فى كفاح طويل من اجل تحقيق بعض امانيهم وأحلامهم . او الذين ذاقوا فى مرحلة او فى اخرى من مراحل حياتهم الزوجية مرارة الفقر والحرمان ، هؤلاء جميعا لايريدون لابنائهم ان يذوقوا الحرمان الذى عرفوه هم وجربوه ، فنراهم يندفعون بكل مالديهم من مال اقتصدوه وامكانيات اتيحت لهم مع الزمن، ليعوضوا ابناءهم عما فاتهم هم من متع الحياة وزخرفها ، تلك التى افتقدها الآباء فى شبابهم .».

خطر على الابناء والآباء

يقول ايمرسون فيلسوف امريكا : « ان هناك خطرا كبيرا يكمن وراء تلك الرغبة الابوية التى تتملكنا بالعطاء والسخاء على ابنائنا .. وهـو خطرا لايتهدد الابناء بقدر ما يتهدد الآباء انفسهم!

« ان استعدادنا الدائم لان نقدم اليهم كل مايحتاجون اليه ومالايحتاجون ، يخفى وراءه املا مقنعا فى الابقاء على ابنائنا حيث تعودنا انnراهم دائما وهم يتجهون الينا ويعتمدون علينا فى كل شيء حتى بعد زواجهم وحتى بعد اعلانهم عـن الرغبة فى الاستقلال بحياتهم ! »

« ان الكثيرين من الآباء يجدون صعوبة كبـيرة فى فهم وادراك حقائق الحياة .. فهم لا يحتملون رؤية ابنائهم وهم يبتعدون عنهم .. وهذا السلوك غير الطبيعى من جانب مثل هؤلاء الآباء يعكس حالة عدم الاستقرار التى يعانى منها الآباء انفسهم ، والافتقار الى النضوج الفكرى والعاطفى فى هذه السن المتقدمة ، وعدم القدرة على تقبل التغيرات الطبيعية التى تطرأ على كيـان الاسرة مع مرور الزمن . انه حب الوالدين للابناء .. ولكنه حب بالغ مدمر .. »

■■

منير نصيف

محمد رسول الله علي ولي الله
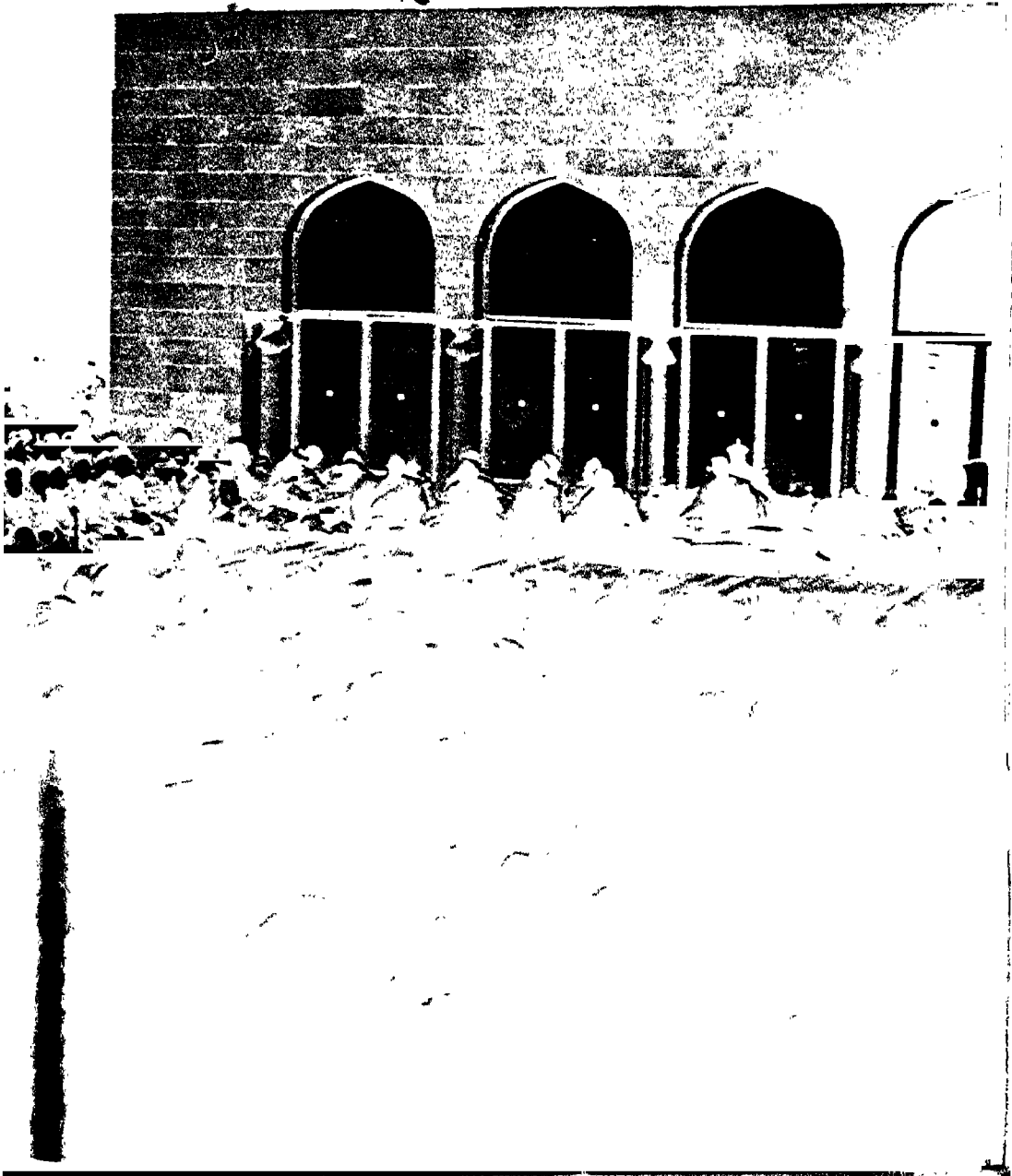
بومباى ثانى اكبر مدن الهند تضم حوالى ثمانية ملايين نسمة، بينهم عدد كبير من المسلمين ثم هى مركز لتجمع البهرة ، حيث افتتح المسجد الجديد وفى هذه المدينة يعيش ايضا « البارثى » عبدة النار .

بعث جديد فى الهند لحضارة اسلامية عربية عريقة

استطلاع : محمد حسنى زكى

تصوير : صلاح ادم

هكذا تجمعت وفود البهرة الذين وفدوا من انحاء الهند البعيدة والقريبة . ومن سيلان وشرق افريقيا والباكستان والشرق الاقصى وانجلترا ، ويعتبر هذا اللقاء اجتماعا تاريخيا ، وقد جلسوا حول زعيمهم الروحى ينصتون الى توجيهاته وارشاداته تجمعهم روح الاسرة الواحدة المتحابة المتعاونة.

■ كانت دعوة رقيقة حملها شيخ وقور يدعو« العربى » فيها لحضور حفل اهداء التذكار الذى اقيم فى مدينة « بومباى » فى الهند لذكــرى الداعى الفاطمى « الدكتور سيدنا طاهر سيف الدين » سلطان البهرة الراحل ، وحضور الحلقة الدراسية الدولية للدراسات الاسلامية والعربية.

ولبينا الدعوة وبدانا نستعد لرحلتنا للقاء هذه الجماعة من اخواننا المسلمين فى الهند .. انهم جماعة البهرة .. ولكن مهلا . فمن هم البهرة هؤلاء ؟ سنقدمهم فى سطور قليلة ولنا عودة اليهم فى مكان آخر من استطلاعنا هذا ..

« البهرة » او « البوهرا » اسم يدل على التجار مشتق من اللغة الكجراتية (الجوجاراتية) السائدة فى غرب الهند . وهم طائفة اسلامية يتبعون مسلك الائمة الفاطميين. وهم احد فروع المذهب الاسماعيلى الذى ترجع اصوله الى الشيعة انصار الامـــام على بن ابى طالب رضى الله عنه .. هؤلاء كانوا اصحاب الدعوة الى هذا الاحتفال او الندوة او المؤتمر .

الوحدة الاسلامية

لقد نادى الكثيرون من علمــاء المسلمين الــى عقد مثل هذه المؤتمرات والندوات التى تهــدف الى التقريب بين المذاهب الاسلامية لازالة الفرقة بين طوائفها . وممن نادى من علماء المسلمين بهذا، الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر حيث قال (انه سيتم قريبا عقد مؤتمر لرؤساء المذاهب الاسلامية . من أهل السنة والشيعة ، يقوم بخدمة كبرى جليلــة فى احلال التفاهم وتوطيــد اسس الصداقة والمساواة بين الاخوة المسلمين) وكان شيخ الازهر من اوائل من لبوا الدعوة الى هذا المؤتمر.

ارض بهارات

وحطت بنا الطائرة فى مطار « سانت كروز » بمدينة بومباى ، مقر زعيم البهرة ، وثانى اكبر مدن الهند ، وتقع على ما هو معروف على الساحل الغربى منها.. ولما فتحت المضيفة باب الطائرة كان اول شيء نفد الى انوفنا هو تلك الرائحة العجيبة التى ملات الجو من حولنا ، رائحة البهار مع الجو المتشبع بالرطوبة . ولم نصدق أن هذه « البهارات » التى اشتقوا منها اسم الهند كلها يمكن ان تملأ الجو والسماء وما بينهما فوق ارض « بهارات » ..

ارض الفلاسفة

وقال لنا أصحاب ضيافتنا وهم يستقبلوننا فى ارض المطار «انتم الآن فى ارض الفلاسفة .. يجب ان تعتبروا انفسكم سعداء لانكم فوق ارض الهند ، من لم ير الهند لم يعيش .. ! »

وتذكرنا بهذا اللقاء رحالتنا العربى الكبير ابن بطوط وكيف انه ظل ثلاثة أرباع عمره يتغزل فى الهند .

وبادلت الهند ابن بطوطة غزلا بغزل فولته المناصب الرفيعة فكان قاضى قضاتها ، واختارته أيضا سفيرا متجولا خارج ارضها ..

ولاحظنا فى ما لاحظنا فى المطار مجموعة من الشباب يروحون ويجيئون ، فى نشاط وهمة. لهم بزة فريدة انيقة ناصعة البياض سترة طويلة كالمعطف تحتها بنطال ضيق ، غطاء الرأس بسيط انيق ، عمامة صغيرة ذهبية تنسجم مع سماحة هذه الوجوه الباشة ، ودقة اللحى الصغيرة المهذبة .. تقدموا منا وبتحية الاسلام .. فى حياء ظاهر وأدب جم

تعتبر مدينة بومباى أهم ميناء فى الهند منها واليها تبحر السفن الى اوروبا وافريقيا وسائر انحاء العالم فلم يكن غريبا اذن ان يشيدوا هذا البناء الضخم ويطلقوا عليه اسم « بوابة الهند » .

ضيوف من أنحاء العالم

كان هؤلاء هم لجنة جماعة البهرة لاستقبال الضيوف الذين اتوا من جميع انحاء العالم كانوا يزيدون على الخمسمائة ضيف من العلماء واساتذة الجامعات ورجال الدين الذين يمثلون جميع الطوائف والمذاهب الدينية فى مصر ، والكويت ، ودولة الامارات العربية ، وسوريا ، ولبنان ، والعراق ، والاردن ، واليمن ، وليبيا ، وتونس ، والمغرب ، والجزائر ، وايران،وكينيا والمملكة المتحدة وباكستان وسيلان وتانزانيا، والولايات المتحدة، وفرنسا ومن سائر انحاء جمهورية الهند • وكان فى مقدمة الحاضرين الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر وهو أول شيخ للازهر يزور الهند •

حشد هائل

وفي يوم السبت ٨ ربيع الآخر سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٩ ابريل سنة ١٩٧٥ م كان شـارع « ابراهيم رحمة الله » فى منطقة بهاندى بازار، قلب الحى التجارى فى بومباى غاصا بجمـوع حاشدة من المسلمين والهنود فهو يوم الاحتفال بافتتاح المسجد والضريح اللذين شيدهما البهرة تخليدا لزعيمهم الراحل ، وقد راس الاحتفال رئيس جمهورية الهند السيد فخر الدين علـى احمد ، وحضره عدد كبير من رجالات الهند وحكام الولايات والوزراء ، وكان ضمنهم رئيس وزراء كشمير الشيخ عبد الله••وحضره الضيوف جميعا• حضروا من جميع ارجاء العالم •

وابتدىء الحفل باى الذكر الحكيم من المقرىء المصرى الشهير الشيخ محمود خليل الحصرى••ثم تليت كلمات وبرقيات التهنئة التى ابرق بها ملوك ورؤساء البلاد الاسلامية والعربية ••وتوالى الخطباء •• وتحدثوا فى كثير من الامور التى تشغل العالم الاسلامى، وفى مقدمتها قضية العرب الكبرى فلسطين،والاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية وتدنيسه المقدسات الاسلامية فيها •

تبرعات

وفى نهاية الحفـل اعلـن زعيـم البهرة الحالى الدكتور سيدنا محمد برهان الدين » تبرعه بمبلغ مليونين ومائة الف روبية دفعة اولى لانشاء معهد الدراسات الاسلامية والعربية ،وبمبلغ مائة الف روبية لتجميل الحى الذى يقع فيه المسجد الجديد

الدكتور طاهر سيف الدين زعيم البهرة الراحل والذى اقيم المسجد والضريح تخليدا لذكراه ، وقد كان شاعرا ورأس جامعة « عليكرة » ونهض بالدراسات الاسلامية واهتم بعلوم الحديث النبوى ودراسات الشريعة الاسلامية واحيا التراث الفاطمى فى الهند •

والضريح ، كما تبرعت مؤسسة « مجتمع جماعات الايمان » ـ وهى جمعية من المسلمين البهرة ـ بمبلغ مليون روبية لمساعدة مؤسسة الصم والبكم الهندية ، كما اعلن السيد محمد توفيق عويضة أمين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بجمهورية مصر العربية تبرع المجلس بخمسة آلاف كتاب لمعهد الدراسات الاسلامية العربية المزمع انشاؤه •

افتتاح المسجد والضريح تخليدا لذكرى السلطـان الراحـل

ثم قام الحاضرون يتقدمهم رئيس جمهورية الهند بافتتاح الضريح ويسمونه (روضة طاهرة)،وكذلك المسجد،وقد شيدا كلاهما تخليدا لذكرى الداعى الفاطمى «الدكتور طاهر سيف الدين» سلطان البهرة، وهو الداعى الحادى والخمسون فى سلسلة الدعاة الفاطميين ، وكان قد تولى الدعوة الفاطمية عام ١٩١٥حتى عام ١٩٦٥•شهدت هذه السنوات الخمسون احداثا سياسية وصراعات مذهبية بين دول العالم واستطاع السلطان ان يقود سفينته فى وسط هذا

السيد فخر الدين على احم
رئيس جمهورية الهند يلق
خطابه فى حفل الافتتاح وق
جلس على المنصة كبار الضيو
الذين يمثلون بلدانهم الاسلام
والعربية (**والى اليمين**
الرئيس الهندى يصافح الام
الاكبر شيخ الجامع الاز
(**تحت**) رجال الدين يمثلو
جميع الطوائف والمذاه
الاسلامية يستمعون الى احد
الخطب .. والصورة (اسا
الصفحة) للجموع التى وق
فى نظام منذ شروق الشم
حتى غروبها تنتظر دوره
لدخول « روضة طاهرة »

الدكـ.ر محمد برهان الدين الداعي الفاطمي الثاني والخمسون
والرعيم الحالي لطائفة البهرة .. زار الآثار الفاطمية
بالقاهرة وكان صاحب فكرة بناء المسجد والمشهد على الطراز
الفاطمي كما يبدو في الصورة (تحت) والقبة مقتبسة من
جامع الجيوشي الكائن في تلال المقطم بالقاهرة اما ابوابها
الاربعة فهي على نسق باب مسجد الاقمر في القاهرة ويعتبر
تصميم هذه القبة سواء من الخارج او الداخل آية مـن آيات
الفن المعماري .

« فاسجدوا لله واعبدوا » حفرت على المرمر بالخط الكوفى الجميل وتوسطت محراب المسجد الذى اقتبسوا تصميمه وخطوطه من ثلاثة محاريب فاطمية ،هى محراب الجامع الازهر القديم ومحراب جامع الجيوشى ومحراب جامع ابن طولون بالقاهرة .

اللجاج المضطرب بعيدا نحو بر السلام والامان .. ولقد راس السلطان الجامعة الاسلامية (عليكره)، وكان رحمه الله عالما دينيا ، كما عرف بجهاده واسفاره الكثيرة وخدماته للعتبات المقدسة واهتمامه بالقضايا الاسلامية والعربية ، وقام بتطوير الدراسة فى « الجامعة السيفية » فى مدينة «سورت» بالهند وهى التى تعتبر حصنا من حصون الثقافة الاسلامية والعربية ، فهى تهتم اهتماما خاصا بتدريس اللغة العربية وآدابها ، واساتذتها يجيدون الحديث والخطابة والكتابة باللغة العربية ، وقد اعتاد الداعى الراحل القاء معاضرات باللغة العربية خلال ايام شهر رمضان المبارك ، وكانت تطبع بعنوان « الرسالة الرمضانية » وتحوى الكثير من الشروح والتفسيرات الدينية ، كما للسلطان الكثير من المؤلفات العلمية والدينية والتاريخية ، واشتملت مؤلفاته على نبذ نفيسة من التراث الفاطمى ، وكان شاعرا بليغا واهتم بنشر الخط العربى الكوفى فى الهند ، وقام بجولات ناجحة فى العالم الاسلامى ليربط ابناء طائفة البهرة باخوانهم المسلمين برباط وثيق من المحبة والاخوة .

التراث الفاطمى

ان اجل خدمة قامت بها طائفة البهرة،وعلى رأسها زعيمها الراحل ، وخليفته « الدكتور سيدنا محمد برهان الدين » ، وقد سار على منوال والده واتخذ منه مثالا يحتذى به فى كل اعماله،هى المحافظة على التراث العظيم من المؤلفات الدينية والادبية والتاريخية التى تضمها مكتبة « السلطان » ومكتبة الجامعة السيفية التى تضم بدورها مجموعة قيمة من المخطوطات النادرة تعتبر كنزا لايقدر بثمن .. انها اثر خالد لعصر يعد من ازهى العصور الاسلامية . فيه كانت القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية مركز اشعاع ، جذب اليه المثقفين والفنانين من انحاء الدنيا .. وكان عصرا نشطت فيه صناعة القلم والفكر .. وانشئت المكتبات للمطلعين والدارسين..انه عصر الدار الشهيرة.. « دار الحكمة » .. اصبحت المساجدفيه منارات علم تلقى الدروس فى صحونها ، وكان الازهر أول هذه المساجد .

وعندما بدأ نجم الدولة فى الافول نقل الكثير من هذا التراث الى اليمين،ومنها نقله البهرة الى الهند.. هناك وجدنا انفسنا امام تراث هذه الحضارة العتيقة وقد مضى عليها أكثر من الف عام . وجدناها بكل زخمها وتنوعها وتراثها فى العلوم والآداب والفنون ، وبكل ماحملته من آثار ثقافية عبر التاريخ ، وجدناه بعد ان عبرت الصحارى والبحار ، لتستقر فى الهند اوض الفلاسفة ، لتروى بصدق وامانة قصة الفاطميين .

ومن هنا كانت اهمية هذا التراث الذى حفظه دعاة البهرة فى مكتباتهم ، ولقد اخذ عليهم البعض مغالاتهم فى ستر هذه الكتب ، وقد كان من شدة خوفهم عليها من الضياع والبلى،انهم لايسمحون حتى لابناء الطائفة بالاطلاع عليها .. ولكن الداعى الراحل ، لما عرف عنه من حب للثقافة ونشر العلم، سمح للباحثين المخلصين بالاطلاع عليها واستنساخ عشرات المخطوطات،وقام بعضهم منذ اعوام بطبعها، وكانت سندا للكثيرين منهم فى الحصول على درجات جامعية ، وما زال فى خزائن الكثير عند البهرة الكثير من كنوز هذا التراث الادبى العظيم ، يحفظها الداعى ويعتز بها اعتزازا كبيرا ، والحقيقة ان البهرة يعتزون بالتقاليد الفاطمية وهم حريصون عليها وعلى سماتها و يحاولون بعثها بعثا جديدا .

(الصورة الى اليمين) جامع الجيوشى الكائن فى تلال المقطم شرقى القاهرة وهو احد المساجد الاثرية بنى سنة ٤٧٨ هـ ـ ١٠٨٥ م . وقد اقتبسوا منه تصميم المسجد والضريح ويظهر ذلك واضحا فى الصورة (الى اليسار) وهى « لروضة الطاهرة » .

« روضة طاهرة »

ولا ادل على ذلك من انه عندما توفى راعيهم الراحل سنة ١٩٦٥ وارادوا تخليد ذكراه ، فكروا فى بناء مسجد وضريح ، وعهدوا بتصميمهما الى المهندس المعمارى « يحيى مرتد » وهو من ابناء الطائفة ، فشد الرحال الى القاهرة وبقى هناك عدة شهور يتجول بين الآثار الاسلامية الفاطمية وقام بتصويرها ونقل الكثير من زخارفها ونقوشها ، ثم قفل عائدا الى بومباى حاملا معه حصيلة هذه الرحلة التى استعان بها ، واقتبس منها واستلهمها فى تشييد المسجد والضريح على النمط الفاطمى لمصر . واطلقوا على هذا الضريح الفريد فى نوعه اسم (روضة طاهرة) . ويعد الضريح رمزا حيا ومثالا ناطقا للفن الفاطمى فهو يبرز سمات هذا الفن العربى الاسلامى القديم فى اسلوب حديث متطور بديع ، قامت بتنفيذه الايدى الهندية الماهرة .

وتبلغ مساحة الضريح ٣ آلاف متر مربع قاعدته من الداخل مربعة ، يبلغ عرض كل جدار منها واحد وخمسين قدما . ويرمز هذا الرقم الى ان الداعى الفاطمى الراحل (سيدنا طاهر سيف الدين) الداعى الواحد والخمسون فى سلسلة الدعاة الفاطميين ، اما ارتفاع الجدار فهو ثمانون قدما وهذا الرقم يرمز ايضا الى عمره حين توفى، وقد غطيت الجدران بالمرمر الذى جلب من راجستان غربى الهند ، وهى نفس المنطقة التى جلب منها المرمر للعمارة الشهيرة (تاج محل) ، ويمتاز هذا المرمر بميزة خاصة ، فهو يبقى باردا مهما ارتفعت درجة حرارة الجو من حوله ، وقد نقشت آيات القرآن الكريم بكاملها محفورة على الواح من المرمر يبلغ عددها سبعمائة واثنتين وسبعين لوحا ، ويبلغ قياس كل لوح ثلاثة اقدام طولا وقدمين عرضا ، وزينت الكتابة بالذهب ، ورصعت البسملات كلها بخمسة انواع من الجواهر الكريمة وهى الياقوت ، والمرجان ، والدر ، والزمرد ، والالماس، ورصعت سورة الاخلاص بكاملها بالياقوت الاحمر ، وقد رأوا فى ذلك تكريما للقرآن الكريم وتمجيدا لمكانته الجليلة فى قلوب المؤمنين .

ويعلو البناء قبة كبرى فى الوسط يبلغ قطرها اربعين قدما ، وارتفاعها اثنين وخمسين قدما ، غرس فوق قمتها عمود مزخرف مطلى بالذهب طوله اثنا عشر قدما ، وفى كل ركن من الاركان الاربعة شيدت اربع قباب صغيرة يطلق عليها اسم جواسق ، اما فى الداخل فزينت القبة بسرة مستديرة كبيرة يتوسطها الاسمان « محمد وعلى » بالخط الكوفى ويحيط بهذه الدائرة حلقة عريضة من آية قرآنية كريمة كتبت بالخط الكوفى الجميل ونصها : (بسم الله الرحمن الرحيم ، ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده) سورة فاطر الآية ٤١ كما زينت النوافذ بزخارف فاطمية الطراز ، وفيما
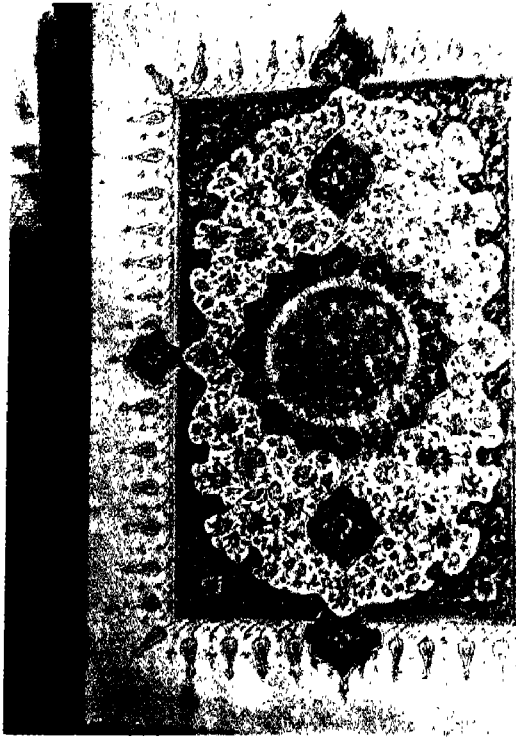
ابرز الفنانون المسلمون تقديرهم لكتاب الله الكريم بالابداع فى كتابته وزخرفته بأجمل الالوان وتفننوا وابدعوا حتى اصبحت المصاحف تحفا فنية . وقد اقام البهرة متحفا للمصاحف الشريفة وجمعوا فيه كثيرا من المصاحف المخطوطة بأشكال واحجام مختلفة تبين تطور زخرفة وكتابة المصاحف خلال العصور القديمة، كما نقشوا آيات القرآن الكريم بكاملها محفورة على اثنتين وستين لوحة على جدران (روضة طاهرة) وزينوه بالذهب ورصعت البسملات كلها بالاحجار الكريمة .. ووقف الزوار من شتى الجنسيات يتأملونها باعجاب وتقدير .
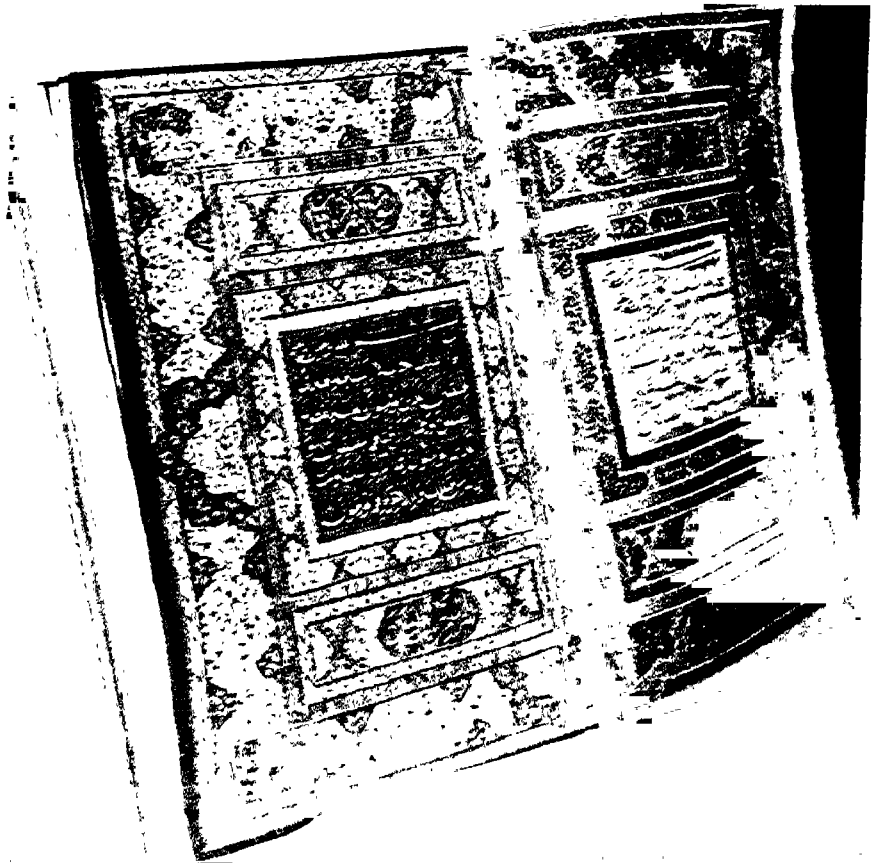
عقدت فى نطاق الاحتفالات الحلقة الدراسية الدولية للدراسات الاسلامية ...
المحاضرات والابحاث وقدمت الاقتراحات ...

يبنها كتب بالخط الثلثى (لا يمسه الا المطهرون)٠
وتتدلى فى وسط القبة ثرياكبيرة من الكريستال يبلغ ارتفاعها ستة عشر قدما، وبها مائة وثمانون مصباحا كهربائيا، ويضاء الضريح كله بعدة ثريات صغيرةبها مائتا مصباح اخر،والثريا منتبرعاتابناء الطائفة الذين يعيشون فى منطقة الخليج العربى ٠
وتصميم القبة منالخارج ومنالداخل بنقوشهاوآياتها مقتبس من جامع الجيوشى الكائن على حافة هضبة من تلال المقطم شرقى القاهرة ، والذى بناه الوزير بدر الجمالى فى اثناء ولاية الامام الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٧ ــ ٤٨٧هـ ، ١٠٣٥م ــ ١٠٩٤م) ٠
وللضريح اربعة أبواب مصممة على نسق باب مسجد الامام الاقمر (٤٩٥ ــ ٥٢٤ هـ ، ١١٠١ ــ ١١٣٠ م) الكائن فى القاهرة ايضا ، والابواب الاربعة مغلفة بالذهب والفضة ونقشت بنقوش فاطمية ٠

المسجد

ويقع المسجد فى الجهة الشمالية من الضريح وقد بنى ايضا على الطراز الفاطمى ، ومقتبس منمسجد الانور الذى بنى فى زمن الحاكم بامر الله (٣٨٦ــ ٤١١هـ ، ٩٩٦ــ ١٠٢١م) ، واقتبس تصميم المحراب من جامع الجيوشى ٠ وفى اعلى المحراب حفرت على المرمر عبارة (لا اله الا الله محمد رسول الله على ولى الله) منقوشة بالخط الكوفى ٠٠ وهو الخط الذى استعمل كثيرا فى العصر الفاطمى ٠ والمسجد مكيف الهواء ، ويحوى سبعة عشر قوسا، سبعة منها فى صحن المسجد وعشرة فى بيت الصلاة ، وهذا الرقم لم يات مصادفة فهو يرمز الى السبع عشرة ركعة الموجودة فى الصلاة المفروضة التى يؤديها المسلم كل يوم ، وقد فرشت ارضية المسجد بالسجاجيد الفاخرة ذات الزخارف الفاطمية ايضا ٠
وقد استغرق بناء المسجد والضريح ثمانى سنوات منها ٤ سنوات استغرقها حفر القرآن الكريم سنتان كتب فيهما على المرمر وسنتان ... وطلى بالذهب ورصع بالجواهر الكريمة ٠

معرض المصاحف الشريفة

لما كان للقرآن الكريم مكانة عالية ...ة عند كل مؤمن يحفظه المسلم عن ظهر القـ... ويضعه فى بيته تبركا وتطهيرا ، واذا تلى تـ...

• عدد كبير من المسلمين من مختلف انحاء العالم الاسلامى والتقت فيها
لا سلامية والعربية الذى اقترحوا تأسيسه •

لعوب واقسعرت من جلاله الجلود ، قال تعالى :
لله نزل احسن الحديث كتابا متشابها متانى
سعر منه جلود الذين يختشون ربهم ، ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وقال ايضا
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله » وابرز الفنان المسلم
حبه لكتابه الكريم بالابداع فى كتابته وزخرفته
احسن الالوان ووشاه بالذهب •• فكان المصحف
نتيجة عن ذلك تحفة فنية ، وقد اقام البهرة
... مسجدهم هذا الجديد معرضا
يشرح تطور نسخ المصاحف وكتابتها وزخرفتها
وتذهيبها ، حتوى المعرض على عدة مصاحف
مخطوطة ... تعتبر قطعا فنية نادرة ، تكشف
عن الامكانات اللامتناهية للفنان المسلم وتعبر عن
... وتبين مدى دقته وصبره ومثابرته
فى رسم الزخارف الدقيقة وتلوينها

بعض المصاحف التى عرضت
شرح آيات الله باللغة العربية او
الاردية ، وكلها تعتبر آية من
الاسلامى البديع كما تدل على تمكن

كتابها من فنون الخطوط العربية •• كما عرضت مصاحف تراوحت احجامها بين الكبير الذى يبلغ طوله مترا ونصف متر وعرضه مترا . وبين مصاحف صغيرة دقيقة فى حجم انملة الاصبع او اقل منها وتنوعت اشكالها ايضا بين المتمن والخماسي الشكل •• ولم ينسوا عرض المصحف المرتل ، وعلقت على جدار المعرض خريطة كبيرة توضح الاماكن التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم •

الحلقة الدراسية الدولية

« العالم الاسلامى يتساءل عن طريق الاصلاح •• وعن المنهج الاسلامى •• وهذه الكلمات القليلة التالية رسمت لنا الطريق والمنهاج ••

« اقرأ باسم ربك الذى خلق »

و « اقرأ » موجهة باسم العلم

و « باسم ربك » موجهة باسم الدين

– فالاصلاح لا يكون الا بالمزج بين العلم والايمان ••

– جعل الله سبحانه وتعالى العلماء على ذروة المؤمنين « انما يخشى الله من عباده العلماء »

– اللغة العربية بعد نزول القرآن اصبحت لغة

دق تاج محل حيث عقدت حلقة الدراسات
لعربية الاسلامية ويمتاز هـذا الفندق
بهندسته البديعة الفريدة المقتبسة من فن
العمارة الاسلامية (**والصورة الى اليسار**)
حتى يتابع باهتمام المحاضرات والابحاث
التى القاها العلماء ·

عقدت حلقة للدراسات الاسلامية والعربية،تناول العلماء ورجال الدين فيها بالبحث والدراسة شئون
الاسلام والمسلمين ووسائل النهوض بالدعوة،وقد افتتحها الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر بمحاضرة
قيمة رسم فيها طريق الاصلاح ، واشاد فيها بمشروع المعهد العالى للدراسات الاسلامية والعربية ،
غصت قاعة المحاضرات بالحاضرين من جميع الجنسيات ومن شتى المذاهب ، وحتى النساء حرصن على
متابعة المحاضرات من خلف ساتر يحجبهن عن عيون الرجال ·
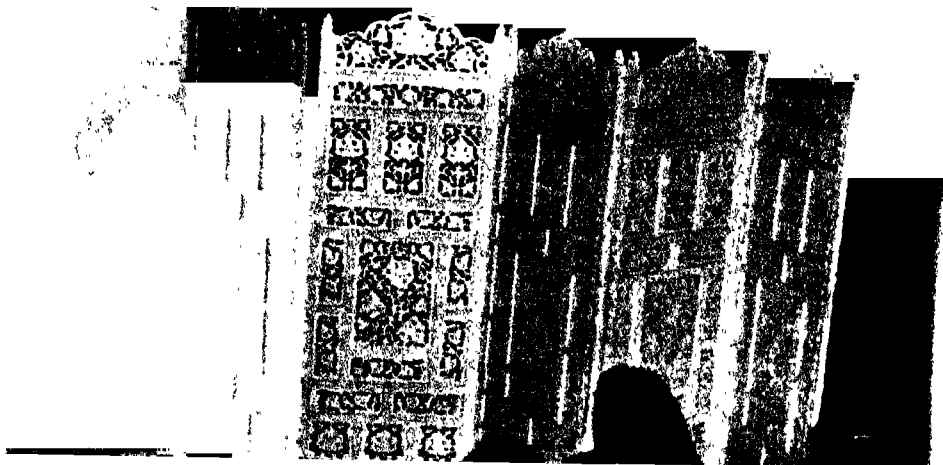
الاسلام وليست لغة الجزيرة العربية ··
ـ تعلم اللغة العربية عبادة واتقانها عبادة
ـ وليس هناك لغة لها نص الهى كاللغة العربية انها اللغة الوحيدة التى تحتوى على نص الهى للقرآن لم يتغير ، فالله حفظه لنا ··
ـ لابد من التخصص ·· ولا بد من معاهد للتخصص فى الدعوة ، فعددها قليل يعد على الاصابع
العلم وحده لا يقيم حضارة ولا بد من العلم والايمان »

هذه الكلمات الواضحة والمعانى الجليلة، التطفناها من المحاضرة التى القاها الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر الدكتور عبد الحليم محمود، وقد افتتح بها الحلقة الدراسية الدولية للدراسات الاسلامية والعربية ، التى دعت اليها الجامعة السيفية ، وهى احدى المؤسسات العلمية التابعة لجماعة البهرة ··

ففى اليوم التالى لافتتاح المسجد والضريح ·· غصت قاعة « دربار » اكبر قاعات فندق تاج محل بجمع غفير من المسلمين والشباب والمثقفين ، جاءوا ليسمعوا المحاضرات والابحاث التى القاها عدد كبير من رجال الدين والعلماء والمفكرين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ·· وفى هذا الحشد تهيات الفرصة للتعارف وتبادل الآراء ، ولتقديم الاقتراحات ووضع الخطط وتحديد الاهداف الرئيسية للمعهد المزمع انشاؤه ·· معهد الدراسات الاسلامية والعربية ليؤدى رسالته العلمية والثقافية على الوجه الاكمل ·

وطالت المحاضرات والمناقشات وكثر عدد الخطباء فمدوا فترة انعقاد الحلقة يوما آخر ·· القت فى آخر جلساته الدكتورة سعاد ماهر عميدة كلية الآثار الاسلامية بجامعة القاهرة بحثا فيما عن فضل الآثار والفنون على التاريخ والحضارة الاسلامية ، وارفقت محاضراتها بعرض للشرائح المصورة لنماذج مختلفة من الفنون الاسلامية صممت فى اماكن متباعدة فى العالم الاسلامى ، ولكنها ذات سمات واحدة تدل على الوحدة التى شملت العالم الاسلامى شرقه وغربه ، وقد استحوذت الدكتورة المحاضرة على اعجاب الحاضرين وخاصة انها المرأة الوحيدة بينهم ووقف احد رجال الدين فى الوفد اللبنانى وردد قول الشاعر ··

ولو كان النساء كمثل هذى
لفضلت النساء على الرجال

ولقد طرحت فى الندوة افكار كثيرة واقتراحات متعددة كانت تدور حول بناء الانسان المسلم فى العصر الحديث ، ووضع منهج للدعوة الاسلامية يتماشى مع التطور الحضارى ، وتعرض كثير من المحاضرين للمذاهب الجديدة الوافدة من الغرب وغزوها للعالم الاسلامى ، واتفقوا جميعا على احياء اللغة العربية فى البلاد الاسلامية خارج البلاد العربية وطالب احد اساتذة جامعة (عليكره) ان يتخذ معهد الدراسات المنهج العلمى الذى يقوم على الملاحظة والاستنباط منهجا له ، وعلق على هذا القول احد العلماء العرب قائلا ·· ان المنهج العقلى هو وسيلتنا وانه يستحيل علينا ان ننهج المنهج العلمى ·· وتساءل قائلا ·· اننا لايمكننا ان نضع « الذات الالهية » للبحث العلمى واضاف قائلا وكيف يمكن ان نضع الايمان باليوم الآخر للتجربة والبحث ··

وكانت اللغة العربية هى لغة المحاضرين تصحبها ترجمة باللغة الاردية ، يليها مو... باللغة الانجليزية ليسهل على الضيوف الاد... ب لهم مايطرح من افكار واقتراحات وابحاث ·

وكان للشباب معارض

وفى نطاق الاحتفالات واقامة الندو... عدة معارض لابراز وجوه مختلفة لنشا... والشابات من البهرة ، فقد اقيم معر... اشرف على تنظيمه منظمة (بنيات العـ...

نظمت
الشباب
ثقيفى
ذهبى)

اقامت الشابات المسلمات عدة معارض للثقافة الدينية **(الصورة فوق الى اليمين)** نموذجا لما يسعى ان يكون عليه البيت الاسلامى من حيث النظافة وحسن الترتيب . كما جلس الصغار يتناولون الطعام بعد ان غسلوا ايديهم ·· وقد علقت لوحة على الجدار تقول (كرم البيت كنسه ـ وغسل الثياب يذهب الهم والغم) والصورة **(فوق الكلام)** تمثل بعض المصورات من عدة جمعيات نسائية مختلفة ولكل جماعة منهن زيها الاسلامى الخاص بها· **(الى اليمين)** لوحة مجسمة تمثل قصة اصحاب الفيل ·

هده المنظمة بمناسبة احتفال طائفة ١٩٦٣ بالعيد الذهبى لتولى الداعى طاهر سيف الدين) ·

مدينة يعيش فيها افراد من جماعة البهرة منظمة للفتيات ، ولكل منظمة منها زى ى فيه البساطة والحشمة مع الاناقة ، خاص تتميز به كل منظمة ، ترتديه نساء تكليفهن بالقيام بالخدمات

الاجتماعيه وبالمحافظة على النظام اثناء الاحتفالات والمهرجانات الدينية المخصصة للسيدات · وتسمت كل منظمة باسم احدى الشخصيات النسائية التاريخية فهناك منظمة سكينة ، ومنظمة البتول ·· وهكذا، وقد أقامت الفتيات وهن طالبات وربات بيوت ومدرسات هذا المعرض للثقافة الدينية والاجتماعية واستعن باللوحات المجسمة ، والصور الفوتوغرافية، ولوحات كتبت بخط عربى جميل اشتملت على آيات قرآنية

يمتاز الفن المـ ـى
الهند بطابعه ـاص
فهو مزيج من ـ ـون
الهندية والاسلامية
والفارسية وترى هذا
جليا فى النقوش
الاسلامية (**الصورة الى
اليمين**) . والى اليسار
مسجد « غرة المساجد »
ويتكون من ثلاثة طوابق
خصص الطابقان
العلويان منها للسيدات
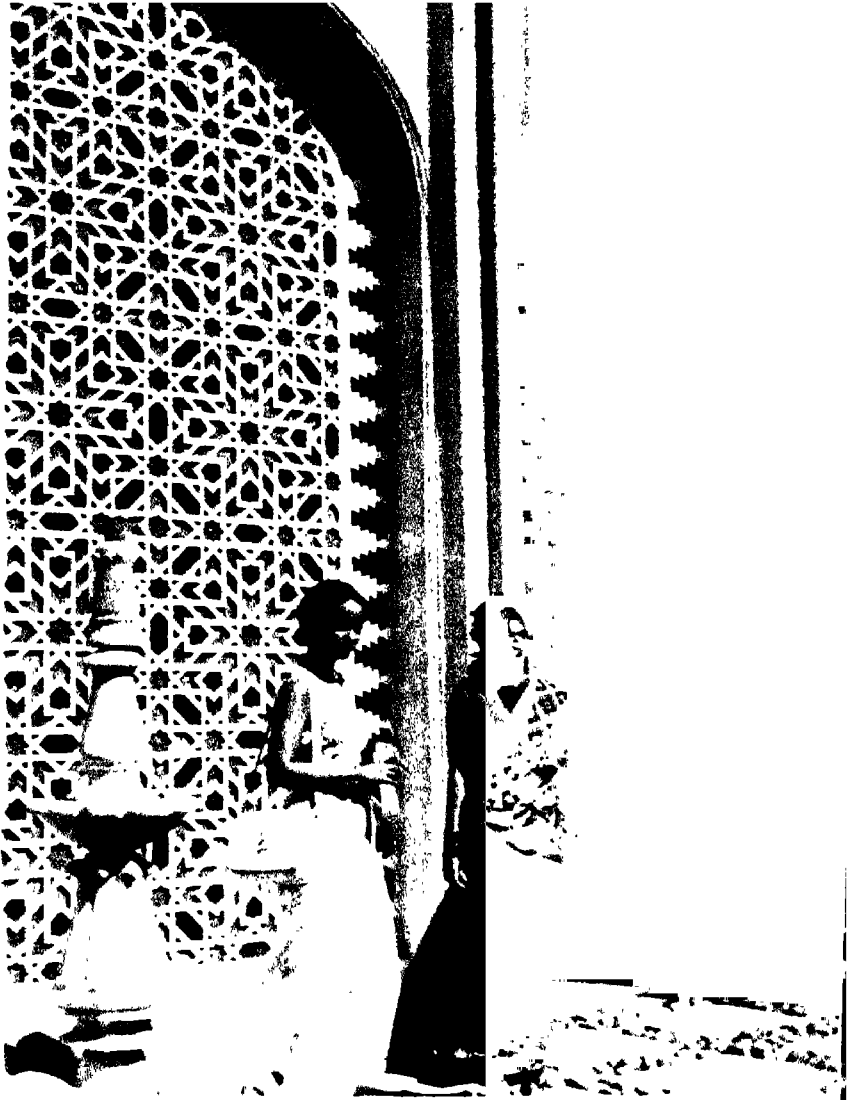
(**تحت**) الوف الرجال
والنساء جاءوا فى هدوء
وجلسوا ينصتون الى
آيات بينات من كتاب
الله تتلى، وقد سهروا
حتى الهزيع الاخير من
الليل وانصرفوا كما
جاءوا فى هدوء ...

كريمة واحاديث نبوية شريفة ومأثورات من اقوال الأئمة والدعاة . وهناك قسم خاص في المعرض يوضح بالصور واللوحات التوضيحية القصص التي وردت في القرآن الكريم وشرح الاحاديث

علقت اللوحات الاعلامية في كل مكان في المدينة تحض الناس على حمل لتلاوة آيات بينات من القرآن الكريم وقد خصص الالوف الذين حضروا خاشعين منصتين للشيخ محمود الحصري والشيخ عبد الباسط عبد الصمد وهما يتلوان القرآن الكريم . كما انشد الاناشيد الدينية الشيخ محمد الطوخي وقد ظهر ثلاثتهم في الصورة .

قضيتنا على الامية

التقينا بالدكتور يوسف نجم الدين امين [illegible] الجامعة الملية [illegible] دار الحديث بيننا طويلا و[illegible] شئون المسلمين في الهند .. وقال معقبا [illegible] سيتعونا .. ستجدون اخوة لكم هنا في الهند [illegible] يكون لكم في قلوبهم كل حب واخلاص .. [illegible] لا أظن انه انسان متعصب فقد يبعد الاخ عن [illegible] ولكنه لا ينساه . والدليل على ما اقول هو [illegible] التجمع الهائل من الاخوة المسلمين الذين [illegible] اليوم يشاركونا احتفالاتنا ..

ومضى الدكتور يوسف يقول [illegible] العربي هو مشكلة [illegible] الى الكتب .. اي نوع من الكتب بالعربية حتى الصحف اليومية نحن في حاجة اليها هنا في « بومباي » حيث رأيتم هذا النشاط الضخم الذي يقوم به المسلمون [illegible] لا نجد مكتبة [illegible] تبيع الكتاب العربي بل انني اذهب الى ابعد من هذا فاقول اننا في حاجة ماسة الى اذاعة عربية موجهة الى ابنائنا هنا في الهند تنقل لهم شيئا من المعرفة عن العالم العربي وتعلمهم النطق الصحيح للغة العربية الفصحى وتحمل لهم بعد هذا صورا

النبوية .. ومن اجمل اللوحات التي نالت اعجاب الضيوف لوحة تمثل اصحاب الفيل .. (ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) .

وكانت هناك عدة خرائط تمثل مسار الدعوة الفاطمية من مكة الى المدينة الى كربلاء ومنها الى دمشق وتونس ثم الى القاهرة واليمن واخيرا الهند في جوهار .

ولوحة اخرى تمثل المناطق التي يتمركز فيها البهرة في الهند في مناطق جوجارت ، [illegible] واندرابيردش ، ومهرشترا ، وقد اشتمل المعرض ايضا على لوحات ترشد الناس في حياتهم مثل « غسل الثياب يذهب الهم والغم » « [illegible] البيت كنسه »

في طائفتنا

...مدة في اقطار العرب .. اني أدعو الدول
...ية الى اقامة مثل هذه المحطات الموجهة في
... مناسبة فسبقت الدول العربية باقل من
... التي تقوم محطة اذاعتها بتقديم العديد
البرامج الموجهة .. اني ادعو اخواني العرب
... مساعدتنا في تحفيظ ابنائنا القرآن الكريم .
... تقل الدكتور الى الحديث عن مشكلة أخرى
... مشكلة قبول الطلبة الهنود بعد اتمام دراستهم
... الجامعة السيفية ، في الجامعات العربية
... ان شهاداتهم غير معتمدة لديهم .. وهذا في
... خطأ كبير .. ان هؤلاء الطلبة لا يتلقون العلم
الجامعات العربية لكي يعملوا في الدول
... بل بالعكس .. فهم يتعلمون لكي ينقلوا
... ثقافة العرب الى الهند .. بل أقول انه من
... هؤلاء الطلبة المسلمين ان تفتح الجامعات العربية
... لهم بعد ان فتحت لهم الجامعة ... خيرية
...ها .

اني ادعو اخواني العرب ولا ... لدعوة في
... بارسال الاساتذة العرب ... اساتذنا
... العربي بلغة عربية سليمة

الدكتور يوسف نجم الدين امير الجامعة السيفية بمدينة « سورت » في الهند قال لنا « اني ادعو اخواني العرب لمساعدتنا في تحفيظ ابنائنا القرآن الكريم » .

وختم الدكتور نجم الدين حديثه بقوله :

لقد قصينا على الامية في طائفتنا .. ولم نكلف انفسنا تشييد البنايات الضخمة بل اتخذنا من ظلال الاشجار مدارس وكنا نرسل المدرسين الى التلاميذ في قراهم ودساكرهم لكي نجنب الصغار مشقة الطريق واخطارها .. ويجلس الاولاد تحت الاشجار ويتعلمون . وفي احتفالنا بتلاوة القرآن الكريم .. أجلسنا المستمعين على السندس الاخضر .. ولو كنا اجلسناهم على مقاعد لما استوعبت الملاعب هذه الآلاف ممن رغبوا في سماع آي الذكر الحكيم .

حفلة ساهرة لتلاوة القرآن الكريم

جدران الاحياء المزدحمة في بومباي زاهية الألوان تبشر الناس باقامة ليلة تتلى فيها القرآن الكريم ، يحييها شهيران الشيخ محمود خليل الحصري والشيخ ... عبد الصمد ، كما ينشد الاناشيد ... الشيخ محمد الطوخي . وهؤلاء قدموا خصيصا لاحياء هذه الليلة .. وما ان ...عة السادسة مساء حتى غصت ارض ...كبير « كوبريدج جراوند » بجموع الرجال شيبا وشبابا امتلأت بهم المدرجات فافترش الباقون ارض الملعب الخضراء .

وبلغ عدد الحاضرين اكثر من مائة ألف مستمع . وقد خصص جانب كبير من الملعب للنساء .. ورغم هذا الجمع الحاشد فقد توجه الجميع الى المقاعد او افترشوا الارض بهدوء ونظام دون اي ضجة أو زحام . فالتؤدة والرزانة سمة الانسان المسلم من البهرة . فلا عجرفة ولا غطرسة بل خجل وتحفظ في الحركات وتواضع جم ، تحس انهم ذوو تربية اسلامية راقية ، يتحركون بنشاط ويتعاملون بتحفظ ولباقة .. لم نر ابدا انسانا غاضبا ولا عصبيا ثائرا ، حافظ شباب الكشافة من منظمات البهرة على النظام ، وارشدوا الضيوف الى اماكنهم في كل الحفلات التي اقيمت .. ولقد قضى الآلاف من المسلمين والمسلمات ليلتهم هذه في اشراقة روحية صافية ، انصتوا فيها لآيات من كتاب الله

الروابط العائلية قوية بين البهرة ويحرص
الشباب على الرواج فى سن مبكرة وتعقد
حملات الرواج بالجملة فعى كل ل يحتفل
فى مكان واحد وفى وقت وا بثلاث
ريحات دفعة واحدة ويجلس العر بحوار
بعضهم البعض وقد زينت العرائد حوهم
وايديهن وارجلهن بالمجوهرات لحلى
والزهور . وتظهر الى اليمين ة وقد
ارتدت « البردا » وهو زى يلتف - الحس
ويغطيه من قمة الراس الى احمد لقدمين
ويتميز بالوان زاهية حميد

يتبع الطائفة عدة معاهد للتعليم منها ... التى تبدو فى الصورة الى اليسار

تليت عليهم وهم خاشعون ، وبين كل تلاوة واخرى كان يقوم احد العلماء من رجال الدين شارحــا ومفسرا والجميع فى تامل عميق ٠٠ وانصرفوا فى الهزيع الاخير من الليل . كما حضروا . فى نظام وهدوء ٠٠

مؤسسات علمية وصناعية واجتماعية

اشتهرت جماعة البهرة حيثما وجدت ٠٠ بانها وحدة مترابطة . كما عرفت بعلاقاتها الودية مع الاخرين، انهم اسسوا المدارس والمعاهد التى تهتم بالعلوم الدينية ، كالجامعه السيفية او بالعلوم الحديثــة كمعهد (برهانى كولدج) وهذا الاخير فتح ابوابه لجميع الطوائف والجنسيات ، ذكورا واناثا، فيتلقى العلوم فيه طلبة من افريقيا وسيلان والبلاد العربية ، وفيه ايضا يدرس المسلمون والمسيحيون والهندوس ، ويتبع المعهد مكتبة حافلة بالكتب ،بها قسم خاص للكتب العربية كما يتبعه ايضا بيت

اقامت طائفة البهرة عدة مؤسسات صناعية وتجارية كمصنع آسيا للالكترونات ومصانع للالمنيوم وكذلك مطابع حديثة تقوم بطبع الكتب والنشرات باللغة الانجليزية والعربية .

لاقامة الطلبة وآخر للطالبات وذلك لقاء اجر زهيد. وقد حرصت هذه الطائفة التى يبلغ تعدادها اكثر من مليون ونصف المليون ينتشرون فى شتى انحاء العالم على المساهمة فى النهوض الصحى الى جانب اهتمامهم بالمستوى العلمى لابنائها ، فأسسوا « المستشفى السيفى » حيث يعالج المرضى من جميع الطوائف والجنسيات . وهناك مؤسسة اجتماعيه اقتصادية مهمتها مساعدة ابناء الطائفة لكى يبدأوا حياة ناجحة.فتزودهم بالمال والخبرة لاقامة المشروعات الاقتصادية الناجحة ٠٠ وهكذا قضت على البطالة بين صفوفها .

والافراد الذيــن ينتمون الى الطائفــة اينما استقروا تجدهم متحابين متعاونين . لهم نشاطهم وخبرتهم فى التجارة وتاسيـــس الصناعات . وهم يدينون لراعيهم وسلطانهم بالحب وهو يرعاهم بتوجيهاته وارشاداته .

حفلات وحفلات

كان فى كل يوم من الايام السبعة التى ... فى بومباى حفلة ومهرجان ومادبة ٠٠٠ وا... لا تنتهى لفرق الكشافة تصحبها البيارق وفرق الموسيقى صادحة فى الطرقات التى ... بالانوار الكهربائية والاعلام الخضراء و... عيد ٠٠ ولكن حفلة الليلة الاخيرة كا... الحفلات ٠٠ كانت مهرجانا فاطميا ٠٠ اعادت الى ذاكرتنا مواكب العز فى عهد ...

...ممر للتعليم الديني . ومنها ما تدرس فيه العلوم الحديثة ومن بينها « كلية برهاني »
... حين هؤلاء الطلبة في الصورة اليمنى يراجعون دروسهم في بيت الطلبة .

...لعز لدين الله.فكم كانت أيام الفاطميين في مصر ...مشهورة بالكرم والبذخ والبهاء.قل ان تجدها في عصر ...ر من عصور مصر الاسلاميه· انها اعياد ومواسم باهرة ...ولىال ساطعة صورتها صورا رائعة اقلام المورخين المعاصرين لها.مثل ابن زولاق والمسبحي وابن الطوير وابن المامون . ونقل عنهم المقريزي في الخطط صورا ساحرة في وصف الحفلات والمواكب الفاطمية··وكم كانت القاهرة المعزية تبدو بالليل وكانها شعلة ...قصبه، تزخر جنباتها بالسمار والمتنسدين والمطربين ...هكذا كانت الاعياد قديما ، وهكذا كانت حفلة ...الليلة الاخيرة ·· خرج الداعي الفاطمي الدكتور ...محمد برهان الدين بملابسه البيضاء في سيارته ...ساحرة الى المسجد الكبير (غرة مسجد) ومن ...ثم ركب عربة ذهبية تجرها الجياد البيضاء ، ...وهي معطاة بالورود والزهور.ويحفها من الجانبين حملة ...المصعدات والمباخر ، والبيارق والاعلام.وقارعوا ...الطبول و ...افخوا الابواق.ويسبقها صفان من الكتافة ...وفرقتها الموسيقية ··

...وازدحم الناس كتلا متراصة على ارصفة الطريق ...سى الـ... الذي يؤدي الى المسجد والى « روضة ...طاهرة ... هي تسبح في الاضواء الساطعة ...وفي ... استقباله في صحن المسجد العلماء ...بـ... البيضاء وعمائمهم ، وقد التف ...كل واحد بشال ابيض ذي حواف مذهبة ·· ...ووقفوا صفوف متوازية في نظام بديع جميل ·· ...مجموعة من الاطفال اعمارهم واطوالهم ...متقاربة ملابس ذهبية لامعة ·· وعلى الجانبين

وقف الحراس بملابسهم الكاكية.وعماماتهم الكبيرة في لون البنفسج·ووضع في وسط صحن المسجد باقة كبيرة عالية من الورود والزهور . وعندما وصل سلطان البهرة ادى الصلاة وعقد اجتماع كبير بدئ بتلاوة آيات من القرآن الكريم . وتوالى الخطباء . وكان الحاضرون من البهرة الذين قدموا من سائر انحاء الهند وخارجها ·· كان الكل في غمرة من البهجة كبرى ·

لقد استطاع هذا الموكب وهذا المهرجان ان ينقلنا الى اعماق التاريخ ·· حيث كان الخليفة الفاطمي بموكبه الرسمي الفخم يبث في هذه الحفلات والليالى كثيرا من البهاء والروعة ·· ويثير في نفوس الشعب كثيرا من الحماسة ·· وقد نقل مؤرخو الدولة الفاطمية الذين شهدوا بذخها وفخامتها صورا رائعة لهذه الحفلات والليالى الملاح ·· صورا وكانها من وحي فنان مبدع خلاق·· وكانت هذه الحفلات تسبغ على الخلافة مظهرا من الهيبة والعظمة والوقار . كما كانت تغمر الشعب بفيض من الحفلات والمادب والمواكب الباهرة.فتاسره بمظاهر جودها وتتيح له فرصة للبهجة والمرح فتكسب ولاءه وعرفانه وتاييده ··

لقد كان للدولة الفاطمية مظاهرها الرائعة وطابعها الفني بالبهاء والبذخ . وروحها الفخمة التي طبعت كل اعمالها وسماتها ·· وهكذا كان احفاد أحفادها في الهند ·· ■■

محمد حسني زكي

تمثل الصورة اسلوب الرى المتبع فى العبدلى وهو اسلوب قديم كما ترى ، ويهدر الماء فى بلد عز الماء فيها ..

استطلاع الكويت

التنمية الزراعية وتزريع الصحراء فى منطقة العبدلى فى الكويت

استطلاع بقلم :

يوسف زعبلاوى

تصوير :

عبد الناصر

المزارعون في منطقة المندلي بحاجة ماسة الى النصائح والارشادات الزراعية ٠

هذه الصورة اسلوب الري الحديث
ولكن هذا الاسلوب لا نجده في
... نادرا ٠٠

آلة رش المبيدات في المندلي وهي آلة حديثة تقوم
بعمل عدة آلات من الطراز القديم ٠٠ وهي
تابعة لمركز الارشاد الزراعي في المنطقة ٠

■ انطلقت السيارة ببعثة (العربي) نحو الشمال ، الى منطقة العبدلي • وتقع هذه المنطقة بمحاذاة الحدود مع العراق الشقيق ، على بعد ١٣٠ كم من الكويت العاصمة • وهي تطل على مياه الخليج العربي من جهة الشرق حيث تقع جزيرة بوبيان أكبر جزر الكويت •

أما المهمة التي أسندت الينا فهي استطلاع الاعمال الزراعية التي تشهدها المنطقة • والمقصود بالزراعة هنا الزراعة بمعناها الضيق لا الواسع • فالذي يعنينا في هذا الاستطلاع ليس تربية المواشي والدواجن وما الى ذلك مما تشمله الزراعة بمفهومها الجامع ، وانما فقط زراعة النبات •

ذلك ان منطقة العبدلي كانت مسرحا لاعمال زراعية نشطة في المدة الاخيرة • وقد غلب على هذه الاعمال اسم « مشاريع التنمية الزراعية » وهو اسم يوحي بالخطورة كما لا يخفى • ترى هل يمكن اعتبار تلك الاعمال مشاريع تنمية بالمعنى الدقيق • ؟ وان لم تكن التنمية الزراعية قائمة حاليا في تلك المنطقة . فهل هناك ما يبشر باحتمال قيامها في المستقبل ؟ ثم هل هذه التنمية جديرة بالاهتمام والجهود والنفقات التي يتطلبها تحقيق التنمية •• ؟ واخيرا ماهي المشاكل والعقبات التي تعترض سبيل تلك التنمية الزراعية القائمة أو الموجودة في منطقة العبدلي؟ تلك هي الاسئلة التي دارت في اذهاننا ونحن في طريقنا الى تلك المنطقة •

على ان منطقة العبدلي ليست المنطقة الاولى أو الوحيدة في الكويت التي تشهد اعمالا أو مشاريع تنمية زراعية • فهناك منطقة الوفرة ، في اقصى الجنوب، على حدود الشقيقة الكبرى، المملكة العربية السعودية • وقد آثرنا الا نزحم استطلاعنا هذا بمنطقتين كبيرتين متباعدتين •• ولعل منطقة الوفرة جديرة باستطلاع خاص بها قد يقوم به (العربي) في الوقت المناسب ••

ووصلنا الى مركز الارشاد الزراعي ، ورحنا نتجاذب اطراف الحديث مع المرشد المسئول ريثما تظهر الشمس واضحة جلية • اذ كان الجو مغبرا ، وبدا نور الشمس باهتا ، لا يشجع على التصوير ولا سيما بالالوان •

وقد تناول حديثنا مع المرشد أول ما تناول موضوع الارض والتربة • فالارض الطيبة هي الاساس الاول للاعمال الزراعية التي نحن بصددها بل قل للاعمال الزراعية جميعها أو اكثرها في كل زمان ومكان •

وعرفنا فيما عرفنا ان في منطقة العبدلي ٥٧ مزرعة وان مساحة هذه المزارع متفاوتة •• فهي تتسع احيانا حتى تبلغ ألفا أو ألفا وخمسمائة من الدونمات،وقد تضيق حتى تبلغ مائة دونم فحسب•

وعرفنا ايضا ان الاراضي في منطقة العبدلي كلها ملك الدولة• فهي التي تفرز من تلك الاراضي ما يصلح للزراعة وما تتوفر فيه شروط الماء والتربة ، وهي التي تقسم تلك الارض الى قسائم توزعها على المزارعين والراغبين ، لتلحق بالمزارع القديمة الخاصة باولئك أو تصبح مزارع جديدة تخص هؤلاء •

وبلدية الكويت هي الجهة التي تتولى عملية فرز تلك الاراضي وتنظيمها وتوزيعها قسائم بين اهل البلاد الاصليين • وتبلغ مساحة القسيمة

طريقة عمدية في المحافظة على ... ارع ...

لواحدة ١٠٠ دونم في الغالب • وتسلم الى سعيد الحظ الذي يظفر بها بطريق القرعة ، وذلك وفق عقد ايجـار طويل الاجل يلزمـه باستثمار تلك القسيمة في فترة محدودة من الزمن (٢٥ سنة) يفقد المستاجر مبلغ الرهينة البالغ ٥٠٠ دينار عن كل قسيمة . ويفقد كذلك القسيمة نفسها •• اذا هو اخفق في استثمارها •

وتبلغ مساحـة القسائم التي تم توزيعها في منطقة العبدلي ما يقارب نصف مساحة الاراضي الصالحة للزراعة في المنطقة والبالغة ٢١٢٨ هكتارا (الهكتار = ١٠ دونمات) •

وتجدر الاشارة هنا الى عمليات مسح التربة التي اجرتها الشركة الفرنسية سيت (Scet) لحـوالي ٢٦٠٫٠٠٠ هكتـار في اراضـي الكويت سنة ١٩٧٠ • وقد حددت تقارير هذه الشركة مساحة الاراضي القابلة للزراعة فـي الكويت اجمالا بنحو ١٧٫٠٠٠ هكتار ، بما في ذلك اراضي العبدلي التي ذكرنا • وهذه مساحة كبيرة نسبيا وتفوق المساحة اللازمة لتوفيرحاجات الكويت من خضروات ومحاصيل ، وذلك وفـق الدراسة التي اجرتها شركة اجنبية اخرى هـي شركة (C. Buchanan & Partners) •فالكويت لا تحتاج لاكثر من ١٢٠٠٠ هكتار ، وفق تلك الدراسة ، لتحقيق اكتفائها الذاتي ، وذلك سنة ١٩٩٠،حينما يصبح عدد سكان الكويت مليوني نسمة،

المياه والآبار

وانتقل حديثنا مع المرشد الزراعي الى موضوع الماء وهو الركن الثاني الذي تقوم عليه الزراعة، حيثما قامت زراعة •• ولعله الركن الاول فـي

هذه الطماطم التي نمت من الصقيع حيث نفذت نصائح المرشد الزراعي •

الكويت •• ذلك ان قصة الماء في هذا البلد الصحراوي كانت منذ البدء قصة ماساة •

فمياه الامطـار في الكـويـت شحيحة •• ولم يسقط منها في سنة ١٩٦٠ ، على سبيل المثال سوى ٢٨٫٦ ملليمترا • وبلغ سقوط الامطار رقمه القياسي (٣٢٦ ملليمترا) سنة ١٩٥٤ وذلك طيلة العشرين سنة (١٩٥٠ ـ ١٩٧٠) •

اما المعدل فيتراوح بين ٥٠ ـ ١٠٠ ملليمتر سنويا• اضف الى ذلك ان المياه الجوفية في الكويت مالحة في الغالب ولا تصلح لاغراض الشرب •

لا عجب اذن ان عمد اهل الكويت في الماضي القريب الى استيراد ماء شربهم من شط العرب• وقد استمر ذلك حتى اواخر الاربعينات • وكانت

... شجر الاثل على نحو ما ترى •
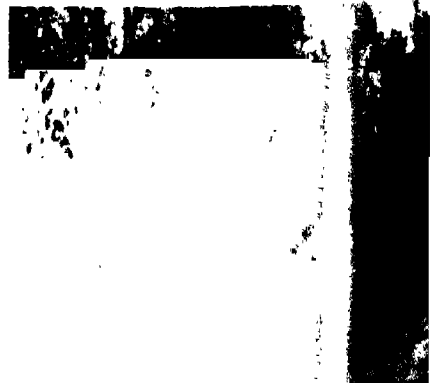
نجحت زراعة العد... ى
العدلي والصورة ... ل
قاطع على دلك ·

الطماطم وهي كالجت واسعة
الانتشار في العدلي ..

الحت (البرسيم) وهو
واسع الانتشار فى المنطقة.

التراكتور الذى يحرث الارض
للمزارعين لقاء اجر زهيد ..

السفن الشراعية هي التي تنقل ذلك الماء بمعدل وسطي يبلغ ٨٠ـ٩٠ ألف جالون يوميا ٠

وسألنا عن عدد الآبار المنتجة في منطقةالعبدلي فعرفنا انها تبلغ ٧٠ـ٨٠ مترا ، وأن مياهها تصلح للزراعة وان كانت في الغالب من الملوحة بحيث لا تصلح للشرب ٠ وعرفنا كذلك ان اعماق هذه الابار تبلغ بالمتوسط ٢٥ـ٤٥ مترا ، وان نفقات حفرها تتراوح بين ١٠٠٠ـ١٥٠٠ دينار للبئر الواحدة ٠ وهي من نوع الحفر ، لا الثقوب ٠٠ فنحن لم نصادف في العبدلي كلهاحفارة واحدة من الحفارات الآلية الحديثة التي تحفر الابار ثقوبا بقطر ٤ـ٦ بوصات ، او اقل من ذلك او اكثر ، وبنفقات اقل ، ووقت اقصر ، مما يقتضيه حفر الابار بالطريقة القديمة ٠

وتجدر الاشارة هنا الى ما قامت به وزارة الكهرباء من مسح للموارد المائية في شتى المناطق، بما فيها منطقة العبدلي ٠ وقد دل ذلك المسح على ان في هذه المناطق من المياه الجوفية ما يكفي لاغراض الري فيها لمدة العشرين سنة القادمة ٠ وتتضاعف هذه المدة في المناطق الاخرى ، كالوفرة والشقايا وجنوب غرب الكويت ومنطقة الصليبية، حتى تبلغ ٥٠ سنة او تزيد ٠

والمسح المائي الذي ذكرنا يحدد ايضا نسبة الملوحة في مياه تلك المناطق ، وهي تبلغ ٦٠٠٠ جزء من المليون في مياه العبدلي والوفرة ،وتنزل الى ٤٠٠٠ جزء في مياه منطقة الصليبية ، ثم تنخفض الى ٣٠٠ جزء من المليون في مياه الشقايا وجنوب غرب الكويت ٠٠ فمياه العبدلي اذن صالحة لري المزروعات مادامت ملوحتها لم تبلغ النسبة القصوى التي تفقدها تلك الصلاحية ، وهي ٧٠٠٠ جزء من المليون ٠

هذا في الحاضر ٠٠ ولكن ماذا عساها ان تكون النتائج المترتبة في المستقبل على مواصلة الري بمياه العبدلي المالحة ٠٠؟ افلا تتراكم الملوحة مع الايام فتصبح التربة اكثر ملوحة مما هي اصلا ٠٠ ؟ أو ليس من المحتمل ان ياتي يوم يتوقف فيه نمو النبات تبعا لتلك الملوحة المراكمة ٠٠؟

وطرحنا هذه الاسئلة على اخواننا الزراعيين فطمانونا الى ان هذه المخاوف لامبرر لها ٠٠ فالمزارعون في العبدلي وسائر المناطق يتقيدون

البادنجان وقد نجح في العبدلي ومنه الاسود الذي نرى في الصورة ، وهو الاكثر انتشارا ومنه الابيض اللون ٠٠

بما يعرف بالدورة الرباعية ٠ فهم يقسمون مزرعتهم الى اربعة اقسام (ا،ب،ج،د) ويتركون (أ) دون زراعة ، ولا يعودون الى زراعتها ثانية الا بعد الانتهاء من زراعة (د) ٠ أي انهم يتركون الارض لترتاح طيلة ثلاث سنوات ٠ وفي هذه الاثناء يغطي تلك الارض تراب جديد ياتيهابواسطة العجاج (الطوز) والعواصف الرملية ، ثم ياتي ماء الامطار فيغسل تربتها ويذيب رواسب الملوحة فيها ٠ أضف الى ذلك كله ان تسميد الارض باستمرار ، عضويا وكيماويا ، يقضي على رواسب الملوحة فيها الى حد كبير ٠٠ اسوة في هذا الصدد بما صنعه اهل امريكا واستراليا بصحاريهم وتربتها لاتقل ملوحة عن تربة الكويت وكذلك ماؤها ٠

الخدمات والاعمال الزراعية

ونظرنا الى الشمس ثانية ودققنا فشعرنا باليقين من انها ستبقى محتجبة ، طول النهار ، وان علينا القيام بجولتنا وبر ما يمكن تصويره قبل فوات الاوان ٠

ورحنا نطوف بمزارع العبدلى الواسعة المتباعدة. لاحظنا أول مالاحظنا الجرار (التراكتور) التابع [لمر]كز الارشاد الزراعى ، وآلة رش المبيدات ، [ال]حديثة الطراز . وفهمنا ان المركز المذكور يقوم [بحر]ث اراضى المزارعين لقاء اجر زهيد ورش مزروعاتهم [بالم]جان . وفهمنا ايضا ان الطلب على حرث [الا]رض كبير ومتزايد بحيث بات من المؤكد ان يصبح [لد]ى مركز العبدلى ، فى غضون الشهور القليلة [الق]ادمة ، سبعة جرارات كبيرة وعدد من النسافات [فض]لا عن المحاريث وسيارات الجيب وآلات الرش [و]غير ذلك .

على ان الارشاد والنصح هو فى رأينا اهم [م]ا يحصل عليه المزارعون من خدمات تقدمها اليهم [وزا]رة الزراعة فى الكويت . فالتقلبات الجوية كثيرة [ه]نا ، ومفاجآت الطقس خطيرة ، والعاملون فى [ال]زراعة اكثرهم حديثوا العهد بالزراعة وقليلوا [الخ]برة فيها . لاعجب اذن ان لعبت الارشادات [ال]زراعيه وما زالت تلعب دورا كبيرا فى حياة [المن]طقة . وحسبنا ان نروى قصة واحدة للدلالة [عل]ى ماذهب اليه .

[ت]لك هى قصة مزرعتين متجاورتين من مزارع [ال]طماطم . قبل العاملون فى احداهما النصيحة [وع]كفوا على الاكثار من رى مزروعاتهم فى فصل [ال]شتاء الماضى ، ورفض الآخرون العاملون فى [الم]زرعة الاخرى المجاورة العمل بالنصيحة ، وتشبثوا [ب]ما درجوا عليه من رى المزروعات مرتين او ثلاثة [ف]ى اليوم الواحد . وهبطت درجة الحرارة فجاة [ه]بوطا كبيرا واذا بها تنزل الى ما دون الصفر [المئ]وى ... فكان الصقيع .. واذا بمزروعات [الم]زرعة الثانية تتلف تلفا كاملا ، وذلك بسبب [م]ياه الرى التى كانت تتجمع حول الجذور والتى [ج]مدت فقضت على الاخضر واليابس . اما المزرعة الاولى فنجت مزروعاتها واستمروا فى بيع الطماطم [م]نها زمنا طويلا .. وكانوا لا يزالون يقطفون هذه [ال]طماطم حينما زرنا منطقة العبدلى فى مطلع [ال]صيف الماضى .

ورغبنا فى ان نلم بما يقوم به المزارعون الافراد [م]ن اعمال وما يبذلونه من جهود سواء فى تهيئة الارض أو حرثها أو قطف الثمار ، أو غير ذلك ، [م]ما تتطلبه شئون الزراعة ، وقد اطلعنا فيما سبق على ما تقوم به الحكومة فى هذا الصدد .. ولا داعى للقول بان الاساليب المتبعة فى تلك الاعمال بدائية للغاية ، ولعل بعضها لا يختلف كثيرا عما كان عليه فى جارمو فى العراق ، واريحا فى فلسطين ، قبل نحو مائة قرن ، حين خطا الانسان خطواته الرائدة الاولى فى الزراعة .. ويعجب المرء لاجتماع المتناقضات .. ففى منطقة الروضتين، المعروفة ببترولها، من الاساليب الحديثة فى انتاج البترول ما قد يضرب به المثل على ما احرزه الانسان من تقدم تكنى فى القرن العشرين .. هذا ومنطقة الروضتين هذه قريبة بل مجاورة لمنطقة العبدلى .. !

على ان اخطر ما لاحظناه فى منطقة العبدلى هو قلة الايدى العاملة فيها .. فهذه مشكلة كبيرة وتفوق كثيرا كل ما تعانى منه المنطقة من مشاكل . ولعلها العقبة الكاداء التى تقف حجر عثرة فى سبيل التنمية الزراعية هناك . وهذه هى مشكلة الكثرة من الدول العربية كما هو معروف . ولعل اسوأ ما فيها صعوبة حلها. فما لم توضع السياسة العليا الكفيلة بحل هذه المشكلة ، فان الاعمال الزراعية القائمة حاليا فى منطقة العبدلى وسواها.. ستظل اعمالا ، لا تنمية زراعية بالمعنى الدقيق .

المزروعات

ولاحظنا فيما لاحظنا فى جولتنا فى منطقة العبدلى ان الجت (البرسيم) والطماطم هما فى طليعة المزروعات انتشارا . وقد بلغت المساحة المزروعة بهما بضعة مئات من الهكتارات .

وتشمل مزروعات المنطقة الاخرى فيما تشمل : السبانخ والسلق والبقدونس والكزبرة والاشبنت، (الشبث أو الشومر) ، والجرجير والخس والجزر والكرمب . هـذا الـى جانب الكوسى والباذنجان والبامية والفول وغير ذلك .

واسترعى انتباهنا النجاح الملحوظ الذى حققته زراعة الاشجار المثمرة فى المنطقة ونخص بالذكر منها الزيتون والرمان والعنب والتوت البلدى فضلا عن البلح .

■■

يوسف زعبلاوى

ضغط الدم العالي

بقلم : الدكتور ابراهيم فهيم

■ اكتشف وجود الدورة الدموية في القرن السابع عشر . الطبيب المعروف بالذهول « وليم هارفي » (١) الذي كان يوما ما الطبيب الخاص للملك شارل الاول وقد فقد وظيفته لانه ترك ابناء الملك يتشاجرون مشاجرة عنيفة وهو مستغرق في قراءة كتاب .

وبعد ذلك باكثر من قرن اكتشف ضغط الدم احد رجال الدين ، فقد فكر القس « ستيفن هالير » في انه ما دامت هناك دورة فلا بد ان يكون هناك ضغط . فاخذ انبوبة زجاجية طويلة وغرسها في احد الشرايين الكبيرة في الحصان . ولشد ما كان سروره عندما وجد ان الدم قد اندفع بقوة في هذه الانبوبة لارتفاع يبلغ ثماني اقدام تحقيقا لنظريته في وجود ضغط .

جهاز ضغط الدم

ولقد كانت التجربة كافية لاثبات وجود الضغط. ولكنه ظاهر انه لا يمكن استعمالها لقياس الضغط في الانسان وقد ظل قياس ضغط الدم عند الانسان متعذرا حتى تم اكتشاف جهاز ضغط الدم المعروف حاليا وهو يتكون من حقيبة جلديه مطاطة تلف حول العضد او الفخذ . وتخرج من داخل الحقيبة انبوبتان . احداهما تصل الى مكبس يسير دخول الهواء الى الحقيبة والآخر الى مستودع الزئبق وعند ضغط الهواء داخل الحقيبة يرتفع عمود الزئبق داخل انبوبة مدرجة . وبوضع السماعة على الشريان ورفع الضغط داخل الحقيبة ثم خفضه تدريجيا يمكن ملاحظة الضغط الكافي لمجرد ظهور صوت النبض وهذا هو الضغط الانقباضي ، وهو يقرا بالمليمترات من الزئبق ، فعندما نخبر شخصا بان ضغطه ١٥٠ ، فهذا معناه ان قلبه في كل لحظة يدق فيها يرسل موجة من الدم داخل الشريان الذراعي بضغط يعادل ١٥٠ مليمترا من الزئبق وعندما نخفض الضغط داخل الحقيبة تدريجيا بعد

---

(١) [illegible] هارفي مكتشف الدورة الدموية الكبرى . اما الدورة الدموية الرئوية الصغرى فمكتشفها [illegible] العالم العربي) [illegible] هارفي كان يجهل ان ابن النفيس اكتشف الدورة [illegible]

ذلك يتلاشى صوت النبض . وعند هذه النقطة يقرأ الطبيب الضغط الانبساطي .

احصائيات

ولقد دلت الاحصائيات ، على أن ضحايا ارتفاع ضغط الدم في الولايات المتحدة الامريكية يربو على ثلاثة اضعاف مرضى السرطان . وينتشر ضغط الدم العالي بدرجة ملحوظة في المدن والعواصم ويكاد ينعدم في القرى والدساكر ، حيث الحياة الفطرية ، ولا شك ان للحياة العصرية وما تفترضه من اعباء لتال اثر كبير في ذلك .

ويصاب المرضى بضغط الدم العالي بين الاربعين والخمسين من العمر ، ولكنه قد يظهر في سن مبكرة كالثلاثين ، وقد لوحظ ان المرض يشتد وطأة وخطرا كلما صغرت السن التي يبدأ بالظهور فيها .

وضغط الدم عبارة عن القوة التي يندفع بها الدم داخل الشرايين محدثا ضغطا على جدرانها يتراوح تقديره العادي بين ١٢٠ ـ ١٤٠ ملليمترا من الزئبق عند انقباض عضلة القلب ، ٨٠ ـ ٩٠ ملليمترا من الزئبق عند انبساطها .

ومن الواضح ان الضغط على جدران الاوعية الضيقة ، يكون الشد والاقوى منه على جدران الاوعية المتسعة ،ولذلك كانت العقاقير التي تحدث ضيقا في الاوعية الدموية كمادة الادرينالين تسبب كذلك ارتفاعا في ضغط الدم ، اما العقاقير التي توسع الاوعية الدموية كالنتروتيات فهي ايضا تخفض ضغط الدم .

اسباب ضغط الدم

وعندما يتعرض الانسان لمؤثر نفساني او عاطفي ، او حتى بتاثير البرد او الالم ، يزداد افراز الادرينالين ، بواسطة الغدة فوق الكلوية ، ويحدث ارتفاع فسيولوجي مؤقت في ضغط الدم . ولا بد من تمييز ذلك عن ارتفاع ضغط الدم المرضي الذي يكون الارتفاع فيه مستمرا دائما .

وعندما يتقدم بالانسان العمر ، او يصاب بمرض الزهري او السكر ، يحدث تليف في النسيج اللاحم الذي يكسب الشرايين مرونتها ، وتتحول تدريجيا الى انابيب ضيقة ، جدرانها متليفة وسميكة وهذه الحالة المرضية هي المعروفة بتصلب الشرايين. ومن الطبيعي ان يصاحبها ارتفاع في ضغط الدم، الا ان ارتفاع ضغط الدم تانويا كذلك ، عندما ينشا عن اى سبب مباشر معروف (كمرض الكلى) او خلل وظائف الغدد الصماء ، او ضيق ولادي في الاورطى . ولا بد من تمييز هذه الحالات عن نوع اخر يدعى ضغط الدم العالي الاولى اى الذي ليس له سبب مباشر معروف ، ومما لا شك فيه ان له سببا ، غير ان العلم لم يمط اللثام عنه بعد .

وتبلغ نسبة حالات ضغط الدم الاولى ٨٥٪ من مجموع المرضى بالضغط عامة . ولذلك فهو اهمها من جميع الوجوه .

ولئن عجز العلم للآن عن تعرف اسبابه ، فقد نجح في الوقوف على تطوراته واحواله.وما يحدث في الانسجة بسببه من تلف ، وما ينشا عنه من اعراض واوصاب .

ولقد اتضح ان الاعضاء التي يقع عليها العبء الاكبر ، هي على التوالي : القلب ، والمخ ، والكليتان .

وقد يصل ارتفاع الضغط الانقباضي الى ٢٥٠ ملليمترا من الزئبق ، والضغط الانبساطي ١٨٠ ملليمترا من الزئبق ، ولذلك تعاني عضلة البطين الايسر صعوبة كبرى في قذف الدم ضد هذه المقاومة الهائلة فتبدأ في التضخم ، وفي هذه المرحلة قد لا تتعدى شكوى المريض بعض الاعراض المبهمة ، كبرودة الاطراف حينا ، واحمرار الوجه احيانا ، ونزيف من الانف تارة، وصداع خفيف تارة اخرى. وقد يكتشف الضغط العالي مصادفة عقب فحص اكلينيكي عام .

اعراض فشل القلب

ولكن سرعان ما ينتهي الامر بالقلب الى الاعياء، فيتمدد ثم يفشل في القيام بوظيفته . وتظهر بوضوح اعراض فشل القلب ، ومن اهم هذه الاعراض ضيق التنفس ، وتورم الساقين ، وزرقة الشفتين والاصابع .

اما في انسجة المخ ، فيحدث تورم ينشا عنه صداع يبدأ هينا خفيفا ، ثم ينقلب ثقيلا عنيفا يؤرق المريض ، وينغص حياته ، ويقعده عن العمل او التفكير ، ويعتريه توتر شديد ، وانطواء على النفس ، وضيق وتبرم بالحياة .. فتجده ينفعل ويثور لاتفه سبب او لغير ما سبب .

وفي حوالي ثلث المرضى بهذا الداء ، قد ينفجر احد الشرايين داخل المخ محدثا شللا نصفيا ، وعندما يستيقظ المريض يلاقي مرات عديدة للتبول..

فهذا دليل احتقان الكليتين ، وقد تحدث تغيرات في الشبكيـة تظهر بجلاء عند فحص قـاع العين وتسبب عدم وضوح المرئيات .

ولاتماء هذه المضاعفات الخطيرة، يجب على مريض الضغط الاخلاد الى الراحـة والهـدوء وتجنب الانفعالات النفسية، والابتعاد عن الاطعمة الدسمة وملح الطعام والاقلاع عن التدخين ، والامتناع عن تعاطي الخمور والمنبهـات والاكثـار من الفاكهـة والفيتامينات ، وتناول الملينات والمسكنات .

علاج حالات الضغط العالي

ولعلاج حالات ضغط الدم العالي ، لا بد ان يكون التعامل فيها مع المريض كانسان ، وليس مع المرض كشيء ما ، اذ ان للعوامل النفسية اثرها الكبير ، وفي وسع الطبيب المعالج ، ان يصنع العجائب ، متى حصل على ثقة المريض، وعمل على بث الطمانينة في نفسه ، فان القلق من ارتفاع الضغط هو اكبرمصدر مسبب للمزيد من الارتفاع، والرأي السائد هو انه في حالة عدم وجود اية اعراض مصاحبة ، فانه يحسن عدم اللجوء الى ادوية الضغط ، والاكتفاء بطمانة المريض، ونصحه بـان يحرص على الفحص الشامل سنويـا ، اما الدواعي العاجلـة للتـدخل الدوائي فهي تضخم البطين الايسر ، او تاثير اغشية المخ ، او شبكية العين .. كما ان اهم موانع استعمال الادوية : فشل الكلي ودليله هو ارتفاع نسبة البولينا في الدم الى ١٠٠ ملليجرام لكل ملليمتر من الـدم اذ ان النسبة العادية هي ٢٠ ـ ٤٠ ملليجرام . كما تلزم الحيطة عند وجود تصلب الشرايين ، اذ يجب عند ئذ ان يكون خفض الضغط تدريجيا ، وبدرجة معتدلة،حرصا على كفاءة الدورة التاجية التي تغذي عضلة القلب ذاتها .

الراحة والنوم ضروريان

وفي المراحل الاولى من المرض فان ملازمـة الفراش ليسـت ضرورية ، وانما المهـم هو ان يذهب المريض للفراش مبكرا ، ويستريح بعـد تناول كل وجبة ، كما انه لابد من الراحة يوما في الاسبوع ، ومن المفيد انماء عادة تخصيص فترات للراحة والاسترخاء ، وزيادة هذه الفترات كلمـا تقدم المرض . اما عند وجود هبوط في القلب فان ملازمة الفراش تصبح اجبارية الى ان تتحسـن حالة القلب الى اقصى درجة ممكنة .

وليس هناك دليل على ان النشاط العادي او الرياضي كالسير على الاقدام او لعب التنس ضار بالمريض متى كان في حدود عدم مضايقة التنفس، وعدم الشعور بالاجهاد .

ويجب ان يكون الغذاء سهل الهضم ، قليـل الكمية ، ويهدف الى انقاص الـوزن في حالـة زيادته على المعدل ، كما يجب الاقلال مـن ملح الطعام .

واستعمال الادوية المهدئة والمطمئنة للنفس يفيد بشرط ان يكون ذلك بجرعة قليلة لاتتجاوز قرصا واحدا في اليوم .

والقاعدة في استعمال ادوية الضغط هي البدء بجرعات قليلة تزداد تدريجيا الى ان يتم الحصول على الانخفاض المطلوب .

مدرات البول

وفي الحالات البسيطة وهي التي يكون فيهـا الضغط الانقباضي ١٨٠ ملليمترا من الزئبق او اقل من ذلك ـ يكفي استعمال مـدرات البـول للحصول على خفض الضغط الى منسوبه العادي وهو ١٥٠ ملليمترا من الزئبق .

وفي الحالات المتوسطة وهي التي يكون فيهـا الضغط الانقباضي ٢٠٠ او اقل من ذلك يستعمل عقار « ابريزولين » بالاضافة الى مدرات البول .

اما الحالات الشديدة وهي التي يكون فيهـا الضغط الانقباضي اكثر من ٢٠٠ ، فيلزم استعمال الادوية التي تحجب مفعول العصب السمبتاوي .

وقد يلزم الجمع بـين عقارين للحصـول على استجابة افضل وآثار جانبية اقل .. اذ ان لكل من هذه الادوية بالاضافة الى مفعوله الحميد في خفض ضغط الدم ، آثارا جانبية غير مرغوب فيها، وقد تصل الى حد الاضرار بالمريض ، ومن هنـا تعددت ادوية الضغط ولزم الحرص الشديد في انتقاء الدواء المناسب .

وقد يكون ارتفاع الضغط ثانويا وسببه الاول ورم في نخاع الغدة فوق الكلوية او ضيق الأورطي، او انسـداد في الشـريان الكلـوى .. وفي هذه الحالات فان التدخل الجراحي يحسم الامر كله.

الدكتور ابراهيم فهيم
استاذ علم الادوية والعلاج بكلية الطب
جامعة عين شمس

المياه في الوطن العربي

ضرورة التخطيط لحسن استعمالها وتنميتها وحمايتها من التلوث

بقلم دكتور مهندس احمد خالد علام

■ يعتبر الماء من اهم متطلبات الحياة ـ فيقول الله سبحانه وتعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » وهو المصدر الاساسي لحياة الانسان والحيوان والنبات ·ولقد نشات الحضارات وازدهرت المدنيات في الاماكن التي توفر فيها الماء ·

وتنقسم مصادر المياه في العالم بوجه عام الى مياه امطار وانهار ووديان ومياه باطنية (جوفية) ـ وتتوقف اهمية كل مصدر من هذه المصادر على مدى الاعتماد عليه بالوفاء باحتياجات الخدمات والصناعة والزراعة والتوسع في هذه الاحتياجات مستقبلا ·

موارد المياه في الوطن العربي

وبالنسبة لدول الوطن العربي تتعدد موارد المياه من حيث المصدر الا انها تختلف من حيث الكمية ، ومن حيث المورد الرئيسي ، ومن حيث استخدامها · ويوجد باغلب الدول العربية اكثر من مورد للمياه الا انه يمكن تمييز مورد رئيسي لها بجانب الموارد الثانوية ·

فيوجد بالعراق نهرا دجلة والفرات كمورد اساسي وانهار اخرى اصغر ، بالاضافة الى مياه الامطار المستخدمة في شمال وشمال شرق وشرق العراق بينما لا تشكل الاودية او المياه الباطنية موارد تذكر·

وفي الساحل الشرقي للبحر المتوسط يتم الاعتماد على اكثر من مورد وبنسب متفاوتة للجهات التي تستخدم هذا المورد · فيشكل مجرى الفرات وبقية الانهار الاخرى موردا رئيسيا في سوريا بالاضافة الى مياه الامطار على الساحل على حين تكون الامطار والانهار والعيون الموارد الرئيسية في لبنان، كما يكون نهر الاردن المورد الرئيسي في الاردن ، وهذا بالاضافة الى استخدام المياه الباطنية في بعض مناطق هذه الدول ·

اما شبه الجزيرة العربية فالاودية والمياه الجوفية فيها هي المصدر الرئيسي للمياه ، يستثنى من هذا اليمن والجبل الاخضر في عمان حيث تعتبر الامطار المصدر الرئيسي· ولقد حددت موارد المياه المساحات المعمورة في شبه الجزيرة ·

ويتم الاعتماد في مصر والسودان على نهر النيل وروافده ـ وهو في مصر يكاد يكون المورد الوحيد

اذا استثنينا المياه الباطنية في الواحات المصرية الموجودة في الصحراء الغربية • اما في السودان فيضاف الى نهر النيل مياه الامطار التى تسقط بغزارة في الجنوب ومياه الاودية (الاخوار) الموجودة في شرق السودان •

وتتكرر في ليبيا صورة شبه الجزيرة العربية حيث يتم الاعتماد على الاودية والمياه الباطنية كمصادر رئيسية للمياه، بالاضافة الى مياه الامطار الشتوية التي تسقط على المرتفعات في شمال ليبيا حيث التجمعات السكانية الكبيرة •

وفي الجزائر حيث تسود الامطار في شمالها تعتبر هذه الامطار المورد الرئيسي بينما يعتمد على نهر الشليف في المنطقة التي يجرى بها • وحيث تقل هذه الامطار وتنعدم المجارى المائية في الجنوب يتم الاعتماد على المياه الباطنية والاودية •

وينطبق هذا الكلام تقريبا على تونس ففي الشمال والشرق تمثل الامطار والانهار (نهر مليانة والمجردة) الموارد الرئيسية وفي الجنوب يتم الاعتماد على المياه الباطنية •

وتتعدد مصادر المياه في مراكش بصورة كبيرة فيوجد عدد من الانهار ذات التصريف المائي الدائم في الشمال والغرب بالاضافة الى مياه الامطار التي تمثل موردا فصليا • اما الآبار والعيون فهي موارد محلية في جنوب وجنوب شرق المغرب •

المشروعات الصناعية

ونتيجة لمحصلة المياه ونظرا للحاجة الدائمة الى كميات المياه الجارية او المتوافرة في بعض المواسم فقد انشأت معظم الدول العربية المشروعات الهندسية المائية على هذه المصادر، بهدف الوفاء باحتياجات السكان ، والزراعة ، او لتوليد القوى الكهربائية ، او لدرء الفيضانات العالية او ما شابه ذلك • فاقيمت الخزانات والقناطر الحاجزة على انهار النيل ودجلة والفرات والاردن وغيرها من الانهار ، كما اقيمت السدود على كثير من الاودية وحفرت الآبار حيث توافرت المياه الجوفية العذبة •

ويتضح من هذه المناقشة ان الدول العربية تتمتع بمصادر مياه مختلفة الا انه لا يوجد حتى الآن مسح شامل لكل مصدر من هذه المصادر في معظم دول الوطن العربي وان لم يكن في كلها •

تلوث المياه

وعلى امتداد الانهار والمجارى المائية يستعمل الماء النقي اكثر من مرة اثناء جريانه الى البحار - وكل استعمال يغير من نوعية المياه وعادة الى اسوا وهو ما يعرف بتلوث المياه • ومصادر التلوث كثيرة ومتنوعة وتزداد هذه المصادر نتيجة للتطور الهائل في مجال التنمية الصناعية • الا انه يمكن حصرها تحت ثلاث مصادر رئيسية :

* صرف مجارى المدن •
* صرف مخلفات المصانع السائلة •
* صرف مياه الارض الزراعية الملوثة بالكيماويات •

ويتم صرف غالبية مجارى مدن الدول العربية في مجارى الانهار او البحيرات او البحار دون معالجة - او بعد معالجة جزئية في حالات قليلة •

وبالنسبة لمخلفات المصانع السائلة ، تخرج المياه المتخلفة من العمليات الصناعية وهي محملة بمخلفات غير مرغوب فيها سواء على شكل مواد صلبة عضوية او غير عضوية او مواد كيماوية او بترولية او فضلات اشعاعية او حتى على شكل ارتفاع في درجة حرارة المياه المتخلفة •

وتلقى مخلفات المصانع في كثير من دول الوطن العربي في المجارى المائية المجاورة او البحار • فمثلا يلقى في نهر العاصي بسوريا مخلفات كثير من المصانع التي تقع عليه مثل مصانع السماد وتكرير البترول والغزل والنسيج ويترتب على القاء مخلفات هذه المصانع تلوث مياه النهر وتسمم الاحياء المائية وتلف الزراعة وتدهور التربة الخصبة التي تروى بهذه المياه وتسمم الحيوانات التي تشرب منها وتغير طعم ورائحة الماء •

وتحدد تشريعات الدول الصناعية المواصفات والمعايير للحد الاقصى لدرجة التلوث للفضلات السائلة الخارجة من المصنع والتي يسمح بصرفها في المجارى المائية •

وتستعمل المبيدات الحشرية والعضوية في مقاومة الآفات الزراعية ومقاومة الاعشاب الضارة بالمحاصيل الزراعية ومقاومة الحشرات الناقلة للعدوى • ولقد ادى استعمال انواع معينة من هذه الكيماويات الى تلوث المياه السطحية بالعديد من هذه المركبات نتيجة صرف مياه الارض المعالجة بهذه الكيماويات • ولقد حرمت كثير من الدول الصناعية استعمال بعض هذه المركبات •

تحلية المياه الملحة

وفى الوقت الذى تزداد فيه مصادر تلوث الثروة المائية لأى دولة ، والمحددة بعوامل هيدروليكية - يزداد طلب الناس على المياه النقية يوما بعد يوم زيادة تدق اجراس الخطر • فسكان العالم يزدادون سنويا بمعدل ٢٪ أى يتضاعف سكان العالم كل ٣٠ سنة وبالطبع يزيد الطعام اللازم لهؤلاء السكان بنفس معدل زيادة السكان • كما تتطلب عمليات التنمية الصناعية زيادة مستمرة فى استهلاك المياه بالاضافة الى التقدم المستمر فى مستويات المعيشة مما يترتب عليه رفع معدل استهلاك المياه •

ولقد اتجهت الدول الصناعية الى تحلية المياه المالحة سواء مياه البحار أو المحيطات أو المياه الباطنية الجوفية واستعمالها ليس فقط فى الاغراض المنزلية والخدمات بل فى عمليات الانتاج الصناعى والزراعى • وتعتبر الولايات المتحدة أسبق الدول فى وضع برامج شاملة للابحاث والتجارب والتطبيق العلمى فى هذا المجال •

فتنحصر الطرق المستخدمة لتحويل المياه المالحة الى مياه عذبة فى طريقتين رئيسيتين :

* استخلاص الماء النقى من المحلول الملحى •
* استخلاص الملح من الماء •

ويتم استخلاص الماء النقى من المحلول الملحى بعدة طرق منها (التبخير والتقطير) - والتبخير الفاجىء المتعدد المراحل - والتبخير باستخدام الطاقة الشمسية •

ولما كانت تكاليف تسخين المياه تشكل عاملا اقتصاديا هاما حيث تحتاج الى كميات كبيرة من الطاقة الحرارية فلقد اتجهت الدول الصناعية الى توفير هذه الطاقة عن طريق الاستفادة من البخار الخارج من عادم محطات القوى الكهربائية (الحرارية أو النووية) فى تسخين المياه المالحة ، مما ترتب عليه خفض تكاليف انتاج المتر المكعب من المياه العذبة - واصبحت محطات تحلية المياه المالحة تقام بجانب محطات توليد الكهرباء •

اما طريقة استخلاص الملح من الماء فتتم بعدة طرق أهمها استخدام الاغشية والتبادل الايونى وهى عبارة عن طبقات مسامية تحمل طبقة شحنات سالبة وتحمل الاخرى شحنات موجبة • وعندما يمر الماء المالح خلال هذه الطبقات يحجز الملح على الشد ويمر الماء العذب خلال الغشاء الآخر وهكذا•

ولقد انشات بعض الدول العربية مثل الكويت ومصر مشروعات محطات تحلية مياه البحر المالحة الا أن استعمال هذه المياه لا زال مقصورا على الشرب وبعض الخدمات • ولم تستعمل هذه المياه بعد فى اغراض الزراعة نظرا لارتفاع تكاليف تحليتها لهذا الغرض فى هذه الدول ، ولا شك ان حل مشكلة التوسع فى زراعة الصحراء العربية يكمن فى استعمال مياه البحار بعد تحليتها بطريقة اقتصادية •

الخلاصة

يجب ان يكون هناك تخطيط للثروة المائية فى دول الوطن العربى وتنسيق بين الجهات المعنية بالثروة المائية وتنميتها مثل وزارات الزراعة والرى والصناعة ومرافق المياه وبين الجهات المعنية بمشاكل التلوث مثل وزارات الصحة ومرافق الصرف الصحى والصناعة •

ويمكن أن يتم التنسيق بانشاء هيئة تهتم بوضع السياسة العامة للثروة المائية للدولة • تقوم بعمل مسح شامل لكل مصادر هذه الثروة من بحيرات وانهار ومياه امطار واودية ومياه باطنية وتحلية المياه المالحة - كما تقوم بعمل مسح شامل لكل مصادر التلوث التى تقذف بمخلفاتها فى مجارى المياه •

وان تضع الهيئة المعايير المناسبة للمخلفات السائلة المطلوب صرفها فى مجارى الأنهار ، آخذة فى اعتبارها مدى تاثير هذه المخلفات على ملاءمة المياه للاستعمالات المختلفة مثل مياه الشرب والحفاظ على الثروة السمكية والاستعمالات الزراعية والماشية ومتطلبات الصناعة والاغراض الترفيهية •

وعلى مستوى الوطن العربى ككل يجب اقامة مركز رئيسى يهتم باجراء البحوث والدراسات فى هذا المجال ولا سيما فى مجال تحلية المياه المالحة واستعمالها فى اغراض الزراعة وكذا حماية الثروة المائية من التلوث واجراء الاتصالات مع المنظمات الدولية والعالمية لتبادل المعلومات ومعرفة ما استحدث من طرق فى هذا المجال وتقديم المساعدات الفنية للدول العربية لحسن استعمال ثرواتها المائية وتنميتها وحمايتها من التلوث •

دكتور مهندس احمد خالد علام

لها في اللغة الفصحى أصالتها
ندعو إلى استعمالها كتابة ومحاضرة

التنزه والنزهة والمنتزه

■ من الشائع بين اللغويين في كل لغات العالم ان الكلمات فيها اطلقت أولا على أشياء حسية أو مادية ، ثم استعملت ـ توسعا ـ للدلالة على أشياء معنوية او عقلية • وهكذا جرت العرب ـ كسائر الامم ـ في استعمال كلماتها •

ومن ذلك كلمة « التنزه » والنزهـة ، ومـا يشاركها في الاشتقاق من الجذر « ن ز هـ » فكلها بمعنى البعد حسيا أولا ، ثم معنويا أو مجازيا ، وهكذا استعملت في الفصيحة • يقال : هذه ارض « نزهة او نزهة ، او نزيهة » اى بعيدة او منعزلة عن العمران ، وهو بعد مكاني ، كذلك يقال : سقى الراعى ما شيته ثم نزهها عن المـاء ، اى ابعدها منه •

ومن استعمالها في الدلالة المعنوية ، او مجازا ـ كمـا قـال الزمخشري ، في معجمه « اسـاس البلاغـة » ـ قولهم : « رجل نزِه ونزيـه عـن الريب ، ونزّه الله تنزيها • وهو يتنزه عـن المطامع » ، أى يبتعد عنها ، ومنه « الله منزه عن الاشياء » و « الانبياء منزهون عن المعاصى » اى بعيدون او معصومون منها ، و « القاضى نزيـه » اى بعيـد عن الشبهات لا يحابى في الحـق ، ولا يتبع فيه هوى ، ولا يقبل رشوة او شفاعة •

ومما جاء في الفصيحة أيضا : نَزِهَ الرجل فهو نَزِه ، والجمع نزِهون • ونزه نزاهة ونزاهية : اى ابتعد عن المكروه او المنكر ، فهو نزيه ، والجمع نزهاء ، ورجل ناره النفس ، اى عفيف ، لبعده عن القبائح ، وقد يتنزه المرء عن بعض المباح او الحلال ، بل الطيب ، طلبا لما هو افضل ، مما يراه اجدر به •

واشيع من كل ذلك على السنتنا يوميا تكرار لفظ « التنزه » ، « والنزهة » ، للدلالة على معنيين آخرين : احدهما الخروج الى ما هو قريب او بعيد من الاماكن البهيجة كالرياض والحقول وشطوط الجداول والانهار والبحار ونحوها، والمعنى الثاني الترويح عن النفس باى وسيلة ولو كان المرء في مكانه • فهل هذان الاستعمالان فصيحان ؟

لقد كان شيوخنا في اللغة ينكرون ذلك علينا اذا اجريناه في كلام فصيح ، ويحتجون لرأيهم باكبر المعاجم بين ايديهم ، واقربها تناولا ، وهو « القاموس » للفيروز آبادي، اذ يقول : « استعمال التنزه في الخروج الى البساتين والخضر والرياحين غلط قبيـح » ، فهو ينكره بشـدة ، ولم يـزل المتشددون اليوم يتمسكون بذلك ، كأنه ليس للغة مرجع غير هذا المعجم ، وكأنه لا تخريج لكلمة او استعمال الا ما خرجه هو و غيره من الاقدمين ، على نحو ما خرجوه ، وليس لنـا نحن المتكلمين اليوم باللغة اى اجتهاد في ذلك الا الاتباع او التنفيذ ، تعبدا بما يقولون ، مـع ان الاجتهاد والتوسع في اى لغة حق لكل من يحسنها ويستعملها كتابة او محاضرة •

وقبل اكثر من الف سنة ـ والفيروز آبادى وقاموسه فى الغيب ـ كان بعض اللغويين ينكرون مثله هذا الاستعمال ايضا ، ومن هؤلاء « ابـن السكيـت » وقـد رد عليـه رايـه هـذا ـ مع ذكر السبب ـ عالم آخر معاصر له ، كان افطن منه ، واعرف بالشعر والادب ، هو ابن قتيبة (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ) ، اذ اورد قول ابن السكيت هذا دون ان يذكر اسمه ، واشار الى ان بعض اصحاب اللغة او العلم يغلّط بعض الناس اذ يقولون : « خرجنا نتنـزه » ، اذا خرجـوا الى البساتين ، ويقول : « انما التنزه التباعد عن المياه والريف ، ومنه يقال : فلان يتنزه عن الاقـذار ، اى يباعد نفسه عنها ، وفلان نزيه كريم ، اذا كان بعيدا عن اللوم » ، وقد عقب ابن قتيبة على هذا الراى القاصر ، فقال : « وليس هذا عندى خطا ، لان البساتين فى كل مصر (مدينة) وفى كل بلد ، انما تكون خارج المصر ، فاذا اراد الرجل ان ياتيها فقد اراد ان يتنزه ، اى يتباعد عن المنازل والبيوت، ثم كثر هذا ، حتى صارت النزهة القعـود فى الخضر والجنان » .

وهكذا تتوسع كل اللغات عن طريق التجوز او المجاز ، وهكذا ينبغى ان يكون تخريجها للتوسعة على المتكلمين بها ، مع تجدد الازمنة واختـلاف الامكنة .

وقد انتقل هذا المعنى قبل الف سنة ايضا الى معنى الترويح عن النفس باى وسيلة ، ولو بغير الخروج الى البساتين ،واليك هذه القصة لعالم من اكبر اللغويين عندنا ، كان يعيش فى عصر ابن السكيت وابن قتيبة ايضا ، وهو « ابن دريـد » (٢٢٣ ـ ٣٢١) اذ روى عنه صديقـه اللغـوى الاديب الامير ابو نصر الميكالى ، انه كان واصحابا له عند ابن دريد فتذاكروا متنزهاتالدنيا (اماكنها البهيجة) فذكر بعضهم من ذلك عـدة بقـاع فى الشـام والعراق وفارس وخراسان ، فقـال ابن دريد : « هـذه متنزهـات العيون فايـن انتم من متنزهات القلوب ؟ » فلما سالوه عنها ذكر لهم عدة كتب لبعض معاصريه ، منها « عيون الاخبار » لابن قتيبـة ، و « الزهرة » فى الحب للفقيـه الظاهرى الامام ابن داود ، ثم انشا يقول :

« ومنتـسـك نزهتـه قينـة
وكـأس تحـثـث وكاس تصب
فنزهتنـا واستراحتنـا
تلاقـى العيون ، ودرس الكتب »

فهذا المعنى انتقال عنسابقه على وجه التشبيه، وهو اوسع منه . ومن هنا يسوغ ان نقول لصديق يحسن الغناء او العزف او سرد القصص وانشاد الاشعار : نزهتنا بغنائك ، او عزفك ، او قصصك، او انشادك . بمعنى الترويح او التسلية .

وهناك معنى آخر للتنزه والنزهة ، فالارض النزهة والنزيهة ، كما فى القاموس ، « ارض بعيدة عن الريف وغمق (فساد) المياه ، وذبان القرى ، ومد البحار ، وفساد الهواء » ، والمراد بها ما نسميه اليوم « البيئة غير الملوثة » ، او البقعة النظيفة او الصحية ، وقد تكون قريبة منا او بعيدة ، فى سهل او على جبل ، ذات نبات او قفر ، كما هو الشان فى المصايف والمشاتى ، وسائر منتجعات الصحة وحدها او مع الترويح ، ويقابل هذه ما تسميه العرب اماكن « غمقة » : اى ما نسميه « البيئة الملوثة » ، حيث الاهويـة الراكدة ، او المياه الآسنة ، والنفايات العطنة ، وفيها تكثر الهوامويفسد الهواء،وكل هذا مما يضر بصحة الانسان ويقلق راحته .

ونحن حيننتفصح لا نستعمل الا كلمة « متنزه » ، ولكننا فى الدارجة لا نستعمل الا كلمة « منتزه » فهل هذه فصيحة ؟

هذا ما نراه ، فالمنتزه اسم مكان من الفعل الخماسى (انتزه) على وزن افتعـل ، واصله الثلاثى « نزَه » بمعنى ابتعد،وهو كقولنا : نزعت السهم وانتزعته،ونجع البدوى لقومه الماء والكلا ، (اى طلب) ، ومثـل : نايت وانتـايت ، (اى بعدت) . فالمنتزه مثل المنتجع والمنتاى ، والمنتبذ (المكان البعيد) ، وفى القرآن الكريم من قصة مريم ام المسيح عليهما السلام : فحملته فانتبذت به مكانا قصيا » .

م . خ . ت .

خطوط انابيب التابلاين ماذا حل بها ٠٠ ؟

● خطوط انابيب التابلاين ٠٠هل توقفت عن العمل ، ولماذا ؟! ومن يملكها ٠٠ ؟

محمود حسن ـ الكويت

ـ التابلاين هو الاسم الذى تعرف به خطوط انابيب البترول الممتدة بين الخليج العربى والبحر المتوسط ٠ ويبلغ طول هذه الخطوط حوالى ٩٠٠ ميل (١٤٥٠ كم) ، ويبلغ قطرها ٣٠ـ٣١ بوصة ٠ وقد انشئت عام ١٩٥٠ وذلك لنقل البترول الخام من الظهران فى المملكة السعودية الى صيدا فى جنوب لبنان ، حيث توجد مصافى البترول المعروفة باسم مدراكو (Medraco) ، والتى تملكها شركتان امريكيتان هما شركة كالتكس وموبيل ٠ ويبلغ عدد العاملين فى خطوط التابلاين نحو ٣٠٠ عامل٠ اما طاقتها فتبلغ ½ مليون برميل يوميا واما اجور نقل البترول عبرها ـ رسوم الترانزيت ـ

« افنى » منطقة مغربية بعد احتلال دام نحو ٤٠ عاما

● بحثت كثيرا عن دويلة صغيرة سمعت باسمها لاول مرة وهو افنى Efni ولكنى لم اعثر لها على اثر ،فارجو اعلامى ايـن تقـع ، وبعض المعلومات منها ، وتاريخها ٠

حسن عبد الحميد نعت
صيدا ـ الحبوش ـ لبنان

ـ منطقة افنى هى منطقة مغربية تطل على المحيط الاطلسى كانت تحتلها اسبانيا سابقا ، ولكنها اعادتها الى المغرب عام ١٩٦٩ وبهذا لم تعد هناك اى دويلة او مستعمرة تعرف باسم افنى ٠٠ ولا باس من ذكر قصة الاحتلال الاسبانى لمنطقة افنى ٠٠ فهى قصة من الغرابة بمكان ، ذكرها عبد المجيد بن جلون ، فى كتابه « هذه مراكش » بقوله :

« باع ملك جزر الخالدات البرتغالى تلك الجزر للعرش الاسبانى ، ومعها منطقة على شاطىء المحيط الاطلسى بجنوب مراكش اسمها (سانت كروز دى لاماربيكينيا) وذلك عام ٤٧٧ م ٠

فتبلغ دولارين للبرميل الواحد .

والتابلاين هو اسم الشركـة التى تملك تلك الخطوط ، بل مختصر اسمها وهو بالكامل (شركة خطوط انابيب ترانس ارابيان . Trans-Arabian Pipeline Co. وتتفرع شركـة التابلاين هذه عن شركة ارامكو المعروفة .

وتجدر الاشارة الى ان شركة ارامكو هـذه كانت قبل حين ملكا مشتركا بين المملكة السعودية (٦٠٪) وشركات الامتياز الامريكية وهى اربـع (٤٠٪). الا انالمفاوضاتعلىشراء هذهالحصةالاخيرة قائمة على قدم وساق ، وقد لا يظهر هذا العدد من العربى فى الاسواق الا وتكون الارامكو ملكـا سعوديا خالصا ١٠٠٪ . واغلب الظن ان تلقـى الشركة الفرعية (التابلاين) نفس المصير الذى تلقاه الشركة الام (الارامكو) .

هذا ويذكر القراء ان شركة التابلاين اعلنت عن رغبتها فى تصفية اعمالها فى مطلع هـذه السنة ، وانها اوقفت ضخ البترول عبر انابيبها فى شهر فبراير الماضى . وزعمت الشركة فيما زعمت ان صهاريجها فى صيدا قد طفحت بالبترول (٥ر٣ مليون برميل) ، وقل مثل ذلك فى انابيب خطوطها (٥ر١ مليون برميل) ، وان ناقـلات البترول قلما تمر بصيدا هذه الايام فتخفف من ذلك المخزون ، وتسمح بضخ المزيد .

اما قلـة مرور الناقلات فمرده ، كمـا زعمت الشركة ، الى تناقص الطلب العالمى على البترول وهبوط اجور النقل البحرى عامة ، ومن موانىء الخليج العربى بصفة خاصة .

(ى . ر)

هذا هو الاساس الذى استند عليه الاسبان فى حق ملكيهتم لتلك المنطقة الساحلية .. ولكن هذا البقعة (سانتاكروز) كانت مجهولة غير معروفة .. والظاهر انها كانت موجودة ثم خربها الاهالى عام ١٥٢٤ فضاعت معالمها تماما . ورغم ذلك ظل الاسبان يطالبون بهذا المكان المجهول منذ ذلك الحين ، ولكنهم لم يتمكنوا من ارغام حكومة مراكش على الاعتراف لهم بهذا « الحق » الا عقب انتصارهم فى حرب تطوان .

وفى عام ١٨٧١ ارسلت بعثة الى تلك المنطقة للتعرف عليها ، ولكن دون نتيجة فقد فشلوا فى التعرف على الموقع . وعرض عليهم المولى الحسن شراء هذا الحق منهم فرفضوا .

وارسل الملك وفدين متعاقبين الى اسبانيا للتفاهم ، ولكن بدون اى نتيجة . وفى عام ١٨٨٣

هل من حق الزوجة العاملة أن تقتصد مرتبها كله ؟

● احتلفت مع زوجتي بعد مرور سبعة اعوام على زواجنا ، رزقنا خلالها بطفلين اكبرهما فى السادسة والثانى فى الرابعة .. فقد التحقت زوجتي التى كانت تعمل مدرسة بالجامعة قبل الزواج ، بوظيفة تدر عليها دخلا طيبا بعد ان بقيت طوال هذه الاعوام ترعى بيتها واطفالها ..

انا شخصيا لا احبذ فكرة اشتغال الزوجة وقد اتفقنا على أن تترك وظيفتها وعملها بعد الزواج ، ووافقت هى ، ولكنها ضاقت بحياة الوحدة فى البيت كما تقول ، بعد أن ذهب الاطفال للمدرسة . وهى تصر على الاحتفاظ بوظيفتها الجديدة ، وانا اعترض ،وخاصة لاننا لسنا فى حاجة الى مزيد من المال ، فدخلى من وظيفتي كبير والحمد لله . المهم فى الامر الان ، وقد نزلت عند رغبتها ، ان زوجتي تحتفظ بمرتبها كاملا وتدخره فى البنك، ولا تريد ان تساهم فى نفقات البيت ،فهل هذا من حقها ؟

ط . م . ـ الكويت

ـ لقد كنت تعترض كما ذكرت فى رسالتك على اشتغال الزوجة بعد الزواج . ووافقت زوجتك لقد وجدت ان هناك عملا اكبر واهم بكثير داخل البيت ، وهو وظيفتها كربة بيت وزوجة وام . وعاشت سبع سنوات ترعى بيتها واسرتها وطفليها الى ان كبرا ودخلا المدرسة .

وليس غريبا ان تشعر بفراغ بعد غياب الطفلين عنها وهما اللذان كانا يملآن كل وقتها وحياتها فعادت تبحث عن عمل يخرجها من هذه الوحدة وهذا الفراغ ، وخاصة وهى السيدة التى تعودت ان تعيش حياة مليئة بالعمل مع طلبتها وزميلاتها فى الجامعة .

قام الملك نفسه برحلة الى بلاد السوس (فى جنوب المغرب) للتحقيق فى المطالب الاسبانية ، واقترح ارسال بعثة مشتركة ، فوافقت اسبانيا ، ولكن البعثة فشلت فى مهمتها .. واقترح الملك ان يسلم للاسبان منطقة البويضة بدلا من هذا المكان الذى لم يستطيعوا الاهتداء اليه ، فرفض الاسبان ذلك لعدم وجود مياه فى منطقة البويضة .

وهكذا ظل الاسبان يتعنتون فى مطالبتهم ، بهذا المكان المجهول الموقع ، الى ان توفى الملك المولى الحسن .. وفى اوائل القرن الحالى استطاع الاسبان والفرنسيون ان يصلوا الى اتفاق فيما بينهما، اعترفت فرنسا بموجبه بحقهم فى سانتاكروز المجهولة الموقع ، ولكنها قالت فى اعترافها بانها تقع فى منطقة افنى الحالية .

وظل الاسبان عاجزين عن احتلال المنطقة منذ ذلك التاريخ ، بسبب انشغالهم بتاسيس نظامهم فى المغرب الشمالى الذى احتلوه .. ولم يتمكنوا من وضع يدهم على « افنى » الا قبل نشوب الحرب الاسبانية الاهلية ، اذ نزلت جيوشهم بها عام ١٩٣٤ .

وتمتد منطقة افنى على الساحل الافريقى المقابل لجزر الخالدات ، او جزر الكنارى كما تسمى حاليا ، ومساحتها ٢٨٥٠٠٠ كيلو متر مربع ، وكان عدد سكانها ٣٠ الف نسمة جردوا من جنسيتهم المغربية وحملوا الجنسية الاسبانية اثناء الاحتلال الاسبانى .. اما اليوم فافنى اصبحت جزءا لا يتجزأ من التراب المغربى ..

(س . ز)

وقد نزلت عند رغبتها كما ذكرت فلم تعد هناك مشكلة اذن • اى ان اعتراضك على مبدأ اشتغال الزوجة بعد الزواج قد زال !

بقيت الاجابة على الجزء الثانى من سؤالك ، وهو اذا كان من حق زوجتك الاحتفاظ بشكل مرتبها دون المساهمة فى نفقات البيت ؟

انك تناقض نفسك يا سيدى ، فانت تقول ان دخلك من وظيفتك كبير ، ولا حاجة لكما للمزيد من المال • اى انك قادر على مواجهة متطلبات الحياة دون عون من احد • فما الذى تريده منها اذن ، ولماذا تريده ؟ ثم ماذا تفعل زوجتك بمرتبها؟ انها تقتصده وتضعه فى البنك ، كما تقول انت•• وهى بهذا تؤمن مستقبلها ومستقبل طفليها !

ان الزوج هو المسئول عن نفقات بيته واسرته واطفاله ، وعن تدبير الاحتياجات المادية للاسرة كلها • وما دام الزوج قادرا على اعالة الاسرة بمفرده فان اشتغال المرأة يصبح متروكا لها ،وهى وحدها التى تقرر اذا كانت ستعمل او ستتفرغ لشؤون البيت والاطفال ، فاذا اختارت العمل ،فلا بد لها ان تتاكد اولا من ان عملها هذا لن يؤدى الى الاخلال بواجباتها كزوجة وربة بيت وام لاطفالها •

ان زوجتك يا سيدى ، لم تخل بهذه الواجبات، بدليل انها لم تفكر فى العودة الى العمل الا بعد ان تاكدت من ان طفليها قد بلغا سنا معينة ، ثم هى فى واقع الامر تساهم مساهمة فعالة فى مسالة ربما غابت عن ذهنك ، وهى تامين مستقبل هذه الاسرة الصغيرة بما تقتصد لها من مال • وحتى لو كنت تقتصد انت من اجل اسرتك ، فلا باس بطبيعة الحال ، من ان يرتفع رصيد كل منكما فى البنك ، من اجلك ، ومن اجلها ، ومن اجل طفليكما الصغيرين ••

الظروف الوحيدة التى يحتم فيها على الزوجة ان تساهم فى نفقات البيت ، عندما يكون دخل زوجها غير كاف لمواجهة اعباء الحياة •• فالحياة الزوجية تعاون ومشاركة •• اما اذا كانت الزوجة تعمل لمجرد الاستفادة من الوقت وملء الفراغ الذى تعيش فيه ، فمن حقها الاحتفاظ بمرتبها كاملا لتامين مستقبل اطفالها ومستقبلها هى ايضا ، فمع الزواج قد يكون طلاق ، والطلاق بيد الزوج ، ومع الزواج قد يكون موت ، والارملة التى لها مهنة تتكسب بها وعندها مال تعتمد عليه سوف تجد الحياة أيسر بالنسبة لها ولاطفالها اكثر مما لارملة لم تعرف الا مهنة البيت •

(م•ن)

جمعية ابولو الادبية فى مصر

● أنا من المهتمين بالحركات الادبيةفى العالم العربى،وقد سمعت بمدرسة ادبية ظهرت فى مصر تسمى « مدرسةابولو » فارجو ان توضحوا لنا معالمها ورجالها وآثارها الادبية ، كما وضحتممعالم « مدرسة الديوان » المصرية التى عاصرتها حين نشرتممنها نبذة فىالعدد الممتاز١٩٤ (يناير سنة١٩٧٥) ، وشكرا •

اسماعيل الطيب
أم درمان ــ السودان

ــ قامت حركة « ابولو » الادبية فى مصر فجاة واختفت فجاة بين سنتى ١٩٣٢ و ١٩٣٤ وقد اتخذت مظهرا ادبيا فى « جمعية » وفى « مجلة » عرفت كلتاهما باسم « ابولو » ولكن أسباب قيامها واختفائها المفاجئين كانت اسبابا ادبية وسياسية موافقة للظروف الحكم

تسأل .. ونحن نجيب

المضطربة يومئذ في مصر ، وكان محور نشاط هذه الحركة هو الدكتور احمد زكي ابو شادي ، فهو الذي اقام الجمعية ، ووضع دستورها ، وجمع اعضاءها وانصارها ، كما انه اصدر مجلتها واشرف عليها وشارك في تحريرها ، وكان هو الرئيس الفعلي للجمعية وموجهها ، وان ترك رياستها الظاهرة لغيره .

ولم تكن حركة ابولو « مدرسة » ، ولا هي ذات « مذهب » في الشعر او النقد او الكتابة جملة ، بالمعنى المفهوم الآن من مصطلحي « مدرسة » و « مذهب » بل هي ناد او نقابة تعاونية او هي كما سمت نفسها « جمعية » وقد نص دستورها على انها رابطة تعاونية لصون كرامة الشعراء ومصالحهم الادبية والمادية ، مع احتفاظهم بمذاهبهم الخاصة ، « وان تكون هذه الرابطة في ذاتها مدرسة نقدية ، ووسيلة للتفاهم فيما بينهم ، وتقريب ارائهم بعضها من بعض » . وكانت الجمعية - كسائر الجمعيات من اى نوع - تتالف من اعضاء ، وكان هؤلاء خمسة عشر عضوا منهم ستة منتخبون ، يلاحظ فيهم أن يمثلوا البيئات الشعرية المختلفة ، كما ينص دستورها ، وكان اعضاؤها ثم انصارها افرادا متفرقين ، لا جامعة بينهم غير انهم شعراء ، وكان بعضهم يتعاطى النقد والكتابة الادبية كما يتعاطاه الهواة ، وربما كان ابرز هؤلاء الدكتورين ابا شادي وابراهيم ناجي وكلاهما طبيب شاعر ولكن لم يكن لهما او لغيرهما اصالة الناقد وطبيعته المرنة القابلة واطلاعه الواسع . واهم ما تعاونت فيه مجال النشر ، وهو يكاد ينحصر في مجلة ابولو ، فقد افسحت صدرها لكل شاعر ايا كان حظه من القدرة والشهرة ، ولهذا اسهم فيها كثير من الشبان ، فاشاعت سمعتهم ، وهذه اهم خدمة قدمتها لهم ، فالتف حولها منهم كثير ، وكانت تجمعهم بل تعاييهم لتجمعهم اليها ، وان ظلوا افرادا متفرقين ، لكل منهم اتجاهه الادبي ، وكان اعضاؤها وانصارها يتعايشون معا ، وان كانت اتجاهاتهم مختلفة ، كما كانت تجمعهم رغبة التجديد في الادب ولا سيما الشعر ونقده ، ولكنها لم تفد احدهم في تقويم اتجاهه الادبي او تقييم نتاجه ، او تخريجه في شعر او نثر ، او التقريب بين اتجاهه واتجاه غيره . ولم يكن قطبها ابو شادي متعدد الملكات ، وان كان قد نشط بذكائه وهمته ودابه في عدة مجالات متنوعة، اذ كان طبيبا ، وكان يربي النحل والدواجن ، وكان ينظم الشعر ، ويكتب في الادب والنقد ، وله عدة اعمال شعرية وله اعمال نثرية بعضها مقالات او احاديث اذاعية ، وكانت الجمعية قائمة ولها انصار طوال قيام المجلة ، فلما اغلقت في اخر سنة ١٩٣٤ عادوا جميعا كما بداوا افرادا متفرقين لم يخسروا شيئا غير فرصة النشر في المجلة ، ولقاء بعضهم مع بعض قلميا في المجلة ، او شخصيا في دار الجمعية ، وكثير من اعضائها وانصارها كانوا على شهرة واسعة قبلها ، مثل خليل مطران الذى كان يعده ابو شادي استاذا له، ولكن بعضهم كانوا في طور النشاة او في بداية النضج ، ومن هؤلاء غير من ذكرناهم الاساتذة صالح جودت ومحمود حسن اسماعيل والهمشري والسيدة جميلة العلايلي في مصر ، وابو القاسم الشابي في تونس ، والزمخشري في الحجاز ، وهناك غيرهم اسهموا بنشر قصائدهم في المجلة ولم يكونوا من هذه الجماعة في قريب او بعيد غير انهم شعراء ، ومن هؤلاء الاساتذة العوضي الوكيل واحمد مخيمر وعبد الحكيم الجملاوى ، وكل من ذكرنا من الشعراء ، اشتهروا بعد ذلك وبقوا على مناهجهم بعد ذهاب الجمعية والمجلة ، فسمعتها اكبر من حقيقتها ، وآثارها اقل من سمعتها ، ولكن ينبغي ان نذكر لها من الفضل انها كانت اول مجلة اتاحت الفرصة الواسعة للشعراء الشباب كي ينشروا فيها مايريدون، وكانهذا لهمبدايةطيبة .

هذه الأرض

هل يوجد في الكون غيرها أرض؟

بقلم : الدكتور عبد القوى عياد

■ تتكاثر البشرية على سطح الارض بمعدل يثير الفزع من يوم تصبح فيه موارد كوكبنا غير قادرة على الوفاء بحاجات قاطنيه • والامل معقود على تقدم حضارى يزيد من انتاج المصادر المعروفة ويستنبط مصادر اخرى • الا ان مثل هذا التقدم ذاته قد يؤدى ـ بما يعود به من تلوث للبيئة وسباق فى التسلح ـ الى فناء للجنس البشرى على سطح الارض ، اذا لم يصل نفس التقدم الى وسائل تكنولوجيه تمكن الانسان من الهجرة الى اماكن أخرى أقل خطرا •

فهل توجد فى الكون مثل هذه الاماكن التى يمكن الانسان ان يلجا اليها عند الضرورة ؟ واين هذه الاماكن فى حالة وجودها ؟ •

ان الانسان ليعيش فى مكانه آمنا ، حتى اذا داهمه خطر لا يستطيع له درءا اندفع الى مكان آخر اقل خطورة • ولا بد للاخير ان يفى باحتياجات الانسان الضرورية منها على الاقل ، والا فلن يجدى اللجوء اليه استمرارا للحياة البشرية ، بدون ما حاجة الى الاعتماد على حماية صناعية او اشياء مجلوبة من اماكن اخرى بعيدة جدا • لذلك فان اى مهجر جديد للانسان لا بد ان تتوفر عليه ظروف مشابهة لما نجده فوق سطح الارض •

الظروف التى تتحملها الحياة الانسانية

هناك عوامل كثيرة اذا توفرت حققت للانسان عيشة رغدة ينمو فيها ويتكاثر ، وان توفر بعضها كانت الحياة اقل سعادة واقصر عمرا ، وان غابت لا يمكن للحياة ان تستمر على فرض وجودها • وفيما يلى نستعرض هذه العوامل •

ا ـ درجة الحرارة

اول ما يهتم به الانسان هو درجة الحرارة ذلك انه لا يستطيع ان يعيش سعيدا لفترات طويلة ، ولو مستعينا بالحماية اللازمة من ملابس

او غيره ، الا في حيز مفضل لحياته اليومية ، يتراوح من ٤ الى ٢٧ درجة مئوية • وينعكس ذلك بوضوح في الزيادة الكبيرة لكثافة السكان فوق سطح الارض ، حيث درجة الحرارة من صفر الى ٣٠ درجة مئوية تقريبا ، اذا قيس بالنسبة للاماكن الاخرى التي تقل فيها درجة الحرارة عن الصفر او تزيد على الثلاثين درجة • يضاف الى ذلك ان هذا الحيز من درجة الحرارة هو ايضا مفضل لنمو غالبيةالمحاصيلوالحيوانات الهامةالتي يعتمد الانسان عليها في غذائه وكسائه •

ان درجة الحرارة قد تختلف بين فصل وآخر من فصول السنة ، كما هو الحال على سطح الارض ، نتيجة لميل محور دوران الارض حول نفسها ، على مستوى دورانها في مدارها حول الشمس • ولما كان الانسان لا يميل الى البقاء لاوقات طويلة مرتبطا بالغرف او الملابس المكيفة فان التغييرات في درجة الحرارة على المستوى العام يجب أن لا تتجاوز الحدود من (١٠) الى (٤٠) درجة مئوية ، آخذين في الاعتبار ان الاختلاف بين هذا وبين ما سبق من تقدير لا يدوم الا لفترات قصيرة ، ويمكن التغلب عليه بوسائل التكييف • وحتى يسهل للانسان الانتقال في مجتمعه من مكان الى آخر لا بد ان تكون النسبة التي تسود فيها درجة الحرارة المناسبة معقولة اذا قيست بالمساحة الكلية للجرم السماوي ، سواء كان ارضا او كان اى وطن آخر • فيجب الا تقل هذه المساحة كثيرا من (١٠٪) عشرة في المائة من مساحة الكوكب •

ب ـ الجاذبية

من خواص الاجسام انها تشد بعضها بعضا بقوى جذب تتناسب طرديا مع حاصل ضرب كتلها، وعكسيا مع مربع المسافة بينها ، هذه القوى هي التي تجعل حجرا يسقط على سطح الارض ، اذا ابعدناه عنها ، ويظل مستقرا فوق سطحها اذا لم تزحزحه اية قوة اخرى • وهي نفس القوى التي تعمل على توازننا اثناء سيرنا فوق سطح الارض ، فلا نميل كثيرا ، بلا ارادة ، الى هذا الجانب او ذاك ، نظرا لاتجاه القوة دائما الى مركز الارض• ولما كان الغلاف الجوى مكونا من غازات لها درجة الحرارة السائدة فيه ، فان هذه الغازات تتحرك بسرعات تنطلق بها الى الفضاء المحيط بالارض ، لولا امساك قبضة الجاذبية الارضية بها كقوة معاكسة • لذلك فان قوة الجاذبية هي التي تعمل على الاحتفاظ بالغلاف الجوى •• ولا تخفى علينا فائدة الغلاف الجوى، ففيه الاكسجين الذى نتنفسه، وفيه الغازات الاخرى الملطفة للتنفس • ويمثل الغلاف الجوىدرعا واقيةلنا ضد الاخطار الخارجية مثل اشعة شمسية قصيرة الموجة وقاتلة للحياة فيمتصها ، او نيازك ساقطة فيحرقها • كما ان الغلاف الجوى ، بما يعترى اجزاءه من حركات ، نتيجة اختلافات في الضغط ، يعمل على تقليب الهواء ، فيدرأ الغازات الفاسدة او المحملةبالاتربة ويأتي باخرى اكثر نقاء • وفي الغلاف الجوى تتم دورة المياه • فالمياه ـ واغلبها في البحار والمحيطات ـ تتبخر فتعلو في الجو حتى اذا قابلت درجات حرارة منخفضة تكثفت ، وسقطت امطارا ، تحفظ للانسان والحيوان والنبات الحياة والنمو • ولو اراد الانسان ان يحصى فوائد الغلاف الجوى لما استطاع الى ذلك سبيلا •

ان درجة الحرارة تعمل علىاكساب جزئياتالغاز سرعات تقل كلما زادت كتلة الجزىء • والجاذبية تشد هذا الجزىء بقوة تتناسب طرديا مع كتلته • ولو اضفنا الى ذلك ان جزئياتالعناصر الكيماوية المختلفة تتباين في كتلها ، لادركنا ان تركيب الغلاف الجوى يعتمد على كل من درجة حرارته ، وقبضة الجاذبية المتحكمة فيه • لذلك فان جسما سماويا كالقمر صغيرا في جاذبيته عن الارض (كتلة القمر اقل من كتلة الارض ٨١ مرة) لا يحتوى على غلاف جوى بينما كوكبكبير كالمشترى (٣١٨ مرة مثل كتلة الارض كما اثبتت رحلة بيونير ١٠) « مجلة العربي العدد ١٩٦ » انه يحتفظ في غلافه بنسبة كبيرة حتى من العناصر الخفيفة مثل الهليوم والهيدروجين •

وبالرغم من ان زيادة قيمة عجلة الجاذبية يؤدى الى زيادة احتفاظ الجرم السماوى بغلاف جوى كثيف ، الا ان التجارب اثبتت انه بزيادة قوة الجاذبية يزيد المجهود الذى يبذله الانسان ، وكذلك يطول الوقت اللازم لاتمام عمل معين • من هذه التجارب تبين ان الانسان دون غيره من الاحياء ذو حساسية كبيرة لعجلة الجاذبية ، تليه الحيوانات ثم النباتات • والاخيرة تتحمل زيادة في عجلة الجاذبية تصل الى الآف المرات مما يتحمل الانسان، لكن الانسان يستطيع فقط ان يتحمل لاوقات طويلة عجلة جاذبية لا تزيد على مرة ونصف مرة مثل قيمتها فوق سطح الارض •

ج ـ الماء

لا شك ان الماء من اهم الموارد في الكون ، واهم ما يتطلبه بناء جسم الانسان والاحياء الاخرى من اى نوع ، مصداقا لقوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شئ حى » • فالماء يعمل على التنظيم الحرارى داخل اجسامنا وفى الوسط المحيط • والماء مذيب قوى يساعدنا على توصيل الغذاء من الارض الى النباتات على احسن وجه ، كما ان له خاصية شعرية ذات فوائد عديدة ، ويعمل الماء على امداد الهواء بقدر من الرطوبة ضرورى للتنفس ، ولولا المحيطات لم يكن ليوجد ترسيب يمد النباتات بالغذاء ، او امطار تمد الحياة بالماء العذب • لذلك لا بد لاى جرم سماوى يمكن استيطانه من نسبة فى سطحه مغطاة بالمياه • ومن ناحية اخرى فان كوكبا مغطى كله بالماء لن تتطور عليه حياة متقدمة ، مثل حياة الانسان ، ولكن تتطور عليه حياة بحرية فقط تصلح للاسماك مثلا • من هنا كانت درجة تعادل معين بين الماء واليابسة مطلوبة، حتى يمكن للحياة ان تستمر وتتقدم فوق الكوكب• ولو اخذنا فى اعتبارنا ان الارض التى يغطى نحو ثلثيها بالمحيطات ، لا تفى بحاجة قاطنيها من المياه العذبة للاغراض المختلفة ، وراعينا ان يكون هناك ايضا مجال للحركة على اليابسة ، لاصبح من الضرورى ان لا تقل المساحة المغطاة بالمياه كثيرا عن (٩٠٪) من مساحة سطح الجسم السماوى حتى يكون ملائما لحياة الانسان •

د ـ الضوء

يحتاج الانسان والحيوان فى سعيهما خلال بيئتهما اليومية الى الضوء للرؤية • كما ان النباتات تحتاج الى الضوء من اجل التمثيل الغذائى • الا ان حاجة الانسان والحيوان للضوء اقل كثيرا من حاجة النباتات ، فالانسان والحيوان يستطيعان الرؤية فى الضوء الخافت • اما النباتات فلكل منها كيفية يتفاعل بها مع شدة الاضاءة • وغالبية النباتات تستلزم درجة من شدة الاضاءة يكون عندها التمثيل الغذائى على كفاءة عالية • وتقدر هذه الدرجة بحوالى ٠٠١ر٠ الى ضعف اقوى اضاءة على سطح الارض يكون مصدرها الشمس •

هـ ـ عوامل اخرى

بالاضافة الى ما ذكرنا توجد عوامل اخرى : منها ما لا يقل اهمية عما سبق ، مثل وجود حياة اخرى مصاحبة للانسان تمده بالغذاء والكساء والاكسيجين اللازم للتنفس ، وعوامل تعمل على توفير سعادة واطمئنان اكثر مثل ، خلو الجرم السماوى من آخرين ذوى نزعة عدائية تجاه الانسان ، وكمية من الغبار عالقة فى الجو لا تزيد على ما تستطيع الامطار تطهيره ، ورياح تعمل على تقليب الكتل الهوائية فتمنع تراكمها فى مكان دون آخر • كذلك يساعد على نمو الحياة واستقرارها انخفاض مستوى النشاط الاشعاعى، والاشعة قصيرة الموجة القادمة من الخارج ، وهدوء البراكين والزلازل ، والرعد والبرق •

الاجرام السماوية التى يمكن ان تحتفظ بالحياة •

مما سبق يمكن ان نرسم صورة للاجسام السماوية التى يمكن ان تحتفظ بالحياة فى حالة انتقالها اليها ، او نشاتها فوق تلك الاجسام ، وذلك اذا نحن عرفنا الخصائص والظروف المحيطة بالتجمعات المادية فى الكون ، فالكون ملىء بالجسيمات الذرية الاولية مثل الالكترونات والنيوترونات وقد لا توجد هذه متحدة فى ذراتها• والذرات توجد هائمة او مندمجة فى جزئيات • والجزئيات توجد منفردة او متجمعة ، فى سحب غازية كبيرة ملتهبة ، مثل النجوم التى تزيد درجات حرارتها على الآف الدرجات ، او صغيرة باردة مثل غازات ما بين النجوم وما بين الكواكب • وتوجد اجسام صلبة كثيرة تتراوح على صور شىء من الغبار ، صغيرة الكتلة ، الى النيازك ، الى المذنبات ، فالاقمار ، ثم الكواكب • ومن الكواكب ما تزيد كتلته مئات المرات على كتلة الارض • وتختلف كل من درجة حرارة وشدة اضاءة هذه الاجسام ، حسب بعدها عن النجم المركزى الذى يتحكم فى دورانها • وكل من الاجسام المذكورة له قوة جاذبية ، تزداد بزيادة كتلته وكثافة مادته • واذا كنا نستبعد النجوم من ان تكون موطنا لحياة، نتيجة درجة حرارتها المرتفعة، فاننا نستبعد ايضا ما دون كتلة الكوكب لصغر جاذبيته فلا يستطع الاحتفاظ بغلاف جوى •

صفات الكواكب
التي يمكن ان تحتفظ بالحياة

ولكي يستطيع الكوكب ان يحتفظ بالحياة لا بد له من صفات معينة تتوافر فوقه . وهذه الصفات نوجزها حسب ما سبق شرحه فيما يلي :

١ - كتلة الكوكب وقطره . وهما يحددان عجلة الجاذبية ، وبالتالي استقرار الغلاف الجوي والماء والنشاط الاشعاعي ونشاط البراكين . وحتى تتناسق كل هذه المتطلبات بعضها مع بعض وجد ان كتلة الكوكب لا بد ان تكون محصورة بين ٢٥ر. مثل كتلة الارض ، في قطر حوالي ٦ر. من قطر الارض ، الى ٤ر٠ مثل كتلة الارض ، في قطر يبلغ حوالي ٨ر. مثل قطر الارض .

٢ - بعد الكوكب عن النجم . وبه تتأثر شدة الاشعة الواصلة الى الكوكب ، وبالتالي درجة اضاءته ودرجة حرارته . وهذا يعتمد ايضا على نوع النجم وهو ما سنعرض له بعد ذلك .

٣ - ميل محور دوران الكوكب حول نفسه على مستوى مداره حول النجم المركزي .

وهذا يؤثر في درجة ميل الاشعة الساقطة على سطح الكوكب ، وبالتالي على درجة استفادة الكوكب من طاقة النجم ، ويعتبر الميل مناسبا اذا لم يتجاوز ٨٠ درجة .

٤ - اهليلجية المدار . ومعناها الفارق بين انصاف قطري المدار ، الاكبر والاصغر ، مقسوما على نصف القطر الاكبر . وهي قياس لاختلاف مدار الكوكب حول النجم عن الدائرة . وتحدد الاهليلجية درجة اقتراب وابتعاد الكوكب عن النجم الذي يجعله يدور حوله . فكلما كانت الاهليلجية صغيرة كان المدار اقرب الى الدائرة ، اي كان بعد الكوكب عن النجم اكثر ثباتا . وكلما زادت الاهليلجية كان الفارق كبيرا بين اقرب واقصى بعد للكوكب عن النجم ، وبالتالي كانت فروق الاضاءة ودرجة الحرارة كبيرة . وقد قدرت الاهليلجية الملائمة بما لا يزيد على ٢ر. حتى تكون الظروف ملائمة للحياة الانسانية .

٥ - معدل دوران الكوكب حول نفسه . وهذا يتحكم - بالاضافة الى توزيع الكتلة - في عجلة الجاذبية السطحية (تقل بزيادة سرعة الدوران) وفي دورية درجة الحرارة اليومية (تقل بزيادة معدل السرعة) والتيارات الجوية وسرعة الرياح والمجالات المغناطيسية . ويقدر معدل الدوران المناسب للكوكب حول نفسه من ٤ ايام الى ساعتين ، باستثناء الكواكب ذات الدوران المقيد ، اي التي تدور حول نفسها مرة في نفس الفترة التي تكمل فيها دورة حول النجم . ذلك لان مثل هذه الكواكب سوف تكون مواجهة للنجم دائما بناحية واحدة فترتفع عليها درجة الحرارة فتتبخر المياه بينما تمتلىء الناحية الاخرى بالمياه او تتجمد . وكلا الجانبين لن يصلحا بالتالي للاحتفاظ بالحياة .

٦ - عمر الكوكب : ويقصد به الفترة التي عاشها الكوكب مستقرا بعد تكوينه ، وهذا مهم ، لان الحياة تتطلب للاحتفاظ بها وتطورها ظروفا ثابتة تقريبا : فمثلا يقدر طول ما لزمن لتطور الحياة على سطح الارض بحوالي ٢ الى ٣ مليون مليون عام ، على فرض الظروف الحالية لشدة اشعاع الشمس .

٧ - خواص النجم المركزي . ان النجم المركزي هو الذي يتحكم باشعاعه في درجة حرارة الكوكب ، وشدة اضاءة سطحه . ودرجة الحرارة تؤثر في الاحتفاظ بالغلاف الجوي وتكوينه مع الجاذبية . وتستمد النجوم طاقتها من تفاعلات نووية في داخلها تندمج بمقتضاها عناصر خفيفة (مثل الهيدروجين) الى عناصر اثقل (مثل الهليوم) مع فارق في الكتلة يتحول الى طاقة يشعها النجم من سطحه . وبالتالي فان معدل اشعاع الطاقة يعتمد على مكونات النجم وكتلته . فاذا تشابهت النجوم في مكوناتها فان اكثرها اشعاعا هو اكبرها كتلة ، واكبرها مساحة سطح .

فالنجوم كبيرة الكتلة تنتج طاقة اكبر وتبعثرها برعونة في زمن اقل ، وبالتالي لا يدوم استقرار معدل اشعاعها لوقت طويل . اما النجوم صغيرة الكتلة فتنتج طاقة اقل وتشعها في زمن اطول . لذلك فان درجة استقرار النجم عبارة عن تركيبة من كتلته ونصف قطره . وقد ثبت من الدراسات الفلكية لخواص النجوم وتطورها ان اى نجم كتلته تزيد عن ٤ر١ مرة مثل كتلة الشمس سوف يكون تطوره اسرع مما يفي بالاستقرار اللازم لتطور الحياة على كوكب يدور حول هذا النجم . ولا بد ايضا للنجم من كتلة دنيا ، والا لما استطاع ان يقوم اثناء انكماشه برفع درجة حرارته ، الى ان تشتعل تفاعلاته النووية . في هذا الحيز من الكتلة ونصف

الفطر وجد ان عدد النجوم المناسبة تمثل حوالى ٥٫٢٪ من العدد الكلي للنجوم في مجرتنا • وتدل الدراسات الفلكية ايضا على ان حوالى ١٪ (واحد في المائة) من هذه النجوم لها كواكب تدور حولها، وبالتالي فان في مجرتنا ما يزيد على حوالى ٣٠٠ مليون مجموعة كوكبية •

الكواكب التي يمكن الحياة عليها داخل مجموعتنا الشمسية

اذا اردنا ان نخص عدد الكواكب في الكون التي يمكن الحياة عليها فما علينا الا ان نعرف عدد المجموعات الكوكبية في الكون ونضرب هذا العدد في عدد الكواكب التي يمكن ان تحتفظ بالحياة في مجموعة كوكبية واحدة تكون كعينة نقيس عليها • وهذه المجموعة الكوكبية القياسية لابد ان تكون مجموعتنا الشمسية • ذلك لاننا لا نستطيع ان نرى اى كواكب تدور حول نجوم اخرى ، نظرا لبعد المسافة بيننا وبين تلك النجوم • فاكبر الكواكب في مجموعتنا الشمسية لن نستطيع رؤيته حتى باقوى المناظير لو انه وضع على مسافة منا تزيد على ٤٣ر٠ بارسك (البارسك ٣ر٣ سنة ضوئية تقريبا) علما بان اقرب النجوم الينا تزيد مسافته على ٣ر١ بارسك• واذا استعرضنا الكواكب التسعة المعروفة لنا ، عطارد والزهرة والارض والمريخ والمشترى وزحل ويورانوس ونبتون وبلوتو ، وطبقنا عليها ما عرفناه من عوامل ضرورية للحياة وخواص الكواكب التي يمكن ان تحتفظ بالحياة الانسانية – لوجدنا الاتي : –

عطارد صغير الكتلة لدرجة لا تمكنه من الاحتفاظ بغلاف جوى صالح للتنفس •وقريب جدا من الشمس ، ودورانه حول نفسه بطيء جدا لدرجة ان سطحه المواجه للشمس ساخن جدا ، وسطحه الاخر بارد جدا •

الزهرة : بالرغم من كتلتها المناسبة فهي قريبة من الشمس ولذلك فدرجة حرارتها اعلى بكثير مما يناسب الحياة •

المريخ ولو ان درجة حرارته ليست منخفضة جدا الا ان كتلته اصغر مما يلزم للاحتفاظ بغلاف جوى واحد • وبالتالي فان حياة متقدمة كما نعرفها ليست محتملة على سطح المريخ •

المشترى وزحل ويورانوس ونبتون : كبيرة الكتلة لدرجة ان اغلفتها الجوية كثيفة جدا • ونظرا لدرجة حرارتها المنخفضة – لبعدها عن الشمس – فان اغلب مكونات الغلاف الجوى هي الهيدروجين والهليوم ، اما باقى العناصر فقد تجمدت على السطح • ويورانوس فوق ذلك يميل محوره على مستوى مداره بحوالى ٩٠ (تسعين) درجة • والقمار هذه الكواكب باردة جدا، وصغيرة الكتلة •

اما بلوتو : فهو بارد جدا واهليلجيته كبيرة •

وقمر الارض : لم يثبت وجود اية حياة فوقه وكذلك لا يوجد له غلاف جوى •

تبقى اذن الظروف مواتية للحياة الانسانية على كوكب واحد من كواكب المجموعة الشمسية ، هو الارض التي نعيش فوقها •

عدد الكواكب التي يمكن الحياة فوقها في الكون

لو عممنا ما وصلنا اليه على كل المجموعات الكوكبية في المجرة ، اى لو اعتبرنا ان كل مجموعة بها كوكب واحد فقط ، صالح للحياة الانسانية كما نعرفها ، لاصبح في مجرتنا ما يزيد على ٣٠٠ مليون كوكب صالح للحياة ، والكون مليء بملايين المجرات •

لقد شجعت هذه الاحتمالات مجموعات من الباحثين على الاعتقاد بوجود حضارات اخرى مثلنا في الكون وربما اكثر تقدما منا ، فجعل هؤلاء الباحثون يجدلون في الاتصال بتلك الحضارات لكن دون جدوى حتى الان • وربما كان ذلك راجعا الى بعد المسافة • فاقرب كوكب يحتمل ان يكون حاملا للحياة المتقدمة يوجد على بعد حوالى ٢٧ سنة ضوئية ، اى ان الاشارة اللاسلكية التي نرسلها اليه من فوق سطح الارض سوف ياتى الرد عليها في اسرع الاحوال بعد حوالى ٥٤ عاما من ارسالها ، على فرض اجابتها بمجرد تسلمها • فاذا تمكنت الحضارة على سطح الارض من تحقيق تقدم تكنولوجى يسمح باجتياز السنين الضوئية فان الانسان سوف يجد له ملجأ عندما يضيق بالارض او تضيق هي به •

عبد القوى زكي عياد
مدرس بقسم الفلك
كلية العلوم – جامعة القاهرة

« الحرية » عند خروشوف

● نيكيتا خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الاسبق ، كان يجد متعة في الحديث الى الصحفين والمصورين الذين يلقونه خلال زياراته ورحلاته خارج بلاده، فقد كان يجد فى تصريحاته فرصة للنيل من الدول « الراسمالية » التى كان يتوقع لها الموت والدفن وهى حية .. وقد قال يوما قبل ابعاده عن الحكم بسنوات قليلة : « سأعيش حتى يجىء اليوم الذى سيتقدم فيه العالم الينا بدعوة لان نحكمه كله !»

وكانت الصحف الرسمية فى الاتحاد السوفيتى ، صحيفة برافد الناطقة

بلسان الحزب الشيوعى وصحيفة أزفستيا ، صحيفة الحكومة ، تنقلان تصريحات الزعيم السوفيتى ، مع تعليقات الصحفيين والكتاب الرسميين الذين كانت لديهم دائما المبررات لانتصار نظام الحكم الشيوعى على على كل النظم السياسية والاجتماعية الاخرى ! !

ثم نشبت ثورة المجر الكبرى فى عام ١٩٥٦ ، وهى الثورة التى سحقتها الدبابات السوفيتية سحقا ، وذهب ضحيتها اكثر من ٢٥ ألف مواطن وسبعة آلاف جندى سوفيتى وهروب ٢٠٠ ألف مواطن مجرى الى خارج حدود بلادهم ؟

وأسرع الصحفيون الغربيون يسألون خروشوف « مارأيك فى تفسير هذه الظاهرة ؟ »

فقال : « الامر فى غاية البساطة .. ان شيئا من هذا كله لم يكن ليحدث ، لو اننا نفذنا حكم الاعدام رميا بالرصاص فى اثنين من كتابهم فى الوقت المناسب !! »

واكمل حديثه بقوله : مسكينة المجر! فقد افتقدت « الحرية » التى يتمتع بها كتابنا فى الاتحاد السوفيتى !! »

من هى المرأة المثالية ؟

● وليام فولكنر William Faulkner ١٨٩٧ ـ ١٩٦٢) الكاتب الامريكى لشهير الحائز على جائزة نوبل للادب ، ألوه عن المرأة المثالية عنده ، فقال :

« لا استطيع ان اصفها لكم بلون عرها أو بلون عينيها ٠٠ لان الاعجاب بهذه الالوان ، لايلبث ان يزول ، تختفى معه صاحبته من مخيلتك ٠

« ولكننى استطيع ان اقول ان صورة لمرأة المثالية فى ذهن الرجل هى تلك التى كن ان يجدها فى كلمة حلوة تصدر نها ، أو فى وصف تعبر فيه عما يجيش ى صدرها من احاسيس ، وربما وجد رجل هذه الصورة فى شىء آخر لا مت الى صوتها أو حديثها بصلة ، هو قد يجدها فى انامل يدها الرقيقة هى تمدها لتصافحه ، أو فى ابتسامتها هى ترد تحيته مودعا ٠ »

« وقد لايجد الرجل فى المرأة التى عجبته شيئا يصفه بها أكثر من أن قول انه قد وجد فيها ضالته فحسب! »

وتسأله : ماذا وجدت فيها ، فيقول ك لادرى ؟ !

« وربما كان اعجب وصف قاله رجل ى المرأة التى اعجبته هو هذا الذى جاء لى لسان الكاتب الكبير تولستوى ندما حدثنا عن أناكارتينا ، فقد قال: يالها من امرأة جميلة ٠٠ ولعل اجمل ا فيها انها تستطيع ان تنفذ ببصرها ى الظلام ، كما لو كانت قطة ! »

شيىء لا يشترى بالمال !

● المليونير اليونانى أوناسيس (١٩٠٦ ـ ١٩٧٥) ، الذى كان يعتبر واحدا من اغنى اغنياء العالم ولد فى مدينة ازمير بتركيا من ابوين يونانيين كانت امنيته وهو شاب أن يصبح مليونيرا ، وكان يقول : « اذا لم اجمع مليونا من الدولارات على الاقل قبل ان ابلغ الحادية والعشرين ، فلن اصبح مليونيرا »

وهاجر اوناسيس الى الارجنتين وفى جيبه ٢٥٠ دولار وكان وقتها شابا فى السادسة عشرة من عمره ، وراح يعمل ٢١ ساعة يوميا ، باع التبغ ، والتحق بوظيفة عامل تليفون ، وكان يكتفى بوجبة واحدة طوال اليوم ولا ينام اكثر من ساعتين - وتحققت امنيته ، وجمع الملايين التى كا نيحلم بها فى اقل من ست سنوات !

ومنذ بضع سنوات مضت قدرت ثروة اوناسيس بحوالى ٥ آلاف دولار فى الساعة ٠

قالوا له وهو راقد على فراش المرض يحتضر قبل وفاته ببضعة أيام : « لقد كانت أمنيتك منذ اكثر من اربعين عاما ان تصبح مليونيرا ٠٠ ترى ما هى امنيتك اليوم ؟ قال أن اتنازل عن كل ثروتى للطبيب الذى يستطيع ان يعيد الى صحتى ! » لقد اكتشفت فى مرضى ان الصحة هى الشىء الوحيد الذى لا يشترى بالمال ٠٠ فاذا افتقدها الانسان ، افتقد معها كل شىء ! » ■■

كتاب الشهر

المشروع العربي للتنمية

تاليف : المهندس سيد مرعي

عرض : الدكتور السيد ابو النجا

■ هذا بحث صدر منذ شهرين في كتاب حاد العبارة كانما اقتطعت كل جملة فيه بشاطور . ولست اعني بالحدة ان في عباراته صرامة او شدة ، وانما اعني ان جمله قصيرة ولكنها تحمل شحنات كبيرة من المعنى فتضع الواقع بلحمه ودمه على مائدة التشريح .

انظر اليه يقول :

* اذا كان ثمن شراء السيارة في نيويورك قد اصبح يحتاج الى مرتب ثلاثة اشهر بدلا من شهرين فان ثمن شراء رغيف الخبز في اليوبيا اصبح يحتاج الى مرتب شهر بدلا من مرتب يوم .

* اذا كانت الاقلية في عالمنا تتحدث عن ازمة ثروة .. فان الاغلبية تعاني اصلا من ازمة طعام.

* لقد اصبحنا نعيش في عالمين .. عالم الفقراء والمتخلفين والجائعين وهم الاغلبية الكبرى، وعالم الاغنياء والشباع والمتقدمين ... وهم الاقلية المطلقة .

* لقد دخلت حدة الازمة العالمية الى الدرجة التي اصبح علينا ان نفكر معها باسلوب جديد : فاما ان نفرق جميعا معا ... واما ان ننجو جميعا معا . والحل هو مشروع عربي للتنمية ... نعلن فيه معا .. الحرب العالمية الثالثة .

منهاج البحث

لعلك ـ يا عزيزي القارىء ـ قد فهمت من هذه البرشامة مهمة الكتاب كله ، وكيف يسعى . انه يعالج في قسمه الاول مشكلة البلاد النامية ويعالج

، قسمه الثانى احتمالات الحل ، ويعرض فى
فصل السادس من هذا القسم تجربة مشروع
رشال ، ثم ينتهى فى الفصل السابع والاخير
قتراح المشروع الموازى وهو المشروع العربى
تنمية .

ومن الغلاف الى الغلاف ينتقل قلم الكاتب ـ
، بالاحرى عدسته ـ من فصل الى فصل فيتجه
لارقام الى عقل القارىء ، ويتجه بالصور الى
لبه ، ولكن الارقام والصور ـ فيما يبدو ـ
عانق بالرغم منه فتستدرج القارىء الى ان يفكر
حيانا بقلبه ، والى ان يحس احيانا اخرى بفكره!
لك ان سيد مرعى مهندس فهو لا يعرف من هذه
لناحية الا الرياضة والكيمياء ، وهو رئيس مجلس
لشعب ففيه اتجاه الى ان يتكلم باسم الشعوب ويدير
لحوار لتلاقى الامها والاستجابة لامالها . ولكن
لكتاب مع ذلك يبقى حاد العبارة ـ كما قلت ـ
لا مهمته الرئيسية واضحة وهى ان يجرى عملية
راحية لعلاج العالم الفقير والعالم الغنى . وانا

ادعو القارىء معى الى أن يدخل غرفة العمليات فان فيها فصول الكتاب .

ماذا يجرى فى عالمنا ؟

ان الاجابة يمكن ان تكون فى روما هى : لقد أصبحت لدينا ٣٠٠ الف سيارة فيات مخزونة من عام ١٩٧٤ لا تجد من يشتريها . فى حين ان الاجابة فى نيودلهى هى : اننا نواجه ازمة فى كل شىء ، بعد ان ارتفع سعر القمح ثلاث مرات ، وسعر السكر ١٦ مرة ، والاسمدة ٢٢ مرة !

انهم فى العالم المتقدم يقولون : لقد اصبحت الدول المصدرة للبترول تحصل منا على سبعة ملايين دولار فى الساعة بحيث انهم الآن يستطيعون ان يسددوا ثمن كل وارداتهم . وبعد هذا كله يظل الفائض لديهم هو ستين بليون دولار فى السنة ١١٥ الف دولار فى الثانية .

ان الموضوع الساخن فى ايطاليا هو البطالة . وفى بريطانيا هو ارتفاع الاسعار . وفى امريكا هو بارونات البترول ـ يقصدون مصدرى البترول ـ الذين اصبحوا يستطيعون الآن ان يشتروا كل سنة مجموع ثروات عائلة روكفلر الامريكية ستين مرة .. او يشتروا كل اسهم شركات التامين فى بورصة لندن كل تسعة أشهر !

مرة أخرى ماذا يجرى فى عالمنا ؟

ان البعض يذكرنا بما جرى فى سنوات ١٩٢٩/ ١٩٣١ بسبب عدم السيطرة على التضخم والانهيار الفظيع فيقولون ان النقود وقتها لم تكن هى وحدها التى اصبحت بسعر التراب ولكن السياسيين أيضا اصبحوا هم قبلها بسعر التراب أيضا ، فنتيجة لعجز السياسيين عن حل المشكلة ، ونتيجة لان الموظفين وأصحاب المعاشات كانوا اول من طحنتهم ازمة الغلاء ، ونتيجة لان العمال فوجئوا بانهم متعطلون فان الباب مفتوحا امام اى مجنون لكى يقدم حلولا مجنونة .. وهكذا جاء هتلر الى السلطة فى المانيا راكبا موجة الغلاء والتضخم والانهيار السياسى .

لقد أنفق العالم ٢٤٠ بليون دولار فى سنة ١٩٧٣ على تنمية استعداداته العسكرية وقواته المسلحة . وفى سنة ١٩٧٥ شهد نهاية حرب فيتنام بعد ان خسرت فيها الولايات المتحدة مائة وخمسين بليونا من الدولارات و ٥٦ الف قتيل . والمطلوب

الآن هو مواجهة جديدة ليست في فيتنام هذه المرة، ولكن في جبهة هي بعرض العالم كله ، وبامتداد الفقر والتخلف حيثما كانا موجودين .

مشكلة التضخم

يقول روبرت ماكنمارا في خطابه امام الاجتماع السنوي لصندوق النقد الدولي الذي عقد في واشنطن في اكتوبر ١٩٧٤ « ان دول ضحايا التضخم العالمي في الاسعار سوف تكون هي الدول النامية الفقيرة . واذا لم نتعاون جميعا في الحل فان سكان هذه الدول ـ وعددهم يزيد على الالف مليون نسمة ـ سوف يتعرضون لخطر الموت جوعا خلال السنوات العشر القادمة ... لان سقوط عملة واحدة رئيسية او انهيار اقتصاد دولة واحدة كبرى سوف يجر الجميع الى القاع » .

ففي الهند مثلا سوف تمتص الزيادة في اسعار البترول في سنة ١٩٧٤ اكثر من ثمانمائة مليون دولار من مواردها وزيادة الاسعار العالمية للاسمدة النيتروجية سوف تضيف خمسمائة مليون دولار اخرى ، وزيادة اسعار الحبوب سوف تمتص مائة مليون دولار فتكون الهند في النهاية امام ١٤٠٠ مليون دولار عبئا اضافيا بالنقد الاجنبي في سنة واحدة !

وفي سيريلانكا شهدت سنة ١٩٧٤ زيادة في واردات الحبوب تجاوزت مائة مليون دولار ، وزيادة في اسعار الاسمدة تجاوزت اربعين مليون دولار ، وزيادة في اسعار البترول بلغت مائة مليون دولار . ولكي تزداد الامور سوءا فان هذا يحدث في الوقت الذي تجمدت فيه الاسعار العالمية للشاي وهو المحصول الرئيسي الذي تصدره سيريلانكا .

تذبذب العملات

ينقل المؤلف عن الدكتور عبد المنعم القيسوني رئيس مجلس ادارة المصرف العربي الدولي قوله في مارس ١٩٧٤ :

« ليس من الانصاف ان ينسب تذبذب قيمة العملات الآن الى تدفق الاموال العربية وانتقالها من جهة الى اخرى فان السبب الرئيسي في نظري هو انه بعد الحرب العالمية الثانية وفي الخمسينات والستينات وضع العالم الغربي بصفة خاصة ثقته الكبيرة في الدولار الامريكي . لقد وثقوا فيه واودعوا فيه معظم احتياطياتهم وكانت اليابان والدول النامية تفعل الشيء نفسه وكان الدولار الامريكي محافظا على قيمته برغم التدهور السريع في الميزان الحسابي الامريكي لان الدول الاخرى كانت تقبل الدولارات التي تتدفق عليها نتيجة لهذا العجز . بل ان الولايات المتحدة كانت تتبع في بعض الاوقات سياسة ان تزيد من هذا العجز بزيادة استثماراتها في اوروبا وتشتري فيها اسهما وسندات واوراقا مالية وصناعات ومشروعات كاملة بالدولارات الامريكية نظرا لاستعداد الدول الاوروبية لقبول هذه الدولارات اي انه كان في امكانها ان تمول تقدمها الاقتصادي في اوروبا وتمول تغلغلها الاقتصادي فيها نتيجة لسبب بسيط وهو ان اوربا كانت على استعداد لقبول الدولارات بغير حدود دون تردد ولما بدات اوربا تضيق بما يحدث وتتساءل وتعارض التغلغل الامريكي في اقتصادياتها اخذت ترفض الاحتفاظ بالدولار وبدات فرنسا بصفة خاصة تبيع الدولار المحتفظ به في ودائعها وتشتري الذهب بدلا منه . عندئذ بدات الولايات المتحدة تشعر بانها عاجزة عن مواجهة هذا التطور فاوقفت استبدال الذهب بالدولار . وكان نتيجة هذا الايقاف ان اصبح سعر الدولار في الخارج ينخفض انخفاضا كبيرا ونحن نشاهد الآن نتيجة هذا الانخفاض » .

دعهم يجوعون :

هذا الشعار رفعه الدكتور جاريت هارون استاذ علم الاحياء بجامعة كاليفورنيا الامريكية . وهو يفسره بان بلاد العالم الغنية تعيش الآن داخل قارب نجاة مزدحم ، اما باقي الدنيا فانها تغرق في بحر من الجوع . ولو سمح اصحاب قارب النجاة للآخرين بالتشبث بالقارب والصعود اليه فان القارب سوف يغرق في النهاية بكل من فيه .

ويقول الذين اعتنقوا هذا الشعار ان الولايات المتحدة الامريكية وحدها تاكل ٣٥٪ من الغذاء المتاح في العالم في حين ان سكانها لا يتجاوزون ستة في المائة من سكان العالم . وما لم تقرر الولايات المتحدة ان تجعل المعونة مشروطة بالعمل على منع النمو السكاني فان الذين تنقذ حياتهم الآن سوف يكون ثمنهم هو خسارة عدد اكبر من الاحياء في الاجيال التالية .

ويقول الدكتور بادوك اذا توقفنا جميعا كامريكيين ن أكل اللحوم فاننا نستطيع أن نساعد لمائة مليون جائع • ولكن حينما نرى سكان العالم تضخمون بنسبة تسعين مليونا كل سنة فلا بد ان تساءل ماذا سيحدث بعد تسع سنوات ؟

لقد تطرق الدكتور بواهر بلخ الاستاذ بجامعة ستانفورد ومؤلف كتاب « قنبلة السكان » فنصح تخزين الطعام والمياه والملابس « لان الجائعين فى هذه الايام يملكون اسلحة ذرية » ولكن مستر روبرت ماكنمارا رئيس البنك الدولى رد على ذلك بقوله « ان هذا التفكير خاطىء فنيا •• يمثل ما هو كريه ومنبوذ اخلاقيا »•

وللبترول أيضا مشاكله

ان البلاد النامية المصدرة للبترول تواجه بصفة أساسية ثلاث مشكلات هى :

اولا : تحقيق التنمية الاقتصادية فى مختلف المجالات •

ثانيا : العمل على منع انخفاض اسعار البترول بل العمل على رفعها على النحو الذى ترتفع به أسعار المواد الاخرى وخاصة المصنعة •

ثالثا : استثمار الفوائض البترولية والمحافظة عليها •

لقد عمدت الشركات الكبرى المستخرجة للبترول الى ايجاد « نظام السعر المعلن » لتحسب على أساسه حصة البلاد المضيفة دون ان تلزم نفسها باطلاع حكومات هذه البلاد على حقيقة حساباتها• ومعنى ذلك أن أسعار البترول الخام اصبحت اسعارا ادارية أكثر منها أسعارا تنافسية تحكمها قوى السوق • ومن البديهى ان هذه الشركات الاحتكارية كانت تجد سندها القوى دائما فى حكوماتها وهو ما يتضح مثلا مما أعلنه وزير الخزانة الامريكية فى منتصف سنة ١٩٧٢ من ان على الولايات المتحدة الامريكية أن تكون اكثر صلابة فى معاملة البلاد المصدرة للبترول وان تفهم هذه الحكومات انها لا تتفاوض مع شركات بل مع الولايات المتحدة نفسها •

ومع ذلك ارتفعت اسعار النفط بالرغم من هذا التصريح وغيره من التصريحات المنيفة • فقد ارتفع سعر البرميل من ٥ر١ دولار الى ستة دولارات فى ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ والى أكثر من ١١ دولارا فى ديسمبر ١٩٧٣ •

ونتيجة لهذا الارتفاع بلغ دخل دول الاوبك من البترول فى سنة ١٩٧٤ ــ ١١٢ مليار دولار مقابل ٢٢ر٧ مليار فى سنة ١٩٧٣ وقد تكون لدى هذه الدول فائض بلغ ٦٠ مليار دولار اى بواقع ١٦٤ مليون دولار يوميا وبواقع ٨ر٦ ملايين دولار فى كل ساعة •

وقد قالت مجلة الايكونومست ان دول الاوبك يمكنها أن تشترى كل الشركات المساهمة فى العالم خلال ٦ر١٥ سنة بالسعر الحالى لاسهمها ، وشراء كل اسهم الشركات التى تتداول فى بورصة نيويورك خلال ٢ر٩ سنة ، وشراء الذهب الموجود فى البنوك المركزية فى العالم خلال ٢ر٣ سنة بسعر الاوقية ١٧٠ دولارا وشراء كل الاستثمارات الامريكية الموجودة فى الخارج خلال ٨ر١ سنة وشراء ثروة روكفلر فى ٦ ايام و ١٤٪ من اسهم شركة مرسيدس فى يومين •

وقد انفقت المملكة العربية السعودية مليارى دولار على تسليح الجيش وقدمت ٥٠٠ مليون دولار لدول المواجهة من المنحة التى تعهدت بها فى مؤتمر الرباط وهى ٣٥ر٢ مليار دولار ، وقدمت قروضا للدول النامية غير العربية بلغت ٢ر١ مليار دولار •

وتاتى ايران فى المرتبة الثانية فقد بلغت عوائدها البترولية ٩ر٢٠ مليار دولار فى سنة ١٩٧٤ • ولقد بلغ متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى فى الكويت ١٣ الف دولار وفى قطر ١٤ الف دولار وفى ابو ظبى ٢٤ الف دولار •

وقد قدرت دول الاوبك مسئوليتها الادبية عن الدول التى تاثرت بارتفاع اسعار البترول وهبطت الى فئة جديدة تعرف « بالعالم الرابع » فاعطتها خصومات فى الاسعار وساعدتها فى تمويل مشاريعها فى التنمية بشروط سهلة •

تكتل فى الناحية الاخرى

ومن الناحية الاخرى تكتلت الدول الصناعية الكبرى المستهلكة للبترول لتقف فى مواجهة منظمة الاوبك باسم وكالة الطاقة الدولية • وتضم هذه الوكالة دول السوق الاوربية المشتركة باستثناء فرنسا كما تضم الولايات المتحدة الامريكية

وكندا واليابان وسويسرا واسبانيا واستراليا ونيوزيلاندا والنرويج كمراقب ٠ ويتمثل القصد من اقامة هذه الوكالة فيما يلي :

١ ـ خلق فائض مصطنع في انتاج البترول بغرض تخفيض سعره ٠

٢ ـ ارغام بعض دول الاوبيك بسبب مشكلاتها المالية على تخفيض اسعارها ٠

٣ ـ تكوين احتياطي بترولي يكفي لتغطية الاستهلاك لمدة ٦٠ يوما في حالة الخطر ٠

٤ ـ تكوين صندوق براس مال قدره ٢٥٠ مليار دولار لمساعدةالدول الاعضاء،وذلك بتقديمالقروض لمن تعاني عجزا في ميزان مدفوعاتها او تتعرض لسحب مفاجيء من قبل الدول البترولية ٠

وقد ذهبت الولايات المتحدة الامريكية الى حد التهديد باستخدام القوة فيحالة وجوه اختناق للاقتصاديات الغربية من قبل الدول البترولية ولا شك ان هذه المواجهة تقتضي من دول الاوبك :

اولا : مزيدا من التضامن ضد اي خطر يستهدف دولة من هذه الدول وهو ما تقرر بالفعل فيمؤتمر قمة الاوبيك في الجزائر في فبراير ١٩٧٥ ٠

ثانيا : برمجة انتاج البترول لاحباط محاولة الضغط على الاسعار ٠

وحتى الدول المتقدمة لها مشاكلها

مشاكل هذه الدول مشاكل حضارية فاذانظرنا الى الولايات المتحدة الامريكية فاننا نجدها قد بلغت حدا رفيعا من التقدم التكنولوجي وحققت تراكما ضخما من راس المال والاستثماراتومستوى عاليا من الانفاق القومي ٠ ولكنها تعاني من مشكلتين هما التضخم والبطالة ٠ لقد واجه عدد كبير من الشركات ازمات شديدة في تصريف منتجاتها فخفضت انتاجها واستغنت عن كثير من عمالها ٠ ويتشاءم بعض خبراء الاقتصاد فيتنباون بان البطالة قد تصل نسبتها قريبا الى ٨٪ من مجموع القوى العاملة الامريكية ٠ وبذلك يكون هناك نحو سبعة ملايين ونصف مليون عاطل ٠

وعلى سبيل المثال فان مبيعات السيارات قد انخفضت بمقدار ٢٣٪ في عام ١٩٧٤ كما انخفض مثل هذهالصناعة بمقدار ٢٥٪ وقد ترتب على ذلك طرد ٤٠٪ من العمال ٠

وقد تزايد عبء الضرائب على كاهل دافع

مرات خلال ثلاثين سنة وبلغ ٣٧٪ من الدخل القومي في عام ١٩٧٤ ٠ وبعد ان كانت الولايات المتحدة مصدرة للبترول خلال الخمسينات اصبحت تستورد نحو ٣٫٣٥ مليار برميل وهو يمثل ثلث امداداتها من البترول ٠ ومؤدى هذا انه لابد للولايات المتحدة لكي تدفع ما يقابل هذه الواردات من ان تنتج وتصدر ماقيمته ٢٠ مليارا من السلع والخدمات ٠ ومالم تنخفض أسعار البترول فانها قد تضطر الى تخفيض الكميات التي تستوردها منه او تقوم بزيادة انتاجها على حساب مخزونها ٠

اما عن البطالة فان بلجيكاتعطي اعانات للمصانع التي تزيد حجم العمالة بخلق فرص جديدة للعمل بها وتقفل المانيا الغربية حدودها امام العمالة التي تهاجر اليها من دول جنوب اوروبا لاحداث التوازن بين القوى العاملة الموجودة وفرص العمل المتاحة حتى أن مئات الألوف من المهاجرين يواجهون مصاعب جمة بسبب خفض أجورهم وطردهم لاحلال المواطنين محلهم فيعودون الى بلادهم ولكنهم يواجهون المصاعب نفسها بدرجة اكثر حدة وعمقا ٠

وتعطي فرنسا اعانات لمصانع القطاع الخاص ٠ وقد اعطت فعلا مائتي مليون دولار لمصانع ستروين لتسدد ديونها قبل ان تندمج مع شركة بيجو مع أن شركة ستروين تاتي في المركز الثالث بين المنشات الصناعية من حيث حجم البطالة بين عمالها ٠

وتقدر مجلة ايكونومست ان نسبة البطالة في بريطانيا سترتفع في سنة ١٩٧٦ الى ثلاثة امثال ماهي عليه الآن ٠ وفي النمسا يصرف لكل عاطل ٣٨ دولارا في الاسبوع وهو مايقل كثيرا عن الحد الادنى للأجور وهو ١٠٢ من الدولارات ٠

وقد بلغت نسبة البطالة في تركيا ١٥٪ من القوى العاملة ومن المتوقع ان تتزايد بسبب عودة المهاجرين اليها وتحويلاتهم المالية كانت توازي حجم صادراتها في سنة ١٩٧٤ ٠

والموقف في ايطاليا بالغ الحرج حتى انه اذا استمرت عودة المهاجرين افواجا اليها فستتعرض للانفجار ٠ وفي اسبانيا بطالة ٠ وفي البرتغال بطالة ٠ وحتى اليابان بدات البطالة تظهر فيها ٠

تجربة مشروع مارشال

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية كانت جميع الدول الاوروبية المتحالفة في حالة اقتصادية سيئة

يبدا واضحا فى اوائل ١٩٤٧ انها لن تنجو من الخراب الا بمساعدة تأتى لها من الخارج •

وفى ٥ يوليو ١٩٤٧ القى جورج مارشال خطبته الشهيرة بجامعة هارفارد التى دعا فيها بلدان اوروبا الى العمل المشترك لتنمية نفسها اقتصاديا وماليا واعلن استعداد امريكا لمساعدتها اذا وضعت برنامجا للانعاش على اسس اهمها : ـ

١ ـ الا تكون مساعدات امريكا لها ارتجالية متناثرة ، بل يجب ان تكون هادفة لايجاد علاج شامل وتام •

٢ ـ التعاون مع اية حكومة تريد ان تعمل من اجل الانشاء والتعمير ، ومعارضة اية حكومة او فئة تسعى الى عرقلة الانشاء والتعمير •

٣ ـ على كل دولة ان تقدم بيانا بما تحتاج اليه وما تستطيع امريكا ان تفعله لمساعدتها •

٤ ـ ان تضع الولايات المتحدة مشروعا مشتركا مع كل دول اوروبا بمساعدة هذه الدول •

وهكذا لم يكن مشروع مارشال مجرد مسكن وانما كان برنامجا طويل الاجل وقد تضمن الاساليب والاجراءات الآتية : ـ

ا ـ زيادة انتاج الدول المشتركة فيه من طريق توفير الواردات اللازمة لها من معدات وسلع تموينية •

ب ـ الغاء الاجراءات الداخلية بين الدول لاعادة الاستقرار المالى لها •

جـ ـ تنمية وتشجيع التعاون الاقتصادى الوثيق بين الدول المشتركة فيه وتقليل اعتمادها على التجارة الامريكية •

وفى ١٢ أبريل ١٩٤٨ وافق مجلس الشيوخ الامريكى على قانون التعاون الاقتصادى وخصص ٥ر٥ مليار دولار لهذا الغرض •

وفى ١٧ ابريل ١٩٤٨ اجتمع وزراء خارجية ١٦ دولة فى باريس وقرروا تكوين هيئة التعاون الاقتصادى الاوربى والتزمت كل دولة بان تضع برنامجا مدته اربع سنوات للفترة من سنة ١٩٤٨ الى ١٩٥١ والتزمت منظمة التضامن الاقتصادى الاوربى بفحص وتنسيق المشروعات الداخلية فى البرامج مع مراقبة السياسة النقدية والمالية للدول الاعضاء •

وبعد انقضاء اجل المشروع زاد الانتاج الاوربى زيادة ملحوظة فارتفع الانتاج الصناعى بدول اوروبا الغربية الى ٤٠٪ فى عام ١٩٥١ عما كان عليه فى سنة ١٩٣٨ وزاد حجم التبادل التجارى بين دول اوروبا الغربية بنسبة ٣٥٪ وزادت صادرات هذه الدول الى العالم الخارجى بنسبة ١٠٪ •

المشروع العربى للتنمية

اذا نظرنا الى فكرة مشروع مارشال فاننا نرى ان الولايات المتحدة لم تقصد بها فائدة حلفائها فقط بل كانت تقصد ايضا مصلحتها ويكفى ان حجم صادرات الولايات المتحدة بلغ فى سنة ١٩٤٧ حوالى ٢٠ مليار دولار مع ان حجم وارداتها لم يتجاوز ٥ر٨ مليار دولار مما يوجب عليها ان تمد يد العون لهذه الدول لتظل قادرة على التعامل معها •

وعلى غرار ما فعلت امريكا فانه يجب على الدول المصدرة للبترول تقديم المساعدات او القروض الى الدول المتخلفة فى اطار صندوق خاص للتنمية •

ويرى المؤلف ان يعمل الصندوق على تحقيق اغراضه بالوسائل الآتية :

ا ـ خلق ميادين جديدة للاستثمار فى الدول الاعضاء من اجل تحقيق اقصى معدل للتنمية بها •

ب ـ العمل على توجيه رؤوس الاموال الى الاستثمار فى المشروعات التى تفيد منها الدول المشتركة •

جـ ـ اعداد الدراسات الشاملة عن المشروعات الانمائية فى الدول المشتركة فى الصندوق وتوفير الفرص اللازمة لتنفيذها •

د ـ تقديم الخدمات الاستشارية وتقديم الخبراء اللازمين وتنظيم تبادلهم بين الدول الاعضاء •

هـ ـ تنسيق وتمويل برامج للمعونة الفنية التى تقدمها المنظمات العالمية ، بعد مراجعتها بواسطة مجموعة البنوك التى سيتم تمويل المشروعات من خلالها •

و ـ تطوير وسائل الانتاج وتوفير امكانياتها المادية والفنية وكذلك العمل على تنمية المهارات الفنية والادارية •

ولضمان الاموال المستثمرة والمقترضة يقترح المؤلف على ان تتم من خلال نحو ١٤ من البنوك العالمية الرئيسية تمثل الدول النامية والمتقدمة

وهي معروفة على المستوى العالمي ومن خلال البنك الدولي بصفة مباشرة •

ثم للكاتب تعليق ••

لقد صدر هذا الكتاب كما صدر غيره من الكتب باللغة العربية عن دار نشر عربية • وفي رايي انه ـ لكي يحدث اثره المطلوب ـ يجب ان يترجم الى الانجليزية والفرنسية وان ينشر على العالم الاوروبي والامريكي • فالموضوع ليس محليا ولا عربيا فقط ـ كما يبدو لاول وهلة ـ وانما هو يهم جمهرة المستثمرين من ناحية ، وجمهرة الدول النامية عربية وآسيوية وافريقية من ناحية اخرى•

وحتى اكون صريحا في تعليقي فاني اقولها كلمة لوجه الحق وهي ان المستثمر العربي يتردد في التعامل باموالة مع اخيه العربي بطريق مباشر لانه لا يثق في معلوماته التكنولوجية وانما يثق في وسيط اجنبي ياخذ الاموال من صاحب المال بشروط مجزية ويستثمرها عند من يحتاج اليها بعد دراسة متعمقة •

ان عقدة الخواجة « تمنع كثيرين من قول ما قلت ولكنني ارى مجالات الاستثمار في حاجة الى الاموال ، والاموال جاهزة ولكن المجالين في حاجة الى ماذون » والماذون في هذه المرة « خواجة » •

لقد اطلق سيد مرعي صرخته في كتاب ، ولم تكن الصرخة هتافا وانما كانت ارقاما وحقائق ومؤتمرات ونتائج بطريق القياس الم اقل لك من اول الامر يا عزيزي القارىء ان الكتاب حاد العبارة ؟

■■

السيد أبو النجا

من الكتب التي وصلتنا

ابو الاسود الدؤلي ونشاة النحو العربي

تاليف : الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني •

الناشر : وكالة المطبوعات ـ الكويت •

يتناول هذا الكتاب حياة ابي الاسود الدؤلي بالدراسة والبحث ثم نشاة النحو العربي وتشمل هذه الدراسة جميع الجوانب العلمية في عصره فقد كان الدؤلي نحويا ومحدثا وراويا وقارئا وشاعرا وقد عمر أبو الأسود الدؤلي ٨٥ عاما منها ١٦ قبل الهجرة و ٦٩ بعدها ، فقد بدات حياته في الجاهلية وانتهت مع استقرار الاسلام ، وكانت هذه الفترة خصبة مليئة بالتغيرات السياسية والاجتماعية التي طرات على المجتمع الاسلامي حينذاك •

والكتاب ينقسم اربعة فصول يبدا الفصل الاول بالكلام عن معنى كلمة « نحو » وكلمة « لحن » وتطور الكلمة التاريخي ثم تكلم المؤلف عن النحو العربي واسباب نشاته وهي اربعة اسباب هامة اولها العامل الديني وهو خوف المسلمين على القرآن من الضياع ، اما العامل الثاني فهو عامل اجتماعي ، اما العامل الثالث فهو العامل القومي • اما الفصل الثاني فدراسة وافية عن ابي الاسود الدؤلي وترجمة حياته في بيته ومجتمعه الخاص ، والفصل الثالث دراسة للدؤلي العالم، تبين شيوخه والعلماء الذين عاصرهم ، وجهوده في النحو ، اما الفصل الرابع من الكتاب فيتحدث عن ابي الاسود الشاعر وآراء القدماء في شعره وتحقيق لديوانه الشعري والفنون الشعرية التي تناولها والخصائص الفنية في شعره •

اعلام القصة
في الادب الانجليزي الحديث

تاليف : الدكتور طه محمد طه ·

الناشر : وكالة المطبوعات / الكويت ·

يصور هذا الكتاب ملامح القصة الحديثة فـــي الادب الانجليزي عن طريق دراسة خمسة من اعلامها في النصف الاول من القرن العشرين ، ويهتم بدراسة الخطوط العريضة للقصة ويعاود تطبيقها على هؤلاء الخمسة الاعلام وهم جوزيف كونراد ، وفرجينياوولف،وادوارد مورجان فورستر ،وديفيد هربرت لورنس · والدوس ليونارد هكسلي ·

ويذكر المؤلف ان من اهم مميزات القصــــة الانجليزية الحديثة هو اختفاء فكرة (البطل) التقليدية من جميع القصص تقريبا ، فقد يكون البطل انسانا معذبـا حائرا يقاسي من الاحباط واليأس ومع ذلك تبلغ به الشجاعة حدا يدفعه لاعتصار معنى من الحياة رغم اقتناعه بعبث المحاولة· والبطل الحديث هو الرجل العادي،او الشعب ممثلا في فرد لايكاد يتميز عن سواه وقد اخذت القصة الحديثة تهتم بموضوع احتكاك الفرد بالجماعة ،وما ينشا عن هذا الاحتكاك من مشاكل فردية ، وعقد نفسية ، ولا ادل على هذا الاتجاه الا كثرة الكتب التي تعالج هذه المشكلة ·

وثائق أساسية
من تاريخ لبنان الحديث

جمعهاوعلق‌عليها : الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار ·

الناشر : جامعة بيروت العربية / بيروت /لبنان·

هذا كتاب وثائقي عن تاريخ لبنان الحديث والمعاصر ، وهذا الكتاب يشمل تاريخ الفترة من الفتح العثماني للشام ، حتى اعلان لبنان الكبير في سنة ١٩٢٠ · وقد آثر المؤلف ان ينشر مجموعة الوثائق التي تخدم موضوعا واحدا له اهميته الكبيرة في تاريخ لبنان الحديث ، ومن ذلك مجموعة الوثائق الخاصة بفخر الدين المعني الثاني ومجموعة وثائق (المجمع اللبناني) ومجموعة الوثائق التي تخص العلاقات المصرية اللبنانية منذ عهد محمد علي الكبير حتى نهاية الحكم المصري في الشام سنة ١٨٤٠م ، ومجموعة الوثائق التي تكشف النزاع الطائفي في لبنان في القرن التاسع‌عشر، وحوادث سنة الستين (١٨٦٠) والنشاط الاوربي ازاءه ومحاولات (يوسف كرم) الوصول الى الحكم، ومجموعة الوثائق التي تكشف الظروف التي ادت الى اعلان لبنان الكبير ·

دراسات في تاريخ الفكر التربوي

تاليف : الدكتور سيد ابراهيم الجيار ·

الناشر: وكالة المطبوعات / الكويت ·

يتضمن هذا الكتاب معالجةتاريخية فلسفية اجتماعية للفكر التربوي في اطاره الثقافي منذ فجر التاريخ حتى عصرنا الحاضر ·

فالتربية ليست بنت يومها وانما هي نتـاج اجتماعي تاريخي ، تمتد جذوره بعيدا في اعماق الماضي ، ولها اصولها التاريخية التي تعين على فهم القضايا التربوية في‌سياقها الثقافي المتكامل·

وقد كان‌الفكر التربوي‌ولم‌يزل‌قوةدافعة للعملية التربوية، توجهها وتسير بها نحو غاياتها المنشودة، ولقد اختلفت وجهات النظر بشان مصادر الفكر التربوي ولكن يبقى التاريخ مصدرا رئيسيا ومعينا لاينضب لدراسة هذا الفكر والتطبيقات التربوية وهذا ماتكفل الكتاب ببيانه ·

وينقسم الكتاب الى ابواب ثلاثة مسبوقة بفصل تمهيدي عن المنهج في دراسة تاريخ الفكرالتربوي· فالباب الاول يدرس الفكر التربوي في العصور القديمة ، والباب الثاني موضوعه الفكر التربوي الفكر التربوي في العصور الوسطى ، اما الباب الثالث فيعالج الفكر التربوي في العصور الحديثة·

كتاب المكاسب

تاليف : الشيخ مرتضى الانصاري ·

تحقيق وتعليق : السيد محمد كلانتر ·

الناشر : منشورات جامعة النجف الدينية ـ النجف الاشرف / العراق ·

يعتبر هذا الكتاب معرضا خصبا لدراسة اساليب الاستدلال‌الفقهي الحاضروتتوخى طريقته‌الاستدلال المتعمق والاخذ باطراف الادلة المترامية ودراسة متفرقاتها وجمعها للتخلص من التناقض الذي وقع فيه الاخرون ممن اكتفوا بالظاهر المجرد ·

لذلك اصبح هذا الكتاب محط انظار العلماء وفقهاء المذهب الجعفري ، كما ان المنهج الـــي

محتوياته صار معكا للمشتغلين بالفقه عندهم . يكثير بلوغهم درجة الاجتهاد ولكنه لم يزل معقد التعسر في اكثر مواضعه . نظرا للدقة في المعنى والتعسق في مشابهه .

لذلك دعت الضرورة الى دراسة الكتاب ومداولته مع اهل الفن والخبرة والوضوح غامضه بغية تمكين طالبي الفقه من الاستفادة به على اوضح صورة واوضح طريق وهذا ماقام به محققه ، وقد قسمه بضعة عشر جزءا ، وصل منها الى المجلة الاجزاء الثلاثة الاولى .

نظام الحكم في الاسلام

تاليف : الدكتور محمد فاروق النبهان .

الناشر : مطبوعات جامعة الكويت / الكويت .

يحاول هذا البحث ان يظهر جانبا من الجوانب المشرقة من تراثنا الحضاري والانساني والمبادىء الاساسية التي اشتمل عليها ذلك التراث ، تلك المبادىء التي كانت تمثل المصادر الاساسية التي انطلقت منها الشعلة التي اضاءت للبشرية طريقها يوم كان النظام الخالد يطبق على كل مكان في الارض .

ويمثل الفكر السياسي في الاسلام الفكر المتميز الذي يختلف عن كل ماعداه من الافكار السياسية في العصور القديمة والحديثة ، حيث استطاع هذا الفكر ان يربط بين المفاهيم السياسية والمبادىء الخلقية واصبحت مفاهيم العدل والحرية والمساواة في نظر الفكر السياسي الاسلامي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمعاني الخلقية المطلقة دون ان تخضع للمصالح الشخصية التي تتلاعب بهذه المفاهيم .

كما ان هذا الفكر السياسي هو الوحيد الذي استطاع ان يخضع الحكام والمحكومين لقواعده ومبادئه عن قناعة ورضا ، لان هذه المبادىء وضعت لتحقيق العدالة المطلقة والمساواة الحقة بين جميع الافراد بدون تمييز لطبقة من الناس دون اخرى .

وقد قسم المؤلف كتابه الى باب تمهيدي وثلاثة ابواب رئيسية وخاتمة .

تناول في الباب التمهيدي النظرية السياسية والدستورية في الفكر المعاصر . اما الباب الثاني فتكلم عن الفكر السياسي والدستوري ومصادره في الاسلام . وقد خصص الباب الثالث لدراسة السلطات العامة الثلاث : التشريعية والتنفيذية والقضائية .

وانهى المؤلف كتابه بدراسة السلطة القضائية في الاسلام والنظام القانوني لها والاختصاصات المتعلقة بهذه السلطة ، وبين الفروق الاساسية بين كل من ولاية المظالم ، وولاية الحسبة ، والفرق بين هاتين الولايتين وولاية القضاء .

ظاهرة الشذوذ في النحو العربي

تاليف : الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني

الناشر : وكالة المطبوعات / الكويت .

يدرس هذا الكتاب ظاهرة الشذوذ في النحو العربي ، وهذه الظاهرة تحتاج الى جهد وعناء ، لانها دراسة طويلة ، متعددة الجوانب ، اما منهج المؤلف في هذه الدراسة فقد قام على الاستقراء الدقيق للظواهر الشاذة عند نحاة العرب .والتزم المنهج التاريخي التزاما دقيقا ، وحاول ان يضع تاريخا لكل مدرسة من مدارس النحو ، ذاكرا اشهر علمائها ، واظهر ارائها ، وما للفرق فيه العلماء من آراء ، وقد اعتبر هذا التفرق والتباين ضربا من ضروب الشذوذ التي لايقاس عليها ، وينقسم الكتاب الى خمسة ابواب ومقدمة وخاتمة ونتائج .

اما الباب الاول فيدرس ظاهرة الشذوذ عند نحاة البصرة ، وينقسم الى ثلاثة فصول ، اولها في نشأة النحو بالبصرة وثانيها في بواكير الخلافات النحوية منذ سيبويه حتى الدؤلي ، وثالثها في ظاهرة الشذوذ في كتاب سيبويه والمبرد .

اما الباب الثاني من الكتاب فقد خصص لظاهرة الشذوذ في النحو الكوفي وينقسم الى ثلاثة فصول : مرحلة النشأة في الكوفة ، المنهج الكوفي ، ظاهرة الشذوذ عند نحاة الكوفة .

اما الباب الثالث من الكتاب فيدرس ظاهرة الشذوذ في المدرسة البغدادية وهو كالآتي : نشأة النحو البغدادي،والصورة العامة للنحو البغدادي، ثم ظاهرة الشذوذ عند نحاة بغداد .

اما الباب الرابع فيدرس ظاهرة الشذوذ في المدرسة الاندلسية اما الباب الخامس فيدرس ظاهرة الشذوذ في مدرسة مصر والشام .

■

الطاقة الشمسية
اصل الطاقات جميعا

● انصرفت دول الغرب تبحث عن مصادر جديدة للطاقة تغنيها عن البترول العربي، وذلك في أعقاب الحظر البترولي وحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ويصدق هذا بخاصة على الولايات المتحدة ، كما تدل على ذلك مخصصاتها المرصودة لاكتشاف وتطوير تلك المصادر الجديدة . فبينما هي انفقت في هذا السبيل ٧٠ مليون دولار سنة ١٩٧٠ نراها رصدت ٤٠٠ر١ مليون دولار لسنة ١٩٧٥ . وستبلغ مخصصات حكومة واشنطن ٦٠٠ر١ مليون دولار للسنة القادمة ١٩٧٦ . وقد أنشأوا دائرة خاصة بهذه البحوث سموها دائرة ابحاث الطاقة وتطويرها، أي.
Energ Research a Development Administration

والظاهر أن أشعة الشمس تحتل مكان الصدارة بين مصادر الطاقة الجديدة . ولا عجب فطاقة الشمس معين لا ينضب . واستغلال هذه الطاقة لا يصطدم بعقبات كبيرة ، كتلك التي تعترض السبيل فيما يتصل بالمصادر الجديدة الاخرى، كالحرارة الجوفية ، والطاقة النووية .

ومع ذلك ، فان التجهيزات التي تتطلبها الطاقة الشمسية باهظة التكاليف . وقوام هذه التجهيزات مراكز التجميع . تجميع أشعة الشمس . وهذه المراكز مكونة من مرايا أو الواح سطوحها ملساء عاكسة . ولا بد لهذه السطوح أن تتوفر بمساحات كبيرة ، والا تعذر عليها تجميع الاشعة الشمسية . وحسبنا أن نذكر أن المرايا اللازمة لتجميع أشعة الشمس بما يفي باغراض محطة لتوليد الكهرباء لا تزيد طاقتها على ١٠٠ مليون واط .. هذه المرايا يجب الا تقل مساحتها عن ٠٠٠ر٨٧٠ر٥ قدم مربع وهذا يعني أن كل ١٧ واط كهرباء تحتاج الى قدم مربع واحد من المرايا .

على أن مهمة هذه المرايا لا تقف عند التجميع .. فهي تجمع أشعة الشمس ثم تعكسها الى الفرن الشمسي .. ويتم بعد ذلك توليد الكهرباء بواسطة غلي الماء ليدير بخاره التوربينات التي تولد الكهرباء .

ولعل اليوم الذي تستغل فيه الطاقة الشمسية تجاريا ، وعلى نطاق واسع ليس ببعيد .. فقد بدأوا استغلالها بقصد التجربة . فثمة منازل ومدارس أقاموها في مدن مختلفة في الولايات المتحدة وعمدوا الى اضاءتها وتدفئتها بالطاقة الشمسية بنجاح .

عقاقير
الاخصاب والحمل

● عقاقير الاخصاب تساعد بعض النساء على الحمل ، وقد ظهرت هذه المستحضرات في الاسواق الامريكية قبل حين . وهي تستعمل حاليا ، وعلى ما يبدو على نطاق واسع .

واطرف ما يذكر عن هذه الحبوب أن المرأة التي تحمل بتأثيرها غالبا ما تحمل ٣ ـ ٥ توائم .

وعقاقير الاخصاب هذه صنفان . احدهما Pergonal قوامه عصارة هرمونية مستخلصة من بول نساء تجاوزن سن اليأس .. ويعمل هذا العقار على تهيئة المبيض للاطلاق .. اطلاق البويضة ، ثم يعمل على اطلاق هذه البويضة فعلا بتأثير الهرمون الآخر الداخل في تركيبه ، واسم هذا الهرمون هو :

Human Chorionic Gonadotropin.

أما الصنف الاخر فيسمى Clomid وهو هرمون أو ما يشبه الهرمون ، مخلق ، ويعمل عن طريق اثارة الغدة النخامية Pituitary Gland ، بحيث تفرز من الهرمونات ما يساعد على نضج البويضة .

وجدير بالذكر أن هذه العقاقير لا تعالج كل حالات العقم في المرأة . فهي لا تفيد في الحالات التي ينحصر سبب العقم فيها في عجز البويضة عن الانطلاق من مبايضها Ovulation ، وهذا سبب ثانوي بين أسباب عقم النساء ، ولا يمثل سوى ٥ ـ ١٠٪ من حالات عقمهن . ونذكر في تلك الاسباب الالتهابات التي قد تصيب بطانة الرحم Uterus وقناة فالوب (Fallopian tube) وهي القناة التي يمر البيض فيها الى الرحم .

ويؤكد الاطباء ضرورة الرجوع الى الطبيب المختص قبل استعمال هذه العقاقير . فقد يؤدي استعمالها في غير الحالات التي صنعت من أجلها الى نتائج وخيمة ويتسبب بمرض Ovarion cysts تكيس المبايض ، وهو مرض خطير قد يسبب نزيفا داخليا وقد يؤدي الى الموت آخر الامر اذا لم يلق العناية الطبية المناسبة .

الجوع
غير الموت جوعا

● الجوع المقصود هنا جوع الحرمان .. الحرمان من الطعام .. انه الجوع الذي قد يؤدي بصاحبه الى الموت ، والذي طالما ذهب بأرواح مئات الآلاف من سكان آسيا وافريقيا ، عاما بعد عام . فما هو الجوع بهذا المعنى ، وكيف يسبب الموت للانسان ..؟

من المعروف ان جسم الانسان ينفق طاقته بالعمل او اللعب ، وانه يعوض عن هذه الطاقة بالاسعار الحرارية التي يكسبها من طريق الطعام .. وتختلف كمية هذه الاسعار التي يحتاجها جسم الانسان يوميا باختلاف السن والوزن والجنس والاقليم والعمل .. وغير ذلك .. وتتراوح بالمتوسط بين ٢٠٠٠ سعر للمرأة التي يبلغ وزنها نحو ٦٠ كيلوجراما و ٣٠٠٠ سعر للرجل الذي يبلغ من الوزن نحو ٧٠ كيلوجراما ، وذلك في اليوم الواحد ، وفي الاقاليم الباردة الصناعية .. وما دامت هذه الاسعار التي يكسبها الجسم في توازن مع تلك التي يفقدها كانت الامور على ما يرام . اما اذا اختل ذلك التوازن وزاد ما يفقده الجسم من طاقة على ما يكسبه ، فان ذلك الجسم يبدأ في معاناة الجوع (Hunger) بمعناه العلمي . في تلك

الحال يرتد الجسم على نفسه ، ويستمد الطاقة التي يحتاجها من انسجته ٠٠ بعبارة اخرى يبدأ الجسم في استهلاك نفسه ٠٠ ويبدأ بالتالي في فقدان وزنه ٠ وقد تبلغ نسبة ما يفقده من وزنه ١٠٪ او ٢٠٪ ٠ اما اذا بلغت تلك النسبة الثلث او اكثر ، فلا مفر من ان يتجه المرء الى الموت جوعا Starvation ٠

عندئذ تتأثر الكليتان والغدد الصماء ، فلا تعود تعمل بانتظام ٠ وقل مثل ذلك في الكبد ، فتختل وظائفه ٠ وهي هامة وكثيرة ، كما هو معروف ٠ ويأتي بعد ذلك دور العقل فيعتريه التخبط والتبلد ٠٠ ذلك ان المخ لا يستغني عن النشويات والسكريات ٠٠ فهي تلعب دورا حيويا في كيميائه بحيث لا مفر من ان يتعرض للمخاطر اذا هو لم يحصل على حاجته من هذه النشويات والسكريات ٠

طائرة ميج ٢٣

● تحتل طائرة ميج ٢٣ مكانة مرموقة بين الطائرات السوفياتية ٠ انها طائرات مقاتلة قاذفة ذات سرعة كبيرة واجنحة متحركة ٠ وتؤكد المصادر الاوروبية والامريكية على ان هذه الطائرة السوفياتية المتطورة اصبحت في حوزة سوريا ومصر ٠ وتقدر بعض المصادر البريطانية الكميات التي تسلمتها الدولتان العربيتان من طائرة الميج ٢٣ بحوالي ٦٣ طائرة لسوريا وبضع طائرات لمصر ٠

وتجدر الاشارة الى ان اسرائيل بالغت في هذه الكميات وضخمتها حتى تمكنت من الحصول على كميات كبيرة من الاسلحة من الولايات المتحدة الامريكية ٠

واليك فيما يلي مواصفات طائرة الميج ٢٣ :

الطول ٥٥ قدما

العرض بحده الاقصى ٤٧ قدما (الجناحان مفرودان)

العرض بحده الادنى ٢٧ قدما (الجناحان مطويان)

السرعة القصوى على مستوى سطح البحر ٣ر٢ ماك (١٦٥٠ ميلا في الساعة)

اقصى الارتفاع اثناء العمليات ٥٩٠٠٠ قدم ٠

مجال القتال (Combat Rodius) ٦٠٠ ميل

بقلم [illegible]ين القباني

■ لو لم [illegible] مـ[illegible]ـبة ، لما [illegible]كبت الترللى باصـ[illegible] من ايام الربيـع الماضي [illegible] رايت « [illegible]ان » فى مقصـورة الدرجة [illegible]ولى التى [illegible] احد سكانا [illegible] المحطات الثلاث المارة [illegible]روضة [illegible]

كان [illegible] ما جعلنى اختلس النظر اليها ـ مرغما ـ وبقلب خافق ·· فقد خيل الى فجأة اننى ارتددت الى الوراء عشرين عاما ·· الى عهد الشباب الثائر فى سن الخامسة والعشرين ، الى ذلك الحب الاول الذى نعمت بـه عاما كاملا مع ·· خيرية ·

كان بينها وبين خيرية ـ حبيبة الصبا ـ شبه كبير ، وكان الشبه أوضح ما يكون فى عينيهـا السوداوين ، وفى شعرها الذهبى الناعم ، وفى شفتيها المتلثتين ·· ولو امكن لانسان ان يطلق لغرائزه العنان فى لحظة من لحظات العمر ، لمـا ملكت نفسى عن أخذ هذه الحسناء بين ذراعى ، لاهمس فى شفتيها ، بعض ذكرياتى عن الحب الاول الذى كان بينى وبين خيرية ، فى عهد الصـبا والشباب ·

لقد احببت ـ مثل كل شاب ـ كثيرا فى ايـام صباى ، وكانت خيرية هى الحبيبة الاولى ، وكـان طبيعيا ان تنحصر آمالى يومذاك فى عش سعيد ، اغرد فيه مع خيرية أهازيج الحب والحياة ، واتخذ من ضوء ابتساماتها شعاعا ينير طريق الكفاح نحو الرقى السريع فى عالم الوظائف الحكومية ·· وكانت هذه الامانى تحتم علي ان اقدس غرامى بها ، وارتفع به عن الاسفاف فى قبلة او عناق قبل ان تصبح لى زوجة أمام الله والناس ، وذلك رغـم انى كنت اسخر قبلا مما يزعمه الكتـاب الخياليون عن الحب الحق ، والغرام الصدق الـذى تتعانق فيه الارواح ، وتتناجى به العيون،وتتحدث عنه النظرات ، ويسعد به القلب ويهنا لمجرد النظر الى وجه الحبيب ، اما ما عدا هذا ، فهى غرائز مشوبة ليس بينها وبين الحب ادنى سبب ·

وافقت من هذه الامانى العذاب ذات يوم ، فاذا شقيق خيرية ـ وهو ولى امرها ـ يزوجها مـن كهل ثرى ، بعد ان رفض زواجها منى ، لانـى موظف صغير فقير ولما لم يكن للفتاة فى تلـك الايام ، بل وفى هذه الايام احيانا ـ الا طاعة ولى امرها فى شئون الزواج ، فقد ارتفعت خيرية من حياتى لتعيش فى قصر ·

وهكذا خرجت من غرامى الاول ، غرام العمر كله ، بقلب جريح ، ورغبة عنيفة نحو الثراء ، لالقى بذلك على شقيق خيرية درسا فى أن المال عرض زائل ، يمكن لكل مجتهد ان يجمعه بوسائل مشروعة او ملتوية ، أما الشباب وما يفيض بـه من حب وهناء ، فهو جوهر لا يشترى باموال الدنيا جميعها ··

واستقلت من وظيفتى ، والقيت بنفسى فـى ميدان العمل الحر ، وتحقق ما كنت ارجو فاذا انا على ثراء طائل بعد عشر سنوات،بل اكثر ثراء من زوج خيرية الذى كان قد بلغ مرحلة الشيخوخة الكاملة ، ولولا براءة حبى لها ، لاغريتها بطلب الطلاق منه ، او ـ على الاقل ـ بالعمل علـى خيانته ، والسخرية منه ومن أمواله · !

وتزوجت انا فى الخامسة والثلاثين فتاة تصغرنى بسبعة اعوام ، أجمل من خيرية ، ومع هذا لـم استطع ـ باية حال ـ ان احبها من قلبى وحبى بعض ما وهبته لحبيبة الصبا ·· وانه ليخيل الى ان الحب الاول ـ كالشباب ـ لا يكون فى حياة المرء الا مرة واحدة ··

ومرت السنوات وانا مع زوجتى فى حياة هادئة حينا ، صاخبة احيانا ، فانا سعيد دائما بأبوتى

لاولادى الثلاثة شقى احيانا بما القاه من زوجتى حين تخرجها الغيرة الحمقاء عن طورها كلما جرى على لسانى اسم « خيرية » لاية مناسبة عادية ، ولست ادرى من اين عرفت أمر غرامى الاول هذا؟

مرت هذه الذكريات السريعة من حياتى فى خاطرى ، وانا اختلس النظر الى هذه الحسناء شبيهة خيرية ، التى كانت فى مقصورة الدرجة الاولى ، فى هذا اليوم من أيام الربيع الدافىء والتى اعادتنى عيناها وشفتاها الى أيام شبابى الدابر ، والى عهد غرامى الاول ..

ولست ادرى كيف . ومضت فكرة الزواج منها، فى خاطرى فجاة ولكن الذى اريده هو انى رحت أسائل نفسى : لماذا لا اتزوج ـ بدورى ـ فتاة كهذه ملؤها الصبا والجمال .. اليس من حقى فى كهولتى ، أن استعيد ـ بالمال ـ لمحة لذيذة من شبابى المولى ؟

ان التقاليد لن تحول بينى وبين هذه الامنية لا ، ولا الدين أيضا .. وان عجز زوجتى عن توفير أسباب السعادة الشاملة ، يتيح لى الحق فى البحث عن السعادة مع زوجة اخرى..فلماذا.. نعم .. لماذا لا افعل ؟!

وعدت انظر الى الحسناء ، من زاوية جديدة ، جعلت ـ على ما اظن ـ وجهى المكتنز يتوهج بلمحات من دماء الشباب، ولكنى رايتها وقد وقفت بقوامها المشوق ، وجسمها الملفوف ، تستعد للنزول فى المحطة التى يقترب الترللى منها ..

واقسم انى لمحتها ـ قبل أن تهبط ـ تلتفت نحوى فجاة،ثم تومىء برأسها باسمة .. ولولا هذه الايماءة الباسمة ، لما قفزت من مقعدى فجاة ، كانى ارتددت حقا الى أيام الشباب ، ثم انطلقت من المقصورة والترللى يتحرك ، ثم وثبت منه ، ومضيت سائرا فى جانب من الشارع ، متتبعا الحسناء من بعيد،

حتى رايتها تدخل بيتا صغيرا انيقا بالجزيرة ..

ووقفت عند بائع مرطبات قريب من البيت ، وشرعت ـ وانا اجزل العطاء فيما اشرب ـ استدرجه في حرص ولباقة ليثرثر عما يعرف عن جيرانه « الاقربين » ، وهكذا عرفت ان حسنائي تدعى « احسان » وانها تقيم في ذلك المنزل الصغير الانيق مع ابيها المحال الى المعاش ، وانها ـ وهذا ابلغ ما في الامر ـ لم تزل عذراء .

واخذت فكرة الزواج من شبيهة حبيبتي الاولى، تستبد بي ، وتملأ ذهني وتعبث بمحاولاتي في التحرر منها ، وتوقظ من مشاعري ما كان غافيا ، وتلهب عواطفي وتثير دمائي حارة في عروقي وتنسيني ـ الى حد ما ـ ذلك الحنان الطبيعي نحو اولادي ، وتوسع الهوة بيني وبين زوجتي حتى احسست ـ بعد اربعة اعوام ـ اني سافقد عقلي اذا لم احقق رغبتي ، واني سافقد زوجتي في كلا الحالين ..

وهكذا قررت اخيرا ـ انقاذا لنفسي واعصابي ـ ان اتخذ خطوات حاسمة ، للزواج من هذه الحسناء التي اعادتني شفتاها وعيناها الى ايام شبابي الدابرة ، والى عهد غرامي الاول ..

وارسلت سكرتيري الامين الى ابيها ، ليمهد لي الطريق الى زواجها ، ولشد مادهشت ـ وروعت ـ حين علمت من سكرتيري ان اباها رحب بي ، زوجا لابنته اشد الترحيب ، فقد كنت ، حتى اللحظة الاخيرة اعتقد ان اباها سيرفض زواجها من كهل مثلي ، او ان الفتاة ستثور لهذا السبب .. اليس لها حبيب ؟ ؟

نعم .. كنت ـ في اعماق نفسي ـ آمل ان تقوم العراقيل ، امام هذه الفكرة المستبدة بي ، وبذلك اياس واستريح ، فان الياس ـ كما يقال ـ احدى الراحتين..ولكن القدر الذي اعطب سيارتي في ذلك اليوم الداهيء ، من ايام الربيع ، والذي جمعني بحسناء الترللي باص في معصورة الدرجة الاولى ، لم يكن ـ كما بدا لي ـ عابثا او لاهيا .

وقدمت « الشبكة » الى احسان ، وحددت موعد عقد القران ـ سرا ـ مع ابيها ، وذلك حتى لا يصل النبا الى زوجتي قبل الزفاف .. ومن ثم هدات نفسي ، وتطامن قلبي وبدات استمتع ببهجة الحياة ، وبلمحات هانئة من شبابي الداير، كلما ذهبت الى بيت السيد « رؤوف » فاجلس اليه ، والى ابنته احسان ، مستمتعا بحديثهما الرقيق ، وبما بينها وبين حبيبتي الاولى من شبه عجيب ..

على اني كنت اجد احسان ، في بعض الاحيان، راضية ، مقبلة في حديثها علي ، ثم اجدها في احيان اخرى ، ساهمة ، واجمة ، متكلفة الابتسام ، مصطنعة الرضى ، لقيلة الحديث ، حتى عادت الوساوس تنوشني مرة اخرى ، وبدات الحياة تخف بهجتها شيئا فشيئا .

ثم اقبل الشاب عفت الى مكتبي ذات يوم .. حياني في ادب جم ، ثم راح يتحدث ، بعد ان اذنت له وشجعته ، وقد عرفت منه انه ابن خال احسان ، وكان كلما امعن في الحديث ، احسست كاني في يد ساحر ماهر ، يمسح على قلبي ، فيطرد منه هذه اللمحات من شبابي الذي بعثته عينا احسان وشفتاها ، ثم يعيدني رويدا رويدا، الى شيخوختي،بل الى ما هو اكثر من الشيخوخة..

نعم كان حديث هذا الشاب ، قطرات باردة تتدفق في دمي الثائر ، فتعيد اليه الهدوء والسكينة ، وكانت الحقائق المرسلة في ثنايا الحديث ، كانها مرآة سحرية ، تريني ، لاول مرة حقائق الحياة ..

لقد اخبرني بصوت فيه حياء ورجاء وعزم ، انه كان مرشحا للزواج من احسان وانها تبادله الحب، وانه بشهادته العالية في منصب حكومي لا باس به، وان اباها لم يكن يمانع في زواجها منه ، بل كان قد حدد له موعد الخطبة ، لولا اني تقدمت فالرني عليه .. ثم ختم حديثه قائلا في رجاء :

ـ لهذا تشرفت بالحضور اليك يا سيدي ولك الحرية التامة في ان تحطم قلبينا بما وهبك الله من مال ، او ان تسعدها فنبقى دائما ـ والى غاية العمر ـ نذكرك بالخير ..

واذا كان لكل قصة طريقة نهاية مفاجئة للقارىء ، او المستمع ، فان لقصتي ايضا نهايتها المفاجئة،المفاجئة لابطالها،قبل قرائها ومستمعيها..

لقد فوجىء عفت حين وجدني اتنازل ـ فورا ـ عن خطبتي لاحسان .. ولقد عقدت المفاجاة لسانه فلم يعرف كيف يشكرني ..

وفوجئت احسان حين جعلت « الشبكة»هدية مني اليها ، بمناسبة زواجها من ابن خالها ..

وفوجئت زوجتي ، حين وجدتني منذ ذلك اليوم، هادئا راضيا ، باسما للحياة قانعا بنصيبي منها .. ■■

حسين القباني ـ القاهرة

الشعر الفلسفي

● عند الايطالى القديم "دانتى"
● وعند الشاعر الامريكى "اليوت"

بقلم : الدكتور عبد القادر محمود

اولا عن دانتى

ونبدأ بالحديث عن دانتى

■ الحديث عن دانتى ممتع ورائع حقا ، باعتباره شاعر عصر النهضة الممتاز .. روحها الوضىء،ووجدانها المشرق،وفلسفتها النابضةباعمق الافكار فيما وراء الحياة وبخاصة اذا كان مدخل هذا الحديث بلسان « اليوت » Eliut . والحديث عن اليوت . مقرونا او مقارنا بدانتى باعتباره مثلا رفيعا اقتدى به ، وترسم خطاه ، وعاش فى اجوائه - لاريب يعطينا الجديد فى قضية الشعر الفلسفى ، ويضيف الطريف حول تفاعل الفكرة الفلسفية مع الاحساس الشعرى ، بما يبرزالقيمة الجمالية للصور الشعرية المقروءة او المشهودة المسموعة على المسرح الكبير .

يقول اليوت فى مقالاته المختارة عن دانتى (فيما يخص علم او فن الكتابة الشعرية . فاننى قد تعلمت من قراءة جحيم دانتى ، أن اعظم الاشعار، هى ما كتبت فى كلمات مختصرة اختصارا شديدا مع الصرامة التامة فى استعمال الاستعارة والتشبيه وجمال اللفظ ورونقه ، و (انا حينما اؤكد انه يمكننا ان نتعلم من « دانتى » كيفية صياغة الشعر ، اكثر من اى شاعر انجليزى ممتاز ، فاننى لا اعنى بذلك ، ان منهج « دانتى » هو الطريق الوحيد الصحيح ، او ان « دانتى » اعظم من شكسبير او اى شاعر انجليزى آخر ...) ويخلص « اليوت » من حديثه الى ان لغة « دانتى » رغم انها عادية ، الا انها متكاملة . وهذا واضح تمام الوضوح فى رائعته الخالدة : الكوميديا الالهية ، حيث تلتحم الفلسفة بالنسيج الشعرى فتشد من خيوطه وتتداخل مع مكوناته ، وتصبح جزءا لايتجزأ من هذا التنسيق المبدع الذى يكون فى مجموعة ذلك الانتاج الفنى العظيم .

من هنا ندرك كيف تتفاعل الفكرة الفلسفية مع الوجدان الشعرى فتخصبهوتمنحه ثراء منقطع الوصف والنظير ، حيث تتخلل عناصره ، وتنبث فى كل ذراته وشحناته ، قبل أن تمتزج بها جميعا، وتتحد معها كلها . وما هذا السلوك الا تطابق متكامل للقضايا الميتافيزيقية ، وتجسيم للرؤى الخلاقة ، وتركيز للفكرة الفلسفية فى بؤرةشعورية تعتمد على الحديث بقد اعتمادها على الشعور الصادق والتامل الد .

وعلى الرغم من أن الشعر ـ سواء في العالم الاوربي أو العربي ـ قد سار في خط منفصل عن الفلسفة احيانا كثيرة ، وعلى الرغم من أن الفلسفة حصرت نفسها كثيرا في الفكر المجرد ، فاننا نجد في التراث الانساني التحام الخطين في الشعر الميتافيزيقي ، الذي لايعتمد على الجدل قدر اعتماده واستناده الى الملاحظة الباصرة ،التي تستمد وقودهاوقوتها من المشاهدة النافذة للمرئيات المختلفة ٠

الشعر لم يكن أصلا للفلسفة

« اليوت » هنا يرى في هذه النقطة الشائكة ان الشعر لم يكن في يوم من الايام أصلا للفلسفة ولم يضع مطلقا الشكل الأساسي لها لان الفلسفة كما يقول بحق ، لا تستند اليه في مراحل التطور الفكري والعكس هو الصحيح ، فلقد غزت الفلسفة ميدان الشعر واقتحم النظر العقلي ـ وهو لسان الفلسفة ـ معيطه ، بعد ان تبلورت قضاياها ورسخت اتجاهاتها الفكرية واصبحت في وجدان النابغين من الشعراء والادباء ٠

من هنا ندرك ان « دانتي » صاحب الكوميديا قد افاد فائدة عظمى من الفكر الفلسفي والتأملات الفلسفية التي سبقته ، وفي مقدمتها « اتولوجيا » افلوطين ، واعترافات اوغسطين ، ومدينة الله لاوغسطين ايضا ، وتاملات الاكويني ٠ ولا شك ان أية معاولة لفصل تيار هذا الفكر الفلسفي عن شعر دانتي ، فيها اساءة للدراسات الفنية والفلسفية معا ، قبل الاساءة الى دانتي في ذاته وافكاره ووجداناته ٠

دانتي شديد التأثر كثير البكاء

كان « دانتي » صاحب حس رقيق ، جعله شديد التاثر ، حتى ليصدق عليه مانقوله عن الانسان ذي الحساسية الشديدة من ان اعصابه فوق جلده٠ وكان كثير البكاء في حجرة تسمى غرفة الدموع ، وكان من فرط الحزن يتحرك راسه ، كانه شيء ثقيل لا حياة فيه ٠ بكى دانتي وهو طفل ، وهو شاب ، وهو كهل ٠٠٠ وبكى عندما كتب الكوميديا الالهية ، وعندما شارك المعذبين آلامهم في الجحيم ، وعندما عاتبته « بياتريتشي » معشوقته في الحياة الدنيا والآخرة ، وهو يجوس

عتبات المطهر ، وبكى عندما سمع غناء الملائكة في « الفردوس » ٠

ترك لله ان ينتقم له

ولما كان دانتي قد عاش غريبا منفيا بين قومه ووطنه ودنياه ، فقد كان في أعماقه يود الانتقام من كل من أساء اليه من قريب أو بعيد ٠ لهذا (كان حب الانتقام عنصرا هاما في شخصيته، وان لم ينتقم هو من احد في حياته الواقعية ٠٠) وارتفع بالانتقام الى الله ذاته ، (الذي يغضب من خطايا البشر ، فيسلط عليهم عذابه وانتقامه) ، ولم يعترف دانتي في حياته العريضة الحافلة بكل صراعاتها ، في وطنه وفي منفاه ، وفي نضاله مع الكائنات العليا والدنيا بغير قوة الروح وقوة الفن ٠

قبل دانتي ، عرفت الاديان الجنة والنار

لم يكن دانتي اول من تناول في كوميدياه ، عالم ما بعد الحياة الدنيا ٠ فالمصريون القدماء عرفوا في تراثهم الجحيم المظلمة بما تحتويه من عذاب ، وتصوروا الفردوس بما فيه من نعيم وسعادة ، وعندهم اوزيريس راعي ميزان العدالة في الدار الخالدة ، وفي ديانة « بابل » تهبط

كان هو الزمن الباقي للعبور بين الجحيم والمطهر والفردوس . وتمثل الجحيم الشباب الحر الطليق المتكبر الثائر ، كما تصور سورة الغرائز الدنيوية البشرية لاشباع ميولها وهي الخطيئة والعذاب والمأساة والحياة الدنيا ، ويمثل المطهر التجربة والنضج والفكر والتوبة والتطهر والامل في حياة خالدة وضيئة ، بينما يمثل الفردوس الكهولة والصفاء والحرية والاخلاص والنور الالهي العظيم .. وهي بكل اناشيدها النابضة المتدفقة الحية ، مرآة الحياة وملحمة الانسانية الكبرى .. وكانما أراد دانتي في صياغتها من نفسه ومشاعره وروحه بكل انطباعاتها ، أن يضع كتابا مقدسا جديدا يهدي البشر الى سواء السبيل .

عند دانتي : أن تطهير النفس باطنيا هو السعادة

سلك دانتي نهجا اقرب الى النهج الصوفي في علاج النفس البشرية.لتصعد من دركات النفس الغريزية الى درجات النفس اللوامة المتطهرة المتحررة ، الى النفس المطمئنة الراضية المرضية. لهذا كان يرى ان تغيير العقائد والقوانين والنظم لا يؤدي الى اصلاح حقيقي . وادرك ان تطهير النفس وتحرير الروح باطنيا او جوانيا كما يقول استاذنا العالم الجليل الدكتور عثمان امين، هو الطريق الصحيح للسعادة ، في حياة النقاء والصفاء والعدالة .

ان امامنا حقيقة واضحة تؤكدها الكوميديا الالهية بوجه عام في سائر اجزائها وفقراتها وهي ان العقل البشري لا يمكنه الاحاطة بجوهر الوجود او اسرار الوجود (وانه لمجنون ذلك الذي يامل في عقلنا اجتياز الطريق اللانهائي) . ودانتي في هذا يتفق مع وجهة نظر الفيلسوف اوغسطين في الفلسفة المسيحية ، والفيلسوف حجة الاسلام الامام الغزالي في الفلسفة الاسلامية. كما يؤكد مفهوم النظرية الافلاطونية القديمة ، انه بالتطهر يمكن اجتياز العقبات نحو السكينة السماوية . وفي فلسفة الابدية الالهية والزمان الالهي ، ان سنة امام الابدية (لا تزيد عن طرفة عين) او كما يقول القرآن في محكم آياته « وان

عشتروت « الى الجحيم لتبعث تاموز » الى الحياة ، وعند اليهود أرض الظلام والعذاب تحت الارض ، وفي ديانة فارس جحيم ومطهر وفردوس ، وفي الالياذة اليونانية عالم الموتى والابالسة ، وانهار الجحيم . وفي المسيحية رؤى القديسين عن العالم الآخر ، وفي الاسلام مشاهد محتشدة لصور العذاب والنعيم ، وشجرة الزقوم ، وارائك النعيم، وفي الاسلام أيضا مشاهد ورؤى الاسراء والمعراج، تلك التي أدهشت الفكر الفني والادبي والفلسفي والصوفي ، حتى ان العالم المستشرق الاسباني بلاسيوس ، يؤكد لنا في كتابه « العلم الاسلامي ما بعد الحياة في الكوميديا الالهية » ، تاثير التراث الاسلامي في الاسراء والمعراج ، ورسالة الغفران للمعري ، وبعض مؤلفات ابن عربي ، في الكوميديا الالهية لدانتي في عوالم الجحيم والمطهر والفردوس .

متى بدأت رحلة دانتي ومتى انتهت

ان رحلة الكوميديا الالهية بدأت مساء الخميس ، ليلة الجمعة ٧ ـ ٨ من ابريل ١٣٠٠ م وانتهت يوم الخميس ١٤ من ابريل ١٣٠٠ م ، حيث استغرقت زيارة الجحيم حوالي يومين ، والمطهر حوالي اربعة أيام ، والفردوس نهارا واحد فقط،

يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون » آية ٢٢ من سورة الحج ٠)

المسئولية الاخلاقية عند دانتي

ويناقش دانتي قضية المسئولية الاخلاقية الفردية والجماعية ، نرى ذلك واضحا ، حين يسال دانتي صاحبه فيرجيل ، عن السبب في خلو العالم من الفضائل ٠ ويكون الجواب بان ذلك ليس مسئولية السماء ، فليست السماء هي السبب في كل شيء ، لان هذا معناه ، الغاء الارادة الحرة للانسان ، الذي يختار بارادته العاقلة طريق الخير والشر ٠ امر آخر يؤكده دانتي في قضية المسئولية الاخلاقية ، وهي ان البشر انفسهم هم سبب فساد العالم ، فان النفس تخرج كالطفلة ساذجة وتمضي وهي مغدوعة وراء خيرات الدنيا التافهة ٠ من هنا كان ضروريا وجود قانون حاكم يرعى البشر،لكن ليست العبرة في القوانين والشرائع، بل في من يباشرها ويحميها ويطيعها من الحاكمين٠

المحبة الصادقة عند دانتي

وفي فلسفة المحبة العادلة يرى دانتي ان المحبة الصادقة هي المحبة الصادرة عن وحي العقل او بصيرته ، لانها هنا مستنيرة بنور الله ومتجهة اليه ، فاذا اعتدلت في محبة الدنيا ، فانها لا ترتكب خطا ولا تتردى في شباك الخطيئة ٠ وواضح ان دانتي هنا على صلة بفلسفة سقراط في الفضيلة ، حيث ان الفضيلة معرفة ، فمن عرف لم يخطيء ولم يأثم ، عن طريق البصيرة العاقلة ٠

وهو يرى ان المعارف الاولية فطرة في الانسان (اذ هي كغريزة النحل في صنع العسل) لكن العقل الواعي هو الذي يحمي الروح من قبول المحبة الخبيثة ، ويحسم الموقف بالرفض بوحي من الارادة الباصرة العاقلة ٠ ولا شك ان هناك صراعا بين تيارات الاهواء ومنطق العقل البصير ، ومن هنا كان الجزاء تبعا لمدى قبول النفس للمضي في في طريق المحبة طيبة كانت او خبيثة ٠

ودانتي في حواره حول اثر الكواكب والنجوم والافلاك في حظوظ الناس منذ ميلادهم حتى موتهم ، ينكر كالقديس اوغسطين اثر هذه الاجرام السماوية في مصائر الناس ، وهو في هذا يتحدث عن نقطتين خطيرتين : الاولى هي يقين الارادة الانسانية ، التي هي مناط المسئولية الاخلاقية ٠ والثانية مايسميه بوفرة النعم الالهية التي هي فوق البصائر والمدركات الانسانية ٠ وهي مايسميه فلاسفة الاسلام بالتوفيق الالهي واللطف الالهي فيما نعتقد ٠

ثانيا : عند اليوت :

بدأنا بالحديث عن دانتي ونثني بالحديث عن «اليوت»

ذكرنا مع دانتي ، ان اليوت في مقالاته الن... وغيرها ، يؤكد انه تاثر فيما تاثر بالكوم... الالهيه ، في صياغة كثير من اعماله الملح... المسرحية وغير المسرحية ٠ فاذا اراد التح... الدقيق ، فانه يمكننا ان نقف قليلا عند بـ... فقرات من روائعه الخالدات : الارض الخراب ورماد الاربعاء ، والرباعيات ، تلك التي تفي... بالروح الفلسفية المتاملة الناقدة ٠

اليوت والارض الخراب

اما الارض الخراب The Waste Land فهي ـ رأينا ـ اعظم ملاحم القرن العشرين ٠ فيها يجُ... اليوت ما نعانيه من يأس وقنوط ، وما نحس... من آمال خادعة،وبعد عن حقيقة الحياة،وجهل باسر... الكون وجوهر الوجود ، وانفصام في عرى المعار... والمدركات ، وخلط بين الحقيقة والخيال ٠

وقد صيغت هذه الملحمة الشعرية الرائعة ... قالب موضوعي ، قوامه التعادل ، بين الفكـ... الفلسفي والعاطفة الجياشة ٠ تخطت محاو... ميدان الادب الانجليزي كلفة لهذه الملحمة لتشمل الفكر العالمي الغربي والشرقي والعر... جميعا ٠ وقد كتبت هذه الملحمة عام ١٩٢١وظهر... عام ١٩٢٢ ٠ كتبها اليوت في « لوزان » بسويسر... حين ذهب اليها للاستشفاء شتاء ١٩٢١ ٠

والارض الخراب ، في نظر اليوت هي اور... الحديثة ، وسكانها هم الذين يكونون الجنه... الاوربي بعد الحرب العالمية الاولى ، التي اخلف...

انحلالا رهيبا فى الاخلاق ، وبعدا فاحشا عن مقومات الحياة الصحيحة ، وايمانا اعمى بقوة المادة . وتدهوروا فظيعا فى القيم الروحية . وقد اعترف « اليوت » ، بان كتابين رائعين كان لهما اثرها المباشر من الناحية الوجدانية والفكرية فى بعث هذه الملحمة وصياغتها ، وهما كتاب جيسى وستون Jessie waston عن اسطورة الاناءالطاهر، وكتاب الغصن الذهبى الذى كتبه جيمس فريزر عن آلهة القدماء تموز البابلى ، وادنيس الفينيقى، واوزيريس المصرى .

فى بداية الملحمة ، وسكان الارض الخراب يتمنون لانفسهم الموت العاجل ، يصور لنا اليوت ، انحدار الحياة ، الى الهاوية التعسة ، حيث لم يعد هناك شىء به رمق من قدرة ، على ممارسة الحياة، اى حياة ... حيث يقول :

« ان أبريل أشد الشهور قساوة
فيه تخرج زهور « الليلك »
من الارض الموات »

فاذا توقفنا عند نهاية المقاطع الاخيرة من الملحمة وهى التى اطلق عليها « اليوت » عنوان (ما قاله الرعد) ، تعرفنا على تايرزياس الرحالة الذى يشبه اسمه ، وتماثل روحه ، اسم وروح الكاهن الاعمى تيرزياس ، كاهن سوفوكليس ،فى رائعته الخالدة اوديب ... حيث يهمس اليوت فى اروع صورة ، على مشارف النهايات ، بعد طول طواف ...

« .... بعد أن ألقت المشاعل وهجها الاحمر
على الوجوه التى تتصبب عرقا ...
بعد السكون المطبق فى الحدائق ..
بعد الآلام المريرة قرب الصخور الحجرية الصلبة
ثم العويل ... والصراخ ...
فى السجون والقصور ....
... قصف الرعد وهو يتردد صداه على الجبال البعيدة
... الآن : قد مات ، من كان حيا !!
ونحن الذين كنا احياء ... نموت الان ...
فى تباطؤ ثقيل ... قصير الاجل ...

ومن الواضح ان الفقرات الاخيرة من ملحمة الارض الخراب تشبه الى حد كبير نهاية تراتيل المطهر لدانتى ، فى الكوميديا الالهية ، حيث يقول تيرزياس مع اليوت ، كما كان يقول فرجيل لدانتى عند النهاية ...

... وجلست على الشاطىء
ثم القيت شباكى وخلفى الساحل القاحل ...
ترى هل فى وسعى أن أبعث قدرا من النظام فى هذه الارض ؟ !!
لقد تداعت قنطرة « لندن » ثم هوت وسقطت
اما هو ... فقد القى بنفسه
وسط النيران التى تطهر النفس ..
اوه .. ايها العصفور ....
متى اصير مثلك ......
اعطوا بسخاء ...
كونوا رحماء ...
واكبحوا جماح نفوسكم ..
واسموا نحو السلام ...
السلام الذى يفوق العقل ...
السلام الذى يفوق الادراك ..
السلام الذى لا يحد

كان الراعى الصالح قد فشل فى تحرير وتطهير الارض الخراب من عذاباتها ، وبعث الحياة فى جنباتها .. فعرج الى الشاطىء ليصطاد سمكا .. بينما كان الجسر قد هوى ، ثم سقط الى الحضيض كرمز لضياع المدنية الاوروبية ، تلك التى شيدت على صروح مادية ، نخرها سوس الضياع .. واذن فلا نجاة لاوروبا:الارض الخراب،الا بالرجوع الصحيح الى نور المثل العليا ، ولا بد من التطهر عبر الاحتراق فى نيران الندم والتوبة ..

ان هذا الذى يقوله اليوت ، هو،هو ما يهتف به « دانتى » على لسان صاحبه « دانيال » فى نهايات المطهر ....

...من اجل هذا الصلاح
الصلاح الذى يقودك الى أعلى درجات السلم
ارجو ان تذكر آلامى فى الوقت المناسب

... ثم غاص مرة اخرى فى النيران
النيران التى تطهر الجميع ..

ويعود « اليوت » كما عاد دانتى من رحلة الجحيم الى المطهر ... يعود « اليوت » من رحلة الارض الخراب ، الى نسمات وضيئة ندية .. حتى ان الريح التى كانت تعيث فسادا فى الارض الخراب، عادت مع « رماد الاربعاء » الى نسمات هادئات ناعمات من نسيمات الخلود ..

... من هنا اخذت العظام تغنى
وهى تستقبل عبير المياة الاخرى
من جنة الله ....
وتقول فيما تقول ....
انها نهاية لا آخر لها ....
انها رحلة بلا نهاية ....
ختام كل ما ليستدله حاتمة
حديث بلا كلمة
وكلمة بلا حديث ....

اليوت فى رباعياته

فاذا وصلنا فى النهاية مع اليوت الى رباعياته ، وجدنا انها تمثل المرحلة الاخيرة من النضج الفكرى والصوفى معا .. انه يطوف بنا فى عوالم من التصوف الهندى،الى التامل الفلسفى الاغريقى .. ومن معتقدات اوروبا المتدينة الى الفلسفات الحديثة ..

فى بداية الرباعيات يتحدث عن الزمن فيذكرنا بفلسفة «اوغسطين» حين يقول فى اعترافاته الخالدة:
ان الماضى هو الحاضر بالتذكر ، والمستقبل هو الحاضر ايضا بالتطلع والتوقع ..

يقول اليوت ...
الزمان الحاضر والزمان الماضى ..
كلاهما قائم موجود حى ..
فى الزمان المستقبل ..
كما ان المستقبل
يضمه الزمان الماضى ..

وهناك عند مشارق الجنان الخالدات يعبر بنا الطريق الى عالم الخلود حيث يؤكد لنا « اليوت » انه يعرف ـ من قبل ـ هذا المكان قبل ان يترك حجب المادة او الجسد ، لانه عاشه ورآه فى معارج روحه الصوفية المشرقة ، تلك التى ارتفعت عن موطىء اقدام الواقع الارضى الدنيوى ..

ان وقع الاقدام يتردد فى مخيلتى
وقد اتجهنا الى ذلك الممر الذى لم نعهده من قبل ..
لكننا عرفناه ....
هناك هناك عند الباب الذى لم يسبق لنا
... أن طرقناه ...

واذن فلا حل لنا ، اذا عدنا من رحلة النقاء والطهارة ، الى أرض الواقع ، الا بالتشبث المطلق ، بالنور الازلى الممتد فى اعماقنا ، نحو الشجرة الالهية ، والينبوع الروحانى ، ولا حل الا بالعمل الدائب لخدمة الانسان فى كل مكان وزمان ، سعيا منا ـ (كما يقول اليوت ودانتى) ـ الى تحقيق الغاية العليا من حياتنا ووجودنا . ان اليوت ودانتى هنا ، وغيرهم ممن عاشوا فكرتهم فى مختلف الدوائر الصوفية او الفلسفية ، يذكروننا بزرادشت القديم الجديد ، فى رحلاته عبر الفكر الانسانى،مع امثال نيتشه والسوبرمان، ومع رحلة « النبى » المصطفى ، مع جبران خليل جبران .

يقول « اليوت » ...
ان المحبة قلما تتغير ...
طالما انه لا يعنينا الان هذا المكان وحاضره ...
وعلى الشيوخ ان يواصلوا كشوفهم ...
فهنا وهناك أصبحت أمور عديمة الجدوى ..
وعلينا ان تواصل جهادنا ....
نحو صراع آخر ..
من أجل وحدة كبرى
وصلة اكثر عمقا
من خلال الزمهرير القاتم والدمار الفارغ ...
ها هى الموجة تنادى .
والرياح تصيح ...
ان بدايتى فى منتهاى ...

عبد القادر محمود

سحابة العين هل يمكن ازالتها ؟

● انا فتاة عمري حوالى ١٨ سنة ، مصابة بسحابة بيضاء كبيرة على احدى عيني منذ الصغر ، فما العلاج ؟

ـ اذا كان نظر هذه العين ضعيفا جدا ، وهو ما ارجحه ، فان الغاية من العلاج تكون تجميل المنظر فقط ، وهذا يتأتى باحدى الوسائل التالية :

١ ـ لبس عدسة لاصقة ملونة بلون قزحية العين الاخرى ، وفى وسطها سواد يمثل انسان العين ٠

او ٢ ـ صبغ السحابة باللون المناسب بواسطة الطبيب الاخصائى ٠

او ٣ ـ عمل عملية ترقيع القرنية حيث يرفع المكان المصاب ، ويوضع مكانه جزء من قرنية سليمة ٠

واختيار العلاج المناسب يتوقف على رأى الطبيب الاخصائى وموافقتك طبعا ، لذا يرجى استشارته بعد عمل الفحص اللازم ٠ وبدون التدخل فى الرأى النهائى احب ان اوضح ان العدسة اللاصقة الملونة هى اسهل الحلول الثلاث بشرط توفرها والقدرة على تحملها بالعين ، اما صبغ السحابة باللون المناسب فيأتى فى المرتبة الثانية ، ويليه عملية ترقيع القرنية مع ملاحظة ان عملية الترقيع قد يلزم اجراؤها اكثر من مرة ٠

هذه الاجابة مبنية على افتراض ان السحابة التى تسبب التشوه تصيب القرنية ، ولكن توجد حالات اخرى تكون فيها القرنية سليمة وتكون العتامة البيضاء نتيجة حدوث ساد مضاعف بعدسة العين ، وبالطبع هذه لا تسمى سحابة ، ولكن لعدم الخطأ فى التشخيص يرجى عرض نفسك على طبيب اخصائى ، والذى قد ينصح بعملية جراحة لاستخراج الساد او لبس عدسة لاصقة ملونة كما ذكرنا عاليه ٠

طبيب الأسرة

اشعة الشمس قد تؤذى العـــين

● **هل التطلع الى الشمس يؤذى العين ؟**

ـ ان سطح الشمس ساطع لدرجة ان العين المجردة لا يمكن ان تتطلع اليها الا لفترة وجيزة جدا فى اثناء النهار ، ولكن طبعا يمكن التطلع اليها عند الغروب وعادة لا يسبب هذا اى ضرر للعين ٠

ولكن فى حالات كسوف الشمس ـ حينما يكون القمر بين الأرض والشمس ـ فان الاشعاعات الشمسية شديدة الوهج تسبب حروقا بالشبكية اذا نظرنا اليها بالعـين المجردة ، والسبب فى ذلك هو ان انسان العين يكون متسعا لحدوث الظلام « نتيجـة الكسوف الشمسى » وقبل ان تضيق الحدقة « لانسان العين » عند التطلع الى الهالة الشمسية من حول الكسوف تدخل كميـة كبيرة من الاشعاعات الى داخل العين وتركزها القرنية وعدسة العين على الشبكية فتحدث بها حرقا شديدا ، فى البقعة الصفراء ينشأ عنه ضعف شديد فى قوة الابصار ٠ وسبب الحروق هو الاشعة تحت الحمراء المكثفة التى تصاحب حالة الكسوف الشمسى ٠

ويمكن للشمس ان تؤذى العينين مؤقتا بطريقة اخرى وهى اصابة العينين بالتهاب بالقرنية والملتحمة نتيجة التعرض الشديد للأشعة تحت البنفسجية كما هو الحال فى البلاد التى يتساقط فيها الجليد فى الشتاء ، هذه الأشعة تنعكس من على سطح الجليد الى العينين وتسبب تهيجا بطبقة البشرة بالملتحمة والقرنية مـع تقرحـات صغيرة مصحوبة بألم شديد ، وعدم القدرة عـلى مواجهة الضوء ٠

وهذه الحالة مؤقتة ولا تترك آثارا ضارة وتشفى بسرعة حتى بدون علاج ٠

أسباب الشخير أثناء النوم

● **تشكو زوجتى من شخير يصدر عنى اثناء النوم ٠٠ فما سبب هـذا الشخير ٠٠ وكيف استطيع التخلص منه ؟**

ـ ان للشخير أسبابا عدة ، وهى التى تؤدى الى احتقان وتورم الغشاء المخاطى للأنف ٠٠ وربما لا يتضح ذلك من اول فحص للأنف ٠ وفى هذه الحالة ، فان كثرة التردد على الطبيب يجعل فرصة ملاحظة هـذا الاحتقـان اكثر ٠٠ ويرجع هـذا الاحتقان والتورم الى الحساسية من الاشياء التى تسـرى فى الهـواء ، ويستنشقهـا الانسان مثل الريش الموجود فى الوسائد ، او الاتربة الموجودة فى غرف النوم ، وبعض انواع الاطعمـة مثل البيضـ واللبـن ، والمشروبات الكحولية والطماطم وغيرها ، وكذلك يحدث نتيجة لتغير رطوبة الهواء ، كما هـو الحال فى الامـاكن التى تدفأ مركزيا ٠٠ وكذلـك السـيارات المكيفة الهواء ، مما يؤدى الى توسع فى شرايين الانف ، فيساعد هذا على احتقانها اثناء الليل ٠٠

وهناك اسباب ، ولو انها قليلة ، الا انها يجب ان تكون فى الحسبان ، مثـل أمراض الغدد الصماء ٠٠ وكسل الغـدة

الفطريـات

● **انا ربة بيت اشكو من حدوث تورم وتسلخ فى اصابع يدى ، خصوصا بعد قيامى بعملية غسل الثياب ٠ فما سبب ذلك ؟**

ـ لو تركنا قطعة من الخبز فى مكان رطب بضعة ايام لانتشرت عليها بقـع بيضاء نسميها بالعفن ٠ ولو اخذنا قطعة صغيرة من هذا العفن وفحصناها تحت المجهر (الميكروسكوب) لوجدناها عبارة عـن كائنات حية ٠ ولو انها لا تتحرك ظاهريا ، تشبه فى شكلها فروع الاشجار المتفرعـة المتشابكة ولكنها بدون اوراق او ازهار او

الدرقية،ومرض النقرس مع ارتفاع املاح حامض البوليك ·· والسمنة المفرطة ·

وتتحسن الحالة باكتشاف السبب وعلاجه ·· ومن الملاحظ ان الحالة تتحسن مع فقدان الوزن فى السمنة المفرطة ، والاقلال من التدخين والمشروبات الروحية او الامتناع عنها ·· والنوم فى وضع لا يساعد على الشخير · وان يربط الفك الاسفل من تحت الذقن الى الرأس ، او تستعمل مواد لاغلاق الفم،وعلاج فتحات الانف الضيقة ، وسبب ضيقها ، وعلاج التهاب الجيوب الانفية ، او اللحميات او التورمات الموجودة داخل الانف ·

اصابتها للجلد

جذور ، كما وانها خالية من مادة اليخضور (الكلوروفيل) الذى يوجد فى كل نبات · هذه هى ما نسميها الفطريات Fungi والجمع Fungus .

هذه الفطريات كثيرة : منها ما يعيش على النبات ، ومنها ما يوجد فى التربة ومنها ما هو عالق بالهواء ، واخيرا — منها ما يتغذى على جلد الانسان وهذا هو ما يعنينا فى هذا المجال · من هذه الفطريات — ما يتغذى على الجلد الرطب المهترىء كالذى يوجد بين الاصابع فى القدمين واحيانا اليدين واظافر واطراف الاصابع محدثا بالقدمين تسلخات وطبقات بيضاء لينة ، واحيانا حكة وقروح · وهذا ما يسمى بالقدم الرياضى نظرا لان الرياضيين يرتدون النعال المطاطة التى تمنع تسرب العرق كما ان العرق الكثير مع ارتفاع درجة الحرارة بالقدمين يحدث اهتراء الجلد الذى يتغذى عليه الفطر · وباطراف الاصابع ، وخاصة من تكثر من استعمال الماء والصابون — كما يحدث مع بعض ربات البيوت ومن يعملون فى الغسيل والتنظيف ، وينتج عن ذلك تورم اطراف بعض الاصابع والتهابها · ومن الفطريات ما يهاجم الجلد السليم محدثا انواعا واشكالا من الاصابات ·· اضرب لها مثلا لنوعين شائعين: النوع الذى يسمى بالقوباء Tinea Circinata . وهو يظهر على شكل حلقات ودوائر حمراء اللون (الفطر الحلقى) · والنوع الذى يظهر على شكل بقع مختلفة الالوان منها ما هو داكن او بنى او يميل الى الاحمرار او يميل الى اللون الابيض ، كلها فى نفس الشخص ونفس الجلد ، ومن هنا جاء الاسم ،الفطر المبرقش Tinea Versicolour ومن الفطريات مايصيب الجلد والشعر بالرأس محدثا ما نعرفه باسم السعف او القراع (Tinea Capitis)حيث يحدث بقعا مغطاة بقشور، سقط منها الشعر ، وذلك عادة يصيب الاطفال فى معظم أنواعه ما عدا القراع الجبلى Faevus الذى قد يصيب الكبار ايضا ·

ولا يفوتنى ان اذكر ان من الفطريات ما هو نافع ومفيد للانسان ، فالخبز الذى ناكله لا يصنع بدون خميرة ، وهى بدورها عبارة عن فطور · وفى الامعاء تعيش انواع الفطريات المفيدة التى تنتج لنا فيتامين ب المركب الضرورى للجسم ، كما أن من أروع الامثلة فى هذا المجال ذلك الفطر المسمى بالبنسيليوم (Penicillium) الذى يفرز مادة البنسلين (Penicillin) والتى طالما انقذت حياة الوف المرضى بأخطر الامراض ·

■ كان عام تسع واربعين وثمانمائة بعد الالف عاما اسود قاتما ·· ففيه مات عمى محمد بيومى افندى ، كبير اساتذة الرياضيات فى مدرسة المهندسخانة ، بعيدا عنا فى السودان بعد ان ابعده الى هناك والى مصر ، عباس باشا الأول ، مع رهط من كبار العلماء حتى يتخلص منهم ·· وفيه ايضا اصبحت ذات يوم واذا الشر ياخذنا دون رحمة او هوادة فقد اقفلت ابواب مدرستى الابتدائية شانها شان باقى المدارس من ابتدائية وثانوية وعالية ·

لم يخترنى الوالى مع من انتقاهم من تلاميذ المدارس التى الغاها وادخلهم مدرسة المفروزة التى انشاها فى ذلك العام وهو يردد مزهوا انه اسماها كذلك اشارة الى انه افرز تلاميذها من بين طلبة المدارس ·

حفيت ارجلى بحثا عن عمل اقيم به اودى بعد ان فقدنا عمى ·· العائل الوحيد الذى كفلنا بعد وفاة والدى ··

مر شهران ·· ونفد كل ماتبقى لنا من نقود·· فبعت ساعتى، التى ورثتها عن والدى، لاحد اليهود·· ولم يستطع الثمن الذى دفعه ان يمسك رمقنا الا بضعة ايام ·· اضطررت بعدها الى اطلاع صاحب المنزل ، الذى اقطن احدى شققه مع والدتى وشقيقى الاصغر ، على موقفنا الحرج ، وما نعيش فيه من ضنك وضيق ، نتجرع الشقاء والبؤس والعذاب غصصا ··

سادنا صمت قاتل حين اخذ الرجل يذرع الحجرة فى بطء وتثاقل والاسى باد على وجهه ، واستغرق فى تفكير طويل قبل ان يسالنى :

ـ اذا لم تكن تخشى الوحدة والحياة الرتيبة التى تبعث على السام والملل ، والعمل الذى يحتاج الى دقة متناهية ·· يمكنك ان تحصل على وظيفة مساعد لحارس الفنار بدلا من المساعد القديم الذى بلغنى انه ترك وظيفته اليوم ·

فانفرجت اساريرى وتهلل محياى وقلت على الفور :

ـ اننى لا اعرف كيف اشكرك··ان هذه الوظيفة لا اتمنى خيرا منها ·

وسرحت بناظرى الى آفاق بعيدة وقلت لنفسى : « أكل ومرعى وقلة صنعة ! » ·· حياة سهلة هنية ·· ومال فى اليد ·· ان هذا كل مايحتاج اليه المرء ليحصل على السعادة ·· ومع ذلك فساحتاط لما قد عساه ان يصيبنى من ملل باخذ مزمارى معى ·

وفى اليوم التالى ركبت قاربا ووصلنا الى الفنار بعد مدة ·· واسرع الرجال ينقلون مختلف انواع المؤن الى البرج ·· وقبل ان تنقضى نصف ساعة كان قارب الفنار يقفل راجعا الى الاسكندرية · ومن ثم شرعت اتفقد مقرى الجديد·

كان زميلى يعلو وجهه غبار السنين··تبدو عليه سيماء الوقار ، وتطل من عينيه الصرامة والشدة · لقد صحبنى لاتعرف على كل جزء من الفنار شارحا لى تركيب المصباح وواجباتى المختلفة · واخذ يعلمنى كيفية اشعال ضوء الامان وضبطه · ثم تركته وهبطت الى غرفة نومى · كان عليه ان يقوم بنوبة الحراسة والمراقبة فى اثناء النصف الاول من الليل ، وانا فى النصف الثانى ·

لقد بدات اشعر بالوحدة فدارت عيناى تنظران الى ما حولهما لعلنى اجد شيئا يشغلنى ، فوقع

وقال الرجل :

ـ لقد ارسلت الاشارة المتفق عليها لاستدعاء قارب الفنار ، وسأكتب لرؤسائنا .. انه واجبى لاحذرهم من انك لن تكون سندا امينا لى .

فامتلأت نفسى رضا ، وامتلأ قلبى سعادة ...

ناظرى على مكتبة زميلى الصغيرة .. فامتدت يدى الى الكتب تقلبها والقيت نظرة عجلى عليها ..الاجزاء الاربعةمن كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالى .. تفسير النسفى .. تفسير الجلالين .. الكشاف للسيوطى .. الموطأ للامام مالك .. السيرة لابن هشام .. وبضع قصص عن الانبياء .. فاعدتها الى رفوفها لان القراءة للاسف لم تكن هواية لى ، فضلا عن ان ما نلته من قسط ضئيل من التعليم يجعلنى دون مستوى هذه الكتب . اما هو فقد كان احسن حظا منى اذ سبق ان اجابنى

ردا عن سؤالى انه درس فى الازهر ، قلعة المسلمين المنيعة ، التى لم يجرؤ اعتى الولاة ان يغلق ابوابها ..

ثم لمحت تلسكوبين معلقين فتناولتهما وقمت بتنظيفهما بهمة ونشاط لا لان حالتهما تستدعى ذلك ولكن العملية استغرقت منى بضع دقائق سارة .. هبطت بعدها الى الحجرة التى تحفظ فيها المؤن رغم عدم احساسى بالجوع . تناولت قطعة من الجبن القديم وسمكة مملحة بشهية ، ثم اشعلت سيجارة ورحت ادخن فى نهم . وعندما عدت الى زميلى العجوز وجدته يقرأ قصة شهيد كربلاء .. وسرعان ما وضع الكتاب جانبا بعد ان وضع نظارته كعلامة للصفحة التى وقف عندها .

جلست بجانبه وابتدرته قائلا :

الا تشعر فى هذا الفنار ، الذى يقف كئيبا موحشا فوق الصخور ، بانك داخل سجن شيدت اسواره من مياه غاضبة ، وامواج ثائرة .

فاجابني :

ـ نعم .. ان المرء هنا يعاني احيانا من الوحدة القاسية ، ولكنني كتب علي ان اعيش وحيدا في هذه الحياة ، فانا مقطوع من شجرة لا ولد لي ولا اقارب. بيد انني اضرع الى الله بين الفينة والفينة ان يجنبني اليأس ويعصمني من القنوط ، فانه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

وواصل الرجل الحديث قائلا :

ـ وانني لا املك نفسي ان اتلو قول الله عز وجل: « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وانثنى ينصحني بقوله :

ـ وخير الناس انفعهم ...

فقاطعته قائلا :

ـ نعم .. انني اعلم ياحاج عبد الصمد .

فقد خشيت ان يلقي على خطبة طويلة يعظني فيها ، ثم عدت اؤكد له قائلا :

ـ نعم هذا صحيح .. هذا هو الحق .. انه عين الصواب .

فقال وهو يحدجني بنظرة فاحصة :

ـ ان الانسان يشعر بالسعادة والرضا اذا كان مايذكره من آيات الله البينات واحاديث رسوله نابعا من قلب مفعم بالايمان .

وبعد ان القى الي بعدة ملاحظات عن المصباح ، والمرايا العاكسة ، وواجباتي ، تركني وانصرف.

قضيت الساعات الاولى من نوبة حراستي وانا افكر في وضعي الحالي . ثم احسست بقلق غامض فشرعت اهبط الى اسفل لاحضر مزماري ، ولاعد بعضا من الفقاع بتخمير بعض الخبز الجاف . انه شراب استمتع به، ويسر ناظري لما يعلوه من الزبد والفقاعات . وقد صدر صوت ضئيل عفوا عندما مررت بالقرب من حجرة العجوز فاذا به يهب من نومه فزعا جزعا ، وقال في ذعر :

ـ ماذا دهاك ؟!

فاجبته :

ـ لاتزعج نفسك .

ثم اردفت قائلا :

ـ انني نسيت مزماري .

فقال في استنكار شديد :

ماذا ؟! .. أتترك المصباح من اجل شيء تافه كهذا ؟!

وما ان فاه بهذه الكلمات حتى اندفع يصعد السلم وهو يسرع الخطا .

حينما فرغت من تخمير الخبز الجاف ، التقطت مزماري وصعدت في اثر الرجل وانا اضحك ملء شدقي مما انتابه من رعب وفزع كأنه مجنون قد فقد الرشد وضاع منه الصواب .

قلت له : تعال .. تعال ..

ثم اردفت قائلا : لا تحدجني بنظرة تأنيب وعتاب هكذا .. هون عليك . لقد بلغ منك الاعياء مبلغا ، فعد الى فراشك ، ولن اتخلى عن موقعي مرة اخرى .

نظر اليّ في ارتياب ثم سألني في لهجة تفيض بالغم والعذاب والألم .. تلك التي كثيرا مادفعتني الى الضحك ..

ـ اويمكنني ان اعتمد عليك ؟

فاجبته :

ـ نعم .. فانا لا اطمع في غير هذا .

وعاد الى قمرته .. غير انه في اليوم التالي بينما كنا نتناول طعام الافطار وجه الي ما كنت انتظره من لوم وتعنيف ..

ـ ألا فلتسمعني ايها الشاب .. اياك ان ترتكب نفس الغلطة مرة اخرى .. فنحن لا عمل لنا هنا الا مراقبة المصباح . واذا ترتب على اهمالنا ان تحطمت احدى السفن فوق الصخور التي تحيط بنا ، فسوف نكون مسئولين عن موت الضحايا .. سوف نكون قاتليهم !

ثم حك جبينه كأنما يزن ألفاظه وقال :

ـ لا تحاول ان تبرر فعلتك .. فانت تعلم انك اخطأت . وثق انني اذا اعتقدت .. ولكن لا .. ان ما حدث كان سهوا من جانبك .. وآمل ألا يتكرر مرة اخرى بأي حال من الاحوال .. ولننس الآن هفوتك هذه ..

لم تترك هذه الكلمات اثرا في نفسي رغم انني احسست في نظرات عينيه ولهجته ما روعني . كنت متعرف المزاج فتركت الرجل وتناولت قدرا من شراب الفقاع .. وما ان اكتشف زميلي ذلك حتى صاح مرتاعا ملتاعا :

ـ ان ما فعلته رجس من عمل الشيطان ..

وأسرع يجمع الاواني كلها ، وهي قليلة ، ووضعها داخل الصوان الوحيد ، واغلقه بالمفتاح، وقال في غضب :

ـ حتى لا تجد بعد اليوم اناء تخمر فيه الخبز !

فرجوته في ادب ان يعطيني المفتاح ..

ـ كلا ايها الشاب .. لن تحصل عليه .. انك لا تعرف الحدود التي يجب أن تقف عندها .

اثار سخطي بهذه الكلمات فحاولت ان اختطف المفتاح منه ، ولكنه في سرعة البرق ، وقبل أن اتمكن من منعه ، القى بالمفتاح الى المياه الغاضبة أسفل الفنار .

ـ الانك اصغر سنا واقوى مني كنت تريد استعمال القوة ! .. لقد ذهب .. ذهب الى غير رجعة .

شعرت بمرارة وغيظ وعزمت ألا احادث هذا العجوز . وبدأت السأمة والملل تغزوان روحي . طفقت أبحث عما يفرج همي ، وينفس كربتي . ليس أمامي الا القراءة أو النفخ في مزماري . تصفحت بعض الكتب في مكتبة زميلي ولكن دون جدوى . كانت عيناي تطالعان الحروف المطبوعة .. بينما أفكاري تسبح في مكان آخر .. وها هي ذي الالحان تتصاعد من مزماري رتيبة موحشة .. فغمرني اليأس والقنوط . لم استطع ان اكتشف اية وسيلة لانجو من تقوقعي داخل نفسي .. لقد بدأت ادرك ما تعانيه الحيوانات الحبيسة من تململ وقلق واثارة مستمرة .. كنت احيانا ابكي بحرقة كما لو كنت طفلا ، ويفيض دمع غزير غير منقطع ، دون ان يخفف ذلك عني . كان كل يوم يبدو لنفسي التي طحنها الملل والضجر كأنه لن ينتهي ابدا . وعندما تسعى الشمس الى مغربها متباطئة ، وتقبل ظلمة الليل ، لا يضطرب بقلبي اي فرح ولو ضئيل ، فأنا أعلم ان السام القاتل سيحل بي عندما ياتي الصباح . الليل .. النهار .. الظهيرة .. كل منها اتلهف عليه .. وفي نفس الوقت القاه عند قدومه دون ان احفل به . لقد مرضت روحي وتمردت نفسي ضد الحياة الرتيبة التي تمضي على وتيرة واحدة . اني مللت الوحدة وسئمت العزلة . الحمى الخفيفة تتوقد في دمي . وتقدح في احشائي ، وقد تشنجت اطرافي ، وتوترت حواسي . وفي بعض الاحيان اعتقد انني اكاد احن . انني اعيش في حلم دائم رهيب .. لا شك في أني لم استيقظ منه ابدا . ولكنها هي ذي الايام تزحف ، واحدا اثر الاخر ، والحلم المفعم لا ينقضي .. وامصيبتاه ! .. واغوثاه !.. أما من نهاية له ؟!

في تلك الايام المفعمة بالحزن .. الحافلة بالآلام .. كنت اجد ملاذا في النوم . وعندما يحين دوري في المراقبة ، كنت كثيرا ما اتمدد على الارض بجوار المصباح ولا البث ان اروح في سبات عميق ، والفانوس يشتعل فيه اللهب كاحسن ما يكون الاشتعال . وقد ادى هذا الاهمال الاجرامي الى مشاجرة ثانية بيني وبين الرجل العجوز .

وذات ليلة ، ولما يمض على تسلمي الحراسة غير برهة ، صعد زميلي الى موقعي ، واكتشف انني اغط في نوم عميق . وعندما تنبهت من هجعتي وجدته يجلس بجواري في هدوء ، وقد أمسك مصحفا راح يقرأ فيه ، واكتفى بان قال لي :

ـ عليك بالنزول الى قمرتك اذا كان ذلك يروقك .

وما ان سمعت كلماته هذه حتى انسللت هابطا الى اسفل .

وما كاد يبصرني في الغد حتى قال لي :

ـ اذاك انت ؟ .. الا تخجل من انني ضبطتك نائما ؟! .. وانك لم تقم بواجبك المقدس ؟

ثم اردف وهو يضرب كفا بكف :

ـ انني اعجب لعدم ادراكك عظم الامانة التي تحملها في عنقك .

فقلت له :

ـ ان نومي خفيف ، واصحو على دبيب اية نملة . ولا شك انني ساستيقظ لابسط خلل في الفانوس .

فصاح العجوز في غضب :

ـ كيف ؟! .. اتحاول ان تبرر سلوكك ؟! .. لنفرض ان النار قد امسكت بالمصباح ! وقد حدثت هذه الكارثة فعلا مرة .

فقلت له بلا اكتراث :

ـ ماذا .. ! .. أتظن انك تخيفني بحكاياتك هذه ! .. انها لن تمنعني من اغلاق عيني عندما اشعر برغبة في ذلك .. انه تصرف لن يؤذي احدا .

وقف الرجل ساكنا برهة طويلة يتنفس تنفسا ثقيلا ويزر اجفانه ، وينظر الي شذرا كالمستهزىء ثم حول بصره عني . ولم يلبث ان تناول كتاب التخاطب بالاشارات واخذ يقلب بعض صفحاته ، ثم صعد الى اعلى الفنار . وسرعان ما عاد ووضع على المنضدة حبرا وبعض الاقلام والاوراق ، وقال لي بوجه عابس مكفهر :

ـ لقد ارسلت الاشارة المتفق عليها لاستدعاء قارب الفنار ، وساكتب لرؤسائنا .. انه واجبي .. لاحذرهم من انك لن تكون سندا امينا لي .

فامتلأت نفسي رضا ، وامتلأ قلبي سعادة ، واتسعت الابتسامة التي ارتسمت على فمي وانا

اندفع لاقول له في ابتهاج واغتباط :
ـ انك تحسن صنعا ..
لقد سررت في الواقع ان الامور قد اخذت هذا الوجه ، وابهجني ان يلوح لي الامل في مغادرة هذا السجن المرعب ، غير ان زئير الامواج ، وصرير الريح الذي اخذ يزداد هولا وشناعة ، جعلني اخشى ان يتعذر على القارب الدنو منا .
وقلت للرجل :
ـ فلتحتفظ برسالتك حتى تخف حدة الامواج ، وتتناقص شدة الرياح ، اذ لا يمكن لاى قارب ان يقترب منا الآن .
فاجابني بالتضاب وهو يتململ في مقعده كانه على شوك ..
ـ سوف نرى .
وما كاد يتفوه بهاتين الكلمتين حتى لف الرسالة على هيئة اسطوانة ، وادخلها في جوف قارورة احكم اغلاقها بسداد من الفلين ، وصب عليها شمعا منصهرا .
وعندما انتصف النهار لاح القارب من بعيد ، يشق الامواج الثائرة ويحاول الاقتراب من الفنار . وقد بعث زميلي الى البحارة برسالة ليستديروا في مواجهة الريح . وعندما استجابوا لذلك ، قذف بالقارورة في الامواج ، فطفت متجهة ناحيتهم . تنفست الصعداء ، فعما قليل سيجيء الفرج .
حقا ان الرياح تاتي بما لا تشتهي السفن .. فقد مرت ثلاثة ايام والقارب يحاول عبثا الوصول الى الفنار . وتولى العجوز نوبات المراقبة طوال الليالي .. فهيهات ان يثق بي مرة اخرى . انْ الامل في خلاصي قوّى من عزيمتي ، واستحوذت انانيتي على تفكيري، فشغلت بما اعانيه عن ملاحظة ان زميلي لا يكاد قده يستقيم من الضعف ، وبلغ منه الاعياء ، فهو قام بالحراسة وحده ليلة وراء ليلة ، فكلف نفسه فوق ما تطيق ، وحمل جسمه اكثر مما يحتمل .
استمرت العاصفة يومين آخرين . وفي المساء الثاني كنت نائما كعادتي ، وبعد بضع ساعات استيقظت فجاة على رنين جرس منبه ، فنهضت في الحال واسرعت اقفز درجات السلم صاعدا الى اعلى ، وقد ارتسمت ابتسامة على وجهي عندما طرات على ذهني فكرة ان حادثا قد وقع رغم انف العجوز وقيامه بالحراسة والمراقبة في حرص وحذر ودقة . ولكن المنظر الذي وقعت عليه عيناي غير مشاعري .

ان الحارس العجوز كان ممددا بطوله على الارض . لقد اصيب بمرض فجائي وبدا واهنا ضعيفا .. وما كاد يبصرني حتى قال والاسى باد على وجهه :
ـ آه أذاك انت ؟ .. ها قد اتيت اخيرا ! .. ان ما كنت اخشاه على وشك ان يحدث .. انني في طريقي الى العالم الآخر ايها الشاب . لقد انهكت قواى .. انني عانيت طويلا من قلق البال والبلبال ، وعصفت الهواجس بقلبي .. ترى ماذا عساه يحدث للفنار اذا بقيت فيه وحدك ؟
فصحت قائلا :
ـ لاتفكر في هذا الان .. ودعنا نهتم اولا بحالتك . ماذا استطيع ان اعمله من اجلك ؟ اى علاج ينفعك ؟ .. تكلم !.. انني رهن اشارتك .
فتمتم العجوز الذي بدأ يتكلم في بطء وتثاقل:
ـ لافائدة ترجى .. ادن مني واستمع الى . عندما ينبلج الصبح ، خذ كتاب الاشارات الذي احتفظ به هنا تحت المصحف ، وابعث لرؤسائنا ان القارب يجب ان يجيء .. لابد من مجيئه !
فاجبته :
نعم .. سافعل .. سافعل ..
بيد انني لم انتبه لكلماته جيدا ، فقد دب في نفسي الخوف من رؤيته وهو يموت ، وجردني ذلك من كل عقل .
ركعت بجانب العجوز وامسكت بيده .واحسرتاه! كانت باردة برودة الموت وقد كساها العرق .حاول ان يتفوه ببضع كلمات ، فطاطات براسي وانحنيت لالتقط مايقول ، فسمعته يتمتم في وضوح :
ـ اللهم اني مقبل على وجهك الكريم ، وقد قضيت العمر مقصرا في حقك ..
مرت لحظة صمت ، عاد بعدها يغمغم بصوت خافت :
ـ ولكن رحمتك وسعت كل شيء ، فاغفر لي وارحمني ياأرحم الراحمين .
واذا بوجهه يشرق ويتالق ، ويحاول ان ينهض الا ان قواه لم تسعفه وسقط على ظهره بعنف وسمعت همهمة خافتة ..
ـ الفانوس !.. الفانوس !..
وهكذا لفظ انفاسه الاخيرة .
اخذت اتفحصه في صمت ، واهزه في عنف واناديه ، واصرخ باسمه عاليا ، ولكنني لـ

اسمع سوى صدى صوتى • وفى النهاية استجمعت لبى ، وتجاسرت ورفعت راسه ، فبدت العينان زجاجيتين ، والشفتان متقلصتين •

ارتجفت اوصالي وانا اتطلع الى الوجه المتجهم العبوس ، والعينين اللتين تطل منهما نظرة متحجرة • لن انسى هذا المنظر ما حييت • نضح العرق البارد فوق جبينى،واندفعت فى فزع مبتعدا عن الفانوس ، وهبطت الى غرفتى ، وارتميت على فراشى وانا اتلوى كمن لدغته افعى • كان راسى يدور كالنحلة ، وشعرت باننى احمل وزر موت الرجل الطيب ، وبدا عقلى مشوشا مضطربا،وخيل الى اننى اسمع همهمات تتهمنى ، وهمسات تعنفنى، واخذت نظرة الرجل العجوز الثابتة تلاحقنى دون ان تفارق مخيلتى ابدا •

لقد اعتقدت ان الليل الطويل لن ينجلى ،ولكننى رايت اخيرا نور الفجر ينبثق من وراء البحر • لقد هدنى الخوف والتعب ، فاستسلمت للكرى،وسرعان ما استغرقت فى اعماقه •

ان احلامى كانت سارة بهيجة ، واستيقظت هادىء النفس ، وقد ارتسمت ابتسامة فوق شفتى• ومن لم امتد النور طولا ، وانبسط عرضا ،ونسيت لفترة وجيزة الحدث الرهيب •• الا انه ومض فى ذهنى على حين غرة ، وانقض على ذاكرتى انقضاض الصاعقة ، فسقطت فى فراشى كانما تلقيت ضربة عاتية • اننى افهم الآن هول موقفى• ان ما كنت اعانيه قبل ذلك من الوحدة لا يقاس الان بما حل بى • كان معى على الاقل مخلوق بشرى بالقرب منى ، ورغم ان علاقتى مع الرجل العجوز كانت واهية ، الا اننى كنت اشعر بما يؤنس وحشتى • واننى الآن على النقيض وحيد تماما ، لا يشاركنى فى الفنار كله سوى الموت •

وهانذا احاول ان انفذ وصايا العجوز الاخيرة • صعدت السلم لارسال اشارات بعد ان انتقيت من الكتاب ما اريده منها ، ولكننى توقفت متسمرا مكانى • كان من المستحيل ان اقترب من الفانوس، واحملق ثانيا فى الجسد المسجى الذى لا شك قد تطرق اليه العفن •• وتلك العينين المنحوستين • طرات على ذهنى فكرة •• ان اجذب الجثة والقى بها فى البحر ، غير اننى عدلت عن ذلك •• فالرجل الميت اذا لم تقع عليه عين شاهد عيان قبل ان اطوح به الى الامواج فسوف اتهم بقتله ، وهذا هو الارجح ، فرسالته تدل على اننا لم تكن على وئام • اما من جهة الاشارة فقد رايت انها عديمة الجدوى فالرياح مازالت تزمجر ، والامواج الصاخبة تملا الجو ضجيجا وعجيجا ، ويستحيل على القارب ان يمضى فى البحر •

وهكذا انقضى النهار •• كان نهارا واحدا ولكنه بدا لى دهرا كاملا ، واقبلت ظلمة الليل فنشر ارديتها السود على كل شىء •• ولم اشعل الفانوس • كم كنت اتوق الى ان افعل ذلك فاننى اعلم ان هذا واجبى ، وحاولت ان اؤديه ، ولكننى اخفقت • كان من المستحيل على ان اعود الى جانب المصباح •

جثم الليل على البحر ثقيلا مرهقا • كانت ليلة لن انساها ابدا ولو عشت الف عام•لقد ارتج صدر الفضاء بصرخات الريح الحانقة ، بينما راح ضوء القمر يكافح مستميتا ليشق طريقه خلال السحب الكثيفة • فتحت احدى النوافذ ووقفت قبالتها لعل النسيم يبرد وجهى المحتقن بالدم •• ورحت اتابع بعينى المجهدتين الامواج وهى تعلو كالجبال الشامخات ، وتسقط فوق الصخور والشعاب فى هدير يصم الاذان ، ويملا النفوس هلعا ورعبا • طفقت اراقبها فى هدوء وبلامبالاة •• انه الركود يزحف على عقلى •• وفجاة انتفضت عندما لمحت ومضة من الضوء فى اتجاه الرياح • لقد اختفت وخيل الى اننى اخطات ، ولكن سرعان مالمحت الضوء ثانيا • دققت النظر فاذا بى اشاهد تتابع الضوء والظلام بضع مرات فايقنت انه ضوء سفينة تظهر وتختفى وهى صاعدة هابطة ممتطية ظهر الامواج • وما ان ادركت الحقيقة الرهيبة حتى تضرعت بلهف جنونى أن تبتعد بسرعة لتختفى وراء الافق البعيد حيث الامان •• ولكن واحسرتاه! •• ان السفينة البائسة تتجه مباشرة نحو الصخور! فاحسست بهاجس داخلى ينهش صدرى وارتفع صوت الاتهام من اعماق ضميرى انها غلطتى •• كلا ! •• بل جريمتى •• فلم اشعل المصباح ليحذر البحارة التعساء • لو لم يكن للاسكندرية فنارها المشهور لما اعتمدوا على ضوئه ، ولما ظنوا انفسهم بمناى عن الصخور القاتلة التى اصبحت بفضلى شركا مميتا بالنسبة اليهم !

قلت لنفسى •• هيا فلتتحرك ايها الفتى مهرولا الى المصباح لتوقده ، ولكننى تذكرت ان نصف ساعة لا تكفى لذلك •• اذ لا ريب انه ظل مشتعلا حتى فرغ الزيت منه فانطفا • ان ورائى عملا جادا

لا يستهان به لاصلح ما افسده اهمالي • نصف ساعة ! وانا اعلم انه في مدى بضعدقائق ستصطدم السفينة بالصخور •

اخذ الضوء يدنو بسرعة •• فكيف اصف احساسي وانا ارى السفينة تقترب من رمسها ! •• لقد نسيت كل احزاني وانا في قمة الالم من اجل الكارثة الجديدة الرهيبة التي ستقع • يبدو ان السفينة التعسة تمضي قدما نحو الصخور • صحت بكل قوتي ، ولكن صرخاتي تكفنت في صرخات الريح •

وفجاة شاهدت الضوء ينحرف ، وافرحتاه ! •• ها قد اكتشف البحارة الصخور ، وغيروا اتجاه الدفة • ولكن هيهات ! •• لقد سبق السيف العذل ، فقد جاء ذلك متاخرا ! •• فهانذا أسمع صوتا مروعا رغم العاصفة نجم عن اصطدام المركب وتحطمها فوق الصخور •• واختفى الضوء ومرت لحظة صمت وجيزة ، ثم علا صراخ البحارة واعلنت دقات المنبه الساعة التي حصد فيها الموت الرجال والنساء والاطفال وابتلعهم البحر ضمن ما طواه في قاعه من سلع وبضائع مع حطام السفينة نفسها •

اغلقت النافذة وارتميت على فراشي مكدودا محزونا ولم ألبث ان فقدت وعيي •• ولم اعد اتذكر الا انني صحوت والشمس تملأ الكون باشعتها • نهضت محاولا ان اتشدد وان اقاوم الذكريات المريرة لاحداث الليلة الماضية واهون من وقعها • انها مجرد سفينة فقدت ، مثل آلاف غيرها لا قت نفس المصير • ولكن تانيب الضمير بثقل يوما الر يوم • هانذا اسمع دويا هائلا دون انقطاع يكاد يصم آذاني •• انها كلمات حارس الفنار العجوز ••

ـ اذا ترتب على اهمالنا ان تحطمت احدى السفن فوق الصخور التي تحيط بنا ، فسوف نكون مسئولين عن موت الضحايا •• سوف نكون قاتليهم !

ان السر الذي عذب نفسي الآثمة حرمني النوم • ومع ذلك فقد احسست انني ساشعر ببعض العزاء ان اشركت معي غيري في حمله •• وهذا هو الذي حدا بي ان اكتب تلك السطور التعسة ، التي بللتها دموع الندم •• انه ندم ابدي •• فقد ندمت حيث لا ينفع الندم ••

لم يمض وقت طويل بعد ان تحطمت السفينة حتى خمدت العاصفة ، وهدا غضب الريح ، وهدات امواج البحر •• فاذا بقارب الفنار يغادر الميناء ، هبط اربعة رجال الى قاعدة الفنار وكان اول سؤال يوجهونه لي :

ـ اين الحاج عبد الصمد !

فرويت لهم قصة موته بالتفصيل وختمت حديثي قائلا :

ـ اذا لم اكن قد مسست جثته ، وابقيتها كما هي فهذا لا يرجع الى ما عانيته من خوف وفزع فحسب ، ولكن ايضا حتى لا اتهم بانني عجلت بنهايته •

فعلق الضابط على قصتي قائلا :

ـ لا ريب انك قد امضيت ليلة كئيبة موحشة عند الفانوس ، لتقوم بالحراسة والجثة بجوارك • لم يدر بخلدي قط انك كنت في مثل هذا الوضع التعس في الليلة الماضية عندما رأيت مصباح الفنار يرسل ضوءه وسط الظلمات •

ما هذا ؟! •• ايقول انه قد راى المصباح يرسل ضوءه ؟! •• لعله يسخر مني ؟! •• ترى الم يدر احد اذن بفقد السفينة ؟!

ولكن الحقيقة لم تكتشف ابدا • اى وهم عجيب هذا الذي جعل الضابط واثقا من رؤيته الضوء ، بل لقد اقسم على ذلك • لم يوجه الى احد تهمة الاهمال الذي بلغ حد الاجرام • لقد ثبت فيما بعد ان « الملك جورج » وهي سفينة انجليزية ، قد فقدت •• فقد عثروا قرب الشاطىء على صوار محطمة ، وبضعة الواح خشبية تحمل اسمها، ولكن لم يعرف انها تحطمت على الصخور القريبة من فنار الاسكندرية •

لقد حوكمت على عدم اطاعتي اوامر رئيس حرس الفنار •• غير انهم اخذوا في الاعتبار الليلة التي قضيتها مع جثته فترفقوا بي واكتفوا بحرماني من اجرى ، ونقلي للعمل فوق السفينة « محمد علي » وهي احدى السفن التجارية التابعة لحكومتنا • فدق قلبي في صدري بعنف ، واحسست كان الارض تميد بي وتترنح ، واطرقت برأسي ابها مسلما امرى الى الله ، قابلا قضاءه سائلا رضاه •

■■

غبريال وهبة
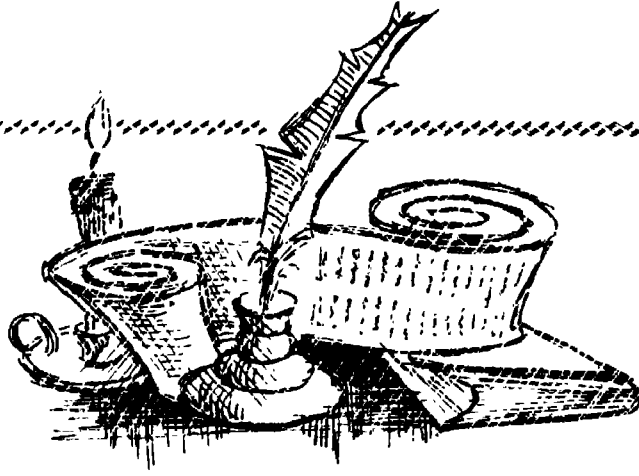
الشعر الخالد

■ الشعرُ يخشاه الضيا ع وينثني عن سلبه
فالحرف أخلد في الوجو د من الوجود ومَن به
وأخو الحروف مخلَّد في بعده أو قربه
إن راح يخفيه السحا ب فعيننا في صَوْبه
أو كان يَطويه الترا ب فعرَفْنا من تربه
أو بات يسجنه الطغا ة فكلنا في ذَنْبه
أو قام يصلبه البغا ة فبعثنا في صلبه

★ ★ ★

لا شيء يردى الحرف الا أن يبوء بكِذْبه
أما حليف الصدق فهو من الورى في قلبه
أهواه ، أعبده ، أهيم بمرِّه وبعذبه
حتّى إذا خالفته لا أنتهي عن حبه
أحميه ، أدفع دونه حتّى الغبارَ بثوبه ■■

القاهرة ــ محمد التهامي

فيليبس

نشرتكم الجميلة الملونة بعنوان
التي تشرح ميكانيكية الساعة وتدلني على
الى "الانكابلوك". اقطع هذا الكوبون وارسله
التالي : مركز استعلامات انكابلوك للشرق الاوسط
ص. ب ٢٧٨٢ ـ بيروت . لبنان
Incabloc®
انكابلوك يبين الفرق
قد تكون الساعات التي تحبونها ساعات
حقيقية ذات مخل وربما لا تكون ...
الا ان الساعاتي يعرف الفرق. و"انكابلوك"
يعرف ايضا ! ولهذا فان مضاد الصدمات
"انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات
الاصلية ذات مخل.
والساعة ذات مخل هي ساعة الرجل
الخبير. وهي ساعة يعتمد عليها.
ذلك هو الفرق !
ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته
شركة بورتسكاب ، لاشودي فون ، سويسرا وبورتسكاب فرنسا ، بيزانسون.

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن طاقة اندونيسيا لبلوغ مرتبة احدى أغنى البلدان في آسيا

هل باستطاعته ان يخبركم عما في باطن الارض الاندونيسية من كميات كبرى من خامات الحديد والنحاس والمنغنيز والنيكل تنتظر من يستثمرها ؟ أو أن يوضح لكم كيف يمكن لهذه الموارد المعدنية أن تسهم في التنمية الصناعية ؟ أو كيف يمكن لاحتياطي النفط الاندونيسي أن يؤثر في الاستثمارات العالمية ؟ أو عن آثار الثورة الزراعية ،

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه ان يشرح لكم كيف يمكن لاندونيسيا أن تتأثر بالتكامل الصناعي والتجاري على نطاق اقليمي ؟ أو ان يحدثكم عن تكامل الاسواق المالية ؟ أو ان يتكهن بالنتائج المترتبة على المنافسة اليابانية ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة . حتى ان اخصائيي التحليل لدينا عالنا ما يستبقون هذه الاحداث . انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها .

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في الشرق الاقصى - او في اي مكان آخر - فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولاً .

شبكة تشيس منهاتن في منطقة المحيط الهادئ

فروع في : اندونيسيا ، تايوان ، تايلاند ، سنغافوره ، غوام ، فيتنام ، كوريا ، ماليزيا ، الهند ، اليابان .

مؤسسات مشاركة :

استراليا - تشيس - ن ب أ. غروب ليمتد .

نيوزيلنده - تشيس - ن ب أ. نيوزيلند غروب ليمتد

ان لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي 1 Chase Manhattan Plaza New York N Y 10015 U S A

الفرع في البحرين : المنامة ص ب ٣٦٨

الفرع في لبنان : بيروت ص ب ٣٦٦٦

مصرف مشارك في دبي : بنك دبي التجاري المحدود

دبي ، اتحاد الامارات العربية

اجعل هذا اليوم يومًا خاصًا لشخص تعزه

قدم له ولاعة رونسون، فهي الهدية التي تقدم في كل وقت، في المناسبات العادية كأعياد الزواج أو الميلاد أو غيرها من الاعياد، وفي المناسبات الاستثنائية عندما تريد، مثلاً، ان تعبر عن شكرك لشخص عزيز عليك.

ولاشك في ان ولاعة رونسون هي خير ما يذكر بشخص محترم ومحبوب.

قدم اكثر من هدية ... قدم رونسون

To: The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Limited,
Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU, England

الاسم : ____________________

العنوان : ____________________

____

9182

بوم اي مرسييه

هل أنتِ نحيلة؟ كوني نشِطة جميلة القوام بسوبر ويت-أون!

سوبر ويت-أون هو الغذاء الإضافي الذي يمنح النحفاء من الرجال والنساء على السواء بعض السنتمترات والكيلوغرامات التي يحتاجون اليها.

سوبر ويت-أون يحتوي على أغذية لها طعم الفاكهة اللذيذ، بالإضافة الى الفيتامينات ب ١ وب ٢، ود ٣، التي تكسبك الحيوية وتمنحك القوة الحقيقية، فضلاً عن فيتامين ب ١٢ الذي يبني الدم في الجسم.

للنساء النحيلات سوبر ويت-أون يصنع المعجزات! سوف تحظين بالشكل الذي كنت تتمنينه دومًا. سوف تستدير أطرافك ويزهو جسدك بالحيوية والنضارة.

سوبر ويت-أون يملأ الفراغ بين كتفيك ويجعل صدرك بارزًا، ويكسب ذراعيك وساقيك ووركيك مزيدًا من التناسق والجمال.

للرجال النحلاء أيضا سوبر ويت-أون يصنع المعجزات! إن كنت نحيلاً ضعيف البنية فلا يبالي بك أحد، فإنك ستفقد ثقتك بنفسك. سوبر ويت-أون سيضفي عليك القوة والصحة، ويؤمّن لك الحيوية والنشاط.. أما الناشئون والأطفال، فإنه سيعود عليهم جميعًا بنفع مدهش!

سوپر ويت-أون

يصنع المعجزات للرجال والنساء والأطفال
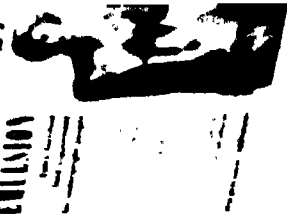
مِنَ المسرح العَالَمِيّ

وزارة الإعلام فى الكويت

أول سبتمبر ١٩٧٥

٧٢ / ٣

من الأعمال المختارة

يوجين يونسكو - ٣

المستأجر الجديد • اللوحة • الخرتيت

ترجمة وتقديم : حمادة ابراهيم

مراجعة : د. سيد عطية أبو النجا

لوحة لها قصة

« الكونتيسة هوسنفيل »

احدى لـوحات انجرى النادرة وهـى لمدام دى هوسنفيل D'haussonville ، فى وقفـة شبيهة بتلك التى رآها الفنان الكبير لتمثال « بوديسيتيا » Pudicitia الموجود فى متحف الفاتيكان ·· ولكن فن انجرى الحديث استطاع ان يطغى على التمثال الاثرى القديم · (اقرا ص ١١٩)

عزيزي القارئ

القضية العربية الكبرى

لقد سميتها القضية العربية الكبرى ، وهى قضية ما بين العرب واسرائيل ، لأن لدى العرب قضايا اخرى كثيرة تنتظر الحلول ، بعضها القصير المدى ، وبعضها الطويل ، وكلها له صلة وثيقة بالمصير •

● ان القضية العربية الاسرائيلية مرت فى الأشهر الماضية بحالة ركود ، متحرك • حركة ولا تقدم • اسهم القضية هى وحدها التى كانت تتحرك ، بين ارتفاع يكاد يصل بها الى المائة ، وانخفاض يكاد يصل بها الى الصفر ، حتى ليقول الناس ويقول الزعماء العرب انها الحرب قد وجبت •

● وبغتة أتت الأخبار من المصادر جميعا ان القضية قد قضى فيها باتفاق كل الأطراف ، وان الفجوات التى كانت تفرق بين الجانبين قد امتلأت ، ولم يبق الا التوفيق •

● هكذا قالت أمريكا ، وهكذا قالت اسرائيل ، وهلـّل آخرون •

● ومع هذا فانا ، ومعى كثيرون ، لن أفاجأ اذا استيقظت ذات صباح لأقرأ فى الصحف ان اسهم القضية قد هبطت مرة اخرى • ان الأسهم فى سوق الأوراق المالية لا تعانى من هذا الانخفاض وهذا الارتفاع المفاجىء ، لأنها سوق تحكمها ضوابط وروابط ، وغير ذلك سوق السياسة واسواقها • انها مسارح كمسارح العرائس ، تحركها خيوط ، تحركها ايدى رجال تقف وراء ستار • ولكل حركة هدف • ومن اهدافها الايحاء الى أهل الأرض بكل نية فى السلم صادقة ، كاذبة فى الواقع •

● ولكن يزيد ثقتنا فى هذه الأخبار المفاجئة لحل القضية ان الولايات المتحدة ستدفع ثمن هذا الحل لاسرائيل ، نحوا من ثلاثة بلايين من الدولارات ، عتاد حرب ومؤونة اقتصاد • ان اسرائيل تبيع سيناء بالثمن •

● على أن انسحاب الأعداء من سيناء ، من الممرات وحقول الزيت فيها ، كسب لو تم غير قليل • ولكن يجب ان نذكر انه كسب عسكرى لا سياسى ، وانه خطوة لا بد أن تتبعها خطوات ، فى سيناء وغير سيناء ، لا بد منها •

تاريخ ٢٠ ــ اغسطس ١٩٧٥

المحـــرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

انت تسال ونحن نجيب :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 203 OCTOBER 1975 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٦١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــــلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف :

● نجحت الصحافة الكويتية في النهوض برسالتها ، رغم انقضاء فترة قصيرة على مولدها ، وبدات الصحف تجد في بحثها عن النجوم الجديدة بين الشبان والفتيات الكويتيين ، واهتمت السيدة غنيمة المرزوق رئيسة تحرير مجلة اسرتي باصحاب المواهب الجديدة ، فانشات مدرسة في مؤسستها ، الهدف منها اعداد الفتاة لكي تصبح صحفية ناجحة ، وفي الصورة فتاتان كويتيتان تستمعان الى شرح مدير المطبعة لخطوات الطباعة · (انظر الاستطلاع ص ٣٦)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس ، العراق ١٢٠ فلسا · سوريا ١٠٠ قرش ، · لبنان ١٠٠ قرش · الاردن ١٠٠فلس · السعودية ريالان سعوديان · السودان ١٠ قروش · ج·م·ع ١٠ قروش · تونس ٢٠٠ مليم · الجزائر ديناران جزائريان · المغرب درهمان · اليمن ٢ر٥ ريال · ليبيا ١٥٠ درهما · جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ·

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت، وعنوانها : بيروت ـ ص · ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي · وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونغ ـ ص·ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب ·

بريد القرّاء
ومعرض آرائهم

وحدوا أسماء الشهادات الجامعية

● درجت جامعاتنا العربية على تسمية شهاداتها باسماء مختلفة ·· فالجامعات المصرية تسمي شهاداتها ليسانس آداب ، وبكالوريوس علوم ·· والجامعة الاردنيـة تطلق اسم « بكالوريوس على مختلف شهاداتها العلمية والادبية ·· اما جامعة دمشق فتسميها (الاجازة) ، وجامعة الازهر والجامعة الليبية تطلق عليها (عالمية) وهكذا ··

ان هذا الاختلاف في التسميات يؤدي الى لبس لا مبرر له ·· بالاضافة الى ما تحمله هذه الصورة من معنى الفرقة وعدم الاتفاق حتى في مجال تسمية الشهادات ··

فلماذا لا تقوم جامعاتنا العربية بتوحيد اسماء شهاداتها وتوحيد مناهجها ··

علي حمد العون
الصابري / ليبيا

مخطط اسرائيلي رهيب

● انـا عربي فلسطيني اعيش تحت قسوة الاحتلال الصهيوني البغيض ارى من واجبي ان انبه اخواني العرب الى ذلك المخطط الرهيب الذي تقوم به اسرائيل في فلسطين الآن ·· وهذا المخطط يرمي الى افراغ فلسطين من شعبها واهلها ·· وكدت انا ان اقع ضحية هذا المخطط عندما قررت السفر الى امريكا لاكمال تعليمي ، وقدمت طلبا للخروج ، ففوجئت بالسلطات الاسرائيلية تطلب مني ان اوقع تعهدا بعدم العودة الى بلدي في فلسطين ·· فلم ارضخ لهذا المطلب الغريب ·· وآثرت البقاء على الخروج ·· ارجو ان تنشروا صرختي هذه على صفحات « العربي » لافتضاح هذا المخطط .

سميح [illegible]
قد [illegible]

تهنئة شعرية

ومجلـة غـذت عقــول شـبابنـــا
بثقافـة كالنور يشرق في الظـلم
هي في الحقيقـة منهـل متدفـــق
قد زودت بعلومهـا كـل الامــم
ان شئت معرفـة وعلمـا يرتجـى
او شئت شعرا او طرائف او حكـم
فابحث عن « العربي » واقرأ ما بها
فكنوزهـا من خير ما عرف القلـم
والى بهـاك العبقريـة ادعنــت
لو كنت تقرأ ما بها منـذ القـدم
واذا حـلا بعض الشهور بغيـر مـا
ان تقتني « العربي » يعروك النـدم
ولـذا ، فاني بالتهـاني مرســل
لرئيس تحرير المجلـة ذي الكـرم
ولأسرة « العربي » ، فخر شبابنــا
ووزارة الاعـلام من اهـل الهـمم
فالله ارجـو ان يزيـد بهاءهــا
علمـا ومعرفـة يرفـرف كالعلــم
ويقيكـم الرحمـن شـر عوائـل
ويديم أمجـاد الكويت ، ومن حكـم

يوسف محمد سعيد
لبنان

اقتراح أرجو ان تنفذوه

● كنت اطالع العدد ١٧٤ من مجلة « العربى » الغراء ٠٠ وفى الصفحة الثانية اطلت على صورة للوحة عنوانها (الحرية تقود الجماهير) للفنان الفرنسى يوجين ديلاكروا ٠٠ عندها لمعت فى ذهنى فكرة هذا الاقتراح وهى جمع كافة صور اللوحات التى نشرها « العربى » فى صفحته الثانية ، مع نبذة مختصرة عن حياة رساميها ٠٠ فى كتاب خاص يباع مع « العربى » ، او يوزع مستقلا ، فتسهمون بذلك فى دفع الحركة الفنية فى وطننا العربى الكبير ٠٠

رياض ناجى على/العراق

« العربى » موجودة فى ليبيا

● جاء فى العدد (٢٠٠) من « العربى » وفىباب « بريد القراء » سؤال من قارىء يسال عن سبب عدم وجود « العربى » فىالمكتبات الليبية ٠٠واريد بكلمتى هذه ان اطمئن الاخ القارىء ان «العربى»موجودةفى المكتبات الليبية٠٠فمجلة«العربى»لا تبحث عن القارىء ٠٠ ولكن القارىء هو الذى يبحث عنها مهما كلفه الامر ٠٠ ولكى يتاكد منان مجلة « العربى » تصل الى ليبيا وتباع فى جميع مكتباتها ، فاننى على استعداد لتزويدهبمختلف الاعداد التى صدرت منها منذ عام ١٩٥٩ وحتى عدد يوليو / ١٩٧٥ ٠ وأخيرا اقول لـلأخالعربى ، ان لم تكن « العربى » تصل الى ليبيا ، فكيف استطعت أن أرد على سؤالك ؟

ابراهيم منصور الشكرى طرابلس / ليبيا

استدراك

● فى مقالتى التى نشرها « العربى » فى عدد (١٩٧) تحت عنوان (العالم يواجه كارثة الجوع) وقعت فى خطا غير مقصود ، حيث ذكرت العبارة التاليه (٠٠٠ اذ ستكتظ الارض بسكانها لتصبح ٣ر٩ بليون نسمة فى ظرف ٣٥ عاما) ٠ والحقيقة ان هذا الرقم يمثل عدد سكان العالم حاليا ٠٠ فى حين ان عدد السكان سيصبح ضعف هذا العدد فى ظرف (٣٥) عاما ٠

علم الهدى حماد
واشنطن

كلمات فى الدارجة

● صفحة اللغة التى تنشرها « العربى » تحت عنوان « كلمات فى الدارجة » لا شك انها صفحة موفقة من شانها ان تضيق الشقة بين الفصحى والدارجة فنحفظ لغتنا من ازدواج ٠٠ فتكون لغة الكتابة هى لغة الكلام ٠٠

وبهذه المناسبة اود ان الفت نظركم الى خطا وقع فى « صفحة اللغة » التى نشرت فى العدد (٢٠٠) من « العربى » ٠٠ وهذا خطا وقع فى آية كريمة هى الآية رقم ١٩ من سورة الحج ٠٠ فقد وردت فى « العربى » (هذا خصمان اختصموا فى ربهم)والصواب هو (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) لذا لزم التنويه ٠

صلاح ابو العلا على ـ مصر

بقلم رئيس التحرير

■ يقول الناس هكذا كان الكون منذ الأزل

ويقول الناس . وهكذا سوف يكـون الى الابد

وتسالهم . ما الابد . وما الأزل ؟

ولا يدرى احد منهم، ما أبد وما ازل . .

حتـى الزمـان لا تجد له عند احـد تعريفا .

وانت تحس الزمان . وتحاول
الى الاحاسيس الخمسة : البصر
والشـم والمذاق واللمس ، فـلا
الزمان له اليك،عن طريق هذه الا.
سبيل . ومع هذا انت تحس الزما
اغمضت عينيك ، وسددت اذنيك،
تحسه وتُقدّره ، ودليل ذلك انى
فمك الترمومتر ، اقيس به حرارة
واقول لك اخرجه بعد دقيقة . .

معنيان

تحدّيا فطنة الانسان

من قديم العصور والأزمان

تحر... بعد دقيقة تنقص او تزيد قليلا ، ... جهاز احساس ،سوى الحس بالزمان · ... س الخافى ، سادس الاحاسيس او ... ، وكم في اطـواء النفـس مـن ... خافية ·

... حاسيس الخمسة الأصيلة المعروفـة ... تصلك بأشياء هذه الدنيا التى ... ى احضانها · تصلك ببيتك فتراه ... · وتسمع قرع الباب لتفتحه .
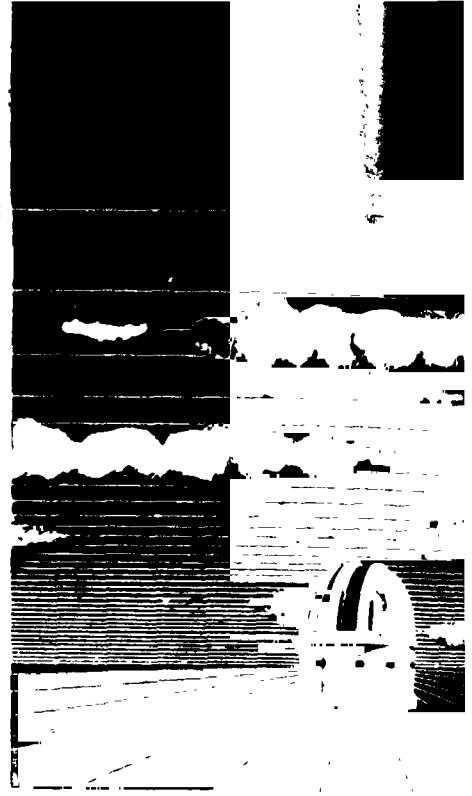
وتشم الطعام فترضاه او تنكره ، وتذوقه فتُقبل عليه او تَتفله ، وتحس حر النار اذ تقترب منها فتبتعد عنها · كلها اشياء من مادة تحس · وغير ذلك حس الزمان · حس الزمان ليس فيه ايراد واصدار · وهو لا يتصل بشيء ذى مكان · ان الزمان والمكان صنوان · واتصلت الاحاسيـــس الخمسة بالمكان ، بالبيئة التى يعيش فيها الانسان ، وبالخمسة تعرَّف الانسان على بيئته تعرفا سهلا · اما الاحساس بالزمان عند الانسان فلسنا ندرى كيف اتصل ، ولا عن اى شيء كُشف · وان يكن فى هـذه الحياة الدنيا اسرار ،فالزمان اول اسرارها الغامضة ويليه سر ثان فثالث فعاشر · وجاءت الاديان تكشف عن بعض هـــذه الاسرار فلم تكشف عن كثير · ولو جاز لها ان تكشف ، ما افاد ذلك الانسان شيئا، وقد خلقه خالقه بهذا العقل القليل ·

قياس الزمان

وعجيب ان ينتقل الكاتب من غموض الزمان وغموض ادراكه ، الى الحديث من قياسه ·

ولكن هكذا كانت حقيقة التاريخ فيما يتصل بالزمان وادراكه ·

ان الشمس كانت اول شيء من اشياء هذا الكون ادخل فى حس الانسان معنى

الزمان · وهو ما لبث ان سمّى ما بين الشروق والشروق يوما ، فكانت هذه وحدة الزمن الاولى · نور يتلوه ظلام يتلوه نور · ساعة الكون الكبرى · وجاء القمر فأعطـــى الناس معنى الشهر · وجاءت الشمس مرة أخرى فأعطت الانسان معنى السنة، بتوالي الصيف والشتاء ، وبانتقال مواضعها في السماء ·

واحتاج الانسان الى اقسام من الزمان اقصر فابتدع الساعة ، ساعة الماء ، وساعة الرمل ، وساعة الزنبرك الحديثة · واحتاج العلم الحديث الى اقسام من الزمان اصغر من الثانية فقسم الثانية الى اجزاء من مائة فمن الف ·

والحقيقة في كل هذا ان اشتغال الانسان بهذه الكثرة من قياسات الزمان انســـاه حقيقة الزمان الاولى وحاجته الى ادراك معنى الزمان ، والحس بالزمان كيـــف كان · كان الجرى وراء القياس اسهل · و... الانسان تعريفا للزمان ، فعجز ، و...ل من قياساته اياه تعريفا له ·

الزمان والحركة

والناظر في قياسات الزمان هذه يدرك على التو ما بين الزمان والحركة ·

فمعنى اليوم مستمد من حركة الشمس الظاهرة ، ومعنى الشهر مستمد من حركة القمر · والساعات جميعا تنطوى على اجزاء متحركة ، تنجز مقادير معلومة من الحركة في مواعيد من الزمان ثابتة ·

فهل معنى هذا ان الزمان حركة ؟

بالطبع لا · ان اجرام الاشياء تقاس بيننا بالرطل ، وهو جاذبية · واطول الاشياء تقاس بالمتر وهو قسم مكان · وكذلك الزمان يقاس بالحركة المنتظمة ·

الشمس ادخلت في حس الانسان معنى الزمان بليلها ونهارها ، اعطته معنى اليوم · وبتوالي صيفها وشتائها اعطته معنى العام ·· والقمر اعطى الناس معنى الشهر وفي هذا الرسم القديم وقف الفلكي العربي ابو معشر المتوفى سنة ٨٨٦م متاملا السماء بشمسها وقمرها ونجومها ·

الزمان
فوق الأعوام والقرون

اعطتنا الشمس معنى العام ، واعطانا القمر معنى الشهر ، وأبت الاجرام السماوية ان تعطى فوق ذلك رمزا للزمان، واصبح الانسان يصطنع ما احتاج اليه من ذلك اصطناعا . فقال القرن ، وعنى به مائة عام ، وقال الالف وعنى بها الالف عام . ووقفت بالانسان عند هذا الحد حاجة الحياة . احتاج فى عدّه الى العشرة والمائة والالف ، ولما اضطر الانسان العربى ان يذهب فوق ذلك ، قال الألف ألف . وعنى بذلك ما نعنيه نحن اليوم بالمليون .

ونظر الانسان فى السماء يرقب ويدرس ويعدّ ، فظهرت له حاجات الى اطوال من الزمان تضاءلت الى جانبها مطالب حاجات الأرض وأهل الأرض . عُملةُ الزمان الجارية الشائعة بين اهل الارض هى الساعة واليوم والشهر والعام . وعمر الانسان على الارض قد يطول فيبلغ الثمانين والتسعين او حتى المائة عام . وغير ذلك ، واكبر من ذلك كثيرا عُملة زمان يجرى بها الحساب فى أرجاء السماء . وتسأل عن عمر الارض فيقول لك علماء الفلك انه نحو اربعة آلاف الف من السنين او فوق ذلك قدرا . او هم يقولون لك بلغة العصر الحاضر ان عمر الارض نحو اربعة بلايين من السنين ، ومنهم من يزيده نصف بليون عام . وتسال عن عمر الكون بكل نجومه ومجراته ، فتجد من علماء الفلك من يقول لك انه عشرة بلايين من السنين . وهو تقدير كاد ان يكون رجما بالغيب ، او لعله خبطة عشواء فى ظلام ليل داج . على كل حال هذا ما خرج به العلماء ، خرج به خيالهم العلمى الخصيب مضافا اليه حسابهم الدقيق ، بناء على نظريات قد تصدق وقد لا تصدق .

هل هذا هو الأزل ؟

... انه لو صح ان الكون ولد منذ عشرة بلايين من السنين ، لجاز ان نقول

تقاس اجرام الاشياء بالرطل ، وهو جاذبية ، اما الزمان فيقاس بالحركة المنتظمة . وابتدع الانسان ساعة الرمل وساعة الماء لتقيس له ما هو اصغر من اليوم .

وتسال عن عمر الارض فيقول لك علماء الفلك انه نحو اربع بلايين من السنين وفوق ذلك قدرا .

ان هذا المولد هو ايضا مولد الزمان . انه الأزل اذن .. والأزل اذن يوم ميلاد او سنة ميلاد . وهذا رأى ظاهر بطلانه . ذلك ان المولود لا بد له من أم ولدته . فهل سبق هذا الكون فى الولادة أكوان . وكم عددها ، وكم امتدت . وهل وقف امتدادها الى الوراء عند حد ، فتكون هذه الفترات البعيدة من الزمان هى الأزل . أم هى امتدت وما وقفت فى امتدادها الى الوراء الى حد ؟ اذن لكان الأزل ذلك الزمان الذى امتد الى الوراء ، وما وقف فى امتداده عند حد .

ولكن عفوا ! لا بد من غوصة سريعة نغوصها فى اجرام السماء تزيدنا فيما نقوله عن الزمان فهما .

اجرام السماء

واول مـا نعرف من أجرام السمـاء الأرض .

ان الواقف على سـطح الأرض يبصر القمر ، يراه جرما معلقا فى السماء .

وكذا الرجل والرجال الذين صعدوا الى القمر ، ووقفوا على سطحه ، ونظروا الى الارض ، رأوها هى أيضا جرما معلقا فى السماء .

شمسنا

والأرض كوكب من كواكب تسعة تدور حول الشمس . والارض من صخر عند سطحها بارد ، والشمس من غاز ونار اى نار، حرارتها عند السطح نحو ٦٠٠٠ درجة مئويـة ، وحرارتها فى باطنها قدروها فكانت نحوا من ٥ ملايين درجة . وغازات الشمس كثرتها الغالبة من الأدروجين ، وبها بضع عشرات مـن عناصر مختلفة قليلة المقادير . وعـد العلماء ان الأدروجين يتحول تحولا نوويا فينتج غاز الهليـوم اندماجا . تفاعل كالذى يجرى فى القنابل الذرية الأدروجينية ، فتخرج منه هذه **الطاقة الهائلة النووية** ، ومنها الحرارة **والنور** . وقدروا ان الذى يجرى من تحول

الرجال الذين هبطوا على سطح القمر ، نظروا الى الا

نووى فى الشمس يعـادل بليون قنبلـة ادروجينية مما يعرف اهل الارض .

والشمس تبعد عن الارض فى المتوسط بنحو ٩٣ مليون ميل .

والشمس قطرها ٨٥٠٠٠٠ ميل بينا قطر الارض ٨٠٠٠ ميل .

والشمس لهـا من الكتلة مثل كتلة الارض ٣٣٠٠٠٠ مرة .

وقرنـّا وصف الشمس بالارض لأنـا اعرف بالارض .

وخصصنا الشمس بالوصف لأن اجرام السماء شموس . ان اجرام السماء نجوم وشمسنا هذه نجم منها ، ليس بالكبير بينها ولا بالصغير .

مجرات السماء
وأولها مجرتنا
« سكة التبانة »
وبها مائة الف مليون نجم

نجوم السماء نراها كل ليلة ، من نور من السماء . انها شموس

ولنضرب مثلا بالمجرة Galaxy التى نحن فيها ، وفيها شمسنا وفيها ارضنا ·

ولما كان لكل شيء اسم يعرف به فقد سموها سكة التبّانة · خالوا ان رجالا يحملون تبن القمح بعد دريسه ، وساروا في سكة ، وظل التبن يتساقط منهم ، حتى ملأ السماء تبنا ، نجوما ، فكانت المجرة · والافرنج يسمونها سكةاللبّانة Milky Way استبدلوا بالتبان اللبان ، وبالتبن اللبن · وكلاهما بياض علىرقعة السماء السوداء·

وتحتوى مجرتنا هذه على نحو مائة الف مليون نجم او شمس ، او ان شئت فمائة بليون نجم · وتتقارب مجرتنا ١٧ مجرة اخرى،تنضم الىمجرتنا لتؤلفمعا ما يعرف بالمجرة الكبرى Supergalaxy · وهذه المجرة الكبرى تشغل حيزا من السماء يبلغ نصف قطره نحوا من ستة مليون مليون مليون ميل ·

وقفة قصيرة

وقفة اقتضتها تلك الابعاد السماويـة الكبيرة ·

ان مليون مليون مليون من الأميال ، مقدار لم يألفه العقل الانسانى فى شئون حياته · ولو اننا زدنا هذا العدد مليونا اخرى لما زاد العقل الانسانى لها ادراكا ·

وان تكن وحدة القياس فى الحياة الانسانية وحدة للمسافات مرضية ، فهى

...رما من اجرام السماء ، فصوروها فكانت هذه الصورة

...بعدت عنا بعدا افقدنا حرارتها ولم يبق ...مما يصلنا منها غير الضياء ·

وننظر اليها فى السماء فنخالها كالرمل ...نثره ناثر ليسقط حيثما شاء · وهذا غير صحيح · فنجوم السماء تؤلف مجموعات ، ...لكل مجموعة اسمها ، ولكل مجموعة بعدها ...من ابعادها · وهى اشبهشيء بدول الارض، ...لولا تباين هذه ، وتباعد تلك ابعادا ...

جانب من مجرتنا ، سكة التبانة ، وبها نحو مائة بليون نجم ·

غير مرضية اذا نحن خرجنا بها الى السماء نقيس بها ابعاد الكون المترامية · اذن وجب ان نتخذ لقياس أبعاد الكون وحدة كبيرة جدا تتفق وتلك الأبعاد .

وابتدع العلماء وحدة لقياس الأبعاد كبيرة ، الا انها غريبة في اسمها · سموها « سنة ضوئية » · ويقولون ان هذا الجرم يبعد عن هذا الجرم في السماء مائة سنة ضوئية · كأنهم يستخدمون الزمان في قياس المكان !؟ وهم انما استخدموا الزمن في تدبير وحدة جديدة للقياس ·

قالوا : ان الضوء ، اى ضوء ، يسير في الفضاء فيقطع في الثانية الواحدة ١٨٦٠٠٠ ميل ، فهو يقطع في الساعة ١٨٦٠٠٠ × ٦٠ × ٦٠ ، فهو يقطع في اليوم كذا ، ففي العام كذا ميلا · وخرجوا بمقدار ما يقطعه الضوء في الفضاء اذا هو سار عاما كاملا ، فكان هذا الرقم ستة مليون مليون ميل تقريبا · فاتخذوه وحدة لقياس ابعاد الكون · وسموا هذه الوحدة سنة ضوئية ، وعنوا بذلك المسافة التى يقطعها الضوء في سنة كاملة ·

عودة ·· والعود أحمد

وبانتهاء هذه الوقفة نعود الى قولنا ان مجرتنا احتوتها مجرة كبرى بعد ان ضَمت اليها ١٧ مجرة اخرى· فهذه المجرة الكبرى تشغل حيزا من السماء نصف قطره نحو مليون سنة ضوئية ·

مجرات السماء
كشفنا اليوم منها عن بليون مجرة

ونخرج عن مجرتنا هذه ، وعن المجرة الكبرى التى احتوتها ، ونبتعد بالمناظير مسافات تبلغ الملايين من السنوات الضوئية ، فنبدأ نلتقى بالمجرة من بعد المجرة من بعد الاخرى ، وكلها على مسافات ، بعض عن بعض ، متباعدة كل التباعد ·

ولقد استطاع العلماء بأحدث التلسكوبات الكشف عن مجرات قدر مجموعها بألف مليون مجرة · واذ قلنا ان مجرتنا بها مائة الف مليون نجم ، فانظر كم بلغت هذه الحشود من نجوم السماء في سائر المجرات · وهى المجرات التى استطاعت ان تصل اليها مناظير اليوم ، فكم من المجرات تكشف مناظير الغد ، وكم من نجوم بها ·

وأسمعُ من يسأل : كم تبعد عنا هذه النجوم المرتقبة ؟ ان تلسكوب جبل بالومار Mount Palomar بكلفورنيا ، امكن الانسان من ان يرى نجوما تبعد عنا مسافة قدرها ٥ بلايين من الأعوام الضوئية !

وفي هذا معنى ، غير معنى البعد ، خبىء · ان هذا الضوء الذى به نرى هذه النجوم اليوم ، انما خرج عنها منذ هذه البلايين من السنين · فنحن لا نراها كما هى اليوم ، ولكن كما كانت منذ هذه البلايين من السنين · ومن أدرانا ، فلعلها لا تكون هناك اليوم !

ان الانسان احتفظ بتاريخه على هذه الأرض آلاف السنين · وما اظن ان احدا خال ان يرى شيئا كان قبل ملايين السنين ، دعك بلايينها ·

معنى الأزل
يطل علينا من جديد

وهنا يطل علينا معنى الأزل من جديد· ان الأزل ، ان صح وجوده ، فهو نقطة في الزمان الماضى · وها نحن نرى صورة من هذا الزمن الماضى كانت قبل خمسة بلايين من السنين · فهل هذا هو الأزل ؟

ان الأزل ، لا بد كان اقدم من ذلك !! فوراء ابعد النجوم التى رأيناها اليوم ، نجوم ابعد نراها غدا فهى اطول عمرا ·

ونقول خمسة بلايين من السنين ! خمسة آلاف مليون !

ثم نتساءل : وكم مضى منذ ظهور الانسان على هذه الأرض ؟ قال العلماء : مضى [illegible] من السنين او مليونان !!

عمر الكون

لم يبق الا ان يكون بدء خلق الكون ازلا ٠

وقدر العلماء عمر الكون منذ بدأ الى اليوم فقالوا انه عشرة بلايين من السنين ٠

قال كبير من علمائهم ان الأرض بدأت جينا هائلا مكتنزا من مادة بدائية ، ثم انفجرت ، فانتثرت ، فانتشرت ، وشاعت في الأرجاء بعيدا ، فكان منها آخر الأمر النجوم ٠ وتقاربت النجوم زمرا ، فكان منها المجرات ٠

واثبت العلم الحاضر ان هذه النجوم لا تزال تتباعد، بعضا عن بعض، انتشارا في الفضاء٠ عرفوا ذلك من اطياف الضوء التي تصل من النجم الى الأرض ٠ ان الطيف يدل على تباعد في مصدر الضياء ٠

وحسب كبير العلماء هذا مقدار هذا التباعد الحاضر ، ومنه حسب في الزمن راجعا الى الوراء ، متى بدأ ، واتضح له انه بدأ منذ نحو عشرة بلايين من السنين ٠

اما هذا العالم فهو العالم الأمريكي جامو Camow صاحب النظرية المذكورة هذه ٠

زعم العلماء ان الكون بدأ من كتلة هائلة من مادة اولية مكتنزة ، انفجرت، فانتثرت ، وانتشرت ، فكان منها النجوم ومن النجوم تكونت المجرات ٠

والمهم عندنا في نظريته هذه هو تساؤلنا ، هل بدأ الكون منذ عشرة بلايين من السنين ؟

وهب صح هذا ، فهل نقول بأن هذا موضع الأزل من الزمان ؟ وان الأزل هو أول كل شيء كان او يكون ؟

بالطبع لا٠ فهذه المادة الهائلة المكتنزة التي انتثرت وانتشرت وتكونت منها النجوم والمجرات ، هذه المادة ماذا كان أصلها ؟ كان لها لا شك ماض هو اقدم من بدء الكون ٠ فالأزل اذن اقدم من بدء الكون ٠

وهنا نسوق نظرية اخرى لكبير من العلماء ، هو العالم الانجليزي هويل Fred Hoyle استاذ جامعة كمبردج ٠

جاء بنظرية شبيهة بنظرية جامو ، الا انه لم يبدأ بكتلة تفرقعت ٠ عنده ان الكون هكذا كان منذ اول الزمان ٠

زعموا ان الانسان ظهر على سطح الارض منذ مليون من السنين اومليونين٠

العالم الانجليزى هويل ٠٠ الأزل عنده هو الماضى اللامتناهى الذى لا أول له ٠

وتسأله عن اول الزمان فيقول لا حد له ٠ وهو فى الماضى اللامتناهى ٠

فهذا هو الأزل عنده ٠ انه الماضى اللامتناهى الذى لا أول له ٠

هذا عن الأزل فما بال الأبد ؟

الزمان حاضر ، وماض ، ومستقبل ٠

والانسان يعلم حاضره ، وقد يعلم ماضيه ، امـا ان يعلم مستقبله فشىء أعسر ٠ ويذكرنـى هذا بقول زهير بن ابى سلمى ، الشاعر الجاهلى ، قال فى بساطة فى معلقته القديمة :

وأعلمُ علمَ اليوم والأمس قبله
ولكننى عن علم ما فى غد عَم

واذا كان العلماء حاولوا ان يغوصوا بعلمهم فى غياهب الماضى فما اهتدوا ، فهم اقل هديا وهم يغوصون بعلمهم فى مجاهـل المستقبـل ، وهى أقصى واقسى وأعسر ٠

وفى الحديث عن الأبد ، وعن مستقبل الكون ، قال هذا العالم الانجليزى الكبير هويل

« ان الكون فى انتشار وتباعد ياتى بعده تراجع وتقارب ، يأتى بعده انتشار وتباعد ، كالصدر يخفق ثم يعود لخفقانه ، هكذا الى الأبد ٠ »

العقـل والزمان

ان الانسان يحيا حياة دنياه هذه بجسمه ، ويستمد الجسم الهدى فى الحياة من عقله ٠ ولقد فهم الانسان ، بعقله ، الكثير من اشياء الحياة ، ولا أقول كلها ٠ والذى فهمه انما يتصل بممارسة العيش اشد اتصال ٠ اما ما وراء العيش فتتعثر عقول الناس فيه ٠ وبالعيش اقصد حاجات الطعـام ، والفكر ايضا ، والعواطف ٠

وكأنى بخالق الخلق ، عندما اراد خلق الانسان ، شاء ان يجعل العقول التى يصنعها لشتى الخلائق درجات ، وأعطى الانسان تلك الدرجة من العقول التى تتفق وحاجة هذه الاجسام ، وحاجة العيش على سطح هذه الارض ٠

ويُقحم الانسان هذا العقل فى تفهم ما لم يُخلق لفهمه ، فيكون كناطح صخرة ، تتكسر عليها قرونه ٠

ومن ذلك محاولة فهم الزمان ٠

ان الانسان خلق اعمى رغم ما له من عينين ، أُذِنَ لهما فقط ان يبصرا ما أُذِنَ لهما ان يبصراه ٠ والانسان قد يكون اشد جهلا بالذى خرج منه النور او وقع عليه النور ٠ والنور قد يَبهر ، فيحسبه الانسان علما ، ثم لا يكون الا وسيلة لتغطية سر مكنون ٠ وكم فى الدنيا من خفاء طلع منه الضياء ٠

والله ولىّ التوفيق ، هو رب الأزل ورب الابد جميعا ٠

● ●

احمد زكى

بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

■ عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وقد لقب بذى النورين لانه تزوج رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما ماتت تزوج بنته الاخرى أم كلثوم ، ولما ماتت ، قال له عليه الصلاة والسلام فيما روى عنه : « لو ان لى اربعين بنتا لزوجتك واحدة واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة ».

كان عثمان من انسب قريش لقريش ، واعلم قريش بما فيها من خير وشر ، محبوبا بين الناس ، لما يتميز به من عقل ناضج ، وفكر سديد ، ورأى سليم . فكان لذلك مرجعا لكثير من رجالات قريش يعرضون عليه مشاكلهم ، ويستشيرونه فى كل شئونهم ، وهو مع هذا من كبار التجار فيهم ، ومن أكثرهم ثراء .

أول اسلامه

أسلم عثمان وهو فى الثلاثين من عمره ، وكان ذلك على يدى صديقه ابى بكر . فقد التقى به أحد الأيام فسأله عثمان عن حقيقة ما اخبرته به خالته سعدى » من ظهور نبى بينهم يدعو الناس الى دين جديد ، فقال له ابو بكر : « ويحك يا عثمان . انك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل . أليست الاديان التى يعبدها قومنا من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع؟» فقال عثمان : « حقا انها لكذلك » . فقال أبو بكر لقد صدقتك خالتك . هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالة الى جميع خلقه . فهل لك ان تأتيه وتسمع منه ؟ » فاستجاب عثمان له ، وانطلقا فورا الى رسول الله ، وسرعان ما أسلم عثمان ، وكان اسلامه مبعث فرح للنبى ولمن تبعه ، كما كان مصدر حزن لسادة قريش ، حتى انهم اوعزوا الى عمه الحكم بن ابى العاص بن أمية ليرده الى دين آبائه ، فلما دعاه الى ذلك واصر عثمان على اسلامه ، اوثقه عمه بالحبال ، وآذاه بكل الطرق وقال له : « لا اخليك ابدا، حتى تدع ما انت عليه من هذا الدين » . لكن عثمان لم يأبه بهذا التعذيب والوعيد ، واصر على تمسكه بدينه الجديد ، وامام هذا الاصرار والصبر والاحتمال لم ير عمه بدا من اطلاق سراحه وتركه وشأنه .

هجرته الى الحبشة ، ثم المدينة

وكان عثمان كما يروى انس وغيره اول من هاجر الى الحبشة باذن رسول الله ، مستصحبا معه زوجته السيدة رقية بنت الرسول . فقال النبى فيما يروى عنه : « صحبهما الله. ان عثمان لاول من هاجر الى الله باهله بعد لوط » . وظل عثمان بمهجره آمنا مطمئنا حتى خيل اليه ان الامر استقر للمسلمين بمكة ، فسارع بالعودة ، وقد غلبه الحنين الى الرسول والى بلده ، ولما وصل مكة وجد الحال على ما هى عليه من قبل، بل اشتد ايذاء قريش للمسلمين ، فهمّ ان يعود أدراجه الى مهجره لكنه آثر اخيرا البقاء ليكون مع الرسول،

ويذود عنه ، غير عابيء بما قد يصيبه من جراء ذلك . كما هاجر الى المدينة ـ يثرب ـ بعد ذلك مع المهاجرين ، وهناك آخى النبي ـ بعد هجرته اليها ـ بينه وبين أوس بن ثابت الانصاري .ومن اجل هاتين الهجرتين وصف عثمان بانه « ذو الهجرتين » .

من صفاته
شدة الحياء

كان رضي الله عنه حييا ، أشد الصحابة حياء حتى يروى انه كان يستحي من نفسه فيمنعه الحياء من ان يقيم صلبه عند الاغتسال ، وكان رسول الله يعظم في عثمان هذه الخلة ، حتى أنه لما استاذن عثمان للدخول عليه ذات يوم وكان مضطجعا كاشفا عن ساقيه أو شيئا من فخذيه استوى الرسول وسوى ثيابه ليغطي ما ظهر منه ، مع أنه لم يفعل ذلك عندما استاذن عليه في الدخول كل من أبي بكر وعمر ، وهو على هذه الحال . فلما لاحظت السيدة عائشة ذلك قال لها الرسول : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ! ؟ »

كان عثمان أسخى المسلمين يدا

وكان رضي الله عنه كريما من أندى الصحابة يدا يوجه ماله للخير دائما ، فكان أسخى المسلمين واكثرهم انفاقا في سبيل الله ، ومن ذلك أنه يوم أن قدم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا من مكة ، ولم يكن بالمدينة ماء يستعذبه المهاجرون ويستسيغونه غير بئر لرجل من بني غفار ، وكان يغلي عليهم الماء . فما كان من عثمان الا أن اشترى البئر من صاحبه وجعله للمسلمين سبيلا من غير مقابل ، كما جهز الجيش في غزوة تبوك التي سميت بغزوة العسرة لان الناس كانوا في عسر شديد ، وكان النبي قد دعا المسلمين لتجهيز الجيش . فجاء أبو بكر بكل ماله ، وجاء عمر بنصف ماله ، وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية من الذهب ، ولما علم عثمان بان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز جيش العسرة فله الجنة » انفرد بتجهيز عشرة آلاف رجل ، ونثر في حجر النبي ألف دينار ، لذلك قال النبي : « ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم » .

جاهد عثمان بماله وبنفسه

وكما جاهد عثمان في سبيل الله بماله جا بنفسه أيضا ، فقد اشترك في غزوات النبي جميعها عدا غزوة بدر التي تخلف عنها بامر الـ ليرعى زوجه ـ بنت الرسول ـ وكان قد اشـ بها المرض الذي ماتت فيه،وكان عثمان من القلا الذين ثبتوا حول النبي يوم الهزيمة في غـ حنين .

كان عثمان ناسكا ، وكان للرسول سفيرا

كان عثمان ناسكا قانتا لله ، يحب القرآن ، ويلزم تلاوته ، فقد لازمه حتى قتل سنة خمس وثلاثين وكتاب الله بين يديه ، ولما تميز به عثمان من كل الصفات الطيبة والخصال الكريمة ، جعله النبي كاتم سره ، وواحدا من كتاب الوحي كما اختاره أول سفير في الاسلام ، وبهذه السفارة كان حمامة السلام بين طرفين كادا يقتتلان . فقد حدث في نهاية السنة السادسة من الهجرة ان رغب النبي في الخروج مع أصحابه الى مكة لاداء العمرة ، ولما سمعت قريش بخروجه ظنوا انه يقصد حربا ، فاعدوا العدة للقتال ، ولما علم النبي بذلك فكر في أن يرسل اليهم رسولا من قبله لينبئهم بحقيقة قصده ، وانتهى الامر الى اختيار عثمان ، فخرج غير خائف ولا هياب ... واحتجزت قريش عثمان فترة حتى ظن المسلمون انهم قتلوه فتمت « بيعة الرضوان » للانتقام له . ثم تبين لهم انه حي ، ثم تمت معاهدة الحديبية .

كان عثمان عونا لابي بكر وعمر

كما اختاره أبو بكر في خلافته مستشارا له . وأمينه العام ، وكاتبه الاكبر ، لشدة ثقته به . وكذلك فعل عمر في خلافته ، فكان لعثمان في عهده آثار خالدة ، فهو الذي أشار على عمر باحصاء الناس في سجلات ودواوين لما اتسع الفتح، وهو الذي اشار عليه بان يجعل شهر محرم بدء العام الهجري ، لانه أول الشهور في العدة لانه منصرف الناس من الحج . وكان عمر قد اتجه الى بدء العام الهجري بهجرة الرسول التي كانت في شهر ربيع .

و[illegible] اوصى عمر بان يختار الخليفة من بعده من بين ستة نفر من أعيان الصحابة ــ جعل عثمان واحدا منهم ، ثم صار خليفة ، فامتدت الفتوحات في عهده الى كثير من البلاد وانشا عثمان بمشورة معاوية أول أسطول بحرى في الاسلام ، وانطلق هذا الاسطول أول ما انطلق الى غزو جزيرة قبرص تحت قيادة عبد الله بن قيس الجاسى وكان ذلك سنة ثمان وعشرين هجرية ، ثم ارتفع نجم المسلمين فى الغزو البحرى والبرى وفتحت بلاد كثيرة فى عهد عثمان .

عثمان فى الفتنة التى وقعت

كان عثمان فقيها فى دين الله بالمعنى الذى يفهمه الصحابة وسلف الامة ، ولهذا كان مما يحتج به على من حاصروه فى بيته بعد الفتنة التى وقعت بين المسلمين قوله لهم : أنشدكم بالله ولا انشد الا اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . ألستم تعلمون أن رسول الله قال : من جهز جيش العسرة فله الجنة ، فجهزتهم .. » .

وكان موقف عثمان رضى الله عنه فى الفتنة دقيقا جدا ، وكان على بينة من امره ، وقد تنبأ له النبى بذلك وعلمه الصبر على ما يصيبه والرضا بما يقع من غير ان يتزعزع للتيارات . روت السيدة عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يا عثمان لعل الله ملبسك قميصا ــ يريد بهذا الخلافة ــ ثم قال : فان ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه » رواه احمد فى مسنده . ولهذا ظل عثمان محافظا على هذا الامر غير عابىء بما اصابه ، ولم يقبل ان يراق قطرة واحدة من الدماء حتى ياتيه الموت وانفذ وصية رسول الله .

ول[illegible] كان من الاسباب التى تذرع بها خصومه للعدو[illegible] عليه انه كان يقرب أقرباءه واهل بيته ويسند[illegible]هم الوظائف ويجزل لهم العطاء . والواقع ان عثمان جبل على حب السخاء وجود اليد وشدة الصلة [illegible]لبر بقرابته وذوى رحمه ، مما جعل الناس [illegible]ختلفون فى امره وياخذ عليه فريق منهم هذا [illegible]ت .

احتجاج عثمان بأبى بكر وعمر

ويتجلى فقه عثمان حين احتج عليه بعض المعارضين فى ذلك بابى بكر وعمر اللذين لم يستعينا بالاقرباء ولم يؤثرا احدا منهم على غيره. فقال : ان ابا بكر وعمر قد تركا من ذلك ما هو حقهما ، وانى اخذت ما هو لى فقسمته فى اقربائى، وان صاحبى اللذين كانا قبلى ظلما انفسهما ومن كان منهما بسبيل احتسابا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى قرابته ، وانا فى اهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدى فى شىء من ذلك لما اقوم به فيه . فان رأيتم ذلك خطا فردوه فامرى لامركم تبع .. » .

ولقد دخل عبد الرحمن بن عوف على عثمان يوما فعتب عليه فى قرابته . فقال له عثمان : كان عمر يمنع اقرباءه ابتغاء وجه الله .. وانا اعطى قرابتى لوجه الله » اى انه استجاز حقا مباحا له ولم تمنع الشريعة منه اذا كان للامام وجهة نظر فى اعتباره مصلحة عامة . ولم يكن رضوان الله عليه يقدر هذه العاقبة ، وقد كانت هذه هى اهم النقاط التى اخذوها على عثمان وعابوها عليه وهى على اى صورة لا تبيح هذه الثورة وان يقتل الثوار من اجلها الخليفة وخاصة انه قال لهم : « فان رأيتم ذلك خطا فردوه فامرى لامركم تبع » .

بين المغيرة بن شعبة وعثمان وهو محاصر فى بيته

ومن اكبر الادلة على فقهه وورعه ان المغيرة بن شعبة دخل عليه وهو محاصر فعرض عليه ثلاثة امور ليخرج بواحدة منها مما هو فيه . فقال له : اما ان تخرج لتقاتل هؤلاء المعتدين ــ يقصد الثائرين عليه ــ فان معك عددا عديدا ينتظرون اشارتك وانت على الحق وهؤلاء الثائرون على الباطل . واما ان تخرق لك بابا من الخلف فتخرج منه فتلحق بمكة وانهم لن يستحلوا دمك وانت بها ، واما ان تلحق بالشام فان بها معاوية وجيشه العظيم وهو خير نصير لك .

فقال عثمان : « اما الاولى فلن اكون اول من خلف رسول الله في امته بسفك الدماء ، واما الخروج الى مكة فاني سمعت رسول الله يقول : يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن اكون انا ، واما ان الحق بالشام فلن افارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ! » .

موقفه عند اشتداد المحنة

فانظر كيف تجلى نظره الفقهي الرشيد وهو في احرج المواقف التي افضت به الى الموت شهيدا ان لا يقبل اى مخرج لا يرى له وجها سليما ثم آثر الصبر حتى استشهد مظلوما . اذ اصر الثوار على قتله بعد ان طال زمن الحصار ، وكان ذلك يوم الجمعة الثامن من ذى الحجة سنة ٣٥ هـ ٦٥٦ م ، فتسوّر احدهم حائط المنزل المجاور دون ان يشعر انصار الخليفة الذين وقفوا لحمايته . وقال له : اخلعها وندعك . فقال عثمان : ويحك والله ما كشفت امراة في جاهلية ولا اسلام ، ولاتغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله ، ولست خالعا قميصا كسانيه الله عز وجل وانا على مكاني حتى يكرم الله اهل السعادة ويهين اهل الشقاء . فخرج الرجل دون ان يقتله وقال : علقنا والله والله ما ينجينا من الناس الا قتله ، وما يحل لنا قتله .

ثم دخل على عثمان جمع من الثوار وكان من بينهم كنانة بن بشر الذى ضرب عثمان بسهم كان في يده اصابه في اذنه فسال الدم يقطر على المصحف الذى كان يقرا فيــه . فاطبق عثمان المصحف وقال : بسم الله توكلت على الله واتكا على شقه الايسر واخذ يردد سبحان الله . وضربوه جميعا الضربــة القاتلة وكان عمره يومئذ اثنين وثمانين عاما قضى في خلافته منها اثنى عشر عاما .

عثمان جمع المسلمين على مصحف واحد

هذا ومن آثار عثمان العظيمة التي تذكر له باعظم الفخر والتقدير والتي تدل على نظر فقهي عميق جمعه المسلمين على مصحف واحد حينما اختلفت السنتهم في قراءته ووقع بينهم خلاف بسبب ذلك . فقد دخل حذيفة بن اليمان رضى الله عنه على امير المؤمنين عثمان ذات يوم ـ كان حذيفة احد الامراء الذين ارسلهم عثمان في ... وبه قادما من غزوة ارمينية وقد حضرها اهل العراق واهل الشام ـ وقال له : لقد رايت في سفرتي هذه امرا .. لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه ابدا . رايت اناسا من اهل حمص يزعمون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم وانهم قراوا على ابيّ بن كعب ، ورأيت اهل الكوفة يقولون مثل ذلك انهم قراوا على عبد الله بن مسعود ، واهل البصرة يقولون مثل ذلك وانهم قراوا على ابى موسى الاشعرى ، وقد جئتك منذرا فادرك الامة قبل ان يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى .

وراى عثمان ان الامر جدير بالعناية والاهتما[م] فجمع اصحاب النبى واستشارهم مع ان عثم[ان] كان احد كتاب الوحى ، وممن اشترك في ج[مع] القرآن وتدوينه في مجموعة واحدة في عهد ا[بى] بكر ـ وانتهى الامر الى ضرورة جمع المسلم[ين] على مصحف واحد فامر عثمان باحضار مصح[ف] ابى بكر من عند حفصة وطلب من زيد بن ثا[بت] وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وع[بد] الرحمن بن الحارث ان ينسخوا منه جملة مصاحف على انهم اذا اختلفوا عند الكتابة على هي[ئة] كتابة حرف فانما يكتب بلغة قريش لان القر[آن] نزل بلسانهم . ومن امثلة ما اختلفوا فيه كل[مة] « التابوت » في قوله تعالى : « وقال لهم نبيهم [ان] اية ملكه ان ياتيكم التابوت .. » فقال زيد و[لم] يكن قرشيا يكتب الحرف الاخير منها ـ هاء وقال القريشون الذين معه نكتبها تاء فلما رجع[وا] الى عثمان قال : اكتبوا بلغة قريش .

وبعد ان انتهوا من نسخ المصاحف ارسل عثما[ن] الى كل مصر من الامصار بنسخة منها ... ليرشد الناس الى وجوه قراءته ، ويدل[هم] عل[ى] الاقتصار في القراءة على ما وافقها . فبعث [و]احدا الى مكة وآخر الى الشام وكذا الى البص[رة] وال[ى] البحرين والى البصرة والى الكوفة و... المدينة واحدا ، ثم امر بعد ذلك بما ... القرآن في كل صحيفة او مصحف ان ... فحرقها جميعها الا مصحف ابى بكر .

وكان قصد عثمان من هذا قتل الخلاف الذى بدا يظهر بين المسلمين من جراء اختلافهم فى القراءة ، وكان ذلك الاحراق بمشورة الصحابة ، ولذا فان عليا رضى الله عنه لما علم بنقد الصحابة لعثمان فى احراقه صحف القرآن قال : لا تقولوا فيه الا خيرا فوالله ما فعل الذى فعله فى المصاحف الا على ملأ منا وموافقتنا ولو لم يفعله هو وكان الامر لى لفعلته .

استقلال عثمان بالرأى

ومما يتجلى بارزا فى فقه عثمان واستقلاله بالرأى . انه لم يقصر الصلاة فى منى . مع ان رسول الله وابا بكر وعمر كانوا يقصرون . وقد انكر جماعة من الصحابة عليه ذلك . ولما سئل قال : ايها الناس انى تاهلت بمكة – اى تزوجت – منذ قدمت وانى سمعت رسول الله يقول : « من تاهل فى بلد فليصل صلاة المقيم » فهذا جانب من المعرفة الفقهية انفرد به عثمان ، وبين لاصحابه مصدره من السنة(1) .

كما تجلت بعض نواحى فقهه البارز فى شان المتعة فى الحج وهى الجمع بين الحج والعمرة . فكان ينهى عن المتعة فى الوقت الذى يامر على بها . ولما حاجه على قائلا : لقد علمت يا عثمان انا تمتعنا مع رسول الله . فقال : اجل ، ولكنا كنا خائفين . وبهذا عرف ان عثمان يرى ان الافراد بالحج افضل وبين ان التمتع فى ايام الرسول كان بسبب الخوف فهو رخصة تقتصر على اسباب الخوف وظروفه من وجهة نظر عثمان وفقهه . ولكل وجهة .

واذا كان عثمان لم يعرف بكثرة الفتوى فان له من الاجتهادات الفقهية ما يشير الى منهجه الاجتهادى فهو كما رأيت يبحث عن المصلحة ويبنى الحكم عليها ، كما يحكم بما يعلم من السنة ويقدم [illegible] ما عليه عمل الناس بالمدينة ويبحث عن [illegible] الحكم حتى يجعل الحكم دائرا معها وجودا وعدما .

وقد وقفه من ضوال الابل . فقد كانت قبل عصره [illegible]ك سائبة لا يمسها احد حتى يلقاها ربها – صاحبها – لما روى عن الرسول من امره بتركها ترد الماء وترعى الكلأ . فلما خشى عثمان فى عصره امتداد الايدى اليها امر بتعريفها ، ثم تباع ، فاذا جاء صاحبها اعطى ثمنها . فعثمان بنى الحكم على مقصود النص .

ومن ذلك ما رآه من توريث المرأة من زوجها الذى طلقها ثلاثا فى مرض موته فرارا من ارثها فيه وذلك معاملة له بنقيض قصده وحتى لا يتخذ الناس ذلك ذريعة للفرار من ارث الزوجة فهو من قبيل سد الذريعة على ما بيناه فى كتابنا احكام الاسرة فى الاسلام الجزء الرابع .

ومن ذلك ما روى ايضا من انه امر بنزع ملكية بعض دور الصحابة المحيطة بالكعبة فى عهده لالحاق ارضها بالحرم المكى وذلك برغم اعتراض اصحابها وعدم موافقتهم . لكنه امر بتقدير قيمتها واودع ما قدر لكل دار منها بخزينة الكعبة لحساب صاحبها . وكان ذلك منه من قبيل تقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الافراد ودفع الضرر الاكبر بالضرر الادنى .

فهذا الخليفة العظيم عثمان بن عفان رضى الله عنه فوق ما عرف به من عبادة ونسك ورعاية لشئون المسلمين ومصالحهم ليتجلى فقيهـا عظيمـا فى المناسبات ياخذ الناس ويدعوهم الى ما هو اوفق بهم وارفق واقرب الى دين الله من وجهة نظره . ولو لم يكن لعثمان من المناقب الا الاشتراك فى تدوين القرآن الكريم فى عهد النبى او مع باقى كتّاب الوحى ، وثانيا فى خلافة ابى بكر اذ كان احد المشتركين فى جمع الصحاف وتدوين القرآن فى مجموعة واحدة ، واخيرا فى خلافته اذ جمع الناس على مصحف واحد ونشره فى الآفاق واتلف ما عداه . لو لم يكن لعثمان الا هذا لكفاه فخرا واعتزازا . ورحم الله عثمان فقد عاش فى الاسلام اكثر من خمسين سنة حيث دخل الاسلام وهو فى الثلاثين من عمره واستشهد وهو بين يدى كتاب الله ، وقد امضى طوال هذه الفترة فى اعمال الخير .. ■■

محمد سلام مدكور

---

(1) [illegible] نيل الاوطار حـ ٣ ص ٢٤٠ ان عثمان كان يرى القصر مختصا بمن كان شاخصا سائرا [illegible] اقام فى مكان اثناء السفر فله حكم المقيم . وقال ابن بطال ان عثمان وعائشة كانا [illegible] النبى انما قصر لانه اخذ بالايسر من ذلك على امته واخذا انفسهما بالشدة ..

مسابقة العربي

٥ شخصيات

■ نصف اسئلـة هذه المسابقـة عن شخصيات عالمية والنصف الباقى اسئلة متنوعة ·· والمطلوب منك معرفة الاجابات الصحيحة لثمانية اسئلة منها على الاقل ·· من الاسئلة العشرة المطروحة :

١ ــ فيلسوف اندلسى عايش انحلال الخلافة الاموية فى الاندلس وقيا دول الطوائف ، فوصف مجتمع هذه الدول الصغيرة اقبح وصف ·· توفى عا ٤٥٦ هـ (١٠٦٤) م · وكان مؤرخا وفيلسوفا عظيما ، واماما من كبار ائم التفكير الاسلامى ·· فمن هو :

ابن الرومى ــ الجرجانى ــ ابن حزم

٢ ــ تنسلخ الثعابين عن جلودها ٣ أو ٤ مرات فى العام ·· وللثعابي أنوف كبيرة ، وتتمتع بحاسة شم قوية ولها لسان ذو شعبتين ·· والثعابي ذكر وانثى ·· ترى هل تلد انثى الثعبان أم تبيض ؟

٣ ــ روبرت كوخ Koch طبيب المانى شهير توفى عام ١٩١٠ بعد أن اكتشف جرثومة مرض عرفت باسمه ·· وهذا المرض هو :

السل ــ الدفتيريا ــ التيفود

٤ ــ دولة تقع فى الجزء الجنوبى الغربى من امريكا الجنوبية ،تتميز بغرابة شكلها الجغرافى ، فهى على هيئة اصبع رفيع طوله ٢٦٠٠ ميل ، يعيش فوقه اكثر من عشرة ملايين نسمة ·· فما اسم هذه الدولة :

بوليفيا ــ شيلى ــ البرازيل

● ارشميدس ●

● أبقراط ●

٥ ــ فى عام ١٧٦٢ أرسل ملك الدنمرك بعثة علمية لارتياد الجزير العربية ·· وقد مات افراد البعثة بسبب الاجهاد ، ولم ينج منهم سوى رئيسها ·· وقد نشر قصة الرحلة بكل تفاصيلها ، شارحا شئون العرب وطبقاتهم الاجتماعية وانسابهم ومذاهبهم وفرقهم ، وكل شىء عنهم . وكانت كتاباته وافية شاملة عن اليمن وحضرموت ·· وزار مسقط والخليج العربى ·· فمن هو هذا العالم الدانمركى :

كارستن نيبور ــ ريتشارد برتون ــ جون فلبى

٦ ــ سيطرت بريطانيا على القارة الهندية ، منذ اواسط القرن السادس عشر ، وفى فبراير ١٩٤٧ قررت بريطانيـا تقسيم الـ الى دولتين ·· وفى مارس ١٩٧١ انقسمت دولة منهما الى دولتين، فاصـ ما كان يسمى بالهند يشتمل على ثلاث دول

فما اسم هذه الدول الثلاث ، وما اسم عاصمة الدولة الجديدة التى ظهرت اخيرا فى عام ١٩٧١ ؟

١٠٠ دينار

● ديوجين ●

٧ ـ طبيب من أشهر أطباء القرن الخامس قبل الميلاد ، عاش في جزيرة
وس » من جزر بحر ايجة ، حيث كان له مصح هناك ٠٠ من أهم أعماله ،
ه وضع القوانين الخلقية التي ما يزال الاطباء يرعونها الى اليوم ، حتى
ن الطبيب لا يمارس مهنته الا بعد أن يؤدي القسم الذي يحمل اسم هـذا
لطبيب الاغريقي القديم ٠٠ فما هو اسمه :

رشميدس ـ ابقراط ـ ديوجين

٨ ـ في الاتحاد السوفييتي ٣٨٤٦ مجلة تطبع بـ ٥٨ لغة مختلفة ، منها
٤ لغة متداولة في الاتحاد السوفييتي و ١٤ لغة اجنبية ٠٠ وفي كل يوم
سدر ٧٦٨٧ جريدة يومية ، تطبع يوميا ما مجموعه ٢٢٠ مليون نسخة

والمطلوب آن تذكر اسم صحيفة سوفييتية واحدة على الاقل ٠٠

دار صحفية سوفيتية
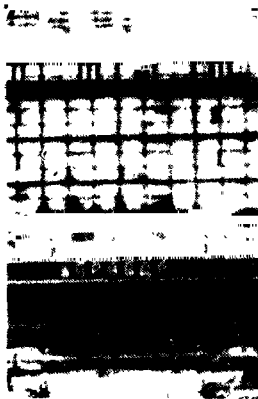
٩ ـ قامت الحرب الاهلية الامريكية عام ١٨٦١ بين شمال الولايات
جنوبها . وكان من اسباب الخصومة ، ان الشمال يريد تحرير العبيد والجنوب
رفض تحريرهم ٠ وانشق الجنوب على شماله ، وقامت الحرب بينهما ، وانهزم
لجنوب عام ١٨٦٥ بعد اربع سنوات من الحرب ٠٠ اما القائد الشمالي فقد
طلق عليه احدهم الرصاص فارداه قتيلا ٠٠

فما هو اسم هذا القائد الذي حرر العبيد من الرق في الولايات المتحدة ؟

١٠ ـ يتنفس الانسان برئتيه ٠٠ ويتنفس السمك بخياشيمه فكيف تتنفس الحيوانات اللافقرية ، وبعض الحيوانات الفقرية في الدنيا ٠٠ ؟

● شروط المسابقة ●

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشورفي ذيل الصفحة ٠
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه :مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ ـ الكويت ٠
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اليوم الاول من شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥ ٠

● الجوائز ١٠٠ دينار ●

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ، الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ، الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠
٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منهـا ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠

بقلم : الدكتور علي احمد علي

■ اصبح للشواذ Abnormals مدارس خاصة تقدم لهم الرعاية التعليمية والمهنية والاجتماعية والنفسية · والطالب الشاذ في الاصلاح النفسي هو الذى يبعد كثيرا عما هو عادى ومتوسط · وعلى هذا يدخل الطلاب المتفوقون والممتازون عقليا فى هذا الاطار ، فنظرا لامتيازهم وتفوقهم العقلى فهم يحتاجون لنوع خاص من الرعاية والتوجيه التعليمى ويعتبرون شواذ ولكن فى الاتجاه المرغوب فيه · ويدخل فى اطار الشواذ الطلاب المتخلفون عقليا ، والمصابون ببعض عاهات او عيوب حسية كالصمم والبكم والعمى · ولكل فئة من الفئات السابقة ظهرت مدارس متخصصة فى الكثير من بلاد العالم ترعاهم وتقدم لهم التوجيه التعليمى والمهنى والنفسى ·

وفى السنوات الاخيرة ظهرت مدارس خاصة تقوم على رعاية وتعليم الطلاب المضطربين نفسيا او ما يطلق عليهم ايضا المضطربون انفعاليا Emotionally Disturbed (١) · وهذه المدار ترعى ظروف هؤلاء الطلاب وتقلل من الضغو الواقعة عليهم وتخفف العبء عن كاهلهم حتى يزيد هذا الاضطراب الانفعالى (١) · وقد ز عدد الطلاب المضطربين انفعاليا ونفسيا فى ه العالم غير المستقر القلق والمتغير الذى يحيا ا هؤلاء الطلاب · واصبحت الفصول العادية للطلا فى كل بلاد العالم تحتوى بين جدرانها الكثير من هؤلاء الطلاب المضطربين · ويزيد هؤلاء الطلا العبء على المعلم داخل الفصل لانه يصعب التعا معهم فى الظروف العادية ، كما انهم يحتاجون لم متخصص للتعامل معهم يراعى فيه ظروفهم احوال ومدى ما وصلوا اليه من اضطراب انفعالى ونفسى كما ان هؤلاء الطلاب بتصرفاتهم وبـ كهـ الغريب احيانا وخروجهم فى احوال كثير علـ معايير وقيم الجماعة التى يوجدون فيه كذ ما يؤثرون تاثيرا سيئا على غيرهم الطلا

---

(١) هناك اتجاه حديث لاستخدام عبارة الاضطراب الانفعالى بدل الاضطراب النفسى وسوف تحد العبارتان بالتبادل فى هذا المقال ·

المحيطين بهم والذين قد يندفعون في محاكاتهم وتقليدهم والتأثر بهم ، مما قد يلحق اشد الاضرار بالجماعة التي يوجد بها مثل هؤلاء الطلاب المضطربون نفسيا . كما ان وجود هؤلاء الطلاب داخل الفصول والمدارس العادية كثيرا ما يضع ادارة المدرسة في موقف لا تحسد عليه من ناحية تعديل وتوجيه سلوكهم الى الاتجاه المرغوب فيه .

كيف يبدو الطلاب المضطربون انفعاليا ؟

قبل ان ندخل في وصف تجربة هذه المدرسة الفريدة التي للابناء المضطربين انفعاليا ونفسيا وحرم على الآباء دخولها ، سنوضح للقارىء فيما يلي بعض مظاهر الاضطراب الانفعالي لدى الطلاب :

(ا) مقابلة الطالب المواقف بما لا تستاهله او تستحقه من انفعالات . فنجده مثلا يغضب غضبا شديدا في موقف لا يستحق كل هذا الغضب ، وقد نجده يحزن حزنا شديدا على امر لا يستحق كل هذا الحزن . وفي الوقت نفسه نجد ان مثل هذا الطالب قد لا يغضب للقضايا الكبرى . ويظهر الاضطراب الانفعالي ايضا في شكل تبلد انفعالي فنجد ان الطالب مثلا لا يغضب لموقف يستحق ويستاهل غضبه الشديد وهكذا . ومن أمثلة الاضطراب الانفعالي ان يسيطر الخوف والمخاوف المعطلة على الطالب دون سبب ظاهر ، أو ان يستبد به قلق مدمر يقلل من جهده وتركيزه في المذاكرة او في اى عمل يقوم به .

(ب) انخفاض مستوى التحصيل الدراسي انخفاضا كبيرا يعتبر من المظاهر الاساسية للاضطراب الانفعالي الشديد عند بعض الطلاب . وبعض هؤلاء الطلاب يبدون وكان قدراتهم العقلية متخلفة « منخفضة . ولكن الحقيقة تقول : ان الاضطراب الانفعالي والنفسي الذى يعاني منه هؤلاء الطلاب يجعل تحصيلهم Achievement الدراسي منخفضا بدرجة كبيرة . فهم لايستطيعون التركيز في مذاكرتهم ولا يمكنهم وضع جهد كبير في هذه المذاكرة لذلك نجد ان كل الطلاب المضطربين انفعاليا يتخلفون في تحصيلهم في اطار فئة الطلاب الذين يفشلون مدرسيا على مستوى قدراتهم العقلية او ما يطلق عليهم باللغة الانجليزية - Underachievers .

(ج) صدور سلوك عن الطلاب المضطربين انفعاليا غير متوقع او خارج على قيم ومعايير وتقاليد جماعة المدرسة وغيرها من الجماعات التي يحيا فيها او يتعامل معها هؤلاء الطلاب وكثيرا مايطلق على هؤلاء الطلاب صفة المشكلين Problem Students حيث انهم يمثلون نماذج سلوكية شاذة يصعب على المعلم وادارة المدرسة في ظروفها العادية وفي ظل امكانياتها المتاحة التعامل معها .

ونود هنا ان نوجه نظر القارىء انه ليس كل الطلاب المضطربين انفعاليا من النوع الثائر « المشاغب » الذى دائما مايعتدى على الغير ويخرج على النظام ، فهناك من الطلاب المضطربين انفعاليا النوع الشديد الانطواء الذى لايكاد يسمع له صوت والذى يعيش مع نفسه في نوع من الاحتجاج الصامت على ظروف تحيط به لاتناسبه ولا ترضيه . وعادة لايسبب مثل هؤلاء الطلاب ادنى مشكلات بالنسبة للغير ولكنهم بانطوائهم وانعزالهم وتركيزهم على مشكلاتهم الداخلية كثيرا مايتخلفون تحصيليا واجتماعيا ، ويعرضون انفسهم لسخرية وضغوط افراد الجماعات التي يحيون فيها .

تجربة فريدة من نوعها : مدرسة للطلاب المراهقين المضطربين نفسيا حرم على الآباء دخولها

يذكر كاتب المقال تجربة فريدة من نوعها شارك فيها الكاتب منذ اكثر من عشر سنوات تمثلها مدرسة اعدادية / ثانوية في حي مانهاتن بمدينة نيويورك بالولايات المتحدة ، وهذه المدرسة كل طلابها من المضطربين انفعاليا . ولا تزال المدرسة الى الآن تؤدى رسالتها الانسانية الممتازة .

ولعل من اهم مايميز فلسفة هذه المدرسة انه يحرم دخولها على آباء الطلاب المضطربين نفسيا الملتحقين بها . وتعتمد هذه الفلسفة على افتراض ان معظم مايعاني منه هؤلاء الطلاب من اضطراب انفعالي ونفسي يرجع الى سلوك الآباء في الاسرة واسلوب تعاملهم الخاطىء مع ابنائهم . فالآباء

يريدون لأبنائهم كل خير ويفرحون اذا رأواأبناءهم قد حققوا فى حياتهم تقدما ونجاحا ، ولكن كم يسيء الآباء الى الأبناء دون أن يقصدوا أويعوا!

وعلى هذا الاساس فقد كان من فلسفة هذه المدرسة المتخصصة فى رعاية وتعليم الطلاب المضطربين انفعاليا أن يفصل جو المدرسة عن جو البيت ومشكلاته ، حتى يجد الطالب المتعبنفسيا فى المدرسة جوا جديدا من التسامح والحب والحرية يعوضه عن بعض مافقده فى الاسرة ، وحتى لاينقل الى المدرسة جو الاضطراب والقلق الذى يسود الاسرة • وبهذا الاسلوب يمكن أن تشعر المدرسة الطالب المضطرب نفسيا بالامن والحب والانتماء الذى افتقده فى هذه الاسرة •

ومن الممكن دعوة بعض الآباء الى المدرسة ولكن فى اضيق الحدود الممكنة لسؤالهم أو استطلاع رأيهم بالنسبة لبعض الأمور والمسائل المتعلقة بابنائهم ، ويكون حضور هؤلاء الآباء بناء على دعوة خاصة من المدرسة وذلك اذا رأت ادارةالمدرسة داعيا قويا لذلك • ولكن من المحرم على الآباء أن يأتوا الى المدرسة فى كل وقت شاكين من أبنائهم ومن تصرفات صدرت عنهم فى البيت أو خارجه ، وذلكحتى لا ينقلجو الاسرةالمضطرب الى المدرسة•

كيف تسير الدراسة فى هذه المدرسة ؟

يتابع الطلاب الملتحقون بهذه المدرسة دراستهم الثانوية العادية والكثير منهم يتابع بعد التخرج دراسته الجامعية فى الولايات المتحدة•ولكن معظم هؤلاء الطلاب ـ كما سبق ان ذكرنا ـ يحصلون دراسيا على مستوى أقل بكثير جدا من مستوى قدراتهم وامكانياتهم العقلية وذلك بسبب اضطرابهم الانفعالى •

والفصول الدراسية التى يجلس فيها هؤلاء الطلاب لايزيد عدد طلاب كل فصل منها عنثمانية طلاب ، وذلك حتى يتمكن المعلم من توجيه اهتمامه الى كل طالب فى المجموعة واعطاء كل طالب نوعا من الرعاية التعليمية والنفسية المتخصصة التى تناسب ظروفه •

وكل طالب وضع له نظام معين Code للتعامل معه مكون من عدد من الحروف الابجدية الانجليزية يرمز كل منها لأسلوب التعامل مع الطالب من ناحية معينة • فمثلا طالب معين نظام التعامل معه B S فمعنى ذلك ان مع مثل هذا الطالب يجب أن نؤكد الانتاج P وهو الحرف الاول من كلمة Production باللغة الانجليزية أى أن نضغط على الطالببكمية عمل مدرسى كبير ، لان العمل والعمل المستمروحده هو السبيل الى شغل هذا الطالب المضطربوتخفيض توتره وقلقه • وقد يكون من بين نظام التعامل مع هذا الطالب أيضا حرف S وهى الحرف الاول من كلمة Structure باللغة الانجليزية وتعنى التاكيد على البناء والتركيب فعند اعطاء الطالب أى عمل مدرسى مثلا يجب أن نعطيه خطوات السير فيه خطوة بخطوة • فمثلا عندما نعطى لمثل هذا الطالب موضوعا للانشاء فلابد من اعطائه عناصر كافية لهذا الموضوع ونوجهه لأسلوب السير فيه خطوة بخطوة والا فقد الاهتمام به وفقد القدرة على متابعة كتابة الموضوع •

وقد يختلف طالب آخر عن الطالب المذكور فيما سبق بالنسبة للنظام الموضوع للتعامل معهبواسطه ادارة المدرسة • فقد يطلب من معلمى هذا الطالب الا يؤكدوا على الانتاج المدرسى وكميته بأية صورة من الصور • فاذا طلب من الطالب أن يحل بعض مسائل الجبر أو الهندسة فيذكر له أنه بمكنه أن يقوم بحل أى عدد من المسائل يريده وكل عدد من المسائل يقوم بحلها تكون محل قبول من جانب المعلم • وقد يكون من بين نظام التعامل مع هذا الطالب عدم تاكيد البناء بالنسبة لاى عملمدرسى يقوم به • فمثلا اذا طلب من الطالب كتابة موضوع انشاء فيمكنه اختيار أى موضوع يكتب فيه ، واذا حدث وأعطى موضوع للكتابة فيه فيترك للطالب ان يعالجه أية معالجة يجدها مناسبة،حتى ولو جاءت هذه المعالجة غريبة وخارجة عما هو معتاد ومالوف• وذلك لان ظروف هذا الطالب النفسية تحتم ألا نفرض على أفكاره وأسلوبه فى التعبير سهامزيدا من القيود والحدود •

وهكذا الحال يوضع نظام معين لكل طالب فى المدرسة يتفق عليه كل فترة زمنية اجتماع للاخصائيين النفسيين والمعلمين فى المدرسة ، ويتم التعامل مع الطالب على هذا الاساس داخل الفصل وخارجه • وقد يحدث أن يتعدل نظام التعامل مع

طالب معين كلما اقتضت الضرورة ذلك وبناء على اسباب ودوافع معينة .

جو التقبل اهم ما يسود المدرسة

ولعل أهم مايميز هذه المدرسة المخصصة للمضطربين انفعاليا الفريدة من نوعها أن جو هذه المدرسة يسوده قدر كبير من التقبل للطلاب ولسلوكهم . فهناك اعتراف من جانب المعلمين وغيرهم بمشكلات الطلاب والصعوبات التى يعانون منها . وهم على هذا الاساس يتقبلون هؤلاء الطلاب بمزاياهم وعيوبهم ويقدمون لهم كل عون ومساعدة . كما أن هناك احساسا كاملا بالمسئولية من جانب المعلمين والاخصائيين النفسيين وادارة المدرسة تجاه هؤلاء الطلاب ورغبة صادقة فى مساعدتهم والاخذ بيدهم. ولم يحدث أن كان سلوك هؤلاء الطلاب المتعبين موضوع استهزاء أو سخرية من جانب أحد المعلمين ادراكا منهم بحقيقة الظروف الصعبة التى يحياها هؤلاء الطلاب . وعادة ما يتقبل المعلمون اى مستوى من التحصيل يصل اليه هؤلاء الطلاب مع عدم محاولة القاء مزيد من الضغوط عليهم .

وتتيح المدرسة للطلاب المضطربين انفعاليا فرصة التعبير عن أنفسهم وعن قلقهم والتنفيس عن بعض نواحى الضيق الذى يعانونه عن طريق المشاركة فى مختلف نواحى النشاط الثقافى والفنى والرياضى وعن طريق الهوايات المفيدة التى يمارسها تقريبا كل الطلاب .

خبرات لا تنسى

والواقع أن كاتب هذا المقال قد خرج بخبرات ذاتيه نتيجه لتعامله مع الطلاب فى المدرسة السابق لاشارة اليها . ومما يثير الانتباه أن هؤلاء الطلاب معظمهم من أبناء الاغنياء أصحاب الملايين نظرا لارتفاع ا[illegible]ـوم والمصاريف المدفوعة للطالب فى هذه المدرسة تعويضا للرعاية الخاصة التى يتلقاها منها . ومع هذا فهؤلاء الطلاب الاغنياء مضطربون نفسيا . [illegible] حمل هذا كاتب المقال الى البحث والتقصى لـ[illegible] يجد اجابة لهذه الظاهرة الغريبة . وقد اصبح الكـ[illegible] هذا المقال أثر الوفرة Abundance المسيطر على بعض هؤلاء الطلاب ، حيث ان لديهم كل شئ من [illegible]ات الحياة ولا يوجد ما يشتهونه او يسعون للحصول عليه . ولا يوجد شئ له قيمة يكافحون فى سبيله فى هذه الحياة وقد اوصل هذا الطلاب الى قدر كبير من السام والملل وخلت حياتهم من لذة الكفاح ومن المسرات التى يستمتع بها الانسان كلما اشبع حاجة او حقق هدفا مهما كان ضئيلا .

والملاحظة الثانية ان هؤلاء الطلاب الميسرين ماديا كانوا دائمى الشكوى من قلة الحب والحنان الذى يحصلون عليه فى البيت الذى تتوافر فيه كل امكانيات الحياة المادية المعاصرة . فقد كان بعض آباء هؤلاء الطلاب المضطربين نفسيا منشغلين انشغالا تاما بالعمل المستمر وجمع المال وتوفير سبل الحياة المادية الهانئة لابنائهم وافراد اسرهم. وقد نسى هؤلاء ان أبناءهم بعد ان اشبعت حاجتهم المادية الفسيولوجية فى اشد الحاجة الى قبلة حنان او كلمة حب او تقدير . وهذا كله قد افتقد فى زحمة جمع الآباء للسلطة والمال الذى يزيد عن كل حاجة وعن كل اشباع .

الاستفادة من التجربة السابقة فى بلادنا العربية

واخيرا يجب الا تنسى ان نوجه نظرة الاهتمام الى الطلاب المضطربين انفعاليا فى بلادنا العربية ـ وما اكثرهم . فالعالم المتغير الذى يعيش فيه هؤلاء الطلاب والظروف الاجتماعية والسياسية والصراع المسلح الذى يسود منطقتنا العربية والانتقال والتطور الحضارى لبعض المجتمعات العربية قد اوقع الكثير من الشباب وخاصة المثقف منه فى حالة من عدم التاكد والقلق . يا ليت بعض بلادنا العربية تهتم بانشاء مدارس متخصصة لرعاية هؤلاء الطلاب المضطربين انفعاليا ، او على الاقل تقديم العون والمساعدة والارشاد النفسى لهؤلاء الطلاب داخل المدارس العادية حتى يمكن لهؤلاء الطلاب مواجهة الصعوبات التى يعانون منها . ويا ليت كل مدرسة اعدادية وثانوية كبيرة تستخدم اخصائيين نفسيين على اعلى مستوى من الاعداد والخبرة للاخذ بيد الطلاب المتعبين نفسيا ، ولتوجيه المعلمين وادارة المدرسة للاسلوب الامثل للتعامل مع كل واحد من هؤلاء الطلاب .

علي احمد علي ـ القاهرة

العروبة ترابط .. والتقنية تفكيك فما العمل ؟

بقلم : الدكتور السيد ابو النجا

كان العربى القديم فى عهد الرعى يحمل خيمته ويقود ناقته ومن خلفها غنمه الى حيث يجد الماء • ولذلك قالوا « المورد العذب كثير الزحام » • وتضاءلت الى حد كبير قيمة المكان فلم يكن الولاء له بقدر ما كان للمرعى اين يكون •

ولما حلت الزراعة محل الرعى فى مصر وسوريا والعراق استبدل الناس البيوت بالخيام ونشأت التجمعات فى القرى وتزايد الشعور بالانتماء للمكان وقويت الروابط بين الاسر وتجمعت السلطة فى يد الدولة فى مجتمع النهر بعد ان كانت مشتتة فى مجتمع المطر وظهرت الملكيات فى شكل مزارع خاصة وبيوت من الطوب والآجر •

ولما دخلت البلاد الزراعية عهد التصنيع زادت التجمعات فى المدن حتى اربى سكان القاهرة على سبعة ملايين وسكان الاسكندرية على مليونين وسكان دمشق وحلب وبغداد على مليون •

ثم دخلت السعودية والكويت وامارات الخليج وليبيا والجزائر عصر البترول فعاد اهلها الى عصر التحرر • والتحرر الجديد قائم على التخفف من الارتباط بالاهل وبالمكان وبالسلع • واليك البيان •

التحرر من الأهل

ان نسبة العاملين فى الزراعة تترا... لصالح الصناعة واستخراج البترول • وما اظ... العاملين فى الارض يزيدون الآن على الثلث • ... ما بلغ

لاتجاه الى التصنيع فى مصر وسوريا ولبنان غيرها فان بلاد البترول تجرى فى مضمار الحضارة ربا هيهات ان تلاحقها فيه البلاد الاخرى بزراعتها صناعتها .

اهمية الطاقة :

ولكى نقدر الاهمية التى اصبحت لدول البترول يجب ان نعرف ان استهلاك العالم من الطاقة فى القرن الاخير يعادل نصف ما استهلكته البشرية منذ لد المسيح ! وكنتيجة لارتفاع الدخل فان المراهق فى بلاد البترول يجد نفسه اليوم مستمتعا باضعاف ما كان يستمتع به ابوه من السلع والخدمات . عندما يصل المراهق الى سن الثلاثين سيزيد التضاعف فى هذه السلع . وعندما يصل الى الستين فقد يصل التضاعف الى عشرين او ثلاثين مرة.ومعنى هذا انّنمط الحياة عند هؤلاء المراهقين تتغير بسرعة جنونية من سنة الى اخرى وهم يلهثون وراءه فيكون لاندفاعهم معقباته الخطيرة من الناحيتين النفسية والاجتماعية . واذا لم يتكيفوا مع هذا التيار الجارف فقد يتعرضون للتمزق الذى تعرض له الهيبيون فى اوروبا امريكا .

سرعة المواصلات :

ان الذى يركب الجمل فيسير بسرعة ستة كيلو متر فى الساعة اصبح يجرى بسرعة عشرين كيلو مترا فى عربة تجرها الجياد . ثم زادت سرعته الى مائة كيلو متر حين ركب القطار ، وقفزت سرعته الى اربعمائة ميل فى الساعة حين ركب الطائرة . واليوم تصل سرعة الطائرة الصاروخية الى ٤٠٠٠ ميل فى الساعة وسرعة كبسولة الفضاء الى ١٨٫٠٠٠ ميل فى الساعة . ففى اى طريق نحن مسوقون ؟ لقد انتقل العربى من عصر الجمل الى عصر النفاثة فى ربع قرن . وربما انتقل من عصر النفاثة الى عصر الصاروخ فى خمس سنوات فما تاثير ذلك على عروبته وتقاليده ومعتقداته ؟

نزح العقول :

وقد كانت سهولة السفر وسرعته عاملا كبيرا ساعد على هجرة مئات الالوف من المدرسين والجامعيين والعمال من البلاد الزراعية حيث يتكاثر السكان ويقل الدخل الى بلاد البترول حيث يفوق تزايد الدخل تزايد السكان.وهذه الهجرة تحد من وطنية العربوتزيد منعروبتهموهو نوعمحمودمنعدم الاغراق فى الانتماء . فالمصرى والسودانىوالعراقى والسورى يقل تمسكهم باوطانهم حين يجدون لانفسهم اوطانا اخرى . وحين يقودهم البحث عن عمل الى اوطان ثالثة ورابعة فان عروبتهم تعلو على مستوى اوطانهم وتخف صلتهم باهليهم واقربائهم وتشتد بزملائهم ومعارفهم فى الاوطان الجديدة ، كما انهم يتطبعون بطباع لم تكن لهم من قبل ان يهاجروا ، وهذه الطباع خليط مما رسب فى نفوسهم من سلوك الذين عايشوهم .

هجرة العرب :

ومن العرب من يسافرون الى اوربا وامريكا ليكملوا دراساتهم او يتخصصوا فى فنونهم • فاذا راقتهم الحياة هناك حطوا رحالهم وتزوجوا من اجنبيات • وبمرور الوقت يقل تعلقهم باقوامهم وتقتصر صلتهم بهم على تبادل الرسائل معهم فى المناسبات • اما ابناؤهم فهم ينشاون نشاة غربية ولا يتكلمون العربية ويتجنسون بجنسية البلد الذى ولدوا فيه فتنقطع صلتهم ببلدهم الاصيل •

ان هجرة العقول العربية من البلاد الزراعية الى البلاد البترولية امر ملحوظ ، وهجرتهم الى امريكا وغرب اوربا أمر محقق كلما لم يجدوا عند عودتهم من بعثاتهم ايقاعا اسرع لحياتهم ، يلائم طريقتهم الجديدة فى العيش فالذين هاجروا مرة قد وهن فيهم الارتباط بالجماعة فاصبحوا اكثر قابلية للهجرة مرة اخرى •

ان التقدم الفادح فى المواصلات والاتصالات قد جمع أرجاء العالم فى مفهوم واحد فاصبح ارتباط الفرد بعمله مقدما على ارتباطه باهله • وتغلغل التكنولوجيا فى حياته جعل العلم منافسا لمعتقداته • وتقدم الحاسبات الالكترونية جعل الارقام تطغى على الروحانية فى نفسه •

التحرر من المكان

أثر السيارة والطائرة :

المشاهد اليوم أن السيارة قد اصبحت من ضروريات الحياة فى كل بيت عربي • بل أن المراهق لا يطيق أن يصل الى سن الثامنة عشرة دون أن تكون له سيارته الخاصة • ومعنى ذلك أن « العز فى التنقل » كما يقولون • والذين ليس لديهم سيارات خاصة يستجيبون لدافع التنقل بواسطة الاوتوستوب •

ان الوف السيارات تسد الطرق سدا فــى الكويت والسعودية وبيروت والقاهرة فالفرد يرى فى تغيير المكان ترويحا عن نفسه ، والأسرة تفضل قضاء عطلة الاسبوع بعيدا عن البيت ، ورجل الاعمال يهرب من الزحام فيسكن فى اطراف المدينة • ومن الأسر القادرة ما يكون لديها اكثر من سيارة ، بل ان منها مالديه سيارة لكل فرد فيها، وقريبا ستصبح الطائرة الخاصة من ضرورات الحياة الحديثة •

ورحمة الله على من كنّ يسكنّ فى حى الازهر بالقاهرة فلا تجرؤ احداهن على شراء حذاء لنفسها لان المفروض الا تخرج من بيتها الا الى بيت زوجها ليلة الزفاف • لقد عاصرت فى حياتى رجلا فى قريتى لم يركب القطار قط فى حياته فلما سالته عن ذلك قال انه يدوخ من سرعته حين يراه يجرى امامه فكيف اذا ركب فيه ! ولا يزال الصحفى الكبير محمد التابعى والموسيقار الفنان محمد عبد الوهاب يخافان من ركوب الطائرة لانهما لا يطيقان أن يكونا بين الارض والسماء معلقين فى الجو •

ذلك ومؤلف الكتاب المشهور « صدمة المستقبل » Future Stock يروى أن أحد المديرين فى نيويورك يستقل المصعد من الطابق التاسع والعشرين الى الطابق الارضى ثم يسير على قدميه عشر دقائق يصل بعدها الى مطار وال ستريت للهيوكوبتر حيث تهبط به الطائرة بعد ثمانى دقائق فى مطار كينيدى وهناك ينتقل الى احدى النفاثات حيث يتناول العشاء والطائرة تندفع به الى مطــار كراومبس فتصله بعد ساعة وعشر دقائق حيث يجد سيارة فى انتظاره فيستقلها الى منزله ليصله بعد ثلاثين دقيقة وهكذا يقطع المدير هذه الرحلة الطويلة كل اسبوع ليقضى العطلة مع اسرته على بعد خمسمائة ميل من مقر عمله ويقطع فى الذهاب والاياب ٥٠٠٠ر٥٠ ميل سنويا ، وهكذا تقضى سرعة المواصلات على بعد المسافات فيقل تشبث الناس بالمكان • ولولا الطائرات لما تمكن رجال الاعمال

فى جدة .ن التردد على الرياض . ولولا السيارات لما تمكن أهالى بيروت من مزاولة اعمالهم فى الصباح والعودة للجبل بعد الظهر .

التحرر من السلع

ان علاقة العرب بالأشياء لا تدوم اليوم طويلا كما كانت فى الماضى . واذا كان رب الأسرة يبنى لنفسه بيتا كبيرا مستقلا ينفق فيه حياته ، فان ابناءه سيفضلون غدا أن يستاجروا لانفسهم شققا حديثة بها اثاث قليل وتكييف وموسيقى . وقد يغيرونها كلما ارادوا حتى لقد ينتهى بهم الامر الى ان يعسكروا بدل أن يسكنوا ! .

واذا كان العربى كما قلنا حريصا على اقتناء سيارته فقد يفضل استئجارها غدا . وفى الولايات المتحدة تستطيع أن تستاجر اليوم سيارتك فى أى مطار او محطة سكة حديد او فندق .

واذا كانت الفتاة العربية تنفق اليوم على فستان زفافها مئات الجنيهات فانها قد تتجه غدا الى فستان من الورق كما تفعل الامريكيات فتلبسه ليلة الزفاف ثم تتخلص منه . وما أقوله عن الفستان أقول مثله عن الاطباق والمناشف الورقية .

ان قداحات السجاير التى لا يعاد ملؤها بالغاز وانما تلقى بمجرد أن تفرغ شحنتها تلقى رواجا كبيرا فى العالم العربى مما يدل على فعل الاعلان فى نشر الروح الاستبدالية بين العرب . انهم يفضلون أن يرتبطوا بعدد متتابع من القداحات على أن يظلوا مدة طويلة مرتبطين بقداحة واحدة .

وريشة الكتابة القديمة حل محلها قلم الحبر لمسايرة العربة فى التنقل ، ثم جاء بعده القلم الجاف وهو من الرخص بحيث يمكن رميه بعد أن يفرغ .

ان التقنية المتقدمة تجعل تكاليف التشغيل بالآلة من تكاليف الاصلاح باليد ، ولذلك فان الاتجاه الحديث هو الى انتاج سلع اقصرعمراولكنها فى الا الطويل ارخص من السلع المعدة للاصلاح .

وحد السلع المعمرة اصبح الاتجاه فيها الى ان تكر اقصر عمرا فالجيل الاول من الحاسبات الالكتر اكثر كفاءة من الجيل الثانى والجيل

الثانى اكثر كفاءة من الثالث . فالمطلوب اقتصاديا اذن هو انتاج الكمبيوتر الذى لا يعيش اكثر من اللازم .

هذه الضغوط تشجع ثقافة التحرر من الاشياء . ولذلك يحق لنا أن نتوقع فى المستقبل القريب انتشار الايجارية على حساب الملكية لان الايجارية تختزل علاقة العربى بالاشياء . وعلاقته تعكس حكمه على القيم .

والخلاصة :

ان العربى يذيب عروبته الآن فى محلول من العالمية فان التقدم المذهل فى المواصلات والاقمار الصناعية ، وفى التقنية التى تباعد بين مستوى الاوطان ، وفى الثقافة التى ترفع لواءها فوق اتجاهات الناس فى جميع الاقطار ، هذا التقدم تيار عالمى جارف لا بد أن يسير العرب فيه ومن شانه أن يخفف من ارتباطهم بالاهل وبالمكان وبالسلع . وهذا التخفف يترك أثره فى مدى تمسكهم بتقاليدهم وعقائدهم .

فعلى المصلحين الدينيين والاجتماعيين ان ينهضوا من الآن لتفادى آثاره المستقبلة المدمرة . ■■

السيد أبو النجا

واقعة القادسية

وما ... من محاكمة

بقلم : أحمد عادل كمال

■ لقد عرف التاريخ الاسلامي مؤاخذة مجرمي الحرب ، ونعرض هنا محاكمة عمر بن الخطاب لهرمزان الفارسي ، لنتبين اى عدل كان فى تلك المحاكمة • وفى مؤاخذة مجرمي الحرب فى الاسلام وان عمر بن الخطاب لم يكن مبتدعا ، وانما سبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة اذ اهدر دماء بعض القرشيين ، ولو ان رحمته غلبت ، فعاد وعفا عن بعضهم ، ثم اصدر عفوا عاما عن كل من عذب المسلمين من قريش • كذلك آخذ ابو بكر مجرمي الحرب من المرتدين في حروب الردة •

عدلت فامنت فنمت يا عمر

هذا القول المشهور جرى على لسان مجرم الحرب هرمزان الفارسى ، حين جىء به اسيرا الى عمر فى المدينة ، فحفظنا القول ، ونسينا صاحبه ومحاكمته ؟

كانت امبراطورية فارس اقاليم ــ او كورا(١) كما كانوا يسمونها ــ وكان هرمزان هو الرجل الاول لكورة الاهواز ، او كما قيل عنه كانصاحب تستر (قلعة الاهواز) وكان هرمزان من مهرجان قذق (احدى نواحى الاهواز) • والاهواز هى اقليم خوزستان من ايران اليوم ويقع الى الشرق من اسفل دجلة وشط العرب •

وكانت فارس تقوم على نظام طبقي صرف ، ظهرت فيه سبع طبقات ، اذا رتبناها تنازليا كانت كما يأتى : الملوك ــ الاشراف ــ رجال الدين ــ رجال الحرب (وهم الفرسان) ــ الكتاب ــ الدهاقين (وهم رؤساء القرى) ــ الشعب • يهمنا من هذه الطبقات الطبقة الثانية ــ الاشراف ــ فهى التى كان ينتمى اليها هرمزان ، وكانت الطبقة سبع عائلات لكل منها منطقة نفوذ ، تقيم بها ، ويظهر عليها سلطانها ، هذا الى جوار انخراطهم فى البلاط الملكى الذى كان محظورا على سواهم • وكان الرعايا ملزمين باداء الضرائب اليهم أو الى الدولة او اليهما معا ، كما كانوا ملزمين باداء الخدمة العسكرية تحت رئاستهم • وكانت بعض المناصب العامة تورث بين افراد هذه الطبقة ، مثل وظائف تتويج الملك ، وادارة شئون الحرب ، ورعاية كنوز الملك •• •

ولقد بدأ الفتح الاسلامي للعراق وفارس فى عهد الخليفة ابى بكر على يد خالد بن الوليد ثم ابى عبيد الثقفى ، والمثنى بن حارثة • الى هنا لم يكن هرمزان قد ظهر على مسرح العمليات الحربية • فلما اعد عمر بن الخطاب جيشه الكبير بقيادة سعد بن ابى وقاص ، واعد يزدجرد الثالث ملك فارس اضعاف ذلك الجيش لقتاله

(١) مفردها، كورة ، أى الاقليم

بالقادسية بقيادة رستم ، بدا اسم هرمزان يدخل التاريخ • كان جيش رستم مائة وعشرين الف مقاتل ، وكان هرمزان على ميمنته وقد بلغت تلك الميمنـــة ثمانيـــة وعشريـــن الفـــا نصفهم مشـــاة من فـــلاحي المناطـــق القريبة ، ونصفهم مـــن الفرســـان وهـــم جيـــش الاهواز • ودارت معركة القادسية بين خندق سابور ونهر العتيق ، وكانت مقدمة رستم اربعة وعشرين الفا يقودهم جالينوس ، فلما صفّ رستم وحداته في ميدان المعركة جعل أماكنهم عن يسار هرمزان ، فكان هذا الجناح الايمن من قوات رستم يواجـــه الجنـــاح الايسر لجيـــش سعـــد ، وهـــذا الجنـــاح كـان ثلاثـــة عشر الفا واربعمائة من قبائل اليمن من بني قحطان(٢)•

واشتعل اوار المعركة اربعة ايام وبعض لياليها• ثم قتل رستم ، وانهار جيشه امام ضربات المسلمين، وحاولت قوات المجوس ان تنسحب ، في حين ارادت بعض كتائبه ان تصمد ، وكان هرمزان ممن حاول الصمود ، فتصدى له عطارد بن حاجب التميمي ، وارغمه على الفرار ، وقليل من جيش المجوس بالقادسية من نجح في الفرار •

وا[illegible] هذه الفلول الهاربة في بابل على الطريق الى المدائن (العاصمة) تحاول ان تقف [illegible] اخرى تمنع بها جيوش المسلمين ان تصل [illegible]ها ، غير انها كانت معركة خاسرة واستطاع هرمزا[illegible]ن يفر مرة أخرى •

هرمزان في الأهواز

كانت معركة المدائن على الابواب ، والمدائن على نهر دجلة الى الجنوب من موقع بغداد ، وكان الفرس يحشدون لها من انحاء مملكتهم ما يحشدون، واراد عمر ان يشتت هذه القوات ويصرف جانبا منها عن تلك المعركة ، ففتح جبهة اخرى بتوجيه عتبة بن غزوان الى الأبلّة في ناحية البصرة ، وكانت تلك الجهة هي مفتاح ما وراءها من اقليم الاهواز • ولذلك اتجه هرمزان في انسحابه من بابل الى الاهواز ، تاركا معركة المدائن للاقدار • وراح يحشد ويجند اهل الاهواز ، ويغير بهم من جهة نهر تيرى الى ميسان (ناحية شط العرب) ومن مناذر الى دست ميسان (ناحية العمارة) •

هذا على حين نجحت قوات المسلمين في اقتحام المدائن في الشمال والابلة في الجنوب •

واراد عمر ان تقف قواته فلا تتجاوز ما فتحت . غير ان غارات هرمزان في القطاع الجنوبي ، وعمليات اخرى مشابهة في القطاع الشمالي ، دفعت عمر الى ان يدفع بقواته للاشتباك بجيوش المجوس لتصفيتها • فكانت قوات المسلمين التي التقت بهرمزان اربع فرق ، عليها نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وحرملة بن مريطة وسلمى بن القين ، ومجموعها خمسة آلاف • ودارت المعركة فيما بين تيرى ومدينة دلث • وما لبثت مواقع هرمزان على نهر تيرى وفي مناذر ان سقطت في ايدي المسلمين ، فانهزم هرمزان وتراجعت قواته الاساسية

(٢) [illegible] التفصيلات كاملة في كتابنا «القادسية» نشر «دار النفائس» / بيروت •

الى شاطىء نهر كارون ، واستولى المسلمون على ما دون ذلك وعسكروا تجاه سوق الاهواز ، وقد عبر هرمزان جسرها ، واقام على رأسه من جهته • ثم نظر فرأى ما لا طاقة له به من المسلمين ، وكانت بعض الامداد قد وصلتهم ، فطلب الصلح ، وصالحه المسلمون على الاهواز ومهرجان قذق ما عدا ما غلبوا عليه •

هرمزان ينقض عهده

وما أن استرد هرمزان انفاسه حتى نقض الصلح ، واستعان بالاكراد ، فزاد جنده ، وعبر المسلمون اليه الجسر والتحموا به فانهزم وتراجع الى رامهرمز • واذ احس بالهزيمة عاد يطلب الصلح من جديد ، فقبله عمر ، وصالحه على ما لم يفتح من ارض رامهرمز وتستر وسوس وجنديسابور والبنيان ومهرجان قذق • وأقام هرمزان بها يجبي الى المسلمين خراجها ، ولا يدخلون عليه ، وله ذمتهم وحمايتهم ، فكانوا يدافعون عنه ، ويحمونه من غارات الاكراد عليه •

ومرة أخرى ينقض

ووجه المجوس حشودا جديدة نحو تستر ، وخشي المسلمون انتقاض هرمزان مرة اخرى فبعث المسلمون جيشا من الكوفة يقوده النعمان بن مقرن ، كما تحرك ابو موسى الاشعري بجيش آخر من البصرة لينزلا تجاه هرمزان ، حتى يتبين للمسلمين ما سوف يكون من امره وكان ما خشوا ، فقد خرج هرمزان من رامهرمز وبادر جيش الكوفة بالهجوم ،ولكن النعمان جرّعه مرارة الهزيمة في اربك ، فانسحب هرمزان الى تستر ، واستولى النعمان على رامهرمز وعلى ايذج • وحاصر جيشا المسلمين تستر اشهرا ، وقع فيها ثمانون اشتباكا ، ولم تحسم الموقف لطرف على الآخر ، واخيرا سقطت امام هجوم ليلى فاجا المسلمون به المجوس، وحصروا هرمزان في قلعة لم يجد منها مخرجا ، وقد قتل بيده ليلتها رجلين من كبار الصحابة هما مجزاة ابن ثور ، والبراء بن مالك ، ثم استسلم على أن يكون أمره الى عمر يصنع به ما يشاء • وشد المسلمون وثاقه ، وبعثوا به اسيرا الى عمر في المدينة ، مع وفد فيه أنس بن مالك (اخو البراء قتيل هرمزان) ، وفيه المغيرة بن شعبة والاحنف بن قيس •

هرمزان أمام عمر

اقترب الوفد بهرمزان من المدينة ، فالبسوه ثيابه من الديباج الملبس بالذهب ، ووضعوا على راسه تاجه الذهب المرصع باليواقيت ، واستكملوا كل حليته ، حتى يراه عمر واهل المدينة على صورته التي كان عليها في بلده • وقصدوا به بيت عمر فلم يجدوه ، وقيل لهم انه جلس في المسجد لوفد قدم عليه من الكوفة ، فذهبوا الى المسجد ونظروا فيه فلم يروه فانصرفوا يبحثون ، وصاح بهم غلمان يلعبون « ما تلددكم ؟ تريدون امير المؤمنين ؟ فانه نائم في ميمنة المسجد متوسدا برنسه » •

ورجع الوفد بهرمزان الى المسجد وحولهم الناس والصبيان ،فوجدوا عمر نائما والدرة معلقة في يده ، وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره • فجلسوا دونه لا يوقظه احد حتى يستيقظ •

ولم يفهم هرمزان ، فسأل متعجبا « أين عمر ؟ » فاشاروا الى عمر نائما ، وقالوا : « هو هذا » قال « اين حراسه وحجابه ؟ » قالوا « ليس له حارس ولا حاجب » • فازداد عجبه ونظر الى عمر وقال « عدلت فامنت فنمت » • وكثر لغط الناس فافاق عمر ونظر ، ثم قال « هرمزان ؟ » قالوا : « نعم » • فتامله وما عليه ثم قال « اعوذ بالله من النار(٣) واستعين بالله • الحمد لله الذى أذل بالاسلام هذا واشياعه • يا معشر المسلمين • تمسكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهدى نبيكم • ولا تبطرنكم الدنيا ، فانها غرّارة » • ثم أمر عمر أن يخلعوا عنه حليته •

المحاكمة

قال عمر « هيه يا هرمزان ! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة امر الله ؟ » •

قال « يا عمر ، انا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم ، فغلبناكم اذ لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان معكم غلبتمونا

قال عمر « انما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا » • ثم عاد الى موضوع المحاكمة الذى حاد عنه هرمزان فساله « ما عذرك وما حجتك في

---

(٣) العربي : أي ان ما على هرمزان من تاج وملبس فاخر ، وما وراء هذا من جبروت وكبر انما هو فتنة تؤدي باهلها الى النار (وهذا ما يفهم من بقية كلمة عمر هنا) •

التقاضك مرة بعد مرة ؟» •

قال « اخاف ان تقتلنى قبل ان اخبرك » •

قال « لا تخف • لا باس عليك حتى تخبرنى » •

فطلب هرمزان ماء ليشرب فاتى به ، فجعلت يده ترجف وعاد يقول « انى اخاف ان اقتل وانا اشرب الماء » •

قال عمر « لا باس عليك حتى تشربه » •

فاكفا هرمزان الماء على الارض ، فطلب له عمر ماء غيره •

قال هرمزان « لا حاجة لى في الماء ، انما اردت ان استامن به » •

قال عمر « انى قاتلك » • قال « قد آمنتنى » •

قال « كذبت » •

وقال أنس بن مالك « صدق يا امير المؤمنين ، قد امنته » •

انس ، اخو البراء بن مالك ، قتيل هرمزان فى ستر ــ لم تمنعه فجيعته فى أخيه أن يشهد له شهادة حق تنجبه من القتل ، وتمنحه الحياة •

قال عمر فى غضب « ويحك يا أنس ! انا أؤمن قاتل مجزأة والبراء ؟ والله لتاتينى بمخرج او لاعاقبنك » •

قال « قلت له : لا باس عليك حتى تخبرنى ، وقلت : لا باس عليك حتى تشربه » •

وانضم الحاضرون الى انس فى رايه فقال عمر لهرمزان : « خدعتنى ؟ والله لا انخدع الا لمسلم ! » فاعلن هرمزان اسلامه •

وفى رواية اخرى ان عمر قال لهرمزان « تكلم بحجتك » •

قال « كلام حى او ميت ؟ » قال « بل كلام حى »•

قال « قد آمنتنى ! » •

وهكذا انتهت هذه المحاكمة ، ونحن نلحظ فيها كل العدل والضمانات لمتهم ليس معه محام من ... ولكن الذين حاكموه كانوا اهل الحق ، ... له من انفسهم ، ولم يكن مثل هرمزان ... الا ان كان قاضيه مثل عمر ، وشهوده مثل ... مالك • وفرض عمر لهرمزان ألفين من ... • وانزله المدينة وكانما كان هرمزان ... فلاع الفرس سقطت فدخلت مهرجان ... الاهواز فى الصلح وكان لهرمزان أثره ... •

هرمزان المستشار

... الفرس جيشا جديدا قوامه مائة وخمسون الفا فى نهاوند • فقال عمر لهرمزان « لا باس ، انصح لى » •

« نعم • ان فارس اليوم راس وجناحان » •

قال عمر « واين الرأس ؟ » •

قال « فى نهاوند مع بندار ، فان معه اساورة كسرى واهل اصبهان » •

قال عمر « واين الجناحان ؟ » •

قال « آذربيجان ، فاقطع الجناحين يهن الرأس »•

قال عمر « كذبت يا عدو الله ، بل اعمد الى الرأس فاقطعه ، فاذا قطعه الله لم يعص عليه الجناحان » •

النهاية

ومع الايام الاخيرة من عام ٢٣ هـ اغتال ابو لؤلؤة المجوسى (مولى المغيرة بن شعبة) عمر بن الخطاب فى صلاة الفجر ، طعنه بخنجر ذى رأسين ، ست طعنات ، احداهن تحت سرته ، فبقى اياما ثم اسلم الروح فى اول محرم سنة اربع وعشرين • ولما سمع ذلك عبيد الله بن عمر بن الخطاب اسرع الى هرمزان قاتل ابيه فقتله ، فقبض عليه ، وقدم الى عثمان بن عفان (الخليفة بعد عمر) للقصاص منه ، فارسل عثمان الى ولى الدم وهو قماذبان بن القبيل هرمزان لياخذ بحقه ، فان شاء قتله وان شاء عفا عنه • وفى ذلك يقول قماذبان بن هرمزان :

« كانت العجم بالمدينة ، يستروح بعضها الى بعض ، فمر فيروز بأبى (هرمزان) ومعه خنجر له رأسان ، فتناوله منه وقال : « ما تصنع بهذا فى هذه البلاد ؟ » فقال : « آنس به » فرآه رجل • فلما اصيب عمر قال الرجل : « رأيت هذا مع هرمزان دفعه الى فيروز » • فاقبل عبيد الله (بن عمر) فقتله (اى قتل هرمزان) ، فلما ولى عثمان دعانى فامكننى منه (للقصاص) ، ثم قال « يا بنى ، هذا قاتل أبيك وانت اولى به منا ، فاذهب فاقتله » • فخرجت به وما فى الارض أحد الا معى ، الا انهم يطلبون الىَّ فيه • (اى يطلبون العفو عنه) ، فقلت لهم : « ألى قتله ؟ » قالوا : « نعم » ، وسبوا عبيد الله فقلت : « افلكم أن تمنعوه ؟ » قالوا « لا » ، وسبوه ، فتركته لله ولهم • فاحتملونى، فوالله ما بلغت المنزل الا على رؤوس الرجال واكفهم » • ■■

احمد عادل كمال

صحافة الكويت

ولدت في الغربة
ثم حملت لواء النهضة في الدولة الحديثة

استطلاع بقلم : منير نصيف

تصوير : صلاح ادم

دار السياسة

دار السياسة في شارع الصحافة بالكويت .. وتصدر عنها صحيفة السياسة اليومية، وصحيفة « كويت تايمز » Kuwait Times ، وهي صحيفة يومية ايضا تصدر باللغة الانجليزية .

دار القبس . وتصدر صحيفة القبس اليومية . وهي دار حديثة صمم بناؤها على احدث النظم المتبعة في الدور الصحفية العالمية . وتقع ايضا في شارع الصحافة .

في الكويت تصدر اليوم أكثر من ثلاثين صحيفة ومجلة أسبوعية وفصلية . ان الحرية التي تتمتع بها الصحافة ، شجعت على صدور هذا العدد الكبير من الصحف والمجلات .

دار الراى العام . وتصدر صحيفة الراى العام ، اول صحيفة صدرت في الكويت بصفة اسبوعية ثم تحولت الى صحيفة يومية. وتصدر الراى العام ايضا صحيفة الديلي نيوز « Daily News » اليومية باللغة الانجليزية .

في المبنى المؤقت لدار صحيفة الوطن اليومية. وقفت محررة الاخبار الخارجية تقرأ آخر الاخبار التي تنقلها وكالات الانباء من شتى انحاء العالم . وتصدر دار الوطن أيضا صحيفة الهدف الاسبوعية .

■ما من امـة قامت بغير صحافة ، وما من أمـةازدهرت ونمت وتطورت بغير صحافة . فالصحافة هي المرآة التي تعكس مدى ما وصلت اليه أيـــةأمة من تقدم وحضارة وفكر وحرية .

قال أمير الشعراء احمد شوقي منذ اكثر منصف قرن ، يصف دور الصحافة في واحدة من قصائده الرائعة ... قال :

لـكل زمـــان مـضى آيـــة	وآيـة هذا الزمـان الصحـف
لســان البلاد ونبض العبـاد	وكهف الحقوق وحرب الجنـف

هذا دورها ، وتلك رسالتها اذن منذ ان عرف لعالم المطبعة ، ومنذ ان امسك الكاتب بالقلم ليعبر عما في نفسه من احاسيس وانفعالات ، وعمايعتمل في صدور الناس من آلام وآمال للمستقبل. ويصف بعد هذا ما يدور حوله من صور للحيـاةيراها مظلمة حينا مضيئة احيانا ..

★ ★ ★

مقدمة قصيرة لدور الصحف والصحافة في حياتنا الحاضرة . و لانحسب ان بيننا اليوم من يجهل الدور الحيوى الكبير الذى تلعبه الصحافه الحرة في حياة الشعوب في اية بقعة من بقاع العالم .

وموضوعنا اليوم صحافة حديثة ، ولدت صغيرة، ولكنها ولدت حرة معبرة .. انها صحافة الكويت الناهضة .. هذا البلد العربى الذى اراد لـــه الله عز وجل ان ينتقل من حياة الى حياة .. من حياة الكفاح من اجل العيش والرزق .. الى حياة العمل والبناء والتطور بعد ان كشفت الارض عما في جوفها من خير عم الكويت واهلها ، وامتد الى خارج حدودها لمساعدة اشقاء لهم في العروبة واخوة لهمفي الانسانية وراء حدود الامةالعربية..

وفي الكويت اليوم ما يقرب من التلاثين صحيفة ومجلةاسبوعية وشهرية ظهرتكلها خلالالخمسةعشر عاما الاخيرة . او قبل ذلك قليلا .. فما هي قصة صحافة الكويت ؟ ترى من اين بدات ، وكيف كـان مولدها ؟ من هم هؤلاء الذين كانوا اول من أمسك بالقلم ليعبروا عن امانى ابناء هذا البلد ، ويروون قصص كفاحهم القديم،ويسجلون تطلعاتهم للمستقبل ، ويصورون وجه حاضرهم الحديث ؟

في بيت الكويت

ولكل قصة بداية ، ولقد بدات قصة الصحافة الكويتية اول ما بدات ، خارج حدود الكويت ،في عام ١٩٤٥ ، بعيدا عن الارض التى نبت فيهـــا اصحاب هذه الاقلام الشابة الذين كانوا رواد الحركة الفكرية الاولى قبل ظهور النفط وقبل الاستقلال ، وقبل ان يعم الخير المرتقب البلاد ، يوم كانت الكويت صحراء جدباء ، ما زال اهلها يعيشون حياة البحر يركبونه بسفنهم الشراعية ، ويبحثون عن رزقهم في مياهه .

ففي بيت صغير تحيط به رض شاسعة بشارع اسماعيل محمد رقم ٢٥ بحى الزمالك بالقاهرة ولدت اول مجلة كويتية عندما تجمع فريق من الشباب الكويتى المتعطش للعلم والمعرفة ، ولم يكن هؤلاء الشبان سوى اعضاء البعثة العلمية في مصر ، التى كان يرأسها ويشرف عليها فـى ذلك الوقت الاستاذ عبد العزيز حسين وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء الكويتى اليوم .

مع الرواد الاوائل

فى هذا البيت الذى اسموه « بيت الكويت » صدرت المجلة التى يرجعالفضل الاول فى اصدارها الى الرجل الذى اخذ على عاتقه مهمة رعاية هذه البعثة والمنتمين اليها ، ولم تكن مصادفة ان تحمل المجلة اسم « البعثة » . . . اذ سرعان ما اصبحت رسالة شباب الكويت في مصر،الى بلدهم وأرضهم وأهلهم .. وهكذا بـدات المجلـة الصغيرة تنمو وتكبر حتى اصبحت مرآة تعكس طموح هذا [illegible] الذى جاء ينهل من العلم ، ويعد نفسه [illegible] الكبير الذى ينتظره عند عودته الى بلاده .

وعادوا .. وبحثنا عنهم ليحدثونا عن [illegible] الاولى ، ووجدناهم كلهم هناك .. فى المسئولية ، في مناصب الصدارة ، ولكن ممكنا ان نلتقى بهم كلهم ..

قال لنا الاستاذ عبد العزيز حسين « [illegible] بعض اعداد البعثه ، جمعتها في مجلد ، فان

الاستاذ بدر النصر الله رئيس ديوان الموظفين (الى اليمين) والاستاذ عيسى الحمد سفير الكويت فى فرنسا (الى اليسار) ، كانا من الرواد الاوائل الذين شاركوا فى تحرير اول مجلة كويتية صدرت فى القاهرة عام ١٩٤٥ · يقول الاستاذ بدر ان المفضل يرجع الى الاستاذ عبد العزيز حسين رئيس البعثة العلمية فى ذلك الوقت ، ورئيس تحرير مجلة « البعثة » ، فهو الذى جعل منّى كاتبا ·· ويقول الاستاذ عيسى الحمد : « لقد كنا نكتب ونكتب ، كل ما يجول فى خاطرنا فى مجلتنا الجديدة الحبيبة التى كانت تعكس طموحنا وآمالنا للمستقبل » ·

بكل اعدادها فى مكتبتى ، اقراوها ، ولكن اياكم أن تفقدوها ! ·· »

ثم مد الاستاذ عبد العزيز حسين يده الى رف كبير امتلأ بالكتب فى مكتبته العامرة ، والتقط المجلد فى رفق وعاد يقدمه لنا ويوصينا بالمحافظة عليه · وحملنا البعثة وتركناه مودعين شاكرين ··

ملامح الكويت الحديثة

ـتقينا بالاستاذ عيسى الحمد سفير الكويت فى
فر · وكان واحدا من الذين شاركوا فى تحرير
الـ · واستقبلنا فى مكتبه بوزارة الخارجية عقب
صـ المرسوم الاميرى بتعيينه سفيرا للكويت قال:
« كنا نتابع مايجرى فى ارض الوطن ، وقلوبنا
تمـ · حماسا للاسهام فى دفع عجلة التقدم ،
كلـ مجال اختصاصه بعد التخرج · وكان كل
وا من افراد البعثة يحمل فى راسه وفى قلبه

صورة الملامح الجديدة لوجه الكويت فى حاضره ومستقبله وذلك من خلال الاجتماعات والندوات التى كنا نعقدها برئاسة الاخ الكبير الاستاذ عبد العزيز حسين ، الذى كان لنا دائما رائدا ومعلما وموجها · »

« وكنا نكتب ونكتب كل ما يجول فى خاطرنا فى مجلتنا الجديدة الحبيبة التى كانت تعكس طموحنا وآمالنا للمستقبل · وكنا نترك لعقولنا حرية التحرك وحرية الفكر فى محاولاتنا الدائبة لرسم ملامح بلادنا ورسم صورة المجتمع الذى نريده لكويتنا مستقبلا ·· وكانت الصورة شاملة لوجه الكويت الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والثقافى ·· وكنا ننظر الى هذا الوجه نظرة واقعية بعيدة كل البعد عن الخيالات والاوهام ·· ولا اكون مغاليا اذا قلت ان الصورة التى رسمناها فى اذهاننا فى ذلك الوقت المبكر لم تختلف كثيرا عما حققته بلادنا فى نهضتها الحاضرة » ·

الاستاذ سعدون الجاسم وكيل وزارة الاعلا
« انى معجب بالدور الذى تقوم به صحافة ... ولولا الحرية التى كفلها الدستور للصحـ...ة الكويتية ، لما استطاعت ان تصل الى ما وصـ... اليه من نجاح » .

صحافة الكويت القديمة، او الصحافة الرائدة .. بعض اعـداد مجـلات البعثة والكويت والفجر والرائد ، محفوظة فى مجلدات بالمكتبة العامة بالكويت .
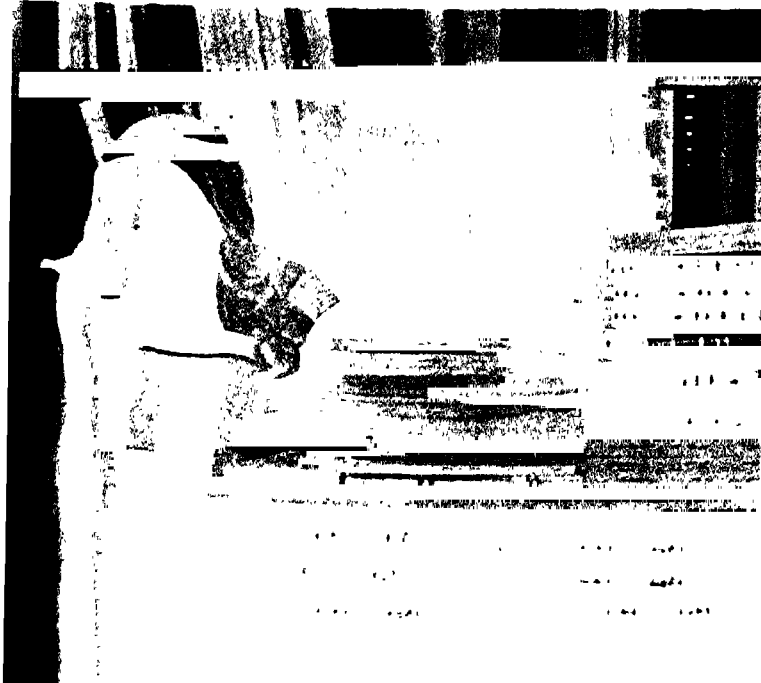
الاستاذ عبدالله زكريا الانصارى مدير ادارة الصحافـة والثقافـة بوزارة الخارجية ، كان احـد الرواد الـذين ساهموا فىتحرير مجلة البعثـة وهو يحتفـظ بجميـع اعدادهـا فى مكتبته الخاصة .

... العزيز حسين وزير
... مجلس الوزراء ..
... مجلة كويتية تعبر عن
... الكويت عندما كان
... البعثة العلمية فى مصر »

الاستاذ احمد السقاف الاديب الشاعر والسفير بوزارة الخارجية ـ أصدر مجلة « كاظمة » فى ربيع عام ١٩٤٨ وكانت مجلة شهرية صدر منها تسعة أعداد ثم توقفت عن الصدور .. انه يحتفظ باعدادها فى بيته ، ويمضى معها لحظات بين حين وآخر ، تشاركه فيها زوجته « أم أسامة » التى وقفت بجانبه دائما فى رحلة العمر .

وكيل وزارة الاعلام يقول

« انى معجب بصحافة بلدى .. معجب بالدور الذى تقوم به فى مجتمعنا الجديد .. ولولا الحرية التى كفلها الدستور للصحافة فى الكويت ، لما استطاعت ان تصل الى ما وصلت اليه من ازدهار وتقدم . فالصحافة لا يمكن ان تعيش ، ولا يمكن ان تؤدى رسالتها كاملة الا فى ظل مناخ ديمقراطى يؤمن بحرية الكلمة ، ويؤمن بحرية الرأى، وقد كفل دستورنا هذه الحريات ، ومضت الصحافة تشق طريقها فى ثقة وايمان بالمستقبل .. »

بهذه الكلمات استهل الاستاذ سعدون محمد الجاسم وكيل وزارة الاعلام حديثه معنا عندما جلسنا اليه نسأله عن الصحافة فى الكويت ، وعن الدور الذى تقوم به فى هذه الدولة الفتية الناهضة .

والاستاذ سعدون ليس غريبا على الصحافة والعمل الصحفى ، فقد درس العلوم السياسية والاقتصاد وتخرج من الجامعة الامريكية بالقاهرة فى عام ١٩٥٦ ، وعاصر الصحافة الحديثة منذ نشأتها عندما عين رئيسا للقسم الصحفى ، بدائرة المطبوعات والنشر (وزارة الاعلام الآن) ، ثم معاونا لمدير المطبوعات للشئون الصحفية ثم وكيلا مساعدا للوزارة ثم وكيلا لوزارة الاعلام فى يناير عام ١٩٦٥ . وهو يولى الصحافة كل اهتمامه ويخصص الجزء الاكبر من وقته لكل مايتصل بالصحافة والصحفيين .. او ليست الصحافة جهازا من اجهزة الاعلام ؟

يقول الاستاذ سعدون : « بل هى اهم اجهزة الاعلام ، فالكلمة المقروءة اشد تأثيرا

« وتحضرنى هنا ذكرى زميل عزيز هو الاستاذ عبد الوهاب حسين ، وكان طالبا فى كلية الهندسة، وكان يمتلىء حماسا كلما جلس الينا وجلسنا اليه ورحنا نتحدث عن مشروعاته للكويت عندما ينتهى من دراسته ويعود اليها .. ان صورة الكويت الحديثة لم تفارق مخيلته لحظة واحدة ، وهو يخطط لها ويبنى ويعمر على الورق .. ولكن القدر شاء ان يحرمه من رؤية احلامه وهى تتحقق ، فقد مات فى مصر اثر مرض لم يمهله طويلا .. »

صحفى رغم انفه

ويقول الاستاذ بدر النصر الله رئيس ديوان الموظفين : « كنا حوالى خمسين طالبا نتلقى العلم فى المدارس الثانوية ، ونقيم جميعا فى بيت الكويت ، وقد التحقت بالبعثة التعليمية فى عام ١٩٤٥ ، وهو نفس العام الذى صدرت فيه مجلة « البعثة » ، وانا شاب لم اتجاوز العام السادس عشر من عمرى ، واكملت تعليمى الجامعى وتخرجت من كلية الحقوق .. وكنت اشارك فى تحرير المجلة. ولكننى اريد ان اقول ان الاستاذ عبد العزيز حسين رئيس البعثة ورئيس تحرير المجلة التى تحمل اسمها ، هو الذى جعل منى كاتبا ، وجعل منى صحفيا ، رغم انفى . فقد كانت فكرة المقال . وموضوع المقال وكل شىء يتعلق به من وضع الم[illegible] المربى الاستاذ عبد العزيز حسين من خلال الند[illegible] والمناقشات التى كنا نعقدها .. وقد كانت [illegible] تصدر مرة فى اول كل شهر ، وكانت تصل الكويت ، وينتظرها الاهل بفارغ الصبر .. »

ويقول الاستاذ عبد الله زكريا الانصار[illegible] « لقد تسلمت رئاسة تحرير البعثة من الا[illegible] عيسى احمد الحمد ، الذى ترك له الاستاذ

صحافة أهم أجهزة الإعلام

من الكلمة المسموعة فى الاذاعة او التلفزيون .. ثم هى بعد ذلك الجهاز الوحيد الذى لا يخضع لرقابة الدولة وتوجيهها .. فهى صحافة حرة كما تعلمون تنفرد بحق النقد والتوجيه . ونحن لا نضيق بالنقد ، بل على النقيض ، اننا نرحب به ولكن بشرط ان يكون دائما نقدا بناء يستهدف مصلحة الوطن وخير الامة العربية كلها .. ولعل الشىء الوحيد الذى نرجو ان تلتزم به صحافتنا ، هو ان تحرص على العلاقات الطيبة بين الكويت واشقائها العرب .

ـ مارايك، فى اشتغال المراة الكويتية بالصحافة ؟ ويقول الاستاذ سعدون : «المراة هى نصف المجتمع ولا يمكن ان تقوم صحافة معبرة عن امانى هذا المجتمع ، وعن تطلعاته للمستقبل الا اذا شاركت فيها المراة .. والذى لاشك فيه ان المراةالكويتية قد اثبتت وجودها ، ونجحت فى هذا الميدان ، ولعلنا نجد فى الدور الذى تقوم به السيده غنيمة المرزوق التى تراس تحرير المجلة النسائية الاولى فى الكويت ،مايؤكد هذا الراى .. »

ويختتم الاستاذ سعدون حديثه معنا بتحية لصحافة الكويت فيقول : « ان صحافتنا الحديثة صحافة شابة ، لم يمض على ظهورها اكثر من خمسة عشر عاما ، ولكنها استطاعت فى شبابها ، ورغم انقضاء هذه الفترة القصيرة على صدورها ، ان تثبت وجودها ، وتنهض برسالتها ، وتمضى فى دورها من اجل خير الكويت ، والامة العربية كلها »

العزيز حسين مهمة الاشراف على المجلة بعد سفره الى لندن لاتمام دراساته العليا .. لقد انضممت الى بيت الكويت والى اسرة تحرير المجلة فى عام ١٩٥٠ ، واستمرت المجلة فى الصدور حتى عام ١٩٥٤ ، اى انها عاشت ما يقرب من عشر سنوات كاملة .. اننى ما زلت احتفظ فى مكتبتى بجميع اعداد هذه المجلة الرائدة التى كانت تجمع زهرة الشباب الكويتى » . اننا نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشاعر احمد العدوانى ، وحمد الرجيب ، ويعقوب الحمد ، ويوسف ابراهيم الغانم، وجاسم القطامى ، وخالد الخرافى ، وجاسم مشاري ، ومحمد الفهد ، وعبد الباقى النورى ، وعبد الله عبد الفتاح وسليمان خالد المطوع وخالد الجـ... وعبد الله احمد حسين ، والدكتور عبد الـ... العدوانى وداود مساعد الصالح ، وخالد العبد... الصالح ، وغيرهم كثيرون .

اين هؤلاء الآن ؟ .. انهم العمد التى قامت على اكتافهم بالاشتراك مع زملائهم منابناء البلاد مهمة بناء الكويت الحديثة الناهضة .. وزراء وسفراء ورجال قانون واصحاب اعمال ، انهم الرواد الاوائل ..

صحافة الكويت فى ربع قرن

ونتوقف قليلا قبل ان ننتقل الى مرحلة ظهور صحافة الكويت الحديثة . يقول الدكتور محمد حسن عبد الله مدرس الادب العربى بجامعة الكويت فى كتابه « الصحافة الكويتية فى ربع قرن » : « لقد عرفت الكويت الصحافة قبل ان تعرف المطبعة وصدرت مجلات كويتية لحما ودما بعيدا عن الكويت ، وبقيت كويتية الطابع رغم انها كانت

القبس

رفضت اسرائيل ... المقترحات المصرية

تركيا تتولى على جميع القواعد الاميركية في أراضيها

معدات الكترونية للقوات المصرية

الاستاذ جاسم الصقر رئيس تحرير صحيفة القبس اليومية « الهدف من اصدار الصحيفة هو اعلان الحقائق ، والبحث عن الخبر الصحيح ونشره مهما كانت النتائج . فالصحافة رسالة ، ولا بد لنا ان نحملها في أمانة »

الاستاذ احمد الجار الله رئيس تحرير صحيفة السياسة اليومية « الصحفي اما ان يكون صحفيا فقط ، او لا يكون . واعني بذلك انه يجب الا يشغله عن تأدية رسالته اى شاغل آخر .. يجب ان يعطى كل وقته وجهده للصحافة وحدها »

السياسة

حصاد مجلس الأمة الكويتي في دور الانعقاد الأول

صباح الأحمد سعود الفيصل والحبيب الشطي يتحدثون لـ السياسة عن المؤتمر الإسلامي والتعاون الخليجي

الرأي العام

شاهد عيان يتحدث
عن عملية الثلاجة بالقدس

الملك خالد ينتقل من الطائف

لاستاد يوسف المساعيد رئيس تحرير صحيفة الراى العام ، اول صحيفة تصدر فى الكويت ، ورث حبه لصحافة عن والده الاستاذ عبد العرير المساعيد ٠٠ وقد صدرت الراى العام اسبوعية فى بداية الامر ، ثم ما لبثت ان تحولت الى صحيفة يومية ٠

لاستاد محمد مساعد الصالح رئيس تحرير صحيفة الوطن اليومية ، عاصر الصحافة القديمة والحديثة ٠ مد كان يساهم فى تحرير مجلة البعثة وهو يتلقى علومه فى القاهرة « لا بد للصحيفة ان تحمل الى القراء الاراء والافكار البناءة لخير الكويت ولخير الامة العربية كلها » ٠

الوطن

الملك خالد يفتتح
المؤتمر الاسلامي

تصدر في عير ارضها ، فقد كانت تحرر باقلام كويتية ، وكانت تهتم بمشكلات الكويت ومستقبل الكويت ، وتعكس آمال شباب الكويت في المستقبل ·· »

ويقول الدكتور محمد عبد الله « وفي عام ١٩٤٧ اشترت دائرة المعارف الكويتية اول مطبعة صغيرة ، الامر الذي حفز بعض الشباب الكويتي المثقف الى اصدار صحف ومجلات من داخل الكويت· وكان الاستاذ احمد السقاف وكان معلما في ذلك الوقت ، احد هؤلاء الشباب ، فاصدر مجلته « كاظمة » ، وقد صدر عددها الاول في شهر يوليو عام ١٩٤٨ ، ولكنها لم تلبث ان توقفت عن الصدور بعد العدد التاسع ، وكانت رسالة هذه المجلة خلال عمرها القصير ، رسالة اجتماعية ، اصلاحية، تربوية ·

وفي عام ١٩٥٠ ، حاول الاستاذ يعقوب عبد العزيز الرشيد (السفير الحالي) ، وكان وقتها معلما ايضا ، ان يعيد الحياة الى المجلة التي اسسها والده المرحوم الشيخ عبد العزيز الرشيد في عام ١٩٢٨ ، وهي مجلة « الكويت » ، ولكن محاولته لم تستمر طويلا · وقد كانت « الكويت » مجلة تنوير واصلاح على اسس دينية ، ويمكن القول بان المجلة التي لم تستمر في الصدور لاكثر من عامين كانت متاثرة ، هي وصاحبها تاثرا مباشرا بفكر وعلم الامام محمد عبده وتلميذه رشيد رضا ، فقد كانت في الواقع استمرارا للاتجاه الديني المتحرر الذي بدأ في مصر اثر صحوتها بعد ثورة عرابي ·

الدكتور محمد حسن عبد الله مدرس الأدب العربي بجامعة الكويت ، وواضع كتاب « الصحافة الكويتية في ربع قرن » ، يقول « لقد عرفت الكويت الصحافة قبل ان تعرف المطبعة ، وصدرت مجلات كويتية لحما ودما بعيدا عن الكويت ، وبقيت كويتية الطابع رغم انها كانت تصدر في غير ارضها » ·

قصة كاظمة

يروي الاستاذ احمد السقاف قصته مع « كاظمة » يقول « في ربيع عام ١٩٤٨ ، وكنت يومها شابا في مقتبل العمر ، اعمل مدرسا للغة العربية والتاريخ ، انتابني ذلك الشعور الذي قد يحس به بعض الشباب وهو يرى ان من الضروري ان تكون هناك صحافة تعبر عن مشاكل واماني المواطنين اينما كانوا ·· ولم يطل تفكيري ، فقد اتجهت الى اخي وصديقي الاستاذ عبد الحميد الصانع ، مدير بلدية الكويت في ذلك الحين ، واصدرنا معا مجلة كاظمة ، وكان ذلك عقب وصول اول مطبعة من نوعها الى الكويت ، وكانت هذه المطبعة ، ان صح تسميتها بهذا الاسم، صغيرة متواضعة مستهلكة تقترب سريعا من اواخر ايام عمرها ، ولم يكن يزيد ثمنها على الثمانمائة دينار · وطبعنا العدد الاول ، وكانت فرحتنا به كبيرة ، وكانت البداية مشجعة وان كانت دون طموحنا ، ورحنا نبحث عن وسائل دعمها وتطويرها ، وما لبث ان سرك معنا بعض الشباب المتحمس اذكر منهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، وفهد الشاعر المعروف رحمه الله ، والاديب ع زكريا الانصاري ، واحمد سيد عمر ، وعبد تركي وعبد العزيز ياسين الغربللي وفاض ·· وكان عبد الحميد الصانع هو صاحب وكنت انا رئيسا لتحريرها ·

ويمضي الاستاذ السقاف مع ذكرياته فيقول : « لقد صدرت تسعة اعداد من هذه المجلة ، اى ان الطفل مات يوم ولادته .. طبعنا من العدد الاول اربعمائة نسخة ، وطبعنا من العدد الاخير اربعة اضعاف هذه الكمية،ثم توقفت المجلة عن الصدور !

الصحافة الاسبوعية

ونطوى صفحة مشرقة،ونبدأ صفحة اخرى جديدة، فننتقل الى الصحافة الاسبوعية ، او صحافة الخبر السياسى والمقال السياسى .. وهى صحافة جديدة تختلف عن سابقتها فقد اختفت من صفحاتها اسماء الادباء الذين تعودنا انقرأ لهم فى المجلات الشهرية الرائدة التى كان يغلب عليها طابع الفكر والادب

.. لقد اهتمت الصحافة الاسبوعية منذ بداية صدورها بالاخبار والتعليقات السياسية التى طغت على كل ما عداها،وكانت اول هذه المجلات الاسبوعية مجلة الفجر التى اصدرها نادى الغريجين وظهر عددها الاول فى ٢ فبراير ١٩٥٥ ، ورأس تحريرها خالد الغرافى وعبد الوهاب محمد ومرزوق خالد الغنيم ، ثم صدرت بعد هذا مجلة الشعب التى اسسها ورأس تحريرها المحامى خالد خلف النائب حاليا بمجلس الامة ، وظهر العدد الاول منها فى ٥ ديسمبر عام ١٩٥٧ . ولكن هاتين المجلتين ما لبثتا ان توقفتا عن الصدور فى عام ١٩٥٩ ، بعد ان تغير المناخ السياسى فى المنطقة العربية باسرها .

المطابع تهدر فى ساعات الفجر الاولى ، لتقدم صحف الصباح للقراء الذين ينتظرون صدور جريدتهم المفضلة .. وفى الكويت اربع صحف يومية توزع فى الخليج وفى مختلف انحاء الدول العربية الشقيقة والصورة لمطبعة جريدة « السياسة » فى الساعة الثالثة صباحا .
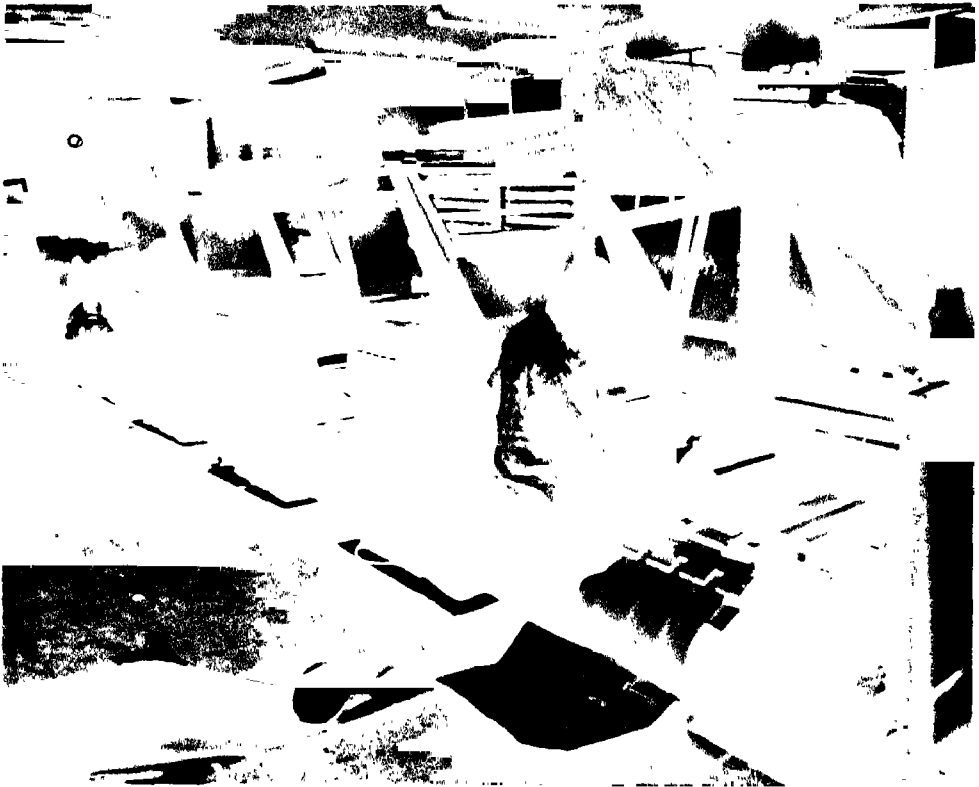
السيدة غنيمة المرزوق صاحبة ورئيسة تحرير مجلة « اسرتى » المجلة النسائية الاولى فى الكويت ، مع افراد أسرتها الصغيرة فى البيت « الصحافة رسالة ، تتطلب جهدا وعرقا وعملا متصلا لا ينتهى » .

مطابع « الاوفست » ، وهى من احدث المطابع التى اشترتها وزارة الاعلام للطباعة بالالوان ، وهى تطبع
بين ما تطبع اعداد مجلة العربى ، التى توزع ما يزيد على الربع مليون نسخة فى العالم العربى .

وقد ظهرت بعض المجلات الاخرى في الفترة ما بين صدور المجلات الرائدة وبين الصحافة الاسبوعية ، ومن بينها بعض المجلات المهنية مثل مجلة الرائد التي اصدرها الاستاذ احمد العدواني الامين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ومجلة الفكاهة وقد اصدرها الاستاذ عبد الله الحاتم وهي مجلة شعبية على غرار ما كان يصدر في مصر من مجلات فكاهية مثل البعكوكة وغيرها ·· ولكنها لم تعمر طويلا ·

صحافة الكويت الحديثة

ومع استكمال مقومات الاستقلال في الكويت الناهضة النامية ، بدات مرحلة الصحافة الحديثة ، وكان اول هذا الغيث مجلة العربي التي اصدرتها دائرة المطبوعات والنشر ، وزارة الاعلام الآن ، واسندت رئاسة تحريرها للدكتور احمد زكي مدير جامعة القاهرة سابقا ·· يقول الدكتور محمد عبد الله « لقد كانت مجلة العربي عند صدورها بطاقة تعريف وتقديم للكويت الناهضة الى العالم العربي والعالم الخارجي من حولنا ! ·· »

ويقول الاستاذ عيسى الحمد الذي عين اخيرا سفيرا للكويت في فرنسا « لقد كانت مجلة العربي وما زالت سفيرا متجولا للكويت في الخارج ·· كنت اشتريها من اكسفورد ستريت في لندن ·· وكنت اجدها في كثير من العواصم الغربية التي ازورها ·· انها مجلة فريدة من نوعها ·· وهي مفخرة للكويت · »

لقد طبعت مجلة العربي من عددها الاول ٣٨ الف نسخة نفدت كلها يوم صدورها ، وهي اليوم تطبع ١٧٠ الف نسخه ، ترتفع الى ربع مليون نسخة من العدد الممتاز ، والاسواق تلح في طلب المزيد ·

وصدرت بعد العربي ، صحف ومجلات يبلغ عددها اليوم اكثر من ثلاثين صحيفة ومجلة بين يومية واسبوعية ومهنية وفصلية ·· ومرة اخرى لم يكن ممكنا ان نكتب قصص صدور كل هذه الصحف والمجلات ··

وذهبنا للقاء الاستاذ عبد العزيز المساعيد صاحب دار الرأى العام ، وهي اول صحيفة سياسية صدرت في الكويت ، ولم نجده ، فقد كان مسافرا للخارج ، والتقينا بابنه الاستاذ يوسف المساعيد رئيس التحرير ·· وجلس يوسف يـ تنا عن قصة صدور الرأى العام ، قال ، « كان و سى يهوى الكتابة والصحافة ، وقد كان مراسلا لجريدة الحياة اللبنانية في الكويت ، عندما اعلنت الحكومة عن موافقتها على اصدار تراخيص لظهور صحف كويتية وبدات الصحيفة تصدر اسبوعيا ، وكانت تطبع في بيروت ، فكان ابي يسافر الى العاصمة اللبنانية يوم الاربعاء من كل اسبوع حاملا معه مواد الصحيفة ، ثم يعود الى الكويت حاملا الاعداد المطبوعة يوم السبت ·· وكنا نطبع ١٥٠٠ نسخة توزع كلها في نفس اليوم ·

واستمر الحال على هذا المنوال ستة اشهر ، الى ان اشترينا آلة طباعة صغيرة ، واستطعنا بالتعاون مع بعض الفنيين العرب ، ان نحولها الى صحيفة يومية ، وطبعنا ٦ آلاف نسخة من العدد الاول نفدت كلها من الاسواق بعد ساعات من صدورها ·

ويمضي رئيس تحرير الرأى العام يكمل قصة اول صحيفة يومية صدرت في الكويت فيقول « ولم يكن ابي وحده ، فقد كان يعمل معه مجموعة من الشباب الكويتي المثقف ، وهم احمد الجار الله (رئيس تحرير جريدة السياسة الآن) ، وباقر حريبط (رئيس تحرير صوت الخليج) ، ويوسف عليان وفاضل خلف ، يعاونهم بعض الاخوة العرب ·· وكانت اسرة التحرير لا تزيد على اثنى عشر صحفيا ، لم اكن واحدا منهم على اية حال ، فقد كنت في ذلك الوقت ما زلت طالبا اتلقى العلم · اما اليوم فقد اصبحت الرأى العام تضم ما يزيد على الخمسين محررا كويتيا وعربيا · »

جريدة السياسة

وقال لنا الاستاذ احمد الجار الله رئيس تحرير جريدة السياسة وصاحبها ، وهو يحدثنا عن دور الصحافة ورسالتها قبل ان يروى لنا قصة جريدته ، « الصحفي اما ان يكون صحفيا او لا يكون ، واعنى بذلك انه يجب الا يشـ تادية رسالته اى شاغل آخر ·· يجب ان يـ وقته وجهده وفكره للصحافة وحدها ول العامة قبل اى اعتبار آخر · »

قلنا : « ان الكثير من الشباب الكويتي يعزف عن اقتحام هذا الميدان ·· ميدان

ضيوف الكويت من غير العرب ، يستطيعون ايضا تتبع آخر الانباء فى الصحيفتين اليوميتين اللتين تصدران باللغة الانجليزية عن دار « الرأى العام » و « دار السياسة » .

.. هل ترون سببا لهذه الظاهرة ؟ .. ثم ان بعض الكتاب الكويتيين يرفضون الكتابة فى الصحف ، وحجتهم فى ذلك كما قالوا لنا ان الصحف تفرض عليهم خطا معينا وسياسة محددة ، فما مدى صحة هذا الكلام ؟ .. »

وقال الاستاذ الجار الله « لا تنسوا ان الصحافة فى صورتها الحاضرة ، مهنة حديثة فى الكويت ، لا تتوفر لها الضمانات الكافية التى يمكن ان تؤمن مستقبل العاملين فيها .. وربما كان هذا احد الاسباب .. ثم هى ايضا مهنة لا [illegible]رف بمواعيد عمل محددة ، فالصحافة مهنة البـ[illegible] عن المتاعب .. وليس للمتاعب حدود !

[illegible]ما الذين يقولون بان الصحافة تفرض عليهم رأيـ[illegible] [illegible]مينا وسياسة محددة لا يجوز لهم أن يحيدوا عنهـ[illegible] فهذا غير صحيح ، فالصحافة فى الكويت حرة لم يبقى بعد هذا دور الكاتب نفسه ، فالمفـ[illegible] [illegible]ض ان يكون الكاتب فى مقاله مقنعا ، وان يدافع عن رأيه .. ان الرأى الصائب الحر يفرض نفسه فرضا ولا يمكن ان يختنق ! »

لقد صدرت جريدة السياسة فى عام ١٩٦٥ ، وبدأت اسبوعية ، ثم انتقلت ملكيتها للاستاذ احمد الجار الله فى عام ١٩٦٧ ، وبعد عام واحد اى فى عام ١٩٦٨ صدرت السياسة يومية !

مخاطبة الرأى العام العالمى

ويحدثنا رئيس تحرير السياسة فى موضوع آخر يتصل بقضيتنا العربية يقول : « لقد كتبنا عن قضيتنا المصيرية كثيرا وامتلأت الصحف والمجلات العربية بالمقالات التى تشرح موقفنا وقد آن الاوان لان ننقل هذا كله للرأى العام العالمى .. ومن اجل هذا اشترت السياسة حقوق امتياز اصدار مجلةبترولية اسمهااوربا والبترول Europe & Oil وهى الآن ملك لنا . والهدف مناصدار هذه المجلة

التي تطبع الآن في الكويت بالانجليزية هو ان نشرح لرجل الشارع في اوربا الغربية ، ماذا يريد العرب ببترولهم ، وما هي اهدافهم ، وكيف انها ليست موجهة ضد الشعوب ، وانما ضد سياسة معينة .. السياسة المالئة لاسرائيل والصهيونية .. اننا نقوم بتوزيع هذه المجلة الآن في اوربا ونطبعها على نفقتنا الخاصة ، وهي مجلة شهرية انيقة تصل الى الافراد والهيئات الاقتصادية في شتى انحاء العالم عن طريق الاشتراكات ، ونطبع منها ١٢ الف نسخة .

في مطابع مؤسسة المرزوق ، وقفت مجموعة من الفتيات المثقفات يستمعن الى شرح دقيق لعملية الطباعة وكيف تتم . وتقول السيدة غنيمة المرزوق رئيسة التحرير . « ان « اسرتي » ليست مجلة فحسب ، بل هي مدرسة ، للصحافة ، وهي تهتم بالمرأة الكويتية وتشجعها على اقتحام هذا الميدان .

جريدة الوطن

والتقينا بالاستاذ محمد مساعد الصالح رئيس تحرير جريدة الوطن وصاحبها ، وهو صحفي وكاتب قديم عاصر الصحافة قديمها وحديثها ، تخرج من كلية الحقوق ، جامعة القاهرة ، وكتب في البعثة « اول مجلة كويتية صدرت في القاهرة » ، ثم في « مجلة الفجر » التي اصدرها نادي الخريجين عقب عودته الى بلاده ، واصدر مجلة الهدف الاسبوعية في عام ١٩٦١ ، واخيرا جريدة الوطن السياسية . قال يحدثنا عن تجربته مع الصحافة : « لقد احسست بان اهدافي وافكاري لا يمكن ان تبقى محصورة في مجلة الهدف التي كانت تصدر مرة كل اسبوع مع صحيفة الرأي العام ، وكانت اسبوعية هي الاخرى في ذلك الوقت ، وبدأت اعد لاصدار صحيفة يومية الى جانب الهدف .. وكانت اهتماماتي كلها تتركز في تعزيز الديمقراطية في الكويت ، والعمل على وحدة الوطن العربي ، ودعم هذه الوحدة ، والاهتمام بمنطقة الخليج باعتبار ان ظروفها مشابهة تماما لظروف الكويت .

« هذه العوامل مجتمعة ، هي التي دفعتني الى التفكير في اصدار صحيفة يومية تحمل الى القراء ما اراه وما يراه غيري من الكتاب ، لخير هذا البلد والامة العربية جمعاء .

وقد دابت الوطن منذ صدورها على احتضان الكتاب الناشئين من الشباب المثقف الكويتي وفي هيئة تحرير الصحيفة اليوم تسعة شبان كويتيين وفتاة تخرجت في جامعة الكويت ، كلية الآداب ، وهي مسئولة عن صفحة « الجيل الجديد » في الوطن .

ثم يقول الاستاذ محمد مساعد الصالح : « لا بد ان تسهم الجامعة في تشجيع الشباب على العمل في الصحافة ومن اجل هذا فلا بد من انشاء كلية للصحافة بجامعة الكويت ، ولو انني اخشى الا يقبل الطلبة على الالتحاق بهذه الكلية الجديدة ، ولذلك فانني اقترح انشاء معهد للصحافة يكون تابعا لوزارة الاعلام ، تساهم فيه الصحف المحلية ، فالصحافة عندنا تعاني نقصا في الكوادر الفنية ، سواء على مستوى الكتاب أم من الناحية الاخبارية وكذلك في مجال الاخراج الفني .

صحيفة القبس

وفي مبنى انيق شيد على غرار احدث ... الصحفية في العالم التقينا برئيس تحرير القبس ، الاستاذ جاسم احمد النصف .. ... دور الصحف الكويتية تقع الآن في شارع ... او حي واحد ، هو شارع الصحافة في ال... قال لنا الاستاذ جاسم : « لقد صدر العدد ... من جريدة القبس في ٢٢ فبراير عام ...

وقد كان الهدف من اصدار هذه الصحيفة الجديدة، هو نشر الحقائق على الشعب ، والبحث عن الخبر الصحيح ، والتعبير عن رغبات ابناء هذا البلد وتطلعاتهم للمستقبل .. اما فكرة اصدار الصحيفة فلم تكن جديدة،فقد كانت تراود اصحابها منذ زمن طويل . »

ويستقل الاستاذ جاسم الى الحديث عن عزوف الشـ ـب الكويتي عن العمل في الصحافة فيقول ـم يفضلون الوظيفة الحكومية،حيث الاستقرار والـ ـب المغرى وساعات العمل المحددة والعطلات المد ـلة .. ان العامل الوحيد الذى قد يدفع بعض الـ ـب على ان يطرق ميدان الصحافة ، هو الو ـة .. وانا اومن بانالعمل الصحفى لا يحتاج الى ـهادة جامعية ، بقدر ما يحتاج الى الهواية وا ـة .. اننى على استعداد لان استقبل اى عد ـن الشبان الكويتيين للتدريب على كل فروع الـ في الصحافة .. ولكنهم قلما جاءوا يطرقون باب مكتبى . وفى القبس الآن خمسة عشر محررا بينهم اربعة من الكويتيين ، انا واحد منهم . وفتاة كويتية واحدة .

« اننا نوزع اليوم ما يقرب من الثلاثين الف نسخة يوميا فى الكويت وفى مصر والسعودية والعراق والخليج ، وبقية الاقطار العربية ولدينا مراسلون فى عدد من الدول العربية والدول الاوروبية . »

اما عن نفسه فيقول الاستاذ جاسم « لقد عشقت الصحافة وكنت اكتب الرسائل من لندن ، وانا ادرس ادارة الاعمال فى كلية سانت جون التابعة لجامعة مانشستر ، وكنت ازور دور الصحف فى « فليت ستريت » او شارع الصحافة فى لندن واقضى الساعات الطويلة بين محرريها ووسط مطابعها .. ثم عدت لاخدم بلادى من خلال هذا الميدان . »

الصحيفة النسائية الاولى

وكان لنا لقاء اخير بالسيدة عنيمة المرزوق . صاحبة ورئيسة تحرير مجلة « اسرتى » المجلة النسائية الأولى فى الكويت .. قالت تروى لنا قصتها مع اسرتها هى . وقصتها مع الصحافة « ثلاثة اثروا فى حياتى ، شقيقى السيد مرزوق ، وابى ، واخيرا زوجى رحمه الله ، اما شقيقى فقد كان له الفضل الاول فى ولعى باللغة العربية وآدابها ، وكذلك نزعتى للقومية العربية ، واما والدى فهو الذى شجعنى ودفعنى لتلقى العلم ، واما زوجى ، فقد وقف بجانبى وامسك بيدى ، ووضعنى فى بداية الطريق الذى اسير فيه اليوم .. لقد كان فجحان هلال المطيرى زوجى الراحل هو الذى اشترى لى امتياز اصدار مجلة «اسرتى». وكانت هذه هديته لى قبل انقضاء العام الاول لزواجنا ، فى عام ١٩٦٣ ، واثناء سفرى الى القاهرة لتادية الامتحان النهائى لنيل درجة الليسانس ، كلية الآداب ، قسم الصحافة ، جامعة القاهرة . »

وتمضى السيدة عنيمة تروى ذكرياتها مع هدية زواجها « لقد كانت هذه المجلة تصدر فى الكويت، قبل ان يشتريها زوجى وقبل ان تظهر باسم اسرتى، لقددفعفجحان ١٥ الف دينار ثمنا لامتياز اصدارها،

الصحف و لمجلات

اسم الصحيفة	رئيس التحرير	امتيازها
الراى العام	يوسف عبد العزيز المساعيد	سياسية
السياسة	احمد الجار الله	سياسية
القبس	جاسم احمد النصف	سياسية
الوطن	محمد مساعد الصالح	سياسية
كويت تايمز	يوسف العليان	سياسية (باللغة الانجليزية)
الديلى نيوز	يوسف عبد العزيز المساعيد	سياسية (باللغة الانجليزية)
الطليعة	سامى احمد المنيس	جريدة أسبوعية سياسية
النهضة	يوسف عبدالعزيز المساعيد	مجلة أسبوعية سياسية
أسرتى	غنيمة فهد المرزوق	مجلة أسبوعية نسائية
الملاعب	سليمان المضف	جريدة اسبوعية للشباب
الرسالة	جاسم مبارك الجاسم	جريدة أسبوعية سياسية
البلاغ	عبد الرحمن الولايتى	صحيفة اسلامية سياسية
أجيال	غنيمة فهد المرزوق	جريدة أسبوعية سياسية
عالم الفن	محمد النشمى	مجلة فنية اجتماعية ثقافية
اليقظة	احمد بهبهانى	مجلة اسبوعية سياسية
اضواء الكويت	خالد الحمد	مجلة اسبوعية مصورة جامعة
سعد	يوسف عبدالعزيز المساعيد	مجلة اسبوعية للاطفال
المجتمع	مشارى محمد البداح	جريدة أسلامية اسبوعية
مرآة الامة	بدر يوسف الرومى	جريدة أسبوعية سياسية
الهدف	محمد مساعد الصالح	جريدة أسبوعية عربية
صوت الخليج	باقر على خريبط	جريدة اسبوعية سياسية
الرائد		مجلة اسبوعية تربوية ثقافية
الرياضى	عثمان الراشد	جريدة رياضية أسبوعية

واخترت لها اسمها الجديد الذى يرمز الى حبنا وحياتنا ، وبدأت اعمل رغم الشعور بالخوف الذى انتابنى وانا احس بضخامة المسئولية الملقاة على عاتقى ·· فقد كنت اعرف ان العمل الصحفى ليس سهلا ، ثم اننى جديدة تماما على هذه التجربة ·· ومضيت اشق طريقى فى حرص وحذر ولم يكن امامى الا ان افعل هذا بعد انوضعنى زوجى وجها لوجه أمام المسئولية ·· وبدأنا معا رحلة العمل ·· رحلة العمر ، ولم اكن ادرى انه سيتركنى و ... فى بدايتها ويرحل ·· »

مجلة ومدرسة

وتمضى السيدة غنيمة فى حديثها عن المجلـ... تعطيها كل وقتها وجهدها ، وتعتبرها مرآة ... صورة الاسرة الكويتية الحديثة ·· وصورة ...

..در في الكويت

الصحيفة	رئيس التحرير	امتيازها
البيان	خالد سعود الزيد	مجلة فكرية شهرية
حياتنا	د. صديقة العوضي	مجلة اسبوعية صحية ثقافية
الكويت اليوم		الجريدة الرسمية للدولة
الكويت		مجلة تصدرها ادارة الشئون الفنية بوزارة الاعلام
العربي	الدكتور احمد زكي	مجلة فكرية ادبية جامعة تصدرها وزارة الاعلام
عالم الفكر	احمد مشاري العدواني	مجلة تعنى بشئون المثقفين والمفكرين
الجمعية الطبية الكويتية	الدكتور ع.الرزاق اليوسف	مجلة تعنى بالابحاث الطبية
الوعي الاسلامي	مدير ادارة الدعوى والارشاد	مجلة اسلامية ثقافية تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
البراق	عبد اللطيف الغضاري	مجلة مصورة تعنى بشئون الطيران ، تصدرها مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية
الكويتي	حيدر احمد	مجلة اسبوعية مصورة تصدرها شركة نفط الكويت
غرفة التجارة والصناعة	هيثم الملوحي (سكرتير تحرير)	مجلة اقتصادية صناعية تعنى بشئون التجار والتجارة
الاتحاد	عبد المحسن الفرحان	مجلة تعنى بشئون الطلبة
نشرة الامن أويل	علي كرم حسين	نشرة تصدرها شركة الريت الامريكية المستقلة

.. في بلدها الناهض ، الى أن تقول .. ت اسرتي مجلة فحسب وانما هي ايضا .. مدرسة تتولى عملية اعداد الكوادر والنجوم الجديدة في الصحافة الكويتية ، .. رسة تهتم بصفة خاصة بالمرأة وتشجعها .. مام هذا الميدان .. ميدان العمل الصحفي .. مدرسة اسرتي تتعلم الفتاة كتابة الخبر .. ، وكتابة التحقيق الصحفي والاخراج

الفني ، وكذلك الخطوات التي تمر بها الطبعة في المطابع ، قبل ان تصل الى ايدي القراء .. وفي مدرسة اسرتي اليوم اكثر من عشرين طالبة يتدربن على العمل الصحفي .. وانا اتوقع لهن مستقبلا لامعا في هذا المجال .. اننا نرحب بكل فتاة تهوى الصحافة وكل شاب يبحث لنفسه عن مكان في بلاط صاحبة الجلالة .. »

منير نصيف

تعال شبابي

شعر الدكتور سعيد عبده

شبابي هجرتُ . وطال النوى
كأنقاض فلْك تقاذفه اليمّ
كزِنْديق قومٍ ألحت عليه
تراود احلامه الذكريات
فيغفو يحاولُ أن يستعيدَ
عذابٌ ببعدك لا ينتهي
تعال شبابي . نعِدْ ما مضى
تعالَ فسلِّمْ . ولو من بعيـ
تعالَ . فكم ذا انتشَيْنا . وكمْ ذا
وكم ذا ارتعشْتَ على ساعديَ
وكم ذا مزَجْنا رحيقَ الشِّفاه
وكم من زغاريدَ ردّدتها
وكم من أناشيدَ أنشدتها .
وكم ذا رقصت على نَايِ رُوحي
تعال فحيِّ الربيع الذى
ودغدغ حتّى الطُّلولَ البوالِ
ارانى عيونًا تخيلتها
عيونًا تعالى الذى صاغَها
عيونا لها كَسْرةٌ في الجفون

وخلَّفني مثلَ بيتٍ ذوى ....
موجٌ رهيب . وصخرٌ عتا
عظاتُ المصائب . حتى اهتدى
فيأرق قبل ارتواء الظَّما
رؤاه . . فيسخرُ منه الكرَى
وشقوةُ صبٍّ براه الضَّنا
ولو خلسةً في ضباب الرُّؤى
ـد . على طللٍ دارسٍ قد خلا
صبَوْنا . وكم ذا لَهوْنا معا
ونحن نعانقُ حورَ الظِّبا
بخمْر الكؤوس . وخمْرِ المنى
على شَدْوِ قلبي اذا ما شدا
بأذني مازال منها صدَى
وكم ذا بكيتُ كما قد بكى
أهلَّ فأحيا حمَاد الرُّبى
بدفء المنَى . وبظلَّ الصبا
خيالَ القدامى عيونَ المها
لتسبي وتفتنَ أو تُشْتَهى
تخضخض كالسَّهْمِ بين الحشـ

عيونا ومنهن ياويلــــــــــتى
أغنــى شــبابى ، فانى ضعيـــــ
تعال ، ولو لِيَقــول لقلبى الــــ
أفــقْ من هواك ، أفق من هنَا
ولا للعيــون اللواتى ســـــــبتك
معــرْبد وحيدا خلال الضلــوع
وحسبك من عينهــا أن تـــرا
حسبك من شفتيهــا الكــلامُ
دع تَصنُّع هذا الغــرام الجديد
ما فى الحيــاة وان أظلمـــــت
، الحب حتى لو الحـــــبُ أر

وطول شــقائى وطول الأســى
ف ، وانت الغوىّ على ذى وذا ...
معربدٍ : حسبك ، رفقــا ، كفى !
ك فما فيك بقْيـًا لهــذا الهَنــا
حتى الشعور ، بهـــذا الهــوى
فما انت الا شهــابٌ هــوَى
ك بيْن السفاسِف مما تـــرى
كهمْس النُجــوم بسمع الدجى
يحــزُ فــؤادك حــزّ المـــدى
أجلُ واحلى وأبهــى ســـــنى
خــى ستار الحياة على المنتهى ، ، ■■

د . سعيد عبده

رباعيات الخيام

مفكر عاش كالملاح التائه، بحثاً عن المجهول

بقلم : ايليا حليم حنا

أحببتُ الخيام في رباعياته (١) لانه يتعمق في هموم القلب الانساني ، وأرى اننا نسيء الى فكر الخيام عندما نقراه ونحن متاثرون بما تواتر عنه ·· وارى انه يجب ان نعيد قراءته بفكر جديد متفتح ، واضعين في اعتبارنا ان الرجل كان عالما رياضيا فلكيا ، ولا بد انه كان يفكر باسلوب علمي غير عشوائي ·

لرباعيات الخيام سحرها لانها تعبر عما يجول بكل نفس بشرية ، فيها حيرة الانسان وتساؤلاته عما في دنياه من غموض ، وعن سر وجوده ، وعن متعه ولذاته ، وموته وخلوده ·

لماذا أحببت الرباعيات

أحببت رباعيات الخيام لانها تنقل شعوره واحساسه ومعاناته للحياة ، والتمتعَ بها، والزُّهوَ فيها ـ الى نفوسنا على اساس فلسفي ·· احببت في رباعياته اقواله في اجتناب الاسى والهموم ، وفي الياس والمرارة ، وفي الزهو والقناعة ، وفي التوبة والاستغفار ، وفي تاملاته العميقة ·· احببت الخيام لانه ينظر الى الانسان نظرة عطف ، يراه يستحق الغفران اكثر مما يستحق العقاب ·

أحب الخيام واخالفه أحيانا

اقرا الخيام في حالات قلقي وحيرتي وضيقي ، اتامل عتابه المتمرد ، وتسليمه المؤمن ، واندماجه في الحياة اندماجا كاملا ·· اقراه فترتاح نفسي ، ويثار تفكيري ، وكثيرا ما استيقظ عقلي واخذ يحلل افكاره ويزنها ·· انني اقرا الخيام وانا مؤمن بانه عالم كبير ، ومفكر عظيم ، وانه لم يكن ماجنا ولا زنديقا ·· ونظلم هذا العالم ان فسرنا رباعياته حرفيا ، وترجمناها ترجمة لفظية ، كما فعل معظم من تناول دراستها وتحقيقها ·

اقرا الخيام فاجد في كلماته بلسما لروحي ، وقد يشقيني تفكيره ، ولكني احبه ، لان شقاءه من النوع الذكي ، شقاء الفيلسوف العالم الذي يريد ان يصل بعقله ومنطقه الى سر الوجود ·

(١) العربي· الشاعر عمر بن ابراهيم الخيام ولد في نيسابور حوالي سنة ٤٥٠هـ ، وفيها توفي نحو سنة ٥٢٦ ، وقد اشتهر في عصره بالرياضيات والفلك والفلسفة والطب اكثر مما اشتهر بالشعر ولكن عماد شهرته اليوم شعره في الرباعيات بخاصة · والرباعيات جمع رباعية (او رباعي سميت بذلك لانها تتكون من اربعة شطور (والشطر نصف بيت) والشطور تتفق في القافية الا الشطر الثالث غالبا ، فالرباعي اذن بيتان ، ولذلك يسمى « دوبيت » ، وهذه الكلمة نصفها الاول فارسي « دو » اي اثنان ، واما « بيت » فهو بيت الشعر في العربية ، وقد ترجم الرباعيات الى العربية كثير ، واشهر ترجماتها ترجمة الاستاذ احمد رامي لان بعضها مما تغنت به مغنيتنا الشهيرة السيدة ام كلثوم ، ومن ترجمة رامي نقل كاتب المقالة ماهنا من رباعيات ·

احب الخيام رغم انني لااومن بكل افكاره ، واحس بالراحة عندما اردد رباعياته ••• وكثيرا ما رددت هذه الرباعية في ضيقي ، وان كنت ارى ان ماجاء فيها غير عملي :

لا تشغل البال بأمر القدر
اسمع حديثي ، يا قصير النظر
تسح ، واجلس قائما وادعا
وانظر الى لعب القضا بالبشر

جميل ياخيام الا اجتر همومي . ولكن كيف اتنحى ؟! لا سبيل الى اعتزال هموم الحياة •

وانا ان تنحيت مت جوعا •• ومات كل من اعولهم او تشردوا •• انك لم تتنح لان الوزير (نظام الملك) اختصك بمائتين والف مثقال من الذهب كل سنة من بيت مال (نيسابور) ، ولم يكن لك بنت او ولد••لم تكن مسئولا عن احد غير نفسك •• لم تتنح ياخيام ، بل تفرغت لشعرك وفلكك وفلسفتك ، واعانتك هذه المنحة السنوية على التفرغ ، وعدم التفكير في امور الدنيا العادية، تماما مثل ماتفعله بعض الحكومات حاليا مع ادبائها وعلمائها وفنانيها •• اذن فانت ترى انك لم تتنح بل تفرغت ••• ان التنحي عن الحياة معناه الموت الجسدي او الذهني او الاثنان معا •• اعترف ان كلامك هذا جميل ومخدر ، ولكنه ليس عمليا •• انه [illegible]يريحني عندما اقرأه ولكني اجده مستحيلا عند[illegible] اريد العمل به فانا مشدود الى معاناة الحياة ولا [illegible]ناك •• لااقوى على الهرب من المسئوليات وال[illegible]ـبات العديدة الملقاه على عاتقي ،والمطلوبة مني • كان هروبك من كل هذا تفرغا للتفكير وال[illegible]ج •اما هروبي انا فهو جنون ، او استهتار، وقضاء بالموت على نفسي وعلى من اعول ، حملي ثقيل ، اثقل من حملك ، وهمي اشد ايلاما ••

واسمعه يهمس قائلا :

زخارف الدنيا أساس الألم
وطالب الدنيا نديم الندم
فكن خلي البال من امرها
فكل ما فيها شقاء وهم

ثم يعلو صوته

علام تشقى في سبيل الألم
ما كنت تدرى انك ابن العدم ؟
الدهر لا تجرى مقاديره
بأمرنا ، فارض بما قد حكم

انا راض فعلا بما قد حكم ولا اعتراض لي ، ولكني اشعر بالالم •• تماما مثل المريض الذى يسعى الى طبيب يعالجه،ويخلصه من المه او يخففه•• اريد دواء مثل هذا الذى يعطيه الطبيب لمريضه•• فكيف السبيل ؟ اعرف انه جميل ومنطقي الا افكر فيما ينغص ، جميل ان يتحرر الانسان من الهموم او ينساها ، ولكن •• الشعور بالالم ليس شيئا يمكن ان انقله من مكانه واضع بدلا منه شيئا يريحني •• انه شيء يستحوذ على قلبي واعصابي وتفكيري ، قل ماذا عندك يشفي امثالي ويخرجهم من متاهاتهم الذهنية والمادية ••

ويعود الخيام الى همسه قائلا :

افنيت عمرى في اكتناه القضاء
وكشف ما يحجبه في الخفاء
فلم اجد أسراره ، وانقضى
عمرى ، واحسست دبيب الفناء

ثم ينصحني قائلا :

الخمرُ تُوليك نعيمَ الخلود
ولذة الدنيا ، وانسَ الوجود
تحرق مثلَ النار ، لكنها
تجعلُ نارَ الحزن ماء برود

الخمر علاج وهمي لا يفيد

اهذا علاجك يا خيام ؟ !

تريدني ان افقد شعوري بكل ما حولي ، واعيش لنفسي ، ولا احمل مسئولية الزوجة والبنت والولد ؟ ! اهذا علاج ؟ !! انسى اعباتي ومسئولياتي !! ما مال هذا المجتمع الذي ينسى فيه الانسان مسئولياته ويعيش لنفسه وحدها ؟ وما قيمة الانسان الذي يعيش مخمورا ويغيب عن وجوده ؟ الخمر لا تصلح علاجا انها تنسيه واقعه ومسئولياته وزوجه واولاده ·· ما استحق ان يولد من عاش لنفسه وحدها · اهذا علاج ايها الرجل الحكيم ؟ ! تنصحني ان اسكر ·· اليس هذا في حد ذاته هو الاثمْ عينه؟فكيف اعالج نفسي بمنكر!؟

واسمعه يستغفر وهو يتمتم :

يا من يحار الفهمُ في قدرتك
وتطلب النفسُ حِمَى طاعتك
اسكرني الاثم ، ولكنني
صحوتُ بالآمال في رحمتك

وهنا اشعر بالحيرة في امر الخيام · هل هو رجل مجون ، ام هو عالم متصوف حكيم ؟ لقد حيرتنا يا خيام ··

هل العلاج هو خراب الكون ؟

واعود أساله : ماذا عندك من علاج ؟ فتبدو الحيرة عليه ويقول :

ليتك يا رب تبيد الوجود
وتخلق الأكوان خلقا جديد
فتمحوَ اسمي ، أو تريدَ الذي
قدّرت لي في الرزق بين العبيد

واقول للخيام ما هذا الذي تطلبه ؟ هل يعقل – يا رجل – أن يستجيب الله لك ، ويبيدَ الناس جميعا ، ويخلقَ خليقة جديدة غير تلك التي شاءت ارادته ان يخلقها ؟ فينظر اليَّ نظرة افهم منها انه لم يقصد ما قاله حرفيا ·· انه يطلب ان يتخلص الانسان من الحيوان العتيق الجاثم في اعماقه ، وان تتوفر للناس الكفاية ·· وعندئذ يمر بخاطري ما ارسل الله من رسل يدعون الى الخير ويطلبون من الناس انفسهم ان يغيروا ما بانفسهم ·· انهم هم ايضا يريدون خليقة جديدة ·· ويمر ايضا بخاطري ما نادى وما ينادي به المصلحون لتحقيق الكفاية والعدل بين الناس·· وتمر بخاطري ايضا احلام الفلاسفة عن المدن الفاضلة ، ويمر بخاطري ما قاله العلماء عن (السوبرمان) ·· الم يفكر كل هؤلاء في الانسان الجديد ؟ ! لابد ان الخيام كان يفكر مثل هذا التفكير ، ويطلب مجتمعا افضل ، تختفي منه كل الشرور وعلى راسها الصراع الرهيب على لقمة العيش ، ومطالب الحياة العديدة · انه لا يرى علاجا لتخليص البشر من شقائهم الا بتغيير ما بنفوسهم وتوفير الرزق لهم ·

تطور الانسان بطيء

ويرى ان خطواتِ التطور وئيدة منذ بدء الخليقة ، وان الانسان العتيق ما زال يسيطر على دنيانا ، ولم يحدث اى تغيير يذكر ، فيقول :

نمضي وتبقى العيشة الراضية
وتمحى آثارنا الماضية
فقبل أن نحيا ،ومن بعدنا
وهذه الدنيا على ما هيه

ويتوقُ بحماس الفيلسوف المخلص ان يتغير الانسان سريعا ، ويتلهفُ ان يصبح الناس خليقة جديدة ، فيقول :

لو كان لي قدرةُ رب مَجيد
خلقت هذا الكون خلقا جديد
يكون فيه غيرَ دنيا الأسى
دنيا يعيش فيها الحر سعيد

عجز عن كشف الاسرار التي كان يسعى الى معرفتها ، ويصر على ان يفرغ نفسه من شواغلها ليستمتع بحياته ، ولكن كيف السبيل والتفكير عنده شهوة جامحة لا يستطيع كبح جماحها ·· انه يريد ان يريح نفسه من جهد لا يؤدي الى نتيجة ، فيعود لا يجد علاجه في شيء غير الخمر تخدّر حسه ، وتصرف تفكيره عن حقائق الحياة ومعضلاتها ، فيقرر بغير تردد ان ينغمس في الخمر ، ليغيب عن وجوده وينعم بالنسيان ويقول :

عيشيَ من غير الطِّلى مستحيل
فانها تشفي فؤادي العليل

ما اعذب الساقى اذا قال لى
تناول الكاس ، وراسى يميل

ويشعر اننا نعيب عليه سكره هذا ، فيقول :

لم اشرب الخمر ابتغاءَ الطرب
ولا دعتنى قلة فى الادب
لكن احساسى نزوع الى
اطلاق نفسى ـ كان كلُّ السبب

فلنستمتع بالحياة قبل الموت

وينتهى به الامر الى ادراكه انه عاجز عن الوقوف على اسرار هذا الكون .. كان يريد ان يعرف كل شيء عن الله والانسان والحياة والعالم، واعياه التفكير ، ولكنه لم ييأس ، ويؤمن بانسان المستقبل ، ويرى انه سيكون اقدر على حل ما حيره هو .. انه يامل ان يكون انسان الغد اشدّ ذكاء ، واسمى عقلا وخلقا . كان ينظر الى انسان المستقبل بمنظار التفاؤل ، ولذلك يقرر ان يترك له كل ما أشكل عليه ، ويرى ان يستمتع بما بقى له من ايام قليلة فانية ، والا يحمل اسى ، وكانى به يقول : ان مت بجهلى وعجزى فانا لست كل البشر وان من ياتى بعدى من الخليقة الجديدة سيحمل الامانة ويحاول ان يصل الى حل .

ويخاطب الخيام نفسه :

وانما بالموت كل رهين
فاطرب ، فما انت من الخالدين
اشرب ، ولا تحمل اسى فادحا
وحل حَمْلَ الهمِّ للأحمقين

الخيام بين الدنيا والآخرة

كان يؤمن بالله ورحمته الواسعة

كان الخيام شديد الجراة على المجاهرة بافكاره ، فرمى بالكفر .. والحقيقة انه لم يكن كافرا بل كان مفكرا ثائرا يقول جهرا ما يهمس به الاخرون لانه ـهم ، ويحاول حل ما اشكل من امور دنياه وبف ـ ما غمض عليه .. كان فى كل تفكيره مؤم بالله واليوم الاخر ، اسمعه يخاطب نفسه وهو فى خشية من ان يكون تفكيره ـ الذى اطلق له ـنان ـ قد اضاع آخرته ، ويرغب فى ان يسـ ـع بدنياه حتى لا يفقد الدارين معا :

جَهِلتِ ، يا نفسىَ ، سرَّ الوجود
وغبتِ فى غَوْر الفضاء البعيد
فصوِّرى من نشوتى جنة
فربما أَحرَمُ دار الخلود

ولكنه بعد هذا يرجع الى صوابه ويلوم نفسه ، ويرى أن الاخرة خير وابقى فيقول :

دنياك ساعات سراعُ الزوال
وانما العُقبى خلودُ المآل
فهل تبيعُ الخلدَ يا غافلا
وتشترى دنيا المُنى والضلال

ويخاف يوم الحساب ، ويرى الاسراع فى التوبة، والا فاتته فرصة الغفران ، فيقول :

يا من نسيتَ النارَ يوم الحساب
وعِفت ان تشرب ماء المتاب
اخاف ـ ان هبت رياحُ الردى
عليك ـ ان يانفَ منك التراب

ويرى ان رحمة الله تسع كل شيء ، فيقول :

يا من يحار الفهمُ فى قدرتك
وتطلب النفسُ حِمَى طاعتك
اسكرنى الاثمُ ، ولكننى
صحوتُ بالآمال فى رحمتك

ويرى انه يشفع له عند الله انه لم يشرك به اطلاقا ، فيقول :

ان لم اكن اخلصتُ فى طاعتك
فاننى اطمع فى رحمتك
وانما يشفع لى اننى
قد عشت لا اشرك فى وحدتك

ولنسمع ـ بعد هذا كله ـ ما يقوله عن توبته ، وقد اتى الى رحاب ربه يطلب غفرانه ، ويعلن توبته الخالصة :

يا عالمَ الأسرار علمَ اليقين
يا كاشفَ الضرِّ عن البائسين
يا قابل الاعذار ، فِئنا الى
ظلك ، فاقبل توبة التائبين

عاش الخيام حياته كالملاح التائه ، وكان كلُّ همه ان يكشف القناع عن اسرار هذه الدنيا ، ويصلَ الى الشاطيء المجهول الذى لم يصل اليه احد من قبل الا عن طريق الدين والايمان .. ولم يكن الرجل ماجنا ، او كافرا بل مفكرا حرا . كان يسعى الى كشف كل الاقنعة ، فتباعدت عنده زوايا الرؤية،واسيء فهم تفكيره ، وهو يواجهقضايا الانسان وهمومه فى حوار فكرى حر طليق » ■■

ايليا حليم حنا

■ العمر يجرى والحياة تمضى والناس ياتون ويذهبون ، وياتى بعدهم كثيرون .. ثم لا يلبث ان يذهب هؤلاء ايضا ليفسحوا للاجيال القادمة من بعدهم مكانا تحت الشمس ، ولا يبقى من الحياة كلها بعد هذا الا الذكرى .. الذكرى الحلوة التى يتركها الناس بعد رحيلهم ، والنفوس الوفية التى تحفظ هذه الذكرى وتعيش معها وتكره ان تفترق عنها ، فقد كانت جزءا من حياتهم .. ارتبطوا بها وارتبطت بهم ، حتى اصبح كل عرق فيهم ينبض بكل ما يمكن ان يحمله من حب ووفاء لهذه الذكرى العطرة التى خلفها صاحبها وراءه وهو يستعد للرحيل بعد حياة مليئة بالعمل والفكر والحب والانتاج .

(اعظم صفات الانسان .. الوفاء)

ولكن من هم الذين يحفظون الذكرى ؟

يقول ايمرسون : « ان اعظم صفة يتميز بها ...ان هى الوفاء .. وفاء الابناء للآباء ، وفاء التلاميذ لمعلمهم .. وفاء الانسان لتلك اليد الغريبة أو القريبة التى امتدت اليه تعاونه وتساعده وتدفعه الى طريق النجاح .. الوفاء هو اعتراف الانسان بفضل الانسان عليه ! وقد نسمعه على شفاه الناس وقد نراه فى اعمالهم وقد نجده فى بطون الكتب .. مئات والوف الكتب التى سجلت وما زالت تسجل تاريخ العلماء والساسة والمصلحين فى تقدم البشرية وخيرها انها كلمات سجلها اصحابها لتعبر عما فى نفوسهم وصدورهم من وفاء لهؤلاء الذين دخلوا التاريخ . يروى ايمرسون قصة وفاء عظيم .. قصة تناقلتها الاجيال ، وسجلتها الكتب .. من واقع الحياة ، كانت احدى ضواحى مد... بوسطن بولاية ماساشوسيت مسرحا لها .. وجد فيها اجمل تعبير عن المعنى الكبير لل... بالوفاء .. ووجد فى صاحبتها نموذجا للا... الذى يقضى حياته كلها يعطى ويعطى من

ومن علمه ومن دمه واعصابه حتى اذا ما كادت الشمعة تنطفىء امام رياح الحياة القاسية ، تحول كل شيء من حولها الى ذكرى حية بقيت تتحدى الموت سنوات طويلة بعد ان خمدت فيها شعلة الحياة ..

(وهبت للعلم نفسها !)

(لقد كانت بطلة هذه القصة امراة مثلها مثل المئات غيرها من النساء اللواتي وهبن حياتهن لانبل مهنة في الوجود .. مهنة تعليم النشء ..) كانت تعرف رسالتها في هذه الحياة ، وكانت تعرف هدفها ، فهي لم تخطىء هذا الهدف يوما واحد في حياتها الطويلةالحافلةبالعمل والكفاح.. ولكنها لم تكن تذكر ، ولعله الشيء الوحيد الذي نسيت ان تسجله ، كم مضى عليها من السنين وهي تقوم بنفس الدور الذي قامت به منذ ان اختارت التدريس مهنة لها وهي فتاة لم تتجاوز عامها الرابع والعشرين!لقد وهبت نفسها وحياتها لهذا العمل الجديد الذي اهملت من اجله كل شيء حتى نفسها .. انها ما زالت تذكر ذلك الشاب الوسيم الذي قدمته لها أسرتها ليشاركها حياتها ، وكيف وقفت يومها تنظر اليه في أسى وهي تقول : « لا ، انني لا انوى الزواج ..فانا لا اريد ان يشغلني عن ابنائي اى شيء أو اى انسان ، حتى لو كان زوجي ! »

(ما اسرع ما يمر الزمن)

« لقد كانت هذه الخواطر تدور في رأسها في صباح ذلك اليوم الدافىء من أيام الصيف ، والعام الدراسي يوشك على الانتهاء .. كانت تجلس في غرفتها التي تشاركها فيها بعض زميلاتها من المدرسات وهي تحاول ان تنفذ بعينها الى ما وراء زجاج النافذة الصغيرة ، وتتطلع الى تلك المجموعات من الطلبة والطالبات الصغار والكبار الذين امتلات بهم حديقة المدرسة ، وهم يروحون ويجيئون ، وكتبهم في أيديهم يستعيدون ما استذكروه ، فقد اقترب موسم الامتحانات ... ما أسرع ما يمر الزمن .. كل هؤلاء كانوا بالامس اطفالا .. كل هؤلاء كانوا تلاميذها في مرحلة او في أخرى من مراحل دراستهم .. انها لا تزال تذكر اسماء البعض ، وخاصة الذين كانوا متفوقين منهم .. اما هم ، فهم جميعا يذكرونها .. فقد كانت بالنسبة لهم أما ومعلمة ومربية ، وكم من مرة جلسوا امامها يحكون لها مشاكلهم ، فتستمع وتنصت وتحاول جاهدة أن تعيد الابتسامة الى وجوههم الشابة فلا يلبثوا ان يتركوها مودعين والسنتهم تلهج بالدعاء لها والعرفان بجميلها .

(الحصة الاخيرة)

« وصحت على صوت جرس المدرسة يدق معلنا بداية الدرس الاول .. وقامت من مقعدها متخاذلة متكاسلة علىغير عادتها .. ومشت وهيتجر قدميها جرا ، فقد كانت تعلم أن هذا هو آخر يوم لها في المدرسة التي قضت فيها كل سنوات حياتها .. اليوم ستترك تلاميذها وستفترق عنهم ولن تراهم مرة أخرى .. لقد وصلترحلتها معهمالىخاتمتها .. وقد كانت رحلة طويلة ، ولكنها كانت الذ وأمتع رحلة في حياتها ، فهي رحلة العمر كله .. وكان أجمل ما فيها هي تلك اللحظات التي تقف فيها من وراء نافذة مكتبها ، كما فعلت صباح اليوم ، وكما كانت تفعل كل صباح ، تتامل تلك الوجوه التي عرفتها في طفولتها ، ثم بدأت تنضج وتكبر . !

« واقتربت من الفصل الذي اعتادت ان تدخله في هذه الساعة كل يوم .. ودخلت ، ووقف التلاميذ الصغار يردون تحية الصباح ، واشرق وجهها بابتسامةحلوة ، وهي تدعوهمالى الجلوس، فجلسوا .. ولكن عيونهم بقيت تلاحقها وترقب كل حركة تاتي بها .. كانت وجوههم الصغيرة وعقولهم المتفتحة تتجهاليها ، وكانها تدعوها للبدء بالدرسالجديد الذىاستعدوا لهفيهذا الصباح ..

« ولكنها بقيت ساكنة هادئة في وقفتها لا تتكلم ! ماذا تقول ؟ هل تقول لهم انها جاءت لتودعهم ، وان هذه هي آخر لحظات تقضيها معهم قبل وصول المعلمة الجديدة التي ستحل محلها ! وراحوا يتاملونها في دهشة .. انهم لم يعهدوا

منها هذا السكوت .. لقد كانت دائما مرحة وهي تحدثهم عن الدرس الجديد الذي جاءت تنقله الى عقولهم الصغيرة .. وراحوا يرقبونها من جديد وكانهم يتساءلون : « ماذا حدث .. لماذا لا تتكلمي .. هل اغضبك شيء منا ؟ » لم تر عيونهم شعر راسها الذي جلله البياض .. لم يروا عينيها العجوزتين اللتين احاطت بهما التجاعيد ، ولا العروق النافرة في ذراعيها المتعبتين .. كانوا يرون فيها دائما تلك السيدة الطيبة الرقيقة الجميلة التي احبتهم واحبوها ..

(لحظة الوداع)

وانقضت بضع دقائق ، قبل ان يسمع التلاميذ الصغار دقا رقيقا على باب الفصل ، وفتح الباب، واتجهت الانظار لترى من يكون هذا الطارق .. واتجهت المعلمة العجوز لتستقبل الضيف القادم.. كانت فتاة شابة جاوزت العشرين بسنوات قليلة جميلة هادئة في يدها مجموعة من كتب الاطفال .. ومدت اليها يدها تصافحها ، ثم قادتها الى حيث تعودت ان تقف أمام السبورة ، وفي صوت متهدج، قالت المدرسة العجوز الطيبة لتلاميذها وأبنائها الصغار : « أقدم لكم مدرستكم الجديدة ! انها سيدة لطيفة رقيقة كما ترون ، وسوف تحبونها كما احببتموني .. أنا واثقة من ذلك ! »

وكان النبا أكبر من ان تحتمله قلوبهم الرقيقة، فتركوا مقاعدهم ، ونسوا النظام الذي علمته لهم، وتجمعوا حولها ، وأمسكوا بيديها، وكانهم يتوسلون اليها ألا تتركهم • ومالت براسها وراحت تقبلهم الواحد بعد الآخر .. ثم اشاحت بوجهها ، فقد كانت تبكي ولم تشا ان يرى الاطفال دموعها ! وخرجت بعد ان اغلقت الباب وراءها وعاد التلاميذ الصغار الى مقاعدهم ووقفت المدرسة الجديدة تغني لهم .. وانقضت بضع دقائق، قبل ان يشترك معها تلاميذها الجدد في ترديد النشيد ، وهي تحاول ان تجفف لهم دموعهم وتعدهم بان تفعل كل ما في وسعها لارضائهم واسعادهم !

(ألم الفراق)

« وفي طريقها الى الخارج .. خارج المدرسة التي قضت فيها اكثر من أربعين عاما .. التقت بمديرة المدرسة ، فمدت اليها يدها مصافحة هي تذكرها بموعد الحفل الذي ستقيمه المدرسة تكريما لها في الاسبوع القادم بمناسبة تقاعدها واعتزالها للمهنة التي أعطتها كل حياتها ..

« وجاء موعد الحفل ، ولكنها لم تحضر ، وبحثوا عنها ولكنهم لم يجدوها .. فقد اشفقت على نفسها من الم الفراق، لم تحتمل رؤية أبنائها وهم ينشدون لها انشودة الوداع .. فاثرت ان تبتعد .. تركت البيت الذي عاشت بين جدرانه تلك الاعوام الطويلة تؤدي رسالتها النبيلة .. تركت البلدة الصغيرة التي عرفت اهلها وعرفوها حتى لقد أصبحت من معالمها .. وجمعت كتبها وما تبقى من متاع الدنيا ، وذهبت لتعيش في ضاحية أخرى لا تبعد كثيرا عن المكان الذي الفته وأحبته .. ولم تكن وحدها ، كانت معها ذكرياتها الحلوة، وكانت معها تلك المجموعة الكبيرة من الصور التي التقطوها لها مع تلاميذها الصغار والكبار في نهاية كل عام دراسي .. حتى الذين كبروا وتخرجوا من أبنائها وبناتها الطلبة والطالبات لا تزال تحتفظ بصورها مع اسرهن الصغيرة ..

(وفاء عظيم)

« وظنت انها اختفت من حياتهم الى الابد .. ثم كانت المفاجاة عندما صحت يوما في ساعة مبكرة من الصباح على صوت طرقات خفيفة على باب بيتها الجديد .. وذهبت لترى من الطارق . واذهلتها المفاجاة .. لقد وجدت نفسها تقف وجها لوجه مع تلاميذها الصغار والكبار ، الذين قضوا اياما طويلة يبحثون عنها في كل مكان حتى عرفوا عنوانها .. ومدت ذراعيها تحتضنهم وترحب بهم وتدعوهم الى الدخول .. وغمرتها فرحة كبرى وهي تجلس وسطهم تحدثهم ويحدثونها عن الامتحانات التي اجتازوها بنجاح وعن معلمتهم الطيبة التي افتقدوها وعن اللحظات القصيرة التي كانوا يقضونها معها يستمتعون بحديثها ... ونصائحها التي لم تكن تبخل بها عليهم . لم تتمالك نفسها ، فبكت ، ونظرت اليهم فو... عيونهم وقد امتلات بالدموع وفاضت •

ولم يكن لقاؤها بتلاميذها الاوفياء هو ... .. لقد كان بداية لقاءات أخرى كثيرة مرة ...

كل اسبوع ٠٠ وفى كل مرة كانت تستقبل وجوها جديدة غير تلك التى جاءت تزورهـا بالامس ٠٠ كلهم كانوا تلاميذها ٠٠ كلهم كانوا أبناءها ٠٠ لقد أصبح بيتها الصغير « كعبة » يحجون اليها ، وأيديهم ملأى بالهدايا ٠

(ذكريات حية لا تموت)

واشفقت عليهم من المسافة الطويلة التى كانوا يقطعونها سيرا على الاقدام بعد أن ابتعدت عنهم ، فعادت الى بيتها القديم ٠٠ ولم تعد ذكرياتهـا الحلـوة صورا صماء لا تتكلم ٠٠ لقـد أصبحت ذكريات حية لا تموت ٠٠ وامتلأ قلبها الكبير بكل الحب الذى حمله اليها هذا الوفاء ٠٠ وفاء المئات والالوف من تلاميذها الذين امتلأت حياتها بهم فى وحدتها وشيخوختها ٠

يروى سمايلى بلانتون قصة وفاء شاء القدر أن يحجبه عن صاحبه ، الى أن كان اللقاء أخيرا بين الرجل الذى عصره الالم وقد ظن أن الجحود أصاب الشاب الذى أحبه واحتضنه فاعطاه كل ما فى عقله من علم وفكر ، وكل ما اكتسبه من خبرة وتجارب فى الحياة ٠

(بين الاستاذ وتلميذه)

كان استاذا فى كلية الطب ، وكان بين طلبته شاب لامع مجد ، لم يشا أن يتوقف عند تلك المرحلة التى يركن اليها الكثيرون بعـد اتمـام دراستهم الجامعية ٠ فراح يمضى فى طريق العمل ينهل منه، حتى حصل على الماجستير ، ثم بدأ يعد للدكتوراه، واختار موضوع بحثه الجديد فى العلاج بالذرة ، وقصد أستاذه الذى اصطفاه بين طلبته ، فكـان ساعده ويشجعه ، ويمد له يده معاونا كلما وجده يتعثر ٠٠ وأمضى الاستـاذ شهورا طويلة ساهرا يبحث مع طالبه فى كل جديد من مجال هذا العلاج الحديث ٠٠ الى أن انتهى الطالب من بحثـه ٠ وبدا يتفوق ٠

وكانت سعادة الاستاذ بطالبه لا تفوقها سعادة ، وهو يرى صديقه الصغير يجنى ثمار هذا الجهـد الكبير ٠ وفى مساء ذلك اليوم جلس الاستاذ فى غرفة مكتبه فى البيت ينتظر ٠٠ لم يكن يطمع فى أكثر من زيارة قصيرة يرى فيها فرحة النجاح على وجهه ويسمع منه كلمة صغيرة يعبر فيها عن مشاعره نحو استاذه ٠٠ وطالت جلسته فى مكتبه ، وانقضى الليل وانقضت ليـال اخرى كثـيرة ، ولم يظهـر الصديق الشاب الطبيب ٠٠ لقد اختفى تماما ٠٠ لم يعد له اثر لا فى الجامعة التى كرمته ، ولا فى البيت الذى عاش فيه سنوات دراسته وكفاحه ، ولا فى المدينة كلها ٠٠

(٠٠ وعاد القدر يجمع بينهما)

« وانقضت أربع سنوات ، وشاء القدر أخـيرا أن يجمع بين الرجلين ٠٠ بين الاستاذ وتلميذه ٠٠ وكان اغرب لقاء ٠٠

« لقد أصيب الاستاذ فى حادث سيارة ، ونقل الى المستشفى وهو بين الحيـاة والموت ٠٠ كانت دماؤه تنزف بغزارة بعـد الصدمة العنيفـة التى تعرض لها فى المصيف الذى اختاره لقضاء اجازته مع اسرته ٠٠ وفحصوا فصيلة دمه ، فوجدوه من هذا النوع الذى يمكن أن ينقل الى جسم أى انسان آخر ، ولكن لا ينقل اليه الا دم من فصيلته ٠٠

« وبحثوا فى المستشفى كلها عن فصيلة دمه ، واخيرا وجدوها فى طبيب شاب يعمل هناك التحق اخـيرا للعمل بالمستشفى ٠٠ ونقلوا الاثنـين الى غرفة الجراحة ، وبدأت عملية نقل الدم من الطبيب المعالج الى الطبيب المصاب ٠٠

وبدأت الحياة تـدب من جديد فى جسم الطبيب الجريح ٠٠ وفتح عينيه ، ونظر الى هذا الجسد الممدد على الفراش الذى يجاوره ،وافلتت من شفتيه صيحة خافتة٠٠صيحة تحمل معانى شتى لم يفهم منها أحد شيئـا ٠٠ وبدأ الطبيب الشـاب يفيق من الغيبوبة التى أصابته نتيجة الضعف الشديد الذى أحس به والدماء تخرج من عروقه لتعيد الحياة الى الرجل المصاب ٠

والتقت العيـون وتمتمت الشـفاه ، وامتدت اليدان تتعانقان بعد أربع سنوات كاملة ٠٠٠ لقد كانت أروع صورة من صور الوفاء الذى تاخـر أربع سنوات ٠٠ وفـاء التلميذ لاستـاذه ، لقـد أعطاه الاستاذ من علمه وفكره ، فاعطاه تلميـذه دمه وأعاد اليه الحياة ٠

■■

(م٠ن)

■ الانسان منا لا يستطيع العيش على هذه الارض ، ويحيا حياتها ، الا أن يعرف .. فالمعرفة فى الحياة أصل .

والانسان منا يولد .. واذا نحن وصفناه مولودا وصفناه بالجهل أكمل الجهل .. ذلك لانه لا يعرف عن هذه الارض التى سقط عليها شيئا ، ولا يعرف من علم الحياة التى يحياها الناس شيئا .

ولكن مع هذا الجهل الاكمل توجد بالانسان المولود غرائز هى حصيلة ميراث آلاف السنين وملايينها ، فهذه تؤهله لاقتباس المعرفة من البيت ، وفى المدرسة ، وفى الشارع ، أسرع مما يخال خيال انسان، فاذا هو بلغ الحلم فقد بلغ القدر من المعرفة الدنيوية، الحياتية ، التى تجعل له العيش ، ولو المادى وحده ، ممكنا على ظهر هذه الارض وبين سكان هذه الارض ، من انسان وحيوان ..

والناس ، فى مجموعهم ، فى تواريخ حيواتهم على ظهر هذه الارض ، انما عنوا من صنوف المعرفة أول ما عنوا بالمعرفة التى تتصل بالغذاء والكساء ، وكذا الاسكان ، وفى ممارسة الاشياء الملموسة المنظورة على سطح هذه البسيطة .

وقد يرفعون انظارهم الى السماء فيجدون فيها شيئا عجبا : شمسا لا يلد.. أن يتعلموا انها مصدر حياتهم ، ومن.. طعامهم وكسائهم ، وكل شىء فى.. فيدرسونها أكبر دراسة . انها أصل الح.. فاذا خيم الليل ورفعوا ابصارهم .. السماء ، وجدوا شيئا أشد عجبا : .. من مصابيح ، عددها عدد رمال الص..

تـ ما باثرها على صفحة السماء ، بعد أن كان غطاها بطبقة سوداء ، امعانا في زيادة بهرجها ٠

واحسب أنهم نظروا أول نظـرة الى السماء فأعجبوا بها أيما عجب ، ثم حاولوا أن يفهموا ، فما فهموا ، فأزوروا عنها ٠ الى أن جاء اليوم الذى فرغ الانسان عامة من اشتغاله بمطالب العيش ، فصار لديه من فائض الزمن ما يشغله بالنظر في السماء، فصار ينظر اليها هـذه المـرة ، لا معجبـا فحسب ، ولكن دارسا ممعنا ، طالبا تلك المعرفة التى لا تتغذى بها الاجسام ، ولكن تتغذى العقول ٠

ومن هنا جاءت دراسة السماء ، تلك التى سموها آخر الدهر بعلم الفلك ٠ انها متعة من متع الفكر ، ورفه من تلك الرفاهة التى لا تزوّد المائدة زيادة من خبـز أو لحم أو فاكهة ، ولكنها تزود مائدة الفكر التى يتحلق حولها العلماء بأطيب الثمرات ٠

علم الفلك علم قديم

وعلم السماء علم قديم ، عرف الانسان منه ما عرف فى سائر مدنياته ، المكتوبة عند المصريين والآشوريـين والبابليـين والاغارقة ، ومن عاش قبلهم ، ومن تبعهم ٠

ونقول أنه علم قديم ، والحـق انه فى عمر البشر علم حديث ٠ فالعلماء يقولون ان الانسان ظهر على سطح الارض منـذ الف ألف عام أو تزيد ٠

الشمس وكواكبها

تجه الانسان من قديم ، نتيجة لتطلعه الى السماء ، وبحكم ما فى جبلته للكشف عن كل مجهول ، اتجه الى درس السماء ، و بطبيعة الحـال الى درس الشمس تجود له بكل أسباب الحياة ٠ وعلم أنها دون سائر اجرام السماء تتحرك و سائر أجرامها ثوابت فيما بينها ٠

وبزيادة النظر والفحص تراءى له ان بعض هذه الاجرام ، وهى القريبـة من الشمس ، خالفت سائر اجرام السماء ، فهى تغير مواضعها من السماء بالنسبة الى سائر أجرامها الثوابت٠ ولم يتضح لهم، أول الامر ، كيف تسير هذه الاجرام ، فظنوها تسير على غير هدى ، فسموها الكواكب السيارة ٠ والكوكب عند العرب هو والنجم شىء سواء ٠ حسبوها لا شك نجوما كسائر اجرام السماء، ولكنها تسير على غير هدى٠ وسماها الاوروبيون ، فى قديم زمانـهم والحديث بلفظ Planet ، وهو لفظ معناه « التائـه » أو من ضـل سبيله ، وهـذا يؤكد التصور الاول الذى تصوره القدماء لهذه الكواكب السيارة ٠

الارض
مركز الكون

وحسب القدماء ان الارض مركز الكون٠ وزاد علمهم بالكواكب السيارة، وبمساراتها، فعدوها سبعة : الشمس، والقمر، وعطارد، والزهرة والمريخ ، والمشترى ، وزحل ٠

ويلاحظ هنا انهم جعلـوا من الشمس كوكبا ٠

وعلموا ابعادها ٠ وفى هذا ذكر المعرى فى بيت باحدى مرتياتـه زحل ، فقال :

زحـل ، أبعـد الكواكـب دارا
مـن لقـاء الردى عـلى ميعـاد

وعمر الخيام ، صعد فى تأملاته ، من الارض ، مركز الدنيا ، فاجتاز البوابة السابعة الى عرش زحل ، بحسبانه الحد الاقصى للكون ، وقد اشتمل على كل ما فى السماء من أجرام ٠

وتغير الحال بزيادة فى الدرس ، ولا سيما بمجىء كوبرنكس Copernicus (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣) فحلت الشمس محل

الفنانون،مـا اخصب
خيالهم٠فهذا ما رسمه
الفنان العبقري،يوضح
فيه ما خاله عن تكون
المجموعـة الشمسيـة
مستقيـا معانيه مـن
نظرية لابلاس ، ومـن
خياله الخصيب ٠

الارض مركزا ، ودارت حولها الكواكب ، ومنها الارض، وخرج منها القمر بحسبانه تابعا للارض وحدها، ويدور حولها وظلت الكواكب ستة، عطارد Mercury ،فالزهرة Venus ، فالارض فالمريخ Mars ،فالمشترى Jupiter ، فزحل Saturn .

وبالطبع كان وعرف ان هذه الكواكب السيارة ، غير النجوم ومنها الشمس . فالنجم يضيء بنور تولد منه ، اما الكوكب السيار فيضيء بضياء منعكس هو ضياء الشمس .

وفي اللغة العربية الحديثة اذا ذكر الكوكب فهم العلماء منه الكوكب السيار ، لا النجوم ، ولو لم يلحقه لفظ السيار .

حدث بعد ذلك ان زادت الكواكب حتى صارت تسعة ، بدل ستة . فالكوكب يورانس Uranus اكتشف عام ١٧٨١ ، والكوكب نيبتون Neptune اكتشف في عام ١٨٤٠ . والكوكب التاسع ، وهو ابعدها جميعا ، اكتشف عام ١٩٣٠ .

وكان بين المريخ والمشترى طائفة من الاجسام تعرف باسم «الكوكبات» الصغيرة، وهي الاف ، لها مسارها حول الشمس كسائر الكواكب . كشفوا عن اكبرها ، واسمه سيريس Ceres . في عام ١٨٠١ ، وهو صغير ، فقطره ٧٦٨ كيلومترا ، فهو لا يعد بين الكواكب الرئيسية .

الكواكب في مساراتها حول الشمس

نبدأ بذكر خواصها العامة ، وكلها حقائق ، نخرج من بعدها الى الخيال .

(١) عدد الكواكب الكبيرة تسعة ، وهي تسير في مساراتها متخذة الشمس مركزا لها . ومساراتها دوائر تقريبا ، ومستوياتها يكاد يجمعها مستوى واحد ، يشذ عن ذلك ابعد هذه الكواكب ، و بلوتو . ومن العلماء من يزعم انه ل كوكبا للشمس اصيلا ، ولكنه اشتق من الكوكب « نبتون » بحسبانه قمرا له ، ... انفصل عنه ليدور حول الشمس .

(٢) وذكرنا الكواكب، بادئين بالاقرب الى الشمس فالاقل قربا . والارض تبعد عن الشمس بمسافة متوسطها نحو ٩١ مليون ميل، او نحو ١٥٠ مليون كيلومتر. ويتخذ هذاالبعد في علمالفلك وحدةقياس واسمه الوحدة الفلكية Astronomical Unit

وفي الجدول الآتي نتبين بعد النجوم عن الشمس ، والزمن الذى فيه تتم دورتها حول الشمس

النجم	البعد بالوحدة الفلكية	باليوم فالعام
عطارد	٣٩ر٠	٨٨م
الزهرة	٧٢ر٠	٢٢٥م
الارض	١	٣٦٥¼م
المريخ	٥٢ر١	٦٨٧م
المشترى	٢٠ر٥	١٢ع
زحل	٥٤ر٩	٢٩ع
يورانس	١٨ر١٩	٨٤ع
نبتون	٠٦ر٣٠	١٦٥ع
بلوتو	٥٢ر٣٩	٢٤٨ع

(٣) كل الكواكب تقريبا تدور حول الشمس ، كالأرض ، من غرب لشرق . وكذلك أقمار الكواكب،تدور كلها تقريبا حول كواكبها من غرب لشرق . و... الكواكب والأقمار ، وهي تدور حول نفسها ، تدور من غرب لشرق . ... النادر الذى شذ .

(٤) والكواكب السيارة هذه النجوم . فالنجوم شموس ، حرار... والضياء من صنعها . اما الك...

و ...اؤها هو ضياء الشمس انعكس اليسا عـ...ها كمـا سبق أن ذكرنـا • والكواكب ال...يرة نراها بالمنظارات اقراصـا مـن ضياء ، أما النجوم فتجرى نقاطا من نور•

وفرق آخر بـين النجـم والكوكب • فالنجم ضياؤه يتلألأ ، اما ضياء الكوكب فثابت لا يعتريه تغير محسوس •

(٥) واسطع كوكب فى السماء ، بـل اسطع جرم ، هو كوكب الزهرة ، وهو يرى بالعين المجردة بعد غروب الشمس مساء ، وهو يرى فى الصباح قبل طلوع الشمس • ويسطع كانه النجم ، ولهـذا عرف بنجمة المساء ، او نجمة الصباح •

اما عطارد ، وهو اقرب الكواكب الى الشمس ، فتراه العين المجردة احيانا فـى الشفق عند الافق ، فى الغرب بعد غروب الشمس ، واما فى الشرق قبـل شروق الشمس •

اما المريخ فيمتاز بحمرة فى لونه • وهو أسطع من المشترى عند اقترابه ، أى اقتراب المريخ ، من الأرض •

والمشترى يأتى فى السطوع ثانيا بعـد الزهرة •

وزحل يضاهى اكثر النجوم سطوعا فى السماء •

فهـذه خمسـة من الكواكب الأساسـية تتراءى فى السماء ، للعـين العاريـة ، كأنها نجوم سماء •

من الحقيقة ننتقل الى الخيال

كل ما ذكرنا حقائق لا شك فيها ، هى ...يجة الملاحظة والقياس ، واستخدام سائر الأ...ـزة الفلكية •• ونحن بالطبع لم نورد الا ...ض الحقائق •

العلماء لا يقفون عند الحقائق ، لأنها كثير... ما تنم عن وقائع كانت فى التاريخ قد... نتج عنها هذا النظام الذى كشف ع... علم اليوم •

حتى الرجل غير العالم لا يستطيع ان يقرأ حتى هذا القليل من الحقائق عـن الكواكب ، ثم يخلد الى السكون • انـه يلاحظ وحدة الصفات الموجودة فى كل هذه الكواكب : الدوران حول المركز الواحد ، والدوران فى نفس المستوى الواحد تقريبا ، والدوران دائما من غرب لشرق ، ودوران الكواكب واقمارها من غرب لشرق ، الى آخر ما هناك من اشتراك فى الحركة ، شكلا ، ومقدارا ، وأداء ، انه يلاحـظ هذه الوحدة فى الصفات ، فلا يستطيع بعد ذلك ان يصمت • فهو ، بحكم انـه انسان ، تظل تناوشه هذه الحقائق ، فهى توحى اليه بعلة واحـدة ، كانت ، ثـم انقضت ، فانتجت هذه المجموعة الغريبة التى نسميها بالمجموعة الشمسية ، تلـك المجموعة الواحدة التى لم يستطع عالم ان يكشف عن سرها الى اليوم ، وهى المجموعة التى تضمنت ما عرفنا من مظاهر الحياة والأحياء •

ومثل هذا الموقف وقفه العلماء •

ارادوا ان يذهبوا الى الوراء تساءلوا ما الصورة التى كانت عليها كل هـذه الاشيـاء فى الامس ، ولـو البعيـد ، ثم تطورت الى هذه الصورة التى نراهـا اليـوم •

وبدأوا يبحثـون • انهـا فـروض فرضوها ، وحالة أو حالات تصوروهـا ، جاز ان تنتج عنها مثل هذه المجموعـة الشمسية • وهم فى فروضهم وتصورهم لا يخرجون ابدا عن قوانين الطبيعة ، عن سنن الكون ، الأزلية الأبديـة ، التـى لا يمكن ان يكون منها تبديل او فيهـا تعديل •

وبلغت هذه الفروض نحوا من عشرين فرضا Hypothesis ، او ان شئت نظرية Theory •وكلهـا وقعت فى القرنـين الماضيين أو تزيد قليلا •

صورة ايضاحية تمثل المجموعة الشمسية ، كيف نشات عندما قاربت شمس اخرى في مسيرها من شمسنا ، فاقتطعت منها كتلا من جرمها صارت بعد ذلك كواكب ٠

هذه الصورة من خيال فنان مبدع ، قرأ ما قرأ ،عن الكواكب ، كيف تكونت من الشمس ، فرسمها بالوانها هذه الزاهية كما خالها ٠٠ الشمس في الاوسط ، وحولها الكواكب دوارة ٠٠ وهي لا تزال من نار ساخنة ٠ كان ذلك ، ان صح انه كان ، قبل اكثر من خمسة آلاف مليون عام ٠

ورة ايضاحية تمثل المجموعة الشمسية كيف نشات وفقـا طرية خروج الكواكب منجسم الشمس، اطراحا، وهي تدور٠

صورة تمثل أرضنا، وتمثـل ضآلة حجمهـا بالقران الـى حجـم الشمس ٠

. ولعل اول من بدأها الفيلسوف الالمانى كنط Kant (١٧٢٤ ــ ١٨٠٤م) عندما نشر فى عام ١٧٥٥ نظريته اول ناشر ، وفيها زعم ان اصل ما نراه فى السماء سحابة هائلة ، باردة ، من غاز وتراب ، لفّافة حول نفسها ، ومنها خرج كل ما نراه بعد ذلك .

وفى عام ١٧٩٦ جاء معاصره العالم الفرنسى الكبير لابلاس (١٧٤٩ ــ ١٨٢٧م) Laplace ،ونشر نظريته ، متحدا من نظرية كنط اصلا . فزعم ان هذه السحابة الهائلة الدوارة على نفسها ، انما دارت على نفسها بسبب قوة كونية اخرى . حدث لها انها اخذت تنكمش وتصغر حجما ، بسبب ما بين اجزائها من جاذبية . وهى اذ تنكمش احدث تطرح من مادتها ، بين حين وحين ، طبقات من سطحها هى التى صارت فيما بعد كواكب . اما الذى تبقى من السحابة العظيمه فصار بعد ذلك شمسا . اما الحرارة فجاءت من انكماش هذا الغاز والتراب .

وجاء من بعد لابلاس آخرون بنظريات اخرى .

من هذه النظريات نظرية زعمت ان الشمس تكونت من هذه السحابة Nebula اولا ، بلا كواكب . ثم مر نجم آخر (وهو شمس) فلما اقترب من الشمس انتزع منها بالجاذبية شرائط هى التى تجسدت فصارت كواكب .

ومن هذه النظريات نظرية تقول ان شمسنا كانت توأم شمس اخرى ، ومر بهما نجم فاصطدم باحداهما ، فانفلقت ، فتكونت الكواكب من فلقاتها .

هذه النظريات ، وسائر ما لم نذكر منها ، كان نصيبها الرفض من العلم لتناقض كان بينها وبين واقع الحال فى الشمس وكواكبها .

ونذكر من ذلك نقضا واحدا .

المعروف فى هذه المجموعات الدوارة المتصل بعضها ببعض ، ان لكل من افرادها مقدارا من الحركة الدوارة ، التى ننعتها بالزاوية ، نسبة الى الزاوية Angular Momentum وان مجموع هذه المقادير ثابت مهما تغيرت اوضاع افراد المجموعة . بهذا تقضى القوانين ، قوانين الحركة . كذلك اذا كان هناك جرم دوار على محوره ، ثم انكمشت كتلته ، وجب عندئذ ان تزيد سرعة دورانه حتى تبقى حركته الدوارة ثابتة المقدار .

فكل نظرية نبتدعها لتفسير كيف تكونت المجموعة الشمسية يجب أن تكون نتائجها مطابقة لهذه القوانين ، جملة وتفصيلا .

والمجموعة الشمسية توزعت عليها الحركة الزاوية الحاضرة بحيث كان نصيب الشمس من مجموعها نحو ٢ فى المائة فقط ، فى حين كان نصيب المشترى ٦٠ فى المائة ، ونصيب الكواكب الاربعة الكبرى نحو ٩٨ فى المائة !!

والشمس هى الاصل ، وهى الجرم الاكبر .

الصورة المرفقة

ان الكاتب ، عندما يكتب ، يفكر فى الموضوع اولا ، فاذا أتمه ، بحث عن الصور الايضاحية المناسبة .

وهذا المقال جرى على غير ذلك . فالكاتب رأى الصورة المرفقة بهذا المقال ذات الالوان الزاهية ، والخيال الرائع فأعجب بها وبفنانها وخياله واراد نشرها ولكن لكل صورة كلمات تفسرها .. يجد الكاتب سبيلا الى تفسيرها غير المقال . والمطبعة لن تنزل بالصورة زهوتها التى وجدتها بها .

أحمد زكى

بركان "فيزوف" وملح الصليف

■ نورد فيما يلي نموذجا للاجابة الصحيحة على أسئلة مسابقة العدد ٢٠٠ من « العربي » والتي تضمنت مجموعة من الاسئلة المتنوعة في شتى مناحي المعرفة الانسانية ، حيث استطاع القراء أن يجيبوا على اسئلة المسابقة اجابات صحيحة ، كما أن الزيادة في عدد المشتركين في المسابقة كانت ملحوظة .

١ ـ المصلح العربي الجزائري هو ابن باديس .

٢ ـ البحرين **هي الدولة العربية التي تقوم فوق ٣٣ جزيرة صغيرة .**

٣ ـ اسم البركان الذي دفن مدينة بمباي هو بركان فيزوف .

٤ ـ خط العرض الذي يعرف برقم صفر هو خط الاستواء .

٥ ـ المدينتان الواقعتان عند طرفي دلتا نهر النيل هما دمياط ورشيد .

٦ ـ جاكلين كنيدي كانت زوجة الرئيس الامريكي جون كنيدي .

٧ ـ الجزيرة التي تتحكم في مضيق باب المندب هي جزيرة بريم او ميون .

٨ ـ النهران اللذان يتدفقان من جبال الهملايا في الهند هما الاندس والجانجس .

٩ ـ عدد السنوات التي تمر بين كل دورة اولمبية واخرى هي اربع سنوات .

١٠ ـ الصليف في اليمن تحوي اكبر كمية من الملح الحجري في وطننا العربي .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **انور عطار** / حلب / سوريا

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **عبدالله علي محمد الفكي طه**/الخرطوم/السودان.

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **ناصر عبد الرحمن صالح خضر** / عمان / الاردن.

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **محمد عبد العزيز** / عدن / اليمن الديمقراطي

٢ ـ **احمد محمود ابو حسان** / بنغازي / ليبيا.

٣ ـ **فتحية عز الدين** / بيروت / لبنان .

٤ ـ **اشرف حنفي العربي** / الاسكندرية / مصر

٥ ـ **حمد ناصر الدخيل** / الرياض / السعودية

٦ ـ **حاتم كامل مصطفى اللحام** / العمرية / الكويت

٧ ـ **عبد الباسط مهيوب حيدر** / الحديدة / اليمن الشمالي

٨ ـ **علي احمد ابراهيم العيسى** / دبي / الامارات العربية

وسترسل الجوائز لاصحابها ■

يعتبر « جبل عمان » فى طليعة الاحياء الحديثة فى العاصمة .. وهو يضم شوارع جميلة للغاية منها شارع الدفاع المدنى وشارع الزهرانى أما الزينة التى تراها فى الصورة ، فقد اقيمت بمناسبة الزيارة الرسمية التى قام بها الرئيس الرومانى « شاوشسكو » للاردن .

اعرف وطنك ايها العربى

الأردن ..

مسارح للسياحة والاصطياف مجهولة

استطلاع بقلم : يوسف زعبلاوى

تصوير : عبد الناصر شقرة
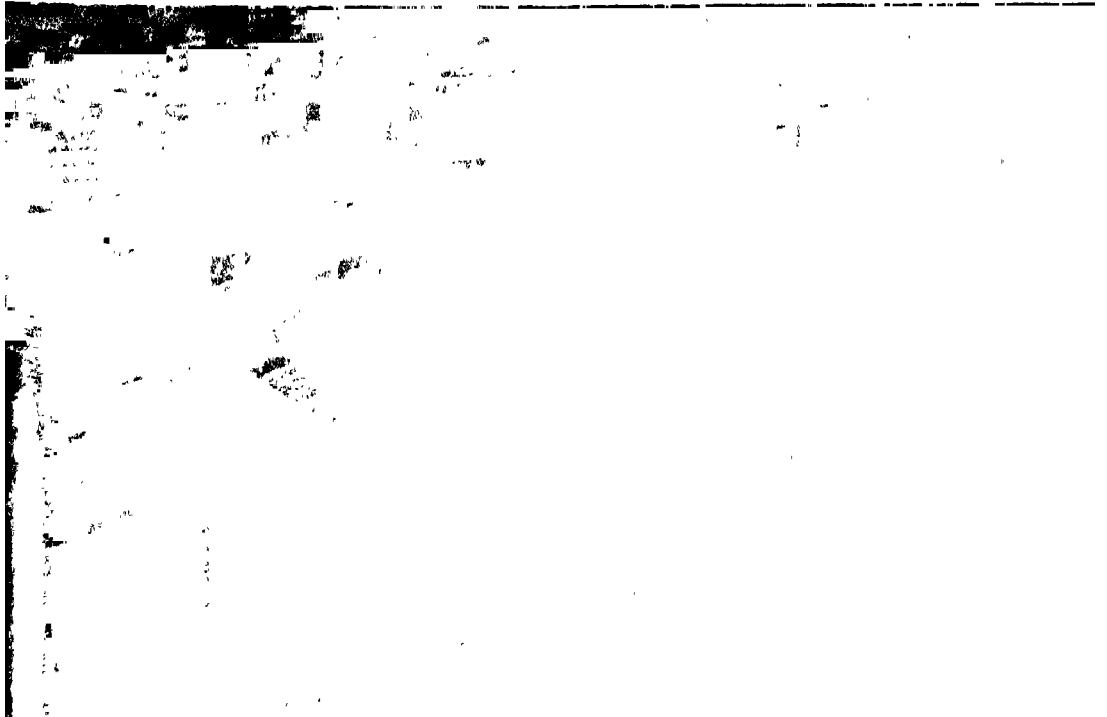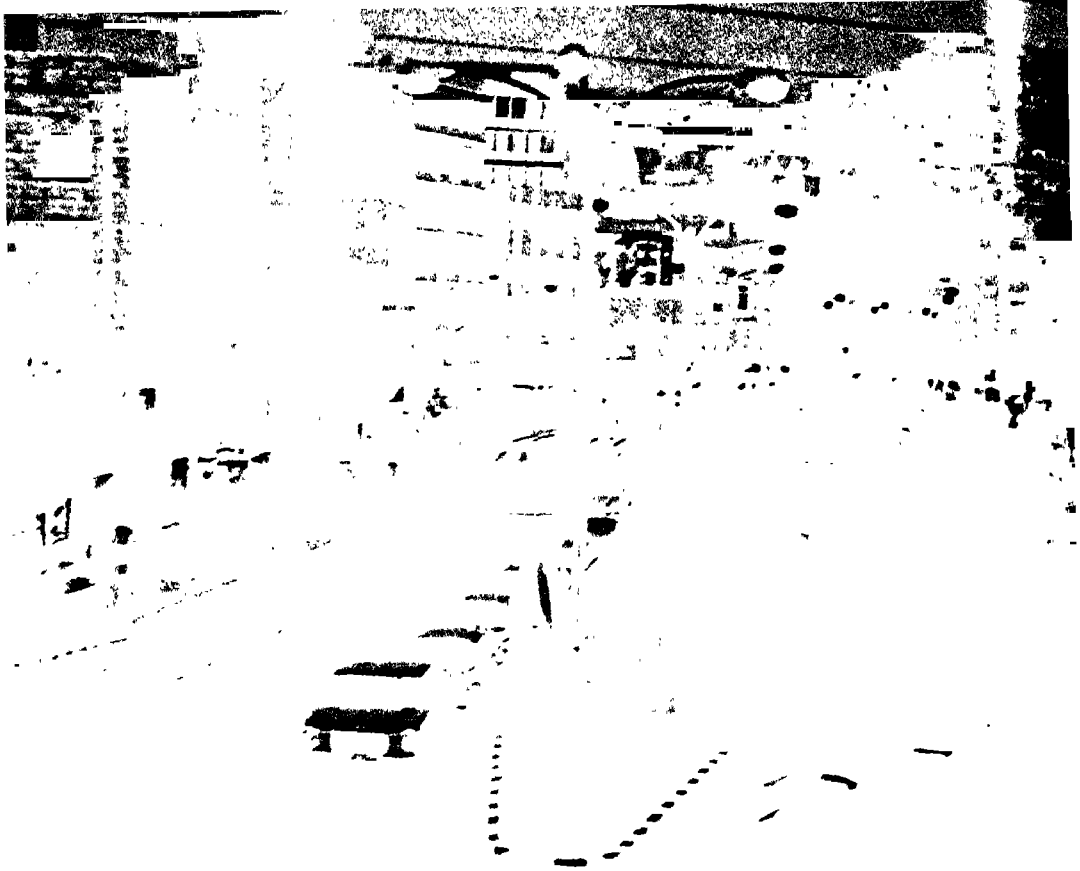
احد شوارع مركز العاصمة ، حيث توجد الاسواق والفنادق والمطاعم والمقاهي ·

· مشهد لطيف لفرقة الفنون الشعبية في الاردن · وتضم هذه الفرقة عددا من الهواة المحترفين ·· هواة نظرا لانهم غير متفرغين لفن الرقص الشعبي الذي يتعشقون ، ومحترفون ·· نظرا للمستوى الرفيع الذي بلغوه في اداء فن الرقص الشعبي بمختلف الوانه ·

هذا ... مدرج عمان المعروف باسم فيلادلفيا ، وهو اسم عمان في الماضي البعيد ، أيام حكمها الرو... · وهو دون شك اعظم المدرجات الكثيرة التي بناها الرومان في جرش والبتراء وسو...ى في الاردن ·· ويتسع هذا المدرج العظيم لستة آلاف متفرج ، وقيل لعشرة آلاف ·

منطر عام للعاء
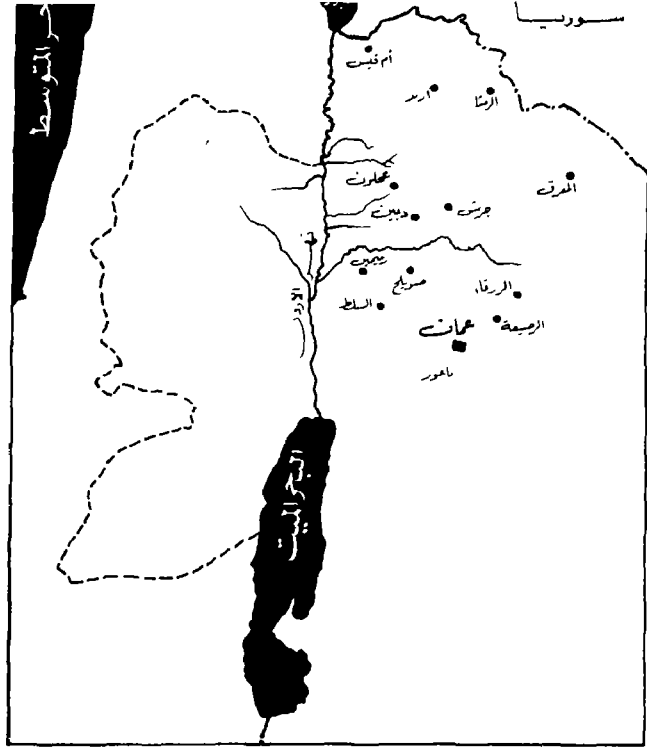
■ اقلعت الطائرة الكويتية فى الموعد المقرروانطلقت ببعثة (العربى) الى عمان ٠٠ فقد كلفنا باستطلاع الاردن واستجلاء اوجه نهضته ،وموافاة قرائنا بتحقيق مصور عن هذا البلد العربى الصامد النشط ، وقد طالت غيبة العربى عنه سنوات ٠٠

انها السنوات العجاف التى اعقبت حرب ٦٧ ٠٠فقد احتل العدو الضفة الغربية بمزارعها ومصانعها، وتحكم فى محاصيلها ومنتجاتها ، واحتل كذلك القدس بمقدساتها ، واستاثر بدخل سياحتها ٠٠٠ ثم راح ينزل بالضفة الشرقية الضربة تلو الضربة،فحطم السدود ودمر الاقنية ، وغير ذلك من مقومات التنمية ، لا يقصد سوى البطش والعدوان ٠٠وقام بالغارات الجوية على المدن والقرى ، وخرب من بيوتها ما خرب وشرد من سكانها الآمنين من شرد ٠

وقل مثل ذلك فى المأساة الدامية ٠٠ ماساة سنة ١٩٧٠ ٠٠ فلو انت تخطيت اسبابها القريبة الظاهرة وتحريت اسبابها الحقيقية الاولى لما وجدت غير اسرائيل سببا٠فقد آلت هذه على نفسها الا تكون فى حياة المشرق العربى سبب انشاء وتعمير وانما فقط سبب تفرقة وتدمير ٠٠ وآثرت ان يظل وجودها فى المنطقة اشبه بالجسم الغريب داخل الجسم الحى ٠٠ جسم الامة العربية ٠٠

ثم كان الجفاف الذى اجتاح الاردن والعالم سنة ٧٢/٧٣ ، وكانت المواسم الرديئة التى زادت الطين بلة فى مضاعفة الالام وطمس الآمال ٠

راقب (العربى) ذلك كله عن كثب ، وراح يرقب ظهور اول بصيص يضىء له السبيل الى استطلاع القطر الشقيق ٠٠ وفجاة لاح ذلك البصيص ٠٠ رآه واضحا فى الانتعاشة التى احدثتها خطة التنمية الثلاثية ، وهى الخطة الت التى تنتهى مع نهاية هذا العام ٠ فقد تحدت الخطة شتى التحديات وحققت ما يحق للاردن يفخر به من منجزات على مختلف المستويات ٠ توسعا فى الصناعة والزراعة والتعدين ، و زيادة ملحوظة فى الانتاج فى هذه وفى غيره من مجالات ٠ وحسبك ان مجمل الانتاج (او الد

رائية .

هدا هو مستشفى عمان الكبير وهو سى بحانب الحامعة الاردنية وبالقرب من كدية الظب وها ٠ وبحدر الاشاره الى ان عدد اسرد المستشفيات فى الاردن بلع ١٨٩٢ سريرا منها ٦٢٢ سريرا فى المستشفيات الخاصة السالغ عددها ١٥ مستشفى

السنوى قفز الى ٣٠١ مليون دينار اردنى سنة ١٩٧٤ . أى ما يعادل ١٦٧ دينارا اردنيا للفرد الواحد بالمتوسط ٠ وكان ذلك الانتاج لا يزيد بمجموعه على ٢٣٤ مليون سنة ١٩٧٣ ٠

واسترعى انتباه (العربى) ما جناه الاردن من ثمار طيبة فى مجالين آخرين هامين ٠٠ فمدينة الحسين الطبية ومستشفى عمان الكبير شاهدان كبيران على تلك الثمار فى المجال الصحى ٠٠ والجامعة الاردنية شاهد آخر كبير على تلك الثمار فى مجال العلم والتثقيف ٠٠

وعز على العربى ان يحصر اهتمامه بمجال واحد دون غيره من تلك المجالات ٠٠ فرحنا نلمسها جميعا ، ونقوم بتصويرها ٠٠ بقصد نشر استطلاعاتها المصورة فى الوقت المناسب ٠٠ على ان رتأينا البدء بموضوع السياحة والاصطياف فى الاردن ٠٠ فلعله اقرب المواضيع الى جمهرة القراء ٠٠ ولما كانت السياحة والاصطياف فى الاردن يبدآن حكما بالعاصمة ، وقد ينتهيان فيها ايضا كان لا بد من بدء استطلاعنا هذا بجولات نقوم بها فى عمان ٠

عمان تقوم على جبال

وفجاة ارتفع صوت مضيفة الطائرة معلنا وصولنا عمان ٠ ونظرنا من النافذة واذا ببيوت العاصمة البيضاء تكسو عددا من الجبال ٠ وتذكرنا تعليقا لطيفا لكاتب امريكى قال فيه : رومه بنيت على سبعة جبال كما هو معروف ٠٠ ولكن جبال رومه اقرب الى التلال بل اشبه بالكثبان لو قورنت بجبال عمان ٠٠

وجبال عمان هي الاخرى سبعة ٠٠ ما لم نسترسل وتدخل فى حسابنا جبالا اخرى قريبه . فيصبح المجموع ١٧ جبلا ٠ وبدا لنا فيما بعد أن اهم تلك الجبال خمس . هى : جبل الحسين وجبل عمان وجبل الشميسانى . نسبة الى الشمس . وجبل الاشرفية. وجبل اللويبدة ، نسبة الى عتبة بريه اسمها لويبدة ٠

على ان عمان الجبلية ليست جبالا كلها ٠٠٠ فالوادى الاخضر المتوارى بين هذه الجبال السبعة يكون جزءا هاما من العاصمة ٠٠ بل انه مركزها وقلبها النابض ٠٠ فهو يضم اسواقها جميعا ،

الجامع الحسيني في عمان وهو في مركز العاصمة . وعلى اتساع هذا المسجد فانه يفيض بالمصلين أيام الجمعة بحيث تزدحم الساحات والشوارع القريبة وكأنها صحون ملحقة بالمسجد ·

خريطة عمان الحديثة ، وهي تبين لك بوضوح معالم تخطيطها الجديد ·· الذي قضى على ازمة السير ·· لاحظ الطرق الدائرية والداخلية والمناطق التجارية وغير ذلك مما ورد ذكره في الاستطلاع ·
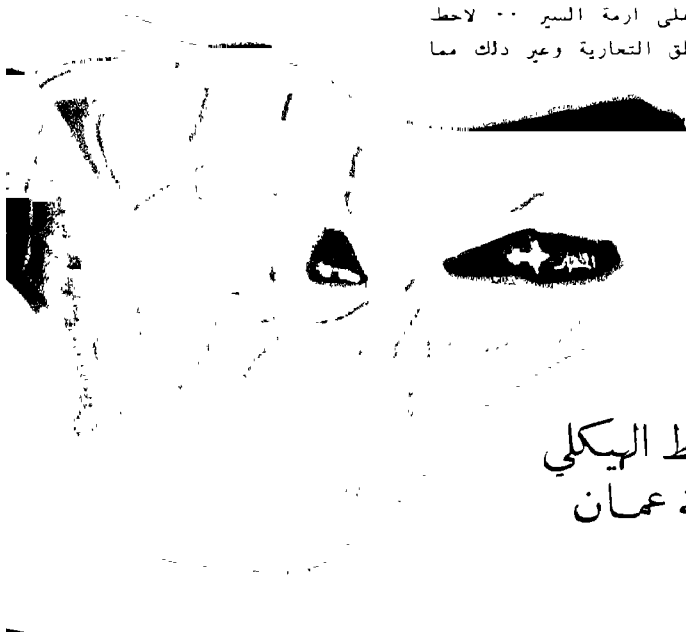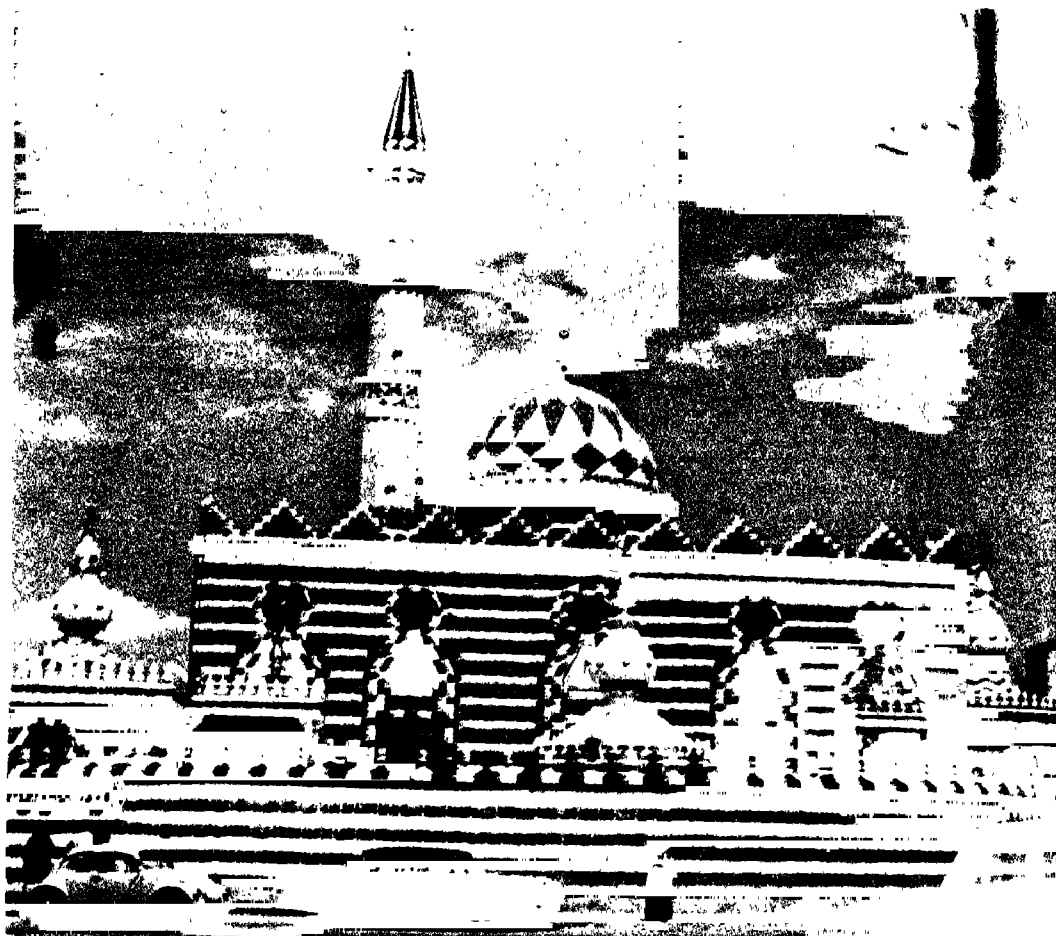
هذا هو مسجد ابو درويش القائم على قمة جبل الاشرفية ·· وقد بناه الحاج مصطفى حسن الشركسي (ابو درويش) بماله الخاص ·

احد المنازل (الفيلات) الخاصة . وهو بديع الطراز ويعطي مثلا عن المباني الحديثة في عمان الحديثة ·

المبنى الجديد الخاص بمجلس الامة في الاردن.ويتألف هذا المجلس من مجلسي الاعيان والنواب .

ما من احد في عمان الا ويعرف هذا المبنى .. مقر دائرة المساحات والمعاشرات .. وهم يسمونه (فندق ابو رسول) ..

واكثر مطاعمها وفنادقها ومقاهيها .. وكان هذا الوادي يحتضن عمان كلها او اكثرها قبل ٥٠ عاما .. اما قبل مائة عام او يزيد قليلا،حين لم يكن لعمان وجود ، كان الوادي يؤدي ما عرف آنذاك بخرائب عمان ..

ويحدثنا بركهارد Burckhrtd الرحالة السويسري عن تلك الخرائب،وقد زارها سنة ١٨١٢،فيشير الى القتال المستمر بين العشائر حول تلك الخرائب وبسبب ينابيعها ، وقد كانت مورد الماء الرئيسي الذي شربت منها اغنامها .لاعجب اذن ان تعذر على بركهارد الحصول على دليل يرافقه من مدينة السلط الى خرائب عمان .. التي حرص اشد الحرص على زيارة آثارها واطلالها ..

وكان الوالي التركي في السلط يحرص ايضا على سلامة بركهارد . فما كان منه الا ان وضع تحت تصرفه اربعة رجال مسلحين ، وذلك لحراسته ومرافقته الى الخرائب سيرا على الاقدام (المسافة = ١٥ كيلومترا) .. ولكن خطة الوالي بل اوامره لم تنفذ فقد جاءت زوجات الرجال الاربعة في الوقت المناسب ، ورحن يخاطبن ازواجهن بعصبية بلغت حد الجنون ، ثم جعلن يوبخنهم ويشتمنهم نظرا لانهم قبلوا الذهاب الى خرائب عمان والقاء انفسهم في التهلكة لقاء قروش قليلة .. وهكذا امتنع الرجال عن مرافقة بركهارد .

والطريف ان عمان نمت من تلك الخرائب وكبرت حتى اصبحت العاصمة الكبيرة التي نعرفها في اقل من مائة عام . ولعلها تحتل من حيث سرعة النمو مكان الصدارة بين العواصم والمدن العربية كلها . وحسبنا ان نذكر ان عدد سكانها لم يزد على ١٠٠٠ نسمة سنة ١٨٩٣ ، ثم تضاعف اكثر من ٦٠٠ مرة حتى اصبح الآن يجاوز ٦٠٠ ألف نسمة .. وقل مثل ذلك في المساحة التي بلغت ٩كم٢ سنة ١٩٢٥،والتي تضاعفت اكثر من عشرة اضعاف حتى اصبحت تزيد الآن على ١٠٠كم٢ .

ازمة المرور لم تعد ازمة

واسترعى انتباهنا ونحن في طريقنا من المطار الى الفندق السرعة والسهولة التي احرزت السيارة بها الشوارع . وتذكرنا كيف اسـ[illegible] مشاكل السير بعمان في الامس القريب .. [illegible] شارع المحطة (شارع الملك عبد الله حاليـ[illegible] الذي لم يزد طوله آنذاك على ٢٠٠ متر ، [illegible] استغرق قطعه احيانا ساعة أو يزيد .. و[illegible] احد الاصدقاء الذي كان يتردد على [illegible]

سوق الخضار والفاكهة الجديد، وقد أقاموه خارج ، مركز العاصمة ٠

شارع من شوارع مدينة اربد ، عاصمة الشمال فى الاردن ٠٠ وهى مدينة قديمة جدا ٠٠ وكان اسمها الاول « اربيلا »

بسيارته الخاصة فقد كان يترك سيارته فى اول كراج يصادفه فى العاصمة ولا يعود اليها الا عند انتهاء زيارته وذلك تحاشيا لمشاكل المرور ٠٠٠

ولسنا بحاجة الى البحث عن اسباب تلـــك المشاكل ٠٠٠ ففى حديثنا السابق عن جبال عمان ووديها ، وعن تزايد مساحتها وسكانها مايغنى عن ذلك ٠٠٠ ولعل الحديث عن النجاح الذى احرزه المخططون فى حل ازمة السير فى عمان اجدى من الحديث عن اسباب تلك الازمة ٠٠٠ وجمعتنا الصدف باحد المطلعين على شؤون تخطيط العاصمة الاردنية فطرحنا عليه سؤالنا فكان رده كالاتى :

- عمدوا الى انشاء الطرق والشوارع التى تصل بين جبال عمان المختلفة دون المرور بمركز المدينة ، ثم عبدوا المزيد من الشوارع حتى بلغ مجموعها ٢٢٠ شارعا جديدا ، وبلغ طولها مجتمعة ١٤٠ كيلومتر ٠ ثم احدثوا بعض التغييرات ..ية فى مركز المدينة بالذات ، فالغوا سوق ..ار القديم ، الذى جثم على قلب العاصمة ، و..اوا سوقا جديدة ، بعيدا عن المركز ٠٠ ونظموا .. بعد ذلك فحصروه فى اتجاه واحد فى اكثر ..ارع واقاموا اشارات المرور الضوئية ٠٠ و.. كان المخططون لينجحوا حيث نجحوا لولا تعاون ..لى فى التقيد بالنظام ٠٠٠

عمان ٠٠ فى الطليعة نظافة

ولكننا ما لبثنا ان لاحظنا ما هو اهم واخطر من حل ازمة السير ٠٠٠ نعنى النظافة ٠٠ فعمان نظيفة جدا ، وهى بلا ريب فى طليعة العواصم العربية نظافة ٠

وتحرينا الاسباب ففهمنا ان السلطات المعنيــة كانت تراعى توسع العاصمة فتضاعف عدد عمـــال التنظيف تبعا لذلك التوسع ٠٠ وفهمنا ايضا ان تلك السلطات كانت تراعى التضخم والغلاء فـلا تتردد فى رفع اجور عمال التنظيف ، بما يتفق وارتفاع الاسعار ٠٠ ولو انهم تباخلوا لما امكنهم الحفاظ على هذا المستوى الرفيع من النظافة ٠٠٠

اضف الى ذلك سوق الخضار الجديد ، الــــذى سبقت الاشارة اليه ، والمسلخ الجديد.وقد اقاموهما بعيدا عن مركز العاصمة ٠ ففى ذلك ضمان لمزيد من نظافة عمان ٠

على ان لنظافة العاصمة الاردنية سببا اهم من كل ما ذكرنا ٠٠ انه شبكة المجارى الحديثة التى حلت محل حفر الامتصاص الى حد كبير ٠

ففى عمان شبكتان لمجارى الفضلات : رئيسية يبلغ طول انابيبها اجمالا ٦٠ كم ، ويصل قطـــر

منظر رائع لقلعة الربض وقد ضربها
زلزال سنة ١٨٣٧ فتسبب بانهيار
بعض جدرانها وابراجها ·· **(الصورة
الى اليمين)** وقد زار قلعة عجلون
هذه الرحالة بركهارد سنة ١٨١٢ .
وقال انها كانت مأهولة ويسكنها
حوالى ٤٠ شخصا من عائلة بركات
·· **(الصورة الى اليسار)**
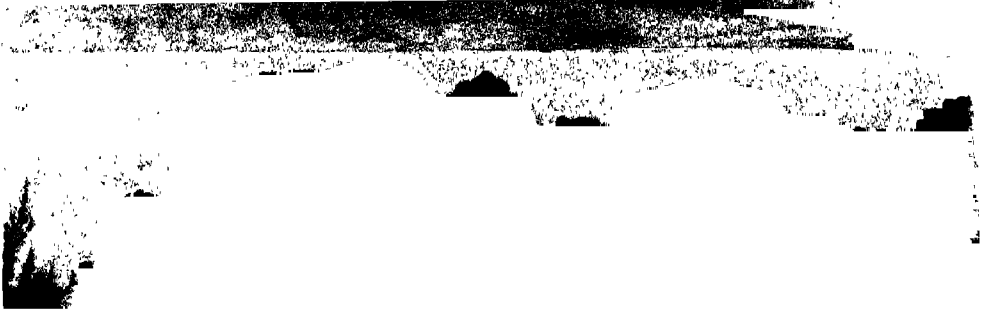
فندق الاردن وهو يحتل مكانا بارزا بين فنادق العواصم العربيه كلها ، من حيث الخدمات الممتازة التى يقدمها لنزلائه .

تلك الانابيب الى ١٢٠ سم . وشبكة فرعية بطول ٣٠٠ كم من الانابيب وبقطر ٢٠/٣٠ سم . وتصب هذه الفرعية فى الشبكة الرئيسية ، وتصب هـذه بدورها فى مجمع التصفية الذى اقيم خـــارج العاصمة .

ويعمل هذا المجمع ، باحواضه الكبيرة وخزاناته وشتى اجهزته ، على تصفية الفضلات وتعقيمها ثم عزل المواد الصلبة فيها عن السائلة لتصبح لاولى سمادا والثانية ماء رى للمزروعات .

على الطريق الى عجلون

وانطلقت بنا السيارة نحو الشمال ، الــى عجلون ، تلك البلدة اللطيفة التى تبعد عن عمان ٧٣ كيلومترا . والتى تقع فى منطقة غنية بغاباتها ومياهها وبكل ما يمكن تسميته بالخامات السياحية .

وانطلقنا نحن فى تاملاتنا حول السياحة ، هذا الموضوع الذى قصدنا الى استطلاعه بتوجهنا الى عجلون ، ومن بعدها الحمة ، فدبين . وعجبنا لعدم رواج هذه الصناعة فى عالمنا العربى ولازدهارها فى دول الغرب .

هذا والسياحة صناعة هامة جدا . ويمكن ان تكون ذات ايرادات كبيرة اذا هى ظفرت بما تتطلبه من تنمية وعناية . وحسبنا ان نذكر ان مجموع ما انفقه سواح العالم من اموال بلغ ٢٠٠/٢٤ الف مليون دولار سنة ١٩٧٢ .. والرقم المذكور يشمل نفقات اكلهم وشربهم ، دون اجور سفرهم. وهو يشكل ٦/ من مجموع قيمة المنتجات الصناعية والزراعيـة والمعدنية التى صدرتها دول العالم بعضها الى بعض فى السنة التى ذكرنا ، سنـة ١٩٧٢ . اما عدد السواح الذين انفقوا المبلغ الكبير الذى ذكرنا فقد بلغ ٢٠٠ مليون نسمة ، اى ما يقارب عدد سكان الولايات المتحدة كلها . ولو ذكرنا ايضا ان الدخل السياحى الذى جنته المانيا الغربية فى سنة ١٩٧٢ بلغ نحو الفى مليون دولار لما ارتبنا فى خطورة هذه الصناعة ولا فى قدرتها على مضاهاة الصناعات الكبيرة الاخرى بما فيها صناعة البترول نفسها ...

انطلقنا نتامل هذه الارقام وامثالها ونفكر فيما عساها تكون العقبات التى تحول دون ازدهار هذه الصناعة فى بلادنا على نحو ما هى عليه فى بلاد الغرب ... ولم يطل بنا التفكير حتى تذكرنا اهم تلك العقبات ...

تذكرنا التسهيلات فى المعاملات عندهم والتعقيدات عندنا . وتذكرنا اللطف والاحترام الذى يحاط به السواح فى مراكز حدودهم والجلافة والتحجر الذى يعاملون به فى مراكز حدودنا . ثم تذكرنا شعار موظفى الجمارك والجوازات ، وهو عندهم « السائح دائما على حق » وعندنا : « السائح متهم دائما بالتهريب .. »

عجلون البلدة والمنطقة

ووصلنا بلدة عجلون. واذا بها بلدة صغيرة قائمة بما رزقها الله من جمال الطبيعة وجودة الطقس وغزارة الميـاه العذبـة .. وسخـاء فى الخضار والفاكهة ..

وتجولنا فى البلدة . فتذكرنا ما ذكره ابن بطوطة فيها . وقد زارها سنة ١٣٥٥ م . اذ قال انها مدينة حسنة ولها اسواق كثيرة وقلعة ويشقها نهر ماؤه عذب. واغفل هذا الرحالة الشهير ذكر خضار عجلون وفاكهتها . وقد يذكرها الكاتب الدمشقى، شمس الدين شيخ الربوة صاحب كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر الذى زار عجلون سنة ١٣٠٠ .

رأينا الاسواق والارزاق والمنازل والحوا[illegible]

جرش وآثارها الرومانيــة وهي في غنى عن التعريف ، وقد استطلعهــا « العربي » في عدد سابق ·

فلم نجد فيها ما هو غير عادي، باستثناء مسجد صغير جميل ، استوقفنا وبعث على حب استطلاعنا · اذ ان مئذنة هذا المسجد مربعة الشكل على نحو ماتكون ابراج الكنائس · وهكذا ذهب البعض الى ان المسجد كان اصلا كنيسة صليبية ·· ولو عرفوا التاريخ لما اخذوا بمثل هذه الظنون · فبلدة عجلون لم تخضع للصليبيين ابدا ·

واسترعى انتباهنا كذلك منتزه بلدة عجلون السياحي ، بل قل ذلك المرج الكبير الذي يشرف على وادي عجلون حيث ينابيع الماء العذب كثيرة ·

والمنتزه قريب من معهد عجلون للمعلمات ، وهو واحد من ١١ مدرسة ثانوية وابتدائية منتشرة في البلدة الصغيرة ، وهو اشهرها بلاريب · وقد حالت ظروف يوم الجمعة دون زيارتنا هذا المعهد ··

ويقــع المعهــد ومنتــزه البلديــة السيــاحي ضمــن منطقــة حراجيــة كبــيرة تلــف البلـــد من الجنوب وتتصل بالغابات التي قطعناها ونحن
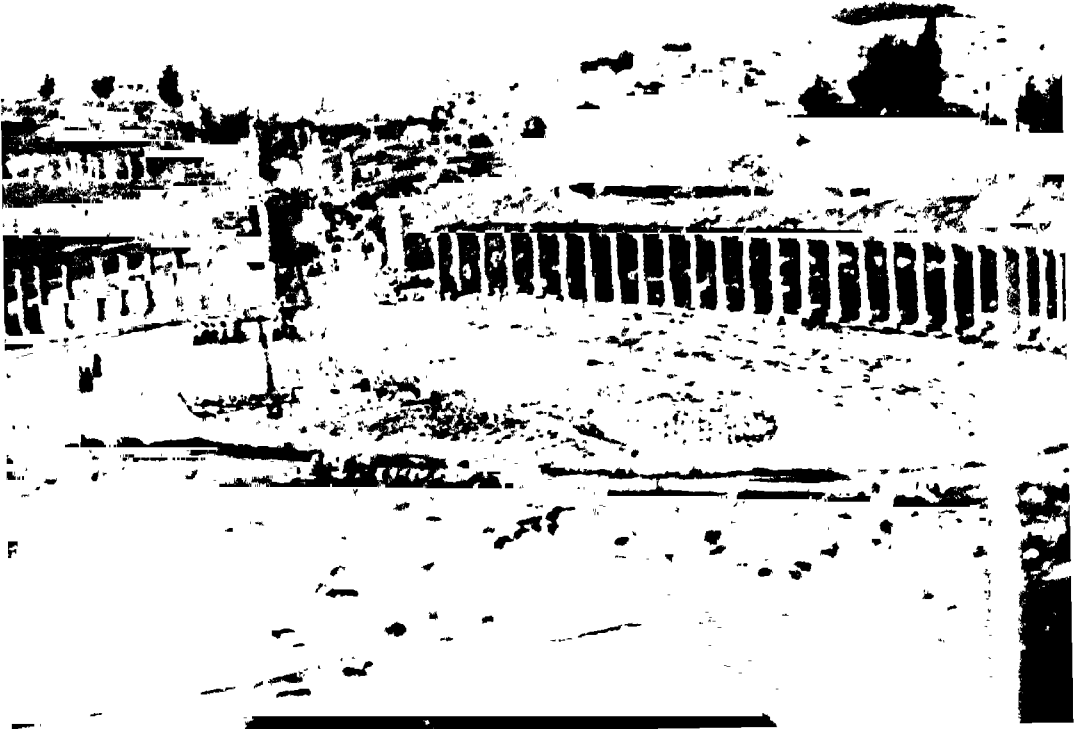
فندق الحمة ، حيث توجد حمامات المياه
المعدنية الحارة ·· التى يقصدها الكثيرون
بقصد الاستشفاء ··

بركة للسباحة جميلة فى الحمة ··
تظللها الاشجار ويظهر فيها السابحون
صغارا وكبارا ··
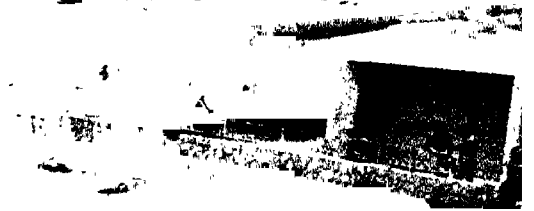
الاثار الرومانية الفخمة تجدها بكثرة في عمان وجرش والبتراء·ولكنك تجدها ايضا في بلدتي ام قيس وبيت راس حيث التقطت هذه الصورة والبلدتان قريبتان من اربد عاصمة الشمال ·

·· ويقصدها آخرون بقصد المرح والرقص والترويح عن النفس ولا سيما في فصلي الربيع والشتاء وفي ايام الجمعة ··

احدى ؛

جامعة الاردن تضم عددا من الشوارع والساحات الجميلة وهذا هو احد تلك الشوارع

قادمون الى المنطقة من عمان ، وتعرف هذه المنطقة بمنطقة المستشفى ٠

ويغلب شجر الصنوبر والسنديان على غابات هذه المنطقة ٠٠ وتكثر فيها اشجار الزيتون والكروم والاضار ولا تخلو من الزهور والرياحين ٠

وتنافس هذه المنطقة منطقة اخرى الى الشمال ٠٠ تلك هي منطقة (اشتفينا) التي تبعد عن عجلون مسافة ١٢ كيلومترا ٠ ولعل غابات هذه المنطقة اكثر كثافة ، وقد كفل لها موقعها ان تكون في منأى عن الايدي العابثة ٠ ولا تختلف الاشجار هنا كثيرا عما هي في المنطقة الجنوبية ولا تختلف المناظر او المناخ ٠ فالطقس معتدل ومنعش للغاية في هذه المناطق كلها ٠٠ فهي جبلية ومشجرة ، لا يقل ارتفاعها فوق سطح البحر عن (١٠٠٠) متر ولا يجاوز بعدها عن شواطئه(٥٧ كيلومترا)٠٠ كل هذه العوامل تكفل لها ذلك الطقس الذي ينشده المصطافون في كل مكان ، فانت تستطيع ان ترتدي ثياب البرد او ثياب الصيف دون ان تشعر باي انزعاج ٠٠ وتستطيع كذلك ان تعمل طويلا دون ان تشعر بالارهاق او بالاقل دون ان تشعر به بالسرعة المألوفة في مناطق اخرى ٠

وقد استرعى انتباهنا مناظر المنطقة الجميلة قبل طقسها ٠٠ فهذه جميلة رائعة وتبدو لك قريبة منك ومن قلبك ٠٠ لا كالمناظر التي تفتقر الى الضياء وتكثر فوقها الغيوم فتبدو لك رمادية اللون بعيدة موحشة ٠٠ فالمناظر التي تشاهدها في عجلون مفتوحة تغمرها اشعة الشمس ٠٠

ونظرنا الى الغرب فرأينا وادي الاردن وتراءت لنا من بعده سهول الجليل ٠ وقالوا لنا ان في الامكان رؤية بحيرة طبريا في الايام التي يسمح فيها صفاء الجو بذلك ٠

وسألنا احد أبناء عجلون عن عدد الفنادق في البلدة ، وعن الفندق الذي ينصحنا بالنزول فيه، حين نعود الى المنطقة بقصد الاصطياف ٠ فاجاب ساخرا ٠٠٠

سؤالك يا استاذ ينطوي على اساءة لاهل عجلون ٠٠ فهم كرماء ومضيافون وما زالوا يحتفظون بالشهامة العربية ، ولسان حالهم هو ان كل بيوتهم فنادق للسواح والمصطافين الذين يؤمون بلدهم ٠٠

وابتسمت للفكرة ، وقد اخذتني على حين غرة، وشعرت بالاعتزاز لما فطر عليه شعبنا العربي من كرم وبراءة . ولكن شعرت ايضا بشيء من خيبة الامل والحسرة ..

فهذه خامات سياحية هائلة .. طقس، ومناظر، وثمار، وخضار ، ومياه عذبة متفجرة من الينابيع ، ولا سبيل لتطويرها بالعواطف البريئة ، عواطف الكرم والشهامة العربية .. ولاغنى عن المال والجهد لتطوير منطقة عجلون وجعلها منطقة سياحية مستوفية الشروط والمقومات ، والمهمة محدودة ولا تتطلب من المال الا القليل . ومهما يكن فهى مهمة تجارية ومضمونة الارباح ... ونعجب اشد العجب كيف غابت هذه الامكانيات والارباح حتى الآن على الطموحين من التجار والمولين من عرب وأردنيين ...

« قلعة الربض »

رايناها من بعيد جاثمة فوق جبلها الشامخ .. احد جبال العوف ، وكنا نراها حيثما ذهبنا فى المنطقة وكيفما تحركنا .. ذكرتنا بجبل صنين فى لبنان ، وجبل كلمنجاور فى كينيا ، تلك الكتل الضخمة الهائلة التى تلاحقك وترافقك ما دمت فى اقليمها ، فتراها مهما بعدت عنها .

هذا فى الوقت الحاضر .. اما فى الماضى القريب، ايام صلاح الدين الايوبى والصليبيين ومعركة حطين فقد كان لهذه القلعة العربية الاسلامية قصة واى قصة .. نقول عربية اسلامية لانها تمثل طرازا فى العمران، عربيا اسلاميا شاع ايام الصليبيين ، وعفت أكثر آثاره حتى أصبح لقلعة الربض هذه قيمة اثرية فوق قيمتها التاريخية .

ويستدل على قيمتها التاريخية هذه من اسمها « الربض » .. فقد كانت رابضة على قمة جبل عوف ، لتصد الصليبيين سواء منهم من جاءوا من بيسان الواقعة الى الغرب ، عبر وادى الاردن ، غير بعيد عن القلعة ، أو كانوا من الكرك فى الجنوب، حيث كان للصليبيين قلعة شهيرة ودولة . وقامت قلعة الربض بمهمتها خير قيام .. اذ لم يستطع الصليبيون ان يحتلوها او يقتربوا منها طيلة أيام وجودهم فى المنطقة ..

ونسوق اليك فيما يلى مقتطفات مما يورد احد

احد مطاعم الجامعة الاردنية وقد سبقت الاشارة اليه .

زرنا الجامعة الاردنية ارة خاطفة ·· ذلك ان العربي استطلع، فى الماضى القريب هذه الجامعة ، التى يربطه بها روابط ود وصداته ·· وسيستطلعها ثانية فى مستقبل قريب انشاء الله·

أحد الشاليهات الموجودة فى منتزه دبين ·· وهى قليلة جدا لا تزيد على عشرين ·· ويوجد بالقرب منها مطعم ·

منتزه دبين القومى ، منتزه واسع رحب ومع ذلك فانه يضيق بزواره الذين يتوافدون عليه لقضاء يوم الجمعة تحت ظلال اشجاره ·· لعل منتزه دبين هذا فى الطليعة بين البقاع المشهورة بجمال الطبيعة فى العالم العربى كله ·

جماعة اخرى قصدت منتزه دبين بقصد والرقص وقضاء الاسبوع ··

كتاب القرن الثالث عشر العرب عن قصة انشاء قلعة الربض اذ يقول : « انها حصن جليل ، على صغره ، يقوم فوق مرتفع بارز يشرف على وادي الاردن ويبدو للعيان من القدس ومن مرتفعات نابلس .. وتعرف السلسلة التي بنيت عليها القلعة باسم « جبل عوف » ، وذلك لان عشيرة بني عوف كانت تقيم فيها منذ ايام الخلفاء الفاطميين الاوائل • وكان يحكم هذه العشيرة شيوخ تكثر الخلافات والحروب بينهم .. وبقيت البلاد على هذه الحال حتى ايام الملك العادل ، سيف الدين ابو بكر بن ايوب ، (شقيق صلاح الدين الايوبي) • اذ اقطعها لعز الدين اسامة احد كبار قادته •

وتجدر الاشارة الى أن عز الدين هذا هو ابن اسامة بن منقذ ، الامير المشهور بقصصه مع الصليبيين ، وبمذكراته وشغفه بالمطالعة وجمع الكتب ..

ويضيف الكاتب العربي فيقول : « ويقال أن ديرا قديما كان يقوم في موضع القلعة يقيم فيه راهب اسمه عجلون وقد اقيمت القلعة مكان خرائب الدير ، وسميت باسم ذلك الراهب » •

وقد تم بناء قلعة الربض هذه سنة ١١٨٤ ـ ١١٨٥ اى قبل معركة حطين بحوالي ثلاث سنوات •

ففي القلعة اذن ، كما في المعركة ، دليل على نصر العرب المبين على المعتدين الآثمين ..

ولئن خضعت قلعة الربض للتتر الذين استولوا عليها سنة ١٢٦٠ م فانها ما لبثت ان تحررت من سيطرة هؤلاء في تلك السنة نفسها •

ولعل اطرف مايذكر عن قلعة الربض انها كانت مركزا للبريد ، بريد الحمام ، الذي قام برحلات بريدية منظمة بين الفرات والقاهرة •

اضف الى ذلك ان القلعة هبت لنجدة دمياط في مصر حين تعرضت تلك الدولة لغزو صليبي بقيادة الملك لويس التاسع .. فقد امدتها بالاسلحة والذخيرة بلاحساب •

« المياه المعدنية في الحمة »

وتابعنا سيرنا في طريق متعرج ورحنا نهبط الى أغوار الاردن الشمالية ، حتى وصلنا المخيبة ، او الحمة الاردنية • والحمة شقيقات ثلاث ، الحمة الفلسطينية وهي تحت الاحتلال الاسرائيلي منذ سنة ١٩٤٨ ، والحمة السورية وقد امتد اليها الاحتلال البغيض في حرب ١٩٦٧ ، وأما الحمة الاردنية ، تلك التي وصلناها فشعرنا بما يشبه النشوة لدى وصولها • فهي اشبه بالواحة وسط الصحراء • ينابيعها كثيرة ومياهها غزيرة ، واشجارها باسقة وارفة ... ومن منا لايشعر بالانتعاش اذا هو انتقل من صحراء كئيبة كالحة المناظر كثيرة الغبار شديدة الجفاف الى واحة تزدان بالخضرة والماء ووفرة من الوجوه الحسنة ... وتنبض بالحياة رقصا وغناء وعزفا ، تؤديه حلقات من الصبايا والشباب الذين وفدوا الى الحمة لايقصد سوى المرح والنزهة وقضاء يوم الجمعة بعيدا عن المنازل والمدن وعن حياة الرتابة والعمل •

وهكذا غمرنا المشهد وكدنا ان ننسى المزايا الـ[illegible] اشتهرت بها مياه الحمة ، والتي من اجلها [illegible] الرجال والنساء من كل حدب وصوب • [illegible] الينابيع قوية تتدفق مياهها بغزارة (٢٣٠٠ مكعب في الساعة) • وهي حارة ، تتراوح [illegible] حرارتها بين ٢٦ ـ ٥٠ درجة مئوية • ثم مياه معدنية كبريتية يسعى اليها الكثيرون يشكون امراض الرمل أو الجلد أو غير ذلك وتقبل عليها النساء العواقر ، ينشدن الحـ

احد حمامات الحمة الداخلية ، ذات المياه الحارة

فرقة الفنون الشعبية فى احدى رقصاتها البديعة

والانجاب من بعد حرمان ۰۰۰۰!! ولا يكلف الاستحمام فى هذه المياه سوى دينار واحد عن الساعة الواحدة۰

وفى الحمة فندق وشاليهات ۰۰ ولكنها قليلة ، والمجال متسع لمزيد منها بمستواها الشعبى نفسه ولربما بمستوى اعلى ايضا۰

« فى منتزه دبين القومى »

وانتقلنا من الحمة الى دبين فى نحو ساعة او تزيد قليلا ولكن الموقعين على طرفى نقيض، وغالبا ما يوجدا فى اقاليم متباعدة۰۰۰فالاول دون مستوى سطح البحر بنحو ۲۰۰ ـ ۳۰۰ متر والثانى جبلى قد يبلغ ارتفاعه ۱۰۰۰ متر ، ومع ذلك فلا يفصل بين الموقعين الا المسافة القصيرة التى قطعناها ۰

دخلنا دبين او مايعرف بمنتزه دبين القومى ۰۰ وا بنا نشعر وكاننا انتقلنا الى عالم آخر ، الى جر ة من جزر الاحلام ۰۰ فهى تختلف عن كل ما حو ، تختلف عن الحمة وتختلف عن عجلون ايضا۰ فه ر دبين يغلب عليها جمال البساتين ۰ هذا و ـر السرو والصنوبـــر والبلـــوط منتشر هـ وهنـــاك فى دبـــين ۰۰ وهـــو يشـكل غا ت صغـيرة ما اسرع ما تزدحم بالنـــاس

فى ايام الجمعة ۰۰۰ فيمرحون ويلعبون وياكلون ، حتى اذا اقترب الليل ركبوا سياراتهم وعادوا الى منازلهم فى عمان او جرش او اربد او غيرها۰

ولا تبعد دبين عن عمان اكثر من ثلاثين كم ، وذلك اذا سلكت احد الطريقين الموصلين اليها ، اعنى الطريق المتفرع عن طريق جرش ـ دمشق ، بالقرب من البقعة ، حيث تعبر سلسلة جبال عجلون ۰۰۰ وتصادفك على هذا الطريق شلالات رممين ، ثم تصادفك قرية الرمان ، التى تقع على تل يطل على جبال عجلون ووديانها ۰ على انك تستطيع ان تذهب الى دبـين من جرش مباشرة ، وهى لاتبعد عنها سوى ۱۲ كم ۰

وشعرنا ونحن نتجول فى هذا المنتزه الرحب بانه شديد الشبه ببقعة فى اوروبا طالما سعدت بزيارتها هى جزيرة مارغريت التى تقع فى نهر الدانوب فى بودابست عاصمة المجر ۰۰ فانت لا تكاد تدخل هذه الجزيرة حتى تشعر بانك بت قريبا جدا من جنان النعيم ۰۰ ! ولا يختلف شعورك عن ذلك وانت تتجول فى منتزه دبين ۰

ويتمثل هذا المنتزه لا فى جمال الطبيعة وروعة المنظر وجودة الطقس فحسب ـ اذ يتمثل فيه ايضا جهـد

وحه يمثل الحامعة الاردنية اصدق تمثيل ·· فصاحبة هذا الوجه الجميل خريجة الجامعة ·· وتعمل حاليا فى الحامعة ·· وتتحسس مشاكل الحياة الحامعية ·· وآمالها ··

تشمل الحامعة الاردنية فيما تشمل مكتبة فخمة غنية بكتبها ومجلاتها ·· وتشمل كذلك مصرفا ومطاعم لا تكلف الوجبة الجيدة فيها اكثر من ٢٠ قرشا ·· !
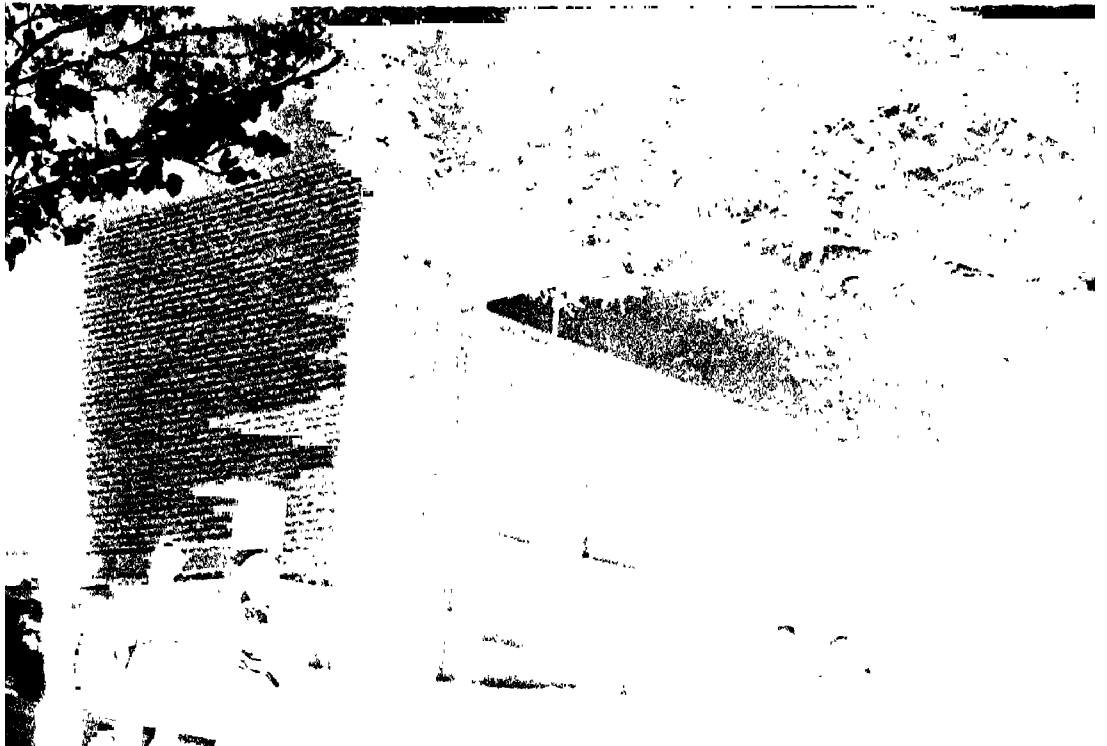
طلاب احد فصول الطب فى الجامعة الاردنية ٠ وجدير بالذكر ان هذه الجامعة الفتية التى يعود تاسيسها الى مطلع الستينات كانت تنمو وتتسع بسرعة كبيرة ٠٠ وحسبنا ان نشير الى الكليات التى استحدثت فى الجامعة الاردنية مؤخرا ونذكر منها كلية الشريعة وكلية التربية وكلية الطب والتمريض ٠٠ **(الصورة الى اعلا فوق)** وهكذايقضى طلاب الجامعة الاردنية اوقاتهم، قبل المحاضرات وبعدها ٠ **(الصورة الى اعلا)**

التلفزيون الاردنى مؤسسة حديثة انشئت سنة ١٩٦٦ ثم بدات على قناتين (٣ و ٦) القناة ٣ للبث باللغة العربية . اما قناة ٦ فتبث باللغة الانجليزية وباللغة العبرية وقد بدأ البث الملون وقد بدأ البث الملون حرفيا سنة ١٩٧٣ ٠ وتمثل الصورة مشهدا من احدى التمثيليات التى اشتهر بها التلفزيون الاردنى ٠
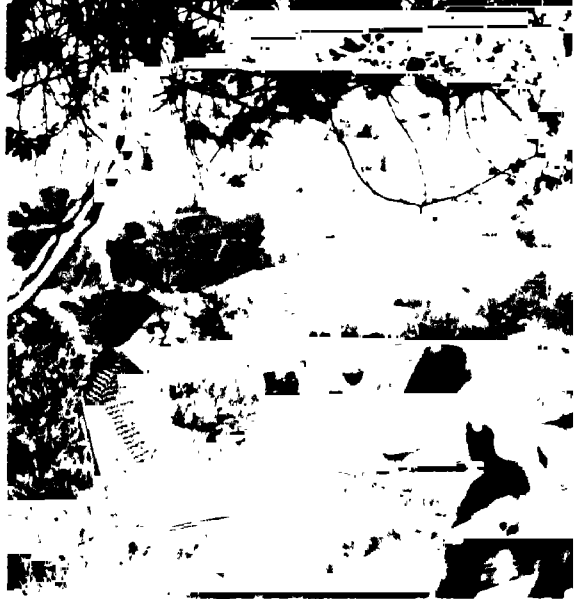
منظر جميل لمدينة جرش التقطته عدسة « العربي » من حديقة (الاستراحة) ، أو الفندق السياحي ، في البلدة . ومن طريف ما يذكر ان مساحة جرش الرومانية القديمة كانت اكبر من مساحة بلدة جرش الحالية .

للحكومة الاردنية متواضع كريم . فالى جانب التنسيق البديع الذى تراه فى حدائق المنتزه واشجاره،وبالاضافة الى خدمات الحراسة والنظافة التى لمسنا اثرها واضحا على ارض غاباته وجوانب ممراته ، او حتى خارج حدوده ، فقد اقاموا فيه مطعما وعددا من الشاليهات اللطيفة . وزرنا هذه الشاليهات فوجدناها مستوفية شروط الراحة . فالمياه جارية فيها ويشمل مطبخها ثلاجة وغاز البوتان (بوتوغاز) ، ورسوم السكن فى هذه الشاليهات زهيدة بل رمزية . وكذلك تناولنا طعام الغداء فى مطعم دبين ، فاكلنا دجاجا مشويا قلما يظفر المرء بمثله فى غير المطاعم الفخمة المتخصصة بالدجاج المشوى . والظاهر ان لدى وزارة السياحة مشروعا سياحيا طموحا لكلا المنطقتين السياحيتين : عجلون ودبين . ويرمى المشروع الى طرح قسائم بناء للبيع باسعار مخفضة ـ ان لم نقل رمزية ، وذلك ضمن مساحة من الارض تبلغ مائة دونم فى كل من المنطقتين . وسيجرى التنظيم والتقسيم المناسب لكل من القطعتين قبل بيعهما للراغبين من المواطنين .

ولا يخفى أن قصد الحكومة من هذا المشر[وع] تشجيعى ، كما ينبغى ان يكون . فما دام القط[اع] الخاص فى الاردن لم يقدم بعد على استثمار رؤوس أمواله فى صناعة السياحة وفى مناطق توفرت فيها خامات السياحة ومقوماتها ، كان لابد للقطاع العام من اتخاذ الخطوة الرائدة .. فالحكومة لاتريد أن تزاحم القطاع الخاص ولكنها لاتريد لعجلون ودبين أن تبقيا ثروة سياحية كامنة بلا فنادق ومطاعم ومنازل اصطياف للمواطنين .

« العودة الى عمان »

وتركنا دبين وأخذنا طريقنا الى عمان . ولكن انطباعات دبين بقيت ماثلة فى الذهن ولم تستطع التحول عن التفكير فى صناعة السياحة الاردنية .

والظاهر أن الحكومة الاردنية بدات تجنى ثمرة جهودها فى هذا المجال فايرادات السياحة التى لم تزد على ٤ر٦٦ مليون دينار سنة ١٩٦٧ تضاعفت تقريبا حتى بلغت ٨ر٣٠ مليون سنة ١٩٧٢ . ثم ما لبثت أن تضاعفت مرة ثانية . بحيث بلغت ١٧ر٢٩ مليون دينار سنة ١٩٧٤ . ولا يخفى أن لخطة التنمية الثلاثية (١٩٧٢ـ١٩٧٥) اثرا فى هذه الزيادة الاخيرة .

الا ان الاثر الاكبر انما يعود لسياسة الحكومة الاردنية الرامية الى تنمية السياحة وتطويرها وقد انتهجت هذه السياسة قبل المباشرة بتنفيذ الخطة الثلاثية بنحو خمس سنوات . والتنمية هنا تعنى التنمية بمعناها الدقيق ، وقد اقتضت الانفاق بسخاء من اجل تطوير هذا المورد الحيوى . وحسبك ان تعرف ماجنته الحكومة من ايرادات السياحة لايكاد يساوى ما انفقته عليها طيلة السنوات التسع الماضية . فقد تساوت النفقات بالاي[رادات] تقريبا فى السنة الماضية ١٩٧٤ ، وزادت [عليـ]ـها فى السنة التى سبقت سنة ١٩٧٣ . أن الـ[رصـ]ـيد كان مدينا فى كل السنوات السبع (٦٨ ـ ١٩٧٤) . ■

يوسف زعبلاو

بقلم : الدكتور مصطفى فهمى

■ الخمخمة ، او ما يطلق عليه الاخصائيون الاصطلاح Rhinolalia ، وما يسمى فى اللغة الدارجة (الخنف) ،عيب من عيوب النطق ،يستهدف له الاطفال الصغار والبالغون الكبار على حد سواء •

يجد المصاب (بالخمخمة) صعوبة فى نطق جميع الاصوات الكلامية (فيما عدا حرفى الميم والنون) فيخرجها بطريقة مشوهة،غير مالوفة ، فتبدوالحروف المتحركة مثلا ، كان فيها 'غنة ، اما الحروف الساكنة ، فتاخذ اشكالا مختلفة ، من الشخير او او الخنن او الابدال •

مصدر العلة

ترجع العلة فى هذه الحالات الى وجود فجوة فى سقف الحلق منذ ميلاد الطفل ، اما فى جزئه الصلب او فى جزئه الرخو ، او تشمل الجزءين معا ، (انظر الشكل رقم ١)الذى يوضح الاعضاءالمختلفة للجهاز الكلامى (١) •

كيف تنشأ الاصابة

الجنين فى حالات قليلة ، تبلغ نسبتها واحدا فى كل الف من الاجنة ، فى الشهور الاولى من حياته يتعرض لعدم نضج الانسجة (Tissues) التى يتكون منها سقف الحلق او الشفاه ، فيترتب عن ذلك عدم التئامها • وهنا ، ونتيجة لذلك ، تحدث فجوة Cleft ، فى سقف الحلق ، او يحدث انشقاق فى الشفاه ، وبخاصة الشفة العليا • وتكون الاصابة فى بعض الاحيان شاملة للجزء الرخو والصلب من الحلق معا ، وقد تصل احيانا الى الشفاه ، او تشمل احيانا اخرى الجزء الرخو او الصلب فقط من سقف الحلق (انظر الرسوم الموضحة فى الشكل رقم ٢)

علاج الخمخمة

يتضمن علاج الخمخمة جانبين : جانب طبى جراحى ، وآخر عبارة عن تدريبات فى الكلام والتنفس والنفخ واستعمال اعضاء الجهاز الكلامى بطريقة عادية •

وسنعرض فى السطور التالية من هذا المقال اهم العناصر المكونة لكل جانب على حدة :

أ ــ الجانب الطبى الجراحى :

ان الخطوة الاولى ، يجب ان توجه الى الناحية الجراحية ، لازالة اى نقص او سوء تركيب عضوى، ويكون ذلك عن طريق ترقيع الفجوة الموجودة فى سقف الحلق •

اما فى حالة تعذر اجراء العملية الجراحية ، بسبب كبر السن ، فيلجا جراح الفم والاسنان الى تركيب سداد من البلاستيك Obturator لسد الفجوة بطريقة صناعية ،

(١) الشكل مأخوذ من كتاب « امراض الكلام »للمؤلف • الناشر مكتبة مصر بالفجالة (الطبعة الثالثة) •

(شكل ١)

١ - الوتران الصوتيان
٢ - سقف الحلق الصلب
٣ - سقف الحلق الصلب
٤ - الشفاه

ب - العلاج الكلامي

يعتبر العلاج الكلامي ، ونقصد به التدريب على النطق السليم ، ضرورة ، ذلك ان تركيب المداواة في سقف الحلق ، لاتمكن في العادة ، من اجادة نطق الاصوات ، حيث يكون المصاب قد كون اثناء المرحلة التي تعلم فيها الكلام عادات لنطق الحروف بطريقة خاطئة .

وتقوم هذه التمرينات اساسا على تدريب المصاب على نطق كل حرف من الحروف الساكنة والمتحركة بطريقة سليمة .

ج - وسائل علاجية اضافية :

(١) يحتاج المصاب بجانب ذلك الى تمرينات خاصة لضبط عملية اخراج الهواء . ويمكن الاستعانة في هذه الحالة بجهاز صغير يتكون من لوحة صغيرة من الورق المقوى (Cardboard) تثبت في وضع افقي ، اسفل الشفة السفلى ، ويوضع فوقها قليل من ريش الطيور الخفيف ، كما توضع لوحة اخرى مماثلة باسفل الانف ، ثم يطلب من الطفل المصاب مثلا ، النفخ ، فاذا ما تحرك الريش من فوق اللوحة العليا ، كان هذا دليلا على ان الهواء يخرج من فمه(انظر شكل ٣)·

ان اهمية هذا التدريب تنحصر في تعويد المصاب على اخراج الهواء من فمه ، الآلة الاساس في تكوين الحروف المتحركة والساكنة ، عدا حرفي الميم والنون .

والعلة في هذه الحالات هي ان سقف الحلق الرخو ، في حالة المصابين بالخنخنة ، مصاب بشكل لا يسمح له بتادية وظيفته ، فيتسرب الهواء على الفجوة الانفية في الوقت الذي تقتضي طبيعة تكون الحروف المتحركة واكثر الحروف الساكنة مرور

من فجوة الفم حيث يرتفع سقف الحلق الرخو الى اعلى ليسد التجويف الانفي (انظر شكل رقم ١) الذي يوضح اعضاء الجهاز الكلامي في اوضاعها الطبيعية • اما في حالة نطق حرفي الميم والنون ، فان هذا العضو يسدل الى اسفل حتى يصل مع اللهاة الى الجزء الخلفي من اللسان ، وعلى هذا الوضع يخرج الصوت المحتبس عن طريق التجويف الانفي الى الخارج ، بدلا من التجويف الفمي •

(٢) ويحتاج المصاب بالاضافة الى ما سبق الى تمرينات خاصة لجذب الهواء الى الداخل ، على ان تكون الشفاه في حالة استدارة ، ان هذا النوع من التمرينات يعمل على رفع سقف الحلق الرخو Velum ، وخفضه •

(٣) ويحتاج المصاب الى تمرينات اخرى خاصة بالنفخ Blowing بواسطة انابيب اسطوانية زجاجية خاصة • والغرض من هذه التمرينات تعويض الطفل على استعمال فمه في دفع الهواء الى الخارج ، لكي يقوى الجزء الرخو من حلقه • على انه يمكن ان تجرى هذه التمرينات على هيئة لعب ، كاطفاء عيدان الثقاب المشتعلة ، او نفخ قطع صغيرة من الورق او الريش او القطن المندوف •

(شكل ٢)

(٤) وهناك الى جانب ذلك تمرينات خاصة باللسان وتاخذ اشكالا مختلفة داخل فجوة الفم وخارجها • كذلك فان التمرينات الخاصة بالشفاة ، تكون على شكل فتحة كاملة،الى استدارة يصاحبها بروز في الشفاه عند نطق الالف المضمومة ، وتتخذ الشفاه اشكالا اخرى يختلف بعضها عن بعض عند نطق الحروف المتحركة الاخرى ، وهي اكثر عددا في اللغات الاوروبية •

(٥) ويحتاج المصاب فوق كل ذلك الى تمرينات خاصة (بالحلق) والتي تكون اكثر صعوبة من تمرينات اللسان والشفاه •

غير انه بالرغم مما يلازم تلك التمرينات من صعوبة تتصل بموقع الحلق من الجهاز الكلامي (انظر شكل ١) نفسه ، فانه بالامكان تمرين هذا العضو على العمل من اسفل الى أعلى عن طريق التثاؤب او النفخ او جذب الهواء الى الداخل ، او نطق بعض المقاطع الصوتية وخاصة الحروف المتحركة •

(٦) هذا ويمكن ان تضاف الى كل ما سبق تمرينات خاصة بالحروف الساكنة ، وفي مثل هذا النوع من العلاج يمكن الاستعانة بالمرآة ليتسنى للمصاب معرفة حركات لسانه عنه احداث كل صوت على حدة،وعن طريق التكرار تتحطم اساليب النطق المعيبة ، وبالتدريج يكتسب عن طريق الخبرة الجديدة كلاما سليما خاليا من كل عيب •

الخلاصة

تعتبر (الخمخمة) من بين العيوب الكلامية التي ترجع عللها ، في كثير من الحالات ، الى اسباب عضوية ، كالتلف او التشوه ، او سوء التركيب في الجهاز الكلامي ، يؤدي الى خلل في تادية وظيفة هذا الجهاز •

وعلاج هذه الحالات يحتاج الى نصائح الطبيب وخدمات الجراح ، وتكون وظيفة الاخصائي الكلامي لاحقة للعلاج الطبي او الجراحي • ■■

دكتور مصطفى فهمي

طرائف غريبة

بداية ... ونهاية

● كونفوشيوس Confucious
احكم حكام الصين (٥٥١ ـ ٤٧٩) قبل الميلاد ، مؤسس مذهب الكنفوشية ، احد الاديان التي عرفتها البشرية قبل نزول الاديان السماوية ، كان يبشر دائما بالحب بين الناس ، واحترام الذات واحترام الآخرين ، وكان يعلمهم التسامح والعطف على الفقراء والمعوزين .

رأوه يوما في بداية دعوته وهو جالس في محرابه يتعبد ، وكان بادي الحزن على غير عادته ، فسألوه : ماذا بك ؟ هل من شيء نستطيع ان نفعله لنخفف عنك كربك ؟

واجاب كونفوشيوس : « انني أتألم ، لانني احس بأن هناك حربا خفية اعلنها عليّ البعض ، انهم يريدون ان يحدوا من نشاطي وفكري .. ولو انهم رفضوا ان يعترفوا بتعاليمي لهان الامر .. من اجل هذا اتألم .. ولكن أليس الالم هو ملح الحياة .. لا يهمني ان ينفضوا عني ، ولكن يهمني الا يقذفوني بالطوب والحجارة !

وعندما تقدمت به السن قصدوا اليه يوما يطلبون العلم كعادتهم ، فوجدوه يبتسم ، وقد ملأ كلتا يديه بقطع الحجارة الصغيرة والكبيرة ، وراح يلقي بها في مياه النهر الواحدة بعد الاخرى ..

قالوا : ما هذا ؟

قال كونفوشيوس : « لقد جاءوا يستردونها ، وقلت لا ، ان مكانها اليوم في قاع النهر ، فأخشى ما اخشاه ان تقذفوا بها غيري .. ! »

رسالة للبشرية !

● هل من حق المريض ان يضع نهاية لحياته عندما يعرف ان لا أمل في شفائه ، وان آلام المرض اصبحت اقوى واعظم من قوة احتماله ومن حبه للحياة!

لعلنا نجد في هذه الكلمات القصيرة

التى ضمنتها امرأة كانت تعانى من آلام السرطان ، رسالتها التى كتبتها باصابع ترتجف قبل ان تضع بيدها نهاية آلامها ومرضها ، الاجابة على هذا السؤال !

« ليس فى الحزن او الالم او سوء الحظ او القلب الكسير ، حجة يمكن ان نتذرع بها لكى نضع حدا لحياتنا بايدينا .. ولكن عندما تصبح الحياة بلا جدوى ، وعندما يعلم المرء ، رجلا كان ام امرأة ، علم اليقين ، انه ميت لا محالة ، وانه لا يمكن تجنب هذا المصير الذى ينتظره ويتربص به ، فان من حق هذا الانسان،وهو حق مشروع، ان يختار اسرع واسهل وسيلة لانهاء حياته ، بدلا من انتظار الموت البطيء المؤلم الذى يقف له بالمرصاد فى نهاية الامر ..

ان الرأى العام قد اختلف فى الحكم على هذا الحق المشروع .. ولكننى اعتقد ان المسألة اصبحت مسألة وقت .. وسوف نعترف فى النهاية بوجوب وضع حد لهذه المأساة الانسانية .. مأساة انكار هذا الحق على الانسان وحده ، وتركه يعيش فى هذا الالم الهائل الذى يعانى منه رغم علمنا بأن ايامه قد اصبحت معدودة . وان حياته قد اقتربت من نهايتها .. كل ما اطلبه من انسان القرن العشرين ان يعمل على المساواة بين البشر والحيوانات .. كم منا وقف يرقب الرصاصة وهى تستقر فى رأس الحيوان المريض لانقاذه من آلامه ومرضه الذى استعصى عليه الشفاء .. انا شخصيا .. فضلت الكلوفورم على الرصاصة لاننى لا املك سلاحا مرخصا » .. !

الحقيقة تغيب

ولكنها لا تموت

● الدوس هكسلى Aldous Huxley (١٨٩٤ ـ ١٩٦٣) الكاتب والمؤلف الانجليزى الكبير ، امضى حياته كلها يبحث عن الحقيقة ، حتى وجدها فى كتابه الشهير « العالم الجديد الشجاع » .

سألوه : «كيف وجدتها واين ومتى ؟»

فأجاب : « لقد كانت دائما هناك .. كانت امامى طوال الوقت .. لقد كنت انا الذى اهرب منها ، لا خوفا من الحقيقة ، ولكن اشفاقا على نفسى وعلى الناس منها .. فالناس يهربون من الحقيقة ، وما انا الا واحد منهم ..

ـ ولماذا يهربون ؟

ـ لان للحقيقة دائما مذاقا مرا ، وخاصة فى افواه المنافقين . ولم اكن منافقا ، ولكننى كنت تائها عنها .. فقد تجاهلوها واخفوها .. ولكنهم لم ينجحوا فى خنقها او قتلها .. لقد كانت دائما هناك .. تنتظر اليد الامينة التى تستطيع ان تمتد اليها لتزيح عنها الطين الذى حاولوا ان يخفوها تحته .. وعندما امتدت يدى اليها اخيرا لتزيح عنها التراب احسست براحة كبرى ، واستسلمت لنوم هادىء عميق ، لاول مرة منذ سنوات وسنوات !

مقال مهدى لاجهزة الاعلام العربية ورجال الاعلام

كيف يرى الطلبة الأمريكيون

العرب

من خلال الكتب المدرسية المقررة

- العرب دعاة حرب واسرائيل ضحية !!
- العرب ينشرون الاسلام بالسيف ويؤلهون محمدا !!
- العرب بدو مازالوا يركبون الجمال ويسكنون الصحراء !!

بقلم : أياد القزاز

استاذ مساعد فى علم الاجتماع
جامعة ولاية كاليفورنيا

الكتب المقررة أساس التعليم الرسمى فى جميع المدارس على اختلاف مستوياتها • وفى مدارس المرحلتين الابتدائية والثانوية الاولى فى امريكا بصفة خاصة نجد ان معظم المدرسين يعتمدون كثيرا ان لم يكن كلية على الكتب المقررة وذلك نظرا لعدم توفر التدريب او الاهتمام او الوقت الكافى لديهم • ويقدر الدكتور بروس جويس (Bruce Joyce) الرئيس السابق لتعليم مدرسى المرحلة الابتدائية بجامعة شيكاغو ، ان حوالى (٨٠٪) ثمانين بالمائة من مجموع مدرسى المرحلة الابتدائية فى الولايات المتحدة يستخدمون الكتب المقررة كمادة رئيسية فى التعليم واستقاء المعرفة• ويقول الدكتور جويس : « ان مدرس المرحلة الابتدائية النموذجى مدعو الى الالمام بعدة موضوعات يستقيها من ادب الاطفال والقراءة والرياضيات والعلوم•ولما كان الالمام بهذه الجوانب المتعددة من المعرفة لايتوفر الا عند نفر قليل من الناس ، فان المدرس العادى يعتمد بدرجة كبيرة على الكتب المقررة والارشادات الخاصة بها • »

وهكذا يتلقى الاطفال من خلال الكتب المقررة المعلومات التى يحتاجون اليها عن تاريخ الانسانية وحضارات العالم الذى يعيشون فيه • علما بان الكتب المقررة ليست سوى مصدر اولى يتعرف فيه الطالب على المواقف والمعتقدات والمشاعر الخاصة بشعبه وغيره من الاجناس والشعوب الاجنبية • وتشير الدراسات المتعلقة بعلم الاجتماع النفسى الى ان المواقف التى يتخذها البالغون ازاء مجموعات معينة من الناس يمكن ان تعزى الى حد ما الى التعليم الذى تلقوه فى المرحلة

● حقوق شعب فلسطين ضاعت وسط الدعاية الصهيونية !!

الابتدائية والثانوية • ولما كان التعليم في هاتين المرحلتين له تأثير دائم على عقول الطلاب فان وضع الكتب المقررة والمعلومات التي تحتوي عليها تعتبر ذات اهمية بالغة •

وقد اثيرت هذه الحقيقة عقب انعقاد مؤتمر السلام عام ١٩١٩ مباشرة عندما وجه الاهتمام والعناية البالغان لعلاقة الكتب المقررة بالنسبة للتفاهم الدولي والنوايا الطيبة • وفي عام ١٩٢٦ تبنت عصبة الامم قرارا يحث الدول الاعضاء في العصبة على مراجعة كتبها المقررة وازالة المعلومات التي تبعث على الكراهية والتحامل على الاخرين لكن هذا الجهد وغيره من الجهود الاخرى التي بذلت منذ ذلك الوقت لم تحقق سوى نجاح ضئيل جدا• ويفترض المكتب الدولي للتعليم في جنيف في دراسة حديثة اجراها حول هذا الموضوع ، يفترض ان معظم الاقطار لا تزال تستخدم الكتب المقررة في اذكاء الشعور القومي وتزويد الاطفال بمعلومات مشوهة ومضللة عن الدول الاجنبية •

وفي هذا الخصوص تتناول كتب العلوم الاجتماعية الامريكية المقررة وملاحقها في جميع المدارس الابتدائية والثانوية في الولايات المتحدة تتناول العرب بشكل بعيد عن ارضاء الحقيقة • ولدى تحليل محتويات الكتب المقررة للسنة الدراسية ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ في ولاية كاليفورنيا وغيرها من الولايات نجد ان هذه المحتويات تركز على ثلاثة موضوعات رئيسية ، هي البداوة والاسلام (٩٠٪ من العرب مسلمون) والصراع العربي الاسرائيلي• ولا تبرز تلك الكتب غير القليل مما قدمه العرب من خدمات للسلام الدولي والانسانية والتفاهم •

البداوة :

اما ظاهرة البداوة في المجتمع العربي ، فنجد ان جميع الكتب المقررة الامريكية التي تتحدث عن العرب تؤكد عليها اكثر من اي ظاهرة اخرى في هذا المجتمع • ولا يخلو اي كتاب من تلك الكتب من ذكر الجمل والصحراء والبدوي • والواقع ان الطلبة الامريكيين حتى السنة الرابعة لا يتصورون العربي الا في شكل بدوي او قروي • مثال على ذلك ان الكتاب المقرر على طلبة السنة الثانية بعنوان « مفهوم علم الاجتماع وفوائده »

Social Science Concepts and Values

والذي يوضح حياة الاسر في البيئات المختلفة ، يتضمن صورة ملونة كبيرة لخيمة تقيم داخلها اسرة عربية تتناول طعامها بايديها من طبق مشترك • ويظهر الناس في هذه الصورة بمظهر البدو بملابسهم التقليدية مع اشجار النخيل وسط الصحراء الواسعة • ولا يقتصر الامر على ذكر البدو اكثر من مرة في جميع الكتب المقررة ، بل ان الحديث عنهم يشغل حيزا في هذه الكتب اكثر من نسبة عددهم الحقيقي التي تتراوح بين خمسة الى ثمانية بالمائة فقط من مجموع السكان العرب • وهذا التركيز على حياة العرب الصحراوية يؤدي دون شك الى تكوين انطباعات خاطئة عن العرب ويوحي الى ان غالبيتهم من سكان الصحراء • وعلى سبيل المثال ، فقد طلب الى مائتين وواحد وخمسين طالبا من طلاب المدارس الثانوية الاولية والعالية في مدينتي ديفيس Davis وودلاند Woodland بولاية كاليفورنيا ، ان يصفوا تصورهم للعرب ، فكانت نتائج اجاباتهم على

النحو التالي :

وصف العرب	عدد الطلبة الواصفين
سكان صحراء	١٤٠
مشغولون بالحرب	٢٦
شريرون	١١
اصحاب ثروات خيالية	٨
مثل اى شعب من شعوب الشرق الاوسط الاخرى	ـ
ذوو اجسام قوية	٣٠
فقراء	١٣
متقشفون	٩
متدينون	٧

وبالاضافة الى ذلكفان كثيرا من الكتبالامريكية المقررة تركز فقط على الصفات السلبية للبدو وتصورهم اصحاب غزو ونهب ، وتغفل عادة ذكر صفاتهم الايجابية كالامانة والكرم • ونورد مزيدا من التوضيح حول هذا الانطباع من كتاب امريكي مقرر على طلبة السنة السابعة يصف البدو بانهم : « محاربون لا يخافون ، ولا يحبون شيئا اكثر من ركوب خيولهم العربية الفارهة السريعة والتوجه بها للقتال والغزو ونهب القوافل التى تعبر الصحراء بين مصر والخليج (العربى) ، والتى كانت منذ آلاف السنين عرضة لنهب قاطعى الطرق العرب • » Thralls, Zoe, PP. 133-134

ليس هذا فحسب بل ان معظم الكتب الامريكية المقررة وملحقاتها تهمل ذكر نواحى التقدم والتطور التى تتم بين البدو وتشهدها بيئتهم • ونذكر على سبيل المثال ان احد الكتيبات المقررة على السنة الثالثة يتناول الصحارى الامريكية والاسترالية وصحراء جوبى والصحراء الكبرى ، ويتحدث عن التغييرات التى تشهدها جميع هذه الصحارى باستثناء الصحراء الكبرى بالرغم من ان تقدما ملحوظا قد تم فيها باكتشاف كميات كبيرة من احتيـاطى النفـط فى ليبيـا والجزائر King, Frederick, ET AL, P. 65 ولم تبذل محاولة واحدة فى اى من هذه الكتب تظهر ان حياة البداوة آخذة فى الاختفاء السريع وذلك لاستقرار آلاف البدو سنويا وتوطينهم سواء بتشجيع من حكوماتهم او كنتيجة لوجود فرص جديدة للعمل فى الزراعة والصناعة • مما جعل البداوة كنمط من انماط الحياة غير ضرورية ولا مغرية كما ان تلك الكتب لا تذكر المشروعات الجديدة التى تقوم بها الحكومات العربية لخدمة البدو فىالحقول التعليمية والصحية والزراعية والصناعية • ولم يشر اى منها ايضا الى المشروع العربى الانشائى الذى اسسه السيد موسى العلمى عام ١٩٥٠ والذى تم بموجبه استصلاح مئات الاميال المربعة منالارض الصحراوية وتحويلها الى اراض زراعية ، بما فى ذلك تربية الفين من الايتام الفلسطينيين وجعلهم رجالا عاملين ناجحين • ومع ذلك فعندما تتناول الكتب المقررة الامريكية البدو العرب فى فلسطين المحتلة تعدد بالتفصيل الجهود التى تبذلها السلطات الاسرائيلية لتوطين هـؤلاء البـدو وتحسين احوالهـم • Gartler, PP. 58 - 59 يضاف الى ذلك ان معظم هذه الكتب لا تشير الى وسائل المواصلات الجديدة التى تمتد عبر الصحراء كخط سكة الحديد الذى يخترق صحراء سيناء ، والخط الآخر الذى يصل شمال السودان بمصر والبحر الاحمر والخط الحديدى الثالث بين سوريا والعراق بالاضافة الى خط سكة حديد الحجاز • اما عندما تتحدث تلك الكتب عن الصحراء فى فلسطين المحتلة فانها دائما تركز على الانجازات التى حققها الاسرائيليون فى تحويل الصحراء الى واحة مزدهرة • Bacon, Phillip, P. 123, And Kolerson Edward, 328.

الاسلام :

ويلاحظ ان معظم الكتب الامريكية المقررة فى المدارس تستخدم كلمة الاسلام لوصفديانة الغالبية العظمى من العرب • ولكن العديد من هذه الكتب لا يزال يستخدم كلمة المحمدية بدلا من الاسلام ، وهو وصف يسيء الى الشعب Gardner, William العربى لانه يوحى بان محمدا (صلى الله عليه وسلم) الذى ابتدع دين الاسلام وان اتباعه يعتبرونه الها • مع ان محمدا (عليه الصلاة والسلام) لم يكن غير واحد من البشر اختاره الله ليكون رسوله • ومع ذلك فان معظم تلك الكتب توضح بصورة صحيحة ومختصرة عناصر الاسلام الاساسية ، واركان الاسلام الخمسة ، وقواعد الايمان به • الا انها جميعا من جانب آخر تبالغ فى التركيز على ان محمدا قاد فى وقت مبكر من حياته قافلة تجارية وتزوج فيما بعد من امرأة ثيب فى منتصف العمر • Gardner, William, P. 189 And Kenneth Cooper, P. 40 .

كما يلاحظ ايضا انجميعالكتب الامريكية المقررة تعترف بوجه عام بالمساهمة الاسلامية فى حضارة العالم ، الا ان معظم المادة المكتوبة تميل للايجاز والتبسيط الشديد مما قد يترك لدى القارىء انطباعا بعدم اهمية هذه المادة .

وتستخدم كتب قليلة كلمات وعبارات تقلل من اهمية الاسهام الاسلامى فى حضارة العالم ، مثل العبارة التالية التى تنص على ان « الحضارة الاسلامية كانت تفتقد الخلق والابداع طوال ثلاثة قرون » او تلك التى تقول ان « العرب انفسهم لم يكونوا اكثر من فاتحين اجلاف ، وانهم فى احسن احوالهم رجال اعمال وشؤون عامة » .
Wallbank, 1964, P. 187 - 188 .

يضاف الى ذلك ان المبالغة فى التاكيد على الطابع الحربى للاسلام ترمى الى تكريس صور مضللة عن هذا الدين عن طريق ربطه بالحروب المقدسة والسيف . ونجد فى كتاب مقرر على طلاب السنة السابعة ان « خلفاء محمد الذين عرفوا بالخلفاء الراشدين تقبلوا اوامر النبى الداعية الى نشر الاسلام بالسيف . ذلك ان الاسلام كان دين قتال انتشر خارج حدود الجزيرة العربية
Wallbank, ET AL. 1964, P. 185

فى حين ينص كتاب آخر مقرر على السنة الرابعة ان « محمدا حث اتباعه على نشر دينهم بالسيف عند الضرورة . وقال (ما معناه) :

« لوجود احدكم فى صفوف القتال افضل انواع العبادة » .
Platt 1967, P. 146

وقد فشلت معظم الكتب المقررة الامريكية فى توضيح سياسة التسامح الاسلامية تجاه اهل الكتاب (الذميين) الذين كان المسلمون فى الواقع يوفرون لهم الحماية على مر العصور بل ان هذه الكتب لم تحاول اظهار الدور الذى قام به النبى نفسه والخلفاء الصالحون فى هذا الشان ، عندما كانوا دائما يوصون قادة جيوشهم بالا يقتلوا طفلا او شيخا او امراة والا يقطعوا اشجار النخيل او يحرقوها،والا يستاصلوا شجرة مثمرة او يقتلوا خروفا او بقرة او جملا الا لحاجتهم للطعام . ولم تميز تلك الكتب ايضا بين الاسلام كدين وبين الاسلام كدولة . ذلك ان الدولة على مر العصور اساءت استخدام الاسلام وقامت بعدة اشياء تنافى تعاليم الاسلام ، واستخدمت هذا الدين كغطاء وقناع لتحقيق مصالحها الخاصة .

وبينما نجد الكتب المقررة تتحدث عن الرق ومكانة المراة المتدنية ، فانها تغفل الاشارة الى تحسين مركزها بعد ظهور الاسلام . وجاء فى احد الكتب المقررة على طلبة السنة السابعة انالاسلام قبل بالرق وبالمكانة المتدنية للمراة » .
Wallbank, 1964, P. 185 .

غير ان المؤرخين يذكرون ان المراة فى جزيرة العرب قبل الاسلام كانت تعتبر من الممتلكات والامتعة الثانوية التى يمكن بيعها وشراؤها وتوريثها . وعندما جاء الاسلام سمح للمراة بالتملك والتخلص من الفقر والحاجة كما تشاء . وسمح لها ايضا بالاحتفاظ باسمها بعد الزواج وبان تكون وصية على القاصر ، وان تمارس تجارة او حرفة ، وتقاضى الاخرين دونموافقة مسبقة من زوجها . كما طرا تحسن كبير على وضع الرقيق فى الاسلام اذ بالرغم من ان الاسلام اعترف قانونيا وشرعيا بالرق ، الا انه سعى الى الارتفاع بمستوى الرقيق واوجد لهم امكانية التحرر والعتق، بل ان الاسلام حث المسلم التقى على اعتاق الرقيق، واعتبر هذا العتق عملا يجزى به المؤمن فى الجنة . وهكذا نلاحظ ان العبد فى المجتمع الاسلامى لم يكتب عليه ان يعيش فى ظل عبودية دائمة ، بل كانت لديه فرصة للحصول على حريته فى عصر كان فيه نظام الحكم اشد قسوة خارج العالم الاسلامى . علما بان الرق فى الوقت الحاضر قد الغى فى جميع الاقطار الاسلامية .

الصراع العربى الاسرائيلى

والواقع ان الصورة المائلة عن العرب تتاثر كثيرا بالكتابات التى تتضمنها الكتب الامريكية المقررة عن هذا الصراع . اذ نجد كل ما يذكر عن الصراعالعربى الاسرائيلى فى الكتبالاجتماعية المقررة فى الولايات المتحدة يمالىء اسرائيل اما تلميحا او تصريحا كما نجد هذه الكتب تحذف او تخفى اى حقيقة قد تسىء الى صورة اسرائيل . وتستخدم العبارات المؤثرة فى تصوير اليهود كشعب مدهش فى البحث عن موطنه الحقيقى وتتغاضى هذه الكتب عن الحقوق المشروعة للفلسطينيين الذين ابعدوا عن ديارهم التى عاشوا فيها ثلاثة عشر قرنا كما تتجاهل الاهداف السياسية المتمثلة فى الاستعمار وانشاء كيان يكون بمثابة رأس حربة للامبريالية فى المنطقة . ويتضح هذا التجاهل

فى العبارة التالية التى تنص على ان « اليهود كانوا يعيشون فى فلسطين منذ سنوات عديدة وانهم برغم تشردهم فى العالم ، ظلوا يحلمون بالعودة يوما الى ارض الميعاد التى يدعونها صهيون ، وقد اصبح هذا الحلم حقيقة عندما انشئت اسرائيل عام ١٩٤٨ » . Mkay, S.W.,P. 164 and Hunnicutt, BT AL, P. 349

ان اسم الفلسطينيين لا يستخدم الا نادرا . ومع ذلك فقد تذكر الكتب المقررة مشكلة اللاجئين ، الذين يوصفون غالبا وببساطة على انهم عرب هجروا منازلهم وغادروها الى البلدان المجاورة Kolerzon, Et Al, P. 326

ولا تبدو فى تلك الكتب اى محاولة لافهام الطلاب ان الجماعات الصهيونية باشرت التصرف لحسابها قبل وقت طويل من الاعلان الرسمى لقيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، عندما قامت تلك الجماعات بمهاجمة واحتلال العديد من القرى والمدن والاراضى الواقعة فى المنطقة العربية من فلسطين بموجب قرار التقسيم . يضاف الى ذلك ان الكتب الامريكية المقررة تتعمد استعمال عبارة الحرب النفسية التى وضعت لخلق موجة من الاضطراب والخوف بين الفلسطينيين لحملهم على مغادرة منازلهم ، حتى يتمشى ذلك مع السياسة الصهيونية الرامية الى تفريغ الارض من سكانها الاصليين .

وعندما تتناول الحروب والاشتباكات التى وقعت بين العرب واليهود منذ اعلان قيام اسرائيل ، نجد ان معظم الكتب المقررة تفترض ان العرب هم الذين بداوا العدوان ، بل ان بعضها يدعى ان العرب يعتزمون القضاء على اسرائيل . ولا تذكر فى هذه الكتب وجهة النظر العربية ازاء هذا الصراع. وهكذا ان لم يغلق الحديث عن الحروب العربية الاسرائيلية فان معالجة هذا الموضوع فى تلك الكتب تتم بصورة ضحلة ومن جانب واحد .

واخيرا فان تلك الكتب تعزو الى العرب وحدهم مسؤولية استمرار العداوة فى الشرق الاوسط ويذكر كتاب مقرر على السنة السابعة ان «العداوة التى تبديها الدول العربية تجاه اسرائيل عقدت الامور ايضا فى الشرق الاوسط» Wallbank, P. 721 كما ينص كتاب اخر على ان « الكراهة المشتركة التى تشعر بها العرب نحو المؤسسات الاسرائيلية قد تكون ازمة دائمة » . Platt, P. 689

ونجد احد تلك الكتب يعزو سبب عداء العر[ب] لاسرائيل الى ان الاخيرة بلد ديمقراطى . ويق[ول] كولرسون Kolerson ان « النموذج الديمقراط[ى] فى اسرائيل يخلق مشكلة لبعض الاقطار العربية حيث يخشى الحكام العرب ان تتعلم شعوبهم [من] اليهود ويطالبوا بان يكون لهم صوت اكبر [فى] اختيار المسؤولين وتسيير الحكومة وقد تشكل هـ[ذه] الحركة اذا نمت تهديدا لنظام الحكم الديكتاتور[ى] فى العديد من الدول العربية [Ib]id, P. 553 ومع ذلك فان القارىء لا يتساءل عن اضطهاد الاقل[يات] العربية فى فلسطين المحتلة اذا كانت اسرائ[يل] دولة ديمقراطية .

ولا يقتصر الامر على الكتابة التفصيلية ع[ن] اسرائيل وتخصيص جزء اكبر لهذا الامر فى الكت[ب] المقررة ، بل ان الاسئلة المنتقاة فى نهاية [كل] فصل تشجع التعلم المتعاطف مع اسرائيل ، وذ[لك] من طريق الاقتراح على الطلاب ان يكتبوا تقار[ير] او يقوموا بابحاث تعتمد على المعلومات والبيانا[ت] التى يحصلون عليها من اوساط الشعب ، و[لما] كانت هذه الاوساط فى الولايات المتحدة تعطف على اسرائيل وتطبع دائما المقالات التى تعبر بالتفص[يل] عن وجهة النظر الاسرائيلية فان نتائج هذه الابحا[ث] تعزز وجهات نظر اسرائيل وتوافقها . يضاف ا[لى] ذلك ان معظم المكتبات الموجودة فى المدارس الابتدائ[ية] والثانوية الاولى تضم عددا من كتب المطال[عة] والقراءة عن اسرائيل اكثر مما تقتنيه من كتب ع[ن] العرب . وحتى كتب المطالعة المساعدة هذه وضع[ها] مؤلفون متعاطفون مع اسرائيل . وهذا العدد المتوا[فر] فى كتب المطالعة عن اسرائيل يمكن المدرسين [من] زيادة معلوماتهم عن اسرائيل ، ويشجع الطلا[ب] على اختيار اسرائيل اكثر من الدول العرب[ية] كموضوع لابحاثهم ورسائلهم . اما اذا رغب الطال[ب] فى اختيار بلد عربى موضوعا له فان عليه ان يبح[ث] عن مصادر بحثه فى مكتبة ثانية فى مكان آ[خر] خارج المدرسة . وهو امر مزعج ومثبط للهم[ة] لا بالنسبة لطالب لم يتجاوز الثانية عشرة [بل] ايضا بالنسبة لطلاب الكليات والمدرسين عل[ى] حد سواء .

خلاصة الموضوع :

ونخلص مما سبق الى ان الطريقة التى يك[تب] فيها عن العرب فى الكتب المقررة المستخدمة [...]

كل من المدارس الابتدائية والثانوية فى ولاية كاليفورنيا وغيرها من الولايات الامريكية تظهر الحاجة الملحة لمراجعة هذه الكتب حتى تستبعد منها المعلومات غير الدقيقة والمشوهة وغير الكاملة، والتى تشيع صورا كاذبة عن العرب • ولتحقيق هذا الهدف نقترح برنامجا من ثلاث خطوات :

١ ـ توفير الكتب الاضافية التى تتحدث عن العرب لتكون فى متناول المدرسين والطلبة فى المدارس الابتدائية والثانوية •

٢ ـ محاولة التأثير على الناشرين لحذف المواد التى تشوه صورة العرب من الكتب المقررة •

٣ ـ وربما كان اهم هذه الخطوات ضرورة اتصال العرب بالهيئات المسؤولة عن التعليم فى مختلف الولايات الامريكية وتقديم النصيحة لهم بعدم تقرير الكتب التى تناهض العرب •

■

ترجمة : **احسان صدقى العمد**

الكتب الامريكية المقررة

فى المدارس الابتدائية والثانوية المستخدمة فى هذه الدراسة :

Bacon, Phillip
1972 — **Regions Around the World**, Palo Alto : Field Educational publi Inc.

Californnia State Series
1970 — **The Social Sciences-Concepts and Values**, Second Grade Sacramento ; Dept. of Education.

Davis, O. L.
1971 — **Learning about Countries and Societies**, New York : American Book Co.

Gardner, William
1964 — **The New World's Foundations in the Old** ; Boston : Allyn and Bacon.

King, Frederick M. et al.
1971 — **Regions and Social Needs**, Sacramento State Dept. of Education.

Kolerzon, Edward, et al.
1968 — **Our World and Its People**, Allyn and Bacon.

McCrocklin, James
1962 — **The Making of Today's World**, Boston : Allyn & Bacon, Inc.

McKay, S. W.
1973 — **The Communities We Build**, Chicago : Follett Publishing Co.

Platt, Nathaniel
1967 — **Our World Through The Aqes**, New York : Muriel Jean Drummond ;

Thralls, Zoe
1964 — **The Worlq Around Us**, Sacramento, Calif. State Dept. of Education.

Wallbank, Et al.
1964 — **Living World History**, Atlanta : Scott, Foresman & Co.

مراجع :

Black, Hillel
1967 — **The American School Book**, New York : William Morrow & Co

Sacramento Bee, May 27, 1969.

■ ■ الحبشة تستعمر أرضا عربية صومالية ■ ■

● نسمع أن الحبشة تحتل جزءا من أراضي الصومال الشقيق .. فمتى احتلتها ولماذا لا تتنازل منها ، وما هو حجم هذه الاراضي العربية المغتصبة ؟

احمد الدوسري
الدمام – السعودية

– القطر الصومالي ، المشهور بقرن افريقيا ، كان ارضا واحدة تعرف باسم الصومال منذ قديم الزمان .. وفي اواخر القرن التاسع عشر تم تقسيمه وتوزيعه بين بريطانيا وفرنسا واليوبيا .. وفي ١ يوليو ١٩٦٠ اتحد الصومال البريطاني مع الصومال الايطالي عندما نالا استقلالهما ، وكونا ما يعرف اليوم باسم جمهورية الصومال .. واستطاع ابن الصومال لاول مرة أن يرفع صوته ويعلن احتجاجه ورفضه لتقسيم بلاده وشعبه ..

وهو اليوم يسعى الى استعادة أراضيه المحتلة من فرنسا وكينيا والحبشة ، بالطرق السلمية وخاصة ارضه التي تحتلها الحبشة ..

اما كيفية احتلال الحبشة لهذه الاراضي الصومالية، فقصة ترجع الى القرن التاسع عشر ، عندما بدات الدول الاوروبية تغدق الاسلحة والذخائر على الحبشة فحولتها الى ترسانة حربية ودولةعدوانية، بدات تغزو اراضي جارتها الصومال .. اذ ما كاد المصريون ينسحبون من هرر ، وهي مدينة صومالية، حتى تآمرت ايطاليا والحبشة فاحتلت قوات الامبراطور منليك بمساعدة القوات الايطالية مدينة هرر في عام ١٨٨٧ واتخذ الاحباش من مدينة هرر منطلقا لهجماتهم الوحشية واحتلالهم للاراضي الصومالية ..

وفي عام ١٨٩٧ تنازلت بريطانيا عن جزء من الاراضي الصومالية للحبشة بموجب معاهدة وقعت بينهما ، كان هدفها ضمان مصالح بريطانيا في عدن والسودان على حساب الشعب الصومالي .. ولحقت ايطاليا بانجلترا فوقعت عام ١٩٠٨ معاهدة مع الحبشة ، تنازلت ايطاليا بموجبها عن جزء كبير من القطر الصومالي ، بما فيه الجزء المعروف باوجادن ..

ونتيجة لخلاف على الحدود نشبت الحرب الايطالية الحبشية ، التي انتهت باحتلال ايطاليا للامبراطورية الحبشية عام ١٩٣٥ وفي خلال الحرب العالمية الثانية احتلت ايطاليا كذلك أراضي الصومال البريطاني .. ولكن سرعان ما عادت بريطانيا وطردت ايطاليا من القطر الصومالي كله والحبشة .. ووضعت

منطقة اوجادن وهود تحت الادارة العسكرية البريطانية ، وتسلمت الحبشة جزءا من أراضي القطر الصومالي شملت مدينة هرر وضواحيها ، كان هذا في عام ١٩٤٢ وفي ٢٤ فبراير سنة١٩٤٨ سلمت بريطانيا للحبشة جزءا ثانيا من القطر الصومالي مشتملا علىمنطقة اوجادن ٠٠ وفي عام ١٩٥٥ سلمت الجزء الثالث المتبقي من الصومال الغربي : هود والمنطقة المحجوزة الى الحبشة ٠

وثارت الصومال وسقط الشهداء ، وارسلت الوفود الى بريطانيا والامم المتحدة ، ولكن دون طائل ٠٠ وفي عام ١٩٦٤ شنت الحبشة حربا على الصومال اوقفتها منظمة الوحدة الافريقية ، التي اصبحت منذ ذلك الوقت تبذل مساعيها الحميدة من اجل تسوية سلمية للنزاع ٠٠ ولكن دون نتيجة ٠

ويقول المسئولون الصوماليون أن مساحة الاراضي الصومالية التى تحتلها الحبشة لا تقل عن خمس مساحة اليوبيا الحالية ٠٠ وهي اخصب اراضي الصومال واوفرها عشبا وكلا تنبت فيها : اجود انواع اشجار البن ، وتكثر فيها الغابات والحيوانات الاليفة والمفترسة ٠٠ واشهر مدنها هرر ، دريداوا ، جكجكة ، وجمبور ، قبردهري ، ورديز ٠٠ ويسكن هذه الاراضي المحتلة شعب يوازي في عدده شعب جمهورية الصومال الحالية ، اى مابين اربعة الى خمسة ملايين نسمة ٠٠

س ٠ ز

■ ■ اكذوبة يكتشفها العلم ■ ■

● هل صحيح ان كريستوفر كولمبس لم يكن مكتشف امريكا الحقيقي وان الفايكنج اسلاف الاسكندنافيين القدامى هم اصحاب الفضل في اكتشاف العالم الجديد ٠٠ ؟

ساد الاعتقاد منذ نحو عشر سنوات ان الفايكنج ـ وهم اجداد الدانمرك والسويد والنرويج هم مكتشفوا امريكا الحقيقيون وانهم سبقوا كولمبس اليها بحوالي ٥٠٠ سنة ٠٠ ذلك ان خارطة قديمة اكتشفت في اواخر الخمسينات ونشرت في اواسط الستينات ٠٠ وبدت تلك الخريطة وكانها تقيم الدليل القاطع على ان الفايكنج هم اصحاب الفضل في اكتشاف العالم الجديد ٠

والخريطة لا تتعدى ١١/١٦ بوصة مساحة وقد رسمت بالحبر على ورق قديم يعود صنعه الى القرن الخامس عشر ٠ وتظهر جزيرتا جرينلند وأيسلند في اوسط الخريطة وتظهر شرقهما الجزر البريطانية والشواطىء الاسكندنافية ٠والاهم من ذلك كله الجزيرة الكبيرة نسبيا التي تظهر الى الغرب من جرينلند ٠ انها امريكا او ما عرفه الفايكنج من امريكا ، وحسبما تصوروه ، وتطلق الخريطة اسم ارض الكروم Vinland على هذه الجزيرة وتذكر السبل التى سلكها الفايكنج للوصول اليها ٠

وما كانت تلك الخريطة لتحظى باهتمام الاوساط العلمية في بلاد الغرب جميعها لولا الاهتمام الكبير الذى اولتها اياه جامعة ييل الامريكية المعروفة وحسبنا ان نذكر ان هذه الجامعة اشترت الخريطة التي ذكرنا بحوالي ربع مليون دولار ٠٠ وانها عهدت بالتحقيق فيها الى عدد من الخبراء الامريكيين والانجليز الذين راحوا يفحصون الخريطة ويخضعونها لشىء من التجارب طيلة ٧ ـ ٨سنوات، حتى تبين لهم ولجامعة ييل انها صادقة اصيلة ٠

■ ■ زواج منفعة ..

● انا فتاة جامعية انتمي لاسرة رقيقة الحال ، فوالدي موظف حكومي يتقاضي ستين جنيها شهريا ، وهو مرتب صغير لا يكاد يكفي نفقات الحياة في هذه الايام التي ارتفعت فيها الاسعار ارتفاعا جنونيا ، وخاصة ونحن اسرة كبيرة تضم اربعة من الابناء ما زالوا في مرحلة الدراسة الثانوية ، غير جدتي لامي التي تقيم معنا منذ رحلة زوجها .. وقد التحقت اخيرا بوظيفة بسيطة . وبدأت بمرتبي الصغير احمل جزءا من نفقات المعيشة التي اثقلت كاهل ابي المسكين . وكنا سعداء في حياتنا المتواضعة الى ان بدأت مأساتي التي ما زلت اعيش فيها حتى اليوم يا سيدي ، وانا لا ادري ماذا اصنع ولا كيف يكون موقفي ! فقد تقدم احد زملائي في العمل يطلب يدي ، وهو شاب جامعي ، ووافق والدي على الزواج ، وتحدد موعد كتب الكتاب ، وانقضت ثلاثة اشهر كان خطيبي يتردد خلالها على بيتنا حيث كنا نجلس ونتحدث ونحلم بالمستقبل الذي ينتظرنا ! ولكن هذا المستقبل كان يبدو دائما في نظره بعيدا لضيق ذات يده . فكان يؤجل ويؤجل في موعد كتب الكتاب !

وفجأة انقطع عن زيارتنا .. وتوقعت ان القاه في المكتب بالشركة التي نعمل بها ، ولكنني فوجئت بانه حصل على اجازة لمدة اسبوعين ، وانه سافر خارج القاهرة .

قلت ربما تكون هناك ظروف عائلية اضطرته الى السفر الى بلدته مثلا ولم يسمح له وقت بلقائي .. ورحت انتظر حتى انتهت الاجازة ، وعاد خطيبي الى عمله !

وكانت المفاجأة الكبرى عندما جاء يلقاني في مكتبي صباح يوم عودته ، وكان بادي السعادة ، قال :

« لقد وجدت الحل لمتاعبنا يا عزيزتي .. لقد خطب لي ابي فتاة ثرية من بلدتنا ، انها ابنة تاجر كبير ، ويملك والدها ثروة لا بأس بها .. ما رأيك لو تزوجتها !؟ ان زواجي من هذه الفتاة سوف يحل كل مشاكلنا . سوف

وهكذا شعرت هذه الجامعة بالاطمئنان الى الخريطة فاقدمت على نشرها سنة ١٩٦٥ يوم ذكرى اكتشاف كولمبس لامريكا .

لا عجب اذن ان اعتبرت خريطة ارض الكروم وثيقة تاريخية هامة وخطيرة ، بل اعظم اكتشاف عرفه عالم الخرائط في القرن العشرين ..

ثم جاءت سنة ١٩٧٤ واذا بالعلم يقيم الدليل القطعي على ان خريطة ارض الكروم مزيفة . فقد دلت التحاليل العلمية التي اجراها فريق من المختصين على ان الحبر الذي رسمت به الخريطة ، وهو اصفر اللون مائل الى البني يحتوي على مادة الصبغ Titanium Dioxide ، وهي المادة التي لم ينجح العلماء في اصطناعها قبل سنة ١٩٢٠

فالخريطة اذن ليست قديمة ولا يعود بنا رسمها الى القرن الخامس عشر ، وانما الى العشرينات من هذا القرن العشرين . وهي اذن ليست اصيلة .. والذي رسمها ليس من الفايكنج وانما مزيف محنك خبير على علم بشئون التاريخ .

بقي ان نذكر ان الفضيحة وقعت في السنة الماضية نظرا لان اسلوب التحليل الذي كشف امرها لم يكن معروفا قبل السنة الماضية .

وهكذا عادت الامور الى ما كانت عليه قبل نشر الخريطة ورجع المؤرخون عن اعتقادهم بفضل الفايكنج في اكتشاف العالم الجديد واصبحوا لا يرون في هذا الفضل اكثر من احتمال هو في نظرهم اقرب الى الاساطير منه الى حقائق التاريخ .

وزواج متعة ! ■ ■

نتمكن من استئجار شقة انيقة ، وسوف نؤثثها بكل الاثاث الفاخر الذى كنا نحلم به .. اننى لا احبها .. انت حبى الوحيد .. وانا اريد ان اوفر لك حياة كريمة .. ثم لا تنسى ان الشرع يبيح لى الزواج باثنتين بل اربع ! ارجوك ان توافقى يا عزيزتى .. ساحصل من زوجتى فى البلدة على المال الذى يعوزنا ، وساعطيك انت حبى ومالى وكل ما املك !؟

ماذا اصنع .. ارجوك يا سيدى ان تحل لى مشكلتى اننى فى حيرة، لا ادرى ماذا اقول له .. لقد احببت هذا الشاب . وكنت على استعداد لان ابدا حياتى معه من الصفر .. ولكننى لم اتصور ان يكون لى ضرة فى يوم من الايام !

الحائرة م.ع. القاهرة .

ـ هذا الشاب ليس جديرا بحبك يا سيدتى .. بل ليس جديرا بحب اية فتاة .. انه شاب لا يصلح للزواج ، فهو يجهل معنى الزواج ، ومعنى الاسرة .. ان زواجه من الفتاة الثرية التى اختارها له والده هو زواج منفعة ، وزواجه الثانى بك هو زواج متعة .. فاين الاسرة فى هاتين الزيجتين .. وكيف سيكون موقفه من اطفاله الذين سيرزق بهم من زوجته الثرية ، واطفاله الذين ستنجبهم له زوجته الفقيرة التى يقول انه يحبها ولا يحب سواها ! ؟

صارحى والدك بالامر اولا ، فهو لن يقبل ان يبيع ابنته لرجل يعيش على مال امراة !

حاولى ان تصرفيه عنك ، وتذكرى دائما ان العالم ملىء بالرجال ، وسوف تجدين من هو اجدر بك وبحبك من هذا الشاب الذى يريد ان يتسبب فى اتعاس فتاتين ، ويحطم بيديه قلبين بريئين . لقد روى لك ما كان من امره مع الفتاة التى اختارها له والده ، تلك التى يريد ان يتزوجها من اجل مالها . ترى هل ذكر لها هى شيئا عن علاقته بك . هل يجرؤ ان يقول لها انه سيكون زوجا لامراتين فى وقت واحد .

لو كان لى ابنة وصادفت مثل هذا الشاب لما نصحتها فقط بأن تصرفه عنها وتخرجه تماما من قلبها ومن حياتها ، بل لطلبت منها ان تستقل اول قطار الى بلدته .. وتقابل تلك الفتاة المسكينة التى طمع فى ثروتها ، وتحكى لها كل ما كان من امر هذا الشاب معها ، وما انتواه بها وباموالها !

(م . ن)

ومع هذا فلا يفيد الفايكنج ما انتهت اليه قصة اكتشافهم امريكا . اذ ان لهم فى التاريخ لاسما كريما . فمنهم النورمان الذين استوطنوا مقاطعة النورماندى فى فرنسا وانطلقوا منها الى بلاد الانجليز فغزوها .. ومنهم ملوك صقلية الذين قضوا على حكم العرب للجزيرة سياسيا لا حضاريا .. فقد رفعوا لواء الحضارة العربية الاسلامية واحتضنوا عددا من اعلامها كالادريسى وعملوا على نشرها فى اوروبا فاسهموا فى قيام النهضة الاوروبية الحديثة . ومن الفايكنج ايضا حكام دولة كييف الشهيرة فى تاريخ روسيا الحديث (القرن التاسع) ومنهم حرس العرش البيزنطى الذين عرفوا باسم الفرنجيين ..

(ى . ز)

خريطة ثمنها ربع مليون دولار !!

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ ان مانطلق عليه اسم (البوذية) هو ديانة وفلسفة في آن معا ، وهو مجموعة تعاليم يدين بها عدد كبير من الناس في هذا العالم ، بل يذهب بعضهم الى حد القول بان عدد الذين يدينون بالبوذية اكبر من عدد اتباع اية ديانة اخرى في العالم !! ولقد وجدت البوذية في الهند وذلك في القرن السادس قبل الميلاد لتصبح دينا لسيلان وسيام وبورما وكبموديا (وهي جميعها بلادتؤمن بالمدرسةالجنوبية منالبوذية)، اما ما يسمىبمدرسة المهايانا Mahayana فموجودة باشكال متعددة في التبت ومنغوليا والصين وكوريا واليابان • وتقوم البوذية على فلسفة من ارفع الفلسفات واصفاها ، وفي ثناياها مفاهيم نفسية عميقة الاغوار اخذ العلم يفيد منها في وقتنا الحاضر وهي في الوقت نفسه آمنت به ملايين لا تحصى منذ الفين وخمسمائة عام حتى الآن • كما انها طريق وسط لتنمية الذات وتنويرها وبناء حياة روحية عميقة سامية •

وبسبب من هذا كله فانه من العسير على اي كاتب ان يعرف القراء من مقال محدود المدى ماهية البوذية وغناها وعمقها •

ولذلك سنكتفي في هذه العجالة بشيء يسير عن حياة بوذا وايراد سريع لاهم مبادىء البوذية تاركين للقارىء المهتم ان يرجع الى المراجع الكثيرةالمتوفرة باللغات الاجنبية عنالبوذيةوتاريخها ومبادئها ومدارسها وتطوراتها وغير ذلك مما يتصل بالبوذية والبوذيين ، مذكرين القارىء بان اهتمام المثقفين بالبوذية – ولا سيما في الغرب – قد اخذ يتزايد منذ نهاية القرن الماضي وحتى الآن •

غاتاما ، البوذا

من هو غوتوما Botama البوذا ؟ انه رجل حقق الكمال لنفسه والتنور Enlightenmenr لعقله • في مجموعة منهم تقود تطور النوع البشري وتوجهه، وبوصفه البوذا الاسمى فهو رأس الرجال الذين جلبوا الكمال لانفسهم والذين يكون منهمقادة النوع البشري •

لقد كان غوتاما رجلا ، وليس اسطورة ، ولكنه تجسيد لمبدأ التنور في كل الناس وفي كل اشكال الحياة • وباعتباره وريثا لاسلافه في منصبه فقد حقق الكمال في قواه الروحية ووهب قدرات عظيمة وغريبة • ولقد كان في حياته تجسيدا لتعاليمه فهو يفعل ما يقول وهو يقول ما يفعل ومن هنا كان قوله لتلامذته ومريديه حين اضطجع ضجعة الموت : « لعل فكرة تطرأ على اذهان بعضكم وتقول: لقد انتهت كلمة المعلم ، ولم يبق لنا معلم • لا تنظروا الى الامر هذه النظرة ، ان التعاليم التي قدمتها لكم يجب ان تكون معلمكم حتى اغادركم » • ولقد اصر بوذا على انه هو نفسه لا يستطيع تحقيق التنور لسواه • « ان بوذا لا يفعل اكثر من الدلالة على الطريق » •

فلسفة حياة يدين بها ٢٢٤ مليونا من البشر

وبالنسبة لاتباعه كان غوتاما يدعى (الصديق غوتاما) ، ولم يتخذ لقب (بوذا) الا حين توصل الى (التنور الاسمى) ولقد كان تجسده الاخير على الارض — في راى اتباعه — مجيدا ولم يكن يعادل جماله الجسدى الا جمال روحه ٠

بساطة بوذا

ولقد كان غوتاما ارستقراطي المحتد ومع ذلك لقد كان يتبسط مع كل الناس : مع الناس العاديين ومع البراهمانيين ، مع الامراء والملوك ومع الفلاسفة والمحاربين ، مع التجار والمتسولين ومع المومسات لقد كانت شفقته مطلقة وهكذا حين اصيب احد اتباعه بالزحار (الدوسنطاريا) اصابة اوصلته للموت بحيث اهمله الاتباع الاخرون فما كان من بوذا الا ان قال لهم : « ايها الاخوة ، انكم لا امهات لكم ولا اباء يعتنون بكم فاذا لم يعتن بعضكم بالبعض الاخر فمن يعتني بكم ؟ يا اخوتي اني اطلب الى من يريد العناية بي ان يعتني بهذا المريض »٠

لقد كان بوذا وقورا غير متقلب الطباع ، كما كان صبورا الى ابعد حدود الصبر ولقد كانت المهمة التي اخذها على عاتقه ضخمة جدا ، لقد اراد ان يصلح الدين الذى كان سائدا في زمانه والذى افسده البراهمانيون كما اراد ان يضيف الى الحكمة الانسانية من حكمته التي لا حدود لها٠

تحدر غوتاما من العرق الآرى وفي ارض تقع على الحافة الجنوبية من نيبال وكانت عاصمة البلاد تسمى (كابيلا فاستو Kapilavastu) وكانت امه واسمها (مايا) مسافرة من هذه المدينة حين ولدته في حدائق (لمبيني Lumbini) في حدود نيبال ٠ اما ابوه فكان راجا (اميرا هنديا) بل قل ملكا على قومه من جماعة (ساكيا Sakya) ولد سمى الطفل (سيدهارتا Siddhartha) اما غوتاما فاسم العائلة ٠ ولقد اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته ولكن الارجح انه ولد عام ٥٦٣ ق٠م ٠ ولقد ترك منزله حين بلغ التاسعة والعشرين وتوصل الى التنور حين بلغ الخامسة والثلاثين ومات عام ٤٨٣ ق٠م ٠ وله من العمر ثمانون عاما٠ ولكن ترجمة حياته لم تكتب الا بعد بضع مئين من السنين التي مرت على وفاته ٠ ولا شك في ان المصادر التي تحدثت عنه كانت مزيجا من التاريخ والاسطورة مما لا يرضي المؤرخ الدقيق ٠

وتقول ترجمات حياته هذه ان الطفل عاش عيشة سوية راضية حتى بلغ السادسة عشرة حين ربح — نتيجة مسابقة بالسلاح — زوجته (ياسودارا Yasodhara) التي اولدها طفلا سماه (راهولا Rahula) ولكن غوتاما — منذ طفولته الباكرة — كان متمالكا لذاته ولم يكن يسر للمسرات الحسية، لقد كان رجلا له مهمة ورسالة كما كان واعيا لمصيره وقدره ٠

حكايات

لم تمض الحكايات لتقول انه بالرغم من جهود ابيه وحرصه على ان يبعده عن كل معرفة بالمصائب والويلات الدنيوية فان الامير الشاب ، وقد كان يمتطي عربته خارجا من قصره ، راى شيخا ثم مريضا ثم ميتا وكان حين يرى كل واحد من هؤلاء يسأل حوذيه عن معنى ما رآه ، وقد اجابه الحوذى ان هذا الذى رآه يقع لكل انسان مما بعث الاضطراب في نفس الامير الشاب الذى راى فيما بعد انسانا متوحدا ذا رأس حليق وثوب اصفر فسأل الحوذى « اى انسان هذا الذى ارى ؟ » فقال الحوذى انه انسان متوحد يعيش حياة تنكرت للبيت ، فعاد الامير الى قصره وقد غرق في تاملاته ، وفي تلك الليلة وبينما كانت بنات الهوى نائمات عند قدميه باوضاع غير محتشمة قرر ان يثور على المسرات الحسية كما استيقظت في ذات نفسه شعلة الرحمة٠ وبالرغم من انها لم تكن المرة الاولى فانه استشعر صيحة تمتلك عليه نفسه وتدعوه لا الى انقاذ ذاته فحسب بل وانقاذ جميع بني البشر من عالم الآلام الذى يعيشون فيه ، ولذلك فقد ودع زوجته النائمة وطفله وغادر قصره — في هدوء الليل — مصطحبا حوذيه وحصانه ٠ وعند حافة الغابة ترجل من حصانه وجز شعره الاسود الطويل بسيفه وارسله الى القصر مع حوذيه وقد بادل ثيابه الملكية بثياب شحاذ وقد السير نحو الحياة غير البيتية وحيدا ٠

لقد كان غرض بحثه واضحا ، انه يريد اطفاء شهواته ، شهواته الانانية ، سبب الالم في هذه

الحياة ، ان القضاء على الشهوات بجميع انواعها واشكالها ينتهي بالنيرفانا Nirvana وهي نهاية الالم وانتهاؤه . ولقد كان له من العمر آنئذ تسعة وعشرون عاما .

ولقد زار بعض الحكماء لعله يجد عندهم اجوبة على تساؤلاته ولكنه فشل فاستقر في خميلة قريبة من مدينة (اوروفيلا Uruvela) محاولا تنوير ذاته . وخلال سنين ست طويلة قضاها في التامل حاملا نفسه على اشد انواع التقشف حتى كاد يبلى استطاع ان يتغلب على الخوف والشهوات الجسدية وتمكن من ضبط نفسه ولكنه مع ذلك لم يصل الى التنور . واخيرا تحقق من ان التقشف لا يوصله الى الحقيقة فقرر ان ياكل ثانية فتركه مريدوه الخمسة الذين كانوا يعايشونه متقززين ، ولقد تقبل وعاء من اللبن الخاثر فشربه ثم استحم وجلس الى جزع شجرة وقرر التوصل دون تاخير الى قطف الثمار الكاملة للتنور . وقد تم له ذلك في ليلة من شهر مايو (ايار) كان فيها القمر بدرا وكان له من العمر خمس وثلاثون سنة . ولقد جمع في هذا التنور بين الحدس والحكمة ، بين ما هو انساني وما هو تنور . وقد انتهت الرحلة وولد البوذا وهو الرابع .

المبادىء الاثنا عشر للبوذية

البوذية ـ ككل دين او فلسفة ـ تعددت فيها الاجتهادات وتنوعت المدارس والنحل فهناك مثلا البوذيةالجنوبية او ما يسمى بالثيرافادا Theravada وهناك البوذية الشمالية او ما يسمى بالماهايانا Mahayana وهناك بوذية التبت وغيرها وغيرها . ولذلك فقد راينا ان نقتصر في هذا المقال على ذكر المبادىء الاثنى عشر التى اقرتها اليابـــان ووافقت عليها سيام وبورنيو والصين وبورما وسيلان والتبت وغيرها من البلاد مما يجعل هذه المبادىء مقبولة من معظم الذين يؤمنون بالبوذية .

١ ـ المهمة العاجلة والمباشرة

لاي انسان هي انقاذ الذات (الخلاص الذاتي Self Salvation) ذلك بانه اذا وقع انسان جريحا بسهم مسموم فانه لن يؤخر سحب السهم من جسده من اجل ان يستقصي التفاصيل عمن جرحه او عن طول السهم وتكوينه . ان الوقت لمثل هذه الاسئلة سيتوفر بعد استلال السهم وفي اثناء قطع شوط الحياة . وفي هذه الاثناء ابتدا حالا بمواجهة الحياة كما هي متعلما دوما من خلال الخبرة المباشرة والشخصية .

٢ ـ الحقيقة الاولى للوجود

هي قانون التغير وعدم الدوام . ان كل ما يوجد ـ من الشـامة الى الجبـل ومن الفكرة الى الامبراطورية ـ يمر بنفس الدورة من دورات الوجود ، اعني : الولادة ، النمو ، التحلل ، ثم الموت . الحياة وحدها هي المستمرة وهي تبحث دوما عن التعبير عن ذاتها بصيغ جديدة ، الحياة جسر ولذلك فلا تبن عليه بيتا . الحياة عملية جريان والذى يلتصق باية صيغة من صيغها ، مهما كانت هذه الصيغة متميزة ، سيتالم لانه يقاوم التيار .

٣ ـ ان قانون التغير ينطبق ايضا على (الروح) .

ليس ثمة مبدا في الفرد يكون خالدا وغير متغير . (اللااسمية The name lessness وحدها ـ وهي الحقيقة الغائية ـ هي التي تكون غير قابلة للتغير ، وكل اشكال الحياة ـ بما في ذلك الانسان ـ ظواهر لهذه الحقيقة . وما من انسان يمتلك الحياة التي تتدفق فيه اكثر من تملك المصباح الكهربائي للتيار الذي يعطيه النور .

٤ ـ العالم هو التعبير عن القانون .

كل النتائج لها اسباب وما روح الانسان او طبعه الا مجموع افكاره وافعاله السابقة . ان (الكارما Karma) ـ ومعناها الفعل ورد الفعل ـ تتحكم في كل انواع الوجود ، والانسان هو الخالق الوحيد لظروفه ولاستجاباته اليها ، لظروفه المقبلة ولمصيره النهائي . وبالفكر الصحيح والعمل الصالح يستطيع ـ تدريجيا ـ ان يطهر طبيعته الداخلية وبتحقيق الذات يستطيع التوصل في الوقت المناسب الى التحرر من اعادة الولادة . والعملية لا بد لها من فترات زمنية طويلة تشتمل على حياة بعد حياة على وجه هذه البسيطة ولكن في النهاية فان كل صيغة من صيغ الحياة ستتوصل الى التنور .

٥ ـ الحياة واحدة وغير قابلة للانقسام

بالرغم من ان اشكالها المتغيرة ابدا عديدة وقابلة للفناء . والحقيقة انه ليس ثمة موت بالرغم من ان كل صيغة يجب ان تموت . والرحمة تنجم

عن فهم وحدة الحياة وما الرحمة الا شعور بوحدة الحياة فى صيغها المختلفة • وتوصف الرحمة بانها قانون القوانين ، انها التناسق الازلى والذى يقضى على تناسق الحياة سوف يتالم ويؤخر تنوره •

٦ ـ بما ان الحياة واحدة

فان مصالح الجزء يجب ان تكون قبل مصالح الكل • ان الانسان ـ فى جهله ـ يحسب انه يستطيع ان يعمل لمصلحته الخاصة لكن انانيته تنتج له الالم والعذاب وهو يتعلم من خلال الله ان يقلل من اهمية مصلحته الخاصة وان يقضى عليها • لقد قال البوذا بحقائق اربع سامية وهى : (أ) الله كلى الوجود (ب) الالم هو الرغبة الموجهة توجيها خاطئا (ج) دواء الالم هو ازالة اسبابه (د) الدرب الثمانى للنمو الذاتى يقود الى نهاية الالم •

٧ ـ الدرب الثمانى

هو نظرات ثمان صحيحة وكاملة تقوم على : اهداف صحيحة ، حوافز صحيحة ، اقوال صحيحة ، افعال صحيحة ، حياة صحيحة ، جهد صحيح ، تركيز ذهنى صحيح (نمو نفسى صحيح) واخيرا (سمدى Samadhi) صحيح يقود الى التنور الكامل • وبما ان البوذية هى طريقة حياة ، وليست مجرد نظرية فى الحياة ، فان السير على هذا الدرب الثمانى ضرورى للخلاص الذاتى • توقف عن عمل الشر ، تعلم عمل الخير ، نظف قلبك . تلك هى تعليمات البوذية » •

٨ ـ الحقيقة لا توصف •

والاله ذو الصفات ليس الحقيقة النهائية(١) • ولكن بوذا ـ وهو كائن بشرى ـ صار الواحد الكلى التنور ، وغاية الحياة هى الحصول على التنور • ان هذه الحالة الشعورية ، هذه النرفانا ، او تجاوز حدود الانا ، امر ممكن التوصل اليه على الارض • كل الناس وكل اشكال الحياة الاخرى تحتوى على الامكانية الكامنة للتنور وتنحصر العملية ـ اذن ـ فى ان تصبح انت انت • « انظر فى ذاتك ، انك بوذا » •

٩ ـ فيما بين التنور الكامن والتنور الفعلى

يقوم الطريق الوسط ، الدرب الثمانى « من الرغبة الى السلام » وهى عملية من عمليات النمو الذاتى بين المتضادات وتتم بتجنب النهايات •

١٠ تتشدد البوذية تشددا كبيرا

فى الحاجة الى التركيز الداخلى والتامل الذى يقود فى الوقت المناسب الى تنمية الملكات الروحية الداخلية • ان الحياة الشخصية هامة ولا بد من فترات هدوء لان الفاعلية الداخلية ضرورية من اجل حياة متزنة • على البوذى ان يكون دوما حذرا وضابطا لنفسه ومتباعدا عن التعلق العقلى والعاطفى ومراقبا للمشاهد التى تمر به • ان هذا الموقف المراقب للظروف يساعده على ان تكون ردود افعاله مضبوطة •

١١ ـ قال بوذا: « خلص نفسك بنفسك وباجتهادك • »

ان البوذية لا تعترف بطريقة للوصول الى الحقيقة الا عن طريق حدس الفرد وهذه سلطة تختص به وحده • كل انسان يتحمل مسؤولية اعماله ويتعلم من خلال ذلك • ثم ان الصلاة لبوذا او لاى اله لا تستطيع ان تمنع النتيجة من اللحاق بالسبب • ان رجال الدين البوذيين ليسوا الا معلمين وامثلة تحتذى ولكنهم ليسوا باى معنى من المعانى وسطاء بين (الحقيقة) والفرد • والبوذية تتخذ اقصى درجات التسامح ازاء الاديان ، والفلسفات الاخرى وذلك على اعتبار انه ليس لانسان الحق فى التدخل فى رحلة جاره الى هدفه •

١٢ ـ البوذية ليست متشائمة ولا انهزامية •

وهى لا تنكر وجود الله او الروح بالرغم من انها لها مفاهيمها الخاصة من هذه المصطلحات • ان البوذية ـ على العكس من ذلك ـ هى منظومة من الافكار ودين وعلم روحانى وطريقة فى الحياة معقولة وعملية وشاملة • وعلى مدى ما ينوف عن الفى سنة استطاعت البوذية ان ترضى الحاجات الروحية لثلث سكان العالم تقريبا •

وبعد

فهذه لمحات سريعة عن بوذا والبوذية قصدت منها تعريف القارىء الكريم على هذه الفلسفة وهذا الدين الذى يدين به قسم كبير من الناس ومن ذوى الحضارات العريقة • وارجو ان اكون قد وفقت الى مثل هذا التعريف البسيط تاركا لمن رغب فى الاستزادة ان يعود الى المراجع ليطلع على مزيد من التفاصيل •

فاخر عاقل

لهـا في اللغة الفصحى أصالتها
ندعو إلى استعمالها كتابة ومحاضرة

الاستقطاب

■ الفعل السداسي « استقطب » وما يماثله في الاشتقاق ، مثل مضارعه « يستقطب » ، ومصدره « الاستقطاب » ـ مما يشيع بيننا اليوم على اقلام الكتاب والسنة المحاضرين بالفصيحة ، وهـم يستعملونه للدلالة على الجمع أو الاستجماع بمعنيين مختلفين .

اولهما : كان يقال مثلا : « استقطب الرجل أصدقاءه في حفلة زواجه » اي جمعهم او استجمعهم فيها ،وهذا معنىلغوىقديم ، فان المعنى العام لمادة « قطب » وكل ما يشتق منها هو الجمع ، يقال : « قطب اوراقه » ، اي جمعهـا . و « قطب فهـو مقطب ، وقطب وجهه » ، اي زوى او جمع ما بين عينيه ، وقطب الرحى : هو الحديدة او الخشبة التي يدور حولها الحجر الاعلى ، فهي تجمع حركاتـه في انتظام ، بدلا من اضطرابه في حركات شتى ، ومن المجاز على سبيل التشبيه « قطب الحرب » اي مدارها .

ومنه قول البارودي :

« ولما تداعَى القوم ، واشتجر القنا
ودارت كما تهَوى على قطبها الحربُ
صبرت لـها حتى تجلَّـت سماؤهـا
واني صبور ان ألَمّ بيَ الخطـب »

وفي لسان العرب « قطبُ القوم : سيدهـم الذي يدور عليه امرهم » .

واما المعنى الثاني « للاستقطاب » اليوم فهو جمع شيء لما حوله في مواجهة شيء آخر او اكثـر يخالفه او يتنافر معه ، وهذا معنى للكلمة جديد، ادخل في المصطلحات العلمية ، ومنه « القطـب المغناطيسي » الذي يجذب ما حوله من قطع الحديد، ولكن في مقابل قطب آخر يعارضه ، والارض كالجسم المغناطيسي ، لها قطبان : احدهما شمالي والآخر جنوبي ، وكذلك نقول مجازا على سبيل التشبيه : « استقطبت امريكا حلفاءها » ، اي استجمعتهم في مواجهة قطب آخر هو روسيا التي تستقطب حلفاءها ايضا في مواجهة الاولين ، ونقول ايضا : « لا نريد الاستقطاب في قضية الشرق الاوسط » ، اي لا نريد ان نكون موضـع تجاذب بين روسيا وامريكا تراعيان فيها مصالحهما وحدهما ، فيتعذر او يتعسر حل القضية علـى الاطراف الاصلية المتنازعة لها . وهذا المعنى توسع من المعنى الاول ، فقد تقدم ان قطب القوم سيدهم الذي يدور عليه امرهم ، فاذا قلنا « استقطب الزعيم قومه » كان معنى ذلك انه استجمعهم ، ولكن هذا الاستجماع غالبا اشبه بالنفير ، لا يكون الا عند محنة من طرف آخر يخشى بأسه ، ولا تكون الاستجماعات غالبا الا عند مواجهة الاخطـار لدفعها ، فيكون طرف امام طرف او اكثر .

ثم نأتي الى الصيغة « استقطب » فنقول ان السين والتاء فيها ليستا للطلب، مثل: «استغفر» اى طلب الغفران ، ولا للصيرورة مثل : « استحجر الطين » اى صار حجرا او كالحجر ، ولا للدلالة على الرأى ، مثل : « استحسنته » اى رايته حسنا ، ولكنها تدل على تحقق الفعل ، فهي مثل الصيغة الثلاثية « قطب » بمعنى جمع ، وهذا كثير فـي الفصيحة . فنحن نقول مثلا : « استعرض القائد الجيش » كما نقول : عرضه ، واستجمع قواه ، وجمعها ، واستفاض الخبر وفاض . ■

محمد خليفة التونسي

---

(١) يراجع بحث في صيغة « استفعل » (في العدد ١٨٣) من هذه المجلة .

انجـــرى

الفنان الذى لعنوه.. وكرموه!

■ كان يقول لتلاميذه : « قد تستطيعون ان تجيدوا الاسلوب الذى تختارونه فى رسم لوحاتكم خلال ايام ، اما دراسة الرسم فهى تستغرق العمر كله ، وقد لا يكفى العمر مهما طال وامتد ، فالفن هو الحياة بكل صورها ، وهل هناك ما هو اكبر واعظم من صور الحياة التى تتغير وتتلون ولا تنتهى ؟! »

وعندما عرضوا لوحاته واعماله فى متحف مانهاتن للفن الحديث بمدينة نيويورك ، منذ اكثر من اربعة عشر عاما كتب النقاد يقولون : « لقد كان المعرض اشبه ما يكون بنافذة اطللنا من خلالها على صور الحروب والمرح ، الحزن والغناء ، المآسى والانتصارات ·· لقد عادت الينا الدنيا بصورها منذ اكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، ووقفنا مشدوهين امام هذه الصور من التاريخ فى تلك الحقبة من الزمن ، واستبدت بنا الحيرة ونحن نتطلع الى هذا المزيج العجيب من الصور التى عرضت امامنا ·· ترى كيف كانت حياة هذا الرجل ؟ شىء واحد احسسنا به ونحن نتامل هذه اللوحات المعروضة امامنا ، وهو ان صاحب هذه العين التى كانت ترى ، وصاحب تلك اليد التى كانت ترسم وتسجل ، هو فنان عظيم ·· فنان رقيق الحس ملتهب المشاعر ! »

انه الرسام الفرنسى الشهير جان اوجست دومنيك انجرى (١٧٨٠ ــ ١٨٦٧)

Jean Auguste Dominique Ingres

الذى لعنوه وكرموه ، ثم عادوا يلعنونه مرة اخرى، فلما مات قالوا عنه انه كان واحدا من اعظم فنانى عصره ·

اما هو نفسه ، فلم يكن يابه باللعنات التى تنصب عليه او التكريم الذى توتج بانتخابه عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ، جنبا الى جنب مع صديقه وغريمه فى آن واحد ، الرسام الفرنسى ايفى ديلاكروا ، الذى بلغ من كراهية انجرى له انه قال عنه عندما علم بنبا انتخابه عضوا فى الاكاديمية : « لقد انطلق الذئب » يقصد ديلاكروا « يرتع وسط المزارع التى ترعى فيها الحملان ! »

لقد سار انجرى فى نفس الطريق الذى سار فيه من قبله اساتذة الرسم ، وكان يقول لتلاميذه : « نعم ايها السادة ، هذا ما فعلته ·· لقد سرت فى طريق رافاييل ، اعظم فنانى عصره ! »

وولد انجرى بمدينة مونتوبان بالقرب من تولوز فى فرنسا يوم ٢٩ اغسطس من عام ١٧٨٠ ، وكان والده نحاتا ورساما ، وفى هذه المدرسة الصغيرة التى اقامها الاب فى بيته تعلم انجرى الف باء الرسم ، وتاثر بعصر النهضة فى ايطاليا التى سافر اليها ، واعجب بالفن الايطالى ، ومن اشهر لوحاته للشخصيات التى رسمها،لوحتان لنابليون ! كان انسانا رقيق القلب حساسا ، حتى ان زوجته كانت تضطر فى كثير من الاحيان ، وهى تصحبه فى جولاته فى شوارع باريس ، الى ان تغطى وجهه بالمنديل الذى تلفه حول عنقها ، حتى لا تقع عيناه على الشحاذ المسكين الذى شوهه المرض ، وهو يمد يده متسولا ! »

كتاب الشهر

● التعليم والمرأة

● مساواة المرأة بالرجل

● المرأة وتقرير المصير

● الأنوثة: مفهوم جديد لها عند المرأة

■ هذا الكتاب الذى نقدمه الان يجىء فى وقت تعقد فيه الندوات المحلية والمؤتمرات العالمية عن المرأة ، بغية دراسة وتحليل الجوانب المتعددة لها · وقد اختير هذا العام ليكون عام المرأة ·

والكتاب لا يستمد قيمته لانه جاء فى وقته ، وانما لان مؤلفه طبيب نفسانى ، زاول هذه المهنة فى مدينة ملبورن باستراليا مدة طويلة ، تعرف خلالها على الجوانب النفسية لمختلف الانماط النسائية من حيث السن ، والثقافة ، والوسط الاجتماعى ، واستطاع ان يصل الى اعماق شعورها وفكرها ، وان يكشف عن مكنوناتها ، وكثيرا ما تمكن من مساعدة المرأة ذاتها على فهم نفسها ·

والمؤلف الى جانب كونه بحاثة ، فهو رحالة جاب كثيرا من البلدان ، من بينها الشرق الاوسط، وحاضر فى العديد من الجامعات ، وبذلك جمع بين النظر والعمل ، وبين البحث والرحلة ، فاكسبه ذلك اتساع الافق وشمول الفكرة ·

وهذا الكتاب فيه استعراض وتحليل للمرأة العصرية نفسيا واجتماعيا ، فيه يستعرض المؤلف قضايا ومسائل تطرحها هذه المرأة العصرية لم نكن نألفها من قبل ، وهذا ما ميزها عن سابقتها التى اطلق عليها المرأة التقليدية · واحيانا نجد ان القضايا المطروحة ليست جديدة ، فقد سبقتها فى ذلك المرأة التقليدية ، ولكن الجديد فيها الاسلوب الذى تنفرد به المرأة العصرية فى طرح هذه القضايا وطريقة متابعتها ، وذلك نتيجة لاختلاف الشخصيتين · ولعل من ابرز المسائل التى تعرض لها المؤلف هى : ماهية المرأة العصرية ، ومفهوم المساواة والانوثة عندها ، والتعليم والزواج، ونتائج دخول هذه المرأة عالم المهن الى غير ذلك من مواضيع حيوية ·

تاليف : اينسلى ميز

عرض : الدكتور محمد على الفرا

وقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٤ عن مؤسسة فونتانا ، ويقع فى ٢٢٤ صفحة ، ويتالف من ٢٢ فصلا ، وفيما يلى نعرض اهم ما جاء فيها :

ماهية المراة العصرية

اذا سلمنا بان المراة العصرية هى نتاج التطور الاجتماعى الذى يجرى من حولنا فمن حقنا ان نتساءل عن الخصائص الاساسية التى تميز المراة العصرية عن سابقتها والتى نطلق عليها المراة التقليدية ؟

وعلى الرغم من ان الكتاب بما يطرحه من مسائل متعددة يعطى للقارىء مفهوم المراة العصرية وماهيتها حينما يقف على نظرتها لهذه المسائل وتطلعاتها الى الحياة ، الا انه لا باس من ابراز النقاط البارزة لنتعرف بها على المراة العصرية .

انها تحاول جاهدة التوصل الى حياة افضل للنساء ، وتكافح من اجل تحقيق المساواة فى الفرص مع الرجل كى تستمتع بكامل الحياة ، وتسعى الى حق تقرير امورها ، دون وصاية من احد عليها ، ومن بينها حق تقرير مصيرها كمخلوق بشرى يتمتع بجميع حقوقه . ان المراة العصرية تتميز بانها مؤكدة لنفسها ، ومتحررة الى حد ما من سلطان العاطفة فى مقابل الميل نحو العقل والمنطق.

المساواة مطلب اساسى

ان اول ما تطالب به المراة العصرية هو مطلب المساواة فشعارها الذى تردده دائما : « اننى مثل الرجل تماما عدا كونى امراة وكونه رجلا » . ويبدو ان مطلب المساواة بالنسبة للمراة العصرية اصبح تعبيرا عن عدم ارتياحها العام ، فهى تطلب المساواة بالحاح شديد ، على الرغم من عدم وضوح ذلك فى ذهنها وضوحا تاما ، واذا ما حللنا هذا الوضع من الزاوية النفسية نرى ان مطلب المساواة هذا ذو شقين بارزين : الاول يتعلق بالحقوق التى تؤهل المراة العصرية لها . بينما الثانى يبين لنا ان مطلب المساواة نفسه ما هو الا مجرد تعبير عن عدم الراحة مع نفسها ، اذ هى دوما تقول : « ان الامور تسير بعكس ما تريد المراة » .

ان من مظاهر المساواة بين الرجل والمراة ـ كما تراها فتاة اليوم ـ تحمل اعباء البيت وتقسيم الاعمال المنزلية حتى يكون لديها متسع من الوقت تمارس فيه امورا خارج البيت ، وتاخذ نصيبها كالرجل من متع الحياة . فالحياة ليست للرجل وحده ، انها لها ايضا ، فهى وهو شركاء شراكة متساوية فيها . وكذلك ينبغى ان تعطى لها فرص متساوية مع الرجل حتى تشاركه فى اعداد العمل وتنفيذه ، وان تتساوى بالرجال فى جميع المجالس المختلفة التى تسيطر على الدولة وتسير شئونها .

ولكن المراة العصرية تنسى احيانا ان المساواة المادية مع الرجل لا تؤدى بالضرورة الى المساواة بالخبرة الداخلية . ولتوضيح ذلك نقول : بان ممارسة المراة نفس العمل والنشاط الذى يقوم به الرجل لا يكسبها نفس الرضا الذى يناله الرجل من هذا العمل والنشاط . وهذا يتضح حين اختيار برامج التلفاز مثلا . فهناك مواضيع ترضى النساء بينما اخرى ترضى الرجال ، كذلك فان اهتمام الجنسين يختلف بالنسبة لمشاهدة مباراة كرة القدم . ونفس الشىء ينطبق على امور المهنة والوظيفة . فالمراة العصرية ليست عادلة بحق نفسها اذا طلبت التساوى بالرجل فى الاعمال ، والافضل لها ان تطلب لنفسها فرصا متساوية مع الرجال .

كي تعمل ما تشعر بانه يرضي ذاتها ويحقق طبيعتها وخلقتها من ان تحاول عمل ما يقوم به الرجل بالضبط دونما تمييز يخدم اختلاف تكوين الجنسين.

والمراة الحديثة دائما تبسط فكرة المساواة ، فنراها تكرر القول بانها كالرجل تماما ، ولا تختلف عنه الا من حيث الانجاب ، فعقلها مثل عقله، وفي راينا ان هذا يسيء للمراة ولا يخدمها ، فهي ولا شك مختلفة عن الرجل حتى من حيث تكوين دماغهـا ، وعلى المراة ان تكون واضحـة وصريحة وواقعية حينما تطلب المساواة التي لا تجيء عن طريق مزاولة نفس الاعمال التي يؤديها الرجل ، ولكن ينبغي عليها ان تبحث في المساواة عن طريق تطوير وتنمية قدراتها الكاملة كمخلوق بشري مثلها في هذا مثل الرجل تماما .

ومن مظاهر المساواة التي تعلق عليها المراة العصرية كبير الآمال ما يتعلق بالمجتمع من حيث انظمته وقيمه ، وهذا ينبع من شعورها بانها دون الرجل احتراما ، فالادب والمجاملات التي يبديها الرجال نحو النساء هي كلها في نظرها عبارة عن مظهر كاذب ورقيق يخفي حقيقة نظرة الرجل الدنيا للمرأة . وبناء عليه فان هذا النمط من سلوك الرجال نحو النساء ، يؤكد ويزيد من ذنب الرجل الذي يرتكبه بحق المراة . وفي نفس الوقت يسحب البساط من تحت قدمي المراة ، ويفقدها الاساس العادل لشكواها . انها تشعر في اعماق نفسها بان الرجل يخفي وراء هذا المظهر السلوكي الاستعراضي الكاذب في حقيقته عدم احترامها ، وانها ليست مساوية له في الاحترام ، فاراؤها تهمل وافكارها تنبذ ، وكثيرا ما استخدمت لمجرد السخرية والتفكه . ان المراة تتالم من هذا الوضع ، وتحاول تغييره وتصحيحه ، بل تعتبر هذا ظلما مسلطا عليها لا بد من التخلص منه .

وقد نشا من هذا الشعور لدى المراة رد فعل عنيف في داخل نفسها ، وتمثل في سلوكها وتصرفاتها وانفعالاتها ، لعل من ابرز مظاهره انها تطرفت في مبدا المساواة ، وغالت فيه حتى اصبحت لا تتبين النافع لها من الضار ، فهي كما قلنا تطلب المساواة في الاعمال التي لا تناسبها ، وتسعى لتقليد الرجال في كل شيء ، ابتداء من الزي والملبس الى طرق التفكير والتفاعل مع الاحداث ، وهذا كله ناجم من قناعتها الذاتية بان هذا وضعها في الطريق الصحيح للمساواة مع الرجل . ولكن للاسف فات المراة ان تدرك بان مطالبها هذه تعبر عن مشكلة نفسية توضح المنظر الخارجي لقضية المساواة . اما المساواة الحقيقية فهي شيء مختلف تماما لم تتوصل المراة الى فهمه تماما . ان المساواة في راينا يمكن ان تتعايش مع اختلاف طبيعة كل من الرجل والمراة .

الرغبة في تقرير المصير

تنشد المراة العصرية ان يكون لها وحدها الحق في تحديد مصيرها وتقريره ، ولا تريد ان تخضع لضغوط المجتمع الذي يسيطر عليه الرجال . وقد قبلت المراة التقليدية الحياة كما فرضها عليها المجتمع وارتضاها لها ، ولكن المراة العصرية لم ترض بهذا ، فهي تكافح من اجل صياغة حياتها الخاصة بالطريقة التي تريدها وتبتغيها . كذلك فان المراة التقليدية تميل الى تقبل احكام المجتمع ولا تمانع في ان تخضع حياتها للمؤثرات الخارجية عن ذاتها ، فهي بذلك تسير على نمط الحياة المنزلية ذات السلطة الابوية ، فاذا تقلدت وظيفة قبل زواجها ، فانها تكيف نفسها فيها باجراء تعديلات على نفسيتهـا مما يترتب عليه تعديـل سلوكها ومسلكها حتى تتمشى مع واقع الحال . وحينما تتزوج ، فانها تسمح بالتعديل الذي يشمل نمط حياتها ، والذي يتحدد بحسب الظروف النفسية لزوجها . وبناء عليه فان تكيفها هذا مع الواقع الجديد مستمد من مؤثرات البيئة ، وليس من مؤثراتها الذاتية ، اي انها تكون بمعنى آخر سلبية تتاثر ولا تؤثر . الا انه على الرغم من هذه السلبية فقد تكون احيانا انتقائية فتختار العناصر البيئية المحببة لها ، وتستخدمها لصالحها بينما تتجاهل غيرها من العناصر التي تنفر منها ، انها اذن مسالة اختيار افضل ما هو متوفر لديها من امكانيات ، فاذا كان الزواج لا يحقق آمالها وطموحها ، فانها تعمل على تقبل رضا الجوانب الطيبة منه ، وفي نفس الوقت تتحمل الجوانب التي تراها غير مريحة لها .

وعلى العكس من ذلك تماما نجد ان المراة العصرية لا تتقبل الحياة ، كما هي بل تكافح من اجل تقرير مصيرها ، وهذا جزء من فلسفتها الاساسية . فاذا شعرت انها غير مرتاحة لمستويات السلوك المطلوب من جانب والديها فانها لا تحاول ان تكيف نفسها سلبيـا لهذا الوضع كما تفعل

المراة التقليدية ، ولكنها تترك البيت ، وتقرر مصيرها طبقا لمعايير السلوك التي تخلفها في ذهنها ، واذا لم ترض عن احوال عملها وظروفه وشروطه ، فاما ان تتركه وتطلب عملا آخر في اي مكان ترى انه اكثر تناسبا معها ، او تحاول بطريقة اخرى تعديل تلك الظروف . ونفس الشيء ينطبق على الزواج ، فلو وجدته غير محتمل بالنسبة لها فانها تعمل على فصمه ، ولا تحاول تكييف نفسها طبقا لمتطلباته لايمانها بان هذا لن يرضي تطلعاتها ، ولن يحقق غاياتها واهدافها . اما اذا وجدت في الزواج امورا طيبة واخرى سيئة فلن تروض نفسها على الزواج بخيره وشره ، بل يكون قصدها المكافحة من اجل تغيير الاشياء التي تراها سيئة ليصبح الزواج بالنسبة لها كله حسنا .

ومن مظاهر الاختلاف الجوهري بين المراة التقليدية والمراة العصرية فيما يختص بالزواج ، ان الاولى تحاول مطابقة زوجها والسير على نهجه وهداه وارشاداته ، وهذا يحتم نمط حياتها ، ويقرر رضاها الذاتي . وبسبب هذا التطابق فانها تشعر بالرضا والسعادة كلما حقق زوجها نجاحا في حياته ، وتقدما في عمله ، انها بهذا تشاركه عاطفيا في كل ما يعمله ويمارسه ويحققه، كما لو كانت هي شريكة له في العمل والممارسة والتحقيق . اما المراة العصرية فليس عندها شيء من هذا كله . فسعادتها المستمدة من نجاح زوجها تاتي عندها في المرتبة الثانية ، ان سعادتها الحقيقية ، وفي الدرجة الاولى ، تستمدها من ممارستها هي بنفسها العمل والتنفيذ ، وبدون ذلك تشعر بانها سلبية ولا تشعر بالرضا والسعادة عن حالها وواقعها .

الى جانب حق تقرير المصير تطالب المراة اليوم بان يكون لها قولا فعالا ومؤثرا في تطور المجتمع الذي تعيش فيه ، وتسهم في بنائه ، ففي الماضي كان صوت المراة قليل الشان لان رغبتها تتمشى انذاك مع رغبة زوجها ، وكانت آراؤها السياسية مستمدة من آرائه . ولكن هذه الامور تغيرت اليوم مع ظهور ما اسميناه بالمراة العصرية التي تستخدم صوتها بشكل مستقل في ترجمة صراعها الداخلي الى الواقع الخارجي للمجتمع ، دون ان تظل سائرة خلف الرجل او مستترة في ظله .

وتطالب المراة العصرية اليوم بممارسة نشاطات خارج مملكة البيت وهذا يمكن تحقيقه اذا ما خففت الاعباء المنزلية عنهن من اهتمام ورعاية بشئون الاطفال وتدبير المنزل وادارته ، الى غير ذلك من اعمال تستنزف كل وقت المراة التقليدية . فالسعادة في نظرهن ليست في هذه الاعمال ، وانما يمكن تحقيقها بالتحاق المراة بالمهن والاعمال خارج المنزل ، وحتى ما كان منها مهنا تجارية كانت في السابق وقفا على الرجال دون النساء، فالاعمال التجارية تكسب المراة الحركة والنشاط والاحتكاك بكل مستويات المجتمع . ولكن بعض النساء معتدلات في مطالبهن ، اذ لا يرون باسا من التوفيق بين العمل في البيت والعمل خارجه .

وتقول المراة العصرية انها تعتبر الحرية ذات قيمة عالية جدا ، فهي لذلك تطلب المزيد منها ، ولكن الحرية وحدها يمكن ان تولد الحيرة التي بدورها تقيد الفرد ، ذلك لاننا نعيش في مجتمع يتميز بان سلوكنا فيه يسير وفق قواعد واسس مسلكية محددة . وهذه القواعد اكثر صعوبة على النساء منها على الرجال ، والمراة العصرية في مسيرتها نحو الحرية ترغب في نبذ القواعد والاسس وتريد ان تترك الناس ليصبحوا احرارا يعملون ما يشاءون بشرط ان لا يتسبب هذا في ايذاء الاخرين . وبذلك يتم انقاذ النساء من العيش المزعج تحت قسوة هذه القواعد والقوانين الاجتماعية التي هي من وضع الرجال .

المفهوم المتغير للأنوثة

يقال بان المراة العصرية جاءت بمفهوم جديد للانوثة يختلف عن المفهوم الذي نادت به من قبلها المراة التقليدية . وطبيعي ان هذا الموضوع من الصعب الغوض فيه ، لاننا لا نملك المقياس الدقيق الذي به نحدد ما نعنيه بالانوثة . فالانوثة كما هو شائع لدى الناس هي صفة من صفات المراة التي تميزها عن الرجل ، اي كونها انثى ، وعكسها كون الرجل ذكرا . ولكن المراة العصرية لها في هذه المسالة وجهة نظر مغالفة ، الا انها لم تتمكن من صياغتها الى مفهوم واضح ، ولهذا سنحاول حل هذا الغموض اذا ما اردنا فهم المراة العصرية .

لا شك في ان المراة التقليدية ترى انوثتها من خلال تلك الصفات الجسدية والعقلية التي تجذبها الى الرجال وتجذب الرجال اليها ، وهذا ما يميزها عن الرجل ، ان لها جسم امراة بكل مغرياته ، ولها عقل امراة مزود بحساسية وقدرة تستشعر بهما ما يحتاجه الرجل ، وهي تتفاعل وتستجيب

بطريقتها التي زودت بها . ولكن المرأة العصرية ترى انوثتها بشكل مختلف فهي ترى نفسها كائنا بشريا اصبح امرأة بطريقة لا خيار لها فيها ، قد يكون صدفة ، ولذلك ليس في الامر طلاسم والغاز . وفي هذا الصدد تقول المرأة العصرية : « انني نوع معين من البشر يمكنني ان اجعل الرجال سعداء اذا اردت ، وفي مقدوري ان يكون لي اطفال اذا رغبت . ومن نواح اخرى ، فانني بشر عادي – لا يختلف عن الرجل – اريد المشاركة في الحياة التي تجري من حولي » . ان هذا ولا شك مفهوم جديد ، فالمرأة العصرية يمكنها جذب الرجال وانجاب الاطفال وفوق هذا وذاك تريد المشاركة في مجريات الاحداث وحوادث العصر الذي تعيش فيه والبيئة التي تحيا عليها والمجتمع الذي تشارك في بنائه .

ان المرأة العصرية تعبر عن آرائها المغايرة عن مفهوم الانوثة نحو موقفها من الرجال ، انها على حد قولها لا تريد ان تكون الدمية المحبوبة، والسلوى التي يتسلى بها الرجال ، ويعبثون اذا ما ارادوا الترويح عن نفوسهم، انها تشعر بان هذا الدور الذي خصصه لها الرجل يقلل من شأنها ، ويدني من مستواها ، ويجعلها دون الرجل مكانة وقيمة .

ان المرأة التقليدية ترتدي ملابسها التي تصممها بطريقة تعبر عن مفهومها للانوثة ، وهي كيفية جذب الرجل اليها ، والذي يرى في انوثتها اكبر سعادة له . اما المرأة العصرية فالامر عندها مختلف ، فتلبس من الملابس ما يشف عن مفهومها المتغير للانوثة ، انها ملابس تسير بها نحو عالم الرجل . فترتدي ما يرتديه الرجال، وهي بذلك تعبر عن فكرتها التي تنادي بها ، والتي مؤداها « يمكنك ان ترى بانني لست مختلفة عنك كثيرا ايها الرجل، انني مخلوق مثلك الا انني امرأة وانت رجل، اريد ان اقاسمك كل مظاهر الحياة ، وافعل كما تفعل انت » .

والمرأة حينما ترتدي البنطال (البنطلون) فانها انما تتشبه بالرجل، ولكنها تخفي ذلك بالتعليل انه اكثر راحة لها ، واكثر مناسبة واشد دفئا لها ، وافضل في حالة العمل في مهنة تعرضها للاوساخ . ان هذا هو التعليل الذي تتعلل به لشيء يكمن داخل اعماق شعورها . اذ من الصعب ان تقول الفتاة بانها تلبس هذه الاشياء لتعبر عن تغير مفهوم الانوثة عندها .

والآن دعنا نتساءل عن كيفية تفاعل الرجل مع الافكار المتغيرة عن الانوثة عند المرأة العصرية . لا شك في ان الرجال يتفاعلون حيال ذلك بطرق مختلفة . فاكثر الرجال يفضلون النساء وينتقون الزوجات على اساس مطابقتهن لامهاتهم . وعلينا في هذه الحالة ان نتذكر ونعي جيدا ان الرجل في تقويمه لامه لا ينظر اليها كشخص عادي او حقيقي ، ولكن نظرته اليها تكون مثالية ، فهو منذ صغره ينسب لها صفات ليست فيها ، وهذا نابع من حبه لها . وهذه النظرة المثالية للام تبقى ملازمة للرجل ، وعليها يبني فكرته عن الانوثة وعلى اساسها يختار زوجته ، كما تبحث المرأة عن زوجها في شخص والدها . وبناء عليه ، فان الرجل في هذه الناحية يكون ضد المرأة العصرية لانها تبدو مخالفة لامه . وكثير من الرجال ينكرون حتى مجرد فكرة المرأة العصرية ويقولون : « كل النساء تتشابه ، والمرأة هي المرأة ، ولا يمكن ان تغير من جنسها على الرغم من وجود نساء غير قانعات باحوالهن » .

هذا وان بعض الرجال يظهرون العداء للمرأة العصرية سواء بطريق مباشر او غير مباشر . وكرد فعل لذلك تصبح المرأة العصرية اكثر عدوانية من المرأة التقليدية واشد منها صرامة . وعلى كل حال نجد ان كثيرا من الرجال يرغبون في ان تكون لهم نساء مذعنات طائعات ، الا ان المرأة العصرية لا يرضيها هذا النمط السلوكي لانها تريد المشاركة والمساواة ، وان آراءها يجب ان تحترم ويكون لها وزن . ولكن بعض الرجال يتصرف مع النساء العصريات تصرفا غريبا وعجيبا . اذ يرتبطون معهن بصداقة افلاطونية لا حياة للجنس فيها .

تأثير التعليم ودوره

لعب التعليم دورا رئيسيا في اظهار المرأة العصرية وخلقها ، وذلك بجعلها وجها لوجه امام مسالة عدم المساواة الجنسية في مجتمعنا . وطالما ظلت المرأة متمسكة بالتعليم الذي يؤهلها للحياة الاجتماعية الحالية ويجعل منها مجرد انثى للرجل ويلقي على عاتقها مسئولية حمل الاطفال وولادتهم وواجبات المنزل ، فليس هناك امكان لها كي تشارك بطريقة واقعية في حياة المجتمع .
حتى في علاقاتها الاجتماعية الحالية يكون دورها بسيطا اقل من دور الرجل ، فوظيفتها هي جذب

السرور للرجل الذى يفوقها مكانة او بتعبير اخر انه دور جنسي لا اكثر ولا اقل ، اما لذتها هي فتاتي في الدرجة الثانية • وقد ترك لها الرجل امر الاطفال وشئون المنزل وهي تعتقد انها بذلك مواطنة من الفئة الثانية •• وعلى الرغم من ان فيمقدورها ان تحب لكن لا تقدر علىتعدى هذه المرحلة،فهي لا تستطيع الاتصال بزوجها بايةطريقة حقيقية ، لانه ليس لديها الا معرفة بسيطة عن العالم من الناحية السياسية والاجتماعية او فيما يختص بالعمل •

ولكن تعليم هذا العصر غير كل هذه الامور فاصبحت المراة اليوم تدرك كثيرا من شئون العالم وفي امكانها ان تاخذ مكانها اللائق على اساس من المساواة مع الرجل • الا انها لاتشعر بالامان منتعليمها العالي • وهذه الخطورة تستشيرها احيانا مما يجعلها تعبر عنآرائها بصورة عدوانية • وترى المراة العصرية ان نظام التعليم نشا من زمن بعيد نتيجة استجابة لحاجات الرجال ، ولم ياخذ في اعتباره متطلبات النساء وحاجاتهن • ولهذا فان التعليم لم يلائم تماما حاجات النساء النفسية ولا قدراتهن ، وهي تريد ان تكون كالرجل في هذا المضمار ، اذ انه – على حد رأيها – كلما كان تعليمها قريبا من تعليم الرجل حقق سعادتها وسرورها •

واذا ما سلمنا بهذه الفكرة – اى ان التعليم قد نشا لسد حاجات الرجل ، وان هذه الحاجات لا تلبي متطلبات المراة العصرية التي تصر على طلب المساواة الكاملة ، ولذلك ينبغي ان يكون التعليم موحدا لكليهما – فهذا يحمل في طياتــه خطورة كبيرة لانه يهمل دور المراة المختلف عن دور الرجل • الا ان المراة ترى ان الفصل من وضع الرجل وصنعه ، فالفصل معناه جعل المراة في المرتبة الثانية للرجل وليس على قدم المساواة معه •

ان عقل المراة يختلف عن عقل الرجل ، ولكن المراة العصرية تنكر هذا وترى انها مجرد فروق هي من نتــاج المؤثرات الحضاريـــة التي صنعها المجتمع ، وليس لها اية علاقة بالقدرات العقلية ، وتدلل على ذلك بالاستشهاد بكثير من النساء اللاتي تفوقن على كثير من الرجال في الامتحانات المدرسية والجامعة وفي الاعمال والمهن والوظائف حتى القيادية منها • ولكن في نظرنا ان كل هذه الشواهد لا تبطل المسالة التي اود طرحها وبحثها ، وهي ان المراة ليست كالرجل وان عقلها ليس كعقله •

اننا نعترف بان للمراة قدرة حدسية تفوق ما للرجل ، وعندها حساسية اكثر مما عنـد الرجل ، وموهبة الاعتناق لديها اقوى مما لدى الرجل • ولكن المراة العصرية تخطىء في اصرارها العدواني الذى يركز بان تعليمها يجب ان يكون كتعليم الرجل • انها بهذا تظلم نفسها من حيث لا تعلم ، لانها افقدت نفسها اهم ما تمتلكه شخصيتها من ارصدة ، وجردت التعليم من المزايا الحسنة التي حققها للمراة •

ربما يتضح ما ارمى اليه لو نظرنا الى المسالة من ناحية اخرى فالرجل يتمتع بمنطق يفوق منطق المراة ، ولكن المراة العصرية ترى بان هذا المنطق المتفوق للرجل جاء نتيجة ظواهر حضارية ناجمة عن التعليم الافضل للرجل في الماضي ، وتدلل على ذلك بذكر بعض مشاهير النساء الناجحات اللائي اوتين منطقا فاق منطق الرجال ، واثبتن جدارتهن في اعمال تتطلب قدرات منطقية عالية ، وردنا على هذا ان هؤلاء النساء ولا شك موهوبات ولا نستطيع التعميم ، وبهذا تظل فكرتنا الاساسية كما هي ، اذ يجب ان لا نتوقع بان عقول الرجال تعمل كعقول النساء فكل منهما له خصائص مختلفة تمكنها من اداء ادوارها الاساسية في الحياة ، وهذا ما هو حاصل في حياتنا وواقعنا ولكن المراة العصرية تنكر هذا •

ان الرجال على العموم لهم قدرة منطقية تفوق قدرة النساء ، ولكن النساء لديهن قدرات عقلية اخرى تزيد على ماعند الرجال • وبما ان شكل التعليم قام في الاساس ليلبي حاجات الرجال فانه يساعد على تنمية القدرة المنطقية الفردية ، ويهمل القدرات الاخرى ومن هذه القدرات الحدس وهو هام جدا • والحدس عبارة عن وظيفة عقلية نتوصل بها الى نتيجة صحيحة بدون ان نستعمل خطوات وسيطة من المنطق • انه اذن ليس اجراء منطقيا يعمل بدرجة اقل ، وليس هو نتيجة اجراء منطقي يعمل على مستوى لاشعورى • وفي التفكير الحدسي يعمل العقل بطريقة مختلفة اشبه بعملية التنويم المغناطيسي حيث تاتي الحلول لبعض المشاكل في غياب المنطق ، او مثل طريق استخدام الوسطاء في علم الارواح •

آثار المرأة على المهن والوظائف

تؤثر المرأة تأثيرا كبيرا على المجتمع من خلال مشاركتها في المهن والاعمال المختلفة فبالعمل تشعر المرأة ان باستطاعتها تأكيد ذاتها وشخصيتها وبامكانها نيل حقوقها بالكامل كمخلوق بشرى ، وفي نفس الوقت تحقق رضاء عاطفيا وتبرز مواهبها خارج منزلها • ولذلك راينا في الآونة الاخيرة غزوا كاسحا من قبل المرأة لكافة المهن والوظائف المختلفة وكان لهذا آثاره الايجابية والسلبية ففي المقام الاول اكتسبت المرأة ثقتها بنفسها واستطاعت ان تعبر عن آرائها ، وتنقل افكارها الى زملائها من الرجال الذين ازدادوا لها فهما واحتراما • اما النواحي السلبية فان اشتغال المرأة جر عليها كثيرا من المشاكل ، منها المنافسة التي زادت حدتها بين الرجل والمرأة ، وكذلك فقدت كثيرا من العطف الذي كانت تحظى به من قبل •

لقد عملت المرأة منذ وقت طويل في حقل التعليم فلم تغير من مفهومه شيئا ، ولكن دخول المرأة العصرية في سلك التدريس قد جاء بالشيء الكثير• فالمرأة التقليدية كانت تعلم الصبية بنين وبنات وتعاملهم معاملة الام ، وكانت تزرع فيهم حسب القيم القائمة في المجتمع ، وتشجعهم على احترامها والعمل على صيانتها بطريقة لا شعورية ، وكان لهذا نتائجه الظاهرة على الناشئة الذين كانوا يحرصون على الحفاظ على تلك القيم • وكان لاتصال المدرسة بطلابها ومعاملتها لهم معاملة الام اثر كبير في نزع عنصر الخوف والقلق من نفوسهم•

ولكن بدخول المرأة العصرية في سلك التدريس تغير الكثير من الاوضاع • فقد جاءت هذه المدرسة وحملت معها صفات المرأة العصرية ، وقد اخذ الاطفال يلتقطون هذه الصفات لا شعوريا ويضعونها في اذهانهم ، ثم تصبح جزءا من شخصيتهم ،وهنا تظهر خطورة المشكلة • فالبنت لاتعي ولا تدرك دوافع المرأة العصرية ، وهي لاتفهم ان مدرستها تحاول خلق حياة جديدة تكون افضل لها ولغيرها من النساء ، ولكن كل ما يراه الطفل هو ان تلك المعلمة تحارب مظاهر كثيرة من الحياة ، وتود ان تؤكد ذاتها ، وان هذه المظاهر جزء من شخصيتها ولذلك ترغب في التشبه بها ومحاكاتها •

والطفل في العادة يود ان يكون مثل معلمه دون ان يفهم كل مايجرى من حوله ، وملخص القول ان الطفل يميل ليتخذ نمطا عدوانيا تجاه سلوك معلمته •

ان المرأة العصرية حينما تعلم الطلبة الكبار من كلا الجنسين تؤثر عليهم بشخصيتها تأثيرا نفسيا كبيرا ، وهذا التأثير يكون في غاية التعقيد، انه تأثير يظهر من خلال تحدى المعلمة للمؤسسات التي يقوم عليها المجتمع ، وكذلك تحديها لمختلف مستويات التعليم العالي وهي تجهر بهذا لطلابها علانية ، وتعمل على ان تجعل رايها مسموعا عندهم •

وهناك بعض المزايا التي تميز المدرسة العصرية: منها انها تسمح لتلاميذها بالمنافسة وتعطيهم الفرصة لبحث قضايا خارج المقرر ، وهي بهذا لاتلتزم بالنصوص والكتب المدرسية المقررة كما تفعل المدرسة التقليدية والتي لا تحبذ ولا تشجع طلبتها على المنافسة والخروج عن المقررات • وفي مقابل هذه الميزة نجد ان هناك سيئات ، منها ان المرأة العصرية تثور ضد المجتمع لانها تشعر بانه يقيد قدراتها • وهي في ثورتها تخلق من ذاتها افكارا تعتقد بموجبها ان الامور تسير ضدها ، ومن هنا تظهر خطورة المحاكاة عند الطلبة ، فعلى الرغم من ان الكبار منهم يقيمون الامور منطقيا الا ان ظاهرة المحاكاة لاتزال هامة ونشطة لديهم ، وبناء عليه فان دور المعلمة في هذا المجال يكون بمثابة التشكيك في المجتمع القائم وقيمه ، علاوة على انها تزرع فيهم حب المشاكسة •

ولقد اتضح ان المدرسة العصرية غالبا مايكون لها مسلك مخالف في فرض النظام داخل الفصل ، والنظام كما نعلم مسألة هامة جدا في التعليم ، ويطبقه التلاميذ اما حبا لمدرسيهم واما رهبة منهم • فالمعلمة التقليدية كانت ترتبط بتلاميذها بروابط الامومة ، ولذلك فهم يطبقون النظام بدافع المحبة لها • ونحن نعلم ان المدرسين اقدر من المدرسات على فرض النظام في الفصول ، لان التلاميذ يخشونهم ويهابونهم ، وهذا القول ينطبق على المرأة العصرية التي تشتغل بالتدريس ، اذ تنزع الى فرض النظام بالقوة وذلك تشبها بالرجال• ومن هنا نجد ان عامل المحبة القائم على الامومة بين المدرسة وتلاميذها قد زال •

ومجمل القول ان التعليم قد اثر في المرأة العصرية من عدة نواح ، منها انه اعطاها الثقة

بنفسها وامدها بالقوة والجراة فى المناداة بآرائها • وبفضل التعليم دخلت المراة العديد من المهن والنشاطات ، منها مهنة الطب البشرى والنفسى والكتابة والمحاماة والهندسة وغيرها من الاعمال • وقد اكسبها ذلك العديد من المزايا ، فالطبيبة مثلا اقدر من الطبيب على فهم ماتشكو منه المراةجسميا ونفسيا ، لانها اعرف بنفسها وببنات جنسها من الرجل • كما ان اشتغال المراة بالمحاماة مكنها من خدمة قضاياها ، وتعمل اليوم على تعديل الكثير من نصوص القانون،لانها تعتقد بان القانون من وضع الرجل وهو مجحف فى حقها • وحينما عملت المراة فى المحاماة عملت على توسيع مفهوم العدالة الفردية وبخاصة فيما يتعلق بالمراة •

اما العمل فى الصحافة والكتابة فقد افاد المراة كثيرا لانها استطاعت ان تبث افكارها وتعبر عن آرائها ، وتعرض قضاياها ، وقد حققت بذلك نجاحا تستحق عليه التقدير فنالت بموجبه كثيرا من حقوقها ويرجع سبب نجاحها هذا الى ان المراة اقدر من الرجل فى الدفاع عن آرائها وشرح حالها وتحليل واقعها • ■■

دكتور : محمد على الفرا

من الكتب التى وصلتنا

مع الحسين فى نهضته

تاليف : اسد حيدر
الناشر : دار التعارف للمطبوعات ــ بيروت/ لبنان •

● يدرس هذا الكتاب حياة الحسين بن على وثورته ، والاطوار التى مر بها ، والاحداث التى واكبها ، منذ صغره حتى يوم استشهاده ، فحياة الحسين مليئة باحداث هامة، ومواقف تمثل البطولة والفداء • ويرى المؤلف ان ثورة الحسين امتداد لدعوة النبى ، وهى حلقة من تاريخ الاسلام تمثل اسمى البطولات فى سبيل الحق ، كما توضح الفجائع المؤلمة ، والحوادث المروعة التى عبرت عن انواع شتى من الحقد والقسوة من جانب قاتليه ، وحادثةالطفاو مقتل الحسين فى كربلاء من المآسى المفجعة فى تاريخ الاسلام والحديث عنها ذو شجون كما انها مجال للاعتبار واستخلاص الشواهد التى تظل دائما بحاجة الى الوقوف عليها والاتعاظ بها واستلهامها لتكون نبراسا يستمد منه المسلمون دروس التضحية والفداء •

عبد الله بن سبا واساطير اخرى

تاليف : السيد مرتضى العسكرى
الناشر : مطبعة دار الكتب ــ بيروت/لبنان •

● يتناول هذا الكتاب شخصية عبد الله بن سبا تلك الشخصية التى اعتبرها المؤلف شخصية اسطورية خرافية وان ما اورده المؤرخون عنه من حكايات فى ترويج التشيع لم يكن اكثر من اكذوبة سجلها الرواة حول هذهالشخصية الوهمية ليحملوا على الشيعة ما شاء لهم ان يحملوا ، ويغمزوا عليهم ما شاء لهم ان يغمزوا •

وتبدا المسالة عند المؤلف بان رجلا يسمى « سيف بن عمر التميمى » مات فى القرن الثانى للهجرة وضع كتابين : الاول (الفتوح والردة) والثانى (الجمل ومسير عائشة وعلى) وحشاهما بحوادث مختلقة لا حقيقة لها ، مع تحريف الحوادث الثابتة وتزييفها تزييفا يجعل الايجاب سلبا والسلب ايجابا •

كما انه اختلق رجالا لا وجود لهم ، واسماهم باسماء لم يسمع بها الرسول ولا احد من اصحابه ورجالا جعلهم من التابعين وغير التابعين ووضع على السنتهم الاخبار ، ومن الشخصيات المختلقة

منه عبد الله بن سبا الذي اعتمد عليه كل من نسب الى الشيعة ما ليس لهم به علم .

وقد جاء المؤرخون بعد سيف هذا فنقلوا عن كتابيه هذين كثيرا دون تمحيص ، وكان اول من خدع بسيف هو الطبري وعنه نقل ابن الاثير ، وابن عساكر وابن كثير وغيرهم . وينتهي مؤلف هذا الكتاب بنتيجة مؤداها ان ابن سبا هذا اسطورة لا وجود لها .

تاريخ من دفن في العراق من الصحابة

تاليف : علي بن الحسين الهاشمي الخطيب .

الناشر : دار الثقافة – بيروت / لبنان .

يضم هذا الكتاب تراجم لطائفة من الصحابة المشهورين ، الذين دفنوا في العراق فيبدأ الكتاب بدراسة تاريخ ولادة كل منهم ونشاته ثم اسلامه وسبب اسلامه والسنة التي اسلم فيها وجهاده في الاسلام والمعارك ، التي خاضها ثم ما يروى عنه من الحديث الشريف ، ونماذج من شعره اذا كان شاعرا ثم يذكر سني عمره وسنة استشهاده والمعركة التي استشهد فيها وموضع دفنه في العراق ، واذا كان للمترجم له مشهد ماثل او مرقد يقصد ويزار نوه به ، ووصفه ، فيجد القارىء في هذا الكتاب تراجم لهذه الطائفة من الصحابة ومن ابلى منهم في الصدر الاول في سبيل الاسلام ومن ذاد عن الرسول الاعظم .

اساليب النثر الفني

تاليف: لطيف محمد الحكام .

الناشر : مطبعة الآداب – النجف / العراق .

وضع هذا الكتاب ليكون معينا للطلبة فهو يعينهم على هضم نماذج معينة ، ويمدهم بافكار جديدة وتجارب نافعة ، ويرشدهم الى ان يقرأوا كثيرا ، الكتب التي تحوي من الافكار اقواها ومن الاساليب اجودها ، وان يكتب الطالب خير ما يقرأ من هذه الكتب وبالتالي يحفظ طائفة من هذه الاساليب والصور والخيالات .

والكتاب مقسم الى عدة فصول لتنوع موضوعاته ، واعتمد المؤلف على التطبيقات النموذجية لكتاب مختلفين ، لكي يطلع على الاساليب الكتابية المختلفة ، دون ان يقيده باسلوب معين ، او يفرض عليه توجيها محددا .

الاحتكار وآثاره في الفقه الاسلامي

تاليف : قحطان عبد الرحمن الدوري .

الناشر : مطبعة الامة – بغداد / العراق .

يدرس هذا الكتاب مشكلة الاحتكار وموقف الاسلام من آثارها الاجتماعية والاقتصادية في مختلف جوانبها المستهلك ، والمحتكر والحاكم ، وما قدم لها من اجراءات وقائية وعلاجية .

وهو يجمع اشتات هذا الموضوع من كتب الفقه الاسلامي المختلفة مع بيان الراجح منها مع مقارنة ذلك بما هو متبع في القوانين والنظم الاقتصادية الحاضرة في بعض المسائل التي تطرق اليها .

وقد اختص الفصل الاول من هذا الكتاب بتحديد عقد الاحتكار وبيان عناصره وشرطه وحكمه ، واختص الفصل الثاني ببيان الاجراءات الوقائية والعلاجية التي اتخذ منها الفقه الاسلامي سبيلا لحماية الناس من شرور الاحتكار .

ولم تقتصر نظرة المؤلف على مذهب معين من المذاهب الاسلامية في معالجته لموضوع الاحتكار بل تطرق الى مذاهب المسلمين كافة من سنة وشيعة وخوارج وغيرهم ، وقد رأى المؤلف ان يعقد موازنة في ثنايا الموضوع بين آراء الاقتصاديين المعدلين ، وآراء الفقهاء المسلمين ، تتالق فيها الشخصية القانونية الاسلامية .

نباتات البر واشجار الزينة في الكويت

تاليف : مصطفى ديب وخليل السالم – الكويت

هذه دراسة عن النباتات التي تنمو في برية الكويت ، توضح سماتها وصفاتها بالرسم والكلمة

ومع التطور الحضاري الذي شمل مختلف اوجه الحياة في الكويت ادخل العديد من الاشجار والشجيرات ونباتات الزينة والخضر ، فاصبحت الحياة النباتية حقيقة واقعة ، لذلك شمل الكتاب نباتات البيئة المحلية ونماذج من النباتات الدخيلة التي تنمو بنجاح حتى اصبحت مالوفة في الكويت . وكان لابد من اعطاء القارىء نبذة جغرافية للتعريف بالظروف المناخية التي تعيش فيها هذه النباتات بالاضافة الى رسومات توضح اجزاء النباتات المختلفة باسمائها العربية والعلمية ، وقد رتبت النباتات على وفق ترتيب الاحرف الابجدية لاسمائها العلمية مع صور توضيحية ملونة . ■

مدينة العقول في اليابان

● مدينة جديدة يجرى العمل على انشائها عند قاعدة جبل تسوكوبا على بعد ٤٠ ميلا الى الشمال الشرقي من طوكيو .. وسيتم انشاؤها في هذه السنة (١٩٧٥). اما عدد سكانها فسيكون ١٣٠٠٠٠ وستسمى المدينة (تسوكوبا الجديدة) للبحث والثقافة . وستضم المدينة اكثر من ٤٠ مؤسسة للبحوث وستبلغ تكاليفها عدة ملايين من الدولارات . وقد بدأ العمل فيها قبل ٦ سنوات وستصبح بضعف حجم المدينة السوفياتية المماثلة ، (مدينة العلم Akadem Gosodok) القريبة من نوفوسيبريسك . وستشمل مدينة تسوكوبا جامعة تضم ست كليات ويبلغ مجموع طلابها نحو ١٠٠٠٠ طالب . هذا بالاضافة الى المختبرات العديدة وقد انتهى العمل في بعضها ، كمختبر النظام .

كم ياكل سكان الدول الغنية وماذا ياكلون ؟

احصائية لطيفة تبين ما يستهلكه الفرد في السنة مقدرا بالكيلوجرامات وذلك في اربع دول اوروبية وفي الولايات المتحدة الامريكية .

	بريطانيا	المانيا	فرنسا	ايطاليا	الدانمرك	الولايات المتحدة
البطاطس	١٠٢	١١٠	٩٧	٤٥	٨٥	٥١
الخضار	٦٣	٦٣	١٣٥	١٦٠	٦٦	٩٣
الفاكهة	٥٤	١٠٩	٧٤	١٠٨	٦١	٨٥
السكر (مكرر)	٤٥	٣٢	٣٨	٢٥	٤٨	٤٤
اللحم ـ لحم البقر	٢١	٢٢	٢٨	٢٢	١٨	٥١
الطيور	٨ر٩	٧ر٢	١٢ر٨	١٠ر٢	٣ر٧	٢٠
الحليب والقشطة	١٤٨	٩٧	١٠٤	٦٦	١٧٤	١٢٩
الزبدة	٨ر٧	٨ر٧	٨ر٢	١ر٨	٩ر٤	٢ر٥
الجبنة	٤ر٩	٥ر١	٥ر١	١٠ر٢	٨ر٩	٤ر٧
البيض	١٥ر٨	١٤ر٥	١٤ر٥	٩ر٤	١١ر٨	١٨ر٩

الامريكيون
والدمار الذى انزلوه بفتنام

● انتهت الحرب الفيتنامية بعد أن طال أمدها أكثر من ربع قرن ، وبدأ الفتناميون ينسون أحقادهم • وقد لا يمضى زمن طويل حتى ينسوا تفرقتهم ، فيوحدوا بين فتنام الشمالية وفتنام الجنوبية ٠٠٠٠ الا أن ثمة أشياء لم تنس ولن تنسى ٠٠ فهى باقية على المستقبل المنظور على الاقل• وان نسيها الامريكيون فلا يمكن أن ينساها أهل فتنام ٠٠ وأن نسيها الرأى العام العالمي فلا يمكن أن ينساها العلماء ولا سيما الجغرافيون والمهتمون بالبيئة ٠٠٠

وما تلك الاشياء سوى آثار الدمار التى لحقت بالغابات والتربة فى فتنام ، وذلك نتيجة للتدخل الامريكي العسكرى • لقد تدخلت الولايات المتحدة الامريكية بحجة الحفاظ على القيم والابقاء على الثروات من الهدر والضياع على أيدى الشيوعيين، واذا بها تقوض تلك القيم وتحطم تلك الثروات على نحو يعجز دونه هولاكو وتيمورلنك • واليك أمثلة من الدمار الذى الحقته الولايات المتحدة بفتنام :

بدأت أمريكا رش المواد الكيماوية ومبيدات أوراق النباتات سنة ١٩٦١ ٠٠ وبلغ ما رشته من هذه المستحضرات الفتاكة على غابات فتنام ومزروعاتها نحو نصف مليون طن ٠٠ بالضبط ٤٥٠٫٠٠٠ كيلو جرام ٠٠ ودلت دراسة قام بها بعض العلماء الامريكيين أن الدمار الذى احدثته تلك المواد باق ومقيم وأن لا أمل فى التخلص منه قبل مضى ١٠٠ عام أو يزيد ٠٠٠

بدأت أمريكا غاراتها الجوية المركزة الموسعة على فتنام سنة ١٩٧٠ ومنذ اللحظة التى أخذت فيها قلاعها الطائرة (ب ٥٢) القيام بتلك الغارات اخذت غابات فتنام ـ ذات القيمة التجارية تفنى ، وتصبح قاعا صفصفا ، بمعدل ٤٠٠ هكتار يوميا !

واحدثت القنابل الامريكية والقذائف ما يزيد على ١٠ ملايين حفرة ٠٠٠ وهذه حفر كبيرة عميقة أشبه بالآبار الهائلة • وقد خربت شبكات الرى فى البلاد وامتلأت بالمياه الجوفية واصبحت مستنقعات هائلة ملأت الجو بالبعوض وفرشت الارض بالاعشاب الضارة ٠٠٠

جزيرة كياوة

● الجزيرة الامريكية الصغيرة التى اشترتها الكويت فى أواخر السنة الماضية (١٩٧٤) ، اسمها جزيرة كياوة وتقع على بعد ٢٠ ميلا من مدينة شارلستون فى ولاية كارولينا الجنوبية •

والجزيرة غير مأهولة وتبلغ مساحتها ٦٠٠٠ فدان منها ٢٣٠٠ فدان مستنقعات والباقى أى ٣٧٠٠ فدان أرض يابسة •

وقد اشترتها دولة الكويت بمبلغ ١٧٫٣ مليون دولار ، وذلك بقصد التنمية ومن أجل استغلال الجزيرة للاغراض السياحية• والخطة الموضوعة حسبما ذكرت مجلة الايكونومست التى تنقل هذا الخبر عنها انما ترمى الى استصلاح الجزء الاكبر من الارض اليابسة أى ٣٠٠٠ فدان ، مع ترك المستنقعات على حالها ، فى الوقت الحاضر على الاقل •

وسيأتى يوم تجنى فيه الكويت ثمرة طيبة من جزيرة كياوة هذه • ذلك أن السياحة صناعة رابحة جدا فى الولايات المتحدة الامريكية • وحسبنا ان نشير الى عالم ديزنى وهو المركز السياحى الكبير الذى أقامته شركة والت ديزنى المعروفة فى شبه جزيرة فلوريدا ، وهى قريبة نسبيا من جزيرة كياوة • فقد بلغ دخل هذا المركز من السياحة أرقاما خيالية•

طائرة ميراج صنعت فى اسرائيل

● ما زالت اسرائيل تتكتم بصدد طائرتها المقاتلة الجديدة (كفير) أى الشبل ... تلك التى ظهرت فى أول عرض لها فى شهر ابريل الماضى ، بمناسبة عيد الاستقلال الذى يحتفل به العدو فى مثل ذلك الوقت من كل سنة . فكل ما عرف عنها سرعتها ٢ر٢ ماك (١٤٦٠ ميلا فى الساعة) ومحركها الامريكى طراز J - 79 وهو نفس محرك طائرة الفانتوم F - 4 ، وتصنعه شركة جنرال الكتريك General Electric فى الولايات المتحدة الامريكية . والطائرة الاسرائيلية مجهزة بمدفع من عيار ٣٠ ملم وتستطيع أن تحمل قنابل وصواريخ معا .

وتدعى سلطات العدو أن طائرة (كفير) هذه تفوق طائرة ميج ٢٣ السوفياتية ، بأسلحتها التى ذكرنا وبما تقدر عليها من سرعة ومرونة على ارتفاع منخفض . ولكن الخبراء الغربيين لا يرون ذلك . فهم يضعونها على مستوى طائرة ميج ٢١ السوفياتية ويضيفون الى ذلك أن ابداء الرأى فى هذه الطائرة الجديدة سابق لاوانه . فهى لم تجرب عمليا فى المعارك بعد ، والمصانع التى تنتجها ليست عريقة فى الصناعة .

وتصنع طائرة كفير هذه (مصانع الطائرات الاسرائيلية
Israel Aircraft Industries
وتعتبر هذه المصانع أكبر المنشآت الصناعية فى اسرائيل وقد بلغ عدد العاملين فيها ١٣٠٠٠ نسمة .

وتجدر الاشارة هنا الى الحظر الذى كان فرضه الرئيس الفرنسى الراحل ديجول سنة ١٩٦٧ على بيع الاسلحة الفرنسية الى اسرائيل . وقد شمل ذلك الحظر شحن الطائرات الميراج التى كانت اسرائيل اشترتها ودفعت ثمنها قبل ذلك . وتحدثت وكالات الأنباء بعد ذلك عن مهندس سويسرى فرونكنخت Fruenknecht ، تمكن من سرقة الاسرار والرسوم وكافة التفاصيل الخاصة بصنع طائرات الميراج والتى كانت بحوزة الشركة السويسريه التى كان يعمل فيها . وقد سجن ذلك المهندس ، ولكن بعد أن سلم تلك الاسرار الى اسرائيل . ومنذ ذلك الحين والعمل قائم على قدم وساق فى تطوير طائرة (كفير) فى مصانع الطائرات الاسرائيلية .

وتزعم سلطات العدو ان الجيش الاسرائيلى قد أوصى على صنع ٢٠٠ طائرة من طائرات كفير الجديدة . أما طاقة مصانع I. A. I. على انتاج طائرة كفير فتبلغ بضع طائرات بين حين وآخر ، حسب ما صرحت به تلك السلطات .

ويرى بعض الخبراء الامريكيين أن طائرة كفير التى قد تصلح للسبعينات لا تصلح للثمانينات . ومهما يكن من أمر فلن تكون هذه الطائرة أكثر قدرة من طائرات الفانتوم على الصمود فى وجه صواريخ سام .

الكاتب الاسباني الكبير
بلاسكو ايبانيز

* فنسنت بلاسكو ايبانيز Ibanez (١٨٦٧-١٩٢٨) كاتب وقاص وسياسي اسباني شهير اشاد بمجد العرب وحضارتهم في اسبانيا وكرس حياته للدفاع عن الديمقراطية فتعرض بسببها الى السجن والنفي سنين عديدة · ولد يوم ٢٩ كانون الثاني في مدينة بلنسية في اسرة فقيرة انتقلت به الى مدريد فتلقى فيها دراسته الابتدائية والثانوية تعرف اثناء ذلك الى الكاتب الاسباني الكبير «كوانزاليه» فاتخذه سكرتيرا له واصدر وهو في السابعة عشرة من عمره صحيفة اسبوعية لبث المبادىء الجمهورية والاشتراكية باسم « الشعب » ودخل كلية الحقوق ولم يكمل دراسته فيها لانه طرد من الجامعة بعد اشتراكه في ثورة سنة ١٨٨٩ في برشلونه وسجن لمدة ثلاث سنوات ·

كتب ايبانز عددا كبيرا من الروايات والقصص والمجاميع القصصية كانت أولى قصصه تدعى « اوزورا » عن عائلة فقيرة في بلنسية وثانيتها « زهرة مايو »و « في ظل الكنيسة » و « البرتقال » و «رمل ودم»، و « فرسان الرؤيا الاربعة » و « بحرنا » و « الانابيب والوحل » و « الدخيل » و « الطلاء » و «ماجدى سنودا» وغيرها،وقد اخرجت عدة من رواياته في افلام سنمائية في مقدمتها « رمل ودم » عن مصارعة الثيران · – المترجم ·

عار الشرف

■ تحدث المزارع اورلاندو فقال : عشت في احدى القرى الاسبانية التي ورثت اخلاقا وعادات عربية صميمة كان في مقدمتها اكرام الضيف ، والايفاء بالعهد ، وحماية المستضعف ، والدفاع عن العرض،وكان مصدر هذه الفضائل كلها فضيلة تقديس الشرف باعتباره القوة المعنوية الكبرى التي تتحكم في حياة الفرد ، وفي تصرفه مع الآخرين · وكان شرف العائلة يأتي ، بعد الدين ، عقيدة لي ولاهل القرية التي عشت فيها ، ولذلك رحت ابذل قصارى جهدي للحفاظ على هذا الشرف وحرصي عليه مثلما احرص على حدقة عيني · لكنني ما لبثت على حين غرة ان وجدت يدا غادرة اثيمة تمتد الى ذلك الشرف فتدعه يتصدع تحت وطأة ضرباتها العاتية وينهار أمام بصري · تلك هي المأساة التي عشتها ، الصورة الحية لتقديس الشرف الذي ورثته اكثرية القرويين الاسبان عن اسلافهم العرب ·

تقدمت ابنتي دولوريس نحو الخياطة متلهفة فتناولت منها فستان العرس ووقفت قبالة المرآة الكبيرة مشرقة باسمة وقد تحلقت حولها بنات عمها الثلاث ، يساعدنها على ارتداء الثوب ، ويطرين جمالها ، ويطرحن على الخياطة بعض الملاحظات ·

كان ذلك في صبيحة يوم الزفاف · وكان البيت في غمرة من الصخب حيث انصرف الخدم الى اعداد العدة لحفلة المساء ·

وفي زحام هذه السعادة الشاملة التي كانت تغمر الجميع ، كنت انا الوحيد الذي يتالم ويتمزق واوشك ان اموت اختناقا · لقد كنت اتلوى من شدة الالم والعذاب · وما ان اعود واتصور ما حدث حتى يتيه فكري ويتجمد الدم في عروقي ويهيمن علي الجنون · ذلك ان كل شيء قد تحطم امامي بغتة ، املي ، حياتي ، وكل ما اعبده واقدسه في دنياي·كل ذلك تهاوى الآن يوم فرحتي وسعادتي ، يوم زفاف ابنتي الوحيدة دولوريس ·

ابنتي ؟ ولكن هل هي ابنتي حقا ؟ لا·ان دولوريس ليست ابنة لي ! لا شيء فيها مني قط ·· ورغم ذلك فقد كنت احبها وكانها ابنتي ، أحبها واقدسها واشعر بعمق انها ابنتي وايم الحق ! لقد انفقت في تربيتها وتعهدها سبع عشرة سنة وكنت احس انها قطعة مني ، جزء من صميم لحمي ودمي · لكن ! يا لهول ما وقع ! كم اتمنى لو استطيع ان امحو عاري باقتراف جريمة القتل ! لقد فكرت في

« لقد خدعني اعواما طويلة وانا رفيقك · ألم تكن دولوريس ابنتك ؟ كيف خنت تقاليد اهلك ووعت بالوحل عقيدة الشرف ؟! ٠ ٠ ٠ »

هذه الجريمة فعلا حين صعقتني الحقيقة المؤلمة وتغلب على الاحساس بالعار ٠

لقد وقع ذلك قبل لحظات قصار ٠ كانت «كارمن» زوجتي الشابة الجميلة لا تزال في مخدعها تنتقي الثياب والحلى التي ستتجمل بها في حفلة المساء٠ حتى اذا اعلن الخادم مجيء السنيور الكسندرو صديقي الحميم وصديق الاسرة منذ عشرين سنة ، سارعتزوجتي الى لقياه وتركتمخدعها مضطربة٠ كنت في تلك اللحظة قد خرجت من حجرة ابنتي ودلفت لانبئها بمقدم الخياطة وهي تحمل ثوب العرس ٠ واذ اجلت بصرى في المخدع وقعت عيناي على مظروف ازرق اللون فلم آبه به اول الامر وهممت بأن اخرج لكن شيئا غريبا وقويا جذبني نحو المظروف الازرق فانحنيت عليه والقيت نظرة على العنوان ٠

كانت الرسالة موجهة الى زوجتي ، واذ ذاك تملكني الفضول ففضضت المظروف وشرعت اقرأ ٠ ومثلما يدوى هزيم الرعد في سكون الليل ويعقبه البرق الذى يمزق استار الظلام ، راحت الفاظ الرسالة المروعة تدوى في اذني ورأسي ، وتمزق بروقها ظلمة الماضي الذى عشته ٠ لقد اكتشفت يوم عرس ابنتي وانا تائه الفكر منسحق الفؤاد ان زوجتي قد خانتني ، وان دولوريس لم تكن من صلبي بل هي ابنة ذلك الصديق الغادر الماكر الكسندرو ٠ لقد كنت اعتبر ذلك الوغد احب رفاق الصبا الى روحي ، وقد وثقت فيه واسبلت عليه كنفي فعرف كيف يندس الى بيتي في العام الاول من زواجنا ، ويغوى زوجتي ويخدعها في الوقت الذى كان يتظاهر فيه امامي بالشرف والوفاء ٠لقد عاش الكسندرو في ذات القرية التي عشت فيها ، ثم اشتغل في مزرعة ابيه في مدريد وراح يتنقل بينها وبين القرية ويفد على بيتنا ٠ وما لبث ان ترك المزرعة واستبدلها بمتجر كبير ٠

لم اكن حين ذلك اتبين اى مسلك مشين فيه ،

ولم اكن اصدق ان يقدم على خيانة تقاليدنا ويعبث بعقيدة الشرف العربية التي نقدسها • لقد وصلت هذه الرسالة منه الى زوجتي ، واربكتها فرحتها بعرس ابنتها فلم تتلف تلك الرسالة التي كشفت لي الان عن كل شيء •

ترى ما الذي استطيع ان افعله ؟ لست بقادر على اقتراف جريمة القتل • لست اقدر على تغضيب حفلة العرس بالدم • واذن هل اعلن فضيحتي وليقع ما يقع ! أم افترق عن زوجتي واحول دون اتمام هذا الزواج وهدم مستقبل هذه الفتاة البريئة المسكينة ! كيف يطاوعني فؤادي على ان اعاقبها بذنب غيرها ! انني احبها واعبدها وهي ابنتي في الواقع • لا • لن اضحي بها • سادعها تتزوج الليلة واسعدها بذلك ومن ثم افترق عن امها • سانبذ تلك المراة الغادرة الخائنة، وبهذا اكون قد ثرت لعرضي المثلوم وشرفي المنهوب •

ان الفرحة مواتية فلن ادعها تفوت •• ان المجرم في بيتي فلاضيق عليه الخناق ولاجعل دولوريس اداة للانتقام والقصاص منه •

تعاملت على نفسي وخرجت الى البهو فالفيت زوجتي تدلف الى حجرة ابنتها وتغلق وراءها الباب • وشاهدت الكسندرو يخاطب دولوريس من خلف باب الغرفة ويستعجلها في الظهور ليشاهدها في ثوب العرس ، وليضع في عنقها هديته التي اتى بها ، عقدا من اللؤلؤ الثمين النادر • كان الكسندرو يصيخ الى حديث الفتاة متلهفا ويخاطبها بمنتهى الرقة ويطلق ابتسامات ملؤها العطف والحنان •

وظللت برهة ارقبه وانا ارتعد من الغضب ، ثم شددت على اعصابي واقبلت عليه ارحب به ، وبعد ان همست في اذنه بكلمة سحبته من ذراعه واتجهنا نحو الحديقة حتى اذا بلغنا خميلتها اشرت عليه بالجلوس على مقعد خشبي فيها ثم جلست انا قبالته •

لم اقدر على الكلام وما لبثت ان استجمعت قواي ووضعت يدي المرتعشة على كتفه وقلت وانا احدق في وجهه : هل تحب دولوريس فعلا يا الكسندرو ؟

ـ احب دولوريس ؟ افي ذلك ريب ؟ انك لم تحببها اكثر مني •

وتفرست في وجهه وقلت بصوت متهدج : اذن لماذا تحاول ان تشقيها ؟ فصاح بي الرجل مبهوتا: انا اشقيها ؟ واذ ذاك امسكت بذراعه وخاطبته بحزم قائلا : الكسندرو انك ستقتل دولوريس ! وانتفض الرجل مذعورا وغمغم يقول : ما معنى هذا الكلام ؟ فرددت عليه هادرا « ستقتلها انت اجل انت ابوها ستقتلها ! » •

وازورت عيناه من فرط الخوف ، وحاول النهوض فتشبثت به وارغمته على الجلوس وقلت له وانا ابرز له الرسالة المشئومة « اقرأ ! اقرأ ما كتبت اليس هذا هو خطك ؟ لقد خدعتني اعواما طويلة وانا رفيقك • الم تكن دولوريس ابنتك ؟ كيف خنت تقاليد اهلك ، ومرغت بالوحل عقيدة الشرف التي ورثتها عن اسلافك ؟ تلك هي دولوريس ابنتك فلتاخذها انها لك خذها من الآن ، بل منذ الساعة • ان الزواج لن يكمل ولن تحمل دولوريس اسمي قط،ولن تكون لها اية صلة بي بعد الآن ! » ونهضت من مقعدي وقلت وانا اختلج « سوف اعلن الحقيقة الليلة امام المدعوين جميعا ثم انفصل عن زوجتي واتبرأ من البنت التي حسبتها ابنتي • فلسوف اتخلى لك عنها وعن امها ملطختين بالعار •• هل توافق على ان تهدم مستقبل ابنتك بيديك ؟ اجبني عما قررت ان تفعله ! ! »

وتداعى الكسندرو على المقعد وهو يلهث قائلا : وما الذي تريد ان افعله ؟ وضحكت شامتا وقلت له : انت على علم بتقاليدنا ، وعلى معرفة بعقوبة الزنا في قريتنا • ان من حقي ان اقتلك لكنني لا اريد ان الوث يدي بدمك • ويحق لي ان اسلمك الى اهل القرية ليثاروا منك بانفسهم بان يشدك اقواهم الى جذع شجرة ثم ينهالون عليك بالضرب حتى تموت وذلك هو جزاء الزاني • لكنني لا اريدك ان تكون في مثل هذا الموقف هل فهمت ؟ عليك ان تكون شجاعا وان تعثر على المخرج الذي ينقذك، وان تؤدي ما يفرضه عليك الشرف •

ونهض الكسندرو واقفا ثم هتف مرتجفا يقول : انني افهمك تمام الفهم • انني اعرف ما تبغيه لكنك مخبول فما هذا سوى خيال محض • ان في مقدورك ان تعلن الفضيحة ان رغبت في ذلك ، اما انا فان ابناء القرية لن تمتد ايديهم الي بسوء فانا رجل موسر ، وقد اديت لهم الجليل من الخدمات • انظر ، انظر ، من الذي بنى هذه الكنيسة ؟ وشيد هذا المستشفى ؟ واقام هذه المدرسة ؟ الست انا ؟ اذن فان احدا لن يمسني

بازى،ساخذ ابنتي وارحل بها الى خارج اسبانيا، وسازوجها هناك برجل آخر وأدعها تنعم بالسعادة».

واذ ذاك صرخت في وجهه : اذن فلتقتل هذا لابنتك بنفسك . فلتكن شجاعا وصارحها بالحقيقة المروعة قبل ان انطق انا بها . هيا تقدم الى قتلها امام ناظريك ! وساستقدمها اليك على عجل ! .

وهرعت مهرولا في الحديقة كالمخبول ، واندفعت نحو البهو ثم هتفت صائحا:دولوريس .دولوريس!.

وظهرت الفتاة في ثوب زفافها الابيض نضرة الوجه ، باسمة الثغر ، تحف بها بنات عمها الثلاث ، فتقدمت اليها واقتدتها من يدها الى الخميلة ، وبعد ان أشرت الى الكسندرو باصبعي، قلت : لها « ان صديقنا العزيز الكسندرو يحب ان يفضي اليك بكلمة يا دولوريس » . واختض الرجل بعنف ، وحدج ابنته بنظرة تائهة ، ووجم ولم يحر جوابا . وما لبث ان تقدم الى الفتاة وحاول ان يتكلم ولكن شيئا قويا كان يهز كيانه من الاعماق ، وعندئذ انتفض انتفاضة عنيفة ، وطفرت الدموع من عينيه . وبدلا من ان يصرح بالحقيقة المرة ، وينشر الشقاء والعذاب ، طغت عليه عاطفة الحب والحنو ، فدس يده في جيبه ليخرج منه عقد اللؤلؤ الغالي ، وليطوق به عنق دولوريس ، وليطبع على جبينها قبلة طويلة وهو ينتحب .

وحين عادت الفتاة الى البهو فرحة مبتهجة وهي تلوح بالعقد ، ادار الكسندرو وجهه نحوي وامسك بذراعي وقال : اجلس ! امكث هنيهة وعليك ان تصيخ الى يسمعك قبل ان تصدر قرارك الاخير بشان مسلكي ثم تهاوى على المقعد ، ونظر الى بعينين متقدتين وقال : ـ هل دار في خلدك ان ضميري لم يؤنبني ؟ هل تتصور انني اهملت عقيدة الشرف التي كانت ولا تزال الشعار المقدس لدى ابناء جلدتي ؟ كلا ! كلا ! فهذه العقيدة حية في دمي . ولقد استيقظ ضميري منذ ان خنتك فعشت في عذاب مستديم وآلام مبرحة . ولكي أريح ضميري فقد ابتعدت عن زوجتك ونبذتها وواصلت كدحي كيما اجمع ثروة واسعة قد تنقذني. وها انني ، بعد ان غدوت الآن ثريا ، واصبحت لدى ثروة طائلة ، قررت ان اكفر عن جريمتي بكل ما جمعته من مال وصممت ان اهبك ثروتي كلها لك وحدك . ولقد رتبت ذلك كله مع مسجل العقود فلتتفضل بالقدوم اليه غدا لاكمال بقية اجراءات عقد الهبة.فاذا وافقت على هذه الترضية شكرتك من صميم قلبي ، وقبلت بمنتهى الرضا العودة الى حالة الفقر والبؤس . وان لم ترضك فلك الخيار في توقيع اى عقاب آخر ترتأيه يتناسب وفظاعة الجرم الذى اقترفته ! » .

وحدجت الكسندرو بنظرة صارمة وانا مقطب الجبين ، ثم صرخت به وانا انهض : ان المال لا يحمي الشرف . ومع انني فقير فلست اقبل بان امرغ شرفي في وحلة المال فاضاعف بذلك عاري وسقوطي . كلا ! لا حاجة لي بمالك ابدا . ان في مستطاعك ان تهديه الى ابويك واقاربك او تنفقه في وجوه الخير . اما انا فان ما تدره مزرعتي من ايراد يفي بحاجتي . واما دولوريس فلسوف يتزوجها رجل غني . اما عشيقتك زوجتي فلن انتقم منها رحمة لابنتها البريئة ، لكنني سافترق عنها بعد اشهر ، وعليك انت ان تقوم باعالتها . تلك هي المطالب المادية التي أتقدم بها اليك ، ولكن هناك مطلبا آخر تفهمه حق الفهم . انني ساصمت وادفن الفضيحة حرصا على مستقبل ابنتك شريطة أن تنهض انت بواجبك وتقدم الترضية الكاملة لشرفي » .

واطرق الكسندرو مليا وهو يضطرب ورفع رأسه لاهث الانفاس ، زائغ البصر ، وهو يقول : لن اخون تقاليدنا ، وساوافق على ما تريده من حكم يا سيدى وبعد ان تنفس طويلا اضاف قائلا وهو يرتعش : امنحني اليوم والليلة القادمة فحسب ، كيما ادبر اموري . ثم اتصل بي صباح غد في الفندق الذى انزل فيه .

وتفرست في وجهه وتمتمت « لك ما تريد يا الكسندرو ! انني على ثقة من انك لن تهرب ! انني أثق في شرفك كل الثقة »

وعض على شفتيه ليكتم صراخه المكبوت ثم هتف « حافظ على دولوريس واحرص عليها » وغادر الحديقة وهو لا يلوي على شيء .

وفي صباح اليوم التالي اتصلت بالفندق هاتفيا لاكلم صديقي الكسندرو فاذا بمدير الفندق يرد علي قائلا : لقد انتحر السنيور الكسندرو قبل لحظات بان شنق نفسه بحزام من الجلد كان يشد به حقائبه ! » ■■

ترجمة : سليم طه التكريتي

في .. بيت شيخ الساخرين برناردشو

برنارد شو .. « الحلواز » كما كان يسمي نفسه وهو واقف على عتبتين .. عتبة داره وعتبة الآخرة . فقد أخذت هذه الصورة قبيل وفاته . وهو في سن الرابعة والتسعين !

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

■ كان برناردشو Bernard Shaw ساخرا في حياته ، وساخرا بعد مماته . فمن سخريته وسخرية القدر انني قصدت زيارة منزله بصحبة زوجتي المعجبة هي الاخرى بادبه، وكنا نظن ان الجولة ستكون ممتعة مبهجة ، فاذا بنا ننتقل من قطار الى قطار ومن سيارة عامة الى اخرى . وبعدلأي وصلنا الى « ويلن جاردن ستي » Welwyn Garden City وهي على صغرها ، مدينة جميلة منظمة ولكنها ليست بخاتمة المطاف ، ولا نهاية المشاق ، فبحثنا عن سيارة اجرة تنقلنا الى أيوت سانت لورنس Ayot St. Lawrence فباءسعانا بالخيبة والفشل، فارشدتنا شرطية مرور الى سيارة عامة تمر مرة كل نصف ساعة ، فاخذنا برأيها ، حتى اذا ما وصلنا الى مدخل طريق القرية اوما الينا السائق بالهبوط ، فهبطنا آخذين سمتنا صوب منزل الارلندي الساخر ، غير انه عن لي ، ونحن في مستهل الطريق ـ حيث الجزء الماهول من القرية ـ انأتوجه الىسيدتين تكادان تلجان بيتهما لاسالهما عن المسافة التي ينبغي ان نقطعها ، وعما اذا كانت ثمة سيارة اجرة يمكننا ان نستعين بها ، فنظرتا الينا مستغربتين ، وقالت احداهما : ان المكان جد بعيد ، وليس هناك من يملك سيارة

« راوية شو » الاسم الذى عرف به منزل الكاتب المسرحى الفكه وهو من مبانى القرن العشرين قضى فيه صاحبه الأربع والأربعين سنة الأخيرة من حياته ·

سوى اخيهما الشيخ المتقاعد ، وقد خرج لبعض مهامه ، فرجوتهما ان يستبقيا زوجتى لديهما لاقوم بهذه المغامرة وحدى فرحبتا بها ، ولكن نصحتانى بالعدول عما عزمت عليه ، غير اننى آليت الا ان امضى قدما فيما انا بسبيله ، فسرت طويلا حتى اضنانى السير وانهكنى ، وليس ثمة اثر لمنزل ، وكنت بين الحين والآخر اصل الى مفترق طرق فاستعين بحسى وغريزتى فى تبين الاتجاه الصحيح ، واحاول ان ارجع بذاكرتى الى ما قبل ثلاثة عقود حيث قمت بزيارة برناردشو فى سيارة بعض الاصدقاء، ولم اشعر يومها بطول المسافة ، ولا اكترثت للاتجاهات ، وكنت اتصور انه بعد مضى ثلاثين سنة قد توفرت وسائط النقل فى هذه القرية التى اقام لها « شو » العظيم صيتا واى صيت ، ولكننى كنت على ضلال فيما توهمته ، وعلى ضلال فى الطريق الذى سلكته ·· واخيرا لاحت لى كنيسة فاستبشرت خيرا ، فطرقت بابها بكل ما بقى لدى من قوى منهوكة ولا من مجيب ، أكانت مهجورة ام ان قسسانها قد اخذوا اجازة يقضونها فى المدينة ليبددوا عنهم وحشة الابتعاد عن الحاضرة ؟ لا ادرى ! ··· ولكن الذى ادريه ان ضحكات برناردشو الساخرة كانت تلاحقنى طوال الطريق ·

استأنفت السير ببطء ، حتى بلغت حاجزا خشبيا ، ومفترق طرق ثلاث من جديد ، فاتكات على الحاجز ، واعملت الفكر ، واجهدت الذهن ، وانا اتامل الشمس منحدرة نحو المغيب · سيدركنى الظلام ولا مصابيح فى الطريق · أاعود من حيث اتيت ، انا الذى اكره التراجع عن اى مشروع اعتقد بصحته ، ثم كيف اتحاشى نظرات اللوم والتشفى فى عينى السيدتين اللتين نصحتانى بالعدول فامتنعت ، ولكن على رسلك ! ها هى عيناى تلتقيان بالاعين اللوامة على رغم منى !

احالم انا ؟ لا . ليس هذا بحلم ، فقد جاءت السيدتان تتوسطهما زوجتي في سيارة يقودها الكولونيل المتقاعد والى جنبه بندقية صيد .

ـ « لقد جئنا نبحث عنك وننقذك منورطتك ».

كان هذا اول ما قاله لي الشيخ الطيب ، فقلت بعد ان شكرته :

ـ « وانا لا ازال ابحث عن هذه الروح الضالة المضللة التي يسمونها برناردشو » فرد ضاحكا :

ـ « سنصطاده ... انك لا تزال في مناى عنه، رغم المسافة الطويلة التي طويتها » قلت : « كنت اشعر طوال هذه المدة كانه امامي يقهقه في عليائه مرددا : لن تدركني .. لن تدركني ، الا بعد عناء ! »

فقال الشيخ : « انه يفعل ذلك مع جميع زواره، فقد كنت مارا بسيارتي في هذا الطريق قبل اعوام فرايت اسرة يابانية في حالة اعياء، اذ كان الزوج يحمل طفلا ويقود آخر والزوجة تحمل طفلا ثالثا . كانوا مصممين على الوصول الى منزله مهما كلف ، فاركبتهم سيارتي ، وبلغ من شكرهم لي انهم اخذوا يبعثون الى ببطاقة عيد ميلاد من طوكيو كل عام ! » فقلت : « يبدو ان روح شو هي التي تبعثك الى التائهين منقذا ! »

بلغنا منزل شيخ الساخرين ، فاذا هو كعهدي به،بعد طول فراق،وسط الحقول الخضراء والتماثيل والمنحوتات الموزعة هنا وهناك بازميل مشاهير المثالين والنحاتين المعجبين بنوادره وادبه .

لم يسمح للزوار الا بمشاهدة الطابق السفلي المؤلف من ثلاث غرف صغيرة وردهة ، اما الطابق العلوي المؤلف منعشر غرف فقد اغلقت فيأوجههم، واكبر الظن انها تضم الآلاف المؤلفة من كتبه ، فقد كانت الكتب المعروضة في الطابق السفلي قليلة العدد نسبيا .

وقد سمح للزوار كذلك بزيارة الحديقة الفسيحة ، والغرفة الدوارة التي كان يعمل فيها في الايام المشمسة الساطعة ، ويخرج من وقت لآخر فيديرها باتجاه الشمس .

لم يتغير شيء في البيت الا اختفاء صاحبه ، وحتى هذا كان كائنا هناك بروحه وبذرات جسده الذي احرق وذر رماده في حديقة المنزل ليختلط بتربتها الى الابد .

هذا هو الكرسي الذي جلست عليه قبل اكثر من ربع قرن يوم قابلته في منزله ، وهنا تناولت الشاي وتحدثت اليه في الادب والفكاهة والسياسة والاجتماع والدين فكان مما قاله : « سيعم الاسلام اوربا ، وستصبح انكلترا مسلمة في نهاية هذا القرن ! » فضحكت ، فقال : « وما يضحكك ؟ » قلت : « اليست هذه من احدى نوادرك ؟ » قال : « بل انا جاد فيما اقول ، اننا اليوم اكثر اسلاما من المسلمين انفسهم ولا يعوزنا سوى الاسم .لقد انتقلت فضائلكم الينا ومساوئنا اليكم ! » .

ثم بدا لي فرفعت بصري الى صور العظماء الذين أعجِبَ بهم معلقة امامه ، وقبل ان اعلق بشيء عاجلني بقوله : « لو كانت لمحمد صورة لوضعتها فوقهذه جميعا ، فقد كان بطلا وكان اول زعيم اشتراكي حقيقي في العالم » .

وبعد هنيهة صمت سادت بيننا قال متسائلا : « هل ترجم شيء من كتبي الى العربية ؟ »

قلت : « بلى ، وعلى راسها كتاب (البربرية تبحث عن الله) » فنهض من مكانه وقدم لي نسخة منه بخط يده وتوقيعه لا ازال احتفظ بها مع مجموعة من رسائله وبطاقاته .

كل هذه الذكريات دارت في رأسي ، وانا انظر الى صالة الاستقبال ، والى مكتبه ، والى الآلة الكاتبة الصغيرة القديمة التي كتب بها العديد من كتبه ، والتي لاتزال في موضعها هناك .

لقد كان برناردشو كاتبا مسرحيا ، ولد فيدبلن في ٢٦ من تموز (يوليه) ١٨٥٦ وقدم الى لندن سنة ١٨٧٦ حيث عمل كصحفي فاشل لتسع سنوات، وكتب مابين سنتي ١٨٧٩ و ١٨٨٣ خمس روايات بينها « الحب عند الفنانين » و « الاشتراكي اللااشتراكي » فرفضت كلها من لدن الناشرين يومذاك .

واعتنق الاشتراكية سنة ١٨٨٢ ، واصبح ناقدا ادبيا وموسيقيا وفنيا لصحيفة « ستار » (النجم) » وصحيفة بول مول » Pallmall Gazette - و « العالم » The world وغدا ـ فيما بعد ـ ناقدا مسرحيا لمجلة « السبت » Sataraday Raview وقام في ذات الوقت بدعاية واسعة النطاق للاشتراكية ، ولاسيما بعد ان اصبح عضوا في الجمعية الفابية Fabian Society التي انبثق منها حزب العمال الحاكم في بريطانيا اليوم ، وكتب للجمعية المذكورة عدة مؤلفات

صغيرة ورسائل ، وعلا نجمه كمناقش بارع لا كمؤلف » رغم انه كان يومذاك قد نشر كتابين احدهما الفاجنرى الكامل « The Perfect Wagne-rite و « خلاصة الابسنية » The Quintessence of Ibsenism واربع مسرحيات ، وانتقل بعد هذا الى مرحلة جديدة ، وهى نشر مسرحياته بمقدمات مطولة ضافية فى موضوعات اجتماعية ودينية وبيولوجية ، وقد اشتهر فيما بعد بمقدماته هذه حتى نشرت فى مجلدات قائمة بذاتها ٠

ونجحت مسرحيته (كانديدا) Candida فى المانيا سنة ١٨٩٤ ، بينما منعت مسرحيته (مهنة السيدة وارن) Mrs Warren's profession فى انكلترة سنة ١٨٩٣ ، وبقيت ممنوعة حتى سنة ١٩٠٢ ، وكان اول نجاح مسرحى له سنة ١٩٠٣ فى مسرحية (الانسان الاعتيادى والمثالى ، أو الانسان والسوبرمان) Man and Superman وتعاقبت بعد ذلك مسرحياته الناجحة ممثلة فى مسرحيات : « جزيرة جون بول الاخرى » و « حيرة الطبيب » و « فى طريق الزواج » و « اندروكليس والاسد » و « بيجماليون » و « مسرحية فانى الاولى » ، وقد كتب ثلاثا من مسرحياته العظيمة « بيت الخاطر الكسير » و «العودة الى ميتو شالح» و « جاندارك » بعد بلوغه الستين ٠

وتتميز مسرحياته ببراعة الحوار ، والنكتة اللاذعة ، والمرح ، والمبالغة ، وقد اصبحت جميعا من مميزات اسلوبه الاساسية ٠ انها تميط اللثام عن الاخطاء الاجتماعية، وتعالج المشكلات الفلسفية والدينية والبيولوجية ٠

وقد نال « شو » جائزة نوبل فى الآداب سنة ١٩٢٥ ، وهو فى عرف بعضهم مفكر ناقد وليس بناء ، وفى عرف البعض الآخر مثير للتفكير ليس غير ، بينما يذهب فريق ثالث الى القول بانه اعظم داعية ، ومؤلف كتيبات للدعاية فى زمانه ، ويجرده من كل فضائله الاخرى ، وهكذا العظيم تختلف فيه الآراء ، كل يراه من زاوية معينة ، اذ تعسر رؤيته من جميع الزوايا فى آن واحد وعلى صعيد واحد ٠

ويوم انتقل « شو » الى المنزل الذى نحن فيه كان فى الخمسين من عمره ، وقد مضى على زواجه ثمانى سنوات ، وذلك فى عام ١٩٠٦ وبقى فيه حتى تشرين الثانى (نوفمبر) من سنة ١٩٥٠ وهى السنة التى مات فيها فى سن الرابعة والتسعين ، واطلق على هذه البقعة التى عاش فيها اسم « زاوية شو » Shaw'sCorner وما يزال الاسم باقيا الى يومنا هذا ، فبهيعرف المكان واليه تعنون الرسائل ٠

ويروى ان الذى حفزه على اختيار هذا المكان عثوره على شاهد قبر كتب عليه : « مارى آن ساوث ٠ ولدت سنة ١٨٢٥ ، وتوفيت سنة ١٨٩٥ وكان قصيرا » فاذا كانت السبعون عاما عمرا قصيرا فى هذه البقعة فما عسى ان يكون العمر الطويل ؟ اذ ذاك صمم على الانتقال الى هذا المكان ، ليحيا شيخوخة طويلة مبدعة خلاقة ٠

واول ما يلحظه الداخل الى مسكن برناردشو مطرقة الباب النحاسية التى تمثل برناردشو مع عنوان أحد مؤلفاته « الانسان والسوبرمان » ، وقد قامت بصنع مطرقة الباب هذه صديقته روزى بانكس دينكورت Rosie Banks Danecourt وهى التى أهدتها اليه ٠

والى يمين الوالج الى القاعة منظر من مناظر جزيرة كابرى الخلابة بايطاليا ، وعلى اليسار صورة بريشة صديقته ذات المقام الرفيع « النبيلة لورا نايت » Dame Laura Knight وقد سمتها « الليلة الاولى فى المقاعد الامامية بصالة المسرح » ٠

وهنا علقت قبعاته المشهورة فوقصندوق قفازاته وعصيه ، والى اليسار كرسى خيزران كان يجلس عليه ليلبس حذاءه قبل أن يترك الدار ، وخلفه دراجة ثابتة لاجراء التمارين الرياضية كان قد ابتاعها من فرنسا للحفاظ على مطاطية أوردته وشرايينه وتفادى تصلبها ، وعزل البيانو فى ناحية قصية ملاصقة للجدار ، فقد كان الضرب عليه من هواياته المفضلة ، ولعلها كانت تاتى بعد ولعه بالمسرحيات مباشرة ، ومن الطريف انه عندما كانت صفارات الانذار تطلق ، ايذانا بغارات جوية فى الحرب العالمية الثانية كان « شو » كثيرا ما يهرع الى البيانو ، ويغنى اوبرات بالايطالية ، ليبدد الخوف والوحشة ، أو لعله كان يعزف لحن الموت الاخير ٠

والى يسار البيانو رف مغطى يضم مجموعات موسيقية ، فيها قطعة لشتراوس وكانت الغرفة تجاه الداخل الى القاعة مباشرة هى مكتب المؤلف،

حيث تجد منضدة كبيرة ازاء النافذة المطلة على المروج الخضراء • هناك كان يجلس شو ، ليرد على رسائله ، ولا يزال المكتب على ما كان عليه عندما تركه لآخر مرة : الاقلام ، ومستلزمات الكتابة ، ومعجمات الجيب الصغيرة : الفرنسية ، والالمانية، والايطاليـة ، والمعجم التاريخي الصغير للاعـلام والاحداث ، للمراجعات الآتية !

وقد علق على جانب من مكتبه صورة صديقـه فيليب ويكستيد Philip Wicksteed الذى أثـر الى حد كبير بآرائه الاقتصادية على برناردشو ، فى فترة من الفترات ، وعلى الجانب الآخر صورة وليم موريس W. Morris الـذى نعته « شو » باربعة رجال عظام فى رجل ! وكان كبير الاعجاب بابنته الجميلة مى موريس May Morris

وتحت صورة وليم موريس منصة للمطالعـة عليها وثيقة الحصول على جائزة نوبل ، والمدلاة البرونزية التى تلقاها من الاكاديمية الارلندية للآداب سنة ١٩٣٤ ، ومفتاح لاحد مسارح لنـدن المشهورة •

وقـد خصص المكتب الصغير الى يسار مكتبه الكبير ، لسكرتيرته الآنسة باتش Miss patch

وكان « شو » بارعا فى اخذ الصور الضوئية ، مولعا بها ، وبقى لنصف قرن او يزيـد شـديد التعلق بآلات التصوير التى يمتلكها ، وقد راينا اثنتين منها فوق احدى خزانات الاضابير ، حيث كان يضعهما هناك دائما •

وفوق الراس الاخضر المستدير للمضجع الذى كان يسترخى عليه احيانـا صورة كاريكاتوريـة « لشو » نفسه يراجع كتابه « الاسلحة والانسان » للرسام الكاريكاتورى برنارد بارتردج Bernard Partridge.

وثمة صور اخرى : منها صورة لشو مع صديقه الكاتب المـؤلف جيسترتـون Chesterton ، فى ملابس رعاة البقر Cowboys ، عندما كانا يمثلان فى فيلم اخرجه بارى Barrie ولكنه للاسف لم يتمه •

اما الغرفة التى تلى المكتب فهى صالة الاستقبال والجلوس ، وكانت فى العقيقة غرفة زوجة شو ، فهناك صورتها بريشة سارتوريو A. G. Sartorio رسمها لها قبل زواجها بثلاث سنوات ، وذلك عندما كانت فى روما ، وقلما دخل برناردشو هذه الغرفة بعد وفـاة زوجتـه سنة ١٩٤٣ (١) ، الا لاستقبال زواره ، وفى هذه الغرفة تمثال صغير لجاندارك ، وآخر لشكسبير ، وجـائزة الاوسكار لفيلم « بجماليون » كاحسن فيلم لعام ١٩٣٨ ، وعلى مقعد صغير «يد» برناردشو منحوتة من الرخام، وعلى المنضدة الكبيرة تمثال نصفى من البرونز لشو، من صنع رودان Rodin ، وفوق خزانة الكتب اثر آخر لرودان ، هو رأس بلزاك •

وكان شو يطيل المكث فى غرفة الطعام ، وهى الغرفة الثالثة فى هذا الطابق ، ذلك لانه كان معتادا ان يقرأ اثناء تناوله الطعام ، ولا سيما وقت الغداء ، وكان نباتيا وقد طبع كتيبا يضم الاطعمة التى كان يتناولها ، وقد يستغرق تناوله الطعام احيانا نحو ساعتين ، وكان بعد فراغه من طعام العشاء فى السابعة والنصف مساء يجلس على كرسي وثير بالقرب من المدفاة وهو يقرأ او يصغى الى المذياع ، حتى يحين موعد نومه ، وقلما كان هذا النوم فى سنواته الاخيرة ، قبل منتصف الليل ، او الساعة الواحدة صباحا •

وفى هذه الغرفة بعض مخلفاته الشخصية من نحو قلم • حبر ، ونظارات طبية ذات اطار معدنى كان يستعملها فى اخريات ايامه ، وساعة جيب اعتيادية ، واخرى ذهبية ، وبطاقة دخول الى قاعة المطالعة فى المتحف البريطانى مؤرخة سنة ١٨٨٠ يوم كان لا يتجاوز الرابعة والعشرين ، وبطاقة عضوية نادى المتجولين على الدراجات مؤرخة سنة ١٩٥٠ (اى سنة وفاته وهذا من اعجب العجب !) ومما يلفت النظر ايضا وجود قطعة نقد ذهبيـة ضربت على عهد شارل السابع ملك فرنسا عندما كانت جاندارك ما تزال على قيد الحياة ، وربما قدمت له هدية بعد ذيوع صيت مسرحيته الشهيرة « جاندارك » •

(١) كان شو شديد التعلق بها . وكان لا يضارعحبه لها الا حبه للممثلة آلن تيرى التى اوصى ان يوضع غصن من حديقة منزلها على نعشه ، وكانت زوجته تقول دائما : « كان شو سيسعد اكثر لو تزوجها »

وعلى الجدران مناظر لدبلن ـ مسقط راس شو ـ وصورة زيتية فخمة بريشة اوغسطس جون الذى رسم صورا لمشاهير زمانه ، بينهم الملك فيصل الاول وتي ٠ اى لورنس (٢)

اما الصور المعلقة على الجدار فوق رف المدفاة فهي لغاندى ، ولينين ، وستالين ، وابسن ، وجيرجينسكي (احد اوائل البلاشفة) وصورة للشارع الذى ولد فيه « شو » بدبلن ، وكان في مرضه الاخير قد بعث بصورة الكاتب النرويجي ابسن لتوضع في اطار يليق به فعادت الصورة مؤطرة قبل وفاته ، في هذه الغرفة ذاتها ، بيوم واحد ، فاغمض عينيه مرتاحا لانه قام بتكريم مثله الاعلى في الكتابة المسرحية قبل ان يشرع في رحلته الابدية ٠

وتذكرت وانا في غرفة طعامه كيف انه صمم وهو في سن الخامسة والعشرين على ان يصبح نباتيا بعد ان قرا بيتين من الشعر لشيلي في قصيدته « ثورة الاسلام » The Revo t of Islam يقول فيها :

« لن يلوث ثانية دم طير او حيوان
بسيله السام الدافق وليمة انسان ! »

وشجعه على ذلك ضيق ذات يده ، فالاطعمة النباتية في المطاعم العامة اقل كلفة من الوجبات ذات اللحوم الطرية الشهية ، كان ذلك سنة ١٨٨١ وقد اخبر والدته عن عزمه ، فاستجابت لرغبته وعندما تزوج سنة ١٨٩٨ وهو في سن الثانية والاربعين من شارلوت بين تاونسهيند Charlotte Payne-Townshend ، قامت هي الاخرى بتلبية رغباته النباتية ، رغم انها هي كانت غير نباتية ، وكان الى جانب ذلك لا يتناول الشاي ، او القهوة ، او المشروبات الروحية ، فاذا تناول ضيوفه الكحول اخذ هو قدحا من الحليب ، او كاسا من الماء ، ولكن الغريب انه يفرط في تناول السكريات ولا سيما المعجنات و « الكريم المثلج » Ice Cream فاذا ما سمع بائعه قادما ترك ما هو فيه من مطالعة او كتابة ، وهرع كالطفل ليبتاع كميات كبيرة منه ، وكان يحب الكعك المتوج بالقشدة و «الكريم» والى ذلك فقد كان يفرط من اكل العسل كما تقول طباخته المسز الس ليدن Mrs. Alice Laden بل انه كان احيانا يجلس بعد العشاء وفي حضنه كوب مليء بالسكر الناعم ، يلتهم كميات غير قليلة منه بملعقة شاي ٠

ورغم هذا كله فانه كان محافظا على عدد السعرات الحرارية المخصصة له ، لا يتجاوزها قيد انملة ، فكان يزن نفسه يوميا ليتاكد من ذلك ، وكان ابدا يقول : « ان اللحوم سموم ، ولا تاتي القوة العضلية الا من اكل النبات ، انظروا الى الثور ، وانظروا التي فكلانا نباتي ، وكلانا قوى رهيب ! » الحق انه بقي على صحته وقوته وعافيته طوال حياته ، ولو انه بدا في اخريات ايامه بعد ان كسرت وركه شاحب اللون احيانا ، مما حمل طبيبه على ان يهمس في اذن طباخته بان تدس شيئا من « الويسكي » في حسائه ، فاحس « شو » بذلك فعزرها اشد تعزير !

ومررنا من غرفة الطعام الى المروج ، والحقول الخضراء ، والحدائق الفسيحة ، وتمتاز هذه بما فيها من تماثيل حيوانات من صنع الأمير تراوبيتسكوى Troubetskoy ، وكان « شو » يقوم بجولة قصيرة فيها صيفا وشتاء بعد الخامسة مساء ، وقد يتجه احيانا صوب القرية لممارسة رياضة السير على القدمين ٠

وفي اقصى الحديقة الشاسعة راينا البيت الدوار كما كان يسميه ، وفيه كتب الكثير من مؤلفاته ، فكان ينتجع فيه الراحة وهدوء البال ، مبتعدا عن مقابلة الاصدقاء والمعجبين به ٠

وما يزال كرسي الخيزران الذى كان يجلس عليه على وضعه قريبا من منضدة الكتابة ، وقد انتثرت مستلزماتها فوقها مع ورقة بيضاء ناصعة كانها تنتظر ان تهبط روح برناردشو يوما ما فتدون فيها ما استجد في ذلك الذهن المبدع الخلاق بعد مفارقتها لارضنا ربع قرن من الزمان ، او كانه كان قداعدها لتكون رسالة وداع ، فعاجلته المنية قبل ان يخط فيها شيئا !

وراينا الشجرة التي كانت سبب مصرعه ، فقد صعد على سلم ليشذب غصنا ناشزا بمقص طويل كان بيده ، غير ان طول المقص وطول قامته لم يجديا في الوصول اليه ، فاستطال بقامته اكثر فاكثر ، حتى مال الى جانب من السلم فسقط ارضا وانكسر عظم وركه ، فعولج فما اجدى معه علاج ، فكانت في ذلك منيته ٠ ■■

صفاء خلوصي

---

(٢) الصورتان الاخيرتان محفوظتان في متحف الاشموليان باكسفورد ٠

حكم

● قال ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : الصبر صبران ، فاعلاهما ان تصبر على ما لا ترجو فيه الغنم في العاقبة٠ والحلم حلمان: فاشرفهما حلمك عمن هو دونك٠٠٠ والصدق صدقان ، فاعظمهما صدقك فيما يضرك ٠٠ والوفاء وفاءان ، اسناهما وفاؤك لمن لاترجوه ولا تخافه ٠

الشعر بهذه

● قال عبد الملك بن مروان لارطاة بن سهية : هل تقول الآن شعرا ؟ قال : ماأشرب ولا اطرب ولا اغضب ٠٠ وانما يكون الشعر بواحدة من هذه ٠

وقيل لكثير : مالك لا تقول الشعر ؟٠

الفارس

● سأل عبدالله بن عباس صعصعة بن صوحان ، وكان من حكماء العرب وبلغائها، اخبرني يا ابن صوحان عن الفارس فيكم وحد لي حدا اسمعه منك ، فانك تضع الاشياء في مواضعها : قال : الفارس من قصر اجله في نفسه ، وضغم على امله بضرسه ، وكانت الحرب اهون عليه من امسه ، ذلك هو الفارس اذا وقدت الحروب، واشتدت بالانفس الكروب ، وتداعى الناس للنزال،وتزاحفوا للقتال،وتخالسوا المهج ، واقتحموا بالسيوف اللجج ،

قال ابن عباس احسنت والله يا ابن صوحان ٠٠ زدني رحمك الله ٠ فقال : نعم ٠٠ الفارس كثير الحذر ، مديد النظر،يلتفت بقلبه ، ولا يدير خرزات صلبه ٠٠ قال : احسنت يا ابن صوحان ٠

اجزعت ٠٠٠٠ !

● لما أمر معاوية بن ابى سفيان بقتل حجر بن عدى الكندى فى ثلاثة عشر رجلا معه٠٠قال حجر : دعونى اصلى ركعتين٠٠فتوضأ واحسن الوضوء ، ثم صلى وطول، فقيل له : اجزعت ؟ فقال : ماتوضأت قط الا صليت ، ولا صليت قط صلاة اخف من هذه الصلاة ، وان أجزع ، فقد رأيت سيفا مشهورا، وكفنا منشورا ، وقبرا محفورا ٠ فقيل له : مد عنقك ؟فقال : ان ذلك الدم ما كنت لاساعد عليه، فقدم فضربت عنقه ٠

الغلال

أجبلت ؟ فقال : ما كان ذلك ، ولكن فقدت الشباب فما اطرب ورزئت بعزة فما انسب ، وذهب الشباب فما اعجب ، ومات ابن ليلى فما ارغب ، وانما الشعر بهذه الخلال ·· (يعنى بابن ليلى عبد العزيز بن مروان) ·

لم أكذب

● قال الحجاج يوما لبعض اصحابه ، ما يقول الناس عنى ؟ فاستعفوه فلم يعفهم ، واصر ان يقولوا ، فقام احدهم وقال : يقولون انك ظلوم غشوم ، قتال ، كذاب ·· قال : كل ما قالوه قد صدقوا فيه الا الكذب ، فوالله ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين اهله ·

افحام

● حكى ان يحى بن خالد البرمكى كان يطوف مع هارون الرشيد فى اسواق بغداد، فرأى الرشيد احمالا كثيرة تنقل على دواب، فسأل الرشيد عنها ، فقيل له : هذه هدايا خراسان الى امير المؤمنين يعث بها على بن على بن ماهان · وكان ابن ماهان هذا قد ولى خراسان بعد الفضل بن يحى البرمكى · فقال الرشيد ليحيى اين كانت هذه الاحمال فى ولاية ابنك الفضل ، فقال يحيى : كانت فى بيوت اصحابها يا امير المؤمنين · فافحم الرشيد ولم يحر جوابا ·

حديث

● قال ابو يعقوب الخريمى : تلقانى سعيد بن وهب مع طلوع الشمس ، فقلت، أين تريد ؟ قال : ادور لعلى اسمع حديثا حسنا · ثم تلقانى أنس بن ابى شيخ، فقلت : اين تريد ؟ قال : عندى حديث حسن ، فانا اطلب له انسانا حسن الفهم ، حسن الاستماع · قلت : حدثنى به · قال : انت حسن الفهم ، سيء الاستماع · وما ارى لهذا الحديث الا اسماعيل بن غزوان ·

شهرنا نقص يوما

● هوى رجل امرأة من قبيلة تغلب ثم تزوجها ، واهدى اليها ثلاثين شاه وزقا من نبيذ معتق ، وبعث ذلك كله مع احد غلمانه ، فلما صار الغلام فى الطريق ، فتح زجاجة النبيذ وشرب بعضا منها ، ثم ذبح شاة واكلها ، فقالت المرأة للغلام ، لما اراد الانصراف : اقرىء مولاك السلام، وقل له : ان شهرنا نقص يوما ، وان سحيما راعى شياهنا اتانا مرثوما مكسورا · فلما اتى الغلام الى مولاه ، أخبره بما قالت له المرأة ، فضربه حتى أقر ·

غبارٌ .. غبار !

ركَضْنا ، برَى الركضُ أقدامنا   فليس على الدرب إلا الغُبارْ
نروح ونغدو ، نكدُّ ونشقَى   ويدفعنا السيْلُ عبْرَ القِفار
ونَضْوِى ، وتذبلُ آمالُنا   كما يَذبلُ الزهرُ بعد ازدهار
نَشيدُ الديارَ ، وياليتنا   بُعَيْد النوى تحتوينا الديار !
ونُعلى الحجارةَ فوق الرفات   لنبقى ، فتضحك منا الحجار !
ونركض فى الليل ، عبْرَ النهار   نريد الفرار ، وأين الفرار ؟
لماذا أتينا ؟ وماذا جنينا ؟   وعما قريب يُحَطُّ الستّار
وتغتمض العين عن عالم   هو الحلمُ ، رفَّ جناحا ، وطار
غدا ، سوف يكثُرُ عنا السؤالُ   وبعد غد ، لا سؤالٌ يُثار
وقد تشرق الشمسُ من بعدنا   ويسطع للمُدْلجين النهار
كأن لم نجئ ساعةً للحياة   ولم نَفْرَعِ الروضَ بعد اخضرار

***

ويا عابرا بيديك الزهور   وحولك أوراقها فى نِثار
كأن دماءك فى وردها   تضُوع عبيرا ، وتزهو احمرار !
تمتّع صباحا بشم العَرارِ   فأنت ، مساءً ، طعامُ العَرار

***

هو العقل أعطاك حكمَ اليقين   بماذا تشك ؟ لماذا تحار ؟
تمسكت بالعيش ، تبغى الخلود   تطول الليالى ، وهنَّ القِصار
تمر الحياة مرورَ القِطار   وركابُها أبدا فى انتظار
قوافل يعدو عليها الفناءُ   ولا شىء .. لاشىء إلا الغُبار

خليل الهنداوي
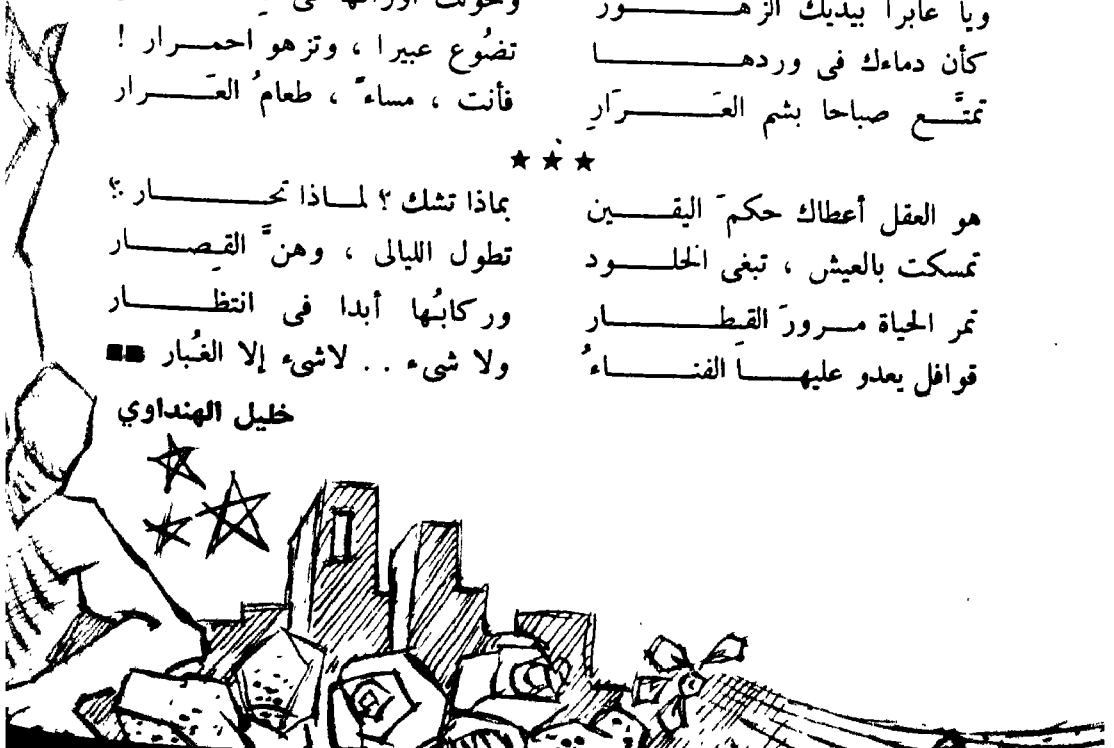
مسيلات الدم

● اتناول الاقراص المسيلة للدم بعد اصابتي من جلطة في شريان تاجي القلب ، وذلك منذ ثلاث سنوات ، فما هي الاحتياطات الواجب اتباعها في مثل هذه الحالة ؟

أولا : يجب ان يكون معروفا لدى العائلة ولدى طبيبك انك تتناول هذه الحبوب،حتى يكونوا على علم بذلك في حالة الاصابة والنزف ، او في حالة حدوث غثيان او غيبوبة ، كي يمكن التغلب بسرعة على النزيف باعطائك العلاج اللازم. ويستحسن أن يكون ذلك مدونا في بطاقة تحملها دائما معك .

ثانيا : ان تقوم بالتحاليل الطبية حسب رأى الطبيب كل اسبوعين او ثلاثة او كل شهر ، حتى يمكن التوصل لكمية الدواء اللازمة لابقاء الدم في حالة السيولة اللازمة، ولابقاء ما يسمى ب Prothrombin Time ما بين ٢٥٪ ــ ٣٠٪ ويمكن ان تنقص او تزاد كمية الدواء حسب الحاجة للوصول الى هذا المستوى .

ثالثا : في حالة التوقف عن استعمال الدواء لا بد ان يكون ذلك تدريجيا حتى لا يحدث رد فعل ، ويحدث نزيفا شديدا .

رابعا : يوقف الدواء اذا اصيب المريض بجرح ، او اذا كان ستجرى له عملية ، او خلع ضرس او اصيب بالتهاب شديد معرض للتقرح حتى لا ينزف منه ويكون النزف شديدا .

خامسا : تقلل كمية الدواء ، او يوقف اذا كان هناك اضطراب في امتصاص فيتامين (ك) كما هو الحال في الاسهال الشديد المصحوب بشحم في البراز ، او انسداد المجرى المرارى ، او التهاب الامعاء مع الاسهال الشديد .

سادسا : لا تؤخذ الادوية التي تزيد من فعالية المسيل للدم مثل اقراص الاسبرين وما شابهها ، والادوية التي بها ثيوفلين Thecphilline او ثيوبرومين Theobromine واذا اضطر الانسان الى تناولها وجبان يقلل من كمية سيل الدم .

سابعا : في حالات امراض الكبد كالالتهاب الكبدى ، او تليف الكبد ، اذ ان كمية البروثرومبين Prothrombin Time تقل ، وهذا يوجب ان يقلل المريض من كمية الدواء او يمتنع عن اخذها خوف النزف .

ثامنا : في حالات امراض الكلى ، لا تؤخذ المسيلات لانها تتجمع داخل الجسم ، ولا تفرز ، وبالتالى تسبب نزفا شديدا في اوعية الكلى نفسها وعلاوة على نزف في اماكن اخرى من الجسم .

تقلصات الوجه

● اشكو من تقلصات تعتريني في الوجه من آن الى آخر ، فما سبب ذلك ؟

ـ التقلصات التي تحدث في الوجه ، وهي حركات غير ارادية لعضلات الوجـه تنتج من اسباب عدة ، حتى انه يصعب على الطبيب في بعض الحالات تشخيص المرض الا بعد استيفاء الفحوصات اللازمة وعمل الاشعات المختلفة ٠

واحد هذه الاسباب هو حدوث شلل في عصب الوجه ، فبعد ان تتوقف العضلات عن العمل في الفترة الاولى من هذا الشلل يبدأ العصب في النمو ، فاذا تأخرت عودة العصب الى عمله لفترة ، فاننا نجد انـه عندما يحرك المصاب عضلات الوجه تحدث تقلصات في اجزاء اخرى من الوجه ،فمثلا عندما يبتسم المصاب ، ويحرك عضلات الشفتين نجد ان جفونه تتحرك بحركات تكون في بعض الحالات مغلقة ، وتضـع المصاب في مواقف حرجة ، ولعل السبب يعود الى ان هناك بعض فروع العصب حين يعود للنمو تذهب الى عضلات ليس من المفروض ان تذهب اليها،وهو ما نسميه بالتفرعات الشاذة ٠

ولعل اكثر حركات الوجه غير الارادية هي التي تحدث حول العينين ، وتكثر عادة عندما يكون الشخص متعبا او مضطربا ٠ وهي عادة لا تدل على اى مرض فـي الجهاز العصبي ، وبمرور الوقت يقـل حدوثها بزوال المسبب لها ٠

وفي بعض الحالات تحدث تقلصات في عضلات الوجه ، وتؤدى الى حركات غـير ارادية لا يحس بها المريض في بعض الحالات ٠ وتحدث هذه في مرض الرعاش، عندما يتعاطى المريض كمية كبيرة مـن دواء « ليفودوبا Live dopa » ٠ وكذلك في بعض الادوية المهدئة ٠

وفي بعض الحالات تكون تقلصـات شديدة وغير منتظمة ، وتحدث في النهار ، واثناء النوم،ويعتقد ان ذلك راجع لضغط على عصب الوجه اثناء مروره في قناتـه الخاصة ٠

وفي بعض انواع مرض الصرع تحدث تقلصات في عضلات الوجه ، ولكن سرعان ما ينتشر الى الرقبة والذراع ثم الطرف السفلي ، مع اضطراب في قوى الشخص العقلية ٠

وفي بعض امراض الجهاز العصبي في المخ،والمخ الاوسط والمستطيل والنخاع الشوكي تحدث تقلصات في عضلات الوجه، ويمكن معرفة السبب ، بوجود اعراض اخرى ناتجة عن هذا المرض ٠

من ذلك نرى ان الاسباب متشعبة وتحتاج الى دقة في الفحص وعناية في التحاليل والاشعة لمعرفة المرض الاصلي الذى يسبب ذلك ٠

انسداد شريان

● منذ اصبت بانسداد في شريان تاجي القلب ، وانا استعمل عقـار (الدنديفان Dendivan) الذى يساعد، كما يقولون على سيولة الدم وعـدم تجلطه ، وهذا لفترة تقارب العشر سنوات ٠٠ فهل هناك ضرر من كثـرة الاستعمال ؟

ـ لقد اختلفت الآراء حـول هـذا الموضوع٠ولكن معظم المستشفيات تستعمل طريقة اعطاء المريض مسيلات الدم فـي فترة وجوده في المستشفى ، وبعد خروجه لمدة ستة اسابيع فقط ، خـوف حـدوث انسداد شرياني آخر او انسداد في اوردة الساقين ، وبالتالي ذهاب السدة الى الرئة،

فيتامين C وفوائده

● هل هناك ضرر من اخذ فيتامين ت (ج) C بكميات كبيرة ‥ وهل هذا مفيد صحيا ؟

ـ ان ما يتطلبه الجسم من فيتامين (ث) هو ٤٥ ملجرام يوميا ، وهذه الكمية تمنع حدوث مرض الاسخبوط الناتج عن نقص فيتامين (ث)٠ولقد لوحظ ان فيتامين (ث) يستنفد بسرعة من الجسم عند تعرضه لبعض الامراض ، لذا كان من الواجب تعويض الجسم عما فقد ، وذلك بكميات كبيرة تصل الى حوالى جرام يوميا ٠ واذا كنا نريد ذلك بسرعة اعطى هذا الفيتامين عن طريق الحقن ، او بطريق الفم ٠ وبما ان فيتامين (ث) يذوب فى الماء فهو لذلك لا يختزن فى الجسم ، واى نسبة زائدة عن الحاجة ، فانها تنزل فى البول ٠ اذن ليس هناك ضرر من استعمال فيتامين ت ٠ الا فى حالة استعماله فى غير موضعه ٠

وننصح باستعمال فيتامين (ث) بكميات كبيرة فى حالات الامراض المزمنة كالالتهابات المزمنة ، وامراض القلب والشرايين والتعرض الكثير لنزلات البرد (الرشح) والسرطان . لانه كما قلت تقل نسبة فيتامين(ث)فى الدم فى هذه الامراض لسرعة تمثيلها فى الجسم ، وبالتالى يفقد مستواه العادى ، على انه فى الامكان الاستعاضة عنه بالاطعمة الغنية بفيتامين (ث) واهمها الموالح كالبرتقال والليمون ٠

ومن المعروف ان فيتامين (ث) من الفيتامينات التى تذوب فى الماء ، واى كمية تزيد عن حاجة الجسم فانها تنزل فى البول ولا تختزن،اذن فلا ضرر من استعمال فيتامين (ث) ولكن فى حدود المعقول حتى لا يساء الاستعمال ٠

التاجى للقلب

وربما كان ذلك خطيرا يودى بحياة المريض٠ ويجب ان يكون ذلك الاستعمال صحيحا ، اى ان الكمية اللازمة لبقاء ما يسمى Prothrombin time ما بين ٢٥ ـ ٣٠ ٪ باستمرار ، وتحت رقابة شديدة من التحاليل وغيرها ، حتى لا يتعرض المريض للنزيف ٠ وهذه الطريقة عادة تستعمل للمرضى الذين لم يتجاوزوا ٦٠ عاما ، وحسب رأى الطبيب ٠

اما استعمال العقاقير المسيلة للدم هذه Anti Coagulents لفترة اطول بعد الانسداد الاول ، فهناك مدارس تحبذ ذلك لما وجدته من احصائيات ، على ان تكرار النوبة او حدوث مضاعفات او نسبة الوفيات تقل باستعمال هذه المسيلات عما اذا كان المرضى لا يتعاطون هذه المسيلات، واتخذت هذه الاحصائيات مبررا لاستعمال المسيلات لفترات طويلة ، شريطة ان يجرى المريض الفحص باستمرار وتكون Prothrombin time بين ٢٥ ـ ٣٠٪ من المستوى الطبيعى ، لا ان يؤخذ الدواء، وتكون هذه النسبة مرتفعة وقريبة من الطبيعى ، كما يفعل الكثيرون ، وحجة الذين ضد استعمال هذه المسيلات ، ان المريض لا يتقيد بالتحاليل ، وخطورة النزف قائمة اذا اهمل فى ذلك ، وهذا يعرض حياته للخطر ٠

والذى يجب الاشارة اليه ، انه اذا اراد مريض ان يوقف هذه المسيلات ، فلا بد ان يكون ذلك تدريجيا ، لا ان توقف فجأة، فيكون رد الفعل شديدا ، ويحدث نزيف شديد ، قد يؤدى الى مضاعفات ٠ ■■

قضية

زوجتي أنجبت طفلك ..

بقلم : محمد احمد ابو الرب

■ نظرت الى رأس زميلى الذى غزاه الشيب ، والكهولة ظاهرة على وجناته ، تضاربت الافكار فى رأسى • اود ان اساله عن سر هذا الشيب • ترددت كثيرا فى الطريقة التى اساله بها عن ذلك، فسالته : كم تبلغ من العمر الآن ؟

فوجئت عندما اجابنى بانه قد بلغ الخامسة والاربعين ، فى الوقت الذى كنت اظن انه تعدى عامه الستين • بدات اتساءل لماذا يبدو عليه الكبر بهذا الشكل قبل الاوان ؟ بدات اتحسس مشاكله كى استنتج او اصل الى ذلك السر دون ان يشعر• فقد ظننت ان ذلك ناتج عن كثرة الاولاد ومشاكلهم، سالته عن السن التى تزوج عندها ، فاجابنى : لقد تزوجت قبل خمسة وعشرين عاما ، فسالته : كم عندك من الاولاد ؟ اجاب : اننى لم انجب بعد اطفالا • انها مشكلتى مع زوجتى التى لم تترك وسيلة من وسائل العلاج الا سلكتها ، دون فائدة ! لقد بقيت مهتما بالانجاب حتى مضى على زواجى عشر سنوات ، بعدها اقتنعت بحكم الله ورضيت بما كتب لى • واننى الآن لا ابالى لذلك ولكنها هى • واظن انه قد فاتنا القطار •

فوصلت بهذا الى ذلك السر الذى شغلنى اياما •

كان ذلك ولم يمض على زواجى الا بضعة اسابيع • لقد كنت اعيش قبل الزواج مع جماعة من الاصدقاء لا نعرف طعما للراحة ، فاذا نام احدنا كان للآخرين رغبة فى السهر وكان ينتج عن ذلك هرج ومرج وفوضى • كانت اياما ممتعة ولكنها مرهقة •

حينما فكرت فى الزواج ، كان الهدف الاول لى هو الجو العائلى الهادىء الذى افتقدته لثمانى سنوات • فكرت ان لا انجب لخمس سنوات حتى اعوض تلك الايام الصاخبة • وحتى [illegible] بيتا هادئا لا ضجيج به ولا فوضى •

سمعت ما قال لى زميلى • وغيرت كل ما كنت قد خططت له ، فلم يعد البيت المريح يهمنى ولا الهدوء • وطالما تساءلت ماذا لو اننى فوجئت بعد السنوات الخمس التى قررت أن لا انجب خلالها بانى ساواجه نفس المصير ؟ تساءلت : كيف يقضى هذان الزوجان اوقاتهما دون زينة الحياة الدنيا ؟ ما هى الروابط التى توثق الصلة بينهما وتشد احدهما الى نصفه الاخر ، ويضع البسمة على شفاههما ؟

توقفت عن الموانع التى بدات بها ، واصبحت انتظر اللحظة التى اسمع بها ان زوجتى حامل • واسابق الزمن ، فاريد ان تمضى الايام بسرعة حتى اسمع تلك الكلمة التى لم تخطر لى على بال من قبل • اصبحت اكثر الاسئلة على زوجتى واكرر نفس السؤال : هل تحبين الاطفال ؟ واجيب على تساؤلى قبل ان اسمع منها الجواب • لا جمال للحياة بدونهم • ولولا الضيق الذى كان يبدو على وجهها كلما وجهت لها ذلك السؤال لسالته لها عشرات المرات يوميا • لقد كنت ارى ان اى حديث يخلو من احاديث الحمل والوضع والابناء • حديث ليس له معنى •

مضت ايام ، وكلما مر يوم ازدادت همومى وازداد تفكيرى وازدادت عندى الرغبة فى السرعة فى الانجاب ، حتى اطمئن بان بيتى لن يكون خاليا من المرح والحياة • وذات يوم عندما عدت من العمل الى البيت • وجدت زوجتى تعانى من ضيق وملل لم اعهدهما من قبل • لقد احسست باننى وصلت الى ما تمنيت وسارعت بها الى الطبيب وانا لا ادرى كيف اسير ، ورايت كانما اتسعت الدنيا فى

عيني حتى تضاعفت المسافة بيننا وبين ذلك الطبيب. وكل ميل اقطعه كانه الف ميل . كنت في الطريق ادعو الله أن يكون ما توقعت . ووصلت الى العيادة وازددت ضيقا حينما رأيت عددا من المرضى قد سبقوني وسوف يطول الوقت الذى اصل فيه الى النتيجة ، والذى اسمع به ذلك الخبر السار لو حدث ما توقعت .

جلست في غرفة الانتظار ولكن كمن جلس على الجمر . الهي ! متى يحين الموعد الذى سارى به الطبيب ، ماذا افعل ؟ هل استاذن من المرضى كي يسمحوا لي بالدخول قبلهم . ولكن معظمهم في حالة أسوأ من الحالة التي اعانيها وكل منهم ينتظر اللحظة التي يدخل فيها الى الطبيب علّه يجد عنده مايريحه مما يعاني . راقبت الداخل والخارج وكلما خرج احد المرضى ،احسست بسعادة شديدة .

وجاء دوري ، فدخلت بزوجتي مسرعا الى الطبيب الذى بدأ يوجه لها الاسئلة عن حالتها فور دخولنا ، وما أن ينتهي من سؤاله لها حتى يسمع الجواب مني . وقد خيل اليه بانني انا المريض الذى اعاني الالم وليست هي .

فخاطبني بلهجة المنزعج : « انني أسأل المريضة ولا أسألك أنت ، فأرجو أن تلتزم الصمت حتى اتمكن من تشخيص حالتها » .

ماهي الا دقائق حتى استمتعت بسماع الكلمة التي تمنيت سماعها : « مبروك ، زوجتك حامل » .

كدت اطير من الفرح في تلك اللحظة ،اود ان اخبر جميع الأقارب وجميع الاصدقاء ، اريد ان اخبر جميع الذين كان يهمهم ذلك الأمر في لحظة واحدة .

وبدأت ارقب اللحظة التي سيحضر فيها ذلك الضيف العزيز . واحلم بان البيت سيمتلىء بالبهجة والسرور حين قدومه . اصبحت احتج على اقل جهد تبذله مهما كان بسيطا حرصا على الجنين ، وابذل كل ما بوسعي لاوفر لزوجتي الراحة والهدوء . مضت الأيام وانا اعدها بالدقيقة والثانية . اسال عن اخباره ، اناجي الجنين متى ستطل علينا ؟ متى تملأ علينا البيت بالبهجة والسرور ؟ خير لك لو حضرت في الشهر السابع . ما هو شكلك ؟ ماذا ستصبح وكيف ستكون بعد عشر سنين ، بعد عشرين سنة ؟ تدور في خلدي اسئلة كثيرة ، واتساءل كثيرا كان قد

مضى على زواجي عشرون عاما دون انجاب ، كانني معروم لقى ضالته بعد ياس •

لقد اصبحت فى شهرها الرابع ، وبدأ الجنين يتحرك ، اصبحت زوجتى تضيق ذرعا من كثـــرة الاسئلة التى اوجهها لها حول حركاته • فقــد كانت اللحظة التى لا اسمع بها اخباره تضيــع سدى • وبدا يكبر حتى بلغ الشهر السابع ، وكل يوم يمضى يحل محله يوم اطول •

مضى الموعد الـذى توقعـه الطبيب للوضــع ، والوقت يطـول ، مضى يوم ومضى الأخـر وسالت نفسى مرارا اى علم هذا واى طبيب • لقد فاتت ايـام دون ان تضــع • فعلى اى اســاس استنــد الطبيب فى تحديد ذلك اليوم للوضع • كنت اطبق نصائح الطبيب كلمة كلمة • ومضى اسبوع وتبعه الآخر ، وفى نهايته ، بدات تظهر علامات الوضع ، التى اصبحت اعرف عنها الكثير • تمنيت لو أننى اقدر على البقاء بجانبها • ولكن عهدت بها الى من يعتنى بها اثناء خروجى من البيت للعمل او لمهمة لا اقدر على تاجيلها •

عدت الى البيت ولم اجد به أحدا : ترى هــل ذهبت الى المستشفى ؟ ولــم يطـل تساؤلى حـين وجدت الجواب مكتوبا على ورقة : اننى ذاهبة الى المستشفى اساله تعالى أن ينتهى الامر على خير •

لم اجد لى وسيلة اسرع من الهاتف • طلبت الاستعلامات • وجاء الرد بان المريضة التى تسال عنهــا لم يمض عليهــا بالمستشفى أكثر من عشر دقائق • اقفلت الخط وانتظرت ساعة تشاغلت بها من الهاتف وعدت اليه وقوبلت بالنفى • وساعة بعد ساعة حتى منتصف الليل • افقت فى الساعة الثالثة من حلم مزعج كانه الكابوس • وذهبت الى الهاتف وطلبت المستشفى وكانت الاجابة بالنفى • لم اعد اقدر على غمض اجفانى •

الساعة الآن السادسة • على ان اتاهب للذهاب للعمل • لقد ذهبت للعمل محمر العيون • وكلما قابلنى أحد واجهنى بهذا السؤال : الم تنم الليلة الماضية ؟ نعم لم أذق طعم النوم • وصلت الـى مكتبى وجلست على الكرسى بتثاقل ، وادرت قرص الهاتف ولكننى قوبلت بالنفى • الهى ! هل كتب على أن انتظر كل هذا الوقت الطويل • اصبحت لا أهتم باخبار المولود ولا اريد ان اسمع شيئــا او يهمنى شىء الا سلامة زوجتى •

ومضت ساعتـــان ، وادرت قـرص الهــاتف ، وسالت فاجبت بانها وضعت طفلة • سالت دموعى من الفرح وحمدت الله على السلامة •• واذا بزميل يدخل وقد راى الدموع تسيل من عينى : ما بك يا صديقى ؟ أجبته : لقد رزقت طفلة •

ـ لا تهتم ! الحمد لله على سلامة الام •

ودون أن أسمع منه كلمة مبروك • لقد ظـن بانى حزنت لان اول مولود لى طفلة ، ومضى يقول ان التى انجبت الطفلة لهى أهل لانجاب طفــل • فلا يهمك ذلك • ودخل آخر وسمع ما يقــول لى زميلى ، فاخذ الآخر بدوره يخفف ما ظن بانى اعانى منه قائلا : لا فرق بين الابن والابنة هذه الايــام أسأل الله أن يعطيك اخا لها • عندها احسست باننى اود لو أنها كانت طفلا وليست طفلة • الامر الذى لم أفكر به من قبل •

ذهبت الى مكان قريب واحضرت بعض الحلوى التى كنت قد اضاعفها لو لم أسمع تلك الكلمات التى هى أشبــه بكلمــات المواســاة • ودرت على مكاتب جميــع العــاملين اقدم لهم الحلوى • مــا الخبر ؟ •• رزقت طفلة ••• طفلة ! مبروك ! نسال الله أن يعطيها اخا •

عدت الى مكتبى ، وقــد تمنيت لــو لم اذهب لتقديم الحلــوى بنفسى • وليقولوا ما يشاؤون قوله • ولكن فات الاوان • جلست لوقت طويل حتى تهدأ نفسى ، واخفى ما احسست به من ضيق عن زوجتى • وقد مضى على انتظارى وقت ليس بقصير دون أن يتم ذلك • نظرت الى الساعة • لقد قارب موعد الزيارة على الانتهاء • يجب أن اذهب على الفور • حملت بعض الهدايا وذهبت مسرعــا حيث وجدتهــا تنتظرنى لتبشرنى بقدوم الضيف الذى طالما انتظرته • ولم تعلم ما وصلت اليــه من غم نتيجــة قدومه • حمدت الله على سلامتها وعادت الدموع تسيل من عينى • وقد ظنت بأن تلك الدموع ما هى الا دموع الفرح •

وبعد لحظــات سالتنى : الا ترغب فى رؤيــة ابنتك ؟

بلى ! فنظرت الى الطفلة البريئة ، ولا أدرى اى شعور شعرت • وما ذلك السحر الذى جذبنى اليها • فانشرح صدرى ، وزال كل ما احسست به من الغــم • ودخــل السرور الى نفسى • وكاننى افقت من سبات عميق • عدت وحمدت اللــه على سلامتها وباركت لها ، كاننى لم ارها من قبــل ، وقبلت ابنتى وقبلت زوجتى ■■

محمود أحمد أبو الرب

مسجلات - راديو فيليبس
الكمال رفيقك
أينما كنت
فيليبس

بنك لومبارد نورث سنترال

يقدم الفوائد التالية دون خصم الضريبة البريطانية في المصدر :

٩½٪ في السنة

حساب ودائع عادية

(لا يوجد حد ادنى للوديعة)

تعطى مهلة ٦ أشهر قبل السحب: الفائدة ٩½ ٪ في السنة. مهلة ٣ أشهر : ٩٫٠٪ في السنة. يمكن سحب ١٠٠ جنيه دون الطلب خلال السنة. الفائدة تقيد لحساب المستودع أو تدفع كل نصف سنة.

٩¾٪ في السنة

ودائع بدخل شهري

(الحد الأدنى للوديعة ١٠٠٠ جنيه)

مدة محددة طولها سنة واحدة تربح ٩¾٪ في السنة. سنتان أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات تربح ١٠¼٪ في السنة. تدفع الفائدة كل شهر.

١٠٪ في السنة

ودائع زمنية

(الحد الأدنى للوديعة ١٠٠٠ جنيه)

مدة محددة طولها سنة واحدة تربح ١٠٪ في السنة. سنتان أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات تربح ١٠½٪ في السنة. تدفع الفائدة كل نصف سنة.

للحصول على كامل التفاصيل لمختلف حسابات الودائع الممكن فتحها معنا، ارسل الكوبون بالبريد اليوم.

To: The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Limited,
Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU, England

الاسم : ____________

العنوان : ____________

S182

احد المصارف التابعة لمجموعة بنك نا شونال وستمنستر التي يجاوز رأسمالها واحتياطاتها ٧٩٧ مليون جنيه استرليني.

فافر-لوبا

الكوارتز ريدر ٣٢٧٦٨ Hz

العقل الالكتروني الذى يعطى الوقت

فى الوقت الحاضر يوجد بين مجموعة الفافر ـ لوبا جيل جديد من ساعات الكوارتز،حركتها منظمة بواسطة دائرة دقيقة تجعل من فافر لوبا كوارتز ، عقلا الكترونيا لاعطاء الوقت ·
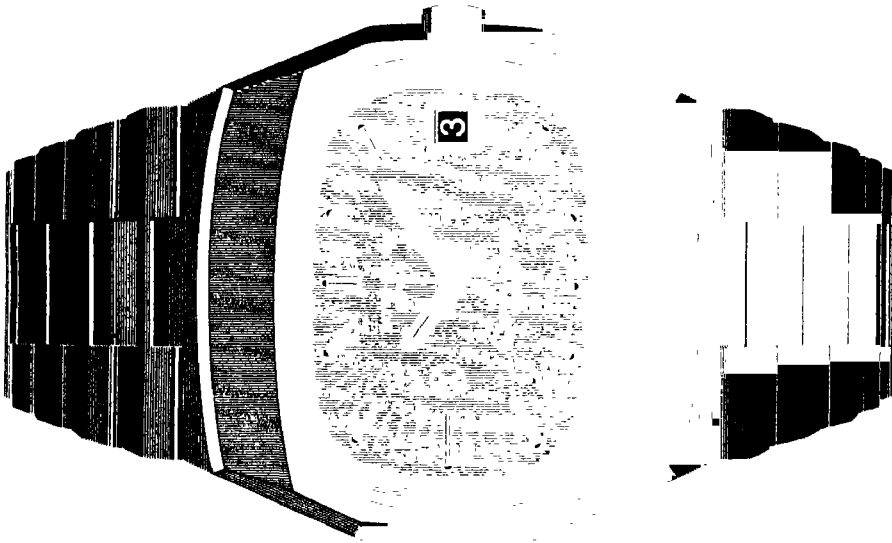
ان الكوارتز ريدر هو طرازنا الطليعى ، وأكثر ساعات الكوارتز أناقة فى أيامنا هذه · فقد اختار لها مصممو فافر ـ لوبا اطارا جذابا معبرا عن القوة الخلاقة واصالة التصميم ·

فافر ـ لوبا الكوارتز ريدر ٣٢٧٦٨ Hz تبين التاريخ ·

من المسرح العالمى

وزارة الإعلام فى الكويت

أول اكتوبر ١٩٧٥

٧٣ / ٣

من الأعمال المختارة

جورج شحادة - ٣

• السفر • سهرة الأمثال

ترجمة وتقديم : أدونيس

العدد ٢٠٤
شوال ١٣٩٥
نوفمبر
(تشرين الثاني ١٩٧٥)

لوحة « الشفقة »للفنان فان جوخ رسمها وهو على فراش المرض فى مستشفى سانت ريمى عندما خلا الى نفسه وراح يستعيد ذكريات حياته المفعمة بالآلام النفسية ، هكذا صور جوخ نفسه بين يدى هذه المراة ..

راجع الموضوع
صفحة ٦٦

« جسر انجلو »فى بلدة ارل بجنوب فرنسا .. جسر وعربة صغيرةتعبره ونساء يغسلن ثيابهن على ضفاف النهر .. عبر فان جوخ فى هذه اللوحة الجميلة عن حبه للطبيعة بالوان زاهية وضعفيها صفاء روحه.

عزيزي القارئ

● من سادات العرب وحلمائهم وشعرائهم في الجاهلية ثم في الاسلام ، قيس بن عاصم المنقري . كان يوما في مجلسه يحدّث قومه ، فجيء اليه بابن له قتيل ، وابن اخ له مكتوف اليدين ، وقيل له : « ابن اخيك هذا ، قتل ابنك هذا » فلم يقطع حديثه ، ولم يغير جلسته ، حتى اذا فرغ من الحديث التفت الى القاتل ، وقال له : يابني ، نقصت عددك ، واوهيت ركنك ، وفتتّ في عضدك ، واشمت عدوك ، واسات بقومك » ثم التفت الى القوم ، فقال : « اين ابني فلان ؟ فجاءه ، فقال : « يابني ، قم الى ابن عمك فاطلقه ، والى اخيك فادفنه ، والى ام القتيل فاعطها مائة ناقة ، فانها غريبة ، لعلها تسلو عنه » .

★ ★ ★

وبلغ اعرابيا ان ابنا له قتل ، فاخذ سيفه ليقتص من قاتله ، فلما قدّم اليه القاتل ، اذا هو اخوه ، فالقى السيف ، وهو يقول :

« أقول للنفس تأساءً وتعزية
إحدى يديَّ أصابتني ولم تُرِدِ
كلاهما خلَفٌ من فقْدِ صاحبه
هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي »

●●

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

انت تسأل ونحن نجيب :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 204 NOVEMBER 1975 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● فى كل مرة تقفل فيها قناة السويس، تصاب « عدن » بشلل كامل .. واليوم عادت الحياة الى ميناء عدن بعد فتح القناة ، وعادت الابتسامة الى وجه المراة العدنية ، التى تطورت خلال هذه الفترة ، فاصبحت طبيبة وقاضية موظفة وعاملة .. تتمتع بكافة حقوقها ، بعد ان عانت كثيرا من امتهان كرامتها كانسانة ·

(انظر استطلاع عدن ابتداء من ص ٧٢)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس · الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا · سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش · الاردن ١٠٠ فلس · السعودية ريالان سعوديان · السودان ١٠ قروش · ج·م·ع ١٠ قروش · تونس ٢٥٠ مليما · الجزائر ٢ر٥ دينار · المغرب ٢ر٥ درهم · اليمن ٢ر٥ ريال · ليبيا ١٥٠ درهما · جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ·

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص · ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى · وبالنسبة لبلدان المغرب العربى يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ــ ساحة باندونج ــ ص·ب ٦٨٣ ــ الدار البيضاء ــ المغرب ·

بريد القراء
ومعرض آرائهم

امريكا ... والعرب

● انا عربية اعيش فى نيويورك منذ مدة ، وقد هالنى الجهل الذى يغلف ادمغة الشعب الامريكى بنا نحن العرب .. فهم لايعرفون عنا اكثر من اننا اقوام نسبح فى الجهل والظلام .. ولا يصدقون ان مجلة كـ « العربى » تصدر عن بلد عربى ..

وظاهرة جهل الشعب الامريكى والشعوب الاوروبية بالشعوب الاخرى ظاهرة واضحة لاتحتاج الى دليل .. فهم لايجهلون الشعب العربى فحسب ، بل ان جهلهم يغطى معظم شعوب العالم ، اى ان ثقافة الفرد الاوروبى او الامريكى العامة لاتعدو مصالحه الخاصة .

وبدافع من عروبتى ، فكرت ان اقترح عليكم دعوة وزارة الاعلام فى عالمنا العربى ، كى تتصدى لمسئولياتها ، فتقوم بهذه الرسالة التى هى من صميم اختصاصاتها .

عربية من نيويورك

مسابقات « العربى »

● لاحظت فى المدة الاخيرة ان اسئلة المسابقة لايجرى اعدادها بشكل علمى مدروس .. اذ انها ليست من النوع المتوازن من حيث المعلومات .. واقصد بالاسئلة المتوازنة ، تلك التى هى ، بين الصعوبة والسهولة .. لتنسجموا مع انفسكم عندما تقولون بانها اختبار لذكاء القارىء ..

ان الاسئلة التى توضع للمسابقات هى ابعد ماتكون عن كونها اختبارات ذكاء .

و « العربى » مجلة رصينة .. فيجب ان تكون اسئلتها رصينة .

فهلا اعدتم النظر فى اسئلة المسابقات ..

الزرقاء / الاردن غالب عبد السميع

اعتـراف مدخـن

● بدات التدخين صبيا .. وقد احتدمت الدوافع لدى فى وقتها بين التقليد والمباهاة والتظاهر بالرجولة .. وعندما تمكنت عادة التدخين منى اصبحت اسيرها الذليل .. واخذت نتائجها الضارة فى الظهور تدريجيا .. فمن كحة يصحبها بلغم اسود الى حشرجة فى التنفس ، الى سوء هضم بسبب التهاب اعصاب المعدة بتاثير النيكوتين اللعين ..

هذا بالاضافة الى الرائحة النتنة التى تنبعث من الفم والانف . والادهى من الجميع ضعف الشهية للطعام وخصوصا عند الفطور .

وقررت ان أتحرر من هذه العادة اللعينة بعد (٣٥) سنة من الوقوع تحت كابوسها .. وفعلا وفقنى الله الى كسر ذلك القيد اللعين .. وها قد مضت سنوات عشر على تركى التدخين شفيت خلالها من سوء الهضم .. واختفت الكحة والبلغم الاسود ، وانتظم التنفس . وزالت الرائحة النتنة وعادت شهيتى للطعام .

ولا يفوتنى ان اعلق على احدى فقرات مقال الدكتور جميل صليبا الذى نشره « العربى » فى عدده رقم (١٩٩) تحت عنوان (اعتراف مدخن) اذ يقول الدكتور الفاضل ، ان التدخين شره اعظم من نفعه .. فاقول : اين النفع بعد ان ثبت الطب ان السرطان الرئوى فى انتظار المدخن ان عاجلا او آجلا ..

أتمنى ان يكون ماعرضته وازعا لاى مدخن لاعادة النظر فى وضعه الصحى ، لم التسلح بالايمان وقوة الارادة والاقلاع عن التدخين ..

بغداد / العراق مكى محمد جميل بدرخان

طرائفهم ... وطرائفنا

● من يقارن بين الطرائف الغربية والعربية التي تنشرها مجلة « العربي » ، يلاحظ ان الاولى منها تصور علو كعب الغرب .. بينما الثانية تصور المجون والبخل والتطفل .

ولست اشك في حسن نية « العربي » .. اذ لايمكن ان يقصد الى ابراز المعنى الذى اشرت اليه .. ولكن الامر لايعدو ان يكون محض صدفة، او ان القائم على الطرائف الغربية هو غير القائم على الطرائف العربية ..

ونحن نعرف ان الامم كل الامم تحوى صفحات تاريخها نبذا تستحق توجيه الاذهان اليها .. والامة العربية لم يخل تاريخها من هذا الجانب الساطع .. وفيه من الطرائف القيمة لا الساذجة الكثير الكثير .. وهى فى متناول اليد التى تحسن البحث عن اللآلىء .

كما اربأ « بالعربى » ان تضع الاحاديث النبوية باعتبارها طرائفعربية الى جانبالنوادر الساذجة.

ان حرصى على مجلة « العربى » يدفعنى الى هذا القول ، تحدونى النية الحسنة .

المدينة المنورة / السعودية حمدان احمد المحادى

اسرائيل قامت على فلسفة وعقيدة القوة

● ان قول الدكتور احمد شوقى الفنجرى فى العدد (١٨٤ « ان العقيدة الدينية جعلت من اسرائيل ما جعلت قول لايتفق مع الحقيقة .. فالفلسفة الصهيونية قامت على عقيدة ومذهب القوة . هذه العقيدة التى اكدها احد بناتها ليوبنسكر الذى عاش فى القرن التاسع عشر اذ قال : « ان القوة ضرورية وحيوية للامة اليهودية، حتى ولو تطورت الى عدوان » .

كما يتضح هذا من البرنامج الصهيونى الذى وضع فى مؤتمر « بال » سنة ١٨٩٧ ، وقد حوت مفكرة هرتزل بعضا من ارائه .. ومنها وجوب انشاء تشكيلات مسلحة لاقامة الدول الصهيونية .. كما قال : انه لابد من اقامة جيش نظامى لحراسة الدولة اليهودية .. « وفعلا راينا ان اسرائيل بدات مع بداية الحرب العالمية الثانية اقامة وحدات مسلحة ، وهى شتيرن - الهاجانا - الارغون زفاى لومى ..

واقوال جولدا مائير ، رئيسة الوزراء السابقة ، تؤكد ماذهبنا اليه .. ومن اقوالها : « كيف تنكر علينا الدول الكبرى المكاسب عن طريق القوة لاحتلال .. مع انها - اى الدول الكبرى - ... مكاسبها عن طريق القوة !! »

وهذا ايضا ماعبر عنه وايزمن سنة ١٩١٩ ، عندما قال : « ان الدول اليهودية سوف تاتى .. ولكنها لن تاتى بواسطة الوعود والتصريحات السياسية .. بل بعرق الشعب اليهودى ودمه .. اما وعد بلفور فهو المفتاح الذهبى الذى يفتح ابواب فلسطين .. »

واخرها تصريح موشيه ديان وزير حرب اسرائيل السابق ، الذى قال فيه : « ان دبابة واحدة انفع لنا من مائة قرار من قرارات الامم المتحدة » .

مما تقدم يتضح ان اسرائيل انما قامت على عقيدة و مذهب القوة .. ولو انها قامت علىتعاليم دينيةحقة،لما استباحتلنفسهاارضا ليستبارضها.. ولما شردت شعبا كاملا..ولما ارتكبت كلهذه الاثام.

وربما اراد الدكتور الفنجرى ان يقول ، ان رجوعنا نحن المسلمين الى ديننا هو طريق الرجوع الى فلسطين ..

صباح اسماعيل / سامراء / العراق

قالوا: المصلحة أولا
وقالوا: أما العواطف!

الالة بهاتروس من فولاذ ، تجرى على الجفاف فتتحطم . والزيت يزلقها . وكذا العواطف تزلق المصالح فى تشابكها وترابطها .

يثير جدلا كثيرا ويثير سوءفهم ، لهذا اسارع فأقول ان المصلحة لبنة هامة فى بناء اساس الحياة لا يمكن انكارها . فان قال قوم انها المصلحة ، قلنا نعم ، اما اذا قالوا انها المصلحة وانها اول ، قلنا لا . فالمصلحة وحدها كالآلة اجزاؤها من حديد ، وفيها كثرة من التروس المترابطة المتشابكة ، لا يمكن ان تدور فى سهولة حتى يكون بها زيت يزلقها لتسير فى سهولة ولين . وهذا الزيت هو العاطفة الانسانية ، من تراحم وود ، وصداقة وحب . فبالمصلحة وحدها تتحطم آلة للحياة وتتكسر تروسها .

والعواطف وحدها لا معنى لها اذا لم تكن هناك للحياة آلة بهاتروس يرادتزليقها .

المصلحة على ألسن القادة والزعماء

ولقد شاع فى هذه الشهور الحديثة ، بل السنوات الحديثة التحدث بالمصلحة فى كل أمر يتصل بسياسة أو حرب . بها يقول قادة الامم ويقول زعماؤها . والمصلحة التى يتحدثون عنها هى مصلحة امة او دولة . وهم يتحدثون بها عند اشتباك المصالح بين الامم والدول . والامم الحاضرة ، ودول هذا الزمان وكل زمان ، ابعد ما يكونون عن الديمقراطية الانسانية . يقولون بالديمقراطية داخل هذه الدول والامم ،
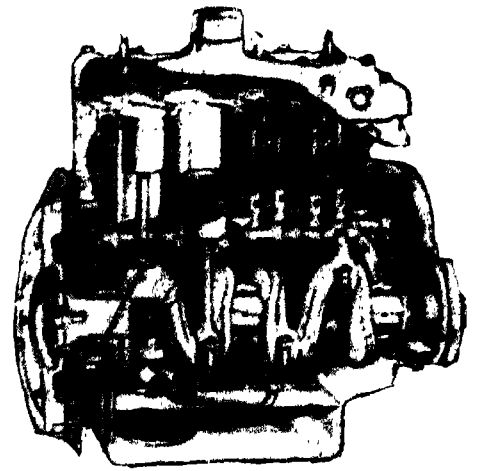
بقلم رئيس التحرير

الرفيق قبل الطريق · والحياة طريق وطريق ، ورفيقها الصديق · انه التعاون يزجيه الحب ويدفعه الود ، ويقوم كل الى جانب كل في الملمات ، يَحمل عنه ويُحمل ·

من تراحم وود ، ومن صداقات وحب ، فأشياء ... عفّى عليها الزمان ، وبئس ما قالوا !!!

بين المجتمعات والافراد،اما خارج هذه الدول والامم فلا يوجد الا الصراع الدامى · غابات بها اسود همها السطو والغزو ، والمصلحة · الدول فيها اما قاتلة أو مقتولة · واما كاسبة تشتهى ، وكل ما تشتهى ، واما خاسرة · النفع هو الهدف الواحد · والنفع هو المصلحة · وهى هناك اول · وهى هناك وحدها ، فلا عاطفة انسانية ، ولا ود ولا حب

مصالح الامم متقاربة ، فهي من اجل ذلك في حرب، دائما ، او في سلم مسلح .

حتى اذا قامت بين الأمم صداقات فانما تقوم لجزر خصومها . وهي ليست بصداقات قلوب ، ولكن صداقات حساب وارقام ، وتجميع قوى للغزو والتعدى ، للكسب ، وللمنفعة ، وللمصلحة وحدها ، في حرب تقوم ، او في سلم تغصب عليه الامم ، خوفا ورهبا ، لا سلم فيه ، ولكن فيه مذلة واستسلام ، هو استسلام الضعيف الذى لا حول له ولا قوة .

الاستعمار ، مصلحة لا تراحم فيها

ومن العلاقات التى قامت وتقوم بين الامم تلك العلاقة التى سميناها استعمارا . والاستعمار لغة هو طلب العمار والعمارة . وهدف الاستعمار العمارة ولكن للمستعمرين . والمصلحتان هنا اشد اشتباكا ، واسوأ عاقبة من اشتباك مصلحتين بين دولتين يتواجهان على بعد ، وكل يطلب من الاخرى مغنما يظل يدبر له ، بالغزو والحرب ، السنوات ، تقصر او تطول .

مستعمرة ومستعمر، ومصلحة واحدة ، هي : مصلحة المستعمر .

ان الاستعمار تتمثل فيه مصلحة واحدة هي مصلحة المستعمر ، أما مصلحة أهل البلاد المستعمرة فلا تمثل هدفا يستهدف أبدا . ونعم قد يستجيب المستعمرون الى بعض الرعاية بأهل تلك البلاد ، ولكن بالقدر الذى يزيد في كسب المستعمر واستغلاله . يشاهد كل هذا في جنوب افريقيا ، وفي المستعمرات البرتغالية في انجولا والموزنبيق ، وفي سالزبورى وغيرها . فالتعليم يساق الى أهل هذه البلاد الى المستوى الدنيء الذى يتم به صلاح العمال ليأتمروا بما يأمرهم به السادة المستعمرون . والصحة والاجسام يعنى بها بنفس القدر ، ذلك القدر الذى يكفى لاحتمال ما يقوم به العامل من جهد جهيد . والمجتمع يبقى في الدرجة البدائية، بدعوى انها تقاليد البلاد وهى جديرة بالحفظ والبقاء، وهم انما يبقون عليها لتبقى معالم التفرقة قائمة دائما بين السادة والمسودين . والاجور أنصاف وأرباع، وللمستعمر الاوروبي الاجر الكبير والعيش الوفير . طعام طيب ، ومسكن مريح فاخر ، وأوقات الفراغ تقضى في النوادى ، والمتنزهات، بعدأن حرّموا دخولها على العبيد من اهل البلاد .

مصلحة القوى تقابلها مصلحة الضعيف

ونحن العرب عانينا من صور من الاستعمار اخرى ، اختلفت جملة وتفصيلا ، ولكن بقيت لها أسس الاستعمار الاصيلة التى اساسها وجود مصلحة واحدة ، هى اولا ، وهى آخرا ، ولاهل البلاد بعد ذلك ما يتجود به المتجودون ·

ومن اشهر صور الاستعمار الغربى استعمار فرنسا الجزائر ، واستعمار بريطانيا مصر والسودان ·

ففي الجزائر قام الفرنسيون بمحو كل الصفات التى يتصف بهـا هذا القطر الشقيق · محو لغته ، ومحو ثقافته ، ومحو دينه ، ومحـو تقاليده ، ثم اعطائه صفة المواطن الفرنسى من الدرجة الدنيا ، لم يكن هذا استعمارا ، ولكن تحويل خلقة ·

مصلحة فرنسا اولا · اما مصلحة الجزائر فما أظن أن أحدا ألقى اليها بالا ·

وفى مصر كان الاستعمار ارحم ، مع احتفاظه بمبادئه الاساسية الاولى · وقالوا ان الانجليز صنعوا فى مصر خيرا · ويذكر الذاكرون ما ادخلوه فى مصر من نظام للرى والصرف رائع · وهذا حق ، ولكن لم يكن هدفه مصلحة اهل البلاد · احتاجت انجلترا وقت ذلك للقطن لتغذى بهمصانع الغزل والنسيج بمقاطعة لنكشير، فوجدت فى مصر لذلك خير أرض ، وخير زارع ، فمهدت السبيل لزيادة الانتاج ، لا وفاء بصالح مصر ، ولكن وفاء بمصانع الغزل والنسيج ببلادها ·

وفى التعليم ، كان الانجليز يملكون زمامه فى اوائل هذا القرن ، وقفوا به الى التعليم الثانوى ، مع نحو ثلاثة مدارس ثانوية لا اكثر فى طول البلاد المصرية وعرضها · واراد المصريون ان ينشئوا جامعة ، فرفضت ذلك الحكومة المصرية البريطانية · قال المستر دنلوب Dunlop وزير المعارف المصرية غير الموزر ، قال : ما حاجة مصر الى جامعة ، فى حين ان مصر لا تبغى من مدارسها غير تخريج كتاب لمكاتبها · اما العلماء واما الفنيون ، ففى بريطانيا مورد لا يفنى ·

ورفض المصريون هذا القول ، وأقاموا جامعتهم الاولى ، ولـم يكد مضى من هـذا القرن الحاضرغير عشر سنوات أو تزيد · وتولى رئاستها الامير احمد فؤاد ، وذلك قبل ان يصير ملكا على مصر · وانتمى الى هذه الجامعة فحول علماء مصر عند ذلك والزعماء · وكان مـن تلامذتها طه حسين قبل ان يكون له اسم مذكور ·

مصلحة ومصلحة · ومصلحة المستعمر هى الاولى ، مع القوة ، دائما أبدا ·

كان طه حسين مـن تلاميذ اول جامعـة اهلية مصرية اقامها الشعب ضد الارادة البريطانية ·

الاستعمار والتاريخ

ولقد قرات لبعض المؤرخين رأيا فى الاستعمار يتراءى انه عجيب غريب . انهم يذكرون ، بين المساوىء الكثيرة التى للاستعمار مما عددنا ، حسنة واحدة .

قالوا انك لو نظرت اليوم الى الامم التى كانت مستعمرة ثم استقلت ، لوجدت ان المستعمر الاوروبى تركها بعد ان خلف فيها من امور هذه الحضارة الحاضرة ما خلف . ويضربون مثلا بالهند خاصة . فنظم التعليم فيها ، ونظم التجارة والصناعة ، ونظم الشرطة والجيش ، ونظم الادارة فى كل منشأة ومؤسسة ، كلها انجليزية الطراز ، بل هى الطراز نفسه .

وهذا حق . وهو حق فى الهند وغير الهند . وهو واقع لا ينكر . والذى ينكره من الاشياخ ، وهم عاصروه ، انما ينكرونه كراهة للفكرة . والذين ينكرونه من الشباب ، وهم لم يعاصروه ، فصغار السن فاتتهم هذه المعاصرة ، وهم نشأوا فى النظم الحاضرة ، وفيها من الحضارة ما فيها ، فحسبوا انها نظم قائمة فيهم منذ الف عام .

والحق حق . والاعتراف بالحق فضيلة ، سواء كان هذا الحق مما نحب او مما نكره .

ولكن من الحق كذلك ان أسارع فأقول ان ميراث هذه الحضارة الحديثة الذى تخلّف فى الدول المستعمرة ، ان يكن خيرا ، فما كان من سعى القوم البغاة المستعمرين . ولا هو كان من سعى القوم الضعفاء المغلوبين على امرهم ، المستعمرين . ان هذا الذى وقع انما كان نتيجة حتمية لتماس اقوام من البشر ، واقوام آخرين من البشر ايضا . حضارات قديمة ، كالحضارة الهنديـة والحضارات العربية ، غزتها حضارات حديثة . فغلبتها ، وغلبتها لقوة الحديث وضعف القديم . او ان شئت لضعف رجال يدفعون بحضاراتهم القديمة فى مواجهة قوة رجال حديثين . فالغلبة ليست غلبة حضارة على حضارة ، ولكن غلبة رجال على رجال .

نخلص مما سبق من هذا الحديث الى أن تعارض المصالـح فى الاستعمار انما هو تعارض مصلحتين لقوميتين ، التحمتا ، وهو اشبه بتعارض مصالح بين الدول المنتشرة فى أرجاء الارض . وهى مصالح لا مكان للعاطفة فيها ، فلا تراحم ولا ود ، ولا صداقة ولا حب .

وغير ذلك قطعا مصالح تتشابك ، فى تعارض أو غير تعارض ، فى المجتمع الانسانى فى الامة الواحدة ، أو فى القطر الواحد ، أو فى المدينة الواحدة ، أو فى القرية .

هنا ، وهنا فحسب ، تتدخل العواطف الطيبة فى أخلص صورها تزلق بين المصالح المتعارضة حتى لا يحدث بينها احتكاك جاف ينتج منه شرر ، تخرج منه نار حارقة لا تبقى ولا تذر .

المصالح والعواطف فى المجتمع الانسانى
غيرها فى المجال الدولى

وننتقل بالمصلحة والعاطفة من الدول وما بينها الى الدولة الواحدة وما فيها من مجتمعات انسانية متعددة • منها الصغير ومنها الكبير • منها ما يضم ألف شخص فآلافا ، ومنهاما يضم عشرات الألوف ومئاتها •

ومنها ما يضم ألف الف نسمةفما فوقها من رجال ونساء ، وصبية وصبايا وكهول وشيوخ ، ومن كل الاعمار •

هذه المجتمعات بنيت بطبيعة تكوينها على التعاون اساسا ، لاعاشة الجيل الحاضر ، وانشاء وتهيئة العيش للاجيال المقبلة •

ماتت زوجته فبكى• ودمع العين عصير العاطفة وهى اشد نقاء ، وأتم طهرا

الاسرة وحدة المجتمعات

واذا نحن اخذنا نفتت هذه المجتمعات فسوف نصل الى وحدتهاالاولى، تلك هى الاسرة ، وما الاسرة الا وحدة المجتمع الصغير ، والاسرة فى الحق هى مجتمع صغير ، وفيها على صغرها تتمثل ما تكون عليه المصالح والعواطف فى المجتمع الكبير •

والاسرة مصلحة وعاطفة ، اما المصلحة فتتمثل فى تقسيم العمل وتبعات العيش ، بين الرجل الزوج ، والمرآة الزوجة • وهما مصلحتان لا تنسجمان دائما فى كل وجه من وجوههما ، شأن سائر المصالح • ولكن هناك العاطفة الزوجية على اهبة دائما لتؤلف فيما لم يأتلف من المصالح فى الاسرة • انه الحب بين الزوجين ، وانه حبهما كلاهما لصور من الحياة جديدة هما انتجاها ، هم الاطفال ، من رضع وصبية وشباب • ويفتر الحب الشديد الاول بين الزوجين ، وتنشأ مكانه صداقة اشد وثاقة من الحب الاول وأبقى • والصداقة تجاذب وود ، ومتعة ، وهى فى تقلبات الدهر تراحم وتعاطف ، وقد تلبى الزوجة نداء ربها ، وتخرج عن الدنيا ، فتضيق بزوجها الدنيا بما رحبت ، ويطل الدهر يبكيها• والدمع عصير العاطفة،وهى اشد نقاء وأتم طهرا•

المجتمع الانسانى يتألف من ألوف الاسر ، وألوف ألوفها

والمجتمع الانسانى انما يتألف من آلاف من الأسر أو مئات ألوفها

الأسرة وحدة المجتمع الصغرى •

حديث الشهر

او فوق ذلك عددا · وتتنوع الاسر فى سبيل الحياة وسائل وغايات فاسرة ، تعمل فى الزراعة ، وهى مناهج عدة · واسر تعمل فى الصناعة ، واخرى فى التجارة واخرى فى الشرطة ، واخرى فى الجيش · واسر تعمل فى المهن من طب وهندسة وتدريس ، واسر تعمل فى الخدمات وهى صنوف شتى ·

رزق الحياة له فى هذه الدنيا الف سبيل ، يسلكه من الناس الى الرزق آلاف من صنوف البشر ·

ولكل اسرة ، ولكل صنف من الاسر مصالح ، والمصالح اذا هى هكذا تعددت ، واذا هى هكذا اختلفت ، لا بد لها من تشابك ومن تعارض ، لا للذى فيها من طبيعة مختلفة فحسب ، ولكن كذلك للذى فيها من رحام وازدحام ·

ولو تركت هذه المصالح متشابكة متعارضة لتوقفت محركات تدور عجلاتها بالحياة ، وهلك الناس جميعا ·

لهذا اتخذ الناس كل السبل لتفادى هذه الكوارث · ومن ذلك ان كان القضاء ، وكانت الشرطة ، وكانت القوانين التى تحدد لكل شىء واجبا وحقا ملزما · ثم لجان للتوفيق بين المصالح كثيرة ·

ونضرب مثلا بالمرور كيف تفادى الزحام فى الطرقات ، وكيف تفادى الصدام مصباح اخضر يفتح طريقا الى جانبه مصباح احمر يسد طريقا · وتتعطل هذه المصابيح عن العمل ، ويحاول كل سالك ، من راجل وراكب ، ان يمضى فى طريقه ، فلا يكون من ذلك الا اختلاط الحابل بالنابل · والنتيجة توقف المرور توقفا تاما من بعد حركة ، الى ان يجىء شرطى المرور فيصلح من النظام ما فسد ·

وفى الحياة بين الناس الف تشابك وتصادم لعل تشابك المصالح وتعارضها فى مفارق الطرق بالمدن من اهونها عاقبة ·

ولكن نظام المرور ، وما تسنه الدولة من لوائح للمعاملة ومن قوانين ، لا يؤمن مسيرة الحياة بين الناس هينة مستساغة · اذا لم تقم الى جانب هذه اللوائح والقوانين عواطف بين الناس، بين بعض وبعض،

لولا الشرطة تنظم المرور ، لاختلط الحابل بالنابل ، وتوقف السير عند مفارق الطرق ·
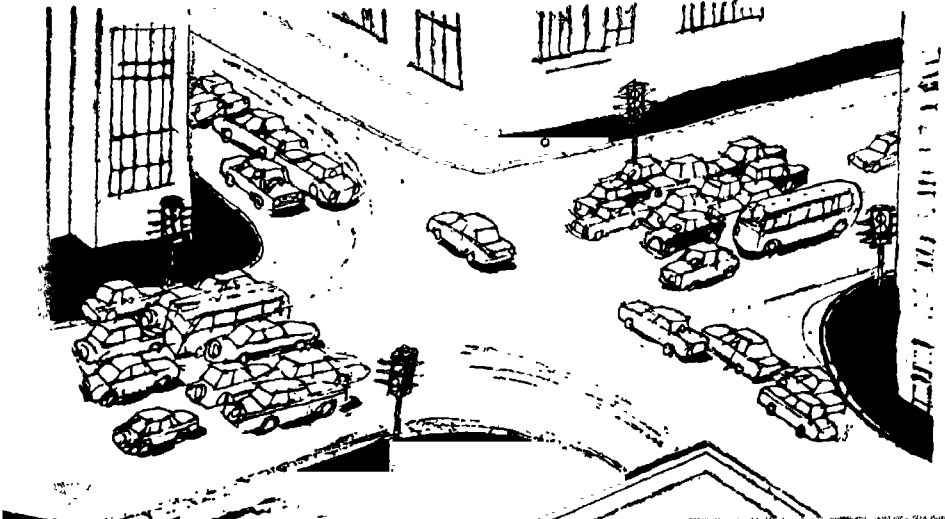
ان القوانين ضوابط تنظم التعامل بين الناس ولكنها ضوابط جافة لا لين فيها . والعواطف تلينها .
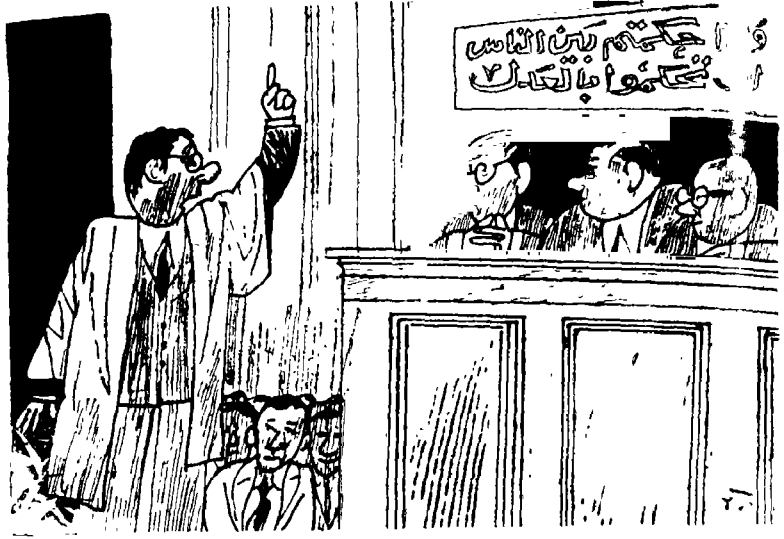
س ود ومن حب يدفع الى التسامح، ومع التسامح تراحم ، يدعو صاحبه الى التنازل عن بعض حقه ، او ماظنه حقا، فى سبيل الوئام ، واطراد السلام ، على المحبة ، بين اهل البلد الواحد ، فالمصير الواحد .

ان القوانين ضوابط تنظم الناس فى سبل حياتهم وهى لا شك واجبة. ولكنها ضوابط جافة لا لين فيها . ويدخل الرجل منا الى المحاكم يخاصم أخاه ، ويخرجان ،واحدهما يبتسم لكسبه ، والآخر غاضب لخسرانه . وهذان مزاجان متناقضان لا يؤديان الى سلام . مصلحة غالبة ومصلحة مغلوبة ، وتظل الكراهة بينها قائمة . الا ان تتدخل العواطف ترطب جفاف المحاكم والقوانين .

عواطف تقوم وحدها خالصة باسداء الخير فى المجتمعات

قلنا ان مصالح الناس فى المجتمع الواحد ، تتشابك وقد تتعارض فيكون بينهما صدام يثير الحقد والبغضاء .

ولكن من طبيعة المجتمعات الانسانية ان تنشأ بها أسواء اخرى لاتتصل بهذا التشابك والتعارض . اشياء لا يكاد ينسبها أحد لأحد . من ذلك الفقر . ومن ذلك المرض .

مصلحتى تقضى بأن لا انظر الى فقير حشية ان ينقص بالاحسان مالى . ومصلحتى تقضى بأن لا انظر الى مريض ، وان أتركه خلفى حتى اذا رأيته يسقط فى الطريق ، ولكني لا أفعل . غابت المصلحة ، ولكن حضرت العاطفة ، وحضرت وحدها خالصة . فتمتد يدى الى الفقير اجود له بما أجود . واسرع فأعين ساقط الطريق المريض حتى تحمله رجلاه ، وأربد . كل هذا وما كسبت درهما . ولكنها راحة حلت بضميرى بعد ذلك، حله ، هى اشباع عاطفة الرحمة والحنان .

عطف جميل نادر

ولكم سعدت عندما علمت بهذه القصة الصغيرة ، وهى قصة عطف لا صلة بمصلحة قط . توفى احد رجال التعليم ممن اعرف ، وترك

زوجته ، وكانت تابعته في شيخوخة • فما كان من جار ، لهما حق الجيرة ، لم تتوثق بينه وبين جيرانه بعد صداقة ذات أمد ، ما كان من هذا الجار الا ان قام على الفور بزيارة الزوجة المنكوبة،وحمل معه ظرفا بالنقود مليئا ، ومد اليها يده بالظرف، وهو يقول : انها كارثة منا ... ولا شك انك فى حاجة الى المال ، فأرجو ان تتقبلى منى انا وزوجتي هذا القليل ، ورحم الله الفقيد رحمة واسعة •

وما كانت السيدة فى حاجة شديدة الى المال • وما المال قصدت ، ولكن قصدت هذه العاطفة النبيلة التى قامت تدفع هذا المال • ولم يكن فى الأمر مصلحة تُطلب او ترتجى •

رجل يجود لفقير فى الطريق ، لقد خسر بعض ماله ، والمال مصلحة،ولكنه كسب عاطفة حلوة وراحة ضمير •

العواطف ليست فى حاجة الى فلسفة تدعمها

لقينى ذات مرة شاب ، كثير التأمل والتعمق فى الالفاظ ومعانيها وسألنى سؤالا اوقعنى فى شيء من الحيرة، قال : ان الناس تقول بالصدق فمن ادراهم ان الصدق حق ؟

قلت : أتسأل عن فوائد الصدق ، ام تسأل لماذا اتخذه الناس مبدأ حق ؟

قال : اسأل عن كليهما •

قلت : الكذب فيه مضرة واضحة، وانت تكذب على الرجل فيكرهك الرجل ، فالكذب كراهة وبغض ، والصدق قبول واقبال ومحبة • اما عن المبدأ فلعل لهذا اتخذه الناس مبدأ فى المعاملات حقا •

فما أجبت حتى بادرنى يسأل :

والرحمة والتراحم ، لماذا يقول الناس بهما ؟

وهنا توقف به الفكر لانى ادركت ان صاحبى الشاب انما يسأل عن معانى امور تواضع عليها النـاس ، وما خطر لاحد ان ينظر فى اصولها والاسباب • وادركت ايضا ان صاحبى عنده حصيلة من اسئلة من هذا الطراز ، لهذا قلت له :

افرغ جعبتك حتى يكون لك منى فيها جواب واحد • قال .

وظاهرة الحب ، والصداقة والود ، اليست هذه كلها مصايد لصيد المنافع ؟

وهنا دخل علينا من أرجأ بيننا الحديث وقطعه قطعا •

وفرغت وحدى افكر ، هل هذه الظواهر الانسانية ، والمبادىء الخلقية ، والعواطف على اختلاف صنوفها ، فى حاجة حقا الى تعليل وتفسير ؟

انها انفعالات تنشأ فى الانسان بحكم الطبع،لايقول فيها الناس لماذا؟

ان الناس تجوع ولا تتساءل لماذا تجوع ، وانما تقوم الى الطعام لتذهب بالجوع • فهذا حكم الطبع •

والناس تحتم قول الصدق ، ولا يسأل أحد منهم لماذا • والناس تكره الكذب ، وليس يقول أحد لماذا ؟ ، لا يتوقف منهم احد ليقول : انه تقليد جرى فى الناس طوال السنين والقرون ، لا يسألون ـــه

ى كان ولا كيف كان · انهم يتقبلونه مبدأ للمعاملة ، كما يتقبلون الجوع والشبع ، والحلم والغضب · مظاهر للجسم والنفس لا تقبل البحث والتحقيق ·

وكذا العواطف من حب وغير حب · الناس تحب ، وقد لا تدرى لماذا احبت ، وهى تكره ، لا تدرى لماذا كرهت ·

الحب عاطفة تنشأ في الخليقة طبعا

والحب عاطفة مؤسسة فى الخليقة طبعا · فذلك هو الحب الذى يقع بين الرجل والمرأة ، وسنته الطبيعة لغاية · ولكن الرجل ، ولكن المرأة ، كليهما يحب غصبا ، اما الغاية التى سنتها الطبيعة من الحب ، فلا تكاد تظهر فى الصورة ابدا ·

اما الغاية فانتاج الذرارى ، ثم تنشئة النسل الحادث · والأم منشئته ، وما الرجل الا كاسب · والأم تحب وتعطف على أولادها ، وهى لا تدرى لماذا · انه عندها بعض حكم الطبع ، اما الغاية التى نصبتها لها الطبيعة من حيث اتصال الحياة على هذه الارض ففلسفة علمية تغيب كل العيب عن وعيها ·

وحب الأم شىء فى الخلائق جميعا منتشر · فالقطة الأم ، والبقرة الأم ، والعصفورة الأم ، والثعلبة والنمرة ، كلها ترعى اطفالها عن حب، وتدافع عنهم حتى الموت ، وهى لا تفقه من سر الطبيعة واهدافها فى اتصال الحياة شيئا ·

والحب يخرج ، من معدنه الاول ، فى الاسرة الواحدة ، الى سائر الاسر ويشيع·وفى المجتمع عامة يشيع الا ان تتنازعه المصالح · والمصالح وراءها قوة المنطق تدفعها ، والحب وراءه قوة الطبع تدفعه ·

الرحمة حب مستتر

والرحمة حب مستتر · الحب يكون والسماء صافية ، اما الرحمة

قطة ام ، تقدم لقطتها الصغيرة طعاما ، تؤثرها به على نفسها · ان عاطفة الأمومة شملت الخلائق جميعا ·

فتكون في الكوارث والنوازل ، وفي الفقر والمرض ، وفي سوء الحال وفجائع الاقدار ٠ وكم للاقدار من فاجعة ٠

ودليلي على ان الرحمة طبع ان الناس لو سمعوا صارخا ينادي في الطريق لهبوا جميعا ناحيته يبذلون العون ٠

ودليلي على ان الرحمة طبع انك لو جلست الى طعام ، ومر بك فقير جائع ، ونظر الى ما انت طاعمه ، اذن لتوقف الطعام في حلقك ولم تستطع ان تسيغه ، الا اذا أنت اشركت هذا الفقير الجائع في بعضه ٠ ومن اجل هذا نرى البخلاء يحمون انفسهم من مطالب الرحمة باختفاء عند الطعام في الحجرات ٠ وذوو الضمائر لا يحميهم من حكم الطبع اختفاء في الحجرات ، فالمعدة لا تستمرىء الطعام المستطاب وحولها أمعدة خواء ٠

الصداقة حب هادىء مستنير

والصداقة عاطفة تدخل في صنوف الحب ، الا انه الحب الهادىء المستنير ٠

ومن امثلة العرب : الرفيق قبل الطريق ٠ والحياة طريق وطريق ورفيقها الصديق ٠ انه التعاون يزجيه الحب ويدفعه الود ، ويقوم كل الى جانب كل في الملمات ، يحمل عنه ويحمل ٠

حتى اذا لم تقع ملمة ولم يكن عون ، فصحبة الصديق للصديق شيء عظيم ٠

ان الانسان مخلوق اجتماعي ، وهو ما خلق ابدا ليعيش معزولا ٠

ولقد سئل احد السجناء عن اخبث شيء وجده في تجربة السجن فقال : العزلة ٠

والعزلة تقاسيها الناس في سجن وفي غير سجن ٠ ان الانسان له لسان فلا بد ان يتكلم ، وله اذن فلا بد ان تسمع ، وبه حاجات نفس لا تقضى الا بالحديث بين الصاحب والصاحب ٠ واكثر من وجدت من من الناس ضيقا بعزلتهم ارباب التقاعد،لا سيما من بعد عمل كثيف شاغل ٠

والقرية اقل المجتمعات ضيقا بأهلها ، من حيث اعتزال وعزلة ٠ كلهم يعرف بعضهم بعضا ٠ وكلهم يلقى بعضهم بعضا ٠ واحاديثهم واحدة مسلية ، والمصالح متقاربة ٠

وننتقل الى المدينة ، لا سيما مدينة هذه المدنية الحاضرة ، فتجد الناس فيها تقسمت مهنا ، وتوزعت شيعا ٠ وتبقى الاسرة في العمارة الكبيرة الى جانب الاسر الاخرى ، ولا تكاد تدرى احداها ما اسم جارة ٠

وتمضى الاشهر والسنون ، ولا تتبدل هذه العزلة ٠

لهذا ادخل الخبيرون بتنظيم المدن عامل الصحبة والصحابة في تدبير شئونها عند تخطيطها ، وذلك بجمع اهل المهن الواحدة في ارجاء من المدينة واحدة ، لتزول العزلة التي صنعتها الحضارة الحاضرة ٠

ويتحدث الناس اليوم ، من اهل الغرب ، عن الصحبة Companionship بحسبانها حاجة من اخفى الحاجات الانسانية في الحياة الحاضرة

ضقت بالعزلة يوما

اذكر اني ، في رجولتي الاولى ، تركت بيتي بالقاهرة الى الاسكندرية لحاجة اقضيها تستغرق بضعة ايام ٠ ونزلت بفندق التزمت

امرأة عجوز صادقت فى شيخوختها بالوحدة ، فوقفت فى الطابور تنتظر العافلة ·
وتاتى العافلة ولا تركب · فقد كفاها انها انست بالناس ولو لدقائق ·
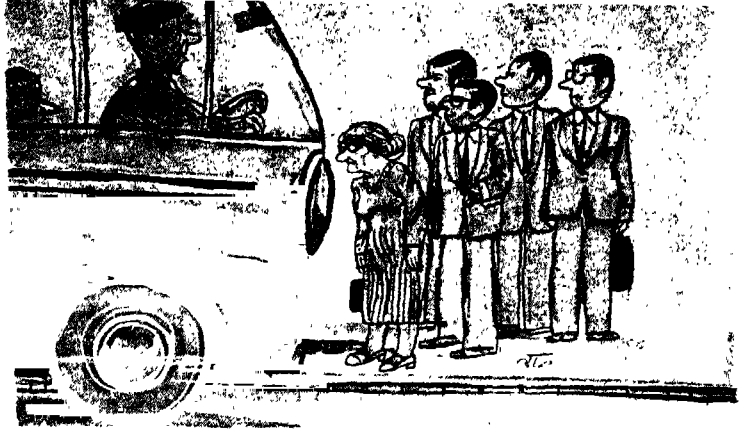
فيه بحجرتي لخلو بهوه من الناس ، فقد كان الوقت شتاء · وحدث ذات ليلة ان ضقت بوحدتي ليلا ، واذا بي اعود فأرتدى ملابسى ، وانزل من رمل الاسكندرية ، الى اوسط ميادينها · واطلب مقهى كثير الضياء، كثير الزحام ، وادخله ، واجلس وحدى ، لاتروح من ضيقى · كان شفائي فى رؤية الناس ، وفى زحامهم ، وفى ضجيجهم ، وحديثهم ، واشتفيت بعد حين ، فقمت لاعود الى فندقى ·

وصديق ضاق بالعزلة فابتدع لها طريقا للشفاء

ومثل هذا حكاه لى صديق · قال لى انه ضاق بوحدته وعزلته عن الناس ، فخرج فركب السيارة العامة من اطراف القاهرة الى اوسطها · وفى ميدان العتبة الخضراء انتهى سير الحافلة وخرج منها الركاب الا صاحبنا · فصاح به السائق : العتبة ! العتبة ! ولم يحفل صديقى بهذا الصياح · فاقترب منه السائق وهو يصيح العتبة ! لعتبة ! قال صاحبى للسائق : انى اعلم انها العتبة وان هذا آخر لمطاف ·ولكنى ما ركبت الحافلة لانزل فى العتبة او غير العتبة ، انما ركبتها لآنس بالناس من راكبيها · وانا عائد بالسيارة مرة اخرى الى منزلى · ففهم السائق ، وضحك ·

وفى انجلترا وقفت امرأة عجوز فى الصف تنتظر سيارة عامة

ومثل حكاية صديقى هذا ، قصة امرأة فى انجلترا ، كانت لنا جارة · كانت نيَّفت على الستين ، ومات زوجها،وفارقها اولادها،وبقيت هى فى شقتها وحدها ·

وعلمت انها ، لضيقها بالعزلة ، كانت تخرج الى مواقف السيارات لعامة ، الامنوبيسات ، وتجد الناس قد اصطفت صفا واحدا تنتظر لسيارة· فتدخل هى فى الصف، وتظل تنتظر السيارة مع المنتظرين، فاذا جا ، ودخل اليها الركاب ، وجاء دورها فى الركوب ، تنحت ·· [illegible] تنتظر صفا من الناس آخر ينتظرون سيارة اخرى ، لتزج [illegible] بينهم ، لتعيد الدور من جديد ·

وهدفها ؟

وجودها بين ناس ، تسمعهم ، وتحس انها منهم · وقد تتحدث [illegible] يسمعون ·

● ●

احمد زكى
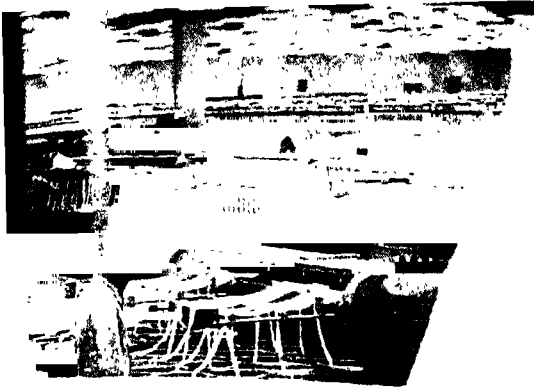
الصناعات العربية

بقلم : الدكتور عبد الرحمن عيسوى

■ اصبح من الضرورى لدول العالم العربى ان تهتم بالتصنيع على ارضها لضمان موارد اقتصادية دائمة تكفل فرص العمل للايدى العاملة المتزايدة ، واستعدادا لنضوب منابع النفط ، ولمسايرة ركب التقدم التكنى المعاصر ، ولكسر احتكارات الدول الصناعية لمنتجاتها ولا سيما الصناعات العربية .

فى مصر

ولقد اخذت دول العالم العربى فعلا فى الاعتماد على منتجاتها الصناعية فبلغ الانتاج الصناعى فى جمهورية مصر العربية ٢٢٥٢ر٤ مليون جنيه فى عام ١٩٧٠ فى مقابل ١٠٨٦ر٧ مليون جنيه فى عام ١٩٦٠ اى بزيادة تتجاوز الضعف . اما الميدان الزراعى فقد بلغت جملة الاستثمارات ٢٧ مليون جنيه عام ١٩٧٠ فى مقابل ١٦ مليون جنيه عام ١٩٦٠ ، وتلاحظ الزيادة الطفرية فى المجال الصناعى . واصبح الدخل القومى من المجال الصناعى عام ١٩٧٠ هو ٥٤٢ مليون جنيه فى مقابل ٢٥٦ر٣ مليون جنيه عام ١٩٦٠ ، وبلغ حجم العمالة فى الميدان الصناعى ١٩١٦ر٤ الف عامل فى سنة ١٩٧٠ فى مقابل ٦٠١ر٨ الف عامل سنة ١٩٦٠ . وبلغت جملة الصادرات من الانتاج الصناعى فى مصر عام ١٩٧٢ ٣٥٨ر٦ مليون جنيه . فالعالم العربى فى الوقت الحاضر لاينبغى ان يستهدف مجرد سد حاجاته الذاتية من المنتجات الصناعية وانماينبغى ان يستهدف تحقيق اكبر قدر من الصادارات الصناعية .

وبالنسبة للجمهورية اللبنانية فان الصادرات الصناعية فى لبنان عام ١٩٧٤ قد حققت زيادة تجاوز ٨٠٪ وهى قفزة كبيرة فبلغت حوالى ٨٢٧ ميلون ليرة مقابل ٤٤٦ فى العام ١٩٧٣ .

يجب أن لايقع العرب فيما وقعت فيه اوروبا فى ثورتها الصناعية

فتطوير وزيادة انتاجها كما وكيفا اصبحا ضرورة حتمية يقتضيها استقلال الامة العربية ، وتقد

• ودور علم النفس في حل مشكلاتها

ورخاؤها • ولكن للصناعة مشكلات تصاحبها لا بد من اتخاذ الاجراءات العلمية لعلاج ما هو قائم منها ولتلافي ما يستجد حتى لا يقع العالم العربي فيما وقعت فيه أوروبا حين دخلت عهد الثورة الصناعية فاهتمت بالجوانب المادية في الصناعة وأهملت الجوانب الانسانية ، والعنصر البشرى ، على الرغم من أنه أكثر عناصر الصناعة أهمية وانجرفت في في تيارات الفلسفة المادية الالحادية ولذلك عاني الصانع الغربي وما زال يعاني من الشعور بالوحدة والضياع والتوتر والقلق وهو يعيش في سباق مستمر مع الزمن ومع الآلة، وفقدت الاسرةروابطها المقدسة وضاعت القيم الريفية ولم تحل محلها قيم أخرى تحفظ على الانسان كيانه الشخصي واستقراره الروحي •

حركة التنمية العربية لابد ان تكون شاملة لكل جوانب حياة المواطن العربي المعاصر: الجسيمة والحسية والعقليةوالروحيةوالخلقية والاجتماعية والمهنية والاقتصادية • لابد من نهضة كاملة •

... ان التكنية الحديثة لاتحل مشكلة الانسان ... ، وان كانت حقا قد زودته بكثير من معدات ... المادية الا انها تخلق له كثيرا من المشكلات ... على ذهنه كثيرا من الضغوط ، وتفقده كثيرا من القيم والمعاني النفسية التي كان يتمتع بها في الماضي فالعامل يعاني من كثير من المشكلات كالصراع الصناعي Industrial Conflict ومن الشعور بالضياع في وسط التجمعات الكبيرة في المصنع الحديث ، ومن تعقد الآلات وصعوبة التعامل واطراد الاختراعات بصورة تجعله في سباق مع الآلات • هذا فضلا عن منافسة الآلة الاوتوماتيكية له فهي تحاول دائما ان تحل محله ، ومن ثم تهدده مخاطر البطالة •

العنصر الانساني أساس التقدم في المجال الاقتصادي

ان العالم العربي في الوقت الحاضر يسعى لاقامة صناعات متعددة على ارضه ، ولا بد له ان يفعل ذلك حتى يساير حركة التقدم العالمي ، وحتى يضمن لابنائه مصدرا دائما للثروة وخاصة بعد نضوب مصادر الثروة المعدنية به • ولقد قطعت فعلا بعض البلدان العربية شوطا كبيرا في حركة التصنيع واحرزت تقدما ملموسا في المجال التكنولوجي وبقي عليها ان تهتم بالانسان الذي هو بحق العنصر الحيوي في المجال الصناعي بل وفي كل المجالات •

ان العنصر الانساني Human Factor هو اساس التقدم في المجال الاقتصادي واساس الانتصار في المجال العسكري • ويستطيع علم النفس ان يسهم اسهاما فعالا في النهضة الصناعية والتجارية والزراعية والاجتماعية التي يخوض غمارها عالمنا العربي المعاصر •

مجالات يسهم فيها علم النفس

وفيما يلي نلخص بعض المجالات التي يسهم فيها علم النفس في مجال تنمية القوى البشرية ورفع الكفاية الانتاجية Productivity

اولا — يحتاج المجال الصناعي في العالم العربي الى ضرورة الاخذ بمبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب The best Man for the Best Job ولكن ما الذي نقصده بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب ؟

نقصد بذلك ان يوضع الفرد في المكان الذي يتناسب مع كم وكيف ما يمتلك من ذكاء وقدرات واستعدادات وميول وسمات شخصية اخرى ،

ويتطلب ذلك قياس هذه العناصر والخبرات قياسا كميا موضوعيا ودقيقا عن طريق وسائل القياس المقننة Standarised Tools اختبارات واستخبارات واجهزة ومقابلات وملاحظات وما الى ذلك .

الحاجة الى العامل الماهر المدرب

ثانيا - ان الصناعات العربية الحديثة تحتاج الى العامل الماهر المدرب ويتطلب ذلك ضرورة الاخذ باساليب التوجيه المهني
Vocational Guidence
والتدريب المهني Vocational Training
والاختيار المهني Vocational Selection
والتاهيل المهني Vocational Rehabilitation

وعن طريق التدريب ترتفع الكفاية الانتاجية للعامل وتقل نسبة حوادث العمل واصاباته ، كما تقل نسبة العادم ، وتدمير الآلات ، وهجرة العمال من اعمالهم ومرضهم وتمردهم . فالتدريب نوع من التعليم ، يضع علماء النفس اسسه وظروف حاجته المثلى ويرسمون طرق التدريس الملائمة لعقلية العامل .

اما التوجيه المهني فيقوم على اساس من تطبيق المقاييس النفسية الموضوعية التي تحدد من ناحية قدرات الفرد وخبراته ، ومن ناحية اخرى ينبغي تحليل العمل Job Analysis لمعرفة حركاته وظروفه ومتطلباته والمؤهلات والقدرات اللازمة للنجاح فيه ، وبعد ذلك تتم عملية المواءمة بين قدرات الفرد ومتطلبات المهنة .

اما الاختيار المهني فيعني ان ينتقي صاحب العمل على اسس موضوعية ، اصلح العناصر من بين المتقدمين لشغل وظيفة معينة شاغرة عنده .

وعن طريق عمليات التاهيل المهني ، يستطيع المجتمع ان يحيل ذوي العجز والعاهات Disabiled Workers . الى عناصر منتجة نافعة وذلك عن طريق تاهيل ماتبقى لديهم من قدرات واستعدادات. وترجع اهمية التوجيه والاختيار الى حقيقة هامة هي وجود فروق فردية Individual Differences في كل من العمال والاعمال ، فلقد وجد ان العامل الممتاز في كثير من الصناعات ينتج ضعف العامل الضعيف ، كذلك توجد هذه الفروق بين المهن . فلكل مهنة متطالباتها فالمؤهلات اللازمة لمهنة « بياض النحاس» تختلف عن تلك المطلوبة لمهنة الساعاتي » .

الهندسة البشرية

ثالثا - كذلك من المجالات الحديثة التي ينبغي ان ياخذ بها العالم العربي الهندسة البشرية Human Engeneering وتستهدف تصميم الآلات Machine Design على اساس من المعلومات السيكولوجية عن الذكاء والقدرات والاحساس والادراك .

والسمع والابصار عند العامل وذلك بقصد تحسين النظام القائم بين الانسان والآلة - Man-Machine System.

فلقد كان هناك في الماضي كثير من الاجهزة والمعدات والاسلحة Weapons . التي كان استعمالها مجهدا جدا ، وكان من المستحيل على الانسان استخدامها بصورة مستمرة . ففي هذه الحالات كان مهندس التصميم يهمل بعض الحقائق البسيطة الواضحة كعدد الايدي التي يمتلكها الانسان ، او طول ذراعه او العتبة المطلقة لحاسة السمع Auditory Absolute Thres - hold فيصيب العامل بالصمم . وتفيد دراسات الهندسة البشرية في تصميم الآلات والمعدات من ابسطها الى اكثرها تعقيدا .

اعداد المشرفين والقادة

رابعا - يسهم علم النفس الحديث في وضع برامج اعداد المشرفين والقادة ، ووضع الاصول السيكولوجية للاشراف الفني Supervision وحماية العمال من نوع تحت سيطرة مشرفين من ذوي النزعات الدكتاتورية او العصابية كالسادية وغيرها .

Authoritative or Neurotic Supervisors ,

وهناك طرق مفيدة في اعداد هؤلاء المشرفين منها طريقة الالقاء او المحاضرة Lecture وطريقة المؤتمر Conference وطريقة التدريب غير الموجه او التسامح (Perm ssive (non - directive) ثم طريقة لعب الدور Role Taking وكلها تستهدف اعداد المشرف الناجح الذي يراعي العوامل النفسية لعماله ، وتنمية حسه الاشرافي .

الأمن الصناعي

ومن الموضوعات الاساسية لعلم النفس و

المجـ المهنى الامن الصناعى وحوادث العمـــل Accidents ويستهدف وقاية العمال من الحوادث وذلك عن طريق معرفة اسباب وقوع الحوادث • والمعروف ان العوامل النفسية تلعب دورا رئيسيا كمسببـات للـحوادث ، فهناك فئـة مـن النـاس يستهدفون تلقائيا للوقوع فى الحوادث • والمعروف ان الحوادث ترجع الى ظروف غير آمنة او الـــى افعال غير آمنة

Unsafe Conditions or Unsafe Actions

وقد تكون الحادثة نتيجة لنقص خبرة العامل بالآلة او بالعمل وظروفه او لنقص الذكاء او ضعف الابصار Vision او قلة التآزر الحركى Motor Coordination او قلة يقظة العامل او شعوره بالتعب Fatigue والارهاق • كما ترجع الحوادث الى سوء الـظروف الفيزيقية المحيطـة بالعمـــل Physical Conditions كالاضـاءة والحـرارة والرطوبة والبرودة والضوضاء والالوان وقد ترجع الى شعور العامل بالقلق والتوتر ، وقد ترجع الى نزعة داخلية فى نفسه طبقا لما تذهب اليه نظرية استهداف الحوادث Accident Proness Theory الروح المعنوية Morale والعلاقات الانسانية Human Relations من المجالات الاساسية التى يسهم فيها علم النفس الصناعى ، فقد وجد ان العامل لايتاثر بالظروف الفيزيقية السيئة المحيطة بالعمل اذا كان يعامل معاملـة انسانية • كذلـك وجد انه لايسعـد ، كما يظن اصحاب الاعمال بزيادة الاجور فقط ، ولكن للعامل حاجات نفسية واجتماعية Social and Psychological Needs يسعد عندما تشبع هذه الحاجات ، من ذلك الشعور بقيمته وبدوره فى المؤسسة وشعوره بالانتماء الى الجماعة ، وشعوره بالامان والاستقرار وشعوره بانه مقبول من قبل رؤسائه ••• الخ •

توصيات للنهوض بالعمل والعمال فى العالم العربى

فى ضوء هذه اللمحات السريعة يمكن اقتراح التوصيات الآتية للنهوض بالعمل والعمال فـــى العالم العربى •

١ ـ ضرورة توفير الرعاية النفسية لتجمعات العمال وذلك بتوفير العيادات النفسية والاخصائيين المدربين على حل مشكلات العمال واسرهم وتحسين العلاقة بين أصحاب الأعمال والعمال •

٢ ـ انشاء مكاتب للتوجيه المهنى ومراكـــز للتدريـب المهنى فـى المهـن الجديـدة التـى يحتاج اليها المجتمع،وقيام عمليات التوجيه والاختيار والتأهيل على أساس القياس الموضوعى الدقيق •

٣ ـ القيام بدراسة تحليل الاعمال الجديدة والقديمة فى المجتمعات العربية وتحديد خصائص كل عمل ومتطلباته والمؤهلات اللازمة له ، ووضع الخطط التربوية بحيث تفى بهذه الحاجات •

٤ ـ الاهتمام بتدريب القادة والمشرفين فـــى المجالات الصناعية •

٥ ـ الاهتمام بتخريج المتخصصين فى علم النفس الصناعى والعلاقات الانسانية •

٦ ـ الاهتمام بدراسة الهندسة البشرية وتصميم الآلات بحيث لا ينتج عن تشغيلها اصابة العامـل بامراض او التشوهات •

٧ ـ الدعوة الى ادخال بعض العلوم الانسانية لطلاب الكليات العلمية وخاصة الهندسة وذلك لأن هؤلاء هـم مديروا المستقبـل وتلزمهم الخبرة السيكولوجية والادارية الى جانب الخبرة الفنية•

٨ ـ عقد الندوات والمؤتمرات لتوعية المشرفين والمديرين واصحاب الاعمال ، ولتوطيد العلاقات بين العمال واصحاب العمل •

٩ ـ الدعوة الى تشجيع هجرة الايدى العاملة العربية من البلاد التى يوجد بها فائض الى البلاد المحتاجة وفتح آفاق جديدة للعمالة فى الدول الافريقية الصديقة •

١٠ ـ فتح مجالات العمالة امام ابناء المستقبل باقامة الصناعات الواسعة ، والتوسع الزراعى افقيا وراسيا،وحماية الاراضى الزراعية من طغيان المبانى الجديدة ، ووضع نظام جديد للاسكان •

١١ ـ وضع برنامج عربى موحد لمحو الامية للعمال العرب •

١٢ ـ دعوة الجامعات العربية ومراكز البحث لدراسة مشاكل التصنيع دراسة حقلية ، ووضع الحلول المناسبة • ■■

عبد الرحمن عيسوى
استاذ علم النفس والانتاج
بجامعة بيروت العربية

العهود والمواثيق في الاسلام

أول عهد في الاسلام

بقلم : الدكتور حسين فوزى النجار

■ قسم المتاخرون من فقهاء المسلمين العالم المعروف ـ فيما يسمى عالم العصور الوسطى الاوربية ـ قسمين : دار السلم ودار الحرب ، وهو ما جرى عليه علماء اللاهوت من المسيحيين ، يومئذ ، حين قسموا العالم الى قسمين : العالم المسيحى والعالم الوثنى •

ودار السلم او دار الاسلام هى ما كان للمسلمين ، فيها العزة والمنعة والقوة ، ولهم عليها السيادة والسلطان ، اما دار الحرب فقد اختلف فيها الفقهاء ، فذهب جلتهم الى انها الدار التى ليس للمسلمين عليها حكم ولا سلطان ، وليس لهم فيها منعة ، وليس لهم معها عهد ، ويتوقع المسلمون العدوان من جانبها ، واشترط لها بعضهم ـ ومنهم الامام ابو حنيفة وفقهاء الزيدية ـ فقالوا أن الدار لا تكون دار حرب الا بشروط ثلاثة :

اولها : الا يكون للحاكم المسلم فيها من المنعة والسلطان ما يمكنه من تنفيذ احكام الشريعة •

وثانيها : ان تكون فى جوار من غير المسلمين ، يهدد امنهم ، او يكون خطرا عليهم •

وثالثها : الا يكون فيها للمسلم او الذى من رعايا المسلمين من حق الامان الاول ما يامنون به فى اقامتهم •

فاذا استولى المسلمون على بلاد فامنوا أهلها ، ثم جلوا عنها وقام عليها من اعترف بحق الامان الذى اقره المسلمون فليست بدار حرب . فاذا سلبوا حق الامان ونقضوه ، وحاربوا المسلمين فهى دار حرب ، وان اقروا امانا جديدا •

وبين دار الحرب ودار السلم أو الاسلام ، ما يعد دار عهد ، أو دار موادعة ، ورأى بعض الفقهاء انها مما يدخل فى دار السلم اذ لم يعقد المسلمون عهدهم معها الا وهم على منعة وقوة ، فاذا لم يكن القائمون على الحكم فيها ـ أو أهل السلطة والمنعة بتعبير الفقهاء ـ من اهل الموادعة انتفت الموادعة بانتفاء العهد •

وهذا التقسيم مما أوجبه تطور العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم ، ولا يناقض هذا ما ذهب اليه فقهاء القانون الدولى فى العصر الحديث الا بما يقتضيه اختلاف الزمان والمكان ، فالدولة الاس[illegible] اما فى حالة حرب ، واما فى حرب ، واما مو[illegible] أو مهادنة ـ ولا تستوجب الشريعة قيام [illegible] التقسيم • وليس فى القرآن الكريم ولا فى [illegible] المطهرة ما يشير اليهما ، وانما هى من اجته[illegible]

الفقهاء بما يطابق علاقات الدولة الاسلامية بغيرها من الدول المعاصرة ، وما اقتضاه الواقع التاريخى الذى واجهته الدولة الاسلامية بعد انحسار موجة الفتوح الاسلامية ، واستقرار الدولة على عهد العباسيين ، وكان اجتهاد الفقهاء توفيقا رائعا بين الشريعة والواقع التاريخى ·

فالقواعد التى وضعها فقهاء الشريعة الاسلامية لتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم وتقسيم العالم الى دار حرب ودار سلم ودار موادعة او مهادنة كانت اجتهادا يوائم بين ما هو قائم فعلا وبين روح الشريعة ، فاختلفوا فى تفسير طبيعة العلاقات وأصلها ، فمنهم من ردها الى الحرب وما تقتضيه الدعوة الى جهاد الكفار جهادا لاسلم فيه الا ان تكون هدنة موقوتة ، ومنهم من ردها الى السلم واعتبار الحرب حالة موقوتة بدواعيها ، وهى دواع عارضة تقتضيها ضرورة الدفاع عن المسلمين وتامين حرية الدعوة ·

ويقوم هذا التقسيم على افتراض ان المسلمين فى حالة حرب دائمة مع غيرهم ، وهو افتراض لا يوائم جوهر الاسلام ولا يتسق مع الواقع من حروب المسلمين، فالقتال ، وان كتب على المسلمين، فللضرورة التى يقتضيها دفع العدوان وتامين حرية الدعوة ، أو دفع البغى من طائفة مؤمنة على طائفة أخرى مؤمنة ، وفيما عدا ذلك فقد فرض الاسلام المودة وحسن الجوار على المسلمين لغيرهم، كما فرض عليهم فيما بينهم عهد الاخوة لا يخل به ولا ينقضه غير بغى طائفة منهم على اخرى أو قتالها ، ولا يؤذن للمسلمين بقتال الفئة الباغية الا اذا لم تقبل الصلح · ولا يكون قتالها الا لتفىء الى أمر الله وهو الحق ، فان فاءت فالصلح العادل هو ختام ما كان من نزاع ، وهو صلح يقره المسلمون ، وينزل على حكمه المتنازعون ، فلا قهر ولا عقوبة ولا انتقام ، فالمسلمون أمة واحدة وان تعددت ديارهم واصولهم· وديارهم ملك لهم جميعا ينتقل فيها المسلم متى طاب له الانتقال ، لا تقف دونه سدود او قيود ، وأينما حل فله نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات، له حق الرعاية والامن والكفالة ، وعليه ان يقاتل فى سبيلها وان كان عابرا غير مقيم ، فلا ينصرف عنها حتى يؤدى فرض الجهاد راضيا غير كاره ·

فاذا قيل ان ديار الاسلام دار سلم ، فسبب ذلك ما فرضه الاسلام على اهلها من عهد الاخوة ، وهو فرض كفالة ورعاية وسلام ، وحقوق وواجبات يتساوون فيها جميعا · وهى جميعا قوام ما يمكن ان نسميه « السلام الاسلامى » الذى يخيم بظله على كل ديار الاسلام ، ويستظل به كل من فيها من مسلمين وغير مسلمين ·

وكان « السلام الاسلامى » اهدى سبيلا من « السلام الرومانى » الذى قام على حد السيف ، واختلفت فيه حقوق المواطنين والمستوطنين والعبيد· واقدم من كل ما نراه من مواثيق السلام فى عصرنا هذا وفى كل العصور السابقة ·

العهود والمواثيق فى الاسلام

واجه المسلمون منذ البداية ما يمكن ان نسميه الجماعات المخالفة ، ونعنى بها الجماعات التى لم تعتنق الاسلام ، وهى جماعات كانت الى ذلك الوقت اما قبلية تمثلها قبائل العرب المنتشرة فى شبه الجزيرة العربية ، واما دينية كيهود المدينة ونصارى نجران ، وكانت العهود والمواثيق هى التى ابرمت وقتذاك مع هذه الجماعات القبلية او الدينية ·

ولما امتد الاسلام الى خارج بلاد العرب ، واتصل المسلمون بالجماعات السياسية القائمة التى كانت العلاقات بينها وبين الدولة الاسلامية الناشئة هى التى يمكن ان نسميها علاقات دولية · بمعنى انها قامت بين دولتين لهما كيانهما السياسى المتكافىء ، وان احتذت نفس الاهداف والمرامى التى قامت عليها العهود والمواثيق بين الجماعة الاسلامية الاولى وبين الجماعات القبلية والدينية الاخرى فى الجزيرة ·

واول علاقة بين المسلمين ومخالفيهم يمكن ان تتسم بطابع العلاقة الدولية كما نعرفها فى الوقت الحاضر ، هى التى قامت فى « صلح الحديبية » ، فقد اعلنت قريش حين جاءها نبا نزول النبى بالمسلمين فى الحديبية ابتغاء الحج ، ان لا يدخلها عليهم قهرا ، وبدات بينه وبينها مراسلات ورسل،

لم كانت مفاوضات اعلن فيها محمد (ص) انه لا يبغي غير الحج مسالما ، واصرت قريش الا يدخلها عليهم في ذلك العام ، حتى لا تتضع مكانتهم بين العرب . واعقب كلّ ذلك صلح الحديبية ، وقد جاء في صدره : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله » . ونص على المهادنة عشر سنوات في رأى أكثر كتاب السير ، وسنتين في قول « الواقدي » وجاء فيه : « ان من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا من رجال محمد لم يردوه عليه ، وانه من احب من العرب محالفة محمد فلا جناح عليه . ومن احب محالفة قريش فلا جناح عليه ، وان يرجع محمد واصحابه عن مكة عامهم هذا ، على ان يعودوا اليها في العام الذي يليه فيدخلوها ويقيموا بها ثلاثة ايام ومعهم من السلاح السيوف في قربها ولا سلاح غيرها » .

ولم يكن صلح الحديبية اول صلح في الاسلام فقد سبقه الصلح مع يهود بني النضير وخيبر وفدك . اما ما كان من يهود بني قريظة فهو اقرب الى التحكيم حين ارتضوا حكم سعد بن معاذ واختاروه ، وكان صلح الحديبية اقرب الى الهدنة الموقوتة منه الى الصلح الدائم ، وكان بين طرفين متكافئين لم يظهر فيه طرف على آخر في حرب .

أول عهد في الاسلام

واول عهد في الاسلام عهد النبي (ص) لنصارى نجران وبعده « سيد امير علي » مؤلف « روح الاسلام » مثالا لجوهر الروح السياسية في الاسلام ، وقد كان للنبي (ص) عهود قبله مع عدد من القبائل العربية ، الا ان عهده لنصارى نجران كان تشريعا لمعاملة رعايا الدولة من غير المسلمين ، احتذاه الحكام من بعده ، وهذا نصه :

« لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد رسول الله على ما تحت أيديهم من كثير او قليل ، لا يغير اسقف من اسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا كاهن من كهانته ، وليس عليهم دنيئة (اي لا يعاملون معاملة الضعيف) ولا دم جاهلية ، ولا يحشرون ولا يعشرون ، ولا يطأ ارضهم جيش ، ومن سأل منهم حقا فبينهم النصفة غير ظالمين ولا مظلومين ، ومن اكل ربا من ذي قبل (١) فذمتي منه بريئة ، ولا يؤخذ رجل بظلم آخر ، وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي الامي رسول الله ، ابدا حتى يأتي الله بامره » .

ويشير توماس ارنولد في كتابه « الدعوة الى الاسلام » ـ مقرا سماحة الاسلام ـ الى ان الرشيد في خلافته اراد ان ينقض هذا العهد فمنعه منه قاضي القضاة « محمد بن الحسن الشيباني » .

واول سفارة في الاسلام ، وفادة رسل النبي (ص) على الملوك والاقيال بدعوة الاسلام ، فمنهم من رد ردا حسنا كهرقل ، ومن اكرم وفادة رسول النبي كالمقوقس ، ومن اساء ككسرى .

ومن هذه العهود والمواثيق واحكام الصلح والمهادنات والتحكيم يتكون التشريع الاسلامي للعلاقات الدولية ، وهو ما يقابل القانون الدولي في العصر الحديث .

ولم يكن للعلاقات الدولية احكام مرعية ، وقواعد ثابتة من قبل ، الا ما جرى به العرف ، وكانت تقوم على قاعدتين : قاعدة القهر في العلاقة بين الدول ، او الاسترقاق ، او ما يشبهه من ضروب الاستعمار في العلاقة بين الدولة ورعايا البلدان التي تخضع لها ، ولم تكن تختلف عن القهر او الاسترقاق باي حال من الاحوال ، وكان العالم قلة من السادة تحكم وتستبد ، وكثرة من الرعايا المستعبدين والرقيق والقنان الارض ، حتى جاء الاسلام بتشريع لكل تلك العلاقات .

عهود الذميين

وتستمد العلاقات الدولية في الاسلام طبيعتها من روح الشريعة ، وهي ـ كما قلنا ـ علاقة بين المسلمين والمخالفين ، اذ ان المسلمين امة واحدة تحكمها شريعة واحدة ، وسلطان واحد ، فاذا تعددت السلطة بتعدد الشعوب فان العلاقة التي تحكم الشعوب الاسلامية او حكوماتها هي العلاقة التي تقوم على الاخاء الاسلامي ، والعهد بينها هو عهد الاخوة ، ولا عهد غيره .

اما المخالفون فهم اما معاهدون او لا عهد لهم ، والمعاهدون اما ذميون واما مستأمنون ، والذمي من

(١) المراد ما يكون في المستقبل .

به م في ارض الدولة الاسلامية ويتمتع برعويتها، و.. ما للمسلمين من حقوق ، وعليه ما عليهم من واجبات ، مع كفالة حريته الدينية والشخصية فيما يتصل باحكام دينه كاحكام الاسرة ، وما يبيحه دينه من ماكل ومشرب ، فاباح الحنفية لهم اكل لحم الخنزير ، وشرب الخمر ، وخالفهم جمهرة الفقهاء معتبرين ان الاباحة ليس لها سند في دينهم ، والضريبة التي تقتضيها الدولة منه هي الجزية ويعفى مقابلها من واجب الدفاع واداء الزكاة ، وان كان حقه في الزكاة كحق المسلم لا ينتقصه انه ذمي • وقد رد ابو عبيدة الجزية على اهل حمص في وقت ظن انه لا قبل له بدفع الروم عنهم • وقال لهم : « انما اخذناها جزاء منعتكم، والدفاع عنكم ، وقد عجزنا » •

وقد اجرى عمر بن الخطاب الصدقة على يهودي كفيف البصر ، وامر له برزق مستمر من بيت مال المسلمين وقال لخازن بيت المال : « انظر الى هذا وضربائه (امثاله) ، فوالله ما انصفناه ان اكلنا شبيبته لم نخذله عند الهرم • انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من اهل الكتاب لم وضع ، عنه وعن ضربائه الجزية •

ومما اوصى به عندما حضرته الوفاة : « اوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ، ان يوفي لهم بعهدهم ، وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم » •

وللذمي ذمة رسول الله وعهده ، وفي الحديث : « من آذى ذميا فليس منا » والعهد لهم ولابنائهم من بعدهم ابدي دائم لاينتقض ، يقيمه ولي الامر ويرعاه ماكانوا في ديار المسلمين مقيمين غير نازحين ، راضين بالحياة معهم غير كارهين ، ومن لا يرض فله أن يرحل ، او يقيم مستامنا للمدة التي يرغب حتى يرحل •

ومن الذميين من يقيمون في ارض لهم وحدهم، ودارهم دار عهد ، او دار موادعة ، وذلك لهم ابتداء،عندما يخيرهم المسلمون بين الاسلام او المسالمة، فيختارون المسالمة ، ويصالحون المسلمين على شروط يتفقون عليها ، ويكون على المسلمين حمايتهم والدفاع عنهم ، ويكون على هؤلاء الذميين ان يؤدوا الجزية للمسلمين مقابل ذلك ، كما كان عهد النبي (ص) لنصارى نجران ، وعهد ابي عبيدة لاهل حمص ، وعهد عمر بن الخطاب لاهل ايلياء ، وعهد عبد الله بن سعد بن ابي السرح مع اهل النوبة ، وعهد معاوية مع اهل ارمينية •

ويرى الشافعي ان الموادعة او العهد لايكون الا مع الموادعين من الحكام ، فان كانوا من غير الموادعين فليس لهم عهد ولا موادعة ، وهو ماعبر عنه الشيباني بالمنعة والسلطان لاهل الجماعة التي يعقد معها عهد الموادعة،فان لم تكن لهم المنعة والسلطان بخضوعهم لدولة اخرى ــ فليس لاحداهما عهد الا ان يكون مع كليهما •

عهد المستامن

واما المستامن ــ ويسمى بالحربي في راي من يعدون كل من لاعهد له من دار الحرب ــ فهو من دخل ديار الاسلام عابرا او مرتحلا او مقيما لاجل، وليس له حق الاقامة الدائمة ، فاذا ارادها واقام فيها اقامة دائمة اصبح من اهل الذمة ولم يعد مستامنا •

وللمستامن حق الحماية والرعاية ، وان كانت داره في حرب مع المسلمين ناشبة ، ما دام لا ينكث بعهد الامان • ولا يفتئت عليه بغدر او خيانة تضر بالدولة • فالحرب في الاسلام هي حرب المقاتلين من الجماعات والدول ، لا يصلى سعيرها الآمن ، ما دام بعيدا عن القتال ، غير مشارك فيه بفعل او راي • وهو آمن على ماله وملكه وما كسبت يداه حلالا من غير ربا في دار الاسلام ، ويبقى له ماله وان عاد الى بلده التي هي في حرب او في حالة حرب مع المسلمين ، ولا تزول عنه ملكيته وان حمل السلاح ضد المسلمين •

ويسهب الفقهاء والشراح في حقوق المستامن ، ويقولون ببقاء الامان في ماله وفي نفسه اذا دعت دواعي التجارة او النزهة او قضاء حاجة لنفسه او لغيره ، اذا عاد الى دار الحرب لم قفل منها راجعا الى ديار الاسلام ، لانه لم يخرج عن نية الاقامة فيها ، فهو كالذمي في هذا ، فاذا استوطن دار الحرب بطل الامان في نفسه ، وبقي في ماله لاختصاص المبطل بنفسه فيختص البطلان به ، ويقولون : انه اذا مات المستامن في دار الاسلام وجب ان يرسل ماله لورثته وان كانت دارهم في حرب مع المسلمين ، ويزيدون على ذلك انه لو قتل في حرب مع المسلمين فان ذلك لا يحرم ورثته حق الميراث في ماله، وعلى ولي الامر ان يرسلها اليهم كاملة غير منقوصة • ويخالفهم الشافعي في ذلك •

لانه يرى الامان له وليس لورثته الذين لم يعقدوا عقدا ما • ولا يصادر ماله الا في حالة واحدة ، وهي ان يؤسر في حرب ويسترق،اذ يصبح غير اهل للتملك ويؤول مايملكه الى بيت المال،ويعتق عبيده•

الحربي أو من لا عهد له

واما من لا عهد له من المخالفين فيسمى «الحربي» على اعتبار ان العالم دار حرب ، او دار سلم وان دار السلم هي ديار الاسلام • وان كنا نعتقد ان التسمية جرت بذلك لان ديار الاسلام وديار العهد لا يجوز فيها حرب ، فديار الاسلام دار سلم دائم لا يختصم فيها المسلمون بعضهم مع بعض ، ولا تبغي طائفة منهم على اخرى ، فاصلاح ذات البين بينها فرض على المسلمين ، والا قاتلوا الفئة الباغية حتى تفيء الى حكم الاسلام ، واما ديار العهد فهي دار السلم بما لهم في ذمة المسلمين من عهد واجب الوفاء طالما التزموا من جانبهم بالوفاء ، واما دار الحرب فانه يجوز للمسلمين حربها بشرط وقوع العدوان او ثبوت نية العدوان •

فليست للحرب مع المخالفين ممن لا عهد لهم صفة الدوام او الاستمرار ، وانما هي موقوتة بظروفها ، مما تحكمه علاقاتهم الفعلية مع المسلمين من رعاياهم ، او علاقتهم بالدولة الاسلامية،فاذا اضطهدوا رعاياهم المسلمين وحالوا بينهم وبين حريتهم الدينية كان جهادهم في ذلك واجبا على المسلمين ، واذا خيف عدوانهم على ديار الاسلام او كان هناك ما يهددهامنهم ـ كان على المسلمين ان يحذروهم ، ويعدوا العدة لملاقاتهم ، والمبادرة خير من الانتظار ، فما غزى قوم في عقر دارهم الا ذلوا ، كما قال علي بن ابي طالب،والمبادرة مبدأ اصيل من مبادىء الحرب•

عهود الامان

وفي الاسلام يتماثل حق الفرد وحق الدولة في منح الامان ، فللفرد ان يجير ويؤمن ويعاهد فردا او جماعة من الناس ، وامانه وعهده مصونان بالحديث المأثور : « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم » ، وكان ذلك سنة في العرب ، وكم خاضوا من الحروب بسببها ، وبقي سنة حم[illegible] فيهم اكدها الاسلام ، وقد اجار « ابان بـ[illegible] سعيد » عثمان بن عفان فترة يفرغ فيها م[illegible] مفاوضة قريش قبيل صلح الحديبية ، وكانت بـ[illegible] العقبة الثانية من هذا القبيل ، فقد قبل الرسـ[illegible] (ص) جوار اهل يثرب على ان يمنعوه مم[illegible] يمنعون منه نساءهم وابناءهم • وقبل عمر بـ[illegible] الخطاب امان احد العبيد ، فقد كتب اليه ابـ[illegible] عبيدة ان عبدا من اهل بلد العراق منح امانـ[illegible] وساله الرأى ، فكتب اليه : ان الله عظم الو[illegible] فلا تكونوا اوفياء حتى تفوا واجاز امان العبد

واقر الاسلام امان المراة ، لقوله عليه السلا[illegible] « قد اجرنا من اجرت يا ام هانيء • » (٢) ر[illegible] بعض الفقهاء الا يكون للعبد او المراة عهد باذن الامام ، اما عهد المسلم الحر فواجب الوفا[illegible]

وكفل الاسلام امان المستجير في قوله تعالى « وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يـ[illegible] كلام الله ، ثم أبلغه مامنه » (التوبة ٦٠) • كفل امان المحارب ، وعده الخليفة عمر بن الـ[illegible] واقعا ولو بالاشارة او بالكلمة،فاذا قيل للمحـ[illegible] «لا تخف» ـ كان ذلك امانا له ، واذا اشير الـ[illegible] ولو بالاصبع ـ بما يفيد ذلك كان امانا ايـ[illegible] وقد سمع ان مسلما قال لمحارب فارسي « لا تـ[illegible] ثم قتله ، فكتب الى امير الجيش يقول : « بـ[illegible] ان رجالا منكم يطلبون « العلج » (الاعجمي المسلم) حتى اذا اشتد في الجبل ، وامتنع ، قـ[illegible] له لا تخف ، فاذا ادركه قتله، واني ـ والذي بيده ـ لا يبلغني ان احدا فعل ذلك الا [illegible] عنقه » • ومما ينسب اليه انه قال : « لـ[illegible] احدكم اشار الى السماء باصابعه لمشرك ، ثم اليه على ذلك فقتله ، لقتلته » •

ويكون للمستامن على ذلك امان الذمي فلا [illegible] ولا يسترق •

حرمة العهود والمواثيق

وللمواثيق والعهود حرمتها في الاسلام في تعالى : « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنـ[illegible] الايمان بعد توكيدها••ولا تتخذوا ايمانكمدخلا[illegible] فتزل قدم بعد ثبوتها •• ولا تشتروا بعهـ[illegible] ثمنا قليلا •• » (النحل ٩١ ـ ٩٥)

---

(٢) (العربي) كان ذلك عند فتح النبي مكة •انظر مجلة العربي العدد ٢٠٠ ص ١٤٠ نبذة « الطلقاء في الاسلام » •

بعد ان انتهينا من طباعة هذا العدد

مات الأستاذ الدكتور أحمد زكي

كان عملاقا ٠٠ والعمالقة لا يموتون ٠٠

وكان عالما ، وكان مفكرا ٠٠ وكان أديبا ٠٠

ولكنه كان انسانا ٠٠ ونهاية كل انسان الموت ٠٠

وبالأمس مات الاستاذ الدكتور أحمد زكي ٠٠ مات في بيته بالقاهرة اثر مرض عضال لم يمهله طويلا ٠٠ ولكنه مات كما يموت الجندي في ميدان القتال ٠٠ مات والقلم في يده ، والفكر يملأ رأسه ، وهو يحاول ان يفرغ ما فيه « للعربى » ٠٠ للمجلة التي أعطاها اعظم سنوات النضج من حياته المليئة بالعمل والفكر والانتاج ٠٠

مات رئيس تحرير مجلة « العربى » ، بعد ان نشر فكره وعلمه وتجاربه على قراء « العربى » في العالم العربي كله من الخليج الى المحيط ٠٠

كانت آخر رسالة بعث بها الى «العربى» ــ وهو راقد على فراش الموت ــ برقية يقول فيها : « افتتاحية ديسمبر في الطريق، وكذلك وحدة الخلق ، تمنياتي لكم بالتوفيق » ٠٠

وسعدنا بها ، فقد احسسنا ان استاذنا ما زال بخير ، وان القلم ما زال في يده ، وما زال رأسه الكبير يفكر ويعمل ليقدم لابنائه عصارة هذا الفكر التي لم يبخل بها يوما على ابناء هذا الجيل والاجيال السابقة والقادمة ٠٠ سعدنا بكلمات استاذنا ، وابرقنا اليه نقول : « اثلجت برقيتكم صدورنا ، نحن في انتظار المزيد من الافتتاحيات ووحدة الخلق والمقالات ٠٠ تمنياتنا لكم بالصحة والعافية ، اعانكم الله واعادكم الينا سالما » ٠

وانقضت بضعة ايام ، ولم نكن ندري أن أستاذنا الكبير انما كان يودعنا الوداع الاخير في برقيته التي وقعها بامضائه ٠٠ فقد حمل الينا البرق النبا الحزين ٠٠ لقد مات الدكتور احمد زكي ٠٠ انتقل الى جوار ربه يوم الاثنين ٠ الثالث عشر من شهر اكتوبر عام ١٩٧٥ عن عمر يناهز الثمانين ٠٠

ولكن ٠٠٠

هل مات الدكتور احمد زكي حقيقة ٠٠

ان الانسان وحده هو الذي يموت ٠٠ ولكن فكره وعمله وانتاجه ٠٠ يبقى حيا دائما لا يموت ٠٠

وستبقى ذكرى الدكتور احمد زكي حية في قلوب الملايين من قراء فكره وعلمه وادبه ٠٠ وستبقى صورة الدكتور احمد زكي في قلوب كل من عرفه وعمل معه وتتلمذ على يديه ٠٠

رحمه الله رحمة واسعة ٠٠ وعوض العرب عنه خيرا ٠٠ فقد كان من أواخر جيل العمالقة ٠٠ الذين حملوا الشعلة معه ومن قبله، وما زالوا يحملونها من بعده ٠٠

« انا لله وانا اليه راجعون »

« العربى »

الدكتور احمد زكي مع زوجته ورفيقة عمره وشريكة حياته وكفاحه

الدكتور احمد زكى يقرا ويفكر ويتامل ويكتب ..لقد كان الفكر هوايته والعمل عبادته حتى آخر لحظة من لحظات حياته المليئة .. نادرة كانت تلك الساعات التى كان يقضيها بعيدا عن كتبه ومراجعه العلمية والادبية .. فقد كان يجد فى بطونها المعرفة التى قضى حياته كلها يغرف منها .

الدكتور أحمد زكى فى سطور

● ولد بالسويس عام ١٨٩٤ .

● انتقلت الاسرة الى القاهرة نحو عام ١٩٠٠،وتعلم هو بمدرسة عباس الابتدائية ، فمدرسة التوفيقية ، ثم مدرسة المعلمين العليا وتخرج فى القسم العلمى منها مدرسا عام ١٩١٤ .

● اشتغل بالتدريس من عام ١٩١٤ الى عام ١٩١٨ بالمدارس الثانوية وفى السنتين الاخيرتين من هذه الاربع كان ناظرا لمدرسة وادى النيل الثانوية بالقاهرة (المدرسة الالمانية بباب اللوق حاضرا) .

● استقال وثورة سعد زغلول قائمة،**وذهب الى انجلترا للدراسة وقضى فيها عشر سنوات متصلة ونال درجة البكلوريوس العلمية B. Sc. ،ودرجة الدكتوراه الفلسفية Ph. D. من جامعة ليفربول ، وانتقل يكمل بحوثه العلمية الى جامعة منشستر ثم الى جامعة لندن ، ونال من جامعة لندن الدكتوراه العلمية D. Sc. عام ١٩٢٨ وهى اعلى ما تعطيه الجامعات من درجات . وفى اثناء ذلك عمل مع الاستاذ بريجل Prigl فى جامعة جراتس بالنمسا .**

● عاد الى مصر فشغل وظيفة استاذ الكيمياءالمساعد بكلية العلوم بجامعة القاهرة (جامعة فؤاد عند ذاك) ثم وظيفة استاذ الكيمياء، وانتخبوكيلا للكلية وعمل وكيلا واستاذا لمدة ٣ سنوات. ثم انتخب بالاجماع عميدا لها . وتدخلت السياسةعند ذلك بمثل ما تدخلت فى امر عمادة صديقه الدكتور عبد الرزاق السنهورى بكلية الحقوق ،فكان لا بد أن ينتقل ليكون مديرا لمصلحة الكيمياء المصرية ، وذلك عام ١٩٣٦ .

● فى عام ١٩٤٥ اختير مديرا لمؤسسة البحوثالعلمية المصرية الجديدة التى سميت باسم مجلس فؤاد الاول للبحوث العلمية ، بمرتبة وكيل وزارة،وفى هذه الاثناء قام ببناء المختبرات الشهيرة بحى الدقى بالقاهرة تلك التى يطلق عليها اليوم(المركز القومى للبحوث العلمية) . وهى مفخرة من مفاخر مصر .

● اختير الدكتور زكى بعد ستة اعوام فىمجلسالبحوث ليكون وزيرا ، ومن الطريف انه عهد اليه بوزارة الشؤون الاجتماعية .

● عاد الدكتور زكى الى مجلس البحوث بعدسقوط الوزارة ، ثم غامت السماء واغبرت الحوادث ، فلم يجد بدا من الاستقالة .

● بعد الاستقالة بايام عينته حكومة الثورةفى عام ١٩٥٣ مديرا لجامعة القاهرة .

● وبعد التقاعد زاره فىبيته بالمعادى بالقاهرةرجل كريم من رجالات الكويت يعرض عليه العمل فى الكويت فىسبيل انشاء مجلة تكونهدية الكويتللعالم العربى كله ، فكانت مجلة « العربى » .

● اعمال الدكتور زكى العلمية منشورة فىالمجلات ذات الاختصاص الاوروبية ، ولكنه مارس الكتابة حتى منذ تخرجه من مدرسة المعلمين عام١٩١٤ وانشأ مع اخوان كرام له لجنة التاليف والترجمة والنشر عند ذلك .

ولما عاد من اوروبا عاد يمارس الكتابة ، فكانمنها قصة المكروب ، وجان دارك ، ومرجريت او غادة الكمليا (مع المرحوم احمد حسن الزيات) ،وبواتق وانابيب ، سلطة علمية ، بين المسموع والمقروء الخ ، واخيرا كتاب «مع الله فى السماء».وعاش الدكتور زكى حياة مركزة مليئة بجهود متنوعة شتى ، فمن اعمال جامعية ، الى اعمالعلمية، الى اعمال رسمية ، الى كتابة فى المجلات، الى اذاعات طالت سنوات . ونذكر انه قام برئاسةتحرير الهلال ، عملا جانبيا من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٠ ورأس الجمعية الكيماوية المصرية ربعقرن . **وهو عضو قديم فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وفى غيره من المجامع . وكان رحمهالله قوى البنية ، مشحوذ الرأى ، يجد الراحة ، اطيب الراحة ، بين الفئة القليلة من الاصدقاءوالفئة الكثيرة من الكتب .**

● آخر اعماله المطبوعة كتاب « فى سبيلموسوعة علمية » . وكان يعد لنشر كتابه الجديد « مع الله فى الارض » الذى ظهرت منه عدة حلقاتفى العربى تحت عنوان « وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه » . ولكن القدر لم يمهله لاتمامؤلفه الاخير . ■■

قد جاء الى النبي (ص) ـ وكان صلح الحديبية قد عقد لتوه ـ ابو جندل بن سهيل بن عمرو ، يريد اللحاق بالمسلمين والسير معهم ، فلما رأى سهيل ولده ضرب وجهه ، واخذ يجره يبتغي رده الى صف قريش ، وابو جندل يصيح : « يا معشر المسلمين أأرد الى المشركين يقتنونني في ديني » . ولم ير النبي (ص) الا ان يصبر ابو جندل . وقال : « يا ابا جندل ، اصبر واحتسب ، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا . انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، واعطيناهم على ذلك واعطونا عهد الله ، وانا لا نغدر بهم » .

ولما ذكر بعض المسلمين نية المشركين على الغدر قال : « وفوا لهم ، ونستعين بالله عليهم » . وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « الا اخبركم بخياركم ، خياركم الموفون بعهدهم » .

والوفاء واجب على المسلمين وان بدت نية الغدر من الآخرين في قوله تعالى : « وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين » .

ويرى عبد الرحمن عزام في « الرسالة الخالدة » ان « حرمة العهود فوق حرمة الدين ، فقد جعلت الشريعة حق الميثاق فوق حق الدين نفسه ، كما حرمت نصرة المسلم للمسلم على من بينه وبينه ميثاق وهو غير مسلم ، بقوله تعالى : « وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر ، الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » (الانفال ٧٢)

فاذا اجبر المسلمون على نقض العهد ، لتبين الخيانة ، فعليهم ان ينذروا بذلك ويعلنوه ، وليس لهم ان يفجأوا القوم باجراء يترتب على نقض العهد ، ما لم يعلم القوم بنقضه ، وان المسلمين في حل منه لقوله تعالى : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » (الانفال ٥٨) .

ولا ينتقض المسلمون عهدا ما لم يبدأ الآخرون بنقضه . أو يكون من هؤلاء الاخرين ما ينقضه ، كمظاهرتهم للعدو على المسلمين في قوله تعالى : « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم» (التوبة٤) وليس لهم ان ينقضوا في غير ذلك عهدا عاهدوا الله عليه لقوله تعالى : « ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » (النحل ٩١) .

وقد جرى المسلمون على ذلك حتى مع من لا عهد لهم ، فالوفاء بالعهد من مقررات الاسلام الاصلية ، يسري على الافراد كما يسري على الجماعات ، لا يقتصر على عهود السياسة ومواثيقها ، وانما يمتد الى كل ما عداها مما يستوجب الوفاء ويقتضيه من عهود ، والعهد لله ، والذمة للرسول ، فيقال : عهد الله ، وذمة رسول الله ، لذلك سمي المخالفون من اهل الكتاب بالذميين ، اى لهم ذمة رسول الله .

وليست العهود والمواثيق في الاسلام الا للخير، فلا عهد على ظلم ، ولا ميثاق على بغي او عدوان ، لقوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وأقر الاسلام ما كان من ذلك في الجاهلية ،فمن محامد العرب قبل الاسلام الوفاء بالعهد . وتامين المستجير،ومن ذلك حلف الفضول الذى عقدته قريش في الجاهلية ، لرد المظالم وانصاف المظلوم من ظالمه ، وكان النبي (ص) ممن حضروا الاجتماع، وسنه اذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فكان اذا ذكر « حلف الفضول » يقول : « لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلف الفضول ، اما لو دعيت اليه في الاسلام لاجبت ، وما يزيده الاسلام الا شدة » .

وليس في نقض العهود في الاسلام ما يبرر ظلم من نقض ، او ينفي العدالة عنه ، وهي من مقررات الاسلام ، لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » (المائدة : ٨) .

فالوفاء ـ كما نرى ـ هو شعيرة الاسلام الكبرى في كل ما يربط البشر من معاملات وعلاقات ، وفي كل ما يربط العبد بخالقه ، وبه يتميز الاسلام على غيره من عهود القانون الدولي ومواثيق الامم ، فليس لميثاق ولا لعهد او اتفاق بين الدول ما يحميه غير القدرة على الوفاء .

■■

حسين فوزي النجار

---

(٢) العربي » انظر نبذة عن « حلف الفضول » في مجلة العربي ، العدد ١٧٠/ص ١٤٢ .

مسابقة العربي

ابحث عن الإجابة بمفردك

■ عشرة أسئلة في مختلف فروع المعرفة ٠٠ اغلبها شائع معروف ، مما دعانا الى حذف بعض الاجابات الاختيارية . والمطلوب معرفة الاجابات الصحيحة على ثمانية اسئلة فقط .

★ ★ ★

١ ـ من قديم الزمان ٠٠ والانسان تواق الى المعرفة ٠٠ فمعابد الصين ٠٠ واكاديميات الاغريق ٠٠ ومدارس المصريين القدماء ، والمساجد والمكتبات في الاسلام ٠٠ ثم الجامعات بشكلها الحديث ، كانت كلها مراكز اشعاع للعلم والمعرفة ٠٠ وفي الوطن العربي اضطلعت اكثر من اربعة مساجد شهيرة كبيرة بمهام الجامعة ، في المشرق والمغرب العربي ٠٠

والمطلوب منك ذكر اسمين ـ على الاقل ـ من اسماء هذه المساجد التي صار اسمها يطلق على جامعات ؟

٢ ـ قدر العلماء ان الحيوانات البحرية عاشت على الارض منذ ٥٠٠ مليون عام ، وان صح هذا فعمر الحياة على الارض هو نصف بليون عام ٠٠ اما عمر الانسان على هذا الكوكب فيمتد طبقا للاكتشافات العلمية الى ٥٠٠ الف سنة او تزيد ٠٠ والسؤال هو :

اى وسـيلة يستعملها العلماء لتقديـر الاعمار القديمة على هذه الارض :

اشعة ليزر ـ ذرات الكربون ـ الاشعة البنفسجية ؟

٣ ـ في يوم ٢٢ مارس ١٩٤٥ وقع مندوبو الوفود العربية في القاهرة ميثاق جامعة الدول العربية ، الذى اعتبر وثيقة ميلادها ٠٠ ثم توالت توقيعات بقية الدول العربية وانضمامها الى هذا الميثاق ٠٠ واتفق الموقعون ، على تعيين امين عام لجامعة الدول العربية ٠٠ وقد تعاقب على هذا المنصب ثلاث امناء آخرهم السيد محمود رياض الامين العام الحالي ٠٠

فما اسم الامينين السابقين ؟

٤ ـ في ٢٣ يوليو من عام ١٩١٤ هبت اعظم حرب شهدتها الكرة الارضية حتى ذلك الوقت ٠٠ انها الحرب العالمية الاولى ٠٠ التى انتهت بتسليم المانيا في ١١ نوفمبر ١٩١٨ وهذه الحرب التى اشترك فيها نحو ٢٧ مليون جندى ٠٠

بدات اولى معاركها بين :

المانيا وانجلترا ـ صربيا واوستريا ـــ المانيا وروسيا ـ المانيا وفرنسا .

٥ ـ كاتب روائي بريطاني توفي عام ١٩٦٥ كان يضمن رواياته ، قصصه وكتبه في الرحلات : آراءه وخواطره ٠٠ تحدث عن اسلوبه قائلا : . عرفت انه تنقصني النغمة الغنائية في التعبير ، وان رصيدي في الالفاظ لا يبالي بالمجاز والاستعارة قليل . ولكن من ناحية اخرى قد رزقت القدرة على الاحظ
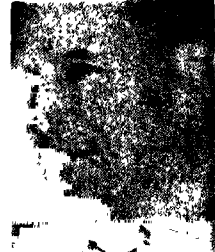
دقيقة ، وبدا لي اني ارى اشياء كثيرة لا يلحظها غيري من الناس ، وعندي حاسة منطقية • وقد رايت انه ببذل الجهد استطيع أن اصل الى مستوى الكتابة الذي تسمح به عيوبي الطبيعية » •• وكتابه « الخلاصة » هو خلاصة دقيقة وافية لفلسفة حياته ••

فمن هو هذا الكاتب ؟

سمرست موم ـ لينين ـ همنجواي •؟

٦ ـ في عام ١٩٥٥ اعلنت شركة امريكية خبرا عن تخليق الماس ، او خلق ماس صناعي ، وصل وزن الواحدة منه قيراطا ، وقطرها نحو ربع بوصة •• وانت عندما تحرق قطعة من الماس الشفاف تتحول الى مادة :

كربون ـ يورانيوم ـ زئبق •

٧ ـ ستالين •• تشرشل •• روزفلت •• هتلر •• موسوليني •• موضوع واحد مشترك يربط بينهم جميعا ••

هل يمكنك معرفته ؟

٨ ـ في العراق تندفع انهار دجلة والفرات وشط العرب •• والنيل يروي ارض مصر والسودان •• وفي سوريا يمر نهر الفرات ، والى جانبه نهر العاصي الصغير •• وفي الاردن وفلسطين يمر نهر الاردن ••

فما اسم النهر الذي يخترق الاراضي اللبنانية ؟

٩ ـ قائد عاش ويلات الحرب اذ قاد قوات الحلفاء الى النصر في الحرب العالمية الثانية •• تولى رئاسة جمهورية بلاده من عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٠ فكان داعية للسلام في كل مكان على الارض •• ولا ينسى العرب موقفه من حرب بور سعيد عام ١٩٥٦ فمن هو هذا القائد ؟

منتجومري ـ ايزنهاور ـ ماك ارثر •

١٠ ـ معركة القادسية الشهيرة وقعت بين جيشين غير متكافئين في العدد واحد كان عدد جنوده ١٦ الفا والثاني ٨٠ الف جندي ، ورغم هذا فاز الجيش الصغير على الجيش الكبير ••فاي الفرقاء اشتبكا في معركة القادسية ؟

العرب والروم ـ العرب والهنود ـ العرب والفرس •

شروط المسابقة وجوائزها

ارفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة • واكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح • ضع اجابتك في مغلف واكتب عليه العنوان الآتي : مجلة العربي/ ص ب ٧٤٨/الكويت ـ مسابقة العدد ٢٠٤ •

آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الاول من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦•

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي : الجائزة الاولى ٣٠ دينارا • الجائزة الثانية ٢٠ دينارا • الجائزة الثالثة ١٠ دنانير •

٨ جوائز مالية ، قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ دنانير •

كوبون مسابقة

المصادر الطبيعية والخبرة الانسانية

بقلم : الدكتور عزت عيسى غورانى

■ احتلت ازمة الطاقة مركز الصدارة فى اهتمام العالم بعد ان قامت الدول المنتجة للبترول بزيادة اسعاره • واتجه الاهتمام فى الحال نحو ضرورة ايجاد مصادر جديدة للطاقة •

وكان موضوع البيئة ينال اهتماما خاصا قبل ذلك بعد ان تبين ان سوء استعمال المصادر قد يخل بحالة توازن البيئة وانه يلحق اضرارا كبيرة بحياة الانسان والحيوان والنبات ، فنادى المهتمون بامور البيئة بضرورة استعمال المصادر استعمالا صحيحا من اجل ضمان حالة التوازن هذه •

وتذكرنا المجاعات التى هددت وتهدد حياة الانسان باستمرار بان ازمة المصادر الغذائية هى *ازمة حقيقية وانها فى حاجة الى حل سريع وحاسم* •

وهكذا يتبين ان عددا لايستهان به من الازمات التى تواجهنا فى حياتنا اليومية هى ازمات مصادر فما هى المصادر وما هو معناها ؟

المعنى الشائع لكلمة المصادر

ان المعنى الشائع لكلمة المصادر هو ا
مادية يمكن ان نراها باعيننا وان نلمس
وانها اشياء كمية هى جزء لايتجزء ا
الطبيعى الذى نعيش فيه ، واصبح مفهوم
يقترن اقترانا اكيدا بكميات معينة من
الحديد او البترول او غيرها هى قابا
بالاستعمال •

وهناك مفهوم آخر للكلمة يؤكد ان المص
فى اكثر الاحوال اشياء مادية صرفة
معناها للثروات الطبيعية ، بل انها ت
مابين هذه الثروات وبين الخبرة الا
فالثروات الطبيعية هى بعض ماتجود
الطبيعة ومعظمه محدود فى كميته •
الانسانية فهى كل ما تجمع لدى الانسان
خلال القرون الطويلة التى عاشها ، ا

الحديد الخام هو ثروة طبيعية ما
وليس كذلك الفولاذ

في مداها كلما ارتفعت مستويات العلم واتسعت افاق التجربة.والتفاعل فيما بينهما منتج للمصادر كما ستبين فيما يلي :

الانسان تمكن من فرض سيطرته على الطبيعة

لم يكن الانسان فى حياته البدائية الاولى [...] كثيرا عن الحيوان فى كيفية مواجهته الطبيعة • فقد كان يستمد منها وبصورة مباشرة كل ما احتاج اليه من ماء وهواء ونبات ، كما كان يتعرض لمختلف آفاتها كالامراض وتقلبات الجو والحيوانات المفترسة • فكان من هذا القبيل جزء لايتجزء من الطبيعة يحصل منها على ما يضمن بقاءه . يتعرض لكل ما كان يهدد هذا البقاء دون ان يكون فى مقدوره تعزيز هذا البقاء •

وو[...] الانسان البدائي ان الطبيعة كانت شحيحة عليه [...] • فقد كانت حياته فى خطر دائم بسبب سوء الظروف الطبيعية وندرة ما كانت تجود به عليه [...] عا ، وكانت موارده وامكانياته الفنية محدودة فخضع لنفس قوانين التبيؤ والتكيف السلبى التى كانت تخضع لها غيره من الحيوانات •

من قيود التكيف السلبى ، الى حرية التكيف الايجابى

ولكن الانسان ، ليس كغيره من الحيوانات العضوية الاخرى،يتحلى بميزات جسمانية وعقلية كثيرة مكنته تدريجيا من التجرد عن حياته الاتكالية ومن البدء فى فرض سيطرته على الطبيعة • فحرر نفسه بذلك من قيود التكيف السلبى الى حريه التكيف الايجابى••وتخلى عن كونه جزءا لا يتجزا من الطبيعة فاصبح نظيرا لها • فقد تعلم على مرور الزمن كيف يشعل النار ويقيم ملجا لنفسه ويستخرج الطاقة ويستعملها فازداد بذلك مقدار سيطرته على محيطه الطبيعى •

وقد واكب هذا التحول فى حياة الانسان تطور فى مدى معرفته وخبرته • فقد ارتفعت مستوياتهما على مر السنين ، كما انتقلتا من جيل الى جيل ومن مكان الى آخر • فنشات الحضارات وما زالت تنشا ، وازدادت مقدرة الانسان فى السيطرة على بيئته وعلى ثرواتها وما زالت تزداد •

المصادر الطبيعية قليلة الجدوى ، لولا فطنة الانسان

أما المصادر المتوفرة للانسان الآن فهى فى معظمها من صنعه وهى نتيجة لجهده المتواصل فى ميادين العلم والمعرفة والتجارب من اجل تحقيق غاياته واهدافه ، وهى ليست كلها ثرواتطبيعية•

فوجود النفط ، وهو ثروة تجود بها الطبيعة ، بالشكل وفى المكان المناسبين لاستعماله هو امر نادر حقا • ولو لم تكن هناك آلات حفر الآبار ، والانابيب، والسفن الشاحنة ومصانع التكرير وهى كلها من صنع الانسان لما امكن استعمال هذه

الثروة الطبيعية بالشكل الذى نراه ونعرفه • والحديد الخام هو ثروة طبيعية فى باطن الارض اما الفولاذ فهو ليس كذلك • وهناك الاف من المركبات التى يستعملها الانسان مباشرة او بطريق غير مباشر هى كلها من نتاج خبرته ومقدرته •

وتعتمد هذه المقدرة على ما وهب الانسان من ملكة على التفكير والتعبير والمعالجة اليدوية • اما ما تجمع لديه من انجازات فهى تشكل فى مجموعها حضارة الانسان • وبعض هذه الانجازات ملموس وظاهر للعيان كالقنوات والابنية والآلات ، وبعضها غير ملموس كالتطور الفنى والمهنى والاجتماعى ولكنها ترفع من مستويات المقدرة الانسانية على الانتاج •

والطبيعة التى تجود بالخيرات ، تجود بالآفات

والطبيعة التى تجود علينا بكل الخيرات هى نفسها مصدر لكثير من الآفات التى تصيب الانسان والحيوان والنبات • فالثعبان السام هو وليد الطبيعة كما ان العنادليب وليدها • والاعصار المدمر هو ليس اقل صلة بالطبيعة من تيار خليج المكسيك • وكذلك الارض القاحلة والارض الخصبة •

ولكن الطبيعة لاتستجيب تلقائيا وبسخاء لسد حاجاتنا الفردية والجماعية • وهى لاتعمل تلقائيا من اجل منع وقوع الضرر • غير انها تستجيب طوعا للقوى العقلية الخلاقة،وتزداد هذه الاستجابة مع زيادة المعرفة •

الثروات الطبيعية قابلة للزيادة والنقصان

والثروات الطبيعية قابلة للزيادة والنقصان• وهى تزداد زيادة كمية،كما انها تزداد زيادة طيفية استجابة لارتفاع مستويات العلم والتجارب الانسانية ، فاكتشاف حقول جديدة منتجة للبترول يزيد انتاج ويزيد احتياطى البترول زيادة كمية • اما لو امكن وبسبب التقدم التكنولوجى ، من توليد وحدة من الطاقة باحراق كمية اقل من البترول ـ ولتكن على سبيل المثال نصف الكمية التى يجرى احراقها حاليا ـ لتضاعفت مقدرة كمية معينة من البترول على توليد الطاقة • وهذا يعادل مضاعفة كمية الاحتياطى • فالزيادة الطيفية اى تشير الى امكانية زيادة المنفعة الحاصلة من استعمال كميات متضائلة من مصدر طبيعى معين •

والثروات الطبيعية تستنزف بالاستعمال وبالاهمال، ذلك ان علاقة الانسان بمحيطه الطبيعى ليست كلها علاقات ايجابية تؤدى الى زيادة المصادر بل ان بعضها سلبى يؤدى الى نقصها واستنزافها•

وبعض هذا الاستنزاف طبيعى ولا يمكن تفاديه. فهو نتيجة حتمية يفرضها الاستعمال كما هو الحال لدى احراق الفحم الحجرى او مستخرجات النفط لتوليد الطاقة •

ولكن استنزاف المصادر ليس كله من هذا القبيل اذ ان بعضه ناتج عن سوء تصرف الانسان واهماله لبيئته بسبب انانيته وقصر نظره ، فالانسان يسعى للحصول على مايريد فى الحال ودون ان يابه فى اكثر الاحيان لاثر ذلك على المستقبل • ولو تطلب سعيه وراء الربح القاء فضلاته الصناعية فى مصدر مائى لما تردد عن ذلك فى بعض الاحيان•

هذا النوع من الاستنزاف لمصادر الطبيعة نال وينال اهتماما متزايدا فى جميع الاقطار•والدعوة الى اقامة حالة من التوازن الايكولوجى اى البيئى نالت وتنال تاييدا متزايد كما هو معروف •

الثروات الطبيعية ، منها المدخر ومنها المنساب

هذا مع العلم ان الثروات الطبيعية ليست موزعة توزيعا متساويا فى جميع الاقطار • فهى تختلف فى كميتها وفى نوعيتها وفى تكرار وجودها• وبعض الثروات وفير الوجود كالاكسجين فى الهواء وبعضها نادر ومحدود كمعدن الزنك • والندرة تتاثر بامكانية استعمال مواد بديلة ، وهذه بدورها خاضعة للمستوى الفنى والتكنولوجى • وتكرار وجود الثروات الطبيعية يعتمد على كونها من النوع المدخر او المنساب •

فالفحم الحجرى هو مثل للثروة المدخرة ومياه النهر هى مثل للثروة المنسابة • ومعظم الثروات المدخرة هى قابلة للاستنزاف بالاستعمال،الا ما كان منها من النوع الدائر ، فالفحم يستنزف بالاحراق اما الحديد والفولاذ فهو قابل للاستعمال من جديد• اما الثروة المنسابة فهى قادرة على تجديد نفسها بنفسها كما هو الحال بالنسبة لانسياب مياه الانهار•

وتجدر الاشارة الى ان جميع الد ثات

الايكولوجية هي من النوع المنساب القادر على تجديد نفسه ان لم تتعرض الى عوامل خارجية تؤثر على حجم هذا الانسياب • فخصب الارض يتجدد طبيعيا وفي كل سنة • ولكن استنزاف قوى الارض ممكن اذا زرعت فيها وباستمرار نباتات تستخلص الكيمياويات منها بسرعة تفوق سرعة الارض على توليدها • كذلك الغابات ان هي لم تتعرض لاخطار النيران • والابتذال في الاستعمال فانها تستطيع توفير سيل متواصل من الاخشاب • والدورة المائية التى تدور في مسلك منتظم هي ايضا من هذا القبيل •

لابد من تفاعل دينامي ، بين الثروات الطبيعية والخبرة الانسانية

هذا مجمل للمفهوم الذى يحاول نقض الاعتقاد السائد وهو يؤكد بان المصادر ليست اكثر من تفاعلات دينامية مابين الثروات الطبيعية والخبرة الانسانية • وانها لهذا السبب تتطور مع تطور ثقافة الانسان واهدافه •

والتفاعل مابين الثروات الطبيعية والخبرة الانسانية يقيم حالة من الانسجام والتكيف الايجابي بينهما ، فهو يمكن الانسان من محاكاة الطبيعة كما حدث عندما انتج خيوط (الريون) المماثلة لخيوط الحرير • والتفاعل يمكن الانسان من ادخال تحسينات على الطبيعة كما حدث عندما حسن نوعية وانتاجية البذور والاشجار والحيوان • والتفاعل يمكن الانسان ايضا من خلق وتطوير مصادر جديدة كالمركبات الكيماوية •

فالطبيعة اذن تعمل كشريك مع الانسان في انتاج كل ما هو ضروري من اجل بقاء الجنس ورفع مستوياته المعيشية والحضارية ، ولكن الطبيعة ليست دائما شريكا كامل التجاوب • فالانتاج الطبيعي ليس دائما انتاجا كافيا • ولذا فقد قام الانسان ومايزال يقوم بتحسين نوعية وكمية هذا الانتاج ، كما فعل بالنسبة للحيوانات الداجنة اذ تمكن من تحسين نوعية وكمية ما تنتجه من لحم وحليب وبيض • والانتاج الطبيعي لايتم في اغلب الاحيان في المكان الذى سيجرى فيه استعماله ، فالقطن يزرع في مناطق معينة بينما يتم نسجه في مناطق اخرى • والبترول ينتج في مناطق معينة بينما يتم استعماله في مناطق اخرى • ولذا فقد بذل الانسان وما يزال يبذل الجهد من اجل وصل اطراف الارض بشبكة كثيفة من طرق المواصلات من الاماكن التى يتم فيها الانتاج الى المناطق التى سيجرى فيها استعمالها• وبالاضافة الى ذلك فان توقيت الانتاج الطبيعي لاينسجم في معظم الاحوال مع الحاجة الى ذلك الانتاج • فالانسان يحتاج الى طعام في كل يوم • ولكن الطبيعة في انتاجها للمواد الغذائية تتجاوب وبشكل منتظم مع الفصول السنوية • ولذا فقد بذل الانسان وما يزال يبذل الجهد من اجل اقامة وسائل لخزن الانتاج كالعنابر ودور التبريد ومصانع التعليب وغيرها لكي يتم استعماله لدى الحاجة •

واحوال عدم التجاوب هذه هي جزء من المقاومات الطبيعية التى يحاول الانسان تذليلها من اجل تحقيق اهدافه التى قد تكون فردية او جماعية ، اما المصادر فهي الوسائل لتحقيق هذه الاهداف •

الوسائل تتغير بتغير الاهداف

ولكن الوسائل تستخلص معناها من الاهداف • فاذا ما تغيرت الاهداف تغيرت من بعد الوسائل الكفيلة بتحقيقها • فاهداف بلد في زمن الحرب تختلف عن اهدافه في زمن السلم • وتتسع الاهداف الفردية والجماعة في مداها وفي متطلباتها مع ارتفاع المستويات الثقافية والحضارية • وهكذا تتغير الوسائل •

ويجدر القول ان تاكيدنا لعاملي الثقافة والخبرة لايهمل الواقع الطبيعي • فالطبيعة كما ذكرنا تجود علينا بقدر معين من الثروات • وهذا يقرر الحدود التى يستطيع الانسان العمل في ضمن اطارها من اجل تحقيق اهدافه •

ومادام الانسان يرقى سلم التقدم العلمي فمن الطبيعي ان ترقى مستويات ثقافته وخبرته ، وان تزداد بالتالي قدرته على خلق مصادر جديدة ، وعلى ايجاد استعمالات جديدة للمصادر المعروفة وعلى تذليل المقاومات الطبيعية • ■■

دكتور عزت غوراني

استاذ الاقتصاد
كلية عبدان للتكنولوجيا

★ ★ روسو والحرية ★ ★

● جان جاك Jan Jacques Rousseau (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) الكاتب السياسى والفيلسوف الفرنسى ، الذى مهد بكتاباته لثورة فرنسا الكبرى ، قال يحدثنا عن الحرية ، « انها ليست شيئا يهدى . فالرجل يستطيع ان يعيش حرا ، حتى فى ظل الطغيان والدكتاتورية ، ويكفيه ان يكون غير مؤمن بما يحدث حوله ، فالرجل الذى يفكر بعقله هو ، لا بعقل غيره ، هو رجل حر . والرجل الذى يكافح من اجل رأى يؤمن به هو رجل حر ، حتى لو كان كفاحه فى الظلام ! والعكس صحيح ، فكثيرا ما نجد رجالا يعيشون فى اكثر بلاد العالم تمتعا بالحرية ، وبالرغم من ذلك نراهم فى حياتهم كالعبيد،فهم لا يفكرون، ولا يعملون ولا يبتكرون .. فالحرية شيء ينتزعه الرجل لنفسه انتزاعا ، لانها لم تكن يوما شيئا نستجديه ! » .

■ ■ نسيج العنكبوت ■ ■

● هنـــرى جيمـــس Henry James (١٨٤٣ ـ ١٩١٦) ، الكاتب والقصصى الامريكى المشهـور والشقيـق الاصـغر للفيلسوف الامريكى وليام جيمس ، وضع ما يزيد على المائة قصة ، وكان من اكثر النقاد حساسية فى عصره ، كتب يحدثنا عن الخبرة .. الخبرة فى الحياة وفى العمل ، قال : « انها الشيء الوحيد الذى لا حدود له ، والذى لا يمكن فى يوم من الايام ان يكتمل . فالخبرة اشبه ما تكون بنسيج العنكبوت الذى صنع من ادق انواع الحرير الناعم .. وهـو دائما هناك ، يلتقط كل شيء يمر بـه ويحوم حوله ويحتفظ به بين خيوطه الدقيقة الرفيعة ..ولا تفوته فرصة واحدة دون ان يستفيد منها فى اقتناء كل شيء جديد مهما كان صغيرا ، ومهما كان تافها .. وهكذا يبقى النسيج الى ان يموت العنكبوت ! » .

● ● لقاء الله والعلماء ● ●

● توماس هكسلي Thomas Huxley العالم البريطاني الشهير (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) ، كان من اشد المتحمسين لداروين ونظريته « النشوء والارتقاء » . وقد انعكس هذا الحماس على ابحاثه ومؤلفاته العلمية . ولكنه سرعان ما تحول عندما بدأ يرى الله في كل شيء حوله . الى ان تجسد ايمانه اخيرا في كتابه « مكان الانسان في الطبيعة » .

قال يحدثنا فيما رآه من قدرة الخالق « في شروق الشمس ، رأيت اعظم ما يمكن أن يراه انسان امن بالله .. وهل هناك اروع من تلك اللحظة التي يظهر فيها هذا القرص الهائل من نفس المكان ، في نفس الوقت ، كل يوم ، فيبدد بضوئه الظلام الذي يحتوينا كلما غربت عنا الشمس .

« ان الله والعلم لا يفترقان .. انهما دائما على موعد ، وفي لقاء ، في كل تجربة ، في كل بحث يقوم به العلماء للكشف عن اسرار هذا الكون . »

الامس والغد

لا تحمل الامس فوق ظهرك ، لانك لو فعلت فسوف تسير وحدك محني الظهر وسط هامات عالية .. فالامس موت ، وغدا حياة، والموتى لا يعودون !

« بلزاك »

بين الزوجين

المناقشات بين الزوجين . كالمشرط في يد الجراح .. لا بد لكل منهما ان يستعين بكل ما لديه من دقة وعناية وهو يعمل به لاستئصال الداء . وكم من مرضى لاقوا حتفهم بسبب الاهمال !

« اندريه موروا »

■ ■ تجربة الحياة والحب ■ ■

● جين اوستن Jane Aesten (١٧٧٥ ـ ١٨١٦) الكاتبة والمؤلفة الانجليزية قالت تحدثنا عن الحب : « نحن نكبر دون ان نتعلم كيف نفرق بين الحب والجنس والرغبة . وغالبا ما نعتقد أن الحب هو اسرع وأفضل وسيلة تخلصنا من الشعور بالوحدة والقلق ، وأنه الطريق الوحيد الاكيد الذي يجب ان نسلكه في سبيل تحقيق السعادة التي نصبو اليها .

« ويدفعنا جهلنا بالمشاعر الانسانية الى تشجيع الزواج بوصفه العقار الوحيد المهدئ لمن يعاني من مثل هذه الاعراض ، رجلا كان أم أمرأة !

. هل استطعنا بعد هذا أن نضع تعريفا للحب ؟ والجواب لا ! . ولكن ربما وجدنا في حديث تلك السيدة التي التقيت بها يوما بعد مرور ٢٥ عاما على زواجها ، الجواب على معنى الحب ؟ قالت تحدثني وهي تجلس وسط ابنائها الاربعة « الحب يا سيدتي هو تجربتك مع الرجل الذي عشت معه حياتك ! » .

وَحْدَةُ اللهِ تَتَراءَى فى وَحْدَةِ خَلْقِهِ
وقُدْرَةُ اللهِ تَتَراءَى فى بَدِيعِ صُنْعِهِ

التناسل

حيوانات تلد ، وأخرى تبيض ، والظاهرة واحدة
الخنوثة ظاهرة لها فى الحيوانات شيوع
إناث ينتجن لم يمسسها ذكر
ومن الحب حب اسموه بالعذرى ، وهى أكذوبة كبرى

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ التناسل فى بنى الناس وسيلة ، اى يتعاون رجل وامرأة فى انتاج الولد ، من ذكر او انثى • ويكبر الولد الذكر وتكبر الانثى ، فيتعاونان على خلق انتاج جديد ، وهكذا يمتد النسل فى سلسلة متطاولة • وهى سلاسل من الذريات تجرى فى سكان هذه الارض لا تكاد تنقطع على مر السنين والقرون ، حتى ليكاد يحسبها الحاسب مخلدة على الزمان • وهى ان لم تكن خلودا فهى قاربت فى تقرير الانسان معنى الخلود • وهو خلود الجنس البشرى واتصال عمارته للارض •

خلود الجنس ، مكان خلود الفرد

وعمر الانسان فى هذه الحياة الدنيا قصير ، وهو يكره هذا القصر ويود لو طالت الاعمار • انه يود الخلود • وعجز عن نيل الخلود • فقام خلود الجنس يعوض عن خلود الفرد •

والتناسل سبيل الوصول بالناس الى هذه الغاية ، الى خلود الجنس • وهى غاية لم تكن من صنعهم وانما هى احدى غايات الحياة التى فرضت على الاحياء فرضا •

ظاهرة توحى بمعنى الوحدة

وليس كالتناسل ظاهرة من ظواهر الخلق توحى بمعنى الوحدة واضحة بينة بين الناس . فألوف الملايين من بنى الناس ، فى شتى الارجاء ، ينسلون . والاسلوب واحد والنتيجة واحدة . والعملية التى تجرى فى احشاء المرأة بعد اللقاء واحدة . وهى تجرى على الصحة والمرض باسلوب واحد . وهذا ما مكن من وجود قسم فى الطب يعرف بطب النساء . وهو طب يفترض الوحدة فى ظاهرة الحمل ، من اسباب تطرأ واعراض وامراض . والطبيب النسائى يعالج المرأة الحامل فى كندا ، كما يعالج المرأة الحامل فى قبائل الزولو بأواسط افريقيا ، وفقا لتعاليم فى الطب واحدة ، ...يت على ظاهرة الوحدة بين الخلق .

والتناسل ظاهرة واضحة تدل على الوحدة القائمة بيننا وبين الخلائق لاننا نحن بنى الناس نعيش ويعيش معنا الكثير من الحيوانات . فالقط ، والكلب ، والحمير والخيل ، والماشية على شتى انواعها ، والدجاج والارانب والاوز ، والاغنام ، كلها تعيش وتتكاثر وتتناسل على اسلوب اشبه ما يكون باسلوب الانسان ، فى التقاء الذكر بالانثى ، وبالحمل من بعد ذلك . حتى حيوان الوحش ، ومستضيفيه فى حدائقه ، من اسود ونمور وفهود وضباع وذئاب وثعالب ، نألفه ، ونألف حياته ، ونعرف من امر تناسله ما يزيد عندنا بالوحدة ايمانا .

التناسل نوعان

والتناسل نوعان فى الخلائق

النوع الاول ، وهو فى حسباننا الارقى ، وتختص به الاجناس العليا فى الحيوانات خاصة ، فهو التناسل الذى يبدأ بالتحام

خليتين ، خلية للذكورة وتأتى من عضـو ذكر ، وخلية للانوثة ، وتأتى من عضـو انثى،ويتألف من هذا الالتحام خلية واحدة هي اول خلية يبدأبها تكون المخلوق الجديد· وذلك بالتقسم من بعد التقسم من بعـد التقسم ، ثم التخلق وظهور اعضاء النسل الناتج · وعند الاكتمال ينفصل الكائـن الحى شيئا حيا يمارس الحياة لأول مرة ·

ومثل ذلك تناسل الانسان · وخلية الذكر هى الحيوان المنوى ، وخلية الانثى، هى البويضة الخارجة من المبيض · الـى قناة البيض ، الى رحم المرأة حيث يبدأ الحمل ويتم ، ثـم يولـد بشرا سويا ·

وكالانسان كل ماسبق ان ذكرنا من حيوانات مستأنسة او مستوحشـة · ذكر وانثى يلتقيان ، ويعطى كل نصيبه فـى عملية الانسال · والحيوانات التى ذكرنا كلها من ذوات الفقار ·

أما النوع الثانى مـن التناسل فهـو اللاجنسى ، فليس فيه ذكر وانثى ·

ونبدأ بالحديث عن التناسل الجنسى

فى الحيوانات ذوات الفقار يكون التلقيح داخل جسم الانثى او خارجه

والتلقيح هو اجتماع خلية الذكورة (من الاب) بخلية الانوثة (من الام)

والتلقيح فى الفقاريات قديم داخل جسم الانثى او خارجه ·

فـفـى الاسماك توجـد انواع تتلقـح داخليا ، وهى من اجل ذلك تلد · وانواع اخرى مثل سمك الاريوان Trout ، وسمك سليمان Salmon تضع الانثى خلايا الانوثة، ويضـع الذكر كذلك خلايـا الذكورة فى الماء ، ويحدث التلقيح فيه ، فينمو السمك الجنين الى ان يكتمل · كل هذا يحدث دون مساس يقع بين الذكر والانثى ·

وفى البرمائيات كالضفدع يضم الضفدع الذكر الضفدع الانثى من خلف ظهرها ، وهو اذ يعصر بطنهـا يخرج منها بيضها ويسقط فى الماء ، وفى نفس الوقت يسقط

من السمك مايلد ، ولكن الكثرة تلقى بيضها فى الماء ، وتتلقح النطفتان ، من ذكر وانثى فى الماء وفيه ينمو الجنين فى غيبة الام والاب ·

الذكر منيه فى المـاء ، وفى المـاء يحدث التلقيح المنتظر · وهذا تلقح خارجـى · ويحدث التلقح الداخلى فى البرمائيـات ذات الذنب ·

وفى الزواحف يقع التلقيح داخليا ، اذ يدخل عضو الذكر فى باطن الانثى ويفرغ فيها منيه ·

وفى الطيور يقع التلقيح داخليا ايضا ، وفيه يمس است الذكر است الانثى، واثناء هذا المساس تخرج النطفة من الذكر فتدخل فى الانثى دون ان يكون هناك قضيب هاد ليهديها الطريق· فهذه هى القاعدة الجارية فى الطير ·

اما فى الحيوانات ذوات الثدى فالتلقيح داخلى دائما أبدا ، عضو الذكر يدخل فى مهبل الانثى ويصب فيه منيه ، فعل الرجل بالمرأة ·

فهذه هى اقسام الحيوانات الفقاريـة الخمسة ·

اختلفت صيغها وبقى الاساس واحدا

هى الوحدة التى ننشدها : عامل ذكورة يجتمع بعامل أنوثة فينتجان خلقا جديدا ، فيه من الآباء صفات كما فيه من الامهات صفات ·

ومن الحيوانات ذوات الفقار مايحمل ، ومنها مايلقى بيضه

أما الذى يحمل من الحيوان ، كالانسان والقردة والفيلة وسائر الوحش ، وكذا المستأنس كالكلب والقط والخيل والماشية والاغنام، والارنب والفار ، فهذه تستضيف الجنين فى ارحامها ، تعطيه الدفء، وتعطيه الغذاء ، حتى يكتمل خلقه ، ثم هى تلده ·

واما التى تلقى ببيضها ، كالدجاج وسائر الطير ، فهى انما تلقيه جنينا بادئا بعد تزويده بالغذاء اللازم والكافى الى حين ان يكتمل نموه · اما الدفء فيتولاه الكثير من الامهات ، وقد يشترك معها الآباء فى الرقاد عليه ·

اسلوبان مختلفان لميلاد وبيض يهدفان الى هدف واحد ، هو اقامة الحياة على اساسا الواحد المعروف ·

حوافز الجنس لالتقاء الذكر والانثى

لولا هذه الحوافز ما كان هناك لقاء لميلاد ، وما تلقحت بيضة من نطفة ذكر ، وما كان نسل ، ولا انتهى الجيل فما اعقبه فى هذه الدنيا جيل آخر ، من انسان او حيوان ·

والحوافز تدخل او تثار فى الذكر والانثى عن طريق الحواس ، من نظر ، فسمع ، فشم ، فمساس · والهرمونات الخاصة تهيء الجسم لهذا اللقاء الجنسى ، وكذا الجهاز العصبى ·

ومما يذكر فى هذا الصدد من الغريب ان من الاسماك ماتفرز فى الماء مادة لها رائحة يدرك منها السمك الذكر ان هناك سمكة انثى تطلب اللقاء · وفى الزواحف يقوم اللون وتقوم الرائحة عونا على جمع الذكور والاناث ، واللون يفعل فى الطيور عمله كما هو معروف ، وفى زواق الديك اغراء للدجاجة لكى تستجيب ·

والانسان سمى هذا الميل الجنسى حبا ، فان تيسر امره ، فيها ، وان تعسر حفز الشباب الى انتاج الشعر الجميل الذى سموه غزلا ، وهو اشد وقعا كلما اشتد امتناع · وفى الزواج الشفاء كل الشفاء·

ومن الحب ماسموه بالعذرى ، ووصفوه بانه حب طاهر لاغاية له · اما الطهارة فكلمة نابية ، فما شيء كالجنس اودعه الله طبائع الخلق الا هو طاهر · واما انه لاغاية له ، فيكذب ذلك مجنون ليلى · فهو احب ليلى وطلب الزواج منها واكلته الغيرة عندما تزوجها غيره ·

ان انتشار حوافز الجنس بين الخلق انما هو مظهر من مظاهر الوحدة بين الخلق لاشك فيه ·

رابطة الجنس فى الخلق بين وثاقتها ودوامها ، وانفراطها على الفور

لعل الانسان هو سيد الخلق من حيث انه اذا اتصل بالمرأة دام اتصاله بها ، ومنها ومن ذريتها انتج الاسرة · وهذا حكم الاكثرية الكاثرة · وقد يتصل بأكثر من مراة ، ويولدها الولد ، فتزيد بذلك اسرته حجما او تتعدد ·

أما فى الحيوانات ، وفى الفقاريات خاصة فالكثرة عادتها الاباحة،يلقى الذكر الانثى، ويصنع مايصنع لاجتذابها ، فاذا قضى منها وطرا ، مضى لسبيله ونسى كل النسيان ماكان بينه وبينها ، فعل بعض الناس · ويلتقى الحيوان باخرى فاخرى ، لايقر له قرار ·

على انه من الحيوانات الفقارية من يحفظ الولاء ، طويلا او قصيرا فيألف الذكر انثاه السنوات الطويلة او العمر كله · واعلم ان من هذه الحيوانات سيدها، الاسد ، فهو يلازم لبؤته لايكاد يفارقها ، وينتجان الاشبال فتتم الاسرة،ولكنه ينحرف

حوافز الجنس تثار فى الذكر والانثى عن طريق الحواس،من نظر ، فسمع ، فشم،فمساس

احيانا كأنما يتشبه بانحراف سيد الحيوانات جميعا ، الانسان ·

وقرأت آخيرا خبرا علميا غريبا ، ان الذئاب من اخلص الحيوانات ولاء لاناثها، ومن اطولها ولاء ، حتى ليتصل العمر كله·

النسل
رعاية امه وابيه
فى شتيت من أنواع الحيوانات

ويتقدم الحيوانات فى رعاية الولد الانسان

وهما رعايتان،رعاية الجنين وهو ينمو، ثم رعايته وقد اكتمل وخرج الى الدنيا فردا ·

والحيوانات ذوات الفقار ، ارقاها خلقا الحيوانات ذوات الاثداء،والجنين فيها ينمو ، ويستقيم نموا ، وهو فى رحم امه ، فالعناية به قائمة ، الا جنسا منها يبيض ولا يلد ·

والعناية فى الرحم قائمة دون ارادة المرأة الام ، ودون فهمها لما يجرى ·

فاذا انتقلنا من ذوات الفقار الى الطيور ، وجدناها تبيض · وجنينها فى بيضها فى حاجة الى الطعام وهذا قد تم بما احتواه البيض من غذاء · ولكنه فى حاجة كذلك الى الدفء ، وتعطيه الدفء الام بالرقاد عليه ، وقد يقوم الاب من ذلك بنصيب· فهل هو يفعل ذلك عن فهم او هو توجيه الخلق الوجهة الصالحة ؟ والام تقوم ـ قبل ان تبيض ـ ببناء العش الذى سوف تبيض فيه· فمن علمها انها ستبيض، ومتى تبيض ؟ ثم من علمها بناء العش، وهى ليس لها ام الى جانبها تعلمها من ثقافة الطير شيئا · انها ثقافة تأتى مع الجنين مخطوطة مرسومة ·

ومن الطير ننتقل الى الزواحف · وك

، انواعها يلقى ببيضه حيث يرجى له الدفء والامن ، ثم يتركه لايدرى من امره بعد ذلك شيئا • ولكن من السحالى والثعابين انواع تبقى من ذريتها حتى يفقس البيض •

بقيت الحيوانات البرمائية والاسماك ، وهذه لايكاد يوجد بها شيء من العناية بذريتها ، معنى هذا ان العناية بالذرية تهبط كلما هبطنا فى السلم الحيوانى •

ونعود للانسان فنقول انه ، وهو ارقى الحيوانات بناء ينتج الولد اعجز مايكون ، فلابد له من تربية تهيئه للحياة يخطو فى طرقاتها خطواته الاولى •

وهكذا الحال فى الحيوانات ذات الاتداء • حتى الطير لابد من ان يعلم فراخه كيف تطير •

أما الحيوانات ، ذات السماء الادنى ، تلك لاتعنى بذريتها ، فيخرج نسلها ليمارس الحياة على الفور • فعلم الحياة كان اختزن فى جبلته اختزانا •

الخنوثة فى الحيوانات

لقضاء حاجة الجنس عضوان ، عضو ذكر وعضو انثى • والذى الفناه نحن معشر البشر ، انهما عضوان منفصلان ، كل عضو قائم فى كائن حى بذاته • فعضو الذكورة فى الرجال ، وعضو الانوثة فى النساء •

وندر ان يجتمع العضوان فى كائن واحد • فان هما اجتمعا سمينا الشخص الذى اجتمعا فيه خنثى ، والجمع خناث • وقد جاز ان نسميه « أخنث » والجمع « خنث » •

الذئاب من اخلص الحيوانات واطولها ولاء لرفيقة حياتها •

■ ■

يلازم الاسد لبؤته لايكاد يفارقها وينتجان الاشبال فتتم الاسرة •

رعاية الطير لذريته تتضمن بناء العش وتدفئة البيض ، واطعام صغاره وتعليمهم الطيران ٠

ونحن معشر البشر نألف هذه الخنوثة فى ازهار النبات ، اذ يجتمع فى الزهر الواحد عضو التذكير وعضو التأنيث ، ويجرى التلقح بينها فى نفس الزهـرة الواحدة ٠

واذا نحن قصرنا القول على الحيوانات لقلنا ان الحيوان ذات الفقار ، من ذوات الثدى الى الاسماك،لاخنوثة فيها ، يستثنى من ذلك سمك يبدأ وله وظيفة الذكر ثم يتحول بعد ذلك فيكون له وظيفة الانثى ٠

ومثل ذوات الفقار من الحيوانات كل الحشرات تقريبا ، الذكر وحده والانثى وحدها

ويقع انفصال الجنسين ، اكثر من وقوع الخنوثة ، واكثر كثيرا،فى الحيوانات التى هى ارقى فى السلم الحيوانى مما نذكر ٠ ويقع الجمع بين عضو التذكير والتأنيث كثيرا بين اللافقاريات ٠

وكل هذا يدل على ان انفصال العضوين، عضو الذكورة في كائن ، وعضو الانوثة فى كائن ، هى ارقى خلقا من الجمـــع بينهما ٠

وبالجمع بين النطفتين من كائنين مختلفين، نجمع بين خصائص هذين الكائنين ٠

ولا يفوتنا ان نقــول انه فى اكثـر الحيوانات نجد الذكور اكثر نشاطا من الاناث ، واقدر على جمع المؤونة والزاد ، واعز حماية وتوفير امن ٠

عذارى تنتج دون ان يمسها ذكر

لازلنا نتحدث فى الجنس ، وهو يجمع بين الذكور والاناث فى سائر الحيوانات ذات الجنس ، فينتج ، من ذلك ، الولد ٠

ومن الانثيات ما تنتج البيض ، فـلا يكون للبيض نطف من ذكر تخصبه ، ومع هذاتسير البيضةقدما فينتج الكائن الجديد، وهو يحمل خصائص امه وحدها اذ لا اب له ٠

وتسمى هذه الظاهرة بـولادة العذارى Parthenogenesis ، وهى ظاهرة طبيعيــة تحـدث فى عـدة من صنـوف اللافقريـات ، واساسـا فـى الحـشرات والقشريات ٠

ونضرب مثلا لذلك نحل العسل ٠

فملكة النحل تنتج من بيضة ملقحة ٠ ويزودها الذكر بمقدار كبير من المنويات، وهى تحتفظ بها المدة الطويلة ، وبها تخصب بيضها لتنتج الشغالة من النحل ، وهى اناث ٠

اما الذكر الذى خصب بيض الملكة ، فينشأ عن بيضة غير ملقحة ٠ ظاهرة هى بعض غرائب الخلق ٠

على ان العلماء امكنهم معالجة البيض التى لـم تلقح ، بالوسائـل الكيماوية والطبيعية ، ونجحوا فى اغمائها بعض الجنين حتى تم ٠٠ وقع هذا فى الضفدع وفى قنفذ الماء Sea urchins ، وفى الديكة الرومية Tuseys ٠

التناسل اللاجنسى

تحدثنا عن التناسل الجنسى بالـذى فيه الكفاية للهدف الذى نبتغيه ·

بقى الحديث عن التناسل اللاجنسى ·

والتناسل اللاجنسى لايشترك فيه ذكر ولا انثى ، ولا عضو ذكورة وعضو اناث ، ولا نطفة من ذكر تجتمع بنطفة من انثى ·

انه انقسام خلية واحدة الى خليتين ·

وهو يجرى فى النبات اساسا ، ثم فـى مراتب الحيوانات الدنيا ، وفى الحيوانات ذوات الخلية الواحدة خاصة ·

والاميبة تضرب مثلا لذلك ·

يبدأ التقسيم بانقسام نواة الخليـة الواحدة · والنواة تتألف من شرائط تعرف بالكروموسومات ، تتضمن اجساما تعـرف بالجينات Genes ،

وفى هذه الجينات توجد الصور اللازمة للنمو مرقومة · انها كرسوم المنازل التى يحملها المهندس المعمارى قبل ان يبدأ بناء المنزل ، ووفق هذه الرسوم هو يبنيه فلا يضل ·

وينتهى التقسيم بان توجد خليتان ، اميبتان ، هما اشبه بالخلية الاولى · وهما تطابقانها خلقا · وتنموان ، ثم تعود كل منهما فتنقسم ، وهلم جرا ·

ويتخذ التكاثر الجنسى صورا اخرى ، هذا التقسيم اساسها ·

شغالة النحل تخرج من بيض ملقح ، اما الذكور فمن بيض غير ملقح·والملكة (الصورة) تختزن نطفة الذكر ·

الاميبية ، وهى من ادنى الحيوانات خلقا ، وتتالف من خلية واحدة ، تتكاثر بالتقسم ·

الوحدة قائمة رغم النوعين الاثنين من التكاثر والتنازل

ذلك لان الخلية بعد ان تتلقح ، من اب وام ، تتكاثر ، فى رحم او بيضة،بالتقسيم تماما كما وصفنا · وتتقسم معها مخططات الخلق التى فى نواة الخلية·وهذا مايحدث فى التكاثر اللاجنسى ·

الفرق بينهما ان رسومات الخلق التى تضمنتها نواة الخلية الملقحة جاءت من ام واب ، فمزجت بينهما ، فكانت اصدق فى تمثيل الجنس · اما فى التكاثر اللاجنسى فالخلية المنقسمة مصدر واحد ، فهى اب وهى ام ، فليس فى نتـاج هذا التقسم التشكيلة التى كانت فى الخلية الملقحة اذ تتقسم ·

من اجل هذا كان التناسل الجنسى أرقى هدفا وابعد غاية من غير الجنسى · ومـن اجل هذا اختلفت به الحيوانات فى المراتب العليا ·

احمد زكى ·

بقلم : الدكتور احمد الحوفي

■ هل نعرف أحدا أولى من الشعراء بتذوق الجمال ، والامتزاج بالحسن ، والاعجاب بالفن والافتنان ، وتقدير ما يمنحه الربيع الارض من حيوية وحياة ؟ ومن أحق من الشعراء بالاحتفاء بجمال الارض وهي تلبس زخرفها ، وتاخذ زينتها ؟

ومن اجدر منهم بالاحتفال بالجو وقد صفا واعتدل ، والاصغاء للطيور وهي تغرد بهجة ونشوة ؟

واذا كانت الطيور تشدو نشوة بجمال لا تدركه، فان الشعراء هم الذين ينتشدون نشوة للجمال الذى يدركونه ، بشعر رائع يقرضونه ، معبرين عن مشاعرهم وعن مشاعر غيرهم ممن لم يوهبوا الشاعرية .

وفى ادبنا القديم عشرات من الشعراء رحبوا بالربيع ، واحتفلوا بمقدمه ، وصوروا مظاهر من زينته ، لم يخل عصر منهم ، حتى أعصار الضعف الادبى كان فيها شعراء راقهم جمال الربيع ، فوصفوه .

وهذه مسيرة سريعة مع الشعراء منذ العصر الجاهلى ، توضح بعض ما رسموه للربيع من صور حسان .

ذلك امرؤ القيس يصف صفاء الجو بعد المطر ـ والربيع والمطر متلازمان فى البادية ـ فيصور الطيور قد فرحت ونشطت ، فغردت وشقشقت ، وجعلت تطير هاهنا وتقفز هاهنا ، وتثب من غصن الى غصن ، كانها شربت فى الصباح خمرا مفلفلة :

كأن مكاكيّ الجواء غديّة
صبحن سلافاً من رحيق مفلفل

والاعشى يصف روضة جادتها الغيث ، فاعشبت ونوّرت بازهار ناضرة ، تحيط بها نباتات كاسية. وينتهى من هذا الوصف الى ان شذى هذه الروضة ليس باطيب رائحة . ولا اكثر فتونا من محبوبته :

ما روضةٌ من رياض الحزْن معشبةٌ
خضراءَ جاد عليها مسبل هطِلُ
يضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ
مؤزّر بعميم النبت مكتهلُ
يوماً بأطيب منها نشرَ رائحةٍ
ولا بأحسنَ منها إن دنا الأصُلُ

ومن الاقليم نفسه الصِّمَّة بن عبدالله القشيرى ، يودع نجدا على رغم منه ، ويتمهل وهو على تخومه ليلا ، ليملأ رئتيه بعبق نبته الطيب الرائحة ، فى فصل الربيع ، بعد نزول المطر ، ويتحسر لانه سيحرم المتعة بشهوره الحلوة، ولياليه الساهرة ، ونهاره الطيب :

اقول لصاحبي والعيس تهوى
بنا بين المنيفة فالضمار
تمتّع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

ألا ياحبذا نفحاتُ نَجْـــد
وريّـا روضه بعـد القطـار
وأهْلُكَ اذ يحلُّ الحيُّ نجـدا
وانْتَ على زمانِكَ غـيرُ زار
شهورٌ ينقضينَ ، وما شعرنـا
بأنصافٍ لهن ، ولا سِـرارِ
فأما ليلهـن فخـيرُ ليـلٍ
وأطولُ ما يكـون من النهـار

فاذا ما خطونا الى العصر العباسي وجدنا ابا نواس صاحب اللهو والخمر والمجون ووصف الصيد والمديح والهجاء ، يعرض في بعض قصائده للربيع عرض المرحِّب به ، الذى يجد جماله ملائما ومتمما لبهجة الشراب ، ومسرح الندامَى ، كقوله :

طاب الزمـانُ وأورق الأشـجار
ومضى الشتاءُ ، وقـد أتى آذارُ
وكسا الربيعُ الأرضَ من أنـواره
وشياً ، تحار لحسنه الأبصـارُ
فانْفِ الوقـار عن المجون بقهوة
حمراءَ ، خالط لَوْنَها أقمـارُ
واستنصف الأيامَ من أحداثِها
فلطالما لَعِبتْ بك الأقـدار

وقوله :

أما ترى الشمسَ حلّت الحملا
وقـام وزنُ الزمـان واعتـدلا
وغنت الطيرُ بعد عجْمتـهـا
واستوفت الخمـر حولَها كَمَلا
واكتست الأرضُ من زخارفهـا
وَشْيَ نباتٍ تخالـه حـلَـلا
فاشرب على جِدّةِ الزمان ، فقد
أصبح وجهُ الزمان مقتبِـلا
من قهوةٍ تذْهِبُ الهمومَ ، فلا
أرهبُ فيها المَـلام والعَـذَلا

وما من شك في ان هذا وصف عابر عجلان ينبيء عن انصراف ابى نواس الى الشراب ، وعن قلة احتفاله بجمال الربيع ، ولو انه كلف بجمال الطبيعة مثل كلفه بالخمرة ، او بوصف مجالس الشراب ، او بوصف الصيد لأتى بالعجب العجاب ، وقد كان ابو تمام ، ابرع في وصف الربيع ، اذ هزه من مناظره ما تزدان به الارض من خضرة ونضرة ، وزهر وثمر ، وراقه ان النهار صحو مشمس ، وان الربا مكسوة بالازهار البيض كالاقمار .

وفى نظر ابى تمام ان العام زمان للكد والعمل والكسب ، فاذا استهل الربيع صار زمنه مسرحا للجمال ، ومتعة للنفوس ، لان الارض في الربيع تصنع من بطونها لظهورها ازهارا تتفتح القلوب

لجمالها ، فكم من زهرة يترقرق الندى فوقها ، وكم من زهرة تتحرك والنبات حولها ، فتبدو حينا ، وتتوارى حينا ، كالعذراء التى تظهر تارة ويحجبها الحياء تارة .

ثم وصف الوهاد والنجاد بانها اكتست وازدانت فبدت فى صفرة وفى حمرة ، وقال انها كانت كالدر وهى اكمام قبل ان تنور ، فلما تفتحت اكمامها خرج نور اصفر كالزعفران ، وخرج نور احمر ، وهذا من صنع الله تعالى البارىء القدير الذى خلق كل شيء فاحسن خلقه .

لكنْ كَلَفَ ابى تمام بالتشبيه اضطره الى تشبيه الندى الرقراق فوق الزهر بالدمع المنحدر من العين ، وشتان بين هذا وذاك ، لان وقع المشبه بـه ـ وهو الدمع ـ لايلائم وقع المشبه وهو النـدى ، فان الندى الذى يترقرق فوق الزهر ، او على اوراق الشجر ، يبعث اعجابا ومتعة ومسرة ، أما منظر الدموع فانه يثير اشفاقا وضيقا وقد يسيل عبرة .

كذلك اضطره كلفه بالتشبيه والطباق معا ان يشبه البقاع المكسوة بالزهر الاصفر والاحمر ، برايات اليمن الصفر ، ورايات مضر الحمر ،وهو تشبيه غير جيد :

رقت حواشي الدهر فهي تمَرْمَرُ
وغدا الثرى في حليـه يتكسرُ[1]

مطرٌ يذوب الصَّحْوُ منه ، وبعدَه
صحوٌ يكاد من النضارة يقطرُ

ياصاحبيّ ، تقصَّيَا نظَرَيكمـا
تريا وجوهَ الارض كيف تصَوَّرُ

تريا نهارا مشمسا ، قد شابـه
زهرُ الرُّبا ، فكأنما هو مقمـر

دنيـا معاشٍ للورى ، حتى إذا
جاء الربيعُ فانما هى منْظَـرُ

اضْحتْ تَصوغُ بطونها لظهورها
نَوْراً تكاد له القلـوب تُنَوِّر

من كل زاهرة تَرَقْرقُ بالنـدى
فكأنما عين عليـه تَحَـدَّر

تبدو ويحجبها الجميم، كأنهـا
عذراء ، تبـدو تارةً وتَخَفَّرُ[2]

حتى غدت وَهَدَاتُها ونجادُها
فئتين ، في خِلَعِ الربيع تَبَخْتَرُ

مصفرةً ، محمرةً ، فكأنهـا
عصبٌ تَيمَّنَ في الوغى ، وتَمَضَّر[3]

من ناقـع غضٍّ النبات ، كأنـه
درٌّ يشقَّق قبل ، ثم يزَعْفَـر

أو ساطعٍ في حمرة ، فكأنَّ مـا
يدنو اليه من الهواء معصفـرُ

صنع الذى لولا بدائـعُ لطفـه
ما عاد أصفرَ بعد إذ هو أخضرُ

اما البحترى فقد صور الربيع مقبلا مختالا ضاحكا يكاد ينطق ، وصور الورد الذى تفتح بانه كان نائما نبهه الربيع فاستيقظ ، وبان شذاه حديث ذاع ، بعد أن كان مكتوما ، وصور النسيم الرقيق بانه انفاس الاحباب ، وهو فى تصويره مشخص ، لان الربيع انسان مختال تارة وانسان محرم محل تارة ، والورد انسان نائم ، والشذى حديث حلو :

أتاك الربيع الطلقُ يختال ضاحكـا
من الحسن ، حتى كاد أن يتكلَّمـا

وقد نبَّهَ النيْروزُ في غَسَق الدُّجى
أوائلَ وردٍ كنَّ بالأمس نُـوَّمَا

يُفتقهـا بَـرْد النـدى فـكأنه
يَبثُّ حديثـا كان قبلُ مكتَّما

---

(١) تمرمر : تمطر فى غزارة .
(٢) الجميم . النبات الكثيف .
(٣) عصب : رايات . تيمن وتمضر : يمنية ومضرية

فمن شجر رد الربيع لباسه
عليه ، كما نشّرت وشيا منمنما
أحلّ فأبدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين إذ كان محرما
ورقّ نسيم الصبح ، حتى حسبته
يجئ بأنفاس الأحبة نعما

فاذا ما سرنا غربا الى مصر وشمالي افريقية والاندلس وجدنا الحسن بن وكيع التنيسي الشاعر المصرى يصف الربيع ، فيسترعى نظره اشراق الشمس، ولطف النسيم ، وتغريد الطير، واخضرار الارض ، وتفتح الزهر ، ويشبه كثيرا مما رآه تشبيها لا جدة فيه ، ويصف ما رآه وصفا لا عاطفة تزجيه ، فى قوله بارجوزة منها :

تضحك فيه الشمس من غير عجب
كأنها في الافق جام من ذهب

ثم وجدنا ابن خفاجة الشاعر الاندلسى الكلف بجمال الطبيعة ايما كلف ، يصف الربيع ، فيعجبه ان الزهر قد ترقرق الندى فوقه فصار كالعين التى كانت وسنانة ، ثم تنبهت وبها دمعة ، ويروقه ان الماء صفا ، فصار كالفم الجميل الباسم عن ثنايا غر صقيلة، وكانت السحب المتراكمة متتابعة تشبه فى تلاحمها وتضامها وتواليها جموع الخيل فى كتائب الحرب ، والبرق يومض فيها كالاعلام الحمر التى يحملها فرسان تلك الخيل .

فلما هطلت السحب على الارض ارتوت الاشجار، واهتزت الافنان ، وامتلأت المنخفضات والمرتفعات بالماء ، وهب النسيم فحرك الشجو ، فاهتز ريان طروبا شاكرا ، وتجاوب الحمام على الاغصان بهديل حلو لطيف . وقد بدا الروض مخضرا ناضرا ، دهرا كالحسناء المترفة التى تميس فى غلائلها الحريرية الناعمة ، أو كالنشوان الذى يتمايل ، وتبدى الندى فوق الاوراق يكسوها غلالة من فضة، فاذا ما سطعت الشمس جف . ثم يكسوها الاصيل من اشعة الشمس الصفراء غلالة من ذهب :

والنّوْر طرْفٌ ، قد تنبه ، دامعٌ
والماء مبتسم ، يروقُ ، صقيل
وتطلعت من برق كلّ غمامة
في كل أفقٍ رايةٌ ورعيل (٤)
حتى تهادى كلُّ خوطة أيكة
ريّا ، وغصّت تلْعةٌ ومسيل (٥)
فالروض مهتز المعاطف نعمةً
نشوانُ يعطفه الصَّبا ، فيميل
ريّانُ فضّضهُ الندى ، ثم انجلى
عنه ، فذهّبَ صفحتيه أصيلُ

وان جنوح ابن خفاجة الى التشخيص واضح فى هذه الابيات ، فالنور عين ، والنور انسان ينام ويصحو ، والماء انسان ضاحك ، والرعد خيل ، والروض انسان معجب بنفسه ، مختال نشوان .

كذلك وصف الربيع والمطر معا ابن هانىء فى قصيدته التى مطلعها :

الؤلؤٌ دمع هذا الغيث أم نقطُ
ما كان أحسنه لو كان يلتقطُ

ورسم صورا عدة للسحاب والمطر والرعد والبرق والخضرة والزهر .

هكذا احتفى شعراؤنا القدامى بالربيع كأبى فراس الحمداني ، وابى بكر محمد الصنوبرى ، وصفى الدين الحلى ، وعيسى بن محمد العبدرى الاندلسى ، فعبروا عن مشاعرهم صادقين ، وعن مشاعر غيرهم من الذين يعجبون بجمال الطبيعة وبخاصة فى فصل الربيع .. ■■

أحمد محمد الحوفى

(٤) رعيل : جماعة من الخيل .

(٥) خوطة : غصن . ايكة : شجرة كبيرة . تلعة : مرتفع .

تسوس الأسنان

وصلته بالأغذية التي نتعاطاها

بقلم : الدكتور ابراهيم المدفع

■ يعتبر تسوس الاسنان من اقدم الأمراض المعروفة . واكثرها شيوعا . وقد اصبح انتشاره بهذا الشكل « الوبائي » يشغل بزيادة مستمرة - الى جانب اطباء الاسنان - كل اولئك العاملين على حماية الصحة العامة .

تقدر الاحصائيات الحديثة ان حوالي ٩٠ - ١٠٠٪ من سكان البلدان الصناعية يعانون من تسوس الاسنان وتلفها . وهذا يجعل من الضرورة البحث عن طرق علاج واجراءات وقاية ناجعة تحد من زيادة انتشاره .

ولكي يسهل تصور ما لهذا المرض من عواقب نذكر - على سبيل المثال - أن مما ينفق لعلاج تسوس الاسنان والوقاية منه في بريطانيا يزيد على المائة مليون جنيه استرليني سنويا . الى جانب الوقت الضائع الذي لا يستفاد منه في الانتاج القومي . ويقدره الاحصائيون لنفس الدولة بما يقرب من مليوني يوم في السنة .

لقد قامت لجنة تابعة لمنظمة الصحة الدولية World Health Organisation بتحديد ما يقصد بتسوس الاسنان فيما يلي :

« تسوس الاسنان هو ظاهرة مرضية ، تخضع غالبا لمؤثرات من خارج الجسم ، تبدأ بلين وتكسر طبقة المينا Enamel ، ثم ذوبان عاج الاسنان Dentin المبطن له من الداخل ، فتنشأ بالتالي الحفر Cavities . وفي احصائيات هذه المنظمة يستخدم معامل تسوس الاسنان ويرمز له ب Dmf وهي الحروف الاولى لكلمات انجليزية تصف الاسنان بأنها أما ان تكون نخرة أي متسوسة Decayed او محشوة او ساقطة اي مفقودة Missing (بعد علاج) Filled .

ماهي العوامل التي تساعد على تسوس الاسنان ؟

فيما يتعلق بمسببات هذا المرض يجدر القول بانه – بنتائج ابحاث في مجالات التغذية والميكرو بيولوجيا والكيمياء الحيوية – قضي على كثير من متناقضات حالت لوقت ليس بالقصير دون التفسير العلمي الواضح لاسباب نشأة هذا المرض٠٠ واليوم يعرف لتسوس الاسنان سببان مهمان ٠ اولهما : نوع الغذاء (التغذية) ٠ والثاني مكروبات الفم٠

اولا : نوعية الغذاء

لقد حدث تغير ملموس على تركيب غذاء الانسان في كثير من مناطق العالم خلال الخمسين او المائة سنة الماضية ٠ وكان لهذا التغير ارتباط وثيق بزيادة انتشار تسوس الاسنان ٠ ومن أهم ظواهر هذا التغير زيادة الاستهلاك العالمي من السكر ، وذلك كما يبينه الجدول التالي :

استهلاك العالم من السكر

السنة	الاستهلاك بالطن
١٨٠٠	٢٥ر٠ مليون
١٩٠٠/١٩٠١	٠٠ر١١ مليون
١٩٦٦/١٩٦٧	٠٠ر٦٠ مليون

هذا ويبلغ استهلاك الفرد من السكر في الدول المتقدمة صناعيا ١٠٠ – ١٤٠ جم يوميا (حوالي ٣٦ – ٥١ كجم سنويا) ٠ ولتأكيد اثر تزايد استهلاك السكر في نشأة مرض تسوس الاسنان نذكر ان شعوبا مثل الاسكيمو Eskimo والهنود الحمر – يغلب فيها استهلاك اللحوم على الاغذية الغنية بالسكريات – اقل عرضة للاصابة بهذا المرض ٠ اما تلك الشعوب التي يكثر في غذائها اطعمة نباتية المصدر غنية بالسكريات فهي اقل مناعة وان تفاوت ذلك تبعا لتركيب الغذاء كيفا وكما ٠ وعلى العموم اذا كان امداد الجسم بالبروتينات والكالسيوم والفوسفور ناقصا (اى اقل من احتياجاته في مراحل العمر المختلفة وبالذات في طور الطفولة) فان تركيب مادة الاسنان يكون غير محكم ، مما يؤدى الى سهولة اصابتها او حتى تساقطها ، وذلك حسب درجة النقص ٠

ثانيا : مكروبات الفم

تعتبر مكروبات الفم ، ونوع بقايا الاغذية الملاصقة للاسنان عاملين يكمل كل منهما الآخر ٠ فقد أكدت نتائج أبحاث أجريت على حيوانات المعمل (فئران وغيرها) خالية من المكروبات Germ Free ربيت في بيئة معقمة، فثبت ان توفر احد هذين العاملين دون الآخر لا يساعد على تسوس الاسنان ٠ كما ثبت ان الكربوهيدرات (المواد السكرية) في نوعها وكميتها وكذا الصورة التي توجد عليها في الغذاء يحدد بدء وحدة Intensity الاصابة ٠ وثبت بالتجارب ايضا ان مكروبات الفم تستطيع بواسطة انزيمات Enzymes خاصة هدم المواد السكرية وتخليق مركبات سكرية معقدة من نوع الدكسترينات Dextrins ذات وزن جزيىء مرتفع (١٠٠ – ٢٣ × ١٠ ١) وهي لزجة تلتصق بالاسنان، ولا يسهل تحللها وهدمها بفعل انزيمات اللعاب (الاميلز X-Amylase) ٠ من هذه المكروبات نذكر أكثرها انتشارا ، فهي انواع من جنس البكتير المكور العقدى Streptococcus وبعض انواع من جنس العصيات Lactobacilus وميكروبات هذه الانواع المذكورة تستطيع مهاجمة تلك السكريات المعقدة حول الاسنان فتهدمها مكونة بذلك احماضا عضوية تتوقف سرعة تكوينها وكميتها على نوع المادة السكرية المتناولة ٠ ودرجة تركيزها ٠٠

تعمل الاحماض العضوية المتكونة (مثل حامض اللاكتيك Lactic acid) على زيادة الحموضة في الفم حول الاسنان (فينخفض رقم الـ PH عن ٥) مما يساعد على ذوبان وتفتت مادة الاسنان ٠

كيف يمكن الوقاية من تسوس الاسنان

للوقاية من تسوس الاسنان لا بد من العمل المدروس الموجه لتعطيل التفاعلات الكيميائية في واحدة من خطواتها المبينة جانبه حتى لا تصل العموضة المتكونة في الفم حول الاسنان لدرجتها الحرجة (p H = 4,5-5,0) ومن الاطلاع على نتائج الدراسات الكثيرة التي أجريت في هذا المضمار نورد بعض المقترحات التي يطبق جزء كبير منها عمليا في كثير من دول العالم :

١ ـ استخدام مضادات حيوية للقضاء على مكروبات الفم •

٢ ـ التقليل من استهلاك السكر (سكر القصب وسكر البنجر) ما أمكن مع مراعاة :

ـاستبدال السكر المعتاد (السكروز Sucrose بكربوهيدرات أي مواد سكرية أخرى مثل الجلوكوز وغيره ، فهي معروفة بقلة أثرها مع وجود مكروبات الفم في تكوين السكريات المعقدة اللزجة ، وبالتالي الاحماض •

ـ التقليل ما أمكن من تناول منتجات السكر مثل الطوفي Tuffe والشيكولاتة والملبسات ، مع توجيه الاطفال وارشادهم بهذا الخصوص •

٣ ـ ازالة بقايا الاطعمة من حول الاسنان ميكانيكيا ، وهو الدور الذي تلعبه فرشة الاسنان اليوم ، وهي نفس الخدمة التي يؤديها وأداها المسواك لدى كثير من العرب والمسلمين منذ مئات السنين •

٤ ـ تخفيف تركيز الحموضة المتكونة حول الاسنان ، وذلك بتكرار غسل الفم ، ولو بالماء دون غيره • وهذا ما يفعله كثير من المصلين بالمضمضة عند الوضوء ، فيه ـ الى جانب الرغبة في التعبد ـ وقاية للاسنان •

٥ ـ تدعيم مياه الشرب Forification بعنصر الفلور Fluorine ، ذلك لان الاخير يتفاعل مع جزء من مادة الاسنان Hydroxyl Appattite مكونا فلوريد الاباتيت فيزيد من صلابتها •

واضافة الفلور لمياه الشرب، يعتبر انجع وسيلة للوقاية من تسوس الاسنان • فبه تتم الوقاية على مستوى كافة طبقات الشعب • ويوصى باستخدام الفلور لهذا الغرض بتركيز ضئيل جدا • فيكفي (1 Part Per Million) 1 ppm اي مليجرام من الفلورلكل لتر من ماء الشرب •

كل هذه الوسائل وتلك المقترحات في سبيل الوقاية والتقليل من حدة انتشار تسوس الاسنان معروفة لدى اطباء الاسنان وغيرهم تدعمها نتائج الكثير من الابحاث والتجارب العلمية •

واذ نوصي هنا بالتقليل من تناول السكر ، فلا نعني بذلك ان السكر وهو جزء من غذائنا ضار يجب ابعاده تماما من اطعمتنا ، ولكن القصد من هذه التوصية هو تقليل استهلاكه لحساب مواد سكرية اخرى اقل اثرا منه على نشوء تسوس الاسنان •

اخيرا ، يجدر بنا ان نذكر ان تسوس الاسنان مرض يصيب كافة البشر الا انه يزداد انتشارا وحدة بزيادة معالم الحضارة وبارتفاع مستوى المعيشة ايضا • فلناخذ لذلك مثلا من عادات مجتمعنا الصحية •• انه لما يحمد امره ان (معظم) محلات الاكل (مطاعم ومحلات حلوى) وبالذات المتوسطة والصغيرة منها تخصص مكانا للغسل مزودا بماء وصابون ، سرعان ما يهرع الزبائن اليه بمجرد فراغهم من طعامهم ، يغسلون أفواههم واسنانهم •• الشيء الذي يهمله الانسان المتحضر ! ولا يهتم به خصوصا في المطاعم والفنادق الفخمة • فيحل محل الماء والصابون منديل من القماش او الورق تجفف به الايدي ، وكذا الشفاه من الخارج، ويبقى على الاسنان ما كان ملتصقا بها ، فتصبح بنية صالحة لنمو مكروبات الفم وفعلها بالاسنا

ابراهيم المدفع
بمدينة جنسن بالمانيا الاتحا •
معهد تغذية الاسنان

نتيجة مسابقة العدد ٢٠١

موز الصومال وممرات سيناء

قامت مسابقة العدد ٢٠١ من العربي على مجموعة متنوعة من الاسئلة استقيناها من الاعداد الستة الاخيرة من العربي ،وكان من الطبيعي ان تكون اجابات القراء كلها صحيحة لان مقالات مجلة العربي هي المرجع الاول والاخير للاجابات على الاسئلة، كما ان الزيادة في عدد المشتركين بالمسابقة كانت ملحوظة .

ونورد فيما نموذجا للاجابات الصحيحة ثم اسماء من حالفهم التوفيق بالفوز في المسابقة :

١ ـ اسم هذين الممرين هما ممر الجدى وممر متلا .

٢ ـ ماجلان هو اول من قام بالكشف عن اعماق اعالي البحار .

٣ ـ اسم الدولة المستعمرة هو اسبانيا واسم الميناءين سبتة ومليلة .

٤ ـ السيدة مارجريت تاتشر اصبحت زعيمة حزب المحافظين .

٥ ـ الموز هو المحصول الرئيسي في الصومال .

٦ ـ مدينة نيقوسيا هي عاصمة قبرص .

٧ ـ قاسم امين هو مؤلف كتاب تحرير المرأة .

٨ ـ مدينة العين هو اسم المدينة الواقعة في دولة الامارات العربية المتحدة .

٩ ـ جبل كليمنجارو يقع مابين دولتي كينيا وتانزانيا .

١٠ ـ ارض الجزيرة تقع بين النيل الازرق والنيل الابيض .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :جواد عبد الجبار علي ـ بصرة / العراق .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :احمد عارف الغاني ـ بيروت / لبنان .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :محمد حسين علي ـ الشارقة / الامارات .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كويتيا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ غاندي دراق ـ حمص / سوريا .

٢ ـ محمد احمد بارشيد ـ الصباحية / الكويت .

٣ ـ فايز عبد الهادي ذياب ـ عمان / الاردن .

٤ ـ حسناء السيد السيد رجب ـ الرياض / السعودية .

٥ ـ نجاة ابراهيم محمد علي ـ الخرطوم / السودان .

٦ ـ عبد البديع محمد عطوة ـ القاهرة / مصر .

٧ ـ عبد السلام محمد احمد ـ بنغازي/ليبيا .

٨ ـ محمد احمد حسن عبد الله ـ المنامة/البحرين .

سترسل الجوائز لاصحابها .

بقلم : عبد الغني العطري

■ قلبي ارقُّ من السُّلا
فة في كؤوس ابي نواس
لافرق عندي في المحبَّـ
ـة بين مذكر وناسي
والناس كل الناس في
قلبي سواسيةٌ المراسي
فلقد شربت بكأسهم
صرفا كما شربوا بكاسي
واسَوا جراحاتي وعند
جراحهم كنت المُواسي
ولقد غرست بروضهم
وردي وريحاني وآسي
وجنيت من جناتهم
ثمر الهوى نَضِرَ الغِراس
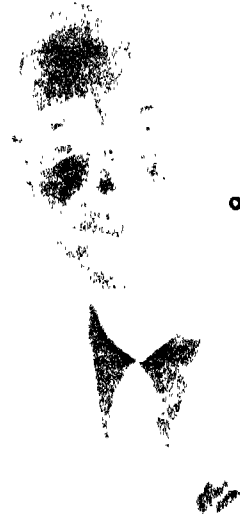
هكذا وصف فخري البارودي نفسه في مقدمة ديوانه (« قلب يتكلم ») . اما البارودي في نظرنا . ونظر كل من عرفه وعاشره وصادقه فقد كان : سياسيا ، ووطنيا ، بل زعيما شعبيا من طراز فريد . وكان اديبا ، وكان شاعرا ، وكان موسيقيا محبا للموسيقا والطرب . عمل للفن وتفانى في خدمته . وكان فوق ذلك احد الظرفاء لافي دمشق وحدها ـ بل في العالم العربي باسره . وكانت حماسته لكل مشروع وطني . او اجتماعي او موسيقي ، او فني ، حماسة [illegible]

العشرين ، وظل كذلك ، لم تفتر له همة ، ولم تضعف عزيمته ، حتى بعد ان جاوز السبعين •

كان فخـرى البارودى لونا طريفا من الوان دمشق ، لونا يجمع كل المتناقضات وكل الكفاءات ، وكل المواهب •

كان البارودى رجـلا فى امة ••• ولكنه فى حقيقته امة فى رجل •

وهل فى جيل السنوات الخمسين الماضية من لم يسمع بفخرى البارودى ، او يعرف الكثير عنه ، ويروى طرائفه ، ويحفظ اناشيده الوطنية ؟

مولده ونشأته

ابصر فخرى البارودى النور بدمشق فى صباح الخامس من شهر رجب عام ١٣٠٤ الهجرى ، اى مايقارب السنة ١٨٨٤ الميلادية فى حى القنوات ، وتلقى دروسه الاولى فى الكتاتيب الشعبية ، وما لبث والده ان نقله الى المدرسة العازارية ليتعلم اللغة الفرنسية • ويصف البارودى نفسه بانه كان من « عفاريت » المدرسة • ويقول فى الجزء الاول من مذكراته ان درجته كانت متفوقة ، وانه لم يرسب فى اية سنة •

وبدأ البارودى ينظم الشعر وهو لايزال طالبا . وباتت له فيه هواية وولوع ، وهو ، وان لم يبلغ فى هذا الميدان مبلغ الشعراء المجيدين ، الا ان بعض شـعره لايخلو من الجـودة • وجميعه دون ريب ،لايخلو من الطرافة واللون الضاحك المرح •

البارودى والصحافة

وفى العهد التركى ، ايام الظلم والظلام ، خطر للبارودى ان يعمل صاحب جريدة او كما كانوا يسمونها فى ذلك الحين « كز يطة » وهى كلمة مشتقة من كلمة « غازيتا » الايطالية ، فكانت جريدته شعبية تحمل اسم « حط بالخرج » كان يحررها بالعامية ، وباسلوب يخيل الينا انه كان ضاحكا ومرحا ، وخفيف الظل • وما ان صدر منها عددان حتى ثارت ثائرة والده ،وهدده بالطرد من المنزل ، اذا ظهر اسمه فى الجريدة • فاضطر ان يتفق مع عارف الهبل على ان يكون هذا مديرا مسؤولا لها ، وان يتابع البارودى تحريرها سرا •

وأوقف البارودى جريدته الشعبية هذه ، بعد سنة من صدورها ، ليلبى دعوة العلامة محمد كرد على مؤسس المجمع العلمى العربى ورئيسه ، ويعمل معه فى تحرير جريدته « المقتبس » •

وتاقت نفس البارودى الى متابعـة العلم ، فسافر الى فرنسـا سرا دون علم ابيه ، ولكنه ماكاد يبلغها ، حتى جاءه من يخبره بأن والده غاضب اشد الغضب ، وقد اقسم ان لايرسل اليه اى مبلغ من المال ، كما اقسم بالطلاق على جميع الاهل بأن لا يرسل واحد اليه شيئا ••• فاضطر البارودى الى العودة ، واعتبر رحلته للسياحة ، لالطلب العلم ، وذلك عملا بنصيحة الناصحين •

فى ميدان العمل الوطنى

عاد البارودى الى دمشق ليبدأ كفاحه الوطنى فى مقاومة الاحتلال التركى • وحين قدر لسورية ان تستقل ،ويعتلى عرشها الملك الهاشمى الراحل فيصل الاول ، كان البارودى فى طليعة من رحب بالعهد ، وصـفق له ، وتفانى فى خدمته ••• ولكن الفرحـة لم تطـل ، اذ مالبث الانتـداب الفرنسى ان اطل بوجهـه الكالح ، وجثم فـوق الصدور ••• فكان لفخرى البارودى دور اى دور فى مقاومته ، واذكاء الروح الوطنية • وكانت الجماهير تزحف كل يوم الى داره فى حى القنوات ، تهتف بسقوط الانتداب ، وتحيى الاستقلال ، وتطالب بالجلاء ، ولا تنصرف قبل ان يطل عليها « زعيم الشـباب » ـ وهـذا هو لقبه آنذاك ـ فيتكلم ويذكى حماستها ، ويدعوها الى النضال والمقاومة ، حتى يتحقق الجلاء والاستقلال • من اجل هذا سجن البارودى وعذب ، ثم نفى الى محافظـة الحسـكة ••• وعنـدها تفجرت الثورة الداخلية فى البلاد ، واضربت سورية بكاملها اضرابا عاما شاملا ، استمر اربعة وستين يوما . وكان ذلك فى سنة ١٩٣٦ • ولم تقبل دمشق ترك اضرابهـا الا حين رضـخت فرنسـا لمطالب الشعب وقبلت ان تعيد « زعيم الشـباب » من منفاه • وحين اعلن ان البارودى سـيعود الى

دمشق . خرجت العاصمة السورية عن بكرة ابيها . خرجت بشيبها وشبانها . ونسائها واطفالها . خرجت بقراها وضواحيها وارياقها . لاستقبال الزعيم العائد .. وظلت دمشق . حتى ارخى الليل سدوله . تنتظر عودته . ولكن البارودى . الذى كان صاحب الكلمة الاولى فى الشعب . لم يقدّر له ان يصل ... فعاودت دمشق خروجها لاستقباله فى اليوم الثانى بحماسة اشد من اليوم الاول ... وتكرر ماحدث امس . ولم يعد البارودى من المنفى . فباتت دمشق حزينة .قلقة . تكفكف دموع الحزن والخيبة ... ومرة ثالثة خرجت دمشق لاستقبال الرجل . الذى اصبح املها ومعقد رجائها وقائدها ... وفى هذه المرة وصل البارودى . وسط مظاهرات شعبية لم تشهد البلاد لها مثيلا طوال حياتها . وحمل الرجل على الاكتاف حينا . ورفع مع السيارة التى تقله حينا آخر .. وباتت دمشق فى تلك الليلة تكفكف . لا دموع الحزن والاسى . بل دموع الفرح والبهجة والسرور . واستمرت الاحتفالات بعودة الزعيم البطل اياما وليالى عديدة .

وفى فترة الكفاح الوطنى هذه . وضع فخرى البارودى عددا من الاناشيد الوطنية . التى لاتزال الاذاعات ترددها فى المناسبات القومية . كما يتغنى بها طلاب المدارس السورية الابتدائية والثانوية . ومن هذه الاناشيد نشيده المعروف :

بـــلاد العــــرب اوطـــانـــى
مــــن الشــــام لبغــــداد

ومــــن نجــــد الـــى يمــــن
الـــى مصـــــر فتطـــــوان

البارودى والفن

وعندما تحقق للبلاد استقلالها . وفازت بسيادتها . تخلى زعيم الشباب . عن زعامته السياسية . وانصرف الى نواح عديدة من الحياة . اهمها الفن والموسيقا . واستانف حملته من اجل تاسيس معهد للموسيقا ... وكان قد بدا هذه الحملة فى العام ١٩٤٠ مع الدكتور منير العجلاني . حين كان وزيرا للشباب . ووفق هذه المرة فى تاسيس هذا المعهد . الذى دعى بالمعهد الموسيقى العربى . وقد جمع فيه ورثة الموسيقا القديمة . امثال الشيخ على الدرويش . وعلى البطش وسعيد فرحات . كما جمع اليه عددا من المثقفين الموسيقيين الجدد .

وكما سعى فخرى البارودى الى تاسيس المعهد الموسيقى . عمل على بعث فكرة رقص السماح وغيرها من الرقصات العربية المتوارثة ... وكان يدعو بالحاح واصرار الى النهوض بفن الرقص عامة . لعلاقته بالموسيقا . وكان يعتقد انه اذا نهض الرقص نهضت الموسيقا . وكان يؤمن بان الرقص فن محترم كسائر الفنون الراقية . ويسخر سخرية لاذعة ممن يعتقد انه فن معيب . كذلك كان يعتبر الرقص من التراث العربى . والسعى الى ترقيته دليل على الوطنية الصادقة .

ونحب ان نشير هنا الى ان كل الموشحات تشترك وتتالف لتشكل رقص السماح . لان رقص السماح عبارة عن كلام يغنى بانغام معروفة . واوزان مختلفة . فيتحرك الراقص على انغامها ويضرب برجليه .

سهراته ولياليه

كان بيت فخرى البارودى محط الانظار . وكانت سهراته فى داره العربية الشرقية بحى القنوات . تضم الصفوة المختارة من اهل الفن والظرف والسياسة والصحافة والادب ... ولم تكن هذه السهرات مصنوعة ولا متكلفة .ولم تكن تسير على برنامج . وكان فخرى البارودى لايترك غريبا يدخل البلد . او ضيفا ذا وزن سياسى او ادبى او فنى . دون ان يدعوه الى بيته . فاذا دعاه كانت الدعوة بسيطة لاتكلف فيها ولا تصنع ...

واكثر هذه السهرات والليالى تحفل بالنادرة والحديث الشهى الجذاب . والظرف الطريفة التى قد لا تسمعها ولا تعلم بها الا فى مجلس البارودى . والى جانب النادرة . والطرفة والحديث الشيق . كان الطرب الصحيح . الذى قلما نسمعه فى هذه الايام .

وكانت هذه السهرات البارودية حديث المجتمع السورى .ومحط آماله ... كثيرون كانوا يحلمون بان يسعفهم الحظ . ويكونوا ذات ليلة على مائدة البارودى . ينعمون بالحديث والنادرة . ويشنفون

..ذان والاسماع باعذب الانغام ، والطف الالحان . ..د كان الطرب فى سهرات البارودى طبيعياً ، لا كلفة فيه ولا صنعة ، لذا كان يملأ النفس نشوة ومرحا ...

بلاد العرب اوطاني

قلنا ان فخرى البارودى لم يكن يدع شخصا ذا مكانة يدخل دمشق دون ان يدعوه الى داره فيكرّمه بما يستطيع ، واحيانا باقصى مايستطيع .

وعندما زار امير الشعراء احمد شوقى دمشق فى العام ١٩٢٨ كان البارودى على مايبدو مفلسا فاسرع الى قريته فى بلدة دوما ، وباع ارضا من الزيتون ، ودعا امير الشعراء ، وكان برفقته الموسيقار محمد عبد الوهاب ، ودعا كذلك نخبة من كبار الموسيقيين والعازفين الى سهرة فى داره .

ويروى البارودى انه فى هذه السهرة كلف الموسيقار الكبير بتلحين نشيده الوطنى المعروف :

بلاد العرب أوطاني
من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن
الى مصر فتطوان

فطلب عبد الوهاب ان يستبدل البارودى كلمة « تطوان » بغيرها ، فاعتذر البارودى وقال له ان تطوان هى بعض حدود بلادنا العربية ، ويستحيل تغييرها ، فتبسم عبد الوهاب وقال :

- طيب انت فاكرنى يافخرى بيه ملحن جغرافيا ؟ .. ورفض تلحين النشيد الذائع الصيت .

مع حسني تللو ، توأم البارودي

جدير بنا بعد هذا ان نقف وقفة نتحدث فيها عن صديق البارودى الحميم ، وتوأم نفسه ،ورفيقه فى سهراته ونديمه فى كل مجلس وناد ، ونعنى بذلك ،ظريف دمشق المعروف المرحوم حسنى تللو :

كان حسنى واحدا من اظرف ظرفاء دمشق ، اذا تكلم صمت الآخرون ، واصغوا الى طرفه ونوادره التى لاتنتهى ، وكان سيد المجالس ، واميرا من امراء الظرف ، وخفة الروح ، يصبو الى مجلسه وسماع طرفه الكبار من السياسيين والادباء واهل الفن . وكان يستعين برواية طرفه ، لا بالالفاظ الرشيقة المنمقة وحدها ، بل كان يشرك فى رواية نوادره وجهه وعينيه الكبيرتين الجاحظتين ، وحاجبيه ، وخديه ، ويديه ، وربما اذنيه ، وكل تقاطيع وجهه وكرشه الضخم المكتنز ... فاذا مابدأ برواية قصة او طرفة ، لجأ الى الصوت الهادئ ،واشرك اسلحته المذكورة فى التعبير ، فيضج الحاضرون بالضحك المتواصل ، بينما يظل حسنى تللو يتابع رواية نوادره ، دون ان يبتسم او تنفرج له شفة .

هذا هو حسنى تللو ، الذى دامت صداقته للبارودى ستين عاما ، ويقول صديقنا الشاعر الاستاذ احمد الجندى ، ان البارودى وتللو اختلفا ثلاثين سنة من اصل الستين ، ولكنه اختلاف لاينقطع فيه الكلام والطعام ، بل كانت تظهر على وجه كل منهما سحابة من الامتعاض تضحك الثكلى . وكان لحسنى تللو عند البارودى وظيفة دائمة هى الاثارة ... وما كان احد يستطيع اغاظة فخرى البارودى كحسنى تللو ...

ومن العجيب ان البارودى وتللو لم يكونا متشابهين فى شيء :

كان احدهما وهو البارودى رفيعا نحيلا ،والآخر سمينا مكورا ... وكان الاول عصبيا الى درجة الانفجار ... وكان تللو باردا هادئا حتى الصقيع . وكان البارودى يتحدث بسرعة مئة كلمة فى الدقيقة ... بينما تظل الكلمة الواحدة فى فم الآخر وقتا طويلا ، ولاتخرج فى النهاية الا متثاقلة ، كانها تخجل ان تفارق الشفة التى تلوكها وتعجنها ...

كان البارودى زاهدا بالطعام ، ياكل اكل الطيور اكثر الايام ، وكان تللو ياكل باستمرار ، ولعل الذ شيء عنده فى الحياة ان لايرى فكيه ساكنين ! .

كان البارودى ذا اذن موسيقية مشهورة ... وكان تللو ازهد الناس بالموسيقا . غير ان تللو رغم كل مامرّ به ، كان الرأس المفكر ، والعقل المدبر لحياة البارودى كلها .

وكان البارودى اذا ترك صديق عمره ، ارتبكت احواله ماديا ، وساءت علاقاته مع بعض الناس ، واضطرب ميزانه ، كان الطبيعة جعلت هذين

الصديقين صنوين يكمل احدهما الآخر • وحين مات البارودي في الثاني من ايار عام ١٩٦٦ عن ثمانية وسبعين عاما ، انزوى حسني تللو في بيته ثلاث سنوات . لم يغادره الا لماما ، الى ان اشتد به الاسى والمرض فغادره الى الدار الفانية عن خمسة وسبعين عاما ،حيث لحق برفيق عمره ونجيّ روحه •

ذات يوم في احدى سهرات الشتاء الباردة ، قفزت ذبابة الى مجلس البارودي ، وصارت تضايقه بحركاتها والعابها السمجة ••• ووقفت فجأة على اذنه ، فثار وغضب ثم صاح :

ـ ياناس •• ياعالم •• ذبابة في عزّ الشتاء والبرد ؟

فحملق به حسني تللو ،وقال بعد صمت طويل :

ـ ليش مستغرب يافخري بك ؟ يمكن تكون لابسة كنزة صوف ! ••

قبلات البارودي

كان البارودي يستقبل كل من يلقاه بالعناق والقبلات ، ويرفق قبلاته هذه بسيل من النوادر والتعليقات ••• وكان يسمي قبلاته هذه للشبان، وذوي الوجه الصبوح بالضريبة ••• وذات يوم لقي صديقه الشاعر المصري الاستاذ احمد رامي ، فانهال عليه لثما وتقبيلا ، فسأله رامي :

ـ صحيح يافخري بك ان قبلاتك للشباب ضريبة ، زي مابيقولوا ؟

فاجابه البارودي على الفور :

ـ اي والله صحيح ••• بس قبلاتي لك لوجه الله ورسوله !•

مؤلفاته وشعره

ترك البارودي من المؤلفات جزءين من مذكراته، تحدث في الاول عن نشأته واسرته وبيئته والمجتمع الدمشقي في ذلك الحين ••• اما الجزء الثاني فقد تحدث فيه عن رحلته الى فرنسا • وكان مقدرا لهذه المذكرات ان تصدر في عشرة اجزاء ، كما اشار الى ذلك . ولكنها توقفت عن الظهور بعد الجزء الثاني •

وترك البارودي عدة مؤلفات اخرى حول كارثة فلسطين ، والسفور والحجاب ، والصلح مع اسرائيل وغيرها • وله عدا ذلك كتاب ضخم عن الموسيقا يسهل تعلم النوتة الموسيقية بطريقة ابتكرها ، وعمل من اجلها زمنا طويلا ••• ولكن هذا الكتاب الجليل احترق مع بالغ الاسف . يوم احترقت داره في الثامن عشر من تموز عام ١٩٦٣. خلال محاولة الانقلاب الفاشلة التي جرت في ذلك اليوم •

وللبارودي ، عدا ماتقدم ، ديوانان من الشعر . الاول : تاريخ يتكلم ، والاخر : قلب يتكلم • وقد سجل في الاول مجموعة قصائد ومقطوعات . قالها في مناسبات شتى ••• وجمع في الثاني شعر المناسبات والاخوانيات ، التي كانت تمليها الظروف واللقاءات المختلفة ، وماأكثرها عند فقيدنا الكبير •

طرائف في حياة البارودي

وجه بعضهم اللوم الى البارودي ، حين تقدمت به السن ، وهو مازال ضاحكا ، مرحا ، يحيا كابناء العشرين ، وقد رد على هؤلاء مؤكدا « ان نفسه مازالت خضراء » :

من ذلك انه في يوم من العام ١٩٥٠ ذهب البارودي الى بيروت ، ونزل في فندق «بيورويال» وكان تعبا ، فاراد ان ينام ، ولكن صخب الموسيقا من الملهى المجاور حال دون ذلك . فلما هدأت الموسيقا بعد منتصف الليل بساعات ، اخذ صرصور ثقيل ، يرسل غناءه والحانه ، فاذا ماترك البارودي سريره وهبّ ليبحث عنه سكت • واذا عاد الشاعر الى سريره استأنف الصرصور غناءه !•• وفي الصباح كانت هذه الابيات .

ياليلة النحس في بيروت حالفني
فيها السهاد وكرب النفس مشؤوم

لاالبق ، لاالقمل ، لاالبرغوث ارعجني
لاالبرغش الفظ ، لاالذبان ، لااللوم

لكنما صرّ صرصور فأقلقني
وطار نومي وحفني منه محروم

في ساعات يأس

ومادمنا في معرض الحديث عن اغتراب البارودي ، خلال الحرب العامة الثانية في الاردن ، فجدير بنا ان نذكر ان ظروفا مادية قاسية ، قد مرت بالزعيم السياسي ، ذي الوطن

الصادقة . والشاعر الاديب المرح الضاحك ابدا .
وقد روى البارودي ان رجلا جاءه في السنة ١٩٤١ يشكو اليه . ويدعى احمد القعقاع . ضيق ذات يده ، وقلة العمل وهو اللاجيء المشرد . فاستعان به على قضاء حوائجه وطبخ طعامه ، وسكنا معا في غرفة واحدة . قسماها بستارة الى قسمين . قسم له ، والآخر لسكن الرجل والطبخ . وكان ابن عمة البارودي يرسل اليه من دمشق كل شهر راتبا شهريا من املاكه قدره خمسة عشر دينارا . وذات يوم تاخر الراتب ، بسبب اغلاق الحدود بين سورية والاردن . وكان الوقت عيدا ، فاضطر ان يقترض من احد الباعة جنيها لينفقه في العيد . ودخل ذات يوم الى المطبخ.فوجد احمد القعقاع يشتم الدهر . ويرقع قميص البارودي بقطعة من جرابه . فانشد يقول :

ياأحمد القعقاع مهلا لاتكن
برما ولا تجرع على الاسباب
فالدهر دولاب ورزقك قسمة
والصبر يفتح مغلق الابواب
ان جاء عيد فاستدنا « ليرة »
ورقعت سروالي ببعض جرابي
كم مر عيد والدراهم في يدي
« كالكشك » تأتيني بغير حساب

زواج البارودي

وتزوج البارودي ، واستمرت حياته الزوجية استين واربعين سنة ، وتحملت خلالها زوجته على مايبدو كثيرا من المتاعب بسبب ماتعرض له من نفي وتشريد اثناء الحكم الفرنسي . كل ذلك عدا سهره المستمر ، وحرصه على الشراب . ووصف البارودي وفاء زوجته واخلاصه لها بالابيات التالية :

لي زوجة مافي الانام مثالها
حنتني بعطف لا يضارعه شكري
تحلت بها الاخلاق والود والهنا
وحسن سجايا الغيد يندر في عصري
قضينا معا عشرين عاما مكررا
كعشرين يوما لاتعد من العمر
رغم بلائي بالسجون ونقلتي
الى النفي ، للتعذيب ، للبعد ، للاسر

وتركي داري هائما كل ليلة
الى الصبح بين العود والناي والخمر
وشغلي بكتبي والصحاب ورفقتي
وسكري « وتعتيري » الى مطلع الفجر
تحملها عسى يزيد بحبها
فؤادي فدامت لي الى آخر الدهر

كلمة اخيرة

وبعد ... فما نعرف ان رجلا اجمعت الناس على حبه ، والتعلق به ،والاعجاب بصدق وطنيته، وحيويته النادرة ، وذكائه الوقاد ، وحماسته المتدفقة . وخفة ظله والنكتة التي لاتفارق شفتيه . كما اجمعت على حب فخري البارودي . ان وطنيته لاتبارى ، وحماسته لكل مشروع وطني، او اجتماعي ،او فني ، حماسة لاتجارى ... ولقد انصف الناس فخري البارودي ووفوه كثيرا من حقه ، وكان ذلك في حياته ، وابان نشاطه ... ولكن هذا الانصاف . تحول مع بالغ الاسف ، الى جحود ونكران ونسيان ، بعد ان انتقل البارودي الى جوار ربه . فما نعرف احدا من المؤلفين خصه بكتاب . ولانذكر ان صحيفة تولت دراسة حياته وآثاره واعماله ... لقد نسيه الصحب والاصدقاء، كما نسوا غيره من الابطال والمجاهدين، الذين قادوا معركة النضال ضد المستعمر ،وحققوا للبلاد استقلالها وسيادتها ، لقد كان البارودي في صدق وطنيته ، كما وصفه شاعر العراق معروف الرصافي بقوله :

من شاء منكم ان يعز بلاده
فليسع سعي معزها البارودي

وحين اغمض البارودي جفنيه في العام ١٩٦٦ غاب ذلك اللون المرح من حياة دمشق ، واختفت الابتسامة عن الوجه الذي لم تكن تفارقه وذبلت الوردة الحمراء على غصنها ، لانها لم تعد تجد الصدر الذي يزدان بحملها ، والقلب الذي يعشقها اكثر من سائر الورود .

لقد غاب البارودي ، وظل مكانه في دنيا الوطنية والظرف والذوق والحماسة والفن شاغرا .. وربما ظل شاغرا الى الابد . ■■

دمشق : **عبد الغني العطري**

فاطمة الزهراء

لمفكر باكستان الدكتور محمد أقبال

وترجمة الاستاذين محمد حسن الاعظمي والصاوى شعلان

المجدُ يشرق من ثلاث مطالــع — في مهد فاطمة . فما اعلاهــا !

هي بنت من؟ هي زوج من؟ هي أم من؟ — من ذا يداني في الفخار أباهــا ؟

هي ومضة من نورِ عين المصطفى — هادى الشعوب إذا تروم هُداهــا

هو رحمة للعالمين . وكعبةُ الآ — مال في الدنيا . وفي أخراهــا

من أيقظ الفِطَر النيام بروحــه — وكأنه بعد البلى أحياهــا

وأعاد تاريخ الحياة جــديــدة — مثلَ العرائس في جديد حُلاهــا

والزوج فاطمة بسورة « هل أتــى » — تاجٌ يفوق الشمس عند ضحاهــا

أسدٌ بحصن الله يرمى المشـــكلا — ت بصيقــلٍ يمحو سطورَ دُجاها

إيوانه كوخٌ . وكنز ثرائـــه — سيفٌ . غدا بيمينه تيَّاهــا

في روض فاطمة نما غصنــان لم — ينجبْهما في النيِّرات سواهــا

فأميرُ قافلة الجهــاد . وقــطب دا — ئرة الوئــام والاتحاد ابنْاهــا

حسنُ الذى صان الجماعةَ بعــدما — أمســى تفرُّقُهــا يَحلُّ عُراهــا

ترك الخلافةَ ثم أصبح في الديـــا — ر إمام ألفتها . وحسنُ عُلاهــا

وحسينُ في الأبرار . والأحرار . ما — أزكى شمائله وما أنداهــا
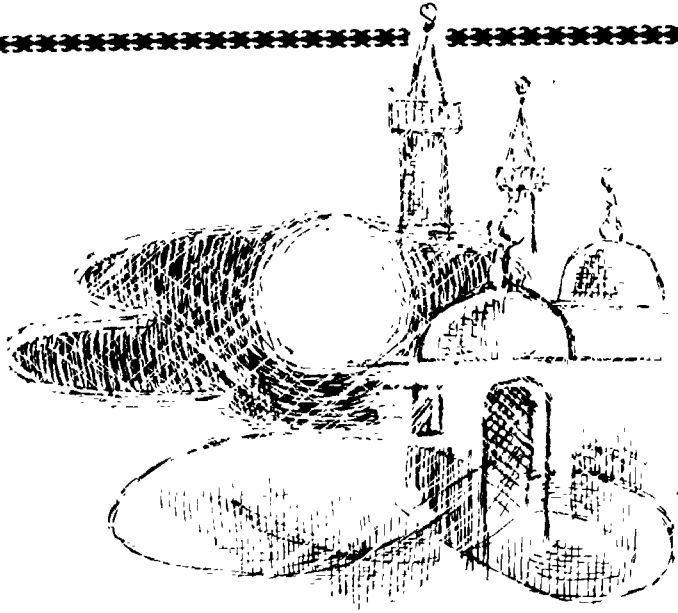
فتعلموا دين اليقين من الحسـ ن إذا الحوادث أظمأت بلظاهـا

وتعلموا حرية الإيمـان مـن صبر الحسين . وقد أجاب نِداهـا

الأمهات يلدن للشمس الضيـا ءَ ، وللجواهر حسنُها وصَفاهـا

ماسيرةُ الأبناء . إلاّ الأمهـا تُ . فهم إذا بلغوا الرقيّ صداهـا

هي أسوةللامهات . وقـدوةٌ يترسم القمرُ المنير خُطاهـا

لما شكا المحتاجُ خلف رحابهـا رقّت لتلك النفس في شكواهـا

جادت لتنقذه برهن خمارهـا يا سحب أين نداك من جدواهـا

نور تهاب النارُ قُدْس جـلالـه ومُنَى الكواكب أن تنال ضياهـا

جعلت من الصبر الجميل غـذاءها ورأت رضا الزوج الكريم رضاها

فَمُها يرتّل آي ربك . بينمـا يدها تدير على الشعير رَحاهـا

بلّت وسادتها لآلىء دمعهـا من طول خشيتها . ومن تقواهـا

جبريلُ نحو العرش يرفع دمعَهـا كالطلّ يَروى في الجنان رُباهـا

ولا وقوفي عند أمر المصطفـى وحدود شرعته . ونحن فداهـا

ضيت للتطواف حولَ ضريحهـا وغمرت بالقُبلات طيب ثراهـا ■

بقلم : منير نصيف

● احست ، واحساس المـراة لا يخطىء ، بان شيئا غير عادى قد اصاب علاقتها بزوجها ·· انه لم يعد نفس الرجل الذى عرفته وقضت معه اجمل واحلى سنى عمرها ·· لم تعد ترى فى عينيه تلك النظرات التى كانت تجد فيها اكثر من معنى لهذه المشاعر التى تعتمل فى صدره نحوهـا ·· حتى حديثه اصبح باردا جافا لا حياة فيه ولا روح ·· كل شىء فى هـذا الرجـل الـذى احبته وتزوجته ووقفت بجانبه تعمل وتكافح سنوات طويلة من اجل حياة افضل ومن اجل مستقبل اكثر رفاهية واشراقا لها ولاسرتهما الصغيرة التى مضت تكبر مع الاعوام ·· كل شىء فيه قد تغير !

ماذا حدث ؟ هل هذه هى نهاية المطاف ؟ اهكذا تتحول العلاقة بين الزوجـين بعـد مـرور خمسة وعشرين عاما من الزواج ؟ هل هذه هى الحياة التى تنتظرهما فى هذه السن التى بلغا فيها منتصف العمر بعد ان ولى الشباب ؟ وهل ولى الشبـاب حقيقة ؟ انها فى الخامسة والاربعين ويكبرهـــا زوجها بعشرة اعوام وهى تريد ان تتخلص من هذا الشعور بالملل الذى بدا يسيطر على حياتهما · تريد ان تعود الى زوجها ، وتريد زوجها ان يعود اليها ، لانها تحب الحياة وتريد ان تعيش !

ولكن كيف ؟ ترى ما هذا الذى حدث بينهما ؟ وكيف يمكن ان تعود الحياة الى هذا البيت الذى بدا يضيق بهما ؟

(تجربة منتصف العمر)

ولم تكن تتحدث مع نفسها عندما دارت كل هذه الخواطر والتساؤلات فى راسـها ·· فقـد كانت تجلس فى عيادة الطبيب النفسانى الذى لجات اليه اخيرا بعد ان استبدت بها الحيرة ، وعجزت عن ان تجد تفسيرا لهذه الظاهرة التى اقلقتها ، وملات راسـها بخواطـر شتى راحت تتنازعـها وتقض مضجعها وتطير النوم من عينيها · فلا شىء يثير قلق المراة اكثر من شعورها بان المستقبل لم يعد مستقرا آمنا كما كانت تامل وتشتهى !

وتكلم الطبيب ، قال : « انها تجربة [illegible] يا سيدتـى لا شك فى ذلك ·· ولكنهـا ليست غريبة او غير مالوفة ، فالذى يحدث الآن [illegible]

وبين زوجك ، حدث لمئات الازواج ٠٠ وفي يدك انت وحدك ، وفي يد زوجك الحل لهذه المشكلة التي تعانيان منها ٠

(البحث عن الحب)

« ان الزواج الذى مضى عليه كل هذه السنوات الطويلة هو اشبه ما يكون ببناء صممه ووضع اساسه مهندس عظيم ٠٠ ومثل هذا البناء لا يمكن ان يهدم ويزال بسهولة ٠٠ فقد جاء نتاجا لعمل متصل وجهد وعرق ، بذلهما الزوجان من اجل بنائه وصيانته والمحافظة عليه ٠٠ وبقى البناء صامدا فى وجه العواصف والازمات بفضل ما كان بينكما من حب يملأ كل ركن فيه ٠٠ هذا الحب يا سيدتى ما زال هناك ٠٠ وما زال كل شىء فى هذا البناء يحفل بذكريات تلك الاعوام الطويلة التى قضيتماها الى جنب ترقبانه وهو يكتمل شهرا بعد شهر وسنة بعد اخرى ، حتى اصبح على ما هو عليه الآن ٠

« ابحثى يا سيدتى عن هذه الذكريات ، ابحثى عن الحب بين جدران بيتك ، عودى الى ذكرياتك مع زوجك فى سنى حياتكما الاولى ٠٠ اجمعى قصص كفاحكما معا وضعيها امامه ، وسوف تجدان فى هذا كله الرباط الذى جمع بينكما على مدى هذه السنين ، وثقى انه ما زال رباطا قويا ٠ ! »

(كفاحها مع زوجها)

ـ ولكنه يبدو وكانه نسى كل شىء يا سيدى ٠٠ نسى الايام التى كنا نقضيها معا وهو جالس الى مكتبه الصغير فى البيت يعد لرسالة الدكتوراه، وانا جالسة امامه اشجعه وادفعه واعد له اقداح القهوة التى تساعده على السهر والمضى فى دراسته ٠٠ لقد كان زوجى موظفا صغيرا بعد أن تخرج فى الجامعة ٠٠ ولكنه كان شابا طموحا لم يشا ان يقف عند بداية السلم ، كان يريد ان يصعد ، ويصعد بسرعة ، وكانت المشكلة التى واجهتنا ، من اين ناتى بالمال الذى ننفق منه على اسرتنا الصغيرة التى كانت قد بدات تكبر بوصول طفلينا التوأمين ، خلال الاجازة الدراسية التى

حصل عليها من عمله ! ولم تطل حيرتنا ·· فقد عرضت عليه ان اخرج انا وابحث لنفسى عن عمل احصل منه على دخل يكفينا ، حتى ينتهى من دراسته ويعود الى عمله ! وقبل بعد تردد ، فقد كان هو الذى طلب الى ان اترك عملى بعد زواجنا لكى اتفرغ لبيتى واسرتى ·

حياة مليئة

« واتم زوجى دراسته ، وعاد الى عمله ، وعين فى وظيفة اكبر ، وتضاعف دخلنا ، وكبرت اسرتنا بوصول طفل ثالث وبدانا نقتصد ، وبدأ رصيدنا فى البنك يرتفع ويرتفع ·· كانت حياتنا مليئة يا سيدى ·· مليئة بالحب ، ومليئة باطفالنــا الصغار ومشاكـل تعليمهم وتربيتهم ورعايتهم ، وكانت بعد هذا حافلة بالآمال التى كنا نجلس نتحدث عنها ونحلم بها بعد أن يذهب الاطفال الى غرفتهم وينامو ··

« ومضت السنون ، وزوجى يرتقى السلم درجة من بعد درجة حتى اصبح مديرا للشركة التى كان يعمل بها ·· وتحققت آمالنا الصغيرة واحلامنا ·· وكبر الابناء وتركوا البيت ليعيشوا حياتهم ويشقوا طريقهم ·· واصبحنا وحيدين ·· وفى وحدتنا هذه يا سيدى بدأنا نشعر بما نشعر به اليوم ! ·· بدأنا نضيق بالحياة وتضيق بنا !

المياه الراكدة

« هل تعرف يا سيدى كيف يفكر زوجى الآن ؟ ·· لقد جاء الى يوما يقول : لقد كافحت طويلا من اجل ان اصل الى ما وصلت اليه ، لقد اصبت النجاح الذى كنت اسعى اليه ، وجمعت من المال ما يكفينا ويكفى ابناءنا من بعدنا ، ولكن هل تعرفين ما هو شعورى بعد ان حققت هذا كله ؟ ·· اننى لم اعد اهتم بشىء من هذا النجاح او المال الذى جمعناه ·· حتى الحياة نفسها لم اعد اجد لها طعما ·· لقد اصبحت حياتنا رتيبة مملة لا شىء يثيرها او يحركها من جمودها ·· لقد اصبحت حياتنا مياها راكدة يا عزيزتى ! »

بماذا تفسر هذا الشعور يا سيدى ؟ اننا لم نبلغ بعد سن الشيخوخة ، وزوجى يتمتع بصحة طيبة ·· حقيقة انه لم يعد الشاب الذى تزوجت منذ خمسة وعشرين عاما ·· ولكنه رجل قوى لا يشكو علة · قل لى بالله عليك كيف نتغلب من هذا الشعور وماذا نصنع ؟

رحلة الحياة

وتكلم الطبيب ، قال : « لقد جعل زوجك من النجاح هدفا يا سيدتى ، وهو هدف يسعى اليه كل رجل ، وقد بلغه ، ولكن هذا لا يعنى ان رحلته فى الحياة قد انتهت ·· وقد جعل زوجك كذلك من جمع المال هدفا، وهنا يختلف الرجال ، فالبعض يقتنى المال حبا فى المال ذاتــه ، وهو فى سبيل هذا يحرم نفسه ، ويحرم اسرته من كل ملذات الحياة ، وهذا اسوأ ما يمكن ان يحدث لرجل ، بينما نجد البعض يقتصد ليؤمن مستقبله ومستقبل اسرته ·· وهو هدف كل رجل عاقل ·· وقد حققه زوجك ! الآن فقط اصبح من حقه ، ومن حقك عليه ان تعيشا وان تنعما بالحياة ·· فقد كانت حياتكما فى بدايتها ، شان كل زوجين شابين ، لا تخلو من القلق كلما كان الحديث عن المستقبل وعن الحياة التى تنتظركما فيه · اما وقد نجحتما فى تامين مستقبلكما ، فاى سبب هذا الذى يدعوكما ، او يدعو احدكما الى الوقوف حيث هو ليفكر ؟ وفيم عساه يكون هذا التفكير ؟ هل هدف الابناء الذين كبروا وتزوجوا واصبحوا مسئولين عن حياتهم ومستقبلهم ؟! لقد اديتما رسالتكما ، ومن حقكما أن تنعما بحياتكما ، وبكل ما تجدانه فيها من جمال !

السعادة مع الكفاح

ومضى الطبيب يقول : « لاتندهشى ياسيدتى لانك وجدت السعادة مع زوجك فىكفاحكما وفى سعيكما من اجل توفير حياة افضل فى بداية حياتكما الزوجية ·· فهذه هى الحياة، كفاح وعمل ، وسهر وقلق ، حتى اذا ما بدأ الانسان يحقق شيئا مما سعى اليه وكافح من اجله، احس بالسعادة تغمره، ورأى الدنيا من حوله تضحك له وحده ··

« انها طبيعة البشر يا سيدتــى ·· فالثمرة القريبة مرة المذاق ، لايشتهيها احد ، و الثمرة

ـعيدة يتخاطفها الجميع ويتهافتون عليها ويحاولون الوصول اليها مهما بذلوا من جهد وعرق !»

انا لكي نسعد ، لابد ان نشعر باننا قد شقينا وتعبنا ، فالسعادة لاتجيء ، ولا يحس بها المرء الا من بعد جهد وعمل !

يبدو ان زوجك ياسيدتي قد نسي سنوات الكفاح التي امضاها قبل ان يصل الى ما وصل اليه . او ربما تصور ان قطار الحياة قد توقف به عند نهاية الخط ، وانه لم تعد للرحلة بقية !

كيف تبدأ من جديد

« لا يا سيدتي ٠٠ ان زوجك مخطيء ، فرحلتكما معا ، انما قد بدات لتوها ٠٠ وفي يدك انت وحدك مفتاح الحياة الجديدة التي تنتظركما في هذه السن التي يرى فيها زوجك نهاية المطاف ٠!»

« بعد بضع سنوات ، سوف يحال زوجك الى التقاعد ، وسوف يزداد شعوره بعدم جدوى الحياة ٠٠ وهنا يبدا دورك ياسيدتي ٠٠ ولا شيء يمكن ان يخرج زوجك من المياه الراكدة الا العمل ، ابحثا معا عن عمل جديد تشتركان في ادارته ٠٠ عمل يمتص طاقتكما ، ويشغل فكركما ، ويعيد اليكما الشعور بلذة الحياة من جديد ٠٠ ابحثي لزوجك عن قطار جديد ينطلق بكما في طريق جديد طويل لا يرى له نهاية ٠ ! لن يكون هدفكما هذه المرة جمع المال وتامين المستقبل ، وانما سيكون الهدف الاساسي من هذا العمل الذي تؤديانه معا هو الاحساس بطعم الحياة ٠٠ والشعور بهذا المذاق الحلو الذي يشعر به كل انسان ، وهو يجني ثمرة تعبه وكده ، حتى لو امتلأ بيته بالثمار !»

ومن يدري ، فقد ينجح مشروعكما الجديد ، ويسمع ابناؤكما بهذا النجاح ، فياتون ليشاركوا معكما في هذا العمل ويمتليء البيت من جديد بالابناء والاحفاد ٠٠ »

عاشق في التسعين

اعرف شيخا جاوز التسعين ، رأيته يوما يقف في المطار ، وقد استبد به الغضب الشديد لان موعد قيام الطائرة التي ستقله قد تاخر ساعة كاملة ٠٠ قلت اسأله : « ولم القلق ؟ ٠ قال : « ان زوجتي تنتظرني ، ولا اريدها ان تتعرض للبرد في هذا الجو القارس » ٠

« وعندما ما حطت بنا الطائرة في المطار ، ونزلنا حيث يقف المستقبلون ، رأيت سيدة عجوزا، جاوزت الثمانين من عمرها ، تندفع وسط الزحام وتحاول ان تشق طريقها ، ثم مالبثت ان القت بنفسها بين ذراعي زوجها الذي كان يسير بجانبي ، وذهبا في عناق طويل كما تفعل بنت العشرين عندما تلتقي بزوجها الشاب ٠٠ »

سن اليأس عند الزوجين

« نصيحتي اليك ياسيدتي بعد هذا ، ان تعنى بنفسك ، وتعنى بمظهرك ٠٠ فالمرأة تستطيع ان تبدو جميلة وتبدو جذابة مهما تقدم بها العمر ٠٠ حقيقة ان الرجل والمرأة على السواء قد يتعرضان لحالة نفسية سيئة وهما يقتربان من سن الياس والشيخوخة ٠٠ ولكن يجب الا يدعا لهذه العوامل فرصة للتاثير على علاقتهما كزوجين ٠٠ وان الخروج والانطلاق بالناس والرحلات والسفر ، هو الوسيلة الوحيدة للتخلص من الشعور بالياس الذي يجب الا نترك له مجال السيطرة على حياتنا ٠٠ »

« ابحثي دائما ياسيدتي عن هوايات زوجك ، وحاولي ان تشجعيه على ممارستها ومشاركته فيها ٠٠ ولا تنسى ان تشركيه في هواياتك انت ٠٠ المهم ان تملأى حياته وتملأى اوقات فراغه حتى لا يشعر بان الحياة قد فقدت معناها وحلاوتها ٠٠»

« لقد قالوا يوما عن الزواج انه يبدأ بقبلة يتبادلها الشاب الوسيم مع الفتاة التي راى فيها ملكة جمال ثم لايلبث هذا الزوج ان ينتهي بالشاب الوسيم وقد تحول الى رجل بدين يجلس امام طرف المائدة ، بينما تجلس امام الطرف الآخر زوجته التي اصبحت اقبح نساء الكون ٠٠ وهذا هراء ٠٠ فهذه نظرة الانسان الى الجسد ٠٠ والنظرة الى الروح ابقى واخلد ٠٠ فالمرأة الجميلة تبقى جميلة، والشاب الوسيم يبقى وسيما ، كل بروحه ،طالما بقيت تلك العاطفة التي ربطت بينهما ، وطالما عاش الحب الذي ملأ قلبيهما على مر السنين»٠ ■■

منير نصيف

بقلم : حسن فتحى خليل

« لم يخلق الانسان على هذه الارض ليكون سعيدا او أمينا فحسب ، انما ليدرك أيضا المشاعر الانسانية العظيمة ، ليكون نبيلا ، ليهزم الشر الذى يتجه نحوه معظم البشر » .

« رينان »

■ فنسنت فان جوخ من اشهر الرسامين الذين انجبتهم هولندا . ولد عام ١٨٥٣ ومات عام ١٨٩١ وكان ابوه قسيسا ، فهو من عائلة متدينة يعمل اكثر افرادها وعاظا وقسسا .

وكان فنسنت فى اعماقه رجلا له مثله العليا ، يحاول ان يعيش على هديها ، ولكن مصاعب الحياة اعترضتهذه المثلكثيرا وصدمته فىعواطفه واحاسيسه ومشاعره حتى هزته هزا عنيفا .

ويعتبر فان جوخ من الفنانين التاثريين الذين قاموا برسم اجمل اللوحات ذات الالوان الباهرة ، وكان صديقا وزميلا للفنان والرسام الكبير جوجان ، اقاما معا فى جنوب فرنسا وقتا ما وربطتهما صداقة متينة .

وكان المفروض ان يعيش فنسنت حياة سهلة لينة ، اذ بدأ حياته العملية مساعدا فى فرع معرض عمه فى لندن ، وكان هذا العم يمتلك اكبر معارض اللوحات فىاوروبا .. وكان فنسنتحينئذ شابا ممتلئا ثقة بالحياة ، متفتح الامال موهوبا .

وعاش فى لندن فى ريق شبابه ، وعواطفه الجامحة .. عواطف الفنان .. تضطرم بها حياته كلها .. وعانى فى لندن قصة حب كان له اكبر الاثر فى حياته بعدئذ .

كان يستاجر حجرة مفروشة لدى عائلة [illegible] التى كانت تتكون من ام ارملة وابنة وحيدة هى اورسولا .. الفتاة الجميلة التى خلبت [illegible] منذ

ول يوم وقــع بصره عليها ، وكانتـا تمتلكان مدرسة صغيرة لحضانة الاطفال تشغل مبنى صغيرا خلف الحديقة • كانت أورسولا فى التاسعة عشرة من عمرها ، ذات فم باسم وعينين واسعتين ووجه بيضاوى دقيق القسمات وجسد صغير رقيق •وكان فنسنت يعشق ابتسامتها التى تنير وجهها وكانها شعاع من مظلة عالية متباينة الالوان تنتشر على وجهها • كانت تؤدى عملها فى حركات رشيقة ، وتتحدث فى بهجة تفتنه ، وكان هو فى الواحدة والعشرين ، وقد وقع فى شراك حبها لاول مرة فى حياته ، وازدهرت الدنيا كلها فى ناظريه ، وكانت أسعد لحظاته هى التى يقضيها معهــا صباح كل يوم يتناولان طعام الافطار ، وكان يحلم بان تدوم هذه السعادة طوال حياته واورسولا بجانبه •

وذات صباح ، جلست أورسولا الى مقعدهــا بعد أن احضرت اللحم والبيض وفنجان الشاى، ورفعت خصلات شعرها الاسود الى الخلف وابتسمت فى وجهه فتسعر بقلبه يدق عاليا فى صدره ، ثم قالت : « ان زهرتك المفضلة قد تفتحت قليلا•• لعلـك ترغـب فى أن تراها قبل أن تذهـب الى عملك ؟ »

وذهبا معا الى الحديقة الخلفية ، كان صباحا دافئا من احد ايام شهر ابريل ، وكانت اشجار التفاح قد اثمرت وانحنيا على الزهرة ورأساهما يكادان ان يتلامسا ، واشتم لشعر اوروسولا عبقا طبيعيا قويا •

ووجـد نفســه يقــول ـ آنســة اورسولا •• فسحبت رأسها وقد ارتسمت الابتسامة عــلى فمها •• وسمعته يقول أنا •• أنا ••

فهبت واقفــة وهى تضحك : يا عزيزى •• لا ادرى ما الذى تود أن تقوله ••

وحاولت ان تذهب •• ولكنه أمسك بذراعها وهو يقول :

لقد فكرت بالامس بعد أن ذهبت الى فراشى أن اطلق عليك لقبا •• اتعرفين ماذا خطر لى ؟ ساسميك الملاك ذات الخدود الممتلئة •

ضحكت من كل قلبها وهى تصيح : ملاك ! • يجب لاخبر والدتى بذلك ••

خلصت ذراعها من قبضته وضحكاتها ما زالت ترن اصداؤها واسرعت تعدو فى الحديقة نحــو المنزل •

حين كان فنسنت شابا صغيرا كان منطويا علــى نفسه دائما،مبتعدا عن الناس حتى ظنوه متعجرفا، ولكن اورسولا غيرت منطباعه، فاخرجته من قوقعته واحيت فيه الشعور بان يكون مشهورا ومحبوبا •• وساعدته على ان يرى الجمال والبهجة فى أقــل الاشياء اليومية •

بعد تناول العشاء قال فنسنت : اورسولا :لقد احضرت لك اللوحــة التى اوصيتنى بها ، واذا احضرت مصباحا يمكننى ان اعلقها لك فى مدرسة الحضانة •

ناولته شالا ازرق ليضعه على كتفيها فاحس بملمسه الناعم •

وفى الحديقة كانت اشجار التفاح مزدهرة ، وكان الممر مظلما وأورسولا تمسك باطراف اصابعها سترته الخشنة ، وكادت تتعثر مرة فامسكت بذراعه فى قوة وهى ترسل ضحكاتها العالية • وفتح باب المدرســة وتنحى لتدخل هى اولا ، وكاد وجههــا الممتلىء أن يلامس وجهه ، وصوبت اليه نظراتها فى عمق •• ووقفا يفكران فى المكان المناسب الذى يضع فيه اللوحــة ، وكان قلقــا مهتاج النفس والخاطر • واحس فنسنت انه يود ان يختطفها بين ذراعيه فيسبحا فى هذا الضيــاء الخافت الصادر من المصباح ويزيح عنه ذلك الهم الرابض على قلبه•وحاول أن يقول شيئا رقيقا،شيئا يفتح له الطريق ليكشف عما يزخر به قلبه من العاطفة ، ولكنها استدارت نحوه ، كان المصباح يرسل شعاعا من الضوء على وجهها البيضاوى الذى تحددت معالمه فى الظلام وشعر وكان شيئا مجهولا غريبا لذيذا يسرى فى جســده حــين رأى شفتيهــا الورديتين النديتين تبرزان فى وجهها الناعم •

وبلل شفتيه مرات عدة •• ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، ونظرت اليه فى عينيه ثم أسرعت نحــو الباب •

وهلع لفوات هذه الفرصة منه ، فاسرع خلفها وتوقفت لحظة تحت شجرة التفاح •• وهمس : ارسولا •• أرجوك •

فاستدارت ونظرت اليه ، وكان يرتعد قليلا والسماء داكنة باردة النجوم وقد ترك المصباح

وراءه ·· والضوء الوحيد يصلهما من نافذة المطبخ البعيدة ، وملأت نفسه رائحة شعر أورسولا وبهرته فى وقفتها وقد جذبت الشال الحريرى على كتفيها وعقدت ذراعيها على صدرها ·

واخيرا قال ·· اعتقد انه يهمك أن تعلمى انى قد رُقّيت اليوم الى وظيفة احسن وساحصل على علاوة ثانية فى العام نفسه ·

فقالت اورسولا : « افصح عن غرضك بالضبط يا مسيو فان جوخ » ·

وقال فى جهد : « لعلك تعرفين انى احبك من كل قلبى ·· ولا يمكنك تقدير سعادتى لو وافقت على زواجى منك » ·

وفوجئت بهذه الكلمات وتعالى صوتها تقول : « زوجتك ؟ ان هذا مستحيل ·· من الغريب انك لا تعلم اننى مخطوبة منذ اكثر من عام ·· كنت اعتقد ان احدا قد اخطرك قطعا بذلك من قبل ·· يجب ان تعتبرنا اصدقاء فحسب ! »

ولما سالها اين يقيم خطيبها اخبرته انه يقيم فى ويلز ولكنه سيحضر اليها فى الصيف ليقضى معهما ·

ولكنه لم يقتنع بهذا فاذا به يقول : « انت تريه منذ عام ·· اذن فانت قد نسيته ·· و الشخص الذى تحبينه الآن » ·

وجذبها اليه فى قوة وقبلها عنوة فى فمها ، وذ

كتب فان جوخ يصف هذه اللوحة وننقل هنا كلماته كما خطها ، قال :«اننى اصور موضوعا جديدا .. الحقول خضراء وصفراء .. تمتد امامى الى اقصى ما يمكن ان تراه العين لقد رسمت هذا المنظر مرتين وانا اليوم اعيد رسمه بالزيت للمرة الثالثة وكأنى اراه لأول مرة » .

طراوة شفتيها .. واستمتع برائحة شعرها .. واندفع تيار حبه القوى الجارف وهو يؤكد : « لن اتركك .. ستكونين زوجتى .. لا احتمل ابدا ان افقدك .. »

فحاولت التخلص منه وهى تقول : « دعنى — والا صحت فى طلب النجدة . »

واسرعت تعدو فى الممر المظلم ، ولما وصلت الى درج ، استدارت والقتها فى وجهه كالقنبلة : ا احمر الشعر .. يا احمق ! . »

ان كانت هذه اللطمة التى كالتها له اورسولا دوخته الا انها لم تهزمه، فهو لم يقتنع برفضها له .. انه قادر على ان ينزع ذلك الرجل من راسها .

ولم يتيسر له الاختلاء بها ليكلمها الا بعد اسبوع ، لم يعرف للنوم او للاكل طعما خلاله ، وتحول هدوؤه الى عصبية متوترة مما اثر على مبيعاته فى محل عمله .

وكلمها ، فابدى اسفه اولا على خشونته معها، واكد حبه الكبير لها ، ولكنها لم تابه لتوسلاته واخيرا قالت له : « ان والدتى ترجوك ان تبحث لك عن مسكن آخر فى خلال شهرين لان خطيبى سيحضر ونحن فى احتياج الى حجرتك . »

واكدت له والدتها ذلك بعد ايام اذ قالت له :

« يجب ان تغلى حجرتك فمن الافضل لنا جميعا لو غادرتنا الى مكان آخر .. »

واستدار ناظرا الى اورسولا .. ولكنها قابلت نظرته بفتور .

وسافر فنسنت الى هولندا في اجازة بعد هذه الصدمة العاطفية التي اثرت فيه تاثيرا شديدا فاصبح شاحبا وازداد نحولا . وقضى ايامه يجوب منفردا الحقول والمروج ، يتامل الاشجار والبحيرات الصغيرة ويقطع معظم وقته في رسم لوحات تمثل الطبيعة من حوله .. وهو يحاول ان يبعد عنه شبح اورسولا ويقف ادمان تفكيره فيها .

وعاد بعد انتهاء اجازته الى لندن واستاجر حجرة في شارع كنجستون ، وكانت صاحبة المنزل امراة عجوزا تنام في الثامنة مساء فيطبق السكون والوحشة على المنزل . وكان فنسنت يعاني صراعا شديدا في كل مساء ، اذ كانت تعترفه الرغبة في ان يسرع الى منزل اورسولا ليراها ، ولكنه كان يغلق على نفسه الباب ويقرر في عزم انه سينام .. سينام .. ولكنه بعد ربع ساعة يجد نفسه يغذ السير في الشارع دون ان يدري .. نحو منزل اورسولا ليراها . وما ان يقترب من المنزل حتى يشعر برعدة تصيب جسده كله .. ويعذبه الم ممض .. ويتوقف .. لو دخل الى منزلها . فسيقابله عذاب اكبر . وعصره الالم ، وطحنه العذاب ، حتى اصبح حساسا سريع التاثر لآلام الآخرين .. ولم يعد صالحا لعمله ، فاصبح يضيق بالزبائن وتفاهة تفكيرهم واذواقهم .

وما ان يعود الى حجرته حتى يسرع الى كتاب رينان ويفتح احدى صفحاته ويقرأ :

« لم يخلق الانسان على هذه الارض ليكون سعيدا او امينا فحسب ، انما ليدرك ايضا المشاعر الانسانية العظيمة ، ليكون نبيلا ، ليهزم الشر الذي يتجه نحوه معظم البشر » .

وفي عيد الميلاد راى فنسنت منزل اورسولا مضاء واصوات الضحكات تجلجل بداخله . فاسرع الى حجرته وحلق ذقنه ولبس قميصا نظيفا ورباطا لائقا وعاد سريعا الى منزل آل لوير . هذا هو عيد الميلاد لا بد اذن ان تسرى روح التسامح والمحبة في انحاء المنزل ، ودق الباب .. فسمع وقع خطوات يعرفها وصوتا حبيبا .. وفتح الباب .. وسقط الضوء على وجهه .. ونظر الى اورسولا .. كانت ترتدي فستانا اخضر زادها بهاء وجمالا ورونقا .. لم يسبق له ان رآها بمثل هذه الفتنة .. وصاح : « اورسولا » ..

كست وجهها جهامة غريبة وصاحت فيه : « ما الذي اتى بك الى هنا ؟ انصرف حالا .. »

ثم صفقت الباب في وجهه .

وفي صباح اليوم التالي سافر الى هولاندا .. حزينا .. بائسا .. وقد ترك عمله .. وكل شيء وراءه . وحاول والده ان يقنعه بخدمة الكنيسة وان يتلقى علوم الكهنوت في جامعة امستردام .. ولكن .. كيف يمكنه ان يقرر ذلك .. واورسولا ما زالت تملأ قلبه كله وتجتاح كيانه وتشغل تفكيره صباح مساء .. وهي ما زالت لم تتزوج بعد .. فهو لن ييأس اذن .. وجعل يبحث عن عمل في انجلترا حتى حصل على وظيفة مدرس في بلدة رامسجيت .. وهي ميناء صغير يبعد عن لندن بمسافة يقطعها القطار في اربع ساعات ونصف .

كان في المدرسة يعلم الطلبة اللغات ويراقبهم وذلك نظير اقامته وماكله فقط دون ان يتناول اى اجر .

وكانت البلدة كئيبة ولكنها كانت توافق مزاجه الحزين .. وخيال اورسولا يلازمه في صحوه ونومه .

وبعد اشهر امكنه ان يحصل على عمل آخر في مدرسة نظامية ببلدة ايسلورث .. وكان لا يسمح لنفسه بالتفكير في ان موعد زواج اورسولا يقترب يوما بعد يوم .. فذلك الرجل الآخر لم يكن موجودا في ذهنه كحقيقة مجردة ، وكان يعتقد بينه وبين نفسه ان رفض اورسولا له انما هو نتيجة قصور من جانبه عليه ان يعالجه .. وانه سيتغلب عليه . واسرع ذات مساء الى لندن ماشيا على قدميه .. فلم يكن يمتلك نقودا ليركب القطار ، كانت السماء ملبدة بالغيوم ، وقامت عاصفة هوجاء .. وتدفق المطر غزيرا .. وابتلت ملابسه والتصقت بجلده .. ولكنه كان ما يزال يتابع السير في مشقة نحو لندن .. وظل يكافح والماء يتساقط في غزارة من وجهه .. ووصل اخيرا الى منزل آل لوير في الغروب .. وفجاة اظلمت السماء .

وسمع صوت موسيقى .. وتعجب .. ما الذي يحدث بالداخل ؟ كانت حجرات المنزل كلها مضاءة وصف من العربات تقف خارج المنزل تحت وابل المطر . وراى اناسا يرقصون في الردهة .. فسال حوذيا « ما الذي يجري هنا ؟ » .

فاجابه الرجل : « انه حفل زواج ! » ٠

وبعد قليل انفتح باب المنزل الخارجي ٠ وظهرت اورسولا ومعها رجل طويل القامة وتبعهما اشخاص كثيرون وتعالت ضحكاتهم وازداد صياحهم وهم يرمونهم بحبات الارز ٠

والتصق فنسنت بالجانب المظلم من احدى العربات ، وصعدت اورسولا وزوجها الى نفس العربة ، فرقع الحوذى بكرباجه ٠٠ وبدات الاحصنة السير فى بطء ٠

وتقدم فنسنت خطوات والصق وجهه بنافذة العربة التى يتساقط منها المطر ، كانت اورسولا غائبة فى احضان زوجها ٠٠ وقد اطبق فمه على فمها !

وسارت العربة ٠

وشعر فنسنت بنصل حاد ينهش قلبه ويمزقه اربا ٠٠ وانقشعت الغشاوة عن عينيه لاول مرة ، وتهالك عائدا الى ايلسورث تحت المطر المنهمر ٠٠ وجمع حوائجه ٠٠

وغادر انجلترا ٠٠ الى الابد ! ٠

كانت صدمة قاسية ، احتملها فنسنت فى صبر ومعاناة ، كان الالم يحز فى نفسه ويعتصر الهم قلبه ٠ وعاش زمنا فى هولندا حتى امكنه ان يتغلب على آلامه هونا ما ٠ وعلمته الآلام ان يشعر بآلام الآخرين ويشاركهم اياها ٠ فاذا به يدرس اللاهوت ثم يعين واعظا فى قرية صغيرة ببلجيكا بها منجم للفحم عاش فيها عيشة قاسية متقشفة ، ورأى مظاهر البؤس والشقاء التى يعانيها العمال وعائلاتهم وظل يرعاهم ويساعدهم ٠ ولكنه لفرط تعبه وجوعه وبؤسه وخشونة حياته خر مريضا بالحمى ، فجاء اخوه وعاد به الى بلاده ٠

وعكف على الرسم ٠٠ كانت الطبيعة من حوله هى اهم ادوات وحيه ٠٠ وبعدها ذهب الى اخيه الاصغر فى باريس وكان يحبه ويعطف عليه ويفضله على نفسه حتى انه تكفل بمصاريف رحلته الى جنوب فرنسا حيث كان يأمل فنسنت ان يتفرغ هناك للرسم دون ان يشغله شاغل وبذلك يمكنه ان يرد الى اخيه حسن صنيعه ٠

ولكن ما ان اقام هناك حتى عاد اليه شعور القلق الذى يشقيه والوحدة التى تمضه ، واصبح يضيق بنفسه ويامل ان يجد اليفا بجانبه او صاحبا يمضى معه اوقاته المملة ٠٠ ومن وحى وحدته ومتاعبه هذه كان يكتب الى اخيه الخطابات يبثه فيها آماله واحلامه ويشرح فيها افكاره وخواطره ، وهذه الرسائل تعتبر ثروة ادبية ، ففيها تنساب مشاعره فى يسر ، ويتحدث عن هزائمه وانتصاراته، ووحدته ومضايقاته ، ومنها يتضح ايضا انه كان يعمل احيانا فى قوة وعزم ورغبة جامحة ٠

وظل يغالب هذه المشاعر وتغالبه حتى اذا به بعد اقل من عام واحد وفى ديسمبر عام الف وثمانمائة وثمانية وثمانين ينهار صحيا ويصاب بلوثة عقلية ، حتى ان احدى فتيات الرذيلة ابدت اعجابها يوما باذنه فاذا به يذهب الى منزله ثم يقطعها بالموسى ويعود فيقدمها اليها كهدية ٠٠ وما ان راتها الفتاة حتى اغمى عليها ٠

وادخل فنسنت الى مستشفى الامراض العقلية ، ولكنه كان يواصل الرسم فى فترات هدوئه بها ، وظل مريضا لمدة تسعة عشر شهرا ، واخيرا راى ان يتخلص من عذابه بان اطلق الرصاص على نفسه منتحرا فى يناير عام الف وثمانمائة وواحد وتسعين ٠

ومات فنسنت فان جوخ بعد انعاش حياة عصيبة قاسية وعانى صدمات عاطفية شديدة دفعته الى رسم لوحاته التى لم تجلب له الشهرة فى حياته ولم يستفد منها ماديا ولكن اليوم ٠٠ وقد عمت شهرته الآفاق ٠٠ يبلغ مجموع ثمن لوحاته كلها ملايين الدولارات ٠

ومع ذلك ٠٠ فان فنسنت فان جوخ لم يكن ليهتم فى حياته بالنقود ، بل كان همه ان يتفهم الحياة ويسبر اغوارها ويعيشها ويرسمها ٠٠ كان كل أمله ان ينتج فنا رقيقا ٠٠ يتعشقه الجميع ويفهمونه ٠٠ فنا يجذب اليه كل الناس ٠٠ لا تختص به الطبقة الموسرة فحسب ٠٠ فنا يدفع مشاعر البهجة والسعادة والرضا الى قلوب ٠٠ كل ٠٠ البشر ٠(١)

حسن فتحى خليل

(١) راجع ما نشره العربى عن فان جوخ بالعددرقم ١٣٧ بتاريخ ابريل ١٩٧٠ صفحة ٩٥ ٠
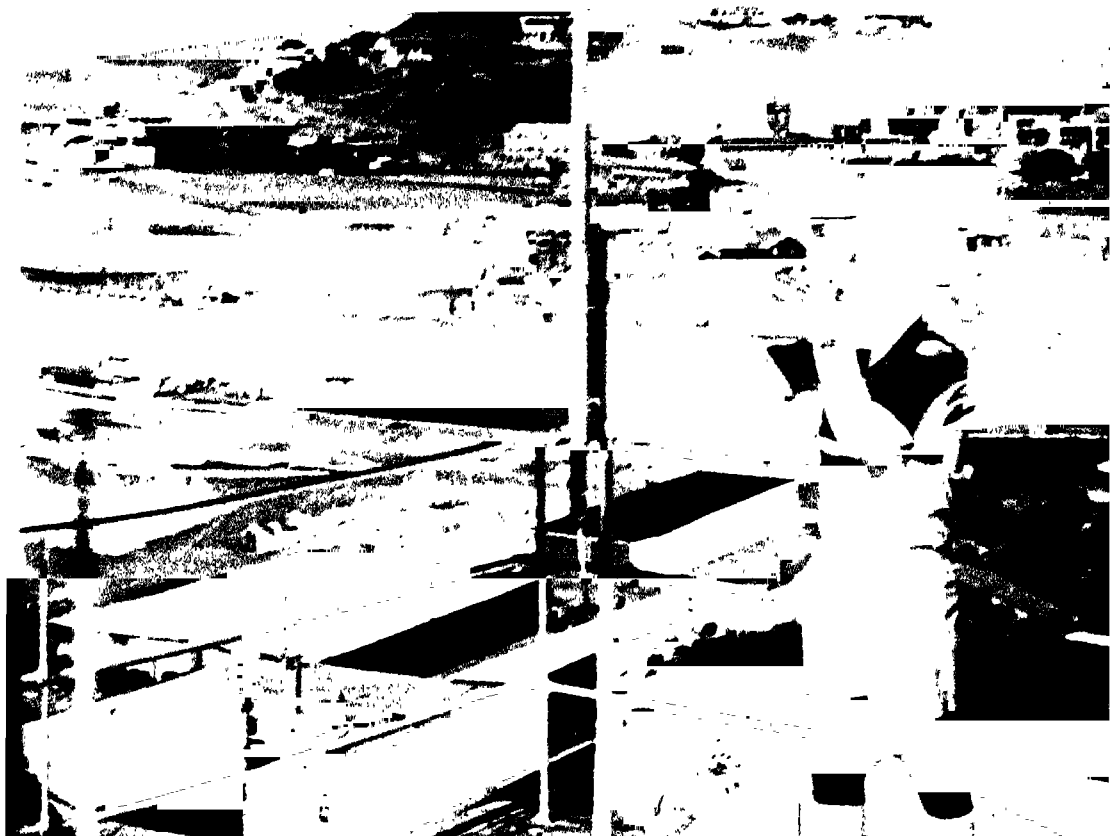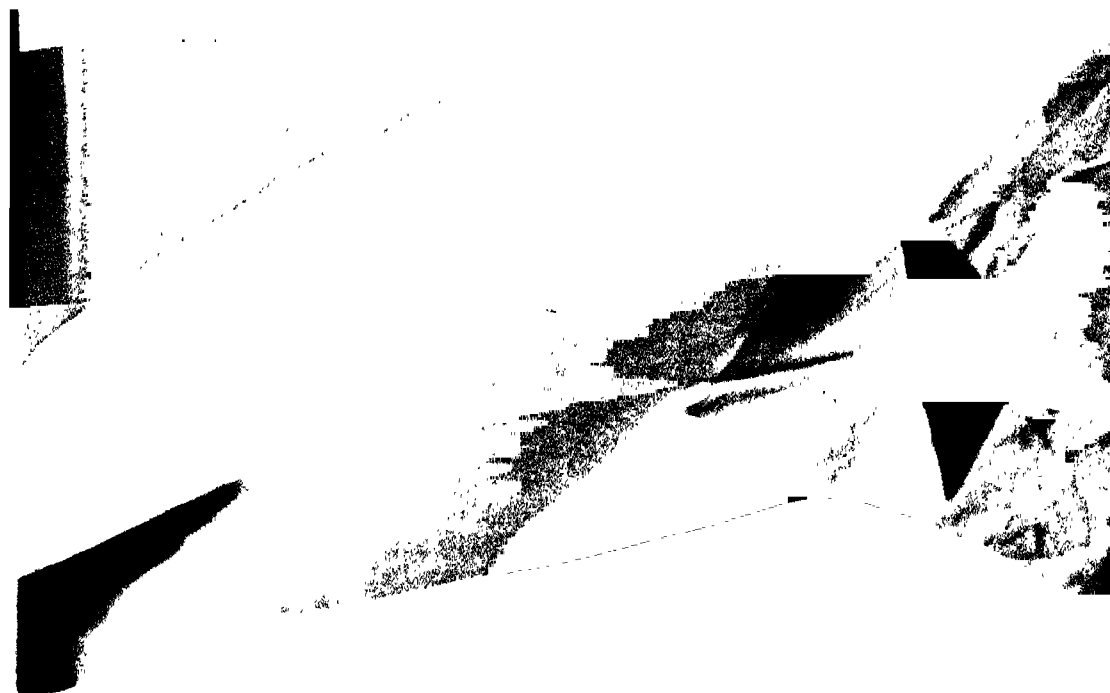
Welcome WISHING YOU A PLEASANT STAY WITH US.

ميناء عدن يرحب من جديد بالسياح ٠٠ لقد اخذ ابن البلد مكان الاجنبى ، وهذا هو الكابتن سعيد اليافعى ضابط ميناء عدن ـ فى الصورة اليمنى ـ يتطلع بكل ثقة الى السفن العائدة الى الميناء الكبير ٠٠ لقد عادت الابتسامة من جديد الى وجوه بنات وابناء عدن ٠

اعرف وطنك أيها العربى

استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار متري

■ كانت بعثة العربى هناك ٠٠ ترقب نهاية السنوات الثمانى العجاف التى مرت بميناء عدن، وتسجل بداية مرحلة الازدهار وعودة الحياة الى هذا الميناء الكبير ٠

ان قصة ميناء عدن ملتصقة وملتحمة مع قصة قناة السويس،ففى كل مرة تغلق فيها القناة،تصاب عدن بالاختناق ، وتتوقف الحياة فيها ٠

حدث هذا مرتين فى عام ١٩٥٦ و ١٩٦٧ فى المرة الاولى كان الانجليز يحتلون عدن ، فقاموا بتغطية العجز المالى الكبير الذى أصاب البلاد ، وعندما اغلقت القناة للمرة الثانية فى عام١٩٦٧ شعر البريطانيون بان القصة سوف تتكرر ،وكانوا فى نفس الوقت يواجهون ثورة مسلحة عارمة من ابناء المنطقة تحت قيادة التنظيم السياسى للجبهة القومية ، فما كان منهم عند اشتداد ضربات الثوار وتلاحم جماهير الشعب معها ـ الا ان قدموا موعد رحيلهمعن عدن من ٩ يناير عام١٩٦٨ الى٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ بعد استعمار دام نحو ١٢٩ عاما ٠

وتركوا ابن البلد يواجه بمفرده الكوارث التى ستنشا من جراء انقطاع واردات ميناء عدن ، التى كانت تمثل حجر الاساس فى اقتصاد المنطقة ٠٠

مواجهة التحدى

لقد تسلم ابن اليمن بلاده وهى مجزاة الى اكثر من ٢١ سلطنة وامارة ومشيخة ، لكل منها حدودها ، ونظامها واقتصادها ، وتسلم ميناء عدن وهو فى ادنى حركاته الملاحية يستقبل فى الشهر مائة سفينة بدلا من٦٠٠ سفينة،وواجه ابنالبلدهذا التحدى بعزيمة مع ايمان،واستطاع خلال السنوات الثمانى العجاف ان يكيفنفسه ويعيش دون ايرادات مينائه الكبير ٠

تشاؤم ٠٠

حتى انه عندما تقرر اعادة فتح قناة السويس ، قابل بعض المسئولين اليمنيين هذا الخبر بمزيج من الهدوء المشوب بالبرود قائلين : «ان اعادة الحياة الى ميناء عدن لن تحل مشاكلنا ، فخلال السنوات الثمانى الماضية امتحنا على بلادنا فى الداخل ، وادركنا مدى التخلف الرهيب الذى نعانيه ٠٠ ان عدن كانت الواجهة او الديكور الجميل الذى يحمى اشبع صور التخلف والفقر ٠٠ وعودة الحركة الى مينائها لن يحل مشاكلنا٠٠»

وتفاؤل

ولكن تقارير بعض المنظمات الدولية ، واحاديثنا مع وزير المواصلات اليمنى ، والمسئولين فى وزارة التجارة بعدن ، لا تقر تماما هذه النظرة المتشائمة وتقول : فى عام ١٩٦٨/٦٧ انخفض الناتج القومى الاجمالى لليمن الديمقراطى بحوالى ٦٤ مليون دولار ، اى ما نسبته ٣٠٪ من مجموع الناتج القومى فى السنة السابقة ٠٠

ويعود هذا الانخفاض الى توقف بريطانيا عن تقديم معونتها للميزانية ٠ والى نقص ايرادات ورسوم ميناء عدن بسبب اغلاق قناة السويس فى ذلك العام ٠٠ ويشكل هذان السببان نصف الانخفاض فى الناتج القومى المشار اليه ٠٠ اما النصف الآخر فانه يعود الى توقف النشاطات الاقتصادية التى كانتتعتمد على المعونةالبريطانية،

واجه ميناء عدن تحديات ضخمة كان يمكن ان تقضى عليه٠٠الصدمة الاولى كانت تقلص عدد السفن المارة به ٠٠ والثانية كانت مغادرة معظم العاملين الاجانب ذوى المراكز الرئيسية للبلاد ، وكانت فرصة سانحة لابن اليمن كى يتقدم ويحتل جميع المراكز القيادية فى الميناء ٠٠ وهذا هو وزير المواصلات الاخ انيس حسن يحيى مجتمعا مع رؤساء اقسام الميناء ٠٠

تبلغ مساحة اراضى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حوالى ١١٢ الف ميل مربع ‥ وتنقسم البلاد الى ٦ محافظات ، ‥ وعدد السكان نحو مليوني نسمة ، منهم اكثر من ٥٠٠ الف يعيشون في العاصمة عدن وضواحيها ‥ ويقع ميناء عدن على مسافة مائة ميل تقريبا ، من مدخل البحر الاحمر ‥ وهو ميناء يتوسط فكين من الجبال البركانية العالية التي تحميه من الانواء والاعاصير ‥

وعلى اعمال الميناء من خدمات وتجارة ‥

من هذه الارقام يتضح ان عودة الحياة لميناء عدن سوف تحقق فوائد كثيرة للبلاد ، فوائد مباشرة وغير مباشرة ، فهي ستخفض تكاليف نقل طن البضاعة من اوربا الى عدن بمقدار سبعة دولارات على كل طن ‥ والبواخر الـ٣٤ التي يمكنها ان ترسو مرة واحدة في ميناء عدن ، ستدفع رسوما للميناء ، وستزود بالوقود ، وهذا يعني زيادة في عائدات الدولة لان المصفاة سوف تعمل بكامل طاقتها،وستشترى البواخر الخضروات والماكولات والمياه ، وركابها سينزلون الى الاسواق، يشترون وينفقون ، وهذا يعني حركة زائدة في اسواق المدينة ‥ أي ان كل دينار يصرف [حـ]ركة في ميناء عدن يتحول الى دينارين أو اكثر.

١٨ مليون دولار لتحسين معدات الميناء

ان روعة ميناء عدن ليست في امكانياته الطبيعية [...] ، بل في ادارته ، فجميع العاملين فيه حاليا هم من ابناء اليمن الديمقراطي ، الذين حدثونا عن الميناء وكانه قطعة عزيزة من ذاتهم انه ميناؤهم‥ يعرفون كل ركن فيه ، فقد عملوا فيه منذ ٢٦ عاما واكثر ‥ من هنا جاءت غيرتهم عليه ‥ انهم يخططون ويدرسون ويتحركون من اجل تحسينه ورفع كفايته ، وجعله في مستوى اكبر الموانيء واكثرها تقدما ‥

من هنا كان اتصال الحكومة اليمنية بالصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية،لاجراء عملية مسح هندسي واداري ومالي لميناء عدن ، واعداد خطة طويلة الامد لتطويره وتدعيمه الى جانب الموانيء اليمنية الاخرى ‥

وقدم الصندوق الكويتي معونة فنية لاجراء هذه الدراسة ، ولكن بعد ان دخل موضوع اعادة فتح قناة السويس مرحلة جدية ، كان لا بد من الاسراع في تجديد جزء كبير من المعدات التي تآكلت بفعل الصدأ طوال السنوات الثماني الماضية ‥

وهنا تم الاتفاق بين حكومة اليمن الديمقراطي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي،

« لا تكونوا قساة فى الحكم علينا ·· فنحن شعب فقير ، ولكننا اغنياء بتقاليدنا وعاداتنا وفنوننا ·· اننا احفاد الذين نزحوا من هنا ليشيدوا الحضارات فى ارجاء الوطن العربى·· ونحن ما زلنا نحب الرقص والغناء ·· ونجيد اطلاق النكتة ·· ولكننا فى نفس الوقت نطور انفسنا . لقد اصبح للمرأة اليمنية طموحات كبيرة جدا ، فهى تحاول ان تعوض ما فاتها بالدراسة فى فصول محو الامية ، وفى المدارس العادية والصناعية (الصورة اليمنى) واغلب الفتيات اصبحن مصممات على تكملة دراستهن العليا ·· لقد كانت حياتنا السابقة تدو فى فراغ رهيب . وكانت جلسات تخزين القا تأخذ كل وقتنا . اما اليوم فلم تعد واحد منا تخزن القات ·· ولكننا ما زلنا نحب الط وخاصة اكلة الذربيان الشعبية وهى ارز م صالونة (مرق) وبطاطا . وبسباس وكر وسمك وطماطم ولحم ·· واحيانا سمك ··

اس اليمن . ما هو دوره اليوم ؟ انه يحاول اللحاق بالتطور . بعد ان ظل يولد ويموت فى الظل دون ان يدرى به احد ‥ لقد انطلق فى جميع الاتجاهات حتى الرقص الشعبى اصبحت له ـ لاول مرة ـ فرقة رقص شعبية يمنية رسمية تم جمع افرادها ورقصاتها من كل محافظات اليمن ‥ زارت الاتحاد السوفيتى وقدمت رقصاتها على مسرح ليننجراد امام ١٢ الف متفرج . فانتزعت الاعجاب والاستحسان‥ والصورة اليسرى لفتحى حمرة من عدن ، واماني السقاف من تريم‥وفى ورشة اصلاح السفن بميناء عدن يعمل الرجال على اصلاح السفن بكل تفان واخلاص بادوات . يجرى العمل حاليا من اجل تبديلها ‥

ومع هيئة التنمية الدولية ، من اجل تمويل عملية شراء اكثر من ٨٠ قطعة بحرية مختلفة ، من زوارق سحب وارشاد وصيانة ونقل الماء وصنادل و٥٠٠ منصة نقالة ومعدات ومكائن حديثة ، وقطع غيار ومعدات غطس بحرية ، ومعدات لاسلكية ، وكذلك الاعمال المدنية اللازمة لتعميق المجرى الرئيسى للميناء ٠٠

ان قيمة ما سيتم انفاقه على هذا المشروع هو ١٨ مليون دولار ٠ سيدفع منها الصندوق العربى نحو ١٤ مليون ، والبنك الدولى ثلاثة ملايين ، والباقى تموله حكومة اليمن الديمقراطى بالعملة المحلية ٠٠ وقد بدأ تنفيذ هذا المشروع فعلا ، ومن المنتظر ان ينجز خلال عام ١٩٧٧

عمق الميناء من عمق القناة

اما الدراسة التى يقوم بها بيت خبرة استشارى بريطانى ، ويمولها الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فتهدف الى تحديد ابعاد الصورة التى سيكون عليها ميناءعدنفىالمستقبل٠٠

ومن بين النقاط الهامة التى تجرى دراستها مسالة تعميق المجرى الرئيسى فى ميناء عدن ، وقد رصدت لها المخصصات الكافية ضمن المشروع الذى يشارك الصندوق العربى فى تمويله ٠

ان ميناء عدن حاليا هو مثل قناة السويس ، يستطيع استقبال السفن التى لا يتعدى طول غاطسها ٣٨ قدما ٠٠ ولكن مشاريع تحسين القناة تهدف فى المدى البعيد ، الى تعميق مجراها حتى يصل الى ٥٦ قدما ٠٠ وسوف يتم بلوغ هـــذا الهدف فى ميناء عدن ، ضمن الخطط الطويلة الامد التى اعدت للميناء ٠٠

سفن الغرب تمر من عدن

وعندما كنا فى ميناء جيبوتى قال لنا مديره الفرنسى : « أعتقد ان ميناء عدن سوف يستقبل سفن الدول الاشتراكية فى حين تتجه سفن الدول الغربية الى ميناء جيبوتى »٠٠ ونقلنا هذا الحديث الى وزير المواصلات اليمنى الاخ انيس حسن يحيى، الذى قال لنا بهدوء :

ـ نحن نعتز بصداقتنا مع المعسكر الاشتراكى، لكننا نفهم تماما مسئولياتنا تجاه الملاحة الدولية٠٠ اننا كجزء من الاسرة الدولية سنظل نرعى ونحترم واجبنا نحو تلك الاسرة . وميناء عدن لم ولن يتوقف فى الماضى او الحاضر ، عن تقديم كل خدماته لكل السفن دون تمييز بين الجنسيات ـ

« يعتبر ميناء عدن من اكبر موانىء الخدمة والتزودبالوقود فى العالم ٠٠ ولا يمكن لاى ميناء مجاور له ان
اليه الباخرة السوفييتية ديمترى فرمانوف ، والموسيقىتصدح لها باغنية « مليح ياريس » ٠٠ وتقوم شركة
التسهيلات الادارية والمصرفية لستوردمباشرةكلماتحتاجه السفن وما يحتاجه السياح والسلك الدبلوماسى » وميناء عدن
مدينة عدن كلها منطقة حرة ، اما اليوم فاصبحت مساحه

اللهم الا سفن العدو الاسرائيلى اننا نحرص على المواثيق الدولية ونصوصها .. وقد جاء مندوبون من شركات الملاحة البريطانية والالمانية العربية ، والاسكندنافية ، والايطالية واتفقوا معنا على اعادة مرور سفنهم فى ميناء عدن . »

متى تعود الحركة الى سابق عهدها ؟

ان عدد السفن التى استقبلها ميناء عدن عام ١٩٦٦ اى قبل اغلاق القناة بلغ ٦٢٥٠ سفينة انخفض الى ١٣٢٠ سفينة بعد اغلاق القناة منذ عام ١٩٦٧ ويتوقع المراقبون ان ترجع الحركة فى الميناء الى سابق عهدها فى عام ١٩٨٠ بعدد من السفن يقرب من ٥٥٠٠ سفينة .. وهذا الانخفاض فى عدد السفن يرجع الى التطور الذى شمل زيادة حجم السفينة وبالتالى زيادة حمولتها..

ماذا يدور فى الادمغة ؟

وميناء عدن هو البوابة التى تطل منها جمهورية اليمن الديمقراطية على العالم .. اما مدينة عدن فاصبحت المدينة التى تشع على جميع اراضى ومدن اليمن الديمقراطية .. انها تعيش اليوم حياة مغايرة تماما لحياتها بالامس ..

وحتى نتعرف على حقيقة اسلوبهم فى هذه الحياة ، لابد ان نعرف ماذا يدور فى ادمغة الناس هناك .. وهذا من الصعوبة بمكان ، فهم لايبوحون بما يختزنون .. والبديل هو ان نعيش مع القوانين ، والقيم التى تحكمهم ، والمشاريع التى اقاموها ، والمجتمع الذى يجمعهم ، والخلفية التاريخية لكل هذا ، حتى ياتى حكمنا صحيحا .

كلهم جاءوا الى صيرة !

ان ميناء عدن صنعته الطبيعة ، ولم يصنعه الانسان . نفس المنطقة التى نزلت عندها القوات البريطانية فى صباح ١٩ يناير ١٨٣٩ لتبدأ احتلال عدن فى وجه مقاومة عنيفة عنيدة من سكان المدينة .. ولم يكتف الانجليز باحتلال عدن ، بل وسعوا دائرة احتلالهم حتى شملت اراضى مساحتها ١١٢ الف ميل مربع، الا ان اهتمامهم الرئيسى كان موجها الى عدن.. والعناية بعدن .. وتجميل عدن .. وتحسين ميناء عدن .. وهكذا خلقوا ازدهارا اقتصاديا مصطنعا ، يستفيد منه بضعة اشخاص اغلبهم من الاجانب ، على حساب بقية ارجاء البلاد ، التى

...نافسه فى هذا المجال .. » لقد عادت الحياة الى الميناء فى صباح ١١ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ عندما دخلت ...نصر تموين السفن بما تحتاج اليه من مواد ، ويقول مديرها على احمد العترة . « لقد قدمت لنا الدولة جميع ...سع لرسو ٣٤ سفينة تقف بجوار العوامات ، فيما عدا ٤ سفن تستطيع الوقوف ملاصقة للارصفة .. لقد كانت ...نطقة الحرة ٧٣٦ الف قدم مربع .

٢١٧ الف طالب وطالبة يتلقون تعليمهم فى جميع مدارس ومعاهد اليمن الديمقراطى ·· ويولى المسئولون عناية خاصة للاطفال . وفى عيد الطفولة العالمى تقام المهرجانات ، التى يقدم فيها الاطفال التمثيليات والالعاب بالاشتراك مع موسيقى الجيش ·

الى اليسار: مصنع الاحذية.اقيم بالاشتراك مع الامم المتحده لتدريب الشباب على هذه الصناعة . التى تدخل البلاد لاول مرة ·· ومن المنتظر ان يبدأ انتاجه فى اوائل عام ١٩٧٦ لينتج ٢٤٠ الف زوج من الاحذية سنويا . وهو حجم الاستهلاك المحلى للبلاد ··

يتعاطف الدبلوماسيون والتجارة ، والسياح المصنوعات الفضية والشعبية الجميلة الرائعة التي تصنع في المحافظات الست لليمن الديمقراطي . والتي يجمعها محمد خالد في متجره ·· ان هذه الصناعة في حاجة الى تشجيع المسئولين للنهوض بها ، او المحافظة على مستواها الرفيع ، على الاقل ·· اما تركها هكذا بدون رعاية فهذا يعني ان مصيرها الى الاندثار اصبح وشيكا ''

الى اليسار : بمساعدة الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية اعدت خطة سريعة لاستبدال معدات ورشة اصلاح السفن في ميناء عدن ، كما خطط لاضافة الكثير من المعدات المتقدمة لهذه الورش ·

تركوها مهملة منسية تشكو من انعدام مظاهر الحياة .. لاطرق .. ولا مستشفيات .. ومدارس قليلة نادرة ..

مجتمع جديد

وثار ابن اليمن ثورته المسلحة المتهورة ،واهتزت جبال ردفان ، وشهد جبل شمسان النيران والقنابل تنفجر في كل احياء عدن .. ورحل الانجليز مع عائلاتهم عن البلاد .. وخلفوا وراءهم المنازل في « التواهي » وشارع المعلى الانيق ، مهجورة فارغة ، ولكن لفترة بسيطة قصيرة ، اذ سرعان مانزل ابن البلد من اكواخه المتناثرة على جبل شمسان ، ليحتل اكثر من ثلاثة آلاف شقة ، في شارع المعلى .

وانضم الينا اناس جاءوا منكل حدب .. من البوادي والقرى . وحتى اليمن الشمالي . جاءوا ليقيموا ويستقروا في عدن،ويخلقوا مجتمعا جديدا لا يمت بصلة الى المجتمع القديم المرفه .. لقد كان ايجار الشقة الواحدة في شارع المعلى يرتفع الى نحو ١٥٠ دينارا ، انخفضت الى نحو خمسة دنانير بعد تاميم الحكومة لهذه العمارات ..

الاشتراكية العلمية

وبدات عمليات التجميل والتصنيع في عدن تسير على قدم وساق ، تحت ظل انظمة وقوانين تتخذ من الاشتراكية العلمية قاعدة لها .. لقد قامت الدولة بتاميم بعض المنشآت والمؤسسات معللة ذلك بان عائدات تشغيل هذه المنشآت لا تساهم في عمليات التنمية في البلاد .

قانون الاسرة

ووضعوا قانونا جريئا « لانقاذ المراة والمجتمع من الضياع » .. **يشتمل على ٤٥ مادة ، من بينها ثلاث مواد سوف يكون لها تاثير كبير على حياة الفرد في مجتمع اليمن الديمقراطي،داخل البلاد،وفي بلاد المهجر على حد سواء ..**

فالمادة السابعة في هذا القانون تنص على انه لايجوز عقد زواج،فيه تفاوت في السن،يتجاوز عشرين عاما ، الا اذا كانت المراة قد بلغت من العمر ٣٥ عاما ..

اما المادة ١١ فتقول : لايجوز الزواج من ثانية الا باذن كتابي من المحكمة الجزئية المختصة..وليس للمحكمة ان تمنح الاذن الا اذا ثبت لديها عقم الزوجة، أو مرضها مرضا مزمنا..

وتاتي المادة ٢٥ فتمنع الطلاق من طرف واحد وتحظر على المحكمة الاذن باكثر من طلقة واحدة في كل مرة !

وجلسنا الى وكيل وزارة العدل والاوقاف الاخ علي فضل علي،نساله عن تفاصيل هذا القانون، فقال : « قبل الاستقلال . كانت احكام الاحوال الشخصية . تخضع في غالبية اجزاء اليمن الديمقراطية . الى التقاليد والعادات والاعراف.. ونحن نسعى لبناء مجتمع سليم منتج ، وهذا المجتمع لايمكن ان نوجده الا اذا رفعنا قيمة المراة التي هي نصف المجتمع .. من اجل هذا نجد الدستور يمنحها كامل حقوقها السياسية والاجتماعية . اما تقييد الزواج باكثر من واحدة فنحن لانعتبره خروجا على نصوص الشريعة الاسلامية ، بل هو بمثابة اجراءات تنظيمية تساعد على خلق المجالات الاوسع لمشاركة المراة ونيلها لحقوقها ..

والآيات القرآنية نفسها ما تركت مسالة تعدد الزوجات مطلقة بدون حدود ، اذ تقول « فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » ، وفي آية اخرى نفس السورة«ولن تعدلوا بين النساء،ولو حرص

طلقة واحدة فقط

وسالنا فضيلة الشيخ عبدالله محمد حاتم مدير ادارة الشئون الدينية وكبير المأذونين

الى اسفل : وكيل وزارة العدل والاوقاف السيد « علي فضل علي » وبجانبه كبير المادونين الشرعيين الشيخ عبدالله محمد حاتم، يتحدثان عن قانون الاسرة الثوري ..

اليمن الديمقراطي عن الحكمة في تقييد الطلاق ، فقال : « في السابق كان الرجل يبعث بورقة صغيرة للمأذون ، يحصل بموجبها على الطلاق بدون علم الزوجة ، وهذا فيه امتهان كبير للمراة ، اما حاليا فلا يسمح بالطلاق الا بعد استحالة التوفيق بين الزوجين عبر لجان الاصلاح ، فاذا رأت اللجان ان الحياة الزوجية ستصبح جحيما ولا يوجد حل الا الطلاق ، عندها فقد يسمح للزوج ان يطلق زوجته طلقة واحدة فقط ، اما الطلاق بالثلاث بلفظ واحد وفي مجلس واحد فيعتبر طلقة واحدة٠٠ ما لم تكن الثلاث طلقات متفرقات ٠٠ وهذا ما ينص عليه القرآن الكريم بقوله تعالى **الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ٠٠** والمراد بالتسريح هذا الطلقة الثالثة ٠٠ »

الوقوف امام الطوفان

قلنا للشيخ حاتم : « هل توافق على اعطاء المرأة كافة حقوقها ؟ ٠ »

فاجاب بحماس زائد : « انا اوافق على اعطائها كافة حقوقها ٠٠ فالمرأة في عصرنا العاصر غير المرأة في الازمنة والعصور السابقة ٠٠ لقد صعدت المرأة الى الفضاء الخارجي ، وحاربت جنبا الى جنب مع الرجل في معارك التحرير ٠٠وانا اسألكم سوري هل يمكنكم وقف عجلة التطور وحرمان المرأة من ان تنال حقوقها كاملة ؟ ٠٠ ان الوقوف أمام مطالبها وحقوقها اشبه بالوقوف امام الطوفان٠٠ وصدق الله العظيم القائل ولهن مثل الذى عليهن ٠٠ »

البحث عن مبنى ! !

وقد رأينا المرأة اليمنية في عدن تعمل في كافة المجالات ، تعمل قاضية ، وطبيبة ، ورئيسة مختبر ، ومسئولة وعاملة في المصانع ، وسكرتيرة في مكاتب الوزارات ، وعضوة بارزة في الاندية رياضية ٠٠ انها تنطلق عاملة في كل المجالات جهودها الشخصي ، اما الاتحاد النسائي اليمني زالت المسئولات عنه يبحثن عن مقر لهن حتى أن نشاطهن !؟ بالرغم من ان احدى كرائم ثات العربي كانت تبرعت عام ١٩٦٤ ـ بعد استطلاعنا الاول عن عدن بمبلغ خمسة آلاف ر لبناء مقر للجمعية النسائية ؟؟؟

المبنى الداخلي لكلية التربية العليا ، الذى يتسع لاكثر من ٢٥٠ طالبا ، سيكون مجهزا بمسبح وملاعب وسينما ٠٠ انه واحد من مظاهر الخدمات التى تقدمها الهيئة الكويتية العامة للجنوب والخليج العربي الى جمهورية اليمن ٠ وتقوم الهيئة حاليا ببناء مستشفيين في المكلا والشيخ عثمان يتسع كل منهما لثلثمائة سرير سيقدمان مع كافة تجهيزاتهما لليمن ٠

المرأة في المصانع

وزرنا المصانع الجديدة ٠٠ انها مفخرة لليمن الديمقراطي ومفخرة للمرأة اليمنية ، فهي موجودة في كل مصنع الى جانب شقيقها بنسبة تقارب الخمسين في المائة من مجموع العاملين ٠٠ لقد اطلت الصناعة برأسها رغم الضائقة المالية التى تعانيها البلاد ٠٠ وهي صناعات قامت لتصنيع المواد الاولية الخام المتوافرة محليا ، ولوقف نزيف العملات الصعبة المتسربة من البلاد ٠٠

٧ ملايين متر من الاقمشة

ويعتبر القطن في اليمن الديمقراطي من المحاصيل الرئيسية لهذا اقاموا في عدن مصنعا كبيرا للغزل والنسيج ، شبيها بمصنع صنعاء ، بمساعدة الصين الشعبية التى قدمت القرض والخبراء لتعليم ابناء اليمن٠٠ انهم لايبخلون علينا بتجربتهم ٠ انهم يقدمون لنا كل خبراتهم ومعارفهم من اجل تعليم ابنائنا٠٠

على اليمين : اول قاضية عربية لها كل الاختصاصات فى القضايا الجنائية والمدنية والاحوال الشخصية ·· انها السيدة القاضية حميدة زكريا خريجة كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، التى ما كدنا نسألها عن رأيها فى قانون منع تعدد الزوجات حتى قالت

« فى ظروف مثل ظروفنا فهم الرجل الشرعية فهما غير صحيح ، وكان يستغل اباحة تعدد الزوجات بشراء او تبديل المرأة كما يشاء ، وبدون علمها ·· واعتقد ان هذا كان ضد الشرع والتشريع ·· لهذا سارع الرجل ، قبل المرأة ، الى تقييد مثل هذه الامور التى استغلها الكثيرون فى غير ما اراد الشرع لها · »

شاركت المراة اليمنية فى الثورة المسلحة التى قامت قبل الاستقلال . وما زالت حتى اليوم تتلقى التدريبات العسكرية فى المدارس (الصورة اليمنى) ، لتصبح مؤهلة للعمل فى الدفاع المدنى . أو فى ميليشيا النساء ·· ولكنها تحتفظ فى منزلها بملابسها التقليدية الجميلة مع زينتها المعدنية . والى اسفل تبدو الطالبة المتفوقة اروى محمد خالد بالزى الوطنى الكامل ··

الى اليمين : ظل اقتصاد اليمن الديمقراطى يعتمد على اقتصاد زراعى متخلف يستغل بطرق بدائية نحو ٣٠٠ الف فدان ، أى اقل من نصف مساحة الارض الصالحة للزراعة اما اليوم فقد قامت عدة مصانع بدأت تعمل لتحول اقتصاد البلاد . من الاستهلاك الى الانتاج ·· وهذه الصورة من مجمع صناعة النسيج الذى سيضم ١٢٠٠ عامل وعاملة ·

الى اليمين : عالم المراة يتشكل الان فى هدوء ·· فهى تتعلم كيف تعد الخطط على رقعة الشطرنج فى الاندية الاهلية السبعة المنتشرة فى كل حى من احياء عدن ، وهى اندية مختلطة ، تمارس فيها كل انواع النشاطات الاجتماعية والرياضية والثقافية رغم شح الاموال ، وبخل السفارات العربية بمدها بالكتب العربية القيمة ، بعكس سفارات دول المعسكر الاشتراكى التى تغدق عليها الكتب والمطبوعات بدون حساب ؟!!

صهاريج عدن اروع آثار العرب بعد سد مارب ·· لا يعرف بانيها . ولكن تاريخها يرجع الى نحو ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد ·· كانت تحفظ فيها المياه . اما اليوم فهى منطقة سياحية لا يقصدها احد لخلوها من اى استراحة سياحية نظيفه !

٤٥٠ طفلا تضمهم روضة ... منتشرة فى احياء عدن ، وتقول الم... **تذوب كالشمعة ليشع النور عل... تعتمد علينا للعناية بطفلها ··»**

والعامل اليمنى استوعب حاليا الكثير من مهارات الخبراء الصينيين فى مجال صناعة الغزل والنسيج وصيانة واصلاح الالات ·· »

ويتابع مدير مصنع النسيج الاخ محمد سعيد سالم كلامه قائلا : « اننا فى مرحلة تدريب الكادر اليمنى . ومع ذلك انتجنا ١٩٠ الف قدم من الاقمشة القطنية حتى الآن ·· وعندما ندخل مرحلة الانتاج فى عام ١٩٧٦ سوف ننتج سبعة ملايين ونصف مليون متر من الاقمشة سنويا ، وسوف نحتاج الى ١١٠٠ طن من القطن الخام . سنأخذها من منطقتى لحج وأبين ·· »

٧٣٠ سيجارة يوميا

وبعد القطن ياتى التبغ ·· وللتبغ فى اليمن الديمقراطى قصة ، فهو ينمو بنجاح فى منطقة غيل باوزير فى المحافظة الخامسة ، ولكن نوعيته ليست بالمستوى المطلوب ، لهذا عمدت وزارة الزراعة الى جلب خبراء من الامم المتحدة وكوبا ومصر ، استطاعوا تحسين النوعية وانتاج تبغ فرجينى محلى ممتاز ، وسينمو بكميات تجارية تصل الى ٥٠ طنا ابتداء من العام القادم ··

«ان أبناء اليمن يدخنون يوميا مليونى سيجارة ، وقد اعتادوا تدخين السجاير البريطانية ، بحكم الاستعمار الطويل للبلاد ، لهذا قمنا بجلب الآلات من بريطانيا وحصلنا على رخصة من شركة سجاير بريطانية عالمية ، لتصنيع سيجارة تحمل اسم سجائرهم ·· ونحن اليوم نستعمل ٤٠٠ طن من التبغ البريطانى المستورد ·· كما نخاف الا يلاقى انتاجنا قبولا لدى الجمهور . ولكن الحمد لله ان انتاجنا من السجاير المحلية والاجنبية حقق نجاحا منقطع النظير ·· وأملنا كبير ان نشرع قريبا فى التصدير بعد ان غطينا حاجة الاسواق المحلية بانتاج مليونى سجارة يوميا » **هذا ماصرح لنا به الاخ عمر عبدالله باهرمز مدير شركة التبغ بالنيابة ·**

الانتاج يفوق حاجة الاسواق

وابناء اليمن مثل بقية ابناء الجزيرة يعشقون اكل اللحوم،وكانت جميع الجلود تصدر خاماللخارج «حتى كان عام ١٩٧١ وفيه تبنت وزارة الاقتصاد مشروعا لدباغة الجلود . وجاءت بمهندسين مصريين ركبوا آلات المصنع المهمل · ودربوا العمال اليمنيين ، وبعد عامين غادروا البلاد ، واصبح كل العاملين من اليمنيين·· ونحن ننتج حاليا الفى قطعة جلد مصنعة لاستعمالها فى صناعة الاحذية ،وتجليد الكتب ، وصناعة الملابس الشموا··والسوق المحلى لايستهلك الا ٤٠/ من انتاجنا والباقى نصدره ·

هذا ما قاله لنا الاخ عبد القادر ابو بكر سالم، نائب مدير مصنع الدباغة الوطنى ·

مطلوب مساعدة عربية ···

ان الخطط الطموحة لتصنيع اليمن الديمقراطى على اوسع نطاق تصطدم بعقبتين رئيسيتين: نقص رأس

..ية ٠٠ انها واحدة من ٦ روضات
..شسار « **ان بنت اليمن اصبحت**
..ا ٠٠ **ان المرأة العاملة اصبحت**

شارع المعلى ٠٠ كانت الحركة الاقتصادية متمركزة فيه ٠٠ ومع رحيل المستعمر هدات الحركة في الشارع ، واصبحت عماراته في حالة يرثى لها ٠ ولكن عودة الحياة الى ميناء عدن ، جعل وزارة الاسكان ترمم وتطلى كافة المنازل في هذا الشارع الرئيسى ٠

المال ٠٠ ونقص اليد الفنية المؤهلة ٠٠

وللتغلب على العقبة الاولى، تقوم البلاد بالاقتراض من مختلف الدول ٠٠ وقد تقدم رئيس مجلس الرياسة بطلب مشترك مع رئيس اليمن الشمالى ، الى مجلس جامعة الدول العربية يطالبان فيه بمعالجة مشكلة الازمة الاقتصادية في اليمين ٠ عن طريق اعتماد مالى ثابت للبلدين من الدول العربية ، يكون متفقا مع حجم المشكلة ، ويستمر الى ان تتغير الظروف الاقتصادية في اليمين ، تغيرا يجعلهما قادرين على الاعتماد على نفسيهما اعتمادا ذاتيا ٠٠

كل الضمانات لرؤوس الاموال

وجلسنا الى وكيل وزارة التجارة والتموين الاخ محمد على باصرة نتحدث عن التجـارة ورؤوس الاموال العربية فقال لنا :

« انا نرحب برؤوس الاموال العربية قبل اى اموال اخرى ٠٠ فالمجال كبير ومردوده كبير جدا ٠٠ ٠عندنا مجالات للاستثمار لم يطرقها احد بعد ٠٠ مثل التنقيب عن النفط، وتثليج وتعليب الاسماك. مدان السياحة والصناعة الكيماوية التى يمكن ـ تقوم بجوار مصفاة النفط عندنا ٠٠

« وتسالنى عن الضمانـات ، فاقول انا على ستعداد لاعطاء كل الضمانات التى تعطيها دولة حرى ٠٠ لانه لا يمكن ان نعمل ضد مصلحتنا ٠٠

« ان الشكوك والتردد لا داعى لهما ٠٠ لان التأميم مراحل التأميم امر غير وارد ٠٠ والتاميمات التى قمنا بها لم يكن لنا الخيار فيها ٠٠ فالاموال هربت كلها من البلاد بعد الاستقلال ، والاستغلال كان فاحشـا في كل المجالات ، وخاصـة في ايجارات المنازل ، كل هذا دفعنا الى التحرك لحماية ابن البلد ٠٠

« ومن اجل التخفيف عن المواطن نقوم سـنويا بدفع أربعة ملايين دينار من ميزانية البلاد لتثبيت اسعار المواد الضرورية الاستهلاكية كالدقيق والارز وحليب الاطفال والقمح ٠٠ اما السكر فهو المادة الوحيدة التى نوزعها بالبطاقة لان سعرها ارتفع اضعافا مضاعفة في الاسواق العالمية » ٠

تغيير السلم التعليمـــى

اما عن العقبة الثانية امام الصناعة ،، وهـى نقص اليد الفنية الماهرة ، فـلا عـلاج لها الا بالتعليم ، والتعليم فى اليمن الديمقراطى لـه الاولوية على كل شىء ، حتى انهم جعلوا رئيس الوزراء هو وزير التربية فى نفس الوقت ، وهذا يعكس مدى اهتمام الدولة بالتعليم ، الذى بلغت ميزانيته اكثر من اربعة ملايين دينار يمنى فـى العام الماضى ٠

« والتعليم فى بلادنا يمر بمرحلة انتقاليـة رئيسية ٠٠ اننا فى سبيل تغيير السلم التعليمى التقليدى ٠٠ ستكون عندنا مرحلة موحدة لفترة ثمانى سنوات ثم مرحلة الثانوى ٠٠

الى اليسار : يقوم فى المحافظة الاولى ١٦٠ مسجدا ·· وفى مدينة تريم بالمحافظة الخامسة يقوم المعهد الدينى الذى يتخرج منه علماء الدين ·· اما فى عدن فيمتلىء جامع العيدروس بالمصلين فى ايام الجمع ·· وقد اقيم هذا الجامع حول ضريح شمس العلماء الحسيب النسيب السيد ابى بكر بن عبدالله العيدروس الذى يرقد والى جانبه بقية ذريته ·· وفى الصورة اليسرى يظهر حميده زين ، الطالب فى الثانوية ، واقفا امام ضريح جده ·· ويأتى الزوار الى هذا الضريح من جميع انحاء العالم الاسلامى ·· ولا بد لكل فتاة فى عدن ، تتزوج او تترك المستشفى بعد شفائها ، ان تمر بالجامع للتبرك بالضريح وصاحبه ·
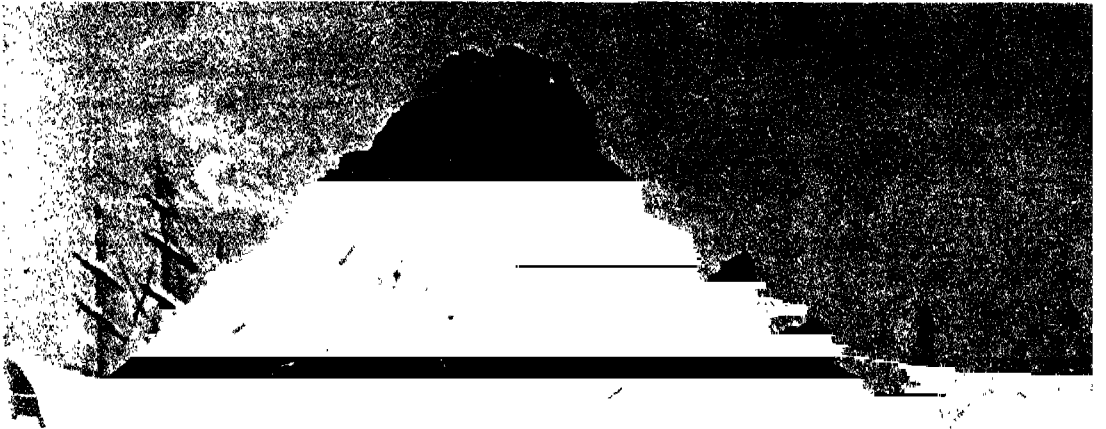
٤ فنانات و ٣١ فنانا يضمهم اتحاد الفنانين التشكيليين اليمنيين . وكل فنان منهم يرسم لوحاته في منزله لعدم امكانية القاعة الشحيحة ، ورغم هذا فان لوحاتهم تحظى بتقدير كبير في المعارض الدولية . الصورة العليا مجموعة من الفنانين يتوسطهم علي عباد رئيس الاتحاد . اما الصورة السفلى فهي لوحة زيتية كبيرة تحتل مكان الصدارة في المتحف العسكري بعدن وتصور مقاومة الاهالي للقوات البريطانية التي احتلت عدن عام ١٨٣٩ ولم تجل عنها الا بعد ١٢٩ عاما ..

« اننا نعتقد ان فترة الست السنوات الاولى من نظام التعليم الحالى لا تؤهل الطالب للكتابة ، باسلوب صحيح ، وهذا ما يجعل احتمال ارتداده للامية احتمالا كبيرا ٠٠ ونعتقد ان فترة ٨ سنوات هى ضمان كاف حتى لا يرتد للامية ٠٠»

احترام المهنة

ويتابع وكيل وزارة التربية الاستاذ سعيد النوبان ، كلامه قائلا : « اننا نخطط تعليمنا لنعطى الطالب مهنة يعمل ويساهم بها فى مجال التنمية ٠٠

« اننا نحاول التركيز على الجوانب العلمية . والطالب فى السنوات الثمانى الاول سيصبح بمقدوره استيعاب بعض العلوم مع العمل اليدوى والمهنى ٠٠ اننا نريد ان يحترم كل طالب العمل المهنى ، *لهذا* سيكون على كل *طالب* اختيار مهنة ابتداء من الصف الخامس ٠٠ وتوسعنا فى التعليم المهنى يهدف الى تخريج مواطن عنده القدرة الثقافية والفكرية التى يستطيع التعبير بها عن نفسه ، وفى نفس الوقت يسهم فى تنمية بلده ٠٠»

سنقضى على الامية عام ١٩٨٠

وسألنا وكيل وزارة التعليم عن نسبة القبول بين الطلبة الذين فى سن التعليم ؟

فقال لنا « حاليا نسبة القبول بين الطلبة هى ٨٠٪ وبين الطالبات ٤٨٪ والعامل الرئيسى فى قلة نسبة البنات هو العادات والتقاليد المحلية ٠٠

اننا نأمل ان تصل هذه النسبة الى ١٠٠٪ بين الطلبة و ٧٠٪ بين الطالبات فى مارس ١٩٧٩ ، ونأمل كذلك ان نقضى على الامية فى بلادنا فى عام ١٩٨٠ ٠ والتعليم فى بلادنا مختلط من المرحلة الابتدائية حتى نهاية الثانوى والتعليم العالى »٠

مدينة تتحول لجامعة !

قلنا : هل تعتقدون ان اليمن فى حاجة الى جامعة ؟

اجابنا قائلا : « التعليم العالى قائم فعلا فى بلادنا ٠٠ وقد وجد هذا التعليم لسد حاجات البلاد ٠٠ فعندما احتجنا لاساتذة فى التعليم الاعدادى فتحنا كلية للمعلمين ٠٠ وجاءت الخطة الخمسية وشعرنا بحاجتنا الى فنيين زراعيين فانشأنا كلية ناصر للعلوم الزراعية ٠٠ واحتاجت خطط التنمية الى محاسبين فاقمنا كلية الاقتصاد ٠ وعندما احتجنا الى شباب ليكونوا همزة الوصل بين المهندس والعامل الفنى انشأنا المعهد الفنى العالى لتخريج مساعدى مهندسين ٠٠

« واليوم نشعر اننا فى أمس الحاجة الى جامعة متكاملة ٠٠ وقد تقدمنا بطلب الى جامعة الدول العربية لتسهم معنا فى انشاء هذه الجامعة ، وقد وصل فعلا خبيران من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،ودرسا الموضوع ورفعا تقريرهما بضرورة انشاء جامعة ٠٠ ومع ذلك لم نتوقف ،بل قررنا فتح كلية للطب فى العام القادم ١٩٧٦/٧٥ وكلية للحقوق ، وتحويل المعهد الفنى الى كلية للهندسة ٠٠

« وخصصنا مدينة الشعب ، القريبة من عدن، لتصبح مقرا لمبانى هذه الجامعة ، التى نأمل ان تساهم الدول العربية فى بنائها معنا ٠٠ ونحن حاليا نتلقى مساعدات قيمة من بعض الدول العربية التى تقدم لنا المبانى المدرسية ، وتقدم لنا البعثات التعليمية ، وهى : مصر والكويت وليبيا والعراق وسوريا ٠٠ وفى العام القادم سوف تصلنا بعثة من دولة الامارات العربية المتحدة تضم مائة أستاذ ، الى جانب المساهمة فى انشاء ابنية مدرسية ٠٠»

شعارات فى كل مكان

ان الثورة التعليمية تواكبها ثورات فنية وادبية وثقافية ٠٠ وعدن هى البلد الوحيد الذى يذكرك دائما بانك تعيش وسط ثورات ٠٠ اينما تدر

ثلاثة من شعراء اليمن : عبد الرحمن فخرى ، وعبدالله سلام ناجى ، والقرشى عبد الرحيم سلام٠ يسجلون قصائدهم الحديثة امام الميكروفون٠

وجهك تجد شعارا : على الارصفة ، وعلى الجدران ، وفى المنازل والمكاتب والفنادق ، وفى مبنى ميناء عدن وجدناهم وقد زخرفوا جدران السلم والمكاتب باوراق الشعارات !

أما الادباء اليمنيون فقد حققوا أول خطوة وحدوية بين شطرى اليمن ، فكونوا اتحادا للادباء والكتاب اليمنيين يرأسه شاعر صنعاء الكبير الاستاذ عبد الله البردونى .. فكانوا أول من حقق جزءا من هدف اتحاد الادباء العرب بتوحيد جميع الادباء فى البلاد العربية .

وفى جلسة مطولة صريحة مع اربعة من شعراء وأدباء اليمن هم الدكتور عبد الرحمن عبد الله وكيل وزارة الاعلام ، والشعراء عبد الرحمن فخرى ، وعبد الله سلام ناجى ، والفرتى عبدالرحيم سلام . دار الحديث عن الادب والشعر فى اليمن فقالوا :

« السمة البارزة فى الادب اليمنى المعاصر هى سمه الادب الحديث .. عندنا شعراء يكتبون وفق أسلوب أحدث المدارس ، وشعراء يكتبون على العمود القديم » .

« ان وفد الادباء اليمنيين أحدث هزة فى المؤتمر العاشر للادباء العرب الذى انعقد فى الجزائر . وتسارع الجميع الى تهنئتنا على حيوية الشعر العربى فى اليمن .. ولكن ما كادت الوفود تعود الى بلادها حتى كتبت الصحف العربية ، اطنبت فى وصف ما دار فى المؤتمر وأهملتنا لديه ما عدا الصحافة الجزائرية ..

الى اسفل : فى كل دقيقة ينتج مصنع التبغ فى عدن ٢٥٠٠ سيجارة ! وهو يعتمد على التبغ الاحمر المستورد

الغرفة اليتيمة

وتنقلب الصورة عند التحدث عن الفنانين اليمنيين التشكيليين ، ان أعمالهم تلقى نجاحا منقطع النظير خارج اليمن .. ، أما فى عدن فقد زرناهم بمقرهم فى وزارة الثقافة ورأينا الغرفة اليتيمة للاجتماعات والرسم وتخزين اللوحات ! انهم ٣٥ فنانا يضمهم اتحاد الفنانين التشكيليين

انقذوا صناعة الفضــة

وأروع الفنون وأجملها فى اليمن هى صناعة الفضــة .. « انه دليل على تأصل الحضارة فى شعبنا .. ان العامل اليمنى البسيط هو الذى يقوم منذ عشرات السنين بتحويل عملة المملكة تيريزا الفضية الى قلائد واساور وسيوف وجنبيات ومكاحل ومباخر رائعة .. ان صناعة الفضة فى اليمن هى صناعة الماضى والحاضر والمستقبل » هذا ما قاله لنا الاخ محمد خالد اشهر خبراء الفضة فى عدن ..

ونضيف الى كلامــه ان المصنوعــات الفضيــة الحديثة لا يمكن مقارنتها ابدا بدقة المصنوعات القديمة .. ان الحرفى اصبح يبخل بمعلوماته وخبرته على الجيل الجديد .. ولا علاج لهذا الا باقامة اتحاد للحرفيين ، أو معهد للتدريب على المهن اليدوية .. مع تسهيل الاجراءات لكل اجنبى يريد شراء خنجر يمنى جميل الصنع !! ؟

نتمنى له كل الخير ..

ان الامم المتحدة قد صنفت دول العالم الى دول متقدمة ودول نامية ودول فقيرة .. واليمن الديمقراطى جاء ترتيبه مع الدول الفقيرة ..

ولكن الذى يتعبه اكثر من الفقر .. هو الكرامة الزائدة والأنفة .. انــه يريد أن يبنى بلــده بعضلاته .. انه لا يريد ان يكون مدينا لاحد .. أو أن يرفعه احد ، بل يريد ان يرفع نفسه بنفسه بقدر ما تسمح به قدراته ومواهبه وموارده ..

اننا قد لا نقره على نظرتــه أو اسلوبه فى الحياة ، ولكنا فى نفس الوقت لا نملك الا أن نتمنى له الخير فى رحلته الطويلة .. فهو شعب عربى اصيل . عادت اليه ابتسامته ، التى كاد ان ينسى معناها طوال فترة اغلاق ميناء عــدن العظيم .. ■ ■

سليم زبال

■ في كل مرة تدق الساعة ايذانا بانقضاء ٦٠ دقيقة ، يزداد عدد سكان الكويت بمعدل ٦ اشخاص !! اى انه ينضم انسان جديد الى مجتمع الكويت كل عشر دقائق !

لقد اظهر تعداد السكان ، الذى اجرى في شهر فبراير الماضي ، ان عدد سكان الكويت قد وصل الى ٩٩١٣٩٢ نسمة ، واذا اضفنا اليهم ما نسبته ٦٪ وهو معدل النمو السكاني ، فان عدد سكان الكويت يكون قد قارب المليون نسمة عند قراءتك لهذا المقال !

لقد ظل ابن الكويت يعيش تحت شعار الاسرة الواحدة منذ مطلع هذا القرن ، عندما كان عدد سكان البلاد لا يتعدى ٣٦ الف نسمة ٠٠ وتضاعف هذا الرقم في اقل من اربعين عاما فبلغ حوالي ٧٥ الف نسمة في عام ١٩٣٧ ثم تضاعف مرة اخرى في خلال ثلاثة عشر عاما فبلغ ١٥٠ الف نسمة في عام ١٩٥٠ ثم تضاعف للمرة الرابعة في خلال عشر سنوات فبلغ ٣٢٢ الف نسمة في عام ١٩٦١ وتضاعف مرة خامسة في عام ١٩٧٠ فبلغ ٧٣٩ الف نسمة ٠

المخطط الهيكلي يتنبأ

وفي اوائل الخمسينات جلبت حكومة الكويت المستشارين والمخططين لدراسة تطور وتوسع الكويت خلال العشرين سنة القادمة ٠ ولكن تنبؤات الخبراء الانجليز ضاعت وسط التطور الاسطورى الذى مرت به الكويت ٠٠ فمعدلات النمو تخطت كل التقديرات ٠٠ وفي عام ١٩٦٨ بدأ وضع مخطط هيكلي جديد للبلاد يكون صالحا لعشرين سنة قادمة ، وجاء الخبراء من بريطانيا وقاموا بدراسات جدية متعمقة ، وقدموا تقريرهم الذى يقع في نحو الف صفحة وفي احد اجزائه قالوا : « سيصل عدد سكان الكويت في عام ١٩٩٠ الى نحو مليونين و ٤٠٠ الف نسمة في حده الاعلى ٠٠ وهذا النمو السكاني سيخلق متطلبات ضخمة ، وضغطا كبيرا على مرافق الخدمات لاستيعاب هذا العدد الكبير من السكان ٠٠ »

٣٢ مجتمعا فرعيا في الكويت !

ان هذه الزيادة في السكان تبدو ضئيلة بالنسبة لدولة كبيرة ، ولكنها بالنسبة لبلد مثل الكويت ، تشكل تحديا كبيرا لهذا المجتمع الصغير ٠٠

لقد قبل ابن الكويت مواجهة هذا التحدى ، فبدأ يضع الحلول لمواجهة كل المتاعب القادمة ٠٠

وبين مختلف الوزارات قامت « العربي » بجولة استطلاعية تسأل وتسجل ٠٠ وكانت بداية الاحاديث في مجلس التخطيط مع مدير التخطيط الاجتماعي محمد على العرس الذى حدثنا عن مجتمع الكويت ، فقال :

ـ تتميز الحياة الاجتماعية في الكويت بطابع خاص بها ، فهي تعتبر من اكثر مناطق العالم جاذبية لليد العاملة ، ونتيجة لهذه الهجرة من اركان العالم الاربعة ، ظهر الى جانب المجتمع الكويتي الاصيل اكثر من ٣٢ مجتمعا فرعيا آخر ، كل مجتمع منها له عاداته وتقاليده ، يتمسك بها ويغلق ابوابه عليها ٠٠ وكان الاعتقاد السائد ان البلاد سوف تحتاج الى هذه الايدى الوافدة لفترات محددة ، ولكن تعاقب السنين اثبت ان مجتمع المهاجرين هذا تحول الى مجتمع مستقر ٠

« ونظرة على الاحصاءات تبين لنا ان اكثر من ٨٣ الف نسمة قد مضى عليهم في الكويت اكثر من ١٠ سنوات ٠٠ والهرم السكاني نفسه لهذه المجتمعات بدأ يتعدل ، فبعد ان كان كل ثمانية ذكور يقابلهم اثنتين من الاناث في عام ١٩٥٧ اصبحت النسبة اليوم ٨ ذكور الى ٥ اناث ٠

« ان هذه المجتمعات التى استقرت في هذا البلدات تتعايش وتحاول التوافق بعضها مع بعض ، ولكنها تحتاج الى وقت طويل يمتد الى اجيال لتهضم وتتمثل ما تهضمه ، وتفرز مجتمعا قوميا واحدا يختلف تماما عن واقعها اليوم ! »

نتائج الاحصاء الاخير ٠٠

ان ظاهرة وجود مجتمعات متعددة في الكويت ، جانب المجتمع الاصلي ، تشكل واحدة من

اكثر من ٢٦٠٠ رخصة بناء جديدة منحتها البلدية خلال عام ١٩٧٤ . ويتنبأ المخطط الهيكلي بان الكويت سوف تحتاج الى ٣١٩ الف وحدة سكنية جديدة حتى عام ١٩٩٠ ، ومما يذكر ان الشركات والاهالي اصبحوا يميلون الى بناء العمارات الفاخرة مستعملين الرخام والتكييف المركزي . وهذه الاضافات رفعت ايجارات الشقق الى ارقام عالية ، وصلت في بعض الاحيان الى اكثر من ٣٥٠ دينارا شهريا للشقة الواحدة.

التحديات التي تواجه مجتمع ما بعد النفط .

وفي حديث مع السيد فؤاد ملا حسين مدير ادارة الاحصاء عن السكان والاحصاء الذي اجري في شهر فبراير ١٩٧٥ قال لنا :

«من النتائج الاولية للاحصاء ، تبين لنا ان عدد سكان الكويت قد زاد بما يقارب ٢٥٣ الف نسمة، فيما بين تعدادي ١٩٦٥ و ١٩٧٠ .

وفي احصاء ١٩٧٥ بلغ مجموع عدد الكويتيين ٤٧٠١٢٣ نسمة منهم ٢٣٤٥٩٤ من الاناث والبقية من الذكور .. ويمثل الكويتيون ٤٧,٤٪ من مجموع عدد السكان .

• اما غير الكويتيين فقد بلغ عددهم ٥١٢٢٦٩ نسمة منهم ٢١٤٣٥١ من الاناث.. اي ان مجموعهم يمثل ٥٢,٦٪ من مجموع السكان .

• هذه هي النتائج الاولية ، اما النتائج النهائية فسوف تسمح ببيان العدد الفعلي لغير الكويتيين من واقع بيان اثبات الجنسية للكويتيين، الذي يتوقع معه ارتفاع هذه النسبة .. »

وهذه هي الاسباب !

• وتابع مدير ادارة الاحصاء حديثه قائلا :

• ان استمرار الدولة في اتباع برامج التنمية الكبيرة سيؤدي الى تزايد الحاجة الى قوة العمل الوافدة لمواجهة سرعة تطور الاقتصاد الكويتي بمعدلات تفوق بكثير النمو السكاني الطبيعي .. وتشير الاحصائيات الى ان قوة العمل غير الكويتية زادت من ٨٠٢٨٨ نسمة سنة ١٩٥٧ الى ٢٤٢١٩٧ نسمة في سنة ١٩٧٠ اي انها تزداد بمعدل سنوي قدره ١٥,٥ بالمائة .

• ويرجع هذا الطلب المتزايد الى قوة العمل من خارج الكويت الى عدة أسباب من بينها .

اولا : ارتفاع نسبة الاطفال دون سن العمل في مجتمع السكان الكويتيين،بسبب ارتفاع معدلات الخصوبة ، اذ بلغ متوسط عدد المواليد احياء للمراة الكويتية في سن الانجاب (١٥ ــ ٤٩ سنة) حوالي ٦,٨٧ اي ان كل الف امراة كويتية يولد لهن في المتوسط ٦٨٧٠ مولودا ، طول حياتهن .

ثانيا : انخفاض نسبة الافراد في سن العمل من الكويتيين ، اذ ان نسبة الافراد الذين تقع اعمارهم بين ١٥ و ٥٩ سنة بلغت ٤٥,٥٪ من جملة السكان الكويتيين. حوالي نصفهم من النساء، فضلا عمن يدرسون من الشباب ..

ثالثا : انخفاض نسبة مساهمة الاناث الكويتيات في قوة العمل . فقد كانت نسبتهن سنة ١٩٧٠ تمثل ١٤,٣٪ من جملة الكويتيين في قوة العمل وذلك مقابل ٢٢,٨٪ للمراة غير الكويتية .

• والملاحظ ان هذه النسبة متجهة بصفة عامة

الى التزايد التدريجي ، وان كان من غير المنتظر ان تصل الى مستوى مثيلاتها في الدول الاخرى »٠٠

المضاربة بدلا من البناء

ان الكويت تشهد اليوم حركة دائبة من العمل الشاق ، انها تسابق عقارب الزمن للتغلب على المشاكل التي بدأت تطل برأسها وفي مقدمتها مشكلة الارض والاسكان ٠

«لقد تحولت الارض في الكويت الى سلعة يشتريها الاهالي للمتاجرة والمضاربة ٠٠ فارتفعت اثمانها الى ارقام قياسية خيالية ، اذ بلغت الاثمان في بعض المناطق الفي دينار للمتر المربع الواحد ٠٠ لقد اتجه الناس الى المتاجرة بالارض بدلا من استغلالها في البناء ، فكانت هذه واحدة من اسباب ازمة السكن الحالية في البلاد » ٠

هذا ما قاله لنا كبير مهندسي البلدية حامد عبد السلام شعيب الذي تابع كلامه قائلا :

« اضف الى ذلك ان اعدادا كبيرة من اليد العاملة وصلت الى البلاد ، في فترة وجيزة ، لتعمل في مشاريع التنمية الكبيرة ولم تستطع المساكن المتوفرة ان تستوعبها مرة واحدة ٠

« ان مشاريع التنمية الانشائية الكبيرة التي ستقوم في الكويت خلال السنوات القليلة القادمة ، تحتاج الى نحو ربع مليون عامل جديد لتنفيذها ، وحتى يجد هؤلاء العمال السكن اللازم لهم ، نقوم حاليا بالتباحث مع شركات هندسية لتوفير المناطق السكنية اللازمة لايوائهم ٠

« انا نأمل ان نتغلب على ازمة السكن الحالية خلال العامين القادمين ، اذا ما نفذ كل ما نقترحه٠٠

« اننا نخطط للمستقبل ، من اجل تأمين بناء ٣١٩ الف مسكن جديد حتى عام ١٩٩٠ لاستيعاب السكان الذين سيصل عددهم في ذلك الوقت الى اكثر من مليونين وربع مليون نسمة ٠٠ »

من الحوش الصغير الى معابد الاغريق !

ويطمح اهل الكويت في ان تصبح عاصمتهم شبيهة « بالمدينة الفاضلة » التي تخيلها افلاطون والفارابي ، فاصبحت املا يداعب مخيلة المخططين٠٠

حقيقة ان مباني الكويت قد تطورت بشكل مذهل ٠٠ فالمنازل كانت متقاربة متلاصقة الى درجة تمكن معها المرء من العبور الى جاره الرابع من فوق اسطح المنازل المتلاصقة ٠٠ وهذه المنازل كانت ساحة كبيرة (حوش) تحيط به غرف مبنية من صخور البحر والطين ، يعيش بداخلها افراد العائلة جميعا ٠٠

وكانت للبيوت حرمتها ، فاذا اراد الجار الصعود فوق سطح منزله ، كان عليه تنبيه جاره اولا بكلمات : « درب ٠٠ درب » ٠٠ حتى تختفي النساء من الحوش الى داخل الغرف !

اما اليوم فاصبحت المنازل كتلا من الاسمنت والحديد تحمل انماطا هندسية مختلفة استوحاها المهندسون من التصاميم اليابانية والامريكية ، وحتى المعابد الاغريقية وضريح حيدر آباد ، واسقف القرميد الاحمر المثلثة ، لمكافحة تراكم الثلوج ، أصبحت تشاهد في هندسة مباني الكويت ٠

السيارة هي السبب !

وتحدثنا الى عميد كلية الهندسة بجامعة الكويت الدكتور رياض النقيب عن مدينة الكويت الحديثة فوصفها بقوله :

ـ لقد كانت مدينة الكويت القديمة نتاج تفاعلات اساسية لنشاطات مختلفة ، صيغ بعضها مع بعض لتعطي بيئة خاصة ، هدفها رفاهية سكانها ٠٠ كانت ذات طابع عمراني مميز ، ولكن سرعان ما تداعت هذه المميزات الانسانية امام الكويت الحديثة من اجل السيارة ٠٠ وبدلا من الانسجام بين عناصرها المختلفة ، فان كويت اليوم تعاني مشاكل اقتصادية واجتماعية وجمالية ٠٠ فان بناة الكويت الحديثة لم يرعوا اية مميزات بيئية ، وتفوق الكويتي القديم بالحس المرهف في بناء مدينته ، عن الكويتي المعاصر الذي فقد مثل هذا الاحساس تجاه بيئته٠٠٠

حقل برقان هو السبب

والواقع ان مدينة الكويت قد امتدت واتسـ على هيئة مروحة ، طرق دائرية متلاحقة ظلت تـ حتى الطريق الدائري السادس ، وبعدها اتـ بناء المدينة ليمتد بمحاذاة الساحل على هيئـ شريط رفيع لا يتجاوز عرضه خمسة كيلومترا

« الشباب » فى الجهاز الفنى للبلدية ، تعهدوا للشيخ جابر الاحمد الصباح ولى العهد ورئيس الوزراء بتنفيذ مشروع القسائم السكنية الذى قررته الحكومة للمواطنين ، فى الوقت المحدد ٠٠ وترى هنا المهندس حامد عبد السلام شعيب كبير مهندسى البلدية ، والى يمينه المهندس ابراهيم الشاهين مسئول التخطيط لدولة الكويت ، لدى اجتماعهما فى البلدية مع بقية المهندسين ٠

لقد انحرف تخطيط المدينة بسبب وجود واحد من اكبر حقول النفط فى العالم ، فهو حقل يمتد من جنوب مدينة الكويت مباشرة حتى حدود المنطقة المقسومة ، وفوقه تجرى اهم عمليات شركة نفط الكويت . انه حقل برقان الكبير الذى يشكل عائقا كبيرا فى وجه كل نمو حضارى للعاصمة صوب الجنوب ، فالمبدأ الاساسى فى الكويت هو عدم السماح باى عملية تنمية داخل حقول النفط ، تلافيا لاخطار الحرائق وتسرب الغاز الطبيعى او المحروق ٠٠ ولكن عندما تتخلى شركة نفط الكويت عن اجزاء من اراضيها يسارع المخططون والمهندسون الى بناء مدن جديدة ، مثلما حدث فى الصباحية ، والشعيبة والرقة ، وتوسعة مدينة الفحيحيل ٠

ناطحات سحاب

ان مساحة مدينة الكويت فى اوائل الخمسينات لم تكن تتعدى سبعة كيلومترات مربعة ، ظلت تتسع وتتسع حتى اصبحت اليوم اكثر من ٦٥٠ كيلو مترا مربعا ٠٠ اى انها تضاعفت ٩٣ مرة خلال ٢٥ عاما !!!

« وهذا الامتداد الافقى يلقى على الدولة اعباء هائلة ٠٠ فايصال الخدمات من كهرباء وماء ومجارى وطرق ، يكون باهظ التكاليف ، لهذا قررنا ان نبنى مدنا صغيرة متكاملة ، تتجه منازلها راسيا الى اعلى . وتضم كل منها مابين ١٥٠٠ و٤٠٠٠ وحدة سكنية ٠٠ ونحن نأمل ان نتمكن من بناء ٦٠٠٠ وحدة سكنية كل عام ، من اجل اسكان العائلات الكويتية ٠٠ »

هذا ما قاله المهندس عبدالله الدخيل، المدير العام لهيئة الاسكان ، حين تحدث الينا عن اعمال تلك الهيئة، التى شهدت النور عام ١٩٧٤ واسندت اليها مهمة خطيرة هى انشاء وتوفير المسكن والمرافق العامة اللازمة للعائلات الكويتية باعداد كبيرة ، وخاصة العائلات التى تقدمت بطلبات الى الحكومة منذ عشر سنوات للحصول على قطعة ارض او مسكن حكومى ٠٠ انها هيئة مستقلة بذاتها ، تحررت من كل انواع الروتين الحكومى ٠

تجربة رائدة

ويتابع المهندس عبد الله الدخيل كلامه قائلا :

« وقد انتهينا فعلا من الدراسات اللازمة لانشاء مدينة متكاملة على مساحة ١٠٠ هتكار فى ضاحية الصليبخات تتسع لاكثر من ١٥٠٠ وحدة سكنية ٠٠ وهذه المدينة ستتكون من عدة مدن صغيرة متجاورة، لكل منها شخصيتها المستقلة مع مراعاة انسجامها مع بعضها واحاطتها بالمركز التجارى العام ٠٠ وعماراتها سوف ترتفع الى تسع طوابق ، وتتدرج الى طابقين عندما تقترب من الشاطىء ٠٠ ان هذه المدينة هى تجربة رائدة فى تاريخ الكويت لانها المرة الاولى التى سيسكن فيها ابناء البلد داخل مجتمعات سكنية بدلا من منزل بطابق واحد أو طابقين تحيط به حديقة ٠٠ »

« وقد خصصت هذه المدينة لسكنى موظفى الحكومة من الدرجة الرابعة ومافوق ، او المنتظر تخرجهم من الجامعات والمعاهد والمقرر تعيينهم بالدرجة المشار اليها ٠٠ وقد اشتركت خمس شركات عالمية فى مسابقة تصميم هذه المدينة ، ففازت شركة فرنسية بتصميم يتسم بالبساطة والتغيير والانتعاش ٠٠ »

فى عام ١٩٧٤ بلغ عدد عقود الزواج بين ابناء الكويت ٣٢٦٢ عقدا ، وشهادات الطلاق ٩٥٨ شهادة اى ان عقود الزواج هذه تبلغ نحو ثلاثة اضعاف عقود الزواج التى تمت عام ١٩٦٧ ولم تزد حالات الطلاق الا بمعدل ٣٠/ على سنة ١٩٦٧ ·· اما بالنسبة لغير الكويتيين فتنخفض الارقام الى ١٢٢٤ حالة زواج ، و ٢٩٢ حالة طلاق (احصاء ١٩٧٤) ·· ويمكن القول انه يتم كل يوم تسجيل ٣ شهادات زواج ، اثنين منها للكويتيين ويوضح هذا الرسم البيانى حالات الزواج والطلاق خلال السنوات العشر الماضية فى الكويت ·

لقد اقبل المواطنون الكويتيون ، على تسجيل اسمائهم لحجز شقق لهم فى مدينة الصليبخات التى ينتظر ان يبدأ تسليم شققها مع نهاية عام ١٩٧٧ ·

الطابوق هو السبب

ان عملية البناء قد تبدو سهلة بسيطة نظرا لتوفر الاموال اللازمة ، ولكن اقامة المشاريع الكبرى فى الكويت تصطدم بعقبتين رئيسيتين ، اولاهما:نقص اليد العاملة،وثانيهما عدم استطاعة مصنع الطابوق الرملى الجيرى تلبية حاجة البلد· (والطابوق هو تعبير محلى عن الاحجار المصنعة) ونتيجة لنقص الطابوق اكتفت هيئة الاسكان بترسية ثلاثة عقود من اصل تسعة عقود فى موقع الصباحية، حيث بدأ العمل فى بناء ٣١٣ بيتا بدلا من ٨٥٧ بيتا،هى مجموع بيوت الصباحية المطلوب بناؤها··

وقد بدأ العمل فى بناء مصنع آخر للطابوق فى منطقة الشعيبة ، لمواجهة الطلبات المتزايدة ·

وزارة للاسكان

لقد كان المسئولون يريدون رسم خريطة الكويت حتى عام ٢٠٠٠ ولكن مشاكل الاسكان وتشعبها وتعدد جهات الاختصاص فى امورها ، جعل ازمة السكن تتفاقم ، لعدم وجود خطة شاملة لعلاج الازمة ·· وتصحيحا لهذا الوضع صدر فى ١ مارس ١٩٧٥ مرسوم اميرى بانشاء وزارة للاسكان فى الكويت مهمتها توجيه عمليات التنمية الاسكانية وتحقيق هدف توفير السكن للاسر الكويتية ·

واسندت هذه الوزارة الجديدة الى الاستاذ حمد العيار وزير الشئون الاجتماعية السابق ، الذى يعيش فى دوامة من الاجتماعات المتواصلة المتلاحقة .

لقد انشئت هذه الوزارة بعد ان تفاقمت الأزمة واصبح من العسير على المواطن الكويتى العادى ان يحصل على قطعة ارض ليبنى عليها منزله .. بعد ان ارتفع سعر الارض الى ارقام خيالية .. لقد ارتفعت قيمة الالف متر من الارض فى منطقة الشعب مثلا الى ١٥٠ الف دينار ، وفى منطقتى الضاحية والنزهة الى ٧٠ الف دينار !!

قسيمة لكل مواطن !

وفى شهر يوليو ١٩٧٥ اجتمع مجلس الوزراء بجلسة استثنائية لبحث السياسة الاسكانيــة للدولة .. وبعد اذاعة قرارات هذا الاجتماع الاستثنائى ، الذى انعقد برئاسة سمو نائب الامير وولى العهد جابر الاحمد الصباح ، وحضره السيد عبـد العزيز العدسانـى رئـيس المجلس البلدى ، اتضح للجميع ان الحكومة قد قررت ان تلقى بكامل ثقلها لتوفير المساكن المناسبة للمواطنين بايسر السبل واسرعها .. فقد تقرر فى هـذا اجتماع تخصيص الوف القسائم من الاراضى الاميرية للمواطنين ، الراغبين فى امتلاك القسائم ، وخاصة اولئك الذين تقدموا بطلبات الى بنك التسليـف والادخار والبلدية .. وقررت الحكومة ان تكـــون مساحة كل قسيمة ٧٥٠ مترا مربعا تباع للمواطنين بسعر رمزى هو دينار واحد للمتر المربع !!

وهكذا انتهت تجارة القسائم ، وانخفضت اسعارها الفاحشة الى ادنى مستوى .. واختفى كابوس كبير عن ظهور المواطنين .

عام الاسكان

وحدثنا وزير الاسكان الاستاذ حمد العيار ، عن هذا القرار الهام فقال : وان هذا القرار التاريخى يعنى ان عام ١٩٧٦ سيكون « عام الاسكان فى الكويت » فاجهزة البلدية ووزارة الاسكان تقوم حاليا باعداد التصاميم والمخططات من اجل اعداد ٦٠٠٠ قسيمة للتوزيع خلال اوائل ١٩٧٦ وكل مواطن تخصص له قسيمة يمكنه طلب قرض من بنك التسليف والادخار بقيمة ٢٤ الف دينار ليبنى منزله .. وهذا القرض يسدد على مدى ٣٠ عاما بدون فوائد ..

« وتحميا من المواطنين قمنا بعمل تسعة نماذج لفيلات سكنية تتراوح كلفة بنائها بين ١٤ و ١٨ الف دينـار ، سنعرضها على اصحاب القسائـم ليختاروا النموذج الذى يعجبهم ، على ان نقوم نحن بعملية البناء نيابة عنهم ، اذا ارادوا .. فاذا تكلف البناء اكثر من ١٨ الف دينار ، قمنا نحن بدفع فارق الثمن ، واذا كان هناك وفر فى المصاريف فاننا نعيده للمواطن . »

« وحتى يكون لدى المواطن تصور صحيح عن منزل احلامه الذى سيعيش فيه مع عائلته سنقوم ببناء منزل متكامل من كل نموذج ونؤثثه بالاثاث والفراش ، حتى تكون الصورة واضحة تماما .

منزل لكل مواطن محدود الدخل

وينتقل وزير الاسكان فى حديثه الى مساكن ذوى الدخل المحدود : فيقول : « لقد قامت الدولة بتوزيع ١٣١٣٧ بيتا من بيوت ذوى الدخل المحدود على المواطنين حتى اليوم . وفى هذا العام ١٩٧٥ سيتم توزيع ٢٩٥٤ بيتا جديدا .. »

« وميزانية هيئة الاسكان تشتمل على مبلغ ٢٠٠ مليون دينار لاقامة بيوت لاصحاب الدخول المحدودة والمتوسطة .. ان عندنا حاليا ١٨ الف طلب لمنازل ذوى الدخل المحدود ، لهذا وضعت هيئة الاسكان خطة لبناء ٤٤ الف بيت حتى عام ١٩٨٣ لتغطية جميع الطلبات الحالية والمتوقعة حتى تلك السنة فى جميع مناطق الكويت .. »

« ويدفع المواطن مبالغ رمزية ثمنا لهذه البيوت التى اسميناها بالبيوت الحكومية ، فسعر المتر المربع من الارض محدد بنصف دينار فقط .. واختلاف مساحة وهندسة البيوت من منطقة الى اخرى جعل اسعارها ايضا تختلف ، ولكن الدولة تتحمل نصف التكاليف تخفيفا عن المواطنين ، وما تبقى ، وهو يتراوح بين ١٣٧٥ و ٤٨٠٠ دينار فيدفع على اقساط شهرية تتراوح بين ٧٪ و٢٠ دينارا لمدة ١٠ سنوات وبعدها يصبح البيت ملكا للمواطن .. واذا تأخر فى

تسديد الاقساط ، تمدد المدة تلقائيا لحين يسدد الثمن كاملا ‥ »

علمته الرماية ‥ ثم رماني !

ان ازمة السكن قلبت العديد من الاوضاع والمفاهيم التي كانت سائدة ومتعارفا عليها ، ويحدثنا وكيل وزارة المالية لشئون املاك الحكومة الاستاذ على المتروك عن هذه الاوضاع قائلا :

« منذ الخمسينات والدولة تستاجر من الاهالي مباني مختلفة لاستعمالها كمقر للوزارات او لاسكان الخبراء وكبار الموظفين، مقابل مبلغ اربعة ملايين دينار تدفعها سنويا ‥ كانت سياسة الحكومة دائما هي اعطاء القطاع الخاص الفرصة لينمو ، وفعلا استطعنا اقناع المواطنين بفكرة بناء العمارات والمنازل ‥ وكنا نشجعهم بدفع الايجارات مقدما لهم لمدة سنة او اكثر ، وكان اقبالهم على البناء كبيرا لان المداخيل مضمونة ‥ »

« اما اليوم فقد انقلبت الآية ‥ واصبح اصحاب العمارات يرفعون علينا الدعاوى ، ويضعون كل العقبات امامنا ، مطالبين باخلاء المنازل والعمارات التي نستأجرها، رغم زيادة الايجار بنسبة ٢٠٪ »٠

« ونتيجة لانقلاب الاوضاع بهذه الصورة شرعنا في بناء خمس عمارات كبيرة على الأراضي الاميرية، تكون ملكا للدولة ‥ ونحن ندرس حاليا اجراء آخر يتمثل في اعطاء المواطنين ارضا اميرية ليبنوا عليها عمارات سكنية تكون لهم لفترة ٣٠ سنة ، وبعدها تؤول الارض والمباني التي عليها للدولة‥»

بلغت نسبة المواليد بين ابناء الكويت ٥٤٫٤ في الالف ‥ وتنخفض هذه النسبة الى ٣٩٫٨ في الالف بالنسبة لغير الكويتيين المقيمين في الكويت (احصاء ١٩٧٤) ‥ وعلى العموم يمكن القول بانه يولد كل يوم في دولة الكويت ١١٢ مولود حي ، منهم ٦٢ مولودا كويتيا اما معدل الوفيات فيصل الى ٧٫١ في الالف بين الكويتيين ، وينخفض الى ٣٫٧ في الالف بين غير الكويتيين (لان اكثريتهم في سن العمل) ‥ اي انه يتوفى في الكويت يوميا ١٤ فردا منهم ٩ كويتيين ‥ ويوضح الرسم البياني التالي عدد المواليد والمتوفين خلال السنوات العشر الماضية في الكويت ٠

خطتان للمدى القريب والبعيد

كانت نهاية احاديثنا مع المهندس ابراهيم السهين مسئول التخطيط لدولة الكويت عن توفر الاراضي اللازمة للبناء فقال لنا :

« ان الجهاز المعنى بالبلدية هو الذي يحدد المناطق الصالحة للسكن ، آخذا بعين الاعتبار توفر الخدمات ومسترشدا بالمخطط الهيكلي .. وقد خصصنا فعلا مساحات للسكن كافية لاستيعاب التوسع العمراني المتوقع في الكويت مع ازدياد السكان ، وذلك ضمن خطتين الاولى . قصيرة المدى وهي تنتهي في عام ٧٨/١٩٨٠ عندما يبلغ عدد السكان مليون وربع مليون نسمة ، وهؤلاء السكان سيحتاجون الى ما مساحته ٤٠ مليون متر مربع من الاراضي لبناء المساكن والمرافق العامة لهم .. اما الخطة الثانية فبعيدة المدى ، تنتهي في عام ١٩٩٠ حيث يصل عدد السكان الى اكثر من مليوني نسمة»

« ومن المناطق التي انتهينا فعلا من تقسيمها منطقة مساحتها ١٤١ هكتارا اي ١٤١٠٠٠٠ متر مربع بين طريق الدائري الرابع والخامس (منطقة السكراب).وستقام عليها مبان سكنية استثمارية يمكنها ان تستوعب كثافة عالية من السكان تبلغ ٢٠ الف نسمة . وهي مساكن مخصصة لساكني الشقق وغالبيتهم من غير الكويتيين » .

ومشاكل وحلول ..

ان الكويت وهي تواجه اليوم مشكلة الاسكان بكل جراة وصراحة وعناد ، تواجه في نفس الوقت تحديات اخرى فرعية نشات من الزيادة الكبيرة في عدد السكان ..

وكل مشكلة تظهر في الافق يقابلها عمل جاد للبحث عن حلها .. فمشكلة مثل ارتفاع الايجارات بشكل جنوني رهيب ، بدأ التخطيط للقضاء عليها بتعديل قانون الايجارات .. لقد ضاعف اصحاب العقارات ايجارات المنازل مستغلين ثغرات في قانون الايجارات ، مما دفع بالحكومة الى تكوين لجنة عليا لسد هذه الثغرات ..

.. ي المستشفيات انعكست عليها الزيادة السكانية فـ.. ح المريض السعيد هو الذي يجد سريرا فارغا في .. ستشفى !

.. سبة الاسرة الى السكان اصبحت سريرا لكل ٢٧.. نسمة ، وكانت في السابق سريرا لكل ١٤٠ نسـ.. .. اما عدد الاطباء فقد اصبح طبيبا لكل

يوضح هذا الرسم البياني تطور نمو سكان الكويت ، حسب سنوات التعداد المختلفة .. وقد اظهر احصاء ١٩٧٥ ان عدد الاناث بلـغ ٢١٤٣٥١ انثى،اي ما يوازي ٤١٪من مجموع السكان.

٩٨٠ نسمة ، بعد ان كان طبيبا لكل ٨٠٠ نسمة !!

وعلاجا لهذا الوضع بدأت الحكومة في طرح مناقصات من اجل انشاء عدة مستشفيات تتسع لاكثر من ١٥٠٠ سرير جديد .. كما تقرر فتح كلية للطب في جامعة الكويت مع بداية العام الدراسي القادم ١٩٧٦ .

ومن الافكار المطروحة للدراسة في مجلس التخطيط فكرة تستهدف المشاركة بين الحكومة والنشاط الخاص في مواجهة احتمالات واحتياجات المستقبل ، فيما اطلق عليه بالقطاع الاجتماعي المشترك .. حيث تقوم الدولة بالتمويل ، وتقوم الهيئات الاجتماعية بتنفيذ بعض النشاطات نيابة عن المجتمع ، كل هذا للتخلص من الروتين الحكومي والتضخم الوظيفي .

وهكذا لو انتقلنا من ادارة الى ادارة ، لوجدنا مشاريع ودراسات وتخطيطا من اجل تامين حياة كريمة لانسان واحد جديد ينضم كل عشر دقائق الى مجتمع الكويت الكبير !!

(س . ز)

تطور الصناعات الكيماوية البترولية في المملكة العربية السعودية

مثل طيب يذكر فيشكر ، وقد يحتذى ،
في كل بلد به غاز ، وبه ظروف كالتي بالوطن السعودي

بقلم الدكتور : محمد هشام خواجكية

■ يحتل الغاز الطبيعي في عالمنا المعاصر مكانة مرموقة بين المواد الاساسية التي تستخدم كمصدر مهم للطاقة من جهة ، وكمادة اساسية لعدد كبير جدا من الصناعات الحديثة المزدهرة كصناعة الاسمدة والبلاستيك والمطاط الصناعي من جهة اخرى .

على ان احدى العقبات المهمة التي تواجه التوسع في تصنيع الغاز الطبيعي هي ان التوصل الى توفيرات كافية في كلفة المواد المنتجة يستدعي الاستفادة من جميع المواد التابعة التي يجري انتاجها من الغاز . وبمعنى آخر لا بد في كثير من الاحيان من انتاج وتسويق عدد من المنتوجات الكيماوية في وقت واحد حتى يتحقق الوفر التنافسي في تكاليف انتاج هذه المواد .

ولما كانت كلفة انتاج الاسمدة من الغاز الطبيعي المتوفر في المملكة السعودية تعتبر زهيدة اذا ما قورنت بكلفة الانتاج في عدد اخر من بلدان العالم ، فان هذا من شانه ان يجعل الاسمدة السعودية قادرة على منافسة الاسمدة الاجنبية في اسواق العالم بشكل جيد .

لهذا كان اول مشروع تقدمت به مؤسسة « بترومين » في مجال الاستثمار للغاز الطبيعي هو ذلك الذي يتعلق بانتاج الاسمدة الكيماوية من الغاز الطبيعي المتوفر في المنطقة الشرقية والذي يعتبر اكبر مشروع وطني حتى الآن في المملكة .

وفيما يلي عرضا للمشاريع الكيماويةالبترولية في المملكة العربية السعودية . ولما كانت « بترومين » هي المؤسسة المسؤولة عن تنفيذ هذه المشاريع والاشراف عليها فسوف نعطي فكرة موجزة عنها فيما يلي :

التعريف ببترومين

بترومين هي المؤسسة العامة للبترول والمعادن انشاتها الحكومة السعودية سنة ١٩٦٢ ، ان الغرض من انشائها اجراء الدراسات الوا[illegible]

مصنع اليوريه فى الكويت ، ـسح من غاز نفطها ، وينتج فى العام حوالى من ٦٠٠ الى ٦٥٠ الف طن . تجرى تسويقها فى الخارج كاملة . عن طريق وكلاء منتشرين فى سائر البلاد . كويتيين

لموارد البلاد السعودية وامكاناتها ، ومعرفة الاسواق المتوافرة لها محلية أم اجنبية وبناء هيكل اقتصادى سليم لا يعتمد كل الاعتماد على النفط .

وبعد دراسات طويلة وتمشيا مع السياسة الرامية الى احلال التوازن بين جميع القطاعات الاقتصادية المكونة للدخل القومى على اختلاف انواعها ، مع المحافظة على نمو هذه القطاعات جميعا ، فقد وزعت بترومين نشاطها فى خدمة الاقتصاد القومى على القطاعات الثلاثة التالية :

١ ـ قطاع الزيت والصناعات البترولية .

٢ ـ قطاع المعادن والثروة المعدنية .

٣ ـ قطاع الغاز الطبيعى والصناعات الكيماوية البترولية .

نظرة تاريخية

ى عام ١٩٥١ قامت الشركة الهندسية ‎of‏ Stome and we ، لدراسة امكانات استعمالات الـ[illegible] الطبيعى . وقد اقترحت الشركة المشار اليها صـ[illegible]ـة السماد النيتروجينى من الغاز الطبيعى . و[illegible] عام ١٩٥٤ قامت الادارة المساعدة الفنية فى الا[illegible] المتحدة UNTAA بدراسة لصناعة السماد فى المملكة وكذلك قامت الاكاديمية الوطنية للعلوم فى أمريكا بدراسة أكدت فيها ضرورة الانتفاع من الغاز الطبيعى الموجود بكثرة فى المملكة .

وفى عام ١٩٥٩ قامت شركة اتحاد المشاريع الالمانية بدراسة اقترحت فيها استعمال الغاز فى توليد الطاقة الكهربائية على نطاق واسع . كما انها اقترحت قيام صناعة للاسمدة تنتج ٥٥ الف طن سنويا من النشادر و ١٢٠٫٠٠٠ طن سنويا من سماد كبريتات النشادر و ٣٦ الف طن فى السنة من سماد اليورية Urea او البولينة . واقترح التقرير ايضا امكانية انتاج غاز الاستيلين Acetylene والاثيلين Ethylene من النشادر كوحدة متكاملة .

كما قامت شركة N.V. Codum بتقديم اقتراح بانشاء مصنع لانتاج ٢٣٠ طن يوميا من سلفات النشادر وانتاج ١٥٠ طن يوميا من اليورية .

وفى مايو ١٩٦٢ طلبت وزارة البترول والثروة المعدنية من شركة سنود جراس الاستشارية دراسة شاملة لامكانيات صناعة الاسمدة من الغاز الطبيعى فى المملكة . وقد تطرقت هذه الدراسة الى كيفية تطوير استخدام الاسمدة فى السوق المحلى واقترحت انتاج (٥١) الف طن سنويا من

سماد اليورية للتصدير مع انتاج سماد مركب من النيتروجين والفوسفات بمعدل (٢٠) الف طن سنويا للتصدير ايضا وسماد مركب آخر للسوق المحلي بمعدل (٤٥) ألف طن سنويا ٠

واخيرا قامت لجنة من خبراء البترول والصناعة في اليابان بدراسة شاملة للامكانيات الفنية والاقتصادية للاستفادة من الغاز الطبيعي في اقامة صناعات بترولية كيماوية ٠ وقد اوضحت هذه الدراسة ان توافر الغاز بتكاليف زهيدة لا يعني امكان انشاء صناعات كيماوية بترولية بتكاليف منافسة نظرا لضيق السوق المحلي ومشاكل التصدير والمنافسة في السوق العالمي والظروف المحلية التي تعمل على رفع العناصر الاخرى لتكلفة الانتاج ٠ وقد توصلت الدراسة الى انه من الافضل للمملكة ان تعمل على صناعة المنتجات الكيماوية البترولية المتوسطة الصنع التي ليس لها منافسة قوية في السوق العالمي ، بحيث يتم الانتاج على نطاق واسع وكبير للتمكن من خفض تكلفة الانتاج والمنافسة ٠ واوضحت اللجنة انه نظرا لان الصناعة الكيماوية البترولية تستوجب توافر الخبرات الفنية وطرق الانتاج الملائمة ومنافذ التسويق الكافية لهذا فقد اقترحت انشاء مثل هذه الصناعات بالتعاون مع الشركات المتخصصة على شكل مشاريع مشتركة بحيث يساهم رأس المال الاجنبي لتوفير الخبرات الفنية والادارية والاسواق اللازمة لضمان انجاح أي مشروع ٠

وقد اقترح التقرير دراسة امكانية قيام صناعات لانتاج الايلين جليكول والميثانول Methanol واللدائن (البلاستيك) والنشادر السائلة من أجل التصدير ٠ وكذلك دراسة امكانية قيام صناعات للاسمدة تقوم على السوق المحلي ، واوضح التقرير أهمية رعاية الدولة لاى صناعة كيماوية بترولية تقام في المملكة ٠

التخطيط واجب

وتوضح الدراسات السابقة أن توافر الغاز الطبيعي والاستفادة منه يستلزم اختيار وتحديد تلك المنتجات التي يمكن تصنيعها في المملكة ، واختيار طرق الانتاج الاكثر ملاءمة والعمل على توفيرها مع ايجاد الاسواق الملائمة واللازمة ٠

وهذا يعني انه يجب التخطيط لقيام هذه الصناعة على اسس اقتصادية سليمة وباسلوب يتمشى مع واقع المملكة والامكانيات المتوفرة لديها ٠ وبناء على ما تقدم فقد قررت مؤسسة بترومين انشاء مشروع سافكو لانتاج الاسمدة الكيماوية ، ومصنع لحامض الكبريت (بتروسو) ، وشركة بترومين للكبريت ٠ وفيما يلي عرضا شاملا لهذه المشاريع:

مشروع سافكو لانتاج الاسمدة الكيماوية

يبلغ الانتاج من الغاز الطبيعي الفي مليون قدم مكعب يوميا ٠ ولا يستفاد حاليا الا بمقدار ٤١٪ من الغاز المنتج ويحرق الباقي ٠ ولذلك قامت بترومين بانشاء شركة للاسمدة الكيماوية تدعى سافكو عام ١٩٦٥ لانتاج وتصنيع وتسويق الاسمدة الكيماوية التي تشتد الحاجة اليها في دول العالم اجمع لمجابهة المتطلبات المتزايدة للسكان على المواد الغذائية ٠ ويبلغ رأس مال الشركة ١٠٠ مليون ريال سعودي ، موزعة على مليون سهم ، تملك بترومين منها ٥١٪ ، ويمتلك القطاع الخاص ٤٩٪ ٠ وقد تم انشاء المصنع في الدمام بطاقة انتاجية تصل الى ١١٠٠ طن يوميا من اليورية و ٣٥ طنا يوميا من الكبريت ٠ وقد قامت شركة اوكسدنتال بتروليوم بتشييد المصنع وتقديم الخبرات الفنية لادارته ، كما تعهدت بتدريب موظفي المصنع السعوديين على مختلف النواحي الفنية والادارية والتزمت شركة (انتراوز) وهي تابعة لشركة اوكسدنتال بشراء منتجات المصنع من الاسمدة عدا ما يخصص منه للاستهلاك المحلي ، وفق الاسعار السائدة في السوق العالمية ٠

وقد بلغت تكاليف انشاء المصنع الفعلية ٢٠٠ مليون ريال في حين ان رأس المال المدفوع هو ١٠٠ ميون ريال ، فاقترضت الشركة باقي رأس المال اللازم والبالغ ١٠٠ مليون ريال عن طريق عدد من البنوك المحلية والعالمية بضمان من حكومة المملكة العربية السعودية ٠ وبناء عليه فقد ساهم [illegible] من البنوك في تقديم قروض تتجاوز في مجموعها ١٠٠ مليون ريال سعودي وذلك لتنفيذ هذا المشروع وتامين الاموال اللازمة له ٠ اما هذه البنوك فهي:

البنك الاهلي التجاري السعودي

بنك الرياض

ك الاستيراد والتصدير الامريكى .

ويحتوى المصنع على الوحدات التالية :

١ ـ وحدة فصل الكبريت عن الغاز وتنتج ٣٥ طنا يوميا من الكبريت .

٢ ـ وحدة النشادر وتنتج ٦٠٠ طن يوميا من النشادر .

٣ ـ وحدة اليورية وتنتج ١١٠٠ طن يوميا ، وتعتبر هذه الوحدة من اكبر وحدات انتاج اليورية فى العالم .

وقد تم تشغيل المصنع فى عام ١٩٧٠م (١٣٩٠هـ)، وبلغ مجموع انتاجه (٢٠) الف طن من السماد ، تم تسويق جزء منه فى السوق المحلية وتصريف الباقى فى الاسواق العالمية . كما بلغ الانتاج فى عام ١٩٧١م (١٣٩١هـ) ٩٢٫٢٥٠ طن من سماد اليورية بيع منه ١٥١٧ طنا فقط فى السوق المحلية والباقى فى السوق العالمية . وتقوم شركة (انتراوز) الاميريكية بشراء انتاج المصنع الفائض عن احتياجات السوق المحلية من الاسمدة وتسوقه الى الخارج .

ويقوم حاليا بادارة المعمل وتشغيله جهاز قوامه ٣٥٠ موظفا بين فنى واداري وعامل . وتقوم الشركة بتهيئة جهاز فنى من موظفيها السعوديين يحل محل الخبراء والفنيين الاجانب وذلك عن طريق تنفيذ برامج تدريب خاصة داخل المملكة وخارجها .

شركة بترومين للكبريت

يحتوى الغاز الطبيعى المتواهر بالمنطقة الشرقية ـ عدا غاز السفانية ـ على مادة الكبريت ، الامر الذى يستلزم فصل الكبريت عن الغاز الطبيعى قبل التفكير فى تصنيع الغاز . وقد وقعت بترومين اتفاقية فى شهر مايو ١٩٦٧ مع شركة جيفرسون ليك سفلر وشركة نتراوراف سعودى اريبيا ـ شركة تمتلكهما شركة اوكسدنتال ـ شملت أسس التعاون فى كل ما يخص الدراسة والاعداد والمشاركة والادارة والتمويل والتسويق .

وتقرر نتيجة لذلك بناء مصنع فى ابقيق تبلغ طاقته ٥٠٠ طن يوميا لاستخلاص الكبريت من الغاز ، او ٢٣٠ الف طن سنويا من الكبريت . وتبلغ الاستثمارات الكلية لهذا المشروع حوالى ٩٠ مليون ريال سعودى . وتساهم بترومين بنصف راس المال وتساهم الشركتان المتعاقد معهما فى النصف الآخر من رأس المال بنسبة الثلثين اى الثلث لكل منهما .

ويستهلك المصنع يوميا ٥٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز كما يقدر عدد العاملين فيه بنحو ١٣٠ موظفا بين ادارى وفنى وعامل .

وطبقا للاتفاقية الموقعة فى مايو ١٩٦٧ ، تلتزم شركة جيفرسون بالاعداد للمشروع والاشراف على تنفيذه ، وتقع عليها ايضا مسؤولية الادارة الفنية للمشروع لمدة ٨ سنوات من بدء التشغيل ، وتلتزم شركة جيفرسون بشراء نصف الانتاج طيلة مدة الاتفاقية،هذا وتقوم شركة انتراوز بتسويق حصة جيفرسون كما انها ستعمل بصفتها وكيلا عن شركة بترومين للكبريت فى تسويق باقى الانتاج المخصص للتصدير بموجب شروط خاصة تضمنتها الاتفاقية.

مصنع بترومين لحامض الكبريت(بتروسو)

تم فى اوائل شهر ربيع الثانى ١٣٩١هـ (١٩٧١م) انشاء هذا المصنع فى منطقة بترومين الصناعية فى الدمام لانتاج حامض الكبريت بطاقة انتاجية تبلغ (٥٠) طنا يوميا . وبدأ فى اوائل ربيع الثانى ١٣٩١هـ (١٩٧١م) انتاج حامض الكبريت المركز بنسبة ٩٨٪ والمستخدم فى الاغراض الصناعية لتزويد (سافكو) ومحطتى تحلية المياه فى كل من جدة والخبر وشركة ارامكو والسوق المحلية بما تحتاجه من حامض الكبريت . بالاضافة الى انه يدخل فى عدد من الصناعات القائمة حاليا كتكرير الزيت والاسمدة والصابون .

مشروع الكيماويات البترولية

فى يونيو ١٩٦٥ وقعت بترومين اتفاقية مع شركة انيش الايطالية ـ تتبع مجموعة شركات اينى الايطالية ـ تضمنت موافقة انيش على التعاون مع بترومين فى الاستفادة من الغاز الطبيعى وفى اقامة مشروع كيماوى بترولى تبلغ الاستثمارات المتدرة له ٢٥٠

مليون ريال • وقد التزمت انيش بالاشراف الفنى وتولى الادارة الفنية للمشروع •• كما وافقت على تسويق انتاج مثل هذا المشروع فى الاسواق العالمية عن طريق احدى شركات التسويق الخاصة بها بحيث يتم تعيينها وكيلا للتصدير • وقد وافقت انيش على التعاون مع بترومين فى اعادة التقييم الاقتصادى لمشروع لدائن البلاستيك كاختبار أولى ، حيث قدرت الطاقة الانتاجية بحوالى (٦٠) الف طن سنويا من لدائن البلاستيك • وقد طورت هذه الاتفاقية فيما بعد واستبدلت باتفاقية جديدة تنص على قيام انيش وبترومين بتاسيس شركة سعودية مشتركة حال اقرار نتائج دراسة المشروع حيث تسهم شركة انيش بنسبة ٥٠٪ من رأس مال الشركة وقدره ٩٠ مليون ريال • هذا وستكون ادارة الشركة مشتركة بين بيترومين وانيش •

على ان تتولى الاخيرة الادارة الفنية للمشروع لمدة ١٥ عاما من بدء الانتاج وتوفير جميع الخبرات الفنية اللازمة • وتعهدت انيش فى الاتفاقية بان تعمل على تسويق انتاج المشروع بصفتها وكيلا عن الشركة المشتركة •

وجدير بالذكر ان الاتفاقية الجديدة تنص على ضرورة العمل على الاستفادة من الغاز الطبيعى الحاضر واية غازات اخرى يتم انتاجها من منطقة الامتياز الجديدة فى انشاء صناعات كيماوية وكيماوية بترولية على شكل مشاريع مشتركة جديدة وذلك طيلة مدة الاتفاقية المحددة ب ٢٥ عاما• وقد وافقت انيش على الاسهام فى تلك المشاريع المستقبلة بحصة لا تقل عن ٢٥٪ ولا تزيد عن ٥٠٪ من رؤوس الاموال اللازمة • هذا وتفسح الاتفاقية المجال امام دخول شريك ثالث فى مثل هذه المشاريع وذلك حسب طبيعة كل مشروع •

خاتمة :

يتضح مما تقدم أن المملكة العربية السعودية تسعى جاهدة للاستفادة من الغاز الطبيعى المهدور فى صناعات كيماوية بترولية كالاسمدة واللدائن والمطاط الصناعى وغيرها • ونظرا لان كلفة انتاج الاسمدة من الغاز المحلى سوف تكون زهيدة اذا ما قورنت بالكلفة فى دول اخرى ، فان المملكة اتجهت أولا الى انتاج الاسمدة النتروجينية التى يشتد الطلب عليها فى جميع انحاء العالم الثال[ث] وذلك بسبب الزيادة فى الطلب على السلع الزراع[ية] نتيجة زيادة السكان •

ونظرا لضيق السوق الداخلى للمملكة فانها لا تستطيع اقامة وحدات انتاجية تتمتع بالكفاءة الاقتصادية العالية والاسعار التنافسية اعتمادا على السوق الداخلى فقط • وهى لهذا لا بد وان تعتمد على اسواق التصدير • كما ان العناصر الفنية والخبرات الاخرى اللازمة لانشاء هذه المشاريع ليست متوفرة فى المملكة فى الوقت الحاضر مما يجعل عمليات الصيانة صعبة وذات تكاليف عالية • وحتى يمكن حل مشاكل التصدير والمنافسة فى السوق العالمية ، وتامين الخبرات الفنية المطلوبة ، وطرق الانتاج الملائمة ، فقد اتجهت الى التعاون مع الشركات العالمية المتخصصة كاوكسدنتال وانتراوز على أساس مشاريع مشتركة بحيث يساهم فيها رأس المال الاجنبى لتامين الخبرات الفنية والادارية والاسواق اللازمة لضمان انجاح المشروع•

وفى نفس الوقت تسعى بترومين ، وهى الشركة الوطنية السعودية ، تسعى لتامين وتهيئة جهاز فنى من موظفيها السعوديين تمهيدا لحلوله محل الخبراء والفنيين الاجانب وذلك عن طريق تنفيذ برامج تدريب خاصة داخل المملكة وخارجها •

ومن الواضح ان الطريقة التى لجات اليها السعودية لتصنيع نفسها ، وخاصة بالنسبة للصناعات الحديثة المعقدة كالصناعات الكيماوية البترولية تعتبر بداية حسنة وعملية جيدة • الا ان المملكة يجب ان تسعى منذ الآن الى القيام ببعض عمليات التسويق بنفسها حتى تستطيع تكوين خبرة تجارية تمكنها فى المستقبل من القيام بهذه العمليات بعيدا عن المشاركة الاجنبية • وبالامكان الاستفادة فى هذا المجال من التجربة الكويتية الناجحة التى تقوم على تعيين ممثلين لشركة الاسمدة فى اكثر من ٦٢ بلدا عربيا واجنبيا مهمتهم تامين تصريف السماد المنتج • وقد تمكنت الكويت - عن هذا الطريق - من تصريف ٩٩٪ من انتاجها لعام ١٩٧٤ • وهذا يشير بشكل واضح [الى] مقدرة وامكانية الخبرات المحلية المدربة على [القيام] باعباء عملية التسويق بنجاح رغم الصعوبات [التى] تكتنفها •

محمد هشام خواجكية

قناة السويس
توسيعها وتعميقها من بعد تطهيرها

● افتتحت قناة السويس واستأنفت السفن والناقلات عبور هذا الممر الحيوى بمعدل رحلة نهارية واحدة فى اليوم الواحد · وما كان ذلك ممكنا لولا اعمال التنظيف والتطهير التى أجريت فى القناة اعتبارا من شهر يناير ١٩٧٤ وكلفت حتى نهاية شهر ابريل ١٩٧٥نحو ٢٥٠ مليون جنيه · والظاهر أن هذه الاعمال التى تعاونت على القيام بها فرق بحرية مصرية وبريطانية وفرنسية وأمريكية ، كانت من الضخامة بحيث لا يكاد يجد المرء ما يضاهيها فى تاريخ مصر الحديث سوى أعمال سد أسوان العالى ·

ولعل فى تفصيل ما تم انتشاله من عوائق ، كانت فى القناة ، ما يوضح ضخامة تلك الاعمال ·

١ ـ العوائق الكبرى ·· حطام السفن وما اليها مما كان غارقا فى مياه القناة وقد بلغ عدد هذه العوائق الرئيسية عشرة·

٢ ـ حطام الدبابات والطائرات والسيارات وقد بلغ عددها ١٢٠ عائقا ·

٣ ـ قنابل وقذائف والغام جاوز عددها ٧٥٠٠٠٠ متفجرة كانت قد استقرت فى قاع القناة دون أن تنفجر ·

٤ ـ تدمير الكوبرى الذى كان العدو قد أقامه لتعزيز تسلله الى الضفة الغربية ·

على أن أعمال التطهير التى ذكرنا شىء وأعمال التوسيع والتعميق المرتقبة شىء آخر · فستتم هذه الاعمال على مرحلتين تستغرقان ٨ سنوات · وستبلغ نفقاتها اجمالا نحو ٣٠٠ مليون جنيه أو تزيد · وسيصبح عمق قناة السويس فى المرحلة الاولى ٥٣ قدما (حاليا ٣٨ قدما) وسيصبح فى مقدورها استقبال الناقلات ذات حمولة ١٥٠ر٠٠٠ طن · أما فى المرحلة الثانية فسيبلغ العمق ٧٦ قدما وستستقبل القناة الناقلات العملاقة من حمولة ٢٥٠ر٠٠٠ طن ·

■ ■ طفل غرق وابتلعه ا

● هذه قصة طريفة نشرتها مجلة لانست Lancet ، مجلة الاطباء الانجليز المعروفة ٠ وهى تروى كيف عادت الحياة الى طفل يبلغ الخامسة من عمره ، بعد أن غرق فى أحد الانهار فى بلاد النرويج وغمرته مياه ذلك النهر طيلة ٤٠ دقيقة ٠٠

فقد رأى بعضهم ذلك الطفل وهو يقع فى فتحة من الجليد الذى غطى سطح الماء فى ذلك النهر ٠ رأوا ذلك فى الساعة ٣٠ر١١ عند الظهيرة ، ولم تجد المحاولات التى قاموا بها لانقاذه ، حتى نجح رجال الضفادع البشرية فى العثور على الجثة فى الماء وتحت الجليد ٠ وكان ذلك على بعد ١٥ ميلا من المكان الذى سقط فيه الطفل ، وبعد مضى ٤٠ دقيقة أى بتمام الساعة ١٠ر١٢ ٠

واجريت للطفل على الفور الاسعافات التى تجرى عادة للغرقى ـ التنفس الصناعى وما الى ذلك ثم نقل الى المستشفى ، حيث قيست حرارته واذا بها لا تزيد على ٢٤ درجة مئوية ٠٠ أى دون حرارة الانسان العادية بثلاث عشرة درجة ٠ وانصرف الاطباء فورا الى معالجة مكثفة شملت فيما شملت الشحنات الكهربائية

السيارة الكهربائية متى تنزل الاسواق ؟ ٠٠

● رغم الجهود المتواصلة فان السيارة التى تسير بالكهرباء والتى تحدث عنها العربى سابقا اكثر من مرة لا تزال فى مرحلة التجارب ٠٠ ولا يخفى اهتمام اهل الغرب البالغ بهذه السيارة التى من شأنها أن تغنيهم عن السيارة التى تسير بالبنزين ، وتحد بالتالى من تلوث البيئة وتحد ايضا من اعتمادهم على البترول ٠

ولعل اليابان هى الدولة السباقة فى هذا الصدد ٠ فقد نجحت مصانع تويوتا فى صنع نموذج من السيارات الكهربائية تسير بسرعة ٦٠ ميلا فى الساعة ، وتمكنه بطارياته من قطع ١٢٠ ميلا دون حاجة الى شحنها بالكهرباء ٠ وقد تم صنع هذا النموذج قبل نحو سنتين حينما تضاعف اهتمام اليابانيين بقضايا التلوث وقد اكتشفوا فجأة مدى التلوث الكبير الذى تعرضت له بيئتهم ٠

وستشهد الاسابيع الاخيرة من هذه السنة (١٩٧٥) النموذج الثانى المحسن للسيارة اليابانية التى تسير بالكهرباء ٠

وجدير بالذكر ان سلطات النقل فى مدينة مانشستر البريطانية بدأت تستخدم سيارة كهربائية منذ شهر فبراير الماضى ٠ والسيارة المذكورة سيارة ركاب (باص) حافلة من نوع لوكاس Lucas وتعمل بين محطتى السكك الحديد الرئيسيتين فى مدينة مانشستر ، وتقطع مسافة ٤٠ ميلا فى اليوم ٠ ويمتدحون هذه السيارة من حيث قلة نفقات تسييرها بالمقارنة مع سيارات الديزل المماثلة لها وكذلك من حيث الراحة التى توفرها لسائقيها ٠

والعقبة الكأداء التى تعترض سبل الجهود المبذولة من اجل تطوير السيارة الكهربائية حيثما كانت هذه الجهود هى فى كل الحالات ٠ انها البطارية [illegible] تستطيع أن تمد السيارة بما تحتاجه [illegible] كهرباء ولمدة معقولة دون ان تحتاج [illegible] الشحن فى تلك المدة ٠

ثم عاد الى الحياة ثانية ■ ■

(Electrical Shocks) والتنفس آليا بواسطة جهاز التنفس طوال يومين ... وعادت اليه الحياة تدريجيا ..

وفي صباح اليوم الثاني استرد الطفل وعيه ، ولكن التناسق بين عضلات جسمه كان ضعيفا . وأدى ذلك الى عجز الطفل عن الاكل والشرب دون مساعدة فعالة .. أضف الى ذلك ضعفا في ذاكرته وفي نطقه ، بسبب الخلل الوظيفي الذي تعرض له مخ الطفل .

ولما أعادوا الطفل الى بيته عاد الى حالته الطبيعية ، جسديا وعقليا في غضون أيام قليلة . ثم عاد الى حالته الطبيعية سيكيولوجيا حسبما أثبتت الفحوص التي أجريت له بعد مضى ٦ أسابيع على الحادث .

ويذكر الاطباء الذين عالجوا الطفل أن أسوأ ما كان يعاني منه بسبب غرقه هو التلف الذي لحق الرئتين نتيجة ابتلاع الطفل للماء . وهم يؤكدون ان البرودة الشديدة التي كانت عليها مياه النهر الذي غرق فيه الطفل كانت العامل الاساسي الذي أبقى على حياته وكفل لهم النجاح في علاج الطفل .

الجزيرة العربية مأهولة منذ سنين ملايين

● مازال العلم حائرا ازاء عمر الانسان وما زال علماء الانثربولوجيا يكتشفون المزيد من الاحافير ، ويستخلصون المزيد من النظريات التي قد تنفي ما سبقها ، أو تغير فيها على أقل تقدير .

وكان آخر ما اكتشفوه عظمة فك متحجرة Fossil كاملة وسليمة ، عثروا عليها في وادي أواش في الحبشة ، وذلك في شهر ديسمبر الماضي ١٩٧٤ . وكانت هذه العظمة التي وجدوها على ضفاف بحيرة جافة قد تحجرت داخل صخرة بركانية ، هي التي حفظت العظمة ووقتها من الفناء . وقد أكد العالم الانثروبولوجي كارل هانسن Carl Johanson وهو رئيس البعثة المسئولة عن تلك الحفائر ، أكد أن تاريخ تلك العظمة يعود الى ما قبل ٣ - ٤ ملايين سنة ، وانها بلا ريب ، أقدم ما اكتشفه العلماء من أحافير تنبيء عن عمر الانسان حتى الآن .

وثار الجدل بين العلماء حول هذا الاكتشاف ، واشترك في هذا الجدل فيمن اشترك ، ريتشارد ليكي Richard Leaky عالم الانثروبولوجيا المعروف الذي اقترن اسمه بالحفائر التي شهدتها ضفاف بحيرة رودلف في كينيا قبل نحو ثلاث سنوات . فقد دلت المتحجرات التي عثر عليها هذا العالم آنذاك على أن عمر الانسان يقارب ٢ر٦ مليون سنة .. وهكذا ابطلت نظرية ليكي هذه النظرية التي سادت سابقا والتي قدرت عمر الانسان بنحو مليون سنة .

ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد تأكيد جوهانسون ان وادي أواش الذي ذكرنا ليس الموطن الاول للانسان الاول .. وما ذلك الموطن الاصلي في نظر جوهانسون الا شبه الجزيرة العربية .. فقد جاز عنده أن تكون الجزيرة العربية متصلة بالقارة الافريقية آنذاك . بحيث سهل على الانسان الاول الهجرة من بلاد العرب الى الحبشة ، وذلك تحت وطأة التغيرات التي طرأت على المناخ في تلك الايام . ■■

تعلمت شق طريقى بدفع جسمى ..
امــا عمليــة الوقــوف فكانــت تـدعـ..

بقلم : دافيد سكوت

« قائد أبلو ١٥ »

■ اثار صاروخنا زوبعة عاتية من الغبار القمرى على ارتفاع ستين قدما من سطح القمر . وقد بدت هذه الزوبعة تحيط بنا من كل ناحية الامر الذى الزمنى بتتبع باقى مسافة الهبوط على آلات القياس حيث لم اعد ارى شيئا • ضربت مركبتنا الفضائية السطح محدثة ارتجاجات مفاجئة لم توقفت • لقد اصطدمنا بهدفنا المرسوم مباشرة وهو ارض منبسطة محاطة بسلسلة من الجبال . ع واد ضيق فى اقصى الطرف الشرقى لهذا السهل المنبسط • وبينما كنت انتظر انا وجيم ايرون ... الزوبعة ، تذكرت الدورات الاثنتى عشرة التى د.غا منها لتونا حول المدار القمرى على متن سفينتنا الفضائية « ابوللو/١٥ » • لقد كنا نكمل فى كل ساعتين دورة كاملة من دورات القمر الارضى الاصطناعى القديم اذ نمضى الساعة الاولى فى الليل القمرى حتى تشرق الشمس ونقضى الساعة الاخرى خلال النهار •

شعرت خلال دوراننا بمتعة فى النظر الى ذلك الجزء المظلم من القمر والمغمور بضوء الارض • وقد كان الضوء المنعكس من كوكبنا يضيء جنبات القمر الهادىء النائم بدرجة اكبر من تلك التى يحدثها تالق ضوء القمر فى ليالينا المقمرة ، اذ كانت الجبال وحواف البراكين تتبدى بوضوح •

ساظل اذكر على الدوام اندفاع مركبتنا خلال ظلمة الفضاء الغريبة ، كانت النجوم من فوقـ وامامنا توشى السماء بتوهجاتها البعيدة ، وكان الجانب الاقصى للقمر يمتد من تحتنا قوسا مـ السواد المدلهم الذى يغشى وجه السماء • وحـ دنت لحظات شروق الشمس ، اندفعت خيو النور ـ التى هى فى حقيقتها مجموع غازات الاكلـ الشمسى المتوهجة ، والتى تبعد عنا ملايين الاميال تتلاعب على الافق القمرى ، لم سقطت الشمـ على ناظرنا بصورة صاعقة مفاجئة كتلك التـ يحدثها قصف الرعد المباغت ، فقد انساب ضـ

.. كنا لو كنت أخطو فى الهواء ،
.. دمى وأميل الى الوراء .

الشمس الساطع فى اقل من ثانية واحدة الى مركبتنا الفضائية بكاملها فبهر عيوننا على حفلة منا .

تطلعنا الى صورة الصباح القمرى المبكر من مركبتنا ، لقد كان سطح القمر يمتد بعيدا ، وكانت الوان الاشياء تبدو من خلاله شبيهة بلون (الشوكولاتة الحليبية) فى حين كانت الظلال الطويلة البارزة تشكل كل تلة وفوهة بركان . ولما تقوست الشمس وارتفعت عاليا بدت السهول والاودية والجبال تتلألأ بشكلها الرمادى الشبيه بالمعدن الذى تصنع منه البنادق ، فى .. ن الوقت الذى بدات الظلال تنكمش فيه . وشرعت الشمس تقترب هابطة فى عز الظهيرة القمرية متالقة .. عالم متبدل غير محدد الملامح .

قد بلغنا حتى الآن مرحلة الاستقرار على .. ح القمر . ولم يتبق من الغبار الا ما ثار خارج عربتنا الفضائية . ادرنا المفاتيح التى تنتقل بالسفينة من مركبة فضائية متحركة الى مركبة مستقرة . وهكذا بدات ساعات اقامتنا على سطح القمر التى تبلغ سبعا وستين ساعة .

رسونا الآن فى عالم هادىء مجدب ــ حيث يمتد النهار المتوهج والليل الذى يعدو ــ فى برده درجات التجمد فى كوكبنا ــ على مدى ثلاثمائة وخمس وخمسين ساعة ارضية . لقد هبطنا على سطح القمر فى صبيحة يوم قمرى مشرق مما يجعلنا نقلع قبل ان تكون الشمس قد بلغت اوجها بعد .

لقد كنا واقعين فى شعورنا باننا الارواح الحية الوحيدة على هذا الكوكب الهادىء بل ربما الكائنات الحساسة الوحيدة فى نظامنا الشمسى ــ باستثناء الارض ــ . ولذا فاننا ــ وان كنا تجاوزنا حدود كوكبنا الام ، ما نزال اناسا ارضيين ، فقد ضبطنا ساعاتنا حسب توقيت هيوستن ، وكيفنا حياتنا بحسب نظام الساعات الاربع والعشرين المعهودة على الارض .

فتحت الفوهة العليا لاقوم باستطلاع تمهيدى ، حدقت فى ارجاء الكون فبدا معنطا على صورته منذ خلقه . لقد كان كل خط بل كل شكل فيه ينخرط فى كتلة متجانسة . وكانت فوهات البراكين التى خلفتها النيازك منذ ملايين السنين تنتصب بلونها الابيض الناصع كنسيج محدث الصنع فى مواجهة الارض المنبسطة المتموجة ذات اللون السماوى الرائق .

احتلست نظرة لبرهة من الزمن رمقت فيها السماء الداكنة حيث يومض كوكب الارض البلورى فى لجة من الفضاء ــ اذ كان كل شىء فيه ازرق وابيض ، بحرا وغيما ــ . لقد كان كوكبنا يشع بلونه المتوهج الفريد عبر ذلك الفراغ المميت اللامتناهى .

كان راسى المغطى يتحرك من فوق الفوهة المفتوحة فى المركبة على مدى ثلاثين دقيقة ، ناقلا ومصورا أرض سطح القمر العجيبة ، اذ كان تشكل بقاع الارض القمرية فى تلك المنطقة بالذات شيئا يخالط الكذب ، مما ملأنى بدهشة سارة . زاد فى انبعاثها ذلك الافق القمرى الذى لم يكن يبعد عن الرائى اكثر من ميل ونصف الميل . كانت ترتفع فى جنوب تلك المنطقة سلسلة من الجبال يبلغ علوها نحوا من احد عشر الف قدم فوق

السهول الجرداء ، وتجاورها الى الشرق سلسلة اعلى منها • وكان يمتد الى الغرب من منطقتنا ممر ضيق متعرج تصل اعماقه الى أبعد من الف قدم • بينما يهيمن على الافق الشرقى الشمالى جبل ينتصب بشموخ واباء على ارتفاع ثلاثة اميال ونصف الميل فوق موقعنا •

لقد كانت بعثتنا أول بعثة تحط على ارض محاطة بالجبال القمرية ، وتبدو هذه الجبال للناظر هادئة راسخة لا تقوى الريح والامطار على زعزعتها ، ولا الحياة على بث الروح فيها ، كانما هى لوحة أبدية ، غمرنى جلالها وهيبتها •

لقد خَلَقَت منى ثمانى سنوات من التدريب على الجغرافية القمرية خبيرا بالدقائق التفصيلية لهذا العمل • فقد لاحظت ان خطا اسود يلطخ سفوح هذه الجبال ، وهو يشبه الى حد بعيد محيط حوض الحمام (البانيو) • ولعلى أسال : هل يمكن ان يكون هذا الخط قد تكون بفعل بحيرة اللابة الغائرة التى ملات تجويف (بالوس بوتريدينيس) العظيم الواقع على حواف تجويف (مير امبريوم) منذ بلايين السنين ؟ • وهذا التجويف الاخير هو الذى هبطنا على حافته ، ويمتد على سطح القمر بطول يصل الى ستمائة وخمسين ميلا • لا بد اذن ان تكون القذيفة الكونية التى احدثت هذا التجويف ضخمة يصل قطرها الى اكثر من خمسين ميلا ، وان تكون قد ارتطمت بالقمر بسرعة تعدو سرعة قذيفة البندقية بعدة اضعاف •

★ ★ ★

حين هبطت أنا وجم ايروين على سلم المركبة وخطونا على سطح القمر ، شعرنا بشعور الحرية السار لقد حشرنا فى مركبتنا الفضائية ، المحكمة الاغلاق ، التى جاءت بنا الى هنا ، لمدة خمسة ايام على التوالى ، أما الآن فقد استعدنا تمام حركتنا •

ولكننا سرعان ما تبينا ان للحركة على القمر قيودا ومحاذير خاصة بها • لقد أصبحنا نزن سُدسَ وزننا العادى فى جاذبية تعدل سدس جاذبية الارض • واخذت مشيتنا تنتقل بسرعة الى حركة ايقاعية مقيدة ، كان لها خفة وسهولة السير على نقرات الترومبلين •

وفى الوقت ذاته ، كانت عمليتا التقدم والتوقف تتطلبان جهدا غير عادى ، نظرا الى أن كتلة اجسامنا وملابسنا الخاصة وقصورنا الذاتى لم

كانت عربتنا الروفر تحمل الكاميرات التلفزيونية والمعدات العلمية وكانت سيارتنا تعمل بدون توقف حيث نستقلها من مكان الى مكان جامعين بذلك شذرا من التاريخ •

يطرأ عليها شىء من التبديل • تعلمت شقَّ طريقى بدفع جسمى الى الامام كما لو كنت أخطو فى الهواء • أما عملية الوقوف فكانت تدفعنى الى ان أغرزَ كعبىَّ وأميل الى الوراء •

ان السقوط على القمر ـ وقد سقطت عدة مرات ـ يعيد الانسان الى استرجاع مرحلة الطفولة مرة اخرى ، اذ انك تنحدر بحركة بطيئة الى اسفل فتكون الصدمة طفيفة ويكون احتمال الاذى على الغالب صفرا • وبمعزل عن موقف الكبار العاقلين الذى لا يعتبر السقوط فقدا للكرامة وحسب ، بل مصدرا لكسر العظام ، فان السائر على القمر هو كالطفل يتقبله كنوع من التسلية • ان الغبار القمرى اللزج ، ومطلب التزود بالاوكسجين الصعب والذى تدعو اليه عملية النهوض هما العلتان الوحيدتان فى تقليل الشعور ببهجة السقطة •

لقد لمست شخصيا ان فى الجاذبية السُدسية التى يمتاز بها القمر متعة اكبر من تلك التى يحدثها انعدام الوزن فى الفضاء • وقد كنت اشعر بنفس الشعور الملىء بالفرح والسرور ، ذلك ان القمر يمنح نتيجة الصعدات والهبطات اثناء السير عليه شعورا قويا بالاطمئنان •

ما ان بدأنا بتفريغ حمولتنا وتركيب آلاتنا ــ بما في ذلك سيارة الروفر ذات الاطارات الاربعة التي تشغل بالبطاريات ــ اذ تقرر أن تنقلنا على سطح القمر بمعدل ستة اميال او يزيد في الساعة، في تلك الاثناء ، كنت احملق فيما حولي من السهول والجبال التي غدت عالما لنا • لقد كانت عيناي تتبعان أرضا خرابا غريبة تتسم بتعرج عجيب • كنت أنعم النظر في الجبال الشامخة انعاما ينتابني معه شعور غريب لا يوصف • فلم يسبق لعين مجردة أن شاهدت ذلك من قبل ، ولا لقدم ان وطئته ، لقد بدوت وكاني متطفل في هذا العراء السرمدي •

★ ★ ★

كان الجزء البارز من القمر الذي لم تشوهه قمة مثلمة واحدة ، يذكرني بمرتفعات الارض المغطاة بطبقة سميكة من الثلج النقي الناعم • وكان لون الغبار القمري الرمادي الداكن ــ الذي تشبه محتوياته شيئا وسطا بين غبار الفحم ومسحوق الطلق ــ يغمر كل معلم من معالم سطح القمر الطبيعية • غاصت احذيتنا برفق في هذا الغبار اثناء السير ، مما جعلنا نخلف آثار اقدامنا بوضوح بالغ •

يخضع اللون هنا الى تحول غريب • لقد كان كل شيء تحت أقدامنا او الى جانبنا رماديا ، وقد تمازج هذا اللون بشكل تدريجي حتى استحال الى لون دباغ ذهبي يميز المواقع البعيدة • كما يتحرك هذا الانحلال الضوئي مع السائر •

وينطلق لون الغبار الرمادي الخفيف على معظم الصخور المتناثرة هنا وهناك ، الا اننا وجدنا صخرتين اثنتين فاحمتي السواد ، واثنتين خضراوين خضرة فاتحة ، ورأينا كثيرا من الصخور البلورية التي غلف بعضها بالزجاج وكانت واحدة منها بيضاء اللون •

كنا في تقدمنا محاطين بهالة من السكون ، فلا ريح تهب ، ولا أصداء لصوت • لم يكن هنالك شيء سوى حركة الظلال ، وهدير الآلات الصغيرة التي تزودني من خلال البدلة الفضائية بالاوكسجين الصالح ، وتقيني غائلة الدرجات الفهرنهايتية الخمسين بعد المائة ، والتي تشكل درجة حرارة سطح القمر في الصباح •

ان أي عطل في أجهزة البذلة الفضائية او المركبة يمكن ان يودي بحياة رائد الفضاء • ولكننا نثق بقدراتنا الخاصة ثقة تامة ونؤمن ايمانا غير محدود بهؤلاء المهندسين والتقنيين الذين صنعوا هذه الاجهزة ــ التي تنقلنا وتحافظ على بقائنا ــ في الفضاء • وغالبا ما تذكرت في اثناء الفترة التي قضيتها على سطح القمر كلمات الشاعر الامريكي (ادوين ماركهام) « هنالك قدر يجعلنا اخوة ، فلا أحد ينفرد بسبيل » •

لقد عانينا في اول الامر من مشكلة الرؤية المضللة ، لم يكن باستطاعتنا تحديد بعد الاشياء وتعيين كونها قريبة ام بعيدة ، صغيرة ام كبيرة ، في منطقة تنعدم فيها الشواخص المالوفة على كوكبنا الام ــ من شجر وأعمدة هواتف وغيوم وضباب ــ •

لقد ألفت أعيننا بالتدريج رؤية فوهات البراكين بكل احجامها الضخمة والوسطى والضئيلة والتي تتربع على كل بوصة من السطح ، وغدا القمر بالتدريج مكانا أليفا لنا • وقد خطرت اذ ذاك ببالي فكرة : « هل تستطيع كائنات بشرية ولدت على سطح القمر ان تشق طريقها عبر اشجار الارض وغيومها ؟ »

كان الوقت المخصص لكل جولة من الجولات على سطح القمر سبع ساعات ، ربما يعود ذلك الى التقيد بامكانات الحفاظ على الحياة داخل الملابس الفضائية • كنا نثقب ونحفر في السطح، ونجمع الصخور والتراب،ونلتقط صورا فوتوغرافية لا تعد • وفي اعتقادي ان الصور تزودنا بمواثيق تتجاوز الزمن ، لاننا ربما كنا نصور بذلك ماضي كوكبنا السحيق بعينه •

كانت سيارتنا الروفر تعمل بدون توقف حيث نستقلها من مكان الى مكان ، جامعين بذلك شذرا من التاريخ • لقد كنا نعلو ونهبط اثناء مرورنا بحفر تشبه فوهات البراكين وهي منتشرة في كل مكان • وكانت حركاتنا هذه تشبه على وجه التحديد حركة القارب الصغير الذي يسدر في بحر هائج ، مع ان مجهودنا الجسمي لم يكن يقل عن المجهود الذي يبذل في مثل ذلك العمل•ان دوار البحر في بيئة القمر القاحلة يمكن ان يصبح كما يبدو مخاطرة عملية غير معقولة •

كنا بعد كل جولة من جولاتنا نصعد عائدين الى المركبة خائرى القوى ، حيث يوجد الاوكسجين والغذاء والماء . وكانت مركبتنا تشبه بذلك ارضا اصطناعية صغرى توفر لنا اسباب الراحة فى ساعات الفراغ .

لقد كان نزعنا لبدلات الفضاء وتنظيمنا لثنايا المركبة يستغرق منا مدة من الزمن لا تقل عن ساعتين . كنا نشم فى الدقائق العشرين الاولى رائحة منتشرة شبيهة برائحة البارود من جراء الغبار القمرى الذى كنا نجتازه . كان باستطاعتنا استعمال جهاز تنقية الهواء الذى يطرد الروائح الكريهة فورا ، الا ان ذلك لم يكن ممكنا حيال الغبار القمرى اللزج الناعم الذى يعلق بكل شىء . وسيكون من الاستحالة بمكان ـ بعد عودتنا الى الارض ـ ان تنجح عملية تنظيف أيا كانت فى تغيير اللون الرمادى الذى اكتسبته بدلاتنا الفضائية من القمر ، واعادتها الى لونها الابيض الاصيل .

كنا نخلق جوا شبيها بالليل كى نستغرق فى نوم عميق ، لقد جللنا فتحات المركبة بستائر غير شفافة لتحول دون تسرب اشعة الشمس الخارقة المنعكسة من سطح القمر . لم نقوم بعد ذلك بعادية نشاطات الغروب البسيطة التى تجرى على الارض بما فى ذلك نزع الاضواء التى فوق رؤوسنا . وحين كنا نطفىء فى النهاية كل تلك الانوار ، نفىء الى الارجوحة الشبكية ، ومع انى لم اكن اجدها مريحة على الارض اطلاقا ، الا اننى استطعت بجسمى ذى الثلاثين كيلوغراما من ان اتكيف بشكل جيد معها مما جعلنى اغط فى نوم عميق .

* * *

كان ولوجنا المتواصل فى سيارة الروفر اثناء جولتنا الثالثة والاخيرة قد بدا يشعرنا باننا على ارضنا فى موطننا الجديد هذا ، لقد بدت فوهات البراكين شيئا مالوفا ساعدنا فى قياس المسافات . وقد خاطرنا فى الافق بدون قلق ، ونحن اول رواد نفعل هذا . هل يمكن يا ترى ان يتعطل هذا الجهاز المعقد الذى يدير سيارة الروفر ؟ . ان لدينا بوصلة شمسية من الكرتون المقوى صنعها احد فنيى هيوستن وهى جهاز صغير مغطى بغبار قمرى ويضعف بفعل ضوء الشمس القمرى العنيف ، مما سيمنحنا قدرة على مواصلة السير . ولكن قناعاتنا الجديدة بدات تنبع من فهمنا وتعرفنا على ما يحيط بنا اكثر مما تنبع من الآلات التى نملكها .

لقد بلغت بنا الجراة فى طريق عودتنا سلوك طريق مختصر . ووثبت عربتنا وثبات كثيرة عبر التموجات الارضية والجذور البركانية التى حجبت عنا رؤية مركبتنا الفضائية لعدة دقائق . ولكن بلغنا هدفنا اخيرا .

وحين وصلنا الى المركبة الفضائية عانيت من شعور بخسارة وشيكة الحدوث ، سأترك القمر فورا وربما الى الابد . بدات اشعر بتأثر غريب نحو رفيق الارض المسالم غير المتغير .

رقيت السلم لآخر مرة ، وقفت وحدقت ثانية فى سيارة الروفر ، لقد بدت بديعة متزنة وقابلة لعملها الآتى ، وكان اتزانها فى وقفتها تلك بالغا تستطيع ان تبقى عليه لآلاف بل ملايين السنين ، بدون سائق ، مفقودة فى وحشة هذا العالم الميت . وسوف يربض الى جانبها هنا ، الجزء المتبقى من المركبة وباقى معدات رحلتنا المركبية كحراس اوفياء . ان خلو الفضاء الذى لا يحدث سوى تبدل طفيف لا يذكر على الاشياء ، سيمنح كل معلم من معالم رحلتنا طابع البقاء الذى يشبه الخلود ، بما فى ذلك آثار اقدامنا من الغبار القمرى اللزج .

لقد الحت علينا فكرة تقول بان وضع نهاية لرحلات ابوللو سيكون كفيلا بتسجيل آخر زيارة للانسان الى سطح القمر لامد طويل . أما اذا استمرت هذه الرحلات فان معظم العلماء يقترحون ان تتركز جميع الجهود للوصول الى المريخ ، بل الى ما هو أبعد منه . وعلى هذا القرار ، فان صناعاتنا القمرية التى ستنخرط فى سباقها الى الكواكب يمكن ان تبقى دائمة ابدية بدون انقطاع .

حين أمسكت بسلم العربة رفعت بصرى ـ الذى كان منصبا على سطح القمر المالوف ـ الى كوكب الارض الذى كان يتألق فى السماوات الداكنة كان ذلك العالم الازرق الجميل النابض بالحياة محببا الى النفس ، ولكنه كان مع كل ذلك بات -

كان الضوء المنعكس من كوكبنا يضيء جنبات القمر الهادىء النائم بدرجة اكبر من تلك التي يحدثها تألق القمر في لياليا المقمرة .. ولاكثر من ستة ايام كان القمر رفيقنا في الفضاء

على التشويش بسبب ما فيه من الموازين الاجتماعية الخاطئة والمجاعات المنتشرة ، ونقص الطاقة الذى يمكن ان يدفع بنا الى البحث عن مصادر تعدو محيط الارض • ان المشتغلين برحلات ابوللو يعتقدون ان التقنية القادرة على استكشاف الفضاء نستطيع ، بل تساعد على حل معضلات كهذه ، لقد شعرنا باحساس مليء بالفخر نتيجة للانجازات التى حققها برنامجنا ، ولكننا لا نستطيع التنصل حتى الآن من شعور الاهتمام البالغ بكوكبنا ومصير الاجناس التى عليه •

لقد دفع بنا هذا الاهتمام الى ان نضيف اجهزة اخرى الى تلك التى خلفناها على القمر ، واننا نامل ان يشكل نتاج هذه الاشياء خلاصة لعصرنا في تاريخ الجنس البشري المتواصل •

ربما يمر في هذا السبيل . بعدنا في العصور القادمة ، رواد من اعماق الفضا ـ من المجموعات الشمسية في مجرات اخرى ـ وربما يجدون آثارنا واجهزتنا المهجورة • ان احدى اللوحات الالومنيومية المثبتة على الجزء المتبقي من مركبتنا تصور منتصفي كوكبنا ، وقد حفر عليها اسم سفينتنا الفضائية وتاريخ بعثتنا واسماء طاقمها • ان المخلوقات الذكية ستستنتج بسهولة من خلال هذه المعلومات

● كيف سرنا على القمر

والتجهيزات وحتى من خلال آثار اقدامنا ، اى نوع من المخلوقات نحن ، ومن اين أتينا ؟ • لقد خلفنا وراءنا كذلك جزءا من حيوان ارضى (ريشة صقر)، وشيئا من نبات ارضى (اربع صفائح من البرسيم) • كما تركنا الى جانب كل ذلك في احد التجويفات الصغيرة في الغبار القمرى شكلا مجسما لانسان في بذلته الفضائية ، وبمحاذاته لوحة معدنية اخرى تحمل اسماء اربعة عشر رائد فضاء ـ من الروس والامريكان ـ ممن وهبوا ارواحهم من اجل ان يجوب الانسان ارجاء الكون • واودعنا القمر في نهاية الامر كتابا فريدا من نوعه ، الا وهو الانجيل •

لقد انتهت رحلتنا بمزيج من العناء والبهجة ، وحظيت كاول رحلة علمية طويلة الى القمر بنجاح مذهل • وقد سرح طاقمنا بعد ان اعطى افاداته وساعد على تحليل النتائج التى توصل اليها •

★ ★ ★

اواصل عملى الآن في مركز جونسون الفضائى قرب هيوستن،ورغم مضى سنتين على تلك الرحلة، استطيع في حقيقة الامر ان اصفها لحظة بلحظة، وانا مع كل ذلك لا اكاد اصدق احيانا اننى قد سرت على القمر بالفعل •

وحين اتمشى في بعض الاوقات ، في ليلة خريفية منعشة او اسوق سيارتى على طريق تكساس المستقيمة العريضة ، انظر الى القمر الذى يعتلى سابحات الغيوم متلألئا مزهوا، وتتبين عينى تلك البقعة الاكثر دائرية على سطح القمر الفضى ، الا وهى (ميرامبريوم) •

هناك في الجانب الشرقى لتلك البقعة هبطت ذات مرة في سفينة فضائية ، واغلب الظن اننى لن اعود ابدا •

يثير ذلك في شعورا من الحنين الوطنى ، اننى حين انظر الى القمر لا المس فيه عالما آخر غريبا حوله ، اننى ارى فيه جسما مقنعا خطا الانسان عليه خطواته الاولى الى تخوم لن تكون لها نهاية على الاطلاق •

■■

ترجمة : بسلان قرقي ـ احمد صالح

احجية

● كان يحيى بن اكثم يمتحن من يريدهم للقضاء فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر امه فولد لكل واحد من امراته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لامه ·

رجل

● كان صعصعة بن صوحان عائدا من مكة فلقيه رجل فقال له : يا عبدالله كيف تركت الارض؟ قال:عريضة اريضة· قال : انما عنيت السماء قال : فوق البشر ومدى البصر · وقال : سبحان الله ، انما

لاتكونــوا لعانين

● حكى ان حجر بن عدى الكندى وعمرو بن الحمق الخزاعي كانا من أنصار علي بن ابى طالب يوم صفين وكانا يظهران البراءة واللعن من معاوية وأهل الشام ، فارسل اليهما علي بن ابى طالب ان كفا عما يبلغنى عنكما ، فأتياه فقالا : ياأمــير المؤمنين : السنا محقين ؟ قال : بلى،قالا :اوليسوا مبطلين في حربهم لنا ؟ قال : بلى قالا : فلم منعتنا من شتمهم والتشهير بهم؟قال : كرهت لكم ان تكونوا لعانين شتامين، ولكن لو وصفتم مساوىء اعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا ومن عملهم كيت وكيت، كان ذلك أصوب في القول وابلغ في العذر،ولو قلتم مكان لعنكم اياهم وبراءتكم منهم ، اللهم احقن دماءنا ودماءهم ،واصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق منهم من جهله ويرعوى عن الغي والعدوان من لهج به كان هذا احب الي وخيرا لكم ·

مال الــدولة

● قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما أحد احق بمال الدولة من أحد ، وما أنا أحق به من أحد ، والله ما من أحد من الناس الا وله فى هذا المال نصيب فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته · والله لئن امتد بى العمر ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من المال وهو فى مكانه يرعى الغنم ·

حكمة بليغة

● قالت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها : جعل الايمــان تطهيرا لكم من الشرك ، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر والزكاة تزكية للنفس ونماء فى الرزق والصيام تثبيتا للاخلاص ، والحج تشييدا للدين ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر مصلحة للعامة ·

بلـيغ

أردت السحاب قال : تحت الخضراء وفوق الغبراء • قال : انما اعنى المطر ، قال : قدعفّى الاثر وملأالقتر وبل الوبر، ومطرنا احيى المطر قال : انسى انت ام جنى ؟ قال : بل انسى من امة رجل مهدى •

ثــلاث

● قال القائد العباسى طاهر ابن الحسين : ينبغى للملك الا يقدم على ثلاث : الظلم ومنه ينتظر العدل ، والبخل ومنه يتوقع الجود، والعجلة ومنه تلتمس الاناة •

اخلاق الكبار

● كان عقيل بن علفة رجلا شديدالهوج والعجرفية والبذخ ، وكان يفتخر بنسبه وحسبه لايرى له كفوًا ، وهو من بيت شرف فى كلا طرفيه ، قيل أن يزيد ابن عبد الملك خطب ابنته الجرباء (لقبت بالجرباء لفرط جمالها) فقال عقيل : قد زوجتكها على ان لايزفها اليك اعلاجك ،بل اكون انا الذى أجيء بها اليك •

ثم مضى على ذلك زمن ، فدخل الحاجب على يزيد بن عبد الملك وقال : بالباب اعرابى على بعير معه امرأة فى هودج ,فقال يزيد : أراه والله عقيلا ، ثم أناخ عقيل بعيره وأخذ بيــد الجرباء ودخل بهاعلى الخليفة فقال له : هذه زوجتك فضع يدك فى يدها بارك الله لك بها •

وقد حملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونحله (اى اعطاه منحة) ثم مات الصبى فورثت امه الثلث ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب يزيد الى عقيل بن علفة : ان ابنك وابنتك هلكا ، وقد حسبت ميراثك منها فوجدته عشرة آلاف دينار فهلـم فاقبضـــه ، فكتــب اليه عقيل : ان مصيبتى بابنى وابنتى تشغلنى عن المـال وطلبه ، فلا حاجة لى فى ميراثهما ، وقد رأيت عندك فرسا سبقت عليه الناس فارسله الى اجعله فحلا لخيلى ، وابى ان يأخذ المال فبعث اليه يزيد بالفرس •

اتهــام

● دخل أحــد الاعــراب يوما علـى عبد الملك بن مروان فقال له : ياأخا العرب صف لى الخمر وأوجز فقال :

شمول اذا نشَّت وفى الكأس مزة
لها فى عظام الشاربين دبيب
تريك القذى من دونها وهى دونه
لوجه اخيها فى الانــاء قطوب

فقال عبد الملك بن مروان : ويحك يا اعرابــى ، لقد اتهمــك عنــدى حسن صفتك لها ، قال : ياأمير المؤمنين واتهمك عندى معرفتك بحسن صفتى لها •

ايمون ديفاليرا

محرر ايرلندا وزعيم ثورتها

● طالعتنا الصحف العربية بنبأ وفاة رئيس جمهورية ايرلندا ايمون ديفاليرا من عمر يناهز الثانية والتسعين ، بعدحياة حافلة بالكفاح من اجل تحرير بلاده واستقلالها ، فهل لكم ان تزيدوناعلما بحياة هذا الرجل والدور الذى قام به ٠

عثمان محمد ـ الخرطوم٠

ـ يعتبر ايمون ديفاليرا Eamon Devalera واحدا من اهم وابرز الزعماء السياسيين الذين قادوا بلادهم الى الحرية والاستقلال فى القرن العشرين ٠ فقد تزعم ديفاليرا الثورة ضد انجلترا وضد الحكم الانجليزى بدافع من حبه لهذا البلد « ايرلندا » ٠٠ البلد الذى اعطاه عصارة فكره وعلمه وقوته وشجاعته، فكان جزاؤه السجن والتشريد ، والتعرض لكل محاولة للتفريق بينه وبين الشعب الذى احبه واخلص له وحمل قضيته فى راسه وقلبه ولم يتخل عنه ابدا حتى عندما قادوه وراء القضبان وظنوا انهم سوف يقضون عليه فى سجنه !

فقد تمكن ديفاليرا من الهرب ليصبح بعد ذلك زعيم الثورة الايرلندية العارمة التى اذلت الاسد البريطانى واصابته بجرح لايندمل ٠

ولد ديفاليرا فى مدينة نيويورك الامريكية فى عام ١٨٨٢ ، من اب اسبانى احترف الموسيقى ، وام ايرلندية تنتمى لاسرة فقيرة تعيش فى ريف ايرلندا ٠٠ وفى هذا الريف وبين حقوله ومزارعه واشجاره الوارفة ، نشا ديفاليرا عندما قررت الام ان ترسل ابناءها الى خالهم الذى لم يفترق من الارض يوما ، لكى يعنى بهم ويشرف على تربيتهم ٠٠ وفى هذا الريف ايضا تلقى ايمون الصغير اول دروس الحياة وسط افراد اسرة امه الذين كانوا يتقدون حماسا ووطنية ٠٠

وكبر الصبى وتعلم واصبح مدرسا ، وعشق الرياضيات وتبحر فيها حتى اصبح استاذا فى الجامعة ٠٠ الى ان جاء اليوم آخيرا الذى دخل فيه ديفاليرا التاريخ عندما دفعه حماسه ووطنيته الى الاشتراك فى ثورة عيد الفصح التى قام بها الجيش الايرلندى الحر ، وكان هذا الجيش وقتها منظمة خارجة على القانون ، وكان ايمون واحدا من رجاله برتبة كابتن ٠

وقد عرفت هذه الثورة بثورة عيد الفصح Easter Rising ، وكان ذلك فى عام ١٩١٦ ، واستطاع الجيش الحر ان يصمد وان ينزل الهزيمة بالقوات النظامية بعد ستة ايام من القتال الذى

اسفر عن سقوط اكثر من مائتى جندى حكومى.

وكان من الممكن ان ينفذ الانجليز حكم الاعدام فى ايمون ديفاليرا اسوة ببقية زعماء الثورة . لولا انه استطاع ان يقدم مايثبت انه مازال يتمتع بالجنسية الامريكية ، واستبدلوا حكم الاعدام بالاشغال الشاقة المؤبدة . ولكنه خرج من سجنه ليصبح رئيسا للحكومة الايرلندية السرية . ولم تستمر حكومته تحت الارض طويلا اذ سرعان مابدات هذه الحكومة الوطنية الثورية تخرج من مخابئها وتحكم البلاد ، لم تجلس على مائدة المفاوضات مع الحكومة الانجليزية برئاسة لويد جورج فى لندن لتوقيع اول معاهدة من نوعها تحمل بذور التطور للمستقبل ، ولكن ديفاليرا اعترض على بنود المعاهدة التى نصت على استمرار الولاء لملك انجلترا ، وعلى تقسيم ايرلندا . ومضى فى كفاحه حتى استطاع ان يقف ببلاده على الحياد فى الحرب العالمية الثانية .. وهو موقف اكسبه احترام وتقدير الشعب الايرلندى . حتى الجنود الذين شاركوا مع القوات البريطانية فى حربها ضد المحور . لقد عادوا من ميادين القتال ليشيدوا بحكمة قائدهم وزعيمهم .

وعندما قرر ديفاليرا التقاعد فوجىء بهم ينتخبوه رئيسا للجمهورية ، وبقى فى منصبه يرقب ما يحدثه السياسيون من تغييرات فى صمت الى ان انتهت مدة رئاسته للمرة الثانية فى عام ١٩٧٣ .

وفى احد البيوت المخصصة لرعاية المسنين ، بالقرب من مدينة « دبلن » ، العاصمة التى شهدت كفاحه وصراعه ، ذهب ديفاليرا وزوجته ليعيشا ويستعدا لمواجهة مصيرهما المحتوم . وفى شهر اكتوبر الماضى مات ديفاليرا قائد ثورة ايرلندا ، الزعيم الذى ارتبط اسمه وارتبط كفاحه بكفاح الزعيم الخالد سعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩ فى مصر ضد الانجليز .. حتى قال بعض غلاة المستعمرين الانجليز وقتها « يبدو وكانهما كانا على موعد لاعلان الثورة علينا ..! »

قالوا عنه : « لقد كان ديفاليرا واحدا من الرجال القلائل الذين دخلوا التاريخ فى هذا القرن ، فقد وضعه كفاحه فى مصاف هؤلاء الرجال امثال ديجول فرنسا ، واديناور المانيا ، وتشرشل انجلترا ، وربما كان دوره اكبر واعظم . »

م . ن

هارولد ولسن
ذو نزعة دكتاتورية فى نظر وزرائه

● من هو رتشارد كروسمان . ولماذا اثارت مذكراته الضجة التى اثارتها . هل بين محتويات هذه المذكرات ما له صلة بالنزاع العربى الاسرائيلى ؟

- رتشارد كروسمان هو السياسى البريطانى المعروف ، الذى توفى فى السنة الماضية (١٩٧٤) عن عمر يناهز ٦٧ سنة . وكان اشتراكى المذهب ، من اعضاء حزب العمال البارزين . وشغل مناصب وزارية مختلفة . وهو كاتب ، وعمل فى الصحافة ثم اصبح رئيس تحرير صحيفة النيوستيتسمان البريطانية الاسبوعية المعروفة (١٩٧٠ - ١٩٧٢).

وتجدر الاشارة الى الصلة الوثيقة التى كانت لرتشارد كروسمان بالنزاع العربى الاسرائيلى . فقد كان احد اعضاء اللجنة الانجلوامريكية التى شكلت للتحقيق فى القضية الفلسطينية سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ . واشتهر بعد ذلك بتاييده الصهيونية ومناصرته اسرائيل التى زارها مرارا وكتب عنها الكثير . بيد ان كروسمان عدل رايه

في آخر ايامه وكتب مقالا ينصح فيه اسرائيل بضرورة مجابهة الواقع ومواجهة الحقائق العربية.

اما المذكرات التي تركها كروسمان ، والتي بدات صحيفة الصنداي تايمز بنشرها تباعا منذ مطلع السنة الحالية ، فاغلب الظن انها لا تتعرض لشئون السياسة الخارجية عامة ولا للنزاع العربي الاسرائيلي بصفة خاصة . نقول اغلب الظن لان المذكرات لم تنشر كلها بعد ، ولاننا لم نقرأ كل ما نشر منها .. والمعروف انها تركز على شئون السياسة البريطانية الداخلية ، وتعتبر ، في نظر البعض ، من اهم الكتب التي تتناول تلك السياسة ان لم تكن اهمها اطلاقا .

على ان اهم ما يذكر عن مذكرات كروسمان الملاحظات الساخرة والاشارات اللاذعة التي تضمنتها وهي كثيرة . من تلك الملاحظات ، على سبيل المثال ، ما ينسبه كروسمان الى المستر ولسن رئيس الوزراء من نزعة الى الدكتاتورية . فهو يتخذ القرارات الرئيسية،قرارات السياسة العليا، منفردا ، وكثيرا ما يتجاهل وزراءه فلا يحيطهم علما بتلك القرارات في حينها . ومن تلك الملاحظات ما ينتقص من قدر الملكة اليزابث ، وهي كما يقول كروسمان ، لا تولي شئون الدولة من اهتمامها بعض ما تولي كلابها وخاصة كلاب كورجي Corgi .

لا عجب اذن ان قررت حكومة العمال اعتبار مذكرات كروسمان من الوثائق السرية التي لا يجوز الكشف عنها الا بعد مضي فترة طويلة من الزمن ، حددوها في السابق بخمسين سنة ثم خفضت الى ٣٥ سنة . وهذا يعني ان حكومة المستر ولسن حظرت نشر المذكرات او طبعها في كتاب او بالتسلسل في الصحف والمجلات حتى تنقضي الفترة المذكورة .

بيد ان صحيفة الصنداي تايمز البريطانية (وهي اسبوعية كما هو معروف) تجاهلت موقف الحكومة هذا ، وخطت خطوة جريئة جدا حين اقدمت على نشر مذكرات كروسمان بالتتابع ، كما اشرنا .

والغريب ان الحكومة البريطانية لم تتخذ اي اجراء قانوني ضد الصنداي تايمز .

وكان لهذا الموقف الشجاع اثره في حصول صحيفة الصنداي تايمز على جائزة كبيرة منحتها اياها احدى المؤسسات الصحفية الامريكية .

(ي . ز)

بورتوريكو ..
هل هي امريكية ؟

● قرأنا في الصحف عن مطالب الحزب الاشتراكي في جزيرة بورتوريكو بالاستقلال التام للجزيرة..وكنا نعتقد ان بورتوريكو هي ولاية تابعة للولايات المتحدة الامريكية .. ولم نجد حلا لهذا الموضوع الا بالتوجه اليكم لافادتنا عن حقيقة وضع هذه الجزيرة.

احمد شهاب صالح العولقي عدن

ـ بورتوريكو Puerto Rico هي واحدة من بين ٣٠ بلدا ودولة تقع في البحر الكاريبي بين الامريكتين .. ومساحة بورتوريكو ٣٤٣٥ ميلا مربعا .. مليئة بالتلال ، يتوسطها جبل ارتفاعه ٤٣٩٢ قدما..مياه المحيط الاطلسي تغسل سواحلها الشمالية ، ومياه بحر الكاريبي تغسل سواحلها الجنوبية .. عدد سكان الجزيرة ٢٫٧٩٤٫٠٠٠ نسمة (احصاء ١٩٧٢) غالبيتهم يتحدثون اللغة الاسبانية وان كانت اللغة الانجليزية اصبحت منتشرة على نطاق واسع ..

انتاجها الرئيسي كان السكر والروم والكحول الى جانب السياحة المزدهرة .. ولكن تدفق رؤوس الاموال الامريكية خلق فيها صناعات كهربائية والكترونية وكيماويات بترولية كبيرة .. وقد ادى قيام هذه الصناعات الحديثة الى حدوث انقلاب في اوضاع الجزيرة .. فحتى عام ١٩٤٥ كانت الهجرة تتجه من بورتوريكو الى الولايات المتحدة.. وفجأة تبدل الوضع وانقلبت الاوضاع ، وزاد عدد القادمين الى الجزيرة عن عدد المغادرين بمقدار ٣١ الف نسمة في عام ١٩٧٣ .

لقد اكتشف كريستوفر كولمبس جزيرة بورتوريكو في ١٩ نوفمبر ١٤٩٣ واحتلها الاسبان عام ١٥٠٩ ثم جاء البريطانيون عام ١٨٩٨ وفي نفس هذا العام عقدت معاهدة باريس ، وبموجبها تخلت بريطانيا للولايات المتحدة عن جزيرة بورتوريكو . وفي ٥ اغسطس ١٩٤٧ وقع الرئيس الامريكي ترومان مرسوما اعطى

بموجبه الحق لشعب الجزيرة بانتخاب رؤسائه التنفيذيين ، وفى ٤ يونيو ١٩٥١ صدر مرسوم آخر يسمح لشعب الجزيرة باصدار دستور خاص بهم ، جاء شبيها بالدستور الامريكى ٠٠ وفى ٣ يوليو ١٩٥٢ وقع ترومان قرارا للكونجرس الامريكى يوافق فيه على العمل بالدستور الجديد ويجعل من بورتوريكو بلدا حرا فى نطاق نظام كومنولوث مع الولايات المتحدة الامريكية ، واصبح اسمها الرسمى Commonwealth of Puerto Rico والحياة النيابية فى الجزيرة تتمثل فى جمعية تشريعية تضم مجلسى نواب وشيوخ ينتخب الشعب اعضاءهما مرة كل ٤ سنوات٠٠والسلطة التنفيذية منوطة بحاكم منتخب،و١٢ ادارة مختلفة على راس كل منها سكرتير دولة ٠

وقد اجرى استفتاء شعبى فى الجزيرة عام١٩٦٧ كانت نتيجته تاييدا شاملا لاستمرار بقاء الجزيرة فى مرتبة دولة كومنولث حرة

ولا يخفى ان اهالى بورتوريكو يحملون الجنسية الامريكية ، ولكنه لايحق لهم الاشتراك فى انتخابات رئيس الولايات المتحدة ، الا اذا كانوا من المهاجرين للولايات المتحدة ، وبهذا يكونون خاضعين للقوانين المحلية المعمول بها هناك ٠

س ٠ ز

ابن حزم وكتابه

« الفصل فى الملل والأهواء والنحل »

● قرأت مقالة عن ابن حزم ، اشير فيها الى كتابه فى الملل والنحل ، وتهجمه العنيف فيه على مخالفيه ، فمارأيكم فى هذا الكتاب ومؤلفه ، وهل ترون مثل هذا الاسلوب يصلح اليوم فى البحث والمناظرة ؟

كنـدا   حكم توفيق ابو زهرة

ـ ابن حزم (ابو محمد ، على بن احمد بن سعيد بن حزم) علامة اندلسى موسوعى ، كان من ابناء الاكابر جاها وثراء فى اواخر الدولة الاموية لاندلس ، ولد سنة ٣٨٤ هـ ، وتربى حتى شب منعما فى قصر ابيه بين النساء ، ثم خرج الى المجتمع يتمرس باهله ويتلقى علومه على شيوخ عصره ، فحصل من الثقافة الاسلامية على صفوة يمكن ان يحصل عليه يومئذ طلابها الافذاذ ، تنقلت به فتن عصره يومئذ بين الوزارة (كابيه) حينا ، والسجن والتشرد احيانا ، ثم عكف فى اخريات حياته على التاليف وحده ، وله فيه فرائد، ككتابه « طوق الحمامة » فى الحب ، وكتابه ايضا فى « الملل » ، وقد بلغت مؤلفاته ـ كما ذكر ابنه ـ نحو اربعمائة ، صفحاتها نحو ٨٠٫٠٠٠ صفحة ، وهى فى علوم اسلامية شتى وبعضها فى الاخلاق والمنطق والتاريخ ، وكان متبحرا فى كل المذاهب الاسلامية شريعة وعقيدة ، وفى عقائد الطوائف غير الاسلامية ، وقد تحـول فى الفقه من المذهب

المالكي الى الشافعي ثم بقي على المذهب الظاهري حتى وفاته سنة ٤٥٦ . مخالفا بذلك جمهور الاندلسيين .

وكان جريئا مستقل الفكر معتدا برايه وثقافته، فثبت لكل حملة ، ورد على كل خصومة ، وكان عنيفا في جدله ، حتى قيل ان قلمه كسيف الحجاج مضاء ، ولكنه كان مثلا في الصلاح واستقامة الخلق والعفة والنزاهة .

وليس كتابه في الملل من كتبه الكبار بل من اواسطها ، ولكنه اوسع ما كتب في موضوعه في جميع اللغات قبله ، ويعد اول دراسة شبه مقارنة للملل والنحل القديمة ولا يفوقه في ذلك الا ما كتب حديثا في تاريخ الاديان والمقارنة بينها بعد الكشوف الاثارية . والاسم الكامل لكتابه هو « الفصل في الملل والاهواء والنحل » وقد طبع في خمسة اجزاء بالقاهرة . وعلى هامش اجزائه الثلاثة الاولى كتاب يقاربه في موضوعه واسمه كتاب « الملل والنحل » للشهرستاني .

وقد بدا كتابه بالكلام على كبار الفرق المخالفة للاسلام من الفلاسفة واتباع الاديان الاخرى ، فهو يذكر اراءهم المخالفة في نظره للاسلام ، ويذكر ادلتهم عليها بامانة ثم ينقضها بادلته ، ومن هذه الفرق السوفسطائية والنصارى واليهود والسامرة والمجوس والصابئة والحنفاء ، وما في بعض كتبهم من تناقض وتحريف .

ثم يتناول الفرق الاسلامية ، فيذكر بعض ارائها المخالفة عنده للاسلام ، في موضوعات شتى ، منها : صفات الله والمعجزات واعجاز القرآن ، ومسائل الايمان والكفر والفسق ، والقضاء والقدر ، وافعال البشر ، وصفات الانبياء والملائكة وعصمتهم ، وامور الآخرة وخلود الروح، ومن الفرق الاسلامية التي تعرض لآرائها ورجالها فرق الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة ،وآخرون لا تعرف فرقهم ، ثم الاشعرية ، وخلال ذلك يعرض كثيرا من الآراء الفلسفية والكلامية والمنطقية . كما يستطرد ـ ولا سيما في اخر كتابه ـ الى مسائل طبيعية كالقول بكروية الارض والافلاك والنجوم والبقاء والفناء ، والجوهر والعرض ، والحركة والسكون،والالوان،والجوهر الفرد(الذرة) وقد ضم في هذا الكتاب كثيرا مما حوته كتبه التي الفها قبله .

ولم يقصد من كتابه هذا ان يكون سجلا امينا لما عرض له من الملل والنحل واصحابها وآرائهم . وان حوى كثيرا من ذلك ، ولكنه اراده كتاب مناظرة لهذه الآراء والرد على ما يخالف الاسلام عنده فيها ، وكان الفضل لابن حزم ان يسلك الطريق *الوسط الذي يسلكه النوابغ المعدلون* من مؤرخي الفلسفة واهلها اليوم ، بتقديم آراء اصحابها وحججهم والتعقيب عليها بالنقد الموضوعي ولكن ابن حزم في رده على آراء مخالفيه ينبزها كما ينبزهم بالالقاب الشائنة ، ونحن لا نقر طريقته ، ولكن لا بد من الاشارة هنا الى ان اصحاب الفرق الدينية يومئذ ولا سيما اليهود كانوا يعملون بكل وسيلة على افساد الاسلام واهله ، ويرجمون معارضيهم باغلظ الالقاب ، ويختلقون لهم التهم الفاحشة ، ويتقولون عليهم الاكاذيب ، ويشوهون آراءهم عند عرضها ، لينفر الناس منهم ومنها ، ولم يؤثر ادنى شيء من ذلك عن ابن حزم ، بل كان امينا في عرض آراء مخالفيه وحججهم ، بل قد يسند آراءهم بحجج من عنده ، ثم يكر عليها مفندا اياها بحجج موضوعية ، مع نبزهم ونبزها بما يستحقونه وتستحقه عنده من القاب ، ومن اعذاره ان قذف المؤلفين بمثل ذلك كان مالوفا بين المتناظرين من تلك الطوائف في ذلك العصر وقبله ، ولم تزل بقاياه في اخلاقهم حتى الآن ، ثم من اعذاره مرض طحاله ، وقد اعترف هو بان مرضه هذا قد دفعه كثيرا الى اعمال كان ينكرها على نفسه ، اذ ينسيه مرضه ما طبع عليه من سماحة ورفق ، بل دعابة وفكاهة ، ولا نجد خصومه من لهم مثل امانته واعذاره ، ولعل ذلك مما يهون كل مايؤخذ عليه .

م . غ . ت

بقلم : محمد فايد هيكل

■ ماالحب ؟ ٠٠ كيف يتكون في النفس وينشأ؟ اصحيح ان الحب الحق لايكون الا من اول نظرة ؟ ام ان الحب الذى يتكون فى امد متطاول يكون اكثر تعمقا فى وجدان المحب واصعب زوالا ؟ ٠٠ اهناك ارتباط بين الحب وجمال الصورة فلا يحب الانسان الا حيث يجذبه الجمال الجسدى ، ام يميز المحب ما وراء مظهر المحبوب من الطباع والسجايا ، فتكون هى سر انجذابه اليه وعلة تعلقه به ؟ هل يفسر الحب بالرغبة الجنسية وحدها ؟ هل يتنافى معها ؟ هل يحتويها ضمن ما يحتويه من دوافع وانفعالات ؟ لماذا يتجه حب الرجل الى امراة دون غيرها ؟ او حب المراة الى رجل دون غيره ؟ ايدين الحب بالتوحيد أم بالتعديد ؟ الا يمكن ان يتعدد المحبوب ؟

من هم المحبون ؟ اهم النازعون من الناس ضعاف العزائم ضيقو الاحلام ؟ ام هم اصحاب الحس المرهف والعواطف الجياشة والافكار السامية والذكاء والفطنة ؟ هل يعد الحب عجزا عن ضبط الارادة او يعد قدرة فعالة ، ودافعا مثيرا للمواهب الكامنة فهو نعمة يمتاز من رزقها على من حرمها؟ ـن ضعف معدن الحب ام من قوة ؟

والرجل اذا اظهر حبه لمحبوبته وبثها لواعجه ، ـسترضاها ، واحتمل دلالها ، ولم يثنه عن حبه ـاضها ، وصبر على مايلقاه من اذى فى سبيلها، ايعد مريض النفس فينتقص ذلك منه ؟ ام ان الشغف بالمحبوب والتعبير عن ذلك الشغف ،والصبر عليه امارة صحة نفسية وعنوان تكوين طبيعي لاشائبة فيه ؟ ايوضع الشعور بالكرامة فوق الحب؟ ام ان ظفر الرجل بمن يحب هو الكرامة الحقة التى ترضى كل شعور للرجل فى كيانه ؟

لم تتفق الاجوبة

تلك اسئلة فى الحب يسالها الناس شبابا وشيبا ، قدامى ومحدثين ، وتعبر بالاذهان او تختلج فى النفوس ، متفرقة ومجتمعة ، وقد سالها فلاسفة وعلماء ، واحترق بنار الحيرة فيها شعراء وادباء،ولم ينفرد بجوابها واحد، ولا اتفقت الاجوبة فى ناحية منها ، منذ ان كتب افلاطون محاورة المائدة ، حتى عهد الباحثين النفسانيين فى العصر الحديث ٠

الاسلام والحب

ومن عجب ان ائمة الدين فى الاسلام ومفكريه القدامى كان لهم جهد موفق فى تفسير الحب وتعليله ، واستبطان خلجاته فى نفوسهم وملاحظة اعراضه فى المحبين سواهم ، وتسجيل ذلك ووصفه، وتصنيفه وتبويبه ، والاطناب فى رصد اسبابه ونتائجه ، على ما كان لهم من فضل وورع فى

تدينهم واخلاقهم ، وما كان لهم من الفقه والعلم بالدين عقيدة وشريعة ، ويكفى ان نذكر من هؤلاء ابن حزم ، والغزالى ، وابن داود الظاهرى وابن القيم ، وابن سينا ، وابا حيان التوحيدى ، واخوان الصفا ، وكل عالم من هؤلاء اما صاحب منهج فى الفكر الدينى يرتفع به الى مقام الريادة فى مذهبه ، واما فيلسوف نشا فى احضان الثقافة الاسلامية ، فحين كتب فى وصف الحب وعلاماته واقسامه لم ينكر عليه احد من اهل الدين شيئا وتقبلوا كلامه بقبول حسن ، افلا يدل ذلك على ان اعلام الاسلام كانوا ذوى جوانب متعددة ، فلم يحجموا عن تناول ضرب من البحث قد يحسبه المتزمتون اليوم مضيعة للوقت ، ولغوا من المقال ؟

ولا ادل على تسامح الاسلام مع المحبين من عطف الرسول صلى الله عليه وسلم على العاشق وتشفعه له عند معشوقته وذلك فى قصة « مغيث وبريرة » لما رآه النبى صلى الله عليه وسلم يمشى خلفها ودموعه تجرى على خديه ، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو راجعته »؟ فقالت : « اتامرنى يا رسول الله ؟ » فقال : « انما اشفع » ، فقالت ، « لا حاجة لى به » فقال لعمه العباس : « يا عباس ، الا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغضها (١)» ؟

وكان الخلفاء الراشدون يتشفعون للمحبين داب الرحماء من الناس فى كل زمان • فقد جاءت جارية الى عثمان بن عفان رضى الله عنه تستعدى على رجل من الانصار ، فقال لها عثمان • ما قصتك ؟ فقالت كلفت يا امير المؤمنين بابن اخيه، فما انفك اراعيه • فقال عثمان له : اما ان تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالى ، فقال : « اشهد يا امير المؤمنين انها له » •

الحب عند اخوان الصفا

ما حقيقة الحب اذن ؟

اجاب الاسلاميون على هذا السؤال اجابات متعددة • فرأى اخوان الصفا انه الشوق الى الاتحاد الروحى بالمحبوب عن طريق الاتصال الجسدى • اما الجسد نفسه فلا اتحاد فيه اذ الاتحاد من خاصة الامور الروحانية ، والاحوال النفسانية، لان الامور الجسمانية لايمكن فيها الاتحاد بل المجاورة والممازجة والمماسة لا غير (٢) • فمذهبهم مصداق لقول ابن الرومى :

اعانقها والنفس بعد مشوقة
اليها ، وهل بعد العناق تدانى؟
والثم فاها كى تزول حرارتى
فيشتد ، ما القى من الهيمان
وما كان مقدار الذى بى من الجوى
ليشفيه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله
سوى ان يرى الروحين تمتزجان

فاذا سالت اخوان الصفا : ما السبب فى ان يكون المحبوب شخصا بعينه دون سائر الاشخاص ؟ رجعوا فى الجواب الى ما يعتقدونه فى احكام النجوم وردوه الى الموافقة فى مواليد الابراج الفلكية ولهم فى ذلك حسابات للطوالع يشرحونها فى رسائلهم وذلك موطن الضعف فى نظرتهم •

الحب عند ابن حزم

اما الامام ابن حزم ـ وهو اشهر من كتب عن الحب بين فقهاء الاسلام ـ فيرى فى كتابه « طوق الحمامة » ان الحب ، اتصال بين اجزاء النفوس المقسومة فى هذه الخليقة فى اصل عنصرها الرفيع، فتشاكل الطباع هو علة المحبة ، وتنافرها هو علة الكراهية ، والطباع عنده غير الاخلاق ، فالاخلاق مكتسبة ، اما الطباع فهى شىء فى ذات النفس ، وذلك المبدأ لا ينطبق على الانسان فحسب بل يسرى على جميع المخلوقات فى هذا العالم حية او جامدة • فسر التمازج والتباين فى المخلوقات انما هو الاتصال والانفصال،والشكل دأبا يستدعى شكله ، والمثل الى مثله ساكن (٣) • ونظرة ابن حزم هذه تختلف اختلافا دقيقا عن نظرة اخرى تسللت الى اذهانبعض العلماء منالفكر اليونانى، ومن اشهر من اخذوا بها ابن داوود الظاهرى صاحب كتاب « الزهرة » وخلاصتها ان الارواح اكر مقسومة اى ان كل انسان يملك نصف روح فقط • فهو يطلب النصف الآخر •

الحب عند ابى حيان التوحيدى

وفى مقابسة من مقابسات ابى حيان التوحيد يذكر ان استاذه ابا سليمان السجستانى الفيلسو

---

(١) الداء والدواء لابن القيم •
(٢) رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا •
(٣) طوق الحمامة فى الألفة والآلاف ـ لابنحزم الاندلسى تحقيق حسن كامل الصيرفى •

. ل عن العشق فقال : « انه تشوق الى كمال . بحركة دالة على صبوة ذى شكل الى شكله » • و ذا راى يكاد ان يجمع بين الآراء السابقة وان كن اشبه باتجاه ابن حزم ، ولكنه يحاول ان يفرق بين مفاهيم خمسة ، وهى العشق ، والمحبة ، والكلف ، والشغف ، والصداقة ، ويجعل المحبة اشد من العشق واقرب الى معنى الشوق الى الاتحاد عند اخوان الصفا • فهى محاولة الحال الى الاتصال اتصالا يرفع التميز رفعا ، ويقطع التحيز قطعا • والكلف « كانه اللزوم لشىء » ، والشغف قريب من الكلف وان كان اشد ارتفاعا فى ملازمته منه • اما الصداقة فهو يصفها وصفا برجع بها الى الالتزام الاخلاقى لا الى الانجذاب الطبيعى• فهى « صحة الظاهر بالموافقة وسلامة الباطن من المخالفة،واستقرارها على حد المواصلة بالمناصفة والمساعفة ، والايثار مع الاهتمام بكل دقيقة وجليلة ، والاحتياط فى كل ما حرس اسباب القوى والزلفة ، واطراح كل ما اشار الى المؤنة والكلفة (٤) ولا يجزم الفيلسوف بصحة تعريفاته ودقتها ، معتذرا بان هذه الالفاظ لم تصل اليه صحيحة تامة • وانما يصفها ائتناسا بها لا اطلاعا على جميع غوامضها وخوافيها •

الحب عند ابن سينا

ويفرق الفيلسوف ابن سينا تفريقا من نوع آخر بين العشق والشوق • فالعشق هو السرور بتصور المحبوب فى النفس او هو « الابتهاج بتصور حضرتذاتما•اماالشوق•فهومحاولةتتميمهذا الابتهاج المتصور فى النفس بالتحقق الحسى الواقعى • يقول ابن سينا : « والشوق هو الحركة الى تتميم هذا الابتهاج اذا كانت الصورة متمثلة من وجه ـ كما تتمثل فى الخيال ـ غير متمثلة من وجه ـ كما يتفق ان لا تكون متمثلة فى الحس ـ حتى يكون تمام التمثيل الحسى للامر الحسى فكل مشتاق فانه قد نال شيئا ما وفاته شىء ما (٥) » •

الحب عند ابن القيم

و‍ذكر الامام ابن القيم مراتب الحب فيجعل ادناها ما يسميه « العلاقة » واعلاها « الخلة » فالعلاقة : هى تعلق المحب بالمحبوب•تليها الصبابة وسميت بذلك لانصباب القلب الى المحبوب ، يليها الغرام ، وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه ، ومنه سمى الغريم لملازمته صاحبه • ومنه قوله تعالى : « ان عذابها كان غراما » • وقد اولع المتاخرون باستعمال هذا اللفظ فى الحب ، وقل ان تجده فى اشعار العرب • يليه العشق وهو افراط المحبة ، وبعده الشوق وهو سفر القلب الى المحبوب احث السفر • ثم التتميم وهو تعبد المحب لمحبوبه وحقيقة التعبد الذل والخضوع للمحبوب ، اما الخلة فهى تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لايبقى فى القلب سعة لغير محبوبه وهى منصب لايقبل المشاركة بوجه ما •

دراسة الغزالى للحب اصح دراسة

لقد رأينا كيف اختلف المفكرون الاسلاميون فى تحديد « ماهية الحب » ، ولعل سبب ذلك راجع الى ان كلا منهم قد نظر الى خاصية من خواص الحب فاستاثرت باهتمامه واحتفل بها وراح يعمم من خلالها الحكم على سائر الجوانب ، ويجعل منها تعريفا شاملا ، ولكن الامام الغزالى صاحب العقلية المتوازنة هو الذى نظفر عنده بدراسة كاملة يتعقب فيها اصول الحب واقسامه واسبابه ولا يندفع الى جانب دون غيره حرصا منه على اعطاء المسائل حقوقها العقلية كاملة كعهدنا به • وعلى الرغم من اشتهار ابن حزم بانه صاحب اتم مؤلف عن الحب فاننا نجد ان فضله يرجع الى كثرة الامثلة والشواهد واستقراء الاحداثالجزئية فى تجارب المحبين •

أما الغزالى صاحب العقلية التى تكافىء عقلية ارسطو فى الفكر اليونانى فيكتشف للحب اصولا متعددة واسبابا مختلفة ، ولايقف به عند اصل واحد ولا سبب منفرد دون ان يلتفت الى غيرهما من الاصول والاسباب •

فللحب والبغض اصول اربعة :

الاصل الاول : ان الانسان لا يحب الا ما يعرفه ويدركه ، فالمعرفة والادراك شرط سابق للحب

الاصل الثانى : ان الانسان لايحب الا مايوافق طبعه ويلائمه لانه يلذه ويسره ولايبغض الا ماينافر طبعه ويضاده لانه يؤلمه ويتعبه • والحب عبارة عن ميل الطبع الى الشىء الملذ ، فان تاكد ذلك

( ) المقابسات لابى حيان التوحيدى •

( ) الاشارات والتنبيهات لابى على بن سينا ـتحقيق د • سليمان دنيا •

الميل وقوى سمى عشقا ، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوى سمى مقتا .

الاصل الثالث : تختلف المحبوبات باختلاف الحواس والادراك،فلكل حاسةنوع للذةتلائموظيفتها، فالعين تلذ بابصار الصور الجميلة ، والاذن تلذ باستماع النغمات المتناسقة الموزونة .

الاصل الرابع : للاخلاق اثرها في تكوين الحب او البغض فكلما كان الخلق حسنا اوجب التحاب والتالف والتوافق ، وكلما كان سيئا ادى الى التباغض والتحاسد والتدابر .

هذه هي الاصول اما الانواع والاسباب ، فللحب خمسة انواع ينشا كل نوع منها عن سبب خاص به واول هذه الانواع : حب الانسان نفسه او ما يسمى بلغة علماء النفس المحدثين « عاطفة حب الذات » (٦) بالمحبوب الاول عند كل انسان نفسه وبقاؤها وكمالها . وهذا النوع من الحب اصل الانواع الاربعة الاخرى ، واهتداء الغزالي الى هذه الحقيقة يجعله سابقا لاصحاب مذهب النشوء والارتقاء ، اولئك الذين يجعلون « حب البقاء » اقـوى دوافـع الحياة الفردية والنوعيـة وسابقا للنفسانيين المحدثين ، ففي طبع الانسان ميل الى دوام وجوده ، ونفرة من العدم والهلاك وكراهية للموت والقتل ، والانسان يحب المال والولد والاهل ، لا لاعيانهـا بل لارتبـاط حظه في دوام الوجود وكماله بها، فهو يحب ولده لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه،فيكون فيبقاء نسله نوع بقاء له.

النوع الثاني : الحب الناشيء عن الاحسان فكل انسان يحب من احسن اليه فيما يرجع اليه في دوام وجوده ، فالانسان عبد الاحسان ، وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها ، وهذا بعينهما يقوله علماء النفس المحدثون حينما يرون ان عاطفة الحب قـد يكون من اسباب تكوينها تراكم الانفعالات السارة، وعاطفة البغض قد يكون اسباب تكونها تراكم الانفعالات المؤلمة (٧)

النوع الثالث : حب الشيء الجميل لذاته سوا كان جمالا ظاهرا او جمـالا باطنـا ، ولا يطلب المحب هنا حظا او احسانا يناله من المحبوب ، فالصور الجميلة ، والاخلاق الجميلة ، والسير الجميلة تحب لذاتها ، لا لقضاء وطر من ورائها .

النوع الرابع : يحب الانسان من كان محسنا الى الناس ولو لم ينل هو من احسانه ، كحب الصالحين من الناس والكرماء والابطال لمجرد السماع بهم دون مشاهدتهم او الاستفادة فائدة شخصية من افضالهم .

النوع الخامس : حب الانسان من كانت بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن . وهذا هو النوع الوحيد الذى راينا ابن حزم يبنى عليه رايهويسميه تناسب الطباع وهو الذى اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « الارواح جنود مجندة ، ماتعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف » (٨)

الحب من اول نظرة

قد يقع الحب من اول نظرة ، ولكن ابن حزم لايثق في دوام هذا اللون من الحب بخلاف الذى يتم في بطء وامد متطاول ، فهو حب دائم ، وليس من السهل اقتلاعه ، فما اصدق هذا الحب باكباد اصحابه !! وهكذا في جميع الاشياء اسرعها نموا اسرعها فناء، وابطاها حدوثا ابطاها نفاذا (٩) وقد انكر بعض الباحثين في الادب رأى ابن حزم، ولم يوافقوا على تشبيه الامور المعنوية بالاشياء المادية مستدلين بان مشاهير المحبين من الشعراءوقع لهم الحب من النظرة الاولى(١٠)واراني اكثر ارتياحا الى راى ابن حزم،فهو مايتفق مع دراسات علم النفس الحديث التي تثبت ان العاطفة تنمو وتقوى تحت تاثير الالفة والعادة وتتابع التجارب الانفعالية التى تغذيهـا حينا والتي تهددها حينا آخر . وقد تكون هناك حـالات تتفجر فيها العاطفـة انفجـارا وتستاثر بالنفس دون سابق تجربة (١١) فتحسبها وليدة

---

(٦) مبادىء علم النفس العام ـ د. يوسف مراد .

(٧) علم النفس التربوى د. احمد زكي صالح ، وكذلك « الشخصية في سوائها وانحرافها للدكتور مصطفى فهمى .

(٨) « احياء علوم الدين » للامام الغزالي .وكذلك « الحب والكراهية »د. احمد فؤاد الاهوانى

(٩) طوق الحمامة في الالفة والالاف لابن حزم .

(١٠) الغزل في العصر الجاهلي ـ د. احمد محمد الحوفي .

(١١) مبادىء علم النفس العام ـ د. يوسف مراد .

ـاعتها مع ان ادنى دراسة لحالة من هذه الحالات ـوف يكشف لنا انه كانت هناك مراحل كمون باطن خفى مرت بها وان كان ظهورها بدا فجائيا مباغتا. فلا بد فى تكوين عاطفة الحب من القلق والهواجس والصراعات العنيفة بين الارادة والغريزة ، بين واجب الوفاء . وحبائل الشهوات ، اما النظـــرة الاولى فهى اشارة البدء ، ولا تكفى وحدها ، حتى تستدعى توابعها من الانتظار والتوقع ، والامـل والخشية بين شقى الاقدام والاحجام .

الحـب بين التوحيد والتعديد

التوحيد فى الدين هو غاية ما وصل اليه الانسان من رقى ونضج فى علاقته بعالم الغيب ، وكذلـــك فى الحب . فقد اثبتت الدراسات النفسية الحديثة ان الحب الناضـج هو الذى تتجه فيه العاطفـــة والاهتمام نحو شخصية محددة ، اما الحب علـــى طريقة « دون جوان » الذى كان متعدد المعشوقات او على طريقة « مدام بوفارى » التى كانـــت متعددة المعشوقين ـ شخصيتان روائيتان ـ فهـو حب مريض اذا كان المصابون به قد جاوزوا مرحلة المراهقة ، او حب غير ناضج اذا صدر من فتيان او فتيات لم يبلغوا مرحلة النضوج الوجدانى بعد.

وبمثل هذا او قريب منه قال ائمة الاسلام ، فعدوا ما يقع من اول وهلة ببعض اعراض الاستحسان الجسدى واستطراف البصر الذى لا يجاوز الالوان شهوة من الشهوات . ويرى ابن حزم ان هذا هـو السبب الذى ادخل الغلط على من يزعم انه يحب اثنين ويعشق شخصين متغايرين ، فانما هذا مـن جهة الشهوة ، وهى لاتسمى محبة الا مجازا .

واعقل العشاق فى نظر ابن القيم من يعشق الجمال المقيد الذى يطمع فى وصاله ، فهذا اعرق بالحب من عاشق الجمال المطلق الذى يهيم قلبه فى كل واد ، وله فى كل صورة جميلة مراد ، ومن عاشق الجمال المقيد الذى لايطمع فى وصال محبوبه (١٣) .

من هم المحبون ؟

ليس المحبون عند مفكرى الاسلام بالفارغين اللاهين ، ولا الحب بالرذيلة الممقوتة ، وانما الحب فضيلة ظهرت فى تلك الخليقة ، فكم يذكر المحبون من الاخلاق الجميلة والطرايق الحميدة ، وكم يذمون من الاخلاق المذمومة والاحوال المرذولة ، فلو لم يكن العشق موجودا فى الخليقة لخفيت تلك الفضائل، ولم تظهر ولم تعرف تلك الرذائل ايضا (١٤) فالحب قوة فى النفس جعلها الله فى طبائع الاحياء لكى يدعوها الى الاجتماع والتكاثر . هو قوة حيوانية اذا كان جسديا شهوانيا ، وهو قوة معنوية اذا كان عقليا ساميا . ففى الحالة الاولى نتيجته التكاثر والنسل ، وفى الحالة الثانية نتيجته الخلق والابتكار . وعند ابن اسينا ان حب الجميل باعتبار عقلى وسيلة الى الرفعة . ولذلك لايكاد اهل الفطنة من الظرفاء والحكماء ممن لايسلك طريق المتعشقين يخلو من شغل قلبه من صورة حسنة انسانية (١٥) .

واذا كان الحب قوة وفضيلة فليس عيبا اذن ان يصبر المحب على دلال محبوبه وتمنعه ، ويحتمل جفاءه ، ويؤيد ابن حزم هذا الراى مستدلا بان المحبوب لايكون عادة فى قدر المحب ومنزلته . فجفاؤه ليس مما يعير به الانسان ولا يعد الصبر عليه مذلة ، ولا التضرع اليه مهانة ، فالمحبوب يجفو ويرضى متى يشاء ، ولا ينتقص ذلك من كرامة المحب مهما ابدى من التقرب الى محبوبه ، والصبر على جفائه وابائه .

اما ابن القيم فيتخذ موقفا مختلفا اشد الاختلاف. ويعـد احتمال الاذى من المحبوب ، والصبر على هوانه آفة من آفات عشق الصور ، فقلب عاشق الصـورة اسير فى قبضة غيره يسومه الهـوان ولكن لسكرته لايشعر بمصابه فقلبه كعصفور فى كف طفل ، يسومها حياض الردى وهو يلهـو ويلعب . ويتشدد ابن القيم فى انكار عشق الصور ولوم اصحابه اكبر تشدد ، ولكنه يعود فيبيح العشق الواقع من غير قصد ولا يملك صاحبه دفعه بشرط انلا يحدث له ذلك العشق معصية واولى بصاحبه الاشتغال بما هو انفع ، والكتم والعفة . اقتداء بالاثر عن ابن عباس : « من احب فعف فكتم فمات ، مات شهيدا »

محمد فايد هيكل ـ مصر

---

(١٣) طوق الحمامة فى الالفة والالاف . ابن حزم . (١٣) الداء والدواء لابن القيم .
(١٤) رسائل اخوان الصفا (١٥) رسالة العشق . جامع البدايع لابن سينا

بقلم : سمير وهبى

الاثنان احدهما من الآخر اكثر من اللازم حتى كاد جسداهما يلتصقان تماما • وفى نشوة ظاهرة ، نظر عصام الى عروسه وكانه يعانق اللهفة فى عينيها • وفتح اذنيه واسعتين وهو يشرب كلامها • خاصة عندما كان حرف الجيم يخرج من شفتيها معطشا كعادة اهل بلدها •

انهما الآن يختلسان اياما من العمر ويسرقانها من حياة الكد قبل أن يعودا الى ارض وطنه ، حالما ينتهى هذا الشهر الاول من الزواج • انها اليوم نشوى بعريسها وقد حصلت ، وهى الشقراء ، على زوج اسمر اللون يجرى فى عروقه ماء النيل • وركب الاثنان سيارتهما البيضاء وانطلقا بها بحثا عن بقعة يترعان فيها كئوس السعادة • وقادت « نورا » السيارة وصعدت بها طرقا متعرجة باحثة عن « محطة » من محطات السعادة • وبعد قليل ترجلا من السيارة ودخلا مطعما صغيرا من تلك التى تنتشر على سفوح الجبال •

كان الفندق على اسمها • وسر عصام من اعماق نفسه وهو يخطو الى داخله • فما اروع تلك اللفتات الصغيرة •• حتى ليخيل الينا فى بعض الاحيان ان نسيج السعادة لا يتكون فى حقيقة الامر الا من بعض التفاصيل الصغيرة • وكم كانت عروسه ذكية الفؤاد وهى تقوده الى ذلك المطعم الصغير المسمى « نورا » ليجعلا منه محطة من محطات سعادتهما المشتركة •

وعلى ورق المطعم المطبوع سجلت العروس اسمها وقرنته باسم عريسها واحاطت الاسمين بقلب ، ثم رسمت حول القلب زهورا برية • ومدت البطاقة اليه ، فاخذها فى رفق بعد أن لثم اصابع الساحرة التى تخلق من العدم فكرة ومن الشوق انشودة وتبتكر دائما فى معارج السعادة •

قاربت الساعة الثالثة بعد الظهر ، ولم يبق من رواد المطعم غيرهما • وقامت صاحبة المطعم الحازمة لبعض شانها والتفتت نورا الى زوجها وقالت له : « غدا سوف نكتشف محطة اخرى لسعادتنا ، ثم ناتى فى العام المقبل نزورها جميعها » •

ثم قامت واتجهت الى مكتب صاحبة المطعم المنزوى فى ركن بعيد ، واختارت منه ، وهى غارقة فى احلامها الوردية ، مطفاة سجاير صغيرة الحجم ، رقيقة الصنع••وهرعت الى زوجها تقول : « سوف احتفظ بهذا الاثر الصغير ، بصفة تذكار لهذه الايام الحلوة » •

ولم يجد عصام ممانعة • فما اكثر ما ىحتال الناس على السعادة ، ويجدونها فى اشياء ت بهة !

وجاءت « لمياء » تلك المضيفة السمر فى انافتها الزائدة ، تزيل بقايا الطعام والقد على المحبين نظرة راعية •• انها ايضا تحب واد كانت حريتها فى هذا المجال محدودة بعض الشىء بسبب

ظروف قاهرة • وسرح عقلها وهى تنظر الى العاشقين وتمنى نفسها بان انتظارها لن يطول !

واستقل الزوجان سيارتهما • كان الزوج يقودها فى هذه المرة • ونظرت لمياء الى السيارة وهى تتلاشى امام عينيها حتى اصبحت نقطة بيضاء صغيرة فى الافق ، ثم تنهدت قبل ان تعود الى عملها بالمطعم •

★★★

مضى يوم وبعض يوم ، ونظرت السيدة المسنة الى مكتبها نظرة فاحصة وصاحت :

ـ هنا شىء سرق !

وبسرعة استدعت المضيفة السمراء ، وقالت توبخها فى لهجة قاسية :

ـ لمياء •• لقد سرقت خزينتى !

كانت ما تسميه بخزينتها عبارة عن مكتب ذى ادراج تحفظ فيه اوراقها ونقودها وعلى سطحه تراصت بعض ادوات مكتبية • وارتاعت لمياء لهذا الاتهام ، خاصة وان العلاقة بينهما متوترة منذ اسابيع ولم تفلح نظرات العاملة المؤدبة فى ازالة هذا التوتر •

★★★

فى ذات يوم بعيد ، خرج مدير المطعم ولم يعد • وعلمت زوجته فيما بعد انه فر مع مضيفة جميلة كانت تعمل عندها • انها مضيفة سمراء ، شبيهة

سيان عندى أن يكون الطفل أسمر أو أشقر طالما كان هدية منك • سوف انتظـرك فـى السيارة فلا تغيبى !

بلمياء التي تعمل عندها الآن • فر الرجل وترك وظيفته ، لانه كان مستخدما عندها • فالمطعم ملك لها والكل ياتمر بامرها • ترك الوظيفة ، وترك الزوجة وترك ابنه الصغير • ومضت عشر سنوات، وكبر الابن وبلغ الآن الرابعة والعشرين وتعلق قلبه بالمضيفة السمراء وبادلته لمياء حبه •

ـ يا لمياء • لقد ضاعت المطفاة الزرقاء • لقد سرقها احد •• انت مهملة في عملك ! وتلون خدا لمياء بلون وردي ، وهي لا تعرف كيف ترد الاتهام •

فالرواد كثيرون وهي وحدها التي تخدمهم ، وان كان احتمال السرقة ضئيلا جدا لان ما تسميه السيدة « رعد » بالخزينة بعيدة عن طريقهم ، وهم لا ياتون امامها الا لسداد الحساب • وصاحبة المطعم سيدة شديدة المراس دقيقة في عملها ، ومكتبها مرتب دائما : « لكل شيء مكان ، لان لكل مكان شيئا » ، كما اعتادت ان تقول •

واستعادت السيدة ذكرى قديمة ، عزيزة عندها • فالمطفاة هدية قدمها لها زوجها يوم خطوبتهما • وظلت على خزينتها على مدى خمسة وعشرين سنة لايتغير مكانها ، واذا بها اليوم تفقدها تماما •

ومن تكون المتهمة باخذها ؟

مضيفة سمراء ، تماما كالتي خطفت زوجها ! يا لسخرية القدر ؟ يا لها من لعبة قذرة تلك التي وضعتها الايام في طريقها !

وعندما اشتد تعنيف الام للمضيفة « لمياء » ، ترك الابن عمله في المطبخ • وخرج مسرعا ووصلت الى اذنيه الكلمات النابية التي وجهتها الام الى المضيفة السمراء •

يا لها من كلمات مهينة اصابت قلب الابن ، قبل ان تصيب قلب حبيبته لمياء •

ـ ما دمت تقولين بان الرواد لا يمكنهم سرقتها • فمن يكون سارقها اذن ؟

ـ اقسم لك باني لا اعرف •

ـ ما دمت لا تعرفين ، فالاهمال ثابت عليك ، وانا لا احب توظيف اشخاص مهملين في عملهم •• سوف ادفع لك اجرك •• عن الشهر كاملا بالرغم من اننا ما زلنا في الثاني والعشرين ••

وانهار الفتى وهو يستمع الى تلك الاخبار السيئة • وشاءت له نخوته ان يتدخل ، فردته امه قائلة :

ـ انت تدافع عنها •• الكل هنا ضدي •• ماذا كنت تفعل لو لم اجد لك عملا بمطعمي ؟ •• يا ليتك كنت طباخا ماهرا !

وانهار الفتى تماما •• ولم يتصور في يوم ما أن تكون أمه بهذه القسوة ، وان تسعى الى اهانته امام حبيبته لمياء السمراء •

★ ★ ★

وفي الحقيقة ، انفجرت الام واخرج بركانها حمما قديمة ظلت مدفونة في اعماقها مدة عشر سنوات • اليوم فقط عثرت على ضحاياها ، فصفت الحسابات القديمة • وحطم عنفها فتاة سمراء وشابا يقتاتان من خيرها • واراحت عملية الافراغ الانفعالي وجدانها المعذب • وتماما كما نحتال على اقتناص السعادة في الاشياء الصغيرة ، فان الشقاء كثيرا ما يرمينا في شباكه ونقع ضحية غير مقصودة له !

★ ★ ★

نظر عصام الى عيني زوجته•وسرعان ما اتسعتا امامه ، فاصبحتا كبحيرة من الحنان غسل فيهما احزانه القديمة • بعد اليوم ، لن يتوسد الوجد قلبه ولن تفترسه نيران الوحدة ، ولن يسرق القلق دموعه • لقد مر نبع السرور من جانبه فنهل منه ، واختلطت مياه النيل بمياه بردى •

بعد اليوم لن تذبل شجرته ، طالما كانت الى جانبه تلك الزوجة التي تشجيه بصوتها المميز وبكلماتها المزدانة بشرارات الوجد •

ومرت ايام زارا فيها محطات اخرى للسعادة اكتشفاها على سفح الجبال وتوقفا عند مطعم (ريم) ومطعم (رشا) •

ومرت شهور •• وبشر الطبيب الزوجين بانتظار مولودهما الاول وعمت الفرحة قلبيهما •

ـ هل سنسافر في هذا الصيف ونزور محطات السعادة ؟

ـ بالتاكيد يا حبيبي • بالتاكيد •• الم نتواعد على ذلك •• نعم سوف نزور معا تلك الطرق المعبدة بالعاطفة وسنتقفطويلا عند الاماكن المزروعة بالذكريات •

ورتبت نورا حقيبة السفر ولم تنس ان تضع فيها مطفاة زرقاء اللون •

وتتابعت زيارتهما لكل محطات السعادة زارا « رشا » و «ريم » • وفي ذات يوم وصلا الى « نورا » •

ـ عصام •• لقد قررت ان اعيد المطفاة الى مكانها •• سيكون في هذا فال حسن لمستقبل

طفلنا وبالمناسبة .. كيف تريد ان يكون طفلك مني : أسمر أم أشقر ؟

ـ سيان عندي .. طالما كان منك ، فهو اجمل هدية ! سوف انتظرك في السيارة .. اعيدي المطفاة .. ولا تغيبي !

وترجلت نورا من السيارة واقتربت من المطعم . ونظرت الى اللافتة . كانت بها حروف مكسورة .. ولم يعد للمطعم رونقه وبهاؤه .. ودخلت مترددة واتجهت توا الى صاحبة المطعم . ولما راتها هذه الاخيرة ، وقد انتفخ بطنها ، سارعت بتقديم مقعد لها . وقالت :

ـ استريحي .. استريحي يا سيدتي !

لم تعرف كيف تبدأ حديثها .. وتلعثمت قليلا قبل أن تقول :

ـ لقد حضرت يا سيدتي لاعتذر عن تصرف سخيف بدر مني . جئت اليوم لاعيد شيئا اخذته من هنا .

ثم فتحت حقيبتها واخرجت لفافة انيقة .. وقدمتها للسيدة . وبيد مضطربة مدت السيدة يدها وفتحت اللفافة . وما أن وقعت عيناها على المطفاة الزرقاء حتى انهارت واقعة على الارض وقد اغمي عليها !

★ ★ ★

وعلى اثر هذا الوقوع حضرت مضيفة مسنة لتعتني بها . وتعاونت المرأتان على رفع السيدة المسجاة على الارض وقد انهمرت الدموع من عينيها . وقالت المضيفة على سبيل الاعتذار : « مسكينة تلك السيدة .. لقد فقدت ابنها .. ومنذ ذلك الحين وهي مضطربة الاعصاب » .

وبحركة غير ارادية مدت نورا يدا مرتعشة الى بطنها وتحسست دقات الجنين .

ـ لقد شنق ابنها نفسه يأسا من الحياة . كان عمره ٢٤ سنة فقط .

ـ ولماذا انتحر ؟

ـ حكايات طويلة !

وفي هذه الاثناء ، كان عصام قلقا وقد اطلق جهاز التنبيه في سيارته لعل زوجته تدرك انها تاخرت طويلا في مهمتها .

واكملت المضيفة حديثها :

ـ ومنذ ذلك الحين والمطعم حالته على غير ما يرام ..

ـ نعم .. فهمت الآن !

وخرجت مسرعة . كان عصام ينتظرها على احر من الجمر .

ـ ماذا حدث ؟ لقد تاخرت طويلا هنا . ثم يبدو انك مضطربة كل الاضطراب هل حدث ان وبخك احـد ؟

ـ لا .. لا .. ولكن حدث ان صاحبة المطعم قد شعرت بتعب مفاجيء افقدها الوعي .. لقد انتحر ابنها !

ـ هل انتحر اليوم ؟

ـ لا .. منذ سنة تقريبا .. وكان في مثل سنك تماما ..

ـ ولكني لا افهم ما صلة المطفاة الزرقاء بكل ذلـك ؟

ـ لا صلة على الاطلاق .

وانطلقت السيارة بسرعة كانها لتعوض التاخير . وسرعان ما ظهرت في الافق وكانها نقطة بيضاء صغيرة ..

★ ★ ★

وفي دلال زائد سألت نورا وقد اقتربت اكثر من اللازم من زوجها :

ـ لم تخبرني يا عصام كيف تريد ان يكون ابنك ؟ اتريده اشقر أم اسمر ؟

ـ لا يهم مطلقا ما دام سيكون هدية منك !

كانا يتوجهان الى محطة اخرى من محطات السعادة . وفتح عصام نوافذ قلبه الى مزيد من العاطفة . بينما كانت زوجته تتعمد أن تزين الفاظها بشرارات دافئة ، فتعطش الجيم اكثر من اللازم وكانها تتعمد ذلك ، فكيف لا يمتليء هيكل حبه بكلمات الحنان واجراس الفاظها تدعوه دائما الى معبد الحب ، وتزرع في حديقة قلبه رياحين العاطفة الفياضة . واقتربت منه اكثر من اللازم حتى كادت عجلة السيارة تفلت منه . وسألته في دلال زائد :

ـ لم تخبرني .. كيف تريد ان يكون ابنك .. اتريده اشقر ام اسمر ؟

ـ لا يهم مطلقا ما دام سيكون هدية منك .

وفي ذلك اليوم سجلت محاضر الشرطة بلاغا صغيرا : « انقلبت سيارة صغيرة على سفح الطريق الجبلي وخرج راكباها سالمين .. غير ان الزوجة اجهضت جنينها بعد نقلها الى المستشفى » . ■■

سمير وهبي

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

قشرة الرأس Dandruff

● انا فتاة اشكو من قشرة فـي راسي ، اضطر معها الى حك شديد لجلدة راسي ، فما سبب هذه القشور، وما علاجها ؟

● بالجلد الكثير من الغدد الصغيرة منها مايفرز العرق وتسمى الغدد العرقية ، ومنها مايلتصق بالشعر ويفرز مادة دهنية تنزلق مع الشعر اثناء خروجه من الجلد الى خارج الجسم ، وتسمى الغدد الدهنية . هذه المادة الدهنية تساعد على تكوين طبقة واقية على سطح الجلد ، وتكسب الشعر ليونته ولمعانه ، وهي منتشرة مع الشعر في جميع اجزاء الجسم تقريبا ماعدا بعض المناطق الصغيرة مثل باطن اليدين والقدمين . هذه الافرازات الدهنية تجف وتتطاير دون ان نلاحظها سوى عند من كان لديهم الكثير من هذه الغدد والتـي يكون نشاطها اكثر من الحاجة واكثر من نشاطهـا لدى الآخرين . وهؤلاء تكون بشرتهم دهنية وهذا الافراز الزائد يلاحظ على شكل لمعان في الجلد ، وخاصة جلد الوجه . اما في الرأس ، فيتراكم هذا الافراز ويجف ، وخاصة في فصل الشتاء ، ويكوّن قشورا قد تكون سميكة ، عالقة بالشعر وملتصقة بالجلد بفروة الرأس . وتركها هكذا قد يحدث رغبة في حك جلدة الرأس وقد ينتج عن هذا التهابها . ولذا يجب غسل الرأس بين آونة واخرى ، مرتين اسبوعيا على الاقل ، ويستحسن استعمال الصابون او الشامبو المضاد للقشرة الذي يذيب هذه الدهون المتراكمة . وفي اول الامـر يكـون استعماله مرتين اسبوعيـا وتدريجيا يمكن ان يكتفي المرء بمرة واحدة كل اسبوع او حتى كل اسبوعين . ولكن على ان يستمر ذلك بصفة دائمة حتى يقل نشاط هذه الغدد عند تقدم العمر . وذلك نظرا لانه لم يكتشف حتى الآن دواء يمكنه الاقلال أو الحد من نشاط هذه الغدد الدهنية . وهناك نقطة هامة ، وهي ان استعمال هذا النوع من الشامبو اكثر مما يجب ، بما فيها من مواد قلوية قوية مذيبة للدهون ، قد يلهب ويهيج جلد فـروة الرأس ، وينتج عن ذلك زيادة افراز الغدد، ومن ثم زيادة القشور والحكة . كذلك يجب الاحتراس حتى لا تدخل القشور في العين عند حكها فتهيجها .

وتجدر الاشارة الى نقطة هامة ، وهي زيارة الطبيب لمعرفة ما اذا كان ذلك قشرة رأس عادية، أم مرض من الامراض الجلدية التي قد تظهر على شكل قشور وحكـة بالرأس ، وكل مرض له علاجه الخاص .

الاحتياط عند السفر بالطائرات

● ما هى الحالات الممنوعة مـــن السفر بطائرات الركاب العادية ؟

ـ من المعروف ان هناك بعض الحالات المرضية التى ليس من صالحها او من صالح الركاب السفر بواسطة الطائرات العادية ·· ولو انه من الممكن ان تسافر على طائرات خاصة ، وهذه الحالات هى :

١ـ الحالات التى تعانى من مرض معد·

٢ المرضى الذين يتأثرون بنقص بسيط فى الاكسجين مثل امراض الجهاز التنفسى وامراض القلب الشديدة ، وفقر الـدم الشديد ·

٣ ـ الحالات التى تعانى بشدة من الدوار ، وبنقص الضغط الجوى ، كالحمل المتقدم ، وحالات مرضـ السـكر المتقدم والمعرض للغيبوبة ، وحالات قرحة المعدة، والاثنى عشر الحديثة ·

٤ ـ حالات الاضطرابات العقلية الحادة، وحالات الصرع الشديدة ·

٥ ـ حالات الامراض الجلدية المتقدمة والمشوهة للجسم ، والحالات التى يصدر عنها رائحة ·

٦ ـ الحوامل اللائى جاوزن شهرهن الثامن ·

وتأخذ شركات الطيران فى اعتبارها هذه القاعدة :

هل المسافر يعانى من مرض معد ؟ هل يعانى من مرض حاد حديث ؟ هل يقوم بأعمال غير عادية ·· النظرة الخارجية له ·· وهل تصدر منه رائحة تؤذى المسافرين بسبب اى مرض جلدى ، او جروح او ما شابهها ·

ولـو انه مـن المعروف ان الطائرات الحديثة بها اجهزة خاصة للتزود بالاكسجين عند زيادة ارتفاعها فى الجو ·

حصى فى البول

● اعانى من تكرار حدوث حصى فى مجرى البول ، وكلما تخلصت منه عاودنى ، فما سبب ذلك ؟

ـ ان تكرار حدوث الحصى فى الكلـى ومجرى البول بما فى ذلك المثانة يعتمد على عاملين رئيسيين :

أ ـ التغير فى البللورات التى تنزل فى البول وعلاقتها مع المواد الاخرى غـير البللورية فى البول .

ب ـ حالة السطح الذى يمر عليـــه البول ، فاذا فقد السطح ملاسته ، ساعد ذلك على تكوين نواة تتراكم فوقها الاملاح المختلفة والمواد المكونة للبول على تكون الحصى · حتى انه فى بعض الحالات تكون النواة جلطة من دم ، او ميكروبات او قيح نتيجة لالتهاب فى مجرى البول ·

وهناك عوامل عدة تساعد على تغير توازن هذين العاملين من ذلك :

١ ـ التهابات فى مجرى البول ، ويشمل ذلك مرض البلهارسيا الذى يهيء الاسباب لتكون الحصى سواء حول بويضات الدودة ، أو الالتهابات التى تعقب الاصابة بهـذا المرض وكثرة التكلس فى مجرى البول والمثانة ·

٢ ـ انسداد فى مجرى البول بسببـه

تضخم البروستاتا او الضغط على الحالب من الخارج ·

٣ ــ اسباب خارجية وتغيرات الجو مثل فقدان الجسم للسوائل مما يساعد على تركيز البول ، وبالتالى ترسيب الاملاح به وتكون الحصى ، وكثيرا ما يحدث هذا فى الجو الحار لكثرة العرق ، وكذلك فقدان قلويات الجسم ، وعدم التحرك لفترة طويلة كالذى يحدث فى المسنين والمصابين بمرض يمنعهم من الحركة لمدة طويلة ·

كما ان تعاطى بعض الادوية لمدة طويلة يساعد على حدوث حصى فى مجرى البول·

٤ ــ الاضطرابات التى تعترى الجسم ـ كتسبب اضطرابات املاح الدم مثل مرض النقرس ، وما يتبعه من زيادة فى املاح حامض البوليك وزيادة اوكسلات الدم وزيادة مادة (السستين) فى البول وزيادة افراز الغدة جنيبة الدرقية ، وزيادة املاح الكالسيوم فى الدم ·

٥ ــ تغير فى الغشاء المخاطى المبطن للحالب والمثانة كالذى يحدث عند نقص فيتامين(أ)او نقص فى بعض المواد الغذائية·

لذا كان من الواجب على الطبيب البحث عن هذه الاسباب وتحليل الحصى حتى يصل الى السبب الاصلى لتكرار حدوث حصى مجرى البول ·

اشكو من الثعلبة

● فى راسى مناطق خالية من الشعر تماما ، وقد علمت انها تسمى « الثعلبة » ، فما هو هذا المرض ؟وهل يشفى ؟ لقد عرض على «الحلاق» ان يداويها لى ، فرفضت ·· فبماذاتشيرون ؟

ــ الثعلبة Alopecia Areata مرض شائع ويظهر على شكل مناطق خالية من الشعر فجأة · وهو من امراض المدنية الحديثة،رغم ان سبب حدوثه غير معروف على وجه التحديد حتى الآن ، غير انه لوحظ ان معظم الاصابات من نصيب من لديهم مشاغل نفسية كثيرة وارهاق ذهنى·

والذى يحدث بالضبط هو ان جذور الشعر ، فى مكان محدد ، تتوقف مؤقتا عن النمو فيتساقط الشعر فى هذه المناطق المختلفة الشكل والمساحة · وقد تصيب الرأس او الذقن او الجسم او كليهما · وعادة يكون ذلك لفترة مؤقتة ، ثم ينمو الشعر بعد ذلك ببضعة اشهر ، وعودة نموه فى الذقن تأخذ وقتا أطول من عودة نموه فى الرأس · ولكن قد يتكرر حدوث نفس الشيء فيما بعد ، وقد لايتكرر ·

ومعظم العلاجات المستعملة فى هذا المرض هى المقويات العامة ، واحيانا مهدئات الاعصاب ، وموضعيا توضع المركبات المهيجة للجلد ، واحيانا مواد كاوية خفيفة ، وذلك لاحداث التهاب صناعى لتنشيط الدورة الدموية فى هذه المنطقة لتحمل الغذاء لبصيلات الشعر ، وكذلك تنشيط جذور الشعر نفسها · وهذا هو ما يستعمله بعض الحلاقين ، والمقاقير الشعبية ، ولكن لذلك ضرره ، فقد تكون المواد المستعملة كاوية اكثر مما يلزم ، فتحرق الجلد ، وتحرق معه جذور الشعر،وتمنع نمو الشعر مستقبلا· وفى الحالات المستعصية ، قد يلجأ الطبيب الى حقن الكرتيزون تزرقفى الجلد نفسه فى المناطق المصابة ·

تاليف : عباس محمود العقاد

عرض : محمد خليفة التونسى

■ عرف الاستاذ العقاد أول ما عرف فى العالم العربى بانه من طلائع المجددين فى الادب العربى كاتبا وناقدا وشاعرا ، كما عرف ـ ولا سيما بين مواطنيه المصريين ـ بانه من الكتاب السياسيين، لم من البرلمانيين (اذ كان من اعضاء مجلس النواب حينا ، ومجلس الشيوخ حينا) وله فى كل مجال من هذه المجالات الثقافية جهاد طويل ونتاج غزير، وقد بلغت كتبه فيها اكثر من مئة • اما اتجاهه الى الكتابة فى الاسلام وسائر الموضوعات الدينية قديمها وحديثها ، فقد ظهر خلال الحرب العالمية الثانية ، وتوالى بعدها حتى وفاته . وله فى هذا المجال اكثر من عشرين كتابا اظهرها مايختص بابطال الاسلام وقضاياه قديما وحديثا ، واروج هذه هى كتبه التى عرفت باسم « العبقريات » « عبقرية محمد » ، و « عبقرية الصديق » و « عبقرية عمر » و « عبقرية الامام على » ، و « عبقرية خالد » ••••

وكانت مؤلفاته الاسلامية بخاصة والدينية بعامة مما بسط شهرته ، ودعم مكانته بين جماهير القراء فى العالم الاسلامى حتى كادت مؤلفاته الاسلامية بينهم تطغى على بقية مؤلفاته ، حتى الادبية الخالصة ، كما طغت سمعته كاتبا وناقدا على سمعته شاعرا، مع ان له عشرة دواوين نشر آخرها بعد وفاته • ولا ينسى له المهتمون بيننا بالدراسات اللغوية بحوثه الكثيرة فيها ، وقد نشط لها منذ صار عضوا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة•••

وخلال اتجاهه الى الكتابة في القضايا الاسلامية اهتم بالدراسات القرآنية ، واهم مؤلفاته فيها ، « الفلسفة القرآنية » و « المراة في القرآن » و « الانسان في القرآن الكريم » ولكن من يتصفح مؤلفاته الاخرى يلاحظ انه كان كثير المراجعة للقرآن الكريم متاملا ومستشهدا بآياته وافكاره ، ويعرف خلطاؤه انه كان كثير الاستشهاد بذلك في احاديثه معهم ايضا ...

اما موضوع « المراة » فقد كان من مشاغله الفكرية وهو دون العشرين كما تدل كتاباته الباكرة ، وكانت حركة تحرير المراة بيننا يومئذ في بدايتها ، وكانت الخصومة على اشدها بين انصارها ومعارضيها ، وقد بدات الخصومة عنيفة منذ قاد هذه الحركة الناهضة رائدها المعروف « قاسم امين » رحمه الله ، فكان العقاد ممن رحبوا بهذه الحركة ، ثم كان ممن شرعوا الاقلام في نصرتها بوعي واخلاص ، ولكن دون ان يتطرف كغيره من دعاة المساواة التامة بين الرجل والمراة في شتى الحقوق والواجبات الاجتماعية والسياسية، وتحفظه هذا هو مادعا هؤلاء المتطرفين ـ كما دعا غيرهم ممن لم يطلعوا على كتاباته في موضوع المراة ـ الى اتهامه بانه « عدو المراة » او خصمها وبانه من الرجعيين او الجامدين في قضاياها ، وساعد على رواج هذه التهمة المزعومة انه لم يتزوج طول حياته • ولكن المطلعين على كتاباته يعرفون ـ كما يعرف خلطاؤه ـ انه كان من اخلص انصارها ، واحرصهم على الدعوة لصيانة كرامتها الانثوية ، واعلاء مكانتها الاجتماعية ، مع انكار كل بغس لحقوقها الانسانية •

وقد حفزه الى نصرتها ادراكه واحساسه لمزاياها الفطرية ، ومكانتها الاجتماعية ، مع اطلاعه المبكر على الآراء الاسلامية الجديدة للامام « محمد عبده » في هذا الموضوع وغيره ، وكان طوال حياته يجل شخصية الامام وتفكيره وجهوده الاصلاحية كاعظم مايجل اماما ومصلحا ، كما كان حسن الراى في شخصية « قاسم امين » ـ رائد النهضة النسائية الحديثة ـ شديد الثقة بنبله واخلاصه • وكان العقاد ـ كما كان قاسم امين قبله ـ يتنفس عاطفيا وفكريا في جو الامام ودعوته الناهضة كسائر مريديه المخلصين ...

وقد كتب العقاد منذئذ ـ وهو في مطلع حياته القلمية ـ كثيرا من المقالات في قضايا المراة ، نشرها في صحف ومجلات مصرية شتى ، وداب يعاود الكتابة في الموضوع بقية حياته ، وهذا ما تدل عليه مجموعات مقالاته وسائر مؤلفاته منذ بدايتها حتى النهاية • وقد خص قضايا المراة بثلاثة من كتبه ، اقدمها رسالة صغيرة عنوانها « الانسان الثانى » اصدرها سنة ١٩١٢ ، حين كان في عنفوان شبابه ، وثانيها كتابه « هذه الشجرة » سنة ١٩٤٥ ، حين كان شيخا ناضجا في سن السادسة والخمسين ففيه رأيه النهائي في الموضوع ، وقد ختم كتابه هذا بملحق جمع فيه كثيرا من كتاباته السابقة في موضوع المراة وهي تصور تطور فكره في هذا الموضوع ، وآخرها الكتاب الذى نعرضه هنا « المراة في القرآن » الفه سنة ١٩٥٩ ، (قبل وفاته بخمس سنوات ، عليه رحمة الله) وكان قد توسع في دراساته الاسلامية لاسيما القرآنية ، وخلال فصول هذا الكتاب الاخير كثير مما نشره في كتبه السابقة خاصا بقضايا المراة •

خطة الكتاب ومحتوياته

والكتاب نحو ١٣٥ صفحة يضم مقدمة سريعة واربعة عشر فصلا ، وتعقيبا قصيرا ، وكلها في صميم الموضوع راسا ، كما هو داب المؤلف في كتابته ، فهي تتخفف عن التفصيلات ، وتتجرد من الفضول والاستطرادات، اما المقدمة فتوضح قضايا المراة من جوانبها الكبرى الشاملة كما تناولها القرآن وصفا وتشريعا وفي بيان ذلك يقول المؤلف :

« تدور مسالة المراة في جميع العصور على جوانب ثلاثة ، تنطوى فيها جميع المسائل الفرعية التى تعرض لها في حياتها الخاصة ، او حياتها الاجتماعية ، وهذه الجوانب الثلاثة هى :

اولا ـ صفتها الطبيعية ، وتشمل الكلام على قدرتها وكفايتها لخدمة نوعها وقومها ...

ثانيا ـ حقوقها وواجباتها في الاسرة والمجتمع ...

وثالثا ـ المعاملات التى تفرضها لها الآداب والاخلاق، ومعظمها في شئون العرف والسلوك »•

وبعد ان المح المؤلف الى ان له كتابات سابقة في هذه المسائل جميعا، واشار الى انه يتناولها في مؤلفه هذا

لبيان موضعهـا من احكام القرآن الكريـم اوجز ذلك فقال : « خلاصة ذلك البيان ... ان آيات الكتاب (القرآن) قد فصلت القول في هـذه الجوانب جميعا ، وكانت في كل جانب منها فصل الخطاب الذي لامعقب عليه الا من قبيل الشرح والاستدلال بالشواهد المتكررة التي تتجدد في كل زمن على حسب احواله ، ومدارك ابنائه .

فالصفة التي وصفت بها المراة في القرآن الكريم هي الصفة التي خلقت عليها ، او هي صفتها على طبيعتها التي تحيا بها مع نفسها ، ومع ذويها . »

« والحقوق والواجبات التي قررها كتاب الاسلام للمراة قد اصلحت اخطاء العصور الغابرة في كل امة من امم الحضارات القديمة ، واكسبت المراة منزلة لم تكسبها قط من حضارة سابقة ، ولـم تات بعد ظهور الاسلام حضارة تغني عنها ، بل جاءت آداب الحضارات المستحدثة على نقص ملموس في احكامها ووصاياها ، لانها اخرجت من حسابها حالات لاتهمل ، ولا يذكر لمشكلاتها حل افضل من حلها في القرآن الكريم ، اذا انتقل البحث من الاهمال الى الدراسة والتدبير .

« اما المعاملة التي حمدها القرآن ، وندب لها المؤمنين والمؤمنات ــ فهي المعاملة « الانسانية » التي تقوم على العدل والاحسان ، لانها تقوم على تقدير غير تقدير القوة والضعف ، او تقديـــر الاستطاعة والاكراه » .

ثم يختتم المؤلف مقدمته بالاشارة الى ان فصول كتابه » تفصيل لهذا الايجاز ، مداره على جلاء وجوه المطابقة التامة بين احكام الكتاب الكريم ، واحكام الواقع والمنطق والمصالح الانسانية .

« قوامة الرجل في الاسرة »

وعنوان الفصل الاول هو النص القرآنـــي « للرجال عليهن درجة » وفيه يوضح المؤلف هذه الدرجة وهي القوامة على الاسرة ، وانها واجب الرجل او حقه، فالامران هنا سواء، وان كان الواجب ــ عندنا ــ هو الاساس في كل حق . وخلاصة الراى هنا في نظر المؤلف ان للقوامة اسبابا فطرية اوجبت على الرجل تحمل تبعاتها ، مع اعفاء المراة من متاعبهـا ، وان كان الجنسـان سواء في غير هذه الدرجة . ويقول « القوامة هنا مستحقة بتفضيل الفطرة ، ثم بما فرض على الرجال من واجب الانفاق على المراة ، وهو واجب الافضل لمن دونه فضلا ، وليس مرجعها الى مجرد انفاق المال والا لامتنـع الفضل اذا ملكت المراة مالا يغنيها عن نفقة الرجل ، أو يمكنها من الانفاق عليه » .

وهذا الحكم القرآني « هو الحكم البيّن من تاريخ بني آدم ، منذ ان كانـوا قبل نشوء الحضـارات والشرائع العامة وبعد نشوئها ، ففي كل امة وفي كل عصر ، تختلف المراة والرجل في الكفايـــة والقدرة على جملة الاعمال الانسانية ، ومنهـا اعمال قامت بها المراة طويلا او انفردت بالقيام بها دون الرجال . »

ثم يقول « وفضل الرجال على النساء ظاهر من الاعمال التي انفردت بها المراة وكان نصيبها منها اوفى واقدم من نصيب الرجال ، وليس هو بالفضل المقصور على الاعمال التي يمكن ان يقال انها حجبت عنها، وحيل بينها وبين المرانة عليها ، ومنها الطهي ، والتطريز، والزينة ، وبكاء الموتى، وملكة اللهو والفكاهه التي اقترنت بالسخرية والتسخير عند كثير من المضطهدين افرادا وجماعات» .

ثم يستعرض المؤلف تاريخ هذه الاعمال النسائية عملا عملا ، ويبين ان الرجل فاق المراة في كل منها حين تفرغ لها، فاعمال الرجال عنده ارقى، وهي عندنا ادخل في الفن، واذا كانت هناك بعض النابغات في قليل من المجالات الفنية والعلمية فهن نـدرة واستثناء ، وهن لا يبلغن في ذلك مبلغ الرجال كفاية واثرا ثم ان الرجل لايشغله مايشغل المراة في وظائفها الانثوية جسدا ونفسا ، والفروق بينهما في التركيب البدني والنفسي تكفي لشرح معنى « الدرجة » التي تميز بها الرجل على المراة في حكم القرآن الكريم « فهو معنى اقرب الى الوصف المشاهد منه الى الراى الذى تتعدد فيه المذاهب . »

ثم يعـود المؤلف الى موضـوع القوامـة في الفصلين الاخيرين (١٣ و ١٤) واولهما عنوانـه « مشكلات البيت » يوضح واجبات قوامة الرجل في الاسرة عند خوف الشقاق بين الزوجين، واستعصاء الصلح بينهما ، والخطوات الواجبة عليه في معالجة نشوز المراة ، صيانة لعقد الزواج الذى عظمـه القرآن فسماه « ميثاقا غليظا » وهو يختلف اختلافا

عميقا من كل عقد سواه كما ان للرابطة الزوجية نظامها الخاص الذى تنفرد به دون سائر الروابط الاجتماعية،بعيدا عن السلطتين القضائيةوالادارية وأما الفصل الاخير ـ وعنوانه « القرآن والزمن » فهو اشبه بملحق تاريخي ، اذ ينقل المؤلف فيه بضعة اقوال لبعض مفسرى القرآن منذ عصر الصحابة الى العصر الحاضر ، تفسر آيات نشوز المرأة فى سورة النساء ، وهى الآيات التى توضح للرجل الذى هو ، صاحب القوامة خطواته فى معالجة نشوز المرأة ، حتى لايؤدى التناهر بينهما الى تنكيد الحياة الزوجية او يؤدى الشقاق الى الطلاق .

ومع ان هذه الآيات القرآنية واحدة فى نصها ، فقد تفاوتت فيها آراء المفسرين ، لاختلافهم فهما وشعورا ، وعصرا،وبيئة ، والمؤلف يتخذ من وحدة النص القرآنى ، مع تفاوت الآراء فى تفسيره ، دليلا على أن شريعة القرآن منذ جاءت حتى اليوملم تمنع اهلها ان يتغيروا فهما وشعورا مع تغير الاحوال ، وان يتدبروا آياتها جهدهم لتحقيق مصالحهم العامة مع كل تغير : واذن فهى وافية لتحقيق خيرهم لو انهم احسنوا فهم مصالحهم ، واحسنوا القرآن معها وعيا واستنباطا ، دون التقيد بآراء المجتهدين السابقين ، فلعصرهم اجتهدوا لا لعصرنا ، ولعل مشاكلهم فكروا لالحل مشاكلنا ، ولم يكن عليهم ان يتنبأوا بمشاكلنا وحلولها ، والقرآن الكريم « حمّال اوجه » كما يقول الامام على ، وشريعته قابلة لاكثر من فهم واستنباط . هكذا كانت وهكذا ستكون .

ويرى المؤلف انه لا حاجة بالمسلمين الى تبديل شريعتهم القرآنية الى غيرها بعد تجربتها اربعة عشر قرنا ، ويضاف الى ذلك ان القرآن كان خلال هذه القرون قوتهم العاملة وهم ناهضون ، وكان فضله اوضح وهم مهزومون ، فهو وحده الذى عصمهم من ان يستسلموا لاى هزيمة ، او ينهضموا فى اجواف الامم العاتية التى احاطت بهم ، حتى لم تترك بقعة من بلادهم الا احتلتها او سيطرت عليها بالعنف او الحيلة ، وما كان لهم ملاذ فى عصور ضعفهم الا الايمان بالقرآن ، لان هذا الايمان وقبول الخضوع لاحد غير رب العالمين ـ طرفان نقيضان ، لا يجتمعان فى قلب اى انسان..

« تكوين المرأة وطباعها واخلاقها »

والموضوع العام الثانى فى الكتاب هو تكوين المرأة وطباعها واخلاقها ، ويمتد بحثه فى ثلاثة فصول متصلة ، هى الفصل الثانى وعنوانه « من الاخلاق » ، والثالث وعنوانه « هذه الشجرة » ، والرابع وعنوانه « الاخلاق الاجتماعية » وهو اطول الفصول ، اذ يزيد على سدس الكتاب ، وموضوع هذه الفصول الثلاثة امتداد منطقى لفكرة القوامة وتبعاتها كما بدأ بها المؤلف.وهو فى هذه الفصول يذكر أسبابا تزيد فكرة القوامة توضيحا ، لانها اسباب تتصل بالمرأة تجاه الرجل ، اذ هى الجنس الآخر او القطب المواجه له ، وكلاهما فى هذه المواجهة يخالف الآخر ، ليجاذبه ويؤالفه ويتممه ، وللمرأة خصائصها فى تكوين جسدها ووظائفها الانثوية ، وما يصاحب ذلك من اختلافها عن الرجل فى طباعها ومشاعرهاواخلاقهاونزعاتها،وقديتشابهان ظاهريا فى بعض ذلك ولكن كل مايخالج نفس المرأة وكل ما يصدر عنها انما يستمد حوافزه من فطرتها الخاصة ، ويتسم بطابعها المتميز ، وذلك بحكم الفطرة الثابتة التى جعلت الرجل كسائر الذكور يريد ويطلب ، وجعلت النساء كسائر الاناث تتصدى وتستهوى ، وقد تريد مثله ولكن لتحرك ادارة الطرف الآخر ، وتستهويه اليها دون اكراه له ، والخير فى هذا شامل لكل جوانبه ، ولكل اطرافه.فهنا تتم للزوجين احسن الصفات الصالحة لانجاب النسل من قوة الابوة وجمال الامومة ، ويتم للنوع مقصد الطبيعة من غلبة الاقوياء الاصحاء ، القادرين على ضمان نسلهم فى ميدان التنافس والبقاء ، وعلى نقيض ذلك لو اعطيت الانثى القدرة على الارادة والاكراه لكان من جراء ذلك ان يضمحل النوع ، ويضار النسل ، لانه قد ينشأ فى هذه الحالة من اضعف الذكور الذين يتهزمون للاناث . »

ويقول : « تتجلى حكمة القرآن الكريم فى النص على قوامة الرجال من احوال المجتمع ، كما تتجلى من احوال الاسرة واحوال الصلة الزوجية .. فالاخلاق فى المجتمعات الانسانية مصلحة دائمة وضرورة لاقوام لمجتمع بغيرها على صورة من صورها ، وهذه الضرورة لم يكن فى مجتمعات الناس مايكفيها ان لم تكفها قوامة الرجال ، فان

الرجال مصدر كل عرف مصطلح عليه في الاخلاق، سواء منها اخلاق الذكور واخلاق الاناث ، ولم يؤثر عن المراة قط انها كانت مرجعا اصيلا لخلق من الاخلاق لم تتلقه من الرجال،ولم تتجه به اليهم،ولا استثناء في ذلك للصفات التي نعدها من اخص الصفات الانثوية،ومن اقربها الى طبيعة المراة،وابرزها في هذه الخاصة صفات الحياء والحنان والنظافة ».

« ... وليس في اخلاق المراة المحمودة خلق اخص بها والصق بانوثتها من هذه الخلائق الثلاث وهي : الحياء والحنان والنظافة ، ومعولها فيها على وحي الطبع او وحي الرجل ، واحرى ان يكون ذلك ديدنها في جملة الصفات التي يشترك فيها الجنسان ، مع اختلاف حظهما منها ، ولو كانت من الصفات التي تولاها الرجال منذ القدم ، ويتولونها الى اليوم كشجاعة القتال في ميادين الحروب ، فقد يوجد من النساء من هن مثل في الشجاعة ، ويوجد من الرجال من هم مثل في الجبن ، ولا ينفي ذلك اصل القوامة في نشاة الاخلاق وتعميمها ، فاذا نشا الخلق وعم في العرف لم يمتنع ان يتخلق به آحاد الجنسين على تفاوت في نصيب الرجال والنساء « وكثيرا ما تتشبه المراة بالرجال وتخالف اطوار النساء .. » والمؤلف من اعذر المفكرين للمراة في كل مآخذها الاخلاقية، لانها تستمد اخلاقها من غرائزها ، ثم مما يملي عليها المجتمع ، وتكييف قيم المجتمع من صنع الرجال . وغرائز المراة تعلل فضائلها كما تعلل نقائصها ، وهي « تمهد لها العذر بين يدي الطبيعة، وان لم تمهده لها بين يدي القانون والاخلاق »

ويضرب المؤلف مثلا على ذلك فضيلة التضحية، وهي عنده اسمى الفضائل ، فالمراة تقدم عليها بغريزة الامومة التي ولدت معها ، وهي قد تموت في سبيل الذرية ، والرجل يقدم عليها بغريزة القطيع التي خلقت بعد نشوء المجتمع ، وبها مع كتيبته يقاتل في الحرب ولهذا كانت المراة اقرب الى التضحية من الرجل،ولا صلة بين هذه التضحية او تلك ، والتضحية الاخرى التي يستمدها الفرد الممتاز من ضميره احساسا منه بالواجب الفردي ، فهذه فضيلة الانبياء واشباه الانبياء .

من القضايا العامة للمراة

اما الفصول الثمانية الباقية ، بدءا من الخامس حتى نهاية الثاني عشر فتوضح قضايا اخرى عامة للمراة باستثناء الفصل التاسع فهو « زواج النبي » وقد تعرض له القرآن فلزم ان يبحثه المؤلف ، وهو يبين خاصية النبي في تعديد زوجاته، واسباب زواجه بكل واحدة منهن ، ثم آثار مكانتهن منه فيما يخصهن من واجبات وحقوق دون سائر النساء ، وهذه حالة فردية لم تتكرر في الاسلام ، ثم انه حرم على النبي قبل وفاته ان يزيد عليهن ، او يبدل بهن اخريات ، وقد سبق للمؤلف ان تناول هذا الموضوع في كتابه عبقرية محمد .

اما الفصول السبعة الاخرى فقد انفرد كل منها بموضوع نسوي خاص ، وموضوعاتها على التوالي: مكانة المراة ، حجابها ، حقوقها ، زواجها ، طلاقها، استرقاقها (يوم كانت سرية او امة) ، معاملتها. ولا يكتفي المؤلف في اي فصل منها بعرض موضوعه من وجهة النظر القرآنية،ولكنه يلجا الى الدراسة المقارنة له ، فيذكر كيف كان الامر فيه عند امم الحضارة واهل الديانات السابقة للاسلام ويزيد غالبا على ذلك ما كان عليه في امم الحضارة بعد الاسلام حتى العصر الحاضر ، وبذلك يتجلى فضل القرآن في تصحيح اوضاع المراة وتحسين احوالها الى حد رفيع لم تبلغه قبله او بعده شريعة حتى اليوم ، ونكتفي هنا بفصل واحد هو

مكانة المراة

يستعرض المؤلف مكانة المراة في الحضارات القديمة ، وفي بعض الاديان ، ويقارن بينها وبين مكانة المراة في القرآن فاذا مكانتها فيه اعلى واظهر من مكانتها في سواها ، وهي تقوم على اساس انساني لم تقم على اكرم ولا ارسخ منه في اي حضارة او ديانة سابقة .

يقول « ربما كانت الحضارة المصرية القديمة هي الحضارة الوحيدة التي خولت المراة « مركزا شرعيا » تعترف به الدولة والامة ، وتنال بهحقوقا في الاسرة والمجتمع تشبه حقوق الرجل فيها ، ولا تتوقف على حسن النية من جانب الآباء والأبناء والاقربين . اما الحضارات الاخرى فكل مانالت المراة فيها من مكانة مرضية فانما كانت تنال بباعث من بواعث العاطفة على حاليها من حميد وذميم » ومن بواعث العاطفة الحميدة احترام الابناء للامهات لشعورهم بمحبتهن ، ومن بواعث العاطفة الذميمة مايشيع في عصور الترف فتنال المراة حظا

من الاهتمام لانها من مطالب المتعة والوجاهة ، وهكذا كانت مكانة بعض النساء في اوج الحضارة الرومانية ، مع بقاء المراة في منزلة الرقيق من جانب القانون والنظرة الادبية ، ولهذا كانت القيان والجوارى الطليقات اعلى مكانة عند طلابهن من مكانة النساء الحرائر عند الازواج والاقربين •

وشريعة « مانو » في الهند لم تعرف للمراة حقا مستقلا عن حق ابيها او زوجها او ولدها في حالة وفاة الاب والزوج ، فاذا انقطع هؤلاء جميعا وجب ان تنتمي الى رجل من اقارب زوجها في النسب ، فليس لها حق مستقل في اى معاملة اجتماعية ، وشر من ذلك كله ايجاب الموت عليها عند موت زوجها وقد يحرقان معا في موقد واحد ، وقد دامت هذه العادة الممقوتة من ابعد عصور الحضارة البرهمية حتى القرن السابع عشر ، ثم بطلت على كره من اصحاب الشعائر الدينية •

وكانت المراة في شريعة حمورابى البابلية اشبه بمكانة الماشية المملوكة •

اما عند اليونان الاقدمين فكانت المراة مسلوبة الحرية والمكانة في كل ما يرجع الى الحقوق الشرعية ، وكانت تحل في المنازل الكبيرة محلا منفصلا عن الطريق ، قليل النوافذ محروس الابواب » واشتهرت اندية الغوانى في الحواضر اليونانية ، لاهمال الزوجات وامهات البيوت ، وندرة السماح لهن بمصاحبة الرجال في الاندية والمحافل المهذبة ولم تشتهر عندهم امراة نابغة من الحرائر ، وان اشتهرت بعض الغوانى أو الجوارى•

«ومذهب الرومان الاقدمين كمذهب الهنود الاقدمين في الحكم على المراة ، حيث كانت لها علاقة بالآباء والازواج أو الأبناء ، وشعارهم الذى تداولوه ابان حضارتهم ان قيد المراة لا ينزع ، ونيرها لايخلع »، وقد تحررت المراة من بعض هذه القيود يوم تحرر العبيد على اثر تمردهم : ثورة بعد ثورة ، فتعذر استرقاق المراة كما تعذر استرقاق الجارية والغلام، وبعد سقوط الدولة بسبب ماانغمست فيه من ترف وفساد وولع بالشهوات ـ كان رد الفعل ان شاعت غاشية من كراهة البقاء والذرية ، وعمت عقيدة الزهد ، والايمان بنجاسة الجسد ونجاسة المراة ، ومن بقايا هذه الغاشية اشتغال بعض اللاهوتيين المسيحيين حتى القرن الخامس الميلادى بالبحث في طبيعة المراة هل لها روح ام هي جسد بحت،وغلب عليهم انها خلو من الروح الناجية ، ولا استثناء لامراة غير ام المسيح عليهما السلام •

ويوم قضى الظلم الرومانى على بقايا حضارة مصر وشريعتها اشتد الاقبال في مصر على الرهبانية ، اقترابا الى الله ، وابتعادا عن حبائل الشيطان وأولها النساء •

ثم يشير المؤلف الى مايحلو لكثير من المؤرخين الغربيين ان يرددوه ، وهو ان الاسلام ينقل شريعته عن الشرائع السابقة له ولا سيما الشريعة الموسوية ، ويرى المؤلف ان بطلان هذه الدعوى لا يتضح من شيء كما يتضح من المقابلة بين مركز المراة في التوراة ومركزها في القرآن ، فالبنت في التوارة المنسوبة لموسى تخرج من ميراث ابيها اذا كان له عصب من الذكور ، ولم يكن للبنت الا مايعطيها الاب في حياته على سبيل الهبة ، ولم يكن لابناء السرارى حق في الميراث ، وللبنات حق الميراث عند انقطاع نسل الذكور ، ولكن لايجوز للبنت الوارثة ان تتزوج في سبط آخر حتى لاينتقل ميراث سبطها الى سبط غيره ، فالنظرة هنا مالية محضة ـ كعادة اليهود ـ وليست انسانية من اى جهة •

فاذا انتقلنا الى الجزيرة العربية حيث نزل القرآن لم نجد للمراة مكانة خيرا من مكانتها في سائر تلك الامم ، فهى قد تكرم ، لانها بنت ذلك الرئيس المهاب او ام ذلك الابن العزيز ، وحمايتها واجبة على الآباء والاقربين ، ولكن كما يحمى كل شيء في الحمى : كالفرس والبئر و المراعى ، لان المرء يعيبه ان يهان حرمه كما يعيبه الاعتداء على كل مايحميه ، وقد ينظر اليها كانها عار يؤنف منه او ميراث يتداول مع المال والماشية •

« ثم جاء القرآن الكريم الى هذه البلاد كما جاء الى بلاد العالم كله بحقوق مشروعة للمراة لم يسبق اليها في دستور شريعة ، او دستور دين ، واكرم من ذلك لها انه رفعها عن المهانة الى مكانة الانسان المعدودة من ذرية آدم وحواء بريئة من رجس الشيطان وحطة الحيوان ، وأعظم من جميع الحقوق الشرعية التي كسبتها المراة من القرآن الكريم لاول مرة انه رفع عنها لعنة الخطيئة الابدية

ووصمة الجسد المرذول » اللتين الصقهما بها بعض الديانات ، بسبب معصية حواء الاولى ، فالاسلام يرى ان الزوجين آدم وحواء قد خضعا لوسواس الشيطان ، ثم استحقا الغفران بالتوبة والندم فصارا بريئين « وصح مكان المراة فى الحياة الجسدية كما صح مكانها فى الحياة الروحية بما فرضه القرآن الكريم على الانسان من رعاية جسده ، والمتعة الطيبة بخيرات ارضه وزغبات نفسه » ٠

« وهذا النظام القرآنى الادبى الشامل » الذى يصحح النظر الى حياة الروح وحياة الجسد ، والى بواعث الخير والشر ، والى موازين التبعة والجزاء، وقوامه كله حق الوجود وحق المعيشة للكائن الحى من ذكر وانثى ، ومن كبير وصغير ٠

ولهذا لا يكتفى القرآن بانكار واد البنات بل ينكر التبرمبذرية البنات،وتلقى ولادتهن بالعبوس، ولا تقومشريعة القرآن فى مسالة المراة وغيرها على اساس المنفعة بل على اساس الواجب الانسانى ، فالمراة انسان كالرجل لها مثله حق الحياة وحق الرعاية فى المعيشة والاستقلال بتبعاتها ، فكل ما هو للانسان فهو للمراة لانها انسان ، فلها ــ مثلا ــ حق الميراث بحكم انسانيتها سواء وجد الذكور معها اولم يوجدوا ، ولا حجر عليها مثلا ان تتزوج من اهل دينها من تختار ، وينتقل مالها معها ٠

« والآية الكبرى فى وصاية القرآن بالانثى انها وصاية وجبت دون ان يوجبها عمل من النساء ولا عمل من المجتمع ، وانها فرضت على المجتمع برجاله ونسائه فرضا ، لم يطلبه هؤلاء ولا هؤلاء ، وتلك وصاية لم يحدث لها نظير فيما تقدم من الشرائع قبل عودة الاسلام »، ونزيد على المؤلف : « ولا بعد دعوة الاسلام حتى اليوم » ٠

هذا نموذج لما سار عليه المؤلف فى بقية الفصول التى تتناول القضايا العامة للمراة نكتفى به لانه يمثل طريقته فى المقارنة بين ما جاء به القرآن وما جاءت به الاديان قبله او جاءت به الشرائع والقوانين قديمةوحديثة،ومنهذهالمقارنة يتبينفضلما جاء به القرآن على ماجاء به غيره فى انصاف المراة وتقديرها تقديرا انسانيا كاملا ٠ وهذه القضية اهم ما وضحه المؤلف رحمه الله ٠

تعقيب

وفى تعقيب المؤلف آخر الكتاب يتناول قضية المراة جملة ، ويبدى رايه الحاسم فيما يتردد اليوم من بلبلة حول المراة وحقوقها عندنا وفى جميع امم العالم ، وخلاصة رايه فى النزاع قوله: « ملاك العدل والمصلحة بين الجنسين ان تجرى الحياةبينهما فى الامة على سنة التعاون والتقسيم، لا على سنة الشقاق والتناضل بالمطالب والحقوق٠ وليس الخلاف بينهما بالخلاف الذى ينفضبالصراع على كفايةواحدة يدعيها كلاهما فى مقام الخصومة٠ ولكنه خلاف على كفايتهم ايهما اصلح لتلك ، وان صلحكلاهما لكفاية الآخر فى كثير منالاحيان٠ فلا جدال فى استطاعة الرجل ان يعمل ما تعمله المراة من تكاليف البيت والاسرة ، ولكن لايقضى عليه ان يدع الحياة العامة ، ليحل فى البيت حيث حلت المراة من قديم الزمن ، ولا جدال فى استطاعة المراة ان تشارك الرجل فى الحياة العامة ، ولكنها لا تتخلى عن البيت من اجل ذلك لتزاحم على جميع اعماله مما يستطيعان على السواء ٠ واذا قضى اختلاف الجنسين ان يكون لكل منهما عمله الذى هو اصلح له واقدر عليه فالجدال فى ذلك محال ذاهب فى الهواء » ٠

« نعم لا جدال فى الوظيفة المثلى التى تستقل بها المراة فى ظل السكينة الزوجية من جهاد الحياة وحضانة الجيل المقبل ، لاعداده بالتربية الصالحة لذلك الجهاد ، وليست هذه باصغر الحصتين : ليس تدبير السكينة فى الحياة باهون من تدبير الجهاد ، وليس العمل الصالح لسياسة الغد باهون من العمل الصالح لسياسة اليوم ٠ وان الحياة لتنحرف عن سوائها فينحرف البيت عن سوائه ، وتعجز المراة والرجل عما يستطيعان فى الاسرة وفى المجتمع ، فلا يقاس على ذلك ولا يبنى عليه، ولا يجوز ــ مع ذلك ــ ان تبوء المراة وحدها بجريرة الخلل والانحراف ، فيحال بينها وبين العمل النافع الذى تلجئها الضرورة اليه » ٠

« والشريعة المنصفة هى الشريعة التى تحسب حساب الحالتين ، وتشرع للحالة المثلى ولا يفوتها ان تشرع لحالة القسر والاضطرار ، فلا تمنع شيئا يوجبه نقص المجتمع حتى يتهيأ له حظه من الكمال ٠ وفى شريعة القرآن حساب لكل اولئك

فى قضية المراة : فيها حساب المعيشة التى ترتضيها المراة باختيارها ، وفيها حساب المعيشة التى تساق اليها عن كره منها ، فلها فى هذه الحالة كل ما للرجل وعليها كل ما عليه » .

وماذا بعد معركة الحقوق بين الرجل والمراة ، وايان ، وكيف ينتهى اللجاج من هنا وهناك على ضوء الهداية القرآنية ؟ .

وجواب المؤلف الأمل المتامل تتضمنه هذه الفقرة التي يختم بها كتابه : « ان يكن لهذا العالم خير اريد به فسياتى فى الاوان المقدور الذى تسمع فيه المطالبات بحقوق المراة مطالبات بحق جديد تستحقه بكل جهد جهيد ، ولكنه فى هذه المرة حقها الخالد الذى لاينازعها فيه منازع : حق الامومة والانوثة ، لا حق الرجولة المدعاة ، ولا حق السباق الى ميادين الصراع . وسلام يومئذ فى العالم الصغير ـ عالم البيت والاسرة ـ وسلام فى العالم الكبير » . ■■

محمد خليفة التونسي

من الكتب التي وصلتنا

البترول والتغير الاجتماعي فى الخليج العربي

تاليف : الدكتور محمد غانم الرميحى .

الناشر : المنظمة العربية للتربية والدراسات العربية ـ الجامعة العربية القاهرة .

● يحاول هذا الكتاب ان يوضع مجموعة من النقاط،هي مؤشرات للتغير الاجتماعي والاقتصادى الذى طرا على المجتمعات الخليجية منذ تدفق البترول فى اراضيها ، لقد قيل ان البترول هو العامل الوحيد لهذا التغير الذى حدث فى الخليج ، كما قيل انه هو الذى حقق استقلال مجتمعات الخليج عن التسلط الاجنبي .

والمؤلف هنا يتساءل هل عوامل التغير تقتصر على عامل البترول وحده ، وهل عوامل هذا التغير داخلية ام خارجية فيقرر ان التغير عملية ديناميكية بهامجموعة من الدوافع الداخلية والخارجية بتفاعلها تنتج عملية التغير الاجتماعي ، فمما لاشك فيه ان التغير كان آتيا لمجتمعات الخليج العربي فلم يكن مجتمع الخليج العربي بالمجتمع البدائي فهو صاحب حضارة عربية اسلامية ذات قواعد وقيم واعراف ، كما ان وجود هذا المجتمع حول ممر مائى حيوى جعله يحتك بخبرات عربية واقليمية وعالمية كانت ستقوده بلا شك الى التطور . الا ان تدفق البترول بغزارة فى اراضيها ادى الى سرعة هذا التغير فقد اسرعت الفوائض البترولية فى عملية التغير نتيجة استثمار بعض منها فى بناء المدارس وبناء المستشفيات وانشاء الطرق وتحسين المواصلات .

ويرى المؤلف ان البترول ساهم فى خلق مجموعة من المتناقضات السياسية والاجتماعية ، كما ان المتناقضات الاقتصادية واضحة فى ان تملك بعض المجتمعات الخليجية الاساطيل لنقل البترول يديرها ويشغلها ويبحر بها اجانب فى حين ان هذه المجتمعات لاتملك الكوادر الفنية اللازمة ذات الكفاءة للقيام على ادارة هذه الاساطيل .

علم النبات التقسيمي

تاليف : الدكتور عدنان قشلان .

الناشر : جامعة حلب ـ سوريا .

● هو كتاب يقع فى جزءين ، الاول نظرى ، والثاني مرشد عملي يهدف الى ان يحيط القارىء بالمملكة النباتية احاطة شاملة . وان يستمتع بتنوع افرادها ، وانماط حياتها ، وتعدد اشكالها ، وقدرتها على التكيف ، وهو يميل الى ان يشرك القارىء بملاحظة التدرج التطورى للعالم النباتى،

وذلك لان مواضيعه تترتب اعتبارا من النباتات البسيطة البنية والتعضئي كالجراثيم Cacteria والفطور Fungi والاشنيات (او ما يعرف بالطحالب Algae) الى النباتات الراقية المعقدة (النباتات مغطاة البذور Angiospermae) .

وقد اولى المؤلف عنايته لابراز النباتات الممثلة لاهم الفصائل ذات المكانة في علم التصنيف النباتي Taxonomy ، وذات المقام الاول في الانتاج الزراعي ، كما رتبت الفصائل النباتية في الكتابين في حوالي ٦٠٠ صفحة ، وزين الكتابان بما يقرب من ٢١٥ شكلا ، مع الاهتمام بعرض الهيئات الظاهرية والتشريحية للنباتات وازهارها ، خصوصا حسب خطة تساعد الدارس على تصنيف النباتات وضمها الى فصائلها وتسميتها .

حق الدولة في العقاب

تاليف : الدكتور عبد الفتاح مصطفى الصيفي

الناشر : جامعة بيروت العربية ـ بيروت/لبنان

تناول المؤلف في هذه الدراسة حق الدولة في العقاب من حيث نشاته واقتضائه بمعنى الوصول اليه وانتهائه . وهذا الكتاب مقدمة وثلاثة فصول اشتمل الفصل الاول منه على الرابطة العقابية التي تقوم بين طرفين طرفها الاول هو الدولة بصفتها شخصا معنويا تمثله النيابة العامة ، وهو طرف ايجابي اما الطرف السلبي في هذه الرابطة فهو مرتكب الجريمة .

كما طرح المؤلف في هذا الفصل طبيعة هذه الرابطة وهل هي سلطة للدولة ؟ام حق من حقوقها ؟ وانتهى الى ان العقوبة هي حق للدولة، وليست سلطة من سلطاتها ، وهي حق قضائي ، بمعنى ان الدولة لا تستطيع في حالة وقوع الجريمة ، والتاكد من مرتكبها ، ان تلجا الى تنفيذ العقوبة مباشرة ولو اعترف الجاني اعترافا صريحا بارتكابها .. بل عليها ان تلجا للقضاء لتحصل منه على حكم يكشف عن حقها ضد هذا الجاني ، ويؤكده .

وكنتيجة لكون العقوبة حقا للدولة ، خلص المؤلف في الفصل الثاني الى ان هذا الحق يمكن ان تعرض له اسباب تحول دون اقتضائه ، ومن هذه الاسباب التقادم بنوعيه القصير والطويل ، كما انه قابل لان يعدم كما هو الحال في العفو العام . او صفح المجني عليه ، والعفو الخاص ، ووقف تنفيذ العقوبة ، والافراج تحت شرط ، وحفظ الدعوى لعدم الاهمية .

كما بين المؤلف في الفصل الثالث اقتضاء حق الدولة في العقاب ويستهدف لنوعين من الاقتضاء اولهما غير مقيد بمعنى ان الدولة تستطيع ان تلجا اليه دون انتظار لصدور شكوى من المجني عليه . وثانيهما الاقتضاء المقيد بمعنى ان الدولة لا تستطيع الوصول الى اقتضاء حقها هذا الا بعد صدور شكوى من المجني عليه او الحصول على اذن من الجهة العامة التي ينتمي اليها مرتكب الجريمة ، او تطلب ذلك هيئة عامة تعتبر في حكم المجني عليه .

كما فصل المؤلف المراحل الاجرائية التي لا بد ان تسير خلالها الدولة للوصول الى حقها في العقاب فقسمها الى ثلاث مراحل متميزة ومتعاقبة، وهي مرحلة المداعاة ومرحلة الادعاء ومرحلة الخصومة الجنائية .

مسلمات خالدات

تاليف : سنية قراعة .

الناشر : مكتب الصحافة الدولي للصحافة والنشر ـ القاهرة .

● يضم هذا الكتاب سيرة مجموعة من المسلمات الخالدات اللائي كان لهن شاو عظيم في التاريخ الاسلامي ، فاعمالهن وسيرتهن تضم قصص بطولة وجهاد كما انفيها العظة والاعتبار والنبراس الذي يحتذى ، انهن يصورن جهاد المراة المسلمة ووجودها العقلي وقدرتها الخلاقة .

يبدا الكتاب بدراسة عن السيدة هاجر ام اسماعيل ، وزوج ابراهيم الخليل عليه السلام ، لقد كانت هذه السيدة رمزا للطاعة ومثلا للوفاء والاخلاص ، وكانت لتقديس الزوج واجلاله آية صدق تحتذى . ثم بعد هاجر قدمت المؤلفة السيدة خديجة بنت خويلد ام المؤمنين التي صحبت الرسول في احلك ساعات الشدة والكفاح ، فكانت نعم المشجع ونعم الرفيق العاني،بل كانت الزاد الروحي الذي ساعد الرسول على المضي قدما في دعوته .

انها صحائف سير ضمت قصص بطولة وجهاد ، فهناك سمية امعمار اولشهيدة فيالاسلام، ثم كعيبة الاسلمية اول من قامت بالتمريض في الاسلام ، بل كانت من اوائل النساء اللائي مارسن هذا الضرب من الجهاد الانساني النبيل .

« البقية صفحة ١٥٠ »

بقلم : جي دى موباسان

■ قالت الكونتيسة لاحفادها :

« والآن يا احبائي حان الوقت للنوم ! » •

وقبل الاطفــال الثلاثة ــ البنتــان والولد ــ جدتهم • ثم حيوا القسيس تحية المساء • وهو الذى كان قد تعود أن يتناول عشاءه في القصر يوم الخميس من كل اسبوع • وردّ الاب القسيس « موندوى التحية » ــ بان اخذ الطفلتين فوق ركبته، واحاطهما بذراعيــه الطويلتين ، واحتضنهما في عطافه الاسود ، وربت بحنان أبوى على رأسيهما ، ثم طبع على جبين كل منهما قبلة طويلة حانية • وما لبث الاطفال ان غادروا الغرفة ــ البنتان في المقدمة ، والولد من خلفهما •

قالت الكونتيسة للقس : « من الواضح يا سيدى انك تحب الاطفال • »

فاجاب : « احبهم كل الحب يا سيدتى • »

ورفعت السيدة العجوز عينيها الى وجه القسيس وهي تقول : « الا تشعر بالضجر من معيشتــك وحدك ؟ » •

قال : « نعم ، أشعر بذلك احيانا ! » •

واستغرقه الصمت هنيهة ثم استطرد قائلا : ولكنى لم أخلق لتلك الحياة اليومية الدنيوية • »

« وماذا تعرف عنها ؟ • »

« آه! انني اعرف عنها ما فيه الكفاية! لقد خلقت لأكون راهبا ، واطعت ارادة الله ! » •

وظلت الكونتيسة ترمقه وتقول له : « هيا قص على كيف اتخذت قرارك ، فانكرت كل ما يحيينا نحن في هذه الحياة ، وزهدت في كل ما يريحنا وما يعزينا •• لماذا لم تسلك طريق الحياة العادية : الزواج وحياة الاسرة ؟ فانت لست متصوفا ولا متعصبا • ولا تميل بطبعك للكآبة او التشاؤم • اهو امر محزن ذلك الذى وقع لك ، فدعاك لحياة النساك ؟ ! » • فقام الاب (موندوى) واقترب بحذائه الريفي الثقيل من السنة اللهب في المدفأة• وظل مترددا في الادلاء بجواب •

كان رجلا طيب القلب ، ودودا لطيفا ، كريم الطبع • وهو جار لمدة عشرين عاما مضت للكونتيسة العجوز « دى سيفال » ، وهي التى تقاعدت داخل قصرها بمقاطعة (روتشر) بعد وفاة ابنها وزوجته، لتتكفل بتربية احفادها • كان الاب (موندوى) يحضر يوم الخميس من كل اسبوع الى القصر كما ذكرنا ، ويقضى فيه المساء، فاصبح صديقها الحميم المخلص • وتوطدت صداقتهما الروحية على مر الايام ، فاثمرت تجاوبا بينهما في الافكار ، والفة في المشاعر البعيدة كل البعد عن الزيف •

قالت له باصرار : « والآن يا أبى ، حان الوقت لتعترف لى ! » •

فراح يردد : « لم اخلق لتلك الحياة العادية • وقد اكتشفت ذلك لحسن الحظ في الوقت المناسب• »

ثم استطرد يقول : « كان والداى من تجار الخردوات بالجملة في مدينة (فيردييه) • وكانا

فى سعة من العيش • وكنت معقد آمالهما • فقد الحقانى فجاة تلميذا صغيرا باحدى المدارس الداخلية • ولم يكن احد يستطيع أن يدرك مدى شقائى من فرط ما عانيت من الوحدة بعيدا عن بيتى • وقد تكون الحياة الروتينية الخاوية من العطف والحنان مقبولة وممكنة لبعض الناس ، ولكنها مجلبة للمصائب لبعضهم الآخر • فالاطفال غالبا ما يكونون مرهفى الحس اكثر مما قد يظن الناس ، وابعادهم فى سن مبكرة وبتلك الطريقة عمن يحبونهم ـ لا شك يرهق اعصابهم ، ويؤثر فى حالتهم النفسية تاثيرا سيئا ، فيصبحون فريسة لامراض خطيرة • ونادرا ما مارست لعبة من الالعاب الرياضية، اذ لم يكن لى اصدقاء • وكنت طوال الوقت اعانى من قسوة شعورى بالحنين الى بيتى • كم بكيت على وسادتى خلال الليل • وكم من المرات استرجعت ذكرياتى المنزلية ، ذكريات عادية تتعلق بامور واحداث تافهة • ولكن لم يكن فى مقدورى غير ذلك • واصبحت شيئا فشيئا انسانا محطم الاعصاب ، بسبب تلك الصعوبات الطفيفة التى ثبطت همتى، وجعلتنى اشعر شعورا حادا بالبؤس • اصبحت كئيبا ، مفرطا فى حب ذاتى ، مكبوت المشاعر ، وحيدا ! وطالت مدة معاناتى ، فتضاعفت حالتى العقلية سوءا بلا وعى منى حقا ، ان اعصاب الاطفال تتاثر بسهولة • لذلك لا بد لهم من عناية كبيرة ، وفهم عميق ودقيق لعالمهم ، لتجنيبهم المتاعب فى حياتهم ، حتى يصبحوا رجالا أسوياء • ولكن من الذى يستطيع ان يحقق ذلك لتلاميذ تفرض عليهم التزامات وواجبات مدرسية ، اصعب مما يقتضى الامر ، واشق مما ينبغى ، فيصيبهم ذلك كله باجهاد عقلى ، وبعذاب كذلك العذاب الذى يسببه موت صديق سيجىء حديثى عنه بعد ؟ من الذى يقدر حقيقة ان شيئا يبدو تافها جدا قد يؤثر فى بعض العقول الغضة تاثيرا انفعاليا يؤدى فى فترة وجيزة الى اذى لا براء منه ؟ ! •

« وهذا ما حدث لى : اضنانى الحنين الى بيتى، وفاض به قلبى ، حتى اصبحت حياتى كلها شقاء متصلا ! لم ابح ببلوای لاحد ، وشيئا فشيئا تفاقمت حالة حساسيتى حتى اصبحت حالة

مرضية ، واصبح ذهني كجرح غائر مفتوح . كان اقل مساس بحساسيتي المريضة تلك يسبب لي وخزات من الالم،وعذابا مضنيا لا يبارحني، سعداء اولئك الذين اكسبتهم الطبيعة بلادة الحس ، وسلاح المزاج الرواقي ! »

كنت قد بلغت السادسة عشرة من عمري . وقد جعلتني كل تلك الامور المؤذية انسانا شاذا خجولا متهيبا ، قليل الحيلة في مواجهة الحظ او القدر ! وبذلك تقلصت كل اتصالاتي ، وتدهور تقدمي ونشاطي في حياتي المدرسية . كنت اشعر دائما انني في حالة دفاع عن النفس ، كما لو كنت واقعا لا محالة فيقبضة مجهوليحاصرني ويهددني . كنت اشعر شعورا متسلطا بان كارثة على وشك الحدوث ، فلم اجرؤ على التفوه باى كلمة او الاتيان باى فعل في جمع من الناس . وتسلطت على الفكرة القائلة بان الحياة معركة ضارية ، ونضال رهيب ، يتلقى المرء في خضمها لطمات رهيبة ، فتثخنه جراح اليمة بل مميتة !

واصبحت لا امني نفسي بآمال في المستقبل،شان الناس الاسوياء . كنت اشعر برعب لا حدود له . كنت اود أن أختفي عن الانظار ، أن أتحاشى ذلك النضال الذي يؤدي بي الى القهر او القتل لا محالة .

وعندما انهيت دراستي ، منحت اجازة لمدة ستة شهور لاختارلنفسي خطط المستقبل .

ولكن حادثا هينا جدا وقع لي ، فمكنني من معرفة نفسي ، وأزاح الغموض عن حالتي النفسية المرضية . أدركت مكمن الخطر وقررت اناجتنبه .

ان « فردييه » بلدة صغيرة ، يكتنفها جو ريفي وتحيطها الغابات . وكان بيت والدي يقع في شارعها الرئيسي . وكنت اقضي وقتي بعيدا خارج البيت ، ذلك البيت الذي طالما افتقدته كثيرا وتقت اليه بلا حد . انطلقت هائما على وجهي في انحاء ريف بلدتنا تلك ، شارد الفكر ، مستغرقا في احلامي .

اما والداي فكانا مستغرقين في اعمالهما ، قلقين على مستقبلي ، لا يتحدثان الا عن تجارتهما ، وعن الاعمال المتاحة لي في حياتي المقبلة . احباني بعقلهما الصارم العملي ، اكثر مما احباني بقلبهما . كنت أعيش حبيس افكاري، ولم استطع الفكاك من سطوة مخاوفي وقلقي .

وذات مساء ، بعد ان قضيت النهار كله خارج البيت ، وبينما كنت اسير مسرعا كيلا أعود الى بيتي متاخرا ـ رأيت كلبا يعدو باقصى سرعته متجها صوبي . كان صغيرا ، كثيف الشعر ، نحيلا جدا ، ذا اذنين طويلتين يكسوهما شعر جعد. توقف على بعد عشر ياردات مني . فتوقفت انا ايضا . بصبص بذيله ثم اتجه نحويببطء وحركات جسمه كلها تنم على تهيبه . وما ان اقترب مني حتى خر على اقدامه في مذلة ، وتلفت براسه في لطف يمنة ويسرة . حدثته فبدأ يزحف نحوي على بطنه ، ناظرا الى بمذلة بالغة . كان بادي البؤس يستغيث بدموعي التي ترقرقت بها عيناي. تحركت نحوه ، فاجفل مبتعدا . لكنه سرعان ما عاد ، فركعت على ركبة واحدة وحدثته برفق ، محاولا استمالته ليقترب مني . واخيرا اصبح في متناول يدي . ربت عليه براحتي في حنان بالغ ، حريصا كل الحرص على الا أخيفه . فما لبث أن اطمأن قلبه . وشيئا فشيئا وقف بشجاعة وقد استقام جسمه . ووضع مخالبه فوق كتفي ، وبدأ يلعق وجهي . وتبعني في عودتي الى البيت. كان اول مخلوق حي احببته في حياتي حبا حارا ، لانه اعاد عاطفتي الى قلبي . كان حبي للحيوان ، بلا شك ، مغالا فيه ومضحكا . راودتني فكرة غامضة، هي اننا ـ انا وهو ـ بشكل ما ـ اخوان ، فكل منا ضائع في الحياة ، وحيد وقليل الحيلة . لم يتركني ابدا . كان ينام في سريري عند قدمي . كان ـ يتناول عشاءه معي في غرفة الطعام بالرغم من احتجاج والدي . وكان يشاركني في تجولاتي جميعها .

« وكنت عادة ، اتوقف هناك على حافة قناة ثم أجلس على العشب . وعلى الفور يعدو « سام » ويلحق بي ، ويرقد بجانبي او على ركبتي ، ويدغدغ يدي بمراعف انفه لاداعبه والاطفه . وذات يوم ، في اخريات شهر (يونية) . وبينما كنا في طريقنا الى كنيسة بلدتنا رأيت مركبة عائدة من بلدة « رافيرو » المجاورة تجرها اربعة جياد ، منطلقة باقصى سرعة . كانت المركبة

صفراء، تغطى مقاعدها العلوية خيمة جلدية سوداء بدت كقبعة كبيرة • وكان الحوذى يقودها ويضرب بسوطه الفضاء • وثارت سحابة من الغبار تحت عجلات المركبة الثقيلة وتماوجت خلفها • وفجاة ! عندما اقتربت منى المركبة ـ وربما استبد الخوف بـ « سام » آنذاك من ضجيجها واراد ان يتجه نحوى ـ وثب امامها فلطمهحافر احد الجياد• رايته يتدحرج متكورا ، يدور على نفسه منقلبا راسا على عقب • قام ثم سقط مرة اخرى وسط غابة من سيقان الجياد • ارتجت المركبة كلها رجتين قويتين • ورايت وراءها فى الغبار شيئا يتلوى • كان قد شطر شطرين تقريبا ، وبقرت بطنه وتفتقت احشاؤه وبرزت ، وانبجس الدم متفجرا ! حاول أن يقوم ويمشى • لكنه استطاع فقط ان يحرك اطراف اقدامه ، وخمش بها الارض • كان جانب مؤخرته قد مات فى الحال • كان يعوى عواء مثيرا للشفقة ، عواء مخبولا من فرط الالم •

« بعد دقيقة » او دقيقتين كان قد مات ! لا استطيع ان اصف مشاعرى • فكم كنت متاثرا • ولم أستطع ان اغادر غرفتى لمدة شهر • وذات مساء ، صاح بى أبى الذى كان غاضبا منى ، لاننى بالغت فى حزنى ، فصنعت من الحبة قبة كما يقولون : « اذن ماذا تفعل عندما يدهمك حزن حقيقى اذا فقدت زوجة او طفلا من أطفالك فى المستقبل ؟ ! » وبسرعة ومضة البرق بدات افهم نفسى • أدركت السبب الذى جعل المتاعب الصغيرة فى الحياة اليومية تلون الدنيا فى ناظرى بلون ماساوى قاتم • ادركت اننى كنت اشعر بكل شىء برهافة مفرطة ، وباستجابة سريعة مؤلمة تفوق كل حد ، وكل ذلك بسبب حساسيتى المريضة ومخاوفى المعبطة التى كانت تشل حيويتى • كنت خاويا من الرغبات الحسية والطموح • فقلت لنفسى : « الحياة قصيرة ! وسوف أكرس نفسى لخدمة الآخرين لاخفف من احزانهم وابتهج لافراحهم • لن أهتم مباشرة بمشاعرى • فسوف اجرب تلك العواطف النبيلة ، سوف اعمل على ترويض حساسيتى المرهفة تدريجيا • وفى ذلك شفائى !

لا تستطيعين يا سيدتى انتتصورى : كم ما تزال تعذبنى وتصهر قلبى تجربتى تلك ! لكن من ذا الذى لو كان فى حالتى تلك ، يستطيع ان يحتمل كل ذلك العذاب المضنى الذى تساميت به الى درجة التعاطف والشفقة ؟ ما كنت أستطيع مطلقا ان احتمل الحزن واواجه به الحياة اليومية • ما كنت لاتصور ان يموت طفل من اطفالى ولا ان اموت انا نفسى • وبالرغم من كل شىء فان خوفا غامضا لا شعوريا ما يزال يستبد بى ، فاشعر ان امرا ما على وشك الوقوع عندما يلوح لى ساعى البريد قاصدا بيتى ، فاشعر برعدة الخوف تسرى فى كل أوصالى ، بالرغم من ان شيئا لا يوجد الآن ليخيفنى !

وصمت الاب (موندوى) وغرق فى صمته وراح يرمق ألسنة اللهب فى المدفأة الكبيرة كانه ينشد هناك حلولا لاسرار وطلاسم تلك الحياة القاسية التى كان يمكن ان يعيشها لو انه واجهها بشجاعة أكثر !

واستطرد يقول بصوت خفيض : « كنت على حق يا سيدتى،فاننى لماخلق لاعيش فىهذا العالم !»•

لم تنبس الكونتيسة بكلمة • وبعد فترة صمت مديدة قالت معقبة : « أما أنا ، فلو لم يكن لى احفاد ، لما ظننتنى كنت استطيع الاستمرار فى الحياة بشجاعة ! » •

وقام الاب (موندوى) دون ان ينبس بكلمة اخرى • وفى ذلك الوقت من الليل ، بينما كان الخدم يغطون فى نومهم فىالمطبخ رافقته الكونتيسة الى الباب المؤدى الى الحديقة • وهناك تاملت قامته الطويلة وهو يغادر القصر • وبدا لها شبحا وئيد الخطى ، يتهادى تحت نور هالته وقد راح يغوص ويتلاشى فى الظلام المدلهم • وعادت الكونتيسة ، وجلست على مقربة من السنة اللهب، تفكر فى أمور عديدة لا تخطر ببال الشباب ابدا •!

ترجمة : حسنى محمد بلوى
الاسكندرية

علي من المهد الى اللحد

تاليف : السيد محمد كاظم القزويني
الناشر : دار الصادق ـ بيروت/لبنان ·

● هذه دراسة تتناول شخصية الامام علي بن ابي طالب في ظل الاسلام ومواقفه في المواطن الخطرة التي قل ان يثبت لها احد ، وتبدأ هذه الحوادث منايام بعثةالنبي صلى الله عليه وسلم، والشروع في الدعوة السرية والعلنية واطوار تلك الدعوة وتطورها في مكة ، الى ان تنتهي بهجرة النبي الى المدينة ، وهنا يبدأ العمل بصورة اوسع ، ويبدأ دور الحروب والغزوات ، وفي تلك المراحل تظهر شخصية الامام علي واستعداده للتضحية في سبيل المبدأ ، وتنتهي فترة الجهاد هذه بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ·

وتاتي بعد ذلك فترة من السكوت والصبر تفرضه المصلحة العامة للاسلام والمسلمين.وينقضي ربع قرن والامام جليس بيته مسلوب القدرة على العمل السياسي وتنتهي تلك الفترة بمقتل عثمان وانتقال الخلافة الى الامام فيبدأ طور جديد ، تظهر فيه مسئوليته عن الحكم وتطبيق احكام الله في جميع المجالات ، والاصطدام بالنزعات والاتجاهات المخالفة ، ويسير الكتاب مع الامام حتى ينتهي بوفاته شهيدا ثم ينهي المؤلف كتابه ببيان نماذج من كلمات الامام وتعاليمه القيمة وفضائله ومكارم اخلاقه ·

تاريخ النظم والشرائع

تاليف : الدكتور عبد السلام الترمانيني
الناشر : جامعة الكويت / الكويت·

● يدرس هذا الكتاب تاريخ النظم والشرائع، وهذا العلم فرع من علم القانون ، فهو يشتمل على دراسة القانون في ماضيه وحاضره ، ويرسم سياسة مستقبله ·

وقد دلت البحوث التاريخية على أن الشرائع والنظم القانونية ، وان اختلفت في عصورها التاريخية المتعاقبة ، فان قواعدها تتصل في عصورها اللاحقة بما سلف من عصورها السابقة ، كسلسلة متصلة الحلقات ، وان كل عصر من هذه العصور يحمل في طياته اسباب التطور الذي نشاهده في العصر الذي يليه · اما الغرض منهذه الدراسة فهو معرفة الاسباب والعوامل الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ادت الى تطورها وبعثت على تهذيبها وانتشارها ، وتتبع الصلة التي تربط الفكرة القانونية في عهدها الاول بتمثيلها في العصر الحديث ·

والحقيقة ان الشرائع الحديثة هي امتداد لشرائع قديمة وصور متعاقبة لتطورها ولا يمكن ان تفهم فهما صحيحا الا بمعرفة ماضيها وتتبع حلقاتها المتصلة بالشرائع والنظم القديمة ومعرفة جذورها · فالامم تتوارث الشرائع كما تتوارث الحضارات ، فالشرائع اللاتينية الحديثة قد ورثت الشريعة الرومانية ، وهذه الشريعة مدينة في اكثر مبادئها للشريعة اليونانية، المدينة بدورها للشريعة المصرية ، كذلك فان تاريخ الشرائع عامل اصيل في ازدهار الفقه ، وتطوير الشرائع، فالفقيه الذي يلم بالماضي القريب يستطيع ان يدرك ما كان عليه حال القانون في الحاضر البعيد ، وما سيكون عليه في المستقبل القريب ·

خمسون ومائة صحابي مختلق

تاليف مرتضى العسكري
الناشر : منشورات كلية اصول الدين بغداد / العراق ·

● يعرض المؤلف في هذا الكتاب لمجموعة من الاسماء الاسلامية التاريخية لصحابة وتابعين وقادة فتوح وشعراء ورواة حديث ، ويذكر ان اصحابها وما نسب اليهم من اقوال واعمال ـ لاحقيقة لهم ولا لها ·

وقد كان المؤلف قد صنف كتابا عن « عبد الله بن سبا » وقال ان ابن سبا هذا اسطورة من نسج خيال سيف بن عمر التميمي الذي شك العلماء في امانته ، وقالوا عنه انه « ضعيف الحديث ، متروك الحديث ، ليس بشيء » واتهم بالزندقة ، وقد ابتدع خيال « سيف » ـ في نظر المؤلف ـ شخصيات ادعى انها منالصحابة · ورواياته تفيض بمدح الامويين والتغني بامجادهم وقد اختلقاساطير كثيرة لنشر فضائلهم ، مع خلو احاديثه من ذكر العباسيين وهذه كلها آراء في حاجة الى مراجعة كثيرة دقيقة ·
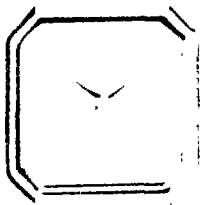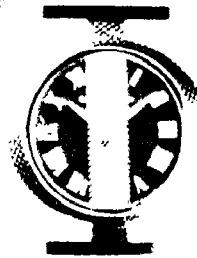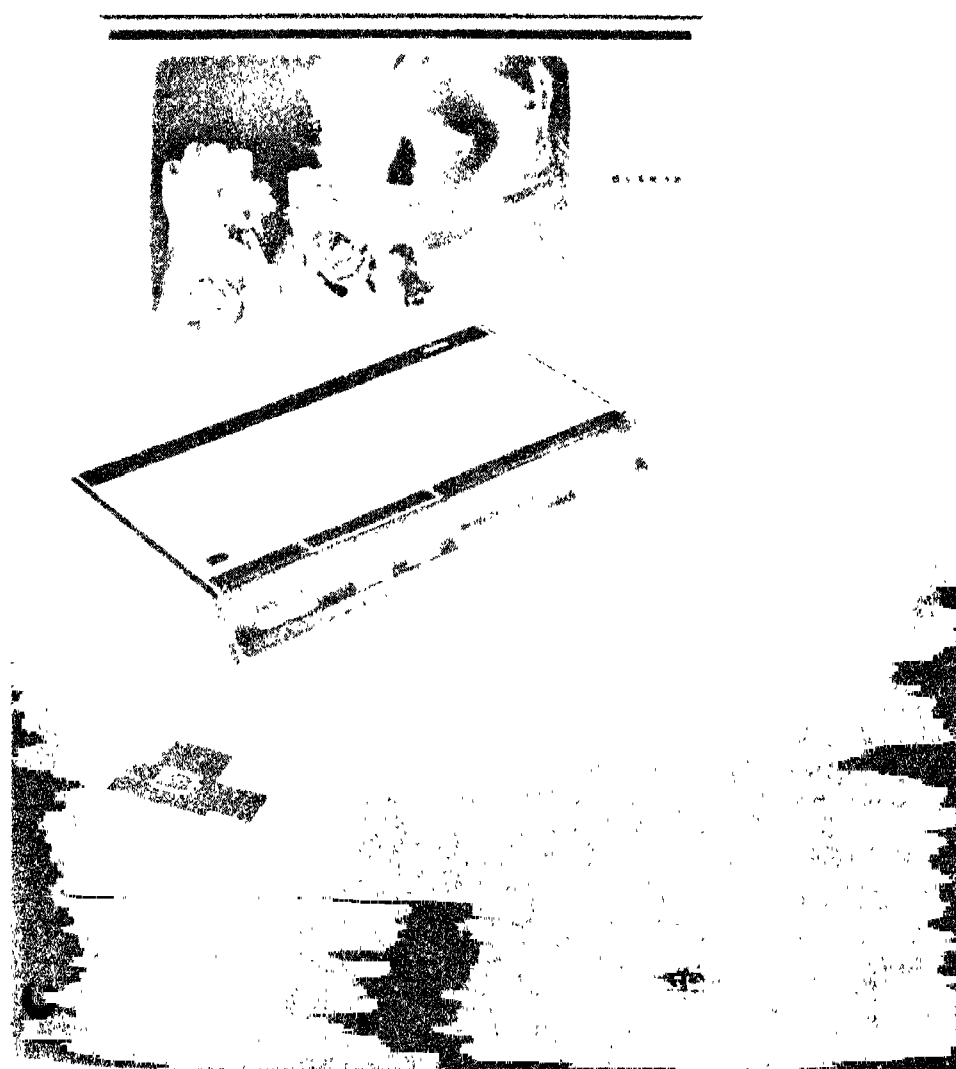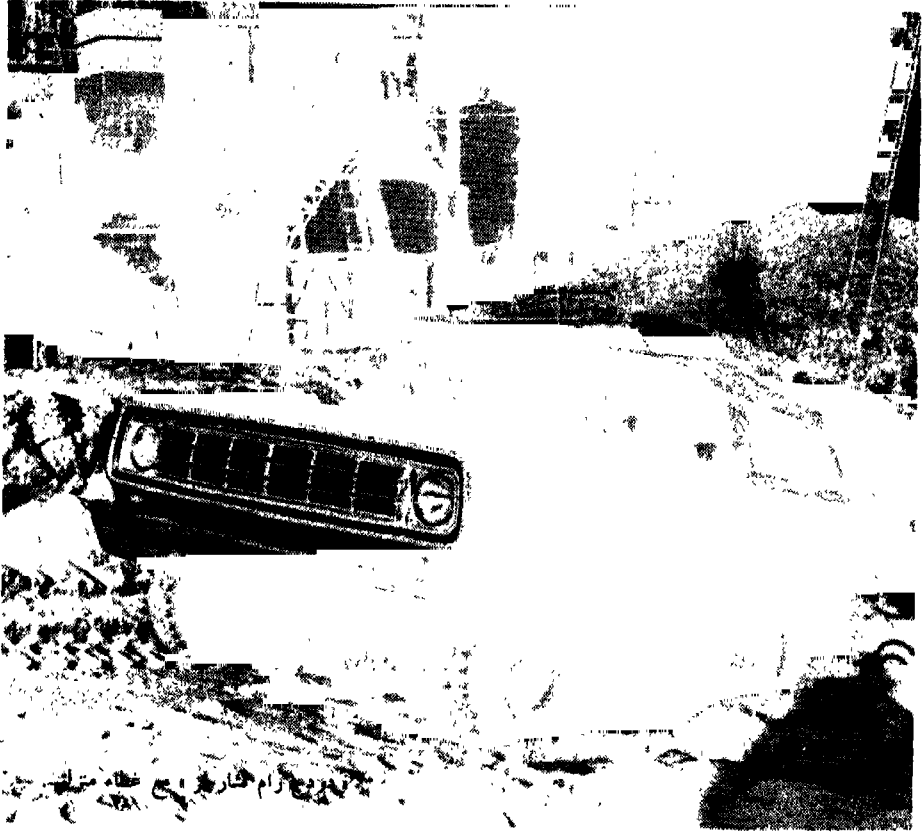
من يحتاج إلى الطرق؟

أحدث عربات كرايزلر قوة ٤×٤ تعمل في خدمتك حيث تندر الطرق المعبدة

هذه العربة المتعددة الاستعمالات الصامدة للأعمال الصعبة هي عربة جديرة بأكثر من ثمنها للقيام بأعمال نقل الحمولات أو نقل لغاية خمسة أشخاص براحة مهما كانت عليه حالة الطريق من وعورة (مع وسائل الترف إذا رغبت فيها). ويمكن الحصول عليها بموديل «دودج رام تشارجر» وموديل «بليموث تريلداستار». والموديل العادي مزود بزجاج أمامي/غطاء واق، مع سقف فولاذي أو غطاء منزلق اختياري — مما يجعل هذا الموديل مثالياً لنطاق واسع من الاستخدامات

«بليموث تريلداستار» مع سقف فولاذي.

والدفع بالعجلات الأربع يوفر قوة سحب ممتازة (وكذلك الدفع بعجلتين). دواسات معلقة — لا توجد فتحات في الأرضية تسمح بدخول التراب أو وحل الطرق. مجموعة من المحركات القوية للاختيار من بينها. ارتفاع صغير لسلم الركوب عن الأرض. أبواب واسعة لسهولة الدخول. ثلاثة أشكال جلوس مختلفة للاختيار من بينها.

استفسر من وكيل كرايزلار عن كافة التفاصيل

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن الازدهار الاقتصادي في البرازيل

هل باستطاعته أن يتكهن لكم بما قد يطرأ على الميزان التجاري البرازيلي من تطورات خلال السنوات القليلة القادمة ؟ أو ان يوضح لكم أي مكان من العالم سيتأثر بنمو البرازيل السريع ؟ وكيف ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعامل معه ان يشرح لكم كيف ستتأثر البرازيل بالاتجاهات الاقتصادية في الولايات المتحدة واوروبا ؟ او ان يبين لكم الاثر الذي سيتركه نمو البرازيل السريع في بنيانها الاقتصادي ؟ أو ماذا توفر البرازيل من امكانات للاستثمار في المستقبل ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة . حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث . انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها.

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في المكسيك والامريكتين الوسطى والجنوبية - أو في مكان آخر من العالم - فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن أولا .

شبكة تشيس منهاتن في أمريكا اللاتينية

<u>فروع في</u> : الارجنتين ، باناما ومنطقة القنال ، البرازيل ، بورتوريكو ، جمهورية الدومينيك ، فنزويلا ، المكسيك ، وأكثر من ٤٠ فرعا في جميع أنحاء البحر الكاريبي .

<u>مصارف مشاركة</u> : - الارجنتين - بنكو ارخنتينو دي كوميرسيو
- البرازيل - بنكو لار برازيليرو ، اس . أ.
- فنزويلا - بنكو ميركانتيل اي اغريكولا ، سي . أ.
- كولومبيا - بنكو ديل كوميرسيو
- هوندوراس - بنكو اتلانتيدا ، اس . أ.
- هوندوراس البريطانية - اتلانتيك بنك ، ليمتد

<u>مؤسسة مشاركة</u> : كوستاريكا - تشيس منهاتن ، كوستاريكا . اس أ

ان لك صديقا في

بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

NATIONAL ASSOCIATION

مقر رئيسي - 1 Chase Manhattan Plaza, New York N Y 10015 U S A

الفرع في البحرين : المنامة ص ب ٣٦٨
الفرع في لبنان : بيروت ص ب ٣٦٨٤
مصرف مشارك في دبي : بنك دبي التجاري المحدود
دبي ، اتحاد الامارات العربية

بنك لومبارد نورث سنترال

يقدم الفوائد التالية دون خصم الضريبة البريطانية في المصدر:

٩½٪ في السنة

حساب ودائع عادية

(لا يوجد حد ادنى للوديعة)

تعطى مهلة ٦ أشهر قبل السحب: الفائدة ٩½٪ في السنة. مهلة ٣ أشهر: ٩٪ في السنة. يمكن سحب ١٠٠ جنيه نور الطلب خلال السنة. الفائدة تقيد لحساب المستودع أو تدفع كل نصف سنة.

٩¾٪ في السنة

ودائع بدخل شهري

(الحد الأدنى للوديعة ١٠٠٠ جنيه)

مدة محددة طولها سنة واحدة تربح ٩¾٪ في السنة. سنتان أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات تربح ١٠¼٪ في السنة. تدفع الفائدة كل شهر.

ودائع زمنية

(الحد الأدنى للوديعة ١٠٠٠ جنيه)

مدة محددة طولها سنة واحدة تربح ١٠٪ في السنة. سنتان أو ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات تربح ١٠½٪ في السنة. تدفع الفائدة كل نصف سنة.

للحصول على كامل التفاصيل لمختلف حسابات الودائع الممكن فتحها معنا، ارسل الكوبون بالبريد اليوم.

To: The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Limited,
Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU, England

الاسم: ______________________

العنوان: ______________________

____

______________________ S182

احد المصارف التابعة لمجموعة بنك نا شونال ويستمنستر التي يجاوز رأسمالها واحتياطياتها ٧٩٧ مليون جنيه استرليني.

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول نوفمبر ١٩٧٥

٧٤

نجونا بأعجوبة

تأليف : ثورنتون وايلدر

تقديم : د. طه محمود طه

ترجمة : د. مختار الوكيل

مراجعة : د. عادل سلامة
د. محمد اسماعيل الموافي

الإسم
العنوان
الرجاء ان ترسلوا الى نشرتكم الجميلة الملونة بعنوان
وقلب الساعة التي تشرح ميكانيكية الساعة وتدلني على
طريقة التعرف الى "الانكابلوك". اقطع هذا الكوبون وارسله
الى العنوان التالي : مركز استعلامات انكابلوك للشرق الاوسط
ص.ب ٢٧٨٢ بيروت . لبنان
Incabloc®
انكابلوك يبين الفرق
قد تكون الساعات التي تحبونها ساعات
حقيقية ذات محل وربما لا تكون ...
الا ان الساعاتي يعرف الفرق . و"انكابلوك"
يعرف ايضا ! ولهذا فان مضاد الصدمات
"انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات
الاصلية ذات محل .
والساعة ذات محل هي ساعة الرجل
الخبير . وهي ساعة يعتمد عليها .
ذلك هو الفرق !
ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته
شركة بورتسكاب ، لاشودي فون ، سويسرا وبورتسكاب فرنسا ، بيزانسون .

اجعل هذا اليوم يومًا خاصًا لشخص تعزه

قدم لـه ولاعـة رونسون، فهي الهدية التي تقدم في كل وقت، في المناسبات العادية كأعياد الزواج أو الميلاد أو غيرها من الاعياد، وفي المناسبات الاستثنائية عندما تريد، مثلاً، ان تعبر عن شكرك لشخص عزيز عليك.

هذه بعض الهدايا [illegible] تشكيلة رونسون الواسعة

ولاشك في ان ولاعة رونسون هي خير ما يذكر بشخص محترم ومحبوب.

قدم أكثر من هدية ... قدم رونسون

العدد ٢٠٥
ذو القعدة ١٣٩٥
ديسمبر
(كانون الاول) ١٩٧٥

لوحة لها قصة

« الشرفة » احدى اللوحات الشهيرةللفنان الفرنسى ادوار مانيه ٠ وهى
معروضة بمتحف اللوفر فى باريس ٠٠قال بعض النقاد عن عمله الفنو
« انه اشبه مايكون بثمرة تنمو بسرعةمخيفة ، ولكن ربما لم تنضج بعد
عن ادوار مانيه العدد ١١٢ والعدد ١٥٠من العربى ٠

مذا ٠
الرأ

عزيزي القارئ

● في مطلع كل شهر ، على مدى سبعة عشر عاما ، كان ـ رحمه الله ـ يتجه اليك باحدى سوانح فكره في هذه الصفحة وتحت هذا العنوان « عزيزى القارىء » وكان يختار لهذه السانحة موضوعا يهمه ويهمك معا ، على وفق المناسبة الحاضرة . والله يعلم ان هذا العنوان ـ مع صغره ـ كان يؤدى اوفى الأداء شعوره بدفء المودة فيما يحدثك به .. وكذلك كان معك في كل ما قدمه اليك في « العربي » ، سواء كان بقلمه ، او باقلام الآخرين، فما من كلمة وسع لها الطريق لتقراها في اى صفحات المجلة ، الا بعد ان اشبعها تدقيقا وتمحيصا ، واطمأن الى سلامتها بقدر ما تيسر له . وما ذلك كله الا لانك « عزيز » عليه .

وكم من كلمة واحدة ، وقف عندها طويلا ليفتح المعاجم والمراجع ، عربية وانجليزية او فرنسية ، او يسال الخبيرين بها ، حتى يستوثق من صوابها ودقتها في اداء معناها المقصود ، واذا كانت اعجمية حرص على ان تكتب بحروف لاتينية ، واذا كانت مشكلة النطق ضبط منها ما يزيل اشكالها ، حتى يسهل النطق بها صحيحة ، وقد بذل هذا الجهد شهرا فشهرا ، بل يوما فيوما ، وساعة بعد ساعة ، من اجل شيء واحد ، هو انك «عزيز» عليه.

ولم يكن مدده في هذه الجهود قوة بدن ، اذ كان يمعن في الشيخوخة ومتاعبها ، وانما كان مدده من حماسة نفسه ، وشعوره العميق بالمسئولية والامانة ، وغيرته على عمله كاشد ما تكون غيرة الكريم على عرضه ، وقد اعانه على ذلك تيقظ ذهنه ، كانه في معركة حاسمة يتعرض فيها المحارب لاوخم العواقب عند ادنى هفوة ، ولولا انه اعتاد على هذا الجهاد واعبائه ـ منذ نشاته ، وفي سائر اطوار عمره ـ لما استطاع ان يصبر على كل هذه الصعاب ، ويتغلب عليها ، فالتحرير عنده ـ كما قال شاعرنا ابو تمام : « جد كجد الحياة المر لا لعب » .

انه « احمد زكي » بكل ما منحه الله من عبقرية ومعرفة وطبائع قوية ، اذ كان يقتطع لك في كل عبارة قدمها اليك جزءا من دم حياته ، ومهجة قلبه ، وكان حريصا على ان تفيد مما تقرأ حرصه على ان يكون لك متاعا وحياة ، لانك كنت « عزيزا » عليه ، ولا بد انه كان عليك عزيزا . فحق له منك طلب العزاء ، والدعاء له بالرحمة وحسن الجزاء . ●●

« العربي »

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

انت تسأل .. ونحن نجيب :

اســـــلاميات :

لغـــــة واداب :

استطلاعات مصـــورة :

طـب وعلـــوم :

تربيـــة وعلـم نفـــس :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 205 DECEMBER 1975 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ – تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة – قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف :

● ان الفلين هو ثروة طبيعية ستموت في يوم ما، مثلها في ذلك مثل اى ثروة طبيعية اخرى .. وفى المغرب تجرى عملية زراعة انواع مختلفة من اشجار الغابات ، بدلا من اشجار الفلين التي تدهور انتاجها .. وترى هنا « هنية بنت ادريس » تحمل « شتلة » لشجيرة شابة من مشتل « سيدى عمير » لتزرعها مكان شجرة الفلين !

(انظر استطلاع الفلين صفحة ٨٤)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربى ريالان قطريان . البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٥ر٢ دينار . المغرب ٥ر٢ درهم . اليمن ٥ر٢ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى . وبالنسبة لبلدان المغرب العربى يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ـ ص.ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

بريد القراء ومعرض آرائهم

صدى وفاة الدكتور احمد زكي

بين قراء « العربي » وكتابه

كان لوفاة العلامة الدكتور احمد زكي رنة أسى في جميع الاوساط .. وخصوصا بين آلاف القراء الذين تعودوا أن يقرأوا للفقيد .. ويتزودوا من ذلك الزاد الروحي الذي كانت تحمله اليهم مقالاته عبر مجلة « العربي » كل شهر .

وقد وصلتنا من كتاب وقراء « العربي » الكرام آلاف الرسائل .. وكلها تحمل اصدق العواطف وأنبلها .. وتجد العزاء كل العزاء فيما تركه الراحل من تراث ادبي وعلمي ، سيبقى خالدا على مـــر الايام ..

وتكريما لفقيدنا ، وفقيد قراء مجلة « العربي » وكتابها .. رأينا ان نقتطف بعضا من هذه الرسائل .

● بصفتي احد كتاب مجلة « العربي » العزيزة، فانني اعتبر وفاة المرحوم العلامة الدكتور احمد زكي فاجعة ثقافية وعلمية وشخصية لي ايضا .
ونامل ان نستمر في اداء تلك الرسالة التي حمل الفقيد لواءها .. واقتفاء آثار نهجه في تحرير مجلة « العربي » .

الدكتور فخري الدباغ
الموصل ـ العراق

● يعزيه من الحزن والاسى تلقينا نبأ وفــاة المعلم والاستاذ الدكتور احمد زكي .. كان رحمه الله قلما من اقلام الحق والاخلاق .

عبد الباقي معروف يوسف
موصل ـ العراق

● كان الدكتور احمد زكي رحمه الله مدرسة قائمة بذاتها .. واني وان كنت اعتبر وفاته خسارة لحقت «بالعربي» ، الا ان همم الرجال الذين تتلمذوا على يديه ستخفف من آثار هذه الخسارة .

عيسى عبد الله
الاردن

● انا اذ اتقدم لكم ولقراء مجلة « العربي » باحر التعازي القلبية ، لارجو من الله ان تستمر مجلة « العربي » في اداء رسالتها في الوطن العربي الكبير كما ارادها المرحوم الدكتور احمد زكـــــي .

روحي سالم باطة
عمان / الاردن

● مصابنا بوفاة رجل العلم والادب الدكتور احمد زكي فادح .. وليس من عزاء لنا ـ نحن القراء ـ الا ان يستمر « العربي » نبراسا مضيئا، ويبسط شعاع المعرفة ، ذلك الشعاع الذي خطف ابصارنا منذ صدور العدد الاول من مجلة كل عربي.

مسهوج الشمري ـ الكويت

● لست ادري كيف اعبر لكم عن مبلغ حزني والمي لحظة ان وقع بصري على خبر وفاة رجل العلم والادب الدكتور احمد زكي .. انها خسارة فادحة ..
وعزاؤنا ان يظل « العربي » رسالة محبة وخير كما ارادها الراحل الكريم .

عزت محمد ابراهيم
الزقازيق ـ مصر

● لقد كان لمقالات الدكتور احمد زكي سواء في الطب او السياسة او الادب او الاجتماع او العلوم صدى شمل العالم العربي . تسلل حبه الى قلوبنا عبر الكلمة والفكرة والشرح والتشريح لدق القضايا ..

لانملك الا ان نقول : حافظوا على « العربي »، فحفاظكم عليها خير وفاء لذكراه .

علي محمد العايد
القاهرة ـ مصر

● لااعدو ان اكون واحدا من الالاف المعجبين والمحبين لاحد اقطاب العلم والادب .. وعزائي هو هذا التراث الضخم الذى خلفه لنا الفقيد الدكتور احمد زكي ، ممثلا في كتاباته ومقالاته.. وحسبنا انه رحل هنا تاركا « العربي » كافضل ذكرى وهدية .

جميل عمر عبدالله
عمان ـ الاردن

● افنيت عمرك في جهاد الاسطر
حتى غدوت منار كل مفكر
حلقت للنصحى بملمك آية
من قبل أعيت جهد كل مثابر
ما كان جهدك في المجلة مظهرا
بل كنت خير معلق متبحر
دأب وعلم واطلاع واسع
واحاطة اضحت كبحر زاخر
زاملت اعلاما فنلت خلودهم
وتركت في « العربي » خير مآثر
كنا نراك معلما وموجها
من منبر قد كان افضل منبر
يبقى الرجال مدى الدهور بعلمهم
ويموت ـ رضا عنه ـ كل معمر

محمد فاتح ارسلان / المحامي
حلب ـ سوريا

● كنا ننتظر « العربي » بفارغ الصبر لنقرأ ماكتب قلم الدكتور احمد زكي .. والآن وقد اصبح في ذمة الله ، لانملك الا ان نصعد الدعاء الى الله ليحفظ مجلتنا ، ويقيها شر الأسواء .. ويصرف عنها صروف الباساء..لتظل ذكرى الدكتور احمد زكي ماثلة امام اعيننا كلما قرانا «العربي» .

عبد الله حسين الحبيل
القطيف ـ السعودية

● ان قيل في رثاء بعض من سبقوك الى دار الخلود انهم كانوا امة وحدهم .. فما الذى يجدر ان يقال في رثائك .. فما تركته بين ظهرانينا من مآثر وآثار .. هو وحده الجدير بالنطق بانك كنت ذلك كله .

رحيلك عنا ، ونحن على ما عليه من حال .. يعز في نفوسنا ويؤرقنا ..

مرتضى البصام ـ بغداد

● واحر قلباه .. عرفناه عربيا ، وعربيا مخلصا لعروبته .. وعرفناه كاتبا فاحسسنا بجهده العظيم وهو يغذ السير على ذلك الطريق الذى ينير افكار العرب واذهانهم .. عرفناه اديبا سيال اليراع .. غزير الافكار .. عالما نهل من شتى المعارف .. فكان جديرا بلقب العالم الأديب .

صلاح غانم
دمشق ـ سوريا

● والرزء على فداحته لايغني فيه عزاء الا ان الرجل ادى رسالته ، واوفى . وهذه كلمة دفعني اليها الوفاء ، تعبر عن قلب صديق محب له ، كما تعبر في الوقت ذاته عن قلوب من احبوه وانتفعوا بقلمه وعلمه ، وما اكثر هذه القلوب .

خليل الهنداوي
رئيس مكتب اتحاد الكتاب العرب / حلب

(بقية بريد القراء ص ١٠٩)

الافتتاحية الأخيرة

■ آخر ما كتب فقيـد العلم والادب الاستاذ الدكتور احمد زكى ..

■ انها آخر كلمات خطها بقلمه قبل ان يلقى ربه بساعات قليلة ..

■ انها وقفة تأمل وفلسفة ، وما أكثر وقفات تأمله فى الحياة وصورها ..

■ انها دمعـة سكبها بالقلم ، على المظلوم والضعيف والمستجير ..

■ انها صرخة ارادها قوية فى وجه الظلم والاستبداد

■ انها آخر افتتاحية كتبها الدكتور أحمد زكى ..

■ انها الافتتاحية التى لم تتم ..

آويت الى فراشي بعد ان مضى الثلث الأول من الليل • وما كدت أتهيأ للنوم حتى دق جرس التلفون ، فترددت حينا في القيام اليه • ولكن الجرس ألح فى الدق ، فلم يكن لى حيلة لاسكاته الا القيام اليه •

ـ فلان ؟

ـ نعم •• ولكن ماذا تريد فى هذه الساعة من الليل ؟

ـ اريد أن اسأل سؤالا ساورنى أياما ، وأقلقنى هذه الساعة اقلاقا •

عرفت من سوابق له عندى انه سوف يمنع النوم عن عينى الى صباح الغد •

وخشيت على الشاب ان تصيبه صائبة فى الليل ، فقلت هات ما عندك •

وبدأ يحدثنى عن موضوعات شتى ، فى نظام وقوانين الخلق واهداف هذا الوجود ••

وكان في حديثه اختلاط واختلال ، خشيت ان يكون صادرا عن نوبة عقل مضطرب •

قلت :

ـ هات سؤالك •

قال :

ـ لا يتضح سؤالى الا بعد هذا الحديث •

قلت :

ـ انه حديث فيه امتاع ، ولكن ليس الليل له زمانا • فاكتب الىّ به وأطل ما شئت فيه •

قال :

ـ انى لا اكتب • فأذن لى أن أعود الى الهاتف مرة اخرى •

قلت :

ـ في خير ليل ٠٠ ان شـاء اللـه ٠ ثم هل لي مـن معرفة الاسم الكريم ؟

قال على الفور :

ـ صالح بن عبد القدوس ٠

★ ★ ★

ومضت اسابيع كثيرة بعد ذلك لم يدق فيها بهذا الاسم تلفون ٠ ثم حدث ان دق باب المنزل ٠ ودخل صالح بن عبد القدوس ٠ وتذكرت اسمه لغرابته ٠

لم يكن شابا كما زعمت ٠ كان رجلا كهلا اشرف على الشيخوخة ٠

وجرى الحديث بيننا أولا مجارى شتى ٠ وجرى خفيفا ، ثم ثقل عندما سالته عن تلك الفكرة التى الحت عليه فمنعته من النوم ٠

قال :

ـ انت تكتب في العلم ، وغيرك يكتب ٠ وانا اقرا منذ تعلمت كيف احسن القراءة ٠٠ وولعي بمعرفة الوجود الذى اعيش فيه شديد ٠٠ انى لا أحب الفلسفة ، ولا أقراها ٠ ولكنى احب العلم لأنه حقائق عارية ٠

قلت :

ـ وماذا دلك العلم عن حقيقة الوجود الذى تعيش فيه ؟

قال :

ـ دلنى على ان الوجود على سطح هذه الأرض وجودان ٠ وجود صادق هو وجود الطبع ، ووجود كاذب هو وجود الصنعة ٠

قلت :

ـ فايهما الوجود الصادق وايهما الكاذب ؟

ـ هما عالمان ، العالم الصادق عالم الحيوان ، والعالم الكاذب عالم الانسان ٠

قلت : حدثنا عن العالم الصادق ، عالم الحيوان ٠

قال :

ـ انه عالم الطبع ، وعليه طبع الحيوان ٠ وانقسم الحيوان الى اكل عشب وآكل لحم ٠ وحيوان اللحم ياكل حيوان العشب ٠ ولا يجد في ذلك غضاضة ٠ ونرى نحن بني البشر ذلك فلا ننكره ، لا نقول ان جريمة وقعت ٠ وكيف تكون جريمة والأسد ما قتل الثور الا وفاء بحاجة الطبع التى هي فيه ٠ والقاتل لا بد ان يكون ذا قوة ٠ والمقتول لا بد ان يكون ذا ضعف ٠ من اجل هذا اختص الطبع آكلة العشب بالضعف ، واختص آكلة اللحم بالقوة ٠ ومن اجل هذا صارت القوة هي الحكم الأول في

امور هذه الحياة · حتى فى الجنس الواحد نجد الأكل والمأكول ·السمك الكبير ياكل السمك الصغير · والطير الجارح ياكل الصغير غير الجارح · والحكم للقوة مرة اخرى · والاعتداء بكل صنوفه ميسور مشروع فى كل بيئة حيوانية · والذكر فى الحيوان له السلطة على الأنثى ، وعليها له الطاعة لأنه الأقوى · ويختصم الذكران منهما على اناثها فيقوم النطاح بين الوعول ، وتحاول القرون العظيمة تحطيم القرون العظيمة فى المعارك التى تقوم ، وتنتصر القوة آخر الأمر · وتتبع اناث الوعل الذكر المنتصر · أهى عبادة قوة ، ام ضرورة قوة ؟ لا نستطيع ان نقول ·

قلت :

ـ ان لك معرفة بعلم الأحياء غير قليلة ، مع انك لم تتعلم القراءة الا على كبر ، كما تقول ·

ـ نعم ، واخذت من كل معرفة طرفا · انتهز كل ما يقع بين يدى من نافع فاقرأه ، وبهذا وحده تتكون عند الانسان حصيلة من المعرفة غير قليلة ·

ثم عاد الى ما كان فيه من حديث القوة عند الحيوان ·

قال :

ـ من اجل هذا لم يكن عند الحيوانات شرطة ، ولم يكن قضاء · الشرطة عندها فى المخلب ، والقضاء فى الناب ·

قلت :

ـ فهذا هو الوجود الذى نشأ عليه الحيوان على سطح هذه الأرض، وانت تسميه وجود الطبع ، فماذا عن الوجود الذى صنعه الانسان لنفسه، وتسميه انت وجود الصنعة ؟

قال :

ـ ان الانسان اقر وجود الطبع ، وجود الضأن والوحش · واقر قيامه على القوة وحدها تجرى فيه حكمها · بل ان الانسان اقر حكم القوة فيما بينه وبين هذا الوجود ، وجود الضأن والوحش ، فهو اعد للوحش القوى الرصاصة تخترق رأسه او قلبه فينجو منه ، واعد للضأن الضعيف السكين يذبحه بها وليأخذ من لحمه ما طاب طعاما طيبا ·

واستطرد يقول :

والمؤرخون يقولون لنا ان الانسان منذ ازمان بعيدة بدأ عيشه على هذه الأرض والقوة هى الحاكمة بينه وبين خصومه · وتمضى العصور بعد العصور فتتولد فى الناس معان جديدة، وينشأ وجود انسانى غير الوجود الحيوانى ينادى بسقوط القوة حكما بين الناس · وجاءت معانى العدل والمساواة والحرية وامثالها ، جاءت لتسقط سلطان القوة من عليائها · وجاءت الأديان تعزز هذه المعانى ، وفى اقوال الرسل والأنبياء· وكان لهذه الصرخات والدعوات استجابات شتى ، ونتج عنها ما سميناه

بالحضارات • والحضارة الحاضرة لم تبلغ بالعدالة والمساواة بين القوى والضعيف قمة ، ولكنها بلغت من ذلك ، على السلم ، وعلى الأمن ، قسطا وافرا •

ومع هذا فقد كان لا بد لهذا القسط من المساواة حماية ، بل هما حمايتان : الشرطة والقضاء •

★ ★ ★

حدث في اللحظة ان انقطع التيار الكهربائى فأظلم المكان • فقد كان الوقت ليلا ، وكانت الامسية أمسية من رمضان •

قال صاحبى :

ـ هذه الكهرباء شيء من اشياء هذه الحضارة المصنوعة • فكان لابد له هو الآخر لاستمرار بقائه حماية وحراسة دائمة •• والشمس تضيء ولا يحرسها أحد •

وأراد ان يمضي في الحديث ، فقلت صبرا • فالجهاز الذى يسجل حديثنا قد توقف بانقطاع الكهرباء •

وعادت الكهرباء فعاد الحديث • فقلت :

ـ انت ترى ان معنى العدالة والمساواة بين الناس ، لابد له من الشرطة لتحميه ، وأنا أرى أن فى الناس كثيرين يؤمنون بهذه المعانى صادقين •

قال :

ـ نعم ، الكثرة تؤمن بالمساواة والعدل صادقة ، وترفض منطق القوة ، ولكن اكثر هؤلاء هم الضعفاء والفقراء • ولن تجد ضعفا كفقر • ولكن فى المجتمع الانسانى ، والمتحضر خاصة ، عناصر قلقة ، بين الضعفاء والاقوياء على السواء ، تميل الى الردة،والرجوع الانسانى الى عالم الحيوان ، حين تزدهر فرص الاعتداء • ودليلى على ذلك ماوقع فى انجلترا ، البلد المتمدين ، حين أضرب البوليس عن العمل لبضع ساعات ، هجم الناس على المخازن التجارية ، فافرغوها افراغا • وحدث مثل هذا فى امريكا ، فى نيوريوك • وسمت الصحف هؤلاء الناس رعاعا •• وما كانوا رعاعا • كانوا من كل نوع •• كانوا مرتدين من قانون المدينة الى قانون الغاب • والسبب ؟ اضراب الشرطة ساعات • ان هذه المدنية الحاضرة ، بل اى مدنية ، أثمن ما فيها الامن بين الناس • الأمن من غوائل الاقوياء • والقوانين التى تخطط لذلك لاقيمة لها الا ان يقوم الى جانبها شرطة تهابها الناس ، وقضاء له النزاهة ، وله من الناس الاحترام ومع الاحترام الخضوع •

قلت :

ـ انت اذن تناصر الحضارات التى صنعها الانسان ، فلماذا سميتها وجودا انسانيا مصطنعا ، كأنما تنزل بقيمتها •

قال :

ـ لااقصد بتسميتي هذه خفضا ولا رفعا • ان هي الا اسماء • نحن نسمي هذا « كاملا » وهذا « محمودا » وما هذا بكامل ولا هـذا بمحمود • أريد أن أؤكد انالحضاراتالانسانيةهشةامام رواسبظلت في أنفس الناس تميل بهم الى الاعتداء والغلبة ما تيسرت لهم وسائل ذلك ، وأول وسيلة لذلك هي القوة ، او حتى محض الشعور بأنهم أقوياء • ان الجرائم الانسانية تكاد ترد جميعا الى الاعتداء بالقوة • والشرطة هي مانعة الاعتداء في الامم ، والقضاء من ورائها يؤكد عدل الشرطة بين الناس • وفساد الدول يبدأ عادة بفساد شرطتها وذهاب حيدة القضاء • والحاكم الفرد المستبد يطلب ، من اول وسائل حكمه ، السيطرة على الشرطة والقضاء •

قلت حدثني كيف تفسد الشرطة ؟

قال :الاولى بى ان احدثك كيف تصلح •

قلت : هات •

قال : من المألوف ان اهل الشرقيضعون الشرطة في أدنى المراتب• والكثير من الحكومات تؤلف شرطتها من الجند الذين قضوا مدتهم فـي الجيش وآن اعتزالهم • والجيش نفسه لم يكن بجند الا من ادنى طبقات الشعب ومن الفقراء الذين لم يكونوا يستطيعون ان يفتدوا انفسهم من التجنيد بالمال المقدر لذلك ، حتى لكان اغلب جند الجيش لايعرفون القراءة والكتابة • وأنا أصف ما عرفت في عهدى • واختيار الشرطة من الجيش كان القصد منه اختيار مدربين على النظام وعلى الطاعـة العمياء ، مع احسان الكر والفر الذى أتقنوه في الميدان ، فهم على استعداد لاقتحام المعارك التي تنشأ بين الشرطة والشعوب • وكان الشعب في زماننا ينظر الى الشرطة نظرة العداء مع الخوف •

كل هذاتبدل اليوم في الشعوب المتحضرة ، بارتفاع الثقافة في الشرطة والشعوب معا • فالشعوب تطيع الشرطي عن رضى ، وهي تعلم لم تطيع • وان الخير فيما تطيع ، والفوضى في عصيانه • هذا في الامم الديمقراطية •

واصبح الشرطي ، لا حافظا للنظام فحسب ، بل معينا للناس ، عونهم في الطريق ، في البيت والمستشفى •

ويضرب الناس المثل للشرطي المثالي بالشرطي الانجليزى • هو اولا مثقف درس برامج التعليم الثانوى غالبا • وهو مدرب على الصمت

اكثر من الكلام · وهو مدرب على التؤدة في الحركة اكثر من السير السريع · وهو يدور فيالشوارع لايحس به احد ·· حتى اذا رأى احدا اخل بالنظام جاءه في بطء شديد ، وحدثه بصوت خفيض فيما صنع ، ورجاه ان يقلع ·

★ ★ ★

وحدث مرة ، وانا طالب في انجلترا ان انتقلت من جامعة في بلد الى جامعة اخرى ، ولقلة عرفاني بالبلد الجديد وجدت التكسي قد أنزلني في أغلى فندق بالبلد · وخرجت في الليلة الثانية أبحث عن فندق أرخص في حي قريب · ورآني الشرطي في خبلة · فتقدم الي يقول : هل تحتاج الى معونة ·· وقصصت له قصتي فقال : اتبعني وسرت معه حتى أنزلني في فندق انسب لي · فشكرته وحياني وانصرف ·

والشرطي الانجليزي دائرة معارف متحركة · تسأله عن الشارع ، او محل تجارة · او بنك او سوق ، فيدلك عليه · والا اخرج من جيبه كتابا ، فيه العلم الكثير ·

الشرطة في البلاد المتمدينة هدى وعون ·

ورجل الشرطة الانجليزي ، ككثير من رجال الشرطة في الامم ذات الحضارة ، تعلم في المدرسة الديمقراطية ، وعرف ان من اول خصائصها المساواة · اذكر ان البرنس فيليب ، زوج الملكة اليزابيث ، ملكة انجلترا الحاضرة ، كان يقود سيارة ، وخالف نظام المرور ، اظنه على ما اذكر زاد على السرعة المأذون بها في الطريق · ولحق به رجل الشرطة المكلف بالطريق ، لحق به في عجلته البخارية واستوقفه · وعرف انه البرنس · فقال له : يا سيدي لقد بلغت بسرعة السيارة درجة خطيرة فقال البرنس : كم الغرامة ؟ ودفعها للشرطي · واخذ الوصل بها وشكر الشرطي ، وأدى له الشرطي السلام العسكري · ونشرت الصحف ذلك ·
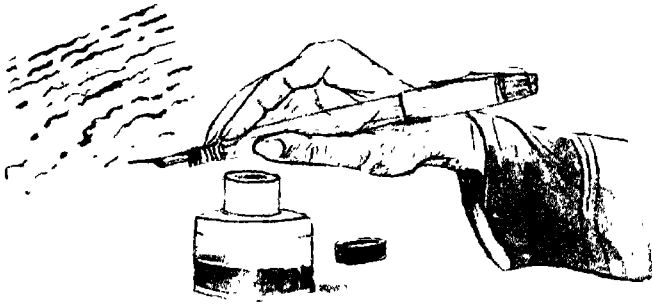
واقعة ما كانت لتسوغ الا في شعب ديمقراطي ٠

وما من شعب الا وبه اشرار ، ويحدث ان لا بد من تعرض الشرطة لهؤلاء الاشرار ، لذلك هم يختارون من ذوى الاجسام القوية ، والاطوال الفارعة ، وعندئذ يزودون بالسلاح ٠ وقد علمت ان الشرطي الفرنسى مزود بالسلاح دائما وابدا ، في هدوء حال او عند اضطراب ٠

والشرطي هو وجه الدولة الذى يراه الناس ٠ فان كان مؤدبا ، فالدولة مؤدبة ٠ وان كان شرسا فالدولة شرسة ٠ وان كان معوانا فالدولة معوانة ، لا سيما في عين الغرباء ٠

والشرطي ان كان حسن الهندام ، فالدولة حسن هندامها ، وان كان مبتذل الثياب ، فالدولة على شاكلته ٠ لهذا ، ان كان السخاء يطيب في شيء فهو أطيب ما يطيب عند البذل للشرطي ، واعطاؤه الراتب الجدير بمظهر الدولة ٠

★ ★ ★

تركت صاحبى في حديثه انطلاقا ، حتى اذا رايته يسترجع انفاسه قلت له :

ــ هذا عن الشرطة كيف تصلح ، فحدثني عن كيف تفسد ٠ قال :

ــ انها تفسد اذا تغير حكم الدولة فصار استبدادا ٠ فالمستبد لا بد له من اداة تعمل في الشعب ، ولا اداة له تتغلغل في الشعب كرجال الشرطة ٠ والرعب اول ما ينشره المستبد في الناس ، والكثرة الكاثرة من الناس تحتمي عند الذعر بالطاعة ٠ والمستبد اول ما يمس من الناس ارزاقهم ، ولا يحرص حي على شيء حرصه على رزقه ورزق اولاده ، فهو مستعد دائما لاطاعة ما يؤمر به ٠

على ان المستبد لا يجد من الشرطة التي تعودت النظام والحكم الديمقراطي العون الكافي ، ولا الغلظة المطلوبة ، لهذا هو يلجأ دائما الى استحداث شرطة له خاصة ، تقوم باغراضه الخاصة ، وتعرف هذه الشرطة عادة بالمخابرات ٠ وما من بلد الا وبه مخابرات ! ولكنها مخابرات تكشف عن خطط تتصل بنظام الحكم يخطط لها اعداء الدولة، فهي ليست مخابرات تستخبر أمور الشعب ٠ وقد يستفحل امر المخابرات لتكون نقمة آخر الامر على منشئها المستبد ٠

فالاستبداد ، ولو بدا مستطابا وللاصلاح ، فكثيرا ما ينتهى حكم الفرد بالطغيان فالجنون ٠٠ ومع الجنون خراب الدولة ٠ هكذا حدث في امر هتلر ونكبته ونكبة امته ٠

والمستبد ، ولو بدا مستطابا وللاصلاح ، فكثيرا ما ينتهى ، وهو الرجل الفرد ، سجينا بين بطانته ٠ بطانته تتالف من رؤوس كلهم يطمع في ان يحل محله ، ويستبد استبداده ٠ واخيرا يغنم من غنائمه ٠ وكثيرا ما يتصارع هؤلاء الرؤساء زمرا ، في سبيل كسب الرئاسة ،

فتتالف ماأسماه الساسة حديثا « مراكز القوى » ، وهي مراكز سياسية تخطط للفوز ولاتبالى بالوسائل اوبالخراب او غير الخراب يحل بالشعب .

وهنا تضعف الدولة بفقدان الرئاسة الواحدة الحاسمة ولو ظالمة .

وهنا تنشأ في جنبات الحكم ، وحتى في الشعب عامة ، مراكز للقوى ، لا خمسة او عشرة ، بل مئات ، من رؤساء مؤسسات ، ومديرى شركات ، والعاملين بشتى الخدمات . مراكز قوى تعمل في غيبة النظام والقانون لكل كسب حرام ، تسرق ما أمكنها السرقة ، وتختلس ما أمكن اختلاس ، وتجبى من الشعب جبايات ما عرفها القانون .

ويحاول رجال الضبط والربط ضبط شيء من هذا ، فيتعسر التحقيق احيانا ، لأن من رجال التحقيق رفقاء . واحيانا لان الرجل متبذل حمي نفسه بأن ربط بكسبه الزائف هذا شركاء اقوياء في الدولة ، يقومون على التو بنجدته .. وانك لتسمع احيانا ان عصابة قامت بسرقة طعام الشعب من مخازنه الحكومية ، وحملته خارج هذه المخازن بسيارات حكومية ، وتبحث عن الجناة الاصليين فلا تجد غير صغار الموظفين اتخذ السارقون منهم درعا للوقاية .

وتحت ضغط الضائقة التي بدأت استبدادا ولو مستطابا ، وانتهت الى الضائقة الاقتصادية التى قاربت ان تكون جوعا وعريا ، لا يجد الشعب وسائل يدفع بها عن نفسه الا ان يسلك سبيل الصلاة . وأول من يتأثر بذلك عمال الدولة ، فهم اعرف بالحال . وعندهم « اذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة اهل البيت كلهم الرقص ».

★ ★ ★

واخيرا يحصل انقلاب يقوم به المصلحون ، يريدون اقامة جدار قد سقط ، او واجهة بيت قد تهشمت ، فاذا بهم يجدون البيت كله ركاما ترابا .

اسس المعاملات التي تربط وتضبط سلوك الناس فيما بينهم كلها تفككت ، وأصول الاخلاق البدائية الاصيلة قد انفرطت .. والطبيب تدعوه الى زيارة مريض لا يقوى على الحركة فيرفض ، لانه يفقد من اجل هذه الزيارة الواحدة اربع زيارات او خمس يكسب منها

الكثير ٠والزيارة العادية للطبيب فى عيادته او زحمته خمس دقائق او عشر ، فهو امتحان طبى زائف ، لان هناك فى حجرة الزيارات عشرات قيمتها عنده خمسون دينارا او فوق ذلك قدرا ٠

وادهي من ذلك ، فئات من الشباب اصبح من هوايتها خطف الزوجات من ازواجهن فى الطريق ، واطلاقهن بعد ايام خافضات الرؤوس موسومات ٠

ورجل يطلب الى سائق التكسي ان يوصله الى مكان فى ضحوة الصباح فيرفض ٠ ويمر ضابط شرطة فيرجو السائق ان يذهب بالرجل الى حيث يريد ، فيعتدي عليه بألفاظ نابية ، فيدخل الضابط فى التكسي يطلب الى السائق ان يسوقه الى مركز الشرطة ٠٠ فيسوقه غاضبا الى خارج المدينة ، ويلقى به هناك ٠

حتى القضاء ، اجتمع للنظر فى قضية افلاس شركة ، فتجمع اصحاب الاسهم الذين خسروا اموالهم وهاجموا القاضى ، وكادوا يحطمون مكتبه لولا ان توعدهم بالكذب ان ترد المحكمة اليهم اموالهم ٠

★ ★ ★

قلت : وماذا تقترح لاصلاح هذه الدولة التى تعني ٠

قال : ماعنيت دولة بذاتها ، انما هى اسواء مقسمة بين دول عربية عدة ٠

اما الدواء ، فالانتهاء من المشاغل الخارجية ، والتركز على الامور الداخلية ، وتغيير القوانين بقسوة شرقية رادعة ، لا فلسفة للغرب فقهية فيها ، مع الدعاية الواسعة ٠

فان لم ينفع هذا ، فلم تبق الا الثورة الثقافية التى ابتدعتها الصين ، اذ تطلق للشعب حريته فى جزاء كل من شاع عنه انه مواطن مستغل فاسد ٠

تحية وعزاء

بقلم : عبد الرزاق البصير

يا معقِلَ الفكرِ ، لمْ صمتَ ، وقد كنت تنير العقول بالكتب ؟
كم من مقال أحكمت بنيته فيه جمالٌ كاللؤلؤ الرطب
مما يقوى العزاء عنك — وإن شرد قلبي العزاء بالكرب —
أنك أحرزتها — وان رغم الدهر — ثمانين طلقة الحقب
كفاك فخرا حقا ومكرمة أصدرت دهرا مجلة العربي
أضحت منار العقول سلوتها تفوح منها لطائم الأدب

هذه أبيات قالها بعض شعرائنا الاقدمين ، لم ار باسا في ان اتصرف قليلا في بعضها ، وان ازيد بيتين عليها ، لاعتقادي ان قائلها يرضى اعظم الرضى ، فان من قيلت فيه ليس اجل قدرا ممن نتمثلها فيمن نفتقده اليوم ، ان لم اقل ان فقيدنا اعظم شانا واجل قدرا · فليس من شك ان له منزلة عزيزة في نفوس عشرات الالوف ، ان لم اقل مئات الالوف ، منتشرين في العالم العربي والاسلامي ، بل في دنيا كل من يقرأ العربية · فمنذ صدور مجلة « العربي » وقراؤها الذين لا يحصون عددا ينتظرون لقاءها بكل شوق وشغف، وعلى راسها لقاء رئيس تحريرها المرحوم الدكتور احمد زكي ·

مفكر موسوعي

لقد وصل فقيدنا الجليل الى القمة في دنيا العلم والادب قبل صدور مجلة العربي، ولكنه أخذ يتألق ويتألق لان دنيا الادب والفكر ليست لها نهاية ، وكثير من القمم الادبية والفكرية يسلكون سبيلا معينا يقصرون أنفسهم عليه ، أما فلسفة ، أو اجتماعا أو علوما ، أو سياسة ، أو ما الى ذلك من بعض ميادين الفنون والمعرفة · لكن فقيدنا نشط في هذا كله وأجاد فيه اجادة لم يظفر بها الا الافذاذ من المفكرين الذين يعد كل فرد منهم ظاهرة فريدة ·

فهو حين يتحدث في قضية من القضايا العلمية او الادبية او الفلسفية او السياسية او الاجتماعية يلم باطرافها حتى لا تكاد تبقى زيادة لمستزيد والامثلة على ذلك — فيما كتب كثيرة لا تحصى منها ذلك المقال الذي تحدث فيه عما ينادي به المجددون من نبذ التقاليد البالية (١) ، وهي دعوة تجتذب كثيرا من الناشئة الذين يبهرهم جمال اللفظ وقوة الدعوة ، دون ان يفكروا فيما

(١) اقرأ نص هذا المقال في العدد رقم ١٨٨ من العربي (يوليو ١٩٧٤/ص ١٢)

فيما تعنيه تلك الدعوات من امور لا يمكن تحقيقها ، لان ما يدعون الى تركه قد فرضته الحياة . فللريف تاثير على ساكنيه ، وللمدن تاثير على أهلها ، كما ان للصناعة تاثيرا على أهلها ، وللزراعة تاثيرا على اصحابها . فاذا ما أردنا ان نغير تقاليدنا فان علينا ان نغير انظمة حياتنا . فاننا اذا ما فعلنا ذلك فان التقاليد ستذهب من تلقاء نفسها . اما اذا بقيت انماط الحياة على ما هى عليه فان المناداة بتغيير التقاليد لا تصنع شيئا ، مهما ارتفعت اصوات اصحابها.

والتقاليد من الامور الضرورية التى لا يخلو منها اى شعب من الشعوب،لكنها تتغير بتغير انماط الحياة ، او قل انها تتجدد حسب مصالح الناس وتغير افكارهم . فلقد كانت الدعوة الى رفع الحجاب امرا منكرا لا يقره احد ، بل انها دعوة جرت على اصحابها مشاكل لا تحصى ، لان نمط الحياة لم يكن يتلاءم مع تلك الدعوة . فلما تغير نظام الحياة سفرت المراة عن وجهها وغير وجهها وتقبل الناس هذا الا القليل منهم . حدث هذا كله فى بلد قد يظن كثير من الشباب ان رفع الحجاب وجد فيه منذ زمان بعيد ونعنى بهما القاهرة والاسكندرية وغيرها من عواصم تلك البلد . والواقع ان ذلك لم يجر الا بعد تغير افكار الناس ونمط الحياة .

وقل مثل ذلك فى بلاد الشام والاردن والعراق والكويت وفى غيرها من الاقطار العربية التى انتشرت الثقافة بين مواطنيها ، لم ان التقاليد هذه التى يدعون الى نبذها من الامور التى لاتستقيم الحياة بدونها ، اذ لو انفرد كل شخص او كل اسرة بتقليد من التقاليد لما استطاع الناس ان ينتظموا فى حياتهم ، ولاصبح الاقتصاد غير قادر على السير . فلنتصور ان لكل بيت ، مثلا، أبوابا ونوافذ مخالفة لغيرها ، وان بعض البيوت لا تخصص حجرا للجلوس واخرى للطعام . اليس معنى ذلك ان الناس يصبحون غير قادرين على معرفة طرقهم حين يزور بعضهم بعضا وان المصانع والصناع لا يمكنهم ان ينتجوا فى صناعتهم انتاجا يمكنهم من تسيير مصانعهم وصناعاتهم ؟ .

اخترت هذا المقال لان بعض الناس يظنون ان استاذنا الجليل لا يهتم الا بعدد النجوم واعمارها واشعتها ، او بالكون وعمره ، وما يقوله العلماء عن عمر الانسان فى هذه الدنيا او ما يقوله العلم عن الخلايا والزواحف والثعابين ، او ما الى ذلك من القضايا العلمية التى لا تحصى عددا ، وهى وان كانت من الاهمية بمكان ، الا انها لا تكاد تمس حياتنا مما يجعل تلك المقالات لا ينتفع بها الا من يهتم بالقضايا العلمية .

قدرته على تبسيط المعارف

ولا بد لنا هنا من أن نشير الى أن الله قد أعطاه موهبة لم تتأت الا لقليل من الكتاب ، تلك هى قدرته على تبسيط المسائل العلمية لسائر الناس ، فتراه يأخذ أشد المسائل العلمية غموضا وتعقيدا ويصوغها فى قالب أدبى انيق يجعل الناس يقبلون عليها بكل شغف وشوق. فقد جرت العادة أن تكون أحاديث العلماء عسيرة أشد العسر ، لا تصلح الا لامثالهم أو لمن كانت عندهم قابلية خاصة لتذوق المسائل العلمية .

ومهما يقال عن حاجتنا الى الاهتمام بالمشاكل القريبة والتى تكاد تتجدد كل يوم ، فان حاجتنا الى فهم المسائل العلمية أمر لا شك فيه ، لذلك وجدنا أستاذنا الكبير يعطيه ما يستحقه من اهتمام . فقد أشرنا فيما سبق الى كتابته عن التقاليد وكيفية تغييرها وتجديدها . أما تناوله المسائل العلمية وتبسيطها فانه أكثر من أن يحصى .

حديثه عن الازل والابد

فمن اواخر ما تناوله في هذا الخصوص حديثه عن الازل والابد ٠٠ وهو مقال نشره في عدد اكتوبر من هذا العام ٠ فقد تحدث فيه عن عجز الانسان عن فهمه للزمن بالرغم من انه يكرره في كل الفاظه ، فهو يقول : زرت اخي في وقت كذا من اليوم ، صباحا او مساء ٠ وجرت هذه الحادثة او ولد فلان أو استقلت تلك الدولة في هذا الشهر أو ذاك من تلك السنة ٠ ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نبصر هذا الذي نتحدث عنه دائما او نشمه او نسمعه أو نتذوقه أو نلمسه ، ٠

تحدث عن هذا كله وعما قاله أحدث العلماء المعاصرين عن الزمن وعن عمر الكون باسره وعن نجومه ومجراته وعن عمر الارض وما يستطيع العقل أن يدركه ، وما لا يقدر على ادراكه ٠ تحدث عن ذلك كله حديثا أدبيا رائقا لا غموض فيه ولا ابهام ٠

وكاني به ، رحمه الله ، لم يشف غليله ذلك الحديث الطلي فاتبعه بمقال آخر في ذلك العدد يحدثنا عن شدة جهل الانسان في طفولته ، وعن غرائزه التي جاءته بالميراث عن آبائه وأجداده ، وعن قابلياته ومواهبه التي مكنته من فهم كثير من حقائق الكون ٠ وجره حديثه هذا الى الشمس والكواكب وما بينهما من مسافات، وكيفية التوصل الانساني الى علم الفلك ، وان معرفة الانسان في الحياة هي الاصل وانها هي التي تجعل الانسان يعيش في هذه الدنيا عيشا صحيحا ٠

الجمع بين العلوم والآداب

وهو في أحاديثه هذه لا يكتفي بايراد الحقائق العلمية ، وانما يوشي حديثه بما قاله شعراؤنا المتبصرون كزهير بن أبي سلمى وأبي العلاء المعرى وأبي الطيب المتنبي وغيرهم من الشعراء ٠ والكاتب الملهم كالقارىء المشغوف بالقراءة ، هذا يجد في قراءته فائدة ومنفعة ، وذلك يجد في كتابته لذة وأداء واجب ٠ كلاهما لا يستطيع فكاكا من تحقيق رغباته ٠

وبالجملة ، فان اهتمام المرحوم الدكتور احمد زكي يمتد الى كثير من القضايا العلمية والادبية والفلسفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، واسلوبه فيهذا كله هو أسلوبه جمالا في التعبير، واتقانا في ترتيب الجمل وتركيبها ، شانه في ذلك شان كل فنان ملهم . مصورا كان او موسيقيا أو شاعرا ، لا يتكلف في ما ينشره بين الناس ٠٠ فليس من المبالغة في شيء اذا قلت بانه « عالم الادباء وأديب العلماء »

وامر آخر لا بد من الوقوف عنده والتنويه به وهو انه قد أحب مجلة العربي حبا سرى في كيانه كسري الدم في عروق جسده ٠ فهو يعمل لها في السفر والحضر ، وخير برهان على ذلك أن مرضه الشديد الاخير الذي انتهى به الى مفارقته لهذه الحياة لم يصرفه عن كتابة حديث الشهر الذي يصدر في كل عدد ٠ حتى حديثه الشهري في عدد ديسمبر كتبه قبل احتضاره بدقائق فلم يتمه !! ولعل ما ذكرناه في هذه الكلمة من تنوع ثقافته وحلاوة اسلوبه ومواهبه النادرة من أهم العناصر التي جعلت مجلة العربي أثيرة في نفوس المثقفين الذين يتذوقون لغةالقرآن فيمشرق الدنيا ومغربها مما جعل هذه المجلة منارة للعقول ٠

ولا بد أن كل من لقي هذا العالم الجليل لقا شخصيا وجد فيه تواضع العلماء واناقة الادباء ينطبق عليه قول الشاعر .

فتـراه يصغـي للحديث بسمعه
وبقلبه ، ولعلـه أدرى بـه

رحمه الله وطيب ثراه ٠ ■

الكويت عبد الرزاق البصير

بوذا

«نيتشه»

وموقفه الرافض من التاريخ

النسيان عنده سبيلنا الى حياة سعيدة

بقلم : على أدهم

شوبنهور

نيتشه

■ كان القرن التاسع عشر من أحفل القرون بكبار المؤرخين ، ومن أزهى العصور التى عرفتها الانسانية فى كتابة التاريخ ، وتناول مشكلات الكتابة التاريخية ، وقد كثر فيه المؤرخون النوابغ الافذاذ على اختلاف طبقاتهم ، وتعدد مذاهبهم وتنوعت اساليبهم ، وتباينت مناهجهم ، ويكفى ان نذكر فى انجلترا امثال كارلايل وماكولى وفرود ، وفى فرنسا أمثال ثيرى ، وميشليه ، وجيزوه ، ورينان . وفى المانيا امثال نيبور ، وفون رانكن ، وممسن وترتشكه .

وقد غلب على الثقافة الالمانية بوجه خاص الطابع التاريخى، وكان الكثيرون من كبار المفكرين والفلاسفة الالمانيين يحاولون ان يتفهموا حاضرهم عن طريق المنهج التاريخى، وكان فى طليعة واضعى اساس فلسفة التاريخ فى المانيا الفيلسوف الكاتب الناقد هردر ، وكان اكبر ممثلى هذه الحركة الفكرية وقطب رحاها الفيلسوف الذائع الشهرة البعيد التأثير هيجل ، وللتاريخ مكانة عالية فى فلسفته ، وكتابه الذى تناول فيه فلسفة التاريخ كان له تاثير بعيد المدى فى اكثر نواحى الثقافة الالمانية ، والتاريخ فى مذهب هيجل يكشف لنا ترقى المطلق وتحقيقه فى الزمان ، ومن ثم فان حقيقة الكون تتكشف خلال التاريخ . وكان لهذا التقدير الرفيع لوظيفة التاريخ تاثيره فى توجيه الثقافة الالمانية الى العناية بدراسة التاريخ ، وتناول مشكلاته .

موقف الناقد المعارض

وقد وقف نيتشه من هذه الحركة التاريخية الشاملة موقف الناقد المعارض، والباحث المتشكك، وعمل على النيل منها ونقدها ما وسعه جهده ، واتخذ من اسلوبه المتدفق الساحر ، ومنطقه الذى يغلب عليه التأثر بشاعريته وعواطفه المشبوبة — سلاحا يقاومها به ، وحاول الحد من خطورتها فى

نظره . وقد وقف البحث الثالث من كتابه « خواطر في غير اوانها » على مقاومة هذه النزعة التي سادت عصره ، وجعل عنوانه « فائدة التاريخ وضرره » واستهله بكلمة جيتي المأثورة « اني اكره كل شيء يزيدني علما ومعرفة دون ان يزيدني نشاطا ويحرك عزيمتي » وعند نيتشه ان المعرفة التي لا تبتعث الهمة ، ولا تقوى العزيمة ـ لون من الوان الترف الغالي الثمن الذي يلهينا عن العناية بضرورات الحياة ، ويغرينا بالتقاعد في حديقة المعرفة . ونحن ان كنا في حاجة الى التاريخ فان هذه الحاجة متوقفة على خدمته للحياة ، لا على الانغماس في البطالة ، والامتناع عن مزاولة العمل وممارسة النشاط ، كما ان الحاجة متوقفة على العزيمة على تذليل العقبات القائمة في طريق الحياة ، وتعبيد سبلها ، واجتناء ثمراتها الشهية، ويقول : « انه وصف هذه الخواطر بانها في غير اوانها » لانه حاول فيها ان يوضح اخطاء عصره وعيوبه ، ويعمل على ابرائه من هذه الحمى الضارة التي يعانيها من فرط اقباله على الثقافة التاريخية . فهي في الواقع خواطر منافرة لروح العصر ، وخارجة على ثقافته التاريخية .

التاريخ والنضج

وكانت الحاسة التاريخية التي حملت الثقافة الالمانية على انمائها عند الالمان وجعلها قاعدة هامة من قواعد التربية والتعليم ـ تتخذ حجة لعدم العمل وتوهين النشاط ، والتاريخ في رأى نيتشة يصلح للاقلية الممتازة ، لا للكثرة الغالبة من الناس العاديين،وينفع الرجل الناضج الرجولة، القوى العزيمة ، لا للشبان الناشئين الذين لم يمارسوا ـ بعد ـ احوال الحياة ، ولم تصقلهم التجارب ، وهو يزيد آفاق المفكر الكبير سعة وامتدادا ، ولكنه يحطم عزيمة الصغير المستضعف، ويذهله ويحيره ، والتاريخ درس في استعادة الذكريات ، فالاقوياء الذين يستطيعون احتمال هذا الدرس قليلون ، والكثرة الكاثرة من الناس لا يستطيعون الاقدام على مباشرة الاعمال والنهوض بالتبعات الا اذا استعانوا بالنسيان وعدم الاستغراق في اودية الذكريات ، والرجال العظماء والمفكرون العمالقة هم وحدهم الذين يفيدون من البحوث التاريخية ، واحداث التاريخ وعبره ومآسيه ، فالتاريخ ليس عقبة في سبيلهم .

السبيل الى السعادة

والسعادة في رأى نيتشه متوقفة على النسيان، اي على قدرتنا على الشعور بالحالة «اللاتاريخية» والذي لا يعرف النسيان يظل يجهل طعم السعادة، ولن يفعل شيئا ليجعل الناس سعداء ، لانه مقدر عليه ان يرى الصيرورة الدائمة العاملة في كل زمان ومكان،والتي تردي الانسان وتحيل الشواهق أطلالا دارسة ، وهو يرى كل شيء يطوى في الماضي على التوالي،ويزول في ثنايا الصيرورة،والنسيان خاصة من خصائص العمل والحركة والنشاط ، والحاسة التاريخية مفسدة للحياة ، ويمتاز اصحاب الطبيعة القوية والشخصية المنيفة بانهم يعرفون الوقت المناسب لاستثارة الذكريات،والوقت المناسب للنسيان ، والانسان لا يصبح انسانا حقا الا اذا عرف كيف يوازن بين الافادة من الحاسة التاريخية والاحساس اللاتاريخي،وهذه الموازنة لازمة لصحة الفرد والجماعة .

ومن الاشياء الهامة ان نعرف مدى حاجة الحياة الى التاريخ ، لان الاسراف في النزعة التاريخية مدرجة للتخلف والانحطاط ، بل انه يؤدي الى الاسفاف بالتاريخ نفسه ، وقد يغبط الانسان الحيوانات التي ترعى في مراعيها غير حافلة بالماضي ، ناعمة بالنسيان وعدم التفرقة بين اليوم والامس ، والانسان في كل لحظة تتزايد عليه اثقال الماضي وتتكاثر الذكريات ، وقد يجعله ذلك قليل الثقة بنفسه ، متخاذل القريحة تلقاء تيارات الصيرورة ، والطبيعة في رأى نيتشه قاسية لاقلب لها ولا رحمة فيها ، والحياة في تقديره معركة بطولية نكافح فيها الاخطاء والاوهام ، وهو ينظر الى الدنيا بعين المتشائم ، والتاريخ في رايه يابى الاستسلام الى التفاؤل السطحي ، وان يقاسم الناس اوهامهم ، ولا يقر اعتقادهم ان هذه الدنيا احسن دنيا ممكنة ، ويابى ان يخدعه طيف السعادة والمسرات ، ووظيفة الانسان الاعلى ان لا يلين لشيء ، وان يسحق الاخطاء ، ويقضي على الاكاذيب ،

والذي اعجب نيتشه في الحضارة اليونانية هو انها مهدت السبيل لظهور عدد من الرجال الاعليا الممتازين ، وهذا في رايه هو غرض الحياة الاصيل ، وهدفها السامي ، وهو يرى ـ مع رينان ، وفلوبير ، وغيرهما من المفكرين الميال الى النزعة الارستقراطية في تفسير التاريخ ـ

الاثرية الشعب ليست سوى وسيلة تتخذها الطبيعة لتستعين بها على جلب عدد قليل من العظماء المبرزين ، واهم عمل للانسانية هو الاهتمام بايجاد العباقرة،وعلينا ان نعلم الناس احترام العبقرية، والاعجاب بها ، واكبار شانها ، وبذلك يسهمون في ادراك اسمى كمال للطبيعة .

رفض فلسفة نيتشه

وقد رفض نيتشه الفكرة الاساسية التى قامت عليها فلسفة شوبنهاور ، وهى الرغبة فى مقاومة ارادة الحياة ، او الوصول الى حالة شبيهة بالنرفانا فى الديانة البوذية ، وهى الحالة التى يتخلص فيها الانسان من سلطة الارادة ، واسار الرغبات ، وهو يقول : انه لا يدرى هل الحياة خير او شر ، ولا يستطيع احد ان يعرف هل الوجود خير من العدم ، او ان العدم خير من الوجود ، وان واجبنا ان نجعل الحياة غنية سعيدة مرحة ، ونرحب بها ، ونحرص عليها بكل ما نستطيع من جهد وقوة ، وان هدف الانسانية هو تقديم عطاء اعظم المثل للحياة ، وانه سياتى اليوم الذى يتجاهل فيه المؤرخون الجماعات والاغلبية الساحقة، ويقصرون نظرهم على دراسة حياة الافراد الافذاذ الذين يكونون جسورا فوق مجرى الصيرورة ، والرجل العظيم هو القوة الحاسمة فى التاريخ ، والجماعات لا تخرج عن كونها وسائل لتحقيق هذه الغاية . ومن الخطا فى رأيه ان تعتبر الرجل العظيم ثمرة عصره ، ووليد الظروف المواتية ، لان الرجل العظيم هو السلم الذى يسمو به العصر فى درج التقدم والتطور ، وقد بنى نيتشه امله فى تقدم الانسانية على ظهور العظماء .

المعرفة والحياة

والثقافة التاريخية التى غلبت على الالمان فى عصره تجعل العالم الالمانى واسع المعرفة عميقها ، ويستطيع ان يبذل جهدا شاقا فى الدرس والبحث، ولكنها فى الوقت نفسه تقلل من نشاطه وحيويته، والعنصر الجوهرى فى شخصية الانسان عند نيتشه هو القدرة الفائقة على امتلاك النفس ، والارادة الصارمة ، والصبر على الكفاح الدائم ، ومن الواجب ان نجعل الحياة مسيطرة على المعرفة وموجهة لها ، ولا نجعل المعرفة مسيطرة على الحياة ، ومحتويات المعرفة عند الالمان المتاثرين بالثقافة التاريخية ليست منظمة تنظيما فنيا ، والمعرفة التى لا تمد الحياة بالقوة تقضى على نفسها ، والالمان المعاصرون له كانوا فى رايه يعرفون اشياء عن الثقافة ، ولكنهم غير مثقفين لان نصيبهم من المعرفة بقايا اثرية لا تخدم الحياة، وهو يشبههم بالثعبان الذى ابتلع ارنبا ، وظل بعد ذلك راقدا فى ضوء الشمس ممتنعا عن الحركة .

التاريخ ثلاثة انواع

وعند نيتشه انه يوجد ثلاثة انواع من التاريخ، التاريخ العظيم الفاخر،والتاريخ الاثرى ،والتاريخ الانتقادى ، وكل نوع من هذه الانواع يلبى حاجات خاصة ، ويخدم نوعا من الرجال مختلفى الانماط، فالتاريخ العظيم الفاخر يقدم الامثلة والنماذج ، ويستجيب لحاجة رجل العمل والقوة والسلطة ، واهميته فى الدوافع القوية التى يزود بها النفس ، والتاريخ الاثرى يتضمن احترام الماضى، والتاريخ الناقد يجعل المؤرخ قاضيا يصدر الاحكام على سير الاحداث دون رحمة او خداع . وهو يزن كل نوع من هذه الانواع الثلاثة بمدى فائدته للحياة ، وقدرته على تحريك دوافعها ، وابتعاث نشاطها ، وكل انسان وكل امة فى حاجة الى معرفة خاصة بالماضى ، سواء عن طريق التاريخ الفاخر العظيم ، او التاريخ الاثرى ، او التاريخ الانتقادى ، ومعرفة الماضى لازمة للمستقبل ، والاعداد له ، وللحاضر وخدمته ، لا لاضعافه والتقليل من قيمته .

التاريخ الاثرى ومزاياه

ومن مزايا التاريخ الاثرى انه يرينا ان اشياء عظيمة تم انجازها فيما سلف من الزمان ، ومعنى هذا انه يمكن اعادة انجاز امثالها ، وهذا مما يشد من عزيمة الانسان ، ويجعله يتطلع الى اقتحام العقبات ، والاتيان بالاشياء العظيمة ، ولكنه من ناحية اخرى قد يغرى بالاقدام الطائش، ويبعث على التعصب الاعمى ، ويؤدى ذلك الى حدوث الثورات والجرائم والتدمير ، وقد يسوق الى الافراط فى تقدير القديم ، ومقاومة التجديد، ويصدق فيه قولهم « دع الميت يدفن الحى » .

ويقول نيتشه : ان الفنان العظيم لا يستطيع ان يكمل طرفة من طرائف الفن ، والقائد العظيم لا يستطيع ان ينتصر فى معركة ، والفرد

او الامة لا يصل الى ذروة المجد الحقيقي الا بممارسة الحالة العقلية اللاتاريخية ، ومع تسليم نيتشه بحاجة الانسان الى الحالتين، حالة الاحساس التاريخي وحالة الاحساس اللاتاريخي نجد انه يرى انه لم يسبق للاحساس التاريخي ان سيطر على النفوس سيطرته في عصره . وبخاصة بين قومه الالمان ، فالكثيرون منهم دوائر معارف متحركة، وفرط احترامهم للماضي لا يمكنهم من تحويله الى غذاء صالح .

التاريخ ليس من عمل العقل

ويقرر الدكتور ج . أ . مورجان في كتابه عن نيتشه (١) « ان هناك وضعا تاريخيا ورسالة تاريخية يستقران في سويداء قلب فلسفة نيتشه» فانه تحدى ما في فلسفة هيجل المثالية المذهب من تصوير عقلاني بحت ذلك ان التاريخ عنده ليس من عمل العقل ، فهو مفعم بكل عارض وغير معقول من الامور ، وبعد هذا فان من لا يفهم كم التاريخ وحشي غليظ مجرد من كل معنى وهدف ـ سيفوته تماما فهم الدافع الذي يحدو الناس الى جعل التاريخ ذا معنى .

بين كارلايل ونيتشه

وتفسير كارلايل البطولي للتاريخ يقترب الى حد ما من المكانة التي يضع فيها نيتشه العظماء والنوابغ الممتازين ، وعملهم على تمهيد السبيل لظهور الانسان الاعلى ، وقد كان كارلايل يؤمن بقداسة الكون ، وبالعناية الالهية المتجلية في سير الحوادث ، وقد كان كل من الموحدين والقائلين بمذهب وحدة الوجود يحاولون ضمه الى صفوفهم، وكان نيتشه ملحدا مغاليا في الحاده ثائرا على الآداب المسيحية .

ولكن كارلايل ونيتشه برغم هذا التباين الشديد، قد انتهيا الى نتيجة متشابهة وفلسفة سياسية اجتماعية متقاربة ، وقد اطمان كارلايل الى فكرة البطل ودوره العظيم في التاريخ ، كما استقرت آراء نيتشه عند فكرة الانسان الاعلى ، وعندهما ان كل التقاليد والافكار والمفاهيم ان هي الا اشعة صادرة من الرجال العظماء ، وكل ما اهتدت اليه الانسانية في عالم الفكر والابداع يرجع الفضل في وجوده لهؤلاء الابطال العظماء ، وكان نيتشه يعتقد ان انسانه الاعلى (السوبرمان) لم يوجد بعد ، وانه هو الداعي لوجوده والمبشر به. وابطال كارلايل في رأي نيتشه صور تقريبية لانسانه الاعلى الذي هو هدف الانسانية ، والغاية المرجوة من الحركة التاريخية ، ويبدو لي ان كارلايل ونيتشه يبالغان في تقدير مكانة العظماء في التاريخ. وربما كان الاقرب الى الحق والواقع رأي هيجل القائل (٢) «ان الرجل العظيم في العصر هو الرجل الذي يستطيع ان يصوغ في كلمات ارادة عصره ، وان يبلغ عصره ما هي ارادته ، وان يحققها ، ان ما يفعله لهو جوهر عصره وماهيته « انه يجعل عصره حقيقة » .

العود الابدي

وقد غلبت على نيتشه في المرحلة الاخيرة من حياته الفلسفية فكرة العود الابدي ، واصول هذه الفكرة ترجع الى الاديان القديمة ، وقد شغلت تفكير الفلاسفة اليونانيين . وظهرت جلية في فلسفة « هيراكليتاس » ، وقال بها « انبادوقليس »، وقد اطلع عليها نيتشه عند دراسته للفلسفة اليونانية ، ولكنه في احد ايام شهر اغسطس سنة ١٨٨١ وهو في قرية « سيلزماريا » بسويسرة تالقت فجاة فكرة العود الابدي في خاطر نيتشه ، واضفى عليها نوعا من الجدة ، جعله يعتقد انه اول من قال بها ، وكشف اهميتها ، ومضمون فكرة العود الابدي هو ان الوجود ليس صيرورة مستمرة لا نهائية ، وانما تاتي فكرة تنتهي عندها الصيرورة تسمى السنة الكبرى ، وتبدأ الصيرورة دورة جديدة وهكذا دواليك ، فكل شيء في الوجود يتكرر بلا انقطاع ، وهذا التكرار يتناول كل شيء ولا يفلت منه حدث من الاحداث الكبرى او الصغرى .

■ ■

علي ادهم

---

(١) صفحة ١٩٧ من كتاب « التاريخ وكيف يفسرونه » ، تاليف ج . ويدجري ، وترجمة الاستاذ عبد العزيز توفيق جاويد .

(٢) صفحة ٧١ من كتاب « ما هو التاريخ » تاليف ادوارد كار وترجمة الدكتور احمد حمدي محمود .

التدرب على انعدام الوزن

الحياة في سفينة فضاء

بقلم : المهندس سعد شعبان

■ يتعرض رواد الفضاء لظروف ومتاعب واجهادات بدنية ونفسية ، قلما يتعرض لها سواهم • ولذلك تتبع اساليب دقيقة فى انتقائهم من بين مئات الالوف من البشر ، وفقا لمعايير وقياسات واختبارات طبية ونفسية وعلمية دقيقة• واذا ما تم اختيارهم فانهم يتلقون تدريبات قاسية ومتوالية تؤهلهم لامكان القيام بالمهام الفضائية • وتتنوع هذه التدريبات بين ما يرفع مستوى اللياقة البدنية ، وبين ما ينمى التوافق العضلى ـ العصبى ، وبين ما يزيد المعلومات العلمية اللازمة عن العلوم التكنولوجية •

رائد الفضاء لا بد وان يلم بكثير من المعلومات الفنية والطبية والفلكية والملاحية والرياضية ، ولا بد ان يكون ذا حنكة فى تشغيل أجهزة السفينة سواء الميكانيكية او الكهربية •

ومن ثم نجد ان نسبة كبيرة من رواد الفضاء من حملة الدرجات العلمية العالية وبعضهم علماء متخصصون يحملون درجة الدكتوراه فى الطب أو الكيمياء أو الهندسة أو الرياضيات •

ولان فى الفضاء مخاطر جمة ، فان اسهام الجنس اللطيف فى غزو الفضاء لم يتحقق غير مرة واحدة بواسطة رائدة الفضاء السوفيتية « فالنتينا تريشكوفا » •

الارقام القياسية للبقاء فى الفضاء

واذا ما أمعنا النظر فى رحلات الفضاء الكونية منذ بدات برحلة « جاجارين » فى ابريل ١٩٦١ ، نجد ان مدد الرحلات فى تزايد مستمر • وبعد ان كانت مدة الرحلة السوفييتية الاولى (١٠٨) دقيقة ، ومدة الرحلة الامريكية الاولى (١٥) دقيقة ، نجد هذه المدد قد امتدت خلال الاعوام الاخيرة ليصبح قياسها بالشهور لا بالدقائق • والرقم القياسى السوفييتى فى هذا المضمار حتى منتصف عام ١٩٧٥ هو (٣٠) يوما حققها رواد رحلة « سويوز ـ ١٧ » فى التحامهم بالمحطة المدارية « ساليوت ـ ٤ » خلال شهر فبراير ١٩٧٥ • أما الرقم القياسى الامريكى فهو (٨٥) يوما حققها رواد رحلة سفينة أبوللو التى التحمت بمعمل الفضاء « سكاى لاب » فى المرة الثالثة ، والتى يطلق عليها « سكاى لاب ـ ٣ » والتى انتهت فى فبراير ١٩٧٤ اى قبل الرقم السوفييتى بعام كامل •

ومع زيادة مدد رحلات الفضاء ، وزيادة تطلعات العلماء الى العالم الواسع المحيط بنا ، تطورت تصميمات سفن الفضاء • وظهر أن اضعفحلقات

هذه المباراة هي القدرات المحدودة لجسم الانسان، ومن ثم وضعت تحت القياس .

الطريق الى الكواكب من بعد القمر

وفي هذه المباراة اتخذ العلماء الامريكيون لانفسهم القمر هدفا لانه اقرب الاجرام السماوية منا . ولكن ما تحقق غزوه وكشف اسراره عام ١٩٦٩ حتى تدرجوا الى اهداف اخرى اكثر بعدا ، وابعد غورا في اعماق الفضاء الا وهي كواكب مجموعتنا الشمسية . ولئن كانت المسافة بيننا وبين القمر لا تعدو عشرات الالوف من الاميال فان المسافة بيننا وبين اقرب الكواكب تزيد الى عديد من ملايين الكيلو مترات . لذلك ان كانت الرحلات الى القمر لم تستغرق الا اياما معدودة ، فان الرحلات الى الكواكب بوسائل الدفع الناشئة حاليا لابد وان تستلزم شهورا عديدة ، وربما اعواما . ولابد أن القدرات المحدودة لاجسام الرواد ستقف حائلا دون امكان اتمام مثل هذه الرحلات الا على قفزات متتابعة . ومن ثم وجد التفكير في « المحطات المدارية » التي يمكن ان تكون استراحات فضائية تلتحم بها سفن الفضاء في طريقها الطويل الى الكواكب ، ليتبادل اطقم الرواد مقاعدهم فيها فيترك طاقم متعب مكانه لطاقم كان في الانتظار ليواصل المسيرة . كما يمكن التزود منها بالطعام والشراب والملابس والوقود وصواريخ الدفع وقطع الغيار .

ومن هذا النوع ظهرت الى الوجود محطات « ساليوت » المدارية السوفيتية ، واطلق منها حتى منتصف عام ١٩٧٥ أربع محطات . وتحقق التحام ٦ رحلات فضائية بها . اما المحطات المدارية الامريكية فلم يظهر منها الا معمل الفضاء « سكاي لاب » وتحقق التحام ثلاث سفن به .

الحياة في سفن الفضاء

ويحكم حياة الرواد في سفن الفضاء عدة عوامل، من اهمها تعرض السفينة لظروف تعتبر خطرة على الجسم البشري ، ولا بد من احتياطات وقائية لدرء هذه الاخطار . الى جانب ضيق المكان داخل السفن ، وضرورة امداد كل رائد فضاء بلوازم الحياة اليومية من طعام وشراب وملبس مع الابقاء على نظافة جسمه .

وللفضاء طبيعة غير مألوفة على الارض، وفرض ذلك على العلماء وضع حلول للتغلب عليها . ومن اهم هذه العوامل عدم وجود الاوكسجين اللازم للتنفس . وتعرض اجسام الرواد للاجهاد البدني نتيجة لانطلاق السفن بسرعات عالية في مرحلة الاطلاق بصواريخ الدفع . وتعرض اجسام الرواد لحالة انعدام الوزن بعد افلات السفن من قوى الجاذبية الارضية . والاجهاد العصبي الذي يتعرضون له ، من خوف وتعرض للهلاك وقلق يؤرق مصيرهم . هذا فضلا عما يوجد في الفضاء من اشعاعات ، كثير منها ضار ومهلك كالاشعة الكونية . وما تتعرض له السفينة من اهتزازات وارتفاع في درجة حرارة سطحها الخارجي . الى جانب ازدحام السفينة بالاجهزة والعدات التي يلزم الرواد ان يتقنوا تشغيلها ، كالقيام بالمهام والتجارب المنوط بهم اجراؤها .

واذا تاملنا في حياة رائد الفضاء داخل السفينة فلا بد ان نفكر في طعامه وشرابه وملبسه ، وكيف ينام ، وكيف يستحم ، وكيف يتحرك ، وكيف

تنشيط الدورة الدموية
على دراجة ثابتة في سفينة الفضاء

ملابس رائد الفضاء

العوم وشوقا في معمل سكاي لاب

ان يتخلص من فضلات الجسم . فكل ذلك من لوازم الحياة الاساسية ، سواء على الارض او في الفضاء .

ولعله نافلة القول بان الرواد يتدربون على الارض ، بوسائل مثالية داخل محاكيات فضائية على الطرق الصحيحة لمزاولة هذه المستلزمات اليومية ، حتى لا يجابهوا في الفضاء باي جديد .

ماذا ياكل رائد الفضاء

كان طعام رواد الفضاء خلال الرحلات الفضائية القصيرة المبكرة معونبا، اي داخل انابيب كمعجون الاسنان ، وفي صورة معاجين مهروسة ليمتصوه بافواههم . ولكن ذلك لم يدم طويلا بعد طول عدد رحلات حتى اصبحت اطباق الاطعمة الفضائية تكاد شبيه الاطعمة التي على الارض ، حيث تضم انواع اللحوم وبعض الخضروات والفواكه والفطائر . مع تجنب الاطعمة ذات الالياف الكثيرة حتى لا ينجم عنها كثير من الفضلات ، ومع عدم الاكثار من البقول ومنتجات الالبان التي ينتج عنها غازات في المعدة . ويضع قوائم وجبات الرواد اطباء متخصصون في التغذية لتوفير السعرات الحرارية اللازمة اثناء الرحلة .

ولا بد من ابقاء الطعام في سفينة الفضاء مجمدا في وحدات تبريد عميق توخيا لعدم تعرضه للتلف . وبعض طعام رواد الفضاء قد يكون علبا محفوظة . وكذلك المشروبات التي تتنوع بين عصير الفواكه والماء والمشروبات المنبهة كالشاي والقهوة .

ويتوفر في سفن الفضاء افران كهربية لتسخين الطعام المجمد ، كما يدرب الرواد على تناول الطعام والشراب بحذر حتى لا تتساقط قطرات منه فتتعلق في فراغ قمرات القيادة بانعدام

الوزن . وعلى سبيل المثال ضم معمل « سكاى لاب » الامريكى ١٠ خزانات مياه وزنها ٢٧٢٠ كيلوجراما ، ووضعت اطعمة الرواد فى ١١ ثلاجة تبريد ، و ٥ وحدات تجميد . واستهلك رواد الرحلات الثلاث التى تعاقبت على المعمل والذين قضوا به ما يقرب من ستة شهور اطعمة واشربة كانت فى ٨٧٫٠٠٠ علبة محفوظة ، وبلغ مجموع وزن هذه الاطعمة ٩١٣ كيلوجراما .

كيف ينام رواد الفضاء

عندما ننام نتعمد الاستلقاء لكى يتوزع الدم بالتساوى فى كل انسجة الجسم وخاصة المخ ، الذى تنال خلاياه القسط اللازم من الراحة . ولكن فى الفضاء ، لا فائدة من الاستلقاء،فالجسم يعانى من انعدام الوزن ، والمستوى الافقى والراسى اتجاهات نسبية على الارض وحدها ، ولا وجود لها فى الفضاء . ومن ثم فان رواد الفضاء كانوا ينامون فى سفنهم الضيقة وهم جلوس على كراسى القيادة . وقد يعمدون الى ثنى ظهر الكرسى ، لاتاحة الفرصة للجسم ان يستريح ويسترخى عندما يتمدد . وفى المركبات القمرية التى هبط بها الرواد الامريكيون على القمر ، لم يكن متاحا للرواد ان يناموا الا وقوفا لضيق المكان وكانهم داخل انبوب.ثم بدأ تخصيص اماكن خاصة لنوم الرواد فى سفن « سويوز » السوفيتية . أما فى المحطات المدارية وفى معمل « سكاى لاب » الامريكى فكان النوم داخل ما يشبه الصوان أو الدولاب الذى يقف فيه الرائد ويشد جسمه الى جدرانه باشرطة واحزمة حتى لا يطير متاثرا بانعدام الوزن . ثم ينسدل فوق جسمه غطاء تسرى فيه الكهرباء للتدفئة .

وفى السفن الفضائية التى لم يكن بها غير رائد فضاء واحد يتحكم فى قيادة السفينة اثناء نوم الرائد ، اجهزة تحكم آلية ، بينما تظل السفينة تحت رقابة محطات المتابعة الارضية .اما عندما يقود السفينة اكثر من رائد واحد فانهم يتبادلون النوم والعمل . ويستيقظ الرواد من نومهم بتنبيه من محطات المتابعة الارضية .

وجدير بالذكر ان نوم الرواد يتم بتنظيم التوقيت ، اذ لا ليل ولا نهار فى الفضاء ، فالظلام الدامس يحيط بالسفن من كل اتجاه .

ملابس رواد الفضاء

يرتدى رواد الفضاء ملابس خاصة فى نوعها وتجهيزها . فهى طبقات فوق طبقات . وقد بلغ عدد طبقات بعضها تسعة وبلغ فى بعضها الاخر ١٥طبقة من نسيج الاليـاف الصناعية من مادة «التريفلون» المضادة للحريق . توخيا لتوفير ابقاء حرارة الجسم ووقاية رائد الفضاء من الاشعاعات ورغم تعدد طبقات حلل الفضاء وتعدد ما يدخلها من انابيب وما تلتصق بها من مستشعرات لاجهزة قياس النبض والحرارة وضغط الدم وتسجيل اشارات المخ ، فان مرونة الحركة يجب ان تتوفر للرائد بحرية تامة . وتسرى فى بعض طبقات هذه الحلل اسلاك كهربية للتدفئة .

وقبل وبعد الرحلة يلبس الرواد غطاء رأس شفاف يحكم الاغلاق مع الحلـة الفضائية لعزل الرأس عن الهواء . ويلحق بالحلة الفضائية قفاز خاص يتيح بتجهيزه امكانات الحركة فى السفينة .

غير أنه فى بعض رحلات سفن سويوز السوفيتية الاخيرة ، صعد الرواد الى السفينـة بملابس عادية ، وباغطية رأس عادية ، اعتمادا على تكييف جو السفينة من الداخل .

دش فى الفضاء

تجهز ملابس الرواد بمخارج خاصة لامكان التخلص من البـول والبراز فـى اكياس مـن البلاستيك ، يتم التعامل معها كيماويا داخل السفينة وتجميعها فى مكان خاص بها . ولقد ترك رواد رحلات ابوللو الامريكية الذين هبطوا على القمر عديدا من هذه الاكياس على سطحه قبل مغادرتهم له .

وخلال الرحلات الفضائية الطويلة ، لا بد أن يغير الرواد ملابسهم الداخلية وجواربهم واحذيتهم. ولذلك ضم معمل سكاى لاب الامريكى اعدادا كبيرة من هذه الملابس وضعت داخل دواليب حبت فى جدرانه هى :

- ٦٠ غيار جاكت وقميص وبنطلون
- ٣٠ غيار ملابس داخلية
- ١٥ حذاء
- ١٥ قفاز
- ٢١٠ سروال قصير

ولكى يستحم الرواد فى الدش الذى جهز به المعمل وضع به أيضا (٥٥) قالب صابون و ١٨٠٠ كيس بلاستيك لتجميع البول والبراز ٠

وجدير بالذكر ان « الدش » كان يضخ الماء من أنابيب مثقبة تحيط بجسم رائد الفضاء كله ٠ ثم يجمع الماء بعد الاستحمام لتحليله كيماويا لقياس مقدار ما افرزته الغدد وما خرج مع العرق من املاح ٠

انعدام الوزن

بعد افلات سفينة الفضاء من قوى الجاذبية الارضية ، على ارتفاع معين يتوقف على سرعة انطلاقها ، تصبح حركتها منتظمة على مدارها ولا تعوقها أية مقاومة ٠

كما يصبح رواد الفضاء داخلها تحت تاثير حالة انعدام الوزن التى تفرض ثقلا معينا على الجسم والعضلات والتى تستلزم من الرواد الحذر فى حركتهم داخل السفينة والا أصبحوا معلقين فى هوائها ٠ غير ان أهم ما كان محلا للدراسة بالنسبة للبقاء تحت تاثير هذه الحالة مدة طويلة هو القلب ، والدورة الدموية ٠ ذلك ان الدم لايسرى فى الجسم تحت تاثير هذه الحالة الا بدفع نبضات القلب وحدها ، ولا أثر لتثاقل الدم بالجاذبية ٠ ومن أجل تنشيط الدورة الدموية للرواد من آن لآخر ، كان فى معمل سكاى لاب دراجة ثابتة يمكن ان يحرك عليها الرواد أرجلهم او اذرعهم ٠

ولتنظيم حركة الرواد داخل المعمل كانت احذية الرواد مجهزة بخطاطيف تعينهم على تثبيتها فى شباك معدنية جهزت بها ارضية المعمل ٠ كما كان فى جدرانه بعض القضبان التى يمكن ان يستندوا اليها اثناء الانتقال داخله ٠ ولا شك ان حالة انعدام الوزن لها آثارها على أجسام الرواد عندما تطول مدد الرحلات ليس فقط على القلب ولكن على الغدد ، والعظام والعضلات ، والقدرة على الابصار ٠

الاجهاد البدنى والعصبى

تتعرض اجسام الرواد فى مرحلة الانطلاق بسرعات عالية ، لقوى تعرف باسم قوى التسارع٠ تتمثل فى شعور الرواد بضغوط تتثاقل على أجسامهم تعادل عدة مرات قدر الضغط الجوى ٠ مما يشكل اجهادا على أجسامهم وبالتالى على مدى تحكمهم فى حركات العضلات وعلى التنفس والسمع والنظر ٠ ويحس الرائد خلال دقائق التسارع الاولى كأن اثقالا ضخمة تجثم على كل جسمه فتقيد حركته ٠ وذلك حتى يفلت صاروخ الدفع، والسفينة من الجاذبية وتصبح بعدها السفينة حرة الحركة بانتظام على المدار الذى بلغته ٠ لذلك يدرب رواد الفضاء فى المعامل الارضية على تحمل التغيرات الفسيولوجية التى تصاحب قوى التسارع وذلك بوضعهم فوق كراسى تدور بسرعة ، لتشكل قوى الطرد المركزية تاثيرها عليهم ٠ ومن أجل ذلك أيضا تصمم ملابس رواد الفضاء بطريقة خاصة تسمح بالضغط على الاجزاء الرخوة من الجسم حتى لا تتعرض شعيرات الدم فيها للانفجار ٠

وبالاضافة الى الاجهاد البدنى الذى يتعرض له الرواد ، فان الاجهاد النفسى والعصبى له دوره الخطير على تصرفاتهم ٠ وذلك أن مشاعر الخوف من المجهول ، والاحساس بالوحدة والصمت المطبق والظلام الدامس فى كل اتجاه ، تشكل فى مجموعها آثارا نفسية على الرواد ، وينعكس ذلك على تصرفاتهم ٠ وتمثل ذلك فى احساس بعضهم بالملل أثناء الرحلات الفضائية الطويلة ، فضلا عن سرعة غضب البعض الآخر لاسباب تافهة ٠

ويعزو الاطباء ما يعترى الرواد من تغيرات نفسية الى انخفاض ضغط الدم فى اجسامهم نتيجة للتاثر بانعدام الوزن ٠

القاهرة ــ سعد شعبان

مسابقة العربي

مذبحة دموية فوق جزيرة فريقية

"١٠" أسئلة و"١٠٠" دينار

■ مسابقة هذا العدد تشمل على ١٠ اسئلة متنوعة . والمطلوب منك معرفة الاجابات الصحيحة لثمانية منها على الاقل ، لتفوز باحدى الجوائز التى مجموع قيمتها ١٠٠ دينار كويتى :

١ ـ اطلق العدو الصهيونى اسماء عبرية على اكثر المدن العربية فى الارض المحتلة طمعا فى طمس عروبة هذه المدن ٠٠ من تلك الاسماء « ايلات » ، وقد اطلقها على ميناء ام رشرش الواقع على خليج العقبة ٠٠ اما اسم اشكلون فقد اطلق على مدينة عسقلان ٠٠ ومن المدن التى تم تغيير اسمها مدينة اطلق عليها اسم بيرشيبا ٠

فما هو الاسم العربى الاصيل لهذه المدينة ؟

٢ ـ يختلف عدد افراد الفرق الرياضية من لعبة الى اخرى ٠٠ فكم افراد :

فريق كرة القدم ـ كرة السلة ـ الكرة الطائرة ٠٠

٣ ـ عند مدخل مدينة نيويورك يرتفع تمثال الحرية ٤٦ مترا فى الهواء ٠٠ لقد وضع فى مكانه هذا عام ١٨٨٦ بعد ان تسلمته الولايات المتحدة هدية من :

انجلترا ـ فرنسا ـ اسبانيا

٤ ـ شاعر وفيلسوف اسلامى كبير ولد عام ١٨٧٧ فى اقليم البنجاب بالهند ، كان له دور كبير فى مولد دولة الباكستان عام ١٩٤٧ رغم انه توفى فى لاهور عام ١٩٣٨ فمن هو :

محمد على جناح ـ محمد اقبال ـ لياقت خان

ولنجتون

٥ ـ اميرال انجليزى شهير قاد الاسطول البريطانى فى عدة معارك بحرية خالدة ، من اشهرها تلك التى ادت الى تدمير الاسطول الفرنسى فى ابو قير ٠٠ وفى عام ١٨٠٥ خاض اسطوله معركة الطرف الاغر Trafalgar الشهيرة شمال غرب جبل طارق ، وقد انتهت بالقضاء على الاسطول المشترك لفرنسا واسبانيا ٠٠ وفى هذه المعركة قتل هذا القائد الكبير ٠٠ واسمه :

مونتباتن ـ ولنجتون ـ نلسون

٦ ـ وثيقة حقوق الانسان ٠٠ استغرق اعدادها ثلاث سنوات قبل ان تصوت عليها الجمعية العامة للامم المتحدة ، فتنال موافقة الاعضاء ، ما عدا ست دول امتنعت عن التصويت ٠٠ وهذه الوثيقة التاريخية الهامة صدرت عام

١٩٣٠ ـ ١٩٤٨ ـ ١٩٧٠

٧ ـ قوة واحدة استطاعت ان تقف عام ٢٧٠ ق ٠ م امام قوة التى كانت تريد السيطرة على البحر المتوسط ٠٠ وهذه الدولة

نلسون
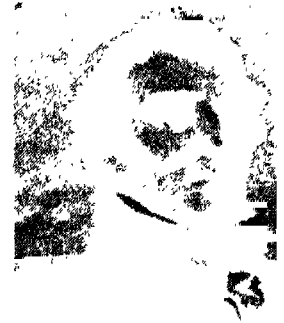
تمثال الحرية

..دت روما ، كانت موجودة في الموقع الحالي لمدينة تونس .. وكانت تملك ..ات السفن وتسيطر على البحر المتوسط من صخرة جبل طارق حتى دلتا ..نيل .. وهذه الدولة هي :

قرطاجنة ـ صور ـ اثينا

٨ ـ الآسكا قطعة ارض مساحتها نحو ٦٠٠ الف ميل مربع . اشترتها ..ولايات المتحدة من قيصر روسيا بمبلغ ٧٫٢٠٠٫٠٠٠ دولار في عام ١٨٦٧ في عام ١٩٥٩ اصبحت الاسكا الولايةرقم٤٩ ضمنالولاياتالمتحدة الامريكية.. الثروات المعدنية والنفطية الخيالية التي اكتشفت في اراضيها جعلتها ..غنى الولايات الامريكية .. وارضالاسكا غير متصلة بارض الولايات ..لمتحدة وتفصلها عنها ارض كندا .. وهي طبعا غير متصلة بارض الاتحاد ..لسوفيتي بل يفصلها عنه :

مضيق ماجلان ـ مضيق بيرنج ـ مضيق الاسكا

٩ ـ جزيرة تقع على مسافة ٢٥ ميلا من ساحل شرق افريقيا . جاءها ..لعرب عام ١٧٠٠ فطردوا البرتغاليينمنها ، واقاموا فيها دولة مستقلة ..خلت الامم المتحدة .. وفي بداية عام ١٩٦٤ حدثت فيها مذبحة دموية اريقت ..خلالها دماء ١٨ الف مسلم من اصول عربية .. وبعد هذه المذبحة بثلاثة ..شهر ضمت هذه الجزيرة الى تانزانيا ، واصبحت تكون معها ما يعرف ..اسم جمهورية تانزانيا المتحدة .. فما اسم هذه الجزيرة(التي نسيها العرب) ..علما بان مساحتها تعادل مساحة جزيرةرودس ، ويعيش فوقها نحو نصف مليون ..سمة ؟

محمد علي جناح

فريق البرازيل لكرة القدم
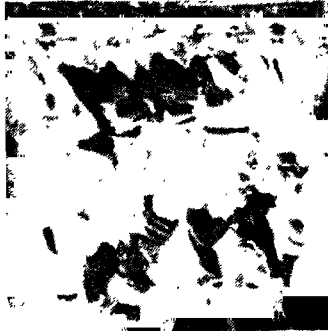
١٠ ـ كان من فحول شعراء الجاهلية .. ومن اصحاب المعلقات .. في سوق عكاظ الشهيرة كان هذا الشاعر يضرب خيمته ويجلس تحتها . ياتيه الشعراء من كل حدب ويجعلونهحكما في قصائدهم .. وكانوا ..قبلون حكمه غالبا .. وقد اقام مدة طويلة في بلاط ملوك الحيرة .. ومدة ..ل في بلاط ملوك غسان .. فمنهذا الشاعر ؟

النابغة الجعدي ـ النابغة الذبياني ـ زهير بن ابى سلمى

● شروط المسابقة ●

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فيذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكاملبخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليهالعنوان الآتي :
..جلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت، مسابقة العدد ٢٠٥ .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويتهو اليوم الاول من شهر فبراير ١٩٧٦

● الجوائز ١٠٠ دينار ●

منحالفائزون ١٠٠ دينار كويتيعلى الوجه الآتي:الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ ..ينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير .. وعند تعدد الاجابات تمنحالجوائز بطريقة الاقتراع .

نتيجة مسابقة العدد ٢٠٢

بحار .. ومضائق .. وجزر

قامت مسابقة العدد ٢٠٢ من « العربي » على اسئلة متنوعة في المجالات المختلفة من المعرفة الانسانية وهي مقسمة الى قسمين • القسم الاول وهي اسئلة عن البحار والجزر والمضائق • والقسم الثاني : اسئلة متنوعة في التاريخ وسير الاشخاص والعلوم الطبيعية • ولماكانت الاسئلة صعبة بعض الشيء ، فلم نتلق العدد الذي اعتدنا دوما ان يصلنا من المشتركين في المسابقة •

واليك ايها القارىء نموذج للاجابة الصحيحة . ثم اسماء من فازوا بالمسابقة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة •

١ـ يتصل البحر المتوسط من الطرف الغربي بمياه المحيط الأطلسي بواسطة مضيق جبل طارق . ومن الطرف الشمالي ببحر مرمرة بواسطة مضيق الدردنيل ، ومن الطرف الجنوبي بالبحر الأحمر بواسطة قناة السويس •

٢ ـ ابوالكلام آزاد ينتمي الى بلاد الهند •

٣ ـ الفقاعة التي في الطرف الشمالي هي بحر آزوف . والفقاعة التي في الطرف الجنوبي هي بحر مرمرة •

٤ ـ المدينة الاثرية التي تقع شمال مدينة عمان عاصمة الأردن هي مدينة جرش •

٥ ـ الميناء السوداني الشهير الذي تدهور واغلق تماما هو ميناء سواكن •

٦ ـ عدد الاصابع في كل رجل من ارجل القط الامامية اربعة • والارجل الخلفية خمسة •

٧ ـ الجزر العربية في البحر المتوسط هي جربة وقرقنة بتونس ، وجزيرة ارواد في سوريا •

٨ ـ الطبيب النفساني وصاحب مدرسة الطب النفسي هو النمساوي سيجموند فرويد •

٩ ـ الدول الثمانية المطلة على مياه الخليج العربي هي : ايران ـ العراق ـ الكويت ـ السعودية ـ البحرين ـ قطر ـ الامارات المتحدة ـ سلطنة عمان •

١٠ ـ المدينة الفلسطينية التي يقال أن أبا الانبياء سيدنا ابراهيم يرقد فيها هي مدينة الخليل •

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :**عدنان احمد محمد طه** / بنغازي / ليبيا •

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها .**محمود احمد مصطفى** / المدينة المنورة / السعودية•

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها .**عبد الرسول عبد النبي الفردان**/كرزكان /البحرين

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ **عبد الجليل فرحات** / الشابة / تونس •

٢ ـ **ظافر بركات** / حمص / سوريا •

٣ ـ **صلاح صالح يوسف** / الزرقاء / الاردن •

٤ ـ **حسين سليمان احمد** / ام درمان / السودان

٥ ـ **علي ناصر المريعل** / الرياض / السعودية

٦ ـ **خالد حمد الأعظمي** / بغداد / العراق

٧ ـ **سائد زيات احمد** / حولي / الكويت •

٨ ـ **احمد سليمان المصري** / ابو ظبي / الامارات العربية

Future
Shock
by
Alvin
Toffler

الفين توفلر مؤلف كتاب « صدمة المستقبل »
وحوار معه ؟

حوار مع مؤلف كتاب "صدمة المستقبل"

التربية والتدريب

لا بد من مزج بينهما في حياة كل طالب

ترجمة : محمود محمود

■ من الكتاب المحدثين المعنيين بشئون الثقافة والتربية كاتب أمريكى مجدد فى رأيه ثائر فى فكره يدعى الفين توفلر Alvin Toffler . ومن بين كتبه الحديثة التى أثارت ضجة كبرى فى الفكر التربوى كتاب اخرجه تحت عنوان «صدمة المستقبل» Future sho وفى هذا الكتاب يزعم توفلر ان قدرة نسان على التكيف وفقا للبيئة المحيطة به ست ـ نظرا لتطور المجتمع بسرعة هائلة يسبق لها فى التاريخ مثيل ـ عاجزة عن مسايرة الزمن . ويقتضينا ذلك مراجعة النظر فى نظمنا التربوية بحيث نعد الشباب لمواجهة هذا العالم المتغير الذى تغلغلت فيه التكنولوجيا الى حد بعيد . وهو يقترح فى سبيل تحقيق هذا الهدف أن نرسم سياسة تعليمية جديدة تقارب بين حجرة الدراسة وميدان العمل .

وقد اجرت معه مجلة « حوار » Dialogue الامريكية نقاشا فى آرائه التربوية الجديدة فى صورة سؤال وجواب رأيت ان انقله لقراء هذه

(١) اقرأ « العربى » العدد ١٩٦ مارس ١٩٧٥ صفحة ١٢٠ .

المجلة في ايجاز نظرا لما يحتويه من طرافة فـــي التفكير ·

مواضع الضعف في التربية الحديثة

س . في كتابك « صدمة المستقبل » اشرت الى كثير من نقاط الضعف في اهدافنا ونظمنا التربوية السائدة . فماذا أنت قائل للآباء الذين يفكرون في تربية ابنائهم ؟ ماذا عساهم فاعلون حتى يوفروا لابنائهم تربية صحيحة مع تدريبهم في الوقت نفسه تدريبا عمليا يعدهم للحياة التي سيعشها اليوم ؟

ج : ان اول ما انصحهم به ان يشجعوا الكبار من ابنائهم على ترك المدرسة ،فقد لا تكون المدرسة خير مكان للطفل في كل الظروف · انما يتوقف الامر على سن الطالب وعلى شخصيته ولربما كان من الافضل لكثير من طلاب المدارس الثانوية الا يلتحقوا مباشرة بالجامعة بعد انتهائهم من المرحلة الثانوية . وقد يكون من الاجدى لهم ان يسهموا في حياة العمل لفترة ما حتى يتبين لهم ماذا يريدون وماذا يستطيعون ·

واعتقد ان نظم التعليم في البلاد المتقدمة الفنية قد وضعت كلها على اساس اعداد الطالب لثقافة « المجتمع الصناعي » ومن هذا الفرض نجم كثير من الاخطاء في تخطيط التربية · ولقد شهدت في اليابان كما شهدت في امريكا مراكز للتدريب ـ يسميها المربون مدارس للتربية ! ـ تتبع مصانع كبرى ، وتفترض ان اساس النجاح في حياة المستقبل يتطلب قدرا كبيرا من الطاعة،ومن التمرس بالعمل الرتيب ، لان العمل بطبيعته ممل مكرر لماق عصر ·

كما اننا نبث في الشباب القيم المادية ، على التواضع ان الانسان حيوان اقتصادي ، واذا كان المجتمع باسره ماديا في نظرته امكنت السيطرة على جميع افراده ·

وليس ما يحدث اليوم الا ثورة عارمة على نظام التعليم . تحطم كل هذه الآراء · فالشباب يرفض الطاعة ، ويتمرد على سلطة الكبار ، ولا يرغب في العمل الرتيب ، ولا يريد ان يكون كل فرد منهم صورة من اخيه ، ويسعى الى التفرد ، ويشك في ان الاقتصاد عصب الحياة · وفي ظني ان من واجب المربين ان يشجعوا في الشباب هذه الاتجاهات ·

الجمع بين العمل والمدرسة

س : الست ترى معي أن كثيرا من المشكلات يرجع الى أن المدارس تتجه نحو التدريب المهني ولا تتجه نحو التربية بمعناها الصحيح ؟ وان الفارق كبير بين التربية والتدريب المهني ؟

ج : ان رجال الاجتماع يرون ان النظم التربوية ليست سوى ادوات لصب الافراد في قالب المجتمع، وذلك كي يتم الانسجام بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه · ولكنني لست أومن بذلك ، ولا ارى ان المجتمع ـ في هذه النظرية ـ محدد المعنى في ذهن القائلين بها ، هل هو مجتمع الماضي ، او الحاضر ، أو المستقبل واعتقد ان الفارق بين التدريب المهني والتربية واضح لا يحتاج الى شرح ، فهما يمتزجان معا في حياة كل انسان ·

س : وكيف نمزج بينهما . ونحن لا نعمل ذلك في حياتنا اليومية ؟

ج : انني اعتقد بشدة ان الطالب ينبغي ان يقضي من الوقت خارج حجرة الدراسة اكثر مما يقضي داخلها ، وان الوقت الذي ينفقه داخل بناء المدرسة يجب ان يقل كثيرا عما هو عليه اليوم · انني اعتقد ان الشباب ـ بل وصغار الاطفال ـ يفيدون كثيرا من العمل ، ومن القيام بوظائف معينة ـ سواء كان ذلك لبعض الوقت ، او في الصيف ، او لكل الوقت كجزء من حياتهم العملية ، فان ذلك يعمل على نضجهم · وانني لاعجب كيف نحبس الاطفال طوال الوقت في المدارس والجامعات دون ان نصل بينهم وبين حياة العمل ، ثم نشكو بعد ذلك من انهم يتخرجون قليلي الخبرة غير ناضجين ! وانهم يفتقرون الى الاحساس بالمسئولية ، ولقد ادرك المسئولون في الصين هذه الحقيقة وشرعوا ياخذون بها في نظامهم التربوي ·

ومن رأيي ان كثيرا من الاطفال الذين لا يسعدون في المدارس سيرا مرضيا،والذين يمقتون الدراسة قد يكونون افرادا ناجحين في المجتمع ، سعداء ،

حياتهم ، مبدعين في اعمالهم ، اذا نحن هيانا لهم نظاما آخر من التعليم ، يسمح بممارستهم العمل، وهم لما يزالوا فيما نسميه سن التعليم • وقد نعود من اجل ذلك الى نظام « الصبية » فـي المصانع او ما نعرفه احيانا « بالتلمذة الصناعية » وانا ادعو الى نظام تعليمي يسمح بان يقسم الطالب وقته بين المدرسة والعمل فيكون نجارا ، او كهربائيا ، او بناء ، او غير ذلك من الحرف ، مع ايجاد نوع من الربط بين ما يتلقاه في المدرسة وما يتعلمه في مجال العمل •

مشكلات النظام الجديد

س وهل لا ترى ان مثل هذا النظام يخلق لنا مشكلات نحن في غنى عنها ؟

ج : اجل ، وبكل تاكيد ، وبخاصة من الناحية الاقتصادية ، وذلك لان نظمنا التعليمية اقيمت على اساس استبعاد الطلاب من القوى العاملة ، ومن اجل ذلك رفعنا سن الالزام بحجة ان ذلك في مصلحة الاطفال ، ولا بد لنا ـ اذا نحن اردنا ان يجمع الطالب بين الدراسة والعمل ـ من تغيير قوانين العمل بحيث نسـمح للطـلاب بممارسته ولو باجر زهيد •

ومثل هذا الوضع ينطبق ايضا على كبار السن ، فكما اننا حبسنا الاطفال في المدارس وابعدناهم عن العمل لعدة سنوات من حياتهم ، فقد احللنا كذلك على التقاعد عن العمل كثيرا من العاملين وهم لا يزالون في سن الانتاج •

هاتان طائفتان من طوائف المجتمع حرمناهما حق العمل ، مع ما يجلبه العمل لصاحبه من احترام المجتمع له وتقديره لقيمته •

ومن رايي ان نعمل منذ الآن على ازالة الفوارق بين الاجيال كما نعمل على ازالة الفوارق العنصرية في مجال العمل والخدمات والا اندلعت في المجتمع ثورة من الاجيال المحرومة كما اندلعت من العناصر التي لا تحظى بما يحظى به غيرها من مزايا •

الهدف من التربية

س : ما هو اذن في رايك الهدف من التربية ؟

لقد ناديت في كتابك « صدمة المستقبل » بضرورة تكيف المتعلمين بالتطورات السريعة التي تحدث في المجتمع ، فهل لا زلت ترى هذا الرأي ؟

ج : قطعا ، ويبدو لي اننا في سباق بين القدرات البشرية المحدودة والتعقيد المتزايد في البيئة الطبيعية والتكنولوجية •

وامامنا لمعالجة هذا الموقف طريقان : فاما ان نحد من التغير ونتحكم في التطور التكنولوجي ، واما ان نستخدم التربية وسيلة لخلق القدرة على التكيف بالظروف المتغيرة • واعتقد ان الانسان لم يستنفد قدراته بعد ، وبوسعه ان يتهيأ بدنيا ونفسانيا لمقابلة كل تطور تكنولوجي جديد •

مستقبل الحياة الخاصة لكل شاب

س . اضرب لي مثلا حيا لما نستطيع ان نعمله في هذا السبيل •

ج : اننا نسمح للطلاب بان يتحدثوا عما قد يقع في المستقبل في مجالات السياسة والاقتصاد وادارة الاعمال ، ولكننا لا نهيىء لهم الفرصة لكي يتحدثوا عن مستقبل حياتهم الخاصة •

اذكر انني زرت ذات مرة مدرسة من خيرة المدارس وسالت الطلاب عما يتوقعون حدوثه في المستقبل فتحدثوا عن العلاقات السياسية بين روسيا والصين ، وتحدثوا عن استغلال الآلات الحاسبة في حجرات الدراسة ، وكان في حديثهم كثير من التنبؤ بما قد يقع في المستقبل خارج انفسهم وفيه صور جديدة من العلاقات والنظم ، فلما طلبت اليهم ان يحدثوني عن مسـتقبل حياتهـم الخاصة لم اجد البتة جديدا فيما ذكروا لي : فكلهم لا يعدو ان يتوقع لنفسه ان يتزوج ، وان ينجب عددا من الاطفال ، وان يعيش في بلده ، ويقتني كلبا وهرة •• مما لا يختلف عن صورة الحياة الواقعية لآبائهم ، فسالت نفسي ، اين التغير الذي سوف يحدث في النفوس وفي الحياة الخاصة، مما يتفق والتطور في الحياة الخارجية ؟ ان اسلوب الحياة الخاصة لن يختلف عن اسلوب الحياة في العصر الحاضر • ويجب ان نتيح للشباب الفرصة لكي يعبروا عن آمالهم واحلامهم وتصوراتهم مهما كانت صبيانية ، ثم نحاول ان نصل بين هذه الآمال

والاحلام وما يدور في خلد الصغار وبين عالم المستقبل المتغير • يجب ان نعاون الشباب على أن يفكر في مآل الصداقة والزواج ، والعلاقة الجنسية بوجه عام ، ونوع العمل الذي يؤدون ، والفنون التي يتذوقون • يجب أن يتحدث الشباب في هذا بصراحة ، كما يتحدثون في شئون السياسة والاقتصاد •

اتجاه التربية نحو الامور الانسانية

س : أي انك ـ بعبارة اخرى ـ ترى أن التربية يجب أن تتجه نحو هذه الامور الانسانية ، على الاقل بدرجة اكثر مما نفعل الآن •

ج : هو كذلك ولكنني لا اريد ان يترتب على ذلك صراع تربوي بين الناحية العقلية والناحية العاطفية عند المتعلم • انني اريد الشباب الذي يفكر في السياسة والتكنولوجيا والطبيعة والطب والصناعة الخ • الى جانب تفكيره في حياته الخاصة بغير تعارض ، بل مع ايجاد شيء من الربط بين الناحيتين • وعندي ان تشجيع الاطفال والصغار على العمل خارج حجرة الدراسة واختلاطهم بالمجتمع ، وقيامهم باعمال خاصة واشتراكهم في شئون السياسة ، او في خدمة المجتمع في التمريض (او محو الامية) له من الاهمية ما يزيد على ما يتلقونه في حجرة الدرس ، فليست المدرسة هي المكان الوحيد للتعلم •

ترك المدرسة ثم العودة اليها

س : اريد ان اعود الى ما ذكرت من قبل عن ترك التلاميذ للمدارس لفترة ما ثم عودتهم اليها بعد ذلك • كيف يمكن ان يتم ذلك ؟

ج : ان نظام التعليم الحالي لم يضع في اعتباره زيادة متوسط عمر الفرد ، كما لم يضع في اعتباره التغير المتلاحق في المعارف الانسانية • وعلى اساس هذين الفرضين ضغطنا فترة التعلم في فترة متصلة من عمر الفرد هي بداية حياته ، ووضعنا مناهج جامدة في مختلف المواد • ولكن عمر الانسان قد طال ، والمعرفة البشرية قد تطورت، ولذلك فانني اقترح ازاء ذلك ان يتغير النظام التربوي ، على اساس ان يكون من نصيب كل فرد قدر معين من ميزانية الدولة هي قيمة حقه في التعلم ، ثم تترك له الحرية بعد ذلك في اختيار الفترة او الفترات التي يلتحق فيها بالمدارس ، بحيث تتخلل الدراسة فترات من العمل المنتج في المصانع والحقول • فلم تعد التربية محصورة في سن معينة بل هي عملية مستمرة يمر بها الفرد من وقت مولده حتى وفاته •

الابقاء على المدارس

س . افهم منذلك انك لا تقترحالغاء المدارس ؟

ج : انني لم أشر بذلك قط ، وانما اقترحت ايجاد بدائل لهذا النظام المدرسي ، بحيث يمكن للطفل ان يختار الذهاب الى المدرسة ، او التعلم « كصبي » في حرفة معينة ، او الاستغناء عن المدرسة والتعلم مباشرة عن طريق العمل نفسه او اية طريقة اخرى •

واري ـ حتى في حالة اختيار الطالب النظام المدرسي ـ ان يكون على صلة بالكبار في المجتمع من غير افراد اسرته • اذكر انني حينما كنت يافعا كنت ارغب في ان اكون كاتبا ، وكنت آنذاك في مدينة نيويورك مدينة النشر والكتاب من روائيين الى مسرحيين ورجال صحافة ، واذاعة واعلان وغيرهم ممن يجعلون من الكلمة صناعتهم ، وقد مررت بالمراحل التعليمية المعروفة حتى بلغت الجامعة دون ان اتصل باحد من هؤلاء ، فهلا ترون معي ان في هذا دليلا على قصور نظام التعليم •

ولذلك ، اقترح نظاما جديدا في التعليم ، نظاما يتيح لبضعة آلاف من افراد المجتمع ـ اطباء وكهربائيين ومحاسبين وكتاب ، وسباكين ، وجميع الحرف الاخرى ـ ان يكونوا على صلة بالنظام التعليمي ، بحيث نهيىء لكل من له ميل الى ناحية من هذه النواحي العملية من الاطفال الاتصال بهؤلاء القوم الكبار يتبادلون معهم الحديث في ميولهم ولو ساعة واحدة كل شهر ، وان يقوموا بزيارات دورية لمكاتبهم او معاملهم او محال عملهم لمجرد الملاحظة وتبادل الحديث •

هذا النظام يعرف الاطفال بطبيعة المهنة التي

يرغبون فى احترافها ، واكتساب الخبرة ممن يمارسونها فعلا ولو بصورة عامة .

ان الطفل فى الواقع لا يتحدث الى افراد كبار من غير اسرته غير معلميه او اطبائه اذا مرض . وكبار افراد الاسرة يحدثونه حديث الآمر او المتسلط ، فمن اين للطفل اكتساب الخبرات العملية للكبار !

واجب الآباء نحو الصغار

س . وماذا تقترح على الآباء ان يفعلوا ازاء هذا المجتمع والنظام التعليمى السائد ؟

ج : اننى اعتقد اننا فى مرحلة تحول من المجتمع الصناعى الى المجتمع التكنولوجى . وان اطفال اليوم سوف يعيشون فى مجتمع تكنولوجى بحت ، حينما يكون المجتمع الصناعى قد استنفد اغراضه . ويجدر بى ان اشير الى الفارق بين المجتمعين زيادة فى الايضاح : المجتمع الصناعى يستخدم الآلات لانتاج سلع موحدة الحجم والشكل ومعاييره مادية ، والتربية فيه تهدف الى اخراج رجال متشابهين فى الفكر وطريقة العمل ، والنظام الادارى فيه نظام طبقى تصدر فيه التوجيهات من اعلى الى اسفل .

وقد بدانا نلمس نقاط الضعف فى هذا النظام الذى ادى الى نقص فى الموارد وفى الغذاء ، والطاقة ، بل وفى آفاق الفكر ، واذا لم نغير هذا النظام الى غيره فلن نستطيع ان نلبى احتياجات البشر ، ولست اريد ان اكون « يساريا » او « يمينيا » انما اريد حضارة تكنولوجية بمعنى الكلمة بحيث لا تخلو من جانبها الانسانى ـ ومعنى ذلك ان ننشىء نظاما يسمح بالتنوع بين الافراد ولا يهدف الى صبهم جميعا فى قالب واحد .

مشكلة الشهادات ، وكيف نحلها ؟

س : ومن ذا الذى يستطيع ان يحدث هذا التغير ؟ هل تحدثه جماعة الشباب ممن لا يذهبون الى المدارس وانما يكتسبون خبراتهم من العمل والرحلات وغير ذلك ؟ ام هل تحدثه المدارس المتغيرة فى نظمها ومناهجها ؟ ام هل ينبغى لنا كذلك أن ندخل فى الصناعات ودور الاعمال تغييرا يؤدى بنا الى الهدف المنشود ؟

ج : ان اهم ما ينبغى ان تتناوله استراتيجية التربية فى العصر الحاضر هو مكاتب التشغيل . اننا ما دمنا نشترط فى مختلف الوظائف مؤهلات علمية معينة فسوف يظل نظام التعليم جامدا . فالكليات تؤهل الطلاب لمتطلبات دور العمل من الشهادات والمدارس الثانوية تؤهل تلاميذها لشروط الكليات ، والمدارس الابتدائية للمستوى العلمى الذى تتطلبه المدارس الثانوية ، وهكذا فان نظام التعليم كله يتجمد بسبب الشهادات التى تتطلبها دور العمل . واذا كنا لا نميز عند اختيار الموظفين تمييزا عنصريا او عقائديا او بين الجنسين فاننا ينبغى كذلك الا نميز بين حملة المؤهلات العلمية المختلفة ، وانما تكون العبرة بقدرة طالب الوظيفة على اداء العمل المطلوب وليس من شان صاحب العمل ان يتتبع فى الطالب مصدر معرفته او خبرته سواء كان ذلك فى مدرسة ، او مصنع ، او معمل ، او مزرعة ، او حتى فى منزله . فالعبرة بالقدرة على العمل ، وليست بورقة تعطيها للطالب احدى الكليات الجامعية .

س : هل لا تشترط قط الشهادة فى اى عمل من الاعمال ؟

ج : هناك طبعا من الاعمال ما يتطلب الشهادة ، فانا لا اقبل ـ مثلا ـ ان يجرى احد الاشخاص جراحة فى مخى لكى امتحن قدرته على اداء العمل . فى مثل هذه الحالة لا بد له من شهادة خاصة من جهة مسئولة ليس من الضرورى ان تكون كلية جامعية .

اما ان تتطلب فى الصحافى ان يحمل شهادة من معهد للصحافة فذلك حمق فى التفكير لا يمكن لعقلى ان يقبله . ■■

محمود محمود

عزيز اباظة

■ لا يزال النصح للأبناء، وهدايتهم الى سواء السبيل هو شغل الآباء الشاغل ، وهمهم الذى لا يغفلون عنه ، ومن من الآباء لا يحب لابنه الهداية ، ولا يرضى له الرشاد ؟ ومن منهم لا ينتهز الفرصة السانحة ليدل فلذات الاكباد على خير ، او ينهاهم عن شر ؟

والمثل الاعلى فى ذلك هو قول الله تعالى :

« واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير . وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير . يا بنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير . »
لقمان ١٣ـ١٩

رسالة مروان بن محمد الى ابنه عبد الله

وفى تراثنا العربى من نصح الآباء للابناء ما فيه الكفاية للدلالة على عناية العرب بالتربية الحسنة، والحث على الاخلاق الحميدة ، عناية لم تفت عامة النـاس ، وهى احرى الا تفوت خاصتهم ، فنرى امثلة لها فى وصايا الخلفاء لابنائهم واولياء عهودهم،

بقلم
عزت محمد ابراهيم

ومنها رسالة مروان بن محمد الى ابنه عبد الله حين ارسله لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي ، وقد كتبها عبد الحميد الكاتب ، فهي تعد من درر رسائل العرب بلاغة ، كما تعد من خيرة الوصايا في المسلك الحسن والخلق الحميد منهجا.

وقد بداها عبد الحميد الكاتب على لسان مروان موصيا بقراءة كتاب الله ، وادامة النظر فيه ، وترداد الراى في محكم آياته ، وبتعهد النفس بمجاهدة الهوى ، فانه مغلاق الحسنات ومفتاح السيئات وخصم للعقل : « اعلم ان كل اهوائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويعترض غفلتك لانها خدع ابليس ، وحبائل مكره ومصايد مكيدته ، فاحذرها مجانبا لها ، وتوقها محترسا منها ،واستعذ بالله عز وجل منشرها وجاهدها اذا تناصرت عليك بعزم صادق لا ونية (بطء) فيه ، وحزم نافذ لامثنوية (تردد) لرايك بعد اصداره عليك ، وصدق غالب لامطمع في تكذيبه ، ومضاءة صارمة لا أناة معها ، ونية صحيحة لا خلجة شك فيها » .

ولا يفوت مروان ما يكون عليه ابنه من اختلاف الحالات ، فيجد لكل حالة ما يناسبها من حسن الموعظة وجميل الارشاد ، فيقول :

« ... واستماعك فارعه حسن التفهم ، وقوه باشهاد الفكر ، وعطائك فامهد له بيوتات الشرف وذود الحسب ، وتحرز فيه من السرف واستطالة البذخ وامتنان الصنيعة ، وحياءك فامنعه منالخجل وبلادة الحصر ، وحلمك فزعه عن التهاون ، واحضره قوة الشكيمة ، وعقوبتك فقصر بها عن الافراط ، وتعمد بها اهل الاستحقاق ، وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق ، وخذ به واجب المفترض ، واقم به اود الدين » .

وعبدالله بن مروان ليس من عامة الناس وسوقتهم ، وانما هو من خاصتهم وذوى المكانة فيهم ، المسموع الكلمة بينهم ، ومثل هؤلاء انما يؤتى من قبل بطانة السوء والمشيرين بالفاسد من الراى التماسا لنفع عاجل ، او مجاراة لهوى سريع لايلبث ان يظهر له الوخيم من العواقب ، ومروان بن محمد يزجى لابنه النصح في اختيار بطانته من اهل الخير ذوى النظر الصائب والراى السديد :

« لتكن بطانتك وجلساؤك في خلوتك ، ودخلاؤك في سرك ، اهل الفقه والورع من خاصة اهل بيتك ، وعامة قوادك ممن قد حنكته السن بتصاريف الامور ، وقلبته الامور في فنونها ، وركب اطوارها ، عارفا بحسن الامور ، ومواضع الراى ، وعين المشورة ، مامون النصيحة ،مطوى الضمير على الطاعة » .

وتمضي رسالة مروان على وتيرتها نصحا وعظا وارشادا الى ان تبلغ منتهاها بالدعاء بتاييد الله بالنصر ، وغلبته بالقوة .

وصية المنذر لابنه نعمان

واذا كانت رسالته تعد من مطولات رسائل العرب ، فهناك غيرها من مختصراتها لاتقل عنها في بلوغ القصد والغاية ، وها هو المنذر بن المنذر يوصي ابنه بكلمات قلائل يقول فيها :

« اياك وملاحاة الملوك ، وممازحة السفيه ،

واعلم ان جماع الخير كله الحياء فعليك بـه ، واعلم ان السكوت عن الأمر الذى يعنيك خير من الكلام ، فاذا اضطررت اليه فتحر الصدق والايجاز تسلم ان شاء الله تعالى » .

وفي كليلة ودمنة

وفي « كليلة ودمنة » حكـاية عن شيخ يعظ ابناءه فكان من قوله لهم :

« يابني ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة امور لن يدركها الا باربعة اشياء : اما الثلاثة التـي يطلب ، فالسعة في الرزق ، والمنزلة في الناس والزاد للآخرة ، واما الأربعة التي يحتاج اليها في درك هذه الثلاثة ، فاكتساب المال من احسن وجه يكون ، ثم استثماره ، ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الاهل والاخوان ، فيعود عليه نفعه في الآخرة ، فمن ضيع شيئا من هذه الاحوال لم يدرك ما اراد من حياته » .

ويمضي الشيخ في التفسير والتحليل وتقديم المقدمات واستخلاص النتائج مما يضيق عنـــه المقام ، فحسبنا منه ما ذكرنا .

نصح الآباء للأبناء اوجب في هذا العصر الحديث

وجاء العصر الحديث بمشكلاته وتعقيداته، وتعرض الأبناء لما يتعرض له كل جيل في عصور الانتقالات والتحولات من بلبلة ووساوس وصراع بين تقاليد رست لها قواعد وقامت لها اركان ، واشتد لها بنيان ، وبين مستحدثات وفدت بكل مافيها من خير وشر لا يقدر الابناء ـ في طراوة اعوادهم وغضاضة اهابهم ـ على التمييز بينها واستخلاص الصالح منها دون الطالح .

عند ذلك كان النصح اوجب والزم على الآباء حتى يحولوا بين ابنائهم وبين السقوط والانحدار، وكان للمفكرين من اصحاب النظر السديد دور ملموس في هذا المضمار، فكتبوا الرسائل ، ودونوا المقالات ، والفوا الكتب ، يزجون فيها النصح ، ويرشدون الى الهدى ، لعل الهُدَى أن يتبيـنَ ، ولعل المعالم ان تتضح، ولعل كلماتهم ان تصادف قبولا ، فتحمى من الزلات والسقطات .

احمد امين في كتابه « الى ولدى »

وقد خص احمد امين هذا الموضوع بكتاب ، نشر بعضه فصولا متتابعة في مجلة « الهلال » ، ثم اضاف اليها بعضا آخر ، فكان كتابه « الـى ولدى » (١) الذى كتبه وهو يستحضر في ذهنـه صورة ابنه الذى كان يتلقى العلم في انجلترا ، فهي نصائح لكل من كان على شاكلته ممن يدرس في بلد غير بلده ، ويتنقل من بيئة الفها واعتاد عليها الى اخرى بعيدة عن عاداته وتقاليده .

وهو يبدأ نصائحه بان يقص على ابنه طرفا من تجاربه ، يرجو من ورائها ان يكون قدوة له فـي مسالك الحياة الوعرة ، ودروبها الشاقة العسيرة، ثم يوجز له ما افاض من كلمات « اذا اردت ان تنتفع بتجربتي فالتزم الحق والصدق والعدل في جميع اعمالك مهما تكن النتيجة » .

حيل الأبناء في طلب المال من الآباء

وهو أب لا تخفى عليه حيل الأبناء في طلب المال لغير وجهه الذى بعثوا اليه واغتربوا من اجلـ وهو كذلك لاتحجب عاطفة الأبوة عنده رؤية ما ينبغي رؤيته ، فهو يقص عليه حال من كانوا يبتعثون في زمانه الى اوروبا ، منهم من يجد في طلب العلم فيعود بالفوز والنجاح ، ومنهم من ينغمس فـي اللهو والملذات فيؤوب بالفشل والخسران ،هؤلاء لايكـف الواحـد منهم عن طلب المال والاحتيال للحصول عليه بكافة السبل ، وهو في ذلك يوهم ويخادع « فهو من فرط جده محتاج الى شراء كثير من الكتب ، ومن فرط البرد محتاج الى كثـير من الملابس ، ومن فرط مذاكرته محتاج الـــى التردد على الطبيب ، وكل ماياتيه من هذه الحيل مصروف فـي شهواته ولذاته ، واخيرا تنكشف الامور عن ماساة ويعود الى بلده ولا علم ولا خلق » .

وهو بذلك يبصر ابنه ، وهو كذلك يبصر كثيرا

---

(١) دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٩ ـ الطبعة الثالثة .

من الآباء ان يقعوا فى شراك ابنائهم ، الا ان تكون على اعينهم غشاوة فلا يرون الا ما يحبون هم رؤيته حتى يفيقوا آخر الامر على ماتنخلع له قلوبهم • وهو يسهب بعض الشىء فيما يريده له اثناء درسه فى انجلترا ، ثم بعد عودته الى وطنه ، ثم يوجز ما اسهب من عبارات : « ان اكثر من كانوا قبلك قد فسدوا لانهم سافروا لاخذ شهادة وعادوا لاخذ درجة ، فليكن سفرك انت للمعرفة والعلم وعودتك للاصلاح والنفع • والله يوفقك » •

فى الذوق والجمال

وهو يلح على ابنه فى تنمية ذوقه ، واعلاء ملكة الجمال عنده ، فالى الذوق يرجع الكثير من تقدم الامم ورقيها ، ونماء حضارتها وازدهارها ، وحسن معاملة الناس بعضهم لبعض ، بل هو فى هذا الفصل من فصول الكتاب لايجد لابنه نصيحة اجمل واحسن من هذه النصيحة • « ليس عندى نصيحة لك اغلى من ان تكوّن ذوقك ثم تنميه وترقيه ، فان فعلت ذلك ضمنت لك سعادة الحياة والاستمتاع بها ، وضمنت لك سمو اخلاقك ونبل عواطفك وضمنت لك نجاحك على قدر كفايتك ، والله يوفقك » •

فى مضمار الدرس

وما كان لاحمد امين الاستاذ الجامعى ان يفوته ازجاء النصح لابنه فى مضمار الدرس والتحصيل، فهو يخص بذلك فصلا يختتم به كتابه يبداه بقوله: « ليكن اهم ما تصبوا اليه حب الحقيقة فلا تقدس القديم لقدمه ولا الجديد لجدته ، واطلب الحقيقة لذاتها ، صادفت القديم او الجديد ، اعجب الناس بك او كرهوك ومقتوك ، وكن ذا شعور علمى دقيق ، فان الطبيعة لا توحى بحقائقها الا لمن دق حسه وتنبه عقله ، وقد اعجبنى ما ذكرت من انهم فى الجامعة يعلمونك العلم ويعلمونك بجانبه الصبر ، فالصبر حقيقة هو مفتاح العلم ، فلا تمل منه ولا تستكبر اى صبر يوصل الى اية حقيقة »

ثم هو يضرب بنفسه المثل فيما كان يتخذ من خطط فى البحث والدرس فيما انجز من تاليف وتصانيف لعلها تنفعه فى بحوثه ودراساته ، وما اكثر ما يضرب احمد امين لابنه الامثال من نفسه ومن سواه ، فهى نصائح من واقع ملموس ، وهى لذلك اجدى وانفع من اتباع خير ، وتجنب شر •

وعزيز أباظة كتب لأبنائه كتابا يقرأونه بعد وفاته

ولعله مما يمس شغاف القلب ما كان من نصائح الشاعر عزيز اباظة لبنيه وهو على برزخ بين الحياة والموت لم تشغله عنهم سكراته ، فهو يقول لهم ناصحا (٢)

« احبائى ••

تقراون كتابى هذا ـ وانا فى اكرم جوار ، واى جوار هو أكرم من جوار الله قابل التوب ، اللطيف الحليم ، الذى عزت عظائم قدرته ، ووسعت خلقه سوابغ رحمته ، وانكم لتعلمون ان الموت هو الحق الخالد ، مضروب على الاحياء ، وان لكل مخلوق الى خالقه مآبا ، وان لكل أجل وان تطاول كتابا، واننى لأومن أن الفراق فيه لوعة عارمة ومشقة قاصمة • فاستعينوا عليه بما تطيقونه من تماسك وصبر ، ذلك لانه لا يجدى فى تحمله الا التجلد والتجمل والصبر ••

ولقد أومن ان لى عليكم حق التكريم ، فليكن تكريمكم هذا لذكراى نابعا من موردين كريمين ، اما اولهما فتجافيكم عن الدنية ، فان الدنية مخبثة موبقة للكرامة والقيم،وانها لتنقصنى كما تنقصكم، واما ثانيهما ، فسد المنافذ على الخلف يدب بينكم، فان الخلف يهوى باصحابه الى منهار مشنوء وعيش موبوء •••

واننى وان كنت لم اورثكم شيئا يذكر من عرض الدنيا ، فاننى ـ وارجو الا اكون مخدوعا ـ قد ورثتكم سيرة استطيع ان اقرر أن المآخذ عليها ليست كثيرة ، فاذا هى كثرت فانها ليست بالفاضحة

---

(٢) ابى عزيز أباظة ، تاليف عفاف عزيز أباظة ـ كتاب الهلال ـ يوليو ١٩٧٤ •

ولا الكبيرة ، وحسبي انني لم أشرك بالله احدا ، ولم أضر من خلقه احدا ، ولم أبطن لاحد حسدا ، ولا لددا ٠٠ »

وقيل ذلك ازجى لهم بعض هذه المعاني شعرا ، حين المت به ازمة من ازمات مرض القلب الذى عاني منه طويلا . فكان من ذلك قوله مخاطبا بنتيه:

يـابنياتـي اختشمـن لامر اللـــه
واصبرن ، كـل صبـر بـأجـــر

لـم اخلـف مـالا لكُـنّ ولكـــن
رب ذُخر اسمي مـن المـال ذكـرى

وبِحَسبي اني عففـت فذاق النـاس
عرفـي وأمـن النـــاس شـــرى

الشاعر الانجليزى ردیارد كبلنج كتب لابنه نصائح شهيرة

ونصح الآباء للابناء له في كل امة مكانة ومنزلة، والفكر العالمي حافل بالوانه واشكاله ، لا يخلـو منه ادب امة ، على اختلاف الامم وتباين الشعوب، وللشاعر البريطاني « رديارد كبلنج K pl.ng ـ شاعر الامبراطورية ـ قصيدة فيما نحن فيـه ، هي من غرر الشعر الانجليزي ، كتبها لابنه ناصحا وهاديا ومرشدا ، وصادفت القصيدة هوى في نفوس البريطانيين فجعلوها من مأثوراتهم التي يعلقونها على جدران بيوتهم فيكون فيها اذكاء لروح الغلبة والسؤدد في نفوس ابنائهم ٠

والقارىء العربي يعرف الشاعر « كبلنج » من عبارته التي سارت مسرى الامثال ، وثار حولها الجدل والنقاش « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » ، وما اظن كاتبا كتب عن موضوع الشرق والغرب الا وارتسمت أمام عينيه عبارة «كبلنج» فجعلها مدخلا لحديثة ، أو مدارا لكتابته ٠

وعنـوان القصيدة « اذا ـ IF » ، وهي مقطوعات يبدأ كل منها بهذه الاداة الشرطية ٠ اذا فعلت كذا وكذا ، حتى اذا بلغت النهاية جـاء جواب الشرط في آخرها ٠

ومن هذه القصيدة (٣)

بني ، اذا حاسبت كل دقيقـــة
من الوقت تمضي ، ليس ترحم، عاتية

مـلأت بها كـل الثواني ولـم تكـن
لتتركهـا تمضـي سـدى كل ثانيـة

ستحكـم فـي الدنيـا سيّ جميعهـا
وتصبـح للدنيـا العريضـة مالكـا

واعظـم من هديـن شأنـا ستفتـدى
بـهـا رجـلا فـوق الرجـــال لدلكـا

وهو معنى استمده الشاعر من روح عصره ، وغلبة وطنه وسؤدده حين كان يأمر وينهى ،وتتسع له امبراطورية لا تغيب عنها الشمس ٠

ولويس ملك فرنسا دهمه الموت فنصح ابنه

ومن قبيل حال عزيز أباظة وهو ينصح أبناءه . ما كان من نصائح لويس التاسع ملك فرنسا ، حين دهمه مرض الموت ، وأحس دنو الأجل ، فهو ينصح ابنه « فيليب » قائلا (٤) :

« ولدى العزيز ، ان اول شيء احب ان القنك اياه هو ان تجعل قلبك عامرا بحب الله ، فلولا هذا الحب ما كانت النجاة ، وجنب نفسك اتيان اى عمل كارتكاب الذنوب مما يغضب الرب ، ولئن تكابد شتى ضروب العذاب انفع لك من ان ترتكب اثما كبيرا ٠

وان دهاك الله بداهية فتقبلها صابرا واشكر الله مخلصـا واعتبر نفسك مستحقـا لها ، وانه سيحولها الى نفعك ، وان مسك بخير فاشكره متواضعا حتى لايزدهيك الغرور ، لانه لا ينبغي علينا ان نسيء الى الرب على عطاياه لنا ٠

■ ■

عزت محمد ابراهيم

---

(٣) ترجمة الشاعر : م ٠ ع ٠ الهمشرى ٠

(٤) مذكرات جوانفيل ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٨

فقدان الشهية عند الاطفال

● ابني عمره اربع سنوات ، وهونحيف وقليل الوزن وشهيته للطعام دون المستوى الطبيعي ، ولكنه ياكل الحلوى بكثرة ويفضلها على الطعام العادي فما علاج هذه الحالة ؟

ـ من الملاحظ بشكل عام ان الأطفال في المرحلة التي تبدأ من الثالثة حتى السادسة من العمر يكون نموهم بصورة ابطأ من نموهم في السنتين الاولينين بعد الولادة .. وقد يعتبر عدم الزيادة في الوزن بسرعة في سن الرابعة من الأمور الطبيعية في هذه المرحلة من العمر . اما فقدان الشهية ، فقد ينتج عن الاكثار من تناول الحلوى والمواد السكرية بين وجبات الطعام . فهي تزيد نسبة السكر في الدم ، وبالتالي لايشعر الطفل بالجوع او الرغبة في تناول الطعام مع باقي افراد الأسرة ، لأن نسبة السكر ـ الجلوكوز ـ العالية في الدم تعطيه الطاقة اللازمة لنشاطه وحيويته . ولكنها بالطبع لا تفي بحاجة الجسم للمواد الغذائية المتنوعة مثل البروتينات والمواد النشوية والدهنيات والعصروات .. وهي المواد الأساسية وخاصة البروتينات التي يحتاجها الجسم للنمو وبناء خلاياه .

وقد يكون فقدان الشهية احد اعراض بعض الأمراض المزمنة مثل الطفيليات المعوية التي لا تعطى اعراضا مفاجئة . ولكن يصحبها نقص الوزن وفقدان الشهية للطعام . ويحسن عمل فحص للبراز خشية الاصابة بالطفيليات المعوية . كذلك يلزم عدم اعطاء الطفل أى نوع من المواد السكرية او الحلوى قبل موعد تناول وجبته حتى لا تفقده شهيته للطعام . واذا كانت لديه الرغبة الشديدة في تناول هذه الحلوى ، فلا مانع من السماح له بتناولها بعد الطعام مباشرة كنوع من « التحلية » . وحتى يتم هضمها قبل موعد الوجبة التالية .

طنين الاذن

● لقد ازعجني الطنين الذي ينبعث من اذني ، مما جعلني اعيش في دوامة قلبت حياتي راسا على عقب ٠٠ اما من علاج لهذا الحالة ؟

ـ طنين الاذن يرجع الى مرض في الاذن نفسها منها وجود افرازات متجمعة فى الاذن الخارجية ، او وجود التهاب بعظيمات الاذن الوسطى نتيجة لالتهاب مزمن بها ، مع خروج قيح من آن الى آخر ٠٠ ثم ان طنين الاذن يحدث لو تأثرت الاذن الداخلية والعصب السمعى نتيجة لتصلب فى اجزائها ٠٠ او التهاب عصب السمع نتيجة لفيروس ٠

ويكثر الطنين فى الاشخاص المصابين بفقر الدم الشديد ، او بارتفاع فى ضغط الدم ، او مرضى البول السكرى المصحوب بتصلب فى الشرايين ، او فى حالات السن المتقدم المصحوب كذلك بتصلب فى الشرايين ٠

ولعل اشد طنين يحدث فى الاذن فى المرض المعروف باسم مكتشفه « مانيير Meniere »الذى يكون مصحوبا زيادة عن الطنين بدوار شديد ، وقيء ،وهبوط عام فى الجسم ، وعدم الاتزان ، وربما سقط المريض من شدة الدوار ، وعادة يحدث هذا فى سن الخمسين ، ولا يعرف السبب الحقيقى لهذا المرض ، وهناك

نظريات عدة لهذا المرض ، والطنين يزداد من مرة الى اخرى ، الى ان يحدث فى بعض الحالات ان قوة السمع تقل سنة عن سنة ، وفى بعض الحالات يفقد المصاب حاسة السمع فى الاذن ، ويتبع ذلك توقف النوبات الشديدة ٠

التهاب المرارة

● اشكو من مغص وآلام في اعلى البطن من الجهةاليمنى٠٠وعندمراجعة الطبيب ، قال لي بأن ما اشكو منه هو التهاب مزمن في المرارة ٠٠ فما هو العلاج المناسب لهذه الحالة ٠٠ وانواع الطعام التي اتناولها ؟

ـ الكبد وهو اكبر غدة فى جسم الانسان يوجد فىالجهة اليمنى من البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة فى اعلى البطن ٠

ويقوم الكبد بافراز مادة الصفراء ، وفائدتها المساعدة فى هضم المواد الدهنية ٠٠ وهى تتجمع فى كيس المرارة الموجود اسفل الكبد ٠٠ وعندما تصل الوجبة

الغذائية الدهنية الى الاثنى عشرى تفتح قناة المرارة لتصب مادة الصفراء داخل الاثنى عشرى . وهذا هو تتابع الأحداث فى الحالات العادية .. ولكن يحدث احيانا ان يصاب كيس المرارة ، اما بالالتهابات المزمنة او بحصوة. وحصوات المرارة التى تنشأ فى هذا الكيس نتيجة لاسباب عديدة..منها الالتهابات المتكررة .. او ترسبات بعض الأملاح مثل الكولسترول وتجمعها على هيئة حصوة داخل المرارة ، او فى القناة المرارية ذاتها .

وهنا تصبح وجبات الغذاء الدسمة عبارة عن مصدر للمتاعب .. فأى مجهود او انقباض لكيس المرارة يصحبه آلام ومغص فىالجهة اليمنى من البطن وخاصة عند وجود حصوات فى الكيس او فى القناة المرارية ، والألم فى هذه الحالة يشبه المغص الكلوى ، ولكنه اقل فى الشدة .. وقد يصحبه القىء احيانا .

والعلاج يشمل تجنب المواد الدهنية حتى تستريح المرارة ، وبالطبع لابد من علاج الالتهابات المزمنة مع اعطاء المريض الادوية التى تزيد انقباض القناة المرارية حتى تمر الصفراء الى الاثنى عشرى دون ان تسبب هذا الالم .. وكذلك يحسن عمل اشعة عادية وبالصبغة لبيان وجود حصوات بالمرارة وكذلك بيان كيفية اداء هذا المخزن الهام لمادة الصفراء لوظيفته .

من الذى يحدد نوع الجنين

● زوجى غاضب منى ، لانى لا الد الا البنات .. فمن الذى يحدد نوع الجنين ، ذكرا ام انثى ، انا ام زوجى ؟

ــ ان الذى يحدد نوع الجنين هو الرجل ، اذ ان خلايا الرجل الجسمية تحتوى على كروموزومات تحمل كل منها ٢٢ زوجا من الكروموزومات الذاتية ، والزوج الثالث والعشرون يحتوى على كروموزومات جنسية يرمز اليها بـ XY وهى غير متشابهة .. اما الخلايا الجسمية للانثى ، فتحتوى على ٢٢ زوجا من الكروموزومات الذاتية : والكروموزومات الجنسية يرمز اليها بـ (× ×) وهى متشابهة ، فاذا اجتمع كروموزوم الذكر (×) فى الحيوان المنوى مع كروموزوم الانثى (× ×) فى البويضة نتج عنهما انثى .. واذا اجتمع كروموزمالحيوان المنوى Y معكروموزوم × فى البويضة نتج عنهما جنين ذكر .

من هذا يتضح ان الذكر هو الذى يحدد نوع الجنين لا الانثى .. ويجب ان لاتلامالمرأة لانها تنجباناثا او ذكورا.
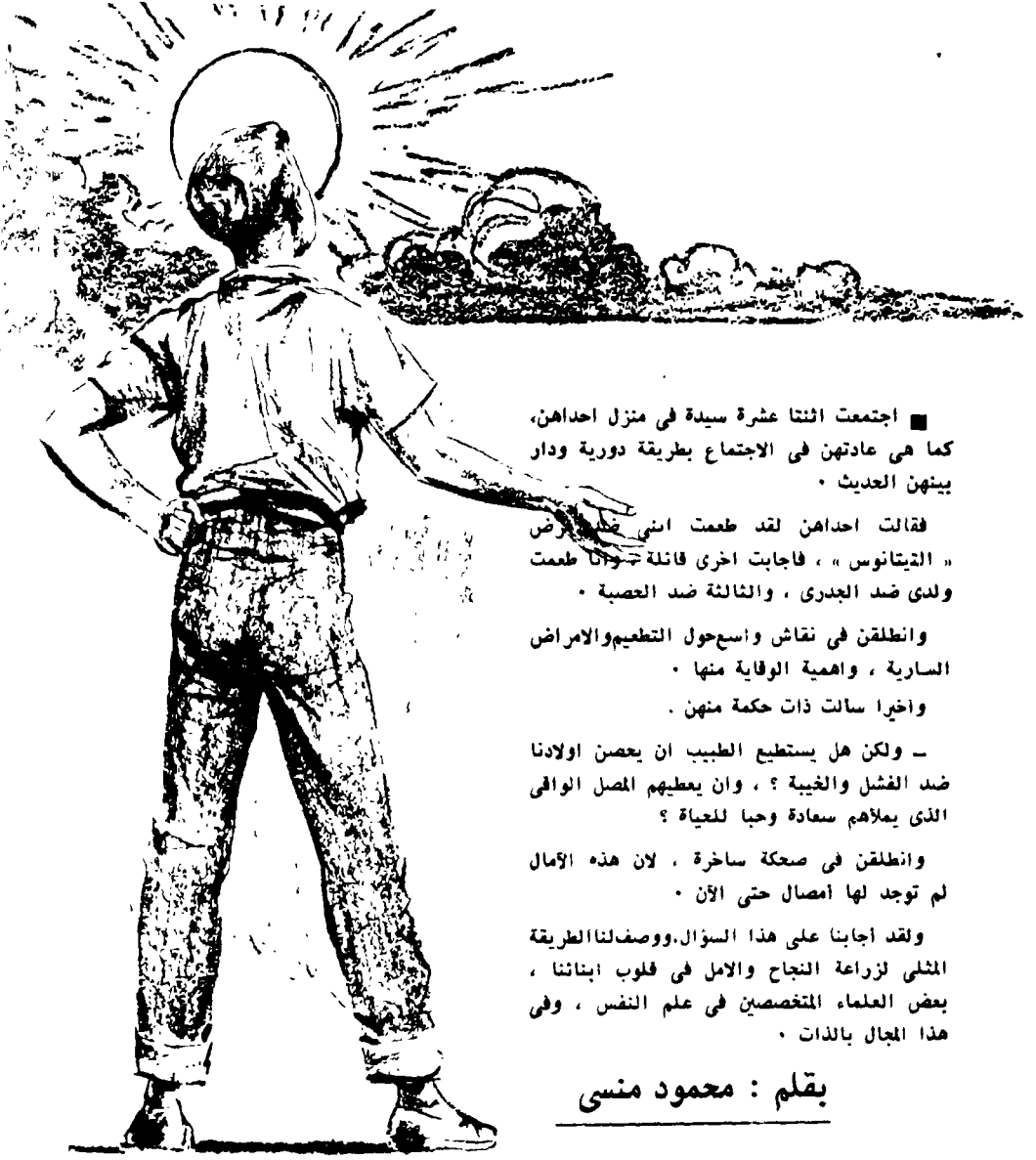
■ اجتمعت اثنتا عشرة سيدة فى منزل احداهن، كما هى عادتهن فى الاجتماع بطريقة دورية ودار بينهن الحديث .

فقالت احداهن لقد طعمت ابنى ضد مرض « التيتانوس » ، فاجابت اخرى قائلة : وانا طعمت ولدى ضد الجدرى ، والثالثة ضد الحصبة .

وانطلقن فى نقاش واسع حول التطعيم والامراض السارية ، واهمية الوقاية منها .

واخيرا سالت ذات حكمة منهن .

ـ ولكن هل يستطيع الطبيب ان يحصن اولادنا ضد الفشل والخيبة ؟ ، وان يعطيهم المصل الواقى الذى يملأهم سعادة وحبا للحياة ؟

وانطلقن فى ضحكة ساخرة ، لان هذه الآمال لم توجد لها امصال حتى الآن .

ولقد اجابنا على هذا السؤال . ووصف لنا الطريقة المثلى لزراعة النجاح والامل فى قلوب ابنائنا ، بعض العلماء المتخصصين فى علم النفس ، وفى هذا المجال بالذات .

بقلم : محمود منسى

الثقة بالنفس

أغلى ما تعطيه الأسرة لأبنائها

الباحثون في أطواء النفس

فقد استطاع احد الباحثين بعد اجراء عديد من الاحصائيات ، ان يكتشف العامل المشترك بين كثير من الناجحين في الحياة الذين تمتلىء قلوبهم حبا لها ، وان يضع يده على هذا العامل الفعال ، الذى يدفع الانسان نحو النجاح والتفوق ، رجلا كان او امراة هذا العامل الخطير ، هو الثقـــة بالنفس •

والثقة بالنفس حالة نفسية يكتسبها الانسان منذ نعومة اظفاره ، وفى محيط اسرته ، فتظل تلازمه ، وتدفعه للنجاح ، وللمستقبل الزاهر •

هذا ماجعل « ستانلى سميث » وهو استاذ مساعد فى علم النفس بجامعة « كاليفورنيا » يتساءل ويقول :

ـ اذا كانت الثقة بالنفس امرا جوهريا وحيويا فى حياة الانسان الناجح ، فكيف يتاح له الحصول عليها ؟

وما العمل اذا كانت هذه الثقة من حظ بعض الناس ، وليست من حظ البعض الآخر ؟

لقد اراد « ستانلى » ان يعطينا جوابا شافيا عن هذا التساؤل بطريقة علمية عملية تجريبية ، فوضع تحت الاختبار والملاحظة ١٧٤٨ طفلا مـع اسرهم من المستوى المتوسط لمدة ست سنين •

واستمرت هذه المجموعة تحت التجربة والملاحظة منذ طفولتهم ، حتى اشرفوا تماما على الدخول فى عالم الرجولة •

الابناء يكسبون الثقة بالنفس من أسرهم

وكانت النتيجة التى توصل اليها ، ان الابناء يحصلون على كثير من الثقة والاعتداد بالنفس اللازمين للنجاح ، من الاسرة ، ومن الوالدين بالذات اللذين يتمتعان بها •

وعلى هذا نستطيع القول بان موقف الطفل تجاه نفسه ، يتشكل من خلال المنزل ، فكما يراه والداه يكون ، او بالاحرى هو يميل الى ان يريهم نفسه ، وعلى هذا يستطيعان ان يثبتا فيه الثقة ، او ان يبذرا فيه بذور الخوف والفشل •

ولا فرق فى ذلك بين البنين والبنات ، فقد اخضع كلا النوعين لبحثه ، ووصل الى النتيجة نفسها ،

ثلاثة عوامـــل هى أساس البيت المثالى

وقد توصل «ستانلى» بعد دراسته وبحوثه وتجاربه الى تحديد ثلاثة عوامل رئيسية يقوم عليها اساس البيت المثالى ، الذى يهىء لابنائه النجاح والتفوق :

اولا : ان يكون بناء الأسرة قائما على دعامة من الحب الحقيقى ، فلا يكون مظهرا فقط ، فمجرد تقبيل الطفل او ضمه لايفى بالمراد بل لابد من شعور الطفل بانه شىء هام فى حياة الاسرة ، من تقدير لميوله ، وتحقيق المعقول من رغباته ، وانه موضع الاعجاب والفخر بما ينجز من امور فى البيت او المدرسة ، وبذلك يشعر الطفل بانه كيان له قيمته بين الآخرين •

ثانيا : ان الوالدين اللذين يحظيان باحترام زائد للذات ، وقدر كبير من الثقة ، ينظران لكل مايحدث لطفلهما نظرة جديدة لمعاونته ، وللأخذ بيده، وعلى عكس ذلك فى الاسرة التى لاتحظى بهذه الصفات ، وبذلك يضطر الطفل فى اللحظات الاخيرة الى اتخاذ قرارات فى مجالات لايعرف عنها شيئا ، لانه مقتنع بان والديه لايهتمان كثيرا بما يحدث له •

ثالثا : ان الاسرة التى تتمتع باحترام الذات او الثقة الكبيرة بها ، تسودها روح الديمقراطية لتقدير كل فرد فيها للآخرين ، وبذلـك يستطيع كل عضو فيها ان يعبر عن رأيه بحرية كاملة •

ويتمكن الطفل من عرض آرائه بحرية كافية ، ومناقشة والديه ، للوصول الى القرار المناسب• فكمايكون الآباء يكون أبناؤهم، وعلى الآباء ان يعدلوا من سلوكهم ليكونوا خيرا مما هم عليه ، ولينظروا نظرة جديدة الى أن أبناءهم يستقون منهم ، ويتشربون خير ما فيهم ، وكذلك شر مافيهم ايضا•

ونتيجة لهذا فان الطفل الذى عجز عن تكوين تقدير واحترام لنفسه داخل اسرته ، او بالاحرى لم تهىء له اسرته هذا العنصر الفعال ، فانــه هو الرجل الذى يبكى ويستنجد بغيره عندما تحل به ضائقة ، او تحل به ازمة من الازمات ، وقد تعتريه ظواهر نفسية تقتل طموحه كالتباهى والخوف والعجز عن اتخاذ القرار المناسب وغيرها •

ظاهرة الخوف والجبن

قد يخاف الطفل ويهرب من مواجهة بعض المواقف،

وهو امر طبيعي اذا كان ذلك في سن ماقبل المدرسة، ولكن الخطر في ان يستمر هذا الخوف الى سن العادية عشرة ، ويتحول الى جبن عن مواجهة كثير من الامور ، والاكثر خطرا هو ان يدفع الآباء ابناءهم للمشاركة الاجتماعية بصورة فيها كثير من القسر والمبالغة فعلينا الا ندفع الاطفال الى المشاركة الاجتماعية في المواقف المختلفة بالرغم منهم ، مالم يكونوا مهيئين لذلك .

علينا ان نترك امر ذلك للظروف المواتية . فان كانت العلاقات بين افراد الاسرة طبيعية ،وتربطها بالمجتمع الخارجي روابط وثيقة ، فان الوقت لابد آت لكي ينضج الطفل اجتماعيا ، ويذهب عنه جبنه وخوفه دونما قسر او اكراه من الوالدين على المشاركة الاجتماعية .

فبعد مدة طالت او قصرت ستجده مستعدا للمشاركة في الجماعات ودروس الموسيقى ، وحفلات التمثيل المدرسية وغيرها .

ظاهرة التكبر والتباهي

تنشا هذه الظاهرة عند الاطفال والصغار عندما يفقدون اهتمام والديهم ، فاذا فقدوا هذا الاهتمام لجاوا الى هذه الاساليب حتى يشعروا الآخرين بوجودهم .

ومن ذلك ماشكاه احد الآباء ، وكانت طبيعة عمله تقصيه عن المنزل طول اليوم تقريبا ، فقد شكا من انه يكره ظاهر التباهي والادعاء والتكبر، ولكنه مع اسفه الشديد يرى طفله كثير المباهاة على زملائه واصدقائه ، ويتكبر عليهم الى حد التطرف ، وعاقبه على ذلك مرارا ولكن دون جدوى .

ولكن هذا الاب وامثاله ممن يعيشون بمعزل عن ابنائهم ، لم ير ابناؤهم وسيلة اجدى من جذب انتباه آبائهم خيرا من هذه الوسيلة ، او هذه الطريقة العادة المزعجة . وفي المثل قيل شيء خير من لاشيء وعلاج هذه الحالة يقتضي محاولة اكتشاف الطرق البناءة لاظهار مدى الاهتمام بالطفل حتى لايلجا الى الطرق الملتوية لجذب اهتمام الآخرين .

العجز عن اتخاذ القرارات في الوقت المناسب

ان الآباء الذين يترددون في اتخاذ القرارات المناسبة ، الذين لايثبتون على راى بعينه ،نماذج سيئة لابنائهم ، فان ترددهم وعدم ثباتهم سوف ينتقل بطريقة طبيعية ، او كما عبر عنه احد المشتغلين بعلم النفس بطريق العدوى الى ابنائهم.

كذلك اذا عنف الطفل ، لاتخاذه قرارا خاطئا في امر من الامور ، فانه سوف يتردد في اتخاذ قرار ، لانه سيجد ان من السلامة عدم اتخاذ اى قرار على الاطلاق ، حتى لايتعرض لما حل به عند اتخاذ القرار الخاطيء .

والقرارات الخاطئة ليست ذريعة لرمي الطفل بالفشل في اتخاذ القرارات ، وانما هي مجرد اخطاء يتعلم منها الطفل دروسا شتى .. والوالدان العاقلان يتركان الفرصة لوالدهما لاتخاذ القرار بصرف النظر عن الخطا او الصواب فانه لاشك سوف يستفيد من اخطائه بعد ذلك . فدع طفلك يتخذ قراراته ليستفيد من الخطا والصواب على السواء.

ومن ناحية اخرى نجد العائلات التي تسودها روح المحبة والتفاهم ، يدور نقاشهم بصورة واضحة فيما يعرض لهم ، ويتفاهمون على كثير من الامور بصورة ديمقراطية ، وعندما يخطىء الوالدان في بعض قراراتهم ، ويدور النقاش طبيعيا حول هذه الاخطاء فان الطفل سوف يتعلم في هذا الجو الصحي ، انه لا أحد بمنجى عن الخطا ، وقد يشجعه هذا على اتخاذ القرارات المناسبة له .

كما يجب علينا ان ننمي فيه هذه القدرة ، بتشجيعه على اختيار كتبه التي يحبها من المكتبة ، واختيار ثيابه عند شرائها ، او ان يختار نوع طعام الغذاء في يوم من ايام الاسبوع .

واذا لم نستطع أن نهيء له جوا يستطيع أن يتخذ فيه بعض القرارات مهما كانت بسيطة ،فاننا لن نكون لديه القدرة على مواجهة الامور في المستقبل ، وبخاصة عندما تزداد الامور تعقيدا ، وعندما يصير رجلا ، ويضطر الى مواجهة الحياة وجها لوجه ، واتخاذ القرار دون احجام او تردد .

ظاهرة توقع الفشل

كثير من الآباء يظنون انهم يستطيعون تحقيق آمالهم من خلال أبنائهم،ويدفعون الابناء إلى اتخاذ قرارات ليست نابعة من ذواتهم ، وانما هي من املاء آبائهم..وبالتالي فان الأبناء لايستطيعون الاستقلال بقرارتهم بعيدا عن آبائهم خوف الفشل .. وفي هذا كثير من الفشل .

وهذا يشبه تماما من يدفع لدخول كلية معينة

بالجامعة ،فان النتيجة الحتمية هي الفشل لان الكيلة غيرملائمةلميولهواتجاهاته ولايمكنتفادىالفشل بعد ذلك الا بصعوبة بالغة ‥ وقد لايمكن ذلك ٠

ويحسن فى مثل هذه الحالات ابتعاد الآباء عن دفع ابنائهم لاتخاذ قرارات محددة ، وانما يعرضون امامهم مجموعة ليتخذوا منها ما يناسبهم ، وليشعرواعند نجاحهمانهم كانوا العوامل الاساسية فى تحقيق اهدافهم ، فيزيدهم ذلك ثقة فى انفسهم، وثباتا على طريق النجاح ٠

ظاهرة الانطــواء

بعض الاطفالتراهم لايظهرون آراءهم اورغباتهم او اتجاهاتهم ويظهر عيلهم التهيب فى ابــداء آرائهم ‥ كانما يجدون فى ما يحيط بهم جوا عدائيا يخيفهم ويرعبهم فلا يكشفون عن دخيلة انفسهــم ، لانهم يعتقــدون انهم اذا كشفوا عن افكارهم ورغباتهم فسوف يتعرضون للنقد والتجريح ، وغيرها من الوان الاستهــزاء ،فيكتفون من الغنيمة بالاياب ، ويتصورون ان كتمانهم فيه السلامة الحقيقية ، وقد يؤدى بهم هذا الكتمان الى نتائج غاية فى السوء اذا كانت هذه الافكار المستكنة فى نفوسهم خاطئة او حادوا عن فهمها الفهم المناسب ٠

وهذه الظاهرة تلازم الاسر ذات المثل والاهداف غير الواضحــة ، والتى تؤثر السلام والهدوء العائليين ، والابتعاد عــن اعتناق اية اهــداف اجتماعية او قومية او انسانية ايثارا للسلامــة ، والابتعاد عن اى صراع اجتماعى او سياسى تجنبا للاخطار التى قد يجلبها عليهم الانغماس فى مثل هذه الامور ٠

ويريدون ايضا ان يتجنب ابناؤهم مصاعب الحياة ومخاوفها ايضا ٠

ويجب ان يتنبه الآباء الى ان شعور الابنــاء بالثقة ، قد يسبب لبعض الآباء الذين لايفهمــون طبيعة هذه المرحلة حرجا او كثيرا من الضيق والمتاعب ، وقد يتصرفون معهم بطريقة قاسية ردا على استنتاجاتهم وانتقاداتهم وبذلك يجردونهم من اهم الاسلحة المطلوبة لمواجهة الحياة ٠

انعدام الشعور بقيمة الحياة وجدواها

عند انتصاف مرحلة المراهقة تزداد نظرة الابناء للحياة دقة وتمنعا ، فاذا لم يكونوا محصنين تماما بالثقة فى انفسهم فانهم سوف يرون العالم والحياة امرا مزعجا ومخيفا ٠

وقد يسائل المراهق نفسه اذا لم يستطع الآباء وجيلهم كله والاجيال السابقة اصلاح العالــم وتخليصه من شروره وصعوباته ، فماذا افعل انا تجاه هذا العالم ؟

وما قيمة تحصيلى للعلم ، وكدى فى طلبه ؟

واذا كنا لانستطيع ان ننكر ان عالمنا المعاصر، فيه كثير من التناقض والفوضى ، فلا بد ان يعرف ابناؤنا المواقف الايجابية ، كما يعرفون المواقف السلبية ٠

ويجب علينا ان نعدهم لخوض الحياة ، والعمل على اصلاح عيوبها ، من خلال تربيتهم واحاطتهم بالامن والحب ، وكثير من التقدير ٠

ومن غير المفيد اطلاقا ان يدفع الآباء ابناءهم للمشاركة فى الحياة الخارجية ونشاطاتها المختلفة كيفما اتفق ، بل لابد من تحسس ميول ابنائنا ، وتهيئة المناخ المناسب لها ، وتوجيههم الاتجاه الحقيقى المناسب لرغباتهم وبذلك يشاركون فى بناء مجتمعهم ، ولو كانت هذه المشاركة فى ابسط صورها فى بادىء الامر ، فانها سوف تنتهى الى مشاركة فعالة وقوية ٠

ومن ذلك ماحدا باحد الآباء عندما أصر ابنه على ترك المدرسة لكبر سنه ٠ فلم يرغمه والده ولم يناقشه فى اهمية المدرسة وجدواها وانما هيأ له عملا فى احد المحال التجارية خلال فترة الصيف التى اعقبت العام الدراسى ٠

وفى نهاية الصيف سعى الابن طالبا من والده العودة الى المدرسة بعد ان تبين له اهمية العلم والتربية من خلال مخالطته للناس بالمتجر الذى عمل به ، كما نمى معلوماته عن التجارة ، وتعلم كثيرا من فنون التعامل مع الآخرين ٠

وينبغى لنا ان نضيف هنا استكمالا للقول وختاما له ان نقول :

ان اعظم الشباب نجاحا ، او من يعتبرون نماذج يقتدى بها ، هم هؤلاء الشباب الذيننشاوا فى عائلات تعتمد الديمقراطية اسلوبا واضحا فى تناول الامور فى هذه الحياة ، وتعود ابناءها على تحمل مسئولياتهم منذ نعومة اظفارهم ، وترتبط بعلاقات فيها كثير من المحبة والتعاطف ٠

محمود منسى

اضطجع على.. جنبك الأيمن

بقلم الدكتور
ظافر احمد العطار

■ الاضطجاع او الاستلقاء على الفراش يكون على اربع وضعيات هي التالية :

على البطن ـ على الظهر ـ على الشق الايسر أو على الشق الايمن •

ففي الوضعية الاولى او على البطن نجد ان الشخص يشعر بعد مدة بضيق في التنفس لعدم استطاعة الصدر التمدد والتقلص عند الشهيق او الزفير الا بصعوبة . ذلك لان ثقل وكثافة كتلة الظهر العظمية تمنع ذلك الى جانب الضغط المباشر على الاحشاء •

وفي الوضعة الثانية او على الظهر تسبب هذه الوضعية التنفس من الفم لان الفم ينفتح عند الاستلقاءعلى الظهر باسترخاء الفك السفلي، والتنفس من الفم عمل غير طبيعي . ويمكن تشبيهه بمن يشرب من انفه والشرب من الانف ممكن ولكنه ضار لان الانفهو العضوالمخصص للتنفس الطبيعي، بما فيه من شعر لتنقية الهواء وتسخينه بواسطة الاوعية الدموية الموجودة في الانف حيث يمر الهواء بطريق اطول مما لو مر من الفم ، والمتنفسون من انوفهم اقل تعرضا في الشتاء للاصابة بالزكام من المتنفسين من افواههم . لذلك نجد كثيرا من الاماكن العامة تجعل بابين في الشتاء ، حتى لايتعرض روادها لاختلاف الحرارة الشديدة مباشرة •

والتنفس الفمي يسبب جفاف اللثة الذى قد يؤدى الى التهابها Gingivitis (التهاب لثة جفافي) فتصبح اللثة المرضية لماعة ذات سطح محمر مائل للانتباج والنهاية اللثوية المحيطة بالاسنان لا تنتهي بشكل متناقص بالدقة كنصل السكين في حالة اللثة الطبيعية بل على العكس تكون ذات استدارة.مما يسهل تراكم الفضلات وجعل تنظيفها بصورة غريزية اصعب •

ويثير التنفس الفمي في اللثة حالات كامنة من فرط التصنع او الضخامة اللثوية Hyperplasia

وخصوصا لدى البالغين ويمكن معرفة المتنفس من فمه من منظر انطباع حدود شفته على لثته كخيط ابيض ، وخلو الاسنان الداخلية او الخلفية من المظاهر المرضية الموجودة على الاسنان الامامية المعرضة لجفاف اللعاب المسبب للالتهاب اللثوي ، وتفقد الاسنان العلوية خاصة ضغط عضلة اللسان من الداخل مما يسبب تضييقا في القوس العلوية نتيجة لضغط الشفتين والخدين دهليزيا ، مع تراكب في الاسنان العلوية ومن ثم تراكب وبروز الثنايا العلوية فيحتاج المصاب لجهاز وتقويم اسناد وخصوصا في اليافعين ٠

والاشخاص المصابون بانحراف الوترة وضخامة القرينات والزوائد الانفية والاحتقانات المزمنة للغشاء المخاطي للانف معذورون لعدمتنفسهمالانفي حتى يتعافوا من امراضهم التي تستوجب مراجعة الاخصائي بالانف . ولكن النصح موجه للاشخاص الدين يستطيعون التنفس من انوفهم ثم لايفعلون ذلك نتيجة بوهمهم الخاطيء على الظهر ٠

والنوم على الظهر كثير الضرر فشراع الحنك واللهاة يعارضان فرجة الخيشوم ويعيقان مجرى التنفس فيكثر لذلك الغطيط والشخير المزعجان لاهل المصاب ٠

لذلكيشير احد الاطباء بوضع عصابة من القماش تحت الذقن ثم تربط في اعلى الرأس والغاية من ذلك ابقاء الفم مغلقا أثناء النوم ٠

كما يستيقظ المتنفس من فمه من رقاده ولسانه مغطى بطبقة مبيضة غير اعتيادية الى جانب رائحة فم كريهة (البخر) ٠

والنصيحة التي تقدمللدين يتنفسون منافواههم بعذر اى ريثما يتم اصلاح المجرى التنفسي الانفي لديهم هي ان يدهنوا لثة أسنانهم الامامية (اى الاسنان التي تظهر عند تباعد الشفتين) العلوية والسفلية بالفازلين ، حتى لا تتعرض اللثة الى الجفاف اثناء الرقاد الى جانب استعمال مخدتين فاسيتين مثلا يميل الرأس على الخلف فيضطر النائم على ظهره الى فتح فمه كثيرا ، وكثيرا ما تضغط المثانة الممتلئة بالبول على الحويصلات المنوية في الذكور فتكون سببا في الاحتلام كما انها تضغط على ما دونها في الاناث فتكون مزعجة كذلك ٠

والمعروف في الطب الشعبي عند العامة استعمال خيط مطاطي يربط عند البطن ويدخل ضمن الخيط « كركر خيطان » فارغا ، فيجعل الكركر في منطقة الظهر فعندما يتقلب النائم يضطر ان لاينام على ظهره لان الكركر سيزعجه كما يلجا البعض الى عقد بشكير عند الظهر فتقوم عقدة البشكير مقام الكركر ٠

بقي لدينا الوضع الثالث او على الشق الايسر والوضع الرابع او الشق الايمن ٠

اثبتت التجارب التي اجراها غالتيه ـ بواسير Galtier-Boissiere ان مرور الطعام من المعدة الىالامعاء يتم في مدة تتراوحمابين الساعتين ونصف الساعة والاربع ساعات ونصف الساعة اذا كان النائم على الجانب الايمن ، ولا يتم ذلك الا في مدة تتراوح بين الخمس والثماني ساعات اى نحو ضعف تلك المدة اذا كان النائم على الجانب الايسر ٠

فالوضع الثالث . اذن غير مقبول ونجد ايضا ان القلب الموجود في الطرف الايسر والنوم على الطرف الايسر يجعل الرئة اليمنى الكبيرة تضغط على القلب وتقلل من نشاطه (الرئة اليمنى اكبر من اليسرى كما هو معلوم في علم التشريح الى جانب كون الكبد التي هي اثقل الاحشاء تكون معلقة عند الاضطجاع على الشق الايسر) ٠

والوضع الرابع هو الوضع الصحيح لانالرئة اليسرى صغيرة اى اصغر من اليمنى فيكون القلب اخف عملا من الوضعية الثالثة كذلك الكبد تكون مستقرة لا معلقة ٠ كما هي كتعليلها في الوضع الثالث السابق ، فيكون وضع الشق او الجانب الايمن هو الصحيح والصحيح وحده لما ثبت من خطا غيره من الوضعيات وهي القدوة الحسنة التي ذكرها الصحابي الجليل البراء بن عازب قال : قال صلى الله عليه وسلم : اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن ثم قل اللهم اسلمت وجهي اليك وفوضت امرى اليك الى آخر الحديث الشريف وهو حديث من لا ينطق عن الهوى ٠

اما المثل العامي القائل ٠ نم على الجانب الذى يريحك » فلا يلتفت اليه اذا لم يكن هذا المثل مجازيا وان كان فلا مجال لبحثه هنا »٠ ■■

ظافر احمد العطار

دكتور في طب الاسنان

القوة الحقيقية للانسان !

● ميكايل شولوخوف Mikhail Sholokhov ، الكاتب الروسى الكبير الذى فاز بجائزة نوبل للآداب فى عام ١٩٦٥ ، وعرفه العالم كله منخلال كتابه نهرالدون الهادىء And Quiet Flows the Don كتب يوما يقول : « قوة الانسان ، ايا كان موقعه فى الحياة العامة ، ليست فىالنفوذ الذى يتمتعبه، وليست فىسلطانه وجاهه· ان القوة الحقيقية للمرء انما تكمن فى تصرفاته وفى معاملته للآخرين··فالرجل يبقى قويا طالما انه لا يحرم الآخرين من كل شيء ينعمون به ويتطلعون اليه اثناء مسيرتهم فىطريق الحياة·· فالرجل القوى هو الذى يعيش وسط مجتمع يشعر فيه كل فرد بقوتــه ، وينعم فيه كل انسان بحريته · ويوم يتجرد افراد هذا المجتمع من قوتهم وحريتهم ، يتحولون الى قطيع من الأغنام او العبيد ·· والتاريخ لا يكف عن تذكيرنا بثورات الضعفــاء والمغلوبين على امرهم ·· فلم نسمع عن ثورة قام بها الاحرار ، لانهم اقوياء ·· فالثورة هى سلاح الضعيف فى وجه القوى بعد ان يستنفد كل وسيلة من وسائل الدفاع !

موزار مع موسيقاه !

● كتب موزار Mozart (١٧٥٦ ــ ١٧٩١ ــ) يحدثنا عن الموسيقى ، قال : « انها الحياة ·· وكما انللحياة وجهين كذلك النغم ·· ان المقطوعة الموسيقية اشبه مــا تكــون بمرآة تستطيع ان ترى وجهك فى أى من جانبيها ·· ولكنك فى احد هذيــن الجانبــين تستطيع ان ترى شيئا آخر لا يمت لك انت بصلة · فعليه تنعكس شــخصية المؤلف والموســيقار ·· وحالته النفسية،وطبيعته الخفية وفلسفته فى الحياة ونظرته اليها من خلال تجاربه معها · امــا الجانب الآخر ففيــه تــرى شخصيتك انت ، ما الذى اوحت لك به الموسيقى التى كنت تسمعها ·· ماذا كان تأثيرها عليك وهى تنساب فى رفق الــى اذنيك ·· ماذا اعطتك ، وماذا يمكن ان تعطيها انت من روحك وحسك !

« انا شخصيا لم اكن ارى فى موسيقاى غير جانبها الثانى ·· وكنت احس وانا اعزفها ، اننى اعزف لنفسى وانه لا يوجد انسان فى الدنيا يستطيع ان يشاركنــى ما احس به من نشوة وانا استمع الــى الحانىالتى الفتها وكتبتهاوعزفتهاوحدى!»

اقوى من الموت !

● هربرت سبنسر Herbert Spencer المهندس الصحفي الفيلسوف (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) ، صاحب كتاب « مبادىء علم النفس « The Principles of Psycology » الذى صدر فى عام ١٨٥٠ ، والذى قدم فيه لنظرية النشوء والارتقاء للعالم الشهير داروين ، كان يؤمن بأن الرغبة فى الحياة وفى الاستمرار ، أقوى من كل شىء حتى الموت نفسه ٠٠ فهى الاكسير الذى يبحث عنه العلماء لاطالة عمر الانسان ٠٠ وكم من أناس عاشوا والموت يطرق بابهم لمجرد انهم يحبون الحياة ، ويكرهون الرحيل عن الدنيا ٠٠

حدث ان ألم به مرض فى شبابه ، وهو بعد لم يتجاوز الثلاثين من عمره ٠ وعاده الطبيب ، واذا به يفاجئه بعد أن كشف عليه بأن أيامه قد أصبحت معدودة ، وانه يأسف لانه عاجز عن أن يفعل شيئا له !

وخشى الجميع على سبنسر من وقع الصدمة،ولكنهم مالبثوا انوقفوا مشدوهين وهم يرونه يجلس وسط فراشه ويقهقه ضاحكا ويقول : « سوف اعيش رغم انف هذا الطبيب المخرف ، وسوف يمتد بى العمر حتى احضر جنازته هو ، وربما جنازة ابنه ! »

وعاش سبنسرحتى الثالثة والثمانين٠٠ ومات الطبيب ، ومات ابنه ، ولم ينس وعده،فقد شاهدوه وهو يسير فىالجنازتين فى مقدمة المعزين !

اسطورة هتلر لم تنته !

● ادولف هتلر دكتاتور المانيا الراحل (١٨٨٩ ـ ١٩٤٥) ما تزال حياته الخاصة اشبه ما يكون بالاساطير ، ومازالتالصحف العالمية حتى اليوم تنشر حلقات جديدة عن قصة غرامه المشهورة بايفا براون ٠

وفى كتاب عشيقات شهيرات Famous Mistresses ، يروون عن هتلر قصة غراماخرى حدثت قبل لقائه بايفا براون، فقد كان هتلر متيما بابنة شقيقته «جيلى» وكانت الفتاة التى تصغره باكثر من عشرين عاما تعيش هى وأمها وشقيقتها فى بيته ٠ ولكن جيلى كانت تحب شابا يعيش فى فينا ، وكانت تخشى ان يعلم هتلر بعلاقتها مع هذا الشاب ، اذ كانت تعرف تماما المصير الذى ينتظرها هى وصديقها اذا اكتشفالفوهرر هذهالعلاقة٠ لقد وقفت تودع هتلر وهو يستعد للسفر الى ميونخ ثم هامبورج فى عمل رسمى فى خريف عام ١٩٣١ ، وبعد اربع ساعات من هذا الفراق ، كانت الفتاة قد اصبحت جثة هامدة ٠ لقد انتحرت «جيلى»

ونقلوا الخبر الحزين الى هتلر فى ميونخ ٠٠ وبكى الفوهرر ٠٠ وكانت اول مرة يبكى فيها هتلر ٠٠ وانقضت عدة ايام لم يره فيها احد من اصدقائه أو من رجاله المقربين ٠٠ لقد اختفى الفوهرر تماما ، وعندما بدأوا يجدُّون فى البحث عنه وجدوه يعيش وحيدا فى بيت ناء وقد اطلق لحيته وظهرت على وجهه علامات الحزن الدفين الذى يحمله فى صدره ! يقول اصدقاؤه : « لقد كان هتلر ينوى الانتحار بعد ان اختفت جيلى من حياته!»

■■

بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

■ الامام على بن أبى طالب بن عبد المطلب ، هو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وزوج ابنته فاطمة . ولد بمكة فى الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، وهو أحد السابقين الاولين الى الاسلام قال أنس رضى الله عنه : « بعث النبى يوم الاثنين وكان على فى دينه يوم الثلاثاء » ، وكان عمره يوم أسلم عشر سنوات ، ولم يسجد لوثن قط . ولهذا خص بكلمة « كرم الله وجهه » .

نشأته فى رعاية النبى

كان فى كنف النبى منذ نشأته . فقد كان أبو طالب ذا عيال كثيرة فقال النبى لعمه العباس : « يا عم ان أخاك أبا طالب كثير العيال . فانطلق بنا اليه فلنخفف عنه من عياله ، آخذ واحدا وتاخذ انت آخر ، فنكفلهما عنه . فقال العباس : نعم . فانطلقا ، وأخذ الرسول عليا فضمه اليه ، وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه ، فلم يزل على مع رسول الله حتى بعثه الله فلبى على دعوة الرسول(١)

ولذا تشبع بروح الرسول الطاهرة وبادبه الجم ، وشب والعلم يتفجر من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، واشتهر بالورع والزهد والتقشف ومعرفة المسائل العقائدية حتى قال ابن أبى الحديد (٢) : كان على أبا علم الكلام فى الاسلام لان المتكلمين اقاموا مذهبهم على أساسه .

كما كان أحد الشجعان المشهورين والخطباء المعروفين، حتى قيل انه اخطب الناس بعد الرسول، وكان أعلم الناس بالسنة المحمدية ، واقضاهم فى مشاكل المسلمين، ومن المكثرين فى الفتوى والمتاصلين فى الفقه .

من أقواله الحكيمة

ومن حكمه قوله : « الفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم من عذاب الله ، ولا يرخص فى معاصى الله ، ولا يدع القرآن رغبة منه الى غيره » ومما اثر عنه قوله : « يا دنيا غرى غيرى . لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها . فعمرك قصير ، وخطرك حقير . آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق » .

ولما كثر الكلام فى خلافته عن القضاء والقدر ، وساله أحد الناس قائلا : « أخبرنا عن مسيرتنا الى الشام أكان بقضاء الله وقدره ؟ » فقال :

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٤

(٢) راجع شرح نهج البلاغة .

« والذى فلق الحبة ، وبرا النسمة ، ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا الا بقضاء الله وقدره » فقال الرجل : « فعند الله احتسب عنائي ، وما أرى لي من الاجر شيئا • » ! فقال علي : « لقد عظم الله أجركم في مسيركم وانتم سائرون ، وفي منصرفكم وانتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا اليها مضطرين • » فقال الرجل : فكيف والقضاء والقدر ساقنا ؟!» فقال علي : « ويحك لعلك ظننت قدرا لازما وقضاء حتما ، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد ، والامر والنهي ، ولم تات لائمة من الله لمذنب ، ولا محمدة لمحسن ، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن •• ان الله سبحانه أمر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، وكلف يسيرا ، ولم يعص مغلوبا ، ولم يطع مكرها ، ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا •» فقال الرجل : فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا الا بهما ؟! فقال علي : « هما الامر من الله والحكم (٣) » ثم تلا قوله تعالى « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه » • فاطمأن الرجل الى أن القضاء والقدر لا يتنافى مع اختيار العبد •

مكانته الفقهية

أما من ناحية فقه علي فقد كان فقيها متضلعا في العلم ، بصيرا بدقائق الفقه ، وكان مرجعا لاصحابه في الفتوى ، وحل المشكلات الكبيرة ، وكان ممن عرفوا بكثرة الفتوى • وكان يقول : « سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية الا وانا اعلم أنزلت بليل أم نهار ، في سهل أو جبل » ، وكانت فتاواه مرجعا لغيره ، ونـدر أن مسألة من مسائل الشريعة والفقه خاصة لم يكن له رأي فيها • ويروى صاحب الطبقات أن الذين كانوا يفتون في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة نفر من من المهاجرين : عمر وعثمان وعلي ، وثلاثة نفر من الانصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وقال الشعبي: ثلاثة كان يستفتي بعضهم من بعض فكان عمر وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت ، وكذلك كان علي بن أبي طالب وأبيّ بن كعب وابو موسى الاشعري •

ويمتاز علي بين فقهاء المسلمين في عصره بانه جعل الدين موضوعا من موضوعات التفكير والتامل، ولم يقصره على العبادة واجراء الاحكام • فقد امتاز بالفقه الذي يراد به الفكر المحض والدراسة الخالصة،وامعن فيه ليغوص في أعماقه على الحقيقة العلمية • قال عنه ابن عباس رضي الله عنهما : « اذا حدثني ثقة بفتوى عن علي لا أعدوها أبدا •» ويقول العقاد : « كان علي في مسائل القضاء والفقه يتجاوز التفسير الى التشريع ـ لعله يقصد التصرف على حكم الله بالاجتهاد ـ كلما وجب الاجتهاد بالرأي الصائب والقياس الصحيح •

وبرغم أن عليا كان مرجعا لكثير من أصحابه في الفقه وأمور الدين ، وأن عمر كان يرجع اليه في كثير من الاحكام ويأخذ برأيه ، وأنه تولى القضاء في عصر الرسول ، وأنه دخل الكوفة التي كانت عاصمة الخلافة في عهده وعرف الناس فيها فقهه وعلمه الا أن قصر المدة وما صاحبها من فتن وانقسامات جعلت أثره الفقهي فيها غير واضح عند كثيرين •

وقد صح عنه انه نهى أصحابه عن انتهاب أموال أعدائهم المقاتلين في صفين من انصار معاوية ، الا السلاح الذي قاتلوا به والدواب التي حاربوا عليها • ولما قيل له : « كيف وقد حل لنا قتالهم ، فلم يحل لنا سبيهم ومالهم ؟ ! » قال : « ليس على الموحدين سبي ، ولا يغنم من أموالهم الا ما قاتلوا به وعليه • فدعوا ما لا تعرفون ، والزموا ما تعرفون (٤) » • ولو كان غيره ممن خفي عليه الفقه أو ممن لا يغوصون فيه غوصه ، أو ممن تؤثر فيهم الاهواء ، وتسيطر على تفكيرهم الخصومات لاستباح كل سبيهم وأموالهم •

كان عمر يستشيره ويأخذ برأيه

ومما استشار فيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب ، واخذ بمشورته ورأيه فيه ،

---

(٣) راجع عقيدة الشيعة الامامية للسيد هاشم معروف ص ٦٦/٦٧
(٤) تراجم اسلامية للنواوي ص ٢١ •

انجيء لابن الخطاب فيخلافته بامراة زانية يشتبه في حملها لاجراء الحد عليها ، فاستفتى عليا ، فافتاه بوجوب الابقاء عليها حتى تضع جنينها ، وقال له : « ان كان لك سلطان عليها فلا سلطان لك على ما في بطنها » .

كما يروى انه انتزع امراة من أيدى الموكلين باقامة الحد عليها في خلافة عمر فساله عمر في ذلك فقال : « اما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يكبر ، وعن المبتلى حتى يعقل ؟ » قال : « بلى » . قال : « فهذه مبتلاة بنى فلان . فلعله اتاها وهو بها » . قال عمر : « لا ادرى » . قال على : « وانا لا ادرى » . لكن الحدود تدرا بالشبهات .

ومن فقهه ـ وقد استشاره عمر فيما يكون عليه الحكم ، وقد اشتركت امراة وآخر في قتل ابن زوجها ـ فاشار على بقتل كل من اشترك فيقتله . وقال : « ارايت يا امير المؤمنين لو ان نفرا اشتركوا في سرقة جزور فاخذ هذا عضوا وهذا عضوا . اكنت قاطعهم ؟ » قال : « نعم » . قال على : « وذلك » . فاخذ عمر برأيه . وكتب الى عامله الذى وقعت فيولايته هذه الواقعة قائلا : « اقتلهما فوالله،لو اشترك فيه أهل صنعاء كلهم لقتلتهم» .

وهذا الرأى من الامام على يدل على نظر فقهى دقيق ، واعتبار صائب للمصلحة العامة ، اذ لو منعنا القصاص بسبب الاشتراك في القتل تطبيقا لقاعدة المماثلة . واخذا للنفس بالنفس . للجا الى ذلك الجناة تهربا من عقوبة القصاص الى الدية التى هى عقوبة مالية محضة ، والعقوبة المالية مهما يكن قدرها والشان فيها فانها دون عقوبة القصاص واقل منها ردعا . وقد اتجه الى هذا الرأى الذى قاله على بن ابى طالب جمع من الصحابة والتابعين وائمة المذاهب ، منهم : مالك ، وابو حنيفة والشافعى رضى الله عنهم . وخالف في ذلك كل من ابن عباس ، والزبير بن العوام ، ومعاذ بن جبل، فراوا ان الذى يجب في هذه الحالة وامثالها الدية لا القصاص ، اعتبارا للمساواة والمعادلة ، وليس في قتل الجماعة بالواحد مساواة، وهو ما اتجه اليه احمد بن حنبل في احدى روايتين عنده .

كما حدث ان استشار عمر اصحابه بالنسبة لما فضل عنده من مال الغنائم ، فاشاروا عليه بتاخير قسمته وامساكه الى وقت الحاجة ، وكان على بين الحاضرين لكنه لم يبد رايا . فساله عمر عن رايه فقال : « ارى ان يقسم بين المسلمين » وروى في ذلك حديثا عن رسول الله ، فاخذ عمر براى على المستند الى نص واعرض عن راى الآخرين ، وقد استدل بعض الفقهاء بهذا علىعدم اعتبار الاجماع السكوتى ، لانه لو كان حجة ملزمة لما ساغ للامام على ان يسكت على راى يعارضه .

ومن صور استشارة عمر لعلى . انه لما ارسل في استدعاء امراةفاسقطت ـ منخوفها ـ جنينها . فاستشار عمر اصحابه وقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان : « انما انت مؤدب ولا شيء عليك » وقاسا ذلك على مؤدب امراته ، ولكن عليا قال : « اما الاثمفارجو ان يكونمحطوطا عنك، وأرى عليك الديـة » ، وقاس ذلك على القتـل الخطأ .

مراعاته في آرائه للمصلحة العامة

ومن دقة على في فقهه وسعة افقه في اجتهاده ، ومراعاته للصالح العام في احكامه واستنتاجاته حكمه بتضمين الصناع اذا ما هلك الشيء فيأيديهم حتى يقيم الصانع الدليل على ان الهلاك لم يكن بسبب منه او اهمال وقال : لا يصلح الناس الا ذاك » . ووجه المصلحة فيه ان الناس لهم حاجة الى الصناع ، وهم يغيبون عن الامتعة في غالب الاحوال ، والاغلب في الصناع التفريط وتـرك الحفظ . فلو لم يثبت تكليفهم مع مسيس الحاجة اليهم لافضى ذلك الى ترك الاستصناع كليـة ، وذلك شاق على الخلق، او اعمالهم من غير تضمين عند دعواهم الهلاك ، فتضيع الاموال ، وتتطرق الخيانة ، ويقل الاحتراز ، فكانت المصلحةالتضمين ترجيحا لجانب المصلحةالعامةعلى المصلحةالخاصة. مع أنهم في الصدر الاول وقبل خلافتـه كانوا لا يضمنون ، لان السلعة في يدهم امانة ، والقاعدة الشرعيةان الامينلا يضمنالا بالتقصير اوالاعتداء وعبء اثبات ذلك على مدعيه .

ومن فقه على حكمه بعدم تحريم المراة على م عقد عليها في مدة عدتها من غيره عالما بذلك وانما يفرق بينهما حتى تنقضى عدتها من الاو فقط ، ثم يحل له ان يعقد عليها بعد ذلك لبطلا

العقد الاول الذى حدث في مدة العدة من الزوج الاول • مخالفا بذلك راى عمر الذى راى تحريمها عليه تحريما مؤبدا لاستعجاله شيئا جعل الله له فيه أناة • وذلك منه عقوبة سياسية من باب الترويع والتخويف • لكن عليا يرى انه لا يوجد سبب من أسباب تابيد التحريم ، ومع هذا فقد راى ان يعزرهما القاضى بما يراه مناسبا دون تغيير للحكم الشرعى •

ومن فقهه أيضا قوله في توريث الجد مع الاخوة عند افتقاد الاب ، وقد اختلف الصحابة في هذه المسالة اختلافا كبيرا لعدم ورود نص فيها • ففى البخارى يروى عن علي وعمر ويزيد بن ثابت وابن مسعود في الجد قضايا مختلفة ، وقد ذكر البيهقى في ذلك آثارا كثيرة ، وقد جعله ابن عباس كالاب كما روى البيهقى عنه وعن غيره ، وروى عن طريق الشعبى انه كان من راى ابى بكر وعمر ان الجد اولى من الاخ ، كما روى البيهقى ان عليا شبه الجد بالبحر والنهر الكبير ، والاب بالخليج الماخوذ منه ، والحفيد واخوته كالساقيتين المتمدتين من الخليج ، والساقية الى الساقية اقرب منها الى البحر • الا ترى اذا سدت احداهما اخذت الاخرى ماءها ولم يرجع الى البحر • اى انه كان يرى عدم توريث الجد مع الاخوة لانهم اولى بالارث منه واقرب ، لان الشارع نص على ميراثهم ولم ينص على ميراث الجد ، ولانهم يعصبون الانثى منهم مع أن الجد لا يعصب الجدة ولا يعصب اخته في الارث من حفيده •

وبرغم سلامة التفكير الفقهى، وسلامة الاستدلال العقلى المنطقى عليه فان عليا عدل عنه ، واتجه الى القول بتوريث الجد مع الاخوة كما ان عليا قضى بجلد شارب الخمر ثمانين جلدة وعلل ذلك بقوله : « انه اذا شرب هذى ، واذا هذى افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة • » فاعتبر رضى الله عنه الشرب وسيلة وذريعة للقذف ، واعطاه حكمه في مقدار العقوبة • وكان ذلك في عصر عثمان اذ جمع الصحابة واستشارهم في عقوبة شارب الخمر ولم يكن لها في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حد مقدر وانما جرى الزجر فيه مجرى التعزير ، ولما انتهى الامر الى ابى بكر قدره على طريق النظر باربعين • حتى قضى علي في عهد عثمان بما قضى ووافقه عليه الصحابة (٥) •

براعته في حساب الفرائض

وكان رضى الله عنه بارعا في حساب الفرائض فقد روى ان امراة سالته عن نصيبها في تركة اخيها الذى مات عنستمائة دينار ولميعطها الورثة سوى دينار واحد • فقال لها : هل لاخيك زوجة ؟ قالت نعم ، قال : وبنتين واما ؟ قالت : نعم • قال : ومات عن كم اخ واخت ؟ فقالت : عن اثنى عشر اخا وعنى • فقال : معكحقك الذى خصك !! وهذا يدل على عقلية رياضية ممتازة ، ودقة في الحساب ، وتمكن من علم الفرائض ، لان الزوجة لها الثمن في هذه الحالة وقدره خمسة وسبعون دينارا ، وللبنتين الثلثان أربعمائة دينار ، وللام السدس وقدره مائة دينار ، ويقسم الباقى بعد ذلك وقدره خمسة وعشرون دينارا على الاخوة الاثنى عشر والاخت السائلة : للذكر مثل حظ الانثيين فيكون للاخ الذكر ديناران وللاخت دينار واحد • ولذا فان ابن مسعود قال : انه اعلم أهل المدينة بالفرائض •

كان أقضى الصحابة

وكما اشتهر على بالفقه وكثرة الفتوى فانه اشتهر بالقضاء والمهارة فيه حتى شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بانه اقضى الصحابة ، في حديث طويل يقول فيه : « اقضاكم على » •

ويروى انه ـ وقد عرضت عليهقضية في اليمن ـ فقال : « اقضى بينكم فان رضيتم فهو القضاء ، والا حجزت بعضكم عن بعض حتى تاتوا رسول الله ليقضى بينكم • فلما قضى بينهم ابوا ان يتراضوا واتوا رسول الله وعرضوا عليه خصومتهم وما حكم به على بينهم • فايد رسول الله ما حكم به وقال : « هو ما قضى بينكم •

ويروى انه قال : « بعثنى رسول الله قاضيا وانا حديث السن ، فقلت يا رسول الله : تبعثنى

---

(٥) عقوبة شرب الخمر من العقوبات التعزيرية لاالحدود •

الى قوم بينهم احداث ولا علم لى بالقضاء : « قال : « ان الله سيهدى لسانك ويثبت قلبك » . قال رضي الله عنه : « فما شككت في قضاء بين اثنين » .

وكان كرم الله وجهه يقدر للقاضي سلطانه وقدره . ويخضع لقضائه ورايه حتى لو خالف اجتهاده ، ومن ذلك انه وقعت خصومة بين امير المؤمنين على بن أبى طالب واحد اليهود على ملكية درع فاحتكما الى القاضى شريح ، فطلب القاضى من على شاهدين . فاستشهد بابنه ومولاه ، وكان على يرى جواز الاستشهاد بهما . لكن القاضى قال له : أما شهادة مولاك فقد اجزتها ، واما شهادة ابنك فلا اجيزها . اذ كان يرى عدم جواز شهادة الابن للاب ، ولم يغضب على ، وانما تقبل هذا الراى قبولا حسنا .

وقد كان الامام على يحرص كل الحرص على التمسك بسنة الرسول وابتناء أحكامه عليها. وكان اكثر الخلفاء رواية للحديث . فقد روى عنه خمسمائة وستة وثمانون حديثا. وقالت عنه السيدة عائشة : انه أعلم من بقي بالسنة. وكان كرم الله وجهه يحتاط للأخذ بما يروى له عن الرسول مما لم يسمعه منه . وكان منهجه في الاحتياط ان يستحلف الراوى على صدق روايته . ويروى عثمان ابن المغيرة الثقفى عن على بن ربيعة عن اسماء بن الحكم الفزارى انه سمع عليا يقول : « كنت اذا سمعت من رسول الله حديثا نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى به ، وكان اذا حدثنى غيره استحلفته فاذا حلف صدقته .. » .

منهجه الفقهى

هذا هو فقه على ، ومنه نتبين منهجه الفقهى بوضوح ، فهو يستوثق من الخبر الذى ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم باستحلاف صاحبه، ويتجه الى الرأى باحثا عن ما يحقق مصالح الناس ويتفق مع أحوالهم في غير العبادات ، ولا يقف عند ظواهر النصوص ، وانما يغوص فيها . اما في الامور التعبدية وما لا يدرك بالعقل فانه ينهى عن استعمال الراى فيها ، فقد روى عنه انه قال : « لو كان الدين بالراى لكان باطن الخف اولى بالمسح من أعلاه » وكان صاحب مدرسة فقهية نقلت فقهه في البقاع. وان كانت أحكامه وقضاياه لم تجمع الا أنها منثورة في كتب الفقه والتفسير.

أما سياسته فقد كان على يرى انه احق بالخلافة، لقرابته من رسول الله ، ولما بايع الناس أبا بكر وارسل لعلى يساله البيعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون قال : « انا أحق بهذا منكم ، فانتم اولى بالبيعة لى . أخذتم هذا الامر من الانصار ، واحتججتم عليه بالقرابة من رسول الله، وتاخذونه منا أهل البيت غصبا .. وانا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الانصار . نحن أولى برسول الله حيا وميتا » . ولما رغب ابو بكر في ان يقيله الناس بيعته . احتج عليه الناس . واصروا على البيعة .. ثم بايعه على بعد موت زوجه السيدة فاطمة وكان ذلك بعد وفاة ابيها بخمسة وسبعين يوما .

ولما تمت البيعة لعلى بعد مقتل عثمان ، اخذ بعض الصحابة على أمير المؤمنين على انه لم يتعقب الجناة بعد مقتله ليقتص منهم . وحدثت فتنة ترتبت عليها الحرب بين المسلمين . وقبل على التحكيم بناء على راى اغلبية انصاره ، فلما حدثت الخديعة لم يقبل على نتيجة التحكيم فخرج عليه فريق من أتباعه .. وكان ما كان من قتال وفتن .

وكان يقول كما ينقل عنه ابن تيمية : لا بد للناس من امارة بارة كانت او فاجرة (٦) . فقيل يا أمير المؤمنين هذه البارة قد عرفناها فما بال الفاجرة ؟! فقال : تقام بها الحدود وتامن به

---

(٦) قال ذلك حين اعترض عليه أنه رضي التحكيم، وقالوا قولتهم المشهورة : « لا حكم الا لله » فاجابهم . « كلمة حق يراد بها باطل، لا بد للناس من امارة بارة أو فاجرة » فهم يريدون أن يلغوا الامارة ، وهو يقول ان الله مرجع الحكم ، ولكن لا بد للناس من حاكم يفصل بينهم في الخصومة سواء كان عادلا أو ظالما (العربى) .

السبل ويجاهد بها العدو ، ويقسم بها الفيء ٠ وكان يقول : « سمعت رسول الله يقول : « انها ستكون فتن » قلت : « فما المخرج منها يا رسول الله ؟ » قال : « كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم ٠٠٠ » ٠

ويؤثر عن ابن حنبل قوله : ان الخلافة لم تزين عليا ٠ بل علي زينها ٠

ورحم الله عليا فقد كانت فيه خصال اربع ، لا تكون خصلة واحدة للانسان الا يحق له — كما يقول الشافعي — انلا يبالي باحد : انه كان زاهدا، وكان شجاعا ، وكان شريفا ، كما خص كرم الله وجهه بعلم القرآن والفقه ٠

والحق ان عليا كان بطلا بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان ٠ حتى قال عندما طعنه ابن ملجم سنة ٤٠ هـ طعنة قاتلة : « ان مت فاقتلوه ، ولا تمثلوا به (٧) ، وان لم امت فالامر الي في العفو والقصاص » ، فانظر اليه في احرج المواقف ، وهو يحرص على التطبيق الفقهي الدقيق ٠ اذ قد نهاهم عن التمثيل به ، تحقيقا للمساواة في القصاص ، وترك الامر اليه في العفو عنه اذا لم يمت وكتب الله له البقاء ٠٠٠ ولكن الله اختاره مع الشهداء والصالحين ٠ ■■

محمد سلام مدكور

(٧) تكملة الكلمة « فاني سمعت النبي يقول « اياكم والمثلة ، ولو بالكلب العقور » (العربي)

وصف علي بن ابي طالب

● قال معاوية لضرار الصدائي :« يا ضرار،صف لي عليا » قال : « اعفني يا ابن أبي سفيان » ٠ قال « لتصفنّه ،»قال : « أما اذ لا بدّ من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطلق الحكمة من نواحيه ،يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ٠

وكان والله غزير العَبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفّه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خَشُن ومن الطعام ما جَشُب (غلُظ) ، كان والله كأحدنا فينا ، يجيبنا اذا سألناه ، وينبئنا اذا استنبأناه ، ونحن — مع تقريبه ايانا ، وقربه منا — لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم اهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القويُ في باطله ،ولا ييأس الضعيف من عدله ٠

واشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ،وقد ارخى الليلُ سدوله ، وهو قائم في محرابه ، قابض على لحيته يتململ تململ السليم (الملدوغ) ويبكي بكاء الحزين ويقول : « يا دنيا ، يا دنيا ، اليكِ عنّي،ابي تعرضت ؟ ام الي تشوقت ؟ لا حان حينُك ، هيهات ، غرّي غيري ، لا حاجة لي فيك ، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعيشُك قصير ، وخطَرُك (شرفك)يسير ، آه من قلّة الزاد،ووحشة الطريق، وبعد السفر ، وعظيم المورد (القدوم على الله)

قال معاوية : « كيف حزنك عليه يا ضرار ؟ » قال : « حزن من ذُبح وليدُها في حجرها » قال معاوية : « رحم الله ابا الحسن،فلقد كان والله كذلك »٠

أصبح اليوم ضرورة ، وله خطوط مرسومة

بقلم : الدكتور ابراهيم عباس نتو

■ من الاسس المتجددة فى التربية الربط بين ما نعلموفائدته واثره فى الحياة٠واشمل مصطلح تربوى هو ما بزغ فى امريكا باسم التعليم للمهنة والمستقبل Career Education ٠ وبودى جذب انتباه القارىء الى ان المقصود هنا هو ليس بالضرورة التعليمالمهنى اليدوى،بل تهيئة الانسان لعمله ومهنته ودوره العام فى الحياة ٠

مفهوم التعليم للمهنة

ليس من الميسور تعريف مفهوم التعليم للمهنة والمستقبل تعريفا علميا فى صيغة موجزة ٠ فبعض المربين يعطى الاهمية فى التعريف للشطر الاول من المسمى باللغة الانكليزية: Career المهنة ، بينما يركز البعض الآخر على الشطر الثانى ، التعليم Education ولا يزال المفهوم والمصطلح فى دور النمو والتكوين حتى فى موطنه الاصلى : الولايات المتحدة ٠ ومع هذا فان معظم المشتغلين بالتربية متفقون على ان الهدف من هذا النوع من التعليم هو تحقيق نشاطات مستمرة مدى الحياة لمهنة منتجة ، وعلى ان تكون تلك النشاطات ذات معنى ومغزى ونفع من الناحية الاجتماعية،بالاضافة الى كونها مرضية للفرد من حيث الكسب وغيره ٠

تربية المسئولية اولا

فالتعليم للمهنة والمستقبل يعنى فى المقام الاول الاستعداد العقلى للطالب للعمل بالنسبة لنفسه ولما يقوم به من عمل ٠ ويمكن ان نطلق على هذا الجانب من التعليم للمهنة والمستقبل عبارة «تربية المسئولية» التى تشجع الفرد على ان يدرك مسئولية ما بالنسبة لنفسه وبالنسبة للآخرين ٠

الاهمية للفرد وفطرته الكامنة

ويركز التعليم للمهنة والمستقبل على الاهمية الاساسية للفرد وطبيعته الفطرية الكامنة ٠ ان كل فرد ــ ذكرا كان ام انثى ــ ينبغى ان يصل الى درجة الرضى النفسى الناتج من شعوره الداخلى بانه مدعو للقيام بعمله ، لذا كان من الاهداف الهامة لهذا النوع من التعليم تقوية وتدعيم وتوسيع القوى الكامنة لدى الفرد ٠

التعليم المهنى له افتراضات اربعة

والتعليمللمهنة والمستقبل مبنىعلى الافتراضات الاربع التالية : ــ

١ ــ وجوب اتاحة العديد من فرصاختيار العمل المتنوعة امام كل فرد حتى يتسنى للفتى والفتاة اتخاذ قرار ذى اثر حاسم ٠

٢ ــ انه ليسلاحد الحق فى ان يفرضاختيار المهنية على شخص آخر ٠

٣ ــ ان جميع النشاطات المهنية مشرفة و قيمة ٠

٤ ـ ان بعض الافراد يجد بهجة اكثر ورضى اكبر فى بعض الانشطة دون غيرها • فالاختلاف طبيعى ويعترف التعليم للمهنة والمستقبل بالفرد فى مجموع صفاته ، وان كل فرد منا هو كائن اقتصادى ، سياسى ، واجتماعى • والمتوقع ان تسمح مهارات الوظيفة المكتسبة والاستعداد الايجابي للعمل لكل فرد بالسعى نحو تحقيق سلسلة من الوظائف التى تشكل جزءا من مهنته المستمرة مدى الحياة • وهناك مهارات واستعدادات عقلية اخرى تؤثر على مهنته كمواطن وكمشارك فى البناء الاجتماعى •

التعليم المهنى لا بد فيه من مرونة وتكيف

ويحتاج التعليم للمهنة والمستقبل الى درجة عالية من المرونة والتكيف مع المصالح والقدرات والمتطلبات المتغيرة للفرد • وينبغى الا يكون معادلة مقفلة تبدأ من مستوى ما قبل رياض الاطفال حتى انتهاء الفرد من دراسته الرسمية • ويجب ان يتخلل هذا النوع من التعليم جميع جوانب المناهج المدرسية فهو يصل المقررات الدراسية بعضها ببعض بصرف النظر عما يبدو من اختلاف المواد • ومن الممكن ان يشمل التعليم للمهنة والمستقبل كافة انواع ومستويات وخبرة التعليم، سواء كانت هذه الخبرة رسمية ام غير رسمية ، وسواء كانت قبل المدرسة ام بعد التخرج ،وسواء تمت بالمنزل ، ام بالمؤسسة التعليمية،ام بالبيئة•

التعليم المهنى له مراحل ثلاث

ولاغراض التدريس ، فان التعليم للمهنة والمستقبل ينقسم الى ثلاث مراحل متتالية : فيعطى الاعتبار الاساسى فى المرحلة الابتدائية للوعى بالمهنة ، بينما يركز فى المرحلة المتوسطة على التوجيه للمهنة ، ويشرع فى المرحلة الثانوية بالاعداد للمهنة • ومن الوجهة المثالية ، يستطيع الطالب فى المرحلة الابتدائية اكتساب تبصر مبدئى ومعرفة عامة بالمجموعات المهنية المتعددة ولقد عددت وزارة المعارف الامريكية ما لا يقل عن خمس عشرة مجموعة مهنية تحوى ما يزيد عن ٢١٠٠٠ وظيفة وعمل ، وهذه المجموعات هى : الاعمال الزراعية، المصادر الطبيعية ، طرق التجارة والاعمال المكتبية ، الاتصال ووسائل الاعلام ، المستهلك والتدبير المنزلى ، البناء ، البيئة ، الفنون الجميلة ، العلوم الانسانية ، الصحة ، الترويح والضيافة ، التصنيع ، علوم البحار ، التسويق والتوزيع ، الخدمة الشخصية ، الخدمة العامة والنقل (١) •

وفى الصفوف الابتدائية تكون الاهداف الرئيسية للتعليم للمهنة والمستقبل هى : ـ

١ ـ تنمية الوعى لدى الطفل بفرص العمل المتعددة •

٢ ـ توسيع المفهوم الذاتى المهنى للطفل حتى يتمكن الطفل من رؤية نفسه فى مواقف مهنية متنوعة (ليست بالضرورة حرفية او يدوية) •

٣ ـ البدء بتنمية اخلاقيات المسئولية فى الطفل والذى يعتبر العمل احد جوانب تلك الاخلاقيات •

وبهذه الطريقة ونتيجة لهذا المفهوم ، سوف يحقق التعليم للمهنة والمستقبل الخطوة الاولى نحو المزيد من خبرة التعليم المثمرة ذات المغزى والمعنى • ■■

ابراهيم عباس نتو

---

(١) اخرجت مؤسسة الموسوعة البريطانية التربوية هذه المجموعات فى سلسلة افلام بعنوان The Kingdom of Could Be you عام ١٩٧٣م •

آباء .. عندما تقسو علينا الحياة .. ترى كيف ننعم بشمسها من بعد ظلام؟

■ انتصف الليل ، ولكنه بقى جالسا فى مقعده لا يتحرك،وقد استند برأسه الى يده وراح يفكر .. لقد اعتاد ان يخلد الى نفسه كل ليلة بعد ان ينام الاطفال ، ويذهب والده العجوز الى غرفته ليريح جسده المتعب الذى اثقلته السنون والهموم.. ولكنه لم يكن فى جلسته هذه وحده ابدا .. لقد كان يعيش دائما مع ذكرياته ومع احزانه التى بدات منذ بضعة اشهر بعد ان رحلت عنه زوجته وام اطفاله الثلاثة الذين لايزيد عمر اكبرهم عن الثانية عشرة من عمره ..

كان حزنه شديدا وهو يرى شريكة حياته تتركه وحده فى بداية رحلة العمر وترحل فى وقت اكثر ما يكون اطفالهما فى حاجة الى رعايتها وحبها .. وكان تفكيره فى المستقبل الذى يواجهه وحده ، وفى مصير اطفاله الصغار الذين اصبح لهم أما وابا فى آن واحد ، يؤرقه ويثير قلقه وخوفه من الحياة ومن الغد الذى لم يعد يراه الا خلال هذا المنظار القاتم.

قلق واضطراب

ترى ماذا عساه يفعل ؟ لقد اضطربت حياته ، وانعكس هذا الاضطراب على مسلكه وتصرفاته بين زملائه فى عمله .. وكثر تغيبه عن مكتبه ، وساءت صحته..واصبح كل همه ينحصر فى البحث عن وسيلة لتوفير الرعاية التى يحتاج اليها هؤلاء الاطفال الابرياء وهم يخطون وحدهم فى قلق على طريق الحياة .. ولم يجد غير نفسه .. فكان يعود الى بيته مهرولا بعد ان ينتهى من عمله ليقدم لهم كل مايستطيع ان يقدمه من رعاية وحب وحنان ، ولكنه مع هذا لم يستطع يوما ان يمسح تلك الدمعة الحزينة التى كان يراها فى عيون اطفاله الصغار كلما عادوا من مدرستهم فى المساء ، وما اكثر اللحظات التى وقف فيها حائرا حزينا امام طفلته الصغيرة التى لم تتجاوز السادسة وهى تسأله فى براءة الاطفال : « اين امنا يا أبى ؟ ومتى تعود لقد طالت غيبتها .. ارجوك ان تفعل شيئا لتعيدها الينا !! »

وكان يهرب منها ليبكى ، كما يبكى الاطفال . وكان الجد العجوز يرى هذا الذى يحدث امامه ويشعر بقلبه يتمزق ! هل من نهاية لهذا الالم الذى تعيش فيه اسرة ابنه بعد رحيل زوجته ؟

لا ٠٠ لن يتزوج !

ومضت اسابيع طويلة قبل ان يفيق الابن من هذه الصدمة الجديدة ويعود الى نفسه ٠٠ وراح يفكر في نصيحة والده له قبل رحيله ٠٠ ولكنه سرعان ما طرد الفكرة عن ذهنه ٠٠ لا ! لن تدخل هذا البيت امرأة اخرى بعد زوجته ٠ انه قد يجد هذه المرأة التى حدثه عنها والده ، وقد يسمع منها اعذب الكلمات وهى تحدثه عن حبها للاطفال وولعها بهم ، حتى لو لم يكونوا اطفالها ! ولكن من الذى يضمن له انها سوف تحترم وعودها بعد ان تدخل بيته وتصبح سيدة هذا البيت ؟ ماذا سيحدث اذا تحولت الى نمرة تسوم هؤلاء الاطفال كل الوان العذاب ؟ وكيف سيكون حال اطفاله من زوجته الأولى اذا اصبح لزوجته الثانية أطفال منه ؟

لا ٠٠ لن يتزوج !

ولكن ماذا يصنع اذن ٠٠ هل تستمر حياته هكذا ٠٠ عذاب فى عذاب مستمر ؟

فى عيادة الطبيب

وساق له القدر صديقا مخلصا ، تربطه بهذه الاسرة علاقة ود منذ زمن بعيد ٠٠ وقد كان زميلا له فى الدراسة ايام الصبا والشباب ٠٠

وآلمه ما رأى من امره ، واقترح عليه ان يصطحبه الى عيادة احد الاطباء النفسانيين ، فلعله يجد عنده الحل لمشكلته !

وذهب ، فقد كان القلق والياس من الحياة قد اخذا منه كل ماخذ ٠٠ وجلس الاب الحزين يروى للطبيب ماساته كما يعيشها ٠٠ واستمع الرجل الى القصة كاملة ، ثم بدأ يتحدث ٠ قال :

« لقد حدثتنى عن مشكلة يعيشها الالوف مثلك يا سيدى ٠٠ انت ترفض الزواج لانك تشفق على اطفالك من قسوة زوجة الاب ٠ فما الحل اذن ؟ هل تظن انك ستجده فى هذا القلق الذى يحتويك طوال ساعات النهار والليل ؟ »

مقبرة القلق

وقال الطبيب : « انك تقتل نفسك ، فالقلق هو المقبرة التى يحفرها الانسان بيده ، ويدفن نفسه ومن حوله فيها وهم مازالوا احياء ٠٠ انه شعور يستبد بالمرء ويولد فى الظلام نتيجة لاحساسه بالشفقة على نفسه ٠٠

تزوج يابنى !

وفى احدى الليالى ، وكان الاب يجلس فى مدونها كما تعود ان يفعل كل ليلة مع افكاره واحزانه ، وصل الى اذنيه صوت سعال شديد قادم من غرفة والده ، فقام من مقعده ، واتجه مسرعا الى مصدر الصوت ٠٠ وهناك وجد الابن أباه مستلقيا على فراشه والدم ينزف من فمه ٠٠ واراد ان يخرج مسرعا ليدعو الطبيب ، ولكنه احس بيد مرتعشة تمتد اليه وتشده فى ضعف ، واذا بكلمات اقرب الى الهمس تخرج من شفتى الجد المريض قال : « لاتحمل همى يا بنى ٠٠ ان ساعة رحيلى تقترب ٠٠ دعنى فقط احدثك قبلان اموت ٠٠ تزوج يا بنى ٠٠ ابحث لنفسك عن امرأة طيبة القلب ، تقبل انتكون اما لهؤلاء الاطفال اليتامى ٠٠ وسوف تجدها ٠٠ سوف تجد الفتاة التى تستطيع ان تعوضهم الحب الذى افتقدوه بعد رحيل امهم ! »

وسكتت الكلمات على شفتى الشيخ العجوز ، وفارق الحياة !

« ليس عندى حل لمشكلتك ياسيدى ، فالحل فى يدك انت وحدك .. حاول ان تخلص نفسك من حالة القلق التى تعيش فيها وعندها فقط سوف تستطيع ان تفكر وان تجد عشرات الحلول لمشكلتك .. شيء واحد يجب عليك ان تتعلمه .. ان رحيل زوجتك وام اطفالك ليس نهاية الدنيا ! »

يقول ايمرسون فيلسوف امريكا : « ان الرجل هو ما يفكر ! وليس فى الدنيا مخلوق يستحق العطف اكثر من هذا الذى يتصور ان آلامه واحزانه ومشاكله اصبحت محور هذا الكون ! »

ان اكثر من نصف حالات المرضى الذين يترددون على عيادات الاطباء سببها الاساسى القلق .

ويقول نورمان فنسنت بيل : « اننا نستطيع ان ننهض وننتصر ونحقق ما تصبو اليه نفوسنا ، اذا عرفنا كيف نخلص رؤوسنا وصدورنا من الآلام التى نختزنها فيها والتى تنمو وتستفحل مع الزمن .. واذا تعلمنا اننا لن ننجح ولن نصل ، الا اذا توقفنا عن الشكوى وعن محاولة استدرار عطف الآخرين .. واخيرا اذا ادركنا ان صيحات الاحتجاج التى نطلقها ضد ظروف الحياة التعسة التى صادفتنا لن تكسبنا سوى سخرية الناس ، وان الحل الوحيد لمواجهة هذه الظروف هو البدء فورا فى استخدامها لمساعدتنا على بلوغ الهدف الذى نسعى اليه .. عندئذ فقط سوف نكتشف شيئا هائلا .. سوف نكتشف تلك القوة الخفية داخل نفوسنا ، تلك التى بقيت كامنة فينا الى ان طفت على السطح عندما صادفتنا المتاعب .. ويجب ان نتذكر دائما ان سوء الحظ ليس شيئا ملازما للانسان فى حياته ايا كان نوعه ومهما اختلفت نتائجه .. وان فى مقدور المصاب وحده ان يحول كل الم يصادفه الى خير يعم عليه وعلى من يحب ! »

قصة جندى شجاع

ثم يروى بلانتون قصة الجندى الفنان الشجاع الذى اصيب فى الحرب ، لقد علم من الاطباء الذين يشرفون على علاجه بالمستشفى الذى نقل اليه ، بخطورة اصابته ، فقد حملوه اليها وهو بين الحياة والموت .. لقد بتروا ساقيه ، وفقد المسكين بصره ، واصبح حطاما للفنان الشاب الذى امتلات المعارض بلوحاته ورسوماته ..

وانقضت بضعة اسابيع قبل ان يقرر بلانتون الذهاب الى المستشفى لزيارة صديقه الفنان الشاب .. فقد كان يشفق عليه ويشفق على نفسه من هذا اللقاء !

وذهب اليه اخيرا .. وسال عنه ، فطمأنه الأطباء وقالوا له انه يمضى الآن فترة النقاهة بعد أن اندملت جراح جسمه وجراح قلبه .. ولم يكن الشاب فى غرفته .. لقد كان يجلس على مقعد متحرك فى الحديقة الواسعة المليئة بالزهور .. وتقدم منه ، ولكنه لم يشعر به ، فهو لم يعد يرى .. ووقف يتامله .. كان يضع نظارة سوداء على عينيه ، ويضع غطاء على الساقين اللتين بترتا تحت الركبة مباشرة .. وكان يبتسم ، وقد وقفت الى جواره احدى الممرضات تقرا له من كتاب اختاره بنفسه ..

حياة جديدة

واقترب منه ، ومد بلانتون يده اليه مصافحا .. وانهلته المفاجاة ، عندما احس بيد صديقه الجندى الشاب تشد على يده بقوة .. ثم ما لبث ان دعاه الى الجلوس ، فجلس بجواره على مقعد صغير ، وراح الصديقان يتحدثان فى كل شيء الا اصابته ، والا ما صار اليه ..

وفجاة توقف الجندى الفنان عن الحديث ، ثم همس فى اذن ممرضته ببضع كلمات ، غابت بعدها قليلا ، ثم عادت اليه حاملة عكازين .. وقال الجندى الشاب لصديقه : « لقد مللت الجلوس » واريد ان امشى معك قليلا وسط الزهور والرياحين .. وساعدته ممرضته فى تثبيت العكازين تحت ابطيه ، ومشيا ..

وقال بلانتون : « متى تغادر المستشفى ؟ »

ـ فى الاسبوع القادم باذن الله .

ـ وماذا تنوى ان تصنع بنفسك ، وماهى مشروعاتك للمستقبل ؟

ـ لقد كنت رساما كما تعلم .. ولكن الفن ياصديقى فى حاجة الى عينين تريان وتتذوقان ما فى الدنيا من حولهما من جمال .. وقد فقدت بصرى ولن استطيع ان انعم بهذا الجمال بعد الآن .. لهذا قررت ان اعمل مهندسا .. سوف ارسم المشروعات فى راسى .. ثم اطلب الى ممرضتى ان تنفذها على الورق ، وقد بدأنا نحن الاثنين ندرس فن الهندسة المعمارية .. نعم .. لقد اتفقنا انا وهى على الزواج .. لا تنس ، فسوف

نحتفل بزواجنا هنا ، قبل خروجي من المستشفى بيومين ·· وستكون شاهد زواجي !

انتصار !

يقول بلانتون : « وانقضت بضعة اعوام قبل ان التقي بصديقي الجندى الشاب ·· وكان يقف معتمدا على عكازيه امام اكبر واعلى عمارة في المدينة ·· وسالته عن زوجته ؟ فقال : « لابد انها هناك فوق احدى السقالات ترقب سير العمل ·· فقد اقترب موعد تسليم هذه العمارة ، مارايك! »

وكانت العمارة الواحدة بعد المائة التى نفذها الجندى الشاب الذى رفض ان يستسلم لعجزه والمه! لقد اصبح واحدا من مشاهير المهندسين في بلدته !

شجاعة أم

ثم يروى بلانتون قصة اخرى لامراة شابة فقدت زوجها وتركها مع ابنائها الخمسة بلا عائل، وبلا مورد ترتزق منه سوى مكافاة ضئيلة لاتكاد تكفى نفقات الاسرة لبضع سنوات !

قال : « لقد التقيت بها صدفة وهى تقف في احد المحال الكبرى لبيع الملابس الجاهزة للرجال ! وكان قد تقدم بها العمر وبدات آثار السنين تظهر على وجهها الجميل ! وقلت اسالها عن ابنائها وما صاروا اليه بعد انقضاء مايزيد على العشر سنوات انقطعت الصلة خلالها بيني وبينهم ! »

قالت : لقد تخرجوا كلهم في الجامعة ، وذهب ثلاثةمن ابنائي يؤدون واجب الخدمة العسكرية ·· اما الآخران ، فاحدهما طبيب والثاني محام ، وقد تزوجا ورزقا بطفلين صغيرين ·· لقد اصبحت جدة الآن ! »

قلت : « كيف صنعت كل هذا ؟ »

قالت : لم اصنع اكثر مما تصنعه اية امراة اخرى مرت بمثل ما مررت به ·· لقد افتتحت محلا صغيرا لبيع الملابس بالمكافاة التى تركها لنا زوجي ووالد ابنائي ·· هل ترى هذا المتجر الكبير الذى نقف فيه ·· انه متجرى الصغير الذى اشتريته منذ عشر سنوات ·· كنت اعمل اربع عشرة ساعة يوميا ، يعاونني ابنائي الخمسة بعد ان ينتهوا من دراستهم ·· واستطعنا ان نحول المتجر الصغير الى اكبر محل تجارى لبيع الملابس الجاهزة ! ···»

قصة ام لم تتوقف لحظة واحدة لتبكى سوء حظها ·· لم تضيع وقتها في القلق والخوف من المستقبل ولكنها وقفت في شجاعة تتحدى القدر وانتصرت !

آلام الآخرين اولا

وفي مدينة اوسير Auxere ، احدى المدن الصغيرة في شرق فرنسا، يروون قصة رجل الاعمال الفرنسى برنار فوشيه الذى خسر ثروته كلها في احدىالصفقات الفاشلة·· لقد كانيعمل فيمصنعه الكبير اكثر من خمسين موظفا وعاملا··ولكن الرجل لم يضيع وقتا طويلا في البكاء على ثروته التى ضاعت منه ، فقد شغله عنها التفكير في مستقبل الموظفين والعمال الذين خدموه بامانة واخلاص طوال هذه الاعوام ··

وراح يعمل بسرعة ·· طلب اليهم ان يتكتموا نبا افلاس المصنع ·· قال ان مهمتى الآن هى ان ابحث لكل واحد منكم عن عمل جديد ·· وانا لا استطيع ان افعل هذا وانا صاحب مصنع مفلس ·· يجب ان يستمر العمل كالمعتاد ، حتى ولو لم يكن هناك عمل !

وبدا برنار يطرق ابواب اصدقائه الذين كان يتعامل معهم ، حتى استطاع في اقل من ثلاثة اسابيع ان يجد عملا لكل موظف ولكل عامل من موظفيه وعماله ، وينقذ بذلك خمسين اسرة من الضياع ··

وعندما انتهت مهمته ، ذهب الى فراشه ونام لاول مرة ، كما لم ينم من قبل في حياته ·· وفي الصباح كانت المفاجاة ·· لقد علم وزير العمل الفرنسى بما صنع صاحب المصنع المفلس بعماله وموظفيه ، فارسل اليه برقية شكر يدعوه فيها لمقابلته ·· وفي مكتب الوزير حدثت المفاجاة الكبرى ·· فقد وجد جميع موظفيه وعماله يجلسون في انتظاره ، وما كادوا يلقونه حتى التفوا حوله ، وراحوا يهنئونه على المنصب الكبير الذى اسند اليه !

- منصب ؟! اى منصب ؟!

وتقدم الوزير الى الرجل ، ومد اليه يده مصافحا مهنئا ·· ثم قال : « نعم ! لقد صدر قرار بتعيينك مساعدا لى ! » ■■

(م ٥ ن)

ما أخضر هذه الشجرة، انها أخضر من بقية الشجر

« افعل » صيغة للتعجب ، وللتفضيل

بقلم : محمد خليفة التونسى

ان العيونَ التي في طرفهــا حَوَرٌ
قتَلْنَنا . ثم لم يُحيينَ قتلانا

يصْرَعْن ذا اللبِّ حتى لا حراك به
وهنَّ أضعفُ خلقِ الله انسانــا

وشاعرنا هنا يعبر عن ذوق عربى مناسب لما هو شائع بيننا من سمات العيون فى النساء ، وفى الرجال أيضا ، فقد كان كثير من أسلافنا ، ولم يزل كثير منا حتى اليوم ـ عن أصالة أو تقليد ـ يعجبون بالحور فى عيون النساء ، والحور أن يكون القسم الابيض من العين شديد البياض ، والقسم الاسود شديد السواد . وفى وصف بعض نساء الجنة يقول القرآن الكريم « وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون » ، والمرأة العيناء من تكون واسعة العينين مع شدة سواد الحدقة ، ونقول رجل اعين كما نقول امرأة عيناء ، ومن نوابغنا المشهورين فى التاريخ « هرثمة بن اعين » من كبار قواد المامون العباسى ، وأبو العيناء نديم المتوكل العباسى ، وكان مضرب المثل فى الذكاء وحضور البديهة والجواب المسكت .

وفى لغتنا كثير من الاوصاف على مثال : أحور وحوراء ، وأعين وعيناء ، أى على وزن « افعل » للمذكر « وفعلاء » لمؤنثه ، ومن ذلك مثلا : أخضر خضراء وأبيض بيضاء ، للدلالة على لون ، ومثل أعمى عمياء وأعور عوراء للدلالة على عاهة ، ومثل أزهر زهراء ، وأقمر قمراء ، للدلالة على حلية .

ولكن وزن « افعل » ـ اسما ـ يصادفنا أيضا فى « اسم التفضيل » فاذا أردنا أن نفضل رجلا على رجل آخر أو امرأة فى الذكاء أو المعرفة أو الشهرة مثلا نقول : هو أذكى أو أعرف أو أشهر منه أو منها ، وكذلك حين نفضل امرأة على امرأة أخرى أو على رجل فى هذه الصفات نقول : هى أذكى أو أعرف أو أشهر منها أو منه .

ولكن اذا أردنا المفاضلة بين شيئين فى الخضرة أو البياض ـ مما يكون الوصف منه على أفعل فعلاء ، على نحو ما قدمنا ـ فان شيوخنا يوجبون ان نقول : « هذه الشجرة أشد خضرة أو اخضرارا من جارتها » أى أن نأتى بالمصدر « خضرة أو اخضرار » بعد صيغة مساعدة على وزن « أفعل » أيضا للدلالة على التفضيل ، ولا يجيزون لنا أن نأتى بصيغة التفضيل مباشرة ، بان نقول : هذه الشجرة أخضر من جارتها ، وحجتهم أننا لو استعملنا « أخضر » صيغة تفضيل لالتبست بالوصف ، لأن كلا منهما على وزن « افعل » ، فلا بد عندهم من التفرقة بابقاء « أفعل » هنا للوصف ، فنقول « شيء أخضر » ونحتال بالصيغة المساعدة مع المصدر للتوصل الى التفضيل ، فنقول « شيء أشد خضرة من شيء » .

وهذا هو السائد فى مدارسنا حتى اليوم . والمدرسون والطلاب فى عناء ، ومن ورائهم المفتشون كذلك ، فاذا الطالب انطلق مع سليقته فى الدارجة ، فقال مثلا : « هذه الورقة أصفر من تلك » بادر اليه مدرسه بالتخطئة ، وصححها له قائلا « أشد صفرة » ، واذا كتبها الطالب فى كراسته أسرع المدرس بقلمه الاحمر فضرب عليها وصححها له ، واذا جاء المفتش فوجدها فى كراسة الطالب متروكة على اصلها ، اتهم المدرس بالجهل ، أو بالاهمال على الاقل ، وفى هذا بلاء مبين ، والمسالة أهون من كل ذلك اولا ، ثم لاينبغى للعاقل أن

تهجم بالتخطئة الا عن بينة حاسمة .

انه حيث يكون التباس فلا بد من ازالته ما استطعنا الى ذلك سبيلا. ولكن اذا لم يكن هناك التباس فلا حاجة الى اختلاقه أو توهمه . وكلمات أى لغة لاتقف متفرقات للدلالة على معناها ، بل تتسق فى نظام خاص متماسك يساعد على فهم المقصود من كل كلمة منها فى صلتها بالكلمات الاخرى على وفق النظام الخاص بلغتها. فاذا قلنا « هذه الشجرة أخضر من بقية الشجر » أو « هى أخضر شجرة فى البستان » أو هذا الجدار أخضر من غيره . لم يقع التباس فى المقصود . ولكن اذا قلنا : « هذا الجدار أخضر . وجاره أخضر » كان هذا خطأ اذا أردنا التفضيل ، لان المعنى الظاهر ان الجدارين اخضران ، ولكن اذا أردنا المفاضلة نزيد كلمة « منه » فنقول : « هذا الجدار أخضر وذاك أخضر منه » فنفهم أنه أشد خضرة . وكذلك لا التباس اذا قلنا : « هذا الجدار أخضر وهذه الشجرة أخضر » لأن « أخضر » الاخيرة تدل على التفضيل لا على مجرد الخضرة . لأن الشجرة مؤنثة واخضر مذكر، ولو كنا نريد مجرد وصفها بالخضرة لقلنا « وهذه الشجرة خضراء » .

من أجل ذلك أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى دورته (٣٢) التى عقدت فى بغداد سنة ١٩٦٥ ان يصاغ أفعل التفضيل مباشرة من كل وصف على وزن « أفعل فعلاء » . ولا حاجة لكلمة مساعدة ، فكلا التعبيرين جائز . وقد تبع المجمع فى هذا مذهب النحاة الكوفيين، وعليه قول شاعرنا المتنبى ـ وهو كوفى يتبرم بشيبه المبكر :

ابعد . بعدت بياضا لا بَياض لـــه
لأنتَ «أَسودُ» في عينى من الظُّلَم

اى أشد سوادا

بين التفضيل والتعجب

ومعروف أن صيغتى التعجب القياسيتين كاسم التفضيل . فنحن نقول تعجبا : « ما أسمع الرجل ، وأسمع به . » كما نقول : « هو أسمع من أخيه » . واذا كان هناك التباس أحيانا بين الوصف واسم التفضيل كما فى بعض العبارات السابقة فلا التباس بين الوصف وصيغة التعجب . ولهذا نقول : ما أخضر هذه الشجرة ، ولا حاجة للكلمة المساعدة بان نقول : « ماأشد خضرتها » وكلا الامرين جائز فى الفصيحة قياسا . ■■

محمد خليفة التونسى

استطلاع الكويت

أجهزة الأمن في الكويت وكيف تعمل ؟

صاحب النفير ينفخ فيه معلنا بداية يوم جديد فى كلية الشرطة بالكويت٠

- قريبا تشارك المرأة الكويتية الرجل فى المحافظة على الامن والنظام ٠
- ٤٢ مخفرا للشرطة فى محافظات الكويت الثلاث٠

استطلاع بقلم : منير نصيف

تصوير : عبد الناصر شقرة

مع الزيادة الهائلة المطردة فى عدد السيارات التى تجرى فى شوارع الكويت وطرقاتها ، بدأ الاخذ بأحدث الاساليب المتبعة لتنظيم المرور فى العالم ٠٠

سيارات شرطة المرور تجوب جميع انحاء الكويت طوال ساعات الليل والنهار . وقد جهزت بأحدث وسائل الاتصال اللاسلكي **(الى اليسار)** • وشرطة الخيالة ، هي احياء للفروسية عند العرب . وكلنا يعرف ما كان يتحلى به فرسان العرب من شجاعة وصبر على الشدائد • **(الى اسفل)** •

■ الامن أهم دعامة من دعائم الاستقرار في المجتمع .. كل مجتمع .. وعندما يحس الانسان بأنه آمن على حياته ، آمن على ماله وما يملك ، يزداد شعوره بقيمته وقيمة المجتمع الذى ينتمى اليه .

واذا اضطرب الامن ، دبت الفوضى وشاع الفساد ، وتعطل دولاب العمل وتوقفت عجلة الانتاج ، وعادت الدنيا وعدنا معها الى شريعة الغاب ! القوى يأكل الضعيف .. والكبير يبتلع الصغير تماما كما يحدث للسمك فى البحار ..

والامن هو القانون .. والقانون هو الذى يحدد العلاقة بين اجهزة الحكم وبين المواطنين .. وهو الذى يحمى المظلوم من بطش الظالم ، ويعاقب المذنب عندما يخطىء ، وهو السلاح المسلط الى صدور العابثين المستهترين بالقيم والاخلاق وهو أخيرا المظلة الواقية التى تحمى كل مواطن صالح يريد ان يعيش وان يعمل فى هدوء وسلام من اجل بناء بلده ونهضتها .

الشرطة بين الامس واليوم

هذه مقدمة لموضوع استطلاعنا اليوم .. وهو اجهزة الامن فى الكويت الحديثة وكيف تعمل ..

والشرطة بمختلف فروعها ، كما نعلم هى المسئولة عن المحافظة على الامن والنظام فى جميع البلدان المتحضرة الآخذة باسباب النمو والتقدم .. ففى الماضى القريب ، لم تكن هناك شرطة ، ولم يكن هناك جهاز للامن .. وانما كانت هناك حياة بدائية بسيطة .. مجموعات من البشر يعيشون تحت سماء لا يعكر صفوها شىء .. سماء ترسل اليهم الماء فيختزنونه ليوم الجفاف.. او ترسل اليهم الزوابع ، فيسرعون الى بيوتهم يحتمون وراء جدرانها.فى مياه البحر كان رزقهم يبحثون عنه ويغوصون الى اعماقه ، ويسافرون بمراكبهم فوق مياهه حاملين تجارتهم الى بلاد الدنيا القريبة والبعيدة .. وهم لا يكفون عن شكر الله عز وجل على كل ما يعطيهم وما يصنعه بهم .. كبيرهم فى السن هو زعيمهم ورئيسهم ، ولا اعتراض على حكمه . وصغيرهم هو محط رعايتهم وعطفهم .. مجتمع واحد ، بل اسرة واحدة مترابطة .. اذا جاد الله على واحد من افرادها فالفرحة فرحتهم جميعا .. واذا اصاب احدهم مكروه ، كانت المصيبة ، مصيبتهم كلهم ..

هكذا كانت صورة الحياة فى الكويت القديمة، كويت الامس القريب ، قبل ان تزحف الحضارة الى ارضها وتزحف معها عشرات الالوف من الناس من الاخوان العرب ومن الاصدقاء الذين جاءوا جميعا ليشاركوا فى بناء الكويت الحديثة الناهضة .. كويت ما بعد النفط ..

اول مركز للشرطة

ونتوقف هنا قليلا لنتساءل .. متى بدات اجهزة الامن تعمل فى الكويت ؟ متى عرف أهل الكويت رجل الشرطة لاول مرة ؟

لقد كان الشيخ صباح الدعيج قبل عام ١٩٣٨ يدور وحده بنفسه فى الاسواق والطرقات بوصفه المسئول عن صيانة الامن فى البلاد .

أما أول مركز نظامى للشرطة فقد أنشىء عام ١٩٣٨ ولم يكن يزيد عدد الرجال العاملين فيه على ثمانين رجلا ، وكان منظر رجل الشرطة بملابسه الرسمية ، يثير دهشة المواطنين الذين لم يألفوا

فى محافظات الكويت الثلاث ، العاصمة ، وحو[illegible]
اليمين) محمر شرطة المدينة ، وهو من اقدم مر[illegible]
الامة ، اما الصورة (الى اليسار) ، فهى [illegible]

منظر البدلة العسكرية ، ومن هنا كان ترددهم واضحا فى قبول الدعوة للانضمام الى هذه القوة الصغيرة الجديدة ، فقد خالوها تجنيدا اجباريا ، يقيد حركتهم ويحد من حريتهم ، وهم الذين اعتادوا حرية التنقل والعمل فى مياه البحر الممتدة امامهم ، وفى رمال الصحراء الهادئة العاصفة من حولهم ..

وكان رئيس هذه الدائرة الناشئة فى ذلك الوقت هو سمو « الشيخ صباح السالم الصباح » امير دولة الكويت اليوم .

كما انشئت دائرة للامن العام فى نهاية ١٩٣٨، واسندت رئاستها الى الشيخ على الخليفة رحمه الله ، وكانت مهمتها حراسة الحدود وتنظيم معاملات السفر للمواطنين والاجانب .

وقد كان مقر اول مركز للشرطة العامة فى المبنى الذى يضم الان وزارة الدفاع ، ثم انتقل بعد ذلك الى البناء المجاور لادارة التحقيقات بساحة الصفاة . وقد اختير هذا الموقع بالذات ، لانه كان يتوسط مدينة الكويت ، كما كان مركزا لسوقها التجارى . وكان يضم بعد هذا مجلس الشورى وادارة المحاكم .

ولم يكن للشرطة العامة وقت تأسيسها سوى فرع واحد هو دائرة شرطة الميناء التى تولى رئاستها الشيخ محمد الجابر الصباح . ولكنه لم يشغل هذا المنصب طويلا ، اذ ما لبث ان خلفه فيه الشيخ « مبارك الحمد الصباح » الذى ظل يشرف على شرطة الميناء حتى عام ١٩٥٩ ، ثم اسندت اليه بعد ذلك وزارة الاوقاف .

توحيد جهود رجال الامن

وفى نفس هذا العام ١٩٥٩ وفى شهر فبراير على وجه التحديد ، اقتضت المصلحة العامة توحيد جهود مديريتى الشرطة والامن العام ودمجهما فى ادارة واحدة ، من اجل توطيد دعائم الامن والنظام فى البلاد ، كما انشئت ادارات جديدة تناسب التطور والتقدم الذى سارت وما زالت تسير فيه الكويت الحديثة . واهم هذه الادارات ، شرطة النجدة ، والمرور، والادلة الجنائية والطب الشرعى، كما تم تطوير خفر السواحل وامداده باحدث القوارب البحارية واجهزة الاتصال الحديثة لحماية مياه الكويت الاقليمية تم ادارة الاثر او الكلاب البوليسية .

واخيرا انشاء العديد من مخافر الشرطة المنتشرة فى محافظات الكويت الثلاث، وهى محافظة العاصمة وتضم ٢١ مخفرا ومحافظة حولى وتضم عشرة مخافر ، ومحافظة الاحمدى وتضم احد عشر مخفرا.

قوة قوامها ٧ الاف رجل

أين الامس من اليوم .. لقد اصبح للكويت قوة من رجال الشرطة العاملين فى مختلف اداراتها وفروعها ، تضم - وفقا لاخر احصاء اجرى فى عام (١٩٧٥) - ٦٧٩١ رجلا من مختلف الرتب موزعين كالاتى : ٤٩٦ ضابطا و ١٥٧٥ صف ضابط و ٤١٥٥ فردا و ٥٦٥ سائقا عسكريا . اى بنسبة ضابط واحد لكل ١٩١٦ نسمة ، وشرطى لكل ١٢٥ نسمة (طبقا لاحصاء اجرى فى عام ١٩٧٤) .

وتتبع هذه الادارات جميعا وزارة الداخلية التى يرأسها الشيخ سعد العبد الله الصباح الى جانب مهام منصبه كوزير للدفاع .

كيف تعمل هذه الادارات ؟ وكيف تمارس اجهزة الامن سلطاتها فى الكويت ؟

ادارة الادلة الجنائية

وفى لقاء مع الرائد سعود البرجس ، نائب

احمدى ٤٢ مخفرا للشرطة وفى الصورة (الى ... مبنى ... المجاور لمقر المحافظة امام ... صاحبه عبدالله السالم .

ادارة حفر السواحل ، انشئت عام ١٩٥٦ وهي تضم اليوم ١٢ ضابطا من مختلف الرتب و ١٥٠ رجلا من رجال الشرطة ·· والصورة لرئيس الدوريات الملازم اول صالح احمد الشايجي يوجه تعليماته الى اثنين من مساعديه الضباط بشأن توزيع الرجال على الدوريات ·

ضباط الجوازات والجنسية في مطار الكويت الدولي ، يقومون بفحص جوازات سفر القادمين ·· انهم العين الفاحصة المدققة في كل قادم الى البلاد ·· ان في ايديهم وحدهم مفتاح باب الدخول الى الكويت ·

شرطة الخيالة فى طابور الصباح فى ساحة مدرسة الشرطة . ان مهمة رجال الشرطة الراكبين تتركز فى المحافظة على الامن والنظام فى الاماكن التى لا يمكن للسيارة ان تصل اليها . وفى المناطق المزدحمة بالجمهور كالاسواق ومباريات كرة القدم . كما يشاركون فى الحفلات والمناسبات بعرض ألعاب الفروسية التى دربوا عليها ·

العاملون من رجال الشرطة فى قسم تحقيق الشخصية التابع لادارة الأدلة الجنائية والطب الشرعى · والصورة تحت هذا الكلام (**الى اليمين**) لشرطى يأخذ بصمات أحد المواطنين توطئة لاستخراج شهادة حسن السير والسلوك بعد التأكد من خلو ملفه من السوابق اما **الصورة الثانية** فهى لمجموعة من العاملين من رجال الشرطة فى جهاز الكشف عن السوابق ·· ويستقبل هذا الجهاز بصمات جميع المواطنين العاملين فى الكويت ·

مدير ادارة الادلة الجنائية والطب الشرعي ، قال لنا :

« ان عملنا يعتمد اعتمادا اساسيا على البصمات ·· فهي ما زالت حتى اليوم ، اقوى دليل مادي يدين المتهم · فلم يسفر البحث العلمي على المستوى الدولي ، حتى يومنا هذا عن وسيلة اخرى يمكن انتضاهي البصمات للتاكد من شخصية مرتكب الجريمة ·

فليس في الدنيا كلها بصمتان متطابقتان ·· فقد تتشابه البصمات وتتقارب ، ولكنها لا تتطابق ابدا ·· ان البصمة هي الشيء الوحيد الذي يميز اي انسان عن الآخر ·· وكثيرا ما تقع حوادث لاشخاص يلقون فيها حتفهم ، وتتشوه فيها جثثهم، وتكون البصمات وحدها هي سبيلنا الى اكتشاف شخصيته ، وهكذا يصبح من السهل علينا بعد هذا حل جميع المشاكل المتعلقة بالحادث وبالقتيل نفسه، وورثته ، ومالهم وما عليهم من حقوق · »

تحقيق الشخصية

ثم يحدثنا الرائد سعود عن هذه الادارة الاساسية في صيانة الامن في البلاد فيقول : « لقد بدأ العمل في هذه الادارة في عام ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ، وهي في واقع الامر تنقسم الى قسمين او شعبتين ·· قسم المعمل الجنائي ، وقسم تحقيق الشخصية ، ومهمة هذا القسم الاخير هو الكشف عن ادلة الجريمة

العقيد محمد سعد العصر ، مدير ادارة المرور بالوكالة قال لنا « لقد ادخلنا احدث اساليب المرور المتبعة في العالم ، ونحن لا ندخر جهدا في سبيل تطوير النظم المستحدثة ، والاستعانة بأحدث اجهزة الاتصال اللاسلكي بين وحدات شرطة المرور التي تجوب الشوارع والطرقات ، ومع ذلك فلا تزال حوادث السيارات في تزايد مخيف ·· انها اليوم شغلنا الشاغل ونرجو ان يأتي اليوم الذي نتمكن فيه من القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة التي يروح ضحيتها الكثير من ابناء الشعب· انها في الواقع ظاهرة يشكو منها العالم كله · والسبب الاساسي في هذه الحوادث هو التهور والسرعة الجنونية » ·

عن طريق البصمات ، وما قد يتركه الجاني من آثار تقود اليه في مسرح الجريمة · فليس هناك كما تعلمون جريمة كامله Perfect Crime ، اي جريمة يرتكبها مجرم دون ان يترك اثرا ، مهما كانت حيطته وبراعته ·

« وقسم تحقيق الشخصية في هذه الادارة يحتفظ بسجلات لجميع السوابق التي تسجل على الذين صدرت ضدهم احكام بالسجن من قبل القضاء · وبعض هؤلاء الجناة تقتضي مصلحة الامن في البلاد ابعادهم بعد ان يثبت لدى المسئولين الخطورة الناجمة على استمرار بقائهم في الكويت ·

« ونحن نعمل في هذا القسم على تزويد اي شخص يريد الالتحاق باي عمل ، مهما كان نوعه ، على شهادة حسن سير وسلوك لتقديمها الى الجهة التي يريد العمل بها · وهذه الشهادة بطبيعة

جهاز الميكروسكوب المقارن لفحص الطلقات ، وتحديد نوع السلاح الذي اطلق منه الرصاص، في ادارة الادلة الجنائية والطب الشرعي ·

● اجهزة الامن فى الكويت

بدأ الاهتمام بقسم الاثر .. فى عام ١٩٥٥ وكان تابعا لمدرسة الشرطة . عندما جاء فريق من مدربى الكلاب البوليسية من القاهرة للتعاون مع رجال الشرطة فى الكويت على تدريب هذه الكلاب الاصيلة . وقد اصبح القسم تابعا لكلية الشرطة بعد تأسيسها . وتلعب الكلاب البوليسية اليوم دورا كبيرا فى اكتشاف مرتكبى العديد من الجرائم. والصورة لمدربى الكلاب مع كلابهم فى طابور الصباح

العال لا يمكن استخراجها قبل اخذ بصمات الراغب فى العمل ، سواء كان كويتيا او غير كويتى . فهذا هو السبيل الوحيد للتاكد من انه لم يسبق له ان ارتكب اية جريمة فى الكويت او قبل مجيئه اليها . وبفضل هذه الشهادة وحدها يتمكن المواطن من مزاولة مهنته ، سواء كان ذلك فى القطاع الحكومى او القطاع الخاص . »

« ان جميع العاملين فى هذه الادارة من الفنيين الذين تلقوا دراسة خاصة فى علم البصمات . وكلهم من رجال الامن الذين دربوا على اخذ البصمات ومقارنتها ومضاهاتها . »

المعمل الجنائى

أما عن القسم الاول لادارة الادلة الجنائية والطب الشرعى ، فيقول الرائد سعود البرجس : « ان المعمل الجنائى بدوره يلعب دورا هاما فى الكشف عن الجريمة ، وهو ينقسم الى عدة شعب ، وهى الطب الشرعى والكشف عن عمليات التزييف والتزوير ، ثم هناك بعد ذلك شعبة المخدرات والسموم والاسلحة ، والبحوث المنوعة ، والتصوير الجنائى .

« أما الطب الشرعى ، فمهمته الاساسية هى تشريح الجثث فى حوادث الوفاة المشتبه فيها . وهذا الاشتباه تحدده النيابة العامة حتى لو قال اهل المتوفى بان الوفاة طبيعية .

«أما فى شعبة التزوير والتزييف ، فيعمل فريق من الاخصائيين فى اكتشاف العملات والامضاءات المزورة وكل شئ قابل للتزوير .

مكافحة المخدرات

«بقيت شعب مكافحة المخدرات والسموم والتصوير الجنائى ، والسلاح ، والاولى مهمتها اكتشاف طبيعة المواد التى يضبطها رجال الشرطة ويشتبهون فى أمرها ، والتاكد من انها مواد مخدرة . اما الثانية فهى لاكتشاف نوع السم الذى دخل معدة المنتحر او الميت اذا كانت هناك جناية . والشعبة الثالثة ، وهى شعبة التصوير الجنائى فعملها ينحصر فى التقاط الصور الفوتوغرافية فى مسرح الجريمة لكل شيء فوق الجثة وتحتها ومن حولها .. وكذلك فى جرائم السرقات . بقيت الشعبة الاخيرة ، وهى شعبة السلاح ومهمتها التاكد من نوع السلاح الذى استخدم فى الجريمة ومن اى طراز هو ، وكذلك نوع الرصاصات التى انطلقت منه ، ومعرفة كل ما يتصل بالسلاح الذى استخدمه الجانى فى ارتكاب جريمته .

واختتم الرائد سعود البرجس حديثه بقوله : « اننا نبحث عن الادلة ونستوثق منها ، ونقدم نتائج بحوثنا للقضاء .. اننا دائما هناك فى كل وقت .. دائما على استعداد لتقديم كل ما لدينا من خبرة وامكانيات لخدمة القانون والعدالة والامن فى بلادنا » .

وفى مكتب العقيد عيسى شعيب مدير الادارة العامة للاسلكى والنجدة ورئيس المكتب المركزى للانتربول Interpol ، او البوليس الدولى ومكتب الشرطة العربية ، دار الحديث عن طبيعة عمل رجل الشرطة وواجباته فى المجتمع الكويتى الحديث .. وقد كان حديثا خاطفا ، فقد كان

وكيل وزارة الداخلية المساعد لشئون الشرطة والامن العام ، العميد يوسف بدر الخرافي . قال لنا « قريبا ستشارك المراة الكويتية الرجل في المحافظة على الامن والنظام »

مدير الادارة العامة للاسلكي والنجدة العقيد عيسى شعيب قال « ليست الشرطة وحدها في خدمة الشعب ، بل ان الشعب ايضا في خدمة الشرطة ، فنحن منه ، وهو منا » .

اثنان من رجال الشرطة يحرران مخالفة لقائد سيارة اتجه بها عكس اتجاه السير .. ان حوادث السيارات هي اكثر ما تشكو منه اجهزة الامن في الكويت .

طابور الصباح ، وهو يتكرر ثلاث مرات يوميا . اي مرة كل ثماني ساعات ، وبعد هذا الطابور يتم توزيع رجال الشرطة لتادية مهام عملهم في مختلف المخافر في محافظات الكويت الثلاث.
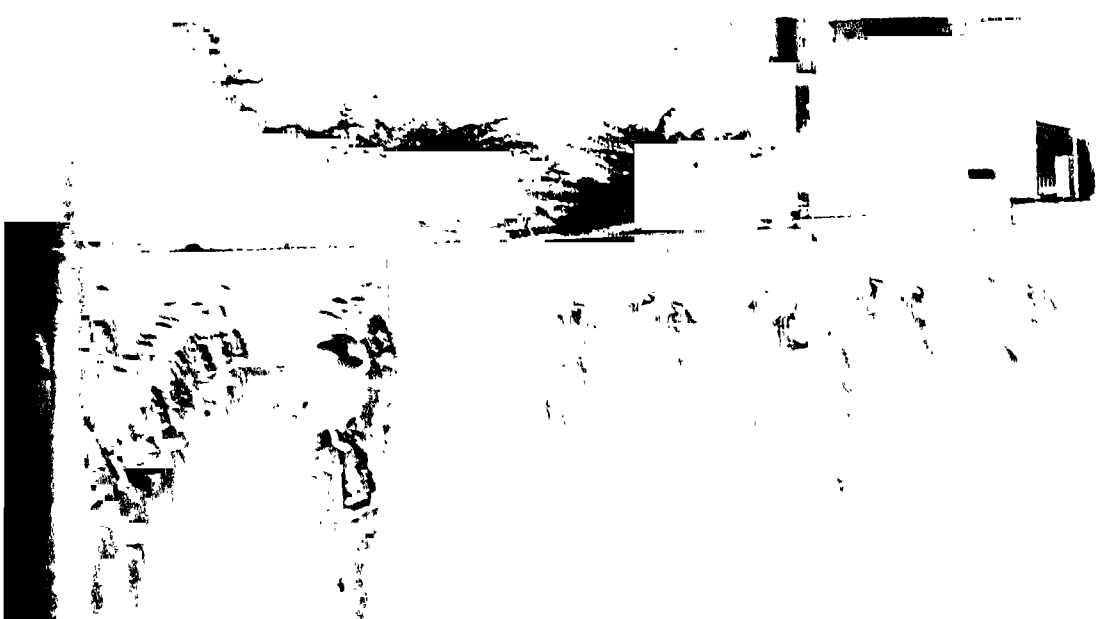
اعضاء هيئة التدريس بكلية الشرطة فى الكويت
يتوسطهم مدير الكلية العقيد عبد الحميد حجى
والى يمينه المقدم عبد الله حمزة الرومى كبير
المعلمين والى يساره النقيب ياسر الرماوى والنقيب
احمد مدير مدرسة صف الضباط والنقيب ناصر
قائد سرايا الطلبة ·· لقد بدأت الدراسة فى كلية
الشرطة عام ١٩٦٩ ، وتخرج فيها حتى الآن ما يزيد
على المائتين وخمسين ضابطا ·· وفى **الصورة**
السفلى طلبة اول دفعة فى الكلية عند افتتاحها
فى طابور الصباح ، وقد تخرجوا جميعا ، واخذوا
اماكنهم فى مختلف اجهزة الامن فى الكويت ·

الرجل الذى يشغل هذا المنصب الهام يستعد للسفر الى بوينس ايرس عاصمة الارجنتين لحضور الدورة الرابعة والاربعين للجمعية العمومية لمنظمة الانتربول ، وقد كانت دورة لها اهميتها الخاصة ، اذ سافر اليها العقيد شعيب مكلفا من قبل زملائه الموفدين من الدول العربية بتقديم طلب يقضى بان تدخل اللغة العربية كلغة عمل فى منظمة الشرطة الدولية ٠

شعار جديد

ولم يحدثنا العقيد شعيب عن شرطة النجدة ، او عن الدور الحيوى الذى تقوم به هذه القوة التى بدأت عملها مع بداية عهد الاستقلال فى الكويت ، وجهزت باحدث السيارات التى يزيد عددها على السبعين مع معدات الارسال والاستقبال فى شبكة واسعة تربط بين كل وحداتها ٠٠ لم يحدثنا فى شيء من هذا كله ٠٠ وانما كان حديثه يحمل طابعا اخر ٠٠ قال : « ان الشعار الذى نرفعه دائما هو ان « الشرطة فى خدمة الشعب » ، ولكننى اود ان أضيف اليه شعارا اخر ، وهو ان « الشعب ايضا فى خدمة الشرطة » فنحن منه وهو منا ٠٠ ليس الشعب وحده فى حاجة الينا ، وانما نحن ايضا فى حاجة الى الشعب والى تعاونه معنا ٠٠ ؟ فمن افراد الشعب نستقى المعلومات التى تساعدنا على تادية واجبنا ٠٠ ومنهم نتلقى البلاغات ٠٠ ومنهم يتقدم الشهود ٠٠ وبدون هذه العناصر الثلاثة ، من مبلغ وشاهد ومدل بمعلومات ، لا نستطيع ، ولا يستطيع اى جهاز أمن فى العالم ان يؤدى واجبه ٠

وكيل وزارة الداخلية المساعد لشئون الجوازات والجنسية يقول « ان الكويت ترحب بكل كفاءة وكل صاحب مهنة او حرفة يستطيع بجهده ان يساهم مع اخوانه الكويتيين فى بناء البلاد ونهضتها » ٠

واجبات رجل الشرطة

ثم يضيف : « اننى اريد ان اقول ان واجبنا الاول هو واجب انسانى ٠٠ نحن دائما فى خدمة المواطنين ٠٠ فى خدمة الشعب ، حتى لو لم تكن هذه الخدمات تتصل بعمل شرطة النجدة واختصاصاتها ٠٠ فالنجدة ، اغاثة ونحن لا نتوانى فى نجدة كل مستغيث ٠

« اقول ان الشرطة هى العين الساهرة التى لا تنام ، ولكننى لا اقول ان رجل الشرطة هو الوحيد الذى يمضى الليل ساهرا بينما ينام غيره من المواطنين ٠٠ فلكل مواطن صالح عمله ، ولكل عمل ظروفه التى قد تضطر صاحبه الى السهر او الى العمل فى ظروف صعبة او ظروف غير ملائمة ٠٠ والعمل ٠٠ كل عمل يتطلب عرقا وجهدا وتضحية ٠٠

« ان الذى أريد أن أؤكده ان رجل الشرطة لا يريد ان يتباهى او ان يمن على الشعب لانه يخدم هذا الشعب ٠ فهذا واجبه ٠

« ان هناك ناحية انسانية فى هذه المهنة ، ربما غابت عن بال الكثيرين الذين تصوروا انها ليست فى طبيعة رجال الشرطة ٠٠ ان الصورة الماثلة عند الكثيرين اننا نحن رجال الشرطة ، بالنسبة للمجتمع الذى نعيش فيه ، هم الهراوة الغليظة التى تهزها السلطة فى وجه هذا المجتمع ٠ وغاب عن بال هؤلاء الذين تصوروا هذا التصور الخاطيء، اننا قطاع من هذا المجتمع٠

الرائد سعود الرحس نائب مدير ادارة الادلة الجنائية والطب الشرعى قال « ان عملنا يعتمد اعتمادا اساسيا على البصمات ، فهى ما زالت حتى اليوم اقوى دليل مادى يدين المتهم » ٠

● اجهزة الامن فى الكويت

مجموعة من المواطنين الكويتيين فى ادارة الجوازات والجنسية حيث زمروا ينتظرون دورهم لاستخراج جوازات سفرهم .. لقد كانوا جميعا يستعدون لاداء العمرة ثم فريضة الحج .

الذى ينتمون وننتمى نحن بدورنا اليه . فنحن منه ، وهو منا كما ذكرت لكم . اننا حلقة الاتصال المشروعة بين افراد واسر هذا المجتمع .

الشرطى والملامح الجديدة للمجتمع

ثم كلمة اخيرة قالها العقيد عيسى شعيب قبل ان ينهى حديثه معنا : « تحضرنى هنا خاطرة لا بد لى من تسجيلها ، وهى تتصل بتصرفات رجل الشرطة فى المواقف الحرجة التى تحتاج فى المقام الاول الى قدر كبير من ضبط النفس . اننى اريد ان اقول ان الشرطى فى اى بلد هو نتاج لمجتمع معين ، اخضع لتدريب خاص حتى يتمكن من تادية واجبه ومهمته . ولكنه قبل هذا كله انسان مشحون بالعواطف مثله مثل اى مواطن اخر .. وفى صدره تعتمل شتى الانفعالات من الآم وآمال وتطلعات للمستقبل .. وقد نشأ رجل الشرطة ونشأنا فى مجتمع قبلى الى ما قبل الاستقلال ، ثم تطورت الحياة فى الكويت ..وكان تطورها سريعا خاطفا .. وكانت ابرز ملامح هذا التطور ، الحياة الديموقراطية السليمة،وانتشار التعليم على مختلف مراحله والحرية التى تتمتع بها الصحافة ، والنظم القضائية الحديثة ، وهى كلها ملامح جديدة على المجتمع الكويتى القديم .

الجوازات والجنسية

ومع الرجل الذى يحمل فى جيبه مفتاح باب الدخول الى الكويت والخروج منها والاقامة فيها كان لنا حديث سريع عن المشاكل التى تواجه ادارته .. انه السيد سليمان المشعان وكيل وزارة الداخلية المساعد لشئون الجوازات والجنسية . قال لنا وهو يختطف بضع لحظات من وقته المشحون بالعمل والمراجعين اختطافا : « اننا نرحب دائما بكل كفاءة وكل صاحب مهنة او حرفة يستطيع بخبرته وجهوده ان يساهم مع اخوانه الكويتيين فى بناء البلاد ونهضتها .. اننا نبحث دائما عن الكيف لا الكم . »

خفر السواحل

ومع رجال خفر السواحل امضينا نهارا نجوب المياه الاقليمية للكويت فى الخليج العربى ،حيث تنتشر قواربهم البخارية السريعة فى دوريات مستمرة طوال الاربع وعشرين ساعة لحماية شواطىء الكويت من المتسللين الذين يحاولون دخول البلاد بطرق غير مشروعة ، وضبط الاتجار فى السلع والمواد المهربة التى قد تحملها بعض البواخر المارة .. ويبلغ عدد اللنشات التابعة لخفر السواحل حوالى ٣٠ لنشا ، وهى مختلفة الاحجام والاشكال ، كما تختلف ايضا فى سرعتها فبعضها للمطاردة وبعضها للتموين ، ويعمل عليها ١٢ ضابطا و ١٥٠ رجلا من رجال الشرطة المدربين . وقد انشئت قيادة خفر السواحل فى عام ١٩٥٦ (انظر استطلاع العربى العدد رقم ١٤٥) .

وكان لا بد ونحن نقترب من نهاية جولتنا بين اجهزة الامن فى الكويت ان نلتقى باحد المسئولين عن الشرطة والامن العام فى البلاد . ولم نشأ ان نثقل على الوزير الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع ، فقد كان وقتها قائما بمهام رئاسة مجلس الوزراء خلال شهر رمضان المبارك ، كما كان اللواء عبد اللطيف فيصل الثوينى وكيل الوزارة مسافرا لحضور مؤتمر فى الخارج ، وحدد لنا المسئولون عن العلاقات العامة بوزارة الداخلية موعدا مع الرجل

فتاتان تعملان فى المختبر التابع لادارة الادلة الجنائية والطب الشرعى .. ويحوى المختبر احدث المعدات والاجهزة التى تستخدمها ادارات الامن فى مختلف بلدان العالم .

مدخل وزارة الداخلية فى مبناها المؤقت ، ويجرى العمل الآن فى تشييد مبنى حديث للوزارة .

الى اليمين ، اسفل الكلام ، احد رجال شرطة النجدة يتلقى البلاغات عن طريق الاجهزة الحديثة للاسلكى ، **والصورة الاخرى تحت هذا الكلام مباشرة** للوحة تشمل ارقام سيارات شرطة النجدة وظروف وحالة كل وحدة من وحداتها .

شرطة المرور من راكبي الدراجات النارية في طابور الصباح ، قبل توزيعهم على المناطق المختلفة في انحاء البلاد . وسوف تعزز هذه القوة قريبا بوحدات جديدة من الدراجات النارية الحديثة المجهزة ايضا بمعدات الاتصال اللاسلكي

احدى سيارات شرطة النجدة وهي تجوب شوارع الكويت وطرقاتها طوال ساعات الليل والنهار وفي الصورة احد ضباط شرطة النجدة اثناء اتصاله باللاسلكي بمقر القيادة .
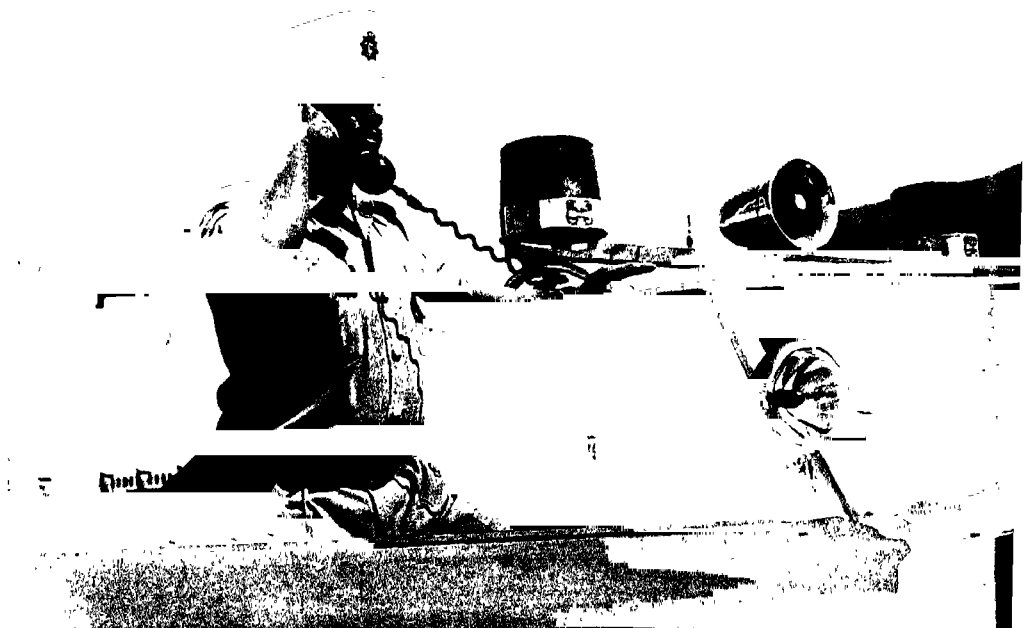
الثالث وكيل وزارة الداخلية المساعد لشئون الشرطة والامن العام، العميد يوسف بدر الغرافي.

مع وكيل وزارة الداخلية المساعد

واستقبلنا الرجل الذي عاصر الشرطة في الكويت منذ عام ١٩٥٧ ، اثر تخرجه في كلية الشرطة بالقاهرة ثم مضى يرتقي السلم الاداري حتى وصل الى هذا المنصب الكبير بجهده وعلمه وعمله ، استقبلنا في مكتبه بالوزارة ، ثم بدأ يروي لنا ذكرياته مع الايام الخوالي .. ايام كانت الاخلاق وحدها هي التي تتحكم في العلاقة بين اهل الكويت .. ايام كان الهدوء والطمانينة والسلام تنتشر بين ربوع البلاد لا يعكر صفوها حادث ، الا فيما ندر .

قال العميد يوسف : « كان الناس يعيشون على الفطرة ، فقد كانت البساطة طابعهم ، والامانة دستورهم .. اذكر بين ما اذكر ، والامثلة عديدة، كيف كان اصحاب المحال التجارية، يتركون متاجرهم عند الظهيرة ، كما هي ، بما تمتلىء به هذه المحال من سلع ، ويذهبون لتناول طعام الغداء ، دون ان يتركوا فيها احدا يحرس اموالهم وتجارتهم ، ثم يعودون اليها ، فيجدون كل شيء في مكانه ، وكانهم لم يغيبوا عنها لحظة واحدة ! »

ظاهرة يعاني منها العالم كله

قلنا : « بماذا تفسر انتشار الجريمة مع التقدم والحضارة ؟ » قال العميد : « انني في واقع الامر، اطرح نفس السؤال . وكثيرا ما استوقفتني هذه الظاهرة . كيف يمكن أن يعيش الناس مع البداوة ومع الحياة البسيطة غير المعقده ، في امن وسلام، ثم ينقلب هذا كله الى حياة تهددها الجريمة بكل انواعها عندما تنتقل البلاد الى الحضارة والمدنيه؟ انها في واقع الامر ظاهرة يشكو منها العالم كله .. وهي قد تكون في رأيي ردود فعل مضاد لتطوير اساليب مكافحة الجريمة ، فنحن نرى انه كلما تطورت وسائل المحافظة على الامن لمنع الجريمة ، تطورت معها وسائل المجرمين في ارتكاب جرائمهم .

« انني اود ان اضيف الى هذا ان هناك جرائم كثيرة لم تكن معروفة او مالوفة في المجتمع الكويتي القديم .. مجتمع البداوة والكفاح من اجل العيش والرزق ، وهي جرائم المال ، وتشمل عمليات التزوير والنصب والاحتيال ، وخيانة الامانة ، والسطو بالقوة .. ولقد كان وقوع جريمة من هذا النوع في الماضي ، تعتبر حدثا تهتز له الكويت من اقصاها الى اقصاها باعتبارها شيئا غريبا على هذا المجتمع . اما اليوم فيموت خمسة او ستة من المواطنين اسبوعيا في حوادث السيارات ، وتمر هذه المآسي في هدوء وكانها شيئا اعتدنا عليه . هذا عدا ما يرتكب من جرائم عديدة ، ما تزال في ازدياد رغم الجهود الضخمة التي تبذلها اجهزة الامن لمكافحة الجريمة.»

ـ وما هو العلاج في رايكم لهذه الظاهرة الخطيرة ؟

مسئولية البيت والمدرسة

ويمضي العميد يوسف بدر الغرافي في حديثه، وهو يترحم على ايام زمان ، فيقول : « ان الجيل الصاعد هو المسئول عن هذه الظاهرة المزعجة التي لا تهدد مجتمعنا العربي فحسب ، بل وتهدد العالم كله . فدول العالم المتحضر بلا استثناء تشكو من الانحرافات بين الشباب ، وتعاني من الجرائم التي تتزايد بنسبة مخيفة .

« ماذا نصنع وكيف نعالج الانحراف بين الشباب؟

انني اقول ان البيت هو الذي يحمل المسئولية الكبرى ، فعلى اكتاف الابوين تقع مسئولية تربية هذا النشء .. ففي البيت ينشأ الطفل ويكبر . وهو واحد من اثنين .. فاما ان ينشأ على الشر واما ينشأ على الخير والتقوى .. وفي يد الام وفي يد الاب وحدهما مهمة تمهيد طريق الخير لابنائهم .. فالبيت هو مدرسة الحياة الاولى .. وعلى عاتق الوالدين تقع المسئولية الكبرى .. مسئولية تقديم جيل صالح يخدم بلده ويساهم في بنائها وتطويرها ..

« يلي البيت مباشرة ، المدرسة ، وما يقال عن تربية النشء وتوجيهه الى الخير في البيت ، يقال عنه في المدرسة . لهذا يجب ان نحسن الاختيار وان ندقق في شخصية هؤلاء الذين سيشرفون على تعليم ابنائنا وتربيتهم التربية الدينية الصالحة » .

ثم ماذا ؟ لقد كان للرجل المسئول عن الشرطة والامن في الكويت ، رأي في القوانين السائدة حاليا في البلاد . يقول العميد يوسف : « انني ارى ان هذه القوانين في حاجة الى تعديل يتلاءم مع طبيعة مجتمعنا وتقاليده وعاداته المتوارثة . فهي ، اي هذه القوانين ، كما تعلمون مستمدة

انشئت قيادة خفر السواحل فى عام ١٩٥٦ . وفى الصورة (الى اليمين) المقدم عبد المحسن ابراهيم مدير ادارة خفر السواحل يراس اجتماعا لكبار معاونيه فى مقر الادارة بالشويخ اما الصورة الثانية (الى اليسار) ٠ فهى لمجموعة من شرطة خفر السواحل فى طابور الصباح على رصيف الميناء المخصص لوحدات خفر السواحل فى مرفأ الشويخ ٠

كلها من القانون الفرنسي ،او القانون الانجليزى ، كما هو الحال فى معظم الدول ٠

« ثم اريد ان اضيف الى هذا شيئا هاما ٠٠ ان المستوى التعليمي لرجل الشرطة اليوم قد تغير عنه بالامس . كنا نكتفى بان يعرف المتقدم للعمل كرجل شرطه ، القراءة ، اما اليوم فاننا نشترط حصوله على الشهادة المتوسطة على الاقل ٠ ولا شك انه سيكون لهذا التطور اثره فى سلوك رجال الشرطة عند احتكاكهم بالجمهور ٠

المرأة الكويتية فى الشرطة

« واخيرا انني اود ان انقل اليكم خبرا جديدا ٠ اننا نعتزم باذن الله انشاء فرع للشرطة النسائية فى الكويت ٠ وسوف تقف المرأة الكويتية لاول مرة الى جانب الرجل فى المحافظة على الامن والنظام ٠ وقد اعددنا بالفعل مشروعا لانشاء هذه القوة النسائية الجديدة ، وسينفذ هذا المشروع فى القريب العاجل ان شاء الله ٠

« وسوف يكون هناك قسم خاص بالطالبات يتبع كلية الشرطة ، وسنشترط حصول الطالبات على الشهادة المتوسطة ، وبعد تسعة اشهر من الدراسة والتدريب ، تتخرج الطالبة من المعهد برتبة صف ضابط ٠ وسيعمل افراد الشرطة النسائية فى المرور والجوازات وتحقيق الشخصية والادلة الجنائية ٠ »

واختتم العميد يوسف حديثه معنا بقوله :

« انني متفائل لمستقبل الامن فى بلادى ٠ وارجو ان نتعاون جميعا على حماية ابنائنا ٠٠ كما ارجو ان تقوم الجمعيات الدينية والاجتماعية والثقافية بالدور الذى يرجى منها فى توعية المواطنين » ٠

وبعد ، لقد كان لا بد بعد هذا من زيارة لمصنع الرجال ٠٠ رجال الشرطة والامن فى الكويت ٠٠ كلية الشرطة التى انشئت فى عام ١٩٦٩ ، وبدأت الدراسة فيها لتخريج اول دفعة من ضباط الشرطة فى نفس هذا العام ٠

(انظر استطلاع العربى العدد رقم ١٤٦) ٠

لقد تخرج من الكلية حتى اليوم ما يزيد على المائتين وخمسين ضابطا ، وقد كانوا جميعا يوفدون من قبل الى كليات الشرطة فى الخارج قبل افتتاح هذه الكلية ٠

والتقينا بمدير الكلية العقيد عبد الحميد حجى ، والمقدم عبد الله حمزة الرومى كبير المعلمين ، والنقيب ياسر الرماوى والنقيب احمد مدير مدرسة صف الضباط والنقيب ناصر قائد سرايا الطلبة ٠٠ انهم بعض اعضاء هيئة التدريس فى هذه الكلية التى لم يمض على انشائها اكثر من ست سنوات ٠٠ ولكنها استطاعت ان تؤدى رسالتها على الوجه الاكمل ، وتوفر على ابناء الكويت مشقة السفر للخارج للدراسة والتخصص ٠٠

انهم فخورون بما حققوا من اجل بلادهم وامنها ومستقبلها ٠ ■ ■

منير نصيف

اليقين

اعرف وطنك أيها العربي

شجرة عربية أصيلة كانت تحتضر

هكذا ينزع الفلين من فوق اشجاره .. انه يغطي جذع الشجرة بسمك يتراوح بين ٢٤ و ٣٦ مليمترا .

ثم عادت إليها الحياة من جديد

سال بالمناشير والمطرقة يخلعون عن الشجرة رداءها ويحملونه على اكتافهم لتجميعه قبل تحويله الى المصنع ..

■ الفلين .. ثروة عربية مجهولة ..

أهل المشرق لايعرفون عنه شيئا .. بعكس أهل المغرب . فهو ينمو في بلادهم بكثافة زائدة ..

ان شـجرة الفلين هي مـن الاشجار الاقتصادية المعمرة .. ولكنها تمر اليوم بفترة حرجة .. انها تقف عالية شامخة وهي تتألم في صمت ..

ولكن الايدي الرحيمة بدأت تحيط بهذه الشجرة الطيبة ، ترعاها وتساندها لتنقذها من محنتها ، حتى تستمر في عطائها الطبيعي الثمين ..

ترى لو اطلقنا لهذه الشجرة حرية الكلام ، فماذا عساها تقول .. ؟

« ان قصة حياتي واحدة من اغرب القصص واعجبها واطولها .. فهي حياة تمتد ٢٥٠ عاما .. ولكن من النادر ان اصل الى هذا السن الطبيعي ، اذ ان حياتي تنتهي دائما بمأساة . اموت خلالها وانا واقفة شامخة ..

« الا ان موتي لا يعني فنائي .. فالفؤوس والمناشير التي تعدمني بتقطيع اعضائي وجذعي تعجز عن استخراج جذوري العميقة من الارض .. وهكذا ما تكاد تنقضي بضعة اشهر على وفاتي ، حتى تدب الحياة ثانية في جذوري .. فأنمو شجيرة صغيرة في نفس المكان لذي كنت ارتفع فيه ..

« انني اشبه بطائر الفينكس الاسطوري ، الذي تذكره الميثولوجيا اليونانية بقولها انه في كل مرة كان يلقي فيها بنفسه الى التهلكة فوق كومة الحطب المشتعل ، كان يعود مرة ثانية الى الحياة من بين هذا الرماد وهو اقوى مما كان !!

« وهكذا هو حالي .. »

الفلين يعبر المحيط !

وتهتز شجرة الفلين ، وكأن ذكر الموت قد ازعجها ، فتنتقل في حديثها الى موضوع آخر .. :

« ان موطني الاصلي هو منطقة غرب البحر المتوسط ، وساحل المغرب المطل على المحيط الاطلسي ، فأنا انمو بكثافة فوق بقعة من الارض تزيد مساحتها على مليوني هكتار (الهكتار = ١٠ الاف متر مربع) وهي اراض موزعة بين البرتغال ، والجزائر ، والمغرب ، واسبانيا ، وجنوب فرنسا ، وتونس ، وبعض الاجزاء المتفرقة من ايطاليا ..

« كانت هذه مناطق تكاثري الطبيعية ، حتى كانت بداية هذا القرن حين نقلوا « شتلات » من اشجاري الى المناطق الجنوبية من الولايات المتحدة والبرازيل واليابان ، فامتدت مملكتي ، لاول مرة ، الى خارج موطني الاصلي غرب البحر المتوسط .. »

تبدل الطقس قضى على الفلين

وتتابع شجرة الفلين حديثها قائلة :

« وفي كل بلد انمو فيه ، اعيش نمطا من الحياة مختلفا عن نمط حياتي في البلد الآخر .. وبما ان بعثة « العربي » جاءت لزيارة غاباتي في المملكة المغربية ، فان حديثي اليوم سيكون منصبا على الفلين في المغرب ، حيث انمو فوق اراض مساحتها ٤٢٥ هكتارا ، اي نحو ١٠٪ من مجموع مساحة الغابات في المغرب .. ولكن ايرادي الاقتصادي يوازي نصف ايراد الغابات كلها ..

« ويمكنك ـ اذا نظرت الى الخريطة ـ المنشورة بجوار هذا الكلام ـ ان تلحظ اماكن تكاثري .. فمن سواحل المحيط الاطلسي ارتفع الى قمم جبال اطلس على ارتفاعات تتعدى ١٥٠٠ متر ، في بعض الاحيان ..

« انني انمو حيث يهطل المطر بكثرة .. اذ يلزمني على الاقل ٨٠٠ مليمتر من الامطار سنويا مع ضباب ورطوبة ، لأستطيع الانتاج والاستمرار في الحياة ..

« وحول العاصمة الرباط كنت انمو بكثافة ونجاح ، أيام كانت الامطار غزيرة ، ولكن الطقس تبدل .. والامطار شحت حتى اصبح معدلها السنوي ٥٥٠ مليمترا فقط . ونتيجة لهذا التبديل قل انتاجي للفلين ، وبدأ الناس في قطع جذوري واجتثاثي من هذه الارض نهائيا ..

« والحمد لله ان هناك مناطق كثيرة اخرى في جبال اطلس والريف ، انمو فيها بنجاح باهر ،

توضح هده الحريطة موقع عابات الفلين المثمارة فوق اراضي المعرب ٠٠ كانت مساحة عابات الفلين ٤٢٥ الف هتكار (- ١٠ آلاف متر مربع) ٠٠ واكثر تحمع له يتم في عابة «معمورة» القريبة من الرباط ٠٠ اما الدول الاخرى التي ينمو فيها الفلين بنجاح فهي البرتغال ٦٠٠ الف هتكار تليها الجزائر (٤٥٠ الف هتكار) . فالمعرب (٤٢٥الف هتكارا) ثم اسبانيا (٣٤٠ الف هتكار) وفرنسا (١٥٠ الف هتكار) .وتونس (١٣٠ الف هتكار). وتأتي ايطاليا في النهاية (٧٥ الف هتكار)٠

لا . معدل تساقط الامطار يصل هناك الى ١٧٠٩ مليمتر في السنة "

« اسى احطى حاليا بمعاملة طيبة من مصلحة العابات في وزارة الفلاحة المعربية . فهي تحتفظ حاليا بكشوف مطولة لكل شجرة فلين في المعرب٠٠ ومن هده الكشوف اتضح ان عدد اشجار الفلين في المعرب تبلغ ثمانية ملايين و ٧٠٠ الف شجرة٠٠ »

بداية رحلة الآلام

وتتابع شجرة الفلين سرد قصتها فتقول : « ان رحلتي الحقيقية في الحياة تبدأ عندما ابلغ السادسة والعشرين من عمري ٠٠ أقول هدا واتدكر صيف دلك العام ٠٠ فقد جاءني في الصباح رجلان ٠٠ وقفا يتأملان جدعي ويمحصانه ٠٠ وتوجست شرا منهما . فقد كانا مسلحين بمناشير ومطرقة وفاس وسلم وموسى ٠٠ وسرعان ماتحققت مخاوفي . اد أسندا السلم الى جدعي وبدأ احدهما يعمل بمنشاره خطا دائريا حول جدعي ٠٠ وانضم اليه زميله يحز خطا آخر على بعد متر ونصف من الخط العلوي٠ وبالموسى شقوا خطا طوليا يصل بين الخطين الدائريين ٠٠ وبعدها بدأ الطرق ٠٠ انهما ينزعان عني رداءي ٠٠ رداءه ٠٠ انهم اخدوا معطفي الفليني الدي كان يغطيني ويحميني من الريح والبرد ٠٠ »

« ولم اشعر بألم كبير . فقد كانا حريصين جدا على الا يصيبا جدعي باي خدش ٠٠ واستمرت

اشجار الفلين تموت واقفة ·· انهم يقطعون الغطاء الفليني المحيط بجذعها ويتركونها عارية تكافح البرد والهواء ·· وتضم غابات المغرب نحو سبعة ملايين شجرة فلين لا ينزع الا غطاء مليون شجرة منها سنويا وتبدأ الشجرة في العطاء عندما تبلغ السادسة والعشرين من عمرها واول محصول يؤخذ منها يكون رديء النوع لا يصلح الا للطحن ·· ويتم نزع الغطاء الفليني الثاني بعد تسع سنوات من نزع الغطاء الاول · والنتاج الثاني والثالث هما اللذان يستعملان لصناعة سدادات القناني ·· · بعد جني الفلين ينزل في العراء « **الصفحة اليسرى** » ·· ومما يذكر ان المغرب يصدر حوالي ٧ في المائة من انتاجه خاما ·· وروسيا هي المستورد الكبير للفلين الخام والفلين الرديء الذي يطحن لتصنيعه الالواح العازلة والواح اللينوليوم ·· ان تصدير الفلين خاما يأتي بايرادات ضئيلة نسبيا للمغرب . التي تستورد انواعا مختلفة من الاخشاب العالية الثمن كان يمكن زراعة اشجارها مكان اشجار الفلين . ومن هنا انبثقت فكرة قطع بعض اشجار الفلين لزراعة انواع اخرى مكانها ··

عملية نزع معاطف الفلين من فوق شقيقاتي وجاراتي من اول يونيو حتى اول سبتمبر ٠٠ وبعدها توقف الرحلان تماما ٠٠ وقد حددنا لهما هذا التوقف اذ لو خلعت معاطفنا في غير موعدها ، فان هذا الخلع سيؤدى حتما الى وفاة الشجرة الام ٠٠ »

« لقد اعطانا الله القدرة على تعويض ماقتلعه الانسان منا ٠٠ ففي خلال عام واحد استطعت ان اصنع غطاء رقيقا بلغ سمكه ٣ مليمترات من الفلين ٠٠ وفي كل عام كان سمك معطفي يزداد بمقدار ٣ مليمترات ٠٠ وياليتها ماتزايدت بهذه السرعة ، فبعد تسعة اعوام من حادثة انتزاع معطفي الاول ، شاهدت ايضا رجلين يتقدمان نحوى ثانية ، ويكرران عملية تقطيع وخلع معطفي الجديد !! »

« وشعرت بالألم والاسى لاني تعبت فعلا في نسج معطفي الجديد ، الذى كان اجمل بكثير من معطفي الاول ٠٠ ولكني بدات اعتاد عملية السلب هذه ، التي كانت تحدث مرة كل تسع سنوات ، او عندما يبلغ سمك معطفي ٢٧ مليمترا او اكثر ٠٠ »

« ويهمني هنا ان اوضح بأن بعض الاشجار تصنع غطاء جديدا لها في فترة ٣ سنوات فقط ، ولكنه يكون في ذلك الحال غطاء رديئا ، ولا يصلح للاستعمال ٠٠ »

« وتستمر عملية نزع الفلين من فوق جذعي مرة كل ٩ سنوات ، حتى ابلغ من العمر ٧٢عاما٠٠ وعندها يتوقف انتاجي ، فيقطعونني ويستعملون جذعي واغصاني حطبا ووقودا ، فاخشابي لا تصلح لصناعة الاثاث والموبيليا ٠٠ »

انتاج العالم ٣٠٠ ألف طن !

وتختم شجرة الفلين كلامها قائلة : « انهم يجمعون سنويا نحو ٤٠ الف طن من الفلين من فوق مليون شجرة فلين في المغرب وهذه الكمية من الانتاج تعادل ١٣٪ من مجموع انتاج العالم من الفلين ، وهذا المجموع يصل الى ٣٠٠ الف طن سنويا ٠٠ »

الفرنان والحلوفي ٠٠ والنمسي

والآن لنترك شجرة الفلين تكمل نسج معطفها الفليني الجديد ، وتعالوا نتابع ما يحدث للفلين نفسه بعد خلعه من فوق جذع الشجرة ٠٠

كلمةالفلين المعروفة في المشرق،يقابلها في المغرب

« المنشر ، والشاقور،والسلوم، والموسى » ٠٠ هي الاسماء المغربية التي يطلقونها على الادوات المستعملة في نزع الفلين عن الشجرة ٠
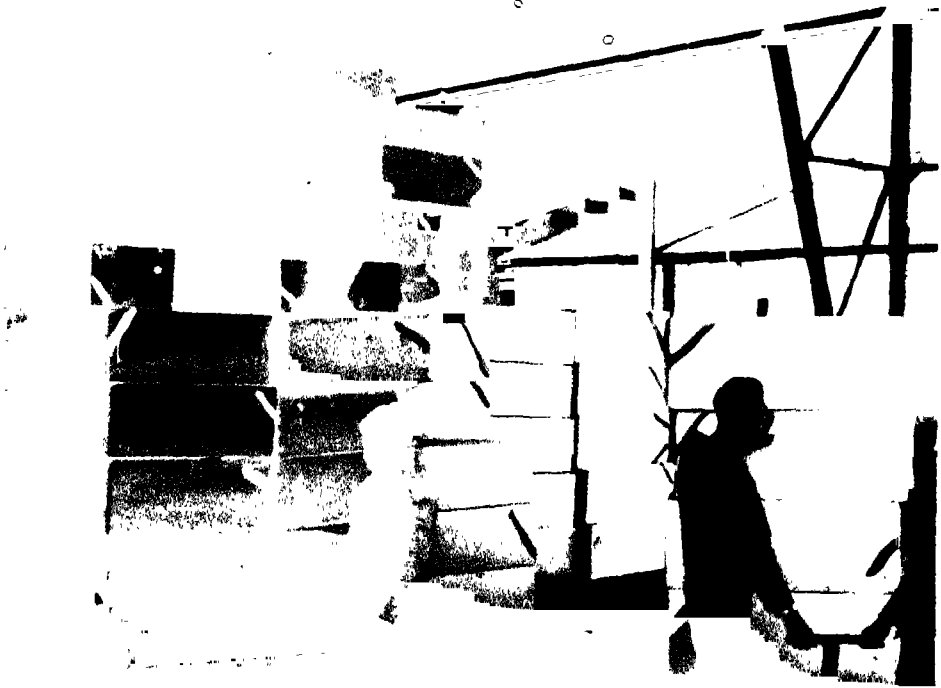
الــواح الفلــين العــا لة • سداداته المصنعة تصدر داخــل صناديــق وزنها ٦٥ كيلو حراماالــى اوربــا وامريكــا ..

كلمة « الفرنان » .. وقطعة الفلين الاولى التى تؤخذ من شجرة الفلين تسمى « الحلوفى » ، وهى اقل جودة من الفلين الذى يقطع فى المرات التالية، ويطلق عليه اسم « النمسى » .

وعندما ينزع قشرة الفلين منفوق الشجرة الأم يكون على هيئة اسطوانة مجوفة قاسية منــل الخشب ولسمك هذا الغشاء اهمية كبرى .فالنوع الجيد الذى يتم تصنيعه هو الذى يتراوح سمكه بين ٢٤ و ٣٦ مليمترا .. وهذه الانواع الممتازة توضع فى حمامات كبيرة لمدة ساعة كاملة فى درجة الغليان .تسحببعدها من الماء ، فتكونأكثر ليونة ومرونة ، تزول عنها الاملاح . وتكسب سمكاجديدا مقداره مليمتران .

وتترك الالواح فى الهواء الطلق تستريحوتختمر لفترة ثمانية أيام ، لايتغير بعدها شكل الفلين او حجمه ابدا ..

قصة الفلين

ان زيــادة سمك الفلــين ضرورية لعمليات التصنيع .. وفى المغرب تسعة مصانع كبيرة لتصنيع الفلين .. وكان الرومان اول من صنع من الفلين عوامات استعملوها فى تعويم شباك صيد الاسماك وذلك فى القرن الاول الميلادى ..

ولم يبدأ العهد الذهبى للفلين الا عندما بدأ استعماله على هيئة سدادات للقنانى الزجاجية التى اكتشفها عالم المانى فى القرن السابــع عشر .. واصبح المثل فى العالم هو : اذا اردت سدا محكما فما لك سدادة « الا الفلين » '

وهكــدا اقبل العالــم على شراء السدادات الفلينبة لسد القنانى والــزجاجـات . وخاصــة زجاجات المشروبات الكحولية من « شمبانيــا » « وفودكا » ونبيذ « وروم » ..

يغطس العلين الخام ، من النوع الجيد لمدة ساعةفى الماء المغلى ، ليصبح اكثر ليونة وسمكا وبريقا وبعد تقطيع حوافه (**الصورة السفلى**) يترك فى الهواء الطلق فترة ثمانية ايام ليستريح ويحتفظ ويأخذ شكله النهائى الذى لايتبدل ، وذلك قبل نقله الى المصانع لعمل السدادات منه ..

مليون وربع مليون سدادة فلينية تنتجها يوميا المصانع الاربعة الموجودة في المغرب .. وفرنسا هي المستورد الاول للسدادات وتستعملها في اغلاق زجاجات النبيذ التي تعتق في الكهوف .. والى جانب السدادات تصنع الالواح العازلة من قطع الفلين الصغيرة بعد تعريضها لحرارة ٣٥٠ درجة مئوية .

كابوس مزعج

وظلت مصانع الفلين تنتج كل عام آلاف الملايين من سدادات القناني لتغطية حاجة العالم كله .. كان الفلين يعيش امجاده الذهبية .. وفجاة حدث ما لم يكن في الحسبان. فقد اكتشف العالم ، منذ نحو ١٥ عاما مادة البلاستيك التي تطورت صناعتها بسرعة مدهشة فاصبح كل شيء يصنع منها تقريبا ، حتى سدادات القناني صنعت من البلاستيك !

كان كابوسا مزعجا عانى منه الفلين كثيرا .. وغاباته القديمة في جنوب فرنسا اقتلعوها وزرعوا مكانها اشجار الصنوبر .. ومصانعه شهدت كسادا وركودا ..وكان لابد من البحث بسرعة عن استعمالات واغراض اخرى للفلين غير سد القناني .. وتكللت الجهود بالنجاح .. فقد استعملت اردأ انواع الفلين (الحلوفي) لصنع الالواح العازلة ، بعد تفتيته وتعريضه لدرجة حراره تبلغ ٣٥٠ درجة مئوية ..

وشاع استعمال الفلين في صناعات مختلفة : .. كعوبا لاحذية السيدات ، وحاجزا يمنع الاصطدام والاحتكاك بين المكنات الحديدية ، ومانعا للحرارة في الثلاجات.ومانعا للاصوات في الاستوديوهات.. واستعملوه في صناعة اللينوليوم .. واستعملوه ايضا رقائق كالورق للطباعة .

البلاستيك زاد من قيمة الفلين

ومرت نحو عشر سنوات على اكتشاف مادة

اللاستيك ، اتضح في اثنائها لاصحاب المصانع ان استعمال البلاستيك سدادا للقناني لايحقق الغرض المطلوب ، فالغازات لاتلبث ان تتسرب من القناني، وخاصة تلك التي هي في حاجة الى الحفظ مدة طويلة مثل النبيذ والروم .. وكانت العودة الى استعمال الفلين على نطاق واسع كبير ..

ان البلاستيك لم يستطع قتل الفلين ، بل على العكس زاد من قيمته ومنزلته عند رجال الاعمال ..

وسادة هوائية

ان الميزة التي ينفرد بها الفلين هي في تلك الخلايا المليئة بالهواء والحامض الدهني . والتي تجعله عازلا تماما للهواء والسوائل عند ضغطه وكبسه في عنق زجاجة تحوي اية مادة يمكن ان تتاثر بتسرب الهواء اليها .

وبمعنى اخر ان الفلين هو اشبه بوسادة هوائية تنكمش على نفسها ويتضاءل حجمها تحت اي ضغط. وبمجرد زوال هذا الضغط تعود الى حجمها الطبيعي . وكان شيئا لم يحدث لها .

ومن مزايا الفلين الاخرى : التحمل ومقاومة الاهتراء والفناء ، فهو لايتلف مع الزمن ،ويقاوم الاحتراق . كما انه لاطعم له ولا رائحة .. وهو اخف وزنا من الماء ، فوزنه يوازي خمس وزن الماء . وهذا يجعل له استعمالات واضحة في البحر وفوق الماء .

لا يفل الحديد الا الحديد

واكثر ما يتعب شجرة الفلين هو دودة الديسبار، التي تاكل اوراق اشجاره الخضراء،فيتاخر ويتضاءل نمو الفلين من ٣ و ٤ مليمترات الى مليمتر واحد سنويا . وهذا يعني زيادة عدد السنوات اللازمة لنمو طبقة الفلين من ٩ سنوات الى ١٢ سنة ..

وقد حاولوا مكافحة تلك الدوره . لكنهم لم ينجحوا كثيرا لعدم استطاعتهم استعمال المواد الكيماوية ، حرصا على الحيوانات الاخرى التي تعيش في الغابة . فما كان منهم الا ان سلطوا

بعد ان يقوم المصنع بعمل سدادات القناني ، تتخلف كمية كبيرة من بقايا الفلين ، يتم ضغطها وتجميعها بعضها مع بعض لتصديرها الى مختلف بلاد العالم وخاصة الاتحاد السوفيتي ..

دودة الكوروبس على الدودة الاولى لقتلها والقضاء عليها ..

٩ ملايين بدلا من ٤٢ مليون

واخيرا نجد الناس يحافظون على اشجار الفلين الموجودة حاليا في المغرب ، لكنهم لايزرعون اشجارا جديدة !!

وتشير الاحصائيات الى ان مساحة اراضي المغرب المزروعة باشجار الفلين هي ٤٢٥٠ هتكار .. والمعروف ان عدد اشجار الفلين في الهتكار الواحد ١٠٠ شجرة .. اى انه يجب ان يكون في المغرب اكثر من ٤٢ مليون شجرة فلين .. لكن الموجود فعلا هو اقل من ٩ ملايين شجرة .. والباقي اقتلع من جذوره ، وزرعت مكانه مختلف انواع الاشجار ، من كافور وسنديان وصنوبر بحرى وحلبي الى زيتون ، وارز وبلوط .

ان شجرة الفلين تنظر الى المستقبل بتخوف وتردد .. انها شجرة في طريقها الى الاندثار من اقطار المغرب العربي الثلاثة .. انها في حاجة الى دعم عربي شامل لينتشر استعمال الفلين في كل اقطارنا العربية .. وتصبح شجرة الفلين لبلاد المغرب بمثابة النخيل للعراق ، والقطن لمصر ، والصمغ للسودان . والتفاح للبنان ، والموز للصومال ، والزيتون لتونس ، والصمغ للسودان . والعندم اى دم الاخوين لسقطرى !!

■ ■

سيلم زبال

الى اليمين : عندما تبلغ شجرة الفلين ٧٢ عاما من عمرها تتوقف عن انتاج الفلين . فيصبح من العبث تركها تعيش حتى سن ٢٥٠ عاما دون فائدة . لهذا تقطع من طرف جذعها الاسفل . وتترك جذورها في الارض . ومن هذه الجذور تنبت شجيرة جديدة تبدأ في العطاء عندما تبلغ ٢٦ عاما ٠٠ واشجار الفلين المقطوعة تنقل على عربات تجرها الاحصنة والبغال **(الصورة السفلى)** حيث تقطع الى اجزاء صغيرة . وتحول الى حطب ووقود للتدفئة ، لانها لا تصلح لصناعات الاثاث ٠٠
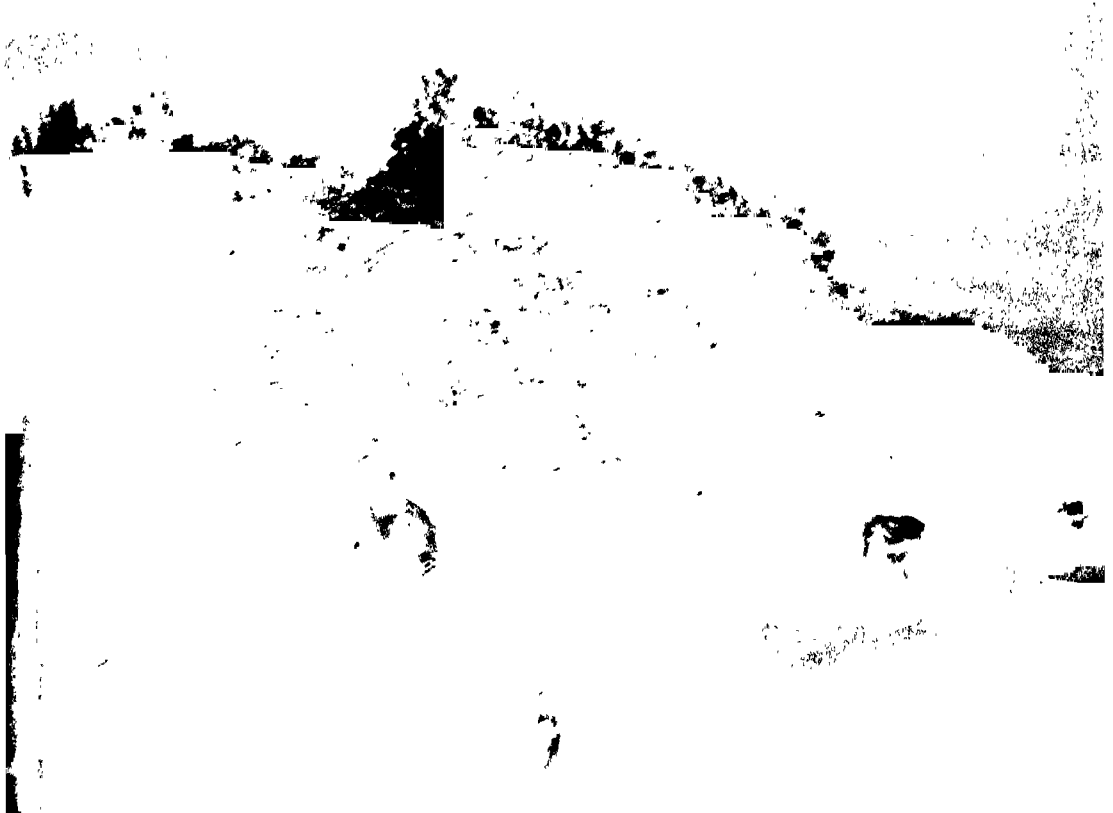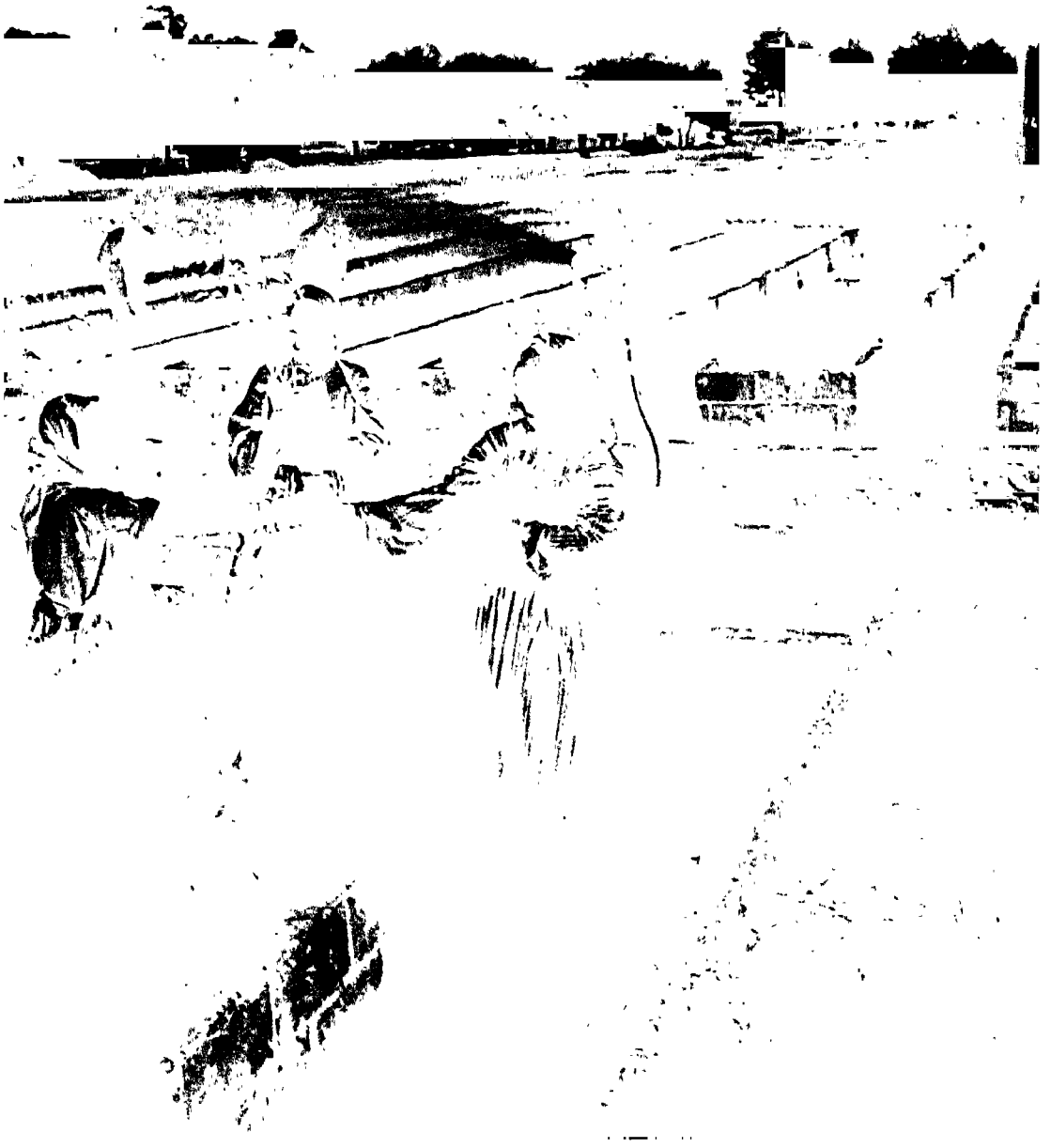
« سنحافظ على اشجار الفلين فى الاراضى التى تنجح فيها زراعته ٠٠ اما حيث يكون الانتاج ضعيفا فسوف نستبدل باشجار الفلين اشجارا اخرى ذات فائده اقتصادية اكبر ٠٠ » هذا ما قاله لنا مدير مصلحة الغابات فى وزارة الفلاحة المغربية ٠

وفى مشتل سيدى عميرة . على مسافة ١٩ كيلو مترا من الرباط . رأيناهم يعملون على توريع نحو ثلاثة ملايين شتلة من اشجار الغابات سنويا . وفى مقدمتها شجرة الكافور التى تستعمل اخشابها لصناعة الورق فى مصنعى القنيطرة وفاس ٠٠ ان هذا المشتل لا يوفر الشتل لزراعة مكان الفلين فقط . وانما يستعمل ايضا لتشجير الفى هكتار من الاراضى الجبلية الجرداء ٠

في المركبة

قفي بي قليلا . قفي بي قليــــلا | قفي بي . فاني أريد الـــنزولا
مري عجلاتك أن لاتـــــدورَ | وأن تتوقّف حينــا ضئيــــلا
ولو ساعةً في الزمان الطويـــــل | وإن أوشكت ساعةٌ أن تــزولا

★ ★ ★

قفي بي فاني أريد المســـــير | على قدميَّ أشق الســـــبيلا
لقد سئمَتْ قدمــاى الركـــوب | فما أن تسيران . دونــك . ميــلا
ولِمْ نتـــلازمُ طولَ الطريــــق | ألا نتفــارق حــتى قليــلا ؟
أما من رحيــلٍ بعــيرك حــولى | كرهت لأجلك هذا الرحيــلا
أمركبة انــت حــتى أقـــول | قفي بيَ . أم ليس لى أن أقـــولا؟
أمركبــــة أنـــت أم أنت سـجن | أحال الرحيــل ضياعا طويــلا؟

★ ★ ★

قفي بــى أفكــر فــى رحلــتى | وأطلب إن شئت عنها بديـــلا
تقولــين . « فكّرْ خلال الرحيل » | وهل شلَّ إلاَّ الرحيلُ العقولا؟

★ ★ ★

قفي بى . قفي بى . ولو لحظـــة | لأرتـــاد في الروض ركنا ظليلا
وأسأل إن شئتُ إما الطيــــــور | وإما الزهـــور . وإمَّا المسيــــلا
وإن لم اجدهـــــا فكانـــت خــلاء | وكان البديل ضياعا وبيــــلا
أو ارتدتُّها فوجدت الجــواب | لديها — وإن أسعفت — مستحيلا
نواصلْ مســيرتنا — ان أردتِ — | وإن عدت سجنا . وعدتُ النزيلا

دكتور محمد عبده غانم

فى مسرحيات
ألمع كتاب السويد
فى القرن العشرين

بقلم : الدكتور انيس فهمى

■ اوجست سترندبرج هو ألمع كتاب السويد جميعا واكبرهم اثرا فى الادب العالمى فى القرن العشرين • وقد بلغ انتاجه حوالى ستين نتاجا ، عالج فيها مختلف انواع التعبير الادبى ، فقد كتب القصيدة الشعريـة والقصة والمسرحية والمقـال والاعترافات الذاتية • وكان فى كل كتاباته واضحا ومعبرا عن دقائق حياته الشخصية ، ومرآة تعكس خلقه وطبعه ومزاجه ، وسجلا رائعا لعبقريته وجنونه ايضا •

ولد سترندبرج بمدينة ستوكهولم فى عـام ١٨٤٩ لأب ينحدر من اسرة ارستوقراطية يعمل وكيلا لاحدى شركات السفن • اما امه فكانت خادمة تزوجها ابوه قبل مولد ابنه هذا باربعة شهور • ولم تكن طفولته سعيدة فقد افلس والده وانجبت امه احد عشر طفلا غيره ، فتربى فى احضان الفقر والجوع والحرمان •

وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره فجع بوفاة والدته ، وفى نفس العام تزوج ابوه من مديرة منزله فسامته زوجة ابيه هذه الوانا من العـذاب لم تبرح ذكراته مطلقا •

ميول عدوانية ضد كل الانظمة

لهذه الأسباب نشات عند اوجست ميول عدوانية ضد كل الانظمة مما جعل حياته فى المدرسة والجامعة جحيما متصلا • ولم يمكث فى الجامعة الا فصلا دراسيا واحدا ، ثم تركها وانطلق يجرب مختلف المهن ، فاشتغل بالتدريس والصحافة ، ثم عمل ممثلا ، ولكنه كان يؤدى ادوارا تافهة • وعندما اجابته ادارة الفرقة الى رغبته بان اسندت اليه دورا كبيرا فشل فى ادائه فشلا ذريعا دفعه الـى محاولة الانتحار •

تزوج ٣ مرات انتهت بالطلاق

وتزوج سترندبرج ثلاث مرات انتهت كلها بالطلاق ، وكانت حياته فى مجملها عذابا فـى عذاب ، وحتى لحظات السعادة التى كان يختلسها من الحياة اختلاسا عندما مايقع فى حب جديد سرعان ماكانت تنقلب الى سلسلة طويلة من العذاب والالم الذى انتهى به اكثر من مرة الـى دخول مصحة عقلية ليعالج من جنون الاضطهاد • ويقول سترندبرج عن حياته : « ان العالم كله تامر على اضطهادى والتنكيل بى • وقد تولدت لدى الرغبة فى الكتابة لكى اعبر عن نفسى بعد ان شعرت باليأس التام من امكان التوافق بينى وبين مجتمع اعتقد انه وجد لكى يتفنن فـى تعذيبى ! »

رأيه في المرأة والجنس

ان الغالبية العظمى من كتابات ستريندبرج تدور حول المرأة والجنس .

وهو ينظر الى الحب أو الجنس على انه شيء مرعب رهيب ، ويعتقد ان الحب نوع من العبودية لقوة تقتنص الرجال بعنف دون شفقة او رحمة لتولد فيهم الحقد والكراهية والبغضاء.وستريندبرج يكتب عن الحب بمفهوم عقلى هو وليد تجاربه الخاصة ، وهو يرهب الجنس ويكره تسلطه على الرجال ولذلك يضع عداوته له اساسا لفلسفته العامة فى الحياة .

وقد عبر ستريندبرج عن فلسفته باختصاروووضوح فى مسرحيته الخيالية « مسرحية الحلم » التى يعلن فيها عن تفسيره لمصدر الشر فى الحياة .

ففى هذه المسرحية يعرض لنا محاورة افلاطونية يفترض فيها ان حياتنا الارضية ليست الاصورة ممسوخة من شيء روحى . وهو يعتقد انه حدث تحول فى الروح التى هبطت فاصبحت مادة ، ولذلك فان حياتنا على هذه الارض نسخة تالفة ، وصورة مشوهة من الحياة الروحية وليست هذه الدنيا الا نوعا من الجحيم . ولكن كيف حدث هذا الهبوط ؟

يقول ستريندبرج ان القوة الروحية (براهما) سيطرت عليها المادة (مايا) ، ولكى تستمر الحياة تزاوجت الروح والمادة (براهما ومايا) فاقترنت الفكرة السامية بالحس المادى . وعندما وقعت السماء بهذه الطريقة فى الخطيئة ، ولدت دنيا من الاشباح .

ان مخلوقات هذه الدنيا تصارع وتكافح لتخلص نفسها من المادة ، ونتيجة لهذا الصراع فهى تتعذب ، ومع ذلك فهى تجرى وراء اللذة ، وهكذا اصبحت حياتنا صراعا مستمرا أبديا بين اللذة والالم .

ولما كان عنصر المرأة هو الذى جلب للكون الخطيئة والموت بتسلطه على الروح كان من الطبيعى ان نجد عنصر المرأة فى المجتمع متسلحا بأسلحة الاغراء ليغزو حالة السلم والفضيلة التى يعيش فيها الرجال . وباختصار يعتقد ستريندبرج أن المرأة هى أصل الشر ومصدره باعتبارها الوسيلة الاساسية للحب . ومعنى الحب عنده ان يخضع الانسان نفسه لقوة مدمرة تعذبه ، بجذبها اياه تارة وابعاده عنها تارة اخرى ، اما دور المرأة فينحصر فى ابهار الرجل بجمالها لكى تحطمه فى النهاية . والمرأة اكثر عنصرية من الرجل،واقل منه حذرا ، ومن ثم فهى اشد خطورة.

ولما كان قانون المادة ينص على ان الصراع بين الاضداد هو الذى يولد الطاقة كما تتولد قوة البخار من اجتماع الماء والنار ، فان الصراع بين الرجل والمرأة سيستمر طالما كانت هناك حياة .

عداوته للمرأة نشأت من تجاربه المرة فى الحياة

ان عداوة ستريندبرج للمرأة ، ولو انه أسندها الى اسس العقل والمنطق ، الا أنها فى حقيقة الامر تنبع من تكوينه المزاجى . وقد حاول بعض المفسرين ان يرجعوها الى تجاربه الخاصة المريرة فى الزواج ، هذا بالاضافة الى انه كان ابنا غير شرعى وطفلا غير سعيد فى منزل ابويه ، وزوجا فاشلا تزوج ثلاث مرات انتهت كلها بالطلاق . وقد اتهم كل زوجة من زوجاته بانها تريد الازدهار والنمو على حسابه الخاص ، وكل منهن ولدت فيه حقدا نابعا من العاطفة الجامحة . وقد عانى الكثير من التعاسة والشقاء لدرجة اعتقد معها ان موقفه الخاص الذى يعانيه انما ينطبق على الرجال أجمعين .

كان يستجيب لنداء الجنس ويرهبه معا

ومن الملاحظ ان حساسية ستريندبرج للجنس كانت مرهفة اكثر من اللازم ، اذ كان يستجيب لنداء الجنس بسرعة تفوق غيره من الرجال ولذلك فان حبه للمرأة وكراهيته لها كانا يتصفان دائما بالقوة والعنف ، وبالاضافة الى ذلك فانه كان يخاف منها أشد الخوف . وكان يكشف فى النساء اللواتى يقابلهن قوة خطيرة تشعره باللذة والخوف فى الوقت نفسه .

وبقدر ما كان ينجذب نحو النساء بقوة وسرعة،فانه كان يهرب منهن بنفس القوة والسرعة بعد ان يحمل فى قلبه الحقد والبغضاء لهن ، كما أن الخوف الذى كان يحسه نحو النساء اللواتى

عرفهن دفعه لان ينعت جنس النساء كله بانـه جنس مرعب مخيف •

مسرحية الاب

وتظهر ثورة سترندبرج على اشدها ضد طغيان المرأة والحب والجنس فى اعماله المسرحية • ففـى « الاب » يصور ضابطا من الفرسان ظل طوال عشرين عاما ، يحارب ضد زوجته فى معركة الجنس، وقد كان من الممكن ان ينفصلا لولا ان طفلتهما كانت تشدهما برباط لا ينفصم • ويختلف الزوجان على طريقة تعليم ابنتهما ، فالام لورا تريد ان تحتفظ بابنتها برتا الى جوارها فى المنزل لتوجهها نحـو دراسة الفن ، فى حين ان الاب ادولف يريد ان يلحقها بمدرسة داخلية فى المدينة بعيدا عن المنزل لتتلقى تعليما يؤهلها للاشتغال بالتدريس فيما بعد •

وعندما ينادى الاب بحقه فى توجيه ابنته الوجهة التى يريدها ، تلمح له الام فى تحد بان برتـا ليست ابنته •

وهكذا اوجدت لورا زوجها فى حالة ازمة خطيرة بعد ان وسوست له بانه ليس والد برتا ، ثم اخذت تجمع الادلة على سلوك زوجها الجنونى بمساعدة الطبيب الذى احضرته ليراقب زوجها حتى استقر رأى افراد الاسرة جميعا على ارسال الزوج المسكين الى مستشفى الامراض العقلية • وفى هذا المقام تقول لورا لزوجها ادولف : الآن وقد اتممت مهام وظيفتك كوالد وكاسب قوت ، اصبحت فى غنى عنك وليست بى حاجة اليك •• ولذلك يجب ان ترحل • ولا يتمالك الضابط ازاء مؤامرة زوجته ضده الا ان يثور فيقذفها بمصباح مضيء •

وتتخذ زوجته من حادثة قذفها بالمصباح دليلا على اصابته بالجنون •

وفى الفصل الثالث والاخير نرى الضابط وقد ازدادت فكرة عدم ابوته لبرتا تسلطا عليه ، وتتحايل مربيته عليه فتلبسه ثوب المجانين • ويدرك الضابط اخيرا ان زوجته قد تغلبت عليه فى معركة الجنس فلا يملك الا ان يلعن جنس النساء عموما : يلعن والدته التى انجبته وادخلته الى العالم بدون رضاه ويلعن اخته التى سيطرت عليه فى طفولته، ويلعن المرأة الاولى التى عاشرها فاصابته بمرض خبيث ظل يعانى منه عشر سنوات ، ويلعن ابنته التى فضلت امها عليه ، ويلعن زوجته التى ناصبته العداء منذ يوم زواجها به ، والتى لن تتركه حتى يسقط صريعا • وما ان يفرغ الضابط من صب لعناته حتى يحتقن غضبا ويلفظ انفاسه الاخيرة ، بينما تضم زوجته ابنتها الى صدرها قائلة فى زهو وانتصار : ابنتى •• ابنتى وحدى !

وقد قصد سترندبرج ان نرى فى هذه الزوجة امرأة مصاصة للدماء تحب السلطة والتملك الى حد الهوس ، وهل هناك افظع من زوجة تقول لزوجها : « الحب معركة بين الجنسين ••• لاتتصور اننى وهبتك نفسى ••• انا لم اهبك شيئا بل اخذت ••• كل ماكنت اريده » •

اما الزوج المسكين فيقول : « ان العداء بين الرجل والمرأة يشبه العداء العنصرى • ولو كان صحيحا ما يقال من انهما تسلسلا من القردة فلا شك انهما ينتميان الى فصيلتين مختلفتين » •

مسرحية «الدائنون»

ويؤكد سترندبرج ان الرجل والمرأة لا ينتهيان من صراعهما الجنسى حـتى بـعد الطلاق والـزواج ثانية • وفى الحالة الاخيرة توجه كراهية الزوج لا الى زوجته الاولى فحسب بل ايضا الى الرجل الذى اخذ مكانه عندها • وينادى سترندبرج برأيه الخطير هذا فى مسرحية « الدائنون » وهى مسرحية من فصل واحد تصور لنا « تكلا » التى تزوجـت مرة ثانية بعد ان طلقت من زوجها الاول ، وهى امرأة افعى انهكت زوجيها الاثنين جسديا وعقليا ، وكان زوجها الاول جوستاف مدرسا نشرت عنه كتابا فاضحا فجعلته سخرية للناس ، اما زوجها الثانـى « ادولف » فكـان رساما حرمتـه مـــن اصدقائه وجردته من آرائه وسلبته ارادته وقضت على ملكاته الفنية •

وفـى بدايـة المسرحية يحضر الزوج الاول لينتقم من زوجته باظهار حقيقتها الشريرة لزوجها الاخر ، وفى نفس الوقت ليشفى غليله وغيرته من الرجل الثانى بالقضاء عليه عن طريق التنويم المغناطيسى •

ويستسلم الزوج الثاني للاول على الرغم من رؤية زوجته الخائنة وهي تندفع الى احضان زوجها الاول الذي لم يقصد الا اذلالها • ويدفعها الزوج الاول بعيدا عنه وهو يقول لها ساخرا : « لقد عدت لاسترجع ما سرقته مني •• لقد سرقت شرفي الذي لا استطيع استعادته الا بوسيلة واحدة •• بسرقة شرفك » • ويامرها بان تصفي حسابها مع الرجل الآخر ادولف الذي يدخل في هذه اللحظة مترنحا خائر القوى وقد اصابته نوبة من نوبات الصرع• وبينما يلفظ ادولف انفاسه الاخيرة تجثو تكلا امامه متضرعة اليه ان يغفر لها ، اما جوستاف فيعقب على ذلك الموقف في لذة شيطانية « في الحقيقة لقد احبته هو ايضا ياللمسكين ! »

ان سترندبرج في هذه المسرحية يؤكد ان طبيعة المراة تحتم بان يكون الرجل دائنا لها ، ومع ذلك فان الرجل القوى وحده هو الذي يستطيع ان يستخلص دينه منها • ويمكن ان ينطبق عنوان المسرحية على اى واحد من الرجلين•لقد استخلص الرجل القوى جوستاف دينه من تكلا • اما ادولف اضعف الرجلين فلا يملك سوى النحيب •

مسرحية مس جوليا

ان المراة بالنسبة لسترندبرج هي القطب الموجب في الحب ، ولكن الحب ، باعتباره قوة كونية كبرى، اقوى من الافراد الذين يستعملهم ادوات له • وهذا هو نفس راى برنارد شو الذي يعبر عنه بطريقته الهزلية التي تفرد بها • ولكن شو وستربدنرج يختلفان في تفاصيل نظرتهما الى الحب ، فبينما ينظر شو الى الحبنظرة متفائلة ويعتبره تعبيرا عن قوة الحياةالتي تكافحدائما لتنتجافرادا يقتربونمن الكمال اكثر فاكثر ، اذ بسترندبرج ينظر الى الحب نظرة متشائمة ويعتبر غريزة بهيمية تعد باللذات التي يتلوها بعد ذلك العذاب ، وتدمر بقدر ما تخلق ، وتفتك بالطبقات العليا والدنيا على حد سواء •

ويبرز سترندبرج هذه الافكار في صورة نارية رهيبة وذلك في مسرحية « مس جوليا » التي كتبها في ثلاثة فصول في عام ١٨٨٨ ولكنه اختصرها في عام ١٩٠٢ الى فصل واحد فقط •

وبطلة هذه المسرحية فتاة ارستوقراطية انشاها والدها على ان تفعل كل ما يفعله الشبان حتى تثبت ان المراة ليست اقل مقدرة او كفاءة من الرجل ، فكانت جوليا ترتدى في صغرها ملابس الاولاد • كما تعلمت ركوب الخيل • لقد نشات تحتقر جنسها وهكذا اصبحت نصف امراة ونصف رجل•وكانت جوليا مخطوبة لرجل ذى مركز مرموق، ولكنه اضطر الى فسخ الخطبة لانها كانت تجعله يقفز فوق سوطها كما لو كانت تدرب كلبا على القفز ، وكانت تلسعه بسوطها كلما اخفق في القفز • ولم يستطع الخطيب احتمال هذه الاهانة فانتزع السوط من يدها وحطمه ثم تركها ورحل •

وكانت جوليا رومانسية الطبع لدرجة انها كانت تعتقد انها لو حطمت الحواجز الموجودة بين طبقتها الارستوقراطية وبين الطبقات الاخرى ، وخاصة طبقة الخدم وسياس الخيل لامكنها انتتخلص من الملل والضيق الناشئين من الحياة الرتيبة التي تحياها كفتاة تنتمي الى الطبقة العليا منالمجتمع• وفي ليلة عيد القديس يوحنا تغازل الخادم جان في المطبخفيحذرها الخادممن مغبة اللعب بالنار،ولكن ما ان يدخل بعض الفلاحين الذين يحتفلون بالعيد وهم يشربون ويغنون ، حتى ينتهز الخادم هذه الفرصة فيحمل جوليا على الذهاب معه الى غرفته حيث يمارسان الحب معا •

وبعد ان ينصرف الفلاحون ، يدخل جان وجوليا الى المطبخ قادمين من غرفة جان ويظهر لنا في الحال ان الموقف بينهما قد انقلب ، فقد اصبح جان هو السيد ، وجوليا خادمته وعبدته بعد ان استسلمت له في معركة الجنس • ويقترح جان ان يهربا معا الى سويسرا حيث ينشئان فندقا يشرف هو على ادارته وتشرف هي على راحة الزبائن فتنصت اليه وهي مشدوهة • وتتوسل جوليا اليه ان يؤكد لها حبه ولكنه لا يجيبها الى طلبها بل يامرها بان تسرق نقود ابيها دون ابطاء، وعندما تطلب اليه ان تاخذ معها عصفورها يرفض، ثم يتطوع بعد ذلك بقتل العصفور دون ان يبدى ذرة واحدة من الشفقة • واخيرا يصمم جان على تركها دون معين ، وعندما تتوسل اليه الا يتركها، يضع في يدها موس كان يحلق بها ذقنه ويوحي اليها بنظرات عينيه وايماءاته ان تستخدمه •

وفعلا تطيعه جوليا حيث تذهب الى الاسطبل وهناك تقطع حلقها بالموس وتموت •

وفي هذه المسرحية ، تنهزم المراة ، ولكن جوليا بالرغم من هزيمتها تظل محتفظة بخصائص بطلات سترندبرج ، فامها كما تنبئنا جوليا نفسها ،كانت راجحة العقل وكانت من انصار مساواة المراة بالرجل ولذلك فقد عودت جوليا لتقوم بعمل الرجل وتلبس ملابس الرجال • ومن هذه الام المتحررة التى ثبت انها خانت زوجها ، رضعت جوليا لبن الحقد على الرجال • وكان هذا الحقد رائدها دائما الا في اللحظات التى تتغلب عليها رغبة الجنس• ولذلك فان الشهوة وحدها كانت هي سبب التصاقها بجان بينما كان عقلها وتفكيرها يدفعانها بعيدا عن طريقه •

ان تاكيد الذات ، والتشاؤم ، والثورة على الجنس هي النغمات الثلاث التى لا يكف سترندبرج عن الضرب عليها لتخرج منها اصوات متنافرة شاذة ، فالشخصيات المحببة اليه اما انانيون أو ضحايا الانانية ، والمشاهد الحبيبة الى نفسه هي التى تعرض خداع الحياة •

وهذه الافكار نفسها يرددها ايضا في مسرحية « الى دمشق » حيث يقول البطل لزوجته : «نحن نحب • نعم ، ونحن نكره • نكره بعضنا بعضا لاننا نحب بعضنا بعضا • يكره كل منا الآخر لاننا مرتبطان معا • نحن نكره الرباط ونكره الحب ، ونكره أحب ما لدينا لانه ايضا أمر ماعندنا• اننا نكره أحسن الاشياء التى تمنحنا اياها الحياة•»

يالسترندبرج المسكين ! انه يتعطش الى الحب ولكنه يعض أصابعه من الحقد • تتصارع في صدره قوى رهيبة ثائرة فيئن منها ويتوجع قائلا«ان حقدى اقوى من حبى ، حارق كالشمس وليست له حدود ! »

■■

دكتور انيس فهمي

٥٣٠ الف مليون دولار

الايرادات السنوية للدول العربية النفطية

معدل الزيادة فى الدخل يصل الى ٣٢٣٪

● سمعنا عن الزيادة الكبيرة فى ايرادات دول النفط ·· ولكن ليس لدينا فكرة واضحة عن مقدار هذه الزيادة · فهل يمكنكم توضيح ذلك فى ايرادات النفط بالنسبة لدولة الكويت ، وبعض الدول العربية الاخرى ·· ام ان هذه الارقام تعتبر من اسرار الدولة ؟

محمد ناجى ـ اليمن

ـ لا توجد اسرار او ارقام سرية فى ميزانية دولة الكويت التى تضعها الحكومة ويقرها مجلس الامة الكويتى بعد مناقشات علنية طويلة ، كما يقوم بنك الكويت المركزى بنشر الكثير من التحاليل والاحصائيات المالية والاقتصادية فى تقريره القيم الذى ينشره مرة كل عام ·· وتوضح آخر احصائية مالية ان ايرادات الكويت من النفط خلال العام المالى ١٩٧٥/٧٤ بلغت ٢٣٨٢ مليون دينار كويتى ·

والسبب فى هذه الزيادة ، التى بلغت اكثر من ٣ اضعاف ، هو ارتفاع اسعار النفط فى اكتوبر ١٩٧٣ ويناير ١٩٧٤ الى جانب تطبيق اتفاقية المشاركة التى ادت الى امتلاك الحكومة ٦٠٪ من الشركات المنتجة للنفط محليا ··

والاحصائية التالية توضح تطور ايرادات الكويت من النفط خلال السنوات العشر الماضية ، وهى مقدرة بملايين الدنانير الكويتية :

السنة	الايرادات
١٩٦٦/٦٥	٢٢٥
١٩٦٧/٦٦	٢٣٢
١٩٦٨/٦٧	٢٦٣
١٩٦٩/٦٨	٢٤٣
١٩٧٠/٦٩	٢٨٠
١٩٧١/٧٠	٣٢١
١٩٧٢/٧١	٥٠١
١٩٧٣/٧٢	٥٣٢
١٩٧٤/٧٣	٥٧٧
١٩٧٥/٧٤	٢٣٨٢

سميراميس ملكة آشور

● نجد اسم « سمير اميس » يطلق على بعض الفنادق ، والمسارح ، ودور السينما ، والحدائق العامة ، واماكن النزهة ، فما اصل هذا الاسم ، ومن سمير اميس ، او ماهو ؟

عبد الله القويرى ـ طرابلس ـ ليبيا

ـ سمير اميس Semiramis ملكة آشورية (آثورية) ، كما انها من اوسع ملكات العالم القديم شهرة واثرا ، كانت عاصمتها مدينة نينوى Niniueh العظيمة ، التى تقع اطلالها اليوم بجانب مدينة «الموصل» فى شمال العراق والتى كانت عاصمة الدولة ، او الدول الآشورية ، منذ بدء قيامها فى نحو القرن ١٨ ق·م ، حتى سقوطها نهائيا سنة ٦١٢ ق·م · وقد غلفت الاساطير تاريخ سمير اميس ، حتى ظن انها شخصية اسطورية ، ولكن الدراسات الحديثة اثبتت انها

ويستفاد من مشروع ميزانية السنة الجديدة ١٩٧٦/٧٥ بان ايرادات الكويت من النفط ستهبط الى ١٦٨٧ مليون دينار ، اى بانخفاض نسبته ٣٠٪ عن ايرادات عام ١٩٧٥/٧٤ ويرجع سر هذا الانخفاض الى تحفظ وزارة المالية الكويتية فى تقديراتها لايرادات السنة المالية القادمة ، تحسبا لاى حدث طارىء من شانه ان يخل باجمالى الايرادات • الا ان اجتماع دول منظمة الاوبك فى شهر سبتمبر الماضى ١٩٧٥ رفع اسعار النفط بمقدار ١٠ بالمائة •• وهذه الزيادة الجديدة ستزيد من ايرادات الكويت بمقدار ٧٥٠ الى ٨٠٠ مليون دولار ، اى نحو ٢٥٠ مليون دينار كويتى !

(س• ز)

ويوضح الجدول المنشور تحت هذا الكلام ،مقدار ونسب زيادة ايرادات دول منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط مقدرة بملايين الدولارات :

الدولة	السنة ١٩٧٣	السنة ١٩٧٤	نسبة التغير ٧٣ عن ٧٤
المملكة العربية السعودية	٤٣٤٠	٢٢٥٧٣	٪٤٢٠ر١
دولة الكويت	٢٠٢٧	٨٨٠٠	٣٣٤ر٢
الجمهورية العربية الليبية	٢٢٠٠	٤٩٠١	١٢٢ر٨
الجمهورية العراقية	١٥٠٠	٦٨٠٠	٣٥٣ر٣
جمهورية الجزائر الديمقراطية	١٠٠٠	٤١٠٠	٣١٠ر٠
دولة الامارات العربية	٩٠٠	٤١٠٠	٣٥٥ر٥
دولة قطر	٣٧٥	١٦٠٠	٣٢٧ر٠
جمهورية مصر العربية	–	٨٥	–
الجمهورية العربية السورية	١٤١	–	–
دولة البحرين	٤١	–	١٠٧ر٣
المجموع	١٢٥٢٤	٥٢٩٩٥٩	٪٣٢٢ر٩

شخصية تاريخية ، وان لم تكشف كل تاريخها منزها عن الاساطير التى تحدثت بها فى امرها الكتب اليونانية والرومانية القديمة ، لكن رواياتها لا تخلو من حقائق تاريخية ثابتة ، نسجت حولها تلك الاساطير •

ومما تذكره تلك الروايات انها كانت متزوجة من القائد انس Onnis احد قواد الملك الاشورى نينس Ninus ، الذى بنى مدينة نينوى ، وسماها باسمه ، وانها كانت تصحب زوجها القائد فيما خاض من معارك ، وكانت تشترك بنفسها فى القتال ، وتنجح احيانا حيث يفشل القواد ، وهذا ما دعا الملك الى زواجها بعد انتحار زوجها ، وقد انجبت للملك ابنهما نينياس Nnyas ، فلما مات الملك بعد حكم دام ٥٢ سنة اقامت له قبرا ضخما ، وصنعت له تمثالا ذهبيا فخما ، وقد انفردت بعده بالحكم لصغر سن ابنهما ، وكانت امبراطوريتها تضم مابين النهرين : دجلةوالفرات (العراق) وغربى آسيا (سورية او الشام) وايران ، وامتد نفوذها الى مصر وليبيا ، ونجحت

في كل حروبها الا في الهند ، فقد اجتاحت قسما كبيرا منها حتى عبرت نهر الهندوس ، ثم خسرت معظم جيشها واصابتها جراح كثيرة ، فاضطرت الى الانسحاب ، ودام حكمها ٤٢ سنة •

وقد طوفت كثيرا في انحاء هذه الامبراطورية ، تبني مدنا ، وتجدد اخرى (ومنها «بابل») ، وتشق الطرق الطويلة حتى خلال الجبال الوعرة الموحشة ، لتسهيل سير الجيوش ، وقوافل التجارة، وتقيم المعابد والشواهد التذكارية الرائعة ، حتى نسب اليها كثير من الآثار المجهولة الاصل في آسيا الغربية وفيما بين النهرين وايران •

وجاءت الكشوف الآثارية في الشرق الاوسط ، اوائل القرن العشرين ، فاثبتت انها كانت شخصية ملكية ، اذ وجد تمثال لها وعلى رأسه حمامة في احد المعابد التي اسستها ، كما تبين ان اسمها او لقبها الملكي الآشوري هو « سموررامات » Summoramat ، بمعنى سيدة البلاط وقد حرف في اليونانية فصار « سمير اميس » ويرجع انها كانت بابلية الاصل ، لانها فرضت شعائر ديانة بابل على الآشوريين ، والبابليون اقدم وارقى حضارة ، كما اكتشف في سنة ١٩٠٩ م عمود تصف نقوشه سميراميس بانها « سيدة قصر شمسي هدد Samsi Adad وملكة العالم وملكة آشور وملكة اركان العالم الاربعة » واكتشف ان نينس كان ابنها ، وهذا العمود الخاص بها يبين ما كان لها من مكانة عالية في المنطقة خلال عهود متوالية ، وذكر انها اعلنت الحرب على بابل (جنوبي العراق) وميديا (شمالي ايران) وقد ذكرتها الآثار الميدية بالتعظيم وكان حكمها حوالي مطلع القرن ٨ ق•م •

وظهر ان اسمها يرتبط في اشتقاقه بالكلمة الآشورية سمات Summat — اي الحمامة — وهو الاصل في رمز الحمامة الذي وجد على تمثالها ، والاصل ايضا فيما نسبته لها الاساطير من انها بعد موتها تحولت حمامة ، وطارت من القصر مع سرب من الحمام ، فصارت خالدة ، والآشوريون يقدسون الحمام ، كما ظهر ان ذلك الاسم الآشوري كان السبب في الربط بينها وبين حمائم عشتار الهة الحب والجمال والامومة عند الآشوريين وعند اخوانهم من الامم السامية ، فالحمامة عندهم رمز الالفة الزوجية والوفاء والحنان والسلام في شرقنا ، وقد نقلت ذلك عنه الامم الاوروبية قديما ، بل هي رمز السلام حتى الآن ، وكم للشرق الاوسط على الغرب من ديون في دياناته وحضاراته•

(م•خ•ت)

نظام الشرطة ، ومتى ظهر في التاريخ ؟

● رجل الشرطة الذي نراه في كل ساعة من ساعات النهار والليل ، ساهرا يؤدي واجبه في خدمة الشعب وامنه وسلامته ، متى عرفته المجتمعات لاول مرة • هل لكم ان تقدموا لنا نبذة عن تاريخ الشرطة •

صالح محمد / الكويت

— كانت الدولة المصرية القديمة اول من استخدم نظام الحراسة ، فقد عرف هذا النظام في بداية الامر في العصور الفرعونية ، وكانت مهمة القائمين عليه تنحصر في حماية الملك ، كما انشأوا وحدات لحراسة مقابرهم من السرقة ، وانشأوا السجون وكان يتولى امرها كبير الكهنة •

ويقول العميد عبد الحميد حجي عبد الرحيم مدير كلية الشرطة في الكويت ، والنقيب ياسر

مصطفى الرماوى فى مقدمة كتابهما « نظام الشرطة » :

« ظهرت الحاجة الى جهاز لحماية الامن والنظام اول ما ظهرت فى المجتمعات القبلية الاولى ، عندما احس الانسان بعجزه عن مواجهة الحياة بمفرده ، فما كان منه الا انه بدأ يتجه الى الحياة الجماعية حيث يحتمى بحياة المجموعة التى ينتمى اليها • وفى هذه المجموعة ظهرت شرطة القبيلة ، وهى الصورة البدائية لنظام الشرطة وكان زعيم القبيلة او الجماعة هو الذى يختار بنفسه الرجال الذين يثق فيهم ويسند اليهم مهمة حماية افراد قبيلته وردع الخارجين عليها •

« ولما اتسع المجتمع واختير له الحكام واسندت اليهم مقاليد الحكم ، اخذوا فى تكوين هيئات اسندوا لأفرادها هذه السلطة ، غير ان اختصاصات الشرطة فى العصور القديمة لم تكن واضحة ومحددة • فكانت تختلط بغيرها من الاختصاصات القضائية او الحربية •

« اما مهمة الشرطة على النحو المعروف حاليا ، فقد تحددت فى عهد الاغريق عندما عهدت الدولة فى ذلك العهد البعيد ، الى فئة خاصة من الرجال بمهمة المحافظة على الامن والنظام فى المدن ، ولعل هذا هو مصدر تسميتها « بالبوليس » ، ومعناها باللغة الاغريقية « المدنية »

« ولم يكن للعرب قبل الاسلام قوانين معروفة، وكانوا يرجعون لرؤسائهم فى كل ما ينشا بينهم من خلافات ، ولما جاء الاسلام ، نظم المعاملات بين الناس ، وارشدهم الى الخير ، وكانت حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حكومة دينية ، فقد كانت احكامه وتصرفاته ليست سوى وحى من الله سبحانه وتعالى وبامر منه • واطلق على ادارة الشرطة فى عصر الرسول الكريم « صاحب العسس » ، واول من تسلم هذه المهمة هو سعد بن ابى وقاص •

« وفى عصر اول خليفة للمسلمين ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، تسلمها عبدالله بن مسعود • وانشئت اول حراسة ليلية فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد خصص لها رجالا يتناوبون فى دوريات منتظمة ، واطلق عليهم اسم « العسس » •

وكان من بين واجباتهم ، الاشراف على الاسواق ومراقبة البيع والشراء ، واطلق اسم « الشرطة » لاول مرة على هذه الهيئة فى عهد على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، الذى نصب لهم رئيسا اطلق عليه اسم « صاحب الشرطة » ووضع لهم نظاما جديدا واضاف اليهم واجبات اخرى • وقد اختارهم جميعا من ذوى الاخلاق والكفاية ومن الذين عرفوا بالتقوى والصلاح » •

(م • ن)

مورس مبتكر شفرة التلغراف
هو نفسه مخترع جهاز التلغراف فى أمريكا

● نعرف ان شفرة مورس هى تلك الرموز والاشارات التى ترسل بها البرقيات تلغرافيا من بلد الى آخر ولكننا لا نعرف من هو واضع هذه الرموز ولا كيف اهتدى اليها •• (ومتى كان هذا وذلك) •••

– / –

– صمويل مورس Samuel. F. B Morse هو واضع رموز مورس ومبتكرها • وعلى اهمية هذا الابتكار الذى اشتهر به مورس فان للرجل اختراعا آخر اهم واخطر •• ذلك هو اختراع التلغراف، وهو الذى اقتضى من المخترع مورس ابتكار الرموز التى من شانها ان تسهل استعمال الجهاز الجديد وتساعد على انتشاره • ويجدر التنبيه هنا الى ان مورس هو مخترع التلغراف فى امريكا •• لا فى اوروبا •• فقد كان لهذا الجهاز فى اوروبا قصة اخرى ومخترعون آخرون ••

ثم ان مورس اشتهر لسبب آخر غير اختراع التلغراف واختراع الشفرة •• فقد كان فنانا واحتل المكانة الاولى بين فنانى زمانه فى امريكا من حيث رسم الوجوه ••

ولد في مدينة شارلزتون في ولاية مساتشوستس سنة ١٧٩١ ٠ ولم يظهر اي تفوق في دراسته التى اكملها في جامعة ييل ٠ ولئن عرفت عنه الموهبة الفنية وهواية الرسم منذ البدء فانه لم يعرف عنه اى موهبة علمية او رياضية ٠ وقد يستثنى من ذلك اقباله على مجموعة من المحاضرات القيت آنذاك في موضــوع الكهربــاء ، وكان موضوعا جديدا في تلك الايام ٠ وقد حضر صمويل تلك المحاضرات بشغف ٠

أما العمل الذى مارسه مورس بعد تخرجــه سنــة ١٨١٠ فكان بعيــدا عن الفــن واختــراع التلغراف ٠ ذلك انه التحق باحدى دور النشر في مدينة بوسطن ، حيث عمل موظفا عاديا ٠ الا انه مالبث ان ترك هذا العمــل وســافر الى بريطانيا سنة ١٨١١ وذلك لدراسة الفن على نحو من التخصص ٠ وتفرغ للعمل الفنى لــدى عودته من بريطانيا سنة ١٨١٥٠ وراح يتنقل بين الولايات بقصد الرسم وطلبــا للرزق ٠ ثم استقر في نيويورك سنة ١٨٢٥ ٠

وجاءت سنة ١٨٣٢ فسمع بالصدفة حديثا جرى بين رجلين عــن المغناطيس الكهربائــي ، وكــان اكتشافا جديدا آنذاك ٠ ولعله بــدأ فــي صنع انموذجه الاول للتلغراف ، في تلك السنة نفسها٠

وشاء حسن طالعه ان يدرس الفن في احــدى جامعات نيويورك ٠ فقد اتفق ان اهتم احد طلابه بمحاولاته لاختراع التلغراف ، واتفق ان نجح ذلك الطالب ، وكان ابن احد رجال الصناعة الاغنياء ، في اقناع ابيــه بتقديم المال اللازم الى مورس ، للمضى قدما في تطوير اختراعه ٠ وهكذا استمر المخترع حتى استكمل اختراعه فيما بين سنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٣٧ ٠ وفي تلك الاثناء شعر مورس بان لاغنى له عن شفرة او رموز تسهل المراسلات التلغرافية ٠ وفكر في الامر فوجد ان حرف E وحرف I هي اكثر ما يصادفه المرء من حروف اللغة الانجليزية ٠ لذلك رمــز للحــرف الاول بنقطــة واحدة ، ورمز للحرف الثانى بشرطــة واحدة ٠ ثم راح يرمز لسائر الحروف الاخرى بمجموعات من النقاط والشرطات تختلف عن سائر المجموعات ٠٠ وقل مثل ذلك في الاعداد ٠٠ ولا حاجة بنا ان ننشر هنا هذه الرموز التى اصبحت معروفة للكثيرين ٠

وتجدر الاشارة الى ان الكونجرس الامريكى لم يتبن اختراع مورس ويعمل على تطبيقه واستغلاله على نطاق واسع الا فى الاربعينات من القرن الماضى ٠٠ وقد ادى ذلك الى انقلاب في حياة العالم المخترع ٠٠ اذ أصبح غنيا من بعد فقر ٠

وتوفى مورس سنة ١٨٧٢ عن عمر يناهز ٨١ سنة ٠

(ي ز)

بعض الخطوط الرئيسية لاسلاك التلغراف البحرية

تصويب

● ناسف للخطأ المطبعي الذي وقع في عنوان المقال الذي نشرناه في عـدد اكتوبر/٧٥ مـن « العربي » ، اذ جاء في راس الصفحة ١٠٦ العنوان التالي :

« مقال مهدى لاجهزة الاعلام العربية ورجال الاعلام » ، والصواب هو « مقال مهدى لاجهزة الاعلام العربية ورجال التربية » ٠

لذا وجب التنويه ،،،

العربي

تفـراوت المغربيـة

● وقع بين يدى مؤخرا احد اعداد مجلة «العربي» القديمة الصادر في ابريل ١٩٧٠ ، والذى لم اطلع عليه في حينه ، وقد اسفت كثير لما جاء فيه من ان آخر مدينة في الجنوب المغربي هي مدينة «تيزنيت» بينما نسي الكاتب ان هناك مدنا اخرى ذات مساحات شاسعة ، اسقطها من خريطة المغرب ٠٠٠ فمثلا : هناك مدينة (كولمين) او « باب الصحراء »، العريقة في القدم والمشهورة برقصة الكدرة ٠٠ وكانت هذه المدينة قبلة انظار التجار الصحراويين الذين كانوا يفدون اليها من نواكشوط ، وغير ذلك من مدن كثيرة ٠

من المؤسف ان يسقط « العربي » كل هذه المساحات من خريطة المغرب ٠٠ والاكثر أسفا ان ياتي هذا الاسقاط من مجلة « كالعربي » التي تعد بحق مفخرة العرب ٠٠

محسن فرج

كولمين / المغرب

حول الثيران المهجنـة

● انا صاحب مزرعة لتربية الابقار ، وقد استرعى انتباهي الخبر المنشور في «باب انباء الطب والعلم والاختراع » في العدد (٢٠٠) مـن « العربي » ، وخلاصة الخبر ان هناك ثورا بيع بمليونين ونصف مليون دولار ، اذ باستطاعته افراز ما يقدر بنحو (٤٠٠) جرعة من السائل المنوى اسبوعيا ، وذلك على مدار السنة ٠٠

وهذا يعني ان عدد الجرعات التي يمكن الحصول عليها من هذا الثور سنويا هو :

٥٢ اسبوعا × ٤٠٠ جرعة = ٢٠٨٠٠ جرعة ،ولو افترضنا جدلا ان جميع هذه الجرعات استعملت للتلقيح الاصطناعي ، لأدت الى اخصـاب (٢٠)الف مولود سنويا فقط ، على ان نسبة من اناث الابقار تتراوح ما بين ٣٠ـ٤٠٪ لاتخصب من التلقيحة الاولى ، وتحتاج الى اعادة تلقيح ٠٠ هذا بالاضافة الى نسبة الاجهاض التي تقلل من عدد المواليد السليمة ٠

ولست ادرى كيف يقول « العربي » ان هذه الجرعات كافية بمجموعها السنوى لانجاب نحو ٣٠٠ر٠٠٠ عجل ٠٠ وحبذا لو اشرتم الى المصدر الذى استقيتم منه هذا الخبر ٠

الدكتور محمد معتصم

الدوحة ـ قطر

« العربي » :

الخبر الذى نشرناه في العدد (٢٠٠) عـن الثيران الجديدة المهجنة ، نشرته في حينه صحف ومجلات انجليزية عديدة ٠ وقد اعتمدنا فيما ذكرناه على مجلة الايكونومست البريطانية ، في عددها الصادر في ١١ يناير ١٩٧٥ (صفحة ٤٧) ،وعلى صحيفة «الصنداى تايمز» اللندنية المعروفة، في عددها الصادر في ٢٧ ابريل ١٩٧٥ ٠

ان ماتذكره عن الجرعات صحيح ٠ فالثور الواحد من هذه الثيران المهجنة يستطيع افراز ٤٠٠ جرعة اسبوعيا ، اى (٢٠٨٠٠) جرعة سنويا ولما كان لدى المستر بازولو ١٥ ثورا من هذه الثيران الجديدة كان العدد ٣٠٠ر٠٠٠ يمثل المجموع السنوى للجرعات التي تفرزها تلك الثيران الخمسة عشر كلها ، او ان شئت التساهل ، للعجول التي تنتجها ٠

ابو بكر الاصفهاني

صاحب كتاب الزهرة

وهو اول كتاب من نوعه حول معاني الغزل في الشعر العربي

بقلم : منذر شعار

■ ابو بكر الاصفهاني هو محمد بن داود بن علي ابن خلف الاصفهاني ، فقيه عالم شاعر .. ثم نستطيع ان نعده في عشاق العرب ـ مع ان عهد العشاق العرب اموى ومكانهم البوادى ـ وابو بكر هذا عباسي ،عاش ومات في القرن الثالث الهجرى، ولكنه عشق فعف ، وعانى ما كان يعانيه اولئك العشاق ، وكان من حصيلة عشقه ان الف كتابا ما مثله في الكتب ، وهو كتاب (الزهرة) في الحب ومعاني الغزل التي حومت عليها قوافي الشعراء في الادب العربي منذ الجاهلية حتى عصره .

ابوه

وابو بكر الاصفهاني هو ابن داود الظاهرى ، الفقيه المجتهد الذى ينسب اليه مذهب اهل الظاهر وهم الذين ياخذون بظاهر الكتاب والسنة ، ويُعرضون عن تاويل ورأى وقياس ، وكان داود اولَ من جهر بهذا الراى وكان على علم ، زاهدا متقللا ، كثير الورع ، وانتهت اليه رياسة العلم ببغداد ، قال ابن خلكان « كان يحضر مجلسه كل يوم اربعمائة طيلسان اخضر » وكان من عقلاء الناس ، حتى ان « ثعلبا » قال فيه : « كان عقل داود اكبر من علمه » . وله تصانيف كثيرة ، عددها صاحب الفهرست في زهاء صحيفتين . ومن اقواله : «خير الكلام ما دخل الأذُنَ بغير إذْنٍ». فهو اول من جانس هذا الجناس اللطيف ، ويشتم من كلامه الادب محضا ، ونسق في التعبير لعله البشرى بابن له اديب شاعر ظريف مبين .

وقيل في داود الظاهرى انه اصفهاني الاصل ، من بليدة قرب اصفهان تدعى (قاشان) ـ وهي التي تنسب اليها هذه الطنافس القاشانية ـ وقيل بل هو عراقي وامه الاصفهانية ، وايا كان فمولده في الكوفة ، ومنشؤه وشهرته ببغداد ، وفيها توفي سنة سبعين ومائتين للهجرة .

مدرج ابي بكر طفلا

ولد ابو بكر سنة خمس وخمسين ومائتين (اى في السنة التي توفي فيها الجاحظ) ونشا في كنف ابيه محببا اليه ، اثيرا جدا لديه ، وكان ابو بكر نحيفا ، وفي لونه صفرة .

نشاته العلمية

وقد نشاه ابوهُ على مذهبه ، وخرجـه في

مدرسته ، فلما اينع فشت له في بغداد شهرةٌ علم وادب ، ونبغ ، ووقع منه الناس على عقل راجح وادب جم ، يقول المسعودي في حقه : « وكان ممن علا في رتبة الادب ، وتصرف في بحار اللغة ، وتفنن في موارد المذاهب ، واشفى على اغراض المطالب ، وكان مقدّما في الفقه منفردا، وواحدا فيه فريدا ».

وبعد ان توفي ابوه تصدر للاشتغال والفتوى ، وجلس مكان ابيـه في حلقتـه ، وعمره اذذاك خمس عشرة سنة ، فتعجب الناس ، واستصغره اكثرهم ، وارادوا اختباره ، فدسوا اليه رجلا فقالوا : « اذا جلس فاته واساله عن حد السكر، ومتى يكون الانسان سكران » ، فلما أتاه الرجل – والمجلس حاشد – فقال : يا ابا بكر اخبرني متى يكون الانسان سكران ؟ اجابه ابو بكر من فوره فقال : « اذا عزبت عنه الهموم ، وباح بسره المكتوم » . فاستحسن ذلك منه ، وعلم موضعه من العلم ، وشرح جوابه من عقله وتمكنه وادبـه ما اراد مختبروه ، ولعمري .. ان ما قاله لحد دقيق وفصل لطيف بين الصاحي وبين السكران ، في بيان موجز وسجع مرسل ، فكلامه كما قال ابوه قبلا : يدخل الاذنَ بغير اذن .

ولم يكن ابو بكر اول من استصغر للعلم ، ثم كبر عند مستصغريه ، ولكن اخبار الادب والعلم وافرة في اناس اذكياء ، نجموا كواكب في مجتمعهم واقوامهم وهم صغار ، نذكر منهم اياس ابن معاوية ، ويحيى بن اكثم قاضي المامون الذى لما ولى قضاء البصرة وهو ابن ثماني عشرة سنة، قال المامون : كم « سنك ؟؟ » فقال يحيى دون تلكؤ : « كعتّاب بن اَسيْد حين اقره النبي صلى الله عليه وسلم على مكة»فاعجب بهوبجوابه المامون ، ثم علا عنده علوا . وعتاب بن اسيد من مُسلِمة الفتح ، امّره النبي – صلى الله عليه وسلم – على مكة ، حين خرج الى حنين والطائف وله يومئذ عشرون سنة .

وكان ابو بكر ممن تنبه الى ما يقوله الحسين ابن منصور الحلاج في ذلك الوقت ، وافتى بكفره ، ونعد به ، ولكنه توفى قبله ، فلم يعش الى سنة تسع وثلثمائة ليراه مقتولا مصلوبا .

مجالسه العلمية

ذكر الفقيه الشافعي ابو العباس الحضري قال: كنت عند ابي بكر محمد بن داود ، فجاءته امراة فقالت له : « ما تقول في رجل له زوجة ، لا هو ممسكها (اى لا يقدر على نفقتها) ولا هو مطلقها ؟» فقال : « اختلف في ذلك اهل العلم ، فقال قائلون : تؤمر بالصبر والاحتساب ويبعث على التطلب والاكتساب ، وقال قائلون : يؤمر بالانفاق والا يحمل على الطلاق » . قال ابو العباس فلم تفهم قوله ، واعادت مسالته ، فقال : « يا هذه ، قد اجبتك عن مسالتك ، وارشدتك الى طلبتك ، ولست بسلطان فامضي ، ولا قاض فاقضي ، ولا زوج فارضي ، انصرفي رحمك الله .. » .

مجلس آخر

وقال عبد الله بن ابي الدنيا : حضرت مجلس ابي بكر محمد بن داود ، فجاء رجل فوقف عليه، ورفع له رقعة ، فاخذها وتاملها طويلا ، وظن تلامذته انها مسالة ، ثم قلبها وكتب على ظهرها ، وردها الى صاحبها فنظرنا ، فاذا الرجل هو الشاعر المشهور ابن الرومي ، واذا في الرقعة :

يـا ابن داوودَ يا فقيـهَ العـراق
افتِنـا في قواتـل الأحـداق

هل عليها في ذى الجروح قصاصٌ
أم مبـاحٌ لهـا دمُ المشـاق ؟

واذا الجواب :

كيـف يفتيكـمُ قتيـلٌ صريـع
بسهـام الفـراق والاشتيـاق

وقتيـل التـلاقِ أحسن حـالا
عنـد داوود مـن قتيـل الفراق

هذا ما رواه ابن خلكان ، وهو يدل على توفر ادب ابي بكر، ورقة طبعه ، وبروز ظرفه من فقهه، وحرارة حب يتلمسها القارىء في ابياته ، مع قدرة على الشعر في غير مناسبته وجوه وخلواته ، فما كان اظرفه فقيها مفتيا واحلمه مسئولا ، وابلغه وارقه مجيبا .

تصانيفه

قال المسعودي : الف ابو بكر محمد بن داود في عنفوان شبابه وقبل كماله وانتهائه الكتاب المعروف « بالزهرة » ، ثم تناهت فكرته ، وبسقت قوته ، فصنف الفقهيات كتابه في « الوصول

الى معرفة الاصول » وكتاب « الانذار » وكتاب « الاعذار والايجاز » وكتابه المعروف بـ « الانتصار على محمد بن جرير ، وعبد الله بن شرشير ، وعيسى بن ابراهيم الضرير » . قال ابن خلكان : وله غير ذلك ، فمن كتبه ما ذكره الصفدي في (الوافي بالوفيات) وهي : مختار الاشعار ، والايجاز في الفقه ، والبراعة ، والتقصي في الفقه، واختلاف مسائل الصحابة ، والفرائض والمناسك ، والانتصار لابيه من الناشيء المتكلم .

فاغلب كتبه فقهي علمي ، والادبي منها قليل ، ولكن كتاب الزهرة يعدل كتبا كثيرة ، فاسلوبه عجيب ، وتبويبه فريد ، ومافيه من شعر وخبر بليغٌ كريم وطريف .

شعره

ولابي بكر شعر كثير ، معظمه في الغزل العفيف، ولكنه لم يجمعه في ديوان ، فمنه ما رويناه ، آنفا في جواب ابن الرومي ، واكثر شعره مقطعاتٌ، ومنه هذه الابيات :

يا يوسفَ الحسن تمثيلا وتشبيها
يا طلعةً ليس الا البدرُ يحكيها

من شكَّ في الحوَر فلينظر اليك، فما
صيغت معانيك الا من معانيها

ان الدنانيرَ لا تَجلَى وان عَتُقَت
ولا يزاد على النقش الذى فيها

واذا روى ابو بكر في كتابه (الزهرة) شعرا يستحي من نسبته الى نفسه وهو مؤلف الكتاب ، غزليا وعزاه الى « بعض اهل العصر » فهو له ، وهو شيء هناك ليس بقليل . فمن ذلك قوله :

تمتَّع من حبيبك بالوداع
فما بعد الفراق من اجتماع

فكم جُرّعتَ من هَجْر وغَدْر
ومن حال ارتفاع واتضاع

وكم كأس أمرّ من المنايا
شربتُ فلم يضق عنها ذراعي

فلم أرَ في الذى قاسيت شيئا
أشدّ من الفراق بلا وَداع

تعالى الله ، كل مواصلات
وان طالت ـ تؤول الى انقطاع

كتاب الزهرة

مر بنا منذ قليل ان ابا بكر الاصفهاني الف كتاب « الزهرة » في بكور شبابه ، وقالوا ان السبب في تاليفه ان ابا بكر وقع في الحب حتى بَرَّح به ، ولكنه عفّ وكَرُم ، وعانى من بُرَحاء الهوى مثلَ ما كان يعاني عشاق العرب الاوائل ، فكان كتاب (الزهرة) حصيلة تلك البرحاء ، وفيضا تدفق من ذلك الحب العنيف الذى استحوذ على نفسه وقلبه ، وكان ابو بكر رقيقَ الفؤاد ، مرهف الحس ، سريعا اهتزازه لكل جمال ، وهو القائل:« ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتّاب». فهو من المُدَلَّهين الذين يجدون مرارةَ الهوى حلاوة ، والعذابَ الغرامي راحة وريحانا ، ومن ينظر في كتاب الزهرة : فصوله وابوابه ، اشعاره ومقاماته ـ يحس بالفعل ـ ان المؤلف عاشق خبير باحوال العاشقين ، عميقُ التغلغل الى خفايا النفس ، عالمٌ طَبٌّ بالداء والدواء . وهذا لا يكون الا لمُعَانٍ لا مُعَايِن ، ولمُولَّهٍ واقع في جحيم الهوى ، ليس منه بعيدا ، والا كان اذا وصَفه ، وصَفه خليا سليما . فخرج كتاب الزهرة بدعا في الكتب ، وكان ابو بكر مزهوا به عمره . حتى انه لما كانت تجرى بينه وبين (ابن سريج) مناظرات ، كان يتباهى بكتاب الزهرة ، واذا غض منه (ابن سريج) دافع ابو بكر عن كتابه دفاع مُعجَب به ، واثقٍ من ارتفاعه ، وابن سريج هذا هو ابو العباس احمد بن عمر بن سريج ، القاضي الشافعي المتوفى سنة ست وثلثمائة ،وكان فاضلا ، وله اشعار حسان ، وكان معاصرا لابى بكر ، معارضا له ابدا ، وكانت خصومتهما المستمرة مثلا فريدا حفظه لنا تراث امتنا على ما يسمى بـ « الخصومة الفكرية الشريفة » . فكانت معارضةٌ بعضهما لبعض كريمةً لطيفة ، تحمّى فيها القلوب ، ولكن لا الى درجة الجهل والحقد ، وتبرد ولكن لا الى درجة السكون والتفاهة ، وكانا كلاهما يحضران مجلس القاضي ابى عمر محمد بن يوسف ، فاذا تناظرا فيه وتعارضا لم يجر بين اثنين فيما يتفاوضانه احسنُ مما يجرى بينهما ، وفي احد تلك المجالس عيَّر ابنُ سريج ابا بكر فقال له في معرض مناظرة فقهية : انت يا ابا بكر

بكتاب الزهرة امهر منك في هذه الطريقة . فقال ابو بكر : وبكتاب الزهرة تعيرني ؟ فوالله ما تحسن ان تستتم قراءته قراءة من يفهم ، وانه لاحدى المناقب ، اذ كنت اقول فيه :

اكــرر فى روض المحاسن مقلـتي
وامنـــع نفسي ان تنـــال محرَّمـــا
وينطـــق سرى عن مترجم خاطرى
فلـــولا اختلاسي ردّه لتكلمـــا
رايت الهوى دعوى من الناس كلهم
فما أن أرى حبـــا صحيحا مسلّما

فقال ابن سريج ، او على تفخر بهذا القـــول ؟ وانا الذى اقول :

ومساهـــر بالغنج مـــن لحظاتـــه
قـــد بـــتّ أمنعـــه لذيـــد سُباته
ظنـــا بحسن حديثـــه وعتابـــه
واكـــرر اللحظـــات فى وَجَناتـــه
حتى اذا مـــا الصبح لاح عمـــودُه
ولـــى بخاتـــم ربـــه وبَراته (١)

فقال ابو بكر لابى عمر : ايد الله القاضي ، قد اقر هذا على نفسه بالمبيت على الحال التى ذكرها، وادعى البراءة مما توجبه ، فعليه اقامة البيّنة ، فقال ابن سريج ، من مذهبى ان المقرّ اذا اقر اقرارا وناطه بصفة ما .. كان اقراره موكولا الى صفته ، فقال ابو بكر : للشافعى في هذه المسالة قولان ! فقال ابن سريج : فهذا القول الذى قلته اختيارى الساعة .

وشاهدُنا هو ما جرى في اول هذه المناظـــرة ، ولكننا جرينا حتى آخرها لنطلع القارىء الكريم على طراز من تلك المناظرات الشائقة ، ولنشير الى ان وجود ابى بكر (الاديب) في مجالس الفقه كان يمطرها بضوع جديد ، وينفحها من روحـــه وقلبه بنسائم نديات .

اقوال العلماء فى الكتاب

ويدل على مبلغ ارتفاع كتاب الزهرة ماياتى :

جـــاء فى كتاب « تاريـــخ الشعوب الاسلامية » للمستشرق الالماني كارل بروكلمان ما يلي : صنف ابو بكر محمد بن داود في شبابه مجموعة مـــن المختارات الشعرية جعل الجزء الاول منها ـ وقد وصل الينا دون غيره من الاجزاء ـ وقفا علـــى الحب . وشفعه بدراسة تحليلية للظاهرة كماتتجلى في الشعر .

وقد ذكره الخطيب البغدادى في تاريخ بغداد منصرفا الىالناحية العلمية المتعلقة بروايةالاحاديث وكانه يحدد درجة الثقة به ، ويرفعه في الكتب على اساس مكين ، فقال : ولابن داود في (الزهرة) احاديث عن عباس بن محمد الدورى وطبقته .

طبعة الكتاب

هذا وان كتاب الزهرة كتاب واحد من قسمين ، وقد وصل الينا القسم الاول منه ، لا كما عليه عبارة « بروكلمان » ان الكتاب من جزوين او اكثر. ولذلك خرج الكتاب في طبعته الاولى سنة ١٩٣٢ يحمل هذا الاسم :

(النصف الاول من كتاب الزهرة)

وقد اعتنى بنشره المستشرق الدكتور لويس نيكل البوهيمي ، بمساعدة الشاعر الفلسطيني المعروف ابراهيم طوقان ، وطبعته لهما مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت. وهو يقع في اربعمائة صحيفة ونيف من الحجم المتوسط وكتب الدكتور (نيكل) في آخره بحثا بالانكليزية عنه مع بعض الارشادات، والناظر في الكتاب يلمس العناية التي اخرج بها ، ولكن لم يخل الكتاب من بعض الخطأ فيما يتصل برواية الاشعار .

محتوى الكتاب

كتاب الزهرة كتاب في كليات الغزل ، فهو يضم ابواب المعاني التي تكلم فيها شعراء الحب والغزل، وهذا فن في التاليف ذو قيمة كبيرة ، يستفيد منه الدارس كل الاستفادة ، ويتعب له المؤلف كـــل التعب ، فهو مضطر الى ان يحتوى كل ما قيل في الموضوع احتواء واعيا عريضا ، ثم يصنف ثم يستشهد ، وقد كان العلماء منذ بدايات العصر العباسي قد انصرفوا الى ناحية جمع الاشعـــار المشتركة في معانيها على حدة ، فصنفوا في هذا النوع من التاليف كتبا جليلة ، من ذلك كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة وديوان المعاني للعسكرى،

(١) براته : خلاخيله ، جمع برّة ويجمع على بُرى ايضا .

ويقع في اثنى عشر بابا ويضم عشرة آلاف بيت ، وكتاب معاني الشعر لابي عثمان سعيد بن هرون الأشناندانى .

وكتاب (الزهرة) من هذا النحو ، اذ هو كتاب في المعاني التي طرقها شعراء الغزل عبر العصور ، مرتّبة مفصلة ، قال مؤلفه في المقدمة : « وهو كتاب سميته كتاب الزهرة ، واستودعته مائة باب ، ضمنت كل باب مائة بيت ، اذكر في الخمسين بابا منها جهات الهوى واحكامه ، وتصاريفه واحواله ، واذكر في الخمسين الثانية افانين الشعر الباقية ، واقتصر في ذلك على قليل من كثير .. » .

وهو بهذا المعنى قد شاكل ـ في عمومه ـ كتبا الفها العلماء والادباء في الحب . ككتاب (طوق الحمامة) لابن حزم الاندلسي ، وكتاب (روضة المحبين) لابن قيم الجوزية . لان ابا بكر ذكر فيه احوال الهوى ، وفصل واحاط وتغلغل ، ولكن ذلك كان يسيرا حجمه اذا قيس بحجم الشعر الذى يتمثل به ويسوقه في ابواب كتابه . فاقترب الكتاب من ان يكون كتاب مختارات شعرية مقسمة على ابواب ، وهذا ما انتبه اليه (بروكلمان) في عبارته التي سقناها آنفا .

طرافة وادب

ولكن اعجب ما في الكتاب واحلاه : عنوانات الابواب . فهي شيء جميل وطريف . وقد يتعجب القارىء حين نقول له ان تلك العنوانات هي ـ وحدها ـ ادب وفن وبيان ، فقد جعل المؤلف كل عنوان باب في كتابه مصوغا بشكل مثل عال او حكمة غرامية ـ ان صح التعبير ـ على نسق بيان حلو وسجع ظريف ، فالباب الاول عنوانه هكذا : « من كثرت لحظاته ، دامت حسراته » . ذكر فيه المؤلف ان سبب الهوى النظر بدءا . ثم ساق اشعارا كثيرة في هذا المعنى . والباب الثاني سماه هكذا : « العقل عند الهوى اسير ، والشوق عليهما امير » . والباب السادس هذا عنوانه : « التذلل للحبيب من شيم الاديب » وسمى الباب السابع : « من طال سروره ، قصرت شهوره » . ويقول في اوله :

من صبر على الامتحان لمن يهواه مع مثل ما ذكرناه كان خليقا ان يبلغ اقصى مناه ، واهل هذه الحال الذين يحمدون الهوى ويشكرونه ويصفون لذاذته للذين لا يعرفونه . ويزرون على عيش من لم يتطعم مذاقه ولم يتعبد باسترقاقه ، الم تسمع الذى يقول :

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجَرا من يابس الصخر جلمدا

فما العيش الا ما تلذ وتشتهي
وان لام فيه ذو الشنان وفنّدا

تبعتُ الهوى جَهْدي، فمن شاء لامني
ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا

ثم يتمثل وينشد ويروى شيئا من هذا الباب كثيرا .

والباب الثامن اسمه : « من كان ظريفا فليكن عفيفا »

وجاء عنده الباب العاشر على هذه الصورة : « سوء الظن من شدة الضنى » والباب السابع عشر هكذا : « من عاتب على كل ذنب اخاه فخليق ان يَمله ويقلاه »

والباب الخمسون هو : « قليل الوفاء بعد الوفاة ، أجل من كثيره وقت الحياة » .

ناثر وشاعر

فابو بكر الاصفهاني رحمه الله احسن في هذه العنوانات البليغة ما شاء ، وكان كانه يختصر البحر في غدير ، والبركان في شعلة ، والمقالة العريضة في سطر ، والقصيدة العصماء في شطر ، وهذا كان له ، لانه ـ مع شاعريته ـ ذو قدرة على النثر الفني قوية ، فكان منشئا مع كونه شاعرا ، وذلك واضح في تضاعيف كتابه ، كهذه الفقرة التى ساقها في المقدمة : يقول : « واعلم ـ ادام الله تاييدك ـ ان المرتَضَيْن من الاخوان ، معدومون في هذا الزمان ، وانما بقي قوم يَنتَصِفون ولا يُنصِفون : ان بسطتَهم لم يهابوك ، وان احشمتهم اغتابوك. ما داموا لك راجين او خائفين، فهم اليك منقطعون ، فان زايلوا هاتين الحالتين لم يرعوا لك اخاء ، ولم يعتقدوا لك وفاء ... وقد عزمت لما رايت بك من غلبات الاشتياق ، ومن ميلك الى معرفة احوال العشاق ، ان اوجه اليك نديما يشاهد بك احوال المتقدمين، ويحضرك اخبار الغائبين ، وينشط بنشاطك ، ويملّ بملالك ، ان ادنيته دنا ، وان اقصيته نای ، لا يزهى عليك عند حاجتك اليه ، ولا يرغب عنك عند رغبتك عنه، وحيفك عليه ، لا يحفظ اسرارك فضلا عن ان

يغشيها ، ولا تخطر بباله فيحتاج ان يخفيها ، لا لمنعك حشمته من سؤاله ، ولا يغضبك عند خوفك من ملالـه . انتزعته لك من خواطري ، واخترتـه من غريب مـا اتصـل بمسامعي ، ان اختصصت به من تحب من اخوانك لم تفتقده من ديوانك ، وان استبددت به دون اولياتك فضلت به على نظرائك ، وهـو كتاب سـميته كتـاب الزهرة ... »

فهذا النص من كلامه يدل على تمكن من الكلام ، وقدرة على تجويده وتقسيمه وتحبيره ، وهو ههنا يمدح كتابه بطريقة لطيفة ، فيذكرنا بالجاحظ الذى كان قد كتب في مدح « الكتاب » جنسا ، وقوله في هذا مشهور واوله : « الكتاب نعم الانيس ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة » ولكن الناظر في الكلامين لا يشعر ان ابا بكر اخذ من الجاحظ شيئا في كلامه ، الا ان يكون اخذ الاديب من الاديب ، يستفيد ابتداعا ولا يتناول اقتلاعا. مع ان الجاحظ يصف الكتاب كلّ كتاب ، والاصفهاني يمدح كتابه (الزهرة) خاصا ويصف من محاسنه.. على ان ما قاله فيه يصح ان يعم كل كتاب . ولرب سائل يسال : لمن الف ابو بكر كتابه ؟ والجواب انه لم يؤلفه لاحد ـ في اغلب الظن ـ فلم يسم هو هذا الرجل الذى يخاطبه في مقدمة الكتاب ، ولم يسمه احد ممن ترجموا له ، وفي ظني انه وجه المقدمة الى مجهول مخترع ، لكي يجعل كتابه يشبه الاسفار العظام في عصره ، لانه قلّ كتاب قديم عظيم ، ليس موجها الى امير او شريف او وزير .

★ ★ ★

اسلفنا القول في ان كتاب الزهرة جزء واحد في قسمين ، وقد وصل الينا القسم الاول ولم يصل القسم الثاني .

وفاة ابي بكر

قال ياقوت الحموى في معجم الادباء في اثنـاء ترجمة (نفطويه) ما ملخصه :

وكان بين نفطويه وبين ابي بكر محمد بن داود الاصفهاني مودة .. قال نفطويه : فدخلت عليه في مرضه الذى مات فيه ، فقلت يا سيدى ، ما بك ، فقال . حبُّ من تعلم اورثني ما ترى (٢)

ثم غشي عليه ساعة ، وافاق ففتح عينيه . فقلت له : ارى قلبك قد سكن ، وعرق جبينك قد انقطع ، وهذا امارة العافية ، فانشا يقول :

« اقـول لصاحبيَّ وسلّيـاني
وغرهمـا سـكونُ حِمَى جبيني
تسلّوا بالتعـزى عـن اخيكـم
وخوضوا في الدعــاء ودعوني
فلـم أدَعِ الانـينَ لضعف سُقْمٍ
ولكـني ضعُفْت عـن الانـين »

ثم مات من ليلته او في اليوم الثاني ، وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين، وعمره اثنتان واربعون سـنة .

تفجع أهل عصره عليه

يقال ان صديقه نفطويه النحوى حزن عليه حزنا عظيما ، ولم يجلس للناس سنة كاملة ، ثم ظهر بعد السنة فجلس ، فقيل له في ذلك ، فقال : ان ابا بكر بن داود قال لي يوما ـ وقد تجارينا حفظ عهود الاصدقاء ـ اقل مايجب للصديق ان يتسلب(٣) على صديقه سنة كاملة ، عملا بقول « لبيد » (٤) لبنتيه :

«الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حـولا كاملا فقد اعتذر»

فحزنا عليه سنة كما شرَط .

ولما بلغ ابنَ سريج ـ خصمَه ـ موته نحّى مخادّه وشماوره (٥) وجلس للتعزية وقال : مـا آسى الا على تراب اكل لسان محمد بن داود .

وكذلك تفجع عليه معاصروه ، ولنحن عليه اشد تفجعا ولوعة ، وعلى نصف كتابه الثاني الذى ذهب فلم يبلغنا ، مع كثير مما ضاع في الدهر من تراثنا الرائع .

حماة ــ منذر شعار

(٢) سبق قولنا ان ابا بكر كان من العشاق ، وكان له حبيب ظل ابو بكر يشتاق اليه طوال حياته .
(٣) التسلب : مثل الحداد (ولكن الاول للرجال والثاني للنساء .
(٤) لبيد بن ربيعة ، شاعر مخضرم من اصحاب المعلقات .
(٥) متاع بيته .

جولة بين المخدرات والحشيش والقات

بقلم : الدكتور عبد الملك أبو عوف

■ ان المسكرات والمخدرات والمسكنات والمهدئات والمغيبات تلك المواد التى تفترس جهاز الانسان العصبى وتدمر خلقه الطبيعى ، انما يقبل عليهـا الانسان فى سبيل نشوة طارئـة او لذة قصيرة ، سريعا ما تنقضى وتزول تاركة اياه يعانى الشعور بالندم والاحساس المهين باحتقار الذات .

والمؤلم ان هذه السموم تزداد كل يوم حصيلتها فى يد الانسان ، يستخرجها تارة من النباتات ، ويخلقها تارة من الكيماويات كعقاقير الهلوســة مثل المسكالين Mescaline ، ومشتقات حمضــس اللسرجيك Lysergic Acid والمهدئات والمنومات والمسكنات الصيدلانية ، وهى مهما اطلقوا عليها من اسماء باهرة ، كادوية السعادة وغيرها ، ليست الا شاهد اثبات على افلاس الانسانية وما تعانيه من ملل وضياع .

ان بعض ما يعانيه شرقنا العربى اقبال اهلـه على المسكرات والكحولات ، وهى بعض ما نقلناه عن الغرب علامة تقدم وتحضر ، اما شر ما نعانيه فهو ادمان المخدرات كالافيون والحشيش والكوكايين والقات .

لكل شيء نفعه وضرره

ومع ان الفطرة لم تخلق شيئا هباء الا انها كشفت عن ان لكل شيء نفعه وضرره وبينت للناس ما هو ضرره اكثر من نفعه عساهم يهتدون،فالافيون مثلا يعتبر مصدرا هاما لكيماويات كثيرة بعضها نعمة للانسان ، يريح آلامه ويسكن أوجاعه ، كالمورفين Morphine والكودايين Codeine ، وبعضها الآخر نقمة عليه كالمورفين Morphine نفسه والهيروين Heroine والامر كذلك بالنسبة للكوكايين ، فمع كونه مبيدا للاحساس السطحي ويستعمل في الطب كبنج موضعي ، الا انه من أخطر المواد والجواهر المخدرة التي تبيد الصحة وتهلك المراكز العصبية في الانسان،فهو بتقليصه للاوعية الدموية يزود المخ بكميات هائلة من الدم فيثير فيه يقظة غير عادية مصحوبة بتنبه في الجهاز العصبي مما يحدث الادمان ويسمم البدن .

الحشيش والقات

ولكن اكثر المخدرات والمواد استعمالا هما الحشيش والقات .

الحشيش

والحشيش راتنج Resin يجمع من زهور نبات القنب لا سيما الشجيرات الانثى ويوجد في فصيلتين هما القنب الهندي والقنب العشبي ويعرف في امريكا بالماراهوانا Marihuane وتزداد المادة الفعالة في الراتنج حسب الاحوال المناخية، فهو يجمع في موسم معين ، وغالبا لا يستعمل نقيا لشدة ساميته وغلاء سعره انما يخلط بمواد غاشة كثيرة ، أهمها الحنة واللبان الذكر والعسل الاسود والمر . ويتعاطاه المدمنون اما على نار النرجيلة او مخلوطا بالشاى والقهوة والزنجبيل . ولكن تاثيره النفسي لا يتاتى الا في ضباب الدخان حيث تحلو الجلسة ويستمر الصخب والسمر الذي يبدأ والعقل واع ثم يتطور الى هرف ومجون ليس بينه ترابط او انسجام . والحشيش غدار فهو في بداية تعاطيه لا يحدث اثرا مغيبا ولكن اذا واصل المرء استعماله احس بعربدة عصبية تنقلب مع الوقت الى نوع من السكينة والغباء ، وينفض الجمع الهادر فرادى صامتين كل منهم في شبه عزلة عن الآخر له عالمه ودنياه .

والمشاش قد يقنع نفسه بقدرته على ايجاد حل لكل مشكلة وهذا طبعا نتيجة ما يعتريه من هبوط في المراكز العصبية العليا ، ومنها حاسة التقييم والتقدير فيظل يهوم في آفاق وتصورات كلها سراب خادع وضلال مبين .

ولقد ظلت المواد الفعالة في الحشيش محل حوار دائم بين العلماء ولا سيما بعد ان تم فصلها وتعيين مبنياتها الكيماوية واهمها الكنابين Cannabine والكنابيديول Cannabidiol والكنابينول Cannabinol والتتراهيدروكنابينول Tetrahydrocannabinol ، وكلها مواد تربينية معقدة التركيب ولكن الفعالية الرئيسية تعزى الى مادة التتراهيدروكنابينول وهي شبيهة بمخلفات اكسدة مادة البيكروتوكسينين Pyrotoxine المستخرجة اصلا من ثمرة شجيرة انامرتاكوكيلس Anamirta Cocculus أو كوكليس انديكس Cocculus Indicus والملاحظ ان المبنيات الكيماوية لكل هذه المركبات تشترك في خاصية واحدة وهي وجود جزء لاكتوني لبه ذرة من الاكسجين .

ولقد كانت هذه الكشوف خير عون لعلماء الاقربازين ليفسروا ما يحدثه هذا العقار في الجسم بتجارب عملية ولقد وجدوا ان اخطر آثار الحشيش انما ياتي من تداخله في مبنى الاحماض النووية التي هي اساس الحياة حيث تكمن في جزئياتها المعقدة اسرار الحياة .

والحشيش يضعف المناعة ضد الامراض بتخريبه المستمر لكريات الدم البيضاء كما انه يحدث الانيميا الحادة ويضعف الهرمونات الذكرية وأخصها التستوستيرون Testosterone مما يسبب العقم في كثير من الرجال ، هذا مع فتكه بالرئة واحداثه تغيرات سرطانية فيها .

القات

والنبات الآخر الذي هو الآن محل اهتمام لآثاره الاجتماعية هو القات ، وهو شجيرة صغيرة تنمو شيطانيا في افريقيا لا سيما في اليوبيا وكينيا وكذلك في اليمن . وتعرف باسم كاثا ايديولس Catha Edulis وهي تنمو في ظروف مناخية ملائمة لزراعة شجيرة البن وتكثر في المنطقة المحصورة بين خط عرض ١٢ - ٢١ وخط طول ٤١ - ٥٤ وقد عرفت في القرن الرابع عشر اى قبل شجرة البن التي عرفت

في القرن الخامس عشر ، الا ان شجيرة القات اكثر رواجا واعظم ربحا ، فهي لا تحتاج الى رعاية في الزراعة كما انها تعطي ثمارها بعد ثلاث سنوات ثم تستمر على طول العام ، بخلاف شجيرة البن التي لا تعطي ثمارها قبل ستة سنوات ، فضلا عما تحتاجه من رعاية وتكلفة في الحصاد وتعرية الثمار • وقد وصف الدكتور ميشيل تريلو Michel Trellu شجيرة القات في ابحاثه التي قام بها لحساب هيئة الامم بانها تشبه شجيرة الشاي، ، وبلا اشواك ، ولها غصنيات ناعمة واوراق غضة ذات اعناق قصيرة ، وغالبا ما تزرع على جوانب التلال او منحدرات الجبال ، وكثيرا ما تشذب لتعطي غصنيات بتليلة ذات اوراق رقيقة وهذه الاوراق هي التي تقطف وتستعمل باسم القات • ويختلف استعمال هذه الاوراق باختلاف المناطق التي تقبل عليها ، ففي الحبشة تؤكل معجونة بالعسل او مجففة مثل بودرة الكاري الهندي ، وفي الصومال تخمر على هيئة مشروبات محلية كالتالا وهو نوع من البيرة او التوجي ، وهو نوع من النبيذ • اما في اليمن فهي تمضغ وتستحلب وقد تعطر بالنعناع ، وبين وقت وآخر تبلل بماء بارد به رائحة القرفة والقرنفل ، او بقهوة محلاة بالسكر • وله جلسات تنعقد ، واخطر ما فيها قلة ما يسمح به من هواء في الغرفة المعدة لذلك •

ولقد امكن فصل ثلاث مركبات قلوية من القات اثنان غير متبلورين هما الكاثنين Cathenine والكاثيدين Cathedine ولم تعرف خواصهابعد، وواحد متبلور وهو الكاثين Cathine الذي تعزى اليه فعالية القات • والكاثين Cathine وهو قرين احد مشتقات الافدرين Ephedrine

والكاثين Cathine ضئيل الاثر ويشبه الكوكايين Cocaine في احداثه نوعا من الخدر او التنميل كما انه يشبه الادرنالين Adrenaline في تاثيره على الاوعية الدموية التي يضيقها مما يزيد في ضغط الدم ، ومن هنا ياتي تاثيره المنبه • كما انه يشبه المورفين في احداثه نوعا من الخفة والنشاط ، الا انه خلو من القدرة على التخدير والتسكين • ويقال انه يشد العضل ويقوي القلب ويحدث نوعا من السرور والبهجة مثلما يحدث الكحول •

وقد اوضح الدكتور Kervingant في نشرة المخدرات الصادرة في سنة ١٩٥٩ عدد ابريل ـ يونيو ـ ان القات يكوّن عادة ولا يحدث ادمانا ، الا انه يحدث اضطرابات معوية شديدة وامساكا ونوعا من البرودة الجنسية ، لا سيما عند النساء ، وقد يكون هذا احد الاسباب الرئيسية في تعاطيه واستعماله في المجتمعات المحافظة •

ولقد اكمل الدكتوران V.V. Mironichev و D.V. Ayallun الابحاث على القات في معهد لينين الطبي بموسكو واوردا تقريرا عن آثاره يقولان اول ما يبدا المرء في مضغ القات واستحلابه يشعر بتاثيرات غير مستحبة ، كالدوخة والتوهان والكلال ولغط القلب ، مع آلام شديدة في المعدة ، ثم تتحول هذه الاعراض تدريجيا الى شعور بالسعادة والراحة،ويصبح المرء وكانه يحلق في آفاق النعيم، ويعتريه وضوح في التفكير واحساس بالشجاعة والقدرة ، فيطيب طبعه ويحسن مزاجه • الا انه بعد ذلك يفقد شهيته للطعام وتخمد رغبته واهتماماته باسرته ويتناوبه اضطراب في الجهاز العصبي والهضمي •

والقات له انصاره ومحبوه ، وله اعداؤه وكارهوه ، فانصاره يمايزون بينه وبين الخمر التي تستنزف في اليمن وحدها نحو ٢ مليون ريال شهريا رغما عن انها محرمة وممنوعة بامر الدولة• وهم يعتبرون القات اداة وفاق اجتماعي • اما الاعداء فيعتبرونه اكبر مخرب للصحة والاقتصاد القومي ، فهو لا يؤخذ الا بعد طعام دسم وفي جلسات جماعية ، وفي اوقات معينة تصرف رواده عن العمل والانتاج • كما انه ينافس شجيرة البن حيث بدات تنقرض امام زحفه • وهؤلاء يعتبرون حربه هي التمهيد الحقيقي لنهضة الشعوب التي ترسف في اغلاله • ولكن هل الانسان قد اكمل تحرره من قوى الشر والطغيان حتى يقوى على تحرير نفسه من مثل هذه السموم ؟ اظن انه لن يقوى على تحرير نفسه من قوى الشر والبغي والعدوان الا اذا حررها من كل ما يعطل طاقتها ويهرب به في مسارب تخفى عنه حقيقة واقعه الاليم •

وصدق من قال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم • هذه هي شريعة الرحمن وهو اعلم العالمين •

■■

عبد الملك ابو عوف
استاذ الكيمياء الصيدلية
ومدير جامعة صنعاء

أنباء الطب والعلم والاختراع

الطاقة الشمسية
الجديد من الجهود المبذولة لتطويرها

● ما زالت الجهود تبذل على اوسع نطاق فى سبيل تطوير مصادر الطاقة المنافسة المبترول ·· الطاقة النووية ، والحرارة الجوفية ، وطاقة السجيل (الرمال والصخور البترولية) ، والفحم الحجرى المحوّل الى غاز او بنزين ·· وغير ذلك ·· وتستأثر الطاقة الشمسية بنصيب كبير من تلك الجهود ، كما ذكرنا فى حلقات سابقة من هذا الباب ·

ولا عجب ·· فالطاقة التى ترسلها الشمس الى الارض كافية وافية ·· قدروها بنحو ٤ر٩ مليون كيلواط/ساعة فى السنة الواحدة لكل فدان واحد من مسطح الكرة الارضية ·· ومعنى هذا ان فى مقدور الصحراء الكبرى مثلا ان تولّد من الكهرباء فى سنة واحدة فقط ما يفى بحاجات البشر جميعا سنوات عديدة !!

وتستهدف بعض الجهود المبذولة فى هذا الصدد صنع بطارية شمسية تحول الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية ·· وقد نجحت مؤخرا احدى الشركات الامريكية فى صنع بطارية شمسية جديدة من مادة allium arsenide بخلاف البطاريات الاولى التى صنعوها قبل نحو ٢٠ سنة من مادة السلكون التى لا تقاوم الحرارة · والبطارية الجديدة صغيرة الحجم لا يكاد يبلغ قطرها سنتمترا واحدا · ومع ذلك فان البطارية تستطيع استغلال ٢٠٪ من اشعة الشمس وتوليد نحو ١٠ واط كهرباء ·· ونظرا لصغر حجم هذه البطارية فان فى الامكان استعمال عدد كبير منها للحصول على الكهرباء بالمقادير المطلوبة ·

السد العالى
ما له وما عليه ·

● لا ريب فى ان السد العالى فى اسوان كان وما زال اضخم مشروع هندسى عرفه العالم العربى فى تاريخه الطويل · لا عجب اذن ان كثر الجدل حول النتائج المترتبة على هذا الصرح العظيم ، المباشرة منها وغير المباشرة · ولا غرابة ان قام الحوار بين انصار السد الذين يركزون على ايجابياته وبين المشككين او المحتارين الذين لا يستطيعون اغفال سلبياته ·

واول ما يذكر من تلك السلبيات ما اتصل منها بالطمى · فقيام السد وظهور بحيرة ناصر التى لا تقل مساحتها عن ٥٠٠٠ كيلو متر مربع ، قد حال دون وصول الطمى الى الاراضى الزراعية على ضفتى النيل وفى الدلتا · واقتضى ذلك مضاعفة كميات الاسمدة الكيماوية المستعملة ، وهى فى الغالب مستوردة · وادى ذلك ايضا الى التآكل الذى بدأ يظهر على شواطىء الدلتا · اضف الى ذلك ان الثروة السمكية —

السردين والجمبري بخاصة — قد تقلصت كثيرا نظرا لتوقف الطمي وحرمانها مواده العضوية المغذية التي كانت تعيش عليها في الماضي. وهكذا اختفى السردين او كاد، وقد بلغ ما كان يصطاد منه قبل انشاء السد نحو ٨٠٠٠ طن سنويا .

ويضيف المعارضون الى ذلك قولهم ان الاراضي التي كانت تروى بفيضان النيل سنة بعد سنة ، وتبلغ مساحتها نحو ٢ر١ مليون فدان ، اصبحت لا تحصل على ما يكفيها من ماء بعد قيام السد ، فزادت ملوحة هذه الاراضي ، وقلت خصوبتها بنسبة النصف او يزيد .

ويرد انصار السد فيؤكدون ان الطاقة الكهربائية التي يولدها سد اسوان العالي ستكفل لمصر صنع الاسمدة الكيماوية على نطاق واسع وتغنيها عن استيرادها من الخارج .. وقد بلغت تلك الطاقة حتى الآن ٥٠٠٠ مليون كيلواط ساعة ، وستتضاعف ضعفين في مستقبل غير بعيد.

اما اختفاء سمك السردين ، ان صح الادعاء اصلا ، فلعل في سمك البولطي ، الذي اخذ يتكاثر في بحيرة ناصر ، بديلا بل خير بديل .. فقد لا تقل كميات الصيد منه عن ٦٠ر٠٠٠ طن سنويا في مستقبل قريب .

اما تآكل شواطيء الدلتا ، والقول بأن انحباس الطمي هو سببه ، فزعم مردود جملة وتفصيلا . فهذا التآكل او التحات ظاهرة عامة منيت بها شواطيء البحر المتوسط في اكثر من مكان ، ولم تنفرد بها شواطيء الدلتا . وهي ذات صلة وثيقة بأمواج هذا البحر، وبالعوامل المختلفة التي تعرضت لها ، ولا علاقة لها البتة بالسد العالي ولا بطمي النيل .

هذا ويقر انصار السد بشح مياه الري ، وبالملوحة المترتبة عليه ، فيما يتصل بالاراضي الزراعية المحاذية لنهر النيل ، والبالغ اتساعها ٢ر١ مليون فدان كما ذكرنا . ولكنهم يؤكدون ان هذه المشكلة ليست مفاجئة ، ولا هي مستعصية، وقد حسب لها كل حساب .. وسيتم عما قريب انشاء شبكة انابيب الري الكفيلة بحل تلك المشكلة .

ويشيد انصار السد العالي بالفضل الكبير الذي كان لهذا السد في وقاية المحاصيل الزراعية في مصر من الجفاف الشديد الذي اجتاح البلاد سنة ١٩٧٢ و ١٩٧٣ ويقولون ان السد قد برر مصاريف بنائه ، وغطى نفقات انشائه كلها باسدائه تلك الخدمة وحدها .

جهاز صغير
لتكرير المياه الملوثة

● المياه الملوثة كثيرة فى العالم وتعانى منها دول عديدة مختلفة ·· والاجهزة التى تعالج هذه المياه هى الاخرى كثيرة ··

على ان الجديد فى هذا الجهاز صغر حجمه ·· فهو لا يزيد على قدم واحد طولا ، وكأنه زجاجة مياه غازية ·· وهو مكون من ثلاثة اقسام : اسطوانة تملأ بالماء ، ومضخة هواء ، ومصفاة مزدوجة ·

وسر الجهاز انما يكمن فى هاتين المصفاتين ·· فالمسامات فيهما متناهية الصغر وتستطيع معالجة الماء الذى يرشح منهما بحيث تزول منه :

الاجسام الصلبة المعلقة ·
الأميبا ·
الفطريات ·
البكتريا ·
وغير ذلك ·

ويعمل الجهاز بالضغط على المضخة ودفع الماء الملوث الى المصفاة ، ومن هناك يخرج هذا الماء نقيا ، صالحا للشرب ·

والجهاز من صنع احد المصانع المختصة فى المانيا الغربية ، وقد بدأوا فى بيعه وتصديره فى نهاية الصيف الماضى ·

السرطان اسبابه خارجية

● عقد فى مانشستر، فى شهر سبتمبر الماضى ، مؤتمر خاص بأمراض السرطان ، يستهدف استعراض التقدم الذى تم احرازه فى مجال تشخيص السرطان واكتشافه ، ومجال معالجته ، فضلا عن مجال دراسته ، وتفهم حقيقته واسراره · وكان اول المحاضرين الدكتور هجنسون Dr.J Higginson مدير الوكالة الدولية لبحوث السرطان ·· ومقر هذه الوكالة فى مدينة ليون الفرنسية ·

ومما قاله هذا الطبيب العالم ان ٨٠ ــ ٩٠٪ من امراض السرطان انما تحدث نتيجة لمؤثرات خارجية · فالأورام الخبيثة ليست اذن تلك الظاهرة المستعصية الميئوس منها التى تسببها عوامل واسباب داخلية خافية ، تتصل بخصائص الجسم المصاب الذاتية او الوراثية ··

وذكر الدكتور هجنسون من اسباب السرطان (الخارجية) المشروبات الروحية · فقد تجمعت لديه الشواهد على وجود ارتباط بين هذه المشروبات وبين سرطان الفم ، والحنجرة ، وبخاصة سرطان المرىء ، وكذلك سرطان الكبد ·· واقرّ المحاضر ان هذه الشواهد لم ترق بعد الى اثبات العلاقة السببية بين هذه الأورام والمشروبات ·· كما هى الحال بالنسبة الى التدخين ، وقد اثبتت التجارب العلمية على انه السبب المباشر لسرطان الرئة وسرطان القصبة الهوائية ، وغير ذلك ·

واشار مدير وكالة السرطان الى ان امراض السرطان ، وان كانت اكثر عددا وتنوعا فى دول الغرب الصناعية منها فى الدول المتخلفة ، فان الاورام الخبيثة المنتشرة فى هذه الدول ما زالت بمثابة النواة بالنسبة الى أمراض السرطان بصفة عامة ·· وتحتل الولايات المرتبة الاولى بين دول العالم جميعا من حيث كثرة انواع مرض السرطان ·

وهكذا اختلفت الدول بيئة وحضارة ، فاختلفت من حيث امراض السرطان المنتشرة فيها ، وفى هذا دليل آخر على ان اكثر اسباب السرطان خارجية ، وان فى الامكان التخلص من المرض بالتخلص من اسبابه ، من حيث المبدأ على الاقل · ■■

زعيم أدب طبقة العمال فى روسيا
وعمدة أدبائها اليوم فى الأدب
الحديث

بقلم : جمال الكنانى

■ اسمه الاصلى الكسى ماكسيماريتش باشكوف Aleksci Maksimarich Peshkov زعيم ادب الطبقة العمالية فى روسيا، بغير منازع، فقد امثلته رواياته وتمثيلياته عن هذه الطبقة، ليتبوا عرش ذلك الادب طوال فترة ، امتدت خلال العقد من القرن الماضى والعقود الثلاثة الاولى من القرن العاضر .

ولد الكسى او مكسيم يوم ٢٨ مارس ١٨٦٨ لاب فقير غاية الفقر ، وكان الحرمان رفيق طفولته ، وكان موت ابيه هدية عيد ميلاده الخامس ، ولما احتسب أبوه كفله جده لامه ، وكان بدوره معدما، فنشا مكسيم فى احضان الفقر ، وعاش فى ظل قسوة جده بائسا لم يذق فى باكورة حياته الا طعم المر .. فلما اشتد عوده وكبر واحترف الكتابة اتخذ لنفسه اسما مستعارا « المرور جوركى Biccerор Gorki » الا ان هذه المِرّة لم تحل بينه وبين عرش « الادب العمالى » فى روسيا .. ولعل مايسّر جلوسه على ذلك العرش ان كتاباته عن الطبقة العاملة الكادحة، ووصفه لحياة طبقة العمال، صادفت قيام الحركات العمالية فى انحاء العالم كله .

عرف جوركى حياة طبقة العمال معرفة اكيدة ، لانه عاشها ، وذاق مرها ، بعد اشهر قليلة قضاها فى المدرسة ، خرج بعدها ليعمل صبيا لاسكاف ، ثم خادما يغسل الاطباق على ظهر باخرة نهرية كانت تعمل فى نهر الفُلجا .. وكان طباخ الباخرة من هواة القراءة ، فحبّب هذه الهواية لصبيه مكسيم ، حتى اصبح الصبى عبدا لها .

ويذكر مكسيم جوركى كيف كان يضربه أصحاب العمل ، وكيف كان يعانى آلام الجوع ، ومهانة العرى . فما ان بلغ طور المراهقة حتى رحل الى مدينة قازان Kazan حيث اشتغل فى حانوت خباز ومنه التحق بعمل فى الميناء، زاول بعده العمل حارسا ليليا . وفى قازان اتصل جوركى أول ما اتصل بالافكار الثورية ، وعرف عددا من دعاتها ، وكانوا اذ ذاك يبشرون بتقديس الفلاح الروسى ، وهى فكرة رفضها جوركى فيما بعد .

وضاق جوركى بما راى من بؤس وتعاسة ، وبرم بحياته فحاول الانتحار ، فلما فشل فى ذلك رحل عن قازان وهو فى الحادية والعشرين ، وضرب فى الارض شريدا تائها .

مرحلة ادب التشرد

نشر جوركى اول قصصه فى الصحف المحلية

فى مدينة تفليس Tiflis ، وكان عنوان قصته الاولى « ماكار شودرا Makar Chodra لم اتبعها بعدد من القصص لم تصب الا نجاحا محدودا ٠٠ ولكن ما ان نشرت له صحيفة سانت بطرسبرج قصته « شلكاش » Chelkash ، حتى لمع نجمه ، وذاع صيته ٠٠ وتعتبر هذه القصة بداية مرحلة معينة من مراحل حياة جوركى الادبية نسميها مرحلة « ادب التشرد » ، عكف جوركى خلالها على وصف حثالة المجتمع الروسى ٠٠ ولعل ما ماز اسلوب جوركى فى هذه المرحلة من اساليب الآخرين ، انه اعتبر نفسه واحدا من المشردين الذين كان يكتب عنهم ، وانه تقمص شخصية المجرم الذى كان يقدمه لقرائه ، فبينما هو يتحدث عن المشردين والمجرمين « من الداخل » ٠٠ كان غيره يتحدث عنهم ويصفهم « من الخارج » ٠٠ والى هذه الفترة من حياة جوركى ينتسب مؤلفه « مالفا Malva وكتابه المعروف باسم « ستة وعشرون رجلا وفتاة » وفيه يصف حياة العمال فى احد المخابز ، فيجيد ويبدع بقصته القصيرة الى ذروتها الفنية ، مما حدا ببعض النقاد ان يقارن بينه وبين تولستوى ٠

وما ان اهلت بشائر القرن العشرين حتى نشر جوركى اولى رواياته الطويلة « فوما جورديف » Foma Gordeev (١٨٩٩) وفيها يواصل جوركى التعبير عن اعجابه بالقوة البدنية ، وقوة الارادة ، كما تتجلى فى النوتى جورديف ، الذى تناقض شخصيته شخصية ولده المفكر الذكى النحيل الضعيف « فوما » Foma الذى ينفق عمره محاولا ادراك معنى الحياة ٠

مرحلة فشل ادبى

بعد ذلك بدا جوركى يتخذ من ظهور الراسمالية الروسية مادة لكتاباته الروائية ٠٠ ولهذه المرحلة من مراحل حياته تنسب مؤلفاته التالية : ثلاثتهم Trode عام ١٩٠٠ ، اعتراف Ispored عام ١٩٠٨ ، مدينة اوكروف Gorodok Okurov عام ١٩٠٩ ، وتعتبر هذه المرحلة مرحلة فشله الادبى ، لان انتاجه فيها كان عقيما ، محشوا بمناقشات حوارية عن الحياة ومعناها ، كتبت كلها باسلوب فاتته كل سمات الرشاقة ٠

والف جوركى فى نفس المرحلة عددا من التمثيليات ، منها تمثيلية الاعداء Vragi' وغيرها ، واهمها تمثيلية « الدرك الاسفل Lower Depth » ، وهى التى ما زالت تتمتع بشىء من الشعبية حتى اليوم ، فى روسيا وفى خارجها على السواء ٠

جوركى يعتنق الماركسية

وقضى جوركى تلك الحقبة من حياته ١٨٩٩ ــ ١٩٠٦ فى سانت بطرسبرج ــ لننجراد ــ حيث اعتنق الماركسية ، وانضم الى الحزب الديموقراطى الاشتراكى ، الذى رصد له جوركى جل دخله الهائل ، فكان مايسهم به للحزب هو الشطر الاكبر من ميزانيته كلها ٠

وفى عام ١٩٠١ صادرت السلطات مجلة « لايف Shiza » الماركسية ، لانها نشرت قصيدة ثورية لجوركى الذى اعتقل للسبب نفسه ، ولكن سرعان ما افرج عن المجلة وعن جوركى ايضا ٠

وانتخب جوركي عضوا في الاكاديمية الروسية للعلوم في عام ١٩٠٢ ، واضطر بعد ذلك للرحيل الى القرم ، طلبا للشفاء من مرض السل .. ولعبت السياسة دورها ، فالغيت عضوية جوركي من اكاديمية العلوم،فاستقال منها شيكوف وكورد لنكو احتجاجا على خروجه .

واشترك جوركي في ثورة عام ١٩٠٥ ، وقبض عليه بعد ذلك بعام ، ولكن افرج عنه سريعا تحت ضغط الرأى العام العالمي .. وبعد ذلك سافر الى الولايات المتحدة ، يطوف بها ، تصحبه خليلته ، مما اسخط عليه الامريكيين،فنبذه المجتمع الامريكي المحافظ،وحقد هو بدوره على امريكا والامريكيين. وتجلت كراهيته لهم في قصته التي كتبها عن نيويورك بعنوان « مدينة الشيطان الاصفر » عام ١٩٠٦ .

جوركي على جزيرة كابري

ولم يعد جوركي الى روسيا بعد رحيله عنها عام ١٩٠٦ بل آثر ان يعيش في منفاه الاختياري على جزيرة كابري،حيث قضى سبع سنوات ، كانت الجزيرة الجميلةخلالها كعبة لكل الساخطين السياسيين الذين هجروا روسيا .

ظهور الضعف في كتابات جوركي

وعلى الرغم من احتفاظ جوركي بمكانته الادبية في نفس القارىء الروسي العادي كان نجمه قد بدأ يافل ، لان المفكرين من القراء كانوا قد سئموا ما ابتكر من « ادب التشرد » او فلسفته ، بعد ان عفى عليها الزمن ، فبدأت مواطن الضعف في كتابات جوركي تتكشف لهم ..

جوركي يفقد شعبيته عند الماركسيين

لم فقد بعض شعبيته عند انصار الحركة اللينينية ، لانه اتجه في كتابه « اعتراف » وجهة دينية فلسفية ، عرفت باسم « بناء الاله » God Building ، اعتبرها الماركسيون المتزمتون الحادا في عقيدتهم ، الا ان نفوذه القوى غفر له عندهم هنّاته هذه ، وخاصة بعدما اتفق جوركي مع البلاشفة على معارضة اشتراك روسيا في الحرب العالمية الاولى ، وبعدما ساندهم بعد ثورة اكتوبر ١٩١٧ .

المرحلة الذهبية في حياة جوركي

وتعتبر المرحلة بين ١٩١٣ ـ ١٩٢٣ المرحلة الذهبية في حياة جوركي الادبية ، ففيها الف درة انتاجه ، وهى ثلاثيته المعروفة (الطفولة ١٣ ـ ١٩١٤) و (في الدنيا ١٥ ـ ١٩١٦) و (جامعاتي ١٩٢٣) .. ولا يفوتنا هنا ان نشير الى السخرية التي ينطوى عليها عنوان الكتاب الاخير ـجامعاتيـ ذلك ان جوركي لم يلتحق طول عمره الا بجامعة واحدة ـ جامعة الحياة ـ اما محاولته الانضمام الى جامعة قازان فقد باءت بالفشل .

وليس في الادب الروسي كله « سيرة ذاتية » تفضل هذه الكتب الثلاثة ، ولسنا نعرف كاتبا سواه ارخ لنفسه باحسن مما كتب جوركي في هذه الثلاثية الرائعة ، رغم انها لم تتناول من حياته الا مرحلة الطفولة ، وبعض ايام شبابه . ففي هذه الكتب يتجلى مالجوركي من قدرة على وصف الشخصيات وتحليلها . فهو يصف افراد اسرته ويصف سادته ممن عمل في خدمتهم،ويصف عددا من الشخصيات الحية التي تنبض بها الصورة التي يرسمها قلمه على صفحات ثلاثيته.

ولعل اهم مايميز هذا التاريخ ان الكاتب لايعنى في سرده بما اصاب شخصيته من احداث حتى حادث انتحاره لا يخصص له اكثر من سطرين ولكنه يعنى برسم الحياة ذاتها دون ان يبذل جهدا في تحليلها او تفسير خفاياها .. كان كل همه ان يعكس للحياة صورة صادقة ، رآها ، واحسها ، وعاشها، صورة للحياة كما هي ، بما لها من الوان،وما فيها من غموض وقسوة ، على ان هذه الصورة تحمل بين الوانها وظلالها رسائل يترك للقارىء العثور عليها .. وفهمها .. لان جوركي يحتج على مافى الحياة من قسوة .. وهو كعهدنا به مقتنع بضرورة الاعتماد على النفس،ولكنه في ثلاثيته لا يبشر بما يؤمن به ولا يعلن ما يحتج عليه ، ولكنه يامل ان يكتشف القارىء كل ذلك .. لنفسه وبنفسه .

اتم جوركي الجزء الاخير من الثلاثية في كابرى في الفترة من ٢١ـ١٩٢٨ .

جوركي يعود الى روسيا

وكان قد آثر الا يعود الى وطنه روسيا لان أمله

فى الثورة الروسية كان قد خاب تماما .. ولكنه اضطر تحت ضغط الالحاح ان يعود الى ذلك الوطن عام ١٩٢٨ فاستقبل استقبالا يليق بالابطال ، واحتفلت البلاد بعيد ميلاده الستين احتفالا شعبيا رائعا ، فاق كل حدود تصوره فقرر ان يعود نهائيا عام ١٩٢٩ وعاش فى وطنه حتى نهاية عمره .

وصادفت عودته الى روسيا علو نجم ستالين ، الذى كان قد نجح فى الاستيلاء على السلطة كلها ، واصبح فى روسيا الدكتاتور المطلق .. وارتفع نجم جوركى ، واعترف به زعيما للكتاب السوفيت ، فلما اسسوا اتحادهم عام ١٩٣٢ كان هو اول رئيس له .. وعمل جوركى على دعم الطريقة الجديدة فى الادب ، وهى التى عرفت باسم « الواقعية الاشتراكية » Socialist Realism ، وهى التى فرض اتباعها على الكتاب السوفيت .

كتب جوركى بعد ذلك عددا من الروايات والتمثيليات يضيق المقام عن سرده ، او الاشارة اليه ولو اشارة موجزة ، ولكن نستثنى من ذلك مؤلفه الذى يعتبر – بعد ثلاثيته – خير ما كتب .. ونعنى مذكراته حول بعض الكتاب الروس – كذكريات تولستوى ، وتشيكوف ، واندريف – ولقد بلغت مذكراته عن تولستوى حدا من الروعة والصنعة حدا بكثير من النقاد ان يذهبوا الى انها خير ما كتب على الاطلاق .

موت جوركى

مات جوركى فجأة عام ١٩٣٦ وكان تحت العلاج الطبى اذ ذلك ، ولكن الغموض احاط بظروف موته ، هل مات بالسل الذى كان هو فريسته ؟ أم ترامات مسموما بيد عدو ؟

الثابت ان موت جوركى كان موضوع نقاش فى محاكمة كبرى ، عقدت جلساتها عام ١٩٣٨ ، وكان المتهم الاول فيها بوخارين Bukharin ، وشهد شاهد ان جوركى مات نتيجة لمؤامرة دبرها اليمينيون واعوان تروتسكى .. كما ان احد المتهمين ، وهو الرئيس السابق للشرطة – واسمه ياجودا Yagoda اعترف انه كان قد اصدر امرا بقتل جوركى ، وذهب بعض المعلقين من رجال الصحافة فى المعسكر الغربى الى ان جوركى قتل بامر ستالين نفسه .

جوركى بعد موته

اعتبر الروس جوركى بعد موته عمدة لادبهم ، فاذا هم ارادوا ان يقطعوا فى قضية ادبية بحكم استشهدوا بقول لجوركى ، ويكفى ان يقال : جوركى قال كيت وكيت ، لتقطع جهيزة قول كل خطيب .

وما يزال جوركى يحتفظ بسمعته الادبية خارج روسيا ، ولكن الذى نشك فيه هو ان يحتفظ له تاريخ الادب بمكان بين عمالقة الادب فى العالم .. ويجب الا ننسى ان شهرته جاءت اساسا نتيجة لمصادفة سياسية ، اما اسلوبه الذى لا شك قد تحسن فى آخر ايامه فقد خلا من الرشاقة ، وصبغته شىء من التكلف ، مرجعه محاولة خلق صور لم يطاوعه قلمه تماما على رسمها ، مما اضطره الى المبالغة والتهويل احيانا ، اذ كان التعبير السلس يستعصى عليه ، فلا يستجيب له دائما ، يتسهل مرة ، ويتعسر مرارا ، يذل طورا ويعز اطوارا .

ولست تجد فى كتابات جوركى كثيرا مما يضحك السن او يفكه النفس فهى تكاد تخلو تماما من روح الدعابة ، ويزيدها جفافا اصراره على عرض آراء فلسفية عن الحياة .

على اننا لا ننكر على الرجل براعته التى تكاد لا تضارع فى ادراك المجسمات ، وقدرته الخارقة على بعث الحياة فى شخصياته ، ومعرفته الاكيدة باحوال الطبقات الدنيا فى بلاده .. ولا ننكر عليه انه انفرد بالكتابة عن فترتين من اهم فترات الادب الروسى ، فترة ما قبل الثورة مباشرة ، وفترة ما بعدها مباشرة . فهو – وان لم يستطع بلوغ ما بلغه تولستوى وتشيكوف – كاتب له قدره ومقامه ، قد يفتقد ترك ما كتب وان لم تفتك قراءته . ■■

جمال الكنانى

التهاب الكبد الفيروسى الحاد

بقلم : الدكتور محمد محمد ابو شوك

■ مرض يصيب الكبد ـ وهو معد ـ ومنتشر ، ويساعد على انتشاره وجود حالات مختفية لا يظهر عليها علامات مرضية ولكن تنقل العدوى لوجود الفيروس بها اثناء المرض وبعده •

ويسبب هذا الالتهاب نوعان من الفيروسات يسمى احدهما فيروس ا والآخر فيروس ب • وكنا نفرقهما في الماضى بان الاول يسببه فيروس يدخل الجسم عن طريق الفم ، والآخر عن طريق الحقن ، ولكن اتضح حديثا ان كلا الفيروسين يمكنه ان يصيب الانسان عن طريق الفم والحقن ، ويمكن التفرقة بينهما بوجود المادة Antigen نتيجة للاصابة فهناك Antigen B, Antigen A • ومع الاخير وجد نوع يسمى Australia Antigen • والفرق الثانى هو مدة الحضانة فبينما تظهر في الاول ما بين ١٥ الى ٥٠ يوما تظهر فى الثانى ما بين ٥٠ـ١٨٠ يوما •

وكان يعتقد ان الالتهاب الفيروسى ا ينتقل بواسطة تلوث الاطعمة ببراز المريض فقط ، ولكن وجد انه من الممكن ان يصاب المريض بهذا الفيروس عن طريق الحقن الملوثة والحاملة للفيروس ، وكذلك وجد أن براز المريض المصاب بهذا الفيروس، يحتوى عليه في الاسبوعين الاخيرين من مدة الحضانة، وفى الايام الاولى من ظهور اعراض المرض •

وكذلك اتضح انه من الممكن ان يظهر فيروس ب فى البراز وتنتقل العدوى خلافا للاعتقاد الذى كان سائدا قديما من انه لايوجد الا فى دم المريض• وينتقل بواسطة حقن الدم المصاب او تلوث الحقن بهذا الفيروس واستعمالها دون تعقيمها التعقيم الصحيح ، لحقن انسان سليم • ولقد وجد كذلك ان التهاب الكبد بواسطة فيروس ا يصيب صغار السن والشبان فى مقتبل العمر • اما فيروس ب فيصيب الانسان فى اى سن من سنى حياته • وترتفع نسبة الاصابة بفيروس ا فى اواخر الخريف، وفى الشتاء ، وتنخفض النسبة فى اواخر الربيع والصيف •

طرق العدوى

انتقال العدوى من شخص مريض الى آخر سليم هى من اهم طرق العدوى ، وكذلك بتلوث طعام السليم بالفيروسات التى تخرج من المصاب ، وكم من مرة يشاهد تجمع بعض الحالات المصابة فى منطقة واحدة وبتتبع مصدر العدوى ، وجد انه يرجع الى وجود ماء او لبن ملوث ، وتنتشر هذه الاوبئة المحدودة فى فصل الصيف ، ويمكن مشاهدة هذه الاوبئة ذات المصدر الواحد غير الانسان فى حالات تعاطى محار البحر التى تؤكل دون طبخها •

وينتقل المرض بواسطة حقن السليم بدم مريض، لذا كانت اهمية عدم اخذ دم من متبرع بدمه اصيب بالتهاب فى الكبد ومعاملة الدم معاملة خاصة حتى نتاكد من خلوه من هذه الفيروسات •• واستعمال الحقن البلاستيك والاجهزة مرة واحدة، قلل من هذه الاصابات بالعدوى •

وقد لوحظ ان استعمال الدم بعد تجميد الكرات الحمراء قلل من نسبة حدوث التهاب الكبد •

كبد مصاب بالتهاب الكبد الفيروسى من النوع
الشديد .. ويلاحظ التضخم مع تغير فى انسجته .

وحديثا وجد انه من الممكن ان تنتقل العدوى بدخول الفيروس الجهاز التنفسى ، أو بملامسة الحيوانات المعرضة للمرض كالقردة مثلا . وكذلك هناك احتمال انتقال العدوى باستعمال ادوات المريض التى يستعملها ، بسبب وجود الفيروس فى فم او بلعوم المصاب ، لذا كان من الواجب اخذ الحذر وعدم استعمال هذه الادوات الا بعد وضعها فى ماء مغلى لتطهيرها .

اعــراض المرض

قبل ان يظهر اليرقان (صفار الجسم والعينين) بنحو يومين الى ١٤ يوما تظهر اعراض فجائية على المريض ، فيشكو من تعب شديد ، وارهاق عند قيامه بابسط المجهودات العضلية ، ويتبع ذلك فقدان للشهية ، والشعور باعياء شديد ، وفى بعض الحالات يصحب ذلك غثيان وقىء واسهال ، وفى بعض الحالات يشكو المريض من الام مفصلية تشبه الى حد كبير الآلام المفصلية التى تصاحب الحمى الروماتيزمية ، ونرى ان بعض المرضى يشكون من تغير حاسة الشم عندهم ولا يستسيغون طعاما يقدم اليهم ويكرهون حتى رؤية الطعام - حتى المدخنين - لا يستسيغون طعما للسجائر ، وكذلك يشكو المريض من الم امتلاء فى اعلى البطن مع الشعور بضيق وعدم الراحة ويصحب هذه الاعراض ارتفاع فى درجة الحرارة ربما جاوز الـ ٣٨° م ، وتشبه الى حد كبير الاصابة بما نسميه (الانفلونزا) او الرشح ، وما يتبع ذلك من الم بالحلق او سعال ، ورشح من الانف وآلام عضلية - حتى ان الصورة فى بعض الحالات لا تكون واضحة - ويفاجا الطبيب والمريض بعد فترة بظهور الصفرة على الجلد وتتضح صورة التهاب الكبد .

وفى حالة الاصابة بفيروس ب تكون الاعراض بطيئة الحدوث وفى بعض الحالات يصحب ذلك طفح على الجلد مع ارتكاريا وآلام مفصلية .

وقبل ظهور اليرقان بيوم الى اربعة ايام يكون لون البول داكنا يصفه المريض كانه الشاى ، ويكون البراز فاتح اللون ، ويصحب ذلك حكة فى الجلد تكون لفترة وجيزة ..

ومما يجدر ملاحظته انه فى بعض الحالات تكون الاعراض خفيفة وبسيطة ، وتمر الحالة دون ان يظهر حتى يرقـان على الجسم ، وهـذا كثيرا ما يحدث فى الاوبئة التى تجتاح بعض الاماكن من آن الى آخر . وهذه الحالات غير الظاهرة هى التى تساعد على انتشار المرض فى مكان ما - فهـؤلاء يسمون بحاملى المـرض ولكنهم ليسوا بمرضى .

وكثيرا ما يختلط الامر على الاطباء فى هذه المرحلة من المرض اذ ان كل ما يجده بالكشف هو تضخم والم فى الكبد .

ظهــور اليرقــان

ويظهر اليرقان بعد فترةالحضانة وتزداد العينان

والجسم صفرة الى ان تصل الى اعلى مستوى بين الاسبوع الاول والثاني ثم يبدأ في الزوال تدريجيا، وفي الحالات العادية يبقى لمدة ٦ او ثمانية اسابيع ، وعند تناقص حدة الصفرة في الجسم يتلون البراز ، ويأخذ لون البول في ان يتحول الى اللون الاصفر الفاتح المعتاد •

وبعد ظهور اليرقان باسبوع او اسبوعين يأخذ حجم الكبد في النقصان ، ثم يعود لحالته الطبيعية في بضعة اسابيع •

حالة النقاهة

وبعد انقشاع اليرقان يحس المريض بأن حالته في تحسن ، ولكنه يحس بإرهاق من آن الى آخر ، ويبقى هكذا لمدة اسبوعين الى ستة اسابيع ، حسب حالة المرض ومدى شدته •• على انه لا يمكن القول بأن المريض قد شفي تماما من ناحية الكشف او ناحية الفحوصات الطبية والمخبرية الا بعد ثلاثة او اربعة اشهر •

ولقد وجد ان نسبة الوفاة في حالات التهاب الكبد الفيروسي تعتمد على نوع الفيروس ، وطريقة الاصابة به ، وحالة المريض عند اصابته •

فاذا كانت الاصابة عن طريق الفم وبفيروس أ كانت نسبة الوفاة ١ر٠٪ ــ ٤ر٠٪ واذا كانت بفيروس ب او أ عن طريق الحقن زادت نسبة الوفاة الى ٦٪ وترتفع هذه النسبة الى ١٠٪ ــ ١٢٪ اذا كانت الاصابة بعد عملية نقل دم يحتوي على الفيروس •

وتزداد نسبة الوفاة عامة اذا كانت الاصابة لامرأة حامل ، او متقدم في السن ، او كان المصاب مريضا بمرض آخر ، او ضعيف البنية لا يمكنه مقاومة المرض ، على انه في بعض الحالات تختلف صورة الاصابة الشديدة نظرا لمدى اصابة خلايا الكبد من تلف خفي بعد اصابة تكون شديدة ويستمر المرض لفترة طويلة ، وربما ترك اثرا في النهاية مما يسبب تليفات في الكبد ، وما يتبع ذلك من مضاعفات • وفي الحالات الاخرى الشديدة والمميتة والتي تصل نسبة الوفاة فيها الى ٦٠ ــ ٩٠٪ تكون الاصابة شديدة ، وتموت خلايا الكبد ، ويضمر حجمه ، ويتبع ذلك نزف شديد من جميع اجزاء الجسم ، ويذهب المريض في غيبوبة ربما لا يفيق منها وتكون نهايته ، ويكون ذلك في أيام معدودات حتى دون ان يظهر اثر اليرقان على الجسم •

ويعتمد تشخيص الحالة على الفحوصات المخبرية ، والتي تتغير فيها •• عدد الكرات الدموية البيضاء ووجود الفيروسات عندما تكون في الدم • ثم تغير الانزيمات التي يفرزها الكبد وغيرها من وظائف الكبد المختلفة ، وعن طريق الفحوصات المخبرية يمكن التفرقة بين انواع اليرقان المختلفة • بل وعليها ايضا وعلى التغير الذي يحدث في البول والبراز يمكن معرفة مدى تحسن الحالة •• وعلى اساسها يمكن للطبيب ان يكيف وسائل العلاج ، ويقيم حالة المريض ومآل مرضه•

وقبل ان ادخل في تفاصيل العلاج ، أي انه من الواجب ان أشير الى انه في بعض الحالات (حوالى ٥٪) ربما تحدث نكسة في حوالى ستة أشهر من بدء المرض ، ولكنها تكون اخف وطأة من المرض نفسه ، ولا يمكن الجزم عما اذا كانت هذه نكسة أم اصابة اخرى بالمرض •• ولعله بفيروس آخر •• ويتضح ذلك في مدمني المخدرات والتي يتعاطونها بواسطة الحقن خصوصا عندما يحقنون انفسهم بحقنة واحدة فينتقل الفيروس من شخص الى آخر •

ولا بد لي كذلك ان انوه بانه في بعض الحالات، يشعر المريض بهزال واعياء ، واعراض غير واضحة، ولا تشير الى وجود مضاعفات ، او اصابة اعضاء اخرى من الجسم ، ولا يصحب ذلك تغير في وظائف الكبد ، وربما استمرت هذه الاعراض لفترة طويلة تتراوح بين ٦ ــ ١٢ شهرا •

وفي بعض الحالات كذلك ربما طال دور النقاهة واستمر اربعة أشهر الى ثمانية اشهر ، ويكون في بعض الاحيان مصحوبا بتضخم في الكبد والطحال مع تغير في الانزيمات التي تخرج من الكبد ، وتغيرات في وظائف الكبد ، ورغم طول مدة النقاهة الا انه لا يحدث عادة تغير في تركيب خلايا الكبد ولا تليف بها • وفي النهاية ، ولو انها طويلة ، يكون الشفاء التام دون ترك اثر في الكبد •

وفي بعض الحالات الاخرى يستمر وجود الفيروس، ويكون معظمها فيروس ب لفترة طويلة مما يؤدي بخلايا الكبد وبالتالي وجود الياف مكانها ، وما زال البحث جاريا عما اذا كان التهاب الكبد الفيروسي يسبب نسبة في اسباب تليف الكبد ، هذا الذي يحدث اذا حدثت مضاعفات ، وكان المرض شديدا ، وترك وراءه تحللا او ضمورا في خلايا الكبد وزيادة في الالياف بين خلايا الكبد السليمة•

العلاج

العلاج الوقائى : وهذا صعب فى هذه الحالة ، وترجع الصعوبة الى ان الفيروس يفرز من المريض لمدة اسبوعين قبل ظهور اليرقان ، ومما يساعد على هذه الصعوبة ايضا وجود حالة مصابة من المرض دون ان يظهر عليها الاعراض ، وحتى دون ان يظهر اليرقان ٠٠ وهؤلاء هم حاملوا المرض ٠٠ ويمكن تخفيف حدة المرض فى المخالطين خصوصا الاطفال والمسنين والحوامل بحقنهم بمصل يحتوى على مادة جلوبولين
Hyper Immune Serum Globulin

ويمكن اعطاؤه بكميات كبيرة ٥٠ر ـ ٠٦ر٠ سم لكل رطل من وزن الجسم اذا اريد مناعة من المرض لمدة ٢ ـ ٣ اشهر ، وكذلك للمسافرين الى مناطق موبوءة بالمرض ، وفى حالة اعطاء دم لاى مريض لا بد وان يستبعد من المتبرعين بدمهم اولئك الذين اصيبوا بالتهاب الكبد٠٠وما زال استعمال الامصال المحتوية على الجلوبولين Hyper Immune Serum Gloquli على نطاق ضيق، والبحث جار فى مدى اعطائه الوقاية من التهاب الكبد الذى يحدث من فيروس يدخل الجسم بواسطة الحقن ٠

علاج المرض

ليس هناك علاج خاص لالتهاب الكبدالفيروسى، ويمكن علاج الحالات البسيطة فى المنزل مع اتخاذ سبل الوقاية بين افراد الاسرة ، وحقن المخالطين اذا لزم الامر بالمصل المضاد ٠ والحالات الشديدة او غير العادية او الناتجة من نقل الدم ، لا بد وان تعالج فى المستشفى خوف حدوث المضاعفات ٠٠ ويحتاج المريض فى علاجه الى الراحة بالفراش لمدد مختلفة تعتمد على شدة المرض ، ولا داعى لان يكون طول الوقت بالسرير ويكفيه ساعة بعد تناول كل وجبة على ان يقضى باقى الوقت فى كرسى بجوار السرير ٠

ويتناول المريض طعاما سهل الهضم يحتوى على كميات كبيرة من الكربوهيدرات (السكريات) اما الدهنيات فلان المريض لا يستسيغها فلا داعى لاعطائه اياها خصوصا وانها تكون فى بعض الحالات عسرة الهضم ويشجع المريض على تعاطى عصير الفواكه الطازجة من آن الى آخر ٠

ولا بد ان يراعى عدم اعطاء المريض اى ادوية تكون ضارة بالكبد او ان الكبد يتدخل فى التخلص منها لان ذلك يزيد من اجهاد عمل العضو المصاب ويؤثر عليه ٠٠ ولان الاصابة بفيروس فلا داعى لاعطاء المريض المضادات الحيوية الا اذا كان يعانى من التهاب فى عضو او جزء آخر من الجسم ٠

وفى المستشفى يستحسن ان يكون المريض فى غرفة منفردة بها مياهه الخاصة به ، وتغسل الايدى جيدا بعد فحص المريض ، ويعطى محلول الجلوكوز بالوريد اذا تقيا كثيرا ، او كان قد فقد الشهية حتى اصبح لا يتناول الكميات الكافية من الطعام ٠٠ وكذلك يعطى الادوية اللازمة واهمها الكولسترامين Cholestramine اذا اشتكى من حكة فى جلده ٠

وفى الحالات الشديدة ربما استعان الطبيب بمركبات الكورتيزون ليقلل من حدة المرض ، وتنخفض الحرارة ، وتتحسن حالة المريض النفسية وتزداد شهيته للطعام ٠

ويبقى المريض بالمستشفى الى ان يحس بتحسن حالته ، وزوال الاعراض التى يشكو منها مع زوال اليرقان الظاهر فى الجسم والعينين وتكون المادة الصفراء فى الدم حوالى ٢ ملليجرام فى المائة ملليمتر ، على انه لا بد من متابعة المريض، حتى نتاكد من ان الكبد قد عاد الى حالته الطبيعية ، وان جميع وظائف الكبد والتحاليل قد اصبحت قريبة من المستوى الطبيعى ، وذلك خوف حدوث النكسات او الاصابة مرة اخرى اذ انه اذا حدثت مثل هذه الحالة لا بد وان يعالج المريض كما لو انه اصيب بنوبة حادة ■■

محمد محمد أبو شوك

قصة قصيرة

هدية

بقلم : حسين القبانى

انها هدية عجيبة بلا شك .. بل لعلها اعجب هدية يمكن ان يهديها الابن الى امه .. او الى اى انسان آخر ! انها اكذوبة صغيرة .. صغيرة جدا ، وبيضاء جدا .

ومع ذلك فقد رفعت هذه الاكذوبة الصغيرة جدا ، البيضاء جدا ، اثقالا من الآلام والاحزان وعذابات الضمير عن قلب امى .

ولكن يبدو انى نسيت نفسى واخذت اكتب القصة من ذيلها بدلا من ان ابداها من الاول .

ولعلى قبل أن ابداها ، أحب ان اقول اننى كثيرا ما رايت امارات الدهشة والتساؤل تلمع فى عيون الذين يعرفون ماذا كنت فى طفولتى وصباى وكيف اصبحت الآن .

ولست اشك فى ان هذه الامارات نفسها تلمع فى عيونهم وهم يرون اخى الاصغر المهندس واختى الصغيرة الطبيبة .

ولو اننا ترجمنا هذه الامارات الى كلمات ، لكانت هكذا :

كيف وصلتم الى هذه المكانة فى الحياة رغم كل ما كان يحيط بكم فى طفولتكم وصباكم من فاقة وضيق ؟

واعتقد انه قد آن لى أن اجيب على هذا التساؤل : انها الام يا اصدقائى .

انها امنا ولا احد آخر ، بعد الله غيرها ..

ولعل خير هدية اقدمها اليها فى هذه المناسبة ، هى هذه الكذبة الصغيرة جدا .. البيضاء جدا والعجيبة جدا .

كان ابى رحمه الله انسانا فاشلا فى حياته .

ولم يكن له يد فى هذا الفشل ، لانه هكذا خلق ولعل ان يكون سر فشله ، انه ولد « بلا خربوش » كما يقول العامة .

وهكذا عاش طيبا اكثر مما ينبغى فى عالم يرى الاسراف فى الطيبة بلها وغفلة .

وعاش مسالما اكثر مما ينبغى فى عالم يرى المسالمة ضعفا وجبنا .

وعاش كريما مبسوط اليد اكثر مما ينبغى فى عالم يرى الكرم تبذيرا وسفها .

وهكذا فشل فى الاحتفاظ بفدادينه الاربعة او الخمسة التى ورثها عن ابويه .

وفشل فى الاحتفاظ باى عمل يظفر به بعد الجهد والمشقة .

وكان قبل ذلك قد فشل فى دراسته بالازهر ولا ادرى لماذا !

وكاد ان يفشل فى الاحتفاظ بزوجته ــ امنا ــ لولا انها استماتت فى انقاذه من هذا الفشل .

لقد احتملت كل الوان فشله لانها أدركت ان هذه هى طبيعته التى لا حيلة له فيها ، ولانها كانت تعلم عن يقين انه فى حقيقة الامر لم يكن مسئولا عن فشله الا اذا كان الانسان مسئولا عن وجوده فى هذه الحياة .

بل انها فى بعض الاحيان ، كما علمت فيما بعد ، كانت ترى ان ما يظنه النـاس فشلا ، لم يكن فى نظرها الا النجاح عينه .

فمثلا عرض عليه يوما ان يشترك فى مشروع يدر عليه ثروة طائلة بطرق غير مشروعة . ولو انه قبل لاصبح موفور الثراء ، ولما اتهم بانه فاشل . ولكن امى اعتبرت فشله فى هذا الامر نجاحا .

وفى هذا الجو العائلى نشات بين والد هذا شانه ، وبين ام تحاول جاهدة ان تجعل من فشل زوجها نجاحا لابنائها .

وكانت على شىء من العلم البسيط ، كما كانت وحيدة ابويها ، مثل ابى ، ابن عمها ، وقد عاشت معه فى بيئة ريفية محافظة شديدة التدين الى حد التزمت .

ولا ادرى كيف اضاع ابى فدادينه القليلة التى

ورايت امى تتنهد بعمق ولاول مرة رايت وجهها يشرق بابتسامة نابعة من القلب . وكانت هذه الابتسامة هى خير هدية قدمتها لامى فى ذلك العيد ..

ورثها عن ابويه ، ولكن الذى ادريه واذكره ، انى حين بدات اشعر بالحياة ، واعى ما حولى من الاحداث بصورة ما ، وجدت نفسى اعيش مع والدى واخوة ثلاث فى غرفة واحدة بمسكن مشترك فى زقاق من حارة بشارع الجمالية .

وليس هنا مجال الاستطراد فى وصف تفاصيل هذه الحياة . ولكنها ليلة واحدة من هذه الليالى المظلمة بقيت ذكرياتها محفورة فى اعماقى حتى هذه اللحظة . واكبر الظن انها ستبقى محفورة الى آخر لحظة من العمر .

كانت ليلة باردة قاسية تزار فيها الرياح ، ولا يكف المطر عن الانهمار ، وضاعف من قسوتها اننا فيها كنا قد بلغنا القاع الذى لم يعد تحته شىء يمكن الانحدار اليه .

وليس هناك بعد الجوع والمرض شىء .

كنت وامى لم نذق شيئا طيلة النهار،وكان القليل جدا من الطعام قد تناوله اخى الاصغر واختى الصغيرة .. اما الاخ الرضيع فكان يبكى حينا ، ويتلهى بالثدى الفارغ حينا ، ويغلبه النوم بين الحين والآخر ، ومرت اللحظات بعدَ الغروب

بطيئة ، والرياح تزأر ، والامطار لا تكف عن الانهمار ٠

وكان ابي قد خرج في الصباح الباكر يبحث عن عمل كما كان يفعل كل يوم خلال الشهور الثلاثة التي كان متعطلا فيها بعد آخر عمل ٠

واضاءت امي المصباح البترولي وجعلت ضوءه خافتا حتى لا تنفذ قطرات البترول الباقية فيها فنقضي الليلة في الظلام ٠

ورقدت انا اتلوى من الجوع في صمت ، لاني كنت ادرك الحقيقة رغم اني لم اكن يومذاك قد تجاوزت السابعة من عمري ٠

ومن مكاني على الحصير ، وتحت الغطاء الرقيق المهلهل ، كنت ارى امي تروح وتغدو في الغرفة كحيوان سجين ، ثم تتوقف لترهف السمع كلما خيل اليها ان ثمة وقع اقدام على السلم المتهالك٠

واستيقظ اخي الاصغر وراح يطلب طعاما ٠ وتبعته اختي الصغرى ، وشرعت تبكي ، ولعلها لم تكن تدرى لماذا ٠٠ واخذت امي تروح عنهما ، وتلاطفهما ، وتؤكد لهما ان اباهما لن يلبث ان يعود حاملا الطعام وظلت الرياح تزأر ، والمطر لا يكف عن الانهمار ٠

وكانت ابواب الغرف الاخرى في المسكن المشترك تفتح ، الواحد بعد الآخر ، لم تغلق معلنة ان رب هذه الاسرة او تلك قد عاد من عمله حاملا الطعام لزوجته واولاده ٠

حتى العم ابراهيم الحلاق ، سمعنا وقع اقدامه المتثاقلة وسعلته التقليدية وهو يمر بصالة المسكن في طريقه الى غرفته اللاصقة بغرفتنا وهو يغمغم كعادته بصوته الاجش :

ـ يا اكرم من كل كريم ٠٠

وهدات ثورة الجوع في امعائي ، ولم اكن ادرى لماذا ، واردت ان اقول لامي انني لم اعد جائعا ولكنني لم افعل ٠٠

ولكن اخي الاصغر عاد يطلب طعاما ، وعادت الاخت الصغرى تبكي ـ ولعها لم تكن تدرى لماذا تبكي ٠٠

وفجأة صرخ الاخ الرضيع بعنف ، وراح يتلوى ، فاسرعت امي اليه تحمله ، وسمعتها تهمس في جزع :

ـ الولد حرارته فوق الاربعين ٠٠

واستمر صراخ الرضيع لحظات وامي تهدهده وتروح به وتجيء وقد بدا وجهها في ضوء المصباح الخافت رهيبا في نظرى ٠ خيل الى انها لم تعد الانسانة التي عرفتها ، وانما تحولت الى اى شيء آخر لا يمت للبشر بسبب ٠

كانت تتلفت حولها في شبه خبل ، ولعلها كانت تبحث عن شيء يمكن ان تبيعه او ترهنه ، وذلك رغم انها كانت تعلم انه لم يعد ثمة شيء يصلح للرهن او للبيع ٠

انا الآن اذكر تماما ان كل الذى كان في غرفتنا في تلك الليلة لم يكن يساوى ثمن حملة للتخلص منه ٠

وكف اخي الاصغر عن طلب الطعام وهو يسمع صريخ الرضيع ، وتحول بكاء الاخت الصغرى الى تشنج خفيف متقطع ٠ ولكن الرياح لم تكف عن الزئير ، ولم تتوقف الامطار عن الانهمار ٠

وبدا صياح الرضيع يخفت تدريجيا حتى امسى انينا ٠ ورايت امي وهي تضعه في مكانه من الفراش ثم ترتدى ازارها وتتجه نحو باب الغرفة ، ثم تتوقف فجاة ، ثم تعود وتخلع الازار ، وكانما ادركت انه لا جدوى من خروجها ، او كانما تذكرت انها لا تدرى الى اين تذهب ٠

وعادت تروح وتجيء في الغرفة وهي تحمل الرضيع الذى كان يئن بين يديها وتتحسس وجهه وجبينه وتتمتم بكلمات غامضة ٠

وفي خلال هذا كله لم تكن تكف عن تركيز سمعها في اتجاه السلم كانما تتوقع ان تسمع خطوات ابى في اية لحظة ٠٠ ولمحتها من وراء اهدابي تلتفت نحوى وتهمس باسمي :

ـ ممدوح ٠٠

ولست ادرك لماذا تظاهرت بالاستغراق في النوم ٠ فلم اجب ، لعلي كنت اريد ان اطمئنها من جهتي حتى لاتزيد همومها بامرى ٠٠ ولعلي كنت قد شعرت ببعض الدفء فخشيت أن ترسلني في البرد والمطر الى القهوة التي اعتاد ابى أن يجلس عليها كلما تعطل عن العمل٠ولعلي احسست بغريزتي انها تريد ان تطمئن الى استغراقي في النوم ٠ وبعد ان كررت النداء مرة اخرى بصوت اكثر ارتفاعا مضت الى الباب المغلق الذى يفصل بين غرفتنا وبين غرفة عم ابراهيم الحلاق ووضعت اذنها عليه تتسمع ٠

واعتقد انه لم يكن بها حاجة لان تفعل هذا لان غطيط الرجل كان يصل الينا بوضوح .

وظل الرضيع بين يديها يئن . ولم تكف الرياح عن الزئير ولم ينقطع المطر عن الانهمار . ورأيت أمي تضع الطفل برفق وقد بدا في عينيها بريق مخيف .. بريق طالما رايته فيما بعد كطبيب ، يلمع في عيون الذين فقدوا عقولهم . ومضت تتسلل الى الباب بلا ازار ثم تفتحه برفق وتطل براسها على صالة المسكن المشترك وترهف السمع . وخرجت .. وفزعت انا وقد خطر لي انها تركتنا الى الابد وما كدت انهض لالحق بها ، حتى رايتها تعود وهي تقبض بيدها على شيء لم اتبينه لم تهزني لتوقظني فانتصبت جالسا لأسمعها تهمس لي :

ـ خد بالك من اخوتك .. لى اغيب ..

واشتملت بازارها وانصرفت ولست ادرى كم لحظة او ساعة غابتها ولكنني اذكر ان كل لحظة مرت على اثناء غيبتها كانت عمرا . وعادت اخيرا ومعها رجل في يده حقيبة عرفت فيما بعد انه طبيب . وفحص الرجل اخي الرضيع ، وكتب شيئا في ورقة وقال شيئا لم اسمعه بوضوح ، واخذ منها شيئا لم اعرفه على وجه التحديد ثم انصرف . ومرة اخرى طلبت مني امي ان آخذ بالي من اخوتي حتى تعود . وفي هذه المرة عادت ومعها شيء كثير من الطعام ، وعلبة أو علبتان من الدواء للرضيع الذي كان قد كف عن الانين... وعن كل شيء .

ولست انسى كيف جلسنا ، انا واختي نلتهم الطعام بينما انتحت امنا ركنا في الغرفة وراحت تغسل الرضيع الذي كف عن الانين بدموعها ، ونمت انا بعد ذلك ممتلىء البطن ، فلم ادر متى كفت الرياح عن الزئير او متى انقطعت الامطار عن الانهمار ، او متى عاد ابي من الخارج .

ولكن خيل الي اني نمت لحظات فقط استيقظت بعدها على ضوء الصباح وعلى صياح عم ابراهيم الحلاق بصوته الاجش في صالة المسكن المشترك . كان الرجل يصيح لاعنا اولاد الحرام الذين سرقوا منه «تحويشة العمر» اى الخمسة جنيهات الكاملة التي امضى في ادخارها عاما كاملا ، والتي كان ينوى ان يفتح بها دكان حلاقة، يغنيه عن جلسة الرصيف والتجوال في الشوارع بحثا عن الزبائن .

ولا تعجبوا ياأصدقائي من خمسة جنيهات كان يمكن ان تغدو رأس مال حلاق . فقد كنا في عام ١٩٥٢ ، اى في الوقت الذى كان للقرش فيه المقدرة على شراء رطل طماطم او بيضة أو وجبة افطار وظل الرجل في ثورته التي انهاها «بيمين طلاق» ان يرحل من غرفته الى غرفة اخرى بعيدا عن الحرامية اولاد الحرام « الذين لايرعون حرمة جار فقير كادح» . وبر الرجل بيمينه، وانتقل من الغرفة في اليوم نفسه .

وحتى اليوم لا أملك نفسي من الابتسام كلما تذكرت يمينه هذا بالطلاق رغم انه لم يكن متزوجا .

وحتى اليوم لا اعرف كيف لم يفطن ابى الى « سارق » المبلغ رغم رؤيته لبقايا الطعام وعلبتي الدواء بعد عودته في منتصف الليل . لعله كان مشغولا بفرحته اذ وجد في ذلك اليوم عملا كان السبب في هذه العودة المتاخرة . ولعله شغل بابنه الرضيع الذى كف عن الانين وعن كل شيء وباجراءات وضعه في مثواه الاخير . ولعله فطن ثم آثر الصمت . اما انا فقد فطنت رغم صغر سني الى الحقيقة .

وكان يكفي ان انظر الى وجه امي لاذكر ما حدث في تلك الليلة ، وكانه حدث أمس فقط .

فرغم انه لم تمر علينا بعد ذلك ليلة مثلها ، الا أن امي ، كما خيل الى ظلت تعيش فيها بقية عمرها .

لقد حاولت ماوسعها الجهد ان تعرف المسكن الجديد لعم ابراهيم ، ولكن كل جهودها باءت بالفشل ، وكانما انشقت الارض وابتلعت الرجل . الا انها عاشت دون ان تياس من العثور عليه يوما .

وعاشت ايضا وهي لاتعرف معنى الابتسام او الضحك الذى ينبع من الاعماق . كانت تبتسم حقا ، وكانت تضحك احيانا ، ولكن ذكرى تلك الليلة كانت دائما الحاجز المنيع الذى يمنع الابتسام او الضحك من تجاوز الشفتين أو الحنجرة . وحتى عندما جئت ابشرها بنجاحي بامتياز في بكلوريوس كلية الطب، لقد ابتسمت وقبلتني ودمعت عيناها ، ولكنني احسست فجأة ان ذكرى تلك الليلة حولت دموع الفرح الى بكاء .

ومات ابي بعد ان تخرجت ، وكانما ادرك انه ادى رسالته على نحو ما ، فقرر ان يستريح . واذا

تمونى كيف استطعت ان اتخرج من كلية ب رغم كل هذه الظروف القاسية لعجزت انا ى عن تقديم اجابة محددة ، حقا لم تمر علينا ، قاسية كتلك الليلة ، ولكن مرت علينا ليال ة قريبة منها ، وكانت امى تصر على ان كمل مراحل تعليمنا على نحو ما ولو شبعنا وجعنا يوما • وكان هذا الاصرار من جانبها ز لنا على التقدم فى الدراسة والتمتع بالمجانية جميع المراحل الدراسية • وفى نهاية المرحلة نوية ، كنت اشترك مع ابى فى التقاط الرزق مرة • ونجحت انا كطبيب جراح ، ونجح اخى ندس معمارى ، ونجحت الاخت الصغرى كطبيبة ض نساء وولادة • واصبح الخير يجرى بين نا بغير حساب •

كان يحق لامنا ان تمتلىء نفسها سعادة وهى ع اسماءنا تتردد على كل لسان ، والاعجاب طنا من كل جانب ، ورخاءنا يزداد عاما بعد • ولعل الذين كانوا يرونها ويتصلون بها بونها اسعد ام فى الوجود لا سيما الذين كانوا لون الطريق المظلم الطويل الذى قطعناه قبل نصل الى النور •

ولكنى كنت فقط الذى يعرف مبلغ ما كان ينوء لبها من آلام واحزان منذ تلك الليلة • وليس على هذا انها كانت ، كلما اجتمعنا معها يوما الاسبوع كالمعتاد تحدثنا عن ذكريات الكفاح ، الجيران الذين عاشت بينهم فى ايام الشدة ، عم ابراهيم الحلاق ، ثم تتوجه بنظراتها نحوى التى :

. انك تذكره يامدوح ؟

اومىء برأسى واقول : « نعم •• »

تتظاهر هى بانها تتحدث عرضا وتقول : «الم ابدا منذ انتقاله ؟ »

يخيل لى ان انفاسها تتعلق باجابتى ، واحس يد باردة تعتصر قلبى واتمنى فى تلك اللحظة استطعت ان اعثر على عم ابراهيم هذا لاعطيه ثروتى امام امى حتى تهدأ نفسها وتستريح •

ولكن • من اين لى ان اعثر على رجل نكرة • فى فى زحام الحياة اختفاء امثاله من النكرات•

ولكن ، هل كان سيظل نكرة ، لو انه حقق امله، فتح الدكان الذى كان يحلم به ؟ من يدرى ؟•

ولعل امى المسكينة لم تكن تكف عن التفكير فيما كان يمكن ان تؤول اليه حالة الرجل لو انه حقق امله واصبح صاحب دكان حلاقة •• ولعلها كانت تشعر انها ضيعت عمر رجل ، هباء •• وكنت انا كثيرا ما افكر لماذا فعلت هذا ، مادام ضميرها مرهفا الى هذا الحد ؟ هل افقدها احتضار ابنها الرضيع العقل فى تلك اللحظة ؟ • هل كانت تامل عن يقين انها ستعيد للرجل المبلغ فى اقرب فرصة ممكنة ؟ وسواء كان هذا أم ذاك ، فلماذا لم تلجأ الى قريب او جار تقترض منه بعض المال فى تلك المحنة ؟ • وكنت فى كل مرة اهز راسى امام هذا السؤال الاخير ، لان امى ، كما عرفتها ، كانت تفضل الجوع والموت ، على ان تمد يدها الى جار او قريب • ولم اكن اشك لحظة واحدة فى انها ما كانت لتاخذ المال من جيب معطف عم ابراهيم ايا كانت قسوة الظروف لو انها علمت فى تلك الليلة انه سيختفى تماما من حياتها فى صباح اليوم التالى • حنانيك ياأماه •

أى شىء يمكن ان اقدمه اليك فى عيد الام ؟ يعيد اليك ابتسامتك النابعة من القلب ، وينسيك ذكرى تلك الليلة؟• أى شىء يمكن أن يشترى بالمال•• أو بسنوات العمر ؟ • وبدأت الكآبة تشيع فى حياتى كلما رأيت ظلالها القاتمة تتراكم فى حياة امى ، وكلما سمعتها تكثر من الحديث عن ايام المحنة ، وعن عم ابراهيم الحلاق •

وفى يوم عيد الام الماضى كانت تتحدث بيننا عن تلك الايام وكنا جميعا بزوجاتنا وابنائنا حولها ، وكانت تحاول أن تضع على شفتيها ابتسامة مغتصبة وهى تتحدث عن بعض الجيران فى تلك الايام • ولما ذكرت عم ابراهيم قلت لها بلهجة عادية : تصورى ياأمى انى التقيت بهذا الرجل اليوم ؟ •

وتوقفت يدها التى كانت ترفع بها قطعة حلوى الى فمها ونظرت الى بانعام وقد شحب وجهها المغضن وارتجفت شفتاها وغصت بريقها وهى تتمتم : ـ بمن ؟ بعم ابراهيم ؟

ـ الحلاق ؟

قلت : نعم •

قالت : « ـ وكيف عرفته » ؟

قلت : « بحقيبة الحلاق فى يده والبقعة الحمراء التى على جانب وجهه الايمن » •

ورايت امي تتنفس بعمق . ثم اذا الدماء التي كانت قد انحسرت عن وجهها ترتد اليه حارة ثانية .

واذا هي تقول : « وماذا قلت له ؟ » .

قلت ـ « انه لم يعرفني طبعا ولكنني استطعت ان اعيد ذاكرته الى الليلة التي سرق فيها منه المال » .

وغمغمت امي بكلمات غامضة بينما استطردت قائلا بلهجتي الطبيعية جدا رغم ما كان ينطوى فى نفسي من انفعالات « وتذكرت الرجل وترحم على ابى وهو يهدى السلام » .

وخيل الى ان امي ارادت أن تسالني لماذا لم آت به . ولكنى اشفقت من هذا السؤال الذى قد يبدوا عجيبا امام الجميع،ومن ثم قلت : «والححت عليه فى الحضور ولكنه اعتذر قائلا انه ذاهب الى ابنته » .

وقالت امي فى همس « اذا فقد تزوج » .

« نعم ..وقال ان الله عوضه عن المال الذى سرق منه فسهل له الرزق وعاش ميسور الحال سنوات».

وادرت وجهى حتى لا ارى الدموع تطفر فى عينيها وهي تهمس قائلة : « الم تعطه شيئا يا ممدوح » .

فابتسمت لها وقلت « هل يجوز أن يتحدث الانسان عن شيء يتصدق به ؟ » .

فقالت : « كل ما ارجوه أن يكون المبلغ لائقا »

فقلت : « يزيد على عشرة جنيهات .. »

ورايت امي تتنهد بعمق ولاول مرة رايت وجهها يشرق بابتسامة نابعة من القلب . وكانت هذه الابتسامة هى خير هدية قدمتها لامى فى ذلك العيد. ولم يبق الا ان يغفر الله لى .

حسين القبانى

الناس للناس

● قيل : « جاء رجل الى وهب ابن منبه فقال : « ان الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وقد حدثت نفسي الا اخالطهم فقال له وهب : « لا تفعل،فانه لا بد للناس منك، ولا بد لـــك منهم ، لهم اليـك حوائج ، ولك اليهم حوائج ، ولكن كن فيهم اصم سميعـا ، واعمى مبصرا وسكوتا نطوقا » ٠

يأكل من

● دخل قوم على سلمان الفارسي وهو امير على المدائن ـ فوجدوا في يده لفافة من سعف النخيل يخوص بها بعض الاغراض فقالوا له : « ياسليمان ، تعمل هذا وانت امير على المدائن يجرى عليك رزق ؟ »

الرجل الكــامل

● طلب الحسن بن سهل وزير الخليفةالمأمون الى محمد بن سماعة القاضي ـ وكان من اصحاب أبي حنيفة النعمان ـيطلب منه أن يختار له رجلا يستعين به في عمله، وحدد له صفاته، فكتب ـ اليه :أما بعد : فاني احتجت في بعض اموري الى رجل جامع لخصال الخير ذي عفــــةونزاهة ٠ قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، ليس بظنين (متهم) في رأيهولا بمطعون في حسبه اذا ائتمن علـــى الاسرار قام بها ، وان قلد مهما من الاموراجزأ (اغنى) فيه،له سن مع ادب ولسان٠ تقعده الرزانة ، ويسكنه الحلم ، تكفيـه اللحظة ، وترشده السكتة ، قد ابصر خدمة الملوك وأحكمها ، وقام في امورهم فحمدفيها ، له اناة الوزراء ، وصولة الامراء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء،لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يكاد يسترق (يستعبد) قلوب الرجالبحلاوة لسانه ، وحسن بيانه ، دلائل الفضل عليه لائحة وامارات العلم شاهدة ٠ »

لو يعلم الناس ما أعلم

● قيل ان الحسين بن علي بن ابـــيطالب كان يسير وراء جنازة أحد الصحابة، فأعيا وقعد في الطريق يستريح ساعة ،فاقترب منه ابو هريرة رضي الله عنه ، وجعل ينفض التراب والغبار عن قدميهبطرف ثوبه ، فقال له الحسين : « يا ابـا هريرة وانت تفعل هذا ! » فقال له :« دعني ، فوالله لو يعلم الناس منك مـا اعلم لحملوك على رقابهم »

عبرة

عمل يده

فقال سلمان : انى اشترى خوصا بدرهم ، فاعمله ، فابيعه بثلاثة دراهم ، فاعيد درهما فيه ، وانفق درهما على عيالى ، واتصدق بدرهم ، والله انى احب ان آكل من عمل يدى . »

لايغبن يومه

● حدث الاصمعى قال : « كنا فى طريق مكة فجاء اعرابى فى يوم صائف شديد الحر ونحن فى وقت الغداء ، فقلنا : « لو دخلت واصبت من الطعام » قال : « انى صائم » قلنا : « تصوم فى هذا اليوم الحار ، وانت فى البادية » فقال الاعرابى « ان الدنيا كانت ولم اكن فيها ، وستكون ولا اكون فيها ، ولا احب ان اغبن ايامى .»

ولى فيها مآرب اخرى

● لقى الحجاج الثقفى اعرابيا فقال :« من اين اقبلت ؟ » قال : « من البادية » قال : « ما بيدك ؟ » قال : « عصا أركزهالصلاتى ، وأعدها لعداتى ، وأسوق بها دابتى،واقوى بها على سفرى،واعتمدعليها فى مشيى،ليتسع بها خطوى ، واعبر بها النهر فتؤمننى ، والقى عليها كساءفيسترنى من الحر ، ويقينى من القر . وتدنى ما بعد منى ، وهى محمل سفرتى ،وعلاقة ادواتى ، ومشجب ثيابى . اعتمد بها عند الضراب ، واقرع بها الابواب ،واتقى بها عقور الكلاب ، تنوب عن الرمح فى الطعان ، وعن الحربة عند منازلةالاقران ، ورثتها عن ابى واورثها بعدى ابنى ، واهش بها على غنمى ، ولىفيها مآرب أخرى كثيرة لا تحصى . »

خمسة

● قال امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه : « خمس خذوهن عنى : الا لايرجُوَنّ عبد الا ربه، ولايخافَنّ الا ذنبه، ولا يستحى من لايعلم ان يتعلم ، ولايستحى اذا سئل عما لايعلم ان يقول : الله اعلم ، واعلموا ان منزلة الصبرمنالايمان بمنزلة الراس من الجسد فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد واذا ذهب الصبر ذهب الايمان . »

اترك الفضول

● طلب رجل الى عبد الله بن المبارك أن ينصحه فقال له : « اترك فضول النظر توفق للخشوع ، واترك فضول الكلام توفق للحكمة ، واترك فضول الطعام توفق للعبادة ، واتركالتجسس على عيوب الناس توفق للاطلاع على عيوب نفسك ، واترك الخوضفى ذات الله تتوق الشكوالنفاق.»

THE ANATOMY OF HUMAN DESTRUCTIVENESS

تأليف : اريك فروم

عرض : الدكتور عبد الاله ابو عياش

ان الانسان فى بحث دائم عن الاثارة والدراما وعندما يفشل فى الحصول عليهما على اعلى مستوى يبدأ فى صنع دراما التدمير لنفسه ٠

تمثل هذه العبارة المنطلق الرئيسى لموضوع هذا الكتاب ، ويعتبر هذا الكتاب من اكثر الكتب وأوسعها رواجا وكاتبه مؤلف وفيلسوف اجتماعى ومحلل نفسى عاش فى بداية حياته فى المانيا ثم هرب منها فى فترة السيطرة النازية وذهب الى الولايات المتحدة بحثا عن الحرية والديمقراطية والحضارة ، الا أن الحياة الامريكية واساسها التكنولوجى بما تحمله من وسائل الخراب والتدمير ثم حرب الابادة فى فيتنام صدمت المؤلف وجعلته يتساءل : اذا كان هدف صنع طلقة البندقية او المدفع هو القتل والتدمير فكيف سنحكم على ما نصنع بانه نتاج حضارى ؟

وقد لاقى الكتاب رواجا وترحيبا من قبل الصحف والمعلقين ، فوصفته صحيفة « الواشنطن بوست » على أنه كتاب غني ومثير وعمل رئيسى بقلم مؤلف كبير ٠

وقالت صحيفة « الهيرالد تربيون » انه أكثر الكتب عمقا فى تحليل النزعة التدميرية عند الانسان٠ واشارت مجلة « ذى اتلانتك منتلى » الى دكتور فروم على انه مفكر أصيل وان تحليله لاسباب التدمير فريد من نوعه ٠ وعلق البروفسور لويس ممفورد أحد الباحثين البارزين فى دراسة مشاكل التحضر بقوله : « اذا كان هناك عمل واحد يستطيع بمفرده أن يعيد للبشرية بصيرتها فربما كان هذا الكتاب مؤهلا لتحقيق هذه المعجزة ٠٠٠ ان الكتاب هو نتاج أحد أكثر العقول تحفزا ونضجا فى وقتنا الحاضر » ٠ وقال آشلي مونتاجو وهو احد علماء النفس الاجتماعيين البارزين وصاحب كتاب «الثورة الانسانية »

انه يعتبر هذا المؤلف افضل الكتب الذى قرأ فى هذا الموضوع ٠ ولاريك فروم كتب عديدة اهمها « الانسان لنفسه » (Man for Himself)
« والمجتمع العاقل » The Sane Society
وكتاب « أزمة التحليل النفسى » ـ
(The Crisis of Psychoanalysis)

ان هذا الكتاب محاولة رائدة
لدراسة وتشريح النزعة التدميرية
والعدوانيــة للانســان
تلك التي اخذت حدتها تتصاعد
مع تقدم المدنية والحضارة

موراقيا فرويد

نظرات فلسفية

يقول ج٠س٠سمتس Smuts : « عندما انظر الى التاريخ فانا متشائم وعندما انظر الى ما قبل التاريخ فانا متفائل » ، ويقول ن ٠ تنبرجن Tinbergen : « من ناحية فان الانسان قريب من أجناس عديدة من الحيوانات التى تقتل افرادجنسها، الا ان الانسان من ناحية اخرى هو الوحيد بين الاف الاجناس من الحيوانات الذى يقتل ويسفك الدم بشكل جماعى » ٠

وينقل عن اسطورة اغريقية قديمة : « كلما تقدمت الاجيال سارت من سيء الى أسوأ ٠ وسياتى يوم يصبح فيه الناس أشرارا الى دزجة عبـــادة القوة ، ستصبح القوة هى الحق وسيتوقف تقديرهم للخير ، واخيرا عندما يتوقف غضب الانسان على السيئات وشعوره بالخجل أمام المأساة فسيدمرهم زيوس » ٠

محتوى الكتاب

يقسم فروم مؤلفه الى ثلاثـة اقســام رئيسية بالاضــافة الى المقدمـة ٠ ويتعلق القسم الاول بالغريزية والسلوكية والتحليل النفسى ، بينما يعالج القسم الثانى أدلة مضــادة للمفهوم الغريــزى ويتضمن القسم الثالث والذى هو أوسع الاقسام انواع العدوانية والتدميرية والظروف المتعلقة بهما٠

والكتاب عبارة عن محاولة شاملة ترتبط بنظرية التحليل النفسى وقد ركز الكاتب على العدوانيــة والتدميرية لانهما بالاضافة لكونهما من المشاكل الرئيسية فى التحليل النفسى فان موجة التدمير والعنف التى راحت تجتاح العالم ابرزت حاجتنــا الى كتاب كهذا يقوم بدراسة هذه الظاهرة الخطيرة٠ ونتيجة لتشعب وتشـابك الموضوع ، فقـد اعتمد المؤلف على مصادر من علوم مختلفة وخاصة علم النفس التحليلى ، مجالات سيكولوجية الحيوان ، الانثروبولوجيا ، الاجتماع ، علم الاعصاب Neurophysiology ، وعلم المستحدثات Paleontology بالاضافة الى مقابلات ومناقشات واسعة مع مئات العلماء والباحثين ٠ وقد جاء هذا الكتاب ثمرة جهد استمر مدة ثلاثين عاما ٠

ويرتبط الموضوع الرئيسى وهو النزعة التدميرية بالدوافع العدوانية عند الانسان ، وعلى الرغم من ان بعض الآراء تعتبر العدوان سلوكا غريزيا فان فروم يرفض الاخذ بمبدا الغريزية ويميز بين نوعين من العدوان ٠ فالنوع الاول هو ما يطلق عليـه العدوان الدفاعى Defensive Aggression وهو رد فعل هدفه بقاء الانسان وحمايته من الاخطار المحيطة به ، والنوع الثانى هو العدوان الشرير Malignant Aggression ، النازع الى التدمير والتخريب ، وهذا النوع خاص بالانسان دون غيره ويكاد يكون معدوما عند اغلب اللدييات ٠ ان هذا

النوع من التدمير ليس له هدف سوى شهوة الهدم. ويتميز الانسان عن الحيوان بانه الحيوان الراقي الوحيد الذي يقتل ويعذب ابناء جنسه بدون سبب ومع ذلك فهو يشعر بالاستمتاع لقيامه بذلك . ولان الكتاب يرفض الاخذ بمفهوم غريزية العدوانية التي تبناها الكثيرون من علماء النفس فهو يركز على النقاط الرئيسية التالية :

١ ـ ان الجماعات البشرية تختلف بشكل واسع فيما بينها ، فيما يتعلق بدرجة التدمير والعدوانية بحيث يصعب رد وتفسير التدمير والقسوة الى ذاتية غريزية .

٢ ـ ترتبط درجات العدوانية المختلفة باختلافات في التركيب الاجتماعي لكل جماعة .

٣ ـ ان درجة التدمير والعدوانية تزداد مع التطور الحضاري للانسان .

ان أكبر الاخطار التي تواجه الانسان هو اعتباره الآلة دليلا على تطوره الحضاري رغم انه يصبح عبد لها . ان ارتباط الانسان بالآلة يعني انه يعيش بشكل رتيب واتوماتيكي ، وعندما يتطور الشعور لدى الانسان بانه لا شيء وانه ليس اكثر من زهر نرد يلقى من كاس ، ولان الانسان لا يستطيع أن يعيش كلاشيء ، ولانه يرفض ان يصبح زهرا فانه يتمرد على الرتابة الآلية ويسعى للتخلص منها بالبحث عن الدراما والاثارة . « وعندما يفقد الاستمتاع بهما على أعلى المستويات فانه يلجأ الى صنع دراما التدمير . والواقع ان هذا النوع من التفكير ظهر عند الكثيرين من المفكرين باشكال مختلفة ، ولقد اشار الكاتب الايطالي البرتو مورافيا الى الدراما بكلمة « اهرامات المدنية الحديثة » اذ ان الانسان يصنع لنفسه اهرامات تتمثل بالعمارات والابراج الشاهقة للابقاء على الاثارة ، وقد فسر الكاتب البريطاني كولن ولسون جانبها السلبي باللا انتماء الذي يقود في النهاية الى سقوط حضاري .

نظرية الخيبة العدوانية
Frustration-Aggression Theory

بالرغم من الدراسات الكثيرة ذات المنهج السلوكي والمتعلقة بتحليل العدوانية فانه فيما عدا نظرية الخيبة العدوانية لم تجر اية محاولة من قبل الباحثين لتطوير نظرية عامة تحاول سبر غور العدوانية والعنف . ويعتبر مولارد Mollard اول من حاول بناء نظرية في هذا المضمار . وقد ادعى بانه استطاع معرفة اسباب العدوانية . وتنص الفرضية الرئيسية في هذه النظرية على ان السلوك العدواني يفترض وجود خيبة عند الانسان وان الخيبة هي مصدر العدوان . وقد حوّر ن . ى ميلر Miller ، هذه الفرضية بقوله ان الخيبة تؤدي الى عدد من الاستجابات المختلفة الانواع وان العدوان هو احدى هذه الاستجابات ، وقد قبل معظم علماء النفس نصوص هذه النظرية فيما عدا بعض الاستثناءات .

وبالرغم من بساطة التكوين الاصلي لهذه النظرية فقد عانت من الغموض الذي سببه عدم وضوح معنى الخيبة . ولقد استعمل هذا التعبير بمعنيين :

الاول يشير الى تقطع فعالية مستمرة ذات هدف مباشر والثاني يعني منع رغبة ما من ان تتحقق وتكتمل واعتمادا على معنى الخيبة فقد كانت المناقشة تتركز في الواقع حول نظريتين لانظرية واحدة . والخيبة بالمعنى الاول نادرة نسبيا اذ انها تفترض فعالية معينة قد بدات في الحدوث وهي لا تتكرر بشكل كاف يعطينا القدرة على تفسير العدوانية .

وعلى الجانب الآخر فان النظرية القائمة على المفهوم الثاني لمعنى الخيبة لا تؤيدها الدلائل الميدانية المتوفرة لدراسة العدوانية . وعلى سبيل المثال فان منع الطفل من اكل الحلوى مقرونا برعاية وابراز حب الوالدين له في نفس الوقت لا يؤدي الى العدوانية . ويعتقد فروم ان اهم عامل يؤثر في قوة الخيبة هو طبيعة الشخص ،فاذا كان الشخص يتصف بالطمع الشديد فانه يتصرف بغضب مدمر حينما تكبح احدى رغباته . ويعتبر فرويد الباحث الرئيسي الذي حاول ازاحة الستار عن القوى التي تصنع شخصية الانسان . ولقد كان اكتشافه للعمليات الباطنية وللمفهوم الديناميكي للشخصية نقطة تحول مهمة لانه وصل بذلك الى جذور السلوك الانساني . وبرغم الآراء المتعددة التي ظهرت بعد فرويد فقد بقي تحليله للدوافع المتعلقة بسلوك الانسان افضل التحليلات الباحثة في العدوانية وهو بدون شك افضل من تحليلات السلوكيين والبيئيين كواطسون وسكنر Skinner

العلاقة بين علم النفس وعلم الاعصاب

يعرف علم النفس احيانا بانه علم العقل، بينما يعتبر

علم الاعصاب علم الدماغ • وكل علم له محتواه الخاص به ومنهجه وطريقته الخاصة فى دراسة الانسان وبالرغم من هذه الاختلافات فان العلمين ملتصقان ببعضهما البعض • ويعتبر داروين صاحب المفهوم الرئيسى الذى بحث فى العلاقة بين وظيفة الدماغ وسلوك الانسان • ويعتقد داروين ان بنية الدماغ ووظيفته متاثرة بمبدأ اساسى هدفه بقاء الفرد والنوع • ويتفق معظم علماءالاعصاب على ان الدماغ نظام مزدوج بمعنى انه فى الوقت الذى تتاثر فيه بعض الاجزاء بالشحنات والمؤثرات الخارجية او الداخلية فان هناك أجزاء اخرى تكبح تاثير هذه المؤثرات • وينتج عن عمليةالشحن والكبح هذه نوع من التوازن الاستقراري‌النسبى• واذا سلمنا بازدواجية الدماغ ، فان السؤال المهم الذى يطرح نفسه يتعلق بالعوامل التى تؤدى الى اضطراب هذا التوازن وتنتج الغضب وما يصاحبه من عنف وتدمير • وقد نجحت بعض التجارب فى القاء الضوء على العلاقة الارتباطية بين الغضب فى بعض الحيوانات وتمرير شحنات كهربائية فى بعض اجزاء الدماغ • وتهدف هذه التجارب الى معرفة الظروف التى تؤثر فـــى الاعصاب وتؤدى الىتغييرفى التوازن الدماغيواثارة العدوانية • كما ان هذه الابحاث تتركز ايضا حول العوامل الداخلية لدى الانسان والحيوان والتى تسبب العدوان • ويعتقد بعض الباحثين ان العدوان يمكن ان ينتج عن خلل فى التركيب العصبى للدماغ •

العدوان عند الانسان

تتفق استنتاجات علم النفـــس وعلم وظائـف الاعصاب على ان السلوك العدوانى للحيوان هو استجابة لخطر يمكن ان يؤثر فى بقاء الحيوان ، او بشكل عام فى مصالحه الحيوية • ويتفق معظم الباحثين على انه من الندرة ان تقتل الحيوانات افرادا من اجناس اخرى الا لسد حاجة تضمن لها البقاء او فى حالات الدفاع عن النفس • وتشير الاحصائيات الى ان العدوان بين معظم الثدييات هو عدوان غير دموى وهو ليس اكثر من تحذير فىكثيرمن الحالات•والانسان هو الحيوانالوحيدالذى يقتل من بنى جنسه بطريقة سادية ، ليس لها هدف آخر سوى القتل والتدمير • الا ان فروم يحاول مقارنة الظروف التى يتحول فيها الحيوان الـى عدوانى والظروف التى يعيش فى ظلها انسان المدنية الحديثة وهو لذلك يلقى الضوء علـــى النقاط البارزة التالية :

١ ـ العدوان فى الاسـر : تشير الدراسـات والتجارب العلمية الى ان سلوك الحيوانات فى الاسـر اى فى حدائق الحيوانـات يمتـاز بحدة العدوانية اذا ما قورن مع سلوكها فى البرارى • ويحاول فروم ان يستخلص من ذلك انه اذا صحت مقارنة سلوك الحيوان بالانسان فان الانسان فى الواقع اصبح يعيش‌بعيدا عن حياته‌الطبيعية وانزج الناس وتركزهم فى‌مدن شديدةالازدحام ليس‌غير‌نوع متقدم من حشرهم فى حدائق للبشر•ولهذا اصبح الانسان اسير نمط وحيز معين فى حياة الاسـر التى صنعتها « المدنية الغربية » او ما تسمـى بتكنولوجيا الصناعة • ولهذا فان النقطة الرئيسية فى هذا الموضوع هو ان حدة العدوانية والتدمير عند الانسان قد تزايدت على مر العصور وانها كانت اقل حدة بل كادت تكون معدومة عند انسان ما قبل التاريخ • ويدعم فروم رايه هذا باحصائية بسيطة تشير الى‌تزايد عدد المعارك وبالتالـــى التدمير مع « تقدم » الانسان حضاريا •

السنة	عدد المعارك
١٤٨٠ ـ ١٤٩٩	٩
١٥٠٠ ـ ١٥٩٩	٨٧
١٦٠٠ ـ ١٦٩٩	٢٣٩
١٧٠٠ ـ ١٧٩٩	٧٨١
١٨٠٠ ـ ١٨٩٩	٦٥١
١٩٠٠ ـ ١٩٤٠	٨٩٢

٢ ـ العدوان والازدحام • من العوامل الاخرى التى لاحظ الباحثون انها تزيد من حدة العدوانية عند الحيوان هو الازدحام الشديد مما يـؤدى الى تقلص حيز الحركة • ويشير احد الباحثين انه من خلال ملاحظاته للحيوانات فى حديقة لندن لم يعثر على حادثة عراك بين الثدييات حتى الموت الا تحت ظروف الازدحام الشديد•وقد ايد ذلك‌باحثون كثيرون فى امريكا واوروبا • وبالرغم من امكانية تطبيق هذا المفهوم لتفسير سلوك الانسان الا ان فروم يحاول التركيز على تصدع البناء الاجتماعى والعلاقات الانسانية بين الافراد كاحد العوامـــل الرئيسية للعدوانية •

٣ ـ النزعة الاقليمية والسيطرة : ان من اهم

المفاهيم التى برزت فى اواخر الستينات كان مفهوم الاقليمية التى اتى به روبرت اردرى R. Ardrey فى كتابه « الحتمية الاقليمية » (Territorial Imperative) والذى اثار الكثير من النقاش والجدل ووضع اسم الكاتب بين مصاف الباحثين . وتدور الفكرة الرئيسية لهذا المفهوم على ان لدى الانسان نزعة غريزية للدفاع عن منطقته التى ورثها عن اجداده القدامى . وتعتبر هذه الغريزة المصدر الرئيسى للعدوان بين البشر . كما يشير اردرى الى ان الانسان كالحيوان تسيطر عليه غريزة السيطرة . ويعارض فروم هذين المفهومين بشدة ، بقوله ان الانسان لا يسعى الى السيطرة على منطقة ما للحصول على منافع اقليمية وانما للاستفادة من منافع اخرى اقتصادية وسياسية وغيرها .

هل الانسان متوحش ؟

ان السؤال المثير الذى طرحه الباحثون وخاصة الانثروبولوجيين : هل ان اجداد الانسان القدامى جماعات متوحشة ؟ وهل هناك دلائل تشير الى هذا التوحش ؟ . ان البعض يميل الى الاخذ بهذا الاعتقاد معتمدين فى مناقشاتهم على وجود بعض القبائل البدائية من اكلة لحوم البشر . ويقال ان بعض الآثار المكتشفة لبقايا اربعين جمجمة بشرية فى منطقة تشوكوتيان (Choukoutien) فى الصين تشير الى ان بعض الجماعات البدائية القديمة كانت على ما يبدو مغرمة باكل مخ الانسان . وقد قام د . فريمان D. Freeman ، احد الباحثين الرئيسيين فى هذا المجال بصياغة فرضية تنص على ان بعض الملامح الخاصة بطبيعة الانسان ومن ضمنها العدوانية والقسوة يمكن ان تكون لها جذور مرتبطة بنمط معين من الوحشية والافتراسية الملتصقة بالتطور الانسانى Hominid evaluation ، فى فترة البلايوستوسين . ويعتقد فروم ان هذه الفرضية جديرة بالاهتمام والاستقصاء العلمى الجاد . وقد ايد فريمان فى آرائه هذه باحث آخر هو واشبرن Washburn الذى صك مفهوم « سيكولوجية الصيد » عند الانسان ، ويؤكد هذا الباحث ان هذه السيكولوجية كانت متطورة بشكل كامل عند الانسان قبل حوالى نصف مليون سنة وان الانسان بطبيعته تسره مطاردة وصيد الحيوانات الاخرى . ويدلل على اقواله هذه بان هناك جماعات كثيرة تعتمد التعذيب والتنكيل والقسوة وتحصل على المتعة من قتل الحيوانات والانسان فى الساحات العامة .

وهناك راى آخر يقول ان شدة وحدة العدوانية لدى الانسان تقترن بضعفه الغريزى اذا ما قورن بالحيوانات الاخرى ، اذ ان الانسان ليست له القدرة الانتمائية الى بنى جنسه كما هو الحال مع بقية اجناس الحيوانات ، والانسان يعوض عن هذا النقص الغريزى بانتماءات تقوم على اختلافات فى اللغة والثقافة والعادات التى يميزها بالعقل وليس بالغريزة ، ولهذا فان النقص الانتمائى عند الانسان مرتبط بالنقص الغريزى فى مقدرته على تبيان ابناء جنسه من البشر ، وبعبارة اخرى وكما يقول فروم فان انسانية الانسان هى ما تجعله بعيدا عن المعنى المجرد للانسانية .

ويعارض بعض الباحثين هذه التفسيرات لسببين : الاول اننا فى الواقع العملى نفتقر الى دلائل كافية عن حياة الانسان القديم وان معظم ما كتب ليس الا من قبيل التاملات التى يصعب التاكد منها . والثانى ان الاعتماد على مشاهدات بعض الجماعة البدائية التى مازالت تعيش فى وقتنا الحاضر لاستخلاص نتائج تتعلق بسلوك الانسان القديم مشكوك فى تطبيقها من الناحية العلمية . ويرفض بعض المعارضين مفهوم الدوافع الداخلية المسؤولة عن التدمير والعدوانية، ويذهب البعض الى القول بان رسومات الكهوف القديمة لا تشير الى اى نوع من القتال بين جماعات الانسان البدائى . وترتبط بالنزعة العدوانية، النزعة الى الحرب . وتشير بعض الاستنتاجات التى توصل اليها الباحثون الى ان الانسان البدائى كان من الناحية السلوكية العدوانية اكثر تطورا وعقلانية مما يسمى بالانسان المتحضر . فالحروب بين الجماعات البدائية لم تكن الا حروبا دفاعية بكل معنى الكلمة، وكانت تفتقر الى التنظيم والكفاءة التى تتحكم بها مؤسسات مركزية وقيادة حرب كما هو الحال فى المجتمعات المدنية . كما ان الحروب البدائية لم تكن مدمرة لانها كانت تفتقر الى وسائل الدمار بعكس المدنية الحديثة التى كدست من ادوات التدمير والعدوان ما يكفى لتدمير اكثر من مائة كرة ارضية .

والواقع ان الذى ينظر الى ما يفعله الانسان الحديث يدرك تماما ان سلوك الانسان يزداد

جنونا فهو بتكديسه الاسلحة الفتاكة تحت شعار ردع العدو والدفاع عن النفس انما يحفر خندقه الكبير والابدى • وتعتقد بعض الدراسات انه اذا قامت حرب نووية فان الانسان سيكون اول الحيوانات التى ستنقرض عن سطح الارض وان الحشرات والحيوانات البدائية ستكون آخر من يفنى ، بل على العكس فان بعضها سيقاوم التأثير الاشعاعى النووى ويعيد تكاثره وحياته على الارض • ففى الصراع النهائى من اجل البقاء ستبقى الارض ملكا للصرصار وان الخاسر الوحيد سيكون الانسان : ذلك الحيوان صاحب العقل الكبير وارقى الكائنات على سطح الارض •

تحليل لثلاثين قبيلة بدائية

ان تضارب الآراء بشان الاستنتاجات المستخلصة من دراسات مختلفة بشان العدوانية عند الانسان حفزت فروم للقيام بدراسة ثلاثين مجتمعا بدائيا معتمدا على ما توصلت اليه نتائج الباحثين من قبله • واستخلص من تحليله ان هناك ثلاثة انظمة متباينة تميز ثلاث مجموعات من القبائل البدائية • ان هذه الجماعات تتباين على اساس صفات رئيسية تميز خصائص كل نظام اجتماعى • وقد اطلق على النظام الاول مجتمعات ايجابية الحياة Life-Affirmative Societies ، وتؤكد مجتمعات هذا النظام على المثاليات والعادات والمؤسسات التى هدفها المحافظة على الحياة بكل انواعها ، كما تسود افراد هذه المجتمعات مستويات دنيا من العداوة والعنف والقسوة وتتميز حياتها بالثقةوالامانة وهداةالبال•ومن امثلة هذهالجماعات هنود الزونىبويبلو Zuni Pueblo Indians فى جنوب غربى الولايات المتحدة ، وجماعات الاسكيمو فى القطب الشمالىPolar Eskimos اما النظام الثانى فيميز جماعات عدوانية غير مدمرة الا ان العلاقات بين الافراد تمتاز بالمنافسة الشديدةوالفردية • ومن امثلة هذه الجماعات اسكيمو جزيرة جريلاند والتاسمانيون Tasmanians)، فى جزيرة جنوب استراليا • اما النظام الثالث فتتميز حياة مجتمعاته بالتدمير والعنف والقسوة ومن هذه الجماعات قبائل الدبوس (Dobus) ، التى تسكن جزر الدبو فى اندونيسيا وجماعات الازتيك Aztecs فى المكسيك •

ان ما اراده فروم من هذه المقارنات الاستنتاج بان العنف والتدمير والقسوة لا يمكن ان تفسر بدوافع داخلية فقط اذ لو كان الحال كذلك لتصرف الانسان فى كل المجتمعات بسلوك متشابه كما هو الحال فى الحيوان ، وان هذه الاختلافات القائمة بين المجتمعات وسلوكها تشير الى العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية كمسؤول مباشر عن تعليم الفرد نوعية السلوك المرغوب فيه •

أنواع العدوان

يقسمفروم العدوان الىقسمين : العدوان البرىء Benign Aggression ، والعدوان الشرير Malignant Aggressionويشتمل القسم الاول على نوعين من العدوانية : العدوانية العفوية غير المقصودة كالعدوانية التى يظهرها الاطفال خلال اللعب ، والثانى العدوانية الدفاعية التى هدفها حماية النفس او الحصول على الحرية • والقسم الاول من العدوان ليس بذى خطر الا اذا استغل كمحاولة لاثارة العدوان كما تفعل اسرائيل فى عدوانها على العرب ، اذ كثيرا ما تعتبره دفاعا عن النفس • ولذلك يجب ملاحظة الفرق فى العدوانية الدفاعية فى الانسان عنها فى الحيوان• فالحيوان يعتمد على غريزته فقط فى ادراك الاخطار المحدقة به ، اما الانسان فباستطاعته رؤية الخطر على مدى المستقبل وهو قابل للاقتناع وانغسال الدماغ بواسطة رؤسائه الذين يوهمونه باخطار ليست موجودة فى الواقع • وبالرغم من ان الانسان كالحيوان يحاول حماية نفسه ضد الاخطار التى تهدد مصالحه الحيوية الا ان مدى مصالح الانسان الحيوية اكبر واوسع واكثر تعقيدا من مصالح الحيوان الحيوية ، ويعود السبب فى ذلك الى ان متطلبات الانسان بالاضافة الى حاجاته الماديةتشتمل على حاجات سيكولوجية مهمة • والمشكلة التى تواجه الانسانانه يصبحاكثر عدوانية كلما تمدنت الحياة وازدادت تعقيدا لان مطالبه تزداد ويؤدى ذلك الى زيادة مصالحه الحيوية وبالتالى تزداد اوهامه بالاخطار المحيطة به •

اما القسم الآخر من العدوان اى العدوانالشرير فهو اخطر مصادر العدوان التى لا تقتصر على تهديد مصالح بعض الجماعات او الدول فحسب ، وانما يهدد وجود الانسان باكمله على سطح الارض • ان اسباب هذا العدوان ، كما يقول

المؤلف تكمن في طبيعة الانسان ذاتها ولهذا يركز فروم بشكل كبير على هذه الناحية المهمة ٠

طبيعة الانسان والعدوان الشرير

ان ما هو فريد في الانسان انه يندفع بنزوات Impulses ، للقتل والتعذيب ويشعر بالشهوة lust للقيام بذلك ٠ والانسان هو الكائن الوحيد الذي يسفك دم بني جنسه بلا فائدة مكتسبة سواء كانت بيولوجية او اقتصادية ٠ ويحاول فروم ان يبين ان النزعة التدميرية هي استجابة لرغبات سيكولوجية تمتد عميقة في جذور الوجود الانساني ذاته ٠ وتنتج هذه الرغبات عن تفاعلات بين حاجيات الانسان الوجودية وظروفه الاجتماعية المختلفة ٠ ويتفق معظم المفكرين منذ عهد فلاسفة الاغريق على ان هناك شيئا فريدا من نوعه يتميز به الانسان عن غيره من الحيوانات وهو ما اطلق عليه « طبيعة » Character ، الانسان والتي تشكل جوهره ٠ فالانسان يتميز بخصائص عديدة لا تشاركه فيه بقية الحيوانات ٠ وقد اشار دارون الى هذه الناحية بقوله: ان الانسان يمتاز بالفضولية، التقليد ، الانتباه ، الذاكرة ، والتخيل بدرجات متقدمة عن بقية الحيوانات ، وهو يفكر ويقارن ويعي مستقبله وماضيه ويستخدم الرموز والتجريد ويتطلع الى الروحيات والغيبيات ٠ ويعرف فروم الانسان بانه ارقى المخلوقات الذى وصل الى درجة من درجات التطور حيث وصل التطور الغريزي الى اخفض مستوى بينما تطور الدماغ الى اعلى مستوى ٠

ان من ابرز الخصائص في طبيعة الانسان وجدانياته العميقة التي تشكل جزءا لا يتجزء من طبيعته ٠ ويقصد بالوجدانيات هنا حاجات الانسان السيكولوجية التي يشترك فيها بنو البشر والتي تتصل اتصالا شديدا بخوف الانسان من العزلة والضعف والضياع ورغبته في الانتماء الى عالم يمنحه الامان ويعطيه شعور الطمانينة انطى بيته. ويبدو ان ماساة الوجود الانساني بدات في نقطة تحول خطيرة حينما اخذت القوى المتصلة بوجدانه تضطرب وتفقد توازنها وذلك عندما راح يغير بيئته واضطر الى تغيير نفسه في نفس اللحظة ٠

وقد بدا الانسان بصنع قفص اسره عندما تحول من حياة البراري الى انماط مستقرة من المجتمعات، وهو بتحوله هذا اوجد مجتمعات متقدمة يحكمها قادة اقوياء بداوا يسلبونه حريته ٠ وبزيادة نتاجه واستهلاكه زاد طمعه وجشعه ، وتعقدت حياته وحاجاته فتكاثرت مصالحه الحيوية ، وصنع الالة واصبح عبدا لها ٠ وهكذا بدا صراع الانسان من اجل اعادة التوازن الذى افتقده اصلا في حياته البسيطة في البراري ٠ والانسان في محاولته تنظيم مجتمعاته والحصول على الوقت الكافي للاستجمام ادخل الى نفسه نوعا من الضجر ٠ وللقضاء على الضجر الذى هو من امراض المدنية الحديثة راح الانسان يبحث عن الاثارة باشكالها المختلفة ٠ ان الضجر يعد من الاخطار التي تحدق بطبيعة الانسان وتدفعه نحو العدوان والتدمير ٠ ويقسم الضجر الى نوعين : الضجر المعوض اى الذىيجد له صاحبه متنفسا بشكل او بآخر والضجر اللا معوض وهو حالة نفسية مرضية خطيرة تهدد البناء الاجتماعي ووجود الانسانبالخطر ٠ والخطر الرئيسي للضجر هو حالة الكآبة النفسية Depression التي يعتبرها ا ٠ بيرتون Burton مرض المجتمع الحديث والتي اشار اليها فرومكاحد المصادر الرئيسية للعدوانية والتدمير في كتابه « ثورة الامل » ٠

النرجسية والسادية

من الخصائص الاخرى التي تميز طبيعة الانسان والتي ترتبط بالعدوان والتدمير النرجسية ٠ والنرجسية مرض حب الذات ٠ الا ان هذا المفهوم لم يدرس بشكل واف كظاهرة مرضية ولم يحظ بالاهتمام الكافي منقبل المحللين النفسيين ٠ ويمكن وصف النرجسية كظاهرة مرضية انها حالة يشعر فيها الشخص انه هو ذاته ، جسمه ، حاجاته ، افكاره ، ملكه وكل شيء ينتمي اليه هو الشيء الذى يعنيه في هذا العالم وان بقية الاشياء لا تشكل جزءا من هذا الشخص ٠ ان هذه الحالة المرضية السيكولوجية يتصف بها اصحاب النفوذ وبعض القادة الذين يعانون من درجة عالية من النرجسية حتى انه يطلق عليها « مرض المهنة » ٠ ويشير المؤلف الى ان الرئيسين الامريكيين ودرو ولسون وفرانكلين روزفلت والزعيم البريطاني تشرشل كانوا اشخاصا نرجسيين ٠ الا ان نرجسية هؤلاء لا تكاد تذكر اذا ما قورنت بشخصيتي هتلر وستالين على حد قول المؤلف ، ان مشكلة الخطر

التي تواجه العالم المتحضر ليست النرجسية الفردية وانما النرجسية الجماعية التي اذا استغلت تحت التاثير الدعائي تحولت الى عدوانية مكشوفة. واعتقد ان هذا هو حال المجتمع الاسرائيلي الذي رفض الاعتراف بهوية ووجود الشعب الفلسطيني . وقد برزت آثار هذه النرجسية الجماعية في عدوان ١٩٦٧ عندما كان المحتفلون بتاسيس الدولة الصهيونية يصرخون : الى دمشق .

اما السادية فهي اخطر الامراض النفسية المدمرة والتي تشكل احيانا جزءا من طبيعة الانسان . وللسادية مفهومان رئيسيان : الاول يعني شهوة الالم Algolagnia ، وهذه الكلمة مكونة من مقطعين Algos ، وتعني الم و Lagneia وتعني شهوة . اما المفهوم الثاني فقد تبناه فرويد ويؤكد على ان السادية ظاهرة جنسية . والسلوك السادي يمكن ان يكون جنسيا او جسديا او عقليا.

ويقوم منطلق السادية على الرغبة في السيطرة المطلقة واللا محدودة من قبل شخص على كائن حي سواء كان حيوانا او طفلا ، رجلا او امراة . ان اجبار شخص على تحمل الالم والاهانة بدون ان يكون قادرا على الدفاع عن نفسه هو احدى مظاهر السادية . ويعتبر القمع والعبودية من نتائج السادية التي ما زالت تهدد الكينونة الانسانية . ويعطي المؤلف امثلة لساديين مشهورين كستالين الذي كان يتلذذ في تعذيب اعدائه بطرق ووسائل يختارها لهم بنفسه ، وكذلك هانيرتش هملر احد النازيين البارزين الذي ساهم مع هتلر في ابادة حوالي عشرين مليون شخص . ويعتبر هملر احد الامثلة الممتازة للسادية الوحشية. اما هتلر الذي يخصص له المؤلف جزءا كبيرا من الكتاب لتحليل حياته من طفولته وحتى سقوطه فيصفه بالسادي المصاب بمرض اشتهاء الموتى Necrophilia .

عبد الاله ابو عياش

من الكتب التي وصلتنا

الساسة والسياسة

المؤلف : عبد الله زكريا الانصاري

الناشر : المطبعة العصرية / الكويت .

● مؤلف هذا الكتاب اديب يكتب المقالات في الادب والشعر واللغة وقضاياها ، وله من ذلك عدة كتب ، كما انه يعمل في السياسة او الدبلوماسية ، فهو مطلع على كثير من قضاياها وتياراتها في البلاد العربية اليوم .

وقد صدر المؤلف كتابه ببيتين اختارهما لشاعرنا ابي العلاء المعري من شعره الكثير الذي يبين فيه رايه في ساسة عصره .

يسوسون الامور بغير حزم
وينفذ امرهم فيقال : ساسة

فاف من الحياة ، واف مني
ومن زمن رئاسته خساسة

والكتاب مجموعة مقالات كتبها المؤلف في سنوات مابعد نكسة يونية (حزيران) سنة ١٩٦٧ ، وتناول فيها بعض قضايا السياسة العربية الراهنة ومضى يكشف عجز بعض ساستنا - دون ذكر اسماء - عن فهم كل منهم مهمته في سياسة شعبه ، وعدم التقائه على وجهة واحدة مع غيره من زملائه السياسيين في الشعوب العربية الاخرى، والتنسيق بين رايه وآرائهم ، لوضع سياسة عربية موحدة، تتحقق بها مصلحة الامة العربية بكل شعوبها ، حتى تتحقق وحدة العرب ، ومن هنا يرى المؤلف ان الوحدة بين بعض الساسة والسياسة ضائعة .

وكذلك يوضح الاسباب التاريخية التي فرقت العرب ، وما دبره الاستعمار والصهيونية العالمية

(البقية على صفحة ١٤٩)

غيـــــــــق

■ وقف عند الباب ينظر اليها فاحست بشوق اليه مشوب بتردد وأمل ، ولكنها كانت غاضبـة جريحة الكرامة وقد ثارت كبرياؤها وهى تنتظر منه ان يقول مايتطلبه الموقف منه ان يقوله . ففى رايها كان يجب عليه ان يتكلم أولا . اساء اليها اكثر مما اساءت هى اليه . وكانت العدالة تقتضى ان يعتذر اليها . وكانت قد رفضت دعوته لها بان تكلمه هاتفيا او ان تبعث اليه باية رسالة.وهكذا فانه توجه نحو الباب وخرج .

وقد اصابها شيء من الفزع وألمت بها رغبة فى ان تلحق به وان ترجوه بان يعود اليها لكنها لم تحرك ساكنا بل مكثت تنتظر بفارغ الصبر ان يعود اليها.فلم يكن يدور فى خلدها انه سيذهب. انه لاشك يحاول فقط ان يفزعها . ومن المؤكد انه ماعليه الا ان يتجه خطوة واحدة فقط نحوها حتى تلاقيه فى بقية الطريق ، ولكنه كان قـد استقل سيارته وانطلق بها فى الليل البهيم . وعندما جلست أحست انها كانت واقفة منذ وقت طويل . وهكذا تحدث الانشقاقات بين الزوجين . يتفوه احدهما بشيء دون قصد الاسـاءة ، فيساء فهمه رغم تحاب الزوجين . ويحاول احدهما اصلاح ذات البين ولكنه يزيد الامور تعقيدا . وسرعان مايغضب من نفسه ومن الطرف الاخر ، ذلك ان الامر المتنازع عليه كان تافها .

ومن السهل ايذاء شعور من نحب وان يؤذوا هم شعورنا . ويعقب الندم الكلمات التى تسرعنا فى التفوه بها ولكنه ها هوذا الان قد مضى لالشيء الا لانها قد ذكرت دونما تفكير ان البيتهو بيتها، وتلا ذلك شجار مرير بينهما . فلماذا يحقدعليها؟ الآن والدهما قد وهبها هذا البيت ؟ فقد كان والدها غنيا . ولماذا هذه الكبرياء البادية مـن زوجها (جيرمى) ؟ انها لم تتعمد ايذاءه ، كما لم تتعمد التنازع معه .

ولقداخبرها انه سيهجر البيتوأنه لن يعود الا اذا طلبت منه ذلك . فهل حسب ان عليها انتركع له تذللا ؟ ان ذلكهو ما قصده.فاينتذهبكبرياؤها اذن ؟

واخذت الان تتجول فى أرجاء الدار تتوثق من ان الابواب موصدة . ومـن ان النوافذ محكمـة الاغلاق . كانت وحيدة وخائفة بعض الشيء . وكـان ليـل الشـتاء حـالك السـواد . والسماء تظللهـا الغيـوم الداكنـة والاشجار تتمايـل وتتمتم من وطاة الرياح . وعندما آوت الىفراشها ابقت الاضواء مشتعلة فى القاعة ، وقد برحت بها اللوعة لان زواجها الذى كان يبدو فى بداية الامر نعيما ، لم يدم سوى سبعة شهور .

وكان قد حذرها كثير من الناس من مغبة زواجها بهذه السرعة دون التاكد الى حد ما من نجاح زواجهما .

وفى اليوم التالى عاد (جيرمى) عند الظهر وقال فى ادب انه قادم لياخذ بعض الاشياء اذا لم يكن عندها مانع . اما هى فقد كانت على استعداد لان تهب اليه ليحضنها بين ذراعيه ، ولكنهاكبحت جماحها واذنت له ان يصطحب مايريد . بينما جلست هى فى المطبخ ترتجف وهى تشرب قهوتها . لقد تمنت مجيئه اليها ، وان تقدم له فنجانا من القهوة ، وان يجلس بجوارها . ان كلمة او نظرة كانت كافية لتذيب تلك الحواجز التى اقامهاالغضب والكبرياء . وبين عشية وضحاها ستتلاشى سحب الفرقة . ذلك انه كان مايزال يحبها ما فى ذلك شك.ولولا هذا الحبلفقدتالحياة رواءها وبهجتها.

واخذت وجهه بين يديها وهي تقول « كنت خائفة من انك لن تعود ... »

وبدا لها ان زوجها أطال بقاءه ،في غرفة النوم، ولكنه مالبث ان عاد وناداها ليخبرها انه ذاهب • وكان يحمل حقيبة في كل يد •

قالت في لهجة عدم اكتراث:تعال واشرب فنجان قهوة • ولكنه اعتذر بحجة ضرورة ذهابه لمكتبه • ولم تلحف في الرجاء لانها شعرت ان في ذلك مساسا بكرامتها وماذا بقي عندها الآنغيركرامتها؟ ووقعت عينها على ورقة تركها خلفه على الطاولة وطاف بها الامل لحظة • ولكنه لم يترك سوى رقم تلفونه ولا شيء آخر • وفكرت في انه كان بامكانه ان يترك لها بضع كلمات مهما كانت مقتضبة • ولكنه امتنع حتى عن ذلـك • وكأنه لم يبـق بينهما شيء ولا حتى ذكرى تلك الساعات الحلوة التي قضياها معا •

وقفت تحملق في قصاصة الورق • انه قصد ان تبدأ هي بالمصالحة عن طريق مكالمته بالهاتف • واذا لم تفعل فان عليها ان تتحمل المسئولية•وقد جمعت بها الان نوبة من الغضب ممزوجة بشعور من الشقاء ادت بها الى غرفة النوم حيث بكت عندما رأت خزانة ملابسه فارغة • كانت فـي التاسعة عشرة من عمرها وكانت تتوقع الشيء الكثير من زواجها •

وفي مساء اليوم التالي قرع جرس تلفونها فهرعت اليه لاهثة•وكان والدها على الخط يقول:

ما هذا الذى سمعته عن مغادرة (جيرمي) لك ؟

لقد تشاجرنا لسبب بسيط جدا ما لبث ان عظم وتضخم .

ولهذا هجرك ؟ وهل تتوقعين منه الرجوع ؟

اجل . انه زوجي .

ولكن كثيرا من الازواج يهجرون زوجاتهم ولا يرجعون . لو كانت امك على قيد الحياة لكانت قد اسدت اليك النصح . هل تحبين الرجوع الى حتى تسوى هذه المسالة ؟

لا ، فهذا بيتى .

الان وقد هدأ روعك لماذا لا تتكلمين معه تلفونيا وتطلبين منه الرجوع ؟

لن ارجوه ان يفعل ذلك . فاذا كان لا يحبنى لدرجة تستلزمه الرجوع لانه يريد ذلك ، فانني لا اريده .

كلما طال الزمن على ذلك كان حله اصعب .

باستطاعته ان يتكلم معي تلفونيا ، لماذا يجب دائما على المراة ان تبدأ في الخضوع ؟

وبكت عند انتهاء الحديث التلفوني ، فحتى والدها الذى يحبها اوصاها بان تبدأ هي في الخضوع ، لكنه ما تزال عندها بقية من كرامة .

وبعد يومين كانت واقفة على شرفة غرفةالجلوس في حوالى موعد رجوع زوجها الى البيت ، ولم تكن قد اضاءت الاضواء . فقد احست بعض العزاء في الظلام . وما لبثت أن رأته يسوق سيارته متباطئا وخيل اليها انه يكاد يحولها الى البيت . ولكنه مضى في سبيله ولم يكن قد رآها في الظلام . ولكنه بلا شك كان قد خرج عن طريقه لعله يراها واستشعرت بعض السعادة .

وفي مساء اليوم التالى انتظرته واقفة في موعد العودة متاملة رجوعه اليها . ولكنه لم يعد فاخذ املها يخبو من جديد .

وعاد والدها يحدثها تلفونيا ويؤنبها ويطلب منها ان تدعوه الى البيت . واخبرها ان زوجها قد اقسم له في ذلك اليوم انه لن يعود الا اذا طلبت هي منه ذلك . واستطرد يقول : ان في الزواج تضحيات كثيرة . ولكن التضحية لا تعتبر كذلك حيث يوجد الحب . انك وزوجك حديثا عهد بالزواج ولم تتعلما بعد كيف تعيشان . فلا تدعا زواجكما يفشل من اجل بعض الكبرياء . فتكلمي الان مع زوجك .

ولكنها رفضت هذا الطلب.وعند المساء وضعت شمعة مضاءة على نافذة غرفة الصالون ، وكانت شمعة طويلة حمراء مثبتة على شمعدان فضى ، وانسحبت هى الى غرفة النوم منتظرة مرور زوجها . فقد يرى زوجها الشمعة ولكنه قد يظل ماضيا في سيره . وكاد املها يخمد عندما رات السيارة مقبلة على مهل واغلقت عيناها وامسكت انفاسها ، ولكن السيارة استمرت في سيرها .

وقد خطر لها ان زوجها لن يبقى عندها الرا من الكبرياء ، وانه سيجبرها على التكلم معه هاتفيا وان ترجوه الرجوع . سيوهمها انه لولاه لفقدت الحياة نضارتها . انه سيكون بلا رحمة وسيذلها دون ان يكون عندها حول ولا طول لانها تحبه . فمن دونه تكون حياتها غير مكتملة .

وبينما هي غارقة في هذه التاملات اضاءت انوار السيارة الغرفة وسمعت صوت توقفها ، فركضت الى القاعة وفتحت الباب ، واذا زوجها واقف هناك في الظلام .

خفق قلبها فرحا وقالت : عندما رايتك تمضى احسست باني اكاد اختنق .

قال : سقت السيارة حولالبناء محاولا استجماع شتات شجاعتي .

ودخلا البيت معا . واضاءت الانوار . واخذت وجهه بين يديها وهى تقول : كنت خائفة من انك لن تتذكر .

ـ اتذكر ماذا ؟

ـ بيت الشعر الذى الفته قبل زواجنا عندما كنا فيأحد المطاعم واطفئت الانوار فجاة . وجاءوا بشموع . حتى اننا بعد ذلك قلنا مرارا عند مشاهدتنا لشمعة تضاء ان ذلك يقربنا بعضنا من بعض .

ـ اجل اذكر البيت :

يا شمعة احترقي بمضاء
وأضيئي السبيل الى لقاء

ـ اجل كنت اعرف انك حالما ترى الشمعة فستدرك انى فى انتظارك في البيت .

قال : ولكنني لم ارها ، القصد لم اكن ادرى انها شمعة . انني عدت لانني لم استطع ان اظل بعيدا ، ولأن على ان اعود . ■■

ترجمة : عيسى سليم المصو

من الكتب التي وصلتنا

(بقية المنشور على صفحة ١٤٥)

على اتفاق او على انفراد من خطط جهنمية لتوسعة هذه الفرقة، وتثبيت اسبابها، والاستكثار منها ، فبذلك يبقى العرب ضعافا ، فيصيرون مغنما سهلا للاستعمار والصهيونية •

كما يوضح المؤلف العوامل التاريخية للوحدة العربية المنشودة ، وأصالتها ، وتغلبها طورا فطورا على، كل مكيدة ، ويوضح مسئولية كل المثقفين ــ ولاسيما الساسة ــ لدعم اسباب الوحدة ، والاعتماد في تحقيقها على جهود امتهم، لا على عون خارجي من شرق او غرب،ففي ايديهم ــ قبل غيرهم ــ حل قضاياهم كما يريدون اذا احسنوا النظر واجتهدوا في العمل •

قسمات العالم الاسلامي المعاصر

المؤلف : الدكتور مصطفى مؤمن •

الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان •

● هذا الكتاب نحو خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وهو اشبه بموسوعة مختصرة لكثير من معالم التاريخ الاسلامي ، واحداثه الكبرى في كل اقطار القارات الخمس التيانتشر فيها الاسلام منذ ظهوره حتى اليوم ، وقد دعا المؤلف الى تاليفه ما لاحظه من اغفال المؤلفين الاوربيين ابراز هذه المعالم فيما يكتبون، وتعمدهم لتقليل عدد المسلمين بعامة ، وفي المناطق التي هم فيها قلة بخاصة ، وقد وفق المؤلف فيما اراد لتصحيح المعلومات والارقام التي تنشر عنالمسلمين في العالم الحديث، وكان توفيقه بقدر ما تستطيع الصفحات التي تهيات له في هذا الموضوع الكبير الشامل •

والكتاب ثلاثة ابواب ، في كل باب عدة فصول ، فالباب الاول « سجل للاحداث التي حددت قسمات العالم الاسلامي المعاصر » بدءا من سنة ميلاد النبي عليه السلام حتى نهاية سنة ١٣٩٣ (١٩٧٣م) فهو يذكر اهم الوقائع والاحداث خلال هذه القرون، وتاريخ كل واقعة منها هجريا وميلاديا • والباب الثاني يوضح رقعة العالم الاسلامي واتساعها قرنا فقرنا حتى الآن في القارات الخمس خلال انتشار الاسلام فيها مع بيان التاريخين الهجري والميلادي لوصول الاسلام الى كل جزء ، مع رسم بياني يوضح مساحتها ، وملاحظات توضيحية لبعض احداثها قرنا فقرنا ، في قارة قارة • وموضوع الباب الثالث هو العالم الاسلامي دوله واقطاره ، ويبدأ بجدولين رقميين اولهما عن الاقطار التي غالبية سكانها مسلمون ، والثاني عن الاقطار التي بها اقليات اسلامية ، ثم يمضي في ذكر الاقطار واحدا فواحد على وفق وصول الاسلام اليها ، فيجمل الكلام على كل قطر من حيث جغرافيته واجناس سكانه كما يذكر اهم معالمه التاريخية وثرواته وسياسته حتى الآن •

والباب الثالث اوسع الابواب واهمها ، لانه يوضح قسمات العالم الاسلامي المعاصر ، ويتناول اموره بشيء من التفصيل الذى يسعف القارىء بحاجته في هذا الموضوع الواسع •

البيولوجيا العامة

تاليف : الدكتور عدنان قشلان •

الناشر : جامعة حلب ــ سوريا •

● يتضمن هذا الكتاب الآراء الحديثة في علم الحياة ، وهي مرتبة بحيث تمكن القارىء من الاطلاع على المنجزات المتقدمة في علم البيولوجيا التي يتميز بها القرن العشرون ، كما ان مواضيع هذا الكتاب تلقي ضوءا على العديد من المشاكل والمعضلات البيولوجية التي تدور في ذهن الرجل العادي عموما • كذلك الباحث في نطاق احد الفروع البيولوجية خصوصا •

لقد اعتمد الكتاب في عرضه للمنجزات العظيمة في نطاق هذا العلم على علوم عديدة ، كالكيمياء الحيوية ، والفيزياء الحيوية ، وعلم الخلية ، وعلم الوراثة ، والبيولوجيا الجزيئية التي تطورت تطورا هائلا في السنوات الاخيرة ، واغنت علم الحياة بنظريات جديدة •

كما عالج هذا الكتاب مواضيع الخلية Cell والهيولى البروتوبلازم Protoplasm والعمليات الحيوية الجارية بها ، وعرض نظرية نشاة الحياة على سطح الارض ، ونقدها ، ثم عملية التمثيل الضوئي وخزن الطاقة على سطح الارض ، واهتم بعمليات التكاثر عند الاحياء وبناء البروتينات •

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول ديسمبر ١٩٧٥

٧٥ / ٣

من الأعمال المختارة

تلميذ الشيطان • هداية القبطان براسباوند

ترجمة وتقديم : محمود علي مراد

مراجعة : د. عبد الرزاق العدواني

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن طاقة أندونيسيا لبلوغ مرتبة احدى أغنى البلدان في آسيا

هل باستطاعته ان يخبركم عما في باطن الارض الاندونيسية من كميات كبرى من خامات الحديد والنحاس والمنغنيز والنيكل تنتظر من يستثمرها ؟ أو أن يوضح لكم كيف يمكن لهذه الموارد المعدنية أن تسهم في التنمية الصناعية ؟ أوكيف يمكن لاحتياطي النفط الاندونيسي أن يؤثر في الاستثمارات العالمية ؟ أوعن آثار الثورة الزراعية ،

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه ان يشرح لكم كيف يمكن لاندونيسيا أن تتأثر بالتكامل الصناعي والتجاري على نطاق اقليمي ؟ أو ان يخبركم عن تكامل الاسواق المالية ؟ أو ان يتكهن بالنتائج المترتبة على المنافسة اليابانية ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة . حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث . انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها .

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في الشرق الاقصى - او في اي مكان آخر - فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولاً .

شبكة تشيس منهاتن في منطقة المحيط الهادئ

فروع في : اندونيسيا ، تايوان ، تايلاند ، سنغافورة ، غوام ، فيتنام ، كوريا ، ماليزيا ، الهند ، اليابان .

مؤسسات مشاركة :

استراليا - تشيس - ن ب . أ . غروب ليمتد .

نيوزيلنده - تشيس - ن ب . أ . نيوزيلند غروب ليمتد

ان لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي 1 Chase Manhattan Plaza New York N Y 10015 U S A

الفرع في البحرين المنامة ص ب ٣٦٨
الفرع في لبنان بيروت ص ب ٣٦٩٦
مصرف مشارك في دبي ، بنك دبي التجاري المحدود
دبي ، اتحاد الإمارات العربية

الاســم
العنوان
الرجاء ان ترسلوا لي نشرتكم الجميلة الملونة بعنوان
في قلب الساعة التي تشرح ميكانيكية الساعة وتدلني على
طريقة التعرف الى "الانكابلوك". اقطع هذا الكوبون وارسله
الى العنوان التالي : مركز استعلامات انكابلوك للشرق الاوسط
ص.ب ٢٧٨٢ - بيروت . لبنان
Incabloc®
انكابلوك يبيّن الفرق
قد تكون الساعات التي تحبونها ساعات
حقيقية ذات مخل وربما لا تكون ...
الآن الساعاتي يعرف الفرق . وانكابلوك
يعرف ايضاً ! ولهذا فان مضاد الصدمات
"انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات
الاصلية ذات مخل .
والساعة ذات مخل هي ساعة الرجل
الخبير . وهي ساعة يعتمد عليها .
ذاك هو الفرق !
ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته
شركة بورتسكاب ، لاشودي فون ، سويسرا وبورتسكاب فرنسا ، بيزانسون .

إنك في المقدمة حين تتعامل مع البنك الوطني

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

مرآة اقتصاد الكويت

مساهمات شقيقة : بنك الكويت المتحد، لندن - بنك دبي الوطني - دبي - بنك الريف ش.م.ل . بيروت . فرانب بنك الدولي - باريس - بنك البحرين والكويت . ش . ب.م . البحرين - البنك الأوروبي العربي، بروكسل - البنك الأوروبي العربي ج.م.ب. هـ . فرانكفورت

RADO

البرق
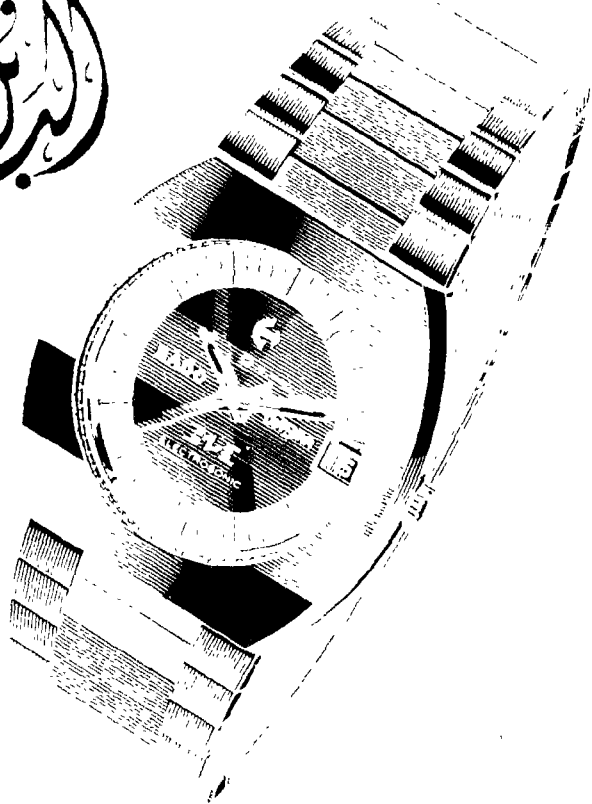
ساعة رادو دياستار اليكترو سونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
باتري بمنتهى الدقه.

الوكيل العام في الكويت.
محلات الباتل للساعات - محمد عبدالله الباتل
الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣

أثناء العمل أو أثناء اللهو سانيو
كاسيت تغمر أيامكم بالسعادة
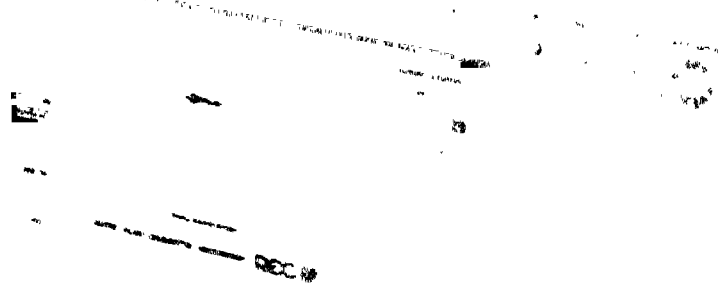
M 2470NMW

راديو ، مسجل كاسيت ديلوكس
مع ذاكرة التشغيل الآلي

ذاكرة تشبه الكمبيوتر لاعادة التسجيل والتوقف والاستماع للتسجيلات آلياً بالضغط على مفتاح واحد • التسجيل والاستماع ودمج الصوت بصورة غير محدودة • راديو AM/FM حساس بالداخل مع مسقط آلي لترددات AFC موجة FM • مفتاح توقيف الكاسيت بصورة آلية تامة في كافة الحالات ، ومؤقت آلي عند النوم للراديو • يعمل بالتيار العادي AC أو بأربع بطاريات جافة • يتوفر في علبة خشبية فاخرة

TRC 2000

"المفكرة الالكترونية"
جهاز ا[illegible] تسجيل المذكرات للمكاتب

تشغيل بيد واحدة ، تزن ٥٠٠ غرام فقط • للتسجيل الفوري والاستماع إليها بوضوح تام في الاجتماعات والمؤتمرات • ضوابط تعمل بلمس الاصبع ، وميكروفون داخلي • بالاضافة الى عداد للشريط • تعمل ببطاريات Ni-Cd التي يعاد شحنها عند الحاجة

Centre d'Etudes et de Documentation Islamic

Al Muntak

Courrier de l'Islam

Revue Trimestrielle

Pour l'unité des musulmans
Pour une meilleure connaissance de la pensée Islamique

Table Générale des Matières

pages

* L'Etat el la Politique en Islam *

EDITORIAL

Au nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux,

Assalamu Alaykum,

Nous voici soumettre à la bonne attention des lecteurs la deuxième livraison d'«Al-Muntaka». Et avant d'aborder le contenu de ce nouveau numéro, nous aimerions nous attarder qelque peu sur les réactions et les observations que le précédent numéro a suscitées. En effet, Al Muntaka a reçu un courrier nombreux provenant de milieux et de tendances diverses et où abondaient les observations pertinentes et constructives. Certaines lettres portaient sur le contenu de la revue, d'autres intéressaient plus l'aspect formel. Le nombre de ces lettres et le sérieux de la majorité d'entre elles, nous ont encouragé à penser à l'introduction d'une rubrique, sorte de tribune libre vouée à la publication et à la discussion des opinions qui nous parviennent. Elle présentera l'avantage d'associer un plus grand nombre de lecteurs à la tâche aussi bien de faire évoluer le travail de la revue qu'à celle d'en approfondir le contenu et d'en affermir la pensée. Nous mettrons à exécution ce projet à partir des prochains numéros ; que ceux donc, parmi nos lecteurs, qui ont reçu de nous des réponses jugées par trop brèves ou auxquels nous n'avons pas encore répondu, veuillent bien nous en excuser.

Qu'il s'agisse de lettres, de propos oraux ou d'articles et notes de lectures publiés par la presse dans le monde islamique ou en Occident, les remarques et les commentaires qui nous sont parvenus peuvent être répartis en deux catégories :

1- La prmière : ceux qui s'accordent sur l'intérêt et le serieux de la revue. Le trait commun de ces derniers c'est de dire qu'«Al Muntaka», telle qu'elle s'est présentée dans son premier numéro, et suivant les choix qu'elle s'est fixés, et l'orientation qu'elle s'est donnée, constitue une tribune utile, aux horizons positifs. Nous sommes particulièrement sensibles au fait que cette opinion est partagée même par ceux qui n'ont pas manqué d'exprimer leurs réserves, voire leur désaccord avec l'orientation de la revue. Il serait peut être utile de nous arrêter sur la critique principale faite à la revue par une bonne partie de ces derniers. Il s'agit de l'esprit, selon eux, «fortement polémiste», voire «offensif» qui caractérise les articles publiés par «Al Muntaka». Nous aimerions nous expliquer sur ce point : nous visons au dialogue... mais à condition qu'il ne soit pas le dialogue de l'agresseur et de la victime résignée, pas le dialogue du «loup» et de l'«agneau». Nous visons au dialogue... mais à condition qu'il soit le dialogue des idées franches et des parties «égales». Ce que ces lecteurs ont perçu comme étant «fortement polémiste» ou même «offensif» n'est en fait que le cri de l'agressé, cri répercuté par la plume à travers les différentes épreuves que traversa et traverse encore une Umma (Communauté) livrée à la plus barbare des agressions. Ce que ces lecteurs ont appelé «esprit offensif» n'est en fait que la défense de ce que les «véritables agresseurs» cherchent à réduire et annihiler en nous. Ce n'est que la défense de l'Islam soumis à toutes sortes d'attaques et d'agressions en dehors de tout éthique, scrupule ou conscience. Nous faisons partie de la Umma musulmane qui ne se soumet qu'à Allah, Allah qui nous prescrit de ne point agresser et de ne point nous plier à l'agression, de ne point être injustes et de ne point accepter l'injustice. De fait, Dialogue pour le musulman ne signifie nullement d'être l'écho des «autres»... surtout lorsque ces «autres» ne pensent qu'à perfectionner et à rendre plus opérants leurs plans de destruction de l'Islam et des Musulamans. Il n'est de dialogue pour nous que dans l'élément de la défense vigilante de nos croyances et de nos intérêts tout en respectant les croyances et les intérêts des autres.

2- La deuxième : il s'agit de ceux de nos lecteurs qui non seulement s'accordent sur l'utilité et le sérieux d'«Al Muntaka», mais bien plus, en soulignent la nécessité. C'est là l'opinion exprimée par un bon nombre de musulmans, qu'il s'agisse d'individus ou d''institutions. L'enthousiasme dont ils ont fait

montre à l'endroit de la revue et l'intérêt qu'ils portent à la faire évoluer les ont poussés à nous soumettre - nous leur en savons gré - toute une série de suggestions et d'observations. Elles sont toutes l'objet de discussions et de consultations qui, nous l'espérons, aboutirons dans le sens du bien de tous.

Il ne nous est pas possible ici d'aborder la totalité des suggestions et des observations qui nous sont parvenues. Nous nous contenterons d'en relever les principales :

- Un certain nombre de frères, surtout des pays musulmans, ont soulevé la question du prix relativement élevé de la revue. Nous voudrions nous expliquer sur ce point : le prix de la revue a été fixé en fonction de son coût et sans considération d'aucun bénéfice. Ce prix est équivalent à celui des autres revues spécialisées et il est même inférieur à celui de bon nombre d'entre elles. Néanmoins, nous avons réexaminé la question dans son ensemble et décidé d'opérer une réduction qui atteindra des proportions importantes pour certains pays et certaines catégories de lecteurs. Nous y avons été encouragé par l'accueil qui a été fait à la revue et par la bonne diffusion et le succès qu'a rencontré le premier numéro, ce qui nous permettra d'augmenter le tirage et par conséquent de réduire le coût et le prix au numéro. Pour aider à faire aboutir cette politique éditoriale, nous avons également décidé de lancer un prix d'encouragement et un abonnement de soutien. Nous espérons que cela aura un écho auprès de nos lecteurs qui tiennent à la réussite d'Al Muntaka et au progrès de l'activité du centre. Nous voudrions que les frères qui ont soulevé la question des prix et que les lecteurs et les diffuseurs sachent que la nouvelle politique de la revue concernant les prix nous impose en ce moment de nous en tenir, pour certains pays et certaines catégories de lecteurs, à un pris inférieur au prix de revient. Nous espérons avoir accompli notre devoir à ce sujet.

وما التوفيق الا من عند الله

- Un certain nombre d'autres frères ont discuté la question du plurilinguisme de la revue et ont avancé qu'une partie des articles publiés par la revue reste sans utilité pour ceux qui ne possèdent pas plusieurs langues. Ici, nous voulons faire remarquer qu'«Al Muntaka» est publiée en France et est diffusée en Europe, en Amérique et dans le monde musulman. Son caractère théorique en fait la revue d'une grande partie des

musulmans cultivés et des chercheurs non musulmans qui s'intéressent aux questions de l'Islam et du monde musulman. Or dans les deux cas, deux langues au moins sont pratiquées. Si c'est bien là la public auquel «Al Muntaka» cherche à s'adresser, il en découle que l'intérêt du plurilinguisme de la revue l'emportera sur ses aspects négatifs. D'un autre côté, la pensée unificatrice qui inspire la revue l'amène, compte tenu du lieu où elle paraît et du public auquel elle s'adresse - à élargir l'aire de choix des articles et des études qu'elle sélectionne et le cercle auquel elle s'adresse, et il est plus qu'évident que tout cela est mené de meilleure façon, se trouve facilité et gagne en souplesse grâce à l'option plurilinguiste. Ajoutons à ce qui précède que le monde musulman connaît aujourd'hui une importante et intense activité de recherche et de pensée qu'il faut absolument diffuser et faire connaître. Dans la conjoncture actuelle et pour contribuer à ce que les efforts ne se perdent pas, puissent toucher un plus large public, «Al Muntaka» sera, par son travail de présentation et de traduction de ce qui se fait et se pense sur la scène islamique, un facteur utile et positif pour un grand nombre de penseurs, de chercheurs et d'étudiants. Si certains ne voient pas l'utilité de cela et n'en tirent pas profit dans l'immédiat, il leur sera utile à l'avenir d'une manière ou d'une autre.

Le comité de rédaction prend en considération l'équilibre entre les parts imparties, en nombre de pages, à chacune des langues de la revue. La raison n'en échappe pas au lecteur et non plus que ce qui a été publié, par exemple, dans le premier numéro en langue française et en langue arabe, chacune prise séparément, est au moins équivalent à ce que publient bon nombre de revues utilisant une seule langue et comparables à «Al Muntaka» pour ce qui est de la forme, du contenu et du prix. Nous avons également été attentifs aux observations de nos lecteurs qui ont souhaité l'étoffement de la partie anglaise, nous l'avons donc élargie dans ce deuxième numéro.

Néanmoins, et pour réduire le plus possible les aspects négatifs du plurilinguisme, nous promettons à nos lecteurs, et cela à partir du numéro 3, d'accompagner les articles en langues européennes de leur résumé succint en arabe et les articles en arabe ou dans d'autres langues orientales de leurs résumés succints en français.

«Al Muntaka» se veut une revue de dialogue et de discussion

Elle n'est en aucune manière une revue «missionnaire». Etrangère, elle l'est et aux méthodes des «missions» et aux pensées qu'elles véhiculaient et véhiculent encore. Revue de dialogue, elle accepte les Ijtihadat-s et les divergences de pensée qui expriment des choix responsables et engagés en un temps et un lieu définis. Plus «Al Muntaka» progressera et développera sa personnalité, plus elle pourra d'une manière plus efficace et à plus grande échelle, faire connaître le mouvement et les réalisations de la pensée islamique et y contribuer à travers le dialogue responsable et la compréhension mutuelle visant à l'unité.

Jetons maintenant un coup d'œil sur la matière de cette nouvelle livraison. Nous avons choisi la problématique de l'«Etat et la politique en Islam» comme dossier de ce numéro(1). Lors du choix des articles, nous avons essayé autant que faire se peut de tenir compte de la diversité des écoles et des positions, en mettant l'accent particulièrement sur les penseurs et les chercheurs d'Asie et du sous-continent indien.

En arabe, le lecteur lira l'article intitulé «Les sources du

---

(1) Il a été tenu à Londres le 3 aout 1983, sous le patronage de l'Institut islamique, un colloque international sur «L'Etat et politique en Islam» Le colloque a duré quatre jours avec la participation de plus de 400 personnalités islamiques venues des différentes parties du monde. Une cinquantaine de communications ont été présentées durant le colloque exprimant différentes écoles et tendances de la pensée islamique contemporaine Vu l'importance de cet événement, «Al Muntaka» a choisi de publier dans ce numéro quelques-unes de ces communications, qui le sont donc ici pour la primière fois, et en a traduit une partie en français Nous en continuerons la publication à l'avenir, suivant ce que nous dicteront la matiere et les dossiers de chaque numéro Pour ce numéro nous avons choisi les articles suivants :

1- Ayat Allah Djanati «Les relations entre la religion et la la politique» (en arabe).
2- Dr. 'Abd Al-Majid Al-Najjar «Etat et politique dans la pensée d'Ibn Tumert» (en arabe)
3- Dr Mahmud Ghazi : «The location of authority and the scope of legislation in an islamic state».
4- Ya'qub Zaki , «The Islamic concept of State»
5- Khurshid 'Ali : «State and Politics in Islam»
6- Djohan Effendi «Survol des conflits et des compromis entre les idéaux islamiques et laiques en Indonésie»
7- Tengku Hasan Mohammad Di Tiro «Le pouvoir en Islam objectifs et technique.»

pan-islamisme». Son intérêt réside dans l'exposé historique approfondi des travaux des chercheurs musulmans et des orientalistes qui ont traité des divers aspects du pan-islamisme, particulièrement dans le sous-continent indien. Les lecteurs ne manqueront pas d'y trouver une source d'information sur ce sujet particulièrement importante et qui a toujours besoin d'un approfondissement de recherches.

De même, dans l'article de 'Abd Al-Majîd Al-Najjâr, «L'Etat et la politique dans la pensée d'Al Mahdî Ibn Tûmert», le lecteur prendra connaissance des bases doctrinales de deux mouvements importants dans l'histoire islamique, à savoir les Muwahhidûn-s et les Murâbitûn-s. L'article d'Ayat Allah Djanatî se propose d'infirmer la thèse qui dit que l'Islam est séparé de la politique. L'auteur avance des arguments découlant du shar' à travers le Coran et la Sunna pour prouver l'importance capitale de la politique dans la vie des musulmans.

Le lecteur trouvera dans l'étude de 'Adel Abd Al-Mahdî sur la wilâya et son rapport avec l'Etat une analyse approfondie du concept de wilâya comme assise théorique et pratique des institutions sociales et politiques dans l'expérience islamique. C'est cette assise qu'on a voulu effacer en posant le seul concept d'Etat, qu'il s'agisse de l'Etat occidental ou de l'Etat «islamique» séparé de la wilaya, avec tout ce que cela a entraîné comme déformations et déviations. Le lecteur trouvera également, accompagnant l'article de Bello (en anglais) un manuscrit en arabe traitant des significations du kasb (gain) et publié ici pour la première fois.

Le numéro comporte également une étude sur la situation des musulmans et du mouvement islamique en Allemagne.

En français, ce numéro comporte une étude de Radhwan Assayid «Dialectique de la relation entre communauté (Jama'a), unité (Wahda) et Légitimité (Shar'iyya». Abstraction faite de l'intérêt de la présentation, aux lecteurs français, de Radhwân Assayid dont les travaux et les éditions critiques son aujourd'hui largement connus dans les pays musulmans, le lecteur notera que cette étude analyse des concepts centraux de la pensée politique islamique avec une rare érudition et maitrise des sources anciennes.

De même, les lecteurs français feront connaissance, pour

la première fois, avec les travaux du penseur musulman Kalîm Siddiquî, travaux très discutés dans les pays anglophones, et cela à travers un article intitulé «Après l'Etat-nation». Kalîm Siddîquî y traite du projet occidental colonial de division de la Umma islamique en Etats-nation, division qui a conduit et conduit encore à l'affaiblissement, à l'assujetissement et au blocage de l'unité islamique.

Djuhan Effendi, quant à lui, traite de la riposte islamique aux tendances laiques. Il jette un nouvel éclairage sur un sujet rarement abordé, à savoir l'expérience et les conditions du mouvement islamique et son rôle en Indonésie.

Nous prenons également connaissance des positions du Front de Libération de Sumatra à travers l'article du à son président, Tengku Muhammad Di Tiro. Cet article intitulé «Le pouvoir en Islam : objectifs et techniques» s'attaque aux politiques d'occidentalisation en leur opposant les principes de la pensée et du comportement islamiques et en appelant à l'unité mondiale des musulmans par le dépassement de l'Etat-nation.

L'article de Sa'ud Al-Mawla est un exposé historique, où le lecteur trouvera une mine d'informations éclairant la situation et les conditions sociales, politiques et économiques en Syrie et au Liban au début du XX° siècle. Il traite des relations entre les musulmans eux-mêmes d'une part et de leur relation collective à la conquête de leur pays d'autre part. L'article montre les conditions désastreuses de cette conquête pour le Sham en prticulier et le monde islamique en général.

Nous publions également dans ce numéro l'intervention de Halim Herbert au colloque de Lyon sur «Islam, Sciences et recherche». Dans cette communication intitulée «L'Islam et la scientificité occidentale», l'auteur opère une critique radicale des assises théoriques des sciences occidentales et notamment des sciences sociales. Il souligne l'importance de la notion islamique de Tawhid dans l'édification de l'esprit scientifique en Islam, repère des convergences avec cette notion à travers certains développements des sciences physiques et de la nature dans l'Occident contemporain et y place l'espoir d'un renouveau du rapport de l'homme au monde où il vit qui dépasserait la «mutilation» scientiste.

Quant à la partie anglaise, la plupart des articles qui y fi-

gurent rentrent dans le cadre du dossier de ce numéro. Nous y lirons : Khurshid 'Ali, dans son exposé centré sur la problématique de l'Etat et la politique en Islam. Ya'qub Zaki, dans son article «la conception islamique de l'Etat» où il traite à travers l'exposé historique la base théorique du pouvoir représenté par l'Imamat et le Khalifat. Mahmud Ghazi, dans son étude consacrée à la délimitation du pouvoir et de l'espace législatif en Islam.

A côté de ces auteurs, le lecteur prendra connaissance de l'étude de 'Umar Bello sur le Khalifat de Muhammad Bello et ses réalisations à Sakkawato (Afrique) au début du XIX° siècle. Cette étude est accompagnée du texte arabe et de la traduction anglaise d'un manuscrit en arabe datant du premier quart du XIX° siècle et publié ici pour la première fois.

Enfin, que les lecteurs veuillent bien nous excuser des imperfections et des erreurs qu'ils pourraient relever. Le Hadith dit : «Celui qui fait un effort et réussit aura deux récompenses (Ajr), celui qui fait un effort et ne réussit pas en aura un seul». Nous cherchons à faire un effort et à réussir, mais dans tous les cas :

فانما أجرنا على الله الواحد القهار

Il n'est que d'Allah que dépend notre recompense.

Wa assalamu alaykum wa rahmatu allah-i wa barakatuhu.

LA SYRIE ET LE LIBAN A L'AUBE DU XX° SIECLE

Sa'ud AL-MAWLA (*)

1-Situation socio-économique de la Syrie et du monde arabe

Le Moyen-Orient a été, à travers l'histoire, le carrefour des routes du commerce mondial. Grâce à sa position de plaque trounante entre les grandes zones de civilisation et du commerce mondial, cette région constituait une constellation de formations sociales, articulées autour d'un mode de production où le rôle prédominant était donné aux relations marchandes externes (grand commerce) et internes (greffées sur les premières) aux grandes époques [1]

«La zone arabe a rempli des fonctions commerciales mettant en rapport des mondes agraires qui s'ignoraient. Les formations sociales sur la base desquelles ces civilisations se sont épanouies ont été des formations commerçantes... Ce modèle de formation commerçante caractérise le Machreq jusqu'à la guerre de 1914-1918»[2].

Les deux facteurs décisifs dans l'infrastructure de la vie économique étant le commerce et la protection des routes du commerce mondial, ils ont eu aussi un impact décisif sur la structure politique Le rôle prédominant est donc passé aux commerçants et aux

---

(*) Chercheur Libanais dont les travaux portent sur l'histoire de la pensée politique au moyen-orient.

guerriers. L'histoire de cette région a été marquée par la prédominance des militaires et des commerçants dans la vie sociale. et politique[3] Cette situation a engendré comme principale conséquence le développement des villes et des civilisations urbaines qui se sont épanouies sur la base de leur rôle commercial, international[4]... «L'essentiel, ce sont les villes. Des villes énormes, monstrueuses. Quand le commerce vient à péricliter, des villes qui furent parmi les plus populeuses de l'Antiquité, du Moyen-Age et des Temps modernes jusqu'au capitalisme; beaucoup plus importantes que celles de l'Occident: Alep, Damas, Baghdad, Basra, Antioche... Civilisation urbaine et mercantile mais non capitaliste. L'unité culturelle de ce monde urbain sera très marquée, ce seront les centres de la culture arabo-islamique, les citadelles de l'orthodoxie sunnite»[5].

Cette situation économique a connu une vive perturbation à partir du XV° siècle. «C'est une tragédie pour lui (empire ottoman) que d'arriver trop tard à cette région vitale des «isthmes» que tend à délaisser désormais le grand commerce mondial, après l'ouverture par le Cap, d'une voie maritime ininterrompue depuis l'Inde jusqu'à l'Europe»[6]. «La Syrie a perdu son rôle d'intermédiaire commercial au niveau du marché mondial surtout après la défaite navale turque en 1571»[7]. Mais le rôle économique des villes comme Damas et surtout Alep «la plaque tournante des communications de l'Empire à l'articulation des domaines turcs et arabes, au débouché, également de la grande voie caravanière qui mène par Mossoul ou Baghdad à la Perse»[8], reste aussi important malgré cette crise internationale. «La position de ces villes commerciales et artisanales à l'intérieur du marché du vaste empire ottoman, aux frontières ouvertes pour le commerce et la circulation des produits locaux, renforça le rôle économique de la Syrie malgré le détournement des grandes routes » [9].

«La Syrie, bien plus que n'importe quelle autre province asiatique (wilâya) avait largement profité du point de vue matériel, économique, de son attachement à l'empire ottoman. C'est parce qu'elle a pu renouveler son rôle commercial mondial après des années de guerre, de stagnation et de décadence»[10]

«La Syrie est restée donc la jonction des grandes voies d'échanges caravanières et maritimes du vaste ensemble impérial ottoman» [11]. Quant au niveau juridico-politique, il n'y a pas eu grand changement, car la nouvelle administration ottomane s'est basée sur les structures sociales existantes dans les régions conquises(et la montagne libanaise ne faisait pas exception ici).

«Conformément à la pratique de l'administration ottomane, ils (les gouverneurs turcs) utilisèrent des responsables locaux pour percevoir et verser le tribut, signe le plus tangible de la sujétion au Sultan. Ce faisant, ils devaient au niveau de l'application régionale s'adapter aux contours de la hiérarchie et de la configuration sociale afin de s'en servir dans un sens favorable au maintien de leur contrôle... Cette adaptation agissait à son tour sur les catégories sociales - les familles notables - qui étaient les intermédiai res entre le pouvoir et la population. Ce rôle était d'ailleurs pour elles-mêmes la source d'une autorité qu'elles cherchaient à affirmer vis-à-vis du représentant du Sultan et surtout à l'égard de ceux qui entraient dans leur clientèle et qui étaient assujettis à leur payer l'impôt; mais en s'exerçant, ils avivaient d'épuisantes rivalités internes qui résultaient de la structure familiale et sociale en entités juxtaposées et opposées, et qui rendaient toujours instable la puissance d'un individu ou d'un groupe».

«Les relations socio-éconimiques firent des familles dirigeantes les intermédiaires naturels et obligés du souverain ottoman parce que la fonction fiscale qu'elles étaient aptes à remplir à son service était fondée sur leur emprise sociale, politique et économique. Ce point fixe exactement la nature des intérets réciproques: l'Etat n'a pas pu se passer de ces familles pour manifester sa souveraineté en même temps qu'elles ont eu besoin de lui pour garantir leur supériorité par la parcelle de pouvoir qu'il a du leur déléguer pour être responsable du fisc sur un territoire»[12].

«De même que l'organisation de la société montagnarde pour originale qu'elle soit, n'est constituée qu'avec des éléments et sur des modéles se retrouvant dans les autres régions arabes, de même la position territoriale et le rôle héréditaire de certaines familles dominantes soulignent la particularité du cas libanais, mais ne le détachent nullement de l'ensemble ottoman. Il est en effet conforme à l'esprit et aux méthodes de l'administration turque de se servir, depuis la conquête de la Syrie, des structures existantes pour faire valoir son autorité suprême... Le maintien et l'utilisation nécessaire de l'organisation de la montagne par les pachas gouvernant les pachaliks de Tripoli et de Sayda ont pour corollaire le paiement du tribut...» [13].

Ce qui précède nous aide à préciser qu'on ne peut pas présenter les mouvements qui ont eu lieu entre le XVI° et le XIX° siècles dans plusieurs parties de l'empire et qui ont été dirigés par des wâlis ou amîrs locaux, en tant que mouvements «nationalistes». Il ne faut

pas voir les conflits de cette période et les mouvements qu'ils ont du engendrer, à la lumière des conflits et des mouvements qui ont éclaté à l'aube du XX° siècle. Les mouvements des wâlis, des amîrs, des a'yâns (notables), 'âmil-s (intendants, agents administratifs), fâce à l'Etat central, étaient des conflits «internes», se dé roulant et se résolvant sur la base et dans le cadre de la structure sociale arabo-islamique et de son système politique, administratif et de répartition des pouvoirs.

Le facteur principal qui permettait à des conflits de naître, de se développer et de se résoudre était la structure propre au système de formation des alliances et de rétribution des postes au sein de la classe dirigeante ottomane. Celle-ci se caractérisait par une prédominance turque et une pyramide sociale très hiérarchisée (de l'aristocratie turque jusqu'aux aristocraties locales): le sultan, les wâlis les structures du pouvoir local. Ces dernières s'élaboraient à partir des tribus et des familles de chaque région tout en maintenant leurs positions, roles et relations. Ils pouvaient remplir les fonctions suivantes: le maintien de la sécurité et de l'ordre général, la représentation des terres du «miri», la perception et la version du tribut, la protection du commerce et des voies de transport à travers leurs régions, etc...

C'étaient là les fonctions de l'amîr et des familles notables dans la montagne libanaise, des «chaykh» des tribus et des grandes familles de la presqu'île arabe et del'Iraq,ainsi que de quelques régions de Syrie et avec un peu plus de spécificité, les Dey, les Bey et les Pacha en Afrique du Nord.

Les facteurs qui permettaient donc au wâli, à l'amîr, au chaykh des tribus ou aux familles notables, une «indépendance» relative vis-à-vis du sultan ottoman, étaient les mêmes anciens facteurs qui permettaient la séparation de quelques régions sous la direction d'un wâli ou d'un gouverneur local ('amîl) ou d'une dynastie locale et de leur «indépendance» administrative, économique et militaire vis-à-vis de Baghdad (par exemple).

Ces facteurs n'ont rien à voir avec un «nationalisme» qui serait un projet politique visant à la construction d'un Etat arabe, central unifié. Les institutions, l'organisation et les structures conservées par l'administration ottomane dans les pays conquis étaient à la base des conflits au niveau des tribus, des familles notables, des wâlis et même du sultanat. Ces conflits prenaient quelquefois un aspect anti-turc, mais non pas un aspect nationaliste (arabe, syrien, libanais ou autres[14]

2 - L'Islam, les Turcs, les Arabes

Jusqu'à la première guerre mondiale, le monde arabe faisait partie du territoire musulman (Dar-al-Islam). La'Umma regroupait dans le cadre du Califat, gouvernement légal (conforme aux lois de la Chari'a) tous les peuples musulmans.

L'appartenance des Arabes à l'Etat islamique était affirmée à travers les positions des «fuqahâ'» (docteurs de la loi) et «ulamâ'» (savants exégètes) comme à la fois une appartenance à la religion, une constitution d'une société, et une politique. L'Etat islamique, et ceci depuis le Prophète, se fondait sur la fusion des diverses «'asabiya», tribus et formations ethniques en un seule communauté (jamâ'a) matérialisée politiquement par le concept de «Umma».

La 'asabiya de Quraysh (et au-delà, celle des Arabes) n'était pas la seule à avoir le droit et le prestige de diriger l'Etat et de représenter les Croyants. Seul l'Etat Umayyade avait la «prédominance» (ghalaba) arabe. Toute nouvelle élite dirigeante s'efforçait d'acquérir l'appui (et par là la légitimité) des fuqahâ' et'ulamâ La disparition du Califat (lors de la chute des Abbassides) comme «institution active» et le démembrement du monde islamique (en plusieurs «entités politiques) n'a pas affaibli l'attachement à un centre d'unité politico-religieux.

D'ailleurs, tous les gouverneurs militaires musulmans se réclaaient d'une quete d'une réunification sur de nouvelles bases. La disparition formelle du Califat accentua la recherche d'une identifcation avec un type ou un exemple d'unité pouvant assumer la responsabilité de la direction des affaires de tous les musulmans, c'est-à-dire unir et diriger la Umma, ainsi que, livrer combat («jihâd») aux envahisseurs.

A partir de ces principes, l'islamité, la légitimité «shar'iyyat» du sultanat turc, son caractère universel (englobant la plupart des territoires musulmans) et unificateur (assumant les tâches de direction) ne faisaient aucun doute chez les «fuqaha'» du temps. Le sultanat, en tant qu'institution, a suppléé le Califat après que le «gouvernement de force» (la prise de pouvoir par la force: forme de prédominance d'une 'asabiya non-arabe et non-qurayshite, approuvée et reconnue par les fuqaha' sunnites et shiites) se soit transformé en état de fait qui dépassait et résolvait la problématique de l'appartenance qurayshite du Calife[15]. Le Sultanat s'est

imposé aux législateurs musulmans qui l'ont reconnu comme fait légal et soumis «théoriquement» au pouvoir califal, dans le but de sauver le monde islamique.

«Le sultanat a remplacé le Califat en assumant ses devoirs et engagements. Le problème qui se posait alors était de savoir comment légitimer des droits acquis par la force dans le but d'assurer le rôle d'un «imamat» légitime et irréprochable. Quand le Califat abbasside fut renversé en 1258, il n'y eut pas besoin de modifier cette théorie»[16].

On peut citer ici l'exemple des Saljuqides turcs qui établirent un Etat qui a vécu à peu près un siècle et demi, et qui, par là même, réalisèrent l'unité des musulmans sur un large territoire, et la formation d'une structure étatique imposée comme un modèle de l'Islam sunnite. Le sultanat ottoman n'était qu'un prolongement, ou plutôt un remplacement du sultanat saljuqîde. Vers la fin du XV° siècle, début du XVI° et à la lumière du rôle pionnier des turcs otto mans dans les conquetes militaires en terre des non-croyants (Dâr-al-Harb: terre de guerre), et dans la défense des terres des musulmans contre les invasions et les croisades, les fuqahâ' ont commencé à voir dans cette force islamique naissante une force unificatrice du monde islamique et pas seulement un moyen de sauvegarde du Califat. Ainsi sultanat et califat-sont devenus deux termes interchangeables[17]. Au début, les sultans ottomans n'avaient aucun souci du problème du Califat, puis leurs théoriciens et historiens ont inventé l'histoire de l'abdication du Calife abbasside Al Mutawwakel au profit du Sultan Salim, et ils pensaient ainsi se rapprocher des pays arabes[18]. Les Arabes, comme d'autres peuples musulmans, ont accueilli favorablement l'instauration de l'ordre ottoman. «Alors que la sécession des Perses a obligé les Ottomans à porter seuls le drapeau de l'unité islamique durant les quatre siècles suivants, les Arabes, faibles et divisés ont bien accueilli le rattachement de leurs territoires aux territoires sous domination ottomane...»[19].

Les Ottomans avaient acquis un grand prestige auprès des musulmans. Les Sultans envoyaient dans tous les pays islamiques des messagers auprès des gouverneurs et des savants religieux, pour relater leurs succès militaires et le présenter comme des victoires de tour les musulmans [20].Ceci avait un impact positif sur la conquête, du reste très facile, des pays arabes et sur le maintien du pouvoir ottoman plus de quatre siècles. «La conquête du pouvoir ottoman de la Syrie, l'Arabie et l'Egypte s'est faite en deux ans,

sans difficultés. Les populations les accueillirent favorablement comme des combattants de l'Islam... La conquête de l'Algérie s'est faite sans guerre... La reconnaissance du califat ottoman par les musulmans a certainement renforcé le pouvoir de l'Etat et a facilité son extension; il a retardé en même temps «l'éveil de l'idée de la Nation arabe»[21].

Pour les Arabes, l'Etat ottoman était donc l'Etat des Musulmans, l'expression de la volonté de la'Umma. Il serait donc fallacieux de dire que les Arabes étaient (en tant qu'Arabes)opprimés ou sous «occupation turque» ou bien de parler de «colonialisme turc».

«Les Arabes se sentaient comme les Turcs, membres d'une grande et glorieuse 'Umma, unis par une seule religion et soumis à un seul gouverneur musulman, le Calife ou le Sultan»[22].

Dans l'armée ottomane, on trouvait des officiers arabes de grades élevés et des régiments entièrement composés d'Arabes. Nûrî Al-Said avait écrit: «Les Arabes en tant que musulmans participaient à tout. Nombre d'entre eux sont devneus premiers ministre ministres, walis, cheikh al-Islam (haut chef religieux ou mufti) et cadres de l'armée; on trouvait des fonctionnaires arabes dans tous les services administratifs de l'Etat»[23].

Les Arabes ont apporté la principale contribution dans le système législatif et le droit ottoman, ainsi que dans l'administration interne; car la chari'a, colonne vertébrale du gouvernement ottoman (et de tout gouvernement se voulant islamique)ne pouvait subsister sans l'Arabe, langue du Qur'an et de toutes les sources de législation islamique. Les écoles islamiques formaient, au Caire, à Damas, à Tripoli, Alep et autres, les fuqaha', 'ulama' et les qadis, etc. Ibn Taymiya considérait la langue arabe comme l'un des symboles de l'Islam. Elle donne à la'Umma son identité. Et pour cela, il avait (suivi par Al-Afghani et Al-Kawakibi) réclamé une politique d'arabisation pour sauvegaerder l'unité islamique[24].

Les Ottomans sont restés six siècles à peu près dans un état de guerre contre leurs voisins, et cela, tant pour essayer d'étendre le gouvernement islamique sur une grande partie de l'Europe que pour mener une guerre défensive, visant à empecher et à rendre impossible la contre-offensive occidentale. L'Etat ottoman, pour tout musulman, s'identifiait à l'Islam lui-même. Le mot ottoman désignant la famille au pouvoir (exactement comme Umeyyade, abbasside, etc...), il n'a eu de signification «nationaliste» qu'à partir du XIX° siècle et ceci sous l'influence de la pensée libé-

rale européenne. Par Arabes, on désignait les Bédouins ou nomades de la presqu'ile arabique[25].

La classe dirigeante ottomane n'éprouvait aucun sentiment «nationaliste». Ni le gouvernement, ni le peuple, ne qualifiaient l'Etat en terme d'Etat-nation et d'Etat turc. Ce terme a été utilisé par les Européens ou par les Arabes qui portaient les idées et les concepts du libéralisme européen[26].

Un officier arabe écrivait: «Je n'avais jamais pensé aux Arabes, à l'arabisme. Le Calife était pour moi Calife de l'Arabe comme du Turc, du Kurde ou de l'Arna'ût (etc...), lui seul était symbole de la jâmi'a (communauté et lien)[27]

3 -Le choc de l'Occident

On peut dire que le début de la décadence de l'empire ottoman remonte au XVII° siècle. L'Etat ottoman avait pris naissance et s'était renforcé avant son extension aux pays arabes. Il n'a annexé ces pays qu'après deux siècles, au temps où il était «à l'apogée de sa gloire,et où ses frontières (étaient) plus larges.Il avait dépassé l'age de la jeunesse dynamique et était entré dans l'age de la vieillesse[28]. Cette détérioration ou décadence était due à un phénomène extérieur: la découverte de l'Amérique et du Cap de Bonne Espérance, et le début de l'expansion en Europe. L'Europe a acquis par ces découvertes un champ d'exploitation et de colonisation très vaste. L'accumulation des richesses (l'or surtout), la domination des voies du commerce, la destruction des Indes, la traite en Afrique,la croissance de la force militaire maritime,ont provoqué une crise économique dans le monde islamique à travers la perturbation du grand commerce de l'Etat ottoman[29]. Celui-ci était devenu dès lors l'objet des rivalités et des convoitises des empires européens.N'oublions pas que l'Etat ottoman avait été «l'ennemi numero un de l'Europe au temps de sa renaissance. Il avait contrecarré son expansion et même annexé quelques régions européennes»[30]. Pour cela, il était naturel que l'Etat ottoman, et les signes de sa faiblessem devienne la cible princiaple des puissances impérialistes européennes.

L'Etat ottoman était vraiment un «Etat militaire»: «Les activités de l'armée étaient au centre de toutes les autres». «Le pouvoir était fondé à la fois sur le système de la royauté (mulk) et sur la loi révélée (char'), s'appuyant en même temps sur une caste militaire regroupée et consolidée par une 'asabiya naturelle[31], et

ainsi, il était logique que les troubles commencent dans l'armée. Ce fut la crise des «janissaires» qui aboutit à leur liquidation.[32]

La corruption et la dislocation de l'armée régulière ont attisé la corruption de l'administration en général. Le système administratif qui donnait aux chefs des wilaya-s ou des sandjak-s des pouvoirs très larges, faisant d'eux des chefs d'armée en même temps, ne pouvait présenter de grande menace pour le gouvernement central quand celui-ci était fort, et l'armée janissaire bien organisée et disciplinée. Mais avec les interventions extérieures, les guerres, les complots et convoitises, la faiblesse des sultans, le rôle croissant des ministres et des consuls étrangers, la faiblesse des relations avec les provinces, les mouvements des tribus, familles, et communautés confessionnlles ont pris une nouvelle tournure qui s'est avérée «séparatiste» ou plutôt «indépendantiste». L'affaiblissement du pouvoir central a permis aux wâlis, pacha-s, shaykhs et chefs d'armées de poursuivre leurs ambitions propres, de s'enrichir, de renforcer leurs positions et d'augmenter l'exploitation de leur population paysanne.[33]

La faiblesse de l'Etat dans une région ou une autre permet l'installation de relations semi-féodales entre le paysan et les fonctionnaires, surtout avec l'excès de militarisation de l'Etat et de ses appareils. «Seules des formes semi-féodales se sont développées aux périodes de décadence du grand commerce dans les campagnes de plaines que les gens des villes pouvaient dominer plus facilement et qui permettaient ainsi de compenser par un surplus imposé aux paysans la contraction des revenus du commerce lointain...»

«Les réduits paysans de l'Orient exclus de l'Etat civilisé peu intégrés dans la civilisation, le niveau du développement des forces productives y est en général très faible et aussi demeurent-ils dans l'ensemble organisés en communautés villageoises et tentent de préserver leur autonomie dans la dissidence religieuse et par le refus de payer les impôts ou de se soumettre à l'Etat central».[34]

4 - Les transformations en Syrie

Au XIX° siècle, l'Etat ottoman se trouve face à de grands bouleversements intérieurs. La pensée occidentale exerçait une grande influence sur les intellectuels poursuivant leurs études à l'extérieur, sur les officiers, les diplomates ou les grands commerçants. Plusieurs tentatives de réforme des institutions de l'Etat ont vu le jour sans résultat tangible, alors que la pression politique

militaire et économique de l'Occident était arrivée à son plus haut degré.

«La période des réformes et le processus de sous-développement qui l'accompagne ne peuvent être compris ni par les seules pressions extérieures ni par le simple fonctionnement du système ottoman. Quoiqu'il faille reconnaitre la primauté au système étatique international, quoique les paramètres des développements du XIX° siècle ottoman résultent des contraintes extérieures, il reste que la matrice compététive du système-monde international laisse à l'Etat ottoman une autonomie relative qui, à son tour, lui permet de rechercher des alliances dont il tire bénéfice...

Prévenir l'effondrement militaire et administratif exigeait des mesures de centralisation et de rationalisation de l'autorité en général, la modernisation de l'armée, le remodelage de la bureaucratie et l'uniformisation du système fiscal»[35].

C'est dans un contexte de crise intérieure et de pressions extérieures qu'ont vu le jour les réformes de 1839 et de 1856. La première (Hatt-i cherif de Gulhane) survient au temps où Muhammad 'Alî Bâchâ occupe la Syrie et menace Istambûl. Le sultan 'Abdel Majîd décrète ces réformes avec la promesse aux pays européens de les appliquer après la liquidation du danger que représentait Muhammad 'Alî. Le sultan n'a pu récupérer la Syrie qu'après ce «firman», et ceci grâce à l'aide britannique. Le deuxième (Hatti-Humayun) intervient en 1856 après la victoire de l'Etat allemand et de ses alliés (Angleterre, France, Italie) sur la Russie dans la guerre de Crimée, et une semaine avant le Congrès de Paris : le maintien de l'intégrité des territoires de l'Empire ottoman et sa sauvegarde étaient garantis par '5 pays européens ; et une des conditions voulait qu'aucun pays ne puisse intervenir (seul ou de concert avec d'autres) dans les relations du sultan avec son peuple[36]. Ainsi le sultan obtient une garantie de l'extérieur. L'intervention européenne pesait lourdement sur ces réformes qui visaient avant tout à gagner les bonnes faveurs des Européens. L'Etat ottoman à survécu et a conservé son empire et l'intégrité de ses territoires pendant de longues années en exploitant les contradictions et rivalités entre les puissances européennes. Les exemples ne manquent pas : - l'intervention de l'Angleterre et de la France contre la Russie au milieu du XIX° siècle puis dans la guerre de Crimée en 1854 et le Congrès de Paris qui a proclamé l'intégrité de l'Empire. La guerre entre la Russie et l'empire ottoman en 1876 et l'accord de San Stephano, puis l'intervention de l'Angle-

terre et le congrès de Berlin pour annuler l'accord de San Stephano.

Mais cette situation de défense négative, de survie aux dépens des contradictions des autres ne pouvait qu'accroitre la faiblesse de l'Etat. Les puissances européennes intervenaient dans les affaires de l'Etat ottoman de plusieurs façons et ceci en se basant d'abord sur les capitulations. Grâce à ces capitulations, les citoyens et commerçants européens avaient droit à de grands privilèges et avantages leur permettant de dominer les opérations d'échanges surtout dans les villes marchandes et les ports. Les commerçants et les consuls formaient désormais des mini-Etats dans l'Etat possédant des pouvoirs autonomes[37]. Il est interdit par exemple au gouvernement de lever des impots sur les étrangers ; ainsi, les commerces, usines et banques se développaient librement et accumulaient de grands profits leur permettant de se procurer une place importante dans les villes[38]

Ces capitulations ne représentaient aucun danger quand l'Etat était fort, mais les Européens les ont bien utilisés dès le moment où s'est annoncée la faiblesse de l'Etat au XVIII° et XIX° siècles.

Les consuls étrangers sont alors devenus très puissants et se sont trandformés en agents de convoitises et de complots[39]. «Les consuls intervenaient dans toute chose en Syrie par exemple et pratiquaient une politique ou une stratégie d'intervention bien étudiée et organisée»[40]. Il est intéressant de noter ici que tous les rapports envoyés par les walis de Damas à la Porte au XIX° siècle se plaignaient des consuls européens[41].

Chaque Etat européen essayait d'augmenter en Syrie le nombre des institutions économiques, culturelles et religieuses qui lui étaient affiliés. Il concentrait ses efforts sur les régions qu'il esp rait dominer un jour. Ceci créait évidemment des rivalités, voire meme des conflits entre les Etats européens, ce qui les amenait à des complots et des guerres de diplomatie, des alliances et des politiques contradictoires tout au long du XIX° siècle[42]. Les Européens visaient le partage des territoires, des richesses et des points stratégiques de l'empire, et ceci ne pouvait que passer par une voie sinueuse et par des concessions réciproques (ce qui permit l'occupation de l'Algérie en 1830, de la Tunisie en 1881, de l'Egypte en 1882 et de la Libye en 1911). Mais ces concessions ne pouvaient pas durer, et la première guerre mondiale éclata pour accélérer encore plus le partage de l'héritage de l'«homme malade».

Ce qui est à retenir ici, c'est que, en dépit de toutes les concessions ottomanes, de toute la politique de rapprochement et de bonnes faveurs ottomanes envers les pays européens et malgré les réformes imposées (et qui eurent des conséquences internes néfastes), on a pu voir les pays de l'Europe intervenir militairement et politiquement comme ce fut le cas en 1860 en Syrie.

«Sous-jacent à la modernisation de surface de l'Etat ottoman, le rocessus de sous-développement se comprend mieux comme le résultat de l'équilibre de l'articulation - des forces internes et externes. De ce point de vue, le système étatique international est le facteur déterminant, tandis que l'Etat ottoman joue le rôle dominant»[43]

Un fait est sur : ces réformes qui voulaient empêcher les interventions extérieures et rétablir l'ordre en réajustant la situation intérieure, n'ont fait qu'aggraver les problèmes, disloquer l'Etat, briser l'unité et encourager le désordre et les interventions. Le climat général était celui de la désagrégation politique et de la dislocation des institutions, et dans ce climat rien ne pouvait plus se maintenir[44] Les tanzîmât-s (comme exemple) ont limité les pouvoirs des wâlî-s, pour adopter des systèmes français d'administration conduisant par là à une plus grandes centralisation. Ceci poussa même Midhat Bâcha (connu comme «père du Destour» et des réformes) à remarquer les dangers de cette centralisation et à réclamer une décentralisation[45]. Et on sait bien que le problème de la centralisation et de la décentralisation joua un rôle important et décisif dans la politique ottomane et dans le développement de la «cause arabe» avant la première guerre mondiale. Les tanzîmât-s ont surtout renforcé la cohésion des communautés chrétiennes grâce à la réorganisation des patriarchats et des archevechés et la formation des conseils confessionnels civils et religieux. Tandis que les musulmans étaient dépourvus de telles institutions religieuses, culturelle et sociales et toutes leurs affaires étaient léguées à l'Etat, il n'y avait aucun intermédiaire. Chez les chrétiens, il existait une sorte d'orga nisation supervisée par l'Eglise... Midhat Bâcha avait pensé à ce problème et avait essayé de former des associations islamiques indépendantes (telle Al-Maqâsid et autres)[46]

Tout le commerce européen était entre les mains des chrétiens européens et orientaux et des juifs. Les commerçants européens et surtout ceux des ports français s'efforçaient de limiter l'influence des chrétiens orientaux (qui étaient sous leur protection) à des affaires d'intermédiaire. Ces derniers (ou plutot la plupart d'entre eux

développèrent le commerce européen à leur propre profit après s'y être introduit,ils furent aidés par leur assimilation à la nationalité de leur protecteur (des consuls et des consulats Français, Autrichiens, Suédois, Britanniques et autres) [47] .

«Des immunités accordées aux siècles précédents par les Sultans permettaient aux consuls de placer sous leur juridiction des chrétiens sujets de la Porte. Ce droit de protection comportait pour les bénéficiaires de nombruex privilèges judiciaires et fiscaux et par conséquent, économiques et administratifs»[48].

«Les «milal-s» (communautés religieuses non-musulmanes) se sont transformées à travers leur culture et leur éducation dans les œuvres des missions occidentales en des minorités au regard des Etats européens et ont élaboré par ce phénomène les forces capables et prêtes à entrer dans le service des consulats européens et des actions d'échange commerciaux européens entre les mar chés ottomans d'une part et les grands groupes financiers d'autre part»[49].

Parallèlement, les musulmans étaient marginalisés. Les commerçants musulmans des côtes et des villes intérieures étaient liés à l'intérieur syrien ; leurs échanges se basaient sur les opérations traitant des produits agricoles et artisanaux . 1-Les régions syriennes intérieures: Hauran, Homs, Hama, Alep, des grands centres de production des céréales et d'élevage du bétail; 2-Les villes cotiè:des ports et des marchés pour cette production (Beyroûth,Lattaquié)3-Entre les deux:des qasaba qui formaient des stations pour les caravanes transportant les produits et qui constituaient des marchés pour une partie de ces produits. Nabatieh,Khiam,Bint Jbeil,Souk-el-Khan,Baalbek au Liban actuel. L'importance des ports et des villes cotières était donc liée à la situation de l'intérieur qui leur fournissait des produits [50] .

Sous l'influence de la conquête des marchés par les marchandises européennes,la production artisanale(surtout le coton et la oie a pris un retard d'une façon qui menaçait les forces qui y vaient des intérêts [51] . Dans les premières années du XIX° iècle, la situation des artisans locaux était très critique, les sines européennes commençaient à imiter les fabrications aditionnelles du coton syrien destinées aux marchés locaux et ommençaient à les concurrencer [52] . Le retard de la production rtisanale, l'appauvrissement économique dû aux bouleverements dans le domaine agricole s'ajoutaient au déséquilibre

dans la balance commerciale, ce qui conduisait à une hémorragie catastrophique de la monnaie métallique (or et argent).

«Le commerce extérieur des pays arabes ne rapportait qu'un mince profit, car les importations étaient constituées de produits industriels et de marchandises de luxe pour les riches, tandis que les exportations comportaient des matières premières, et non transformées. Ainsi ce commerce était très nuisible à l'industrie et à la situation économique du pays. Ajoutons qu'il a pesé lourdement sur son équilibre monétaire. Il est possible que ceci était l'une des causes principales de la dévaluation de la monnaie d'argent au XVIII°siècle.D'une part,on frappait des pièces de cette monnaie en quantités qui ne pouvaient pas répondre aux besoins de ce commerce et chaque année, de grandes quantités de monnaie venaient de l'Italie et de la France ; et d'autre part, le commerce de ces pays a provoqué la perte de l'or et de l'argent de l'Egypte, de la Syrie et de l'Iraq, car on ne prenait qu'une petite quantité de leurs produits en échange avec ce commerce» [53].

Les groupements islamiques vivaient surtout de la production artisanale et agricole, et ceci sur la base d'une organisation traditionnelle du travail (artisanal), s'adaptant au quartier, à la famille à la religion, et axée autour de l'Imam de la mosquée ou d'une tariqa soufie propre à ces groupements. Cette organisation religieuse-familiale très répandue dans les villes islamiques fournissait aux artisans et aux petits commerçants des éléments de cohésion,d'auto-défense et de résistance.Leur action financière se faisait dans le cadre d'un marché arabo-islamique d'Istambul jusqu'au Caire. D'ici est née la contradiction entre les masses islamiques vivant de l'artisanat, de la production agricole et du commerce intérieur d'une part, et d'autre part, la pénétration occidentale, dont l'enrichissement des chrétiens et leur mainmise sur le commerce extérieur et les affaires financières, étaient le symbole local... «Ce fut à partir de ces propres structures et de sa propre expérience et en défendant son existence culturelle fondamentale que la société proche-orientale subit les influences externes. La révolution industrielle l'atteignant de l'extérieur lui resta extérieure». [54]

Les couches sociales musulmanes liées au travail artisanal ont trouvé dans les formes d'organisation de leur travail et dans sa structure clanique familiale professionnelle au niveau du quartier et du sûq (imprégnée d'une tradition d'institutions arabo-islamiques: mosquée, prière du vendredi, tarîqa, les groupes profession-

nels dont les adeptes étaient liés par un serment d'honneur, futuwwa, chaykh-al-hâra, etc...) des moyens de sauvegarde et de défense contre l'invasion occidentale. A ceci s'ajoute un réseau de relations économiques internes et de liens avec les commerçants et les clients dans le cadre d'une civilisation arabo-islamique; ceci a fait que la bourgeoisie musulmane des villes de l'Orient arabe (commerçants et artisans) et les couches liées à elle (ouvriers, boutiquiers, employés..) ont formé des forces sociales anti-occidentales, les forces de choc contre l'Occident. «Le tiers-état urbain composé de clercs, d'artisans et des vestiges du monde marchand, et rural - les notabilités villageoisies - réagira de manière différente (que celle de la classe dirigeante). Héritier de la culture tradition nelle, il a ressenti le danger de la colonisation comme destructeur des valeurs de civilisation arabe et égyptienne. Il a également senti les méfaits de la concurrence des marchandises importées« [55].

Malgré la collaboration partielle dans les relations économiques avec l'Occident, les familles musulmanes beyrouthines sont restées attachées à une position idéologique de conservation de l'Etat ottoman, et qui répondait aux positions arabo-islamiques générales des villes intérieures contre le danger de l'Occident, avec toute l'hésitation qui caractérisait leur situation en raison des séductions que l'exemple du commerçant chrétien de Beyrouth présentait pour eux [56].

5- Les tranformations socio-politiques dans la montagne libanaise

Depuis le début du XIX° siècle, l'autorité et le pouvoir dans l'émirat de la montagne s'affaiblissaient et se disloquaient en raison de plusieurs causes:

1- La tendance croissante chez les wâlis et amir-s à s'éloigner du centre du pouvoir et en même temps à imposer des impôts, mîrî et taxes et redevances et à les percevoir par la force; ce qui amena à des révoltes paysannes (comme celles de Antelyas en 1820 et Lehfed en 1821).

2- Muhammad 'Ali Bacha avait porté des coups durs au système de l'iqta' en dissolvant les armées féodales en Syrie entre 1833 et 1835, en désarmant par la force la population libanaise et en imposant le service militaire obligatoire.

3- Au temps de Muhammad 'Ali aussi, une organisation agricole

plus avancée (en vertu de la dominance d'une politique égyptienne agricole cenraliste) a libéré les paysans et leur a donné le droit de se plaindre contre les Multazim et Muqâta'ji-s, et a supprimé l'iqta' en entreprenant des réformes dans les terres et les villages .57

Viennent s'ajouter à ceci les tendances centralistes visant à moderniser l'Etat: décision de supprimer le système de l'iltizam (Hatt i-cherif de Gûlhane), et le début de la décadence du muqâta'ji au profit des fonctionnaires administratifs. En 1842, le sultan 'Abdel Majid avait supprimé le poste de «grand Emir» et avait divisé les muqâta'a de la montagne en deux qâ'imaqâmiya, l'une au nord gouvernée par un chrétien, l'autre au sud gouvernée par un fonctionnaire druze, nommés tous deux par le wâli de Sayda qui siégeait à Beyrouth. La dépendance envers le grand émir ou le wâli n'était plus la règle générale après l'abolition de l'Emirat et le débu de la perception des impôts par des fonctionnaires ottomans. C'était maintenant le commerçant qui imposait ses demandes au shaykh et celui-ci ne pouvait qu'y répondre et s'allier à lui pour conserver ses biens et exploiter le paysan. Le commerçant trouva dans la position du shaykh en tant que muqata'ji le moyen de pression sur les paysans pour rembourser leurs dettes.La contradiction entre les paysans et les shaykhs s'accroissait et cette contradiction ne touchait pas les commerçants et les négociants qui apparurent comme aidant le paysan à se libérer de sa dépendance envers les muqâta'ji-s.

«Le Mont-Liban par sa production de soie et son ouverture chrétienne sur l'Occident fut en mesure de tirer un profit de l'action commerciale européenne au lieu d'en subir seulement la concurrence ou les fâcheux effets monétaires. Sa position générale tranchait donc sur celle du reste de la Syrie; mais cette situation économique n'en contribue pas moins à rendre plus sensibles les déséquilibres internes puisque les régions et les groupes confessionnels furent différemment touchés et parce que ce furent les négociants qui en bénéficièrent, alors que les muqâta'ji-s, déjà fortement atteints, en pâtirent et n'en parurent que plus oppressifs comme intermédiaires et comme privilégiés, aux paysans .. Les familles plus notables de la Montagne étaient endettées» 58

Vers la moitié du XIX° siècle, les besoins de la France en fil de soie ont augmenté et pour cela, elle a construit dans le Mont-Liban entre 1840 et 1850 cinq filatures modernes, françaises ou à capital

français.Les régions cultivées pour répondre à cette nouvelle orientation augmentèrent au dépens d'autres agricultures, ce qui mena une sorte de spécialisation de l'agriculture montagnarde. Les étoffes françaises et anglaises concurrençaient facilement le produit local dans la montagne,ce qui produisit la ruine de l'artisanat qui était entre les mains des notables des grandes familles muqâta'ji-s; ils durent fermer leurs portes[59]

«Succédant à une grave perte de numéraire, l'augmentation rapide du commerce extérieur, avec l'aide des premiers investissements européens, provoqua une pénétration et un étalement de la hausse des prix dans un pays appauvri; elle le plaça dans une dépendance plus étroite à l'égard d'un système économique qui lui était étranger »[60] .

«Les négociants qui se firent les agents du commerce européen connurent un important développement de leurs affaires; ils tendirent à se constituer en une nouvelle bourgeoisie qui ne tarda pas à s'inspirer de l'Occident.Leurs intérêts les opposaient aux artisans qu'ils contribuaient à ruiner en établissant des circuits commerciaux qui les privaient de travail et d'argent,ou bien ils les mettaient dans la dépendance de la production européenne en leur fournissant des produits semi-ouvrés, tels les filés de coton... Dans le Liban,le détournement des circuits de la filature et du commerce de la soie, au profit des filateurs français et des négociants européens et beyrouthins, aggrava la crise de la société montagnarde traditionnelle, et priva les artisans des villes syriennes de la matière première, telle qu'elle était anciennement filée ; l'appel à la sériciculture dans cette montagne où la pression démographique des Maraonîtes était particulièrement forte, contribua à accroître la tension interne du monde agraire et à le rendre encore plus sensible à l'affrontement des influences d'Occident et des réalités d'Orient»[61]

La pénétration économique française dans la montagne et dans les milieux maronîtes surtout, s'est basée sur des relations historiques, culturelles d'abord, puis politiques et idéologiques avec les immunités, privilèges, missions et protection. Les maronites ont constitué la base de cette pénétration et en ont profité; tandis que les druzes ont vu dans ce phénomène un danger mortel pour eux, et ont qualifié la révolte maronîte de 1858, dirigée par le clergé, de complot chrétien-français visant à les anéantir[62]

«Dans la Syrie intérieure, le Hatt-i-Humayoun du 18 février 1856 fit l'effet d'une provocation. Les 'ulama's ameutèrent le peuple contre les droits accordés aux chrétiens, ils accusèrent le sultan de violer la sharî'a. la loi musulmane et de se vendre à la France et à l'Angleterre» [63]

«Le mouvement des paysans maronites de Kesruwân était un exemple qui menaçait directement les muqâta'ji-s druzes. La décomposition du régime instauré en 1845 favorisait l'impatience de la majorité chrétienne des districts qu'ils dominaient. La mort du caimacam druze, l'émir Amîn Arslân et son remplacement provisoire par son fils Mohamad y laissèrent la même impression d'instabilité et d'inadaptation qu'au nord. Le rapprochement entre les Khazen et les notables druzes qui avaient des intérêts communs à défendre fut contrarié par l'attitude du clergé maronite et notamment de l'évêque Tûbiya 'Awn pour qui l'essentiel était d'effacer les traces des Druzes [64].

La France est intervenue en 1860 au profit des maronites qui étaient perdants. L'objectif principal des Français était la sauvegarde des capitaux français en Syrie et surtout le retour de l'ordre et de la sécurité dans la montagne nécessaires pour sauver la production de la soie et reconstruire les filatures qui ont été détruite et assurer la main-d'œuvre nécessaire à leur fonctionnement. Ceci explique bien le rôle dirigeant de la chambre d'industrie de Lyon dans l'expédition française de 1860 en Syrie. Mais même ici les rivalités entre les grandes puissances européennes ont apparu.

«Les rivalités entre les gouvernements anglais et français puisaient à de communs facteurs de l'expansion de l'Europe occidentale; il n'est donc pas surprenant qu'il y ait eu aussi entre eux une parenté d'idées sur la voie à suivre dans un même contexte international. Palmerston disait: «just influence»; Guizot: «protecteurs», «conciliateurs». Dans cette conception, la protection d'une communauté fournissait un appui solide pour se poser au-delà en guide et en médiateur vis-à-vis du gouvernement turc... Tandis que les Anglais prenaient contact avec les Druzes par l'intermédiaire de leurs notables, les Français s'adressaient d'abord au clergé maronite...» [65]

Les Français proposèrent un projet de règlement; les Anglais soutinrent les Ottomans, et il y eut un accord-compromis; garder l'unité de l'empire dans le cadre d'une réorganisation de ses provinces sur

la base de «centralisation et modernisation». Ce fut le protocole de 1861 et ses modifications de 1864, et qui ouvrit la porte largement à la mainmise européenne sur la montagne. La montagne devint une seule région administrative: la mutasarrifiya, gouvernée par un mutasarref chrétien, dont la nomination doit avoir l'accord des pays européens «garantissant l'indépendance du Liban», le mutasarref était aidé par un «conseil d'administration» et avait une indépendance financière et administrative avec une gendarmerie locale, etc...

L'Etat ottoman avait consenti à ces «réformes» dans le but de reussir l abolitiondu système de l'iltizam dans la perception des impôts,pour abolir le rôle des muqâta'ji-s dans les provinces, affaiblir la base socio-économique des troubles de dissidence religieuse ou tribale en centralisant les pouvoirs. Mais cette vision (trop oc identalisée) ne tenant pas compte des causes réelles de la disloca-

cation et de l'effritement du pouvoir, ne pouvait qu'attiser le trajet de la désagrégation. L'affaiblissement et la décadence touchaient surtout les Druzes, qui se trouvaient sans aucune compensation face aux Maronites liés à la France et forts du rôle de l'Eglise et du nouveau commerce.

«Les Druzes et les Maronites ne possédaient pas la même attitude au rassemblement communautaire. Les premiers ne pouvaient que continuer à se regrouper sous la direction d'anciennes familles notables dont l'autorité était profondément minée, les seconds soutenus par leur progression démographique et la tendance économique imposée par l'Europe et notamment par la France étaient forts de l'armature que formait leur clergé [66]

L'Eglise maronite disputait fortement donc le rôle des muqâta'jis. Elle était opposée à leur domination sur la montagne, et la perte de leur rôle économique lui donna l'opportunité de consolider la cohésion des maronites autour d'elle, aidée par la montée de cette nouelle petite bourgeoisie montagnarde.

«L'accroissement des terres, l'activité monastique de plus en plus orientée vers l'apostolat et l'éducation avaient augmenté le nombre des parcelles confiées à des métayers. Le clergé avait acquis sur eux plus d'autorité que les shaykhs n'avaient réussi à en maintenir sur les leurs au XIX° siècle, il était devenu le plus riche le mieux organisé, le plus instruit, et loin d'être le responsable de l'impôt, il apparaissait au contraire comme une protection... En ce

milieu du XIXᵉ siècle, l'Eglise maronite, principale puissance foncière de la Montagne, se rencontrait encore avec les paysans pour s'opposer aux muqâta'ji-s. Diminuer le pouvoir des grandes familles notables chrétiennes et druzes, était pour elle éliminer la sujétion des couvents à leur égard et assurer sa primauté par son indépendance matérielle... Dans ce nouvel effort politique, elle était d'abord soutenue par la France»[67].

L'Eglise assuma le rôle de la direction politique et militaire de la révolte de 1858 à cause de la contradiction de ses intérêts avec ceux des muqâta'ji-s druzes (car la majorité des familles des muqâta'ji-s chrétiennes a été ruinée et s'est retournée vers le travail commercial),et parce qu'elle était la seule à posséder une organisation solide et cohérente et un appareil d'information puissant(les monastères participaient à la production de la soie comme ils possédaient le tiers des terres cultivées dans la montagne) [68].

Le clergé est sorti très renforcé des événements de 1860: un rôle social, politique et organisationnel dirigeant dans les affaires de la montagne avec une force économique accrue. Mais le pouvoir à peu près absolu du mutasarref restait un obstacle devant le rôle voulu par le clergé. L'Eglise voulait avoir le mot décisif dans la nomination des fonctionnaires et l'élection des membres du conseil de l'administration. Pour cela, elle a soutenu le mouvement de Yusuf Karam (de 1862 jusqu'à 1866)[69]. Le clergé maronite voulait être le plus fort dans cette balance de force avec le mutasarref. C'est dans le cadre de ce nouvel équilibre établi que se construisait l'administration de la montagne; les maronites étant majoritaires depuis la moitié du XIXᵉ siècle, tous les postes clefs de la nouvelle administration étaient sous le contrôle du patriarchat[70]

6- Les courants politiques avant 1908 en Syrie

Dans les années 1876-1880 et 1881, on remarque à Beyrouth et en Syrie quelques activités intellectuelles et révolutionnaires contre l'Etat ottoman[71] Après la vague de répression des années 1882-1883, les leaders de ces mouvements prennent la fuite vers l'Egypte. Quleques études contemporaines voient dans ces activités «la première tentative organisée pour une naissance du mouvement nationaliste arabe»[72]. D'autres ne voient «qu'un phénomène chrétien maronite libanais et non pas une révolution nationale arabe contre les Turcs»[73] C'est plutôt la manifestation d'une tendance nationaliste syrienne, anti-turque, mais différente dans son conte-

nu politique et ses positions sociales de la tendance maronite libanaise. Elle se propage dans le milieu culturel chrétien grec orthodoxe ou catholique, des villes syriennes commerciales, avec l'appui de la présence culturelle anglo-saxonne. En fait, ces mouvements et activités ont puisé leur force dans les sources culturelles occidentales à travers l'action des missions européennes au Liban et en Syrie[74] et l'orientation politique anti-turque sera, de ce fait, conforme aux positions sociales des familles chrétiennes des villes commerciales. Mais sans programme politique et sans issue, dans une période très trouble ,le seul chemin possible était de centrer les efforts sur la langue et la civilisation arabes. D'autre part,les contradictions entre Musulmans Arabes et Trucs, sont toujours restées dans le cadre de la contradiction principale avec l'Occident. On ne peut voir le déroulement et le développement de ces contradictions que sous l'angle de la lutte contre l'Occident, en examinant laquelle de ces deux forces (turque ou arabe) a assumé cette tâche. Quand les Turcs menaient la lutte contre l'Occident, les contradictions internes disparaissaient. Mais quand ils se montraient conciliants, les contradictions entre Turcs et Arabes s'aggravaient à plusieurs niveaux.

L'exemple le plus intéressant est celui du mouvement des notables musulmans de la Syrie entre 1877 et 1880. Le climat international était marqué par la guerre avec la Russie, ainsi que par les déclarations des puissances européennes concernant le sort de l'empire, laissant entendre qu'il y a des projets de partage. Mais ce mouvement (dirigé par Ahmad Al-Sulh, Muh. Al-Amin, 'Ali Al-Hurr, Husayn Beyhum, Ahmad Al-Azhari, Ibrạhim Agha Jawharî), va s'effondrer aussitot après le congrès de Berlin qui met fin à la guerre et sauve l'empire grâce a la position britannique[75].

En 1897-1898, Rachîd Ridha et Rafîq Al-'Azm, forment au Caire l'association «Al-Shûra Al-'Uthmâniya» et fondent la revue «Al-Manâr», propageant une ligne d'action islamique anti-occidentale, et un appel à l'unité concrétisée politiquement par «l'unité ottomane» et le Califat. Ridha appelle aussi à combattre le despotisme du sultan et enseigne sur le vrai Califat et ses conditions[76].

A part cette action, entre 1881 et 1908, aucun mouvement polilique important n'est signalé dans les villes syriennes. L'Etat avait renforcé son influence, réprimé les révoltes et les insurrections. Le seul mouvement connu est celui du cercle de Damas rassemblé autour du shaykh Taher Al-Jazâ'irî, ainsi que l'action de recrutement, d'organisation et de structuration de quelques groupes encore clandestins[77].

Mais ce calme va se dissiper avec les cris de la révolution de 1908... On va assister, dans la période qui suit la révolution, à une explosion de mouvements et d'activités politiques dans toute la Syrie, mettant en cause les relations entre Turcs et Arabes dans le vaste empire menacé.

Il y a eu beaucoup de confusion et d'incompréhension chez les historiens occidentaux (et les Arabes par la suite), sur la réalité des relations arabo-turques. On a projeté les conclusions tirées de l'expérience de la période 1909-1914, sur toute l'histoire des relations arabo-turques, éliminant ou cachant plusieurs facteurs qui ont déterminé le cours des événements, dont le plus important était sans doute le rôle et la responsabilité des courants modernistes occidentalisés et bureaucratiques des «Jeunes Turcs». Il est vrai que le mouvement démocratique anti-autoritaire et réformateur, s'est développé et a gagné en force sous le régime du Sultan'Abdel Hamîd, pour aboutir au triomphe de 1908. Mais plusieurs facteurs, tant extérieurs qu'intérieurs, ont contribué à ce succès. Il faut noter avant tout que le sommet et le corps principal de ce mouvement, étaient constitués de Turcs et non pas d'Arabes. Le climat créé par la vague générale de protestations contre le despotisme, et par le travail conscient de la ligne de réforme et d'unité dans le cadre du califat, aidèrent à pousser les «Jeunes Turcs» au devant de la scène. A la veille de 1908 plusieurs forces politiques et sociales ont convergé dans le mouvement général réclamant les réformes et le dustûr (constitution). Les courants islamiques ottomans, et arabo-musulmans, ont été à plusieurs reprises débordés par les forces liées à des projets plus offensifs et plus opposés à l'Etat. A cet égard, on pourra citer les chrétiens des villes syriennes cotières, les maronites du Liban, ou encore les couches bureaucratiques libérales turques (administration, armée, politiciens exilés et étudiants en Europe). Ces courants ont su profiter de la situation internationale et de la faiblesse de l'Etat face aux ingérences étrangères. En effet, on a pu constater que plusieurs mouvements contestataires ou dissidents n'ont pu se manifester que grâce à un contexte international favorable. C'est ce qui explique le calme apparent de 1881-1900, et l'explosion violente et bouleversante entre 1908-1914.

L'Emir Chakib Arslân présente une analyse très clairvoyante de cette période décisive dans la vie de l'Empire ; «A l'époque, durant le sultanat de 'Abdel Hamid, la situation s'est aggravée en Macédoine, car le sultan ne s'intéressait qu'à protéger sa personne ; il était très soupçonneux et avait ainsi augmenté le nombre des espions, devenus très influents dans l'Etat.

Il est faux de dire que le sultan réagissait selon leurs rapports, au contraire , il en rejettait la plupart et n'y croyait pas... Les gens renvoyaient tous les méfaits de l'Etat aux défauts de l'administration, accusant les espions et le manque de libertés. Ceci est vrai, sans être une «règle générale». Les désastres du royaume trouvaient leurs racines dans des facteurs internes et externes plus importants que le problème des espions. Sur le plan interne, il y avait la faiblesse de l'instruction, la domination de l'ignorance, la division des citoyens du royaume en plusieurs peuples, chacun possedant un objectif différent de l'autre,certains travillant pour la destruction de l'Etat ottoman.Il régnait aussi un sentiment de la fin proche de l'Etat, qui en faisait un malade incurable. Quant aux facteurs extérieurs, ils n'étaient autres que les convoitises des puissances européennes. Chaque puissance voulait hériter une partie de cet Empire agonisant, et pour arriver à ses fins, semait les complots et le troubles sur le territoire qu'elle espérait dominer... Les musulmans du sultanat, sachant que cet Etat était leur seul refuge, ne voulaient

pas croire en sa disparition. D'un côté, ils déploraient la situation l'Etat, et de l'autre coté, ils essayaient de le réformer croyant sincèrement que la réforme était possible, et que l'Etat pouvait encore surmonter les difficultés et récupérer son prestige antérieur...[78]»

Les tendances arabisantes des cercles religieux et culturels des villes arabes musulmanes, se sont manifestées dans le cadre de l'Unité Islamique et de la sauvegarde de l'Etat ottoman, en tant que mouvement d'opposition au despotisme et au tauranisme chauviniste, et pour la réforme et la participation des Arabes au pouvoir. Cette position n'a pas changé jusqu'à la guerre[79].

«L'idée nationaliste arabe» n'a pris naissance et n'a progressé que «sous l'influence des renaissances nationalistes européennes au XIX° siècle, et qui étaient propagées par les missions et les écoles européennes. Elle était nourrie par les haines confessionalistes contre l'Etat ottoman,protégée par les intérêts de la société syrienne commerciale en développement et qui est liée aux forces européennes commerciales. Les fils des féodaux, et la nouvelle aristocratie formée par les chefs des différentes confessions, ont porté son drapeau : tel est le cas des officiers dans l'armée ottomane, des membres du conseil, des professions libérales ou des étudiants à Paris ou à Istambul»[80]. Il s'agit de la seconde face du Tauranisme né sur les memes bases sociales et culturelles.

Malgré le mécontentement, la majorité des Arabes musulmans n'a

jamais pensé à se dissocier de l'Etat, et malgré leurs critiques les plus dures ainsi que leurs opposition au sultan et au pouvoir central, les Arabes musulmans restaient liés au Califat et se reconnaissaient en lui. «Du côté des musulmans, la seule ligne qui lie Arabes, Turcs,Kurdes,Cherkes et Arna'ut c'est l'unité par l'Islam, car sans celle-ci le sultanat aurait été démembré depuis des siècles» [81]. «Semer le désaccord entre Turcs et Arabes, est très nuisible. On a largement besoin d'unité avec les Turcs et de loyauté envers eux, car notre intérêt et le leur résident en cette unité ; nous avons encore plus besoin d'eux, qu'ils n'ont besoin de nous. Celui qui travaille à semer le désaccord entre les deux peuples est l'ennemi des Arabes comme des Turcs» [82]

(1) Chafiq, Munir Fil Wahda wal Tajzi'a (sur (sur l'unite et la division). Beyrouth, 1980, p 7-12
(2) Amin, Samir La nation arabe, Paris, 1977, p 14-15
(3) Chafiq, Munir Op cite p 32
(4) Ibid p 33
(5) Amin, Samir op cité, p 19-20
(6) Miquel, André L'Islam et sa civilisation, Paris, 1968, p 252
(7) Al-Sabbagh, Layla Al-Mujtama' al-Suri fi matla' al 'ahd al-'uthmani (la société syrienne au début du règne ottoman), Damas, 1973, p 8
(8) Miquel, André op cite, p 236
(9) Dika, Hassan Capitalisme d'Etat et planification economique en Syrie, thèse de 3° cycle, Paris VIII, octobre 1977, p 30
(10) Zeyn Genese du nationalisme arabe p 27
(11) Chevallier, Dominique, «Un espoir dans la la rencontre» in Le Monde diplomatique, sept 1982
(12) Chevallier, D La société du Mont-Liban a l'époque de la revolution industrielle en Europe, Paris, 1971, p 10
(13) Ibid p 80
(14) 'Awad 'Abdel 'Aziz Muhammad Al-Idara Al-'Uthmaniya fi wilayat suriya 1864-1914 (l'administration ottomane en Syrie), Le Caire, 1969, p 222-225
Kawtharani, Wajih Al-Ittijahat al-ijtima'iya wal siyasiya fi jabal Lubnan wal machriq al 'arabi 1860-1920 (les tendances socio-economiques dans le Mont-Liban et l'Orient arabe), Beyrouth, 1976, p 16-18, et 53-54
(15) Voir Kawtharani, Wajih Muqaddima islamiya li dirasat al-sultana al-'Uthmaniya (introduction islamique à l'étude du sultanat ottoman), in revue Al-Wahda (L'unié), Beyrouth, 1980, nù2, pp 17-28
Et Al-Sayyed, Radwan, «Jadaliyat al Jama'a wal shar'iya wal wahda (dialectique de la communauté, legitimite et unité), in revue Al-Wahda, Beyrouth, 1ère année, 1980 n°2, pp 29-37
(16) Anis, Muhammad Al-Dawla al-'Uthmaniya wal charq al-'arabi (L'Etat ottoman et L'Orient arabe 1514-1914), Le Caire, sans date, p 73
(17) Ibid p 74
Voir aussi Kishk Muhammad Jalal · Al Qawmiya wal ghazu al-fikri (le nationalisme et l'invasion culturelle), Beyrouth, 1970, p 118-180
(18) Al-Husari, Sate' Al-Bilad al-'arabiya wal dawla al-'uthmaniya (les pays arabes et l'Etat ottoman), Beyrouth, 1960, p 42-45
(19) Khadduri, Majid : Al-Ittijahat al-siyasiya fil 'alam al-arabi (les tendances politiques dans le monde arabe), Beyrouth, 1972, p 27
(20) Al-Husari op. cité, p 11-12 et 20-28
(21) Ibid p 40-41-42 et 45-46
(22) Zeyn, Zeyn Nureddine Nuchu' al-qawmiya al-'arabiya (genèse du nationalisme arabe), Beyrouth, 1979, p 25-26
(23) Cité par Zeyn, op cité, p. 27
(24) Al-Jundi, Anwar A'lam al fikr al-islami (les grands maitres de la pensée islamique) Beyrouth, 1979, p 347-348.
Et Zeyn, op cité, p 22-23.
Kamel, Mahmud · 'Urubatuna (Notre arabité), Le Caire, 1964, p. 92-93.
Al-Afghani, Jamaleddine Khatirat (Pensées), recueilli par son élève Muhammad Bacha al-Makhzumi - nouvelle édition, Beyrouth, 1980, p 216-217.
(25) Zeyn, op cité p 26-29
Faydi, Sulaiman Fi majra al nidhal (dans le courant de la lutte), Baghdad, 1952, p 208-219
(26) Khadduri, op cité p 28
Chafiq, Munir · Al-Islam fi ma'rakat al-Hadhara (L'Islam dans la bataille de la civilisation), Beyrouth, 1981, p 133-139 (Chapitre sur l'évaluation de l'Etat ottoman).
(27) Qaweqji, Fawzi Mudhakarat (Mémoires) 2 tomes: Beyrouth, 1975, tome I, p. 11
(28) Al-Husari, op cité, p 11-12
(29) Hurani, Albert · Al-Fikr al-'arabi fi 'asr al-

nahda (la pensée arabe à lépoque de la renaissance) Beyrouth, 1969, p. 51-52.
(30) Kichk, M op. cité, p 34.
(31) Al-Husari, op. cité, p. 73 et Hurani, op. cité p 47-48.
(32) Husari, p. 45-48 et Hurani, p. 49-50.
(33) Al-Husari cite plusieurs exemples pour montrer les actions des walis et autres intendants, ainsi que les genres qui les opposaient et qui favorisaient les interventions étrangères... comme les événements de Baghdad 1806-1810 et de Damas en 1807 Il place l'action de Muhammad 'Ali Bacha dans le meme phénomène. Voir aussi Al-Husari, op. cité, p. 50-51 et 55-71.
(34) Amin, Samir, op. cité, p. 19 et 22.
(35) Sunar, Ilkay : «Economie et politique dans l'empire ottoman», Annales E S.C 35° année, mai-aout, 1980, n°9-4 pp. 551-579 citation p. 566.
Voir aussi Zeyn, op cité, p. 35
Et Hurani, op cité, p 65-80.
(36) Anis, M. op cité, p. 35-40 et 'Awad, A op cité, p. 37-48; Al-Husari, op cité, p 84-85
(37) Kawtharani, op cité, p 41-42 et 'Awad, op. cité, p. 320-321 et voir aussi Farid, Muhammad Bey Tarikh al-dawla al 'aliya (l'histoire de l'empire ottoman), Le Caire, 1912, p. 91-94
(38) Al-Husari, op cité, p 142-145.
(39) 'Awad, op cité. p 322
(40) Al-Husari, Yawm Maysalun (Le jour de Maysalum), Beyrouth, 1964, p. 36.
(41) Voir 'Awad, op. cité, p 327.
(42) L'émir Arslan dénombre «cent projets européens de partage de l'empire ottoman» in «le présent du monde islamique» (Hader al-'Alam al-islami), Beyrouth, 1974, vol 2 tome 1, p 208-324
(43) Sunar, Ilkay, op cité, p 571
(44) Sur les conséquences néfastes de ces réformes, voir Al-Husari, op. cité, p 87-93, 'Awad, op cité, p 35-40, 55-58 et 229-230
(45) Sur le rapport de Midhat Bacha à la Haute Porte sur la situation de la Syrie en 1789, voir : Hitti, Philippe Tarikh Suriya wa lubnan wa falastin (Histoire de la Syrie, du Liban et de la Palestine), tome 2, Beyrouth 1972, p 315-316
(46) Al-Husari, op. cité, p 94-95
(47) Gibb, H.A.R et Bowen, H. Islamic Society and the West, Trad. arabe, Egypte, 1971, tome 1, p. 159-161
(48) Chevallier, D. op cité p 207 et voir aussi 'Awad, op cité, p 326-327
(49) Kawtharani, W op cité, p 45
(45) Gibb and Bowen, op cité, p. 164-165 et Kawtharani, W. op cité, p 98-100
(51) Kawtharani, W op. cité, p 68 et 100
(52) Ibid p 101.
(53) Gibb and Bowen, op. cité, p. 158-159
(54) Chevallier, D. op cité, p 294
(55) Amin, S op cité, p 41
(56) Kawtharani, W op cité, p. 103-105
(57) 'Awad, op. cité, p. 227-228 et Kawtharani, W op. cité, p. 20-21.
(58) Chevallier, D. op cité, p. 202
(59) Chevallier, D «Aux origines des troubles agraires libanais en 1858», in Annales E S C XIV, 1959 pp. 35-65, citation p. 51-53 Voir aussi Kawtharani, W les tendances op. cité, p. 48.
(60) Chevallier, D. La société. op cité, p 199-200
(61) Ibid. p 200-201.
(62) Abu Shaqra (Husayn, Yusuf et 'Aref) : Al-Harakat fi lubnan (les troubles au Liban), Beyrouth, 1952, p 104-109.
63) Chevallier, D La société . op. cité, p 272
(64) Ibid p 279
(65) Ibid p 162
(66) Ibid p. 244.
(67) Ibid p 255-256
(68) Ibid p 246-254 et Kawtharani, W Les tendances... op cité, p. 45-60 , Chevallier, D Aux origines . op cité p 55-58.
(69) Turbin, Ahmad Lubnan mundhu 'ahd al-mutasarrifiya ila bidayat al intidab (Le Liban depuis la mutasarrifiya jusqu'au début du protectorat), ed de la Ligue des Etats arabes, Le Caire, 1968, p 229-234.
(70) Ibid. p 95,
(71) Voir Zeyn, op. cité p 60-68 , Hurani, A op cité, p. 113-318
(72) Antonios, Georges, The Arab Awakening, trad. arabe, Beyrouth, 1962, par Nasser Eddine As'ad et Ihsan 'Abbas, p 160-161
(73) Zeyn, op cité, p 47.
(74) Zeyn, op cité, p 53-54 ; Dahhan, vie et œuvres, op cité, p 45-50 , Hurani, op cité, p 75-88 , Mahafzat, Muhammad 'Ali, Al Ittijahat al thaqafiya 'ind al 'arab fi 'asr al nahda (les tendances culturelles chez les Arabes à l'époque de la renaissance) Beyrouth, 1978, p 23-34
(75) Al-Sulh, 'Adel Sutur min al-risala tarikh haraka istiqlaliya fil machriq al 'arabi 1877 (l'histoire d'un mouvement indépendantiste en Orient arabe) Beyrouth, 1966
(76) Hurani, op. cité. p 286-290
(77) Al-Khatib, 'Adnan, Le Shaykh et ses disciples, op cité , Al-Shahabi, Mustapha Al qawmiya al 'arabiya (Le nationalisme arabe), Le Caire, Ligue des Etats arabes, 1958, p. 45-55
(78) Arslan, Autobiographie, op cité, p 57-59 Arslan, Sur Ibn Khaldun, p 334-335
(79) Kawtharani, les tendances. op cité, p 199 , Zeyn, op cité, p. 41-80 , Arslan, Auto op. cité, p. 77-88 , Berru, Tufiq, Al-'Arab wal Turk fi 'ahd al-dustur al 'utmani (Arabes et Turcs au temps de la constitution ottomane) Le Caire, Ligue Arabe, 1950, p 250-252
(80) Qarqut, op cité, p. 11-12
(81) Arslan, autobiographie, op. cité, p 68
(82) Rida, Rashid, article in Al-Manar, vol tome 11, décembre 1908, p 938-939

ISLAM ET SCIENTIFICITE OCCIDENTALE

Halim HERBERT (*)

Depuis la conquête de l'Occident au 15° siècle sur l'ensemble des civilisations non-occidentales, la science et la technique de la Umma musulmane comme des autres civilisations non occidentales ont souffert une espèce d'épuisement dans la création et à l'inverse, la science occidentale a atteint une espèce de monopole mondial, mais celui-ci est fondé sur des bases intellectuelles, idéologiques et spirituelles qui ont mené l'humanité au XX° siècle à une impasse complète. C'est bien la science occidentale dans son développement depuis 5 siècles qui a mené l'histoire humaine aujourd'hui à ce qu'il n'est pas difficile de repérer comme une catastrophe, puisque vous et moi nous vivons cette catastrophe. Elle est à notre porte, la catastrophe nucléaire en permanence, la catastrophe écologique, la faim des trois-quart de l'humanité, l'épuisement des ressources non renouvelables sur la planète. Mais ce ne sont que les symptomes d'une catastrophe beaucoup plus grave : l'épuisement spirituel de l'humanité qu'a engendré l'Occident. Il n'est que de voir l'épuisement des relations humaines quotidiennes pour se convaincre que cette civilisation «détruit l'intériorité des êtres».Je crois qu'aujourd'hui, il y a une conscience assez générale dans le monde de cette sorte d'épuisement de l'énergie qui produit un sentiment d'impasse.

Il est donc important de trouver une autre route. Les civilisations non occidentales et l'Islam particulièrement constituent un précieux trésor pour ouvrir cette route. Ce colloque représente un grand acte de courage, car l'enjeu est énorme : il s'agit de fonder autrement la rationalité de la recherche, et de la création scientifique qui s'est égarée depuis 4 ou 5 siècles. Comment

(*) Né à Lyon (France) en 1941. Etudes en Sciences sociales. Enseignant et chercheur dans différents pays du Tiers-Monde. Livres et articles sur les mouvements de libération du Tiers-Monde. La géostratégie, la révolution culturelle.

l'énergie spirituelle de l'Islam peut-elle réorienter , ouvrir cet autre chemin ? La tâche est trop grande. Mais en même temps, je sais qu'elle est absolument nécessaire, urgente, et bien sûr, on ne peut qu'avoir une impression de très grave incapacité et d'impuissance, pour essayer d'ouvrir cet autre chemin. Il est important de nous réunir, et de créer une communauté de réflexion, de recherche, d'échange qui justement permettent d'indiquer ce chemin.

En même temps que je me formais en sciences sociales il y a une vingtaine d'années, j'ai heureusement reçu l'enseignement des peuples non occidentaux par mon engagement politique. D'un côté, le scientisme, le positivisme, le matérialisme, le laïcisme des sciences sociales, de l'autre, la renaissance des civilisations du Tiers-Monde. Pendant plusieurs années, j'ai cherché dans la dialectique historique d'un marxisme ouvert la résolution dynamique de cette contradiction. D'abord et surtout par l'intermédiaire de la révolution algérienne et le peuple algérien m'a beaucoup enseigné. Ensuite, j'ai eu la chance de travailler pendant cinq ans en Amérique centrale, où j'ai pu recevoir l'enseignement du peuple indien de l'Amérique centrale, en particulier la civilisation maya, enfin et depuis longtemps, j'avais un fort intérêt pour l'Extrême-Orient ; depuis très tôt dans ma jeunesse, je me suis passionné pour la civilisation chinoise passée et présente et en particulier, j'ai beaucoup appris de la révolution chinoise, contemporaine et de la pensée mao-tse-toung qui a beaucoup œuvré dans ma formation. Ma formation en sciences sociales m'avait laissé une profonde insatisfaction d'une part parce qu'elle était une formation profondément laïque en ce sens que le fait religieux ne serait-ce que comme dimension culturelle et de civilisation, était systématiquement exclu et ignoré de l'université française. Ce qui, d'un point de vue scientifique, est un véritable scandale, puisque le fait religieux marque à l'évidence toute l'histoire des civilisations, et c'est sur ce scandale, d'une certaine façon, que s'est construit ce qu'on peut appeler «la rationalité» et les «lumières» occidentales, sur l'exclusion du fait religieux. On remarque déjà, dès sa racine, une extraordinaire faiblesse de la science occidentale qui vraiment nait et va se développer pendant 4 siècles sur un refus, ce qui est une démarche très peu scientifique. Un refus profond de ce qui est la vie de l'humanité depuis que l'on a connaissance de son histoire jusqu'à aujourd'hui. Je n'ai jamais accepté personnellement lors de mes études, cette exclusion, cette négation, à la fois bête et aveugle des universités françaises et européennes en général, par rapport au fait religieux.

En excluant le fait spirituel, religieux de l'enseignement universitaire, on crée une mutilation, aussi bien du professeur que de l'étudiant ; le fait d'être contraint de respecter la laïcité, parce que c'est une très forte contrainte, une terrible contrainte en tant que professeur, me donne souvent l'impression d'une grave mutilation. Il n'est pas possible humainement de vivre dans cette mutilation, dans ce vide. L'Occident a inventé une grande nébuleuse de connaissances que justement on appelle les sciences sociales et humaines. Les sciences sociales et humaines ont pour rôle en Occident de remplir le vide spirituel sur lequel justement a été fondée la «scientificité» occidentale. J'ai vécu pendant 10 ans cette espèce de mirage, cette illusion, de la prolifération des sciences sociales qui ne mène qu'à une parcellisation, à cette atomisation des connaissances. Essayant de reconstituer le fait humain, les sciences sociales et humaines, nées sur la mutilation de la laïcité ne font, en fait, qu'accroitre le déchirement. Le fait humain devient un morceau soit économique, soit linguistique, aujourd'hui très à la mode ou même devient un morceau d'inconscient : la psychanalyse.

Depuis un siècle bourgeonne cette espèce de parasitisme des sciences sociales qui vise en fait à masquer le vide spirituel sur lequel est fondée la scientificité occidentale. J'ai vécu cela, personnellement, pendant 10 ans de ma vie, à la fois dans l'inconfort, l'insatisfaction et l'illusion, courant derrière chacune des ces sciences particulières, essayant de voir ce qu'elles apportaient et ne trouvant que des définitions terriblement réductrices, de l'humain que proposent les sciences sociales et humaines : tantôt le fait humain se réduit à l'outil, tantôt à l'économie, tantôt au sexe, tantôt à la parole, tantôt à l'imaginaire. Mais il n'y a à aucun moment une direction, un pôle, une orientation qui justement permette de trouver la dynamique unificatrice du fait humain.

Et c'est, je crois, pour avoir éprouvé , expérimenté , ce que je suis en train de résumer, que la rencontre avec l'Islam est pour moi une grande grâce, d'avoir justement rencontré dans l'Islam cette énergie qui permet de réunifier l'histoire humaine, la vie humaine. J'ai trouvé dans la notion de tawhîd cette dynamique unificatrice. Quand j'ai dit «j'ai trouvé», bien sûr, je n'ai jamais fini de trouver, puisque on n'a jamais atteint cette unité complètement, mais ce qui est très vivifiant dans l'Islam, à la fois dans son histoire , comme civilisation et dans sa métaphysique ,

c ' est de pouvoir puiser cet élan dynamique vers l'unité .
Et cet élan vers l'unité permet de développer la capacité d'intégration de toutes les activités dans leurs justes proportions et dans leurs justes places. Peu de pensées et peu de révélations ont, à ce point, donné à l'humanité ce sens de l'unité dans la proportion de toutes les activités humaines. J'ai le sentiment depuis mon entrée en Islam, de pouvoir exercer avec plus d'énergie mon activité scientifique. Parce que justement j'en connais mieux les limites ; de même, pour l'activité politique, amoureuse, artistique. Toutes les activités humaines sont à la fois reconnues, louées et c'est une façon, je crois, d'exercer son Khalifat sur terre. Il est de la responsabilité du Croyant de développer au mieux nos capacités intellectuelles, de rationalité, nos capacités d'action politique, nos capacités de sympathie, d'amour, nos capacités imaginatives ; c'est s'engager au plus intense dans ces activités, parce qu'elles sont justement orientées, unifiées ; à la fois reconnues dans leurs limites et unifiées par Allah Akbar. Cette pulsation entre ce qui est une activité particulière, unifiée dans ce qui est plus grand. Allah Akbar crée une dynamique créatrice des activités humaines.

C'est le sentiment, la grâce profonde que je ressens depuis mon entrée en Islam, que plus cette limite est reconnue plus en même temps, je me sens engagé par l'exercice de cette activité. C'est difficile de dire en langue française ce que je suis en train de dire. Ça doit être plus facile à dire en langue arabe, j'ai l'impression, ou d'ailleurs dans d'autres langues. Parce que, effectivement, les langues occidentales ont beaucoup de mal à indiquer l'unité dans la contradiction. Les langues ou la langue française en particulier et surtout la philosophie française et la scientificité française, fondées sur une rationalité très cartésienne, a l'habitude de séparer, de diviser, d'identifier mais très rarement de faire comprendre les liens, les relations, les dynamiques d'intégration, les processus, les mouvements, les interdépendances, finalement la vie. Le Cartésianisme, une idéologie qui a beaucoup marqué la scientificité occidentale, sur lequel d'une certaine façon, vit encore la scientificité occidentale, est en fait l'expression de cette automatisation dont j'ai parlé au début Cette scientificité est maladroite pour s'approcher et encore plus pour comprendre ou expliquer tout ce qui se relève des processus vivants. Elle est habile à décrire tout ce qui relève de la matière massive, concrète que l'on peut toucher, les objets que l'on peut faire toucher et qui sont séparables dans l'espace. Mais dès que l'on s'approche des phénomènes vivants, le vivant animal

le vivant biologique et bien sur, le vivant humain, cette méthode cartésienne s'avère inapte. Et tout cela transparaît à travers les langues, la langue que j'emploie. J'ai beaucoup de difficultés à dire comment l'Islam proportionne avec beaucoup de justesse et d'exactitude les limites de chaque activité humaine, unifiée à l'intérieur d'un mouvement vers le tawhîd. Bref, je pense après 10 ans de dures épreuves dans la dispersion des sciences sociales occidentales, avoir retrouvé grâce à l'Islam,le sens,l'orientation, de l'unité de mon activité scientifique.

Depuis un siècle, dans une gesticulation grotesque et dramatique, les sciences humaines veulent plier l'histoire humaine à la logique de la matière inerte, elles creusent un peu plus la carence spirituelle d'où elles sont nées. Elles poussent à son paroxisme la coupure entre la religion et la science qui, très tôt, caractérise la chrétienté occidentale.

La civilisation chrétienne, donc une bonne part de la civilisation occidentale, s'est développée sur une opposition radicale, vraiment une opposition, entre la religion et la science. A la fois sur le plan philosophique, théologique, métaphysique et historique, on peut suivre ce combat acharné qui dure maintenant depuis au moins 18 siècles de chrétienté, combat destructeur, mutuellement destructeur, entre la science et la religion. Destructeur bien sûr pour la religion qui, petit à petit, perd un des ressorts de son énergie qui est la reconnaissance des signes de Dieu dans le monde (Ayats) Dans la civilisation chrétienne, cette reconnaissance à travers l'activité intellectuelle et scientifique, est brutalement niée. Le monde, c'est-à-dire l'univers, ne reflète plus la beauté divine , mais devient au contraire le lien du péché et du non-sens, si bien que le ressort qui permettrait de rechercher, rencontrer les (Ayats) signes de Dieu dans l'univers est brisé ; ce qui est un terrible appauvrissement pour la civilisation et la religion chrétienne et l'Occident en général. Mais à l'inverse, la science qui va commencer à se développer surtout au XV°-XVI° siècle en Occident va souffrir d'une carence symétrique : son impuissance à resituer, à replacer, à proportionner son activité intellectuelle dans une globalité et dans une activité qui est plus large qui est la pensée métaphysique et la vie spirituelle. Et si la science a produit toute la destruction qui aujourd'hui nous entoure, je pense que ce n'est pas difficile d'en rechercher l'origine. C'est justement cette coupure radicale et profonde qui est le fait du rapport d'exclusion mutuelle entre science et religion. Rien de comparable dans l'histoire, pas plus que dans la

pensée, dans la métaphysique de l'Islam où, tout au contraire, les signes de Dieu et les capacités qui permettent d'approcher, de comprendre les signes de Dieu, cette activité est louée, encouragée comme une responsabilité du Croyant. Pas de vrai Croyant qui ne développe aussi son activité intellectuelle et scientifique à l'intérieur, de sa croyance. La croyance est le ressort de l'activité scientifique, ce qui en même temps limite l'orgueil, la vanité de la science occidentale, qui ayant perdu son intégration spirituelle et son orientation par un pôle, n'obéit plus qu'à un appétit de puissance.

J'ai éprouvé, en rencontrant le don et la grâce de l'Islam, cet encouragement, cette réunification et cette modestie dans l'exercice de mon activité scientifique. J'essaye de dire tel que je l'ai senti, ce qui s'est opéré en moi par la rencontre de l'Islam, c'est justement ce nouveau rapport entre science et conscience. Je crois que la science occidentale, en se coupant de la religion, en instaurant la laicïté, en mutilant les activités humaines, en laissant croire que la science n'avait pas besoin d'un pôle, d'une orientation, est tombée dans une folie, au sens propre. Je pense que la «rationalité scientifique» occidentale constitue le noyau idéologique le plus dur, le plus dangereux de l'Occident, plus que l'impérialisme politique. L'impérialisme politique, c'est très grave, très important, mais d'une certaine façon, je crois que le ressort de cet impérialisme politique est dans cette rationalité scientifique et technologique qui, en profondeur, c'est-à-dire si on prend un critère justement spirituel, à la lumière de la spiritualité, la rationalité scientifique occidentale est au sens propre, je pèse mon mot, est une démence, démence au sens qu'elle a complètement perdu la mesure, aussi bien la mesure de notre place en tant que fait humain dans l'univers et la création, mais aussi la mesure morale, éthique, c'est-à-dire la modestie, au sens de savoir se reconnaitre comme activité limitée, particulière. Bien sur, la science permet des découvertes mais en même temps, nous ouvre à l'inconnu. Cet orgueil insensé de la science occidentale depuis le XVI° siècle, depuis Descartes, qui est encore le fait de beaucoup de scientifiques aujourd'hui, cette prétention à croire que la science pourrait comprendre et expliquer absolument tout l'univers, en particulier la création, c'est cela qui me semble être aujourd'hui la démence de la rationalité occidentale. Penser qu'une activité telle que la science n'a pas besoin d'être proportionnée à un fait de conscience, ne peut que déclencher des forces irrationnelles et destructrices.

Plus précisément, je veux dire que la «scientificité occidentale» est profondément et essentiellement irrationnelle dans son fondement et ses résultats puisqu'elle légitime sa «rationalité», son «objectivité» par l'exclusion des questions : pourquoi cette recherche ? au service de qui cette recherche ? Dans beaucoup de laboratoires, on se fait même gloire d'évacuer ces questions qui seraient de l'ordre de la philosophie «personnelle» ou de la «religion» identifiée comme réservée à la «vie privée». Beaucoup d'universités occidentales osent encore enseigner que «l'objectivité scientifique» c'est justement l'exclusion de toutes les interférences produites par les questions de finalité.

Je crois que c'est l'expression la plus achevée et banale de la démence de la rationalité occidentale. Et plus grave encore, comment accepter cette scandaleuse mutilation, qui consiste à dire que le scientifique fait œuvre de scientifique dans son métier mais n'a pas le droit de faire de la philosophie, et puis, ailleurs il fera de la philosophie, chez lui tout seul, en privé. Cette privatisation de la réflexion scientifique et religieuse est simultanément un appauvrissement de la science, du scientifique, de la civilisation, qui entretient, nourrit et porte ce scientifique.

J'ai essayé de décrire très rapidement mon trajet de scientifique et comment il m'a semblé absolument essentiel de mettre un terme à cette rationalité démente et comment l'Islam m'a fait la grâce de rencontrer un autre chemin. Je voudrais dire maintenant comment, depuis dix ans, j'ai essayé d'alimenter, avec quelques amis très proches, cette démarche personnelle. Il me semblait important, en effet, pour que l'échange soit fructueux entre nous, que justement ne soit pas caché le phénomène de conscience personnelle. Une vraie conférence d'un vrai scientifique occidental, vous savez, en général, on ne parle jamais à la première personne et on cache justement toutes ses convictions. Il me semblait important que très rapidement et probablement très maladroitement, j'essaye, dans ma vie d'enseignant et de chercheur en sciences sociales, de vous dire, de vous communiquer comment justement ces phénomènes de conscience sont venus transformer ma perspective scientifique. Si j'ai parlé à la première personne, c'est pas du tout pour faire autobiographique, ce serait un manque complet de modestie, mais c'était pour essayer de recréer ce lien entre science et conscience. Alors je m'empresse de dire que ce travail n'aurait pas été possible sans la solidarité et l'échange de travail scientifique avec quelques amis.

Il existe aujourd'hui tout un courant de scientifiques occidentaux, surtout dans les sciences exactes, c'est-à-dire des physiciens, des astro-physiciens, des chimistes, des biologistes, bien sûr, pas ceux qui sont enseignés à l'université, qui sont arrivés à des positions tout à fait convergentes avec celles que je viens d'évoquer. Je voudrai vous donner très rapidement le fruit d'un travail de recherche que nous avons entrepris, avec quelques amis, depuis une dizaine d'années, sur la métamorphose de la science occidentale par des scientifiques occidentaux. Je crois qu'il est très important pour nous, musulmans, de savoir qu'il existe une convergence entre ce que porte justement l'Islam dans sa dimension scientifique et les questions que posent les scientifiques les plus avancés aujourd'hui. Je crois qu'il serait grave de présenter la situation en termes trop simplistes du type l'Occident est une catastrophe absolue, et seul l'Islam sauve le monde. D'une part, je pense que la Umma souffre pour des raisons historiques, de beaucoup de lésions, de beaucoup de carences, qu'il est très important de situer, en toute franchise, et honnêteté, pour essayer de les surmonter, et d'autre part, je pense qu'il est extrêmement important de laisser la porte ouverte, c'est aussi la vocation de l'Islam, d'assurer les échanges entre civilisations, l'ouverture aux autres civilisations.

Alors je pense qu'il est important de connaître, j'insiste, cette minorité ; l'Occident, c'est la démence, mais un certain nombre de scientifiques occidentaux aujourd'hui, sont convaincus de cette démence et essayent d'ouvrir un autre chemin. Et je voudrai vous dire comment justement ce chemin passe et converge avec, entre autres, l'Islam. Je commencerai d'abord par le prix Nobel de chimie Prigogine qui, avec l'aide d'une philosophe I. Stengers, a écrit un livre au titre lui-même très suggestif «La nouvelle Alliance». Il montre très bien comment à travers son activité de chimiste, par son travail de laboratoire, il a été amené à rompre avec les concepts de la physique et de la chimie fondés sur le cartésianisme, construits sur l'idée qu'il y avait une rupture, une coupure, entre l'objet que l'on analyse dans le laboratoire et le savant qui manipule ces objets dans ce même laboratoire. En méthodologie scientifique, on a en général l'habitude d'appeler objectivité, cette coupure entre sujet et objet. On a même fait croire, et c'est encore enseigné dans beaucoup d'universités en France et ailleurs, que l'objectivité c'est justement d'exclure de plus en plus le sujet de tout lien avec son objet d'études. Et petit à petit, on a laissé entendre, et c'est comme ça que s'est construite la science occidentale au XIX°

siècle, qu'il y avait une espèce d'opposition entre le monde, l'univers décrit par la science et le sujet analysé, cet univers et ce monde. Donc une espèce d'incommunication complète entre l'univers, le monde physique, chimique et le sujet scientifique. Prirogine et Stengers montrent cette vision des choses aujourd'hui est impossible, impossible pour des raisons scientifiques. «Avec cette vision des choses, d'opposition entre l'objet et le sujet, le monde devient «muet», «désert». Plus la science occidentale a voulu développer cette objectivité qui serait une sorte d'objectivisme, plus le monde effectivement perd son sens, devient muet. Finalement, plus on veut être objectif moins on recueille d'informations, plus on oppose le monde au sujet qui l'étudie, plus le sujet s'appauvrit. Prigogine et Stengers, avec beaucoup de courage, parce qu'ils disent tout cela au cœur de la rationalité européenne, affirment que cette vision de l'univers, cette physique, cette chimie aujourd'hui, doit être radicalement retournée, doit être radicalement transformée. Il faut redécouvrir que nous appartenons à l'univers. L'objectivité, ce n'est pas s'exclure de l'univers, c'est au contraire, créer des liens d'autant plus étroits et d'appartenance avec l'univers que l'on cherche à le comprendre, quand les auteurs parlent d'une «nouvelle alliance», ils veulent dire que les scientifiques comme les humains en général, comme l'ont enseigné d'ailleurs toutes les sagesses et les philosophies orientales, on ne connait le monde qu'en établissant des liens avec le monde, en créant des rapports, des proportions, des interdépendances. Seule la démence de la rationalité occidentale a pu faire croire l'inverse, que c'était en coupant les liens avec le monde qu'on allait construire une compréhension du monde. Donc Prigogine explique bien comment cette rationalité doit aujourd'hui vraiment se retourner en profondeur et instaurer ces relations d'appartenance, d'inclusion dans l'univers. Le scientifique doit reconnaître le fondement de son activité: ce qu'enseignent de nombreuses traditions, dont l'Islam), c'est que nous sommes des créatures et nous appartenons à la création comme toutes les autres créatures dans des degrés différenciés de l'être. Cette vision, celle à laquelle nous convie, dans son laboratoire, Prigogine.

Le temps nous manque mais je cite très brièvement, cela fera partie du travail qu'on a commencé ici aujourd'hui et continuera pendant des années; mais je souhaiterais citer ceux qui m'ont alimenté dans cette réflexion, qui m'ont aidé dans cette recherche et qui fait qu'aujourd'hui, j'ai une certaine confiance que petit à petit, cette démence occidentale va sans doute être aussi

transformée. J'aimerai citer un physicien, David Bohm qui décrit aujourd'hui la relation d'interdépendance dans l'univers. Je citerai aussi F. Capra, micro-physicien travaillant en Californie, à Berkeley, qui a écrit un très beau livre «le tao de la Physique». Comme son nom l'indique, c'est une présentation de la physique contemporaine en s'appuyant sur une sagesse orientale. Plus même, il affirme qu'une éthique, une ascèse, une sagesse tel que le taoisme est nécessaire pour exprimer, pour interpréter les découvertes de la micro-physique contemporaine. Il est d'ailleurs hautement significatif que depuis Einstein, Bohr, Heisenberg, nombreux sont les scientifiques occidentaux (Bohm, Costa de Beauregard, Capra, X. Sallantin) qui ont opéré à un moment de leur vie ce que j'ai appelé dans ma propre recherche «le détour par l'Orient». C'est passionnant de voir que tous les scientifiques occidentaux qui veulent aujourd'hui réellement métamorphoser la science occidentale, font un détour par l'Orient, je veux dire par là qu'ils vont retrouver une sagesse, une énergie dans des traditions orientales qui peuvent être l'hindouisme, le boudhisme, l'Islam, le taoisme. Je citerai enfin l'astro-physicien H. Reeves qui, dans son livre «Patience dans l'Azur», aboutit à des conclusions aux profondes résonnances métaphysiques qui s'expriment par des formules comme celles-ci : en parlant des liaisons électromagnétiques, «le poids de la liberté : la liaison vend plus léger», ou encore en parlant des particules élémentaires, «l'ailleurs, condition indispensable de l'organisation». Une remarque pour finir. On entend souvent dire : l'occident, c'est la rationalité, la science, la technologie, l'Orient, c'est la spiritualité, la sagesse, la tradition. Je crois que cette présentation est très dangereuse et rigoureusement fausse tant pour les Occidentaux que pour les Orientaux dont les Musulmans. Il est faux que les Orientaux n'aient été que spiritualité, sagesse et tradition, aussi bien l'Islam que le taoisme par exemple. Au contraire, toute l'histoire des sciences et des techniques, jusqu'au XV° siècle, montre que c'est grâce à l'activité spirituelle, religieuse, mystique que l'Orient a développé l'expérimentation scientifique. Que ce soient les hakim en Islam, que ce soient les sages taoistes en Chine, il est très facile de montrer que c'est justement parce qu'ils étaient des mystiques, parce qu'ils étaient profondément inclus dans l'univers qu'ils étaient aussi scientifiques et technologiques. Il est très important de bien situer l'histoire des sciences et des techniques de l'humanité et montrer que l'Orient (quand je dis l'Orient, cela va de Cordoue jusqu'au Japon, sans oublier les Amérindiens, finalement tout ce qui n'est pas occidental), a été pendant plusieurs millénaires le vecteur de la pensée scientifique et tech-

nique ; l'Occident héritant de ce patrimoine, il n'y a que quelques siècles l'a conduit à l'impasse décrite au début de cet article. L'œuvre monumentale de Joseph Needham «Science et civilisation en Chine» et celle de S,H, Nasr «Science et savoir en Islam», sont décisives pour connaître ce patrimoine scientifique et technique de l'Orient ; en outre, ils montrent très bien comment la spiritualité «ou la mystique», bien loin d'être contradictoire avec l'expérimentation scientifique, l'ont au contraire stimulée tout en lui donnant une mesure et un pôle.

Seul l'Occident a fondé sa «logique» civilisationnelle sur une exclusion réciproque entre expérimentation scientifique et spiritualité. C'est pourquoi j'ai cité les scientifiques occidentaux qui font le détour par l'Orient. Ils font ce détour par l'Orient, non seulelemt pour retrouver la spiritualité comme on le dit aujourd'hui, ou le laissent croire un certain nombre de courants occidentaux qui pratiquent le zen, le yoga, en pensant plutôt à la méditation et à la spiritualité ; bien sur, l'Orient porte ces trésors de sagesse mais l'Orient porte aussi, aussi bien dans sa logique de civilisation que dans l'histoire même de son développement des sciences et des techniques ; l'Orient porte cette combinaison, très justement proportionnée, entre la vie spirituelle et l'expérimentation scientifique.

Je voudrais simplement finir par une citation du grand mystique et en même temps grand scientifique musulman, Al-Rumi, parce que d'une certaine façon, il donne la plus belle description que pourrait donner un physicien contemporain de l'univers.

Dieu a caché la mer et montré l'écume.
il a caché le vent et montré la poussière,
Comment la poussière pourrait-elle s'élever d'elle-même,
Tu vois pourtant la poussière et pas le vent.
Comment l'écume pourrait-elle sans la mer se mouvoir,
Mais tu vois l'ecume et pas la mer.

Le débat

Question : l'Islam permet à l'homme de se rendre compte de ses propres limites mais la science n'est-elle pas illimitée ? Chaque jour, elle avance dans la connaissance de l'univers. L'Islam permet-il à l'homme de reconnaître ses limites dans ses rapports avec l'univers ou ses limites dans ses capacités de connaitre l'univers.

Réponse : Cette question est une précision importante par rapport à ce que j'ai essayé d'indiquer. Justement, sur ce rythme et cette pulsation entre le mouvement et la limite ; je pense et c'est une des connaissances que j'ai reçues de l'Islam, il existe une proportion juste dans un mouvement qui est infini. Le mouvement des sciences est bien sur illimité. Mais je pense qu'il faut faire une différence essentielle en métaphysique, entre ce qui est illimité et ce qui est infini. De même que tout à l'heure, un frère me faisait remarquer qu'il serait important de distinguer entre connaissane et science. Je pense effectivement qu'il est très important que notre vocabulaire - tout au moins en français - je pense qu'en arabe, il ne doit pas y avoir les mêmes difficultés d'ailleurs - mais en français,il est tout à fait essentiel de faire la différence entre connaissance et science. La connaissance relevant de l'infini et la science relevant de l'illimité. Il me semble pourtant que dans la question telle qu'elle est formulée, il y a peut-être une difficulté qui tient au fait que l'idéologie du progrès est encore incluse dans cette question. Chaque jour, elle avance, la science, dans la connaissance de l'univers ? Je ne crois pas.

Question : Je ne voulais pas dire que l'homme, par la science, avait une connaissance exacte et définitive ; mais que chaque jour, il se rendait compte de choses nouvelles et que à ce moment-là, je ne comprends pas tellement, je ne suis pas musulmane, je suis française, j'ai une éducation cartésienne, mais je ne comprends pas les rapports que l'homme peut avoir avec l'Islam dans sa démarche scientifique ; l'homme se rend compte de ses limites, c'est sûr, il y a des limites mais cette démarche peut être sans cesse renouvelée à l'intérieur de ces limites-mêmes. On n'a pas tous les moyens pour englober l'univers et la connaissance de l'univers. On a nos moyens qui sont chaque jour mis à la disposition de nouvelles connaissances, d'une nouvelle approche de l'univers. Je ne comprends pas.

Réponse : La difficulté c'est d'essayer de dire en même temps que c'est parce qu'il y a une limite et qu'on exerce la responsabilité scientifique pour franchir cette limite, qu'on exerce sa responsabilité de Croyant. Il faut qu'on se débarasse de cette idée que notre connaissance est cumulative et nous permet de comprendre de mieux en mieux l'univers. Je pense que c'est obéir encore à la loi de l'accumulation marchande du savoir qui est justement le savoir et pas la connaissance. Mais ce qui est très impressionnant quand on lit les micro-physiciens que j'ai cités, ou les astro-physiciens, c'est de sentir à quel point, plus ils pénètrent aujourd'hui dans les profondeurs de la micro-physique, du plus petit ou du plus grand, plus ils s'ouvrent à l'insondable. Je crois qu'il y a un moment extraordinaire dans la science contemporaine, je parle de ces scientifiques minoritaires qui se posent des questions au cœur de la science, c'est justement parce qu'ils ont franchi d'une certaine façon, ou qu'ils sont aux limites des savoirs scientifiques qu'ils découvrent la profondeur de la connaissance, c'est-à-dire l'insondable. C'est justement ce qui me semble être la dynamique de l'Islam. Il faut exercer sa responsabilité scientifique, c'est un devoir du Croyant. Cette responsabilité l'amène à reconnaître les signes de Dieu, l'insondable, l'infini et la connaissance. Ce n'est qu'une des voies possibles, bien sûr, mais aujourd'hui cruciale.

Question : le contact avec Dieu se ferait en rapport des difficultés qu'on a à connaître l'univers, à nos limites, au contact de nos limites ?

Réponse : D'une certaine façon,oui. Mais qui n'est pas simplement une difficulté,mais une grâce, c'est-à-dire au moment de découvrir les limites, on s'ouvre (الفتح), la notion d'ouverture à l'univers est essentielle alors pour transformer la science en connaissance. On est inclus dans l'univers et la création, c'est très important. Et je crois que tout scientifique contemporain découvre cette notion d'inclusion et d'ouverture. Alors je sais bien que c'est difficile pour un esprit comme le mien de dire que c'est à la fois la limite qui nous permet l'ouverture.

Question : quelles sont les relations qui peuvent exister entre les sciences exactes et les sciences théologiques et quel est le rôle de ces dernières dans le travail des savants, qui travaillent dans le domaine des sciences exactes ?

Réponse : la question laisse entendre qu'il y a des relations,

ce qui me semble tout à fait important déjà. Et reconnaître qu'il y a une relation entre les sciences théologiques et les sciences exactes, ce que ne reconnaît pas justement la démarche occidentale dominante (sinon rétroactivement comme histoire idéologique) La «scientificité» occidentale affirme que l'on peut et même que l'on pratique la science sans poser la question du sens de son activité. C'est ce sens, c'est bien la science théologique, la métaphysique qui va l'alimenter. La science théologique alimente notre âme, notre conscience, elle irrigue notre énergie spirituelle qui nous permet justement de replacer dans sa juste proportion l'activité scientifique, c'est-à-dire cette dynamique de l'intégration, de l'unification des activités humaines, entre autres, la science, mais cela peut être aussi politique ; c'est justement les sciences théologiques, ce que le frère appelait les sciences musulmanes, qui permettent d'irriguer, d'alimenter en permanence cette énergie. La lecture du Livre Saint, le Coran, régulière, de même que la prière et l'étude du droit musulman, irriguent notre énergie et notre conscience qui, ellemême, va nous permettre de comprendre le sens de notre activité scientifique.

Question : Je veux savoir pourquoi à l'université et dans les ouvrages scientifiques, quand on parle de l'histoire de l'évolution de la science, on commence par les Grecs, et on arrive aux savants contemporains sans parler des savants musulmans ?

Réponse : C'est une remarque tout à fait juste. Il faut le dire et le redire. Pour l'instant, l'histoire des sciences et des techniques, l'histoire des philosophies d'ailleurs, et l'histoire humaine sont enseignées de façon absolument euro-centrique, c'est-à-dire à partir de l'histoire de la formation de la civilisation occidentale Cela fait partie des luttes politiques et idéologiques prioritaires, de remettre l'histoire de l'Occident et de l'Europe, à la fois politique, idéologique, scientifique et technologique, la remettre à sa place et pas plus qu'à sa place. Il est clair que l'Occident tel quel n'est né grosso modo qu'il y a 4 ou 5 siècles, c'est très peu dans l'histoire humaine, que la naissance de l'Occident doit beaucoup sur le plan scientifique et technologique, que ce soit la médecine, l'agriculture, l'hydraulique, la biologie, etc. L'Occident doit à peu près tout au legs des 8 siècles d'Islam. A ce sujet, un livre que je n'ai pas cité tout à l'heure mais qui est fondamental en tout cas en langue française : «Le soleil d'Allah brille sur l'Occident» écrit par une femme allemande,

S. Hunke. La science et la technique n'appartiennent à aucune civilisation, elles sont le patrimoine de l'humanité. C'est de l'échange des civilisations que peut, comme le rappelait tout à l'heure, le frère, l'Islam a eu un rôle tout à fait important, c'est l'échange des civilisations qui permet le mouvement de la science. et des techniques. Et c'est finalement l'Occident qui a cru, avec un orgueil, idéologique et politique démesuré, qui a cru qu'il était La Science, La Technique, et que l'Occident a reconstruit toute une histoire de l'humanité laissant croire que tout cela venait des Grècs; d'ailleurs, il y a un trou, parce qu'entres les Grècs et le XVI° siècle, il ne se passe à peu près rien dans notre histoire officielle - ce serait le Moyen-Age , parce que les Romains n'ont à peu près rien inventé, c'est vrai, et depuis les Romains, à la fin du IV° siècle, jusqu'au XII° siècle, il y a un grand trou dans l'histoire officielle. Justement, c'est la grande période de l'Islam. Alors, c'est là qu'on se rend compte que l'histoire, telle qu'elle est enseignée est un scandale et qu'il faut absolument la corriger, mais c'est très difficile. Il n'y a que 3 livres que personnellement j'utilise constamment dans mon enseignement : Joseph Needham sur l'histoire de la cilisation chinoise, parce que, c'est sûr, dans l'histoire des sciences et des techniques, la Chine a un rôle tout à fait prépondérant ; Sayyed Hussein Nasr : «Science et savoir en Islam», Siqvid Hunke, «Le soleil d'Allah brille sur l'Occident». Ce qui est très symptomatique, c'est que ces trois livres ont une grande difficulté à être diffusés en France. D'autre part, Needham n'est pas traduit, du moins l'œuvre principale n'est pas traduite, pourtant c'est une œuvre capitale, pour l'histoire humaine. Et le livre «le soleil d'Allah brille sur l'Occident» est épuisé depuis 1964 et n'a jamais été réédité. Je pense là qu'il y a des interférences politiques et idéologiques sionistes extrement claires parce que ce livre oblige réellement à réélaborer toute notre histoire. Ce livre est très subversif, très difficile à faire entrer dans l'université, parce qu'il remet en cause notre orgueil euro-centrique.

Question : Quel profit l'humanité peut-elle tirer des conquêtes spatiales et de la course aux armements, ou plutôt du désarmement, alors que des milliers et des milliers succombent de faim faute d'absence et d'orientation ?

Réponse : Bien sûr. c'est un des symptômes aujourd'hui à la fois les plus graves et les plus évidents de la démence de la science occidentale, c'est le surarmement. Là, je mets en garde contre une présentation qui a tendance à se répandre en ce moment, c'est

de laisser croire que la planète entière est menacée par le surarmement. Et on laisse entendre que toute la planète est surarmée. Il est bien clair que 85 % des armes sont détenus par deux pays : l'Union soviétique et les Etats-Unis. Cela est la donnée de base de la question de l'armement de la planète aujourd'hui. Et que le reste de l'humanité fait face à cette situation et est terriblement sous-armé. Et je veux dire par là qu'on ne peut pas simplifier... Il est vrai qu'on a tous aujourd'hui plusieurs bombes sur la tête, la planète peut exploser : mais quand on lit un peu les récits militaires (je vous conseille à ce sujet le livre d'un général anglais Sir John Hackett, qui a écrit la future guerre mondiale), on se rend compte que malheureusement la guerre est possible aussi sans destruction totale. Nous faire peur de l'apocalyse général de la planète, c'est une des actions psychologiques des grandes puissances. On peut très bien imaginer et tous les stratèges aujourd'hui imaginent, une guerre mondiale avec usage nucléaire sans pour autant que ce soit l'apocalypse généralisée. Je ne veux pas dire par là que ce sera quelque chose de léger, les stratèges calculent par exemple qu'une bombe nucléaire va détruire 300 millions d'habitants en Europe, en Union soviétique ou aux Etats-Unis. Le surarmement est effectivement un signe de la démence mais une façon de réagir en faisant face au danger, c'est de bien le mesurer. Et actuellement, les grandes puissances utilisent beaucoup l'apocalyse pour que nous ne mesurions pas le danger, je crois qu'il faut mesurer avec réalisme le danger. Le danger est très grand, c'est vrai, en même temps, ce n'est pas forcément la catastrophe absolue. Et c'est déjà un début d'envisager positivement l'avenir. L'usage abusif de l'apocalyse nucléaire est une forme de terrorisme intellectuel.

Question : quelle importance accordez-vous à la science cachée esotérique par rapport à l'exotérique?

Réponse : Je crois qu'en arabe on dit «Bâtin», la voie et la loi. J'ai dit tout à l'heure que mon entrée dans l'Islan se devait, entre autre, au fait que j'ai rencontré dans l'Islam cette proportion juste entre mon activité scientifique et ce qui l'englobe. Je dirai la même chose au sujet de la question qui est posée. J'ai étudié assez en profondeur les traditions ésotériques de plusieurs peuples, j'ai même vécu proche d'une tradition ésotérique très haute qui est la tradition maya. L'Occident n'a jamais su concilier, réconcilier, unifier là aussi la profondeur de l'inson-

dable qu'essaie d'approcher la connaissance ésotérique avec l'activité exotérique que constitue fondamentalement la responsabilité sociale et politique. C'est toute l'histoire de l'Occident qui est marquée là aussi par ce drame. De même que la Chrétienté n'a pas su vivre avec la science, la chrétienté n'a pas su vivre avec la gnose, puisqu'elle l'a disqualifiée et pourchassée dès le 2° siècle de la chrétienté ; la gnose est disqualifiée encore aujourd'hui par la chrétienté, en tant qu'hérésie. Cette histoire de l'Occident, et le rapport entre l'ésotérique et l'exotérique est un rapport d'exclusion.

Colloque organisé par la mosquée Al-Rahmane à Lyon du 12 au 14 mai 1983 sous le thème. Islam; sciences et recherches

Indications bibliographiques

F. Capra, «le Tao de la physique» (Tchou, 1978).

Colloque de Cordoue, «Science et conscience» (Stock, 1980)

S. John Hackett, «La troisième guerre mondiale» (France Loisirs 1979).

S. Hunke, «Le Soleil d'Allah brille sur l'Occident» (A. Michel 1963)

S. H. Nasr, «Sciences et savoir en Islam» (Sinbad, 1979).

J. Needham. «Science and civilisation in China» (Cambridge, 8 Volumes publiés).

H. Reeves, «Patience dans l'azur» (Seuil, 1981).

X. Sallantin, «Douze dialogues sur la défense» (Fondation pour les études de défense nationale, Paris 1978).

X. Sallantin, «Le pas du sens», (Fondation BENA, 66760 Bourg Madame).

Prigogine, «La nouvelle alliance», (Paris, Gallimard).

DEVELOPMENT-ORIENTATION OF THE CALIPHATE OF MUHAMMAD BELLO ;

Tanbih al-sahib 'ala ahkam al-makasib

omar Bello (*)

The Emirate system of government established by the Sakkwato jihad leaders has been described by some writers (i.e., M.G. Smith, A. Algazali and C.S. Whitaker) as a traditional system of government,

The Emirate system of government established by the Sakkwato jihad leaders has been described by some writers (i.e., M. G. Smith, A. Algazali and C.S. Whitaker) as a traditional system of government, 'not development-oriented' ; that is, government pre-occupied with maintenance of law and order and an aristocratic status quo and not concerned with the active general improvement of the lot of the people as a whole. In refuting this prejudiced allegation Abd Allah Smith enumerated many ideals which nowadays are described only to modern systems of government, but which were advocated and practiced by the founders of the Sakkwato Caliphate. They advocated 'innovation' or revolution, as distinct from 'prescription' and non-permanent right to authority, and had an ideal at which they aimed. Their criteria of appointments and allocation of rewards was based upon achievment, skill, education and contribution to goals rather than 'ascription and privilege'. The principle of the Caliphate was ;'specific duties' rather than 'diffuse functions' and its criteria for membership and participation was

---

(*) A lecturer in the Dept of Arabic, University of Sokoto,Negeria
He is now preparing a Ph.D thesis at the school of Oriental and African Studies, University of London

'universalistic' not 'particularistic' ; it was concerned with the eradication of abuses and with positive action to improve the lot of people. In short, it was development-oriented government for its leaders, above all, emphasized the need for raising the moral tone of society, educational reform, economic reform, development of communication, providing social services for the poor and needy, judicial control over the financial transaction of the state[1] . This paper is an attempt to develop the last concept, 'development-orientation' by adding the economic side of it with particular reference to the Caliphate of Muhammad Bello (1817-1837).

In the eighteenth century, the central Sudan witnessed a jihad movement led by 'Uthman b. Fuduye (1754-1817), known as the Shaykh, who intended to reform his society and establish Islamic rule. He accused the kings of Hausa states of oppression, abandonment ot the Shari'a and practising an amalgam of Islam and Paganism[2] . To escape the hostility of the King of Gobir, the most powerful Hausa state at the time, the Jama'a, as the Shaykh's followers were known, had made a hijra from Gobir territory. In an attempt to end the long period of hostility and to protect his status quo, the King of Gobir attacked the Jama'a in 1804. The King's forces were defeated[3] and the resulting high morale enabled the Jama'a to persist with their jihad until they sacked Alkalawa, the capital of Gobir, in 1808[4]. By 1807, many Hausa states were under the Shaykh's rule and with the fall of Alkalawa, efforts were geared towards Islamising the administration of Hausaland, the present northern states of Nigeria, on the pattern of the Caliphate. Before his death in 1817, the Shaykh replaced the kings with umara' al-aqalim[5] , provincial governors.

Bello (1780-37), son of the Shaykh, was among his father's lieutenants and war-commanders. «He fought the hardest and longest wars» and was the architect of the Caliphate[6].
He was elected as amir al-mu'minin after the death of his father. Bello studied under his father, his uncle Abd Allah and some eminent scholars of the central Sudan[7], but his erudidition resulted from personal effort. He was a practical man and tried always to apply his learning as efficiently as possible to the situation in Hausaland. Thus, when faced with the problem of maintaining the occupied lands and crushing resistance, Bello referred to history and found a guiding precedent in the building of the garrisons towns, Amsar, of Basra, Kufa, etc. by 'umar b. Al-Khattab.

The building of Amsar, Thughur or Rubut on the frontiers and in the hinterland of Sakkwato Caliphate was a deliberate and planned policy initiated by Bello to attain military strength, urbanisation and socio-economic development [8]. Thughur, as Bello defined, were frontier military bases «where people resided in anticipation of an attack from the ennemy with the intention of fighting him and protecting Muslims and of increasing the Muslim population living there» [9]. The rebellion that ensued immediately after his accession to the Caliphate together with other factors made Bello carry on this policy of founding garrison towns more vigorously as a nucleus for urbanisation. About sixteen towns were established on the frontier of Kabi, Gobir and Zamfara to protect the seat of the Caliph [10] and prefects, 'ummal, with specified functions were appointed over them. These were to train guards, 'assa, and warriors, breed horses and camels, observe the Shari'a, strive to make the towns prosperous and cultivate their lands. «Your main task», Bello emphasized, «is to make them cultivated and prosperous, therefore, you should assign a plot of land to anybody seeking one to develop» [11]. This was necessary, for most garrison towns, some of which included small existing villages, were deliberately located by Bello on riverbanks or in the centres of fertile valleys to attract farmers, traders and craftsmen in order to ensure the success of his socio-economic programme. Moreover, «residing in towns and villages», Bello reiterated, «is preferable to residing in the desert» and he discouraged his ra'iyya [12] from escessive breeding of cattle as this required living in the desert which was not only antisocial but detrimental to the furtherance of Islam [13]. The advantages of living in towns lay, Bello asserted, in living in a community, performing prayer in congregation which promotes social cohesion as people meet one another five times daily, in defending one another, and in making one civilised and cultured. He quoted a hadith to corroborate his argument : «He who is of the desert is rough and uncouth» [14]. Furthermore, leaving a town where Islamic sciences are taught for another town where such facilities do not exist is unlawful [15]. «Moreover», Bello remarked, «There is no doubt man is madaniyy, urban, by nature and in need of the great majority of the people. Human perfection is only acquired through urbanisation) [16]. And «to encamp in a ribat for one night is better than one month's supererogatory fasting and prayer», and «He who dies while pursuing ribat is safeguarded from the terror of the Day of Judgement» [17].

The major social consequence of Bello's urbanisation policy was its rapid adoption throughout the Caliphate. The provincial governors/army commanders dutifully carried out this policy in their emirates [18]. Hence, new towns sprang up and the old ones entered a period of unprecedented growth, some as new commercial centres, others as emirates capitals, thus centres of administration and learning. Gusnu, Kaura and Sakkwato, to mention a few, were good examples of the newly founded towns in the hinterland which evolved as the most significant centres of agricultural trade and their inhabitants became wealthy through farming and commerce [19].

Bello's policy of deploying occupational groups to the new towns accelerated the growth of diversified small-scale industries which had a far-reaching effect on economic progress. To attain synchronised economic and social development, Bello ordered his provincial governor of Katsina :

> «to commission craftsmen and provide for people in various occupations which are necessary for mankind such as : farmers, blacksmiths, tailors, dyers, physicians,grocers, butchers, carpenters and all the professions which are the basis of life in this world. He should set them up in every town and locality. At the same time he should make the people busy themse' s with the production and storing of food and settle the urban and rural areas... He should seek to achieve everything conductive to their general welfare so that the proper order of life in this world may be restored» [20].

The hinterland [21], virtually administrated by Bello, demonstrated this policy. It was initially implemented here so that umara' and 'ummal would emulate it in their own areas, as it was his firm belief that an example set by an Imam had more effect than his mere precept [22] Thus, when he founded Sakkwato, Bello settled crafsmen to exploit locally obtainable raw material in order to boost industrial production for the economic transformation of the area and for the perfection of humanity. The areas where the occupational groups were originally settled in the caliphal headquarters still exist and are named after them. There are masassaka, the carpenters' quarter, marina, the dyers' quarter, Tukanawe, the potters' quarter, Takalmawa, the shoemakers' quarter, Siriddawa, the saddlers quarter, Madunka, the tailors' quarter, Majema, the tanners' quarter, etc.. Blind men were settled in their own quarter close to the caliph's house,

named after them, the unguwar makafi, and were taught various crafts suiting their ability, ranging from rope-making, maratai, hanging baskets and mat-making[23].

Some nomads were settled in places esasily accessible to good pasture and told to decrease cattle breeding and increase horse and camel breeding for military and transportation purposes and were provided with teachers[24]. In order to avoid clashes between nomads and farmers, Bello divided land between grazing ground, hurumi, and farm land. The system of hurumi and burtali, animal tracks, still persists in the emirates.

To get his ra'iyya's full cooperation and participation in implementing these policies, Bello wrote «Tanbih al-sahib 'ala ahkam al-makasib» in 1819,, two years after his accession to the Caliphate. This book extolled the dignity of labour and emphasized the need for self-reliance. It also implored the people to apply themselves to craftsmanship and to acquire their subsistence diligently. Bello clearly wanted his ra'iyya and the inhabitants of these towns to be dedicated to acquiring their own livelihoods and to devote their efforts to learning as well as to organising their own defence. He was drawing a sharp contrast between this on the one hand and the monasticism advocated at that time by some of the North African Ribats on the other[25].

Thus he elucidated the disadvantages of idleness and reliance on the others. In this tract, lawfull sources on income are classified in order of preference in Islam and the circumstances of Bello's time. Jihad is the best means of earning a living ; next comes trade and commerce, tijara, because its benefits are for all seasons ; hence, Bello put a tremendous emphasis on it and called on his ra'iyya to pursue and respect any legal trade no matter how contemptible it was in the public eye. Earning a livelihood is an act of worship and one who provides for a monastic serves Allah better.

Bello, himself, worked with his own hands for an income. He made ropes, mats and watered his vegetable garden and sent some to market for sale[26] as «the purest food is that which results from one's own labour». His example gave a great impetus to his ra'iyya to perform occupations considered by many as lowly for men of dignity and demonstrated that they should have no scruples engaging in ordinary labour.

The next best means of earning a living is farming because through it the ra'iyya would produce good nutrition and clothing thus preserving themselves. Because of his interest in farming, Bello is said to have introduced irrigation using a sharoof, jigo, new crops grown by irrigation to allow year-round cultivation and sugar cane and to have taught the farmers of Gidan Maikara how to refine sugar and produce granulated brown sugar[27]. The next means of earning a living is livestock breeding. He discouraged wasteful spending and begging as disgraceful and the last means of subsistance and at the same time encouraged the ra'iyya to help the needy and relatives who had little or no means of income.

Earnings were categorized into fard, compulsory, mustahabb, commendable, mubah, lawful, haram, unlawful and makruh, detested. Earning is fard when a man has no means of livelihood for himself and his family ; it becomes mustahabb to a man who has means of maintaining his household but still earns with the intention of helping the poor and relatives and his mubah when a man has means to cover the above-mentioned expenses but still earns to own a house and to have a good living. Earning becomes unlawfull when a man earns for takathur or more and more comfort and more money than his fellow men, showing pomp and lavish spending.

As a result of this policy together with other factors, the hinterland became a self-sufficient producer and exporter of iron [28], superior quality textile products [29], leather goods [30] and the finest horses to the emirates [31] and it integrated on a large scale various tribes into a homogeneous Muslim society [32].

Manuscripts and Translations

I have used two manuscripts, A and B, to establish the Arabic text. A was borrowed from Mallam Muhammad Boyi Sakkwato who keeps the Nizamiyya School's collection of Arabic manuscripts. It consists of five folios, seventeen lines per page, 20 by 16 cm, neatly written in Naskh. There are frequent marginal glosses and corrections, some in the same hand as the text, others on a different hand.

B is in the collection of the post-graduate Room of Bayero University, Kano. Its consists of six folios, thirteen lines per page, 20 by 16 cm. and it is legibly written in Maghribi.

The manuscripts are not the original ones written by Bello and have some typographical mistakes made by unknown copyists. There are few mistakes, easy to correct ; therefore, I hope that the edited text is close to the original.

translation

In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful. May Allah the Most High bless the respected Prophet, his family, companions and his sincere party.

The servant, in need of his Self-sufficient Lord, Muhammad Bello b. 'Uthman b. Muhammad b. 'Uthman b. Salih b. Muhammad b. Haruna, may Allah forgive all of them for the dignity of Muhammad, the Prophet, who is allowed intercession and is an intercessor, says : Praise be to Allah, the Lord of the Universe ; may blessing and peace by upon Muhammad, (God's) Chief Messenger, his family and all his companions.

Now what follows is a book which we have named «A notification to the companions of the Legal Rules of Earning».

I say, and success is with Allah, Know that a number of (Qur'anic) verses and Hadith have been Mentioned on the merits of lawful earning. From among them are the following words of Allah, the Most High : «It is no sin for you that you seek the bounty of your Lord ' (by trading)...» «...*others travel in the land in search* of Allah's bounty...» 2 «And when the prayer is ended, then disperse in the land and seek of Allah's bounty...» 3 , «*Spend* of the good things which you have earned (by trading) and of that which We bring forth from the earth for you (through farming) ...» 4 .

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله تعالى على النبى الكريم. وعلى آله وصحبه(1) وحزبه الصميم*

يقول العبد الفقير الى مولاه الغنى محمد بلو ابن عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن(2) محمد بن هارون*. غفر الله للجميع بجاه محمد النبى المشفع التشفيع الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد فهذا كتاب رسمناه «تنبيه(3) الصاحب على احكام المكاسب» فاقول(4) وبالله التوفيق

اعلم انه ورد فى فضيلة كسب الحلال ايات واحاديث منها قوله تعالى «ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا(5)من ربكم» وقوله تعالى (6) «واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله(7) » وقوله تعالى(8) «فاذا قضيت الصلاة فانتشروا / فى الارض وابتغوا من فضل الله(9) » وقوله تعالى « وانفقوا من طيبات ما كسبتم(اي بالتجارة(10)) ومما اخرجنا لكم من الارض(11) (اي(12) بالزراعة)

As for the traditions, it is the saying of the Prophet, may blessing and peace be upon him : «Take to trade because there are nine portions in it of ten portions of all income» [5]. And his (Prophet's) saying, may blessing and peace be upon him, «Allah wants a servant to be gainfully employed» [6].

It is related that 'Isa (Jesus), may peace be upon him, met a man and asked him, «What do you do?» He (the man) replied, «I worship». Then he ('Isa) asked him, «Who sustains you?» He (man) replied, «My brother». He ('Isa) said, «Your brother worships (Allah) more than you» [7]. Abu Hudhayfa said, «The best among you is one who does not forsake this world for the sake of the next world nor forsakes the next world for the sake of this world» [8].

Ibn Mas'ud [9] said,«I detest seeing a man idle (making no effort) neither in his affairs of this world nor in his affairs of the next world»[10]. 'Umar b al-Khattab said, «Selling a common garden pepper grass, hurfa, by one of you is better than being a loafer [11]», that is to say, selling garden pepper grass Abu Qalaba [12] said to a man, «I would rather see you seeking your livelihood than to see you in the corner of a mosque (praying)» [13]

It is reported that al-Awza'i [14] met Ibrahim b. Adham carrying a bundle of firewood on his head and he (Awza'i) said, «O' Abu Ishaq, till when (will you continue to do) this? Your brothers will save you this trouble». He (Ibrahim) replied, «Keep me from that (relying on othrs), O' Abu 'Amr, because I have been told that whoever takes up a humble position (i. e., suffers humiliation) seeking lawful income deserves paradise» [15]. Abu Sulayman al-Darani [16] said, «Whoever spends his night exhausted by earning lawful subsistence, Allah will be pleased with him that night» [17]

The Messenger of Allah said, «Whoever lawfully seeks temporal

واما الاحاديث فقوله عليه الصلاة والسلام «عليكم بالتجارة فان فيها(13) تسعة اعشار الرزق(14)». وقوله عليه الصلاة والسلام «ان الله يحب ان يكون العبد محترفا(15)».
ويروى ان عيسى عليه السلام لقى(16) رجلا فقال له ما تصنع؟ قال أتعبد. قال من يقوتك(17)؟ قال أخي. قال أخوك أعبد منك(18)». وقال ابو حذيفة «خياركم من لم يدع دنياه لآخرته وآخرته لدنياه(19)»

وقال ابن مسعود اني لاكره ان ارى الرحل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته(20)». وقال عمر بن الخطاب «لحرفة احدكم خير من ان يكون سبهللا(21) اي بيع الحرف وهو حب الرشاد

وقال ابو قلابة لرحل(22) لآن اراك/تطلب معاشك أحب الى من ان اراك في زاوية(23) المسحد(24)». ويروى ان الاوزاعي(25) لقى ابراهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة(26) حطب فقال له ياابا اسحاق الى متى هذا؟ اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا ياابا عمرو(27) فانه بلغني انه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة(28)». وقال ابو سليمان الداراني(29) «من بات تعبا من الكسب الحلال بات والله عنه راض» / وقال رسول الله/ (30) من طلب الدنيا

things, avoiding begging from people, and strives for his family and to help his neighbours will meet Allah on the Day of Resurrection when his face will be like the moon on a night of a full moon»[18]. Abu Sulayman Al-Darani also said, «Worship in our opunion is not to remain standing (in prayers) while others sustain you, but start with your bread and after obtaining it, perform worship»[19]. Sufyan Al-Thawri[20] said to Suleyman b. Abi Najiya, «O' Abu Dawud, you must get an occupation because the majority of those who go to the doors of these (rich people) do so only because of need»[21].

It is narrated that Luqman [22] told his son, «O my son, guard yourself against poverty by earning because every poor man is afflicted by three defects : religious weakness, feeble-mindedness and loss of muru'a, manliness. And worse than these three (defects) is his being held in contempt by people»[23]. Some wise men have said, «Safeguarding what is in your possession is more important for you than seeking what is in the possession of others».
Some (wise men) have (also) said, «As long as you safeguard two assets you will remain alright : your dirham (money) for your livelihood and your religion for your life Hereafter[24]». Qays b. 'Asim [25] told his sons, «O' my children, you must earn money and be careful in earning it for it (money) is an impetus to a generous person and a safeguard against the mean. Take guard not to beg people because it is the last way of men's earning a living. The following (verses) have been recited in this respect : «He who sacrifies his honour by begging gets no substitute even if he gets riches by so doing. If begging is compared with (its) gains, Begging will outweigh all the gains.» In short, the abandonment of earning one's living by being unemployed and idle is

/حلالا/(31) استعفافا عن مسئلة الناس وسعيا على اهله/(32) واستغناء(33) عن الناس_ اي عن سؤالهم تعطفا على جاره لقي الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر(34)». وقال أبو سليمان الداراني ايضا. «ليست العبادة عندنا ان تنصب(35) قدميك وغيرك يقوتك(36) ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد(37)» / وقال سفيان الثوري(38) لسليمان بن ابي ناجيه. «ياابا داوود عليك بالحرفة فان عامة من اتى ابواب هؤلاء انما اتاهم من الحاجة(39)»

ويروى ان لقمان قال لابنه. يابني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد/قط(40) / الا اصابته ثلاث خلال(41) رقة فيدينه وضعف في عقله وذهاب مروته واعظم من هذه الثلاثة استخفاف الناس به(42)».

قال(43) بعض الحكماء «حفضك لما في يدك أولى بك من طلب ما في يد غيرك*» وقال بعض الحكماء خصلتان لا تزال بخير ما حفظتهما درهمك(44) لمعاشك ودينك لمعادك. وقال قيس ابن عاصم لبنيه يابني عليكم بالمال واصطفانه(45) / فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم، واياكم ومسئلة الناس فانها من اخر كسب الرجال»

وانشدوا فى هذا (46)المعنى(47)
ما اعتاص باذل وجهه بسؤال
عوصا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال قرنته
رجح السؤال وخف كل نـوال

والحاصل ان ترك الكسب تعطلا وتبطلا

madhmum, blameworthy, according to the Shari'a because of his saying (The Prophet) upon whom be blessings and peace, «Allah detests a healthy loafer»[26].

Chapter

With regard to the legal position of earning, it is luzum, obligatory, because it is a means of fulfilling the fard, individual obligations, which is to earn one's own and one's family's food, and to settle debts. Earning, that is seeking the minimum, for self and family to live and settling debts is (itself) an individual duty because it (earning) is a mesure by which a duty is performed, hence it (itself) is an individual duty. Do not see the warning in the religion (in this respect), for the saying of him (the Prophet), peace be upon him, «the most grievous sin in the sight of Allah, besides the capital sins which he has prohibited, is for a person to die in debt leaving nothing behind to settle it»[27]. It was transmitted by Abu Dawud. «Also», (the Prophet said), «the purest of what you ever eat is from your own labour»[28] It was transmitted by al-Tirmidhi and al-Nasa'i.

Recommended earning, mustahabb, is that which is more than the minimum necessary for one to live (earned in order) to help the poor and to aid a relative. Since it (recommended earning) is a means by which a recommended thing is performed, it (itself) becomes commendable, mustahabb. There is (the Prophet's) saying, may blessing and peace be upon him, «He who strives to (help) a widow and the needly is like one who fights in the way of Allah or one who prays all the night and fasts during the day»[29], and his (the Prophet's) saying, «Giving alms to the poor is charity and (giving it) to a relative is both a gift to strenghthen a relationship as

مذموم شرعاً لقوله عليه الصلاة والسلام «ان الله يبغض الصحيح الفارغ(49)»

فصــل

واما حكم الكسب فاللزوم لانه سبب الى اقامة ما هو فرض وهو قوته وقوت عياله وقضاء دينه. بل ان الكسب الذي هو طلب اقل الكفاية لنفسه وعياله وقضاء دينه فرض لانه(50) سبب يتوصل به الى اقامة/ الفرض فيكون فرضا*. الا ترى(51) ما جاء في الدين من الوعيد، وهو قوله عليه السلام «ان اعظم الذنوب عند الله(52) ان يلقاه عبد بها(53) بعد الكبائر التي نهى الله(54) عنها ان يموت الرجل وعليه دين لا يدع له(55) قضاء(56) «رواه ابو داود» وان(57) اطيب ما اكلتم من كسبكم(58)» رواه الترمذي والنسائي.

واما الكسب المستحب فهو الزائد على اقل الكفاية ليواسي به فقيرا ويصل به قريبا لانه سبب يتوصل به الى اقامة ما هو مستحب فيكون(59) مستحبا* لقوله عليه الصلاة والسلام «الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد او(60) كالذي يقوم الليل ويصوم النهار(61)». وقوله عليه الصلاة والسلام «الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذوي القرابة(62) اثنان صلة وصدقة(63)»

well as charity»30. Both traditions were transmitted by Ibn Majah.

Recommended earning is better than *superrerogatory worship* since its (worship's) benefit is for him (the worshiper) alone whereas the benefit of (recommended) earning extends to *others*. He (The Prophet), may blessing and peace be upon him, said, «The best among the people is one who benefits them»31. He (The Prophet) said, «Acts of worship compete with one another (in excellence)» and he added, «Charity is the best of them (acts of worship)»32.

Permissible earning, mubah, is that which is in excess of the earning by which one helps the poor and gives to relatives (and is used) for good living, beautification, comfort and *even to build a house and paint* walls (which is permissible) for the word of Allah, the Most High. «Say who has forbidden the adornment of Allah which He has brought forth for His servants and the good things of his provinding...»33. There is also his (the Prophet's) saying, may blessing and peace be upon him, «How good is good money belonging to a good man»34. This (earning for comfort) is said to be makruh, detested, and might lead to tyranny, disobedience, striving for more in greed and (false) pride.

As for the haram, unlawful means of earning, it is that which makes one boast, strive for more in greed, arrogant and spend recklessly, even for the lawful things because it is a means to commit unlawful things and therefore, it (too) is unlawful.

Chapter

Jihad is the best because its benefit is general, providing the opportunity to get (share of) lawful bounty, repulse the mischief of unbelievers and save Muslims from their (unbelievers') fire.

Next comes farming because it is

راواهما ابن ماجة والكسب المستحب افضل من نفل العبادة لأن منفعة العبادة تخصه ومنفعة الكسب تتعدى(64) الى غيره وقد قال عليه الصلاة والسلام «خير الناس من ينفع الناس» وقال عليه(65) الصلاة والسلام تباهت العبادة فقال الصدقة أفضلها(66)»

واما الكسب المباح فهو الكسب(67) الزائد على ذلك – اي على ما يواسى به الفقير ويصل به القريب(58) – للتنعم والتجمل والترفه حتى يبنى البنيان وينقش الحيطان، لقوله تعالى «قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق(69)»
وقوله عليه الصلاة والسلام «نعم المال الصالح للرجل(70) الصالح(71)» وقيل هذا مكروه وربما يكون سببا للطغيان والعصيان والتكاثر والتفاخر

واما الكسب الحرام فهو كسب ما امكن التفاخر والتكاثر والأشر والبطر وان كان مما حلّ لأنه سبب يتوصل به الى اقامة ما هو حرام فيكون حراما

فصل

وافضل الكسب الجهاد لأن منفعته عامة لما فيه من الاستغنام(72) من حل ودفع شر الكفرة واطفاء نارهم عن المسلمين ثم التجارة

(*) هناك نقص في الترجمة الانجليزية عن النص العربي، مما اقتضى التنويه

an effort to strengthen respected bodies whose support depends on food and clothing both of which are gained only through farming and it is (important because) it is one of the means (of making a living).

Next comes nuj'a, searching for food (for animals) in the pasture. (It is important) because it is also one of the means (of livelihood).

This is the end of what we have intended to compile and it is the work of one hour out of the hours of the second day out of the days of Ramadan of the Prophetic hijra yaer, 1235/1819. May the best blessing and purest peace be upon him (the Prophet). Thanks be to Allah in the beginning and in the end.

Notes

(1) Abdallah Smith, «The ideals of development administration an historical perspective» in Journal of Public Affairs, Institute of Administration, A B U Zaria, vol 1, n°2, May 1971, pp 69-79.
(2) 'Uthman b Foduye, «Al-farq bayna wilayat al-muslimin wa bayna wilayat al-kuffar», ed and tr by M Hiskett in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, XIX, 1957, pp 561-3, see also M D Last and M A Alhaji, «Attempts at defining a Muslim in the 19th Century Hausaland and Borno», in Journal of the Historical Society of Nigeria, vol III n°2, dec 1965, pp 231-241 and Bello, «Miftah al-sadad fi aqsam hadhihi al-bilad», (mss), and Infaq al-maysur, Cairo, 1964, p 209
(3) 'Abdallah Foduye, Tazyin al-waraqat, ed and tr by M Hiskett, Ibadan, 1963, p 55, Bello, Infaq, pp 99-101
(4) Bello, Infaq, p 150
(5) See Bello, Infaq, p 213 For instance, 'Uthman b Foduye had already written his Bayan wujub al-hijra in 1806 and 'Abdallah wrote Diya al-hukkam in 1807 for Kano Emirate
(6) Kensdale, W E N «Field Notes on Arabic literature of the western Sudan Muhammad Bello», in Journal of the Royal Asiatic Society, 1958, p 52
(7) Bello, Infaq, pp 210-212 'Abd al-Qadir b Gidado, «Anis al-mufid», mss, f 18
(8) For more information about these policies, seo Abubakar, S , «Aspect of an urban phenomenon Sokoto and its hinterland to c.1850», in Studies in the History of the Sokoto Caliphate (hereafter S H S.C), ed by

لان منفعة التاجر تحدث كل ساعة وتتكرر كل وقت فيحصل بها الكفاية. وهي(73) اعم نفعا فتكون افضل من الزراعة، لان منفعة(74) الزراعة* تكون في الاحيان مرة ثم الزراعة لانها سعي لقوام الابدان المحترمة فان قوامها بالمطعوم والملبوس وانما تحصل بالزراعة ولانها ايضا سبب من الاسباب تم النجعة في المرعى لانها سبب من الاسباب

هذا آخر ما اردنا جمعه وهو عمل ساعة من ساعة اليوم الثانى من ايام رمضان/مم شهور سنة الرشد/ ١٢٣٥/ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة واركى السلام الحمد لله اولا واخرا

1) * ساقط م ب
2) * ساقط من ا
3) أ بتنبيه
4) * ساقط من ا
5) سورة البقرة 198
6) ساقط من ا
7) سورة المرمل 20
8) ساقط من أ
9) سورة الحمعة 10
10) «اي» ساقط من ب
11) سورة البقرة 267
12) «اي» ساقط من د
13) فى الاصلين فانها وما اتبتناه من احياء
14) ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى
احياء علوم الدين القاهرة 1346
5 ج 2 ص 57
15) فى الاصلين متحرفا وما اتبتناه من احياء
ونص الحديث «ان الله يحب المومن المحترف»
احياء 2 ، 57
16) احياء راى
17) حياء يعولك
18) احياء، 20 ، 57
17) حياء يعولك
18) احياء، 20 ، 57
19) نفس مرجع

Y B 'Uthman, Lagos, 1978, p. 125.
(9) Bello, «al-ribata wa al-hirasa», mss, f.3
(10) See Last, M., Sokoto Caliphate, pp. 74-80
(11) 'Abd al-Qadir b. Gidado, «Majmu' rasa'il amir al mu'minin», Muhammad Bello, mss, f 20-22
(12) People who are looked after within an Islamic State
(13) Bello, «Jawab shaf in wa khitab minna kafin», (mss) of H Norris translation. f 1-3 See also Norris, The Tuaregs : their islamic legacy and its diffusion in the Sahel England, 1975, p 149 Where the policy is discussed, I am grateful to him for giving me his translation
(14) Bello, «Jawab», f 4 Ahmad b Hanbal, al-Musnad, Cairo, 1978, vol. 2, p. 371
(15) Bello, «Al-masa il al-muhimma», mss, f.4
(16) Bello, «Jawab», f 4.
(17) Bello, «Al-ribata», Mss, f.11
(18) Yakubu of Banchi for instance resettled hillsmen in the plains in responding to his Calipha's order, Ismail, O S A and Abubakar, Y A , «Bello and tradition of manual of Islamic Government and advise to rulers». Nigerian Administrative Research Project, 2nd Interim Report, A B U., Zaria, 1975, p 30. See also 'Abd Allah Smith, Ibid
(19) See Nadama, G. «Urbanisation in the Sokoto Caliphate», and Abubakar, Ibid in S H S C , p 152
(20) Bello, Usul al-Siyasa, ed and trans by Yamusa, S. Political Ideas of the Jihad leaders, M A. Thesis, A.B U., 1975 pp 41-42 Also Martin, B.G.'s translation in McCall and Bennett (eds) Aspects of west African Islam, Boston University, 1978, p 84
(21) Hinterland here consists of the former states of Gobir, Zamfara, and Kabi, the metrepolitan province of the Caliphate not under emirs but prefects responsible directly to the Caliph
(22) Bello, «Al-Ghayth al wabl fi sirat al-imam al-adl», Chapter 5
(23) Omar Bello, «Sarkin Musulmi Muhammad Bello» in Great Lives, Ibadan, 1978, p. 48
(24) Bello, «Jawab», f 6
(25) Last, «An aspect of the Caliph : Muhammad Bello's Social policy» Kano Studies, n°2, July, 1966, p. 58
(26) Hajj Said said Bello was apprenticed to a craft, by means of which he became independent of the bayt-al-mal : see Tazkirat al-nisyan, published in 1899 by Hoodas and Benoist, p. 197
(27) Omar, Ibid.
(28) Barth, H Travels and discoveries in North and central Africa, vol 2, p. 129.
(29) Clapperton, H. Journal of a second expedition, p 222
(30) Ibid p 221, and Abubakar, Ibid., p 131
(31) Laird, M and Oldfield, R.A K., Narrative of an Expedition into the Interior of Africa, Vol 2, p 88
(32) Last, «Social policy», p 59

20) نفسه القاسم بن معن بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود فقيه ومحدث ولي قضاء الكوفة توفي 177 هـ 791 م، معجم المؤلفين، معمر رضى كحاله، دمشق، 1959 حـ ، 8 ، 126
21) لم اعثر عليه
22) ساقط من ب
23) ب روايا
24) احياء 2 ، 58
25) عبد الله بن عمرو بن محمد الاوزاعي فقيه محدث، ولد ببغداد سنة157/88 وتوفي ببيروت سنة 774/707 لـه السنن فـي الفقه ومسائل في الفقه، معجم 5 ، 163
26) احياء حرمة
27) ب ابو عمر
28) تحياء 2 ، 58
29) عبد الجبار بن عبد الله الداراني، مؤرخ توفي 975/365 له كتاب تاريخ داران معجم ، 5 ،81
30) زيادة من احياء
31) زيادة من احياء
32) زيادة من احياء
33) * ليس باحياء
34) احياء 2 ، 56
35) احياء تصف
36) احياء يقوت لك
37) احياء 2 ، 58
38) سفيان بن سعد بن مسروق الثوري فقيه محدث توفي بالبصرة سنة 778/161 له الجامع الكبير والجامع الصغير معجم 4، 234
39) ب الحاجات لم اعثر عليه
40) زيادة من احياء
41) ب واحياء خصال
42) «ه» ساقط من 10 احياء 57,2
43) * ساقط من ب
44) ب درهما
45) أ اصطناعيه
46) ساقط من أ
47) ساقط من ب
48) أ قرينة
49) لم اعثر عليه
50) *ساقط ابن ماجه

(1) Al-Baqra, V. 198
(2) Al-Muzzamil, V. 20
(3) Al-Jumu'a, V 10
(4) Al-Baqra, V 267
(5) Abu Hamid Muhammad b Muhammad al-Ghazalı, Ihya 'ulum al-din, Cairo. 1927, vol 2, p 57
(6) Ibid
(7) Ibid
(8) Ibid
(9) Al-Qasim b Ma'an b 'Abd al-Rahman b 'Abd Allah b Mas'ud was a jurist and traditionnist and one time a judge of Kufa, d 177/791 Kahhala, U R Mu'jam al-mu'allifin, Damascus, 1959 vol 8 p 126
(10) Al-Ghazalı, Ihya, vol 2, p 57.
(11) Not traced
(12) Not identified
(13) Ibid, p 58
(14) 'Abd Allah b 'Umar b Muhammad al-Aqza'ı was born in Baghdad in 88/707 and was a jurist and traditionist and the author of Al-Sunan fı al-fiqh and Masa'il fı al-fiqh He died in Beirut in 157/774 Kahhala Mu'jam vol 5, p 163
(15) Al-Ghazalı, Ihya', vol 2, p 58
(16) 'Abd aléJabbar b 'Abd Allah al-Daranı was a historian and author of Tarikh Daran He died in 375/975 Kahhala, Ibid , p 81
(17) Not traced
(18) Al-Ghazalı, Ibid , p 56
(19) Ibid , p 58
(20) Sufyan n Sa'ad b Al-Masruq al-Thawrı was a jurist and traditionist and author of Jamı' saghır and Jamı' al-Kabır He died in Basra in 161/778 Kahhala, Mu'jam, vol 4, p 234
(21) Not yet traced
(22) Luqman was a legendary figure who had become, long before the advent of Islam, a focal point of innumerable legends stories and parables expressive of wisdom and spiritual maturity and the Qur'an uses him in Sura 31 as its uses the equally mythical figure of al-khidr in Sura 18 in its admonitions Asad, M The Message of the Qur'an, London, 1980, p 627 Gibb & Kramers, Shorter Encyclopaedia of Islam London 1974 p 289
(23) Al-Ghazalı, Ibid , p 57
(24) Not traced
(25) Not yet identified
(26) Not traced
(27) Ahmad b HanbAl, Al-Musnad Cairo 1880, vol 2, p 371
(28) Ibn Majah, al-Sunan, Cairo, 1953 vol 2 p 723
(29) Ibn Hanbal Ibid , p 361
(30) Zakiyy al-Dın b 'Abd al-'Azım b al-Mundharı, Al-Targhıb wa al-Tarhıb, Cairo vol 2 p 370
(32) Not traced
(33) Al-A'raf, V 32
(34) Ibn Hanbal Ibid , Vol 4 p 197

(51) أ الا ترى الى
(52) مسند ابن حنبل بزيادة عز وجل
(53) في الاصلين يلقاه به عبد وما اثبتناه من مسند ابن حنبل
(54) ليس بمسند
(55) ليس بمسند
(56) احمد بن حنبل مسند، 4 392
(57) . * ساقط من ب
(58) ابن ماجه ، السنن القاهرة 1953 ، ج 2، 729
(59) ساقط من ب
(60) في الاصلين وكالذي
(61) ابن حنبل، مسند، 2، 361
(62) في الترغيب الرحم
(63) زكي الدين بن عبد العظيم بن المنذري، **الترغيب والترهيب**، 2، 370
(64) في الاصلين يتعدى
(65) ما عثرت عليه
(66) ما عثرت عليه
(67) في الاصلين كسب
(68) أ بالنعم
(69) سورة الاعراف 32
ب ما رزقناكم
(70) مسند للمرء
(71) مسند ابن حنبل، 4 197
(72) ب الاستقناء
(73) ب هو
(74) * ساقط من ب

THE LOCATION OF AUTHORITY AND THE SCOPE OF LEGISLATION IN AN ISLAMIC STATE

Mahmood A. GHAZI(*)

Perhaps the most important problem which has been the focus of attention by the political scientists and jurists down the ages is the location of authority in the state and its scope in the field of law-making. Since the days of Plato and Aristotle to the present age of Salmond and Ivor Jennings, the jurists and political theorists of the Western World have been trying to find out rational, workable and fool-proof answers to the questions emanating from this basic issue. As soon as we reasonably decide the issue as to where the authority resides we are able to solve many a question which seems to be unsolved for long. The various theories about the origin of the state, sovereignty, law and liberty, controversies about laissez-faire theory, forms of government and many other similar problems revolve around this one basic issue : the location of authority and the scope of its exercise.

Contemporary and recent writers on Muslim political thought who have written on the problems relating to state and politics in Islam have mostly tried to see the issues from a western stand-point and to understand them either in purely or partly Western frames of reference. This had resulted in adding to the confusion ; terms have been and are being misinterpreted and Islamic history is being clothed with the unnatural and unsuited Western garments. For example, «Hukum» is being interpreted as sovereignty in the Western sense, «Shura» is being taken as a prototype of the parliament of a Westminster brand and the legal and constitutional history of the Umayyad and the Abbassid period is being interpreted in the light of the British legal and constitutional conflicts.

(*) Associate Professor and Editor of «Al-Dirasat al-Islamiyyah. Islamic Research Institut, Islamic University, Islamabad, Pakistan

The problem needs to be dealt with a fresh. Islamic concepts and institutions should be understood only in an Islamic framework and the legal and constitutional history of the Muslims should be studied in the light of what the Muslim legal jenius has produced during past fourteen hundred years. In this paper an effort has been made to analyse the issues, to understand them in a true Islamic perspective and to develop a consistent theoretical framework in the light of the Qur'an, the Sunnah and the writing's of our classical and authentic jurists.

Status of Man in Islam

According to the Holy Quran and the teachings of the Holy Prophet, man's position in the universe is only next to the Creator. There are a number of verses in the Qur'an and Ahadith which show that prior to the creation of the universe there existed only Allah. Then He wished to be known and to demonstrate His divine Attributes. A well-known Hadith conveys this essence كنت أحببت أن أعرف فخلقت الخلق. I wished to be known;therefore, I created the creatures. Another Hadith goes: كان الله ولم يكن معه شيء There was only Allah and nothing else was with Him. Therefore, He planned to create the universe for this purpose so that His unity can be manifested in the diversity of His creatures. First of all He created water and from water He created all the living things. (Qur'an 11:7, 21:30). At last, He expressed His desire to create a Vicegerent of Himself who would be entrusted to carry on the heavy task of representing his Creator in all His Attributes and to execute His commandments on earth (Qur'an 2:30-39, 67:1-2) By appointing man on this dignified position God wanted to test and show which one of us is best in deed. Earlier He had offered this office of vicegerency to Heavens, Earth and the mountains but they declined to accept the offer on account of their being afraid of inability and inefficiency to accomplish this heavy and significant task (Qur'an , 33 :72 - 73) Thus , after making all necessary preliminary and environmental arrangments for the appearance of man , the would-be vicegerent of Allah on the golbe , He created the first human individual whom He names Adam. Here the question of the evolution or the sudden birth of Adam is totally irrelevant. The Qur'an; without indulging in this question, emphasizes that the first human individual appeared on the stage of history was fully acquainted with his future mission in his wordly life, endowed with all mentla, physical and psychological faculties and was fully aware of the basic and primary requisites of human culture and civilisa-

tion. Essentials of passing a good life were also taught to him and the fundamentals of natural-universal ethics and morality were also made known to him.

It is clear from this discussion that the position Islam gives to man is but next to the Creator. Man is the axis of all the existing things. Since he has to achieve the ultimate goal of the assimilation of divine attributes, he has been created of the goodliest of fabric and in the best of moulds (Qur'an 94:4). He has been given power to shape and direct the natural forces arround him and to mould them to his own ends and purposes. The Qur'an repeatedly refers to «taskhir» and tells us that all the earth and the heavens with their resources have been put at the disposal of man who is free to utilize them for his sublime objectives. «Taskhir» is a life-being mission of the mankind. «In this process of progressive change God becomes a co-worker with him, provided man takes the initiative». Man also has been «endowed with the faculty of naming things, that is to say, forming concepts of them and forming concepts of them is capturing them» (Iqbal : Reconstruction). In a nutshell, God created in man all His qualities and attributes on a limited scale and in a suitable 'quantity' ; created his body with His own hands; breathed into Him His own spirit : taught him the names (and, thus, nature) of all things ; made the heavens, the earth, the planets and all natural forces subject to and of service to man. He even commanded the Angels to prostrate before man in order to demonstrate the superiority of mankind over the Angels and to let them know that man's very appointment to the office of vicegerency demands the entire universe to be ready to provide all the environmental facilities to man for the execution of his duties and responsabilities as the vicegerent of God. Thus, the Qur'an describes man's position between two extremities. Man should neither be so dignified as to amount to deification nor be so degraded as to levelling him with animals, trees and such other things.

meaning of Hukm and mulk

According to the Holy Qur'an, Hukm (authority to rule, authority to decide and judge i.e. sovereignty) and mulk (Kingdom, rulership or kingship) are the property of Allah alone and none else is associated with Him in these Divine Attributes. This is clearly, repeatedly and unequivocally laid down in so many verses of the Qur'an. (See for example : 6:57, 6:62, 12:40, 12:67,

28:70, 28:78, 3:189, 5:17-18, 17:111, 25:2, 35:13, 67:1).Side by side,with these verses there is another category of verses which show that Allah bestows this Hukm and Mulk to his Messengers because the Messengers of Allah are the only divine represen-taitve unto mankind who have the sole authority of expressing the divine will in their sayings and demonstrating it through their deeds and actions. (See for example 5:42, 4:105, 39:46, 24:48, 24:51, 6:89, 19:12, 12:22, 21:74, 21:79, 26:21, 26:83, 28:14, for Mulk awarded to Messengers : 2:251, 12:101). Therefore, the authority exercised by the Prophet is, in fact, the authority of Allah (Qur'an 4:80). The well-known commentator, Allamah Mahmud Alusi had also reached the same conclusion. He says «*the rule of the Holy Prophet is, in fact, the rule of Allah*» (Ruh-al Ma'ani, Vol. II, p. 176). There is a third category of verses which show the Muslim Ummah raised by His Messengers. The Qur'an refers to the Muslim Ummah raised by Hazrat Ibrahim and was awarded a Great Mulk by the Almighty (4:54). It refere to the Hukm given to Bani Israil alongwith the Book (45:16).

A comparative study of the verses referred to above leads but to one conclusion : to put the Islamic ideals into practice and to employ the corporal and spiritual faculties granted to man for his purpose, God bestows upon His Prophet His special sanc-tion and authority to rule for being used within the limits pres-cribed by Him. We have seen how the Qur'an frequently refers to the Hukm (authority) granted from time to time to the Messen-gers of Allah ; when a messenger passes away that Hukm (God's spcial authority to rule) is automatically delegated to his follo-wers, the community of the believers or the Ummah as a whole ; the Ummah, thus, becomes the trustee of the divine authority which it receives by virtue of its being the Ummah. Accordingly when the last Messenger of Allah, the Holy Prophet Muhammad (peace be upon him) passed away, the Muslim Ummah automa-tically inherited the divine authority initially delegated to theHoly Prophet ; the prominent leaders of the Ummah hastened to elect someone from amongst them who should be the symbol of this collective authority because the whole Ummah can neither di-rectly use this authority nor can meet all its implications. So it is necessary that a leader of the Ummah be chosen who should act as successor of the Holy Prophet in all those matters in which the actual successor of the Holy Prophet - the Ummah-cannot discharge its responsibilities. This elected leader is com-monly called as Caliph (Khalifah) - the symbol of the practical vicegerency of the Ummah and the chief executor of the collec-

tive divine authority. His position is, thus, that of a representative of the actual and original caliphs - the members of the Ummah ; he is, therefore, a trustee of the authority who discharges his responsibilities on behalf of those who have entrusted him with that authority. This is why he is responsible not only to Allah but also to the community and the citizens of the Islamic state. It is interesting here to note that the First Caliph, Abu Bakr, declined to accept the title of Khalifat Allah presumably because every individual Muslim is equally holder of the position of Khalifat Allah. Abu Bakr, on the other hand, adopted the title of Khalifat Rasul-Allah. Later Caliphs, especially Ottomans used the title Khalifat al-Muslimin. This is also supported by the fact that the word Khalifah in singular term has been used in the Qur'an only for the Messengers of Allah (2:30, 38:26). In plural terms, it has invariably been used for different Muslim communities (For example, 6:165, 7:69, 7:74). Perhaps it was on this ground that Abu Hayyan Al-Tawhidi wrote : والانبياء هم خلفاء الله في أرضه «The Prophets are alone Allah's representatives on His earth. (Cf. Hamid al-Ansari Ghazi, «Islam ka Nizam-e-Hukumat», p. 125). The idea has been kept in view by other political thinkers also while formulating the definitions of the Khalifah. I reproduce here two such definitions. According to Shah Waliy Allah, Khilafah is «the general authority exercized on behalf of the Holy Prophet for the establishment of the Din through the revival of religious sciences, establishment of the pillars of Islam, carrying out the Jihad and what pertains to it of organizing the armies and paying the salaries to the soldiers and allocating the funds to them, administration of justice implementation of Hudud (i.e. Islamic capital punishments), elimination of injustices, enjoining the Good and forbidding the Evil» (Isalah al-Khilafa, Vol. I, p.1). The second definition is put forth by a comparatively later and recent authority. But it is based on classical definitions. It is this : It (the Khilafah) is the state-authority exercised on behalf of the Holy Prophet in matters relating to both spiritual and corporal life ; in this respect the Caliph has the same position among the Ummah as the Holy Prophet had among the believers. The Caliph has a general guardianship over the believers and he should receive complete obedience from them. In return, his duty is to look after all their matters, the enforcement of Islamic laws and to deal with all their this-wordly matters. He alone possesses the reins of the Ummah. Every local or sub-authority or guardianship is derived from him ; every religious or non-religious programme derives validity from his office. Thus, he is both mundane and spiritual ruler of the Ummah

(Dr. Hasan Ibrahim Hasan, Al-Nuzum al-Islamiyyah, p. 20).

Position of the Ummah

A thorough study of the relevant Quranic verses and the Ahadith makes it absolutely clear that Ummah has the sole right to hire and fire its rulers. The leaders of the Ummah should be those in whom the members of the Ummah have confidence and trust. This is the cardinal principle which underlies all the discussions made by Muslim jurists and thinkers on this issues. To quote a few relevant Ahadith: لعن الله امام قوم وهم له كارهون
(1) Allah curses that leader of a people who dislike him.

خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتقبلون عليهم وشرار ائمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم (مسلم عن عوف بن مالك).

(II) The best of your leaders are those whom you love and who love you ; who pray for you and you pray for them. And your worst leaders are those whom you hate and who hate you and whom you curse and who curse you.

The importance of this mutual confidence, love and trust has been highlighted by the classical Muslim thinkers as well. We quote some of them here; Allama Sa''ad Al-Din Taftazani (d. 729 A.H. 1389 A.D.) says :

ومن صفاتهم الضرورية بحيث يتبعهم سائر الناس
(شرح المقاصد، مجلد ٢، ص ٢٧٢).

«Among their (their leadrs') necessary qualifications is that they should have such a position that the entire people follow them.

Shah Wali Allah (d. 1176 A.H./1762 A.D.) says :

المهم في الخلافة رضا الناس وإجتماعهم عليه وتوقيرهم اياه وان يقيم الحدود ويناضل دون الملة وينفذ الاحكام (حجة الله البالغ، ج٢، ص١١١)

«The most important consideration in the matter of the Khilafah is the pleasure of the masses with the person concerned, their unity under him, their respect for him and that he enforces the Hudud, defends the Millah and implements the commandments.

Now comes the problem as to how this mutual confidence and trust is expressed and ascertained. Different methods were used at the elections of the four rightly - guided caliphs. The details of these elections are too well-known. They need not be

narrated here. But this much is clear that the confidence of the Ummah in the persons concerned was somehow ascertained. The silence of the Qur'an and the Sunnah over this important issue and the use of different methods by the Rashidun clearly means that the issue belongs to the province where the Ummah has been left free to decide what it deems fit in the light of human reason and experience, according to 'Urf and Maslahah and within the limits prescribed by the Shari'ah.

This may be pointed out here that 'Urf, Maslahah and popular practice of a people are as much the valid sources of Islamic law as are the other secondary sources like Qiyas, Istihsan and Istidlal etc ; Muslim jurists have discussed these sources at length and established their validity in the absence of any Nass or Ijma'. 'Urf has been defined as :

عادة جمهور قوم في قول أو عمل.

«The general practice of a people in saying or in deed». Muslim jurists have also based a number of legal maxims on 'urf. To quote a few : ١) الثابت بالعرف كالثابت بالنص.
«What is established by 'urf is like what is established by Nass»
٢) استعمال الناس حجة يجب العمل بها (المجلد. مادة ٣٧).
«The popular practice is a legal proof which must be acted upon »
٣) التعيين بالعرف كالتعيين بالنص · المجلة مادة ٤٥).
«To determine by 'Urf is like determining by Nass». So also Maslahah. It has been considered one of the secondary sources of Islamic law. It has been defined as under

هى كل مصلحة لم يرد في الشرع نص على اعتبارها لعينها آو نوعها · الفقه الاسلامى
في ثوبه الجديد مصطفى الزرقاء)

«It is every good, expediency and exigency about which no clear commandment occured in the Shari'ah specifically or generally». Every thing which safeguards the five basic needs of human life without violating any provision of the Shari'ah is Maslahah. These five basic needs are (1) Religion, (2) Soul, (3) Intellect, (4) Progeny, (5) Wealth or Property. The Uli 'l Amr have a wide scope of authority to take necessary steps and to lay down rules and by laws for the safeguard of these five needs. In fact, the majority of a government's decisions belongs to this category. Provisions relating to the betterment of general administration, construction of roads, the rules of traffic and such other things belong to the province of Masalih-i-Mursalah. The problem of developing a viable system for the expression of the popular will in the matters of national interests also belongs to the categories of 'urf and Maslahah. As the government of the

day are authorized to advise rules for the better and equitable functioning of all other terms of contract within the limits of the Shari'ah, they should also have power to devise fool-proof methods for this contract also, of course, in consultation with the trusted representatives of the Ummah and keeping in view the cardinal principles of the Shari'ah in this regard. For a fuller discussion on Maslahah see :

١) الفقه الاسلامي في ثوبه الجديد مصطفى احمد الزرقاء
٢) الموافقات في أصول الشريعة· ابو اسحاق الشاطبي
٣) المصلحة في الفقه الاسلامي· حسين حامد حسان

After it has been established that the problem of ascertaining the will and confidence of the Ummah has been left to the Ummah itself, it seems appropriate that the nature of the relationship between the Ummah and the Uli'l Amr may also be highlighted in the light of the discussions of our classical jurists and political thinkers. The relationship between the Ummah and the Imam is that of a contract. The well-known Hanafi jurist of seventh century of Hijrah, Allama Kasani, likened it with the contract of agency. The Ummah is the principal (Muwakkil) and the Imam is the agent (Wakil). The Muwakkil can revoke the contract of agency whenever he so likes. Likewise, the Ummah may also revoke the agency and dismiss the Uli'l Amr whenever it so desires. The Imam and other state functionaries shall hold office only during the pleasure of the Ummah. Discussing the legal implications of this nature of the contract of Imam, Kasani writes :

كل ما يُخرج به الوكيل عن الوكالة يُخرج به القاضى عن القضاء، لا يختلفان الا في شيء واحد، وهو أن الموكل اذا مات او خلع ينعزل الوكيل، والخليفة اذا مات أو خلع لا ينعزل قضاته وولاته، ووجه الفرق أن الوكيل يعمل بولاية الموكل وفى خالص حقه. وقد بطلت أهلية الولاية، فينعزل الوكيل. والقاضي لا يعمل بولاية الخليفة وفي حقه، بل بولاية المسلمين وفى حقوقهم، وانما الخليفة بمنزلة الرسول عنهم... واذا كان رسولا كان فعله بمنزلة فعل عامة المسلمين، وولايتهم بعد موت الخليفة باقية، فيبقى القاضي على ولايته (بدائع الصنائع ج٧، ص١٦)

«Whatever relieves the agent from the agency also relieves the Qadi from his office ; there is no difference between the two save only in one aspect. That is this : when a Muwakkil (principal) dies or is dismissed (from the position of a Muwakkil),

the Wakil (agent) is automatically ceases to be a Wakil. But at the death of the Khalifah, the judges and other state functionaries do not cease to hold their offices. The point of difference between the two is this : a Wakil (agent) works under the authority of the Muwakkil in the execution of the personal rights of the Muwakkil ; his death or dismissal puts an end to his legal compentence and as a result the Wakil appointed by him ceases to be wakil. On the other hand the Qadi does not work under the authority of the Khalifah in his personal rights ; the Qadi works under the authority of the Muslims for the execution of their rights. The Khalifah (while appointing the Qadi) is only the messenger or agent of the Muslims. Since he is their messenger his actions are but the actions of the Muslim people whose authority continues even after the death of the Khalifah. That is why the Qadi remains in exercise of that authority».

والامام في جميع ما يتولاه وكيل عن الامة ونائب عنها، وهي من ورائه في تسديده وتقويمه واذكاره وتنبيهه وأخذ الحق منه اذا وجب عليه وخلعه والاستبدال به متى اقترف ما يوجب خلعه (التمهيد القاهرة، ١٩٤٧م.ص١٨٤).

An earlier jurist, Qadi Abu Bakr Al-Baqillani (d. 403 A.H.) is much more clear on this point. He writes :

«All authority exercised by the Imam is exercised as an Agent of the Ummah and as its Representative. The Ummah is always behind the Imam to correct him, to keep him right, to remind him, to warn and admonish him, to take the right from him when it becomes due on him and to dismiss him and replace him when he commits an act which necessitates his dismissal».

Other thinkers like Taftazani, Iji, and Imam Razi have also held similar views. They consider the Ummah to be holder of the Al-Riyasat-al-Ummah or the general authority (or limited sovereignty). (See Sharh al-Maqasid, vol. II, p. 272, Sharh al-Mawaqif, vol. viii, p. 355).

Some view has been taken by the well-known commentator of the Qur'an, Allamah Qurtubi. In his celebrated commentary of the Qur'an «Al-Jami li Ahkam al-Qur'an», he writes :

فان الامام هو وكيل الامة ونائب عنها، ولما اتفق على ان الوكيل والحاكم وجميع من ناب عن غيره فى شيء له أن يعزل نفسه كذلك الامام يجب أن يكون مثله (الجامع لاحكام القرآن. القاهرة ١٩٣٥، ج١، ص ٢٧٢).

(...Because the Imam is an agent and representative of the Ummah. Since all the agents, rulers and all those who are working on behalf of some other person can resign that job, so also the Imam should be entitled (to resign). Another Authority, Abd Al-Qahir al-Baghdadi in his «Usul al-Din» has supported this view by saying that the mode of establishing the institution of the Imāmah is the election by the Ummah through the people having competence for Ijtihad. According to Baghdadi, this is the opinion of the overwhelming majority of the Sunnis, the Mu'tazilah and the Khawarij. (See his «Usul Al-Din, p. 279). Recent thinkers like 'Abd al - Wahhab Khallaf (Al - Siyasat al - Shar'iyyah, pp. 57 - 58) . Shaikh Mahmud Shaltut, a former Rector of al - Azhar (Taw - jihat al - Islam, pp. 563 - 564). Maulana Maududi and many others have held similar views.

I have so far tried to establish that the members of the Ummah are the holders of the divine vicegerency, have the authority to exercise Hukm and Mulk for the realization of the Islamic ideals and are empowered to create an agency which should undertake the collective responsibilities of the Ummah. The Ummah is, therefore, principal and the rulers are but its agents. Their mutual relationship should be governed by the law of the contract of agency. As the principal is always authorized to check and superinted the work of his agent, the Ummah should also be and naturally is authorized to check and superinted the work of its rulers. As long as the agent is right the principal should help and cooperate with him ; in case the agent is not right the principal should correct him. This position was clarified by Hazrat Abu Bakr Siddiq in his policy statement issued by him soon after his election as the Khalifah. In his own words :

إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني

«If I do well then cooperate with me and if I diviate then put me right» (Ibn Sa'ad, «Tabaqat», vol. III, p. 183). The same principal was reiterated by the second Khalifah, Hazrat Umar Faruq when he said : من رءاني منكم في أعوجاجا فليقومه

«If some of you feels any deviation in me he should correct it and put it right». Upon this a gentleman (Hazrat Abu Dhar) stood up and said : «By God, if we would have seen any deviation in you we would certainly have corrected it by sword». Hearing this remark, Hazrat Umar said «Thanks are to Almighty Allah who has raised in the Ummah of the Holy Prophet such people who would correct the deviation of 'Umar with their swords».

There are a number of Ahadith also which clearly lay down that it is the duty of each and every member of the Ummah to remain constantly watchful towards the deeds and actions of their rulers who are, in fact and in effect, agents of the Ummah. To quote a few of such Ahadith :

١) الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال لله، ولكتابه، ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم

«The (essence of the) Din is well-wishing : we (the companions) asked : For whom ? He (P.B.U.H.) said : to Allah to His Book, to His Messenger, to the leaders and rulers of the Muslims and their common folk.

٢) والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم (ابو داؤد)

«By Allah ! You must command the Good (Ma'ruf), you must forbid the Evil (Munkar) and you must prevent the transgressor.

٣) من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فأن لم يستطع فبلسانه، وأن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الايمان.

«Whosoever amongst you sees some evil (being commited) he should correct it by (the force of) his hand : if he is unable to do that, then by his tongue (i.e. persuation and censure) ; if he is unable to do even that, then (he should condemn it) by his heart and conscience and that will be the weakest degree of one's Faith and Belief.

٤) ان من اعظم الجهاد كلمة حق/عدل عند سلطان جائر (رواه الترمذي عن ابى سعيد الخدري)

«The greatest jihad is the (pronouncement of a) just/right saying in the presence of tyrant ruler.

٥) ان الناس اذا راؤا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك ان يعمهم الله بعقاب منه (عن ابي بكر الصديق. الترمذي، كتاب الفتن. ابو داؤد. كتاب الملاحم)

(Hazrat Abu Bakr reports that the Holy Prophet said When the people see a tyrant and transgressor (committing tyranny and transgression) and do not prevent him from doing it, it is most probable that Allah may extend His wrath and chastisment unto all of them. These Ahadith are also supported by the Quranic verses which generally prevent the Muslims from obeying the wrong-doers and mischief-mongers. (See Qur'an : 18:28, 60:

8-10, 26:151) It is perhaps in view of these injunction of the Qur'an and the Sunnah that some Muslim jurists have went to the extent that they are of the view that if a ruler openly deviates from the path of justice, the leaders and prominent men of the Ummah (The Ahl-al Hall wal 'aqd) should come out against him with swords and weapons. For example, «Sharh al-Maqasid» has quoted the views of Imam Al-Haramain 'Abdul Malik Al-Juwaini, the celebrated teacher of Imam Ghazali, in these words :

إن الامام اذا جار وظهر ظلمه وفشى.. فلاهل الحل والعقد التواطئو على ردعه،
ولو بشهر السلاح ونصب الحروب (شرح المقاصد، ج٢، ص٢٧٢)

(When the ruler becomes tyrant and his tyranny and fraud becomes open and conspicuous... The Ahl-al Hall wal 'aqd may unite to deter and prevent him from that even if armed processions and use of force is restored to.

Now we should see in which cases the agents of the Ummah (i.e. the men-in-authority) are authorized to curtail or curb these rights and freedoms. This question gives rise to certain other questions which should be answered to reach the right conclusion : what is the scope of legislation in an Islamic State ? What are the prerogatives of the rulers in this regard ? What is the machinery to guarantee the safeguard of the interest of the Ummah vis-à-vis the tyrants and the transgressors ? What is the procedure to resolve the differences of opinion between the Ummah and the Uli'l Amr ? I propose to take up these questions for answer one by one.

Nauture of legislation in Islam

Legislation in its present sense is something new to the Islamic legal tradition. If legislation means «laying down of legal rules by a sovereign or subordinate legislator» as Salmond has put it, then in that sense there has been no legislation in Islam before the Majallah of the Ottomans and that too was not a piece of legislation in the sense that it laid down some new rules of law. What the Majallah did was not more than the rephrasing of the already existing legal rules and ordering them into the form of sections and articles. No doubt, there has always been a vast development and expansion in Islamic law throughout the ages but this expansion was never the result of any legislative exercise in the modern sense. The nature of development and ex-

pansion in Islam law is essentially different from the development and expansion of Anglo-saxon or, for that matter, any other contemporary legal and juridical system. Islamic law is basically a divine system based on the guidance contained in the Qur'an and the Sunnah... the two basic and original sources for all guidance. The principles laid down in the Qur'an and the Sunnah are, in fact, guiding signs and limits within which we have to work out practical details and solution for any given problem. The development of law after the Holy Prophet gave rise to principles of Ijtihad, a principle which was approved by the Holy Prophet himself towards the close of his life career, Ijma', a principle discovered by the companions of the Prophet himself, Qiyas, Istihsan, Istislah, etc. Principles later developed by our classical jurists. But the point which becomes crystal clear even by a cursory glance over the history of Islamic law that its entire development and expansion took place at the hands of non-official individual, and sometimes collective, efforts. Before the Majallah there is no example in the whole legal history of Islam that a rule of law was ever laid down by a sovereign, a ruler or state official or by a person or persons appointed by a ruler or even elected by the people for that purpose. The entire exercise of law-making has taken place at purely private level without the slightest intervention by the state or the masses. The interpretation of the Qur'an and the Sunnah and the discovery of new rules of law in response to new situations and requirements was the job of the scholars, teachers, academicians and the jurists while the application of that store of legal rules to day-to-day problems was the province of the judiciary and its allied agencies such as Ifta' and Hisbah, etc. Whenever a new situation arose the scholars and the jurists of the Ummah addressed themselves to the task and discovered the rule of law in regard to that situation applying the principles of Ijtihad, Qiyas, Istihsan and Istislah and giving arguments in favour and in defence of their conclusions. Now it was upto the judge to accept the most sound and most rational of all such conclusions and to apply that conclusion to the question in issue. In some cases, especially in the early days of Islam, where the judge was himself a recognized, established and trustworthy scholar of the divine law he also participated in that process of law-making. Thus the law continued to develop and expand without the slightest interference or pressure from the rulers. It was an open workshop in which every one possessing the required qualification could freely partake and advance his arguments which, if sound and based on original sources, were accepted both on popular and judicial le-

vels. It was in this very manner that our legal schools came into existence. It is not a mere coincidence that all the four founders of our legal schools were privite individuals enjoying no official position or authority. Some of the jurists whose legal opinions are still followed by large number of Muslims and applied - though on a limited scale - by some ot our contemporary courts were even persecuted by their contemporary rulers. In this respect the examples of Imam Ahmad Ibn Hanbal and Imam Zaid Ibn 'Ali can be cited ; these two celebrities were personae non gratae in the eyes of the rulers of their respective times and were persecuted for one reason or the other ; yet the legal rules framed by them had their value not only in their life-time but also after their death. This tradition in the development of Islamic law which originated during the early days of Khulafa-i-Rashidin continued for about twelve hundred and eighty-five years. All the golden development of the law which is undoubtedly the richest treasury of legal thought ever produced by any people or civilization took place according to this tradition, i.e. with purely private and non-official efforts without any interference or pressure from the governments. Some rulers did try to influence the development of law for one reason or the other but the Muslim jurists never allowed such influence to be effective. Here the example of Harun al-Rashid can be given who tried to persuade Imam Malik to let the government adopt his Muwatta as the guide book for the courts. But it goes to the unrivalled credit of the great Imam that he preferred the freedom and supremacy of law to his personal acclaim and recognition. He refused to agree to the idea and saved the right of the 'Ulema and scholars to exercise Ijtihad freely and independently according to their sincere and genuine understanding of the Qur'an and the Sunnah and the strength and soundness of their arguments without being influenced by any other force except their own conscience and fear of God. The first departure from this tradition took place in 1287 A.H. 1869 A.D. when the Ottoman sultan promulgated the first-ever codified piece of law in the history of Islam, i.e. the first chapter of the Majallah. Although this was a departure from the tradition only in form and appearance and not in essence and reality yet it paved the way for a real departure which the Muslims first tolerated and then fully accepted under the influence of the western legal traditions. What I have said in this paragraph is not a mere interpretation of historical events. It is the factual position which is supported by the Quranic verses, the Ahadith and the opinions of the Sahabah and other jurists. Even a cursory glance over the relevant textes of the Qur'an,

Sunnah and Fiqh would show that Ijtihad is the function of scholars and jurists who possess an inherent right to exercise Ijtihad in matters not covered by the Qur'an, the Sunnah or the consensus of the Ummah. It has never been considered to be the job of a ruler or the member of a body or the holder of an office his capacity as a ruler, or a member of any body or organization or the holder of that particular office. Even the membership of any academic body was never considered to be a prerequisite for Ijtihad. If a mujtahid at a particular time happened to be the holder of an office his right to exercise Ijtihad was never recognized to be on the basis of that office but on the basis of his scholarship knowledge and piety. Such Mujtahid-s, such as the members of Shura of Khulafa-i-Rashidin, were Mujtahid-s before entering upon their respective offices and remained Mujtahid-s even when they ceased to hold office and would have been Mujtahid-s even if they did not hold any office at all. It may be pointed out here that in the well-known and oft-quoted tradition of Mu'adh Ibn Jabal, the Holy Prophet approved the exercise of Ijtihad by Mu'adh not as a member of some Shura or legislature but as a scholar, jurist and a judge.

Authority of the ruler in the field of legislation

Now we come to the role of the rulers in the process of legislation and the scope of Uli'l Amr's authority in issuing administrative orders. As far as legislation in the sense of law-making proper employing the modes of Qiyas and Ijtihad is concerned, it is purely the jurisdiction of the competent scholars and the qualified jurists and judges. However, in case there is a valid and genuine difference of opinion among the jurists based on sound arguments, the executive authority may, in view of the expediency and public weal, order the courts to follow one of the such conflict in views provided it pertains to the province of Ijtihad, Masalih-i-Mursalah, Istihsan, etc. In that case the opinion preferred by the executive authority will be the law of the land and will hold the field while the remaining views will carry only an academic value. This has been an accepted rule of Islamic rule. For example, the compilers of the Majallah have put it in these words :

فأذا امر امام المسلمين بتخصيص العمل بقول في المسائل المُجتهد فيها تعين
ووجب العمل بقوله (مجلة الاحكام العدلية: استانبول، ١٣٠٥ هـ ص٩)

(When the head of the Muslims orders (the courts) to act accor-

ding to one of the views in respect of the problems open to Ijtihad, then that view becomes the only accepted view and it becomes incumbent (upon the courts) to act accordingly). Again, article 1801 of the Majallah provides :

لو صدر الامر السلطاني في العمل برأي مجتهد في مسألة لان رأيه بالناس أوفق فليس للحاكم ان يعمل برأي مجتهد آخر يخالف رأي المجتهد واذا عمل لا يُنفذ حكمه.

(If an order is issued by the head of the state to act according to one particular view in respect of a problem which is open for Ijtihad in view of the suitability of that view to (the needs of the) people and its closeness to the requirements of the age, then the judge is no more authorized to act according to some other view based on the opinion of a Mujtahid other than Mujtahid (whose view has been preferred by the head of the state) and if the judge adopts that over view his judjment shall not be enforced). In case the head of the state does not exercise this authority, it can be exercised by the judiciary. Therefore, if a competent court (in the context of Pakistan, superior courts) decides a case according to the view of a jurist in matters relating to the province of Ijtihad, then that view will be the law of the land and all other views will only be personal views of the individual scholars. Pointing out to this priciple, Maulana Anwar Shah Kashmiri says:

واعلم ان الائمة اذا اختلفوا في مسألة فلا سبيل لرفعه الا قضاء القاضي فهذا باب الشريعة لرفع الخلاف من البين وكان لابد منه، فاذا قضى به قاض من اي مذهب كان لزم على الآخر، وارتفع الخلاف في ذلك الجزئي وصار مجمعا عليه(فيض الباري)

«Remember that when the doctors of law disagree on some issue, this disagreement can only be removed through the judgement of a court. This is the way provided in the Shari'ah to remove the mutual disagreement which is unaviodable. Therefore if a qadi, of whatever school he may be, decides the case according to one of the views his decision will be binding on all ; the disagreement will, thus, be removed and that particular view will be considered an agreed view».

This was the nature of 'legislation' in Islamic Law which we can call «supreme legislation » if we are to adopt Salmond's terminology. But this so-called «supreme legislation» will remain within the limits and bounds of the Shari'ah. The administrative orders of the rulers can be likened, to maintain Salmond's ter-

minology, with what he calls «subordinate legislation» which is bound by two-fold circles, i.e. the Nusus of the Shari'ah and the guided «supreme legislation».

Scope of legislation

As far as these administrative orders of the Government are concerned these are to be within the limits of Siyasat-i-Shari'yyah (i.e. the administrative discretion of the rulers according to the Shari'ah). The scope of this authority of the rulers and the limits imposed on their powers in this regard can be summarized under four categories.

(i)Rulers in Shura (because Shura is the Co-sharer of the rulers in discharging this responsibility) can give suitable orders to give legal effect to the commandments and injunctions of the Qur'an and the Sunnah. It has already been pointed out that the implementation of Shari'ah and the enforcement of Islamic laws is the responsibility of the entire Ummah and the Uli'l Amr are but the agents of the Ummah to perform this duty on behalf of their principals. Shura's position is only that of Co-sharer in that responsibility. This position was explained by Hazrat 'Umar while delivering his inaugural speech in the Shura convened for deciding the matter of the distributing the lands of Sawad. He said :

آني لم ازعجكم الا لان تشركوا في امانتي في ما حملت من اموركم، فانى واحد كاحدكم، ولست اريد آن تتبعوا هذا الذي هواي (كتاب الخراج)

(I have disturbed you only because of the fact that you share with me in the discharging the (responsibility of the) trust which I have been shouldered with in respect of your affairs. I am only just an individual like you ; therefore, I do not want you to follow my desires in this respect). The primary function of Shura, therefore, is not legislative but executive. Here I may also point out that the verses of the Holy Qur'an and the Ahadith which deal with Shura provide for mutual consultation in matters relating to statescraft, administrative business and other problems of the like. Note the word Amr in the verses related to Shura (3:159, 42:38) ; in the Quranic terminology the word Amr is used for political and administrative matters as we have already referred to. This is supported by a number of Ahadith in which light has been thrown on Shura and its functions. Some such Ahadith are quoted here.

١ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح

الحروب، وذلك في الآراء كثير، ولم يكن يشاورهم في الأحكام، لأنها منزلة من عند الله على جميع الاقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام (الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ج١٦ ص ٣٧)

(The Holy Prophet (P.B.U.H.) used to consult his companions in the matters relating to the expediencies of war because most of the problems belong to war policies. He did not use to consult them in matters of law because the laws (Ahkam) have been revealed by Allah with all their categories : obligatory, recommended, disapproved, permissible and the forbidden).

٢. وكانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلّم يستشيرون الامناء من اهل العلم في الامور المباحة ليأخذوا بأسهلها فاذا وضح الكتاب والسنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلّم (البخاري).

(The heads of the State) after the Holy Prophet used to consult the trustworthy scholars in permissible matters to adopt the easiest among them.. But if the (provisions of the) Book and the Sunnah became clear to them they would never adopt anything else, following the footprints of the Holy Prophet, peace be upon him). Perhaps in view of these Ahadith, Ibn Khuwaiz has said :

وواجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح العباد وعمارتها (القرطبي ج٤. ص٢٤٩-٢٥٠).

(It is incumbent upon the rulers to consult the scholars about the matters unknown to them and about the difficult problems of the Din ; to consult the prominent leaders of the army in the matters related to wars ; to consult the prominent leaders of the public in matters of public interest and to consult eminent writers, ministers and government functionaries in matters related to the general policy and welfare of the country). In a nutshell the Imam is authorized to issue administrative orders, in consultation with the Shura, to give legal effect to the commandments and injunctions of the Shari'ah.

(ii) Secondly, Imam-in-Shura can issue suitable orders under the principle of Dhari'ah(ذريعة) with its two aspects:positive and negative, that is to say, Fath al-Dhari'ah and Sadd al-Dari'ah. Before I discuss briefly the role of this principle in the administrative discretion of the rulers, I may point out here that this principle was first discovered by the Maliki jurists and then

it was adopted by Hanbali jurists as well. As far as Hanafi and Shafi'i jurists are concerned, they agree with the concept in principle but seldom use the term Dhari'ah in their relevant discussions. Literally, the word Dhari'ah means medium, instrument, means or device. Some jurists, for example the Maliki jurist Qarafi, use the term Wasilah instead of the term Dhari'ah. Dhari'ah or Wasilah means any thing or action which becomes a means or serves as an instrument for the occurence of another thing or the commission of an act. If it becomes a means or serves as an instrument for the occurrence of a bad thing or the commission of a bad or unlawful act, it will also be considered bad and unlawful if it becomes the only means or instrument for an obligatory thing or act it will also be considered obligatory (ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب). Imam Qarafi says :

الوسيلة الى أفضل المقاصد أفضل الوسائل، والى أقبح المقاصد أقبح الوسائل، والى ما هو متوسط متوسطة (الفروق، ج ٢ ص ٣٢).

«An act which is a means to the (realization of the best objective is the best means ; an act which is a means to (the realization of) the worst objective is the worst means ; and an act which is a means to(the realization of) a medium type objective is a medium-type means». This is briefly the meaning of the principle of Dhari'ah. Applying this principle, the head of the state or his Shura can issue an administrative order either prohibiting a lawful thing action which has become a means to the commission of an unlawful act or the occurrence of an unlawful thing, or requiring the citizens to do a thing/act which, though not compulsory and obligatory, has become the only available means to the realization of an objective of the Shari'ah, to the compliance of an order/commandment of the Shari'ah. There are a number of examples of the application of this principle both in the Qur'an or in the Sunnah. In his masterpece, I'lam Al-Muwaqqi in vol. 3, pp. 134-159, Beirut edition, by Taha 'Abd Al-Rauf Sa'ad), Ibn Qayyim has given 99 examples of the application of the principle of Dhari'ah of which the negative aspect (Sadd al Dhari'ah) is more frequently used. According to him, about half of the administrative orders of legislative nature are governed by the principle of Dhari'ah (p. 159). Of the 99 examples given by Ibn Qayyim, following examples may throw sufficient light on the scope of the administrative discretion of the Imam-in-Shura, examples n^{os} 25, 29, 33, 34, 35, 37, 49, 57, 99.

(iii) Thirdly, rulers-in-Shura can issue suitable administrative orders under the principle of Daf'al-Darar, Daf'al-Fasad. Literally Darar (ضرر) means danger, harm, loss and injury and Fasad means corruption, decay, evil, scandalous action, etc. It is one of the basic principles of Islamic law that Darar and Fasad, in whatever form and whatever degree and proportion may be, should be removed and exterminated as far as possible. There are a number of legal maxims which deal with various aspects of this principle. I may quote some of these maxims here. Article 19 of the Majallah provides (لا ضرر ولا ضرار في الاسلام). This phrase being a legal maxim is also a Hadith reported by Imam Malik in his Muwatta, Ibn Majah and Dar Qutni in their respective Sunans, Hakim in his Mustadrak, and Baihaqi in his Al-Sunan al-Kubra. The Hadith has been reported on the authority of Abu Sa'id Khudri, Ubadah Ibn Al-Samit, 'Abdullah Ibn 'Abbas and others. Darar here means to cause damage or wrong to some other while Dirar means to encounter Darar with Darar. The Hadith means that neither one should cause damage and harm to anyone nor should one encounter a damage with damage and harm with harm. «This is one of the basic principles of the Shari'ah and is supported by innumerable textual commandments from the Qur'an and the Sunnah. it provides the basis on which all wrongful acts and harmful deeds are prohibited. Many a punishment and financial compensation is also based on this very principle» (Mustapha Ahmad al-Zarqa, vol. II, p. 972). Other relevant maxims in this regard are given below with some explanatory notes.

(a) الضرر يدفع بقدر الامكان (Majallah 31) Darar should be avoided as far as possibele. This maxim necessitates that every effort should be done to avoid the occurrence of Darar with all possible means. The principle of Hajr is based on this maxim. (See section 964 of the Majallah and its commentary by Ibn Rustam Baz, pp. 540-541). The Fuqaha have allowed the preventive detention of persons known for their indecency, immorality and Fasad fil Ard even without normal judicial proceedings on the basis of this principle (see Mustafa Zarqa, vol. II, p. 974 ; Mu'in Al-Hukkam, part three, passims).

(b) الضرر يزال (Majallah 20) Darar should be removed. This Maxim necessitates that in case a Darar occurs it should immediatly be removed by all possible means, its bad effects should be rectified and the aggrieved should be given proper remedy and relief specific or compensatory.

(c) الضرر لا يزال بالضرر or الضرر لا يزال بمثله (Majallah 25). This maxim in an explanation of the last mentioned maxim. A Darar cannot be removed by inflicting another Darar (or a simolar Darar) because it will be an extention of that and, therefore, a new Darar which should not be lawful for a starving person who is on the verge of death due to starvation to take the food of another person who is in the same condition and has somewhat managed to get some food to eke out his existence. So also the maintenance of a destitute cannot be imposed on such a relative of him who is himself a destitute (see Mustafa Zarqa, vol. II, p. 977).

(d) الضرر الاشد يزال بالضرر الاخف (Majallah 27) A major Darar may be removed by incurring a minor Darar (if one of the two is inevitable). For example, if a hen swallows a precious stone of someone he may force the owner of the hen to sell the hen in order to enable the buyer to slaughter it and dig out his precious stone, if the value of the stone is bigger than the hen. (Sharh al-Majallah, Ibn Rustam Baz, pp. 31-32).

(e) يتحمل الضرر الخاص بدفع الضرر العام (Maj 26). A private Darar can be incurred to avoid a public Darar. For example, Hajr can be imposed on an impudent adn stupid Mufti who gives wrong and lict to avoid the Mafasid is better than to acquire the Manafi'. such persons who may cause Darar to the public. (Ashbah we Naza'ir Ibn Nujaim, p. 87, Sharh Majallah, Ibn Rustam Baz, p. 31, 540-541).

(f) درء المفاسد اولى من جلب المنافع (Maj.30) It means in case of conflict to avoid the Mafasid is better than to aquire the Manafi'. On the basis of this maxim, all trades in contraband items (such as liquor) will be prohibited in the Islamic State. So also the establishment of such factories in the residential area will be prohibited which may cause harm to the local inhabitants. (Zarqa, op. cit. p. 979 ; Al-Ashbah wal Naza'ir, Ibn Nujaim, p. 90 ; Ibn Rustam Baz, p. 32).

(g) الضرر لا يكون قديما (Majallah 7) A Darar will not be (overlooked on the account being)old and time-barred. Therefore, the law of taqadum(limitations)will not apply to a Darar. A Darar, however old it may be, must be removed.(For details see Zarqa, vol. II, pp. 983-985).

(iv) Fourthly and lastly, the administrative orders Imam-in-

Shura can draw their validity from the principle of Maslahah or public weal, public good or public welfare. There are a number of legal maxims laying down rules for the application of the principle of Maslahah. «This principle defines the limits within which the rulers can exercise their administrative and political authority and can take measures affecting the rights and freedoms of the masses. It postulates, that all the actions and measures taken by the Uli'l Amr which have a binding force for the poeple in respect of their private and public rights must be based on the general good of the community and its welfare.

Because all the state-functionaries right from the caliph down to the servants in different branches of the administration are not workers for themselves. They are only agents of the Ummah whose duty is to take most suitable steps to ensure the establishment of justice, eradiction of injustice and oppression, protection of rights and morality, maintenance of peace and security, dissemination of knowledge, provision of public facilities, purification of the society from Fasad and the realization of every thing which is good for the Ummah both in its present and future through all best possible means, i. e. all actions which may be called public good and public weal. Therefore, every action or measure taken by the rulers against this Maslahah which may aim at monopolization, despotism and autocracy or which may lead to Darar or Fasad shall be unlawful». (Mustafa Zarqa, vol. II, p. 1044). This is the philosophy of Maslahah in the field of the administrative discretion of the rulers. It has been phrased in the following legal maxim :

التصرف على الرعية منوط بالمصلحة or تصرف الامام على الرعية منوط بالمصلحة

(Majallah 58, Ibn Nujaim, p. 123).
mustafa Zarqa (op. cit. pp. 1044-1045), Ibn Nujaim (pp. 123-126) and Ibn Rustam Baz (Sharh Majallah, p. 43) have given various examples of the application of this maxim.

These are the four basic areas in which the agents of the Ummah can issue administrative orders. But even within these four areas the authority of the Uli'l Amr is not unlimited and unrestrained. It is restricted by certain guiding principles, which are spelled out here briefly.

i) Daf'al al-Haraj (removal of unnecessary tightness)
ii) Raf'al Mashaqqah (lifting of difficulty and hardship).
iii) Yusr (convenience).

iv) Qillat al-Taklif (reduction of legal responsabilities).
These four principles are closely related to each other and throw light on the diffrent aspects of one and the same objective and that is the removal of difficulties and to ensure easiness and convenience for the masses. According to the Qur'an, man is a frail being as compared to the heavy task of vicegerency put on his shoulders. (4:28; 33:72). Therefore, he should not be charged with unnecessary burden of complicated and unwarranted laws (7:157). He has been taught to constantly ask Almighty for easiness and convenience (2:286). There are certain verses in the Holy Qur'an which underline the objective behind these principles. To quote some of them :

١) لا يكلف الله نفسا الا وسعها

Allah tasketh not a soul beyond its scope (2:286).

٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر(البقرة: ١٨٥).

Allah desireth for you ease ; He desireth not hardship for you

٣) ما جعل عليكم في الدين من حرج (الحج: ٧٨)

He hath not laid upon you in the Din any hardship (22:78)

٤) ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم (المائدة: ٦)

Allah does not desire to place hardship on you but He desires to purify you (5:6).

٥) وما اريد ان أشق عليكم (بلسان شعيب).

I do not desire to make it difficult for you (28:271).

٦) لا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون) (٢٣: ٦٢).

And We task not any soul beyond its scope and with Us is the record which speaketh the truth and they will not be wronged

There are a number of Ahadith which emphasize this fact.

١) بعثت بالحنيفية السمحة السهلة

I have been sent with an easy, magnanimous and upright system.

٢) يسرا ولا تعسرا، بشرا ولا تنفرا

Provide easiness and facility and do not cause difficulty, make good tidings and give good news and do not cause dislike and hatred.

٣) لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلوة

Had not it been difficult for my Ummah, I would have ordered them to clean their teath before every prayers.

One of the phenomenon of the Shari'ah objective is to reduce the legal and shar'i responsibilities of man as far as possible. The Holy Qur'an clearly forbidis the Muslims to invite unnecessary burden of respons ibilities (5:101). The Holy Prophet also discouraged such unnecessary questions which may add to the burden of respons ibilities. It is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah that the Holy Prophet once delivered a Khutbah and said in it «O people! Allah has made hajj compulsory for you, therefore, perform Hajj» ; upon this a man stood up and asked : «O Messenger of Allah! Every year?» He repeated this question thrice. The Prophet said : «If I say «Yes», it will become obligatory on you to perform Hajj every year and you will not be able to do it». Then the Prophet admonished him on raising unnecessary questions which may add to the responsabilities. In a nutshell, the objective of the Shari'ah from laying down these principles is that the law should not provide unnecessary tightness, should tend towards providing more and more freedom by lifting difficulties and hardships, should be based on ensuring convenience and easiness, should not be very complicated and cumbersome, should be simple and should reduce the legal responsabilities of the people to the minimum possible degree. The celebrated Maliki jurist of eight century of Hijrah, Imam Abu Ishaq Ibrahim al-Shatibi (d. 790 A.H./1388 A.D.) has very precisely and elaborately discussed this objective of the Shari'ah in the field of lawmaking. In the second volume of his masterpiece. «Al-Muwafaqat fi Usul al Shari'ah», (pp. 107-168 in the chapter entitled :

الفرع الثالث في بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للتكليف بمقتضاها

the problem has been discussed in detail. The ensuing chapter,

«Al-Naw' al-Rabi», is also relevant which deals with the modalities adopted by the Shari'ah and its objectives in respect of Taklif.

Safeguards

What is the machinery to safeguard the interests of Ummah vis-à-vis tyrants and transgressors ? This is really a very difficult question and whatever be the machinery for this safeguard, its success is always subject to the politico-historical conditions prevalent in a given situation. However, there are four checks against a possible transgression of a person's reghts and freedoms which I shall briefly discuss here. The first check is the human conscience itself. Islam presupposes the existences of a society which is composed by and large of individuals having good Islamic character and behaviour and abstain from tresspassing on others' rights and freedoms. The second check is the public opinion of the Ummah whose basic and foremost duty, according to the Qur'an, is Amr bil Ma'ruf and Nahy 'an al-Munkar (13:110). If the Ummah does not perform this duty properly and effectively, all the members of the Ummah will incurr the wrath of Allah (5:79). We have already quoted the Hadith of the Holy Prophet reported by Hadrat Abu Baqr Siddiq, on the Authority of Tirmidhi and Abu Daud, that if the people see a tyrant and transgressor and do not prevent him from doing so, Allah may extend His Wrath and punishment to all of them (see supra, paragraph 7, Hadith n°5). The third check is the constitutional limitations imposed by Islam on the rulers and the Shura themselves, they are bound to act within the limits of the Shar'ah. In case some members of the Uli'l Amr transgress the limits of the Shari'ah and are not open to persuasion or pressure then the fourth check comes into play and that is judiciary. In the early days of Islam, instances bound, people used to resort to judiciary in case they had a complaint against their rulers and Uli'l Amr. In comparatively latter times a speical court of Mazalim was established specially to hear and dispose of cases of injustices or wrongs committed or done by the rulers or other men of authority.

As far as the procedure to resolve the differences of opinion between the Ummah and the Uli'l Amr is concerned there are hints in the Qur'an which may be developed into a workable modus operandi. The Qur'an presupposes the prevalence of an atmosphere in which the members of the Ummah are in a posi-

tion to freely argue and fearlessly dispute with their rulers. There is only one verse in the Holy Qur'an which commands the Muslims to offer obedience to their rulers alongwith their obedience of Allah and His Prophet. But in this very verse the obedience to the rulers has been made subject to the right of the Muslims to dispute and disagree with them (4:59). It is to be noted that nowhere in the Qur'an, the obedience to Allah and His Prophet has been made subject to such disputation. However, obedience to the Prophet (and, of course, to Uli'l Amr) has been subjected to the provision that it can only be in the Ma'ruf and not in the Munkar. To quote a few verses/ Ahadith in this regard :

١) ولا يعصينك في معروف (٦٠ ١٢)

Nor they disobey you in what is Ma'ruf (Right) (60:12)

٢) انما الطاعة في المعروف

Obedience is only in the Ma'ruf.

٣) لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

No creature has the right to demand obedience in the disobedience of the Creator.

٤) لا طاعة في معصية

No obedience is to be demanded in disobedience (Sin, unlawful things).

These provisions clearly suggest that there can be a dispute between the Ummah and the Uli'l Amr as to whether an order given by the latter to the former is of the nature of Ma'ruf or of the nature of Munkar. Such differences are to be referred for solution of Allah and His Messenger (4:59; 42:10). Now, after the demise of the Holy Prophet no such difference can directly be taken to him for solution. It would, then, certainly, mean that there should be a third party of trusted, pious and knowledgeable persons who may solve the problem freely and independently of the two parties, via the rulers and the Ummah. In our classical times, Shaikh al-Islam or the Mufti-i-Azam performed such function ; at times this was exercized by judiciary or a committee of very senior and trusted scholars of the Shari'ah. Now in our days this task may well be assigned to superior judiciary, especially because of the fact that experience has proved that judiciary is the least affected of our state organis by the general corruption and moral degeneration prevalent in our present day Muslim society. Expereince of past thirty five years shows that the executive, particularly at lower and local levels, no more enjoys the trust of the masses. It is unfortunate that rightly or wrongly, the common man attributes the causes of at

least ninety percent of his grievances to various executive authorities. A true muslim is never bitten twice from one and same borrow ; it may not be advisable to assign this task to political authority and its sycophants.

This was briefly the location of authority in an Islamic State and this was the nature and scope of legislation. In a nutshell the conclusions reached in this humble paper are as follows :

i) Hukm and Mulk belong to Allah alone Who is the Creator and Master of the Univrse ;
ii) He gives His special authority to rule (Sultan) to His Prophets and Messengers who exercise it within the limits prescribed by Him and according to the Guidance received from him.
iii) After a Messenger passes away, his mission to exercise that authority automatically passes over to the Ummah of that Messenger.
iv) All Human beings are potentially vicegerent of Allah in the sense that they have been endorsed with an ability and capabitity to become actual vicegerent by accepting the message of the messenger and becoming the member of the Ummah ;
v) Therefore, the Ummah is the actual vicegerent and hence, the holder of that special divine authority to exercise Hukm and Mulk ;
vi) Since all the members of the Ummah cannot directly exercise that authority, they appoint their agents to work on their behalf and exercise the authority during the pleasure of the Ummah ;
vii) Law-making is the sole prerogation of the Almighty.
viii) Subordinate law-making is the duty and function of the Fuqaha' who are to perform this duty independently of all government pressures ;
ix) Agents of the Ummah (i.e. the men-in-authority) may issue regulatory laws subject to four principles in four areas ;
x) Outside the province of these four areas and in disregard to these four principles, there can be no regulatory or subordinate legislation.

LES DIALECTIQUES DE LA RELATION ENTRE «LA COMMUNAUTE», L'«UNITE» ET «LA «LEGITIMITE» DANS LA PENSEE POLITIQUE ARABO-ISLAMIQUE

Radhwan AS-SAYYED(*)

Les spécialistes de l'histoire politique de l'Etat arabo-islamique ne sauraient dire avec certitude la date de la naissance de la pensée théorique relative aux questions de la légitimité, de l'unité et de la communauté. La raison n'en est pas la rareté des documents concernant ces questions, mais la nature des références dont nous disposons sur une période telle que le premier siècle de l'hégire par exemple.

Certes, la matière de nos références sur l'histoire des débuts de l'Islam a été écrite pour sa majeure partie sous les Umayyades, mais elle fut rassemblée et réorganisée au cours des 2° et 3° siècles de l'hégire. Si cette opération de réorganisation et d'épluchage a affecté quantitativement et qualitativement la matière, celle-ci était écrite, elle-même, sous l'influence de luttes partisanes et politiques précises et dans des contextes idéologiques particuliers, ce qui n'a pas manqué évidemment d'affecter ses contenus et le sérieux de sa représentativité de telle ou telle autre position. En outre, les premiers rapporteurs et transmetteurs de hadîth appartenaient à des groupes différents quant à leur orientation, leur culture, leur faculté de compréhension, d'assimilation et d'ordonnance. Pour toutes ces raisons, nous devons être très prudents vis-à-vis des textes. Aussi devons-nous nous occuper de la formulation autant que nous nous occupons de son contenu. Et enfin, il nous faut méditer sur le texte dans le contexte

(*) Directeur Général de l'Institut Arabe pour le Développement. Rédacteur en chef de la revue «Al Fikr Al Arabi». Professeur à l'université Libanaise et au Haut Institut de l'Association Al-Makasid

de la position sociale et politique qui prévalait à cette époque-là [1].

L'importance de ces précautions sur lesquelles nous insistons apparaît lorsque nous jetons un coup d'œil rapide sur les premiers textes qui s'occupent des questions de la légitimité et de la communauté dont nous traitons ici. Ainsi dans ce récit attribué à Sayf Ibn 'Umar [2] et rapporté par Al-Tabari(310 H.) dans son Tarîkh: Mu'âwiya Ibn Abî Sufyân, gouverneur de Damas (59 H.) a dit lors d'une discussion qu'il a eu avec quelques Kufites déportés (33 H.) à Damas par le Calife 'Uthman (35 H.) que Kuraysh est «le plus honoré des Arabes», que la légitimité de son autorité sur les Arabes et les Musulmans émane de Dieu qui l'y a préparé depuis l'époque antéislamique, car les Kuraysh n'étaient, au lendemain de l'avènement de l'Islam, ni les plus nombreux des Arabes, ni les plus guerriers d'entre eux, mais ils étaient de la plus noble famille, de la plus pure descendance, les plus grandes honorabilités et de la plus parfaite moralité. Dieu les a logés dans une demeure protégée et a sorti d'eux le meilleur de Sa création. puis il a choisi pour ce dernier des Compagnons dont les meilleurs étaient de Kuraysh . Ensuite, il a fondé sur ceux-ci la souveraineté et les a désignés pour le Califat qui leur revient exclusivement. Dieu les protégeait pendant l'époque antéislamique malgré leur polythéisme. Comment se peut-il qu'il ne les protège pas maintenant qu'ils suivent sa religion [3].

Nous aurions pu, pour des raisons techniques et historiques, laisser de côté ces propos attribués à Mu'âwiya, s'ils ne se répétaient pas sous d'autres formes, rapportés par d'autres Ruwât-s et dans d'autres sources. Ainsi, selon un récit rapporté par Ibn Sa'd et Al-Bukhârî, «Abdallah Ibn 'Amr Ibn Al-'As (environ 64 H.) répétait que le pouvoir des Kuraysh cèderait la place à celui des Kahtân-s. Mu'âwiya a entendu ces propos, s'est mis en colère et a dit : «Dieu a attribué ce pouvoir à Kuraysh tant que les jours et les nuits se succèderont!!». Il apparaît effectivement que ces fondements de la légitimité de Kuraysh étaient, assez tôt, connus et familiers dans les milieux des rapporteurs musulmans. On lit dans «Marwiyyât» Al-Zahrî (120 H.) un récit rapporté par l'un des petit-fils de Abdullâh Ibn Mas'ûd (33 H.) et dû à Abdullah Ibn 'Abbâs (69 H.), selon lequel 'Umar Ibn Al-Khattâb (23 H.) a raconté que Abu Bakr a fondé, lors de la réunion de la Sakîfa, la légitimité du leadership de Kuraych sur le fait «qu'elle est, parmi les Arabes, la plus honorable quant à son appartenance et sa famille...[6] . Si nous partons de l'hypothèse du bien-fondé histo-

rique de ces arguments et justifications, nous pouvons mesurer l'étendue de l'horizon d'un tel point de départ à travers ce que les rapporteurs nous transmettent de traces (événements, traditions juridico-religieuses) qui ne paraissent ni tendancieuses ni partiales, telle celle qui affirme que Mu'âwiya préconisait à son représentant, le gouverneur de Kûfa, Al-Mughîra Ibn Sha'ba Al-Thaqafî (49 H.) de rappeler le hadîth prophétique : «O mon Dieu! rien ne peut empêcher ce que tu as donné et personne ne peut donner ce que tu as empêché» de la chaire de la mosquée de Kufa, lors de la prière du vendredi [6]. La légitimité du pouvoir «Kurayshite» est fondée d'une part sur leur descendance et leur appartenance tribale, d'autre part sur le fait que le Prophète est sorti de leur rang. A chaque fois qu'il y eut interrogation sur le fon dement de la légitimité de la famille ou du clan Umayyade, on invoqua le vouloir divin qui aurait choisi les Umayyades pour le Califat et en aurait exclu les autres. Mais le problème n'est pas aussi simple qu'il n'y apparaît dans les textes. Car le fait accompli (la présence des Umayyades au pouvoir) ne suffisait pas à convaincre les gens que cela ne tenait qu'à la seule volonté de Dieu. Dans ce contexte, on peut comprendre les vers de Abdullah Ibn Humâm Al-Salûlî (environ 95 H.) [7], qui défendent le droit de Mu'âwiya et de Yazîd en avançant deux arguments : d'une part, ils se sont chargés de venger le sang de 'Uthmân, et par conséquent, ils sont ses héritiers pour le califat, et, d'autre part, leur légitimité n'a pas besoin de shûrâ (concertation), car les Muhâdjirîn-s et les Ansâr-s étaient déchus du droit de shûrâ depuis qu'ils ont accepté l'assassinat de 'Uthman devant eux [8].

«Vivez, mais soyez prudents en ce bas monde. Préparez les soldats de Syrie à une chevauchée guerrière. Refusez de concerter avec ceux qui réclament la Shûrâ et ne les abordez que par frappement et coups bien précis et tranchants. Comment peut-on leur accorder la shûrâ alors qu'ils ont tué 'Uthman et l'ont sacrifié pendant les mois hurum-s».

Ces deux fondements de la légitimité du pouvoir des Umayyades (le vouloir divin [9] et la vengeance du sang de 'Uthman) [10] se répètent dans les documents, alors qu'on passe sous silence la réponse directe aux tenants du retour à la shûrâ, excepté les vers d'Ibn Hamâm Al-Salutî ci-dessus mentionnés.

La Shura était une arme polémique entre les mains des adversaires des Umayyades, il semble qu'elle ne fut rien de plus, car en raison de son ambiguité et de sa nature polémi-

que, elle n'a pu se constituer en force influente dans la réalité politique du 1er siècle de l'hégire (à l'exception du mouvement de Ibn Al-Zubayr)[1]. Ce qui nous importe ici, c'est l'existence d'un texte attribué à 'Umar Ibn Al-Khattab (qui a instauré l'institution des gens de la shûrâ) et dans lequel celui-ci fait de la shûrâ le fondement essentiel de la légitimité kurayshite et apporte la réponse à ceux qui voulaient outrepasser la shûrâ en prétextant la désignation de Abû Bakr. Dans ce texte dont nous avons cité un extrait plus haut, il dit : «...que l'on ne prétende pas le fait que la désignation d'Abû Bakr ait été une surprise. Oui, c'était une surprise dont nous avons évité les répercussions grâce à Dieu. Celui qui prête un serment d'allégeance à un autre sans avoir préalablement consulté les musulmans, sera puni, ainsi que celui qu'il a désigné, d'une peine de privation de désignation». Puis il a conclu son long hadith en réaffirmant que: «Celui qui prête serment d'allégeance à un homme (désigné au Califat) sans avoir préalablement consulté les musulmans, sera lui - et l'homme qu'il avait désigné, interdit de califat».[2]

Ces propos de 'Umar suscitent beaucoup de problèmes dont le plus important est sans doute celui de considérer le Califat d'Abû Bakr comme un «imprévu»[3] alors qu'il n'y a pas de différence apparente entre la façon dont il a accédé lui-même au Califat et celle de son prédécesseur Abû Bakr, à moins que l'on considère que la différence réside en ceci qu'Abû Bakr a désigné 'Umar et que cette désignation a donné à ce dernier un droit au Califat que le premier n'avait pas. Le second problème, c'est que 'Umar dit dans ce hadith que la «shûrâ» est un droit des «musulmans». Or, nous savons que les Muhâdjirîn-s Kurayshîtes et les Ansar-s médinois étaient les seuls à avoir participé pratiquement à la prestation de serment à Abû Bakr et à 'Umar, ou comme l'a dit Abû 'Ubayd Al-Kâsim Ibn Sâlam (224 H.) : «les notables parmi les compagnons de Muhammad parmi les Emigrés et le commun des Partisans...»[4]. La question se confirme de plus en plus au niveau théorique lorsque nous tenons compte des propos attribués à Alî sur la shûrâ ses contenus et ses limites, et qui exceptent du droit à la Shûrâ les Mekkois qui n'avaient pas émigré avant le Fath[5], font de la «parenté» un fondement du Califat, tout comme la shûrâ , en s'étonnant du fait qu'on puisse considérer le fait d'être Kurayshîte comme une raison de la légitimité, sans penser en même temps que la parenté avec le Prophète en a la primauté...[6]? Il paraît que la Da'wa de 'Abdullâh Ibn Al-Zubayr (72 H.) - commencée en 64 H. - fut la seule fois où l'idée de la

shûrâ ait joué un rôle influent dans la réalité politique, tout en montrant en même temps l'étendue des divergences quant à la compréhension des contenus de l'idée et de ses limites. En effet, Ibn Al-Zubayr s'est retranché à la Mecque après l'assassinat de Hussayn Ibn 'Alî (63 H.) réclamant le retour à la shûrâ et utilisant précisément cette arme idéologique pour combattre le régime de Yazid Ibn Mu'awiya. L'idée a donné ses fruits pendant les deux premières années : des hommes de différentes tribus et filiations sont accourus vers la Mecque pour soutenir Ibn Al-Zubayr contre les Umayyades, ennemis de la shûrâ. Mais dès que la mort de l'Umayyade (Mu'âwiya) à Damas fut annoncée, Ibn Al-Zubayr se présenta lui-même comme Calife et obtint l'allégeance des Kurayshites à la Mecque à l'exclusion de tous les autres, ce qui déçut les Kharidjites et les musulmans non-arabes (mawali-s) qui l'avaient appuyés, qui quittèrent la Mecque, laissant Ibn Al-Zubayr à son sort[17]. Ainsi, les Arabes non-Kurayshites et les nouveaux musulmans non-arabes - tels que les Persans - pensaient que la notion de shûrâ est globale et générale, et qu'elle peut être le synonyme de «l'opinion de la communauté musulmane» et, par conséquent, l'équivalent du mot de 'Umar sur la «shûrâ des musulmans». Cette orientation rencontre l'orientation du «premier tribunal» et des groupuscules Kharidjites qui lui ont succédé[18].

Si les Umayyades ne répondaient pas directement aux tenants de la shûrâ ils utilisaient, en revanche, contre les révoltés, l'arme de «*l'unité de la communauté*» et de «*la provocation de la discorde* dans l'Umma (nation islamique) . C'est ainsi que l'année où les gens se sont réunis autour de Mu'âwiya fut appelée par les rapporteurs de hadith «l'année de la communauté»[19], et c'est dans cet esprit qu'on a mis Al-Husayn B. Ali[20] ainsi qu'Ibn al-Zubayr[21] contre l'action de rompre avec les musulmans unis. En face de «la communauté» des Umayyades, il y avait «l'épreuve» (Fitna) de l'époque de Ali[22] et l'épreuve d'Ibn Al-Zubayr. A peine le premier siècle de l'hégire se fut-il écoulé, l'idée de «la Shûrâ» et l'idée de «l'unité de la communauté» se sont cristallisées et la relation dialectique entre elles a commencé à s'éclaircir.

Selon un hadith répandu pendant cette période, et rapporté par 'Ajrafa Ibn Charîh Al-Kindî ou Al-Achdjâ'î)[24], le Prophète a dit : «Si votre consensus s'est fait autour d'un homme et que quelqu'un vient semer la discorde entre vous ou vous désunir, tuez-le»[25]. Ces propos attribués au Prophète sont venus comme pour éliminer la possibilité d'utiliser l'idée de la Shûrâ contre les

gouvernants ou les Califes, établis au pouvoir sans Shûrâ. Mieux, un autre hadith attribué au Prophète et rapporté par Abu Sa'îd Al-Khudrî, dit carrément : «Si on a prêté serment d'allégeance à deux califes, tuez-en le dernier»[26]. Le texte appelle chacun des deux «calife» et incite cependant à tuer le second uniquement pour affirmer que l'unité de la communauté a la primauté sur toute autre considération, serait-ce la question de la shûrâ et de la légitimité de principe (la légitimité de la prestation de serment).

Il semble que c'est pendant cette période que le courant tendant à donner la priorité à la fonction de l'Imamat sur sa forme légitime a commencé. On a eu recours à des propos attribués à l'Imam Ali versant dans ce sens, contre les Kharidjites qui appelaient à l'abolition de l'Imamat ou de son caractère de shûrâ. Ainsi, selon ces propos l'Imam Ali aurait dit dans «Nahdj al-Balâgha» - lorsqu'il a entendu le cri des Kharidjites : «Le pouvoir n'appartient qu'à Dieu»- : «C'est un juste mot utilisé pour une cause injuste! Oui, le pouvoir n'appartient qu'à Dieu. Mais ces gens-là disent : Point de 'Imra!... Or, les gens ont forcément besoin d'un émir pieux ou pervers dont le commandement est suivi par le fidèle et réjouit l'infidèle, et par lequel Dieu réalise son objectif, et grâce auquel on prélève les impôts, combat l'ennemi, protège les routes, soutient le faible contre le fort jusquà ce que le pieux se sente tranquille et le pervers soit hors d'état de nuire»[27] Le pouvoir peut donc acquérir une légitimité renouvelée - quelle que soit sa conduite - si son administration œuvre efficacement en vue de sauvegarder l'unité de la communauté. Plus, l'Imam conservera sa légitimité uniquement parce qu'il est musulman et qu'on ne doit pas se rebeller contre lui pour éviter la discorde[28]. Cela veut dire que même si l'Imam change les horaires et les modalités de la prière, le musulman doit continuer à prier derrière lui - quitte à refaire secrètement sa prière à la maison - pour respecter l'esprit de la communauté et éviter la discorde[29]. Il reste un seul cas - qui n'est que théorique - dans lequel celui qui vit en terre d'Islam a la possibilité de se séparer de la communauté : celui dans lequel la communauté disparait complètement et disparait avec elle, par conséquent, son Imam! Dans une discussion entre le Prophète et Hudayfa Ibn Al-Yamân (34 ou 35 de l'Hégire), le premier dit au second :
- Tu dois suivre la communauté des musulmans et leur Imam!
- Et si les musulmans n'ont ni communauté ni Imam ? demande le second.
- Isole-toi de tous ces partis, même si tu devais mordre les ra-

cines d'un arbre jusqu'à ce que tu meures dans cet état[30].

Cette insistance des rapporteurs de hadiths tout au long du 2° siècle de l'hégire sur les devoirs d'obéissance et de communauté unifiée ainsi que sur la nécessité de considérer l'existence de la communauté et la capacité de l'Imam à la sauvegarder comme une épreuve de la légitimité de ce dernier, a trouvé son expression jurisprudentielle dans les écrits de l'Imam Al-Shâfi'î (204 H.) qui dit dans sa célèbre épître, écrite vers la fin du 2° siècle de l'hégire : «Les musulmans sont unanimes pour dire qu'il n'y a qu'un seul calife, un seul juge, un seul Emir et Imam»[31]. Presque en même temps où Al-Shâfi'î transmettait la nouvelle de l'unanimité autour d'un Imam unique pour une seule Umma (communauté islamique) sur une seule terre»[32], Abû Yûsuf (182 H.) affirmait dans les premières pages de son livre sur le Kharadj qu'il a écrit pour Harun al-Rashîd, le devoir d'obéir aux Imams afin de sauvegarder l'unité de la communauté.[33]

Les vues d'Al Shâfi'i et d'Abû Yûsuf se sont parfaitement précisées dans le livre d'Al-Muhâsibî «Al-Makâsib» où la nécessité de l'Imamat, sa légitimité et sa fonction sont longuement étayées et où l'efficacité fonctionnelle est considérée en fin de compte comme le fondement de la légitimité, alors que les questions de la Shûrâ et de la prestation de serment d'allégeance ne sont que brièvement abordés[34]. Ce qui explique l'affirmation d'Al-Muhâsibî selon laquelle l'efficacité fonctionnelle est l'épreuve de la légitimité, c'est le souci né de l'apparition d'un groupe qui prohibe le Kasb (gain) sous le règne des Imams despotiques ou n'ayant pas accédé au pouvoir par la Shûrâ. Ce groupe «conduit» par deux soufis, 'Abdak et Yazîd» ne s'est pas contenté d'interdire le kasb (gain) seulement, mais aussi les mariages, les dots, ainsi que toutes les conduites, sous l'Imam illégitime. A tous ces détracteurs, Al-Muhâsibî a répondu que ce qui compte dans l'Imamat, ce ne sont pas ces formalités, mais l'accomplissement des fonctions pour lesquelles il fut fondé[35] (prélever des impôts, veiller à l'application des préceptes de la religion, rendre la justice, le djihâd) : «la plupart des ulémas et la majorité d'entre eux dans tous les pays pensent que les conquêtes, le pélerinage, l'achat, la vente, les relations sociales, les agences et les métiers artisanaux se déroulent normalement depuis les débuts de l'Islam. Le pieux qui conserve sa religion n'est concerné ni par l'injustice d'un injuste ni par la tyrannie d'un tyran...»[36].

Al-Muhasîbî revient à la charge pour confirmer ce que 'Abd Al-Razzâk (211 H.) avait rapporté d'après Mu'ammar (151 H.) sur l'obligation de porter l'épée en vue de mener le djihad sous n'importe quel étendard, avec n'importe quel émir, pieux ou perverti. Cela se passe ainsi à toute époque et en tout temps. Personne n'y manque, excepté le fautif et l'ignorant[37].

Il semble que ce courant «légitimiste» n'a pas pris fin avec l'attaque que lui avait adressé Al-Muhâsibî. En effet, un disciple de l'Imam Al-Ach'arî (324 H.), Abû 'Abdullâh Al-Halîmî (403 H.) consacrait plusieurs chapitres de son livre «Al-Minhâdj fî chu'ab Al-Îmân »[38] à une discussion avec les adeptes du courant qui considère que la réalisation du contrôle de tous les territoires islamiques (la contrainte) comme le fondement du problème, abstraction faite de la la manière par laquelle le gouvernement a accédé au pouvoir[39]. Les Buyyides sont entrés à Baghdad en 334 H. et y ont mis fin au reste de l'influence du califat. Mais l'absence d'une alternative a empêché l'extirpation complète de l'institution. La deuxième moitié du 4° siècle de l'hégire a connu une division dans la direction du pouvoir Buyyide, survenue après la disparition de la première génération de la famille. L'ambiguité de leur politique vis-à-vis des fatimides, ainsi que vis-à-vis des événements de l'Asie centrale, a précipité l'affaiblissement des Buyyides et le démantèlement de leur empire[40]. Tout cela a coincidé avec l'accession d'un homme fort au pouvoir, en l'occurence le calife Al-Kâdir Billâh (381-422 H.) qui a pu exploiter les divisions internes des Buyyides et l'accentuation des pressions extérieures qu'ils subissaient pour rétablir l'autorité du Califat en Iraq et sa légitimité de principe dans tous les territoires islamiques Le Calife a participé lui-même à la campagne idéologique de réunification et de renaissance en rédigeant des épitres dont la mission était de définir la ligne idéologique de l'Etat vis-à-vis du passé de la Umma, son présent et ses dissenssions internes[41]. On peut considérer ce livre volumineux de Halîmî dans le contexte de cette campagne pour la revivication et la réunification de la Da'wa, visant à réunifier l'Etat et à rétablir l'autorité du califat sur les territoires islamiques.

Al-Halîmî commence par affirmer que le fondement de la légitimité de l'Imam est «le contrat» et non «le droit» (Istihqâq) : «Ce n'est pas en ayant le droit à l'Imamat que l'on devient Imam, mais par un «akd»... Car le «akd» n'est pas le «droit» ; il est au degré suivant[42]. Si l'on devient Imam par un «akd» avec les gens de la sélection[43] et par un serment d'allégeance du com-

mun des musulmans, on est calife et Emir des Croyants, même si par ailleurs l'on est faible, non imposant et incapable d'étendre son influence effective sur toutes les parties. Cela, parce que «si ce Akd est obtenu par quelqu'un, l'Imamat de celui-ci est légitime, abstraction faite du fait qu'il soit imposant ou non imposant... La raison en est que l'Imamat est une branche de la mission prophétique. Or, le Prophète était prophète avant l'hégire bien qu'il n'ait ni vaincu les Mekkois ni triomphé d'eux..»[44] C'est pourauoi «il est faux de dire que l'on ne devient Imam dont l'obéissance est obligatoire et que l'on ne peut justement investir et destituer, que si l'on est fort et imposant»[45]. De même qu'Al-Halîmî a invoqué l'exemple du Prophète pour étayer son point de vue, de même ses adversaires ont repris son argument pour le retourner contre lui, en rappelant que le Prophète ne gouvernait pas la Mecque, ni n'y a nommé des juges et des gouverneurs «tant qu'il n'avait pas triomphé des Mekkois..»[46]. N'ayant pas vu qu'il pouvait leur répondre en invoquant les différences entre «Da'wa» et «Dawla» (Etat), Halîmî fut contraint de chercher d'autres justifications pour appuyer son point de vue. Il fait remarquer à ses détracteurs que lorsque une minorité injuste se révolte, dans une partie lointaine de l'Etat musulman, contre un Imam juste, celui-ci demeure légitime même s'il ne parvient pas à la soumettre. Et d'ajouter : au cas où des soldats prêtent serment d'allégeance à un calife, ils ont l'obligation de lui obéir et de le soutenir, car ils constituent sa véritable force. Or, même s'ils l'abandonnent après leur prestation de serment d'allégeance, sa légitimité n'est pas remise en cause. En outre, l'insistance sur l'unité du pouvoir dans un Etat très étendu crée bien des problèmes de ce genre. Si l'Emir des Croyants, dont le siège est à Damas, ne peut soumettre des rebelles au Maghreb, il reste pourtant l'Imam légitime. Autrement, il y aurait un autre Imam au Maghreb, ou bien les fidèles se retrouveraient sans Imam. Le premier cas est inacceptable, «car ce qui importe, c'est la réunification de l'Umma. Or répartir les fidèles autour de deux Imams c'est les diviser en partis».

Par conséquent, la légitimité de l'Imam qui a réuni autour de lui l'unanimité en Orient est valable pour les Maghrébins, même s'il ne parvient pas à les soumettre à son autorité»[47]. Al-Halîmî est d'accord avec le point de vue des partisans de «l'interdiction des gains» (Tahrîm al-Makâsib) sur un seul cas. Il s'agit du cas où il y a un Imam juste, mais non vainqueur, et qu'une partie du territoire devant être légitimement sous son autorité soit contrôlée par un rebelle. Dans ce cas, la conduite du nouveau vainqueur (le rebelle) est injuste : «Si l'Umma a un Imam, et si une province de

son territoire tombe sous l'emprise d'un rebelle qui contraint les habitants à son obéissance en prélevant les aumônes légales chez les musulmans, la Djizya chez les gens du Livre (Juifs et Chrétiens), en mariant les veuves sans le consentement de leurs tuteurs, en désignant des tuteurs pour les orphelins, en arbitrant les affaires en litige... tout ce qu'il aura accompli sera illégal et refusé...» [48]. Mais si la Umma n'a pas d'Imam et qu'un homme parvient à la gouverner avec justice, ses actes seront légaux et sa justice sera la justification de sa légitimité, même s'il a accédé au pouvoir sans «akd» ni traité» [49].

Par cette position, Al-Halîmî s'est situé au milieu : entre la position des «tenants de la légitimité» et celle des «tenants de la contrainte» (Kahr) ou du fait accompli. Le Califat traversait alors une longue période de convalescence, pendant laquelle il y avait légitimité ('Akd) mais la contrainte faisait défaut. Al-Halîmî devait choisir entre une légitimité faible et une contrainte unificatrice. Il a choisi la légitimité et a œuvré en vue de son renforcement. Mais il ne l'a pas choisie en tant qu'un fait absolu : il lui a assigné quelques règles, laissant la porte ouverte à la légitimité(contrainte) qui viendrait par une voie autre que celle du «'Akd» traditionnel. S'il avait choisi la contrainte par souci pour l'unité, il aurait du solidariser avec un homme tel que 'Adhud Al-Dawla Al-Buwayhî qui n'était pas arabe et dont la religion était sujette à caution. Son but final était «la réunification de l'opinion de l'Umma...» [50], même si cela devait se faire parfois au détriment de la légitimité. Il a conclu son chapitre relatif à cette question par un appel chaleureux à l'unité et au consensus : «Si les gens décident de mener un Djihâd, ils doivent le faire ensemble sans se disloquer (?). Si l'heure de la prière est annoncée, il ne faut pas qu'une partie des fidèles l'accomplisse et l'autre partie s'en abstienne. S'ils divergent sur les statuts de la religion, ils ne doivent pas se séparer à cause de la divergence de leurs opinions. Ils doivent se pardonner réciproquement et s'abstenir de considérer la divergence d'opinion comme une différence ou une séparation. Le sens de «l'obligation de communauté» est l'obligation de s'en tenir à ce qui unifie et réunit et de laisser de côté les points de divergence ; car en se divisant, les musulmans ne pourront pas venir au secours de la religion, et seront à la merci des convoiteurs, des ennemis et des opposants...» [51]. Al-Halîmî prédit que la division politique et confessionnelle pourrait préluder au retour à l'époque djahilite (anté-islamique) et à l'abandon de l'Islam, étant donné que la division et le déchirement constituaient les traits les plus saillants de la société djahilite [52]. Le Coran ne dit-il pas : «...et rappelez-vous le bienfait de Dieu sur vous : lorsque vous étiez ennemis, c'est lui

qui réconcilia vos cœurs, puis, par Son bienfait, vous êtes devenus frères»[53].

Ainsi, le consensus de la communauté l'emportait, même pour un penseur comme Al-Halîmî, sur la légitimité, car il représente le principe suprême. Le problème est que depuis la seconde moitié du 3° siècle de l'hégire, il y a eu séparation des deux questions : celle de la légitimité et celle du consensus ou de l'unité. Les penseurs devaient choisir entre l'une des deux, lorsqu'ils ne pouvaient les concilier. Le premier d'entre eux à préférer le consensus à la légitimité à défaut de pouvoir les concilier, était l'Imam Ahmad Ibe Hanbal (241 H.). Il a dit à ce propos: «Aucun Musulman qui croit en Dieu et au Jour du Jugement n'a le droit de refuser, même pendant une nuit, l'Imamat de quelqu'un qui a vaincu les autres par l'épée pour devenir calife et s'appeler le Commandeur des Croyants, peu importe qu'il soit juste ou non...»[54]. Abu Ya'lâ Al-Hanbalî s'efforce de tempérer, par la suite, le ton des propos de 'Ibn Hanbal, en les expliquant ainsi : «quelqu'un qui a vaincu les autres» signifie «quelqu'un qui a vaincu ceux qui, comme lui, prétendait au Califat - et non pas l'Umma»! Et d'ajouter : «...quelqu'un qui a vaincu les autres.... pour devenir calife , j'entends ... qui est devenu calife après que les gens lui aient prêté serment d'allégeance et non pas par le fait d'avoirvaincu»[55]. En réalité, là, le résultat est le même. C'est pourquoi, pour que son excplication soit acceptable, Abû Ya'alâ fut astreint d'oublier le 'akd au profit de «la prestation de serment d'allégeance» (Al-Bay'a), bien que le 'Akd, puis la prestation de serment d'allégeance soient nécessaires pour compléter la légitimité.

Al-Halîmî fut donc le dernier des penseurs qui s'étaient efforcés de mettre au même niveau l'importance des deux questions : la légitimité et le consensus (la communauté).

Depuis le califat de 'Umar on a insisté sur la Shûrâ, le 'Akd et la prestation de serment d'allégeance comme moyens de maintenir l'unité de la communauté. Puis on a abandonné la Shûrâ et il n'est resté que le 'Akd, la prestation de serment d'allégeance et la communauté. Enfin, c'est le 'Akd qui fut à son tour écarté et l'on ne s'en tenait qu'à la prestation de serment d'allégeance et à la communauté. L'expression pessimiste de l'Imam Ahmad a marqué le début de l'insistance sur l'unité du territoire et de la communauté, à l'exclusion de toute autre chose. Toute celle évolution ne s'est pas passée sans conflit. Mais ce qui retient l'attention, c'est que les principes des fakihs (docteur en jurisprudence) islamique) suivaient toujours la réalité politique et finissaient par s'y soumettre, jusqu'à ce qu'il n'en soit resté que ce qui ne pou-

En effet, de ces principes, il n'est resté que ce qui ne pouvait faire l'objet de concession. En effet, de ces principes, il n'est resté que celui de l'unité de la Umma (la communauté) - abstraction faite de son application dans la réalité. Ainsi les faqih-s qui ont suivi Al-Halîmî se sont préoccupés de la lutte contre les dissenssions atteignant le dernier principe, dissenssions causées par la montée sur scène, de «califes» en Orient et en Afrique du Nord (Les Umayyades et les Fatimides). Malgré cela, les faqihs d'Iraq, de Syrie et de l'Orient islamique poursuivaient leur lutte en vue de défendre le principe de l'unité politique de l'Umma. Pour un penseur comme Al-Mâwardî (450 H.), la multitude d'Imams ou de califes, constituait un problème capital au 5° siècle de l'hégire. Il a écrit à ce propos dans «Al-Ahkâm Al-Sultâniyya» : «Si l'on investit deux imams dans deux pays, leur imamat est illicite, car l'Umma ne peut avoir deux Imams en même temps...» [56]. Mais ce qui montre que la question de la légitimité n'a pas complètement échappé du champ de sa préoccupation, c'est ce texte relativement long sur le même sujet, paru dans son autre livre «Adab al-Duniâ wal-Dîne» [57]. Après avoir souligné le consensus unanime sur l'illégalité de l'existence de trois califes dans un seul pays et en même temps, l'auteur revient sur le sujet pour affirmer que si deux Imams accèdent au pouvoir dans deux provinces éloignées l'une de l'autre, il est possible de reconnaitre leur légitimité «car l'Imam est délégué pour représenter les intérêts généraux [58] et le calife de Bagdad ne peut pratiquement rien faire pour les musulmans de l'Andalousie. Par conséquent, pour éviter la réapparition de l'«interdiction des gains» qui rend la vie impossible aux fidèles, on peut reconnaitre provisoirement l'autorité du vainqueur de l'Andalousie, et ce pour faciliter la tâche des musulmans. Mais cette possibilité elle-même appelle beaucoup de réserves chez Al-Mâwardî, ce qui la rend pratiquement impossible. Car reconnaître la légitimité de plus d'un Imam à une même époque, contredit le principe pour lequel les fakih ont lutté durant des siècles, en l'occurence le principe de l'unité de la Umma et de la communauté. Chez le fakih Abu 'Alî Ya'la (458 H.) le souci de la légitimité disparaît et sa seule préoccupation reste l'unité [59]. Les opinions dè Djouwaynî [60](85 H.) et de Ghazâlî [61] (505 H.) vont diverger. De cette divergence réapparait timidement la possibilité de l'exsitence de deux Imams, mais une existence provisoire qui doit s'effacer au profit de l'unité de la Umma. Le fakih Ibn Jama'a (676 H.) nous fait remarquer combien la disparition de la légitimité affecte l'idée de l'unité elle-même. Car le califat luimême est désormais pratiquement tombé et lorsqu'on parle de l'unité, ce n'est plus guère que l'unité entre l'Egypte et la Syrie

des Mamluks[62]. La grande idée de l'unité (de l'Umma, du territoire et du pouvoir) est presque disparue, et Ibn Khaldûn (808 H.) s'est plu de pleurer sa mort en nous affirmant et ceci pour la dernière fois que le sort de l'Islam lui-même est lié à la cause de l'unité, l'unité de l'Umma, de la terre et du pouvoir.

En concluant cet exposé rapide, nous pouvons nous poser les questions suivantes : que pouvaient faire les faqihs de la politique islamique pour éviter à la théorie le sort qu'elle a connu ? Certes, l'unité politique de la Umma, en tant qu'une partie de la religion elle-même, faisait l'objet de leur préoccupation jusqu'à la fin. Mais cette question fut vidée progressivement de ses contenus, pour finir par disparaître, même sur le plan formel. Ils ne possédaient pas le moyen pratique par lequel ils auraient pu éviter à l'idée et à l'état le mauvais sort qu'ils ont subi. Mais était-il utile de s'accrocher théoriquement à toutes les parties de l'idée dans ce domaine ? Nombreux sont ceux qui accusent les faqihs d'être étrangers à la réalité, malgré toutes les concessions qu'ils ont faites. Où est donc l'issue ? Le problème nécessite plus de réflexion et de recherche. Mais nous pouvons dire d'ores et déjà qu'il serait peut-être possible de tirer une seule leçon de l'épreuve de nos anciens faqih-s, à savoir que pour réaliser l'unité et sa continuité, il ne suffit pas de s'en préoccuper seulement, et que pour atteindre cet objectif, il faut s'intéresser au moyen de parvenir à l'unité autant qu'on s'intéresse à l'idée de l'unité elle-même. En d'autres termes : le problème de l'unité, c'est le problème de l'Islam lui-même. Il ne peut pas être dissocié ou séparé du problème de la (légitimité» en Islam. Or cette légitimité a sa condition unique : (la popularité» de l'Imam (la Shûrâ, le 'Akd, la prestation de serment d'allégeance). L'«Unité» peut continuer ou se réaliser en dehors de la légitimité, uniquement par la force et l'emprise. Mais dans ce cas-là, elle n'est plus «une unité islamique», mais une unité à la Cyrus ou à la César, comme l'ont bien remarqué quelques grands Compagnons, tels que Al-Hussayn Ibn 'Alî, 'Abdullâh Ibn 'Umar, 'Abdul Rahmân Ibn Abî Bakr, lorsque Mu'âwiya leur a demandé de prêter serment d'allégeance à son fils Yazîd pour lui succéder au Califat. Et lorsque «le Califat» devient une «propriété héréditaire» et que nous devons choisir entre la «communauté» et «l'obéissance», il faut nous rappeler la leçon que la longue souffrance des penseurs politiques musulmans nous a laissée, à savoir que le choix du meilleur des deux «maux» ne changera rien à la réalité, car la perte de la légitimité conduit à la perte de l'unité et la perte de la cause islamique toute entière à long terme. Que l'unité

conserve sa légitimité populaire afin qu'elle demeure la seule unité islamique qu'on connait et reconnait.

Etude parue dans «Al-Wahda», Revue Libanaise N° 2, Rabi' al-Thani 1400/Mars 1980

NOTES

(1) Comparer, à propos des problèmes de l'écriture de l'histoire chez les Arabes :
- Peterson, E.L. «Studies on the Historiography of the 'Ali-Mu'awiyah conflict» in AO 27, 1963 ; et
- Dr. 'Abdul 'Aziz al-Duri : «La naissance de l'historiographie chez les Arabes, pp. 9-12, 14 et suiv.

Quant aux études de A. Noth (Bonn, 1973) elles ne constituent pas un point de départ constructif, malgré leur extreme précision. L'étude de F Sezgin sur Abi Makhnaf Lut Ibn Yahia (environ 150 H.) (Leiden, 1971) et ses récits, constitue une position avancée à propos de ces problématiques.

Voir *enfin la magnifique introduction* que Fouad Sezgin consacre à son livre : «L'histoire du patrimoine arabe» (traduction arabe) tome I, pp. 16 et suivantes.

(2) Grand rapporteur de hadiths (Ikhbari), mais parfois imprécis. Les vives critiques quelui avait adressées Wellhausen, au début de son livre «L'Etat Arabe», dans lequel l'auteur fait l'éloge d'un autre rapporteur, Abu Makhnaf, lui ont porté préjudice auprès des chercheurs contemporains. Mais les anciens hommes de «Al-jarh wal-ta'dil» (sciences qui traitaient des qualités et des défauts professionnels et personnels des rapporteurs de hadiths) attaquent les deux rapporteurs. Dans la meme vigueur, comparer leurs écrits avec «Tahthib al-Tahthib» et «Lisan al-Mizan» de Ibn Hajar, par exemple. Mais l'étude de Murtadha al-'Askari sur Sayf Ibn 'Umar, ne rend point justice au dit rapporteur

(3) Tarith al-Tabari, tome 1, pp. 2909-2911.

(4) Tabaqat Ibn Sa'ed 2/2/12

(5) Sahih Al-Bukhari (edition Krehl), 4/458-459.

(6) 'Abdul Razzaq al-San'ani 5/423 : Al-Musannaf
- Sahih Al-Bukhari (ed. Dar al-Sha'b) 8/211.
-Musnad al-Imam Ahmad 1/55.

Par la suite (ou entre temps), l'image a changé : les récits indiquent que «la position des kurayshites s'est renforcée considérablement, et on les a appelés : les gens de Dieu et ses Offrandes». Comparer avec «Al-Awa'il» de Hilal Al-'Askari, 1/28

(7) Sahih Al-Bukhari (ed. Dar al-Sha'b) 9/117-118. Voir aussi un récit semblable dans Masnad Ahmad, 4/92-93.

(7a) Comparer avec F. Sezgin : Gas, II, 324.

(8) Tabaqat Fuhul al-Shu'ara', de Ibn Salam (édition critique de Mahmud

Shakır) 2/630-631, Voır aussı «Nasab Kuraysh» (généalogie de Kuraysh», p. 12.
Il y a une allusıon équivoque, à ce sujet, dans un vers de Farazdaq. Cf. son recueıl (ed. européenne) 1/108-109.
(9) Le recueil de Jarir (ed. Muhammad Amin Taha) 1/94, et le recueil d'Ibn Al-Zubayr, p. 86.
(10) Tarıkh Al-Tabarı, 1/3355; Al-Muwaffaqiyat, p. 511 ; le recueil d'Al-Akhtal 2/445-446 ; le recueil d'Al-Farazdaq, 1/106, 108, 219.
(11) 'Abdul 'Aziz Al-Duri : «La démocratie dans la philosophie du gouvernement arabe» ın «Al-Mustaqbal al-'arabi» (9/1979), pp. 62-63, article qui a soulevé un tollé de critıques. Comparer avec :
- Ansab al-Ashraf, 4/2/102
- Tarikh Khalifa Ibn Khayyat, 1/252.
- Kıtab al-zahra (2° partie), p. 140.
Ibn Al-Zubayr a eu recours à l'arme de la Shura pour faîre face à Yazid Ibn Mu'awiya et mettre en doute sa légitimité. Mais lorsque Yazid est décédé, Ibn Zubayr s'est haté d'annoncer son califat, passant outre son ancıen appel à la shura.
(12) Al-Musannaf de 'Abdul Razzaq 5/445.
- Sahih Al-Bukhari, 8/210-211.
- Musnad Ibn Hanbal, 1/55-56
Selon un récit dans Al-Musannaf de 'Abdul Razzaq (rapporté d'après 'Umar par Al-Ma'rur Ibn Suwayd) : si quelqu'un s'impose comme calife - ou impose un autre comme calife-sans avoir recouru à la shura des musulmans, il vous est licite de le tuer». On lit également dans Fath Al-Bari (12/124) une autre parole atrribuée à 'Umar : «Sı quelqu'un est appelé à être calife sans Shura, il n'est point licite qu'il y consente».
(13) Selon Abi 'Ubayd, dans «Gharib al-Hadith» (3/355) : «...Ibn 'Awf raconte : 'Umar s'est adressé à nous en mentionnant cela (le califat d'Abu Bakr était une surprise et en ajoutant : il n'y a pas de prestation de serment sans shura. Si un homme prête serment d'allégeance à un autre homme, sans consultation, aucun d'entre eux ne doit etre calife et ils seront passibles de «mort».
- J'ai demand é alors à Sa'd (raconte Sha'ba) :
- Qu'est-ce que «passible de mort»?
- Cela veut dire que leur punition consiste à les interdire l'un et l'autre à être calife, m'a-t-il répondu, en ajoutant: quant à son dire (de 'Umar) «Falta», il signifie surprise. On dit surprise, parce que le commun des fidèles ne l'avait pas prévu. Cela était fait à l'initiative des notables des Compagnons Muhajirins et le commun des Partisans». Comparer avec Gharib al-Hadith» d'Ibn Al-Athır (Falt) et «Al-Faif» d'Al-Zamakhshari, (falt).
(14) Gharib al-Hadith.
(15) Sharh Nahj al-Balagha (ed. Abu Fadhl Ibrahim), 12/146-147.
(16) Sharh Nahj al-Balagha, 4/78-80 Voir aussi un argument semblable dans les «Hashimiyyat» de Al-Kumayth pp 111-112.
(17) Tarikh Khalifat 1/252 et suıv.
- Tabaqat Ibn Sa'd 5/119.
- Tarikh Al-Tabari, 2/422.
- Ansab al-Ashraf, 5/188.
Voir aussı ma recherche (en allemand) «La révolution d'Ibn Al-Ash'ath et les lecteurs» (Fribourg, 1977), pp. 338-339, cf. note 11.
(18) Voir Watt, M. : Kharijite Thought in the Umayyad Period, in Der Islam, 36, 1961.
(19) Cf. Tarikh abi Bishr Harun Ibn Hatin (ed. Sakina al-Shihabi), revue de Majma' al-lugha al-'Arabiyya, Damas, 1978 ; et Tarikh Abi 'Abdallah Muhammad Ibn Yazid (ed. Muti' al-Hafidh), Damas, 1979 ; et Tarikh al-Tabari, 2/4-7.
(20) Tarikh al-Tabari, 2/231, 263, 330 ; et Makatil al-Talibiyyin, pp. 104-105.
(21) Ansab al-Ashraf, 5/170-71.
(22) Cf. ma recherche (en allemand) op. cité, pp. 330-332.
(32) Ansab al Ashraf.
(24) C'est un compagnon mal connu.

Cf. sa biographie dans «Al-Isti'ab» d'Ibn 'Abdel Barr, 3/1063.
(25) Sahih Muslim (ed. Muhammad Fuad 'Abdul Baqi/ Beyrouth, 1978) 3/1480.
(26) Ibid.
(27) Sharh Nahj al-Balagha 2/307. Dans Al-Musannaf, 'Abdul Razzaq cite cette parole de la façon suivante : «Le pouvoir est à Dieu, et sur la terre, il y a des gouvernants. Mais eux, ils disent : pas de gouvernants (Imara)! Or, les gens ont nécessairement besoin d'un gouvernant sous lequel œuvre le fidèle, dans lequel jouissent l'athée et le débauché, et par lequel Dieu fait parvenir ses prescriptions». Cf. Al-Kamel d'Al-Mubarrad 3/206. Voir aussi la première partie de cette étude in «La Revue de la pensée arabe» (Majallat al-Fikr al-'Arabi) 11/12/1979 p. 36 ; ainsi que mon étude : «Al-Sulta wal ma'-rifa fil Fikr al-'arabi al-Islami» in la revue Dirasat 'arabiyya, 11/1979, pp. 23-24.
(28) Cf. un hadith rapporté par Um Salama, femme du Prophète, dans Sahih Muslim, 3/1481.
(29) 'Abdul Razzaq dans Al-Musannaf, 2/379, cité par Ahmad dans Al-Musnad, 3/1476.
(30) Sahih Muslim, 3/1476.
(31) Al-Rissala, p. 419, ainsi que mon article op. cit. in la revue «Al-Fikr al-'arabi», 11-12/1979, p.41.
(32) Les faqihs et les théologiens confirment cela en se référant à Al-Shafi'i et au principe du consensus unanime. Cf. «Al-Ahkam al-Sultaniyya» p. 6 et «Adab al-Dunya wal-Dine» pp. 129-130 de Mawardi, ainsi que «Al-Irshad» de Juwayni, p.425
(33) Kitab al-Kharaj (Turuq al-salafiyya, 1382 H.) pp. 9-11.
(34) Cf. son livre Al-Makasib : les questions relatives aux actions des cœurs et des sentiments, des gains et de la raison (ed. 'Abdel Kadir 'Ata, le Caire 1971), p. 308, ainsi que mon article in «Revue de la pensée arabe» 11-12, 1979, pp. 41-42, op. cit.
(35) Al Makasib .pp308-309
(36) Ibid, 211-212
(37) Ibid, 211
(38) Cet ouvrage fut publié dans le cadre d'une thèse de doctorat soutenue à l'université Jésuite à Beyrouth, (1977) par Hilmi Muhammad Fuda, et couvrant trois grands volumes. L'ouvrage est édité par Dar al-Fikr, à Beyrouth (1979). Il est très important pour la compréghension de l'évolution de l'école d'Al-A'shari. Beaucoup de penseurs se sont servis de cet ouvrage, parmi eux : Al-Bayhaqi (pour son livre, Shu'ab al-Iman) et Al-Qalqashandi (pour son livre, Subh al-A'sha). Il semble que Al-Mawardi et Abu Ya'la l'onlconnu. Mais Imam Al-Haramayn ne s'en est servi ni dans «Al-Irshad» ni dans «Ghayyath al-Umam».
(39) Al-Halimi étudie les questions de l'Imamat dans les sections 49-54.
Le vérificateur s'est basé sur un seul manuscrit défaillant. C'est pourquoi le livre comporte beaucoup de phrases ambigues Nous mettrons nos propositions de lecture entre guillemets suivis d'un«?» lorsque leur authenticité n'a pu etre établie.
(40) A propos de l'entrée des Buyides à Baghdad comparer avec «Al-Kamil» d'Ibn Al-Athir, 6/135, et Al-Muntadham, 6/349. En ce qui concerne les discussions internes, cf. «Les lois du Ministère et la politique du Pouvoir» de Al-Mawardi, p. 64 et suivantes. Sur les relations avec les Fatimides, cf. «Les lois» (Al-Kawanin», p. 40 et ss.
(41) Cf. pour les détails, mon introduction aux «Lois du Ministère et la Politique du Pouvoir» de Mawardi, p. 48 et ss. et :
- Laoust, H. : Les agitations religieuses à Baghdad» in Islamic Civilization 950-1150 (ed. D. H. Richards, London, 1973), 47 ff.
(42) Al-Minhaj 3/156. Il parait que Halimi répond ici à Abi Al-Jaba'i qui pense, comme le fait Abu Ya'la dans Al-Mu'tamad p. 250, que «le meilleur

de la Umma et celui qui mérite le plus l'Imamat devient Imam sans 'aqd ni prestation de serment d'allégence s'il était considéré comme tel et connu personnellement...» ; ce qui diverge avec l'avis des mu'tazilites qui considèrent l'Imamat comme un contrat. Voir Al-Mughni, de Al-Qadhi, 'Abdul Jabbar 20/1/251.

(43) Cf. Sur «Ahl-Al-Ikhtiyar», (la démocratie dans la philosophie du gouvernement arabe) de 'Abdul 'Aziz al-Duri, in «Al-Mustaqbal al-'Arabi» (9/1979), pp. 67-68. Cette appellation se répète chez Al-Mawardi, dans «Al-Ahkam al-Sultaniyya», p. 3 et chez Abu Ya'la également dans son «Al-Ahkam al-Sultaniyya» p. 19, alors que Abu Ya'la les appelle dans Al-Mu'tamad p 233 «les gens qui délient et lient» ; et Al-Halimi les appelle «les gens de l'Ijtihad» (Al-Minhaj 3/151), mais il précise plus loin qu'il vaut mieux que leur nombre se limite à quarante, dont un seul 'Alem pour rendre jutice entre les gens».

(44) Al-Minjaj, 3/157.

(45) Ibid. 3/158.

(46) Ibid. 3/157.

(47) Ibid 3/159.

(48) Ibid. 3/177-178

(49) Ibid. 3/178-179

(50) Ibid. 3/149.

(51) Ibid 3/177.

(52) Ibid 3/179.

(53) Le Coran, Al-'Umran, 103

(54) «Al-Mu'tamad» de Abu Ya'la p 238. Peut-être l'expression de l'Imam Ahmad provient de sa compréhension du célèbre hadith du Prophète : «...celui qui meurt (mata) (ou passe sa nuit : bata) sans avoir preté serment d'allégeance, meurt en jahilite» (Musnad Ahmad, 2/83-93 et Sahih Al-Bukhari 9/59 et Sahih Muslim, 3/1478).

(55) Al-Mu'tamad, p. 238.

(56) Al-Ahkam al-Sultaniya, p. 6

(57) Adab al-Dunia wal-dine, pp 129-130.

(58) Ibid. p. 130.

(59) Al-Mu'tamad. p. 249 : «il n'est permis de nommer deux Imams pour l'ensemble des musulmans même dans un seul cas, et ceci contrairement à l'affirmation selon laquelle cela est permis dans les pays éloignés lorsqu'il y a nécessité d'un deuxième Imam».

(60) Al-Irshad, p. 425. Voir également l'article de 'Abdul 'Aziz al-Duri précité, p. 69.

(61)Fadha'ih al-Batiniyya.p 18' Voir aussi l'article de 'Abdel 'Aziz al-Duri, pp. 59-70.

(62) Tahrir al-Ahkam, d'Ibn Jama'a (ed. H.Klopfer, in Islamica VI), p.357

(63) Cf. à titre d'exemple : l'article de Bernard Lewis : «La politique et la guerre» in Al-Turath al-Islami (trad M.Z. Al-Samhuri, Kuwait, 1978), 1/238-240.

AU-DELA DES ETATS-NATIONS MUSULMANS

Kalim SIDDIQI (*)

La science politique est sans aucun doute le domaine de recherche humaine où les Musulmans d'aujourd'hui sont en proie à la plus grande confusion. Cette confusion existe aussi bien au niveau des intellectuels qu'à celui des praticiens de l'«art» ou de la «science» politique - les politiciens. Nous ne nous occuperons pas ici de ces derniers, bien que nous puissions être amenés à leur faire référence ainsi qu'à leurs systèmes politiques.

Au niveau intellectuel, la confusion est la plus grande là où on l'attendrait le moins - chez les politologues. Lorsqu'il est musulman, le politologue se trouve dans une situation extrêmement difficile. Il a une formation en science politique - sans doute un Doctorat dans cette branche -, un poste à l'université et même peut-être quelques ouvrages à son actif. Pourtant, le politologue musulman doit se poser à lui-même une question simple : est-il différent des politologues non-musulmans qui ont les mêmes diplômes, le même poste universitaire, et ont publié le même nombre d'ouvrages ? La réponse honnête est «non», et c'est aussi la bonne réponse. Le piège est dans l'expression «politologue musulman». En fait, le Musulman chez le politologue est indépendant de sa discipline universitaire. Il y a, à proprement parler, deux personnes en une - un Musulman et un politologue. Le Musulman est un «cro-

---

(*) Directeur du «Muslim Institut» à Londres. Il a publié plusieurs ouvrages dont:

«Conflict, Crisis and War in Pakistan (1972)

«Towards a New Destiny» (1974)

«The Functions of International Conflict» (1975)

«The Islamic Movement: A System's Approach» (1976)

«The Islamic Revolution in Iran» (1980)

yant» de l'Islam, mais sa science politique est extérieure à l'Islam. Le Musulman «croyant» et le politologue non-musulman cohabitent au sein d'un même individu et c'est de cette cohabitation que naît la confusion. Et lorsque ce «politologue musulman» schizophrène tente de se prononcer sur «la théorie politique de l'Islam» et «l'Etat islamique», la confusion est encore plus grande.

Les sources de la science politique

Il y a de cela guère plus de cinquante ans, ces modèles de sagesse que sont les politologues étaient encore une espèce inconnue. Les premiers ont été nommés au XX° siècle [1]. Pourtant, lorsqu'on demande ce que traite la politique, on nous répond aussitôt : la pensée de Platon [2], Aristote, Augustin, Aquinas, Machiavel, Dante, Hobbes, Locke, Rousseau, Bentham, Marx et John Stuart Mill. Puis on nous parle de description des grands Etats modernes - Etats-Unis, Grande-Bretagne, France, Allemagne, Union soviétique et quelques autres. Et enfin, de la considérable littérature contemporaine sur les conceptualisations analytiques.

Si l'on examine d'un peu plus près la liste ci-dessus, on en vient à se poser plusieurs questions. Si par exemple, le «père des sciences politiques» (Platon) a écrit sa «République» il y a 2400 ans, qu'est devenu l'enfant entre-temps ? La réponse est, en partie, qu'il a été à l'Eglise pendant bon nombre de siècles, puis il a connu la Réforme et la Renaissance. Il est ensuite passé par les facultés de droit, d'histoire et de philosophie, avant d'être reconnu comme une discipline séparée, bien que sa jumelle, les relations internationales, ait encore aujourd'hui quelques difficultés à naître [3]
Cette réponse, néanmoins, n'est pas entièrement satisfaisante. Pourquoi l'Eglise et les facultés de droit, d'histoire et de philosophie ont-elles retenu si longtemps l'enfant avant de le lâcher soudainement dans la nature, plein de santé, si bien qu'en cinquante ans (qui ne sont rien sur une période totale de 2400 ans), il est devenu un adulte vigoureux avec une tendance virile à la procréation ? Pourquoi cela s'est-il passé, presque soudainement, au vingtième siècle ? Pourquoi, surtout, au vingtième siècle, à cette époque précisément ?

La ou les réponses à cette question éclaireront bon nombre de mystères. Une des réponses possibles est que c'est au vingtième siècle que les sciences politiques, sous leur forme actuelle, se sont avérées le plus nécessaires, ce qui explique leur immense succès et leur importante expansion, ainsi que l'intérêt, le soutien et l'ad-

hésion considérables qu'elles ont suscités. Qui en a eu besoin et pourquoi ?

A.J.P. Taylor, l'historien anglais bien connu, a écrit récemment : «L'Europe a mis longtemps à s'affirmer comme entité politique. Elle n'a commencé à dominer (les civilisations non-européennes) qu'au seizième siècle (lorsque les Musulmans ont perdu l'Espagne) ; et ce n'est qu'au vingtième siècle que cette domination s'est transformée en triomphe» [4] . Taylor fait la critique du livre de J.M. Roberts, «The Hutchinson History of the World». Taylor prend des accents lyriques pour faire l'éloge de Roberts : «Nous avons ici la meilleure Histoire Mondiale d'aujourd'hui [5] .Elle couvre toutes les époques et tous les continents. On y trouve aussi bien les expériences des hommes ordinaires qu'une chronique des actions des hommes au pouvoir. Elle est à la fois incroyablement fidèle dans le récit des faits et presque incontestable dans les jugements qui y sont portés». Roberts, continue Taylor, a réussi à maintenir «un honnête équilibre entre les différentes civilisations» dans ces 1100 pages. Puis Taylor nous révèle le secret. «(...) il (Roberts) ne peut s'empêcher de s'intéresser davantage à la civilisation européenne qu'il connaît mieux et à laquelle il appartient. Aussi, plus de la moitié de son livre est consacré aux derniers siècles de notre histoire, ceux qui ont vu l'avènement de l'Europe». Taylor ne regrette pas ce déséquilibre, mais ajoute : «Le lecteur sera satisfait de cette insistance». Pourquoi Taylor est-il persuadé que le lecteur appréciera cette insistance sur la civilisation européenne ? Parce que, à l'évidence, Taylor sait qu'il ne s'agit pas d'histoire à proprement parlé ; il s'agit d'un point de vue occidental, qui trouvera donc un large public. C'est effectivement ce qu'il appelle une «histoire (...) d'aujourd'hui».

Taylor admet tacitement ici que chaque civilisation produit son propre point de vue sur l'histoire du monde et sur les autres civilisations. On ne peut donc pas considérer comme objectifs les jugements qu'il formule ici, ni, à plus forte raison, ceux qu'il rapporte.

Tenons-nous pour un temps à la vision historique de Taylor et acceptons, pour les besoins de notre argumentation, le fait que l'Europe a commencé à dominer le monde au seizième siècle. Il n'en reste pas moins qu'il oublie de nous dire qui dominait le monde avant cette date. Il se trouve que nous, Musulmans, connaissons la réponse,mais ce fait a toujours été soigneusement occulté par les historiens occidentaux. Pendant 1000 ans, la civili-

sation musulmane a conservé sa position dominante, et ce n'est en effet qu'au vingtième siècle, comme le reconnaît Taylor, que la civilisation occidentale a triomphé.

Une fois confirmé ce triomphe de l'Occident, et les Musulmans chassés de la scène de l'histoire, l'Occident a eu besoin de deux types d'intellectuels - les historiens, chargés de réduire l'Islam et les Musulmans à quelques paragraphes et notes de référence, et les politologues, chargés de justifier et de rationaliser cette domination occidentale. Dans cette entreprise de falsification historique et d'élaboration d'une vision laïque de l'homme et de son évolution politique, la nouvelle civilisation triomphante a investi des ressources matérielles et humaines considérables. Le troisième élément de cette stratégie a été la tradition d'érudition orientaliste dont le but principal était l'infiltration des institutions islamiques restantes pour les détruire de l'intérieur. Les missionnaires chrétiens ont également participé à l'entreprise et été grandement récompensé de leurs efforts.

On voit maintenant clairement quelles sont les racines de la science politique (occidentale). Elles n'ont pu se développer librement. On ne leur a pas permis, par exemple, de tirer quoi que ce soit de l'Imam Al-Ghazali, d'Ibn Taymiya ou même d'Ibn Khaldûn. Toutes les précautions ont au contraire été prises pour que les sciences politiques modernes n'aient aucun contact avec les Musulmans ou l'Islam et puisent directement tout l'enseignement chez les Grecs anciens, l'Eglise médiévale et l'Europe féodale puis nationale.

Aussi les philosophes politiques occidentaux ont-ils continué, jusqu'à nos jours, de débattre de sujets tels que la nature humaine et s'efforcent-ils toujours d'expliquer le comportement politique conformément à la doctrine chrétienne de «péché originel». Nous sommes sans cesse contraints de nous référer à ces sources artificielles. Car les sciences politiques occidentales, tout comme l'histoire, la philosophie et les arts occidentaux, ont tous été modelés pour servir les objectifs de la civilisation occidentale.

Une différence essentielle

Cette analyse des fondements de la science politique moderne appelle une question : si chaque civilisation a besoin d'une science politique qui lui soit propre, pourquoi la civilisation musulmane, forte de 1000 ans d'histoire, ne possède-t-elle pas la sienne

propre ?

La réponse en est, à sa façon, à la fois simple et complexe. Pour les Musulmans en général, et pour les intellectuels et penseurs musulmans, le pouvoir et la suprématie politiques n'avaient rien de nouveau ou de surprenant, et ne nécessitaient pas de justification. Pour eux, et pour les hommes d'état et les administrateurs musulmans, le pouvoir politique était l'essence même de l'Islam. Ils ne pouvaient concevoir l'Islam ou se concevoir eux-mêmes hors d'un cadre politique. Pour eux, la vie politique était aussi naturelle que la vie-même ; elle allait de soi, comme le soleil, la pluie, l'air et la terre. Ils étaient semblables à des poissons qui ne s'interrogent pas sur la nécessité de l'eau. En réalité, la Sunna du Prophète réclamait la formation d'un système politique sans lequel l'Islam ne pouvait être compris ni appliqué. Point n'était besoin de rationaliser, de théoriser ou d'expliquer.

Tant que dura le pouvoir politique et qu'exista le cadre politique nécessaire à l'expansion et à la défense de l'empire islamique, les Musulmans se préoccupèrent peu du fait que la dignité de Khalifa fut devenue héréditaire et, par essence, une monarchie. Le gouvernant s'appelait «Khalifah» et, bien qu'il ne fût plus désintéressé, on n'en continuait pas moins de le reconnaitre et de lui obéir comme «Amir-al-Mu'minîne»

Cette situation est en total contraste avec l'idée de séparation de l'Eglise et de l'Etat dans l'histoire de la pensée et du développement politiques de l'Occident. Les premiers Chrétiens étaient organisés, à supposer qu'ils l'étaient, en un ordre monastique, et non en unités politiques, militaires ou civiles. Les Chrétiens obéissaient donc à l'autorité romaine dans presque tous les domaines. Ce n'est que beaucoup plus tard que l'Eglise et l'Etat entrèrent en conflit pour des problèmes de délimitation des domaines profane et sacré. L'Islam, par contre, a, dès le début, défié l'autorité existante, organisant des systèmes civil, militaire et administratif qui lui permirent, dans le temps de l'existence du Prophète, de triompher de l'opposition et d'imposer la suprématie incontestée de la voie nouvelle tracée par l'Islam. Ainsi que l'a noté Iqbâl :

> «En Islam, le spirituel et le temporel ne sont pas des domaines séparés, et la nature d'un acte, même s'il a un contenu laïc, est déterminée par l'attitude spirituelle de l'agent au moment où il l'accomplit. C'est l'arrière-pensée invisible qui commande l'acte qui en définit en dernier ressort le caractère. Un acte est tem-

porel ou profane s'il est accompli sans se soucier de l'infinie complexité de la vie qui le sous-tend;il est spirituel s'il est inspiré par cette complexité. Là où l'Eglise voit les choses d'un point de vue et l'Etat d'un autre, l'Islam ne voit qu'une seule et même réalité. Il n'est pas exact de dire que l'Eglise et l'Etat ne sont que deux revers ou deux facettes d'une même chose. L'Islam est une réalité unique et inanalysable qui prend une forme ou une autre selon le point de vue. Ce raisonnement peut nous mener extrêmement loin et il faudrait une discussion d'un haut niveau philosophique pour l'élucider totalement. Qu'il nous suffise de dire que cette erreur ancienne est née du fractionnement de l'unité de l'homme en deux réalités distinctes et séparées, certes avec un point de contact, mais par essence opposées l'une à l'autre. La vérité, cependant, est que la matière est esprit dans une référence spatio-temporelle. L'unité qu'est l'homme est un corps lorsqu'on le voit agir par rapport à ce qu'il est convenu d'appeler le monde extérieur ; c'est un esprit ou une âme lorsqu'on le voit agir par rapport au but ou à l'idéal final recherché par cet acte. L'essence du «Tawhîd» comme idée agissante est l'égalité, la solidarité et la liberté. L'Etat, du point de vue islamique, est une tentative de transformation de ces principes idéaux en forces spatio-temporelles, une aspiration à les réaliser au sein d'une organisation humaine définie»[7].

Nos propos ci-dessus ainsi que l'argumentation d'Iqbâl montrent clairement que la notion d'Etat en Islam est fondamentalement différente de la notion d'Etat-nation moderne. On a affaire à deux formes d'Etat sans aucun point commun. Alors que l'Islam a créé l'Etat comme un instrument servant les objectifs divins, l'Etat-nation est né pour des raisons précisément inverses - pour chasser Dieu et lui substituer «l'intérêt national» tel que le définit la raison humaine. Voyons à ce sujet l'opinion d'un politologue occidental, W.T. Jones. Après avoir convenu, comme Bodin, que le concept de souveraineté était inconnu des penseurs grecs ou médiévaux, il poursuit :

«Cela tient à l'apparition, au tout début de la période moderne, de certaines conditions qui ont nécessité un nouveau schéma théorique. Le schéma finalement mis en place est basé sur la notion de souveraineté, et comme les mêmes conditions sont toujours réunies aujourd'hui, la notion de souveraineté reste de la première importance. Ces conditions sont, bien entendu, l'apparition de l'Etat national territorial, venu se substituer au système politique féodal. Ce type d'organisation politique se de-

vait d'apparaître ; ou, plutôt, le monde moderne ne se serait pas développé comme il l'a fait - en une culture laïque, industrielle et capitaliste - s'il n'y avait pas eu la création de l'Etat national territorial ; qui est à la fois un instrument et une conséquence de ce développement. (...) Ils (Machiavel, Bodin et Hobbes) reconnaissent simplement, mais très clairement, qu'un dirigeant suprême et tout-puissant - un souverain - est une des conditions indispensables du nouvel ordre des choses»[8] [9].

La situation actuelle

Nous venons d'explorer une partie du domaine couvert par la jungle conceptuelle qui cause tant de confusion dans la pensée politique des Musulmans d'aujourd'hui, y compris chez les politologues,les politiciens et les ulamas traditionnels qui tentent d'analyser les maux politiques de l'Umma et d'y remédier.

La confusion, en fait, naît à la source - dans la science politique occidentale elle-même. Les spécialistes ne sont pas parvenus à s'entendre sur une définition du terme «politique». Bien qu'il tire son étymologie du mot grec «polis», il a pris depuis bon nombre de significations nouvelles.

Les définitions du terme «politique» varient depuis «la politique est une lutte pour le pouvoir» (morgenthau), «l'étude de l'influence et de l'influent»(Lasswell), jusqu'à «la répartition autoritaire des valeurs» (Easton)[10]. Bernard Crick opte pour ce lieu commun «la politique, c'est la politique»[11]. Il retient également cette définition de Disraëli : la politique c'est «l'art de gouverner les hommes en les décevant»[12]. L'image de «sale boulot» de la politique et des politiciens persiste dans le monde entier, y compris en Occident. Certains politiciens, arrivés à de hautes fonctions, ont même tenté de se situer «au-dessus de la politique». D'autres se sont efforcés de «sauver le pays des politiciens». On recommande souvent aux hommes d'Etat de «ne pas jouer à la politique avec l'intérêt national». Ceci n'est pas pour surprendre dans un contexte où la plus haute forme d'organisation politique, l'Etat-nation, ne reconnaît lui-même aucune valeur morale, sauf celles du monde profane. Ces valeurs ne sont ni immuables ni universelles. Elles varient d'un Etat-nation à l'autre et dans le même Etat-nation, on se réfère souvent à des valeurs différentes dans des situations différentes, compte tenu de l'«intérêt national» en jeu dans chaque situation. Il n'est donc pas surprenant que les relations internationales entre Etats-nations constituent une lutte pour le pouvoir,

au moyen du pouvoir, et visant à plus de pouvoir[13].

Nous en avons assez dit maintenant pour nous concentrer sur la situation actuelle dans les régions du monde où l'Islam prédomine. Disons simplement que le monde musulman est aujourd'hui divisé en nations et que chaque nation a son propre «Etat-nation». (Exception faite de la Palestine, de l'Erythrée et du Cachemire, qui sont soit sous occupation étrangère, soit sous domination coloniale).

Les Etats-nations musulmans ne diffèrent pas fondamentalement de tous les autres Etats-nations. Peu d'entre eux, s'il en existe, admettent des valeurs morales, sauf à titre de slogans. Certains, comme le Pakistan, se couvrent d'une bannière commode et s'intitulent «République islamique». Tous les Etats-nations sont en fait le produit de la civilisation occidentale et sont le résultat de la domination coloniale. Leurs objectifs, structures et politiques sont identiques, que l'Etat-nation se trouve en Europe (son continent d'origine) ou en Afrique, Asie ou Amérique. On retrouve une situation analogue à celle que nous avons décrite plus haut au sujet du politologue musulman, partagé entre sa croyance musulmane et sa formation scientifique «non-musulmane». Il en est précisément de même ici : les pays sont musulmans mais leurs structures politiques - l'Etat-nation - sont étrangères à l'Islam. Il nous faut donc affronter la situation et admettre la triste réalité : il n'existe pas aujourd'hui de manifestation politique de l'Islam. Cette période historique de fractionnement des peuples musulmans en Etats-nations est en fait, strictement parlant, le prolongement de la période de colonialisme européen. Au lieu d'être directement régis par l'Europe, les pays musulmans sont maintenant régis par les institutions européennes, par l'intermédiaire d'élites musulmanes locales qui partagent la vision européenne, laïque et profane du monde[14]. Nous sommes donc tous des Européens, au sens propre du terme. Et nous sommes encore soumis à une forme de colonialisme occidental. L'économie des «Etats-nations» musulmans est capitaliste et intégrée dans le système capitaliste international Les compagnies commerciales, financières, de prêt et d'assurance internationales ne sont que les versions modernes de l'ancienne Compagnie de l'Inde Orientale[15]. C'est dans ce contexte, d'universalisation de l'Etat-nation et de la culture capitaliste, que nous devons comprendre l'affirmation d'A.J.P. Taylor que le triomphe de la civilisation occidentale n'est intervenu qu'au vingtième siècle[16]. Nous sommes maintenant les prisonniers «libérés sur parole» de la civilisation occidentale.

Vers une nouvelle science politique

Les politologues musulmans doivent donc maintenant parler comme un groupe de prisonniers. Ils doivent définir l'échelle et le type de la prison où ils vivent, et dresser un plan détaillé de leur cellule. Ceci en trois dimensions : sociale, économique et politique. Ces dimensions sont reliées par des corridors intellectuels dont les politologues sont les interprètes privilégiés en même temps que les victimes. Pour préparer et mettre à exécution un plan d'évasion de cette prison «ouverte» mais qui nous entoure de tous côtés, nous devrons, pendant un temps, nous comporter en prisonniers modèles et nous mêler à nos bourreaux sans éveiller leurs soupçons. Il sera peut-être possible, dans une certaine mesure, de mettre nos «gardiens» dans le secret. Peut-être même pourront-ils coopérer avec nous tant que nous ne menaçons pas leurs positions et leur rôle de dirigeants à court terme.

Ce sont les effets cumulatifs de siècles de négligence et les marques des actes et des lacunes de nos ancêtres qui nous ont conduits à cette situation cauchemardesque. Il ne tient donc nullement à nous de nous sortir d'un seul bond de ce marasme historique. Nous pouvons tout au plus construire, ou commencer à construire un solide tremplin d'où une génération future prendra appui pour s'évader. C'est par défaut que nous nous sommes enfoncés dans le bourbier actuel, mais ce n'est qu'à dessein que nous en sortirons.

La première série de problèmes auxquels se trouveront confrontés les architectes de notre avenir est conceptuelle. Ce n'est que lorsqu'ils seront résolus que les concepteurs pourront commencer leurs expériences. Après une période d'essai et, nous l'espérons, de réussite, peut-être aurons-nous plus de confiance et pourrons-nous engager plus de ressources humaines et matérielles dans l'assaut final contre les forces prépondérantes de l'histoire.

La première étape, néanmoins, consiste largement, sinon exclusivement, à surmonter les obstacles conceptuels et à façonner toute une série de nouveaux instruments de conceptualisation. C'est de la réussite de cette tâche initiale que dépend largement le lancement de toute l'entreprise et le passage aux étapes ultérieures. Certaines de ces difficultés initiales ont été surmontées par la Révolution Islamique d'Iran.

Il est clair que cette première étape a une vocation «pédagogique». Tous les enseignants doivent y participer, quels que soient

leurs domaines. Mais le professeur de science politique a ici un rôle central à jouer. L'historien musulman n'a nul besoin d'écrire une histoire de propagande, ni le politologue de théoriser, pour paraître respectables et profonds . L'Islam offre un cadre qui légitimise l'érudition, surtout l'érudition théologique visant un but précis.

L'objectif du politologue musulman n'est nullement d'écrire sur des thèmes aujourd'hui rebattus de «théorie politique de l'Islam» ou d'«Etat islamique». Tout le nécessaire a déjà été écrit sur ces sujets[17]. Il doit, dans ses recherches, s'appuyer sur la situation actuelle et s'en servir comme d'un point de départ. Nous savons, en tant que politologues, que la génération actuelle d'Etats-nations musulmans n'a résolu, et ne résoudra certainement jamais, aucun des problèmes auxquels l'Umma se trouve confrontée. Nous devons préparer nos étudiants et les générations futures à une époque où il n'y aura plus d'Etat-nation. Nous devons regarder au-delà de l'Etat-nation et préparer un projet pour l'ère qui lui succèdera. Nous devons, par nos analyses, créer un climat intellectuel qui nous prépare à l'époque où il n'y aura plus d'Etat-nation. Certains nous suivront de leur plein gré ; d'autres devront être abattus Le danger, néanmoins, est que les institutions actuelles, si mauvaises soient-elles, ne s'effondrent avant que nous-mêmes et nos peuples nous n'ayons mis au point une forme d'organisation politique de remplacement. On ne peut attendre des politiciens qu'ils préparent leur propre remplacement et celui de leurs systèmes ; le politologue musulman n'a donc pas le choix.

Les récents mouvements politiques «revivalistes» au sein des Musulmans n'ont pas réussi à atteindre les objectifs fixés. Il faut donc que soient menées un certain nombre d'études objectives pour comprendre la cause de l'échec de mouvements comme ceux des Ikhwān et de Jama't-e-islami. Il nous faut examiner toutes les raisons de ces échecs. Ces études doivent, bien entendu, porter sur les structures, les rôles et les «styles» dominants, et autres facteurs «humains» de ces mouvements. Mais il est nécessaire avant tout d'insister sur leurs phases conceptuelles, sur leur «lecture» de la situation à laquelle ils s'opposent et sur les politiques qu'ils poursuivent. Ainsi, on doit se demander si la façon dont un parti politique donné appréhende le changement est acceptable. Le «Jama't» avait-il raison, sur le plan conceptuel ou pour des raisons de commodité et d'opportunité, de conclure immédiatement que des «élections» pouvaient produire le résultat souhaité ? Que faire de l'argument d'«opportunité» lorsque les options dispo-

nibles sont en conflit avec les valeurs et les traditions de l'Islam Un «mouvement islamique» peut-il suivre une voie non-islamique et espérer arriver à l'Islam ? Quels «compromis», s'il en est, sont-ils possibles ou souhaitables dans une situation «démocratique» ? Est-il justifié d'accepter le processus «démocratique» dans un cadre capitaliste-nationaliste ?

Il y a également toute une série de questions à poser concernant les origines sociales et la pertinence des récents mouvements islamiques. Ces mouvements n'avaient-ils pas une trop forte composante «bourgeoise» ? Représentaient-ils, ou semblaient-ils représenter les intérêts de la classe dirigeante de leurs sociétés ? Poussés par un besoin financier, les mouvements islamiques sont-ils tombés dans les bras ou sous l'influence de ceux qui souhaitent le maintien du statu quo économique social sous la bannière de l'Islam ? Les mouvements islamiques semblaient-ils soutenir les capitalistes dans le dialogue en faveur du changement ? Quelles leçons les futurs mouvements islamiques doivent-ils tirer du passé, des échecs récents ou actuels ? Une autre série de questions concerne le «degré de compétence» des militants islamiques et la nature et l'étendue de leur engagement et de leur mode de vie[18].

Au-delà des Etats-nations musulmans

Les enseignants en science politique musulmans se trouvent devant une véritable gageure. Ils doivent d'abord révéler à leurs étudiants et à une plus large audience la véritable nature de l'Etat-nation ainsi que toutes ses structures et fonctions. Ils doivent créer un fond d'ouvrages prouvant que l'Etat-nation ne peut absolument pas résoudre aucun des problèmes auxquels l'Umma se trouve aujourd'hui confrontée. L'histoire contemporaine est pleine de données appuyant cette thèse. Les étudiants musulmans en science politique, tous les étudiants en fait, doivent prendre conscience de leur avenir et se préparer pour le moment où cette forme d'organisation politique qu'est l'Etat-nation sera disparue.

Mais la disparition de l'Etat-nation, quelle que désirable qu'elle soit, ne doit pas déboucher sur un vide ou mener au désordre et à l'anarchie, bien qu'un certain déséquilibre temporaire au cours de la période de transition et lors des changements fondamentaux soit inévitable. L'enseignant en science politique doit modeler l'esprit de ses étudiants musulmans dans le sens du changement. Le politologue musulman travaillant au milieu et avec la parti-

cipation de ses étudiants, doit également fixer une stratégie globale de changement. Il doit mettre au point des modèles de changement opérationnels. Le climat général doit être si plein de l'attente du changement que son arrivée sera accueillie et encouragée par tous les Musulmans.

Mais avant que nous ne parvenions à ce stade, le philosophe politique (économique et social musulman doit produire une telle image du futur qu'elle rende le présent insupportable. Il faut pour cela dessiner une nouvelle gamme de systèmes politiques et socio-économiques islamiques. Ces modèles devront être assez convaincants et attrayants pour inciter toute une nouvelle génération à lutter pour qu'ils soient appliqués.

Cela suppose que le politologue acquière et permette à ses étudiants d'acquérir des qualités physiques et spirituelles qui leur seront nécessaires lorsque viendra cette nouvelle phase de l'histoire. Si l'Etat-nation disparaît, il faut également que changent le style, l'origine sociale et la fonction des dirigeants actuels. Peut-être devrons-nous proposer une conception entièrement nouvelle ou islamique du rôle de dirigeant. Peut-être même le terme «dirigeant» ne s'appliquera-t-il plus aux militants actifs d'un ordre social islamique ; peut-être les membres de ce nouvel ordre participeront-ils si normalement et si naturellement à la promotion du bien-être collectif que le «rôle», la «fonction» de dirigeant deviendront diffus et institutionalisés à tous les échelons de la société. C'est d'ailleurs la même voie que suit actuellement, par le style et le contenu de son rôle, l'Imam Khomeini.

Il est bien sûr impossible de prévoir l'avenir, mais ce serait pécher par négligence que de ne pas le préparer. Il est également important de se faire une idée réaliste de l'échelle temporaire de notre stratégie. Il serait par exemple utile de diviser le futur en trois étapes : le court terme (les cinq années à venir), le moyen terme (les 20 années à venir) et le long terme (les 20-30 ans à venir et plus).

L'histoire progresse de telle façon que ce qui se passera dans le court terme échappe probablement déjà à tout contrôle et à toute planification. Tout ce qui peut être fait dans ce laps de temps est donc limité à des manœuvres marginales décidées en haut lieu. Rares sont les universitaires qui peuvent espérer influencer le cours des événements dans le court terme.

La situation n'est guère meilleure pour ce qui est du moyen terme, bien que plus l'on avance dans le temps, plus elle s'améliore. Bien que les «événements» ne pourront sans doute pas être déviés de leur puissant cours, il est par contre possible de modifier notre «réaction» aux dits événements. Ainsi, il nous sera peut-être possible d'ouvrir nos systèmes sociaux, économiques et politiques à une plus large gamme de comportements possibles. Ceci améliorera sensiblement l'efficacité de ces systèmes et la production par unité de ressource pourra peut-être être grandement améliorée. Par contre, il sera sans doute possible dans les 20-30 années à venir de planifier une période d'intense activité pour la réalisation d'objectifs intermédiaires majeurs ; ces objectifs feront partie de ce que nous appelerons les «conditions préalables» à l'ultime triomphe du «Mouvement Islamique» sur toutes les autres forces, qu'elles soient internes ou externes. La forme que prendra ou que devrait prendre ce triomphe est en soi une difficulté à résoudre pour les sociologues d'aujourd'hui.

Il est indéniable que seuls un puissant effort de volonté et une planification à long terme pourront conduire l'Umma jusqu'à la nouvelle phase historique qui s'étend au-delà de l'Etat-nation musulman.

Notes

(1) W.J.M. Mackenzie, Politics and Social Science, Londres, Pelican, 1967,p.57.

(2) On donne à Platon le titre de «pere des sciences politiques» et son livre, «La République» est considéré comme le premier ouvrage politique

(3) J W. Burton, «International Relations- a general Theory», Cambridge, The University Press, 1965, chapitres 1 et 2.

(4) «The Observer», Londres, 19 décembre 1976.

(5) Soulignié par moi

(6) Les Chrétiens reconnaissent aujourd'hui que pendant plus d'un siècle «de *nombreux missionnaires ont* servi les intérêts des pouvoirs coloniaux» Voir le «Statement of the Islamic Da'wah», Chambesy, juin 1976, paru dans «Impact», 6.21, 12-25 novembre 1976

(7) Muhammad Iqbal, «The Reconstruction of Religious Thought in Islam», Lahore, Ashraf, 1971,p.154

(8) W T Jones (ed.), «Masters of Political Thought», vol II,Londres, George G. Harrap, 1963,P 19.

(9) Pour une discussion sur les origines du système de l'Etat-nation en Europe, de son universalisation par le biais du colonialisme, et de son impact sur les zones extra-européennes du monde, voir Kalim Siddiqui, «The Functions of International Conflicts Karachi, Royal Book Co 1975, en part. l'introduction et le chap II, «*Political Legitimacy in the* Third World». Voir aussi R. Emerson, «From Empire to Nation», Boston, Beacon Press, 1962

(10) Voir les ouvrages cités dans la note (2), et aussi Kalim Siddiqui, «Is Politics Relevant» in Impact, Londres, 3:5, 27 juillet-aout 1973

(11) Bernard Crick, «In Defence of Politics», Londres, Pelican, 1964, p. 16.

(12) Ibid.

(13) Le principal interprète de cette opinion concernant les relations internationales est Hans J. Morgenthau. Voir son «Politics Among Nations», New York, Knopf, 1948, (cinquième édition, 1973).

(14) C'est cette idée qui m'a amené à proposer un modèle pour le «Mouvement Islamique» dans lequel les Etats musulmans ne sont que des sous-systèmes. Voir Kalim Siddiqui, «The Islamic Movement: a system's approach», Londres, The Open Press, 1980. Cet article est également un exemple de la façon dont un instrument d'analyse de la science politique moderne peut être utilisé par un politologue musulman

(15) Cette thèse a été longuement traitée dans une étude sur le Pakistan. Voir Kalim Siddiqui, «Conflict, Crisis and War in Pakistan», Londres, Macmillan et New YorK, Praeger, 1972.

(16) Loc. cit.

(17) Je ne suis pas convaincu de l'efficacité de ce type de littérature. Je lui trouve un ton d'excuse. On compte parmi les auteurs qui ont écrit dans ce cadre des figures aussi éminentes que Maulana A.A Maudoodi. Il me semble personnellement que ces auteurs se sont efforcés de faire entrer l'Islam dans le moule de la science politique occidentale. Ils cherchent le souverain et répondent: «Allah». Puis ils écrivent des pages et des pages sur le concept de souveraineté en Islam, bien que ce concept ne soit sans doute jamais venu à l'esprit des musulmans ou des dirigeants musulmans. Mais je ne suis pas assez qualifié pour m'opposer à ces auteurs et à leurs écrits Je me contente donc d'exprimer mes doutes dans une note. Peut-etre d'autres apporteront-ils la preuve que je suis dans le vrai, ou, mieux encore, me mettront-ils sur la voie de la vérité

(18) J'ai traité de tout ceci dans mon article «The Islamic Movement: a system's approach», op cit.

Traduit de l'anglais «Beyond the Muslim Nation-States» Ed

The Open Press Limited-London 1980

THE ISLAMIC CONCEPT OF THE STATE

Yaqub Zaki (*)

The State is a function of society, and where society is predicated on the basis of divinely sanctioned values the state that emerges is necessarily a theocracy, like the Hebrew monarchy, Calvin's Geneva, Confucian China or Imperial Japan. In Islam, the scriptual basis of the emergent theocracy is to be found in two places, first, in Surah 22, v.41 :

الذين ان تمكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور.

(The Muslims are) they who, if we establish them (in power), upon the earth, shall set up (regular) worship, pay the poor-due, enjoin right conduct and prohibit the reprehensible, and to God belongs the sequel of events.

Here it should be noticed that the performance of worship, the payment of Zakat, and the enforcement of a moral code are all linked up to, or made contingent on, the Muslims being given power in the land, from which it would seem to follow that Islam is inseparable from its statal embodiment. The collection of taxes and the enforcement of public morals presuppose the existence of a state structure, and could refer to any state ; what makes of this verse a prescription for theocracy is the inclusion of worship and the initial reference to Muslims. Such a passage precludes the separation of church from state in Islam. Despite Ataturk and 'Ali Abd Ar-Raziq this has always been clear to the greatest minds in Islam. Iqbal says that in «Islam it is the same reality which ap-

(*)Former lecturer in Arabic and Islamic Studies Lancaster University, U.S.A.

pears as the Church looked at from the one point of view and the State from another. It is not true to say that the Church and the State are two sides or facets of the same thing. Islam is a single unanalysable reality which is one or the other as your point of view varies» (Reconstruction, ch. 6).

Even clearer in Surah 24, v. 55 :

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم

«God has promised such of you as believe and do righteous works that He shall, of a certainity, make sure they inherit the earth as happened to those before them, and that their religion, which He has chosen for them, he shall establish for them (in power on the earth)».

In the first the enactment of certain rituals ('ibadat) was made contingent on there being a state ; here the existence of such a state is made contingent on belief and virtuous conduct ; thus an Islamic polity can only be implemented in stages ; each contingent on the one preceding. It should be noted that this verse takes up a theme adumbrated in the previous one (establish upon the earth) and introduces another, inheritance of power (istikhalafa : to appoint as successor), the root (kh-l-f) which in the first measure connotes «to succeed», with masdar (verbal noun) «khilafa», meaning «succession». The phrase «as happened to those before them» refer to the Jews, altough the Abrahamic promise was made to both Isaac and Ismael, and the whole verse refers to the fulfilment of the Abrahamic covenant with the advent of Muhammad, descendant of Kedar, the second son of Ismael, and the nabi 'l ummi, or prophet to the gentils.

Islam, as God's last revelation to mankind,is complete delivrance from error (batil), the most fundamental error being «shirk». Politically, «shirk» means usurpation of that authority which properly belongs to God, and Islam recognizes God, not only as the sole motor principle of the universe, but as the supreme legislative authority. The Qur'an, by reiterating : له ملك السموات والأرض «His is the sovereignty over the heavens and the earth» seeks to prepare the reader for an acceptance of the divine role in framing the laws under which he will thenceforward have to live. In Islam, sovereignty vests in God : the Arabic term is «mulk», which combines the notions of sovereignty and proprietorship, the idea being

that you are sovereing over that which you own. The Qur'an says (Surah 7, v. 54) : ألا له الخلق والأمــر
«Is His not the creation and the (right) to command? Also, the unity of God is meant to be reflected in the unity of the people that acknowledges His sovereignty. Surah 21, v. 92 :

ان هذه أمتكم أمة واحدة فأعــبدون

«This your Ummah is one Ummah, and I am your Lord so worship ye Me» expresses this symbolic relationship between God and His community. Expressionally close to the Jewish shema, «Hear, O Israel, the Lord, thy God, is one», - carrying the same meaning but takes the matter a stage further by reversing the order.

In Islam, the sources of infallible religious truth are four :

Qur'an
Sunnah
Qiyas
and Ijma'

known collectively as «usul al-fiqh» (The sources of jurisprudence). The source of the first is God, on the second the Prophet, of the third the fuqaha (jurists), in whom the right to infer analogically from either the Qur'an or the Sunnah is vested, whilst in the case of the fourth, the principle of communal consensus, the whole Ummah becomes a vehicle of truth (in virtue of the hadith

لن تجتمع أمتي على الخطـإ

«My nation shall never agree upon an error»). It will be seen that these four, taken together, are hierarchically disposed and form a model or paradigm for the descent of authority :

Qur'an - God
Sunnah - The Prophet
Qiyas - The fuqaha'
Ijma' - The Ummah

From this, we conclude that the notion of hierarchy is implicit in existence, and politics differs in no wise from religion : truth come from on top and moves down ; in its downward course it is met by responsibility. moving up.

On the subject of responsibility another paradigm ca be derived from the Qur'an, the famous passage Surah 4, v.59 in which the concept of «ta'ah» (obedience) is elaborated :

يــا أيها الذين آمنوا أطيــعوا الله وأطيــعوا الرسول واولي الأمر منكم

«Ye who believe, obey God, the Apostle and those amongst you encharged with authority (uli 'l-amr)...

This passage has been widely misconstrued, and has even been taken to mean obedience to existing authority, but it is clear from the context that what we are dealing with is a chain of command

from an infallible Creator to a divinely guided Prophet, and from him to such as he chooses to designate. It is at this point that the concept of «khilafat» (deputyship) emerges. In the Qur'an the term denotes man's role as God's Khalifah (vice-gerent) on earth. This has to do with man's control over the environment through the exercise of reason, God having endowed man with seven of His own Attributes at the moment of the creation, the Rational Attributes (as-sifat al-'aqliyyah). «Khilafat» in this sense means stewardship over creation. Even here, though, the term is not free from political connotations, for this concept forms the basis of Iqbal's contention that the relationship of an individual to his property is not ownership but trusteeship.

An «ulu 'al-amr» can be anyone to whom the Prophet delegates authority, a commander in the field, a governor of a province, in fact any situation entailing the absence of the Prophet. Permanent absence is death, and the need to designate a successor (istikhlaf) necessitated a political formulation of the concept of «khilafat», a term susceptible of political application since it had already been used in the sense of succession in Surah 24, v. 55. The leading of public prayers is a prerogative of the Head of State : when the Prophet stationed himself at the head of the public assembly (jama'a) to lead the prayers, at the moment he represented the people to God in his capacity as leader (Imam). A theocracy does not distinguish between spiritual and temporal power. The(minbar)is therefore symbol of authority as much as an acoustic elevation and in the case of the Imam, using the term as commonly understood, of delegated authority. Conceivably this may even account for a subsequent stage in the evolution of the(minbar),when it acquired a canopy or hood, the canopy being an attribute of the ruler and even, in Indian iconography, of divinity. As the Imam always delivers from the step below it may be that the empty canopied space stands for the absent Prophet. Similarly the practice of flanking the pulpit with standards emphasises the intimate connection between politics and religion that goes back to the Prophet, who walked to the minbar flanked by standard bearers. These standards are set in sockets at the level of the top step and usually project outward at the angle of forty-five degrees. The practice has fallen into desuetude but may still be seen in the 'Atik Valide Jami' in Scutari and the Paris Mosque. In the famous 13th century manuscript of the «Maqamat» of Al-Hariri in the Bibliothèque nationale a miniature by Yahya al-Wasiti shows a(minbar)flanked by black banners furled, black being both the Prophet's colour and the colour of the 'Abbasids. In origin,the(minbar)was the throne of the leader of the

community (Imam) set up in the place of assembly of the community and from the top of which he, Muhammad (s.a.w.) , pontificated as lawgiver, but out of respect, Abu Bakr moved one step lower down ; Umar used the lowermost (the pulpit had only three steps) but Uthman said «Shall we descend into the bowels of the earth ?», since when everyone has used the second-top step. The riser is made unusually high so the top step serves as a seat for the Khatib.

Imamah and Khalifat are synonymous terms, indeed on early Islamic coinage are interchangeable. Since the leading of public prayers is a function of the Head of State provision had to be made for when the Prophet should be absent. Although a function of the Head of State, there were circumstances under which the Prophet (or the Khalifat) could not avoid delegating his juridiction in this matter, e.g., the congregation of a provincial mosque or any army on the march; the earliest Imams were therefore governors and commanders. «The Encyclopedia of Islam» says ; «...the transference of power to the governor of the provinces was in a form visible to all when the Khalifa's representative placed himself at the head of the community assembled for prayer» (EI, 1, art. Imam). Imam as a liturgical office did not emerge till later 'Abbasid times, necessitated by the swelling volume of conversions and subsequent proliferation of new mosques. The jurists coined the term «Al-Imamah as-sughra» - (the lesser Imamate), to distinguish this office from «Al-Imamah al-kubra»- (The greater Imamate) or the Khalifate. Inasmuch as the Imam stands in for the Khalifah he is required to pray for the man from whom he recognises his authority as deriving : hence the inclusion of the Khalifah's name in the second Khutbah, or bidding prayer.

Khalifah signifies one who deputies for the Prophet on account of his absence through death. The Khalifah is a mere executive with no power to define or modify dogma; his job is to execute the Shari'a.

The Prophet in dying did not abandon this world entirely ; he left us the Qur'an, of whose revelation he had been the vehicle, and also left us his example, that is to say the Sunnah; the third thing he left us was Khilafat (deputyship), to ensure the observance of both. Revelation ceases with the Prophet's death but his authority is vested in his representative, including the right to levy tax and raise armies ; it was in virtue of this right that Umar added to his title of Khalifah that of «Amir al-Mu'munin», Commander of the Faithful.

The Khalifah is appointed by a Majlis ash-Shurah, or Electoral College, meeting on the death of the incumbent, to elect his successor, following the procedural rules laid down in the Qur'an for such contingencies (Surah 42, v. 38 & 3, 1). The electors are known as «ahl-al-hall wa al-aqd» («those who lose and bind»). With the accession of Yazid - although his accession was ratified by the Shurah - a khilafat al-mulk was substitued for the Khilafat al-nubuwwa, which signified dilution of the Khalifal principle, although the institution survived and remained operative till the overthrow of 'Abd al-Hamid II. Properly undrstood, Khalifate is sui generis, neither monarchy nor republicanism, although it partakes somewhat of the nature of both ; the closest analogy is perhaps an elective monarchy, such as the throne of Poland, although at the same time Khalifate resembles sacred monarchies like the Japanese or Hawaiian, since, like them, it rests on transcendental premises. But, in any case, all monarchy is sacral in character. Republicanism is a secular concept at variance with Islam's outlook ; there can be no such thing as an Islamic republic inasmuch as every Islamic state is necessarily a kingdom of Allah. The Ottoman Empire was neither a jumhurriyah or a mamlakah, nor strictly speaking an empire either, only the Daula 'Uthmaniyah.

Society is governed by law, and in an islamic state the source of law is divine. The reason the Law is infallible because it partakes of the infallibility of its source. Thus «wahi» (revelation), taking the form of descent (inzal), provides us with a paradigm not very different from the one just examined :
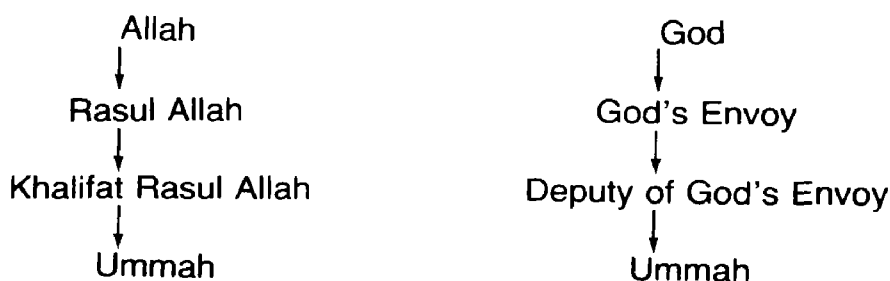
The meaning is clear; the Khalifah is the guarantor of the legality of the state,for he holds his authority in virtue of its transmission from the Prophet to his successors. Obedience (ta'ah) to him, as an Ulu 'l-amr, is therefore mandatory as in the case of the Prophet. This is not to be confused with state (Marxism) or of the head (monarchism) ; the Khalifah is an executive whose function is to uphold the Law (Shari'a) and provide a visible focus for the autho-

rity of the State. The fifteenth century Ottoman Tursun Bey has put it beautifully :

«Government based on reason alone is called sultanic yasak ; government based on principles that ensure felicity in this world and the next is called divine policy, or Shari'at. But only the authority of a sovereign can institute these policy. Without a sovereign men cannot live in harmony and may perish altogether. God has granted this authority to one person only, and that person, for the perpetuation of good order, requires absolute obedience».

This last paradigm sanctions the state as an apparatus for the enforcement of Shari'a, enabling man to live under justice ('adl). Just as God and man confront one another from opposite ends of the ontological scale so do theocracy and democracy stand at opposite removes from one another, democracy being an inversion of the natural order of things, or hierarchy. The constitution produced by a society intending to live conformably to the will of God grounds in the notion of obedience.

Putting the various paradigms together a composite picture emerges :
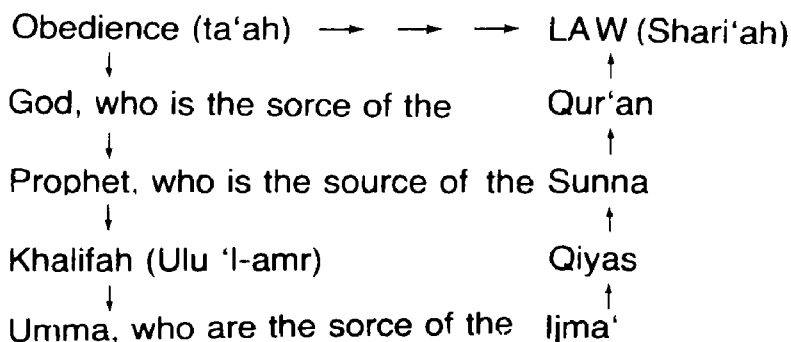
The correspondence is complete except in the case of the third, where they overlap, for whilst a faqih is an Ulu' l-amr, one encharged with authority, the Khalifah, encharged with the supreme authority, is not a faqih ; if he were, this would make him a Pope. In this nexus lies the clue to the relationship between the executive, i.e. the Khalifah, the legislature, or fuqah, whose fatwahs form the basis of state legislation, and the judiciary, represented by the qadis. The chief Mufti of the Empire is the Shaikh al-Islam, whose role it is personally to advise the Khalifah.A declaration of Jihad requires a fatwah issued by the Shaikh al-Islam and counts as a fard kifaya. The Qur'an lays down (Surah 3, v. 110)

the twin duties of an Islamic state as al-amr bi'l-ma'ruf and an-nahi 'an al-munkar :

كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله.

«Ye are the best community (ummah) brought forth for (the edification of mankind : ye enjoin right conduct and prohibit the reprehensible and believe in God». The definition of al-ma'ruf and al-munkar (and the hudud corresponding thereto) is the rresponsibility of the legislature, whilst the responsibility of the executive is to create the conditions for the fulfilment of these requirements, the state being no more than the organised expression of the Ummah. This means not only a penal code and judicial structure but law-and-order agencies and a fiscal system for the collection of taxes (zakat, 'ushr, Jizya and Kharaj) as well as other imposts.

Montesquieu distinguishes three components in the composition of the state 'the executive, the legislature and the judiciary. In an Islamic state the executive is the Khalifah, assisted by his wazirs, the legislature is the Shari'a as expounded by the fuqaha' and the judiciary consists of the qadis. In maintaining the division of powers lies the citizen's best guarantee against tyranny ; and the power of the Khalifah is circumscribed by the Shari'a and by the Shura, or consultative body, whose advice the Khalifah is obliged to seek. The difference between a Khalifah and a dictator is that a dictator makes his own laws whilst a Khalifah inherit his, and a Khalifah is as much under the Law as the meanest of his subjects.

The Shari'a is paramount, Islam being a theocracy, or a state ruled by God ; more strictly speaking, it is a nomocracy - rule of divine law. The *Khalifah is, as we observed before, the guarantor* of the legality of the state; his presence on the throne is the visual assurance to all Muslims that they are being ruled under the selfsame system as the Prophet presided over in Madinah. Outside of the khilafat there is only illegal authority. Western systems of government, state administration, fiscal organisation and judicial procedure have no locus standi in Islamic Law ; and substitutes for the Shari'a, Anglo-Muhammadan Law in Pakistan, the Swiss Civil Code in Turkey and the Code Napoléon in Egypt, are in their varying degrees all illegal. Muslims are not required to obey these laws, nor are they bound to acknowledge the sovereignty of the state that enacts such legislation. Political legitimacy is virtually non-existent in the Muslim world, the present situation being partly a hangover from colonialism and partly a consequence of the collapse of the Khalifah. Since there is no legally constituted authority anywhere, this means that these states have no right

to levy taxes, raise armies, promulgate legislation, etc. However, it may be that the events presently taking place in the Middle East mark the beginning of the end of the bourgeois nation state. Beginning in the sixties, most Muslim states started to experience legitimacy crises, in fact, organisation like the Islamic Council of Europe (ICE), are intended to camouflage the illegitimacy of the regimes that support them and to prevent Muslims in Europe from finding a voice, or achieving independant status. This particular organization extends its tentacles, through its ancillaries, into banking (The Dar al-mal al-Islami), into the arms trade (one egregiously named Academy of Islamic Defence Technology) and even into the Arts (The Foundation for Pakistan Studies).

In concluding, I wish to reiterate that my standpoint is that of a Sunni theorist, and therefore the foregoing remarks do not impugn the validity of the Islamic Republic of Iran, although I have certain reservations about the use of the term «Republic». There is a variety of reasons why the Islamic Revolution had to come in Iran first : one is the subservience of Sunni 'ulama' to secular authority based partly on a misconstruction of the Qur'anic passage about obedience ; another is the undoubted superiority of Shi'i education (the madrassah system collapsed everywhere in the Muslim world in the nineteenth century with the exception of Iran) ; a third is the Shi'a have always had a clear picture of the political role of the Mujtahid. Since he stands in as a locum tenens for the Absent Imam, the prestige the Mujtahid enjoys amongst the masses is tremendous.

Is there common ground between the two viewpoints ? Can we anticipate a situation in which these two great streams of Islamic thought will ever converge ? Only after I had formulated the last of these paradigms did it occur to me how close were some of the implications arising from it to the place accorded the faqih in the new Iranian constitution. In the relationship between the Khalifah and the fuqaha' and between them both and the Shura lies the theoretical area most in need of exploration and definition. Il would go no further than that ; it seems to me that the absence of the last Imam removes the last impediment to Shi'i recognition of the temporal sovereignty of the Caliphate. At least pending the advent of the Mahdi, and when he appears (or reappears), then we shall know who is right ! Since the Khalifah is not, and never has been ma'sum, since he can neither define dogma nor exercise any interpretative function his authority in no wise conflitcts with that of

either Imam or Mujtahid. The difficulty with the Iranian Revolution is how to derive from it universally applicable models. Had it not been for Ataturk we should have had in the Caliphate a focus around which the forces now threatening to sweep away the post-colonial order in Asia could have gathered in a single triumphant act of pan-Islamic rapprochement. Over and against the pathetic spectacle the sight of these states, the nation states, affords, Islam holds up to our gaze its vision of the perfect Caliphate and the perfect Imamate, not as an unattainable ideal, but as a historical reality capable of revival. Rashid Rida referred to the Caliphate as «that word the mere mention of which keeps even the bravest man in Europe awake in his bed at night».

STATE AND POLITICS IN ISLAM

M.Khrshid ALI

1 - The Pre-Islamic World Scene

At the beginning of the seventh century, the pre-Islamic world scene was dominated by the Roman and Persian empires, both in the neighbourhood of Arabian peninsula. The capital of the Romans was transferred by emperor Constantine I to Byzantium on the Bosporus in 330 A.D. While a Roman emperor wielded temporal authority, the superior spiritual authority was exercised by the Pope The Roman Catholic Church represented the universal community of the people in and around the empire, including the newly-converted Germanic tribes and Slavic peasants. According to a member of the French Academy, the Roman Catholic Church «has always had a realistic appreciation of political exigencies ».[1]

The intense doctrinal controversies of the fifth century led to the separation of Nestorians who were averse to calling the Virgin Mary «the mother of God ». By the end of the fifth century, the dispersing Jews of Babylonia were able to complete their own recording of Talmud. At about this time, in Arabia, the Quraysh tribe began to dominate the others. It controlled idols such as Hubal at Bakka (Makka) and demanded obeisance to the same. The poor and helpless tribesmen were obliged to bury alive their newborn

daughters. Ignorance and superstition suited the opportunism of the tribal elders and the monotheistic Jews and Copts.

In persia, the last of the Sassanid kings and the Magi priests persecuted the Jews and caused changes in the Zoroastrian doctrine. The Jews were denied their customary lighting of the Sabbath lamp.[2] Theological works like Bundahishn, with its graphic descriptions of a sword-like bridge across Hell, were written in the Pahlavi language «probabley after the Muslim conquest»[3].

East of Persia, in India, Buddhism was on the decline by the time Hsuan Chuang visited the subcontinent (629-645). One reason for the decline was the adoption of Buddha as the ninth incarnation of the major Hindu god, Vishnu[4]. However, beyond India, the people of China and the vicinity found Mahayana Buddhism compatible with their indigenous cults, including worship of nature and ancestral spirits. Across the Pacific, the Far Eastern immigrants were least influenced by Buddhism. Yet, they built up remarkable civilizations of their own comparable to those that flourished earlier in Egypt. In Africa, Egypt and Abyssinia were well-known to the Arabs, whose caravans and overseas trade were well-received there, as in Syria.

2 - The advent of Islam

The world conditions indicated above seemed favourable to Islam. While ignorance and oppression were rampant, the old religions lost their missionary zeal. Truth was treated often as a matter of the moment. The pre-Islamic regimes were without any unimpeachable basis of popular and legal sanction. The community of the Faithful that the Church represented was ineffective. Jewish and Christian doctrines showed deviation and theological dissensions. Polytheistic beliefs persisted. Idolatrous and materialistic accretions adversely affected monotheism.No wonder the Qur'an warned; «O' you who believe. Be careful of (your duty to) God, with the care which is due to Him, and die not save as those who have surrendered to Him.» (3;101).

The advent of Islam served to redirect mankind to the Straight Path of return to God. It meant adherence to pure monotheism. Islam refuted many false beliefs that had crept into the Jewish and Christian doctrines. For example, it denied that Prophet Isa (Jesus) was «Son of God». The New Testament claims that Isa was a descendant of Yusuf (Joseph), and the latter was the husband

of Marium, were refuted, too. Islam negativated polytheistic beliefs like reincarnation of souls.

3. «State» and «Politics» in Islam

«State» generally refers to a politically organized national group. The political organization includes territorial fixation and a specific form of government. «Politics» signifies the nature and content of governmental conduct of its domestic and foreign affairs. «Islam» means «submission». The word is derived from the Arabic root «Salam» which means «Peace». The submission is only to Allah (God) and His Will/Sovereignty (The Qur'an, 12:40).

In the Islamic ideological perspective, «State« and «Politics» have implications fundamentally different from what their secular meanings indicate. «Islamic State» signifies more than what is commonly understood by the term «Theocracy». Even the popular sense in which «religion» is understood is inadequate for a thorough grasp of Islam, which is as comprehensive as a way of life can be. At the same time, Islam has a connotation of «Peace» such as derived from total surrender to God.

According to Islam, the focus of human thought is, or ought to be, God. The sovereignty of the heavens and the earth belong to Him alone (The Qur'an, 5:40, 2:284, 22:64). God is the True One, and they who are called upon instead of Him are false (22:62). He is the Omnipotent Creator of all that exists (39:62), including man (16:4) and things beyond human perception (16:8). His Omniscience encompasses all that is seen or unseen (13:9). Man is answerable to God for his performance in this world (2:284). God is the Sustainer and Cherisher of those who abide by Him and follow His Path (11:3, 4). These are only a few of the Commandments and Attributes of God specified in the Qur'an.

The secular concept of «State» revolves around «a body of people practically organized under one government». It can mean just a «nation» or a «state-nation». It refers to a territorial entity in which particular people ive and govern themselves. A sovereign state is an independant one which is capable of exercising absolute sovereignty and maintaining the same in its national interest. Its activities may range from those of a welfare state to those of a police state. It can be an ideological state, too It may refer to an entity called permissive society. Relations between two states may be

based solely on national interests, or even global interests. A secular state may be conceivably devoid of considerations of personal piety and human ethics which are emphasized in any conceptualisation of an Islamic State.

The Seminar on State and Politics in Islam to be serviced by the Muslim Institute of London, the first week of August 1983, may set up a working group to improve upon the definition of «Islamic State» proposed as follows :

«A Muslim Society may be an integral part of an islamic State when it fulfills the basic requirements specefied below :

(1) The Society should be in actual possession of the territory in which it lives, and this fact shold have received **de jure/de** facto recognition at the international level,

(2) The Society should be effective in the organization, administration, management and control of its integral parts, including natural resources and manpower, so as to be economically viable, socially competent, financially solvent, and sufficient in other respects,

(3) The Society's members should have been attuned to the need to work for attaining the excellence intrinsic to man in both material and spiritual terms, and they should manifest personal piety and human ethics and sense of justice to a considerable degree,

(4) The Society must have proved itself to be far from unjust, oppressive, exploitative of its weakened or deprived members or similar others elsewhere, and discriminatory except on the basis of rectitude,

(5) The Society should have been ably governing itself on the basis of God's Commandments in the Qur'an and the Sunnah and in a just and equitable way,

(6) The Society should have built-in institutional and other safeguards against tyranny, aggression, inhuman acts, unjust discrimination, exploitation, and corruption, traditionally cognizable by wali Faqih ; and

(7) Of paramount importance is evidence that the Muslim Society is geared to complete submission and devotion to God and none else, and is on the Straight Path».

The definition of Islamic State proposed above has the merits discernible in the same, including the following :
- It conforms to the Islamic concept of tauheed,

- There is recognition of territorial jurisdiction in the international context, although Absolute Sovereignty is explicitly and implicitly recognized to be of God alone,
- The conditions that enable a Muslim Society to be an Islamic State conform to the Qur'an and Sunnah,
- Justice and equity are emphasized as both individual and social requirements, providing for evidence, and
- The definition treats a Muslim society as an integral part of an Islamic State, subject to fulfilment of the conditions, so as to provide for any non-Muslim status in that State.

Any definition of «Islamic Politics» ought to be consistent with that of «Islamic State». Accordingly, «Islamic Politics» may also be tentatively defined as follows :

«Islamic Politics» refers to the work content and the relevant policies of a government functioning on the basis of Islamic Ideology. Its represents the means to an Islamic and no other end. It signifies party politics to the extent determinable by islamic ideology. Islamic Politics does not involve opportunism. political or other expediency, undue preferential treatment and any unjust discrimination in internal and external affairs.

«Islamic Politics» is amenable to promotion by Muslim learders known for their unimpeachable personal integrity, competence in application of the Islamic Principles and Practices, and attainment of proximity to God. Their acts and decisions are intrinsically good and beneficial in bringing about wholesome developments in the Society and the State. The leaders adept in Islamic Politics are able to cope with practically every political or human exigency, without compromising their Islamic Principles and Values ».

4- «Nation-State» Versus «Islamic Ummah»

The national states among which the Islamic Ummah remains helplessly divided today are conceptually of European origin. National states emerged in the Post-Renaissance Europe, particularly in the sixteenth and seventeenth centuries. These reflected nationalism, a feeling of loyalty to a domain or an in-group, if not any vested interests.It engendred a spirit of localism which went against any consideration of larger interests than the national.

Basically, nationalism is akin to tribalism, clannishness, casteism

and similar other separatist and discriminatory concepts. It seldom evidences group solidarity or a corporate will to live and work together with a common objective. The European colonial powers have used nationalism and nationality concepts to divide the people of Asia and Africa and rule them.

A major criterion that brought people together in a nation-state has been linguisitc affinity. This was established in the case of Europe, Latin America and Bangla-Desh, but not the United States of America and the Arabic-speaking countries. Also, the prescription of one language was successful in the United States, but not in the neighbouring Canada. Again, the common language did not prevent the Arabic-Speaking nation-states from formation. Conversely, it did not bring about their unification, as yet.Thus, it would appear that any criterion, like truth, is often a matter of the moment which brings us back to Islam.

Had the post-Renaissance Europeans not been prejudiced about Islam, there would have been some blending of ethics in their materialistic and scientific pursuits. After all, neither their Hellenic philosophers, nor their Roman and Saxon legists could harmonize the local and universal perspectives of man. Consequently, they discarded metaphysics, so as not to be vague in politics. No wonder, Islam remains an anathema to them even now.

The Islamic Ummah has been a reality over a thousand years ago. Even during the Caliphates, it did not represent any commonwealth of nation-states. It continues to evoke the original meaning of the community of the Faithful to this day. The psychological integrty of Islamic Ummah has proved to be quite resilient. To avoid confusion, let us try to define «Islamic Ummah». A working definition can be :

«Literally speaking, the Arabic word«Ummah» means a nation, or people. Muslim Ummah would have meant simply Muslim people. However, the use of the adjective «Islamic» signifies a people of the islamic faithful, irrespective of nationality or territorial and other affinities. Thus, «Islamic Ummah» can well mean the world community of Muslims in the ideological sense today».

ISLAM ET POLITIQUE

(Survol des conflits et des compromis entre Les idéaux islamiques et laïques en Indonésie)

Djohan EFFENDI (*)

Introduction

L'Indonésie doit son indépendance à la lutte de tout son peuple. 90 % environ des habitants étaient musulmans. Mais, parmi eux, il y avait en fait un grand nombre de partisans des idéologies laïques. Aussi, l'Indonésie a-t-elle été le champ de divers conflits idéologiques.

Le problème du rapport entre Islam et politique était un de ceux qui ont suscité ces conflits idéologiques, non seulement entre musulmans et non-musulmans, mais aussi au sein de la communauté musulmane elle-même. Nous tenterons ici d'étudier ces conflits, ainsi que les efforts pour trouver des compromis qui les résolvent, selon deux points de vue, historique et institutionnel.

L'Islam et la lutte contre le colonialisme en Indonésie

La résistance des musulmans indonésiens au colonialisme a commencé lorsque les Occidentaux ont pénétré dans l'archipel indonésien et ont tenté d'y exercer une suprématie. Dès cette époque, l'Islam s'est révélé comme une force anti-colonialiste, jusqu'à ce que le régime colonial soit chassé d'Indonésie. Le gouvernement colonial n'eut pas le temps de contrôler l'intégralité de l'archipel et ne put jamais, pendant tout le temps de l'occupation étrangère, y assurer la sécurité. Il dut faire face à une résistance constante des musulmans.

Le peuple musulman a mené trois types de résistance : physique, politique et culturelle.

(*) Conferencier à «Iqbal Society», directeur du centre de recherches «Iqbal» à Jakarta

Résistance physique

L'histoire de l'Indonésie a été marquée par de nombreux exemples de résistance physique des musulmans indonésiens pendant la période coloniale. Ces événements ont commencé dès le début de l'occupation. Lors de l'occupation portugaise de Malacca, par exemple, Dipati Unus, prince héritier du trône de Demak, le premier sultanat islamique de Java, a envoyé 100 navires et 12.000 hommes soutenir la résistance de 1512. Cette expédition ne fut malheureusement pas couronnée de succès. Mais elle n'était que la première d'une interminable série.

La résistance continua de se manifester sporadiquement en plusieurs points de l'archipel indonésien. Des 'ulamâ'-s et leurs disciples participèrent à la plupart de ces actions et en prirent même parfois la tête. D'autres mouvements de résistance furent menés au 16° siècle contre les Portugais par Fatahillah, amiral de Demak (1527), le sultan Babullah du Sultanat de Ternate (1571-77) et le Sultanat d'Aceh qui coopéra avec le Sultanat de Johor et reçut le soutien d'un sultanat islamique du nord de Java.

Le 17° siècle vit le début de la résistance contre les Hollandais, lancée par le Sultan Agung du Sultanat de Mataram (1628-29), et poursuivie par les sultans Hasanuddin du Sultanat de Makassar (1664-1667) et Ageng Tirtayasa du Sultanat de Banten (1651-1682). Deux autres sultanats, Banjar à Kalimantan et Gowa à Sulawesi, se lancèrent également dans la résistance. A Java, la résistance était menée par Trunojoyo, un prince de Madura (1674-1678). Au 18° siècle, la lutte se poursuivit, contre les Britanniques dans le Sultanat de Banjar, contre les Hollandais à Banten, tandis que dans le Sultanat de Mataram la résistance était menée par Untang Surapati, soutenu par al-'âlim, Kyai Embun.

Au 19° siècle, il y eut de nombreux cas de résistance en divers endroits. L'ouest de Sumatra était le champ d'action de la Résistance Padri, menée par huit 'ulamâs plus connus sous le nom de Harimau nan Salapan (Les Huit Tigres) : Tuanku Imâm Bonjol, Tuanku Pasaman, Tuanku nan Renceh, Tuanku Damasiang, Tuanku nan Hitam, Tuanku nan Garang, Tuanku nan Gapuk et Tuanku Ibrahim (1821-1837) ; à Jogjakarta et au centre de Java, la Résistance Diponegoro avait à sa tête le Prince Diponegoro, soutenu par un 'âlim, Kyai Mojo (1825-1830) ; citons aussi la résistance Banjar menée par le Prince Antasari à Kalimantan

(Bornéo) (1859-1905) et la résistance Aceh menée par al 'âlim, Tengku Cik Di Tiro (1873-1904).

Résistance politique

Malheureusement, toutes ces tentatives de résistance physique échouèrent. Mais la fin de la résistance physique ne marqua pas le terme de la lutte pour l'indépendance. Elle prit une autre forme : la résistance politique. Là encore, l'Islam joua un rôle important comme force anti-colonialiste. L'histoire de l'Indonésie nous aprend, par exemple, que Sarekat Islam (Association Islamique) fut le premier parti politique implanté en Indonésie.

L'esprit anti-colonialiste ne s'est jamais éteint dans l'âme musulmane indonésienne, et Sarekat Islam grandit rapidement en popularité, faisant un grand nombre d'adeptes dans toute l'Indonésie. Le grand dirigeant de Sarekat Islam, Al-Haj 'Umar Said Cokroaminoto (1883-1934) avait une très grande influence, au point qu'il fut surnommé par le pouvoir colonial «le roi sans couronne de Java».

Pour parvenir à ses fins, Sarekat Islam appuya sa lutte sur des principes de base, qui sont les suivants : «L'Islam est la religion d'Allah, la loi la plus parfaite que Dieu ait donnée au genre humain pour qu'il connaisse le bonheur dans ce monde et la félicité dans l'au-delà. Le Coran est le guide parfait et suffisant des hommes, mais ce sont les hommes eux-mêmes qui font leur histoire. l'indépendance nationale est une des conditions de l'entière réalisation des idéaux islamiques, en admettant que le pouvoir soit aux mains des musulmans» [1].

Au cours de l'histoire de l'Indonésie, plusieurs autres partis islamiques ont pris part à la lutte contre le colonialisme, au plan national comme au plan régional. Le premier fut PARTII (Partai Islam Indonesia - Parti Islamique Indonésien) fondé en 1933. Son chef était Sukiman et ses principes, l'Islam, le nationalisme et les efforts personnels [2]. Puis il y eut la création en 1938 du PII (Partai Islam Indonesia - Parti Islamique Indonésien), dirigé par Wiwoho. Enfin le PERMI (Persatuan Muslimin Indonesia - Union des Musulmans d'Indonésie) fondé en 1930 par Ilyas Ya'kub et Muchtar Luthfi, deux érudits musulmans diplomés de l'Université d'Al-Azhar. Ses mots d'ordre étaient «L'Islam à l'honneur» et «Une Indonésie indépendante pour une Indonésie prospère». [3]

Résistance culturelle

Outre les deux types de résistance que nous venons d'évoquer, il en était une troisième, la résistance culturelle. La plupart de ces résistances étaient dirigées par des 'ulamâs qui refusaient de coopérer avec le régime colonial, et même avec les gouvernants indigènes qui, à leurs yeux, avaient été influencés par des (infidèles).

Ces 'ulamas rebelles vivaient généralement dans des zones éloignées des centres du pouvoir. Là ils créèrent des «pondok pesantren» (pensionnat islamique traditionnel) où les jeunes musulmans venaient séjourner pour étudier les sciences de l'Islam et le «pencak silat» (un système d'auto-défense traditionnel).

L'esprit des pondok pesantren était le refus de coopérer avec le pouvoir infidèle, en proscrivant, par exemple, l'imitation du mode de vie occidental. Et cette attitude était très efficace car elle s'appuyait sur une base et un langage religieux.

Tenant compte des changements sociaux, quelques figures musulmanes adoptèrent dès le début de ce siècle une nouvelle démarche pour réveiller les musulmans indonésiens. Ils ne choisirent pas de fuir la vie moderne, comme l'avaient fait leurs prédécesseurs, mais l'embrassèrent au contraire. Ils adoptèrent une organisation moderne pour développer les institutions religieuses existantes, afin de les adapter aux nouveaux défis culturels. Ils créèrent des madrasahs, des écoles privées, et divers organismes sociaux. Ils utilisèrent un équipement moderne, afin de rendre plus efficace la da'wa et le tabligh, etc...

Trois organisations islamiques qui ont travaillé dans cette optique retiendront ici notre attention. D'abord, Muhammadiyah Cette organisation appartient au courant dit moderniste et fut fondée sous l'influence des modernistes égyptiens qui avaient enseigné aux Indonésiens des classes moyennes une philosophie permettant l'insertion de leur foi dans le monde moderne. L'organisation développa rapidement ses activités, ce qui lui permit d'inscrire dans ses statuts les objectifs suivants :

a) Diffusion des enseignements de la religion islamique chez les les autochtones des Indes Orientales ;
b) Intensification de la vie religieuse des membres ;
c) Organisation de réunions sur des sujets relatifs aux enseignements de la religion islamique et réunissant les membres et

les personnes intéressées ;

d) *Création*, avec un soutien financier, (...) de lieux de culte, (...) où seront célébrés en public des offices religieux ;

e) La publication, puis le soutien financier à la publication, de livres, tracts, brochures, articles, traitant des coutumes religieuses des Musulmans et des enseignements divins, ne devront jamais, dans chacun des cas mentionnés ci-dessus (d'autres moyens pouvant être aussi mis en Œuvre) être en contradiction avec la loi du pays et avec l'ordre public et les bonnes mœurs [4].

Pour réaliser ces objectifs, la Muhammadiyah créa des écoles, forma des enseignants, imprima d'innombrables tratcs et livres, créa des orphelinats et des foyers pour les enfants pauvres, assura l'entretien des hospices, s'occupa d'améliorer la santé en créant des asiles pour les aveugles, des polycliniques et des hopitaux et organisa des mouvements scouts [5].

Cinq facettes de l'idéologie de la Muhammadiyah ont marqué la politique de l'Indonésie d'avant-guerre : a) l'accent mis sur le rationalisme et le combat contre la superstition, b) la conviction qu'il faut éduquer la population pour développer la vie politique, c) le sentiment de l'influence des classes moyennes du fait qu'un grand nombre de santris (musulmans pieux) ont rejoint le mouvement, d) un intérêt pour la culture javanaise, et e) une aversion pour le communisme et la Chrétienté [6].

C'est dans le domaine de l'éducation que la Muhammadiya a eu une puissante influence sur le mouvement nationaliste. Ses dirigeants ont compris la réelle importance que pouvaient avoir des Musulmans raisonnables et instruits dans le développement de la vie politique en Indonésie. Le fondateur de cette organisation affirmait qu'avant que le peuple indonésien puisse s'occuper activement et intelligemment de politique, il lui fallait acquérir l'enseignement de base adéquat. Cet enseignement devait faire la synthèse entre ce qui était valable dans la pensée occidentale et les idées de l'Islam moderne [7].

La deuxième organisation, Nahdhatul Ulama (La renaissance des ulémas) appartient au courant dit traditionaliste. Elle fut d'abord violemment opposée à la notion moderniste concédant aux individus le droit d'interpréter les sources fondamentales de l'Islam, le Saint Coran et la tradition du Prophète, et préconisait fortement que l'on suive les sources traditionnelles de l'Islam. Par suite, les

Statuts de Nahdhatul Ulama proclamaient son désir de «poursuivre la stricte profession d'un des quatre Madhab-s, à savoir ceux de l'Imam Muhammad Ibn Idris Al-Shâfi'î, de l'Imâm Malik Ibn Anas, de l'Imâm Abû Hanîfah Al-Nu'mân ou de l'Imam Ahmad Ibn Hanbal, et la réalisation de tout ce qui est bon dans la loi écrite de l'Islam»[8].

Dans ce but, le Nahdhatul Ulama considérait comme nécessaires :

a) La création d'un lien entre les 'ulamas adeptes des Madhab-s mentionnés ci-dessus ;
b) La soumission aux Livres (écrits par les 'ulamas des Madhhabs) ;
c) Sur la base des Madhhab-s mentionnés ci-dessus, la diffusion de l'Islam par tous les moyens légaux ;
d) le développement des écoles musulmanes ;
e) Un intérêt mutuel pour les mosquées, les lieux de culte, la réglementation de l'éducation religieuse, et l'aide aux pauvres et aux faibles ;
f) La création d'un organisme pour le développement de l'agriculture, du commerce et de l'industrie sans contradiction avec la loi musulmane[9].

La plus grande contribution de Nahdhatul Ulama au mouvement national fut son souci de conserver les pondok pesantren comme centres culturels, pour favoriser les musulmans des régions rurales et entretenir en eux l'esprit anti-colonialiste. C'est cet esprit qui permit aux jeunes Musulmans de considérer la révolution physique contre le régime colonial comme une guerre sainte, dans laquelle ils étaient prêts à endurer le martyre pour leur mère-patrie.

Le dernier mouvement, Jong Islamiten Bond (Union de la Jeunesse Musulmane) regroupait des étudiants musulmans issus des collèges et même des universités. Une de ses activités consistait à organiser, entre ses membres, des discussions portant sur des sujets divers, en particulier sur la relation entre l'Islam et des idéologies laïques telles que le socialisme, le marxisme, le nationalisme, etc...[10]. Ces activités ont fait de cette organisation un centre de formation pour les futurs leaders du mouvement musulman.

Grâce à ces trois modes de résistance, physique, politique et culturel, l'Islam a joué un grand rôle dans la lutte contre le co-

lonialisme. Il est devenu un symbole national de résistance contre le régime colonial.

Idéaux islamiques contre Idéaux laïques

Dans la lutte pour l'indépendance qui a précédé la seconde guerre mondiale, les leaders indonésiens, qu'ils soient musulmans ou laïques, ont mené des débats et des polémiques sur plusieurs problèmes, non seulement sur les méthodes qu'il fallait adopter dans la lutte pour l'indépendance, mais aussi et surtout sur les fondements philosophiques de cette lutte. Deux questions dominaient les autres : L'Islam et le Marxisme, et l'Islam et le Nationalisme.

Islam et Marxisme

Au cours des dix premières années de ce siècle, le mouvement Sarekat Islam fut agité de débats et de polémiques internes. Certains dirigeants quittèrent le parti, non à cause des idéaux islamiques, mais à cause du marxisme. Ils ne considéraient plus l'Islam comme une idéologie politique mais comme un simple instrument de lutte.

Le conflit fratricide entre le groupe Islamique et le groupe Marxiste entraîna la formation de deux courants au sein de Sarekat Islam, un Sarekat Islam Vert et un Sarekat Islam Rouge. Fait particulièrement intéressant, il existait dans les deux camps des personnalités qui tentaient de trouver une synthèse, ou du moins un compromis, entre les idéaux islamiques et les idéaux laïques. Ils étaient répartis en deux tendances. La première était celle des Musulmans socialistes qui voyaient dans l'Islam une religion socialiste, et cherchaient à interpréter les idéaux de l'Islam dans l'optique socialiste. Ils voyaient dans le Coran leur enseignant et leur guide vers le progrès socialiste. Pour eux, le Saint Prophète était le père du socialisme et le guide vers la démocratie. Et l'Islam était la pierre angulaire de la solidarité socialiste, le Saint Prophète ayant apporté aux hommes la notion socialiste d'égalité et ayant en outre commandé leur administration. Al-Hajj Agus Sâlim (1875-1954), deuxième leader de Sarekat Islam, affirmait que l'on pouvait trouver les principes du Marxisme dans le Coran, qu'on pouvait apprendre dans le Livre Saint le matérialisme historique et que Muhammad avait enseigné le Marxisme plus de douze siècles avant Marx.

La seconde tendance était celle des «communistes religieux», dirigée par al-'âlim, Al-Hajj Misbach, dirigeant de Sarekat Islam originaire de Surakarta. Il voyait dans le Saint Coran un véritable manifeste communiste et l'utilisait pour défendre ses idées en tant que communiste. Il fit des adeptes en partie en citant des versets du Coran pour prouver la validité des enseignements du Marxisme[11].

Autre figure de «communiste religieux», Al-Hajj Datuk Batuah, un érudit musulman originaire de l'ouest de Sumatra. Il tenta de synthétiser les exigences modernistes de bien-être social et le dogme marxiste. Mais il rencontra l'opposition des'ulamas[12].

Les débats et les polémiques entre les deux courants de Sarekat Islam durèrent très longtemps. Ils finirent par provoquer l'expulsion de Sarekat Islam des «communistes religieux» qui se regroupèrent dans le parti Sarekat Rakyat (Association du Peuple), dernier nom donné à Sarekat Islam Rouge et qui devint ensuite le Parti Communiste Indonésien.

Islam et Nationalisme

Outre les Partis Islamique et Communiste, d'autres partis nationalistes participèrent à la lutte pour l'indépendance. Cela suscita d'autres débats et polémiques entre les dirigeants musulmans et les dirigeants nationalistes, sur le thème de l'Islam et du Nationalisme. Ces débats et ces polémiques étaient centrés sur trois grandes questions : Panislamisme contre nationalisme ; l'Islam peut-il ou non constituer une force d'union ? et catholicisme de la philosophie laïque contre étroitesse des croyances islamiques[13].

Ces débats et polémiques mirent aux prises des dirigeants musulmans tels qu'Agus Salim, Muhammad Natsir et Ahmad Hassan, et des dirigeants nationalistes tels que les Dr. Sutomd et Sukarno. Plusieurs jeunes musulmans s'efforcèrent de trouver une synthèse entre l'Islam et le Nationalisme dans l'ouest de Sumatra, comme Ilyas Ya'qûb et Muchtar Luthfi qui créèrent le PERMI (Union des Musulmans d'Indonésie) en 1930. Ce parti entretenait d'étroites relations avec le Parti Nationaliste Indonésien (PNI) dirigé par Sukarno[14].

Sukarno lui-même s'efforça de trouver une synthèse entre l'Islam et les idéologies laïques. Il rédigea en 1926 un article d'un grand intérêt : «Le Nationalisme, l'Islamisme et le Marxisme».

Il y soulignait la nécessité de l'unité des nationalistes, des musulmans et des marxistes dans la lutte pour l'indépendance. Selon lui, les musulmans et les nationalistes devaient coopérer puisque tous étaient contre le colonialisme. Et tous devaient coopérer parce qu'ils poursuivaient le même but, l'Indépendance de l'Indonésie[15].

Au cours de la dernière période d'occupation japonaise, la question de savoir sur quelle base philosophique devait s'appuyer l'Etat Indépendant d'Indonésie fut l'objet d'intenses discussions parmi les dirigeants indonésiens, musulmans autant que nationalistes. Deux courants de pensée s'opposaient, un courant religieux et un courant laïque. Sukarno joua un très grand rôle dans la synthèse de ces courants. Il prononça sur cette question un discours historique : «La naissance de Pancasila». Il y proposa comme fondements philosophiques de l'Etat les cinq principes suivants : Croyance en un seul Dieu, Humanitarisme, Nationalisme, Démocratie et Justice sociale. Ces principes prirent le nom de Pancasila. Après toute une série de longues et âpres discussions, le 18 août 1954, les dirigeants indonésiens décidèrent finalement d'accepter Pancasila pour base philosophique de l'Etat indonésien proclamé la veille[16].

La question de l'Islam et de Pancasila fut soulevée dix ans plus tard lorsque l'Assemblée Constituante ouvrit le débat concernant les bases de l'Etat. Trois opinions se prononcèrent : en faveur de l'Islam, de Pancasila et de la social-économie. L'Assemblée Constituante se retrouva donc dans une impasse. Et à nouveau, Sukarno joua un grand rôle pour tirer l'Indonésie de l'impasse en adoptant un décret stipulant le retour à la Constitution adopté par les Pères fondateurs en 1945. Pancasila fut reaffirmée en tant que base philosophique constante de l'Etat Indonésien.

Efforts du Gouvernement pour favoriser la vie religieuse

Le Ministère des Affaires religieuses peut être considéré comme l'expression d'un désir de compromis entre les conceptions islamique et laïque de la relation entre la religion et l'Etat. Il fut créé pour réconcilier deux approches contradictoires de cette relation.

Principe

Le principe posé par le gouvernement indonésien est que la République d'Indonésie - qui a adopté Pancasila pour base philosophique de l'Etat - n'est pas un «état religieux» ni un «état théocratique». Cela signifie implicitement que la République d'Indonésie n'est pas un «état islamique». Mais elle n'en est pas pour autant un «état laïque». C'est-à-dire que le gouvernement ne considère pas la religion comme relevant du secteur privé Le gouvernement doit intervenir pour promouvoir la vie religieuse du peuple.

En partant de ce principe, le gouvernement, et Sukarno lui-même, ont affirmé à plusieurs reprises que l'idéal national du peuple indonésien est de développer une société socialiste et religieuse fondée sur Pancasila, c'est-à-dire une société s'appuyant sur l'esprit de camaraderie et la religion[17].

Stratégie de base

Pour atteindre ce but, le gouvernement considère comme une nécessité le développement de la vie religieuse des citoyens Aussi l'Etat s'attache à :

a) servir le besoin et le désir de la communauté religieuse de pratiquer le culte et de développer cette pratique .
b) assurer et développer des relations harmonieuses entre les diverses communautés religieuses.

Le premier de ces objectifs requiert les principales mesures suivantes :

1) assurer aux communautés religieuses des capacités nécessaires pour remplir leurs devoirs religieux le mieux possible éducation religieuse, devoirs sociaux de la religion,pélerinage
2) guider le peuple indonésien dans la pratique et le développement de la religion, conformément à ses croyances et à la nature de sa religion ;
3) aider les communautés religieuses à développer leurs activités créatrices et constructives tout en luttant contre la tendance à dépendre et à profiter des dispositifs gouvernementaux .
4) stimuler chez les communautés religieuses une plus large

approche de leur religiosité, d'une pratique purement rituelle à une pratique sociale.

Le deuxième objectif appelle les deux principales mesures suivantes :
1) œuvrer, aux plans mental et social, en faveur d'une attitude tolérante. afin de développer la compréhension et le respect mutuels entre les diverses communautés religieuses .
2) réaliser une plateforme conjointe pour la coopération entre les pratiquants des diverses communautés religieuses[18].

Pour mettre en œuvre cette stratégie de base, le Gouvernement indonésien, par l'intermédiaire, en particulier, du Ministère des Affaires religieuses, a mené plusieurs efforts qui ont été, entre autres :

a) d'assurer une instruction religieuse dans les collèges, du niveau élémentaire à l'université ;
b) de créer des écoles islamiques, du niveau élémentaire au niveau universitaire;
c) d'aider les écoles islamiques privées par la formation d'enseiseignants, la fourniture d'équipements, et même de bâtiments;
d) d'aider les institutions pédagogiques islamiques traditionnelles à se développer pour répondre aux besoins actuels;
e) de favoriser la propagation des religions et de contrôler les dons étrangers aux institutions religieuses afin d'empêcher que se créent des relations inharmonieuses entre les pratiquants des diverses religions;
f) d'aider les institutions et les organisations religieuses à développer leurs activités créatrices dans les divers aspects de la vie sociale.

En créant le Ministère des Affaires religieuses, le Gouvernement avait pour but d'aider les communautés religieuses, autant dans leurs institutions que dans leurs activités, en offrant ses services et ses conseils dans le cadre du développement national, sans pour autant entamer l'autonomie des religieux. Mais la réalisation de cet objectif est encore problématique.

Le futur de l'Islam en Indonésie

Un nouveau développement essentiel a eu lieu en Indonésie concernant le problème du rôle de l'Islam dans la vie politique. le MRP (Majelis Permusyawaratan Rakyat - Assemblée Populaire

Délibérante) a décidé que Pancasila devait être la seule base philosophique pour toutes les organisations socio-politiques. Cela signifie qu'il n'existe plus de Parti Politique Islamique dans la vie politique indonésienne. Il est à noter que même le PPP (Partai Persatuan Pembangunan - Parti pour le Développement de l'Unité), qui jusqu'à présent portait le nom de Parti Islamique, approuve cette décision politique fondamentale.

La décision du MRP suscite une controverse entre les «pour» et les «contre» dans la communauté musulmane indonésienne, entre ceux qui l'approuvent et ceux qui la critiquent. Une autre question s'est posée en liaison à ce problème : celle de la distinction entre système islamique et valeurs islamiques. Cette question a provoqué de nouveaux débats et polémiques. A ce propos, la position de Munawir Sjadzali, récemment Ministre des Affaires Religieuses de la République d'Indonésie, est particulièrement intéressante. Selon lui, l'Islam n'a pas donné naissance à un système politique particulier, mais seulement à un ensemble de valeurs, de conseils pour la bonne marche de la vie sociale et politique. Ces valeurs sont :

a) l'équilibre entre la recherche du bien-être spirituel et le bonheur matériel.
b) la reconnaissance des droits individuels, l'égalité de tous les hommes et le rétablissement d'une justice egalitaire,
c) l'instauration d'un système consultatif pour la gestion des affaires publiques,
d) la nécessité pour les dirigeants d'être dignes, de confiance et responsables.
e) la loyauté envers les dirigeants légaux.

Cette controverse sur l'interprétation de l'Islam comme un système politique ou comme un ensemble de valeurs alimente quotidiennement les conversations en Indonésie, non seulement sur le plan politique, mais aussi sur le plan économique. Plusieurs universités islamiques ont organisé un séminaire sur l'Islam et l'économie. Ce sujet devrait susciter d'intéressantes discussions dans un proche avenir parmi les penseurs musulmans d'Indonésie.

Conclusion

Au vu de l'histoire de l'Indonésie, on peut conclure que la base réelle de la force des musulmans indonésiens n'a pas été dans leur pouvoir politique, mais dans leur existence culturelle. Pour

ce qui est de prévoir le futur de l'Islam en Indonésie, il faut tenir compte de plusieurs facteurs :

a) la tendance à un renouveau d'intérêt des jeunes générations pour l'Islam. La plupart ont fait des mosquées le centre de leurs études islamiques et de leurs activités sociales ou culturelles ;

b) la tendance à une extension de la sphère religieuse sur les campus des grandes universités. On y trouve des mosquées qui organisent diverses activités ;

c) la tendance à l'extension de la sphère religieuse dans les milieux bureaucratiques. De nombreux bureaux, surtout dans les grandes villes, possèdent une mosquée. On y trouve également des Tembiroh (Team Pembinaan Rohani - groupes de conseil spirituel) qui organisent des activités religieuses pour les fonctionnaires ;

d) la tendance à un intérêt grandissant de la Communauté Musulmane pour le développement des organisations et des institutions islamiques qui mènent diverses activités : éducation, missions islamiques, recherche, développement social autant que culturel.

Compte tenu des conditions et des tendances mentionnées ci-dessus, les Musulmans ont besoin de réponses créatrices (et non de simples réactions) de la part des penseurs musulmans, qu'ils soient 'ulamas ou intellectuels, sur les défis qu'ils affrontent aujourd'hui. Leur démarche doit être plus substantielle que légale ou formelle, plus culturelle que politique. Et ils doivent tirer enseignement de leur propre histoire, afin de ne pas répéter les erreurs du passé.

(1) Deliar, Noer, «The modernist Muslim Movment in Indonesia, 1900-1942», Oxford University Press, Kuala Lumpur, 1973, p. 140
(2) Ibid. p. 157.
(3) Ibid., p. 155.
(4) Fred R. Von der Mehden, «Religion and Nationalism in Southern Asia», The University of Wisconsin Press, Madison, 1963, p. 195.
(5) Ibid. p. 195-196.
(6) Ibid. p. 196.
(7) Ibid., p. 196.
(7) Ibid. p. 197.
(8) Ibid. p. 201.
(9) Ibid. p. 202
(10) Ibid. p. 204.
(11) Voir Mehden, chap. III
(12) Voir Deliar Noer, p. 48-49.
(13) Voir Mehden, chap. IV
(14) Voir Deliar Noer, p. 247-95.
(15) Sukarno, «Under the Banner of Revolution», I, 196, p. 1-22.
(16) Yamin, «Preparing documents of the 1945 constitution», 1959.
(17) Voir «Religion in national development», The collection of President Speech, Pustaka Biru, Djakarta, 1981.
(18) Voir Mukti Ali, «Religion and development in Indonesia», III, Ministère des Affaires Religieuses, 1973, p. 125-26.

Traduit de l'anglais: « Islam and politics » Aglimpse of conflicts and compromises between islamic and secular ideals in Indonesia.

LE POUVOIR EN ISLAM ; OBJECTIFS ET TECHNIQUE

Tengku Hasan Muhammad DI TIRO(*)

1. La souveraineté d'Allah

Lorsque nos Mu'azzins appellent «Allahu Akbar» cinq fois par jour sur tout le territoire islamique, pour affirmer qu'Allah est le plus grand et que Muhammad est Son Prophète, et appeler tous les Musulmans à prier et à vaincre, c'est la proclamation de la libération des musulmans de toutes les chaines où les asservissaient les prétendus souverains de cette terre. Car nous croyons qu'Allah est le seul véritable souverain de l'univers tout entier. Ce n'est pas la répétition mécanique d'une injonction ayant perdu toute signification : c'est l'expression vibrante d'une foi véritable et venue du fond du cœur, de la culture politique d'un milliard de musulmans de par le monde. Ce n'est pas non plus un phénomène nouveau : il a survécu avec une vigueur croissante pendant plus de mille quatre cents ans!

Il n'y a pas de meilleure approche d'Allah le Souverain qu'à travers Sa propre parole révélée dans le Coran : «Il n'y a qu'un Dieu ; il est roi saint, sauveur, fidèle, gardien, prédominateur, victorieux, suprême. Gloire à Dieu! et loin de lui ce que les hommes lui attribuent. Il est le Dieu créateur et formateur. Il a tiré tout du néant. Les plus beaux noms sont ses attributs. Tous les êtres au ciel et sur la terre célèbrent ses louanges» (Sourate de l'Emigration, 24:25).

(*) Président du Front de Libération Nationale Acheh Sumatra

«Béni soit celui dans la main de qui est l'empire, et qui est tout-puissant. C'est lui qui a créé la mort et la vie pour voir qui de vous agira le mieux. Il est puissant et miséricordieux. Il a formé les sept cieux élevés les uns au-dessus des autres. Tu ne trouveras aucune imperfection dans la création du Miséricordieux!» (Sourate de l'Empire, 1:3).

«Dis : Seigneur, toi qui disposes à ton gré des royaumes, tu les donnes à qui te plait et tu les ôtes à qui tu veux ; tu élèves qui tu veux et tu baisses qui tu veux. Le bien est entre tes mains, car tu as le pouvoir sur toutes choses» (Sourate de la Famille de 'Imran, 25).

Comparés à ces nobles attributs d'Allah, les souverains décrits par Thomas Hobbes dans son «Behemoth» et son «Leviathan» semblent bien pâles ; et la définition de la souveraineté par Jean Bodin dans ses «Six livres de la République» semble sans importance. (...)

La Parole d'Allah : les objectifs

La parole d'Allah a révélé les objectifs de l'Islam. Cette parole a été révélée au Prophète Muhammad, la paix soit sur lui, par l'Ange Gabriel, et consignée dans le Coran. Ecoutons cette parole à sa source : «Beni soit celui qui a envoyé du ciel la distinction à son serviteur, afin qu'il avertisse les hommes. Le royaume des cieux et de la terre lui appartient ; il n'a point de fils, il n'a point d'associé à l'empire ; il a créé toutes choses et assigne à toutes leur destination» (Sourate Al-Furqan, 1-2).

«Nous ne t'avons pas envoyé le Coran pour te rendre malheureux, *mais pour servir d'admonition à celui qui craint Dieu.* Il a été envoyé par celui qui a créé la terre et les cieux élevés ; le Miséricordieux qui siège sur le trône» (Sourate Tâ Hâ, 1-4).

«Ce sont les signes du Coran et du Livre de l'évidence. Ils servent de direction et annoncent d'heureuses nouvelles aux croyants. Tu as obtenu le Corant du savant, du sage. Il n'y a point de chose cachée dans les cieux et sur la terre qui ne soit inscrite dans le livre de l'évidence. Le Coran sert de direction aux croyants, et constitue une preuve de la miséricorde divine envers eux. Dieu prononcera son arrêt pour décider entre vous. Il est le puissant, le sage. Mets ta confiance en Dieu, car tu t'appuies sur la vérité évidente» (Sourate de la Fourmi, 1-2,6, 77, 79-81).

«En vérité, ce Coran dirige vers le plus droit chemin ; il annonce le bonheur aux croyants qui pratiquent les bonnes œuvres. Ils recevront une récompense magnifique. Quiconque suit le droit chemin le suit pour lui-même ; quiconque s'égare, s'égare à son propre détriment. Toute âme chargée d'un fardeau ne portera pas celui d'aucune autre» (Sourate du voyage nocturnè, 9-10, 16).

«nous envoyons dans le Coran la guérison et la grâce aux fidèles. Quant aux injsutes, il ne fera que mettre le comble à leur ruine. Quand tu lis le Coran, nous élevons un voile entre toi et ceux qui ne croient pas à la vie future. Nous avons recouvert leurs cœurs de voiles, afin qu'ils ne comprennent pas. Nous avons jeté la pesanteur dans leurs oreilles. Quand tu prononces dans le Coran le nom de Dieu unique, ils tournent le dos et s'éloignent avec aversion» (Sorate du Voyage nocturne, 84. 47-49).

«Dis : si la mer se changeait en encre pour décrire les paroles de Dieu, la mer faillirait avant les paroles de Dieu, quand même nous y emploierions une autre mer pareille» (Sourate de la Caverne, 109).

«Quand tous les arbres qui sont sur la terre deviendraient des plumes, quand Dieu formerait des sept mers un océan d'encre, les paroles de Dieu ne seraient point épuisées ; il est puissant et sage» (Sorate Luqman, 26).

II. La loi d'Allah : la technique

A. Le contrôle ultime du pouvoir est psychologique

On perçoit à travers les versets du Coran que ceux-ci s'adressent à des individus, des communautés, des nations ; mais le Coran cherche surtout à toucher l'âme humaine - la mienne, la votre. Allah offre aux croyants la plus grande et la plus belle des motivations, ce qu'Il appelle Imân, la foi. Les piliers de cette foi sont les Prières, les aumônes, le jeune du Ramadan et le pélerinage à la Mecque. L'évidente ardeur avec laquelle les Musulmans, aux quatre coins du monde, s'acquittent de leurs devoirs - ceci jusqu'au martyre - est la preuve que le contrôle ultime du pouvoir est bien psychologique. L'Islam recourt à cette technique psychologique fondamentale pour motiver l'individu, pour mobiliser les masses, pour fonder une Umma puissante. Le but du Coran, c'est l'humanité pensante et raisonnable.

C'est sur la base de cette supériorité psychologique des masses musulmanes pleines de cette foi - Imân- qu'Allah a dit : «Dieu et ceux des croyants qui te suivent te suffisent. O Prophète! excite les croyants au combat. Vingt braves d'entre eux terrasseront deux cent infidèles. Cent en mettront mille en fuite, parce que les infidèles n'ont point de sagesse. Dieu veut alléger votre tâche, car il connait votre faiblesse. Cent braves d'entre vous vaincront deux cents ennemis, et mille triompheront de deux mille par la permission de Dieu qui est avec les intrépides» (Sourate du Butin, 65-67).

Dans les entreprises humaines, et donc dans le monde entier, on constate toujours la prédominance du psychologique sur le physique et la constance de l'un par rapport à l'autre. A ce propos, Napoléon a, selon moi, très bien formulé l'idée et la vérité de la prédominance des facteurs moraux dans les décisions militaires, dans ce dicton bien connu, inspiré de ses propres expériences, que, en guerre, le rapport du «moral au physique était de trois contre un». Les armes changent, mais l'issue de la guerre et des batailles est constamment déterminée par le terrain psychologique, par la motivation des combattants. Ce qui importe avant tout, c'est le cœur et l'âme des hommes qui portent les armes (...)

Une des conséquences logiques de la technique islamique basée sur l'exhortation et la persuasion psychologiques pour la propagation de la foi est la stricte prohibition de l'emploi de la force ou de la contrainte pour parvenir à ce but. En Islam, la fin ne justifie pas les moyens. Chaque fin appropriée doit être poursuivie par des moyens appropriés. Ainsi, même pour atteindre l'objectif le plus souhaitable - le développement de l'Islam dans le monde -, il est strictement recommandé de ne pas recourir à la force ni à aucun moyen d'oppression : «Appelle les hommes dans le sentier de Dieu par la sagesse et des admonitions douces ; si tu entres en dispute avec eux, fuis-les avec honnêteté, car ton Seigneur connaît le mieux ceux qui dévient de son sentier et ceux qui suivent le droit chemin» (Sourate de l'Abeille, 127).

Ce principe de développement de l'Islam par la persuasion pacifique a été scrupuleusement suivi pendant toute l'histoire de l'Islam. Pourtant nous connaissons tous l'existence dans le monde occidental d'une propagande massive montrant l'Islam comme une religion imposée par les armes. Au lieu de perdre

un précieux temps à réfuter des fausses accusations, j'aimerai aborder ici le problème du recours à la force en Islam.

B. Le recours à la foce en Islam

Le recours à la force en Islam est strictement limité conformement aux préceptes donnés par Allah dans le Coran : «Tels sont les préceptes de Dieu : celui qui les transgresse perd son âme» (Sourate du divorce, 1). Pour l'essentiel, l'usage de la force n'est permis que dans l'administration de la justice. Et même dans ce domaine, il est strictement réglementé et pesé en harmonie avec les raisons spécifiques qui ont poussé à y recourir : «Quand vous exercez une vengeance pour des injures reçues, faites qu'elle soit analogue à celles que vous avez souffertes» (Sourate de l'Abeille, 128).

«Ô Croyants! La peine du talion vous est prescrite pour le meurtre. un homme libre pour un homme libre, l'esclave pour l'esclave, et une femme pour une femme. Celui qui obtiendra le pardon de son frère, sera tenu de payer une certaine somme, et la peine sera prononcée contre lui avec humanité. C'est un adoucissement de la part de votre Seigneur et une faveur de sa miséricorde ; mais quiconque se rendra coupable encore une fois d'un crime pareil sera livré au chatiment douloureux» (Sourate de la Génisse, 173-174).

Ce n'est qu'en cas d'oppression et d'agression que le recours à la force est permis, encore qu'avec de grandes restrictions : «il a promis à ceux qui ont reçu des outrages de combattre leurs ennemis ; Dieu est capable de les protéger. Ceux qui ont injustement été chassés de leurs foyers, uniquement pour avoir dit : notre Seigneur est le Dieu unique. Si Dieu n'eut repoussé une partie des hommes par les autres, les monastères, les églises, les synagogues et les oratoires des musulmans, où le nom de Dieu est invoqué sans cesse auraient été détruis. Dieu assistera celui qui l'assiste dans sa lutte contre les impies. Dieu est fort et puissant (Sourate du Pélerinage à la Mecque, 40-41).

Alors la cause de la résistance contre les agressions et les oppressions devient la cause d'Allah ; c'est donc un devoir religieux de tous les musulmans de se dresser contre de telles agressions et oppressions : «combattez dans la voie de Dieu contre ceux qui vous feront la guerre. Mais ne commettez point

d'injustice en les attaquant les premiers, car Dieu n'aime point les injustes. Tuez-les partout où vous les trouverez, et chassez-les d'où ils vous auront chassés» (Sourate de la Génisse, 186-87).

«On vous a prescrit la guerre et vous l'avez prise en aversion. Il se peut que vous ayez de l'aversion pour ce qui vous est avantageux et que vous aimiez ce qui vous est nuisible. Dieu le sait ; mais vous, vous ne le savez pas» (Sourate de la Génisse, 212-13). «Dis-leur : si vos pères, vos fils, vos frères, vos femmes, vos tribus, le bien que vous avez acquis, la marchandise que vous craignez de ne pas vendre et les foyers que vous aimez, vous sont plus chers que Dieu, Son Apôtre et Sa Cause, attendez-vous alors à ce que Dieu applique Son précepte. Dieu ne guide pas ceux qui sont dans le mal» (Sourate de la Génisse, 24).

Ces recommandations sont pour les Musulmans des piliers qui leur permettent de disqualifier aisément la moitié de l'humanité. La résolution nécessaire pour triompher de ces épreuves défie toute description. Prions Allah pour que nous soyons de ceux qui attendent la réalisation «d'une des deux meilleures choses : la victoire ou le martyre». «Dis-leur : Qu'attendez-vous vous : la victoire ou le martyre ? Eh bien, attendez ; nous attendrons aussi avec vous» (Sourate du repentir, 52).

C. La responsabilité est personnelle :

Comme l'attrait de l'Islam s'appuie sur le psychologique, la responsabilité de tous les actes est personnelle. Comme il n'existe pas d'intermédiaire entre Dieu et l'homme, le musulman est directement responsable devant Allah de l'exécution de Ses lois : c'est Allah qui décide de sa récompense ou de sa punition. Par suite, le pouvoir de l'homme sur l'homme est rendu totalement nul : la supposée souveraineté des Etats sur les hommes est supplantée par la réelle souveraineté d'Allah. Et Allah tient chaque homme et chaque femme pour responsables de leurs actes. Aucun homme ne peut imputer à un autre les conséquences de ses mauvaises actions, que ce soit à des personnes ou à des institutions, à l'Etat ou à toute autre organisation politique et sociale. Personne ne peut le protéger de la sentence d'Allah. Ce grand principe islamique est exprimé dans le Coran : «Aucune âme portant son propre fardeau ne portera celui d'une autre, et si l'âme déchargée demande à en être dé-

chargée d'une partie, elle ne le sera point, même par son proche» (Sourate des Anges, 19). «Dis-leur : Mes actions m'appartiennent, et à vous les votres. Vous êtes innocents de ce que je fais, et moi de ce que vous faites» (Sourate de Jonas, 42). «Chacun de ceux qui sont coupables de ce crime en sera puni» (Sourate de la lumière, 11). «L'âme qui porte la charge ne portera pas celle d'une autre. L'homme n'aura que ce qu'il a gagné : son travail sera apprécié. Il en sera scrupuleusement récompensé» (Sourate de l'Etoile, 39-42). (...)

Ce principe de responsabilité personnelle est applicable à tout musulman quels que soient sa charge et son statut : il ne peut échapper à ses responsabilités pour les mauvaises actions qu'il a faites en se réfugiant derrière la «souveraineté» de l'Etat ou de toute organisation politique et sociale, car les Etats sont également la souveraineté d'Allah et de ses Lois. Le monde occidental n'a reconnu le mérite de ce principe islamique de responsabilité personnelle de tous les hommes et d'absence de réelle souveraineté de tous les Etats qu'après la seconde guerre mondiale, lorsque ce principe fut adopté et appliqué pour la première fois lors du procès des criminels de guerre nazis à Nuremberg. Soldat, ministre, chef d'Etat, tous furent tenus pour responsables de leurs actes. On ne peut transférer sa responsabilité à un autre. Le concept de raison d'Etat fut même mis de côté. Le principe si rebattu en Occident de la souveraineté des Etats fut remis en cause, dénoncé et annulé. Les rois, les reines, les présidents et les empereurs furent en fait détrônés Et les lois que les Américains, les Anglais, les Russes et les Français ont imposées aux Allemands devraient leur être également applicables.

Par cet acte, les puissances occidentales acceptaient le principe de la responsabilité personnelle fondamentale de l'homme envers ses actes criminels. En acceptant ce principe. ils bouleversèrent également le mirage de l'absolue souveraineté de leurs Etats. Il est évident que certains Etats, sont, pour ainsi dire, plus souverains que d'autres. Je mentionne ici cet événement pour montrer l'incontestable supériorité du concept de justice en Islam. Il a fallu aux Occidentaux quelques 40 millions de morts stupides et des années de guerres ruineuses pour apprendre ce qui pour nous Musulmans est la règle depuis 14 siècles.

IV. Bases du consensus politique islamique

J'ai d'abord envisagé d'intituler ce chapitre «les règles du jeu de la politique islamique», pensant qu'ainsi mes lecteurs comprendraient immédiatement de quoi j'allais parler. Mais aussitôt que ces mots traversèrent mon esprit, je compris qu'il m'était impossible de les conserver. On a dit que les mots étaient les vêtements de la pensée. Dans ce cas précis, ce serait comme si je mettais à une femme musulmane les vêtements d'une occidentale : cela ne convient pas. L'aurah se trouve découvert et le non-aurah couvert. C'est comme si l'on met le hidjâb à l'envers. Mais cette terminologie me sera peut-être utile malgré tout comme artifice : elle sert au moins à dire ce que nous ne sommes pas, à distinguer la «théorie du jeu politique» occidentale du concept islamique de pouvoir. Car pour nous la «politique» n'est pas un «jeu» - la'ibun wa lahwun -, mais un sujet extrêmement sérieux, car c'est la façon de gouverner la Umma, et notre concept n'a rien de commun avec le terme «politique» tel qu'on le comprend en Occident. Le concept platonicien définissant l'homme comme un animal politique - zoon politicon - est à nos yeux totalement inacceptable, car nous Musulmans croyons à la destinée et au perfectionnement de l'esprit, et à la vie éternelle dans l'au-delà. Et concevoir la politique comme une lutte pour le pouvoir ou comme l'influence pour l'influence est contraire au concept islamique de gouvernement et au mode de vie islamique.

Sur la façon dont doit se faire le consensus pour décider du mode de gouvernement de la Umma, le Coran possède un verset spécifique : «les croyants délibèrent en commun sur leurs affaires» (Sourate de la délibération, 36). Et un autre : «quel que soit l'objet de leurs disputes, la décision en appartient à Dieu seul» (Sourate de la délibération, 8). Ces versets, très condensés, cachent des montagnes de règles et des océans d'implications, car ils se réfèrent à une Umma vivante, dont les membres, au plan individuel et collectif, soit un milliard au total, sont liés au Coran tout entier - 114 chapitres - et à la Sunna, qui tracent pour eux les lignes directrices qui leur permettront de se conformer à ces définitions rapides.

Avant de me lancer dans une description plus détaillée des méthodes de consensus politique islamique, j'aimerais d'abord dire en quelques mots ce que selon moi elles ne sont pas, afin d'éviter les ambiguités possibles. En premier lieu, le sys-

tème de gouvernement islamique ne peut être une dictature, même celle d'Allah, car Allah - en Sa Grâce - insiste toujours sur les raisons, encourage au raisonnement et prescrit des délibérations véritables entre les Musulmans eux-mêmes. Il ne peut pas non plus être la dictature d'une classe, car l'Islam ne reconnaît l'existence d'aucune classe au sein de la Umma. L'Islam est catégoriquement une société sans classes et ne soutient aucun intérêt de classe. C'est une société fraternelle, avec les conséquences politiques, économiques et culturelles que cela entraîne. «Car les croyants sont tous frères ; arrangez donc le différend de vos frères, et craignez Dieu, afin qu'il ait pitié de vous» (Sourate des Appartements, 10). En second lieu, le système islamique de gouvernement ne peut être une oligarchie, car c'est un système politico-religieux ouvert, s'appuyant sur les masses, d'envergure internationale et basé sur un contrat social ouvert et élaboré ouvertement, qui ne permet aucune manipulation oligarchique, et la justifie encore moins. En troisième lieu, le système de gouvernement islamique ne peut être une aristocratie, car l'Islam est un mode de vie fondamentalement égalitaire, en théorie et en pratique. Chaque musulman se voit rappeler, cinq fois par jour, à l'heure de la prière, son appartenance et le rôle qu'il a dans sa communauté musulmane. «Le plus honoré d'entre vous est celui qui est le plus dévoué à Dieu». En quatrième lieu, ce n'est pas non plus un régime prolétarien, car l'Islam n'attribue pas pareil statut à la masse de ses fidèles, ce terme étant à l'origine utilisé pour désigner la plus basse classe de l'Etat romain paien - proletarius. Tout l'effort du système politico-religieux, économique et social de l'Islam est d'empêcher que se forment des groupes économiquement faibles au sein de la Umma. En cinquième lieu, le système de gouvernement islamique n'est pas démocratique au sens où l'entendent les régimes communistes ou les régimes capitalistes d'aujourd'hui. Je ne veux pas ici perdre mon temps à expliquer les contradictions évidentes entre la démocratie sous la dictature du prolétariat avec un système de parti unique, et la démocratie sous la dictature de la classe dirigeante capitaliste, avec un système déguisé de deux partis ou plus, qui en fait n'ont entre eux guère de différences. Comme on le dit fréquemment aux Etats-Unis, le parti Démocrate et le parti Républicain, c'est «bonnet blanc et blanc bonnet». Il est donc futile de parler aujourd'hui de ce type de démocratie.

Néanmoins, dans le but de fournir une conclusion utile sur ce qu'est en fait la différence entre l'Islam et la démocratie,

on peut prendre au pied de la lettre une soit-disant définition de la démocratie, si souvent entendue - mais dont nous savons qu'elle n'a jamais été réellement mise en pratique - mais simplement utilisée comme propagande, comme slogan de leur prétendu respect pour la «loi de la majorité et le droit de la minorité». Face à cette définition discutable, l'Islam en propose une bien meilleure et plus décisive : la justice. Nous ne nous soucions que du respect de la justice, qu'elle s'applique à la majorité ou à la minorité. Nous reconnaissons les drotis de la minorité, non parce qu'elle est une minorité, mais parce que c'est juste et à la condition que cela soit juste. Nous suivons la majorité, non parce qu'elle est une majorité, mais parce que c'est juste et à condition que cela soit juste, et jamais pour une autre raison. Jouir de la «loi» et du «droit» n'est pas inhérent à l'arithmétique mais à une justice autonome. Car une majorité représente toujours un intérêt partiel, une moitié de la société politique et jamais la totalité de ses intérêts. Une culture politique fondée sur la supériorité absolue de 51 % de la société sur les 49 % restant accorde en fait le pouvoir absolu à la frange de 2 % qui fait la différence et lui permet de décider du sort de tous les autres. Cette société politique doit avoir une conception de la justice, ainsi que du bien et du mal, fort dudimentaire. Un verset du Coran donne à ce sujet la ligne à suivre : «Si tu suis le plus grand nombre de ceux qui habitent la terre, ils t'égareront du sentier de Dieu. Ils ne suivent que des opinions et ne sont que des menteurs» (Sourate du Bétail, 116).

Quel est donc ce concept islamique de «Shûrâ» ou de délibération ? C'est une des prédications de l'Islam. Ce concept est lié aux valeurs islamiques indépendantes clairement exposées dans le Coran pratiquées dans la Sunna (Tradition) du Prophète et développée ensuite dans la jurisprudence islamique par les érudits, les juristes et les philosophes musulmans : toutes ces valeurs ont formé une culture politique vivante et pleine de vigueur, au point qu'un vrai musulman peut d'instinct reconnaitre si un système est réellement islamique ou non. Le signe extérieur de ce système islamique est l'absence totale d'arrogance de pouvoir chez les administrateurs. Leurs qualités sont d'être : «terribles envers les infidèles et tendres envers eux-mêmes» (Sourate de la victoire, 29); et «humbles envers les croyants et sévères envers les infidèles, dévoués à la cause d'Allah et forts devant les blâmes des autres hommes» (Sourate de la table, 54).

Le contenu de ce système islamique est la soumission totale

à Allah, l'absence totale de «politique» au sens occidental du terme, l'absence de querelles,de droits acquis, de calculs d'ordre privé dans les règlements de procédure, de «politique de la caisse noire» comme c'est le cas de toutes les lois américaines - c'est-à-dire que tout y est basé sur des calculs personnels où chacun ne se préoccupe de ce qu'il pourra gagner. Par suite le contenu et l'objectif de la shûrâ est la recherche d'une méthode et de moyens appropriés pour l'application et l'exécution des lois d'Allah- dans les limites clairement prescrites dans le Coran pour l'exercice du pouvoir de l'homme sur l'homme. Allah participant à ce processus. Ceux qui sont chargés de notre shûrâ ne sont donc pas des législateurs au sens occidental du terme, car nous n'avons pas besoin de «faiseurs de lois» puisque nos lois sont déjà faites- elles nous ont été révélées par Allah dans le Coran. Ceux qui sont chargés de la shûrâ doivent donc être nécessairement des interprètes du Coran et de la Sunnah : il faut donc que les savants musulmans approfondissent l'étude de la jurisprudence islamique. Ces qualifications sont celles que requiert la participation à la shûrâ. Comment ils doivent être désignés est une question de sens commun.

Ainsi posés la nature et l'objectif de notre système de gouvernement, les partis politiques de type occidental ont-ils un rôle à y jouer ? Les partis politiques sont l'attirail - ou, si vous préférez, les effets personnels - du système occidental, le résultat de la vision et de la conception particulières que se font les Occidentaux de la politique : comme d'un jeu que jouent des animaux politiques, coupé de toutes valeurs religieuses et morales, une ruse pour s'assurer le contrôle du pouvoir étatique afin de promouvoir certains intérêts financiers, ceci étant justifié par un autre concept, tout aussi frauduleux et violent, celui de la loi de la majorité. Il est évident que cette sculpture occidentale hérissée de piquants n'embellirait pas la Maison de l'Islam. Elle n'y serait pas assortie aux autres meubles. Car la Umma est déjà une politique d'un seul tenant, une seule culture politique, un seul parti - si l'on veut - un parti, de plus, ayant une idéologie définitive : la reconnaissance de la souveraineté absolue d'Allah et l'acceptation de ses Lois, qui gouvernent la pensée et le comportement de chaque membre de sa naissance à sa mort. Dans la société islamique, il n'y a pas de constantes questions politiques ou sociales à résoudre : tout a été fixé, signé et scellé. Comme notre politique est inséparable de notre système religieux, économique, social et juridi-

que, la politique n'est qu'une des multiples facettes de notre civilisation, et non l'élément dominant, comme dans la civilisation occidentale. Dans notre système, c'est l'Islam qui réglemente les partis et non les partis qui réglementent l'Islam. Sur le plan conceptuel, la Umma toute entière ne forme qu'un seul corps. qu'un seul immense «parti islamique» - si l'on tient à reprendre ce terme. Chaque musulman en est membre, avec ses droits et ses devoirs. Parmi les membres les plus engagés politiquement, ces devoirs sont l'obligation religieuse de «prescrire la justice et interdire le mal», un devoir qui incombe à tout musulman lorsque le régime politique - ou les administrateurs - de l'Etat Islamique devient subversif par rapport à l'idéal islamique, lorsqu'un changement s'avère nécessaire. En ce sens, la Umma toute entière devient un parti actif, déterminé à modifier l'administration là où le changement est indispensable. Point n'est besoin de maintenir en permanence un parti d'opposition lorsque l'opposition est une politique de gaspillage et de simple opportunisme comme cela est clairement le cas dans les sociétés occidentales. On peut par exemple avancer et démontrer qu'il n'y a pas véritablement de système bipartite aux Etats-Unis, l'un au pouvoir, l'autre dans l'opposition. L'un et l'autre ne sont que la main droite et la main gauche d'une même classe capitaliste dirigeante. Il n'existe même pas aux Etats-Unis de partis réels, tangibles, si ce n'est tous les quatre ans à l'occasion des élections présidentielles organisées par les candidats eux-mêmes dans le but d'être élus, ou tous les deux ans pour les élections municipales, également organisées par les candidats. Entre deux élections, le parti est «en veilleuse» - en fait, il n'existe plus. Ce que l'on appelle un «système des partis» n'est en réalité qu'une poussée soudaine, temporaire et ad hoc, d'activités de chasseurs de poste, activités financées par eux-mêmes et leurs partisans afin d'être élus. Les «partis» Républicain et Démocrate américains ne possèdent ni l'un ni l'autre une idéologie digne de ce nom, ni statut, ni bureau permanent, ni liste de membres, ni aucune discipline de parti - pour discipliner qui, sur quel principe ? - Ils n'ont que des «plate-formes» qui sont proposées par les candidats au moment des élections, et se réduisent à des promesses vides et à des propos démagogiques dont on sait qu'ils seront oubliés dès le lendemain des élections. Voilà donc ce «système des partis» si essentiel à la démocratie occidentale. Devons-nous greffer de pareilles banalités sur notre système politique unifié et réduire la Umma en pièces ?

Le Coran nous exhorte au contraire et bien précisément à

préserver l'unité de la Umma et à éviter de la diviser en factions ou partis, ainsi que nous le verrons plus loin.

Pour ce qui est du sujet et de l'ordre du jour des délibérations, elles traitent de toutes les questions qui sont du ressort de l'Etat islamique, pourvu que ce soit dans les limites fixées par Allah (حدود الله) et indiquées dans le Coran. Ayant rejeté le principe occidental et schizophrène de séparation de la religion et de la politique, le madjlis al-shûrâ islamique est chargé de la tâche monumentale mais fort honorable de superviser l'application des lois de Dieu dans les affaires de la Umma pour toutes les questions humaines et religieuses.

Il va de soi que le Coran, si profus en exhortations à l'unité et au consensus entre les musulmans, précise aussi comment, en cas de rupture, le consensus peut être rétabli, et comment résoudre les conflits qui pourraient naître entre les croyants. Ceci fera l'objet d'un autre paragraphe.

Questions économiques et sociales

Il est logique que dans la communauté des croyants, la souveraineté d'Allah s'applique également aux activités économiques et sociales de la communauté. Et Allah a créé des normes et des critères à suivre dans les questions économiques et sociales. ces deux pôles étant inséparables puisque l'objectif de l'économie est le bien-être de la société. L'économie est le moyen, la technique ; le bien-être social est la fin, le but. Le moyen est toujours subordonné à la fin, la technique à l'objectif fixé.

Ce qui est fondamental en Islam, c'est la reconnaissance et l'acceptation des dimensions spirituelles et temporelles de l'existence et du fait que dans l'ordre des choses établi par Allah, tout a une fin. Je donne ci-dessous quelques versets du Coran qui soulignent clairement les devoirs sociaux des riches et l'obligation pour l'Etat Islamique d'assurer le bien-être social. «Il n'y a point de créature sur la terre à laquelle Dieu ne se charge de fournir sa nourriture» (Sourate, Houd, 8). «Dieu vous a créés et il vous nourrit» (Sourate des Grecs, 39).

L'activité économique a une grande importance en Islam puisqu'elle est placée en second après l'adoration d'Allah. «Ô Croyants! lorsqu'on vous appelle à la prière du jour de l'assem-

blée, empressez-vous de vous occuper de Dieu. Abandonnez les affaires de commerce ; cela vous sera plus avantageux. Si vous saviez! Lorsque la prière est finie, allez où vous voudrez, et recherchez les dons de la faveur divine» (Sourate de l'assemblée, 9-10). Bien qu'on les exhorte aux activités commerciales, les Musulmans n'en restent pas moins, avant tout, «des hommes que le commerce et les contrats ne détournant point du souvenir de Dieu, de la stricte observance de la prière et de l'aumône» (Sourate de la lumière, 37).

(L'article évoque ensuie d'autres problèmes relatifs aux activités économiques des Musulmans : le droit au travail et à la compensation ; l'égalité des hommes et des femmes sur ce point ; la richesse doit être dépensée pour aider les pauvres ; Baytul mal ne doit pasêtre un privilège des riches, etc...).

Ethique islamique des affaires

Comme Allah nous a indiqué la destination des richesses et la façon de les dépenser, il nous a également donné des lois sur la bonne et la mauvaise façon de les acquérir : c'est-à-dire sur ce qui est légitime et illégitime dans la pratique des affaires. Les affaires ne sont pas une melée générale, en perpétuel laisser-aller, où tout est réglé par ce qu'on appelle «les forces du marché», un euphémisme qu'utilisent les ploutocrates et les monopolistes pour masquer leurs propres pillages et manipulations du marché et des économies nationales et internationales. En Islam, la fin est toujours plus importante que les moyens, et l'objectif doit toujours triompher de la technique. En matière de commerce et d'industrie, il ne suffit pas d'être ingénieux. Cette ingéniosité doit aussi être légitime. Le Coran prescrit clairement son éthique dans le domaine des affaires. (Ceci est analysé en détail à partir de références aux prescriptions coraniques contre toutes les pratiques commerciales frauduleuses. Les poids et les mesures doivent être justes ; les contrats doivent être écrits, et cela devant témoins ; il est interdit de faire de fausses déclarations financières ; la publicité doit être digne de confiance ; et, par-dessus tout, le Ribâ (usure) est interdite, sous toutes ses formes. (Suit une longue analyse du Riba et des questions bancaires. Enfin, l'auteur compare l'éthique islamique dans le domaine des affaires et le contenu du livre de Weber, «Protestant Ethics and the Spirit of Capitalism».

L'Etat islamique dans l'histoire

Un bref survol historique du premier Etat islamique fut présenté, depuis l'époque du Prophète, que la paix soit sur lui, jusqu'à l'«abolition» du Khalifat par Ataturk en 1922. Ont ensuite été évoqués le démembrement total de l'Etat islamique par les puissances européennes, sa métamorphose en un si grand nombre d'Etat-nations, le mirage des «égaux souverains», la Ligue arabe, la Conférence Islamique, etc..., jusqu'à nos jours. Cet exposé est trop long pour être justement rendu ici).

Nouvelle Charte pour un nouvel Etat islamique mondial

La première tâche du Mouvement islamique est la réunification de la Umma et des terres islamiques par la dénonciation de la division imposée par l'Occident. Rien ne nous sépare aujourd'hui de cet objectif sauf une barrière psychologique, un état d'esprit, une crise de confiance généralisée melée de naiveté Les impérialistes occidentaux qui ont découpé l'empire islamique n'ont plus aujourd'hui le contrôle physique de la majeure majeure partie du territoire islamique divisé... L'heure du changement a maintenant sonné. La Umma se tient prête. Car aucun des Etats-nations musulmans existants n'a besoin d'être aboli, il suffit que les fausses assertions occidentales greffées sur nos sociétés soient supprimées et que les principes islamiques soient remis en vigueur, ce qui éclaircira les esprits de tous les fonctionnaires et officiers jusqu'à ce que leurs armées ne soient plus employées contre leurs frères musulmans, leur police employée contre les pélerins, leur politique utilisée à seule fin de voler le pouvoir, mais pour que «amr bil ma'ruf wa nahyu 'anil munkar»... A cette fin, il nous faut mettre au point les critères sur lesquels se constituera l'Etat islamique qui doit guider la Umma... L'Institut Musulman doit, dans les plus brefs délais, préparer une Charte pour un nouvel Etat islamique mondial à laquelle tous les Etats islamiques régionaux à venir devront avoir accès. (Est ensuite examiné le contenu possible de cette Charte : la forme que pourra prendre le système, etc..).

Cet Etat islamique mondial est une association volontaire, un acte de foi, qu'aucun mécréant - qui vit dans la violence et ne comprend que le langage de la violence - ne peut comprendre, aussi dépasse-t-il les limites ou les possibilités d'une culture politique laïque - il dépasse la science politique occidentale. Il est au-delà de ce qu'ont pu dire Platon, Hobbes ou Marx. En

ce qui nous concerne, il n'a pourtant rien de nouveau : l'Etat islamique a toujors été une association volontaire de la Umma. Pour nous, le contrôle fondamental du pouvoir a toujours été psychologique. Qui peut obliger un milliard de musulmans à souffrir de la faim pendant trente jours, au moment de Ramadan ? Aucun groupe religieux ou irréligieux ne peut discipliner ses membres à ce point. On sait que les Chrétiens catholiques pratiquent également le «jeune» à certaines occasions, mais cela consiste en fait à ne pas remplir les assiettes jusqu'au bord aux heures normales des repas! Qui peut obliger des millions de musulmans à dépenser les économies de toute une vie pour accomplir le difficile péterinage jusqu'à la Mecque ? Il n'y a jamais eu de collecteurs d'impôts pour contraindre les Musulmans à payer leur zakat. Aucun Etat musulman n'a jamais eu recours à la conscription pour lever une armée qui défende ses frontières, ni besoin de payer des mercenaires pour combattre dans des guerres qu'il aurait imposées. Tel est l'Islam. Rien ne lui est supérieur.

Traduit de l'anglais: « Governance in Islam: Purpose and Technique ».

وقد الزم اصحابه بسياسه اقتصاديه تضمن العداله بينهم ، فجعل التقشف في المأكل والملبس سيرة عامة لهم ، واخذهم « بالاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن »(27) ، والزم نفسه بذلك قبل ان يلزمهم به فقد كان « يلبس العباءة المقطعة »(28) ، كما كان « قوته من غزل اخت له رغيفاً في كل يوم بقليل سمن او زيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا »(29) . كما انه كان يتحرى تقسيم الفيء بينهم بالقسط ، ويرد الزكاة من اغنيائهم على فقرائهم .

ان هذه الاشارات العملية القليلة في السياسة الاجتماعية تنبيء عن انشغال المهدي انشغالا جوهرياً بالعدالة الاجتماعية في تخطيطه للسياسة الشرعية المتكاملة للدولة التي نهض لتأسيسها ، ومما يؤكد ما يوليه من اهمية لهذا العنصر في تلك الخطة ، ما وجهه من نقد شديد لدولة المرابطين في اخلالها بالعدل الاجتماعي ، وانحرافها الي الاسراف وابتزاز الاموال ، وتوزيعها على اساس الانتماء اليهم ،نصرة سياستهم ، ومما قاله في ذلك : « واستباحوا اكل اموال الناس بالباطل ، واخذ اموال اليتامى والارامل ... واعتادوا الاسراف والتبذير في اللذيذ من الطعام والرقيق من الثياب والخيل المسومة » (30) .

كان ابن تومرت ينتظر ان يحصل له النصر العسكري على دولة المرابطين ليقوم بالتأسيس الفعلي لدولة الموحدين ، ويضع موضع التطبيق هذه الاسس التي اقامها في الخطة السياسية لهذه الدولة ، ولو كان القدر اسعفه بذلك لكانت التجربة العملية في ادارة شؤون الدولة انضجت هذه الاسس واوضحتها وارست دعائمها بما تتخذ لها من هياكل ومؤسسات تضمن دوامها وعمق تطبيقها ، ولحصلت بذلك في التاريخ الاسلامي تجربة عتيدة في جريان الدولة على اساس السياسة الشرعية القويمة.

واذ لم يتح للمهدي ذلك فان اتباعه الذين اسسوا الدولة من بعده قد اهتدوا في سياسة هذه الدولة بهدي تعاليمه ووصاياه فجاءت هذه السياسة في العهود الاولى للدولة (عهد عبد المؤمن ابن علي وابنه ابي يعقوب يوسف وابنه ابي يوسف يعقوب المنصور) تتصف بالكثير من الصفات التي وضعها المهدي مثل انبناء سياستها على اساس علمي عقدي وشرعي ، والتزامها للعدالة الاجتماعية في سياسة الرعية ، الا انها مع ذلك شهدت ايضاً انحرافات عن بعض ما وضعه المهدي من اسس جعلت تشتد شيئاً فشيئاً حتى كانت سبباً في انحلالها وانقضائها (31) .

---

27) ابن الاثير الكامل 296/8 (ط القاهرة 1338)

28) ابن خلدون العبر 471/6

29) ابن خلكان الوفيات 54/5

30) الرسالة المنظمة 106

31) انظر فيما يتعلق بتأثر هذه الدولة بتعاليم المهدي ، اطروحتنا عن المهدي بن تومرت 377 وما بعدها

للتداول في شؤون الثورة وتقرير سياستها . وتوزع مسائل النظر على هذه المجالس بحسب اهميتها كما ذكر ذلك ابن القطان ، فكان المهدي واصحابه « اذا قطعوا الامور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم ، فاذا جاء امر اهون احضروا الخمسين فاذا جاء دون ذلك احضروا السبعين ، وفيما دون ذلك لا يتأخر احد ممن دخل في امره » (23) .

ان هذه التجربة الشورية التي انتهجها المهدي وان لم نكن نعلم شيئاً كثيرا عن فعاليتها ، فانها تنم في ذاتها على مكانة مبدأ الشورى في الفكر السياسي للمهدي . وربما أعتبر هذا الشكل الذي اختاره رد فعل إصلاحيا لما كان قائماً عند المرابطين من شورى مزيفة منحرفة متمثلة في سلطة الفقهاء الذين اعتبرهم مركزاً من مراكز القوى المضلة للحكم المرابطي من حيث كان ينبغي ان يمثلوا مركز الارشاد وهم في موقع الاستشارة فهؤلاء « تسموا باسم العلم ونسبوا انفسهم الى السنة ، وتزينوا بالفقه والدين ...... واستفرغوا مجهودهم في معونتهم ، وفي طلب مرضاتهم واعانوهم على باطلهم ، فصوبوا لهم عن الطريق ، وحيدهم عن السبيل »(24) فهذا الجهاز الشوري المنحرف الذي كان لدى المرابطين استبدله المهدي بجهاز آخر اكثر إحكاماً وتنظيماً.

ومن هذه الاسس التي سعى المهدي في تركيزها في سياسته اساس العدالة الاجتماعية والتضامن الاجتماعي فقد كان في تدبير شؤون اتباعه يتحرى هذه المعاني بدقة ، ويعمل جاهداً على اشاعتها .

واول ما بادر به في هذا المجال انه قام بحملة واسعة للمواخاة بين اتباعه افرادا وقبائل(25) ، تأصيلاً للمودة وتسهيلا لاقامة العلاقات الاجتماعية السليمة بينهم ، كما انه جعل يخفف من حدة العصبية القبلية باشاعة الزواج المتبادل بين القبائل المختلفة من اتباعه .

وجعل من أساس التعامل بين اصحابه ان يتركوا النفاق والمداهنة ، وان ينصروا المظلوم ويلبوا استغاثته وان يحترم بعضهم املاك بعض ولا يعتدي عليها بأي وجه من الاعتداء وشدد عليهم في التزام هذه الاداب فيما بينهم ، ووضع في ذلك ضروبا من العقوبات والتعازير تبلغ احياناً مبلغ القسوة(26) .

---

23) ابن القطان ـ نظم الجمان 81

24) ابن تومرت ـ الرسالة المنظمة 107 ، ولا يخفى ما في تصوير المهدي هذا من مبالغة يلجأ اليها عادة عندما يكون في مجال نقد اعدائه

25) انظر ـ ابو القاسم المصري ـ المقتبس من الانساب 129 (ضمن كتاب اخبار المهدي ط باريس) وابن القطان ـ نظم الجمان 97

26) انظر ابن القطان ـ نظم الجمان 27 ,29 , 128

واول ما بادر بعمله في هذا الشأن انه جعل يمتن الصلة بين اتباعه وبين نصوص القرآن والحديث ، حتى فرض عليهم حفظ وفهم اجزاء من القرآن والحديث ، وألف لهم في ذلك تآليف تسهل عليهم ما الزمهم به ، فوضع مختصراً لصحيح مسلم ، ومختصراً لموطأ مالك بن انس وعدة رسائل رتب فيها الحديث ترتيبا فقهياً ، وشدد عليهم في الالزام بذلك تشديداً غليظاً .

والى جانب ذلك فانه عمد في تآليفه الفقهية الى ربط الاحكام بادلتها النصية ربطاً محكماً مستديماً يجعل فيه النص هو المرتكز المباشر للحكم وهو الفيصل في تحديده وتقريره (21) .

ومع هذا المسلك العلمي في التأصيل فان المهدي ألف مجموعة من الرسائل في التنظير لهذه القضية والبرهان عليها ، وكأنما كان يهدف من ذلك الى وضع الفلسفة الثقافية الشرعية التي ينبغي ان تكون عليها سياسة الدولة على اسس متينة من البيان والاستدلال حتى تستطيع ان تناهض الثقافة الرائجة بالمغرب والقائمة على منهج الفروع (22) .

الى جانب هذا الاساس العلمي الذي جعله المهدي اساساً جوهرياً تقوم عليه الدولة في بعديها العقدي والمنهجي الشرعي فانه وضع اسساً اخرى ذات اهمية في شؤون الاجتماع وادارة الحكم على الاخص .

ومن اهم هذه الاسس اساس الشورى الذي اراده مبدأ لسياسة الدولة الجديدة ، واذا لم نظفر ببيان منظر لهذا الاساس في مؤلفات المهدي ورسائله ، فاننا نظفر بتجربة عملية مارسها منذ بدأ يجمع الاتباع الى حين الوفاة .

وتتمثل تلك التجربة فيما عمد اليه المهدي من تكوين هيئات شورية مترتبة في الاهمية متمثلة في مجالس ثلاثة . الاول سماه بأهل العشرة وهو مجلس يشتمل على عشرة اشخاص عينهم من خيرة اصحابه السابقين بالانضمام اليه . والثاني سماه بأهل الخمسين ، وهو مجلس يشتمل على خمسين شخصاً يمثلون مختلف القبائل المنظمة اليه . والثالث سماه باهل السبعين وهو يشمل الى جانب الخمسين على ممثلين لقبائل اخرى .

وكانت هذه المجالس تقوم بمهمة شورية حيث يجمعها المهدي بحسب الحاجة

---

21) انظر على سبيل المثال الاسلوب الذي اتبعه في تحرير رسالته في الصلاة (ضمن مجموع اعز ما يطلب 63 وما بعدها)

22) انظر بالاخص كتاب اعز ما يطلب (ضمن مجموع اعز ما يطلب 2 وما بعدها) . وانظر تفصيلا عن التأصيل عند المهدي اطروحتنا عنه 283 وما بعدها

ان حقيقة التوحيد كما صورها المهدي وانتصر لها ارادها ان تكون المرتكز الاول لسياسة الدولة التي شرع في تأسيسها وهو ما تؤكده وصيته لاتباعه الذين حمّلهم مهمة اقامة الدولة من بعده اذ قال لهم : « اشتغلوا بتعليم التوحيد ، فانه اساس دينكم حتى تنفوا عن الخالق الشبيه والشريك ، والنقائص والآفات ، والحدود والجهات ، فمن جعله في جهة ومكان فقد جسمه ، ومن جسمه فقد جعله مخلوقاً ، ومن جعله مخلوقاً فهو كعابد وثن »(19) .

وتدعيماً منه لهذا المعنى في تعميق البعد العقدي لسياسة الدولة فانه سمى الحركة التي قام بها بحركة « الموحدين » ، انطلاقاً من تسمية كل من انضم اليه باسم الموحد اشارة الى ان هذه الصفة هي التي ينبغي ان تكون المنطلق لكل تصرف فردي او جماعي ، وانها الضمان الاول ليكون ذلك التصرف جارياً وفق المراد الالهي . وفي مقابل ذلك فانه سمى دولة المرابطين بدولة « المجسمين » اشارة منه الى ان فساد سياسة هذه الدولة انما هو بسبب انحراف اهلها عن السمت العقدي الصحيح ، وهو ما يظهر من ربطه المستديم بين وصفهم بالمجسمين وبين ذكر سائر اخطائهم وانحرافاتهم الاخرى في مجال الحكم والاجتماع (20) .

والاساس الثاني الذي وضعه المهدي لسياسة دولته ضمن دعامة العلم هو الاساس المنهجي في فهم الشريعة ، ويقوم هذا الاساس على وجوب ان يحصل العلم بالاحكام الشرعية انطلاقاً من الاصول المتمثلة في نصوص القرآن والحديث دون سواها من اقوال الفقهاء وتفريعاتهم .

لقد استقر في ذهن المهدي ان ما كان سائداً في السياسة الثقافية لدولة المرابطين من عزوف في فهم الشريعة عن اصولها النصية ، واقتصار على آراء الفقهاء واقوالهم كان له مدخل كبير في الفساد الذي بدا يدب في مختلف مجالات الحياة سياسة واجتماعاً واخلاقاً عامة ، فابعاد اصول الدين النصية من موطن الاحتكاك المباشر يضعف الصلة بها ، وضعف الصلة بها يجريء النفوس على عدم الانصياع اليها ، ويغري فيها نوازع الهوى والشهوة .

وهو لهذا السبب وجه شطراً كبيرا من جهده الى دعم التأصيل وشرحه والبرهان عليه وتيسير سبله حتى يصير منهجاً لفهم الشريعة تجري عليه اذهان الناس ، وترتكز عليه السياسة الثقافية للدولة التي يخطط لتأسيسها.

---

19) ابن تومرت ــ رسالة الى الاتباع 4 - 5 (ضمن كتاب اخبار المهدي للبيدق ، ط . باريس 1928)

20) انظر ما جاء في رسالة « في بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين » (ضمن مجموع اعز ما يطلب ص 258 وما بعدها) ، وانظر في اعتناء المهدي بحقيقة التوحيد عموما ما جاء في اطروحتنا عن المهدي بن تومرت 202 وما بعدها

الصغير واوضاعه خلال العشر سنوات التي قضاها ابن تومرت في مناهضة عسكرية مستمرة لدولة المرابطين .

وسنحاول فيما يلي استجلاء الاسس التي بنى عليها المهدي سياسة الدولة التي سعى الى اقامتها من خلال ما تركه من آثار مكتوبة وما مارسه في المجتمع الصغير الذي كونه إعدادا للدولة المنشودة .

لقد ادرك ابن تومرت ان سياسة لا ترتكز على العلم انما هي سياسة منحرفة عن السمت الاسلامي في الوحدة التي لا تنفصل بين العلم والسياسة ، وهو ما ترجمه الاسلاميون فيما وضعوه من شرط الاجتهاد كشرط ينبغي ان يتوفر في الامام ، وقد تبين له ان من اهم اسباب الانحراف في سياسة الحكام هو تعريهم عن صفة العلم الصحيح بالشريعة ، فجاءت سياستهم غير مهتدية بنور العلم بل مسيرة بعوامل الهوى والشهوة والمنفعة الخاصة .

ولهذا السبب فان المهدي جعل هدفه الاول تأسيس دولة على اساس من العلم بالشريعة ، وكرس كل جهده لتحقيق هذا الغرض ، حتى ان المتتبع لثورته يجد وحدة حقيقية غير قابلة للفصل بين ثورة سياسية وثورة علمية فكرية .

ان الاساس الاول الذي وضعه المهدي لسياسة الدولة المرتقبة هو اساس عقدي يتمثل في علم صحيح بالعقيدة الاسلامية ، وعمل جاد بمقتضاها ، وقد جعل محورا لهذا الاساس العقدي حقيقة التوحيد التي تتراجع اليها كل حقائق العقيدة وتنبع منها كل مسائلها . ولذلك فانه ما فتيء منذ رجوعه يشرح حقيقة التوحيد ، وابعاده ، ويقيم عليها الادلة والبراهين ويدّرسها لاتباعه اول ما يدرسهم من العلم واضعاً في ذلك رسائل جعل استيعابها اساساً لكل منتم اليه ، واصبحت فيما بعد دستورا تنبع منه كل تصرفات الافراد والجماعات ، ومن اشهر تلك الرسائل رسالة المرشد ، ورسالة توحيد الباري ، ورسالة في ان التوحيد هو اساس الدين .

وقد حدد مفهوم هذه الحقيقة وابعادها في قوله . « التوحيد هو اثبات الواحد ، ونفي ما سواه من اله او شريك او ولي او طاغوت ، كل ما يعبد سواه يجب نفيه والكفر به والتبروء منه » (18) . ومن البين ان هذا التحديد يشير الى بُعد تصوري في حقيقة التوحيد يقوم على تنزيه الباري تعالى عن المثلية في العدد والصفات والافعال ، وبُعد عملي يتمثل في صدور افعال الانسان كلها بمقتضى حكم الاله الواحد لا بمقتضى حكم سواه من ولي او طاغوت .

18) ابن تومرت ـ رسالة في ان التوحيد هو اساس الدين 271 (ضمن مجموع اعز ما يطلب ط فونتانة ، الجزائر ، 1903)

تصوراتهم للذات الالهية حتى سقطوا في التجسيم ، ولذلك سماهم المهدي بالمجسمين(14) واعتبر منهم ذلك انحرافاً في العقيدة جرت تصوراتهم عليه . وبثوه في الناس ، وشجعوا على اعتناقه .

وفي مجال المنهج الثقافي لفهم الشريعة اعتمد المرابطون على منهج الفروع في الاحكام الفقهية ، ذلك المنهج الذي يعتمد على اقوال الفقهاء ، ويولد منها الاحكام دون رجوع الى الاصول الحقيقية للحكم الشرعي من نصوص القرآن والحديث

وقد قامت الثقافة الشرعية في عهد المرابطين على هذا المنهج الذي حظي بتزكية وتشجيع فقهاء الفروع من علماء المالكية ، وهو ما وصفه المراكشي قائلاً « ولم يكن يقرب من امير المسلمين ويحظى عنده الا من علم الفروع ، اعني فروع مذهب مالك . فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب ، وعمل بمقتضاها ، ونبذ ما سواها ، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن احد من مشاهير اهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء »(15) .

ان ما قام به المهدي من بيان لمواطن الفساد في سياسة المرابطين في مختلف المجالات عقيدة وحكماً وثقافة واجتماعاً (16) لم يكن الا توطئة لمرحلة لاحقة في المنهج الذي رسمه للقضاء على هذه الدولة ، فبعد اقناع الناس بفساد هذه السياسة وانحرافها عن الدين ، جعل يعد العدة لمحاربتها عسكرياً ، اذ ان هذا الفساد يوجب على المسلم الجهاد في سبيل ازالة الباطل واقامة الحق ، وبعد اعداد العدة نفسيا ومادياً شرع في سلسلة من المعارك يواجه فيها المرابطين واتباعهم من القبائل المغربية الى ان غزا عاصمة الدولة نفسها في معركة كبيرة عُرفت بموقعة البحيرة(17) .

واذا لم يكتب لابن تومرت ان يعيش حتى يطيح بدولة المرابطين ، ويمارس عمليا من بعدها سياسة الدولة التي خطط لقيامها ، الا انه حدد لاتباعه وتلاميذه من بعده اسس هذه الدولة ووصف لهم السياسة الشرعية التي ينبغي ان تقوم عليها ، بل انه بدأ يمارس عملياً هذه السياسة مع مجموعة من الاتباع الذين انضموا اليه واستجابوا لدعوته ، فقد كون منهم مجتمعاً صغيراً في بلاد السوس ، وجعل يسوسهم بحسب تلك القواعد التي سطرها في كتبه ورسائله بالقدر الذي تسمح به ظروف هذا المجتمع

---

14) انظر ابن القطان ـ نظم الجمان 85 (ط جامعة محمد الخامس . الرباط . تحقيق محمود علي مكي)

15) عبد الواحد المراكشي ـ المعجب 236 (ط. القاهرة 1963)

16) ربما وقع ابن تومرت في بعض الاحيان في المغالاة في وصف اعدائه المرابطين وخاصة في تصوير انحرافهم العقدي

17) انظر هذه المعارك في البيذق (ابو بكر الصنهاجي) ـ اخبار المهدي ابن تومرت 65 وما بعدها (ط الجزائر 1975)

لتاتي بثمارها ، ولم تكن لتؤدي الى اصلاح ، بل انها كانت سببا في طرده ، ثم في مطاردته وطلب دمه عقاباً لما اعتبر منه اثارة للفتنة ، وتشويشاً على الدولة .

وازاء هذا الفشل لمحاولة اصلاح سياسة الدولة باصلاح الحكام القيمين عليها غيّر ابن تومرت في طريقته تغييراً جذرياً ، وعدل عن منهج الوعظ الى منهج الثورة على الدولة القائمة للاطاحة بها ، واقامة دولة جديدة مكانها تقوم على اسس متينة تضمن لها سياسة شرعية في مختلف الميادين.

وقد قسم هذا العمل الثوري الى قسمين متكاملين

قسم يتعلق بهدم الدولة القائمة وازالة السياسة غير الشرعية التي تنتهجها ، وقسم يتعلق ببناء الدولة الجديدة التي يهدف منها الى سياسة الناس بسياسة شرعية قويمة .

اما هدم الدولة القائمة فانه ابتدأ بحملة اعلامية تبين بتفصيل مظاهر الفساد في سياسة هذه الدولة ، ومواطن انحرافها عن التعاليم الشرعية مما يقوم سبباً لوجوب مناهضتهم والاطاحة بهم ضمن اطار ما فرض على المسلم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهولاء المرابطون ظهر فساد سياستهم بصفة جملية في « انهم سعوا في هدم الدين ، واماتة السنة »(12) . وتمثل ذلك الفساد بصفة تفصيلية في انهم « تمادوا على الفساد في الارض وعلى العتو والطغيان ، وعلى هلاك الحرث والنسل ، والاعتداء على الناس في اخذ اموالهم ، وخراب ديارهم ، وفساد بلادهم وسفك دمائهم ، واستباحوا اكل اموال الناس بالباطل ، واخذ اموال اليتامى والارامل ، وتمادوا كلهم على ذلك ، وتعاونوا عليه فرحين مسرورين ، لا ناهي ولا منتهي ، يجمعون الحرام ، ويتمتعون بالسحت ، حتى اعتادوا الاسراف والتبذير في اللذيذ من الطعام والرقيق من الثياب ، والخيل الموسومة ».(13)

ان هذا الانحراف السياسي في حراسة الدين ، وتصريف شؤون الحكم ، ورعاية مصالح الناس ليس انحرافاً على مستوى العمل فقط بل له جذور في مستوى التصور العقدي ، وفي مستوى المنهج الذي تُفهم به الشريعة .

ففي مجال التصور العقدي لم يخلص المرابطون التوحيد لله تعالى بل انهم غلظت

---

12) ابن تومرت ـ الرسالة المنظمة 106 (منشورة ضمن اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته ج 1، ط الجامعة التونسية ، 1979 ، تحقيق عمار الطالبي)

13) نفس المصدر والصفحة وانظر ايضا ما ورد من بيان لانحراف المرابطين والتحريض على مجاهدتهم في ابن تومرت ـ مجموع اعز ما يطلب 258 وما بعدها

ابن خلدون حينما قال :« وانطلق هذا الامام راجعاً الى المغرب بحراً متفجراً من العلم وشهاباً وارياً من الدين » . (9)

وقد كانت تحكم بلاد المغرب في هذه الفترة التي رجع فيها ابن تومرت دولة المرابطين التي اسسها يوسف بن تاشفين . وقد قامت هذه الدولة على اساس من العلم الديني حيث كان باني قوامها الروحي احد العلماء من فقهاء المالكية وهو عبد الله ابن ياسين الذي اراد ان تحكم المغرب دولة تسوس الناس بحسب تعاليم الشريعة على مذهب مالك بن انس .

ورغم قيام الدولة على هذا الاساس الديني ، واتصاف ملوكها في ذواتهم بالصلاح والتقوى وبلائها البلاء الحسن في مجاهدة النصارى بالاندلس ، فان سياستها العامة طرأت عليها بعض الانحرافات في مجال الحكم ، وفي المجال الاجتماعي ، وقد وقف ابن تومرت على هذه الاهحرافات بعد عودته من المشرق ، وذلك اثناء تنقله المستمر بين المدن والقرى آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، واثناء التقائه بالكثير من العمال والولاة وبامير الدولة نفسه علي بن يوسف ابن تاشفين

وكانت المحاولة الاولى للاصلاح متمثلة في امر الحكام بالمعروف ،نهيهم عن المنكر أملاً في ان تنصلح سياستهم بهذه الطريقة ، ومما قاله في هذا النطاق مخاطبا الامير علي بن يوسف في مجلس احضره فيه للمناظرة انما انا رجل فقير طالب الاخرة ولست بطالب دنيا ، ولا حاجة لي بها ، غير اني آمر بالمعروف وانهي عن المنكر وانت اول من يفعل ذلك ، فانك المسؤول عنه ، وقد وجب عليك احياء السنة ، واماتة البدعة ، وقد ظهرت بمملكتك المنكرات وفشت البد ع ، وقد امرك الله بتغييرها ، واحياء السنة بها اذ لك القدرة على ذلك ، وانت المأخوذ به المسؤول عنه ، وقد عـــاب الله تعالى امة تركوا النهي عن المنكر فقال تعالى : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (المائدة :79) (10) . وقال في نفس المجلس مخاطبا احد القضـــاة انتدبه الامير لمناظرته لما سأله · ما هذا الذي يذكر عنك من الاقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد الى الحق ، المؤثر طاعة الله تعالى على هواه · فاجاب : اما ما نقل عني فقد قلته ولي من ورائه اقوال ، واما قولك انه يؤثر طاعة الله تعالى على هواه ، وينقاد الى الحق ، فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه . ليعلم بتعريه عن هذه الصفة انه مغرور بما تقولون له وتضرونه به ، مع علمكم ان الحجة عليه متوجهة ، فهل بلغك ياقاضي ان الخمرة تباع جهاراً ، وتمشي الخنازير بين المسلمين · وتؤخذ اموال اليتامى » وعدد من ذلك شيئاً كثيرا (11) . ولكن هذه المواعظ لم تكن

---

9) ابن خلدون ــ العبر 6 /466

10) انظر ابن ابي زرع ــ روض القرطاس 121

11)ابن خلكان ــ وفيات الاعيان 5/49 - 50 (ط دار صادر ، بيروت)

وفي نطاق هذا الوضع نعثر في التاريخ السياسي الاسلامي على محاولات اصلاحية قامت في مناطق مختلفة من العالم الاسلامي ، تهدف الى تلافي الفساد الذي يطرأ على سياسة دولة من الدول ، او امير من الامراء ، وتروم تنزيل السياسة الشرعية التي مارسها الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون منزلة الواقع .

ومن هذه التجارب الاصلاحية تجربة فذة نشأت بالمغرب الاسلامي في القرن السادس على يد احد العلماء السياسيين ، وهو المهدي ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين التي كان لها شأن في التاريخ الاسلامي بالمغرب خاصة .

ولد المهدي بن تومرت بمنطقة السوس جنوب المغرب الاقصى سنة 474 هـ ، وارتحل في مستهل القرن السادس الى المشرق ليقضي ببغداد عشر سنوات في طلب العلم حيث « لقي جلة العلماء يومئذ وفحول النظار ، وافاد علما واسعا» (7) ، ثم طوف في كثير من البلاد الاسلامية في رحلة رجوعه من بغداد الى مراكش حيث استغرقت تلك الرحلة ما يزيد عن اربع سنوات . (8)

وقد افاد ابن تومرت في رحلته هذه فوائد علمية وسياسية واجتماعية جمة هيأته ليقوم بدور المصلح السياسي الديني الفذ . ففي الجانب العلمي والفكري حصل الرجل جانبا وافرا من العلم خاصة في اصول الدين والسياسة الشرعية . وتكونت لديه عقلية نقدية مقارنة نزاعة الى الاصول رافضة للتقليد والبدع وذلك تأثرا بمجموعة من فطاحل العلماء تتلمذ عليهم ، وكانوا يتصفون بهذه الخصال منهم ابو حامد الغزالي ، والكيا الهراسي والمبارك بن عبد الجبار ، وابو بكر الشاشي ، وابو بكر الطرطوشي .

وفي الجانب السياسي والاجتماعي تمكن ابن تومرت من الاطلاع عن كثب على انظمة سياسية مختلفة ، كانت له لقاءات مع العديد من الامراء والولاة ، وهو ما اكسبه معرفة واسعة بالواقع السياسي للمسلمين ، ونفاذا الى العيوب والانحرافات التي كان يشتمل عليها ذلك الواقع .

ولقد تفاعلت في نفس المهدي هذه الحصيلة العلمية الثرية مع هذا الاطلاع على شؤون السياسة في اطراف كثيرة من البلاد الاسلامية ، وساعد ما تكون لديه من عقلية نقدية على ان يقارن بعمق بين ما هو كائن في سياسة الدول الاسلامية التي اطلع عليها وبين ما ينبغي ان يكون من سلطان الحكم الشرعي حسب ما حصله من العلم الديني ، فاسفرت المقارنة على مفارقة مهولة اثمرت في نفسه عزما على القيام بعمل تغييري اصلاحي يهدف الى اقامة حكم على اساس من العلم الديني ، وهو ما وصفه

---

7) ابن خلدون ـ العبر 465/6 (ط دار الكتاب اللبناني 1959)
8) انظر تفصيلا وافيا عن حياة ابن تومرت ورحلته في اطروحتنا « المهدي ابن تومرت » (ط دار الغرب الاسلامي بيروت)

ملامح مؤسساتها ثم أجهضت تجربتها حينما عصف بها نظام المُلك فأصبحت إثرا بعد عين .

لم يحدث في التاريخ الاسلامي القديم ان أعلنت دولة اسلامية فصل الدين عن السياسة ، بل ان ذلك المبدأ « شمولية الدين للسياسة » ظل مقرراً ومتبنّى على الصعيد النظري ومنتصرا له على الصعيد الفكري ، ولكن الناظر في فترات كثيرة من تاريخ الدولة الاسلامية يلمح اثرا حقيقياً لانفصال غير معلن بين الدين والسياسة في ممارسة كثير من الحكام لسياسة تحتكم الى اسس غير دينية مثل العصبية القبلية . ونوازع الهوى والشهوة ، والمصلحة الشخصية الضيقة المناقضة للمصلحة العامة . وفي التاريخ الاسلامي شواهد كثيرة على هذه الممارسات .

ولعل من اهم عوامل هذا الانفصال تخلف شرط اساسي من شروط الامام اتفق جميع الاسلاميين على وجوب توفره فيه ، وهو ان يكون بالغاً في العلم درجة الاجتهاد في الاصول والفروع(5) ،فحينما اصبح الحكم وراثياً ـ قُدم العرق، على العلم بل تخلفت صفة العلم الا اذا صادف ان اجتمعت مع العرق، ونشأ عن هذا التخلف ان وجدت سائر عوامل التأثير في الحكم ـ في غياب العلم ـ طريقها الى موقعها التأثير في سياسة الحكام فجانبت هذه السياسة في احيان كثيرة التعاليم الشرعية التي لا تُدرك إلا بالعلم . واسفرت هذه الوضعية عن انفصال بين الحكم والعلم ، فأصبح الحكام غير علماء ، والعلماء غير حكام . ومع غياب صفة العلم عن الحكام لم يكن للعلماء الموقع المؤثر في سياستهم فيأتمرون بعلمهم الشرعي وينتهون به ، بل ان العلماء كانوا في اغلب الاحوال مُبعدين مُمتحنين اذا شددوا المعارضة . او مُستوعبين ممالئين ، وهم علماء السوء ، او سلبيين مبتعدين عن هذا وذاك ، وفي كل الحالات كان تأثيرهم على مجرى الحكم وسياسة الدولة تأثيرا ضعيفا في أكثر الاحيان .

ان خفوت شوكة الدين في سياسة الدولة الاسلامية ادى فيما ادى الى انتقاض إطراف هذه الدولة الاسلامية ، ونشوء دويلات متعددة في مختلف بلاد الاسلام ينقض بعضها بعضاً ويروم اللاحق منها اصلاح ما فسد من الدين في حكم السابق حتى اذا ما دبّ في هذا اللاحق الفساد آل ملكه الى الانحلال والزوال ، وهو ما اشار اليه الماوردي كسبب من اسباب زوال المُلك اذ يقول « ... والسبب الثاني ان يكون المُلك قد استهان بالدين وهوّن من اهله ، فأهمل احكامه ، وطمس اعلامه ، حتى لا تؤدى فروضه وتوفى حقوقه ، اما لضعف عزمه في الدين ، واما لانهماكه في اللذات . فيرى الناس ان الدين اقوم ، ولحقوقه وفروضه الزَم ، فيصير دينه مدخولا ، وملكه محلولا ».(6)

---

5) انظر على سبيل المثال الايجي ـ المواقف 2/465

6) الماوردي ـ « تسهيل النظر وتعجيل الظفر » (قطعة منشورة بمجلة الفكر العربي ، عدد 23 ج 2 ص 217 تحقيق رضوان السيد)

وقد ظلت هذه المهمة السياسية للدولة القناعة الوحيدة للفكر الاسلامي على اختلاف وجهاته واختلاف الفرق التي ينتمي اليها قبل العصر الحديث . فقد كان سائداً عند جميع الفرق الاسلامية ان السياسة في المفهوم الاسلامي إنما هي سياسة دينية تسترشد في كل صغيرة وكبيرة بالتعاليم الالهية التي تحيط بمصالح العباد ما هو ظاهر منها وما هو خفي ، وقد قرر ابن خلدون هذه القناعة في الفكر الاسلامي حينما قال ان السياسة الدينية هي « حمل الكافة على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم وآخرتهم »(2) مقارناً هذه السياسة بأنواع اخرى خارج دائرة الفكر الاسلامي كسياسة المُلك القائمة على القهر ، والسياسة العقلية القائمة على العقل ، منتهياً الى ان السياسة الدينية هي افضل السياسات لانها يكون فيها الكل محاطاً بنظر الشارع ، والشارع هو أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور آخرتهم .(3)

وقد ترجم الفكر الاسلامي هذا المفهوم للسياسة في تقريراته المتعلقة بقضية الامامة او الخلافة حيث وردت عند كافة الاسلاميين تعريفات للامامة تلتقي كلها عند معنى القيومية على تنفيذ احكام الشارع في أمور الدنيا وأمور الاخرة ، وهو ما تضمنه التعريف الذي اصبح مشتهراً أكثر من غيره ، والذي ورد عند الماوردي في قوله الامامة هي خلافة النبوة في حفظ الدين وسياسة الدنيا . (4)

وعلى الصعيد الفعلي ساد هذا المفهوم للسياسة الدينية في واقع الدولة الاسلامية بصفة كاملة فترة من الزمن امتدت طيلة الحكم النبوي والخلافة الراشدة ، حيث كانت الدولة تحتكم في تصريف شؤون الناس جميعها الى التعاليم الشرعية وتجتهد في اجرائها وفقهها في كل الاحوال .

إلا انه بعد الخلافة الراشدة طرأ على سياسة الدولة الاسلامية خلل على المستوى العملي لازمها في اغلب احوالها ولم تسلم منه الا في فترات قليلة ولمدد محدودة.

ويتمثل ذلك الخلل في تهاون القيمين على الدولة في إجراء شؤون الناس او بعضها على مقتضى الحكم الشرعي سواء في شؤون الحكم او في الشؤون الاجتماعية والعلاقات العامة بين الناس ، فنشأ منذ العهد الاموي المُلك العضوض القائم على الوراثة والمنتهي في أغلب الاحوال الى أنواع القهر والبغي في غياب دعامة من أهم دعائم الحكم الاسلامي وهي دعامة الشورى التي ارسى الخلفاء الراشدون في حكمهم

---

2) ابن خلدون ـ المقدمة 170 (ط دار الشعب)

3) نفس المصدر والصفحة

4) الماوردي ـ الاحكام السلطانية 3 (ط 1909) . وانظر الايجي والجرجاني ـ المواقف وشرحه 2/ 46 (ط بولاق) ، وابن خلدون المقدمة 170 ـ171

الدولة والسياسة
في فكر المهدي بن تومرت

عبد المجيد النجار(*)

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على اشرف المرسلين

لم تطرح قضية الدولة والسياسة في التعاليم الاسلامية وفي الفكر الاسلامي في العهود الاولى على النحو الذي طُرحت به في الفكر الاسلامي الحديث ، ذلك ان هذا الفكر اصبح يواجه على الصعيد النظري والعملي تحدياً صارخاً في مفهوم الدولة وطبيعتها ومهامها تمثّل في مقولة العلمانية التي تنفي عن الدولة الصفة الدينية وتقصر مهمتها على تصريف شؤون الحياة الدنيا دون الخضوع لأي تعليم ديني فهذا التحدي كان عنصرا مهماً في تحريك هذه القضية في الفكر الاسلامي الحديث ، فنشأت حركة حوارية واسعة اصطدمت فيها الاراء المتأثرة بالعلمانية بالاراء المتمسكة بقيومية الصفة الدينية على سياسة الدولة ، وخضوع هذه السياسة للتعليم الديني خضوعاً كلياً(1) .

ان الدولة في التعاليم الاسلامية تنبع طبيعتها ومهامها من المفهوم الشمولي للاسلام ، وهي بحسب ذلك المفهوم المؤسسة التي تقوم على تنفيذ المراد الالهي في حياة الانسان كلها سواء في علاقته بربه او بمجتمعه او بنفسه استمدادا لذلك المراد من النصوص الصريحة او من الاسس والمقاصد العامة ، وبهذا المفهوم فان السياسة المناطة بعهدة الدولة الاسلامية يتسع نطاقها ليشمل القيمومة على تنفيذ الحكم الالهي في حياة الانسان . وهو بذلك يتجاوز المفهوم المتداول اليوم للسياسة ، ذلك المفهوم الذي يقتصر على تنظيم شؤون الحكم في المسائل الدنيوية تأثرا في ذلك بمقولة العلمانية .

(*) استاذ في الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين ، تونس

1) يذكر في هذا المجال بالاخص ما احدثه من حوار واسع كتاب الشيخ علي عبد الرزاق « الاسلام واصول الحكم »

51) نهج البلاغة، ج1، ص91

52) يونس، ص 305-307

53) ابن منظور، لسان العرب ج15، ص406

54) البقرة، 107

55) النساء، 144

56) التغابن 12

57) المائدة، 59

58) التوبة، 71

59) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص406 وما بعدها حيث لخصنا أهم ما ورد تحت باب كلمة «ولي»

60) صبحي محمصاني، الأوضاع التشريعية في الدول العربية، ص44
المحلى ج11، ص90 بلوغ الارب، ج1، ص110

61) الرحمي، مفتاح الرتاج، ج1، ص298

62) ابن الازرق، المصدر السابق، ج1، ص224

مراجع البحث

1) Fredrick Engels Origin Of the Family, P. 327

2) Ibid, P 327

3) Ibid, P 329

4) Karl Marx, Pre-Capitalist Economic Formations, P 72

5) Engels, Ibid P 329

6) ابن منظور، لسان العرب، حـ11 ،ص252

7) آل عمران، 140

8) ابن منظور، حـ11 ص252

9) Engels A Marx 6 juin 1853

10) K Wittfogel, Le Despotisme Oriental, P 74

11) Ibid, P 106

12) سورة النحل، 120

13) يونس،47

14) Maxime Rodinson, Le Marxisme et L'Islam, P 40

15) الماوردى الاحكام، ص15

16) ابن المقفع رسالة الصحابة، ص197 ، من المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الله بن المقفع، دار التوفيق – بيروت

17) F Engels Ibid P 330

18) القلقشندى صبح الاعشى حـ6 ص380-381 . جمهرة رسائل العرب، تاليف احمد زكى صفوت حـ1 ، ص75

19) Kovalevski, Le Systeme Foncier Communautaire Moscou, 1879

20) Karl Marx, Le Systeme Foncier en Algérie P 392

21) Bernard Lewis The Arabs in History, P 64

22) محمد11

23) آل عمران 68

24) التغابن 12

25) المائدة 54

26) النساء 75

27) مريم45

28) الكهف 45

29) الانفال 72

30) ابن خلدون، المقدمة، ص123

31) المصدر السابق ص126

32) ابن منظور، لسان العرب، حـ11 ص252

33) ابن خلدون، المقدمة، ص338-339

34) المصدر السابق168

35) المصدر السابق ص127

36) المصدر السابق ص126-127

37) المصدر السابق، ص139

38) ابن المقفع، الادب الكبير، ص111

39) ابن خلدون، المقدمة ص 170-171

40) ابن الازرق – بدائع السلك فى طبائع الد... حـ1 ، ص95-96 ،تحقيق وتعليق الدكتو... سامى النشار، منشورات وزارة الاعلام العراقية

41) ابن المقفع المصدر السابق، ص111

42) ابن خلدون، المصدر السابق، ص170

43) ابن الطقطقى الفخري، الخلفاء والفقهاء... آفاق عربية، العدد12 ، اب 1980 ، ص5.. فاروق عمر فوزى

44) ابن الازرق، المصدر السابق، ص 95

45) ابن المقفع، المصدر السابق، ص ...

46) ابن خلدون، المصدر السابق، ص48

47) ابن خلدون، المصدر السابق، ص170

48) المصدر السابق، ص180

49) ابن الازرق، المصدر السابق، حـ1 ص94

50) المصدر السابق، ص96

اكتشاف لجزء رئيسي من الالية الاقتصادية في التجربة الاسلامية. لذلك فالامر لا يُسط باستبداد او عدالة الدولة-كما يفعل البعض-فولاية الامر لا تعني فقط وبالضرورة «الدولة».. بل تكشف ولاية الامر هرمية ودوائر كاملة تعكس التنظيمات والبنى المختلفة في التجربة الاسلامية.. وتكشف بالتالي حقوقها ودوافعها وحيويتها الداخلية ووسائل الرقابة والاشراف والتكليف .. لذلك عندما يستدل كاتب «الاستبداد الشرقي» من آية «واطيعوا الله ورسوله وأولي الامر منكم» على انها دليل الاستبداد المطلق والدولة المستبدة، فأنه برؤيته الدولة فقط يطبق معايير الدولة الغربية القائمة على رابطة الاقليم والمواطن وملكية الطبقة، نقول يطبق هذه المعايير الجزئية والهجينة على مفهوم ولاية الامر كرمز للتنظيم والتنظيمات الاجتماعية في التجربة الاسلامية، فيرى الحقيقة ناقصة او خاطئة وذلك بسبب معاييره الخاطئة. فهو يرى جانب الامرية وحقوق المنصب، ولا يرى لا المستويات الاعلي المشرفة ولا الدوائر الاخرى الموازنة ولا القاعدة او القواعد المشكلة لولايات الامر والمنظمة او المراقبة لها، والتي لا تجعل منها بالتأكيد سلطات مطلقة مستبدة. فهو لا يستطيع مثلا ان يرى ان ولاية الله التي قد يستطيع حاكم مستبد ان يصرفها لمصالحه لفترة من الوقت ستبقي في الصراع العام وفي نهاية المطاف اولا واساسا قوة بيد الجماعة لمحاربة الاستبداد والتعدي على الحقوق. انه لا يستطيع ان يرى ان قوى الاستبداد تتشكل بالذات عندما تتجاوز ولاية ما حقوق دائرتها او مستواها او عندما لا تُمنح الحقوق اللازمة لتصريف دائرتها. فالظلم كما يقول الرحبي«هو وضع الشيء في غير مكانه»(61) ..لهذا بالذات تشكل نزعة التنظيم والانتظام او هرمية وتوزع ولايات الامر احدى اهم الضمانات لتشكل **القوى المضادة** للاستبداد، ما دام الغاء الاستبداد امرا لم تعرفه المجتمعات الانسانية * . فالعبرة الفعلية هي ليست في الكلام عن الغاء الاستبداد بل في ايجاد القوى المضادة له والحصانات الحقيقية لمقاومته وتطويقه. وضمن هذا الفهم تصبح ولاية الامر هي التنظيم الارقى والاكثر واقعية للوصول الي هذا الهدف. لأن ولاية الامر ما هي في النهاية سوى تعبير عن تنظيم طبيعي برهنته الفطرة فيسعى الشرع لاحتوائه، او انه تعبير عن تنظيم صدر عن الشرع فصار فطرة طبيعية مقبولة للناس.

---

* قال ابن الازرق قال ابن خلدون ولو قدر عليه كل احد. لوضع بازائه من العقوبة الزاجرة ما وضع بازاء غيره من المفسدات للنوع، القادر عليها كل احد. كالزنا والقتل والسكر لكن لما لا يقدر عليه الا من لا يقدر على غيره من ذوي قدرة او سلطان. بولغ في ذمه بتكرير الوعيد. عسى ان يكون الوازع فيه للقادر عليه من نفسه»(62)

والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»(58) ، او كما يرد في الحديث الشريف: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

وضمن ولاية الامة تتدرج الولايات.. الحرب ولاية، والقضاء ولاية والامارة ولاية.. وامامة الصلاة ولاية.. ومصالح الايتام والايامى ولاية والاوقاف ولاية.. والمظالم والحسبة ولاية.. والحج ولاية.. والصدقات ولاية..الخ .

ولتنظيمات الفطرة والطبيعة والجماعة والمعتقدات الاخرى اولي امر فشيخ القبيلة ولي امر، ولنقابة النسب ولي امر، ورب العائلة ولي امر، ولاهل الكتاب وأهل العهد اولي امرهم. كما ان للدوائر في الاقاليم ولايات فيكون والي مصر ووالي العراق ووالي الشام ووالي القيروان..الخ

وهكذا تحتوي مستويات ودوائر الولايات بعضها او تتقاطع مع بعضها ويتدرج مفهوم الولاية حسب ضغوطات المستويات والدوائر في زمان ومكان محددين ليلقيا نظرة فعلية على الواجبات والحقوق والدوافع التي تتشكل من خلال هذه التكوينات والتي ينال فيها **منصب** ولي الامر استقلالاً معيناً عندما يتصرف باسم تكوينه او جماعته، او عندما يضع ولي الامر يده على حقوق المنصب مغتصباً معتدياً. وفي الحالتين، فولي الامر وبدرجات مختلفة هو «شخص اقتصادي » سابق «للنظام». اسبقية التنظيم الذي ولي عنه. وان اكتشاف هرمية الحقوق والدوافع لاولي الامر هو

* ميزت الادبيات الاسلامية في معاني الموالاة مما يبين توغلها في عمق التنظيمات الصغيرة والكبيرة وقيل مثلا «الولاية الخُطة كالأمارة الولاية بالكسرة، السلطان والولاية النّصرة يقال هم عليّ ولاية اى مجتمعون في النُصرة وقال سيبويه الولاية بالفتح، المصدر، والولاية بالكسر، الاسم مثل الأمارة والنقابة لأنه اسم لما توليته وقُمت به والولى ولي اليتيم وولي المرأة ويقال فلان اولى بهذا الامر من فلان اى احق به والمولى الحليف. وهو من انضم اليك فعز بعزك وامتنع بمنعك. وقال ابو الهيثم المولى على ستة اوجه **المولى** ابن العم والعم والاخ والابن والعصبات كلهم، **والمولى** الناصر، **والمولى** الولى الذي يلي عليك امرك. **والمولى** مولى الموالاة وهو الذي يسلم على يدك ويوليك. **والمولى** مولى النعمة، **والمولى** المُعتق لأنه ينزل منزلة ابن العم يجب عليك ان تنصره وترثه ان مات ولا وارث له. قال ابن الاعرابي ابن العم مولى وابن الاخت والجار والشريك والحليف وهو اسم يقع على جماعة كثيرة والمولاة المتابعة . واستولى على الامر اي بلغ الغاية ومن هذا يقال استولى فلان على مالي اي غلبني عليه وولي الشيء وتولى ادبر وولى عنه اعرض عنه او ناى. والتولي يكون بمعنى الاعراض ويكون بمعنى الاتباع، قال الله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم، اي ان تعرضوا عن الاسلام. وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم معناه من يتبعهم وينصرهم(59) وايضا «مولى الحلف هو مولى عقد او مولى موالاة او مولى يمين، لتفريقه عن القريب الحقيقي المدعو مولى ولادة، او مولى رحم، ولتفريقه عن العتيق اي الرقيق بعد عتقه اذ يدعى مولى عتاقة»(60)

عليها. وهذا هو الموقف الشرعي الذي له امثلة تاريخية سواء على المستويات العامة والكبيرة والمركزية او على الاصعدة الجزئية والاقل اهمية. اما الحالة المقابلة فهو استيلاء البعض على منصب ولاية الامر وتشكيل دولة ظالمة او إمرة فجور تستأثر حقوق الله والجماعة والافراد. وان من يدرس اشكال التنظيمات الاجتماعية في التجربة الاسلامية سيرى ان الامر ليس احادي الجانب، بل هو يتشكل حسب الزمان والمكان من ضغوطات تجعل احياناً الولاية الشرعية سائدة مركزياً او على اصعدة اقل وهذه لا تمثل «دولة مالكة» بأي شكل كان .. بينما تجعل احياناً الولايات غير الشرعية او الدولة اللاشرعية المحطمة لمفهوم ولايتها سائدة مركزيا او على اصعدة اقل.. بينما تسود، في احيان ثالثة، نماذج مختلطة متداخلة. وهذه صورة اكثر تعقيداً، لكنها اقرب للواقع كما جرى.

من هنا تمثل نزعة التنظيم والانتظام محاولات اجبار حالات الانفلات والتسيب وعدم وضع الامور في نصابها لكي تدخل ضمن دائرتها الطبيعية التى تُشكل شرطها وبيئتها. انها نزعة الالتفاف حول مركز معين. فتُشكل نزعـــة التنظيم والانتظام ضغط الجماعات باتجاه الحالات المثلى والعقلانية والمتوازنة. لكل مستوى حالة من التنظيم والانتظام . ولكل حالة دائرتها. فالمستويات المتباينة والطبائع المختلفة تنتظم في دوائر مختلفة تتداخل او يحتوي بعضها بعضاً او تتقاطع، لكن كل مستوى وكل دائرة يسعى للانسجام مع تكوينه بما ينصف الحالة وينظم المستويات.

للكون دائرته ووليه. وللمسلمين دائرتهم واولياءهم. ولاهل الكتاب دوائرهم واولياءهم، وللقبيلة او الجماعة او العائلة او الاقليم او الاعمال دوائرهم واولياءهم. هذه الدوائر تقع كلها في مستويات مختلفة وتحتوي كل دائرة مستويات متدرجة. فأذا راينا الولاية كترجمة للتنظيم ولقيادته وما تعكسه من بنية تستقر عليها، فاننا سنراها فى شتى المستويات.

فالله سبحانه وتعالى هو الوالي الاعلى، وهو «المتولي لامور العالم والخلائق والقائم بها» و «ومن اسمائه عز وجل الوالي. وهو مالك الاشياء جميعها والمتصرف بها. قال ابن الاثير: وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي». وعلى هذا المستوى فالله سبحانه وتعالى هو الولي الاوحد والاعلى(53) : وما لكم من دون الله من ولي(54) ... وكفى بالله وليا(55) .

لكن مفهوم الولاية يتدرج الى المستويات الاخرى.. فالرسل اولياء على اتباعهم: فأن توليتم فانما على رسولنا»(56) .. و «من يتولى الله ورسوله»(57) . والخليفة والامام وليا امر، وصولاً الى الفرد: «المؤمنون

الممتدة. وان الأمرة او الولاية * التي ستتولى الاشراف على هذه التنظيمات او البنى ستتصرف من خلال منصبها بحقوق وستتكون لها دوافع وتتحدد لها حقوق وواجبات تشكل الى حد ما كياناً مستقلاً هو جزء من مجموع الحقوق والدوافع المنظمة لاتجاهات الحركة الاقتصادية.

ان المعيار الرئيسي للتمييز بين الأمرة القائمة على الولي والولاية والأمرة القائمة على تنظيم الدولة، هو طوعية الاول لاستناده الى مفهوم شمولي اخروي او مفهوم طويل الامد تاريخي والاكراه في الثاني لاستناده الى ميزان القوى السياسي او الاجتماعي في وقت محدد. اذ كما رأينا ان البنى في مفهوم الدولة موجودة لكنه يتم تداولها بين هذه الجهة او تلك. فمفهوم الدولة يمثل حقيقة اجتماعية راهنة تمثل اتفاق او صراع سياسي او اجتماعي محدد فهي ترتبط بحقائق وضعية مباشرة. اما البنى التي ينبثق منها اولي الامر فهي تحمل امتداداً شمولياً او تاريخياً كما هو حال الولايات الدينية او الولايات القائمة على صلة الرحم..

لذلك تتشكل ولاية الامر اولا وقبل كل شيء على اساس فكرة الواجب. فلا يكون ثمة «مجال للاختيار امام صاحبها»(52)، او على الاقل ان مجال الاختيار محصور بعدد قليل من المكلفين والمؤهلين. فالامامة او الخلافة مثلا ولاية يتولاها شرعاً من تتوفر فيه الشروط. ويتولى الوالدان في الاسرة امرها من خلال قيامهما بواجب «الابوة و«الامومة». والشيخ في القبيلة او عدد قليل من المشايخ، سيجدون انفسهم امام **واجب** رئاسة القبيلة لاعتبارات الحكمة والسن والتجربة والامانة والشجاعة. .الخ وستتلاقى فكرة الواجب هذه عموما مع تزكية شبه عامة لقبول هذه الأمرة طواعية. وسيجد اعضاء الجماعة انفسهم في حالة انسجام طبيعية مع التراتب التنظيمي القائم ضمن الجماعة(امة او عشيرة او عائلة او طائفة..الخ). حيث تتحدد واجباتهم وحقوقهم كما ذكرنا اما ان تمثل جانب الامرة في مفهوم وتنظيم اشمل واعم من الدولة هو الولاية او ان تشكل وضع اليد تعسفاً واستيلاءا على حقوق الاخرين.

وان هذا التمييز مهم لأن مفهومي الولاية والدولة ان كانا يلتقيان حول نقاط فان للمفهومين اسس وغايات مختلفة. فهما يبينان مثلا ان ما سُمي «بالدولة المالكة» هو مفهوم تعميمي يموه من التنظيمات التاريخية للتجربة الاسلامية ويحمل مفهوماً محددا للدولة. فالاساس هو تصرف **منصب** الولاية بحقوق واموال مُنحت لها او اؤتُمنت

---

* ان الامام علي (ع) عندما سمع صيحة الخوارج القائلة «لا حكم الا لله»، قال «كلمة حق اريد بها باطل، نعم، انه لا حكم الا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا امرة، وانه لابد للناس من امير بر او فاجر. يعمل في امرته المؤمن، ويستمتع بها الكافر، ويبلغ الله فيها الاجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ فيه للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويُستراح من فاجر»(51)

ت- ابن الازرق

ويسميها ابن الازرق «المقام الثالث»: «وذلك عند ذهاب معاني الخلافة ما عدا اسمها، وجريان طبيعة التغلب الى غايتها في استعمال اغراضها من القهر والتحكم في الشهوات والملاذ» (49) ويدل عليه حديث «ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة وخلافة ثم يكون ملكاً عضوضاً ثم يكون عتواً وجبرية وفساداً في الامة»(50).

ولاريب ان الامثلة اعلاه تعطي فكرة عن المعايير التي قسم* بها مفكرون مسلمون تنظيماتهم او ولاة امرهم الخيرين منهم والشريرين، العادلين والظالمين. ورغم بعض الخلافات الا انه من السهولة ان يتلمس المرء ان الارضية لاستخلاص مثل هذه التقسيمات او غيرها هي واحدة وهو المنطق الاسلامي للتجربة القادر وحده على فرز الالوان على حقيقتها. وان هذا الانسجام في الاسس الفكرية هو تأكيد على منطق واضح للتواصل التاريخي، حيث الفارق بين فترة ابن المقفع (القرن الثاني الهجري) وابن الازرق(القرن التاسع الهجري) هو حوالي ثمانية قرون. وان هذا الانسجام في الاسس الفكرية عند دراسة موضوعات مشتركة مرده التزام منهج مشترك وامانة كبيرة لاحترام الواقع كما جرى. وان هذا الانسجام سيغتني باراء واجتهادات مختلفة تمليها تباين التجربة واختلاف الموقع ودقة المنهج والملاحظة.

هذا من جهة ومن جهة اخرى فأن الامثلة اعلاه القت ضوءاً اضافياً على حدود الدولة وافاقها وبعض معانيها حسب التجربة الاسلامية، مما يتطلب منا العودة لطرح فهمنا العام لافاق وحدود مفهوم الولاية استناداً لهذه التجربة بالذات.

مفهوم الولاية تدرج في المستويات وتعدد في البنى

تترجم الولاية اساساً نزعات التنظيم والانتظام وهي تعبر عن الحاجة الثابتة لتنظيم تصور وموقف من تشكلات الجماعة حسب ضغوطات الفطرة والعقل، الفردية والجماعية، والمصالح الدنيوية والاخروية والمصالح الانية والمقبلة، واستخلاص الحكمة الشاملة من التجارب الجزئية واخضاعها لمعايير الزمن الطويل والتجارب

---

*وردت هذه التقسيمات بطرق مختلفة فقد قسمها البعض الى خلافة راشدة وخلافة غير راشدة ولا خلافة ويقول قدامة ابن جعفر «اي ملك خدم دينه ملكه فالملك وبال عليه واي ملك جعل ملكه حارسا لدينه انتفع بملكه وبكل امره في عاجله وآجله»(ص223، مخطوطة رقم5907 في المكتبة الوطنية في باريس وهي كتاب«الخراج وصنعة الكتابة») وروى احمد قال رسول الله (ص) تكون النبوة فيكم ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها اذا شاء ان يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله ان تكون، ثم يرفعها اذا شاء الله ان يرفعها ثم تكون ملكاً عاضا فتكون ما شاء الله ان تكون، ثم يرفعها اذا شاء الله ان يرفعها ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله ان تكون، ثم يرفعها اذا شاء ان يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت»

بعد اختلاطهما وامتزاج الدولةبهما(لاحظ هنا كيفية استخدامه للدولة) وذلك عند تدرج البداوة الى نهايتها، تجيء طبيعة المُلك لمقتضى العصبية، وحصول التغلب ثم انفراده بالمجد، مع تحري مذاهب الدين والجري على نهج الحق. ويقول، كما قال من قبله استاذه ابن خلدون، ان هذه تمثل فترة«معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده».(44)

ثالثاً— اللاولاية .. او الدولة المستبدة:

أ— ابن المقفع

ويسميها «مُلك الهوى»، حيث يستبد الوالي وتتعارض مصالحه تعارضا مميتاً مع الشرع والجماعة، لذلك يعرفه قائلاً: «اما مُلك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر.(45)

ب— ابن خلدون

ويسميها « المُلك الطبيعي» وهذه تقوم على «الاغراض والشهوات» و«اثار الغضب والحيوانية». فالمصلحة تنحصر في هذه الحالة بمصلحة القاهر والمتغلب القائمة على اشباع شهواته دون ادنى مراعاة لمصالح المستقبل(الشرع) والناس(الجماعة). فيقول في تعريفه: «ان المُلك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة»(46) لأن «مقتضاه التغلب والقهر اللذان هما اثار الغضب والحيوانية»لذلك «كانت احكام صاحبه مجحفة بمن تحت يده من الخلق في احوال دنياهم، لحمله اياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من اغراضه وشهواته، ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم، فتعسر طاعته لذلك وتجيء العصبية المفضية الى الهرج والقتل، فوجب ان يُرجع في ذلك الى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة، وينقادون الى احكامها». فيكون الملك السياسي« اذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر الدولة وبصرائها، »، وتكون ولاية او «سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا والاخرة»...«اذا كانت(هذه القوانين) مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها.(47) وهكذا يرى ابن خلدون تعاقب المراحل صعودا وهبوطا بين السلف والخلف: لأنه اذا كان ما ورد اعلاه هو منطق الصعود من المُلك الطبيعي الى الولاية الدينية فأن منطق الهبوط تلخصه الموضوعة الخلدونية في «انقلاب الخلافة الى الملك»، لأن «المُلك غاية طبيعية للعصبية، ليس وقوعه عنها باختيار، انما هو بضرورة الوجود وترتيبه، وان الشرائع والديانات وكل امر يحمل عليه الجمهور فلابد فيه من العصبية، اذ المطالبة لا تتم الا بها»(48).

ت ـ ابن الازرق

ويسميه «المقام الاول» وهو «الخلافة بدون مُلك»:و«ذلك حين البراءة منه، والتنكب على طريقه في اول الامر استغناء عنه بوازع الدين كما كانوا عليه ايثار الحق اولاً وغضاضة البداوة المعينة عليه ثانيا».(40)

ثانياً ـ الولاية الناقصة: حيث تمر مصالح الجماعة عبر مصلحة الفرد

أ ـ ابن المقفع

ويسميه «مُلك الحزم»، ويتضمن تحقيق مصلحة الوالي الحازم السياسي

ويسميه «مُلك الحزم»، ويتضمن تحقيق مصلحة الوالي الحازم اولاً، وتظهر مصلحة الجماعة من خلال تحقيق بعض معاني العدل في اطار سياسة فردية وان كانت لا متهورة ولا شبقة. يقول. «واما مُلك الحزم فانه يقوم به الامر. ولا يسلم من الطعن والتسخيط. ولن يضر طعن الذليل حزم القوي».(41)

ب ـ ابن خلدون

ويسميه «المُلك السياسي». وهذه ايضاً سياسة جزئية ناقصة تقوم «اذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر الدولة وبصرائها، كانت سياسة عقلية». ولكن هذه السياسة ناقصة لذلك هي مذمومة بمعايير الولاية الدينية الكاملة. يقول:«وما كان منه بمقتضى السياسة واحكامها مذموم ايضاً، لأنه نظر بغير نور الله (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) لأن الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور اخرتهم * واعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من مُلك او غيره. قال صلى الله عليه وسلم (انما هي اعمالكم تُردّ عليكم). واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط، (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا)، ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم، فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم وأخرتهم، وكان هذا الحكم لاهل الشريعة». فحدود المُلك السياسي«هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار».(42)

ت ـ ابن الازرق

اختلاط الخلافة والمُلك او دولة الخلافة والمُلك. ** يقول:«المقام الثاني،

---

* يجب ان نرى في مفهوم المصالح الاخروية، مفهوم المصالح المستقبلية ايضا

** «ان هذه الدولة العباسية ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والمُلك».(43)

الانواع الرئيسية للتنظيمات الاجتماعية(الولاية، الدولة، السلطة..)

لقد طرح الادب الاسلامي تصورات عديدة لموضوعات «الحكم» او «السلطة» او «الدولة» او «المُلك» تختلف فيما بينها من جهة، وتختلف من جهة اخرى عن مفهوم الدولة حسب خط التطور الاوربي او مفهومها المعاصر من حيث الحقوق والواجبات او من حيث الاسس والتابعية... وكنماذج سنستعرض تصورات ابن المقفع وابن خلدون وابن الازرق، مما قد يلخص اهمية الدعوة للتحرر من رؤية تاريخ التنظيمات الاسلامية من خلال مفهوم الدولة فقط كاحدى البنى الرئيسية الحائزة على الحقوق والدوافع كما سيشير الى عدد من عوامل الضغط والاستمرارية التي تصنع الحقائق الاجتماعية الكبرى في التجربة الاسلامية.

يقسم المفكرون الثلاثة الولايات او الدول او الملكيات الى ثلاثة اقسام.. يتناولها كل من جهة معينة. لكن كل تقسيم يشير الى حالة محددة تتطابق مع ما يقابلها وسنسمي الاولى: الولاية الكاملة، والثانية: الولاية الناقصة، والثالثة: اللاولاية

اولا ــ الولاية الكاملة: وهنا تُضمن مصالح الدنيا من خلال ضمان مصالح الدين، وتضمن مصالح الافراد من خلال ضمان مصالح الجماعة.

أــ ابن المقفع

يطلق ابن المقفع على هذه الولاية اسم: «ملك دين». وهي تصريف امور الناس والسياسة من خلال تطبيق الشرع فيكون العدل ويكون الرضى اقتناعا او مطاوعة، يقول ابن المقفع:«فاما ملك الدين فأنه اذا اقيم لاهله دينهم، وكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم، ويلحق بهم الذي عليهم، ارضاهم ذلك، ونزل الساخط منزلة الراضي في الاقرار والتسليم»(38)

ب ــ ابن خلدون

الخلافة. وفيها تضمن المصالح الدنيوية مشتقة من ضمان المصالح الاخروية. يقول ابن خلدون: «الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها. اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الاخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»... ان مُلكها قائم على «منهاج الدين ليكون الحل محوطاً بنظر الشارع»... حيث يقف ضد المُلك القائم على التغلب والقهر والظلم: «فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة العصبية في مرعاها فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية»(39).

والغلبة ووضع اليد بحق او باطل. فالولاية القبلية او ...
القبلية تحمل بالضرورة معنى من معاني الدولة بما تمثله من يد قاهرة وسلطة وبما يوضع تحت تصرفها من حقوق واملاك * .لكن مفهوم الدولة فيها يشكل جزءاً يتوازن معانيه وتصرفاته ببقائه كجزء من كل، فلا تقلب المعادلة فيطغى الجزء على الكل فبدون معنى الولاية– اي عندما لا يكون الوالي كما يقول ابن الازرق «نائباً عن الشارع في حفظ الدين والدنيا»، وانعقدت على بيعته ارادة المسلمين والجماعة، او لا يكون قد ولي من قبل جماعته ليقوم بامورهم– ** عندما لا يحصل ذلك ولا يرتبط مفهوم الدولة بمفهوم الولاية فانها المُلك واليد القاهرة التي تضع يدها قهرا وغلبة على حقوق لا تعود لها*** . «فالمُلك منصب شريف ملذوذ، يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية، والشهوات البدنية، والملاذ النفسية، فيقع فيه التنافس غالباً، وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه، فتقع المنازعة وتفضي الى الحرب والقتال والمغالبة». (37)

لذلك نرى ان احتواء مفهوم الولاية لمعنى محدد لمفهوم الدولة، واستبداد مفهوم الدولة بمعاني الولاية عندما يفلت منها، قاد الى قيام علاقة عكسية في استخدام المسلمين لمصطلحي الدولة والولاية والمفاهيم الملازمة لها (كالخلافة والامامة) منذ فجر الاسلام والى العهود الاستعمارية. اذ نجد انه كلما يتقدم مفهوم الولاية كلما يطغى استخدامه على مفهوم الدولة، وكلما يطغى استخدام مفهوم الدولة كلما تغيب الولاية. وهذا امر لا نجد ما يفسره الا عندما نضع هذه المفاهيم في نصابها الصحيح وقياسها على التجربة العملية.

---

* يقول ابن خلدون «ان الدولة والمُلك للعمران بمثابة الصورة للمادة، وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة والملك متعذر، لما في طباع البشر من العدوان الداعي الى الوازع فتتعين السياسة لذلك، اما الشرعية او الملكية وهو معنى الدولة، واذا كان لا ينفكان فاختلال احدهما مؤثر في اختلال الاخر، كما ان عدمه مؤثر في عدمه»(33)

** يقول ابن خلدون في المُلك الذي هو ملازم للدولة «وليس المُلك لكل عصبية، وانما المُلك على حقيقته لمن **يستعبد** الرعية، ويجبي الاموال، ويبعث البعوث ويحمي الثغور، ولا تكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور»(34) كما يجب ان نضيف بان هذا يشمل ايضا معنى الدولة حسب المفهوم الخلدوني . لأن الدولة عنده تقوم على العصبية الساعية للاستيلاء على الدولة فيصير مُلك الدولة باجمعه لها «فغاية العصبية المُلك»(35) «وطلبت (العصبية غاية من التغلب والتحكم اعلى من الغاية الاولى وابعد، وهكذا دائما حتى تكافىء بقوتها قوة الدولة في هرمها، فاذا ادركت الدولة في هرمها ولم يكن لها مانع من اولياء الدولة اهل العصبيات استولت عليها، وانتزعت الامر من يدها وصار المُلك اجمع لها»(39)

*** هذه هي الزاوية الوحيدة التي راى منها البعض التنظيمات الاجتماعية في التجربة الاسلامية، اي هذا الجانب للدولة الذي يتطابق مع مفهوم الدولة – حسب خط التطور الاوربي– كاداة قمع وسلطة فقط. لهذا غيب تعميم هذا المفهوم الابعاد الحقيقية للتنظيمات الاجتماعية في التجربة الاسلامية والحقوق والدوافع الملازمة لها، والضمانات والضغوطات التي تترافق معها

سليمان هل انا ملك ام خليفة، اجابه سلمان: اذا اخذت من اراضي المسلمين درهماً واحداً او اكثر او اقل ورسمت به بغير حق فأنت ملك وليس خليفة..(21)

ويمكن القول ايضاً، ان ولايات الجماعات، حتى وان لم تحمل امراً دينياً، كولايات الجماعات او القبائل، فانها ليست ملكاً بل هي ولاية عن حقوق واملاك الجماعة التي تولي رئيساً او شيخاً او اميراً ليقوم بالامر. * فهذه لا تدخل في معنى التغلب والحكم بالقهر، بل تدخل في معنى الرياسة التي يقول عنها ابن خلدون ان«الرياسة(بدور المُلك) انما هي سؤدد، وصاحبها متبوع وليس عليهم قهر في احكامه. واما المُلك فهو التغلب والحكم بالقهر».(31)

اما الدولة فتحمل بالضرورة مفهوم **اليد القاهرة والحكم والغلبة**. فمصدر الدولة لغوياً في لسان العرب، هي: «العقبة في المال والحرب سواء» و « الدّولة بالفتح في الحرب ان تُدال احدى الفئتين على الاخرى، يقال كانت لنا عليهم الدّولة.. والدولَة بالضم، في المال، يقال. صار الفيءُ دُولة يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا»، او «كي لا يكون الفيءُ دُولة اي متداولاً» و«الدُولة، برفع الدال، في المُلك والسنن التي تغير وتبدل عن الدهر، منه الادالة والغَلَبة. ومنه حديث ابي سفيان وهرقل. «نُدال عليه ويُدال علينا، اي نغلبه مرة ويغلبنا اخرى».(32)

ومصدر «الدولة» كما يتضح من التعاريف اعلاه هو مصدر **وضعي** يعكس التفوق

---

* ما يعرف مفهوم الولاية هو طوعية التابعية ووجوب الامرة لذلك تحمل الخلافة او الامامة في الاسلام بالضرورة معنى الولاية، بينما الامر هو ليس كذلك في الانماط الاخرى من التابعية والامرة وعليه، يرد في القران الكريم «ان الله مولى الذين أمنوا وان الكافرين لا مولى لهم»(22) فالولاية **الحقيقية** تحمل معاني العدل والخير مع ذلك لا تحمل كل ولاية معاني الخير والعدل اذ ان ما يميز مفهوم الولاية عن غيرها من مفاهيم تنظيمية هو طوعية التابعية ووجوب الامرة. لذلك نجد في القران الكريم عدة ايات تطرح معاني متعددة للولاية وان القاسم المشترك بينها ـ كما نعتقد ـ هو طواعيتها ووجوبها فبالنسبة للمسلمين مثلا يرد «الله ولي المؤمنين»(33) «فان توليتم فانما على رسولنا»(24) وبالنسبة لاهل الكتاب يرد «لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض»(25) كما يرد بالنسبة للكفار أيات كريمة مثل «فقاتلوا اولياء الشيطان»(26)، او «فتكون للشيطان وليا»(27) اذن مقابل ولاية الحق «هنالك الولاية لله الحق»(28)توجد ولاية الباطل«مالكم من ولايتهم من شيء»(29)، حيث المشكلة في الحالة الثانية لا تتخلص فقط باستبداد الوالي. بل ايضاً بتوهم الرعية واتباعهم طريق الضلال «كيفما تكونوا يولى عليكم». وورد في الحديث «سيليكم بعدي ولاة، فيليكم بر ببره ويليكم الفاجر بفجوره». فالعنصر الرئيسي في مفهوم الولاية كتعبير عن تنظيم اجتماعي هو طوعية الاتباع فاذا ما اغتصب المنصب بقي الاسم منه لهذا توافق مفهوم الولاية عبر التاريخ مع اشكال مختلفة من التنظيمات(الامة.. القبيلة.. العائلة.) بهذا المعنى يأخذ الولاء والتولي في خط التطور الاسلامي معاني منسجمة مع هذا التكوين. يقول ابن خلدون «وقد يكون نسبة الاول في لحمة عصبيته ودولته، فاذا ذهبت وصار **ولاؤه** واصطناعه في اخرى لم تنفعه الاولى لذهاب عصبيتها وانتفع بالثانية لوجودها وهذا حال بني برمك، اذ المنقول انهم كانوا اهل بيت في الفرس من سدنة بيوت بني العباس، ولم يكن بالاول اعتبار وانما كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا فوهم توسوس به النفوس الجامحة لا حقيقة له- والوجود شاهد بما قلناه، وان اكرمكم عند الله اتقاكم»(30).

الحضارات المشرقية القديمة) هو دليل تطور اقتصادي واجتماعي وتنظيمي مبكر. لان «الدولة» حتى حسب المفهوم الغربي هي شاهد على هذا التطور، فهي«ترتبط بمستوى معين من التطور الاقتصادي»(17). لذلك سنرى في وجود وقوة التنظيمات الاجتماعية في التجربة الاسلامية خصوصاً دلائل مبكرة للتطور، وسنتعامل مع هذه المجتمعات كتجربة متقدمة صاعدة، لا كما راها البعض «كمجتمعات»«**سلبية**» «جامدة» « بلا تاريخ» ، كما سنرى بتفصيل اكثر في الباب الثاني.

مفهوم الدولة كما افرزته التجربة الاسلامية

لجأنا في السطور القليلة الماضية الى استخدام غير دقيق لمفهوم« الدولة» فى التجربة الاسلامية تسهيلاً للمقارنة ولتوضيح فوارق رئيسية بين ممارساتها وموقعها حسب كل من التجربة الغربية والتجربة الاسلامية. لكن المعنى الحقيقي للدولة في التجربة الاسلامية لن يتكشف الا بدراسة مفهوم الدولة من خلال معايير وتطبيقات المنطق الداخلي. ورغم ان دراسة هذه المسألة تتطلب بحثاً خاصا لخطورة الموضوع، الا اننا نستطيع ايجاز بعض المفاهيم بما يخدم الغرض من دراستنا.

ففي الواقع، فأن الحقوق والدوافع المستقلة المتشكلة خارج الطبقة المالكة والاغنياء لا تعود للدولة، بل هي تعود لمنصب ولاية الامر الممثل لحقوق الله وحقوق الجماعة، اي لحقوق الاسلام والمسلمين. ذلك على مستوى الولاية الدينية * لأن الوالي هنا لا يكون **مالكاً** بل **متصرفاً** بالحقوق وفق احكام محددة سابقة لمصالحه وقناعاتهووفق اجتهاداته او اجتهادات الجماعة او من يمثلهم.** فهي هنا الخلافة او الامامة كما طُرحت مفاهيمياً وكما طُبقت عملياً، وان كان ذلك لفترة من الوقت احيانا او في مجالات دون اخرى في احيان اخرى..لذلك عندما سأل الخليفة عمر(رض)

---

* فى كتاب للرسول صلى الله عليه واله وسلم يخاطب فيه نصارى نجران يرد «اما بعد فانى ادعوكم الى **عبادة** الله من **عبادة** العباد، وادعوكم الى **ولاية** الله من **ولاية** العباد»(18)

** لبيان اهمية التفريق بين مفهوم «الدولة» العربى من جهة ومفهوم الدولة كما فهم عبر التجربة الاسلامية من جهة اخرى وكذلك اهمية التفريق بين مفهوم الدولة ككل ومفهوم الولاية، نورد مثالا عن كيفية استغلال الفرنسيين عملية الخلط في المفاهيم لتدمير الملكية الجماعية فى الجزائر كمقدمة لتدمير اسس المجتمع الجزائري والمثال يرد على لسان ماركس نفسه بقوله «عندما يبدو قانون اجنبى غير اوربي مفيدا للاوربيين ـ كما هو الحال هنا بالنسبة للقانون الاسلامي ـ فان النسق الفرنسى هو الذي يقفز امام الانظار» . فالشاغل الاول للفرنسيين بعد احتلالهم لجزء من الجزائر هو اعلان البلاد كوقف وطني وهذا هو فى الواقع السلطة العليا للامام والمعترف بها من قبل المذهب المالكى والحنفى ولكن هذا الحق لا يسمح له سوى باستحصال الضرائب»(19) ويواصل ماكس كلامه ساخرا، بأن «لويس فيليب بصفته خليفة الامام، او بالاحرى كمؤمن يضع يده الطويلة جدا ليس فقط على الملكية العامة بل ايضا على جميع الاراضى المتروكة بما في ذلك اراضى الجماعة كالمراعى والغابات والموات(20).

البلاد والخارج) والاعمال العامة للسهر على إعادة الانتاج»(9)
سياسية :« فالاقتصاد المائي هو اقتصاد موجه سياسي بالاصل»(10)
او على الاغلب الاثنين معاً :« فالدولة اقوى من المجتمع»(11)، كما يقول
فوكل بل « ان الدولة المشتركة تلعب دوراً هاماً جداً في تكوين قومية ما *،
لاسيما حين تكون هذه القومية محددة باشخاص ينتسبون الى قوم واحد
(الدولتان المصرية والعبرية في العهد القديم)، او حين تمنح تلك الدولة
دوراً مسيطرا لقوم معين (الامبراطورية الرومانية، والامبراطورية
العثمانية). ويمكن ان تكون عوامل وحدة الدولة قوية جدا في اوضاع
جغرافية معينة(مصر القديمة)».(14)

تدور هذه الاشارات كلها حول تأكيد قوة نزعة التنظيم والانتظام وثمرتها التي رآها الدارسون في مفهوم الدولة فقط.. لكنهم بدل ان يروا في هذا الامر حقيقة تعدد وقوة الاسس التي جعلت هذه الشعوب تصل الى هذه التنظيمات الفعالة المتقدمة التي لم تعرفها اوربا الا باشكال استثنائية وفي فترات متأخرة نسبياً ، فأنهم رأوا فيها موضوعة مقلوبة او ناقصة تتمثل برؤية كل شيء من خلال الدولة، ومن خلال مفهوم ضيق لها، عاجزين عن رؤية التنظيمات والمستويات التي تقف بجانب «الدولة»والتي قد تتقدم عليها، كمؤسسات الوقف وتنظيمات النقابات والقبائل واملاكها وحقوقها وكتنظيمات اهل الكتاب او الطوائف والاملاك الخاصة وتنظيماتها وحقوقها، اضافة الى ان مفهوم الدولة هنا تطوقه مفاهيم واسس الشرع والولاية والجماعة. وهذه ان كانت تضع تحت يدها حقوقاً فأنها ، بالمقابل. تحدد الواجبات الملزمة للتصرف بهذه الحقوق. فان خرجت عليها فأن القوى التي يمثلها الشرع والولاية والجماعة ستسعى من جديد لوضع يدها على هذه الحقوق. ** وهذا شكل للحركة الاجتماعية في التجربة الاسلامية لم يستطع ان يراها القائلون بموضوعات «الدولة المائية» او «الاستبدادية» او«المطلقة»..

الامر الثاني : ان الوجود المبكر «للدولة» في التجربة الاسلامية (وقبلها في

---

* من زاوية معينة يرى القرآن الكريم ان الامة تكون من فوق ممثلة بنبوة او برسالة يحملها رسول الله «ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين»(12) . ومن زاوية اخرى يرى القران الكريم ان الامم هي حقيقة قائمة تأتيها الرسل لتحكم بينها بالعدل «ولكل امة رسول فاذا جاء رسول قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون» (14).

** يقول الماوردي: «واذا قام الامام بما ذكرناه من حقوق الامة فقد ادى حق الله تعالى فيما لهم ووجب له عليهم حقان الطاعة والنصرة **ما لم يتغير حاله**»(15).

ويقول ابن المقفع «لا يطاع الامام في معصية الله فان ذلك من عزائم الفرائض والحدود التي لم يجعل الله **لاحد** عليها سلطانا. ولو ان الامام نهى عن الصلاة والحج، او منع الحدود واباح ما حرم الله لم يكن له من ذلك امر»(16

ـ والدولة حسب خط التطور الاوربي هي سلطة الاغنياء او المالكين.. اي هي ثمرة تنظيمهم .. فهي اداتهم ضد الطبقات غير المالكة. فالدولة لاحقة للغنى لهذا جاء تاريخها مع تاريخ الطبقات المالكة. اما في التجربة الاسلامية فتبدو الدولة مستقلة اولاً عن الغنى والجاه وسابقة لهما، اي ان الدولة هي مصدر لهما. فمن يسعى للغنى والجاه ـ فرداً او جماعة ـ سيسعى للاستيلاء على «الدولة»... لأنها تحمل كثمرة لاحدى اشكال التنظيمات الاجتماعية استقلالية لذاتها في املاكها واموالها وحقوقها ودوافعها. وانها تشكل استناداً لموقعها الذي يتجاوز في تشكله التاريخي الطبقات المالكة والاثرياء، تشكل حقوقاً وبالتالي دوافع مستقلة عن حقوق ودوافع المالكين والاغنياء، رغم انها قد تتقاطع معها او تحتويها. «فالدولة» عموماً هنا قد تملك العبيد وتكون الاقطاعات والاقطاعيين(كما سنرى)، وهي اقوى من التجار والحرفيين واصحاب الاملاك الخاصة.. فهي اذا شاء البعض اقدر على صنع الطبقات من قدرة الطبقات على صنع الدولة * . من هنا نفهم معنى الثبات في الدولة الغربية لأنه مرتبط بثبات الطبقات المالكة وتأسيس شرعية وايدلوجية وانظمة المجتمع(اي بنيته الفوقية) من خلال مبادراتهم والدفاع عن «حقوقهم»، بينما هي بمعنى التداول والانتقال لأن حقوق ومنصب «الدولة» تتداولها الايدي عن حق او باطل بين الافراد او الكتل والجماعات لاسباب ودوافع عديدة.

لذلك لا يوجد خلاف بين جميع دارسي المجتمعات القديمة سواء قبل الاسلام او بعده على قوة دور ما سُمي بالدولة كمالكة لحقوق ودوافع معينة وان كانت غير مطلقة. وهذا ان دلّ على شيء فعلى امرين طالما خرجت استنتاجات بعض هؤلاء الدارسين مناقضة لهما بسبب خطأ او نقص المنهج المستخدم.

الامر الاول : قوة التنظيم او التنظيمات الاجتماعية ووجود عوامل ضغط تتعدى المرحلة الواحدة من جهة وقوة اقتصادية من جهة اخرى تجعل ثمرة هذه التنظيمات شرطاً مسبقاً او ثابتاً اساسياً يسبق العوامل الانية والمرحلية ويحيط بها.. لذلك سمى هذا البعض هذه المجتمعات « بالدولة المائية»او « الدولة المشتركة» او « الدولة الاستبدادية» او «الدولة الشرقية»..الخ. وهي انماط من الدول يقول القائلون بها بأن عواملها الاساسية هي :

طبيعية: « فالارواء الاصطناعي هنا هو الشرط الاول للزراعة، وهو من شأن اما الجماعات او المحافظات او الحكومة المركزية. وفي الشرق ، ليس للحكومة سوى ثلاثة اقسام وزارية: المالية(نهب البلاد) والحرب(نهب

---

* ان هذه الوقائع، ضمن منطلقات جزئية ومعايير خارجية، دفعت البعض للكلام عن الدولة العبودية والدولة الاقطاعية، كما سنرى لاحقا

فأن حقوق المواطنة هي بجانب امور اخرى، تتوزع حسب ثروتهم، فيترجم هذا الامر مباشرة حقيقة ان الدولة هي منظمة للطبقة المالكة لحمايتها ضد الطبقة غير المالكة وهذا ما كان عليه الحال في الدول الاقطاعية للقرون الوسطى، حيث تتجه السلطة السياسية الى التطابق مع حجم الاراضي المملوكة. ونراها في الاصناف الانتخابية للدول التمثيلية المعاصرة» * (5).

فأذا اردنا تلخيص ما تقدم فسنرى ما يلي:

- ان الدولة هي الثمرة الرئيسية للتنظيم الاجتماعي سواء في حالة صراعه او اتفاقه.
- يقوم مفهوم الدولة على رابطة الاقليم، بعد تدميرها لرابطة الدم
- تقوم السلطة العامة للدولة على مفهوم المواطن الذي يلخصه مفهوم الطبقة او الاقليم.

عبر هذا المفهوم للدولة درس البعض التنظيمات الاجتماعية في التجربة الاسلامية دون ان تغطي هذه التجربة وخط تطورها اي اساس من ذلك. حيث رابطة الدم او صلة الرحم لم تُدمر(قبل الفترة الاستعمارية المعاصرة) لمصلحة رابطة الاقليم، وحيث المفهوم الرئيسي للانسان لم ينظمه الانتماء لطبقة او اقليم، او مفهوم «المواطنة»، بل تنظمه اساساً روابط العقيدة(الاسلام) او روابط الولاء لجماعة (دينية او عصبية او اقليمية)، وذلك بغض النظر عن الثروة والموقع الاجتماعي . لهذا حملت الدولة بالمفهوم الذي تشكلت عليه في التجربة الاسلامية مظاهر مخالفة تماماً تشير الى خلاف في الاسس التي قامت عليها .

- فالدولة بالمفهوم الغربي تحمل معنى الثباتState او Etat عن اللاتينية Status .. اما في المفهوم اللغوي العربي فهي «الانتقال من حال الى حال»(6) «وتلك الايام نداولها بين الناس»(7)، وقالوا «دواليك اي مداولة على الامر.. ودالت الايام اي دارت.. والله يداولها بين الناس.. (وتداولته الايدي) اخذته هذه مرة وهذه مرة»(8) الخ.

---

* المهم التقاطه هنا هو ليس مفهوم الثروة بل مفهوم **المواطن**.. لأن انجلز سيؤكد في مكان اخر ان مفهوم الثروة ليس الاساس. فالدولة تقوم على مفهوم المواطن والمواطنة القائم على رابطة الموقع، والذي يرتبط (أي مفهوم المواطن) اما بالطبقات المالكة او بسكنة مدينة او اقليم معين (روما مثلا) اما بقية السكان فلا يدرجون تحت صفة المواطنة وسنرى هذه الامور في مواقع اخرى من الدراسة وهي تشير بمجملها الى خط تطور يختلف عن خط التطور كما جرى في التجربة الاسلامية، والذي يقوم اولا لا على اساس «المواطنة» ولا على اساس «الملكية»، بل على اساس الولاء لدين او لعصبية.

بين مفهومي الدولة والولاية كتعبيرين عن التنظيم الاجتماعي

رغم صعوبة احتواء اي مصطلح او تسمية للحالة الواقعية الا اننا نعتقد انه بالامكان القول ان التعبير النهائي للتنظيم الاجتماعي في الغرب قد انعكس في موضوعة **الدولة** ، بينما انعكست في التجربة الاسلامية في موضوعة **الولاية** . وان الفارق بين الموضوعتين سيكشف ايضاً عن فوارق رئيسية في البنى والمفاهيم الاخرى.

اساس الدولة الغربية او المعاصرة

عدا الاساس المعروف للدولة حسب جان جاك روسو باعتبارها نتاج عقد اجتماعي يطرح «انجلز» منظوراً محدداً يحمل في آن واحد معنى الاتفاق والصراع وكيف يفرز المجتمع هذا التنظيم الرئيسي بقوله : « جاءت الدولة كنتاج للصراع الطبقي بعد ان يصل المجتمع الى تناقض غير قابل للحل .. ولكي لا يستهلك المجتمع نفسه في صراعات لا فائدة منها ، كان لابد من ايجاد قوة يبدو انها تقف فوق المجتمع . من اجل تهدئة النزاع والحفاظ عليه في حدود «النظام». وان هذه السلطة او القدرة المتنامية، ولكن الواضعة نفسها فوق المجتمع والمبتعدة عنه اكثر فأكثر هي الدولة»(1).

وانطلاقا من مفهوم«العقد الاجتماعي» او «الصراع الاجتماعي» رأى الغربيون «الدولة»، من خلال المعايير التي اعتادوا عليها ، حسب خط التطور الاوربي ، بكل المفاهيم التي جملها هذا الخط . لذلك حملت الدولة سمات محددة يلخصها «انجلز»بسمتين رئيسيتين يقول انهما تسمان كل دولة وهما قيامها على رابطة الموقع وتاسيسها السلطة العامة... يقول «انجلز» « ان هذه المنظمة للمواطنين حسب الموقع هي سمة مشتركة لكل الدول .. اما السمة المميزة الثانية فهي اقامة السلطة العامة التي توقفت عن التطابق المباشر مع التنظيم السكاني نفسه كقوة مسلحة.. وانه للحفاظ على هذه السلطة العامة فأن مساهمة المواطنين تصبح ضرورية . الضرائب»(2) .

وهكذا تشكل مفهوم «الدولة » باعتبارها تقوم على **رابطة الاقليم** وتُقيم سلطة عامة**لاتتطابق** مع التنظيمات العفوية والطبيعية للجماعات وتأخذ الضرائب للحفاظ على هذه السلطة التي تقوم على مفهوم«**المواطنين**»... اي سلطة فئة قليلة من السكان او المجتمع ، فالدولة كما رآها انجلز هي في المحصلة « منظمة الطبقة المالكة لحمايتها ضد الطبقة غير المالكة * . ويقول انجلز ايضا « في معظم الدول التاريخية

---

* يقول ماركس «ان الجماعة-كدولة- هي من جهة، العلاقة فيما بين الملاك الاحرار والمتساويين وتشكلهم ضد العالم الخارجي ومن جهة اخرى هي حمايتهم»(4).

من هنا ، فأن ما نريد بيانه في هذا الفصل هو امرين :

- نريد التأكيد على وجود نزعة قوية للتنظيم والانتظام في «المجتمعات» الاسلامية . وان ثمرة ، او ثمرات ، هذه النزعة سيلخصها مفهوم الولي أو الولاية بالحقوق والواجبات والدوافع التي يمثلها ، والمفاهيم الملازمة لها كالخلافة والامامة ، او المشتقة منها كالدولة والسلطة ... انها تلخص تنظيمات الحياة الاجتماعية بالانسجام مع المتطلبات المحيطة. فأولي الامر يترجمون في النهاية التنظيمات الفطرية والاجتماعية والعقائدية ضمن دوائر ومستويات مختلفة .

- ما نريد تأكيده ايضاً ، هو ان قوة نزعة التنظيم والانتظام دفعت الدراسات المعاصرة لرؤية هذه النزعة من خلال اختزالها ضمن مفهوم « الدولة » . ان اقل الدراسات تعمقاً اضطرت للاعتراف بقوة « الدولة » عبر العصور سواء بعد الاسلام او قبله. وبمقدار ما يشكل هذا الاعتراف برهاناً ساطعاً على قوة نزعة التنظيم والانتظام وكيف تقدم البنى الناتجة عنها نفسها كمؤسسات تقف على اسس تتجاوز بكثير المرحلة او « النظام » الجاري. وبقدر ما تحمل حقوقاً وواجبات مستقلة تحوز عليها بصفتها هي ، بقدر كل ذلك ، فأن اختزال نزعة التنظيم والانتظام بمفهوم الدولة ، وبالذات اسقاط المفهوم المعاصر للدولة، قد حشر الواقع الكبير في مفهوم هو ضيق من جهة ، وهجين من جهة اخرى .

من هنا نعتقد ان ضرورات تتبع المنطق الداخلي للتجربة الاسلامية تتطلب تشريح نزعة التنظيم والانتظام حسب المفهوم الاقرب للحالة الواقعية والناتج عنها وهو مفهوم الولي والولاية . فهذا المفهوم متجذر في التجربة الاسلامية ويغطي دوائر وتصورات هي من صلب هذه التجربة ولا يمكن لمفهوم الدولة ، وخصوصاً المفهوم الحديث ، ان يغطيها...فمفهوم الولاية والمفاهيم الملازمة له او المشتقة منه – كل في موقعه ومستواه – هي المفاهيم الاقدر والافضل على تقديم ادق رؤية لوقائع التنظيمات الاجتماعية وطبيعتها واساليبها ، بما في ذلك رؤية مفهوم الدولة بالمعاني التي طرحت بها سابقاً ولاحقاً .

وبما اننا نجد – مرة اخرى – ان مفهوم الولاية كثمرة للتنظيم او التنظيمات الاجتماعية في التجربة الاسلامية يتم حجبه بطرح مفهوم الدولة ، خصوصاً المفهوم الغربي المعاصر ، لذلك نجد انفسنا ملزمين على الوقوف قليلاً عند مفهوم الدولة قبل ان نتناول الولاية .

الولاية تعبير عن التنظيمات الاجتماعية في التجربة الاسلامية

«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»
«يأيها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول»

لكل جماعة (او مجتمع) تنظيم معين يتطور معها ويخدمها وقد يكون التنظيم بسيطاً وقد يكون معقداً ، وذلك حسب الظروف والحاجات المحددة لتلك الجماعة ، او لهذا المجتمع ، وكذلك حسب مستوى تطوره وما اختزنه من مكاسب على صعيد التنظيم والبنى وتطور المفاهيم الملازمة لها . وهذا التنظيم الذي يتطور عبر التاريخ وترثه الاجيال لا يتشكل في مرحلة واحدة ، او من خلال تجربة خاصة او بسبب عامل احادي ، بل هو يترجم خبرات الاجيال المتعاقبة والتجارب العديدة وضغوطات الحياة العفوية وما يستخلصه العقل والفكر من معارف وتطبيقات في هذا الصدد وعند الوقوف ضمن الزمن الجاري وفي وقت ومكان محددين فأن اساليب التنظيم والبنى المتشكلة في ذلك الوقت لن تفسر ذاتها الا بوضعها في سياقها التاريخي . فهي مهما بلغت اهميتها حلقة محدودة في سلسلة كاملة . وان هذا التنظيم الذي يقدم نفسه خارج الحركة الانية المباشرة هو شرط مسبق ، لأن الحركة والتغيرات الانية تجري اولا وبالاصل ضمنه من خلال قنواته. فهو يقولبها واثره عليها مباشر. اما اثرها عليه فغير مباشر ، ويتم ضمن زمن طويل ممتد . فأذا كان المسعى هو التعرف على الاليات في مرحلة محددة فأنه يجب قبل استعراض الاليات والجزئيات استعراض وتشخيص اشكال وطبائع التنظيمات التي تجري ضمنها هذه المتغيرات وبالتالي تشخيص البنى والكتل وتحديد حقوقها ودوافعها . ضمن هذه الاولويات ستكافىء المتغيرات باحترامها عند وضعها ضمن شروطها وبيئتها ، وهو ما سيسمح لنا بأفضل فهم للحركة ومنطق التغير برؤيتهما في مجال عملهما الحقيقي والطبيعي والحيوي . على العكس من ذلك ، فأن تناول الاليات والمتغيرات ضمن ترتيب مقلوب ، او تناولها معزولة عن تنظيماتها وبُناها هو منطلق خاطيء سيقدم تصورات جزئية لوقائع يتم عزلها باستمرار عن شروطها وكياناتها ، مما سيقود بالضرورة الى تحليل منحرف واستنتاجات متناقضة .

المطلقة والوضعية، ومهما كانت دساتيرها وشعاراتها هي بداية الانحراف الاشد وعنوان الظلم الاكبر، ما دامت لا تخضع لشرع ولا تكون في إطار ولاية. هذه الدولة ستتحول سريعا لان تصبح هي نفسها الشرع، ولأن تجسد في نفسها المصلحة العليا التي تسمن وتقتدر بافقار واستلاب وتدميـر ما عداهامن مصالح ومؤسسات شرعية وطبيعية، فردية او جماعية.

إن تعريف **حدود** الدولة هو الذي يسمح بأن تكون ايجابية وفاعلة لمصلحة الجماعة والافراد. فإن تجاوزت هذه **الحدود** فانها ستصير المشرع الاعلى والمستبد الاكبر فتقف جبارة تحمل نزعة ثابتة للاعتداء على الناس المجردين من ضمانات المؤسسات الشرعية والطبيعية، فلا تحميهم لا الوعود ولا النصوص

وتبدو اهمية هذه المسألة من زاويتين على الاقل

1- تشير التجربة التاريخية الى ان تراجع الخلافة او الامامة قد سار متلازما مع خروج الدولة عن حدودها واستبدادها بما عداها، فشكل ذلك بداية الانحراف الذي وصل اليوم بامة الاسلام الى قيام دويلات مستبدة برعيتها عبدة لاسيادها، تتحكم بالشرع تلغيه او تدجنه، كما تتحكم بانسانها تسحقه او تغرّبه

2- تثير النهضة الاسلامية الراهنة نقاشات حول إعادة بناء الدولة الاسلامية. ونخشى ان تدفعنا ازمة غياب الحكم الاسلامي الى السقوط في ازمة جديدة تتمثل في تأسيس «دول» اسلامية تتغير فيها بعض النعوت لكن لا تتغير فيها الصفات والمضامين، فلا تُعرّف حدودها، فتخرج من دورها البنّاء والايجابي الى ممارسة دور سلبي تدميري وان التاريخ والواقع هما شاهدان على ان وجود حاكم «مقبول» او «عادل» على رأس «دولة» تعدت حدودها من الناحية الفعلية والموضوعية ما هو الا تسويف وتأجيل لانحراف سيجر اشد الويلات على الاسلام والمسلمين

ولابد في النهاية من التنبيه الى ان المقاطع المختارة من الفصل المذكور واقتطاعها من جملة فصول سابقة ولاحقة والمخصصة بمجملها لتعريف منطق الحركة الاقتصادية واصحاب الحقوق والدوافع، وكذلك للرد على بعض الموضوعات الغربية(كنمط الانتاج الاسيوي والاستبداد الشرقي)، قد يكون هو السبب في ورود اشارات دون معالجة كافية لموضوعات خطيرة ، وايضا لفقدان المقالة لجزء من وحدتها وتسلسل اطروحاتها، وهو ما نعتذر له وننبه عليه

وضعها في اطارها. وكلا الموقفين يقودان الى إحلال تصور ذهني خارجي زماني او مكاني.. لهذا فأن التحليل للحياة الاجتماعية لابد ان يحدد اولا وقبل كل شيء الكيان الذى يريد تحليله، اي عليه ان يحدد السمات او المكونات الثابتة التى تشكل هذا الكيان ليتسنى له ان يدرس حركته ونوع الحركة واتجاهاتها هذه هى نقطة البداية القادرة ان تصوغ منطلقات تخدم التحليل الاجتماعى بما فيها المتغيرات والتاثير عليها . أما الثوابت التي لن نتعرف بدونها على التجربة الاسلامية كما حصلت فعلا فى اطار التاريخ، تلك الثوابت التي اكدت وكررت نفسها عبر تاريخ ممتد طويل، ولم تكن نتاجا لفعل آني او محدد والتي ننطلق منها كسمات واطر واسس او شروط مسبقة لتكون شخصية وتجربة الجماعات الاسلامية، وبغض النظر عن النقاش حول العوامل التى اوجدتها فهي

1 - البيئة والموقع
2 - صلة الرحم (العائلة. القبيلة.)
3 - نزعة الجماعة
4 - نزعة التنظيم والانتظام، او الولاية(التنظيم، الامارة، السلطة، الدولة)
5 - نزعة الشرع (الاسلام)

لاريب ان هذا التعداد كيفى وافتراضي، لكنه تعداد يستند للواقع والتجربة فقد يكون ملائما دمج بعض الثوابت وقد يكون ملائما اضافة اخرى. لكننا فضلنا هذا التقسيم لاغراض الوضوح والبحث فى مجال دراسة الحقوق والدوافع الاقتصادية والاجتماعية ومنطق عملها فالمهم فى هذا المستوى من النقاش هو رؤية الشروط المسبقة وعوامل الاستمرارية والاعتراف بها كنقاط بداية وتأسيس في التجربة التاريخية الاسلامية، وليس رؤيتها كنتائج ولواحق. إعتبارها عوامل منتجة لا عوامل منتجة، والتعامل معها كبُنى لها ثباتها الطويل الامد والشامل الاثر، وليس كردود فعل او كاجزاء من بنى فوقية او تحتية او هامشية. المهم هو الاتفاق على انها المسلمات التى بالانطلاق منها يمكن فهم المتغيرات والاليات وليس العكس وهو ما يسمح فقط بقيام التحليل العلمى الواقعى الصحيح »

ان اعتبار «الدولة والسياسة» كمحور لهذا العدد قد دفع «المنتقى» الى اختيار مقاطع رئيسية من «الفصل الخامس»وهو ما يتعلق بالولاية ونزعة التنظيم والانتظام. وان اختيارنا لهذا الفصل ينطلق ايضا من تعميق المساهمات المبذولة لتنقية المفاهيم النظرية المعاصرة للدولة، ولاعادة التأكيد على المفهوم الاسلامى للدولة ومنع مخاطر السقوط في مفهوم الدولة المجرد كما تطور عبر التجربة الاوربية، وخصوصا كما نُقل الى بلدان العالم الثالث والبلدان الاسلامية وكما طُبق فيها فاذا كانت الدولة ضرورة للاجتماع الا ان تعديها الحدود التى يرسمها لها الاسلام حولها ويحولها الى خطر هدد ويهدد الاسلام والمسلمين، بل وعموم المحرومين. فالدولة

مساهمة في دراسة العلاقة بين الولاية والدولة

عادل عبد المهدي (*)

نقتطع هذه المقالة من مسودة دراسة واسعة تبحث في «الثوابت والمتغيرات في التجربة الاقتصادية التاريخية للجماعات الاسلامية ، ونقد نظرية المراحل التاريخية والتشكيلات الاجتماعية الاقتصادية». وتسعى الدراسة المذكورة الى تقديم فكر اسلامي في مواجهة منهج سائد بين المثقفين اليوم. والذي يستخدم اشكال ومضامين الفكر الغربي لتحليل التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للتجربة الاسلامية. والخروج بنتائج معاصرة تخدم تيارات معينة في معركتها ضد الاسلام والمسلمين ولكي لا يبدأ النقاش من افتراضات وهمية واسقاطات فكرية من خارج زماني او مكاني راى الكاتب في دراسته ان يحدد اولا بعض المسلمات في التجربة التاريخية الاسلامية وقد اطلق عليها «الثوابت» وهي سلسلة الظروف والبنى والمعايير التي حملت استمرارية وتكرارا، فشكلت بالتالي شرطا مسبقا وزمنا ممتدا احاط بشرطيته التجربة والزمن المحدودين الانيين يقول الكاتب في مقدمة «الباب الاول» «ان الكلام عن ــالثوابت والمتغيراتــ لا يعني انعدام الحركة في الاولى وتوفرها في الثانية كما لا يعني علاقة احادية التاثير من الاولى على الثانية. بل يعني ان زمان ومصدر حركة الثوابت يختلف عن زمان ومصدر الحركة في المتغيرات فالثوابت تحتوي المتغيرات وتجري المتغيرات في اطار الثوابت. ولا يمكن فهم المتغيرات دون فهم الثوابت والانطلاق منها وضمن هذه العلاقة التكاملية التفاصلية يؤثران على بعض لهذا فان بناء الافتراضات على المفهوم العام للتغير والحركة كسنة للحياة سيقود بالنتيجة الى واحد من امرين اما افراغ التاريخ وتجريده لمصلحة مفاهيم تحلق باستمرار ولا تجد ارضيتها، وهذا يعني البقاء في العموميات. او الغرق في الجزئيات برؤية التفاصيل مبعثرة والخروج باستنتاجات جزئية دون القدرة على

(*) باحث له عدة مولفات في حقول الاقتصاد والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي ومن كتبه
ــ التصحر على الصعيد العالمي والتخلف الاقتصادي بيروت ١٩٧٨
ــ الموسوعة الاقتصادية (اعداد وتعريب). بيروت. ١٩٨٠

الحكام ... وحينئذ أيضا يتهيأ له الجو المساعد للغرق في وحل الفحشاء والفساد ، والابتلاء بشباك الاجانب ، فلا يبقى له من الاسلام الا مجرد الاسم .

الويل لنا اذا ادعينا لأنفسنا صفة علماء الدين وجلسنا في مقام خلافة النبي (ص) ونحن لا نحمل من جهاده وسعيه الحثيث وصراعه ضد الكفر وعمله على نشر العدل شيئا " يمُزق الاسلام اربا اربا ونحن متفرجون " ولا أدري بماذا سنجيب ربنا غدا .. ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

والسلام عليكم وعلى جميع عباد الله الصالحين .

الناس يوماً في قبال العدو ، هؤلاء العلماء ، سوف يتركون الساحة الحياتية ، ويحبسون انفسهم في باحات المساجد او المدارس ، وحينئذ يمكن لأي فاسق أو فاجر أو عميل ان يمسك أزمّة الحكم بيده؛ القضاء ، والجامعة ، والثقافة ، والأموال العامة ، والامور المالية ، والاقتصادية ، والعلاقات الداخلية ، والخارجية في الاقطار الاسلامية ، كلها بيده ، فيفعل ما يشاء ، دون ما رادع أو مانع وحينئذ وبدلا من أن يقوم علماء الاسلام بدعوة الناس للوقوف بوجه العدو والدفاع عن حريم الحق والعدل والاسلام والمسلمين ، يقومون بنفس الدور الذي قام به أرباب الكنائس بدعوة الناس للسكوت وعدم الاهتمام والتسليم ، والامتناع عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وبعد هذا فهم يسلمون الملحدين ما يسهل لهم دعواهم ، بان الدين افيون الشعوب ، وأنه لا يستطيع أن يدافع عن حقوق المحرومين والمظلومين ، ولا يقدر على علاج ادواء الفقر والجهل والتأخر... وهذا ما يؤدي بالتالي الى يأس المحرومين المظلومين حتماً من نجاتهم على يد الدين والقادة الدينيين ، فيلجأون الى موقع الشيوعية . ويرمون بأنفسهم في احضان محترفي السياسة ، الذين لا يقدمون لهم سوى الشعارات الفارغة ، ظانين أن لا ملجأ لهم سوى معسكر اليسار... وفي مثل هذا المجتمع نجد الجيل الشاب يقدم الاحترام للينين بدلا من احترامه للرسول الاكرم ، ويرجح المانيفست الشيوعي على القرآن الكريم ، ويختار موسكو قبلة بدلا من الكعبة ، ويبقى الدين وحده مع مجموعة من العجزة والمتقاعدين وانا لله وانا اليه راجعون تلك كانت حصيلة الفصل بين الدين والسياسة، أي فصل الروح عن الجسد ، والقلب عن القالب ... والواقع أنه لا يهدد الدين ـ في هذا القرن ـ خطر أكبر من هذا الخطر

ان جيلنا الشاب اذا كان يؤمن بمضامين : « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين»(التوبة 52) و « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا...» (التوبة. 51) و « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة» (التوبة 123) و « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون » (آل عمران 169) و « وأنتم الأعلون انكنتم مؤمنين » (آل عمران 139) ...لن يفسح المجال لعصابة اسرائيلية عبّادة للمال ، وحشية الطباع ، كي تفرض سيطرتها البغيضة على الأراضي الاسلامية المقدسة ، وأرواح المسلمين واموالهم واعراضهم ، ،هي تحمل في أفكارها صورة احتلال المساحة الاسلامية من النيل الى الفرات . انه لن يخاف حينئذ من الموت في سبيل اعلاء كلمة الحق ، واقامة القسط ، وحماية المظلومين ، فهو ينطلق من غرفة عرسه الى ميدان الشهادة كحنظلة غسيل الملائكة .

اما اذا قيل له : ان الدين منفصل عن السياسة ، وان الله لا يريد منك سوى الصلاة والصوم ، اما ادارة شؤون البلاد فيجب تسليمها الى السياسيين الذين لا يشدهم دين ، وما عليك الا الطاعة لقوانين البلاد التي يسنونها ، حتى ولو كانت تخالف القرآن ، انه حين يرى الاسلام كطفل يتيم لا قدرة له في الدفاع عن نفسه ، فانه لن تبقى للدين في نفسه أية جاذبية ، ولا معنى ، حينئذ لا ننتظر منه أن ينصب صدره غرضاً لرصاص العدو ... انه سيعود غير مبال بامور الحكم ومصير الشعب ، وغير مهتم بما يقوم به

الاخرى ، واوضحها الاسلام وبرامجه واحكامه الشاملة

(2) السلوك العملي الشائن لأرباب الكنائس أو رجال الدين ـ كما يصطلح عليهم ـ والحكام الجبابرة الذين ادعوا الدين وانماط التعصب الجاهل الاعمى ، ووقوفهم بأسم الدين في وجه العلم والتحقيق والاختراع واية نظرية وظاهرة جديدة ، الامر الذي سبب الفضيحة ، وتشويه الصورة الدينية ، وتنفر المجتمع من الدين ، مما دعا المصلحين للعمل على حصر ارباب الكنائس في كنائسهم ، وقطع أيدي ادعياء الدين عن ساحته المقدسة ، وكسر القيود التي أثقلوا بها اهل العلم والتحقيق ، وحتى أنصار العدالة الاجتماعية .

(3) وهو العامل الذي يقوم بالدور الرئيس في هذا اليوم ... انه التآمر السياسي من أعداء الاسلام والمستعمرين الغربيين ، الذين كانوا يخشون قدرة الاسلام ، بعد ان وجه الاسلام لهم اقوى الضربات في الحروب الصليبية . انهم لاحظوا قدرة الاسلام الضخمة في العصور الاسلامية المشرقة والتي حطمت الاعداء في صدر الاسلام وفي عهد الحروب الصليبية فكان ذلك ناقوس الخطر ، خطر الحقيقة القائلة ان الاسلام اذا انطلق بتلك الروح الخلاقة البناءة للحياة ، والحركية المؤثرة ، وبكل تلك القوة والعزة ، فحكم المجتمعات الاسلامية ، اذا حقق الاسلام ذلك ، فسوف لن يكتفي بالقضاء على أية فرصة سانحة تحت طائلة الخطر . انهم رأوا أن الاحكام السياسية الاسلامية تمنع بشدة من أي نفوذ أجنبي وأي شيوع للفحشاء والفساد بين المسلمين .

ان الشعب الذي يعتقد بحرمة الخمر والزنا ، واللهو الحرام واللعب والقمار ، والشعب الذي يعتبر الجهاد واجبا وان القوة الاسلامية يجب أن تكون فوق القوى الاخرى .

« لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » (النساء 141) .

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (الانفال : 60) .

« قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (الأنفال 39) .

« فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون » (التوبة 12) .

« لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ...» (المائدة - 51)

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة - 29)

ان مثل هذا الشعب لن يركع او يخضع مطلقا للذل ، ولن يسمح بشيوع الفساد والفحشاء مطلقاً .

أما اذا تمّ الفصل بين الساحة الدينية والساحة السياسية ، وسلب الاسلام حق التدخل في الامور السياسية وما يتعلق بشؤون الحكم وادارة أمور البلاد ، فان الاستعمار يمكنه تحقيق كل مقاصده بكل سهولة .

واذا كانت هذه الحالة ، فان علماء الاسلام ، الذين كانوا مورد احترام المسلمين ، والذين يحكمون على القلوب باعتبارهم خلفاء الرسول ، والذين يستطيعون ان يعبئوا

الأحكام الاسلامية ولو متظاهرين بذلك .

وقد نقل ان الحجاج بن يوسف الثقفي ــ بكل ما كان منه من اجرام ــ حينما أراد ان يعتقل رجلا بذنب أذنبه احد أقربائه ، قال له الرجل « ولا تزر وازرة وزر اخرى » فلم يجد بدا حين سمع ذلك الا أن يطلقه ولم يقل ــ حينئذ ــ هذا دين ، أما حكمي ، فهو حكم سياسي !

ان سنة رسول الله (ص) وسيرته حجة واجبة الاتباع حتى القيامة

« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر » (الاحزاب : 21) .

وقد قبل المسلمون خلال تاريخهم هذا الموضوع ، ولم يحتمل اي مسلم مطلع امكان تسليم امور الحكم ، والتدخل في شؤون المسلمين الى حاكم لا يلتزم بالاسلام . ليقوم بنقض اي حكم اسلامي لا يعجبه ، وتطبيق الأحكام المخالفة للشريعة ان هذا بالضبط ما رده القرآن بشكل حازم مهددا حيث قال .

« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم . وان كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » (المائدة : 49- 50) .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » (النساء 65) .

« ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » (المائدة : 44)

« ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون » (المائدة : 45)

« ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون » (المائدة 47)

ونحن نجد في هذه الايات حتى دعوة أهل التوراة للتسليم لحكم التوراة ، واعتبار المتخلف عن ذلك كافرا وظالماً وفاسقا ، لانه اختار حكماً آخر بدلا من حكم الله

وكيف يمكن ان تقوم في المجتمع الاسلامي ــ وخلافاً لحكم الله ــ حكومة لا دينية تحل الخمر والربا والقمار ، والزنا ، وترجع مال الميت الى غير وارثه الشرعي ، او تقسيمه بين الورثة دون مراعاة للتقسيم الشرعي ، وتضع الاحكام المخالفة للقرآن المجيد في مجالات النكاح والطلاق والحجر والرهن والدَين والوصايا والقصاص وغيره ثم يطلق على هذا المجتمع اسم المجتمع الاسلامي ؟! وعلى افراده اسم المسلمين .

ان ذلك يعني تخطئة القرآن ، وتحليل حرام الله ، وتحريم حلال الله ، وابداء الرأي في قبال أحكام الله الجازمة . أليس الاسلام ديناً خالدا ؟ وهل هناك فرق بين حكم الله في هذه الموارد وحكم الله في الصوم والصلاة حتى يمكننا أن نقبل تلك ونرفض هذه؟

ان الفكرة الضالة القائلة بفصل الدين عن السياسة تعتبر نتيجة أمور ثلاثة ، هي

(1) الجهل بحقيقة الدين في العالم المسيحي الاوربي ، وتلخيصه فيما حرف من التعاليم التي جاء بها المسيح دون ملاحظة أصل هذه التعاليم او الالتفات الى الاديان

التشكيلات والقيادة ، وهذه هي السياسة والحكومة بعينها .

ثم ياترى هل يمكن اقامة العدل الاجتماعي ـ وهو هدف كل الانبياء دون ان تكون هناك قدرة تسانده ؟ وهل يترك أعداء الله وأعداء البشرية من الجشعين العابدين للمال والجاه والذات ، ما لم يقف في طريقهم سد منيع . هل يتركون العدالة لتأخذ مجراها الى الواقع ، فيقف الجميع الضعيف والقوي ، الفقير والغني ، الفرد العادي المغمور والموظف الرفيع المستوى ، الرئيس والمرؤوس ، هل يقفون جميعاً على مستوى واحد امام القانون؟ ويصل كل الى حقه الطبيعي؟ كيف يجيز اولئك الطغاة أن توزع الثروة وامكانات المجتمع ، والاموال العامة ، بشكل عادل ؟ وان عليه ان يفتح عينيه ، ويلمح الواقع القائم ، ويرى من خلال استعراض التاريخ ، وما يجري في عصر تكامل العلم والثقافة من اعمال قام ويقوم بها الاقوياء ضد من هم تحت قدرتهم ، وماذا تلاقي الأمم المظلومة من جور القوى الحاكمة في العالم من ويلات ؟ الدماء التي تراق ظلماً ، والثروات التي تبتز نهباً ، ترى هل يردع هؤلاء سوى قدرة تقف في قبالهم وتوقفهم عند حدهم ؟

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » (البقرة : 251).

وبهذا الدليل العقلي الواضح يجب الاذعان بضرورة تدخل الدين في الامور السياسية لحفظ كيانه، والتصديق بان انعزال الدين عن المجال السياسي لا يؤدي الا الى اضمحلال الدين .

ومن هنا ندرك معنى قول القرآن الكريم ـ وهو يتحدث عن العدل الاجتماعي كهدف لبعث الرسل ـ قوله ـ مباشرة .

« وانزلنا الحديد فيه بأس شديد » (الحديد . 25) .

انه لم يذكر هذا دونما سبب ، وانما ليوضح أن اقامة القسط لا تتم دونما استناد للقوة والقدرة

سادساً ـ سيرة الرسول (ص) وسنته :

واننا نجد الرسول الاكرم يمسك بزمام الحكم والقدرة في يثرب في اول فرصة سنحت له بعد الهجرة الى المدينة ، كما نجده (ص) وخلال السنوات العشر بعد الهجرة يعين حاكماً لكل أرض دخلها الاسلام ... لقد قام (ص) بادارة كل الأمور السياسية فعين القضاة ، واعلن الحرب والسلام ، وعقد المعاهدات وأمثالها فكلها كانت بيده دون أي حاكم آخر ، ما عدا الحكام الذين كان يعينهم في الارض الاسلامية، . فلم يكن لأحد التدخل في أي امر من الأمور الاجتماعية دونه (ص)

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهـــم » (الأحزاب : 36) .

« النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » (الأحزاب 6).

وبعد رحيل النبي (ص) نجد الذين امسكوا بأزّمة الامور كلهم حكموا باعتبارهم خلفاء للرسول وحفظة للاسلام وأحكام الاسلام ، وحتى الجبابرة الذين الت اليهم امور المسلمين احيانا في بعض المساحات الاسلامية ، نجدهم يعتمدون مسألة رعاية

ثالثاً ــ الجهـــاد:

وتشكل آيات الجهاد قسطا كبيراًمن آيات القرآنالكريم واختص الكثير من الايات في سور مثل البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الانفال ، التوبة ، الحج ، الاحزاب محمد ، الفتح ، الحجرات ، الحديد ، الحشر ، الصف ، المزمل ، بموضوع الجهاد

ومن الطبيعي ان دعوة الانبياء كانت تواجه دائما بمخالفة الاعداء : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين » (الفرقان : 31) .

وكان الاعداء في الغالب من ذوي القدرة والنفوذ ... وتبدأ المخالفة لفظية وايذائية وتتطــور بالاستمرار الى صراع مسلح وحروب دموية ... وقد كان الأنبياء عادة يعيشون حالة حرب مع اعدائهم .

« وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله . وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين »(آل عمران : 142)

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن » (التوبة 111)

« أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله » (البقرة 124) .

ومن الواضح ان الحرب هي من ابرز مظاهر حكم مستقل منظم مسلط على الاوضاع الداخلية والمسائل السياسية

رابعـــاً ــ القضـــاء :

ولقد كان الفصل بين الخصومات ، واجراء الحدود والتعزيرات ومجازاة المجرمين من الامور التي تقع تحت اختيار الانبياء .

« ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق » (ص : 26)

« وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ...» (الأنبياء : 78)

وكلها من شؤون الحكم والمسائل السياسية ، فاذا ما شاء الدين ان لا يتدخل في الامور السياسية كان عليه ان يرفض كل هذه البرامج ويتركها بيد الاجهزة الحاكمة غير الالهية لتفعل ما يحلو لها ــ تماماً كما نجده اليوم في الاقطار التي يعيش فيها المسلمون ، في حين لا يحكم فيها الاسلام ، حيث تركت كل هذه الاحكام تحت رحمة هؤلاء الحكام والمشرعين غير المسلمين ليسيروا فيها حسب ميولهم ، ووفق ما يرونه بعقولهم الناقصة من مصالح ، فهم يحكمون خلافاً لما انزل الله .

خامســاً ــ منطق العقل يبتني على ضرورة حفظ الشرع وما جاءت به الرسل :

ان النبي الذي يطرح ديناً ما يواجه في بدء دعوته وفي دوامها معارضات ، في الأصول والفروع ، من الداخل والخارج ، فاذا اتخذ موقف التسليم في قبالها سحق الدين لا محالة . واذا ما سعى لحفظ دينه ، والدفاع عن وجوده ، احتاج الى القوة

بكل صراحة: ان يقوموا ــ كما فعل ابراهيم (ع) ــ بعزل صفوفهم عن صفوف اعداء الله .

وطبيعي اننا يجب ان لا ننسى ان مثل هذه الايات انما تنظر للعلاقات الولائية، اما العلاقات العادية ، وحتى الاحسان للكفار غير المعاندين فانها ليست غير ممنوعة فحسب ، بل رغب الاسلام فيها أيضاً :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم عن دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين» (الممتحنة 8).

وهذه المسألة هي - من ابرز المسائل السياسية الاسلامية ، وهي توضح ان المجتمع الاسلامي وحدة كاملة، وحزب مترابط ، يطيع قيادة واحدة، ويقف موقفاً عدائيا، لا يقبل المساومة في قبال العدو. فهل السياسة في بعد العلاقات الداخلية والخارجية تعني غير هذا ــ ياترى ــ ؟ مع وجود كل هذه الايات في مجال الوحدة والتناصر والتعاضد في الداخل ، والوقوف واعلان القطيعة والصلابة تجاه العدو الخارجي ، فهل يمكن القول بانفصال الدين عن السياسة؟ وهكذا ترون المدى الذي أكد فيه على هذا الموضوع.

ثانيــا ــ حكومـــة الانبيــاء :

لقد بدأ الانبياء دعوتهم برفض الحكومات غير الالهية

« ولقد بعثنا في كل أمة رسولا، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »(النحل 36)

« يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به» (النساء 60)

ومن الواضح انه لم يكن المقصود ــ بعد نفي حكم الطاغوت ــ ترك المجتمع في هرج ومرج ، وتحت رحمة قانون الغاب ، وانما كان الهدف - هو اقامة حكم الله بدلا من الحكم المعادي لله، ولهذا شكلت الحكومة الالهية بزعامة الانبياء (عليهم السلام) ، وقيادتهم ، ولقد دعا الانبياء كل الناس لطاعتهم باعتبارهم معينين من قبل الله ، ومنفذين للعدل الالهي.

فقد جاء في سورة الشعراء على لسان نوح وهود وصالح ولوط وشعيب (عليهم السلام) ، أنهم يقولون قولة واحدة « فاتقوا الله واطيعون » وهم بذلك دعوا الى طاعتهم وعصيان اوامر حكام زمانهم ... وكل ما جرى من نزاع وصدام فانه ناشيء من هذا الامر في الواقع ، وراح كل من سنحت له الفرصة يشكل حكومته من مثل داود ، سليمان ، موسى ، وانبياء بني اسرائيل الذين قال فيهم القرآن - « وجعلكم ملوكا ، واتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين » (المائدة - 20).

والأوضح من كل ذلك تاريخ الاسلام ، حيث دعا النبي (ص) كل القوى في زمانه للاذعان للاسلام والتبعية له، في حين كان بنفسه المقام الذي يجب طاعته بلا معارض والمتصرف في كل شؤون المجتمع الاسلامي كما سيأتي وعلى هذا فأن رسالة الانبياء (ع) كانت تدعو في كل مجال الى المسائل العبادية والمسائل السياسية جنبا الى جنب وتبلغ بها .

القسم الثاني : وقد جاء فيه « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » (المائدة:55-56).

والاية تعني ــ بكل وضوح ــ ان المجتمع الاسلامي من خلال رابطة الولاية وطاعة مقام القائد ، الواجب الطاعة ، باعتباره ولي الامر، والمشرف على المجتمع ــ يعود حزبا الهيا منظما ومنسجما ، ويشكل انسجامه وتنظيمه هذا ، سبب انتصاره على اعدائه دائما.

وكذلك آية:

«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم ، فان تنازعتم في شيءٍ فردوه الى الله والرسول»(النساء:59).

« ولو ردّوه الى الرسول وإلى إولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» النساء : 83).

والايات المشابهة لها تنظر جميعا الى مسألة القيادة ، ومرجعية حل الخلافات . والحفاظ على الوحدة.

والقسم الثالث : واليه تنظر عمدة آيات الولاية وعبر تأكيد شديد في سور متعددة وهــو عبارة عن قطع أية علاقة موالاة بالاعداء ، واعلان القطيعة الكاملة معهم ما داموا على الكفر والنفاق . والاصرار على عداء اهل القبلة جهارا كشن الحرب ، او سرا بشكل حياكة المؤامرات السياسية ، والعرقلة، واعانة الاعداء ، واضعاف الاسلام والمسلمين بمختلف الوسائل.

وهذا النوع من الولاية ــ ويمكن ان نسميه الولاية السلبيةـ يشخص العلاقات الخارجية للمسلمين

« ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فانه منهم »(المائدة:51).

وهذه الاية تطرد ــ بصراحة ــ اي مسلم يرتبط باليهود والنصارى ويقيم معهم علاقات مودة ومحبة من صفوف المسلمين وتلحقهم بهم .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حا دّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم او ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم،اولئك كتب في قلوبهم الايمان، وأيدهم بروح منه، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه، اولئك حزب الله، الا ان حزب الله هم المفلحون » (المجادلة 22)

«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »(الفتح 29)

«ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، تلقون اليهم بالمودة. قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ، اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم، ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده»(الممتحنة 1-4) .

والاية تعلن وجوب القطيعة والعداء ، للافراد والحكومات المعادية لله وعباده وتدعو

ضروريات ،ولذا فلا تحتاج للاستدلال، الا ان الوساوس الشيطانية تدعو الانسان ـ حيانا ـ ليقوم بتوضيح الواضحات، وها نحن ندرس فيما يلي بعض البراهين بهذا لصدد:

ولا ـ الولاية :

وقد وردت هذه الكلمة في مشتقات مختلفة اسمية، وفعلية ووصفية ـ في معناها لمقصود ـ في اكثر من مائة آية في القرآن المجيد، وعمدة ورودها كان في السُور لمدنية، حيث نزلت الآيات بعد تشكيل الحكومة الاسلامية لتنظيم علاقات المسلمين عضهم ببعض وعلاقاتهم بالمقامات واجبة الطاعة، أي مقام القيادة،والعلاقات لخارجية لهم بالاجانب. ومن الواضح ان كل مجتمع حي خلاق حركي يحتاج حتما الى لتشكيلات التي تنظم علاقاته، والاساس الطبيعي لكل التشكيلات، أمور ثلاثة هي.

لاول: العلاقة المتينة للافراد بعضهم بالبعض الاخر، مما يشكل منهم جميعا أعضاء ي جسد مترابط تشترك في الغم والفرح، والعذاب والراحة، والألم والمحن، عدوها احد وصديقها واحد.

لثاني : وجود محور ومركز يجتمع الكل تحت أمره ولوائه، مشكلا رمز وحدتهم، ستطيع ان يكون مرجعا لحل مشكلاتهم، وموردا لقبولهم جميعا، فان عدم وجود مثل ذا المركز لا يترك مجالا لاستقرار الوحدة ودوام التلاحم... فالاختلافات ـ وهي تثور شكل لا يمكن تجنبه في المسائل المختلفة ـ سوف تعود منابع لأنماط من التفرقة، وربما لنزاع والصراع.

لثالث : الموقف الواضح الحازم في العلاقات الخارجية ومجال التعامل مع الاجانب القرآن الكريم يؤكد وبصورة واضحة وبشكل مفصل هذه الاقسام الثلاثة في آيات لولاية.

اما القسم الاول فيقول فيه:

«ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض» (الانفعال: 72).

«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن لمنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله» (التوبة. 71).

فالمؤمنون جميعا يقفون صفا واحدا، وجناحا واحدا، متلاحمين في جبهة واحدة، وهم بالتالي يوالون ويحبون وينصرون بعضهم البعض. ومع تحقق هذه العلاقة فان اي مسلم سوف يحس بمسؤولية تجاه اخوته واخواته في الشدائد والمشاكل، وعند التعرض لهجوم العدو، ولن يعود أي مسلم ـ في أية ارض كانت ـ وحيدا. فآلام كل فرد هي آلام الجميع. وقد جاءت روايات كثيرة حول الوحدة والترابط بين المسلمين وكلها تفسير لهذه الآيات والآيات المشابهة لها: «انما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». و« من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم».و « من سمع رجلا ينادي ياللمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم».

أو باضافة بعض الواجبات الاخلاقية الاجتماعية، فانه ــ لا محالة ــ لن تكون هناك أية علاقة له بالسياسة. كما انه لو كانت السياسة عبارة عن الخداع والتلون، والمكر، والحيل الشيطانية، فانها بدورها ايضا لن تكون لها أية علاقة بالدين. الا ان الحقيقة هي ان هذين التفسيرين للدين والسياسة مغلوطان، وناشئان عن عدم معرفة حقيقة اي منهما. ان السياسة في تفسيرها الصحيح عبارة عن ادارة الشؤون الداخلية والخارجية للمجتمع، من قبل قوة حاكمة. والدين في تفسيره الصحيح عبارة عن نظام الهي شامل وكامل، يستطيع تأمين الحاجات الفردية والاجتماعية، الدنيوية والاخروية للانسانية. ويعمل في البعد المعنوي الروحي على احياء التعبد والتسليم امام الله في اتباعه، مهذبا أخلاقهم ومزكيا انفسهم.

«ان الدين عند الله الاسلام» (آل عمران: 19).

«هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم» (الجمعة. 62).

كما يعمل في البعد المادي والحياة الاجتماعية على ضمان العزة والعظمة والقدرة والعدالة والامن، والثبات وكل ما هو داخل في السعادة الشاملة لاتباعه، وذلك من خلال القضاء على المفسدين واقتلاع جذور الفساد، وايجاد جو اجتماعي سليم، تستطيع كل القدرات والقابليات ان تتخذ سبيلها فهي النمو والتكامل، فتسير الكمالات الانسانية بالقوة الى عالم التجسيد والفعلية.

«لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد» (الحديد :26).

«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» (المنافقون: 8).

«اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكــا» (المائدة: 20).

«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون» (الانبياء 105).

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً » (النور :55) .

«يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوه الى قوتكم» (هود: 52).

«ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» (النساء: 141).

ان نظرة كهذه الى الدين توضح ان العلاقة بينه وبين السياسة لا تقل عن علاقته بالعبادة، بل تزيد عليها بمراتب. ذلك ان كل الآيات الواردة حول الولاية، الحكم، القتال، القضاء، القوانين الجنائية بل حول النكاح والطلاق، والبيع والحجز والرهن والدين، والاشهاد، والقصاص والديات ، والمواريث وأمثالها ــ وربما شكلت ربع القرآن ــ هذه الآيات كلها تدور حول المسائل السياسية الاسلامية، أي شؤون ادارة المجتمع الاسلامي في ظل حكومة إلَهية ، في حين لا تتعدى آيات الصلاة مائة اية وآيات الصوم اربع عشرة آية لا غير .

ان العلاقة بين الدين والسياسة واضحة جدا، الى الحد الذي تعد معه من

العلاقة بين الدولة والسياسة

آية الله جنتي (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

موضوع بحثنا هو العلاقة بين الدين والسياسة. وقبل الدخول في البحث، نرى لراما علينا ان نوضح الحقيقة التالية - ان ادراك الحقائق وتلقيها منوط باستعداد القلب للقول والتسليم في قبال الحق. وهذا ما بينه القرآن حيث قال :

« إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد »(ق 37) .

فاذا لم تكن في القلب هذه القابلية يأبى قبول اي حقيقة مهما كانت واضحة ، ويقف معاندا في قبال كل الايات والبينات ، ويلجأ بالتالي الى التوجيه والتأويل فيصف اصدق الناس بالكذب ، ويطلق على المعجزة اسم السحر .

«ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا» (الانعام: 111).

«وان يروا كل آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر» (القمر: 2).

ولقد منح الانسان قدرة جدلية يستطيع معها ان ينكر بياض القطن وسواد القيرة، فربما عمد الى تأويل حرية الخمر والربا ووجوب الصوم والصلاة مستدلا بالقرآن نفسه، ومشككا فيهما... ولنا مع هؤلاء تجارب مرة .

«وكان الانسان اكثر شيء جدلا» (الكهف 54)

اما موضوع بحثنا هنا، وهو العلاقة بين الدين والسياسة، فاننا ينبغي اولا ان نفسر فيه هاتين الكلمتين «الدين» و«السياسة»، فما هو تفسيرهما؟ فاذا كان الدين عبارة عن نوع من العلاقة بين الانسان والله وبعض الآداب والطقوس العبادية فقط،

(*) عضو مجلس المحافظة على الدستور في جمهورية ايران الاسلامية

181 von Werner, Franz (Murad Effendi, pseud.) «Turkische Skizzen», Leipzig, 1977
182 Wilson, S G «Modern Movements Among Moslems», New York 1916
183 Wirth, Albrecht, 'Panislamismus', «Deutsche Rundschau», CLX III, (1915), 492-40
184 Young, George, 'Pan-Islamism' «Encyclopaedia of the Social Sciences», XI, (1935), 542-44
185. Zenkovsky, S A , «Pan-Turkism and Islam in Russia», Cambridge, (Mass), 1906
186. Zuraky, K 'The National and International Politics of the Arab States' «Near Eastern Culture and Society», Princeton, 1951.
187 «X» (Sayyid Hasan Taqizadeh), 'Le panislamisme et le panturisme» «Revue du monde musulman», XXII (1913), 197-200

ترجمت عن الانكليزية

«Bilbiographic Soundings in Nineteenth Century Pan-Islam in South Asia», Naeem Qureshi, Islamic Quarterly, vol. XXIV, N° 1,2, 1400/1980

kistan Subcontinent (610-1947)», The Hague, 1962
143. -, 'The Purpose of Tipu Sultan's Embassy to Constantinople', «Journal of Indian History», XXIV (1945), 77-84
144 -, 'Two newspapers of pre-Mutiny Delhi' «Indian Historical Records Commission. Proceedings of Meetings», XVIII, (eighteenth Meeting Held at Mysore, January 1942), Delhi, 1942, pp. 258-60
145 «Rahbar-i Hind» (Lahore), bi-weekly, publisher Sayyid Nadir 'Ali.
146. Rahman 'Ali, «Tazkira-i 'Ulama'i Hind», Lucknow, 1914 Urdu tr Ayub Qadiri, Karachi, 1961
147 Redhouse, J. W, «A Vindication of the Ottoman Sultan's Title of 'Caliph', Shewing Its Antiquity, Validity, and Universal Acceptance», London, 1877
148 Reid, Anthony, 'Nineteenth Century Pan-Islam in Indonesia and Malaysia' «Journal of Asian Studies, XXVI, N°2 (1967), 267-83
149 Rose, J Holland, '1815 and 1915' «Contemporary Review», (1951), 12-18.
150 Rosenthal, Edwin I J «Political Thought in Medieval Islam», Cambridge, 1958.
151 «Sada-i Hind» (Lahore), weekly publisher, Din Muhammad
152 Saksena, Bansari Prasad, «History of Shahjahan of Dihli» Allahabad, 1932
153 Salmoné H A 'Is the Sultan of Turkey the True Khaliph of Islam?' «Nineteenth Century» XXXIX (1896) 173-80.
154 Sayyid Ahmad Khan (Syed Ahmed Khan) «Akhiri Mazamin» Lahore, 1898
155 - 'Khutba men Badshah ka nam' «Tahzib al-Akhlaq», VII, n°11, (1876), 154-55
156 - «Maqalat-i Sar Sayyid» ed Isma'il Panipati Lahore, 1961-65 16 vols
157 -, «Review on Dr Hunter's Indian Musulmans Are they Bound in Conscience to Rebel Against the Queen?» Benares 1872
158. - «Tahzib al-Akhlaq» (Aligarth)
159 -, «The Truth About the Khilafat» Eng tr Kazi Siraj-ud-din Lahore, 1916
160 Sayyid Mahmud, «Khilafat awr Inglistan», 3rd ed., Patna, 1921.
161. Shahabi, Mufti Intizam-Allah «East India Company awr Baghi 'Ulama'», Delhi, n.d.
162. Sharif al Mujahid, 'Pan-Islamism', «A History of the Freedom Movement», IH, Part I, Pakistan Historical Society, Karachi, 1961, pp 88-117.
163. Sherwani, Haroon Khan, «Studies in the History of Early Muslim Political Thought and Administration» Lahore, 1943
164 Shibli, Nu'mani, «Maqalat», Azamgarh, 193034.
165 -, «Safarnama», Agra, 1894
166 Sindhi, 'Ubaid-Allah, 'Pax Islamica (A Study of Pan-Islamism Movement)', «Journal of the Punjab University Historical Society», IX, (1946) 27-40.
168 Snouck Hurgronje, C., 'Over Panislamisme' «Archives» (Haarlem Musée Teyler), 3rd Set I, (1912) 87-105
169 Stoddard, Lothop, «The New World of Islam», London, 1921
170. Stripling, F, «The Ottoman Turks and the Arabs, 1511-1574» III, Urbana, 1942
171. Sumner, Benedict, H «Russia and the Balkans, 1870-1880» Oxford 1937
172 sw Tassy, Garcin, «La langue et la litterature hindoustanaises en 1871», Paris, 1872
173 Terentvef, M A «Russia and England in Central Asia», Eng tr F C Daukes, Calcutta 1876
174 Toynbee, Arnold, J «Survey of International Affairs», 1925, I London, 1927
175 Vambéry, Arménius, 'Pan-Islamism' «Nineteenth Century and After», LX, (1906), 547-58
176 -, 'Pan-Islamism and the Sultan of Turkey', «Asiatic Quarterly Review», XXIII, 3rd Series, (1907) [illegible]
177 -, «Western Culture in Eastern Lands», London, 1906
178 Wahby Bey, Behjet, 'Pan-Islamism', «Nineteenth Century» LXI (1907), 860-72
179 Wali-Allah, Shah, «Tafhimat-i Ilahiya», Delhi, 1906
180 Weil, G, «Geschichte des Abbasidenchalifats in Egypten», II Stutgart, 1850.

104. MacColl, Malcolm, 'The Musulmans of India and the Sultan' «Contemporary Review», LXXI, (1897), 280-94.
105 Macdonald, D.M. «Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory», Edinburgh, 1903.
106. Mahomedan Literary Society, «Abstract of the Proceedings of the Mohamedan Literary Society of Calcutta Lecture by Moulvie Karamat Ali (of Jounpore) on a question of Mohamedan Law including the Duty of Mahomedans in British India lowards the Ruling Power», Calcutta, 1871.
107 Marchand, H. 'Un coup d' œil sur l'Islam, Panislamisme et modernisme', «Renseignements coloniaux» (1919), 146-52.
108. Margoliouth, D.A. 'The Caliphate, Yesterday, Today and Tomorrow' in J R Mott, ed. «The Moslem World of To-day», London, 1925.
109 -, 'Pan-Islamism, «Proceedings of the Central Asian Society», January 1912
110 Marriot, J A R «The Eastern Question · an Historical Study in European Diplomacy», London, 1917
111 Martin, R M ed, «The Despatches, Minutes, and Correspondence of the Marquess Wellesley, K C., During his administration in India», London, 1836-37 5 vols
112 Mawdudi, Abul A'la, «Khilafat wa Mulukiyyat», Lahore, 1966
113 al-Mawardi, 'Ali Ibn Muhammad. «Ahkam al-Sultaniya», Cairo, 1881
114 McLane, J R 'The Development of Nationalist Ideas and Tactics and the Policies of Government of India, 1897-1905', unpublished London University Ph.D. Thesis, 1961
115 Mehrotra, S.R. «The Emergence of the Indian National Congress» Delhi, 1971.
116 Mihr, Ghulam Rasul, «Jama'at-i Mujahidin», Lahore, 1955
117 -, «Sargusht-i Mujahidin», Lahore. 1956
118 -, «Sayyid Ahmad Shahid», Lahore, 1952
119 Muhammad 'Ali, «The Khilafat in Islam», Lahore. 1920.
120 Muhammad Iqbal. «Khilafat-i Islamiya» Urdu tr. Shandhri Muhammad Husain, Lahore, 1923.
121. Muhammad Miyan, ed., «'ulama'-i Haq», Muradabad, n.d.
122. -, «Ulama'-i Hind ka shandar Mazi», Delhi, 1957-60. 4 vols.
123 Muhammad Mujeeb, «The Indian Muslims», London, 1976.
125. Muhammad Tufail, Malik, «Al: Khilafat», Amritdar, 1920.
126. Muller, August, «Der Islam», Berlin, 1885-87.
127. Nadwi, Abul Hasanat, «Khilafat-i Islamiyya awr Turk», Delhi, 1920.
128. Nadwi, Sayyid Sulaiman, 'Khilafat and the Koreish' «Foreign Affairs» II, (1920), Special Supplement. vi-ix.
129 -, «Khilafat awr Hindustan», Azamgarth, 1921
130. Najm al-Hasan, Sayyid, «Al-Nubuwwat wa al-khilafat», Eng tr. L.A Haidari, Lucknow, 1924
131 Nallino, C.A. «Appunti sulla de 'Califfato' in genere e sul presente 'califfato Ottomano'», Rome, 1916 Eng. tr «Notes on the Nature of the 'Caliphate' in general and on the alleged 'Ottoman Caliphate', Rome, 1919.
132 Nasim Hassan, Sayyid, «Istikhlaf», Amroha, 1919.
133 Nuri Bey, Jelal, «Ittihad-i Islam» Istanbul, 1913.
134 d'Ohsson, Mourages, «Tableau général de l'Empire Ottoman», Paris, 1788
135 «Paisa Akhbar» (Lahore) ed Munshi Mahbub Alam
136. Palgrave, William Gifford, «Essays on Eastern Question», London 1872.
137. Pears, Edwin «Life of 'Abdul Hamid», London, 1917
138 Philips, C.H., ed, «The correspondence of Lord William Cavendish Bentinck, Governor-General of India 1825-1835», Oxford, 1977, 2 vols
139. Public Record Office (London). Foreign Office Files, Series 65 (Russia) and 78 (Turkey)
140 Qadiri, Mufti Muhammad Habib al-Rahman, «Ayat-i Khilafat», Badaun, 1922.
141. «Qaisar al-Akhbar Hind» (Allahabad), weekly, ed. Munshi Siraj al-din Ahmad Khan.
142 Qureishi, Ishtiaq Husain, «The Muslim Community of the Indo-Pa-

71. Hambly. G.R.G. 'Unrest in Northern India During the Vice-Royalty of Lord Mayo, 1869-72', «Journal of the Royal Central Asian Society», XLVIII, Part I, (1961), 37-55.
72. de Hammer, Josef (Von Hammer-Purgstall), 'Memoir on the Diplomatic Relations between the Courts of Delhi and Constantinople in the sixteenth and the seventeenth centuries', «Transactions of the Royal Asiatic Society», II, London, 1830.
73 -, «Geschite des Osmanliches Reiches», Budapest, 1827-35.
74. Hardy, P., «The Muslims of British India», Cambridge, 1972.
75. Heyd, Uriel, 'The Later Ottoman Empire in Rumelia and Anatolia' in P. M Holt, Ann K.S. Lambton and Bernard Lewis, ed «Cambridge History of Islam», I, Cambridge 1970, pp. 354-73.
76. Holt, P M. 'The Later Ottoman Empire in Egypt and the Fertile Crescent' in Ibid pp. 374-93
77. Hoster, C.W. «Turkism and the Soviets», London, 1957.
78 Hottinger, Arnold, «The Arabs: Their History, Culture, and Place in Modern World, London, 1963.
79. Ibn Iyas, «Bada-i al-zuhur fi waqa'-i' al-duhur», Boulak, 1893-95. Eng tr W H Salmon, «An Account of the Ottoman Conquest of Egypt in the Year A.H. 922 (A.D. 1516), London, 1921
80 Inalcık, Halil, 'The Rise of the Ottoman Empire' in P M Holt, Ann K.S Lambton and Bernard Lewis, ed. «Cambridge History of Islam» I, Cambridge, 1970, pp. 295-323
81 India Office Records and Library (london), Lytton Papers, Papers of The first Earl of Lytton as Viceroy of India, 1876-80 Mss Eur E.218.
82. -, Political and Secret Department Library Series.
83. -, political and Secret Letters and Enclosures Received from India (L/P&S/7).
84. Kamil Pasha, «Mustafa, Mas'ala -i Sharqiya» Cairo, 1898, Urdu tr. Niyaz Fatehpuri, Pindi Bahawuddin, n.d
85. Karim, K.M. 'Pakistan's Historical and Cultural Ties with Iran and Turkey Through the Ages' «Journal of the Regional Cultural Institute», II, N°2, (1969), 91-95.
86. Keddie, Nikki, R. «An Islamic Response to Imperialism: Political and religious writings of Sayyid Jamal al-Din Al-Afghani», Berkeley and Los Angeles, 1968.
87. -'Pan .Islamism as Proto-Nátionalism' «Journal of Modern History», XL, N°1, (1969), 17-28.
88. -, «Sayyid Jamal al-Din Al-Afghani: a political Biography», Los Angeles and London, 1972.
89. Khadduri, Majid, 'Pan-Islamism' «Encyclopaedia Britannica», XVII, 227-28.
90. Khan, M.H. «History of Tipu Sultan», Calcutta, 1951.
91. Khan, M. Anwar, «England, Russia and Central Asia (A study in Diplomacy), 1857-1878)» Peshawar, 1963.
92. Kidwai, Moshir Husain, «Pan-Islamism», London, 1908.
93. Kohn, Hans, A History of Nationalism in the East», London, 1929.
94 von Kremer, F.A. «Cultergeschichte des Orients unter den chalifen» Vienna, 1875-77. Eng. tr. S Khuda Bukhsh, «The Orient under the Caliphate», Calcutta, 1920.
95. -, «Geschichjte der Herrschenden Ideen des Islams», Leipzig, 1868
suite bibliographie

(96) Lambton, A K S. 'The Theory of Kingship in the «Nazihat-al-muluk» of Ghazali', «Islamic Quarterly, N°' (1954), 47-55
97 Landau, Jacob M. 'al-Afghani's Pan-Islamic Project', «Islamic culture», XXVI, N°3 (1952), 50-54
98. Lane-Poole, Stanley, 'The Caliphate' «Quarterly Review», CCXXIV N°444 (1915), 162-77.
99 Lee, Dwight E, 'The Origins of Pan-Islamism' «American Historical Review», XLVII, N°2 (1942), 278-87
100 Lewis, Bernard. «The Middle East and the West», London, 1963-64
101. -, 'The Mughals and the Ottomans', «Pakistan Quarterly», III, N°2 (1958)
102. -, 'The Ottoman Empire in the Mid-Nineteenth Century : A Review «Middle Eastern Studies», I N°3 (1965), 283-95
103 Lybyer, A H 'Caliphate' «Emcyclppaedia of the Social Sciences» III, (1935), 145-49.

real, 1964.
36. Binder, Leonard, 'Al-Ghazali's Theory of Islamic Government', «Moslem World», XLV, N°3 (1955), 229-41.
37. Birdwood, George, Communication to «The Times», 12 June 1877.
38. Blunt, W.S. 'The future of Islam' «Fortnightly Review», XXX (1881), 204-23, 315-32, 441 and 585-602, and XXXI, (1882), 32-48.
39. -, «The future of Islam», London, 1882.
40. -«India Under Ripon», London, 1909.
41. -, Note on Jamal al-Din al-Afghani, in E.G. Browne, «The Persian Revolution of 1905-1909», Cambridge, 1910.
42. -, «The Secret History of British Occupation of Egypt, Part II, India», London, 1907.
43 Boulger, Demetrius Charles, «England and Russia in Central Asia», London, 1879, 2 vols.
44. Browne, Edward G. 'Pan-Islamism' in F.A. Kirpatrick, ed «Lectures on the History of the Nineteenth century», Cambridge, 1904, pp. 306-30
45 -, «The Persian Revolution of 1905-1909», Cambridge, 1910.
46. Buckler, F. W. 'The Historical Antecedents of the Khilafat Movement', «Contemporary Review», XCCI, N° 677, (1922), 603-11.
47. Bury, G. Wuman, «Pan-Islam», London, 1919.
48. Cash, W. W. «The Moslem World in Revolution», London, 1925.
49. Caskel, Werner, 'Western Impact and Islamic Civilisation', in G.E. von Grunebaum, ed. «Unity and Variety in Muslim Civilisation», Chicago, 1955, pp. 335-60.
50. Charmes, Gabriel, in «Revue des Deux Mondes», XLVII (1881), p. 924.
51 -, «L'avenir de la Turquie, le Panislamisme», Paris, 1883.
52 Cheragh Ali, Moulavi, «A critical Exposition of Popular Jihad», Calcutta, 1885.
53 -, «The Proposed Political, Legal, and Social Reforms in the Ottoman Empire and Other Mohammadan States», Bombay, 1883.
54 Chirol, Valentine, 'Pan-Islamism' «Proceedings of the Central Asian Society» (london), November, 1906.
55. Colquhoun, A.R. 'Pan-Islam', «North American Review», CLXXXII, (1906), 906-18.
56. Cunningham, Allan, 'The Wrong Horse?- A study of Anglo-Turkish relations before the First World War', in Albert Hourani, ed, «St Anthony's Papers, N°17, Middle Eastern Affairs, Number Four», Oxford, 1965, pp.56-76.
57. Fazlur Rahman, 'Internal Religious Developments in the Present century Islam', «Journal of World History», II, N°1, 862-79.
58. Frechtling, Louis E., 'Anglo-Russian Rivalry in Eastern Turkestan, 1863-1881' «Journal of Royal Central Asian Society» XXVI, N°3 (1939), 471-98.
59. Ghauri, Iftikhar Ahmad, 'The Sunni Theory of Caliphate and its Impact on the Muslim History of India', «Journal of the Punjab University Historical Society», XIII, (1961), 93-99.
60. Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad, «Ihya 'ulum al-din» Ger. tr. H. Kindermann, Leiden, 1962; Dr. tr. G. H.Bousquet, Paris, 1953.
61. -, «Nasihat al-muluk», Arabic tr. al-tibr al-masbuk» Eng. tr. F.R.C. Bagley, «Ghazali's Book of Counsel for Kings», London, 1964.
62 Ghulam Ahmad, Mirza, «Jehad and The British Government», Lahore, 1900.
63. -, «Islam awr Jihad», Lahore, 1900.
64. Gibb, H.A R , 'Al-Mawardi's Theory of the khilafa' «Islamic Culture», XI, N°3 (1973), 291-302.
65. -, 'Some Considerations of the Sunni Theory of the Caliphaten', «Archives d'histoire du droit oriental», III, (1948), 401-10.
66. -, ed. «Whither Islam?» London, 1932.
67. - and Bowen., «Islamic Society and the West», I, part. I, London, 1950.
68 Goldziher, Ignaz, 'Djamal al-Din al-Afghani', «Encyclopaedia of Islam» (1913), pp. 1008-11.
69. Great Britain, Parliamentary Papers, «Hansard», Parliamentary Debates of the House of Lords and the House of Commons.
70. Hali, Altaf Husain, «Madd-o Jazar -i Islam» known as «Musaddas-i Hali» Delhi (?) 1879.

للبريطانيين والادعاء ان السلطان العثماني هو ليس بخليفة للمسلمين الهنود. ويسعى شيراج علي في عمله الذي سبق ذكره «مروحة الاصلاحات»(53) و «عرض نقدي للجهاد الشعبي»(52) الى تبرير التسوية مع الحكام البريطانيين. ويشير رافع الدين احمد في «نظرة اسلامية للوحدة الاسلامية»(7) و « «الراج» البريطاني في خطر؟»(8) الى جهوده لاقناع حكامه بان الوحدة الاسلامية لا تحمل اي خطر. ويضم «الجهاد والحكومة البريطانية»(62) للميرزا غلام احمد قائمة تحتوي على اربعين عملا كتبت لبيان ان الجهاد ضد البريطانيين هو عمل غير شرعي.

ولكن مثل هذه المعاضة للادعاءات العثمانية لم تؤثر على تفكير عموم الهنود الذين كان حماسهم للوحدة الاسلامية يتصاعد كلما ازداد ضغط عوامل اخرى كتطورات السياسة الداخلية التي تلت إعادة ترتيب العلاقات مع الحكام البريطانيين والوطنيين وتصاعد النزعة للانفصال

والحقيقة، ان مجموع هذه العوامل هو الذي حول الوحدة الاسلامية في بداية القرن العشرين الى نوع من الوطنية. ولابد ان نرى ان حركة الخلافة في عشرينات القرن العشرين والسياسات المنبثقة عنها لم تكن سوى تعابير للوحدة الاسلامية في القرن التاسع عشر.

Bibliography

1. 'Abd al-'Aziz, Shah, «Fatawa-i 'Aziziya», Delhi, 1904.
2. 'Abd al-Ghaffar, Qazi, «Asar-i Jamal al-din Afghani», Delhi, 1944.
3. 'Abd al-Haiy, Shah, «Al-Khilafah» Delhi 1909.
4 'Abdur Rahim, 'Mughal Diplomacy; Akbar-Aurangzeb', unpublished *London University Ph.D. thesis*, 1932.
5.Abid Husain,A, «The Destiny of Indian Muslims», London, 1965.
6. -,«The National culture of India», Bombay, 1956.
7. Ahmad, Rafiuddin, 'A Moslem's View of the Pan-Islamic Revival', «Nineteenth Century», XLII (1897(, 517-26.
8. -, 'Is the british «Raj» in Danger?' «Nineteenth Century», XLII (1897), 493-500.
9. Ahmed Emin, «Turkey in the World War», New Haven, 1930.
10. Ahmed, Qeyamuddin, «The Wahabi Movement in India», Calcutta, 1966.
11. «Ahsan al-Akhbar» (Allahabad), weekly, ed. Haji Kabir al-Haq.
12. «Akhbar-i Am» (Lahore) daily, publisher, Pandit Mukand Ram
13. Ali Reis Effendi, Sidi, «Mir'at al-mumalik», ed. Jevdet, Istanbul, 1895 Eng. tr. A. Vambery, London, 1899
14. 'Allama Ha'iri, Shams al-'ulama', «Khilafat-i Qur'ani», Lahore, 1927
15. Ameer Ali, 'The Caliphate, a Historical and juridicial Skeetch', «Contemporary Review», CVII, (1915), 681-94.
16. Anderson, M.S. «The Eastern Question, 1774-1923», New York, 1966.
17. Arnold, T.W. «The Caliphate», Oxford, 1924.
18. -, 'Khalifa', «Encyclopedia of Is-
(1948), 619-54.
33. Becker, Carl H., 'Panislamismus' «Archiv fur Religionswissenschaft», VII, (1904), 169-92.
34. -, 'Barthold's Studien Khalif und Sultan. Besprochen und im Auszuga mitgeteilt', «Der Islam», VI, (1915-16), 350-412.
35. Berkes, Niyazi, «The Development of Secularism in Turkey», Mont-

الحدود الشمالية الغربية. ونجد معالجات لهذه المسألة في كتابات هامبلي «الاضطراب في شمال الهند خلال نيابة اللورد مايو في 1869-1872» وماكلين في «نمو الافكار القومية والتاكتيكات والسياسات للحكومة في الهند 1897-1905»(114). ويناقش بالكراف في « محاولات عن المسألة الشرقية»(136) النهضة المحمدية في ظل المسألة الشرقية. وتعطي المذكرات حول حركة الوحدة الاسلامية في المراسلات السياسية والسرية في «السلسلة الهندية» الموجودة في سجلات المكتب الهندي(83) معلومات قيمة بلسان الوكلاء الرسميين. والمرجع المعاصر الاخر حول الموضوع هو سيد احمد خان(154). ويرى الميرزا غلام احمد في «الاسلام والجهاد»(63) ان عدداً كبيراً من العلماء قد وقفوا موقفاً عدئياً من الحكم البريطاني في الهند. وتعتبر «مقالات»(164)شبلي النعماني عملاً مهماً لفهم معالجاته الخاصة بالوحدة الاسلامية. بينما تلقي «السفرنامة»(165) الضوء على نشاطاته في القسطنطينية. وقد عكس عدد من الصحف الهندية في العقد الاخير من القرن الماضي هذه المشاعر بامانة(12) (135)(151)(145). ونجد في «التطورات الدينية الداخلية في القرن الراهن»(57) لفضل الرحمن ردود الفعل الاسلامية على نشاطات البعثات التبشيرية المسيحية. ونجد ايضاً في اعمال هاردي المذكورة اعلاه تحليلات عن ردود فعل المثقفين الهنود من امثال سيد امير علي وشبلي النعماني وعبد الحليم الشرار والذين مجدوا الاسلام ودافعوا عنه. ويُظهر ارمينيوس فامبري في «الثقافة الغربية في الاراضي الشرقية»(177) كيف اوجد المسلمون في لندن في 1886 جمعية للوحدة الاسلامية والتي اطلقوا عليها اسم Anjumani -i Islam للدفاع عن المصالح الاسلامية. ويتعرض قيام الدين في «الحركة الوهابية في الهند»(10) للتطورات الدينية والسياسية في الهند باستفاضة تزيد عما ورد في مقالة هامبلي المشار اليها سابقاً. وكذلك يجب الرجوع الى ما كتبه غلام رسول مهر «جماعة المجاهدين »(116) و «Sarguzasht-i Mujahidin» ، وما كتبه السيد احمد شهيد(118).

بالمقابل قدر عدد من الهنود بأن مشاعرهم المعادية لبريطانيا والمناصرة للاتراك بسبب روابطهم الدينية بدل ان تخدم الاتراك قد تضر بمصالحهم، وهذا ما يظهر من عدد من الكتابات. وعلى سبيل المثال يرى كرمات علي جونبري بأن الهند تحت الحكم البريطاني هي جزء من دار الاسلام، ولهذا فان اعلان الجهاد هو عمل غير مشروع ويظهر ذلك في «موجز لتطورات الادب في المجتمع (المحمدي) لكلكتا. قراءة من قبل المولوي كرمات علي (من جونبور) حول القانون (المحمدي) عن واجبات المحمدين في الهند البريطانية ازاء السلطة الحاكمة»(106)

ويسير السيد احمد خان في « نظرة عما كتبه هانتر بعنوان هنـــودنا المسلمين»(157) واخيري مازامين(154) في طريق الدعوة الى ابداء الولاء

عن حنين المسلمين الهنود الى الماضي المجيد والقوي للاسلام. وتمثل اوراق لايتون(81) مصدراً آخر لدراسة تطورات الجامعة الاسلامية في شبه القارة. وتشير هذه المصادر الى مشاعر الولاء للاتراك المنتشرة بين المسلمين والهنود خلال الحرب الروسية التركية(1877). وتؤكد تلك الاتجاهات الصحف المعاصرة لتلك الاحداث (141)(110). ويعتبر ما كتبه ميكروثرا «صعود المؤتمر الوطني الهندي»(115) مصدراً مهماً للتعاطف الهندي مع المسلمين خلال احداث 1877-1878.

ومن النقاط المهمة حول حركة الوحدة الاسلامية في جنوب اسيا هي حصولها في آن واحد مع موجات مشابهة للوحدة الاسلامية في انحاء اخرى من العالم. ويصف زينكوفسكي «الوحدة من اجل تركيا والاسلام في روسيا»(185) الحركة في اواسط اسيا. بينماتقدم المقالة الرائدة لانتوني ريد «الوحدة الاسلامية في اندنوسيا وماليزيا في القرن التاسع عشر»(148) عرضاً قيماً وموثقاً لحركة الوحدة الاسلامية في جنوب شرق اسيا. بل نجد حركة الوحدة الاسلامية في داخل الامبراطورية العثمانية نفسها يدعمها الشبان العثمانيون. اما حلل انالسيك فيجد في «قيام الامبراطورية العثمانية»(80) ان جذور هذه الحركة تقع في المعاهدات العثمانية مع بروسيا وروسيا(1774). ويقدم ويرنر كاسكيل في «التصادم الغربي والحضارة الاسلامية»(49).. وبرنارد لويس«الشرق الاوسط والغرب»(100) و «الامبراطورية العثمانية في اواسط القرن التاسع عشر ــ مجلة ــ»(102)، وكذلك نيازي بيرك في «تطور العلمانية في تركيا(35)،يقدم هؤلاء جميعا معلومات قيمة عن جهود مفكري الوحدة الاسلامية في إطار الدولة العثمانية. ونخص بالذكر هنا ناميك كمال. وجرت نفس الحملة ودُفعت بعيدا من قبل السلطان عبد الحميد، الذي ارسل مبعوثيه الى الاطراف المترامية لدعم مطالبته بالسلطة التوحيدية. وقد عُرض هذا الموضوع من قبل دون بيير في «حياة عبد الحميد»(137)، وتوينبي في «كشف بالاحداث الدولية ــ 1925»(174)، وهانزكون في «تاريخ القومية في الشرق»(93). ويقدم احمد امين في «تركيا في الحرب العالمية»(9) معلومات اضافية عن قوى المعارضة الداخلية والتدخل (الغربي). وترد معلومات اخرى عن التوترات الداخلية في «السياسات الوطنية والدولية للدول العربية»(186) لكاتبه زُريج. ويُظهر الكاتبان هولندروز «1815و1915/ 1915 و 1815»(149) وكاش «العالم الاسلامي في الثورة»(48) كيف شجع الالمان في ظل القيصر وليم الثاني ــ شأنهم شأن اعدائهم البريطانيين ــ توجهات الوحدة الاسلامية خلال تسعينات القرن التاسع عشر من اجل تقدم مصالحهم الاقتصادية والسياسية الخاصة.

ويجدر ذكر نقطة مهمة اخرى وهي ان الوعي الذي ولدته الوحدة الاسلامية في جنوب اسيا لتأكيد الهوية الذاتية لشعوب المنطقة والذي بتفاعله مع العوامل الاخرى كالسياسات الانكليزية المعادية للاتراك، قد قاد الى عدم استقرار جدي خصوصا على

الشرق»(110) لماريوت وكتاب «الجواد الخاسر؟ ـ دراسة العلاقات الانكليزية التركية قبل الحرب العالمية الاولى»(56)، وكتاب يوريل هيد(75)«آخر امبراطورية عثمانية في الرميلة واناضوليا»، كذلك هولت في «آخر امبراطورية عثمانية في مصر والهلال الخصيب»(76).

اما العامل الاخر لانتشار مشاعر الوحدة الاسلامية فهو العداء الاوربي العام للاسلام، معتبراً اياه كدين عالمي يقف في مواجهة مستمرة ضد المسيحية. ويشير ستودارد في «العالم الاسلامي الجديد»(169) الى رد فعل المبشرين المسيحيين على انتشار الاسلام في اسيا وافريقيا وبلاد البلقان. بينما يورد هارد في «المسلمون في الهند البريطانية»(74) الامثلة البارزة للجمود الاوربي ازاء الاسلام. وتتناول الكتابات الاتية النقاشات التي اجتاحت بريطانيا فيما يخص اسم «الخلافة» ومنها كتابات جورج بيردود(37) وبارجر(26) في بياناتهما ورسائلهما بعنوان «احكام الخلافة الاسلامية من خلال السوابق والممارسات»(27)، وكذلك النقاشات البرلمانية في Hansard(69) لعام 1877، وايضاً العمل القيم لريدهاوس(147) والذي سبقت الاشارة اليه. وقد أثيرت نفس النقاشات ـ وبحدة اكثر ـ في تسعينات القرن التاسع عشر. ومن الامثلة البارزة لتلك النقاشات كتابات مالكولم ماكول بعنوان «مسلمو الهند والسلطان»(104)، وكذلك سلمونه في «هل سلطان تركيا هو الخليفة الحقيقي للاسلام؟»(153)

ونتيجة للعوامل التي جرت في سبعينات القرن التاسع عشر فقد تجذرت مشاعر الوحدة الاسلامية في الهند. وتم عموماً قبول ادعاءات السلطان بالخلافة «العامة». وقد نقلت الكتابات المعاصرة والاوراق الخاصة بامانة الارتباط التدريجي للمسلمين الهنود بتركيا العثمانية خلال النصف الاخير من القرن التاسع عشر. ويقدم السيد احمد خان في «تهذيب الاخلاق»(158) معلومات قيّمة حول الموضوع. وقد جُمعت لاحقاً بعض اهم مقالاته ونُشرت في Akhiri Aazamin ونُقلت في فترة لاحقة وجهات نظره عن الخلافة الى اللغة الانكليزية من قبل غازي سراج الدين في «الحقيقة عن الخلافة»(159). الا اننا نجد اعمال السيد احمد خان الموسعة فيما نشره اسماعيل بانيباتي بعنوان «مقالات السير احمد»(156). ونجد مرجعاً مهما اضافيا حول السيد احمد خان والعثمانيين وهو بعنوان «السيد احمد خان، جمال الدين الافغاني ومسلمو الهند»(24) لعزيز احمد. ويشير شيراج علي في «الاصلاحات السياسية والتشريعية والاجتماعية المقترحة من الامبراطورية العثمانية والدول المحمدية الاخرى»(53) والمُهدى الى «امير المؤمنين» السلطان الخليفة عبد الحميد الثاني، يشير الى اتجاه الرأي العام بين المتعلمين الهنود. ويتضمن كتاب كارسن دي تاسي«اللغة والادب الهندوستانية في 1871»(1/2) وكتاب بلانت(40) الذي كتبه خلال زيارته للهند في شتاء 1883-1884، اشارات مهمة عن المشاعر الوحدوية الاسلامية المتصاعدة بين المسلمين الهنود. ويعبر الطاف حسين حالي (70)فيما كتبه

ولكن اول من كشف كيف بدأ الهنود المسلمون بالتعامل مع السلاطين العثمانيين (كخلفاء) وذلك في اواسط الحكم المغلي هو السيد احمد خان(155). وتفند شهادته الافكار التي اشاعها الكتاب الغربيون من امثال بيكر(46) وجورج بيردود(37) القائلة بان الاهتمام الهندي بالخلافة العثمانية هو ظاهرة تلت عام 1857. وتحتوي اوراق اللورد وليم بنتنك في مجموعة بورتلاند في جامعة نوتينكهام على اولى الاشارات المعاصرة عن وجود تعاطف عام عند المسلمين الهنود نحو العثمانيين في حوالي عام 1820. وقد نُشرت الان مجموعة من اوراق اللورد بنتنك من قبل اللورد وليم كافيندتش بنتنك الحاكم البريطاني العام للهند للاعوام 1825-1835(138). وللقريشي اشارات مماثلة كتبها في حدود عام 1844 وذلك في «صحيفتان سابقتان للتمرد في دلهي»(144). وتشير مراسلات ماركيز دلهاوز المنشورة من قبل بايرد بعنوان «الرسائل الخاصة للماركيز دلهاوز»(28) الى وجود تعاطف اسلامي هندي مع العثمانيين، مُظهراً قدمها وفاعليتها والقبول العام لها»(147). ويقول جورج بيردود في كلامه المشار اليه اعلاه لصحيفة التايمس اللندنية(37) ان بريطانيا بدأت منذ حرب القرم في 1854 في استغلال صورة تركيا في اذهان المسلمين الهنود بما يخدم سياساتها. وان الصراع الانكليزي- الروسي في منطقة الشرق الادنى واواسط اسيا خلال الجزء الاخير من منتصف القرن التاسع عشر كان عاملا مهماً في تصاعد مشاعر الوحدة الاسلامية. وهو ما يمكن متابعته فى اضابير وزارة الخارجية البريطانية السلسلة 65 و 78 في مكتب السجلات العامة في لندن(139). كما يمكن الرجوع ايضاً الى بنيديكت سومنر في «روسيا والبلقان في 1870-1880»(171)، وفرشتلينك في «العداء الانكليزي- الروسي في شرق تركستان 1863-1881»(58) وكذلك الى السيد انور خان في «انكلترا وروسيا واواسط اسيا 1857-1878»(91). وتوجد مصادر جيدة اخرى منها باكستر بعنوان «انكلترا وروسيا في اسيا»(31)، وبولجر «انكلترا وروسيا في اواسط اسيا»(43) وكذلك تيرينتيف في «روسيا وانكلترا في اواسط اسيا»(173) اما متابعة استغلال بريطانيا لنفوذ السلطان العثماني للتأثير على المسلمين الهنود بما يقتضي ومصالحها خلال الاحداث المفجعة في 1857 فيمكن متابعته لدى مصطفى كامل باشا في «المسألة الشرقية»(84)، والسيد سليمان الندوي(129) والسيد محمود 106). ويمكن الاشارة للمصادر المهمة الاخرى حول هجرة العلماء المسلمين الى المناطق العربية العثمانية بعد ثورة 1857 عند رحمان علي(146) والمفتي انتظام الله الشهابي (161) ومحمد ميان 1210). مع العلم ان العالم الوحيد الذي اقام علاقات مباشرة مع القسطنطينية هو رحمة الله كيرانوي.

ويرى المرء مدى تأثير العدوان الغربي على دار الاسلام والذي ساهم الى حدود بعيدة في تصعيد مشاعر الوحدة الاسلامية في الهند، يجده في العرض الجيد الذي قدمه ولسون في جدول اليوميات المفصل في « الحركات الحديثة بين المسلمين»(182). ويعتبر كتاب اندرسون «المسألة الشرقية 1774/1923»(16) افضل عرض للموضوع ، رغم وجود مراجع جيدة اخرى مثل « مسألة

الاتصالات القديمة بين الهند وتركيا. وان عمل عزيز احمد(25) المشار اليه انفاً، هو عمل رائع للعلاقات بين سلطان دلهي وخليفة بغداد. ويقدم سيدي علي ريس افندي مصدراً مهماً معاصراً في«مرآة الممالك»(13)ملقياً الضوء على التأثيرات العثمانية على كوجرات واجزاء من ديكان خلال القرن السادس عشر. ويتناول بنارسي براساد ساكسينا في «تاريخ شاه جان دهلي»(153) علاقات العثمانيين مع المغل*. ويوجد مرجع جيد اخر هو«مذكرات حول العلاقات الدبلوماسية بين بلاطات دلهي والقسطنطينية في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر»(73) لكاتبه جوزيف دي هامر. ويعتبر كتاب «دبلوماسية المغل» لعبد الرحيم افضل كشاف معاصر لاسس المصادر التركية والفارسية. اما كتاب برنارد لويس «المغل والعثمانيون»(101) فهو كشاف مختصر مكثف للعلاقات العثمانية المغلية. ويشكل كتاب «النظرية السنية للخلافة واثرها على التاريخ الاسلامي للهند»(59) لمؤلفه افتخار احمد الغوري مساهمة جيدة في هذا المجال. وكانت جهود سلطان تيبوTipu لاقامة علاقات صداقة مع العثمانيين هي موضوع عدة مؤلفات منها كتاب حكمت بيور(32)، وكذلك القريشي في كتابه «غرض سفارة سلطان تيبو الى القسطنطينية»(143)، وكذلك «تاريخ سلطان تيبو»(90) لكاتبه خان. في نفس الوقت تكشف اعمال مارتن في«مذكرات ومضابط ومراسلات الماركيز وليسلي خلال ادارته للهند»(1110) كيف استخدم البريطانيون معرفة التيبو للخليفة العثماني لخدمة منافعهم الخاصة في الهند.

ان هذه الاتصالات المبكرة مع العثمانيين قد مهدت الطريق امام المسلمين الهنود لاقامة التزامات اعمق مع الخلافة في اسطنبول. الا ان تأثيراتها لم تتكثف الا في بداية القرن التاسع عشر عندما ضعفت السلطة المركزية للمغل في الهند ضعفاً خطيراً . وشجع انهيار المجتمع التقليــــدي تحت تأثيــــرات الغـــــزو البريطاني توجهات الوحدة الاسلامية للهنود . وخلاف عزيا احمد(22) يذكر ابو الكلام ازاد(20) ان شاه ولي الله قد قبل ضمناً الخلافة العثمانية خلال القرن الثامن عشر مستنداً «للتفهيمات الالهية»(197). وكان ذلك بعد الفتوى المشهورة لشاه عبد العزيز في (1803) (1) الذي اعلن فيها تحول الهند الى دار للحرب بعد الاحتلال البريطاني لها. هذا ما يفسر موقف المسلمين الهنود الذي جاء لصالح العثمانيين حينذاك. وبهذا الخصوص يجب العودة بشكل خاص الى كتابات عبيد الله سنضياء في «Shah Wali Allah awr Unki Siyasi Tahrik» ، وكذلك عزيز احمد(23) في الكتاب الذي اشرنا اليه قبل قليل، لاسيما ما يخص شاه محمد اسحاق والذي كان اول عالم هندي هاجر الى مكة في 1841 وقدم الدعم للمواقف السياسية العثمانية

***المغل** : الاسم الذي أطلق على اباطرة الاسرة التيمورية التي اسسها ظهير الدين محمد بابر، وكان ينحدر من الاباطرة المغول (جنكيزخان) من ناحية امه.

«الاستخلاف»(132) والسيد نجم الحسن في «النبوة والخلافة»(130).

ويضم القسم الثالث اعمال المستشرقين الغربيين الذين ناقشوا المسألة من زاويتهم الخاصة، وارادوا بذلك إما دعم الاعاءات العثمانية في الخلافة او معارضتها. والواقع، اننا نجد الرواية حول انتقال الخلافة من العباسيين في القاهرة متمثلة بالمتوكل الى سليم الاول العثماني، نقول نجدها في المصادر الاستشراقية الغربية. بالمقابل لا نجد اية اشارة لهذه الرواية عند اي من المؤرخين العثمانيين او العرب، عدا ابن اياس(79) على الارجح، وقد وردت اول اشارة لادعاء انتقال الخلافة حسب ستريبلنك في كتابه «الاتراك العثمانيون والعرب، 1511-1574»(170) واستند فيه على فابريكوس وروزينوس في نهايات القرن السابع عشر. ولاحقا، اشار موراج دوهوسن فى عمله الضخم «لوحة عامة للامبراطورية العثمانية»(134) الى رواية مشابهة. وقد نقل فون كريمر(95) وفيل(180) ومولير(126) الرواية عـــن دوهوسن دون السعي لتمحيص دقة الادعاء. الا ان كارل بيكر(34) وويلهالم بارتهولد(30) قد رفضا بقوة رواية دوهوسن. كما رفضها لاحقاً ارنولد عندما كتب عن «الخليفة»(18) في الموسوعة الاسلامية. ورفضها بشكل خاص في كتابه «الخلافة»(17). ويقدم نالينو في مؤلفه «نظرة عن طبيعة الخلافة عموماً والخلافة العثمانية الراهنة»(141)والذي نُشر لاحقاً في 1919 من قبل وزارة الخارجية الايطالية في حملة دعائية ضد العثمانيين، وهو ما يقدم مصدراً مفيداً آخر لتفكير المستشرقين الاوربيين. ومن اهم المراجع الاستشراقية الاخرى نجد ستانلي لين بول في «الخلافة»(98) وليبر في «الخلافة»(103) ماركوليوت في «الخلافة، بالامس واليوم وغداً»(108) وفون كريمر في Culturgeschichte des Orients Unter der Ghalifen»(94). كما نجد إحاطة جيدة حول إدعاءات السلطنة عند مكدونلد في «تطور النظرية الاسلامية الدينية والفقهية والتشريعية»(105). ويعرض احمد اسرار وجهة النظر التركية بشكل جيد في «اسطورة انتقال الخلافة الـــى العثمانيين»(19) والذي ينفي فيه رواية نقل الخلافة للعثمانيين.

ويمكن رؤية المجال التاريخي للوحدة الاسلامية في جنوب اسيا من خلال عدة مصادر. وهناك اربعة اعمال ممتازة لا غنى عنها لفهم الطرق المختلفة لرؤية التاريخ الاسلامي في شبه القارة. وتعود هذه الاعمال لمؤرخين باكستانيين ولشخصيتين علميتين اسلاميتين هنديتين. فيقدم عزيا احمد في مؤلفه «دراسات في الثقافة الاسلامية في المجال الهندي»(25) واشتياق حسين القريشي في «الجماعة الاسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية»(142)، يقدم كلاهما تفسيراً مختلفاً عن كل من محمد حبيب في كتابه «المسلمون الهنود»(123) والسيد عبد الحسين في «الثقافة الوطنية في الهند»(6). وللاخير مؤلف لا يقل اهمية عن المؤلفات السابقة وهو بعنوان «مصير المسلمين الهنود»(5). اما كتاب «الروابط التاريخية والثقافية بين الباكستان وايران وتركيا عبر الاجيال»(85) للدكتور كريم فهو عمل مفيد يعالج

الفئوية في تركيا»(35)، وكذلك نيكي كيدي في مؤلفيها «الرد الاسلامي على الامبريالية»(86) و «السيد جمال الدين الافغاني: تاريخه السياسي»(88)، وايضاً عزيز احمد في مؤلفه «العصرنة الاسلامية في الهند والباكستان 1857-1964»(23) وكذلك في «اتصالات الافغاني في الهند»(21).

وبما ان فكرة الجامعة الاسلامية تدور حول مفهوم الخلافة لذلك بات من المهم دراسة اهميتها الدينية والسياسية. ويمكن تصنيف المصادر عن الخلافة الى ثلاثة اقسام:

يتضمن القسم الاول تلك الكتابات التي تعتمد نظرات الفقهاء المسلمين التقليدين كالماوردي والغزالي. وعموماً يُقبل الماوردي في كتابه «الاحكام السلطانية»(113) باعتباره ممثلا للنظرية الاسلامية السنية حول الخلافة. ومن المراجع الحديثة يمكن الاشارة الى كتابات جيب في «النظرية الماوردية للخلافة»(64) و «نظرة للنظرية السنيةللخلافة»(65). اما وجهات نظر الغزالي فهي موزعة في كتاباته. الا ان «نصيحة الملوك»(61) و «التبر المسبوك»(61) و «احياء علوم الدين »(1130) هي الاكثر تمثيلا بهذا الخصوص. ونجد محاولات افضل لتبويب النظرية السياسية للغزالي عند لامبتون في « نظرية الولاية في نصيحة الملوك للغزالي»(96) وكذلك عند ليونارد بندر في «نظرية الغزالي في الحكومة الاسلامية»(36). ونرى نقاشات مفيدة اخرى عند هارون خان شيرواني في «دراسات في تاريخ الفكر والادارة السياسية الاسلامية الاولى»(163)، وعند روزنتال في مؤلفه «الفكر السياسي للاسلام في الفترة الوسيطة»(150).

يشمل القسم الثاني من المصادر عن الخلافة تلك الاعمال التي كُتبت ليس بهدف تبرير ضرورة هذه المؤسسة في الاسلام، بل ايضاً لدعم المطالبة العثمانية بالخلافة العامة. ومن بين هؤلاء نجد ابو الكلام ازاد في المرجع الضروري والمكتوب باللغة الاوردية وهو «مسائل الخلافة وجزيرة العرب»(20). والامر نفسه نجده لدى الامير علي في عرضه الرائع عن الادعاء العثماني بالخلافة وهو «الخلافة، نظرة تاريخية وقانونية»(15). ونرى نقاشات اخرى مهمة بقلم شاه عبد الحي في «الخلافة»(3) وابو الحسن الندوي في «الخلافة الاسلامية والاتراك»(127) والسيد سليمان الندوي في«الخلافة وقريش»(128) والمولوي محمد طلحا في «مسائل الخلافة واحكام الشريعة»(124) ومالك محمد طفيل في «الخلافة»(140) ومفتي محمد حبيب الرحمن القادري في «أيات الخلافة»(140) ومحمد علي في «الخلافة فى الاسلام»(119) ومحمد اقبال في «الخلافة الاسلامية»(120) ومحمد بركات الله في «الخلافة»(29). وقد تمّ مؤخرا تناول المسألة باسهاب كامل من قبل ابو الاعلى المودودي في عمله الرائد «الخلافة والمُلك»(112). اما وجهة النظر الاسلامية الشيعية فيمثلها شمس العلماء العلامة الحائري في «الخلافة القرآنية»(14) والسيد نسيم حسن في

ورنير في Turkische Skizzen المنشور في 1877 والذي كُتب قبل تموز/يوليو 1876 (181). ولاحقا، استعار كابريل شارمز في 1881 التعبير في مقالة في مجلة Revue des Deux Mondes (55)، وتمّ تعميمه من خلال كتابات عديدة خصوصا مقالة«مستقبل تركيا والرابطة الاسلامية»(51).

وأول من استخدم هذا التعبير في بريطانيا هو ولفرد سكاوين بلانت، وذلك في مقالة كُتبت في عام 1881 ونُشرت في مجلة Fortnightly Review في كانون الثاني/يناير 1882 (38). وفي العام ذاته، نُشرت المقالة باقسامها الخمسة في كتاب عنوانه«مستقبل الاسلام»(38). وهو يرد في الاعمال الاخيرة تحت عنوان «صعود الاسلام والخلافة». اما كتاب «حركة الوحدة الاسلامية(82) فهو كراس رسمي يتضمن مراجعة مفيدة للموضوع أعد تحت اشراف القسم الجغرافي لوزارة الخارجية البريطانية. مع ذلك نجد عرض النظريات المختلفة لاصل وطبيعة الجامعة الاسلامية من خلال كتابات مختلفة لكتاب معروفين من امثال كارل بيكر(33) وادوارد براون(44) ووارمينيوس فامبري(175)وفالنتين شيرول (54) وكولكوهون (55) وبهجت وهبي بيك (178) ومارشاند(107) وسنوك هوركرونج(168) وماركوليت(109) وجلال نوري بيك(133) والبريخت ويرث(183) وجورج يونك(184) وبويت لي(99) وجاكوب لاندو(97) وشريف المجاهد(162). بينما يقدم اخرى عن هذا الموضوع.
بينما يقدم نيكي كيدي(87) ومجيد خدوري(89) وبوري(47) وجيب(66) شروحات وفي مؤلفه «الجامعة الاسلامية»(92)يتناول مشير حسين القيداواني المسألة في اطار المناطق الهندية. بينما تناول السيد حسن تقي زاد في مؤلفه «الجامعة الاسلامية والجامعة التركية»(187) وهوستلر في مؤلفه «النزعة التركية والسوفيات»(77)، يتناول كل منهما مسألة الوحدة في اطار اسيا الوسطى. اما كوشوانت سنك فيعكس التفسير الماركسي للوحدة الاسلامية على انها رد فعل العالم الاسلامي في مواجهة هجمات غير المسلمين، وذلك في مؤلفه «دراسة عن حركة الوحدة الاسلامية»(167)

بقيت الفكرة الشائعة والقائلة بأن جمال الدين الافغاني هو مؤسس حركة الجامعة الاسلامية فكرة مقبولة ومدعومة بالحجج، وذلك الى فترة متأخرة. ومن القائلين بذلك ادوارد براون في كتابه «الثورة الايرانية في 1905-1909»(45)، وكذلك بلانت في «ملاحظاته عن الافغاني»(41)، وفي كتابه «التاريخ السري للاحتلال الانكليزي لمصر»(42). ورددت نفس الفكرة اكناز كولدزيهر عند كتابته عن جمال الدين الافغاني(68)في «الموسوعة الاسلامية». كما ردد نفس الفكرة القاضي عبد الغفار في مؤلفه «عصر جمال الدين الافغاني»(2). وقال بها ايضاً هوتنكر في مؤلفه «العرب»(78). إلا ان كتابات لاحقة نسفت الفكرة المذكورة، مقدمة الحجج بأن حركة الجامعة الاسلامية في الهند قد تطورت قبل ظهور الافغاني الفعلي على المسرح الهندي بفترة طويلة. ومن جملة من تبنى هذا الرأي نيازي بيرك في مؤلفه «تطور

دراسة في مراجع الوحدة الاسلامية
في القرن التاسع عشر
في جنوب اسيا

نعيم القريشي

عُرفت الجامعة الاسلاميةPan-Islamism بطرق مختلفة. الا ان المعروف عموماً هو ان هذا التعبير هو صياغة اوربية على نسق الجامعة السلافيةPan Slavism التي كثر استخدامها في سبعينات القرن الماضي. وقد يكون سبب ظهور هذا التعبير هو تأثر العالم الاسلامي بالدعوات القومية الرومانتيكية المتصاعدة. ويرى بعض المراقبين ان نمو مفهوم الجامعة الاسلامية يترجم نهجاً معيناً لعصبة اسلامية معادية للغرب المسيحي. في حين يراها الاخرون كحلم يجد جذوره في تأثيرات الغرب على دار الاسلام من جهة وفي مساعي الاسلام لتأكيد وجوده من جهة اخرى. اما المسلمون فيرون الجامعة الاسلامية كأُمنية مقدسة وعزيزة لاقامة ذلك النظام الاجتماعي والسياسي الامثل تحت ظل قيادة موحدة، وهو ما كانوا يحلمون به منذ عدة قرون. وبغض النظر عن المضمون الذي يُعطى لمفهوم الجامعة الاسلامية، إلا ان الاكيد هو نزوع هذه الحركة نحو شكل فوق قومي للوحدة الاسلامية يُعتبر تواصلا مع الخلافة.

تبرز عدة مسائل عند دراسة المصادر التي تتناول الوحدة الاسلامية في جنوب اسيا. فالمراجع المعاصرة في اللغات الوطنية غير موجودة عملياً. كما يندر وجود هذه المراجع في اللغات الاوربية، او انها مبعثرة. ورغم هذه المصاعب تسعى هذه المحاولة للاشارة الى المصادر التي لها علاقة بموضوع البحث.

إن اول استخدام معروف لتعبير Pan-Islamism قد حدث من قبل فرانز فون

Al Islam 1982/2 (34)

(35) كمثال على عدم فهم وسوء تقدير بعض الكتاب الاتراك للاهمية البالغة للاسلام بالنسبة للعمال المهاجرين ، راجع:

G.Vassaf, Daha Sesimizi duyurmadiK. Avrupa' da TurK isçi çomKlari (Istanbul 1982), p. 139-142(Caminin yeri).

وفي رأينا فان تحليلا وتقييما أكثر قربا من الواقع يمكن الاطلاع عليه في المرجع ادناه والمنشور بالتركية والألمانية :

D.AKçam; Deutsches Heim, GlucK allein, Alaman ocagi. Wie TurKen Deutsche Sehen (Bornheim 1982).
Arbeitsbuch

1976); S.Yildiz, Vaaz ve hutbeler de camilerde din egitimi, Diyanet isleri Baskanliginin rolu, in TEDES,P. 59-66.

(23) نفس المصدر المذكور في الحاشية 2

(24) هناك مصادر عديدة عن الوضع المدرسي للاطفال الاتراك في المانيا الاتحادية. راجع مثلا:

H.Birkenfele (Ed.), Gastarbeiterkinder ans der turkei. Zwischen Eingliederung und RucKKer (Munchen 1982)

والعناوين المذكورة خصوصاً في الصفحة 172 ، وفي غالب الاحيان لا يذكر التعليم الديني الاسلامي الا بطريقة هامشية. ورغم هذا فأنه يمكن مراجعة كتاب صدر مؤخرا في هذا الصدد:

J.Lahnemann (Ed.), Kutturbege gnung in Schule und Studium. Muslime-Christen, TurKen-Deutsche (Hamburg 1983)

ويتضمن عدة مقالات حول الحوار الاسلامي المسيحي ومشاكل الادماج والمدرسة...

(25) «التعليم الديني الموجه للتلاميذ المسلمين»، عن المعهد الجهوي (الاقليمي) لوضع البرامج الدراسية (اوت 1982)، مخطوط

(26) H.K.BoehlKe, Zur Islamischer Friedhofe in der BundesrepubliK Deutschland. Stellungnahme der Arbeits-gemeinschaft Friedhof Und DenKmal, in: Das Gartenamt, 31 (1982), P. 612-613

(27) آخر كتاب صدر حول الظروف والاوضاع القانونية والاجتماعية والنفسية للعمال المهاجرين الاتراك هو:

Ch. Habbe (Ed.), Auslander, die Verfémten Gaste (Hamburg 1983).

(28) A.Salim Abdullah, Als TurKe in Deutschland Eine Umfrage (Altenberge 1981)

(29) P. Heine, Al Gihad. Eine deutsche propagandazeitung im 1.WeltKrieg. in: Die Welt des Islams, N5, 20 (1980), p. 197-199.

(30) Abdullan, p. 27-31

(31) Al Islam, 1982/6

(32) أُعيد نشره في:

Denffer, Ahmad (Arnim) von (Ed.), Islam hier und heute, Koln 1981.

(33) المرجع أعلاه، صفحة 83-88. أنظر كذلك:

M. Rassoul (Ed.), Deutsche Von Allah (t) geleitet (Koln 1982)

S. Ushu, Yurt disinda bulunan iscilerimizin dini konularda (12)
egitilmeleri ve bu yondeki problemari, in : TEDES, p. 285-290.
Ankara 1981, p. 188 (13)
(14) راجع :
Almanya' da isçi çocuKlari, in TEDES,p.291-293
(15) إن العدد الاجمالي للمدارس القرآنية المدعومة من طرف جهات مختلفة غير معروف. فيما يتعلق بالآراء والحجج التي تقدم لصالح أو ضد هذه المدارس، يستطيع القارىء أن يستفيد من المرجع التالي الذي يتضمن معطيات ميدانية :

H. Thoma-Venske, Islam und Integration. Zur Bedentung des Islam im Prozess der integration turkischer Arbeiterfamilien in die Gresellschaft der Bundesrepublik (Hamburg 1981)
وبصفتها «مؤسسات للتعليم الديني» فان هذه المدارس غير خاضعة للقوانين المدرسية المعمول بها في الأقاليم الفدرالية.
(16) نقلا عن Abdullah, page 98
(17) حسب ما يرد في وثائق دائرة الشؤون الصحافية الانجيلية (E.P.D) 15-18، والتي نشرت منها مقتطفات في:
A.Sezer & D.Thranhardt, TurKische organisationen in der Bundesrepublic:
وذلك ضمن المؤلف الجماعي:
K.H. Meier-Braun & u. PazarKaya (Ed.), Die TurKen. Berichte und informationen zum besseren Verstandnis der TurKen in Deutschland (FranKFurt 1983), p.119-153.
(18) نقلا عن: Abdullah ,p. 102
(19) U. Spuler, Zur Organisationsstruktur der NurculuK-Bewegung, in Festschrift Bertold Spuler(Leiden 1981), p.423-422

تراجع ايضا المصادر الملحقة به.
(20) إن جماعة هذا الالماني الذي اعتنق الاسلام تسمى أيضا.
Tarikat-i alliyye- i Halisyye
وانها توزع تحت اسم Sufi Press Berlin اشرطة مسجلة لحلقات الذكر والموسيقى الصوفية الخ ...
(21) انظر الحاشية أعلاه رقم 11

(22) Almanya-Avusturya ve turkiyé de Din Egitimi (Istanbul 1970); Z.Aksu,Laik Fransa' da Din Egitimin Genel Statusu, in Ataturk Universitesi. Islami Ilimler Fakultesi Dergis (Erzurum

Festschrift Caskel (Leiden 1968), p. 316-335.

Wanzura/Rips, Der Islam. Koperschaft des Offentlichen (2) Rechts (Altenberge 1981), page 15.

Abdullah, op. cit., p. 181 (3)

(4) لقد تحولت المؤتمرات الدينية البروتستانتية وخصوصاً الكاثوليكية الى محافل للحوار الاسلامي ـ المسيحي. أما النقابات فان موقفها من الاتحادات الاسلامية في ألمانيا فيشوبه تحفظ شديد.

(5) راجع في هذا الموضوع التجميع الذي قام به

K. Binswanger, Anatolius Stimmen im Fremden land. Eine Vergleichende Bestandsaufnahme der turkischen Presseorgane in der Bundesrepublik Deutschland, Zeitschrift fur kulturaustausch, 31 (1981), pages 307-311 ;

ولنفس الكاتب :

Turkischer Pressspiegel. Deutsches ans turkischer sicht (n°1 et suiv., 1983-).

CIBEDO-Dokumentation, N°9 (Dezember 1980) (6)

وايضاً دراسة:

K.EKbal, Arabische Arbeitsemmigranten in der Bundes republiK, Deutschland.

التي نشرت في المرجع السابق الذكر:

Brandt/Haase (Eds), Begegnung mit TurKen...

انظر ايضاً المرجع التالي:

K.H.Meier-Braun, Auslander und AuslanderpolitiK in der Bundesrepublic

الذي نشر في:

Der Burger im Staat, 32 (1982), page 195-200.

Iran-Echo, Bonn, n°27, 2 VII, 1981 (7)
(ed. Ambassade de la République islamique d'Iran)

(8) «الاكاديمية العلمية الاسلامية لدراسة العلاقات المتبادلة مع الكنيسة الغربية، جمعية مسجلة».

Abdullah, .p 95 (دون مصادر) (9)

Renden Wir miteinauder, Berlin, Foderation islamischer (10) Vereinigungen und Gemeinden (August 1982), p. 68.

(11) راجع

N. Aslanpay (Ed.), 1924-1973 Diyanet Isleri Baskanligi (Ankara 1973), p. 85

مراجع البحث

ان اهم مراجع موضوعنا هذا سيشار اليها في الحواشي أدناه. يجد القارىء معلومات غنية في :

H.-J. et C.-P. Haase (eds), Begegnung mit Turken, Begegnung mit dem Islam. Ein Arbeitbuch, Teil 1-3, Hamburg 1981-1982.

وهناك كتاب لا غنى عنه في هذا المجال وإن كانت تنقصه الدقة في كثير من الاحيان :

M.S. Abdullah (& H. Krawinkel), Geschichte des Islams in Deutschland, Graz 1981.

والكاتب هو ممثل «مؤتمر العالم الاسلامي» في ألمانيا الاتحادية.

إن افضل عرض للأسلام الألماني في رأيي هو كتاب ·

Denffer, Ahmad (arnim) von (ed.), Islam hier und heute. Beitrage vom 1.-12. Treffen deutschsprachiger Muslime (1976-1981), Koln, 1981.

توجد وجهات نظر وآراء وهي في معظمها صادرة عن اتراك في

Turkiye 1. Din Egitimi Semineri. 23-25 Nisan 1981 (Ankara, s.d.)

ويضم أعمال المؤتمر التركي الأول حول التربية الدينية الذي سنشير اليه فيما بعد بـ T.D.E.S ومن جهة اخرى يمكن مراجعة المجموعات التالية:

CIBEDO- Dokumentation, n°1 et suiv., 1978 - ;
CIBEDO- Information, n°1 et suiv., 1978 - ;
Handreichung 1- et Aktuelle Fragen 1-, Verlag fur chritslich - Islamisches Schrifttum, 1980-,

وكذلك منشورات

Verlag Islamische Bibliothek/Muhammad Rassoul, Koln.

للحصول على معلومات إضافية او مرتبطة بالأحداث الجارية، تراجع الجرائد اليومية والمجلات الأساسية الصادرة باللغة التركية مثل Anadolu (ل HicreT ,Milli Gazette ,Tercuman ,(1982/2/9

وكذلك تلك التي تصدر بالألمانية مثل مجلة AL ISLAM الصادرة في ميونيخ والمعبرة عن مواقف المسلمين الناطقين بالألمانية ويشرف عليها Ahmed Schmeide .

يجد القارىء معلومات جيدة الاطلاع في :

(1) O.Spies,Schieksale Turkischer Kriegsgefangener in Deutschland nach den Turkenkrigen.

وكذلك (مع المزيد من المصادر) في ·

ان «دار الاسلام» هي مبادرة حرة ومستقلةللمسلمين الالمان. انها لا تنتمي الى اي
تيار وليست ملك أية جماعة محددة أو مؤسسة أو مسجد أو مركز. إنه لم يطلب ولن
يطلب أي دعم من أية جهة رسمية وخصوصاً من إلحكومات الشرق اوسطية(ما يدعى
بلدان البترودولار). إن الاستقلال والثقة الكاملة بالله يمثلان الواجب الاسمى»(31).

إنني لا اعرف إذا ما كانت الاشارة الى البترودولار ذات علاقة ما بمحاولات إنشاء
و تطوير مراكز اسلامية مدعومة بقوة من طرف الامكانيات المالية لدول الخليج وليبيا
كما هو الحال مثلا في ميونيخ. على كل حال علينا ان نلاحظ باهتمام بالغ الأجوبة التي
ستعطى مستقبلا للسؤال المتعلق «بوطن المسلم الألماني». وفي هذا الصدد يقول
Achmed Schmiec ، الناشر السابق لمجلة«الاسلام» متخذاً موقفاً لصالح اسلام
منغرس في التربة الالمانية:

> «بالنسبة للكثير من الألمان الذين اعتنقوا الاسلام، كان الاتراك او الباكستانيون او
> العرب او مسلمون من جنسيات اخرى هم المولدون الذين جلبوهم للاسلام. وإن الله
> سيرضى عليهم ويكافئهم. ولكن هؤلاء الاصدقاء يريدون ان نصير مسلمين وليس
> باكستانيين او اتراك او عرب. إننا بتقليدنا لطرق وسلوك وعادات اجنبية نحكم على
> انفسنا بالعزلة ونحرم انفسنا من فعالية حججنا وبراهيننا. إننا لن نقنع أحداً ببهرجة
> فضفاضة ولا بخطابات محشوة بألفاظ عربية. ان هذا لن يتم الا اذا التزمنا حياة اسلامية
> اي نمط حياة الماني يُعاد التفكير به ويعاد تركيبه في وجهة اسلامية»(32).

عندما نتصفح مجلة«الاسلام» وخصوصا بريد القراء، نرى نوعية المشاكل التي
يواجهها هذا «النمط الحياتي المعاد تركيبه في وجهة اسلامية». ويذهب بعض هؤلاء
المسلمين الجدد الى ان «جرعة قوية من التقليد للمسلمين الشرقيين لهي امر صحي
يجب الدعوة اليه.. بما أننا لا نريد أن نحتفظ بثقافة الكفار ولكن إنشاء ثقافتنا
الاسلامية الخاصة بنا»(33). ويقول مسلم آخر حديث الاعتناق للاسلام ان الخدمة
في صفوف الجيش الالماني تطرح له مشكلة شرعية(34).

والخلاصة، ان الطابع المأساوي لهذا الاختيار الصعب يظهر ربما جلياً لمّا يتساءل
المسلمون الألمان عن ضرورة الهجرة من المجتمع الكافر ام لا، في حين ينظر
المسلمون الاتراك الى بلدهم على اساس انه (دار الحرب). ومهما كان الحال فان
الجمهور الالماني يظل منغلقاً امام تفهم الدوافع والدعوة التي يحملها مواطنوه
المسلمون(35).

إننا لم نعالج في هذه الصفحات الا الجوانب الخارجية: احصائيات، قانون،
مؤسسات... ولكن بما أن هذه الوقائع غير معروفة خارج المانيا الاتحادية وخارج تركيا
فان عرضها ربما كان مبرراً.

الاستقرار . ان مجمل الممارسات التي كان يقوم بها المسلم التركي في بلاده من الولادة حتى الموت مرورا بالختان والزواج صار من الممكن ان يمارسها في المانيا، ورغم كل العراقيل. ومن المؤشرات الواضحة على هذا اضمحلال عادة ارسال الموتى الى تركيا لدفنهم، وهو ما يعبر عنه ازدياد المقابر الخاصة بالمسلمين(26). واليوم تتوفر اسس حياتية متينة تسمح للاتراك المسلمين بالحفاظ على لغتهم وعاداتهم، وهذا ليس فقط بالنسبة للمدن الكبرى بل وحتى في المدن الصغيرة. وقد عززت هذه الوضعية من الحدود التي تفصل المجتمع الاسلامي التركي عن المجتمع الالماني وجعلت امكانية القفز على هذه الحدود صعبة من قبل الطرفين(27).

وإذا صح، كما سبق وان قلنا، انه تصعب الاحاطة بالوشائج والروابط بين الجمعيات والمنظمات الاسلامية فأن ذلك يصح ايضاً على وضعية الممارسات العبادية للمسلمين الاتراك بالمانيا. إلا ان بعض المعلومات التي وفرها المؤتمر الاسلامي الاعلامي تسمح بالقاء بعض الضوء بهذا الخصوص. وهكذا نجد ان 58% منهم يشارك في صلاة الجمعة و30% بطريقة منتظمة و54% من البالغين يصوم رمضان(28).

ان الاسلام في المانيا ليس له وجه تركي فقط(29). فحول جامع برلين ويلمرسدروف الذي انتهى العمل به في 1927 تحلق العديد من الجمعيات الاسلامية الوطنية، التي كان معظمها من اصل طلابي. ومعهم ايضاً هناك اول جمعية للالمان الذين اعتنقوا الاسلام وكان اسمها «الجمعية الجرمانية الاسلامية»(30). وبعد انهيار الرايخ الثالث عاد جامع برلين كنقطة استقطاب للمسلمين الالمان والاجانب. وقد كان إمامه الثاني الذي عُين في 1949 شاباً المانياً يدعى محمد امان هربرت هبوهم Muhammad Aman Herbert Hobohm.

وفي الخمسينات انشأت الحركة الاحمدية جوامع في هامبورغ(1957) وفرانكفورت(1959) واستطاعت ان تكسب للاسلام عدداً من الالمان. ولكن الستينات كانت هي المرحلة التي عرفت تزايداً كبير في عدد الالمان الذين اعتنقوا الاسلام. واليوم يبلغ عددهم بضعة الاف من اصل الماني خالص. ويضاف الى هذا الرقم عدة الاف من المسلمين بالولادة والحاصلين على الجنسية الالمانية. وبعض هؤلاء يمارس نشاطاً كبيراً على الساحة الالمانية، ومنهم على سبيل الذكر المصري محمد رسول الذي يدير دار نشر اسمها المكتبة الاسلامية. وتنشر هذه المكتبة كتب عن الاسلام باللغة الالمانية. ان الدورية الناطقة باسم المسلمين الالمان هي مجلة «الاسلام»(Al-Islam) الصادرة في ميونيخ. ومنذ سنة 1976 اعتاد المسلمون الالمان الاجتماع دورياً ثلاث مرات في السنة في اكس‌لاشابيل وهامبورغ وميونخ وابتداءً من 1982/9/1 اصبحت لهم مؤسسة في اكس‌لاشابيل اسمها «دار الاسلام». ويقول احمد (ارنيم) فون دينفر عن هذه المؤسسة ما يلي:

باعطاء انتعاش لعناصر الايمان وقواعد السلوك الاسلامي (الاركان الخمسة)، مع اخذ المحيط غير الاسلامي بعين الاعتبار. وهنا تتجلى الاهمية القصوى لعناصر العقيدة الاسلامية التي تسعى الى تقوية التعايش بين البشر على اختلاف اديانهم وثقافاتهم. إن المسلمين ليسوا متقاعسين في هذا المجال اي في مجال تقديم دينهم الاسلامي كرسالة سلام. إن واجب المعلم المسلم هو ان يتمثل ويستفيد من تعاليم المصادر الاسلامية وان يوظفها بربطها بالواقع المعاش لتلامذته وبالمقابل ان يفسر الواقع المعاش لتلامذته على ضوء المصادر الاسلامية»(25).

في هامبورغ سيبدأ العمل انطلاقا من صيف 1983 بنموذج تعليمي يرتكز على الكتب المدرسية والمسموح بها للخارج، والتي وضعتها الـ DIB الحكومية. وسيكون المعلمون من الاتراك بطبيعة الحال لكنهم لن يخضعوا ـ كما هو الحال في بافاريا ـ لقضاء السلطات التركية.

وكما هو الحال في تركيا فان التعليم الديني الاسلامي الرسمي يعتبر في المانيا الاتحادية السلاح الاكثر فاعلية ضد المدارس القرآنية الحرة. وفي الواقع فان هذه الاخيرة لا تخضع لاية رقابة مدرسية. ان الجدل القائم حول هذا الموضوع قد احتد كثيراً خلال الخمس سنوات الاخيرة الى درجة لا يمكن معها تلخيصه في هذه السطور. إن سند معظم هذه المدارس القرآنية يأتي من جمعيات I.K.M.B و A.M.G.T .

إن هذه المنظمات قد طالبت انطلاقا من 1979 بالاحتفاظ بالمدارس القرآنية الاختيارية ملحقة بالجوامع، وهذا حتى بعد ادخال مواد الدروس الاسلامية الاجبارية ضمن برامج المدارس العمومية.

من كل ما سبق الكلام عنه الى الآن تتجلى ضرورة ايجاد وتوفير عاملين ذوي كفاءة للتعليم الديني الحر والرسمي، وكذلك للوظائف الدينية في المساجد.

ومع وقف هجرة العمال سنة 1973 وإقرار قانون تأشيرة الدخول الاجبارية ست سنوات بعد ذلك، فان اللجوء الى معلمين اتراك صار صعباً للغاية. وهكذا فأن العديد من المعاهد غير الرسمية تحاول ان تكّون طاقمها الخاص من المعلمين والمربين. ولنورد على سبيل المثال Almanya Islam Akademisi التي اسسها عام 1981 (Mehmed Bilgic) واخرون، وهي تضم اليوم(1983) 53 طالباً موزعين على فصلين. وعلى نفس الصعيد ولخدمة نفس الاغراض يمكن ان نذكرYuksek Islam Enstituleri في تركيا. وبما ان الدعم السعودي والتركي الموعود به لم يتحقق بعد فان المعهد لا يعيش الا على مساهمات الطلبة التي تبلغ حالياً300 مارك لكل طالب.

ومثل هذه المشاكل مطروحة في كل البلدان التي يتواجد بها المسلمون بشكل اقليات. رغم هذا فان الاتراك المسلمين في المانيا قد تجاوزا مرحلة السعي نحو

«لو كان هناك اعتراف فعلي بالاسلام ككيان من كيانات القانون العام، لتمتع اطفالنا في المدارس الالمانية بمعاملة أحسن ولكان للاباء العاملين عطلة كل يوم جمعة لصلاة الجمعة.. ولكان لهم مرتين في السنة، بمناسبة احتفالات رمضان الدينية وبمناسبة عيد الاضحى، ثلاثة او اربعة ايام عطلة في كل مرة، ولاستطاعوا ايضا في مناسبات الدفن والزواج وختان الاطفال ان يلبوا اكثر فاكثر ودون عراقيل مقتضيات دينهم».

ومن النتائج الاكثر اهمية التي يمكن ان تترتب على الاعتراف باتحاد او بضعة اتحادات اسلامية في المانيا حذف بعض البرامج الدراسية غير المرغوب فيها من طرف المسلمين، وكذلك ابعاد مبعوثي الDIB التابعة للحكومة التركية عن مناصب تدريس المواد الدينية الاسلامية. ولكنه من المستبعد ان يتم هذا في المستقبل القريب وذلك اساساً بسبب التنافس القائم بين الاتحادات وبالدرجة الاولى في المنطقة الفدرالية الاساسية، اي رينانيا الشمالية- ويستفاليا. وبما ان الاعتراف القانوني بالاسلام ككيان من كيانات القانون العام ليس شرطاً مسبقاً للقيام بالطقوس الدينية ولا لممارسة تعليم ديني اسلامي، فان مبدأ «واجب الحياد من طرف الدولة تجاه الاسلام» يظل عنصراً فاعلا قوياً(23).

ولابد لنا ان نشير الى ان التفاهم الضمني الموجود بين نظام انقرة والسلطات الالمانية يسبب ازعاجاً قويا للمنظمات الاسلامية التركية وللمسلمين من باقي الجنسيات. لهذا تسعى هذه المنظمات للتحصن بالمسلمين الالمان ودفعهم الى الخطوط الامامية عبر هيئة «كموءتمر العالم الاسلامي» حيث تمتاز هذه المنظمة بأنها عالمية وفوق دينية(Super Confessionnelle) بالاضافة الى انها تملك مرتكزات قوية داخل المسلمين الالمان.

إن العلاقة الوثيقة الموجودة بين مسألة الاعتراف ومسألة التعليم الديني في المؤسسات ذات التعليم المشترك قد سبق وتناولها باحثون اخرون(24). ولا زال الوضع الى اليوم صعب التمييز. فالدروس الاسلامية في بافاريا على سبيل المثال تعطى للاتراك في فصول مزدوجة اللغة وحسب البرامج التركية ومن قبل اساتذة اتراك. ويتلقى قرابة 80% من التلاميذ هذه الدروس. وفي رينانيا الشمالية وويستفاليا استند الى القانون الاساسي والقانون الخاص بالتعليم الاجباري والى القانون الخاص بادارة المدارس، في بلورة مشروع برنامج الدروس الاسلامية. وقد انشأت اللجنة المخولة بذلك وابتداء من 1980، مجموعة من الوحدات التعليمية وقامت باختبارها على محك الممارسة المدرسية. وهذا المشروع لا سابق له في المانيا الاتحادية. ولنورد على سبيل المثال بعض الفقرات المأخوذة من العرض المقدم لتبيان دوافع هذا المشروع والذي يتوجه الى تلاميذ الفصول الاربعة الاولى:

«ان مصدر الفهم والقدرة على التعامل الفعلي مع الواقع الذي يعيشه المسلمون في المانيا هو الاسلام ـ القرآن والسنة. من هذا المنظور يتعلق الامر بالدرجة الاولى

طلب الاعتراف في رينانيا الشمالية_ ويستفاليا بتاريخ 1979/3/1 . وفي برلين توجه «اتحاد المنظمات والجمعيات الاسلامية» بتاريخ 1980/5/7 الى المسؤول الاعلى للتعليم، وذلك للحصول على حق التعليم الديني للاطفال المسلمين. يشمل هذا الاتحاد 26 جماعة اسلامية وزيادة على اعضاء A.M.G.T فاننا نجد ضمنه ايضا اعضاء في حركة Nurcu وجماعات اخرى ايرانية وافغانية وعراقية. وفي نيسان/ افريل 1983 تأسست في رينانيا الشمالية_ ويستفاليا تحت اسم «اتحاد المراكز الاسلامية في المانيا» (21) منظمة تشمل جمعيات تابعة لـ A.M.G.T من جهة والاخوان المسلمين من جهة اخرى (Tercuman(1983/4/22). إن اتحادات من هذا النوع سترى النور دون شك في مناطق فدرالية اخرى من المانيا. وقد جاء هذا بعد مرحلة طويلة نسبيا، وذلك لفتح الحوار مع السلطات المكلفة بالنظر في الشؤون الدينية في كل اقليم فدرالي.

أمام هذه الجهود تبادر السلطات التركية الى الزعم بأنها الممثل الحقيقي للمصالح الدينية للاتراك في الخارج، وهذا رغم الانتقادات الكثيرة التي توجه اليها في هذا الصدد (22).

إن اشكال الاعتراف الرسمي بالاسلام في بلجيكا والنمسا مثلا حظيت بتحليلات معمقة، ولكن اهميتها ليست بمستوى المانيا الاتحادية،وذلك لاسباب خاصة.

تنص المادة السابعة، القسم الثالث من القانون الاساسي لألمانيا الاتحادية على ان التعليم الديني هو درس عادي من دروس المعاهد العمومية. «يمارس التعليم الديني حسب مباديء الجماعات الدينية ولا حق للدولة في التدخل في هذا الصدد».

وقد ادمجت المواد 136 - 141 من دستور فيمار لعام 1919 ضمن المادة 140 من القانون الاساسي الحالي. وهكذا فأستنادأ الى المادة 137 تعتبر حرية تكوين جمعيات دينية حقاً مضموناً. وتعتمد الاتحادات الاسلامية اساساً على فقرات من المادة المذكورة تقول: «إن الجمعيات الدينية تبقى كيانات تابعة للقانون العام حسب الشروط السابقة نفسها. وهناك جمعيات دينية اخرى يمكن ان تمنح لها_ اذا طلبت ذلك_ حقوق مماثلة واذا كان تشكيلها وعدد اعضائها مما يضمن لها الاستمرار. إن الجمعيات الدينية ككيانات تابعة للقانون العام مسموح لها بأخذ ضرائب حسب سجلات الضرائب المدنية وحسب القوانين الجاري بها العمل في البلاد».

وفي الحقيقة فالأمر لا يتعلق بالنسبة للاتحادات الاسلامية المتواجدة على الساحة بأخذ «ضرائب مسجد» كما يدعي ذلك خصومها بين الفينة والاخرى. وقد عبرت منظمة I.M.K.B بوضوح عن موقفها في مقطع اخر من النص الذي سبق ذكره

على المسلمين غير الواعين وبث الخوف في قلوبهم : «إذا ذهبتم بعيدا في هذا الاتجاه فستفقدون جواز السفر او ستلقون في غياهب السّجون عند دخولكم الى تركيا خلال العطلة. خذوا حذركم، لا تدخلوا صحيفة Hicret الى تركيا والا فانكم ستعرضون انفسكم للمشاكل». أما القنصليات التي تلعب دور جهاز التجسس والقمع التابع للنظام الكافر في الخارج فانها تجهد نفسها باستعمال هذا الضرب من الشائعات لزرع الخوف في أفئدة الشعب المسلم».

أما حركة Nurcu فانها تنطلق ايضاً من منطلق أن «الاسلام في ألمانيا ليس ظاهرة مؤقتة». وعكس منظمات A.M.G.T و I.K.M.B فهي لا تثير كثيراً من الكلام حولها،بالرغم من أنه كان لها اتباع في برلين منذ 1958 أي قبل بداية موجة الهجرة التركية. هذا اضافة الى ان مؤسسها سعيد نرسيSaid Nursi(1873-1960) أقام شهرين في برلين بعد عودته من الاسر في روسيا بعد نهاية الحرب العالمية الاولى وكانت له، حسب بعض المصادر مناقشات ومحادثات مع مثقفين وفلاسفة ألمان. إن نظام المراتب داخل حركة Nurcuوالذي ازداد تعقيداً مع مرور الزمن يجعل من الصعب على الباحث أن يعرف ما إذا كانت هناك فعلا منظمة عالمية لحركةNurcuوما هو الدور الذي يلعبه مركزكولون في هذه المنظمة إن وجدت وايضاً موقع القوى الفعالة التي تلعب دوراً مهماً في انتشار واتساع رقعة المنظمة في الخارج. وهل يجب اعتبارها من الDostlar (والDostlar- الاصدقاء- يشكلون المرتبة الثانية في حركة Nurcuبعد المراتب العليا)(19).

والشيء الاكيد هو تخصص أعضاء هذه الحركة في ضرب من «المهمة الداخلية» في صفوف أتراك المانيا وذلك مع التركيز على استعمال كتابات الشيخ المؤسس.

أما التيارات الصوفية فهي، بطبيعة الحال، ممثلة ايضاً على الساحة الاسلامية الالمانية. وينقصني المجال هنا لأتناول بالتفصيل هذا الموضوع. لكن فلنورد على سبيل المثال الجماعة الصوفية للمولوية الرفاعية التي يوجد مركزها في برلين والتي اسسها ألماني اعتنق الاسلام (20).

وإذا ما عدنا الى مسألة الاعتراف بالجمعيات الاسلامية فان الطبيعة المؤقتة والعامة لهذه الملاحظات وعدم صلاحيتها لرسم تصور لمستقبل الاسلام في ألمانيا يبدو جلياً، ذلك أن كل شيء لا زال يتطور في هذا الميدان ولابد من انتظار نتائج أعمال اللجنة التي جمعها المؤتمر الدائم لممثلي الديانات .

وهناك اليوم عدد كبير من الطلبات قدمتها اساساً اتحادات كبرى تابعة، لI.M.K.B و A.M.G.T. وكما قلنا سابقاً فان I.M.K.B هي الاولى التى قدمت

الوطني (M.S.P)، بمثابة الصحيفة الناطقة باسم هذه المنظمة. وتسمح، في الوقت الحاضر، الطبعة الالمانية بالحصول على بعض المعلومات حول نشاط هذه المنظمة العاملة بالخارج.

وهناك ايضاً جمعية طلابيةIslam Yuksek Talebe Cemiyeti ويرأسها طبيب هو الدكتور يوسف زين العابدين الذي يرأس الجمعية الاوربية Avrupa Milli Gorus Teskilati Genel Baskani . وقد اخذت مطبوعات جمعية الشبيبة منذ آذار/مارس 1983 تظهر تحت اسم D.I.G.T اي المنظمة العالمية للشبيبة الاسلاميةDunya Islamci Genclik Teskilati.

بالاضافة الى صحيفةMelli Gazette، فانA.M.G.T تملك منذ عام 1982 مجلة أسبوعية Hicret مكرسة خصوصاً للشؤون الاسلامية، وتُنشر في كولون من قبل المركز الاسلامي الذي يمثل الهيئة المركزية لـ A.M.G.T. وان موقف A.M.G.T من النظام التركي ومن سياسته الدينية موقف لا لبس فيه، ولقد انتقد مقال غير موقع مشروع الدستور الجديد في تركيا15 / 8/ 1982 بالتعابير التالية:«إنهم في سبيل تحضير قانون أساسي يجعل لله شريكاً يقف معه على قدم المساواة. ويجري النقاش في هذا الموضوع امام الناس. والمسلم الموجود في تركيا لا حق له في الكلام».

وقد نشر المركز الاسلامي مباشرة وكرد على مشروع الدستور هذا، مشروع «دستور حسب تطلعاتنا». وبه اشارات كثيرة الى الاسلام الرسمي في تركيا ومنها على سبيل المثال.

> «إننا نتطلع الى قانون أساسي يستطيع تحت ظله المجاهدون الذين يحملون هم الأمة ان يعبروا عن آرائهم عبر الاذاعة والتلفزيون وليس السياسيون المخربون والكفار الذين يدعون:«انظروا الى قلوبنا، نحن ايضاً مسلمون»، ولا المنافقون ذوو الوجهين الذين يقرعون طبول الظلم ولا يرفعون اصواتهم احتجاجاً ضد هؤلاء الذين يقرؤون خطبة الوداع بعد أن يحذفوا منها المقطع الذي يحرم الربا في الاسلام».

إن المقاومة ورفض التكيف والادماج هي مقومات السلوك الذي يجب اتباعه حسب اراء نفس الكاتب فيما يتعلق بوضعية المسلمين في اوربا. ويستطرد قائلا

> «جزاء ما يلاقونه من عذاب فان الله جعل منهم مسلمين واعين ولكن حتى هم لا يتوصلون دائماً الى التحرر من تخوفات لا اساس لها. ذلك ان بعض القوى المؤذية التي ترعبها الحركة الاسلامية الواعية في اوربا، تحاول جهد المستطاع ان تضع العوائق أمام هذه الحركة وذلك عن طريق ارسال التهديدات المقصود منها التأثير

عكس هؤلاء يبدون مهتمين اولا وقبل كل شيء باتباع سلوك في الحياة الفردية اليومية يكون سلوكاً صحيحاً خاضعاً لمقتضيات الشريعة الاسلامية. ولهذا فهم اكثر استعدادا لتقبل الدولة العلمانية طالما لم تضع هذه الاخيرة اية عراقيل امام هذا السلوك.

«إن بغيتنا الوحيدة هي القيام بالواجبات التي فرضها القران الكريم. وانني أؤكد هنا على أننا في ممارسة واجباتنا الدينية نقبل ونحترم القوانين الجاري بها العمل

هذا التأكيد موجود ايضاً في وثيقة توجيهية أصدرتها قيادة منظمة I.K.M.B بتاريخ 1980/5/26. ورغم هذا فان الجمهور الالماني اعتراه الكثير من القلق، خلال سنوات 1978 — 1981 بسبب مقالات نشرت بالمجلة الاسبوعية Anadolu. وكانت هذه المجلة ذات المستوى المحترف والتي يديرها E.Olcayto قد فتحت صفحاتها المركزية لمداخلات وتفسيرات دينية في الاوساط السليمانية مما سمح للامام الاكبر بكولون هارون رشيد تويلوغلو ان يتدخل على صفحاتها بطريقة منتظمة. وهذه المقالات التي نشرت في باب «التعايش بين الألمان والمسلمين الاتراك» واتخذت في قسم منها شكل الفتاوى الشرعية، انتشرت على نطاق واسع عن طريق وسائل الاعلام النقابية والكنيسة(17).

ومن الاكيد ان هذا هو ما دفع E. Olcayto في نهاية 1981 إلى إغلاق الباب أمام هذا النوع من التعبير الحر عن الآراء. ولقد غادر هارون رشيد تويلوغلو ألمانيا الاتحادية. وتوقفت مجلة Anadolu عن الصدور 9/ 2/ 1982 في نفس هذه الفترة. وقد وجه الزعيم الاعلى للطريقة كمال قصار الى الكاردينال هوفنر رئيس مجلس الاساقفة الالماني وإلى جهات مسيحية اخرى رسالة بتاريخ 91/ 8/ 1980 عبر فيها عن اختلافة مع «الطروحات والتعابير» غير الموفقة التي استخدمت بصدد المسيحية على صفحات Anadolu(18).

وفي نفس الفترة كان فرع I.K.MB. بكولون قد قدم الى السلطات الفيدرالية في رينانيا الشمالية ـ وستفاليا، طلب اعتراف به في إطار القانون العام بعد غياب مجلة Anadolu عن الساحة كناطق رسمي باسم التيار السليماني، لم يعد هناك غير الطبعة الالمانية للجريدة اليومية Tercuman لاعطاء بعض المعلومات عن انشطة هذه الحركة.

أما الجماعات الاسلامية الموحدة تحت اسم A.M.G.T فانها تملك أيضاً شبكة تنظيمية جد محكمة. ولكن وضعها أكثر وضوحاً من وضع I.K.M.B المسيّرة ربما من طرف قيادة سرية عليا (ديوان). ولقد اعتبرت الصحيفة اليومية Melli Gazette التي تطبع في اسطنبول وفرانكفورت، إلى ان منع حزب الخلاص

الموجودين في اوربا واشتكى من الحالة المزرية التي يعيشونها على المستوى التعليمي والديني خصوصاً.
وحسب اقواله فأن بعض المساجد قد مُنعت على مسلمين من انتمائات معينة وان عملية الاستقطاب والدعاية السياسية تجري على قدم وساق. بالاضافة الى ان هناك رفض لسلطة الدولة وشتائم موجهة ضد D.I.B. ويقول نفس الموظف ان الكثيرين يلجؤون الى البلدان المسيحية ليعلنوا من هناك ان تركيا **دار حرب**، ويقترح المضادات التالية: يجب ان تمنع اية مؤسسة اخرى غير D.I.B من ارسال رجال دين الى الخارج وان يمنع تجديد جوازات سفر الاشخاص المعروف عنهم القيام بأعمال «ضارة» مرتبطة بالمساجد وبالتأطير الديني للعمال المهاجرين(12).

ان كلام هذا الموظف له دلالاته المرتبطة بالوضع السياسي الداخلي للدولة التركية، وبالوضع العام الذي تعيشه منطقة الشرق الاوسط وتأثيراته على تركيا. ففي كتاب «ما قبل وما بعد 12 ايلول» الذي نشرته السكرتارية العامة لمجلس الامن الوطني بعد استيلاء العسكريين على السلطة نجد في فصل معنون «الرجعية تعرض قوتها» اشارات الى تجمعات في «بون»و «ميونيخ» رفعت خلالها لافتات تحمل شعارات مثل «**من اجل تركيا مسلمة**» و «**الاسلام هو الطريق الوحيد**» و «**اليوم ايران وغداً تركيا**». ويُستنتج من الفصل المذكور ان الفرع الاوربي لفرع الخلاص الوطني (M.S.P) الذي يتزعمه نجم الدين اربكان والذي مُنع فيما بعد، هو المقصود بهذا الكلام(13).

ويبدو جلياً ان منظمة I.K.M.B وجدت نفسها بعد 12/9/1980 اقل تعرضاً من اعضاء وموالي منظمة A.M.G.T لقمع النظام العسكري الجديد. هذا ما يبينه ايضاً تمكن سكرتيرها العام أ. بولات الذي كان يُعتبر قبل الانقلاب العسكري حلقة الوصل بين حزب العدالة(A.P)و (I.K.M.B) من المشاركة في دورة انقرة المكرسة للتربية الدينية (اعلاه) ومن القيام بالدعاية للمراكز الثقافية الاسلامية التي تسمح بها وتدعمها الدولة الالمانية، «والتي تلعب دوراً مهماً في تلبية الحاجات الدينية للاتراك في المانيا»(14).
إن المراكز الثقافية الاسلامية يشار اليها غالباً بأسم الجمعيات «السليمانية»، وذلك نسبة الى سليمان حلمي توناهانTunahan(توفي سنة 1959). ويتزعم نسيبه كمال قصار اليوم هذه الحركة التي برزت في تركيا اول ما برزت بتدخلاتها الفعالة لصالح انشاء وتنظيم مدارس قرآنية(15).

ورغم ان بيانات الحركة نادرة فانه بامكاننا ان نشير الى روابطها القوية مع النقشبندية، وبطريقة اكثر تحديداً مع فرع «المجددية» الذي اسسه احمد فاروقي السيرهندي (توفي1624-1625). واعضاء «السليمانية» قريبون ومتفقون مع اعضاء A.M.G.T فيما يتعلق بضرورة عودة الدولة الاسلامية. ولكنهم على

هذه الصعوبة ان اسماء الجمعيات المختلفة كما هو وارد في السجل الالماني للمجمعيات لا يسمح إلا نادراً بتمييز يقيني لانتماء هذه الجمعية او تلك الى تنظيمات وتيارات محددة. إن تسميات مثل (Medreseti Nuriye) كعضو في «اتحاد الجمعيات الاسلامية في برلين» لا يدع مجالا للشك، في حين ان تحديد انتماء مسجد او مدرسة قرآنية الى «منظمة الوجهة الوطنية» هو امر غير اكيد للوهلة الاولى(10).

ولكن اغلبية المؤمنين الذين يشاركون بطريقة منتظمة في صلاة الجمعة ليسوا اعضاء في جمعية مسجلة وهم في الغالب ليسوا على علم بأنتماء المسجد الذي يؤمونه الى جمعية ما.

وتتكون مجالس ادارة المساجد في كثير من الاحيان من اعضاء منتمين الى منظمات اسلامية مختلفة. وقد يحدث ان تضم موظفين في إدارة الشؤون الدينية التابعة لانقرة واعضاء عن «الاخوان المسلمين» مروراً بمنظمتي (I.K.M.B) و A. M. G. T. وفي حين ان السجالات العنيفة كثيراً ما تندلع بين قيادات المنظمتين الاخيرتين، فأن الانسجام والتفاهم يسود على مستوى القاعدة.

ان استثمار حالة الصراع بين ادارة الشؤون الدينية (Diyanet Isleri Baskanligi (D.I.B) المبعوثة من طرف الدولة التركية وبين المنظمات الاسلامية مثل A.M.G.T و I.K.M.B. وطرحها بمستوى قطبين متنافسين على الساحة الاسلامية في المانيا هو في الحقيقة تبسيط شديد لحالة معقدة ومتداخلة لا يسمح بها التنوع والثراء الهائل للوضع الاسلامي هناك.

علينا على كل حال ان نتناول مختلف المنظمات الاسلامية بشكل اكثر تفصيلا. ولنتناول اولا السياسة الدينية للدولة التركية «المصدرة» للخارج حيث يتواجد مهاجرون اتراك.

وتحت اسم ادارة الشؤون الدينية في الخارج (Hizmetler Mudurlugu Dis أسس في 6/ 6/1972 في اطار D.I.B فرع مكلف بالمهام التالية:

> «توفير تعليم ديني لمواطنينا في الخارج وخصوصا لمليون عامل واكثر يعيشون في المانيا الاتحادية وبلجيكا وفرنسا وهولاندا وسويسرا والنمسا واستراليا والسويد وبريطانيا والدانمارك، وحماية مواطنينا ضد التيارات المتطرفة، ورفع مستواهم من الناحية الروحية والخلقية، والحفاظ على ارتباطهم بالمثل العليا للوطن.»(11)

وبمناسبة انعقاد دورة ابحاث حول التربية الدينية في انقرة في شهر نيسان/ افريل 1981 اثار موظف من الـ D.I.B المكلف بهذه المسألة قضية الاتراك

اجل استحصال اعتراف بالحقوق الاجتماعية للعمال المهاجرين وبصورة تساوي حقوق العمال الالمان.

ان النقاش الدائر حول الاجانب خلال الثلاث او الاربع سنوات الاخيرة كان يعني في صميمه المهاجرين الاتراك. وقد غُيب في هذا النقاش البُعد الديني، وهو هنا الاسلام، واهميته الحاسمة في فهم وضعية العمال الاتراك. وهذا يرجع في الاساس الى نقص هائل في المعلومات وجهل خطير لدى المسؤولين والقائمين على الاعلام. ان اكتشاف الاتراك كمسلمين قد بدأ لتوه. وهذا الامر لا يصح فقط على المراقبين الالمان بل وحتى بالنسبة للاتراك الذين ابتعدوا عن اصولهم الاسلامية.

ان تداخل العلاقات الاسلامية وتشابكها يجعل من عملية حصرها وادراكها مهمة صعبة. مع هذا فأن حوالي 24% من المسلمين الذين يعيشون في المانيا الاتحادية منتظمون في جمعيات واتحادات: 20% منها ديني و4% منها سياسي(9).

لذلك فأن الجمعيات والمنظمات الدينية هي الشكل التنظيمي الاكثر اهمية بالنسبة للاتراك في المانيا. وترتبط هذه الجمعيات في غالب الاحيان بمسجد من المساجد. وتكون دوافع تأسيس الجمعيات دائماً أما بناء مسجد او انشاء مقبرة، وذلك في البداية وكما هو الحال في تركيا. والاتحادات الاسلامية الثلاثة التي سبق ذكرها هي الوحيدة التي تملك شبكة تغطي كامل المانيا الاتحادية، بما في ذلك برلين الغربية. ان خارطة انتشار اعضاء جمعيةA.I.K.M.B (Avrupa Islam Kultur Merkezleri Birligi) تعكس بدقة المناطق التي تتمتع بكثافة سكانية تركية عالية. وترتبط بهذا التجمع جماعات اخرى تحت اسم «تجمعات الاخوان» Kardes dernekleri او (K.D). واعتماداً على خارطة نشرتها(A.I.K.M.B) فأنه كان يوجد في اواسط عام 1981، 185 جمعية و24 تجمعاً من (K.D). ويجب ان نميز بدقة بين هذه المنظمة وبين (Avrupa Milli Gorus teskilati) التي تضم بدورها عدداً من الجمعيات مساوياً للجمعية الاولى. وانها تمثل مع جمعيات اخرى (بعضها تركي) نصف عدد السكان المسلمين لمدينة برلين والذين يبلغون حوالي100000 نسمة. اما حركة Nurculuk فيبدو انها تشرف على 28 مركزاً تحت تسمية «مدرسة» (Medreses). اما بالنسبة للاتحادات القريبة من ادارة الشؤون الدينية التابعة للدولة التركية فأنها لا توجد الى حد الان الا على المستوى المحلي. فلنذكر على سبيل المثال «الجمعية الاسلامية لدورتموند» وهي جمعية مسجلة. ويبدو انه منذ مدة قصيرة بدأ بعض الجمعيات يتأسس من جديد تحت اسماء مثل «الاتحاد التركي الاسلامي» ، وبدأ باقامة بعض الروابط مع القنصليات العامة.

انه لمن الصعب تكوين نظرة شاملة تحيط بكل هذه الجمعيات. ومن اسباب

وفي هذه الاثناء يبقى الاتراك يشكلون القوة السكانية الحقيقية داخل المجتمع الاسلامي في المانيا. وبالرغم من القرار الصادر في 1973/11/23 والذي منع الهجرة من غير بلدان المجموعة الاوربية، فأن عدد الاتراك قد تزايد حتى نهاية 1982 بقرابة 50% . ولوحظ للمرة الاولى بأن هناك ركوداً في هذا التزايد للفترة بين ايلول/سبتمبر 1982 واذار/مارس 1983. ويلعب مصير وعدد ابناء المهاجرين دوراً مهماً وعظيماً في تحديد مستقبل الاسلام في المانيا. ذلك ان ثلثي «الاتراك الالمان، (Almanyalis) هم من النساء والاحداث (اقل من 16 عاماً) والذين لا يملكون عملاً.

أن مراكز ثقل الجالية التركية تقع في فدراليات رينانيا الشمالية، ويستفاليا، بادفرتمبرغ وبرلين. ورغم ان الاتراك يشكلون كمعدل وسطي ثلث الاجانب المقيمين إلا ان نسبتهم تتزايد بطريقة محسوسة في مدن كثيرة وعلى وجه التحديد في مناطق المناجم. ففي دويسبرغ يمثلون 59,7% من مجموع الاجانب. وفي جلسنكيرشن 63,9% وفي سالزغيتر 69,7% . اما في برلين وكولون فسنجد ان النتائج اقل من ذلك. هذا فيما يتعلق بالنسب، اما أذا تناولنا الاعداد الاجمالية، فأنها تثير الانتباه بشكل فائق: لقد اصبحت برلين من حيث عدد السكان الاتراك المدينة التركية الاولى خارج تركيا، وكولون المدينة الثانية.

ان نصف عدد المهاجرين الاتراك يعيش في المانيا منذ عشر سنوات. وعكس ما يلاحظ لدى الاسبان واليونانيين وعمال جنوب اوربا، فأن نزعة العودة ضعيفة لدى المسلمين الاتراك. واستنادا الى استفتاء قامت به وزارة العمل فأن 40% من الاتراك اعلنوا عن عزمهم على الاستقرار في المانيا. اما نسبة الاتراك من الجيل الاول للهجرة الذين تتوفر لديهم مشاريع فعلية للعودة فهي ادنى من 60% وبالمقابل، فأن امكانيات الاندماج في المجتمع الالماني لم تُأخذ جدياً بعين الاعتبار من قبل السكان الاتراك من الجيلين الاوليين.

أن غياب الدوافع لدى الاتراك لا ترجع بأي حال من الاحوال الى المعاملة الحسنة والترحيب الذي يلقونه من الاغلبية الالمانية. وقد بين تحقيق اجتماعي قامت به الحكومة الفدرالية في سنة 1981-1982 وجود نسبة 49% من الاراء المعادية للاجانب. وتتكون هذه النسبة بشكل رئيسي من المتقاعدين وربات البيوت، ومن الذين تزيد اعمارهم على خمسين عاماً ومن تلامذة المدارس الابتدائية. اما بقية النسب فتتوزع كالتالي: 22% ليس لديهم رأي واضح و 29% يرحبون بوجود الاجانب. والنسبة الاخيرة تخص الفئات الشابة وذات المستوى التعليمي الراقي. بالرغم من هذا فأن اغلبية واضحة تتجاوز الثلثين تدعو إلى تعليم مشترك وترفض مركزة الاجانب داخل مناطق سكنية محددة (الغيتوهات). وهي تعمل من

الدولة في المانيا الاتحادية. ولهذا السبب فلا احد يعرف بالتحديد على أي من الديانتين (الاسلام ام المسيحية) يُحسب المهاجرون اليوغسلاف والاتراك واللبنانيون والاردنيون (ومعظمهم من الفلسطينيين). بالاضافة الى ذلك تعوزنا ارقام احصائية موثوقة عن تعداد القاطنين الاجانب في المانيا الاتحادية وفي برلين الغربية. حيث أوقف العمل بالاحصاء الذي كان من المقرر البدء به في شهر نيسان/افريل 1983 بقرار من محكمة العدل الفدرالية. رغم هذا فأن التقديرات المتعلقة بالهجرة غير الشرعية للاجانب تتراوح بين مائة الف ومائتي الف. ومن اصل 62 مليون نسمة في المانيا الاتحادية وبرلين الغربية فأن حوالي 4,6% مليون نسمة هم من الاجانب. اي ما يقارب 7,5% . وان واحد من اصل ثلاثة من الاجانب هو تركي (34%)، والاتراك في اغلبيتهم الساحقة مسلمون. وهكذا فأن المسلمين الاتراك في المانيا يتجاوز عددهم العدد الاجمالي للمسلمين في العديد من بلدان اسيا وافريقيا.

أن الجماعة الاكثر عددا من المسلمين غير الاتراك هم اليوغسلاف. ويقدر عددهم بحوالي مائة الف فاكثر تقريباً. ويأتي بعدهم المغاربة(32000) والايرانيون (22000) والتونيسيون (21000) والادنيون (11000). اما بقية البلدان فأنها ممثلة بعدد يقل عن عشرة الاف نسمة (6)

ويقدر عدد اللاجئين المسلمين الذين الذين اتوا الى المانيا من الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية بـ (5000) او (6000) شخص. يضاف اليهم (1000) ـ (2000) مسلم الماني بالولادة. اما عدد النساء الالمانيات اللواتي اعتنقن الاسلام بسبب زواجهن من مسلمين فهو غير معروف، ولكن من المتوقع ان يكون مرتفعاً. وهكذا فأن العدد الاجمالي للسكان المسلمين والبالغ 1,7 مليون نسمة يمثل سكان مدينة بحجم مدينة هامبورغ.

ويشكل الاتراك جنباً الى جنب مع الايرانيين القوة الاسلامية الاكثر اهمية في الساحة الالمانية. فبالرغم من ان نسبة الاخيرين لا تتجاوز 10% -15% إلا أنهم يتمتعون بحضور بارز وتأثير قوي على المستويين الثقافي (الجامعات) والاقتصادي (التجارة..الخ). وعلى سبيل المثال فأن الدكتور بهشتي الذي أغتيل في عام 1981 كان يمارس نشاطه في الفترة من 1965 الى 1970 في جامع هامبورغ. وقد برز اسمه عن طريق المحاضرات التي كان يلقيها امام جمهور واسع ومتنوع من الجامعيين ورجال الدين(7). وفي الوقت الراهن نستطيع ان نضرب مثلا بالاستاذ عبد الجواد الفلاتوري واكاديميته الاسلامية في كولون والذي لا نستطيع إلا ان نشهد بتميزه ووضوح تأثيره(8).

مثل الممارسات الدينية والعبادية والمجالات التربوية، لا تسمح بتكوين تقييم او تصور ينطبق على عموم المانيا في مجال تعاملها مع الاسلام بصفته الدين الثالث في البلاد.

اما الخصوصية الرابعة التي يجب ان يسلط الضوء عليها فتتمثل في الدور الذي تلعبه الكنائس واتحادات نقابات العمال وجمعيات العون الاجتماعي الخاصة في مجال تقديم المساعدات للعمال المسلمين اولا، وبأتخاذها، في كثير من الاحيان، مواقف محددة من المشاكل التي يعاني منها العمال الاجانب ثانيا، واخيرا بتدخلها ورفعها تقارير الى الهيئات المختصة، كما حدث مثلا عند تدخلها امام لجنة «السياسة المطبقة على الاجانب» في 1982/11/30 في حين يكمن الفارق الخامس في ان العمال المسلمين في المانيا لا يمثلون هجرة من مستعمرات سابقة للامبراطورية الالمانية، كما هو الحال مع فرنسا وانكلترا. ويقود هذا الفارق الى خصوصية اخرى هي ان هؤلاء المهاجرين يأتون وهم لا يملكون اية معرفة سابقة باللغة. ولم تستطع القاعدة الاسلامية المتواجدة قبلهم ـ والتي يشكل جزء مهم منها مسلموا اوربا الشرقية وجنوبها الشرقي، ان تلعب دور الوسيط بينهم وبين المجتمع الالماني.

واخيرا تجدر بنا الاشارة الى ان الروابط بين مسلمي المانيا والامة الاسلامية تتقوى وتتعزز بشكل خاص. ويتم ذلك عبر وسائط وقنوات مختلفة منها الجمعيات الاسلامية مثل: رابطة العالم الاسلامي، ومؤتمر العالم الاسلامي، والاخوان المسلمون وبعض الطرق مثل النقشبندية. ان المانيا الاتحادية، وعلى وجه التحديد مدينة كولون، تشكل مركز الثقل لكافة المنظمات التركية الاسلامية المهمة والمؤثرة مثل

Islam Kultur Merkezleri
Avrupa Milli Gorus Teskilati
Nurcu Medreseleri

اما فيما يخص مصادر هذا البحث، فقد حصلنا على المعلومات المتعلقة بالمسلمين الاتراك كأفراد ومنظمات عن طريق «الصحافة التركية في فرانكفورت»(5). وحصلنا ايضا على المعلومات المتعلقة بالجماعات الاسلامية الاخرى مثل العرب والايرانيين والباكستانيين بواسطة الاتصالات الشخصية المباشرة. وبطبيعة الحال فأن هناك شخصيات مرموقة تتجاوز حدود جماعتها واذكر منها امام مسجد (علي) في هامبورغ السيد مهدي رضوى من ايران والمصري علي حريشة الذي يترأس المركز الاسلامي في مدينة ميونيخ. اما معلوماتنا عن المسلمين اليوغسلاف فهي في الحقيقة لا تتناسب مع اهميتهم العددية في المانيا.

لا توجد معلومات احصائية دينية فيما يتعلق بالأديان غير المعترف بها من طرف

ولكن مرحلة «ما قبل التاريخ»هذه بقيت تلعب دوراً مهماً في مجرى الصراع الجاري بين الجانب الرسمي والجمعيات الاسلامية حول مسألة الاعتراف بالاسلام ككيان رسمي يقره القانون العام. وأورد فيما يلي مقطعاً من تقرير كُتب في عام 1981:

«هنالك من يقول بأنه يجب اعتبار الجمعيات الاسلامية في المانيا ظاهرة حديثة العهد. وان الكلام عن جذور تاريخية عميقة لا يصح اعتماده ابداً. وهنا علينا الاعتماد على ما ستكشفه التطورات القادمة لمعرفة مدى استمرارية هذه الظاهرة

وفي الواقع، لا تقدم الاعراف القانونية والاحكام المعمول بها خيارات يمكن من خلالها الاعتراف بجمعية دينية ككيان يقره القانون العام ما لم يمض على تشكيلها كشخصية معنوية، عشرة اعوام، وقد تصل بالنسبة لاجتهادات البعض الى ثمانين عاماً. ان هذه الشروط المتعلقة بالمدة ليست متوفرة لدى معظم الجمعيات الاسلامية في المانيا الاتحادية، إلا انه علينا ان نأخذ بعين الاعتبار ان الاسلام دين منتشر في كافة ارجاء العالم ويتمتع في قارات اخرى (غير قارتنا) بتقاليد عريقة كما هو حال الهيئات الدينية المسيحية»(2)

فلنقارن ما ورد اعلاه مع ما جاء في كتاب صدر بمناسبة الذكرى الخمسين بعد المائة الثانية للاسلام في المانيا:

«عندما نتتبع اجراءات الاعتراف (بالاسلام) سنفاجىء حين نكتشف بأن السلطات المعنية تقتصر فى كلامها على المسلمين الاجانب ومنظماتهم، نافية بذلك وجود اسلام الماني او اسلام سابق لمجيء العمل الاتراك. فبالنسبة لها يُعتبر الاسلام «ديناً غرائبياً»، «ديناً للاجانب». لذلك يتم تصنيفه في نطاق القوانين الخاصة بالاجانب. اما اذا رجعنا الى الخلفيات التي يتشكلها تاريخ الاسلام في المانيا لوجدنا ان الموقف الرسمى هذا تنقصه الحجة ويصعب الدفاع عنه على المدى الطويل، ذلك ان القاعدة الاسلامية كانت موجودة وقائمة قبل مجيء المسلمين الاجانب»(3).

ومهما كان الحال، وسواء عدنا الى التاريخ مع الكاتب الثاني لنرى كيف كان الاسلام ممثلا في الوحدات التترية في جيش فردريك الاكبر او توقفنا عند حدود عام 1961 ، وهو تاريخ مجيء اول عامل تركي وضع حقيبته على رصيف محطة قطار في المانيا، فأن الاسلام ومنذ البداية كان له وجهاً تركياً

ويشكل هذا الامر فرقاً جوهرياً في عملية تطور الوضع الاسلامي في المانيا، وذلك عند مقارنته بباقي بلدان اوربا الغربية. ولكن هذا الفارق هو ليس الوحيد. ذلك ان هناك سمة ثانية تتمثل في الازدياد السكاني السريع للمسلمين في المانيا بسبب التحاق عوائل المهاجرين المسلمين بأربابهم فيما بعد.

هنالك سمة ثالثة وهي أن البنية الفدرالية لالمانيا، وبالتحديد في مجالات حساسة

الاسلام والمسلمون في المانيا

كلاوس كريزر (*)

«لا نريد جوامع في بلادنا». هذا ما قاله ناطق باسم « حزب شعبي مسيحي بافاري» خلال برنامج دعائي بثه تلفزيون ميونيخ قبل يومين من انتخابات المجلس الوطني الالماني (1983/3/4). واضاف: انه «بفضل «العناية الألهية» منع الامير يوجين (Eugène) فيما مضى بناء مثل هذه المساجد في بلادنا».

لقد اثبتت نتائج الانتخابات حتى في سنة 1983، وهو ما اصطلح عليه «عام الاتراك»، أي ـ مرور ثلاثمائة عام على الحصار العثماني الثاني لفينا ـ انه من المستحيل الحصول على اصوات انتخابية برفع هذا الضرب من الشعارات. ويبدو من الجلي ان هذا السياسي كانت تنقصه المعلومات في هذا الصدد، حيث ان المسلمين في المانيا الاتحادية وفي برلين الغربية يملكون ومنذ الثمانينات مئات الجوامع (700?). وبالرغم من ان الكثير من هذه الجوامع هي في الواقع عبارة عن اماكن مستأجرة لا تثير الكثير من الانتباه، إلا انها، بغض النظر عن بعض الجوامع الضخمة في برلين وهامبورغ واكس لاشابيل وميونيخ، تعبر عن الحياة الاسلامية في المانيا وعن هذه الحياة بالذات سنركز موضوع بحثنا هذا.

ان ما يمكن ان نسميه بمرحلة «ما قبل التاريخ» للاسلام في المانيا تنتهي مع مطلع الستينات. اي مع بداية هجرة العمال الاتراك. وهذه المرحلة التي دامت قرابة المانتي عام لا تهم سوى بعض الباحثين المتخصصين بعلم الانساب والاماكن. ولا تصلح كمدخل متماسك لكتابة تاريخ الاسلام في المانيا، وذلك كما قد يفعل البعض عندما يبدأ مثلا بدراسة المصير الفردي للاسرى العثمانيين في اواخر القرن السابع عشر(1).

(*) استاذ في جامعة ميونيخ

اضافة الى ذلك سيجد القاريء بحثاً بقلم عمر بلو عن خلافة محمد بلو وسياسته واجراءاته في منطقة حكمه في سوكوتو(افريقيا) في مطلع القرن التاسع عشر، مع تحقيق وترجمة الى الانكليزية لمخطوطة عربية عن الكسب ترجع الى الربع الأول من القرن التاسع عشر وتُنشر هنا للمرة الاولى.

وفي الختام، ليعذرنا القراء ان لمسوا خطأ او تقصيرا. اذ يقول الحديث الشريف. من اجتهد واصاب فله اجران.. ومن اجتهد ولم يصب فله اجر واحد. اننا نسعى لأن نجتهد ونصيب. فأذا اصبنا واذا لم نصب فأنما اجرنا على الله الواحد القهار.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الاستعماري في تقسيم الامة الاسلامية الى دويلات قومية قادت الى الضعف والتفكك والاخضاع ووضع حواجز امام وحدة المسلمين.

يعرض لنا جوهان افندي في مقالته موضوعة التصدي الاسلامي للنزعات العلمانية، فيلقي الضوء على موضوع قلما يتم التعرض له ويتعلق باوضاع وتجربة الحركة الاسلامية ودورها السياسي في اندنوسيا.

نتعرف كذلك على اراء جبهة تحرير سومطرا من خلال مقالة رئيسها محمد تانغو حسن محمد دي تيرو المعنونة «الحكم في الاسلام». وتتضمن المقالة تعرية محاولات التغريب من خلال طرحه المفاهيمية والمسلكية الاسلاميتين، ودعوته الي الوحدة العالمية للمسلمين من خلال تجاوزهم «الدولة القومية».

أما البحث الموثق الذي اعده سعود المولى فهو عرض تاريخي سيجد فيه القاريء معلومات كثيرة تلقي الضوء على الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لسوريا ولبنان في مطلع القرن العشرين. وتتناول الدراسة ايضاً العلاقات بين المسلمين انفسهم من جهة وموقفهم ككل من الهجمة الاستعمارية عليهم من جهة اخرى والاثار المدمرة التي حملتها هذه الهجمة على بلاد الشام خصوصاً والعالم الاسلامي عموماً.

وسيطلع القاريء ايضاً على محاضرة مهمة حول الاسلام والاسس التي تقوم عليها العلوم الغربية قدمها حليم هربرت في ندوة ليون التي انعقدت تحت عنوان: «**الاسلام، العلم والبحث**». يؤكد المفكر هنا على اهمية التوحيد والشمول الاسلاميين في تكوين العقل العلمي. كما سيجد طرحاً بالغ الاهمية في كيف ان البحث عن حدود الاشياء (وهو المفهوم الاسلامي الاصيل) هو بالذات الطريق للاكتشاف العلمي مفندا بذلك رأياً ساذجاً مفاده ان مفهوم الحدود هو عقبة في طريق العلم. وسيجد القاريء مقارنات مفيدة بين تكوينات الفكر الاسلامي واتجاهات العلم في الغرب مع اشارات لطروحات تقترب من جوهر الفكر العلمي الاسلامي رغم صدورها عن علماء غربيين كبار غير مسلمين.

بالمقابل تركز معظم المقالات الانكليزية على محور العدد. وهنا سنطالع.
- خورشيد علي في عرضه التاريخي المركز للدولة والسياسة في الاسلام.
- يعقوب زكي في مقالته المميزة «المفهوم الاسلامي للدولة»، والذي يعرض فيه من خلال مراجعة تاريخية القاعدة النظرية والتاريخية للحكم والمتمثلة بالخلافة والامامة.
- يتناول محمود غازي في بحثه القيم موضوعة تحديد السلطة والمجال التشريعي في الحكم الاسلامي.

يقدم مصدراً مهماً للمعلومات لقراء العربية ولتطوير البحث في هذه المسألة البالغة الاهمية.

وسيطلع ايضاً على ما طرحه عبد الحميد النجار في مقالته الدولة والسياسة في فكر بن تومرت، وسيجد القاريء فائدة كبيرة سواء من المفاهيم التي طرحتها مقدمة الدراسة او من الرؤية العملية من خلال تجربة بن تومرت، ليتعرف اكثر فاكثر على الاسس الفكرية لحركتين مهمتين في التاريخ الاسلامي وهما (الموحدون) و (المرابطون).

ويقوم آية الله جنتي بدحض الدعوة القائلة بانفصام الاسلام عن السياسة، ويقدم ادلة شرعية من خلال القرآن والسنة على اهمية السياسة في حياة المسلمين.

كما سيطلع القراء على دراسة عادل عبد المهدي حول مفهوم الولاية وعلاقتها بالدولة. وتطرح الدراسة مفهوم الولاية كأساس فكري وعملي للتنظيمات الاجتماعية والسياسية في التجربة الاسلامية، وهو اساس يُراد تغييبه بطرح مفهوم الدولة فقط سواء بمعناها الغربي او بتناولها وهي مفصولة عن الولاية، وما جره ويجره هذا الامر من تشويهات وانحرافات.

كما سيجد القاريء فيما كتبه بلو (بالانكليزية) مخطوطة عربية تبحث في معاني الكسب.. وعدا اهميتها التي يشرحها الكاتب فأن نشرها للمرة الاولى يحمل بذاته معنى له اهمية خاصة.

ويحتوي العدد ايضاً على تحقيق عن وضع المسلمين والحركة الاسلامية في المانيا.

وفي الفرنسية سيطلع القاريء ايضاً على بحث قيم وعميق لرضوان السيد «حول جدليات العلاقة بين الجماعة والوحدة والشرعية». وعدا اهمية تقديم رضوان السيد لقراء الفرنسية وهو الباحث الذي انتشرت كتاباته وتحقيقاته في المشرق، سيرى القاريء ان البحث الذي نقدمه في هذا العدد يعالج تلك المفاهيم الخطيرة في حياة المسلمين بتفرس ومعرفة نادرة بالنصوص والمصادر. ولاريب ان المقالة المذكورة تفتح آفاق تفكير وتأمل في جهود المسلمين المستمرة لاقامة ذلك التوازن بين مكونات الامة الاسلامية.

سيتعرف قراء الفرنسية للمرة الاولى على الكاتب الاسلامي كليم صديقي والذي انتشرت معالجاته الاسلامية باللغة الانكليزية على نطاق واسع. ونقدم له في هذا العدد مقالة معروفة بعنوان «ما بعد الدولة القومية». ويعالج كليم صديقي في مقالته المشروع

لنلقي الان نظرة على موضوعات هذا العدد. لقد اخترنا موضوعة «الدولة والسياسة في الاسلام» كمحور للعدد*. وقد راعينا عند إختيار المقالات تنويع المدارس وتباين الاجتهادات وتعدد المواقع مع تأكيد خاص في التعرف اكثر على مفكرين من اسيا وشبه القارة الهندية.

ففي العربية سيجد القاريء مقالة «مصادر الوحدة الاسلامية». وتكمن أهميتها في ذلك العرض التاريخي الموثق والمفيد لأعمال الباحثين المسلمين والمستشرقين الذين عالجوا موضوعات الوحدة الاسلامية، خصوصاً في شبه القارة الهندية. مما

---

*عُقدت في لندن في ٢٣ شوال الموافق ٣ اغسطس ١٩٨٣ بأشراف وتنظيم المعهد الاسلامي الندوة الدولية عن «الدولة والسياسة في الاسلام» والتي استمرت اربعة ايام بحضور ما يقارب من اربعمائة شخصية اسلامية قدمت من مختلف انحاء العالم الاسلامي. وقُدم الى المؤتمر حوالي خمسين بحثاً عن الدولة والسياسة فى الاسلام تمثل مدارس مختلفة في الفكر الاسلامى. ولأهمية هذا الحدث والموضوع اختارت «المنتقى» في عددها هذا بعض هذه الابحاث والتى تنشر لأول مرة. كما قمنا بترجمة قسم منها الى الفرنسية. وسنواصل نشر ما نراه مناسبا في المستقبل حسب ما تمليه علينا مواد ومحاور المجلة. اما البحوث التى اخترناها لهذا العدد فهي:

- اية الله جنتى «العلاقة بين الدين والسياسة» (باللغة العربية)
- الدكتور عبد المجيد النجار «الدولة والسياسة فى فكر المهدي بن تومرت (باللغة العربية)
- الدكتور محمود غازى (باللغة الانكليزية)

«The Location Of Authority And The Scope Of legislation In An Islamic State»

- يعقوب زكى (باللغة الانكليزية)

«The Islamic Concept Of State»

- م خورشيد على (باللغة الانكليزية)

«State and Politics in Islam»

- جوهان افندي (باللغة الانكليزية تُرجم الى الفرنسية)

«Islam And Politics: A Glimps Of Conflicts And Comprmises Between Islamic And Secular Ideals In Indonesia

- تنغو حسن محمد دي تيرو (باللغة الانكليزية تُرجم الى الفرنسية)

«Governance In Islam: Purpose And Technique

الاسلامي. وان الطابع الفكري «للمنتقى» يجعلها مجلة جزء كبير من المتعلمين المسلمين او يجعلها مجلة الدارس غير المسلم المهتم بقضايا الاسلام والعالم الاسلامي. وكلا الفئتين تُجيد لغتين على الاقل. فإذا كان هذا هو الجمهور الرئيسي الذي تسعى «المنتقى» لمخاطبته، فان فوائد تعدد اللغات ستطغى على سلبياتها. ومن ناحية اخرى، فأن الفكر التوحيدي الذي تستلهمه المجلة يلح عليها_ انطلاقا من الموقع الذي تصدر منه والجمهور الذي تخاطبه_ لأن توسع الوعاء الذي تنتقي منه المقالات والابحاث ، وكذلك لأن توسع الدائرة التي تخاطبها. وسيتمكل ذلك بشكل افضل ومرونة أعلى اذا ما تعددت لغات المجلة. يُضاف الى ما تقدم، ان العالم الاسلامي يعيش اليوم نشاطاً فكرياً مهماً يجب نقله والتعريف به. وفي هذه المرحلة_ ولكي لا تطوق هذه الحركة ولا تضيع هذه الجهود بسبب حواجز اللغة والبُعد الجغرافي_ سيصبح نقل «المنتقى» ما يُطرح في الساحة الفكرية الاسلامية الى لغات منتشرة عاملا مفيدا وايجابياً لعدد مهم من المفكرين وطلاب العلم، فان لم يستفد البعض اليوم من ذلك فسيفيدهم غداً بطريقة او اخرى.

وتراعي _ هيئة التحرير_ بالاضافة الى العوامل اعلاه التوازن في ما يُنشر في كل لغة ولها مبررات لكل ذلك.. ولن يخفى على القاريء الكريم ان ما نُشر في العدد الاول بكل من اللغتين العربية والفرنسية على حدة يوازي حجم ما ينشره عدد من المجلات الصادرة بلغة واحدة والتي يمكن مقارنتها بـ «المنتقى» من حيث المضمون والسعر وقد راعينا ملاحظات عدد من القراء الذين طالبوا بتوسيع ما يُنشر باللغة الانكليزية فوسعنا في العدد الثاني من المساحة المخصصة لهذه اللغة.

وفي كل الاحوال، وسعياً الى اضعاف العوامل السلبية من تعدد اللغات الى اكثر الحدود، فاننا نعد القراء الكرام باننا سنقوم _ اعتبارا من العدد الثالث_ باعداد محور يلخص بالعربية المقالات المنشورة باللغات الاوربية ويقابله ملخص بالفرنسية لما سينشر من مقالات عربية او مشرقية.

ان «المنتقى» هي مجلة حوار ونقاش. فهي ليست مجلة «تبشير» لا بالطرق التي عُرف بها «التبشير» ولا بالمعاني التي حملها. ولكونها مجلة حوار ونقاش فإنها تتحمل الاجتهادات والخلافات التي تنظمها فكرة جدية للالتزام بقضايا ومواقف فكرية في ظرف وزمان محددين. وكلما تقدمت «المنتقى» وطورت من شخصيتها وصلبت من عودها كلما استطاعت ان تساهم بشكل اوسع وافضل في الاقتراب من مواقع الحركة الفكرية الاسلامية بهدف التعريف بنتاجات هذه الحركة والمساهمة فيها، ولتلعب دورها عن طريق الحوار الجدي والتفهم المتبادل في توحيد الكلمة.

● ● ●

صرخات من يُعتدى عليه يسطرها القلم من خلال وقائع مرت وتمر بأمة هوجمت باشرس ما تهاجم الامم، ودفاعاً عن دين يُعتدى عليه ليل نهار دون اية حرمة او وازع او ضمير. فما رآهُ هؤلاء السادة من «هجوم» هو في الحقيقة الدفاع عما يريد المهاجمون ان يدمروه فينا، ورد الظلم على من يريد ان يظلمنا. فنحن ابناء امة مسلمة مستسلمة لله وحده والذي يأمرنا ان لا نعتدي ولا نقبل العدوان، ولا نظلم ولا نقبل الظلم. فالحوار بالنسبة للمسلمين هو ليس ان يكونوا صدى الاخرين. خصوصاً لتلك الاطراف التي تريد ان تدمر الاسلام والمسلمين.. بل نقطة الحوار بالنسبة لنا هي الدفاع عن معتقداتنا ومصالحنا مع احترام كامل لمعتقدات ومصالح الاخرين.

2) يتفق اصحاب الاتجاه الثاني ليس على فائدة وجدية «المنتقى» فقط، بل على ضرورتها ايضاً.. وقد ورد هذا الرأي على لسان عدد طيب من المسلمين من الهيئات والافراد. وان حرص هؤلاء على تطوير «المنتقى» دفعهم مشكورين لعرض سلسلة من المقترحات والملاحظات، وانها بمجملها موضوع مباحثات ومداولات نرجو ان تستمر لما فيه الخير الذي يعم الجميع.

لن نستطيع بالتأكيد ان نعالج بهذه العجالة جميع ما ورد من مقترحات وملاحظات، لكننا سنستغل هذه الفرصة للكلام عن عدد من المسائل المطروحة:

● اثار عدد من الاخوان، خصوصاً في البلاد الاسلامية، مسألة ارتفاع سعر المجلة. ونود ان نوضح ما يلي: لقد حُدد سعر المجلة على ضوء ما تتكلفه من نفقات دون حساب اي ربح. وان سعر المجلة يقارب سعر مثيلاتها من مجلات متخصصة، بل هو اقل من عدد مهم منها. رغم ذلك، أعدنا دراسة الموضوع برمته وتقرر اجراء تخفيض السعر ليصل الى نسب مهمة بالنسبة لبعض البلدان او لبعض الفئات. وقد شجعنا على اتخاذ هذه الخطوة القبول الطيب والانتشار الجيد الذي لقيه العدد الاول، مما سيسمح لنا بزيادة الكمية الاجمالية للنسخ المطبوعة، وبالتالي خفض كلفة وسعر العدد الواحد. ولانجاح هذه السياسة قررنا أيضاً طرح سعر تشجيعي واشتراك مساندة، وهي خطوة نأمل ان تجد صداها لدى الخيرين والحريصين على انجاح «المنتقى» وتقدم اعمال المركز. وليعلم الاخوان الذين ناقشونا في مسألة السعر وكذلك القراء والموزعون على ان السياسة الجديدة للمجلة في مسألة الاسعار تُملي علينا الان الالتزام بسعر هو اقل من سعر التكلفة بالنسبة لعدد من البلدان ولبعض الفئات. نرجو ان نكون قد قمنا بما يمليه علينا واجبنا بخصوص هذه المسألة وما التوفيق الا من عند الله.

● ناقش عدد آخر من الاخوة القراء موضوعة تعدد لغات المجلة، وذكر ان جزءاً من العدد يبقى عديم الفائدة عملياً لمن لا يجيد لغة او اكثر من بينها. وهنا نود ان نقول: تصدر «المنتقى» من البلاد الفرنسية وتوزع في اوربا وامريكا والعالم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)

(صدق الله العظيم)

السلام عليكم وبعد،

نضع بين ايدي القراء الكرام العدد الثاني من «المنتقى». وقبل ان نتكلم عن العدد الجديد، لابد من وقفة سريعة مع ردود الفعل والملاحظات التي اثارها العدد الاول. فقد استلمت «المنتقى» رسائل كثيرة وملاحظات قيّمة وردت اليها من اوساط واتجاهات مختلفة. بعض هذه الرسائل ذو طبيعة فكرية، وبعضها ذو طبيعة شكلية وفنية. وقد شجعتنا كثرة الرسائل وجدية معظمها على التفكير عملياً بفتح باب في المجلة لمناقشة الاراء الواردة، كي نُشرك اكبر عدد من القراء في المساهمة الجدية سواء في تطوير عمل المجلة، او في تعميق فكرها. وسنبدأ، إن شاء الله، في تنفيذ هذه الفكرة اعتبارا من الاعداد القادمة. لذلك يعذرنا السادة والاخوان الذين تلقوا منا ردا مقتضباً، او لم يردهم ردنا انتظارا لطرحها على صفحات «المنتقى».

ان الملاحظات والتعليقات سواء التي وردت الينا كتابة او شفاهة او التي صدرت على صفحات بعض الصحف في العالم الاسلامي او الغربي، يمكن تصنيفها الى اتجاهين:

1) يتفق الاتجاه الاول على اهمية وجدية المجلة. فالقاسم المشترك لهذا الاتجاه هو ان «المنتقى»، كما ظهرت في العدد الاول وبالاتجاهات التي حددتها لنفسها، هي منبر مفيد ذو أفاق ايجابية. ومما يسرنا ان هذا الرأي قد أكد عليه حتى اولئك الذين ابدوا تحفظات او خلافات حول نهج المجلة. ولا بأس ان نقف عند رأي عبر عنه قسم مهم من اصحاب هذا الاتجاه. ويتمثل هذا الرأي بالتحفظ على ما لمسه من لهجة «هجومية» اتسمت بها مقالات «المنتقى». وهنا نود ان نوضح ما يلي: اننا نسعى للحوار.. ولكن ليس حوار الاسد والفأر، او حوار النابذ والمنبوذ. بل حوار الافكار الصريحة المتوازنة والاطراف المعززة المتكافئة. وان ما يسميه هؤلاء السادة «بالهجوم» هو في الحقيقة

الفهرس العام

الصفحة

مركز الدراسات والتوثيق الاسلامي

Courrier de l'Islam

مجلة فصلية

لنشر الفكر الاسلامي
في سبيل اجتماع الكلمة ووحدة الامة

Au

Nom

de Dieu

le Clement

le Misericordieux

Centre d'Etudes et de Documentation Islamique

Al Muntaka

Courrier de l'Islam

Revue Trimestrielle

Table Générale des Matières

La table générale des matières se divise en rubriques dont chacune se constitue de plusieurs articles qui ne sont pas forcément dans le même ordre au sommaire que dans la revue. Ainsi, des articles en français, par exemple, se trouvant dans la partie gauche de la revue, peuvent appartenir à la même rubrique que des articles en arabes se trouvant dans la partie droite.

Page

La question d'éducation
entre l'Islam et l'Occident

L'Islam et ses adversaires
entre passé et présent

L'Islam et l'Art

L'Islam et les musulmans
hors du monde musulman

EDITORIAL

Au nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux.

> *« ... Nous vous avons constitués en peuples et en tribus pour que vous vous entre-connaissiez, le plus noble d'entre vous aux yeux d'Allah est le plus pieux. »*
> *(Verset 13, Sourate 49, Les Cloisons)*

> *« ... Agissez ! Dieu verra vos actions ainsi que le Prophète et les croyants... »*
> *(Verset 105, Sourate 9, Le Repentir)*

Assalāmu 'Alaykum :

Dans la langue du Coran, « Al Muntakā » dérive de « intakā » et « intikā' » (choisir et séléctionner), et plonge ses racines dans « nakā » (pureté).

Cet enchaînement linguistique englobant les significations de choix et de séléction, avec une vigilance particulière pour ce qui est de la pureté et de l'authenticité des fondements et des sources, révèle les critères et les valeurs qui guident nos pas dans l'élaboration du contenu de « Al Muntakā ». Néanmoins, le véritable englobant et unificateur de toutes ces données demeure l'Islām qui oriente les choix et confirme l'authenticité des principes fondamentaux.

Quant à l'Islām lui même, a-t-il besoin d'être défini ? Ou plutôt, comment peut-il être défini ? Se résume-t-il dans les cinq piliers, le Coran et la Sunna ? Que dire alors du commandement de justice, de l'homme en tant que « khalīfa (représentant) de Dieu sur terre », de la Oumma (communauté) et du Djihād ? Et, bien plus que cela, que dire du « Tawhid » (unicité de Dieu en tant que principe unificateur de tous les aspects de la vie) comme totalité englobant le Culte, la Société, l'Homme et l'Existence ?

Mais, à quelles conclusions aboutissons-nous lorsque nous confrontons tous ces principes au monde d'aujourd'hui et à l'état de l'Islam et des musulmans dans ce monde ? Pourquoi souffrent-ils la pauvreté et l'oppression, le désordre et la confusion, la dispersion et la division ? Qu'est-ce qui les condamne à l'impuissance alors que la terre de l'Islam regorge de richesses et que ses principes, ses institutions et ses réalisations peuplent la scène de l'histoire de grandeur, de culture, de science et de civilisation ?

Il est hors de doute que notre éloignement et notre abandon de la *voie de l'Islam* sont l'origine et la cause de ce que toute le communauté (Oumma) musulmane subit, ceci dans le contexte des *déséquilibres qui caractérisent* le monde actuel, monde où règnent la loi de la jungle et la force brutale. Notre manquement à l'Islam et notre négligence à son égard expliquent la raison qui a facilité et facilite notre domination par les autres et a rendu possible qu'ils se jouent de nos vies et de nos intérêts et les manipulent et façonnent suivant la seule loi de leurs « besoins ».

Mais, d'un autre côté et malgré cela, la Oumma musulmane que ses ennemis souhaitaient ensevelir vivante dans les catacombes de leur « *civilisation* » *et cela pour l'éternité*, demeure, par d'autres aspects de son inépuisable richesse, pleine de vie, présente et irréductible. Elle a même commencé à se frayer le chemin, de nouveau, vers une réappropriation d'elle-même pour redevenir grandiose, vivante et prometteuse. Ceci en une fin de siècle qui voit *de plus en plus la décadence et la faillite de la « civilisation »* occidentale et les débuts — du témoignage même de ses meilleurs esprits — de sa fin.

Ceci dit, il n'en demeure pas moins que l'expérience des derniers siècles de l'histoire de l'Islam n'a pas été sans blessures et de profondes. Le combat a été long et impitoyable et il s'annonce encore long et impitoyable. Mais la chose sûre et certaine que révèle cette scène sanglante, c'est que les musulmans reculent et vacillent devant les attaques de leurs ennemis à chaque fois que s'affaiblit et devient lâche leur relation à leur religion et à leurs principes supérieurs. Cela, l'ennemi en est très conscient et a toujours œuvré, ne ménageant aucun effort pour enlever à cette Oumma (communauté) l'arme avec laquelle elle a combattu et avec laquelle elle a tenu, irréductible, pendant plus de mille quatre cents ans. C'est pour cela qu'une des conditions sine qua non de la réussite du projet colonialiste occidental qui a visé Dar Al Islam (Terre d'Islam) a toujours été de creuser un fossé entre les musulmans et leur religion. Pour aboutir dans un tel dessein, l'Occident colonialiste a entamé une guerre sans scrupules contre l'Islam comme message céleste et comme voie totale dans la vie. Cette guerre, *il* l'a menée avec une brutalité et une cupidité sans pareilles alors que les musulmans, face à lui, se sont toujours armés de ce même Islam dans leur lutte contre sa domination. Dans cette

guerre, l'Occident a mobilisé et mobilise encore toutes ses armes et tous ses moyens, lors même que continuent ses médias à débiter la fameuse litanie : l'Islam et les musulmans, vestiges du passé révolu; l'Occident, Présent et Avenir, Progrès et Modèle.

La situation est donc au conflit —et nous ne faisons qu'appeler les choses et les faits par leurs noms — et ce conflit ne date pas d'aujourd'hui; le chaînon du présent n'en représente qu'une étape dont la plupart des caractéristiques ne sont que des traits qui appartiennent et touchent plus à la surface et à la forme qu'à l'essence et au contenu. Affirmer cela, c'est affirmer que les questions fondamentales ont déjà été énoncées, et sinon toutes, du moins les plus importantes. Ceci veut dire que l'analyse et les révélations concernant le conflit, ses dimensions, ses conditions et les nécéssités qu'il impose, ainsi que toutes les autres données qui peuvent s'y attacher, tout cela a été introduit il y a déjà assez longtemps. C'est pourquoi le besoin se fait sentir de plus en plus aujourd'hui de rappeler ces vérités fondamentales déjà signalées de différentes manières par des hommes de pensée et d'action parmi les croyants intransigeants dans leur fidélité à leur religion et à leur Oumma. Ceci d'autant plus que les forces ennemies ne ménagent rien pour enterrer ces vérités fondamentales et les effacer; et il faut dire qu'elles ont partiellement réussi à en rendre l'accès difficile, sinon impossible, à de vastes secteurs de la Oumma musulmane qui s'est trouvée alors sans défense devant la force impitoyable et immorale, la ruse, la cupidité et les basses tentations matérielles.

Ainsi, pour participer modestement au rappel de ces fondements, nous venons de créer cette revue. Pour la quasi totalité de ce qu'elle publie, elle repose sur le principe de la républication et ou de la traduction d'article, travaux, recherches ou documents permettant d'approfondir ces vérités fondamentales parmi les rangs des musulmans de langues différentes suivant les régions. Ceci pour qu'ils ressérent leur unité et échangent et confrontent leurs points de vue à propos de leur histoire passée et présente et de leur avenir.

Nous avons opté pour le principe de la republication et de la traduction pour contribuer, par leurs biais, à élaborer et cristalliser la conscience ainsi que l'attachement à ces vérités fondamentales parmi les rangs des musulmans dans leur lutte et leur confrontation avec les problèmes d'aujourd'hui.

Tenir à cela et travailler à ce rappel ne signifie en aucun cas que l'on barre le chemin à tout effort de faire évoluer et approfondir ces vérités à travers la recherche, l'étude et l'action, présentes et futures. Bien au contraire, il est de notre devoir, à tous, d'encourager tous les efforts et d'accueillir toutes les énergies visant de tels buts et cherchant à découvrir les fils qui les lient aux évènements du passé et au présent et à leur faire intégrer tout ce qui advient de nouveau. C'est dire qu'il n'est nullement exclu que nous puissions, à l'avenir, publier des articles inédits.

Cependant, notre ambition ne s'arrête pas uniquement à cette tâche consistant à raviver les liens entre les musulmans et à stimuler le débat entre eux tout en se limitant au cadre du monde islamique. Par notre contribution, nous espérons participer aux efforts visant à mettre un terme à l'attitude passive et récéptive, celle du spectateur acceptant d'être maintenu en marge de l'Histoire comme s'il n'appartenait pas au présent et ne disposait pas des qualités de présence et d'action historiques appropriées aux Temps Modernes. Nous ne voulons pas qu'une telle image soit celle des musulmans dans le Monde. Surtout après que des siècles d'oppression, de souffrance, de charlatanisme et de déformation aient presque réussi à faire passer cette image pour la réalité authentique et représentative de notre identité religieuse et culturelle dans tous les domaines. Nous ne voulons pas non plus que notre ambition d'appeler les gens à l'Islam nous fasse récupérer par les pièges du « dialogue » qui dissimule tout en l'imposant, la relation de supériorité-infériorité ou avancé-attardé. Cependant, nous sommes, par principe, loin d'être contre toute tentative d'établir des ponts, à condition qu'ils soient les bons et non de ceux qui véhiculent les poisons et les chaînes, lors même qu'apparamment ils font passer ou font croire qu'ils font passer autre chose.

Signalons par ailleurs que le principe de la traduction nous est dicté également par la nécessité de travailler au service de l'Islam à l'extérieur du monde musulman, sans pour autant prendre appui sur les types de discours, de logiques et de procédés utilisés par les orientalistes ou par les non-musulmans; mais, bien au contraire, en nous appuyant d'une manière prioritaire sur les musulmans eux-mêmes, à travers leurs études, leurs analyses et leurs Idjtihâdat-s. C'est pour cette raison que lorsque le cas s'est présenté, nous avons préféré à la seule traduction, le résumé et l'exposé d'articles et d'études écrits par des non-musulmans. Cela nous permettait de tirer profit de la matière rassemblée et des informations recueillies, sans nous contraindre à abonder dans le sens de l'analyse adoptée par les auteurs concernés.

A côté de cela, le fait de rassembler et de publier travaux et articles ayant été déjà publiés d'une façon dispersée et dans le temps et dans l'espace, nous permettra d'élargir leur cercle de diffusion comme de faire accèder l'un ou l'autre à plus de poids et de pertinence en l'associant, dans un même volume, à d'autres qui éclairent tel ou tel aspect qu'il n'aurait qu'esquissé. Leur proximité permettra ainsi d'aboutir à des conclusions et de se former une opinion d'une manière plus aisée, plus claire et plus rapide.

En plus de cela, le principe de la républication et de la traduction met à notre disposition une mine de données, constituée de tout ce qu'écrivent les musulmans et dans tous les domaines, pour contrecarrer les diverses compagnes de diffamation guettant l'Islam et visant à le changer en autre chose que lui-même par le biais de la

déformation, de l'altération, ou d'une manière plus expéditive, en cherchant tout simplement à le détruire. Il est hors de doute que les moyens et les possibilités affectés à ce dessein sont immenses, à tous niveaux. mais tout cela ne peut être une raison de ne pas s'y opposer et de le démasquer, même à l'extérieur du monde musulman, et peut-être surtout à l'extérieur du monde musulman.

Il demeure que nous avons cherché à observer, dans l'ensemble de notre travail, l'esprit de sérieux et d'objectivité, sans que cela nous empêche d'exprimer nos croyances avec ferveur, tout en évitant, et avec vigueur, toute creuse démagogie.

Quand à l'aspect technique, l'appareil de notes fournissant des indications, des explications, des références..., se trouve en bas, en marge de la page de titre de chaque article. Pour la transcription des mots arabes en caractères latins, nous avons opté pour le système de l'Encyclopédie de l'Islam parce qu'il a le plus d'occurrence. Le choix de la langue arabe parmi toutes les langues non-européennes se justifie par le fait que c'est la langue du Coran et par voie de conséquence, celle qui a le plus de chance d'atteindre le plus grand nombre de musulmans et ceci quelque soient leurs différences ethniques ou linguistiques. Quant au déséquilibre entre les parts imparties à telle ou telle autre langue européenne, du point de vue du nombre de pages, ou de la présence ou l'absence de l'une ou l'autre d'entre elles, nous nous devons de dire qu'il a été occasionné par des raisons d'ordre technique et en partie à cause du manque de temps et de moyens. Nous nous efforcerons dans les prochains numéros de remédier à ces manques pour le mieux. Nous avons également essayé, dans le choix des articles que publie et publiera la revue, de donner la priorité à ceux parus après le début du XVe siècle de l'Hégire; ceci pour éviter à nos recherches et à notre sélection d'articles la dispersion en l'absence de tout axe délimitant le champs des choix. Reste que nous ne nous lions pas par ce choix d'une manière absolue; il arrivera donc que la revue publie des articles jugés importants et méritant républication et large diffusion, même si, par ailleurs, ces articles remontent à une période antérieure au XVe siècle de l'Hégire; dans ces cas-là, ces écrits seront publié à titre de documents.

En guise de conclusion, disons que nous ne prétendons pas à la perfection dans cette modeste contribution et que la voie demeure ouverte pour toute critique constructive et toute contribution non-intéressée, et cela dans le service de l'Islam, et que Dieu guide nos pas.

OU VA LE CAPITALISME ?

Munir Shafik *

Cet article se propose de répondre à la question de savoir s'il est possible que le capitalisme mène au socialisme. Si la réponse à cette question est négative, elle contredira beaucoup de thèses considérées comme des évidences. De même, les conséquences théoriques qui pourraient résulter d'une telle réponse sont nombreuses et touchent plusieurs notions relatives à ce qu'il est convenu d'appeler la révolution prolétarienne internationale ou l'idéologie prolétarienne etc... Enfin, on en déduira que la révolution internationale ainsi que son idéologie ont une autre nature et d'autres traits. Pour cela, l'étude d'une question d'une telle gravité comporte de grands risques.

Une scène et un dialogue :

Deux personnes, un marxiste-léniniste français et un révolutionnaire arabe se rencontrent, leurs discussions les amènent à la question de savoir si le socialisme est possible dans les pays occidentaux (ou du nord) et si le capitalisme peut conduire au socialisme, et particulièrement dans le respect d'un critère international de justice et d'égalité entre les peuples ?

* Intellectuel et militant palestinien, directeur du centre palestinien de planification, a publié divers articles et livres dont, dernièrement, « *L'Islam dans le Conflit des Civilisations* », (Editions Dār Al Kalima, Beyrouth, 1982), l'article que nous publions en est tiré.

Pour le Français, la réponse à cette question n'admet pas de doute : le monde entier, y compris les pays de l'occident, s'achemine inévitablement vers le socialisme. Certes ce ne sera pas pour demain ou dans un avenir proche, ni avant que n'éclatent les révolutions du tiers-monde. Mais le socialisme s'instaurera inéluctablement. Mieux, l'hypothèse de son avènement constitue l'une des hypothèses de base du socialisme scientifique.

Son interlocuteur arabe dit alors :

Bon, passons à la seconde scène; la révolution prolétarienne aurait triomphé en France sous la direction d'une avant-garde marxiste-léniniste, radicale et intègre, immunisée contre toute déviation venant de sa droite et de sa gauche. Supposons également qu'une révolution identique, conduite par une direction identique ait triomphé dans le monde arabe (ou dans un seul pays arabe, si tu préfères) et que nous ayons été chargés respectivement par la première et la seconde de négocier, comme nous le faisons maintenant, en vue d'établir les bases des relations internationalistes prolétariennes (socialistes) entre nos deux pays respectifs.

— Bon ! Et après ? dit le Français.

— Tu sais que — nous disons, comme l'affirme le marxisme — les monopoles français que vous avez éliminés se caractérisaient par l'avidité, le pillage et l'exploitation, dit l'arabe. Leurs buts consistaient à réaliser le maximum de profits, serait-ce au prix du sang du prolétariat et des peuples du monde. Ils nous vendaient, par exemple, une voiture Peugeot, livraison comprise, 4 mille dollars. Quel prix en fixera le prolétariat français, qui, selon le marxisme, ne se caractérise pas par l'avidité et le pillage des peuples d'Asie, d'Afrique et d'Amérique Latine, et ne cherche pas le maximum de profit, mais, bien au contraire, porte les plus hautes valeurs qu'incarne l'internationalisme prolétarien. Va-t-il nous vendre la même voiture deux mille dollars ou moins ? (Il faut que la différence entre la classe capitaliste et monopoliste et la classe prolétarienne soit significative. Sinon, que représenterait-elle, si elle était quantitative et insignifiante ?).

— Le Français (qui commence à froncer les sourcils) : Mais où veux-tu en venir ? Ce sont des questions qu'on pourra résoudre facilement lorsque nous aurons fini avec le capitalisme, l'impérialisme, les socio-démocrates et les révisionnistes.

— L'Arabe : Est-ce que cela arrivera ? Continuons la discussion pour voir. Tu sais que le marxisme affirme que les gouvernants que nous avons écartés, étaient connus pour leur soumission aux impérialistes et pour leur incapacité à relever les défis et à défendre les intérêts nationaux. Pire, ils gaspillaient les richesses nationales et les offraient à bas prix aux monopoles internationaux. Par exemple, il vous vendaient le baril de pétrole 20 dollars. Mais,

maintenant nous avons mis fin à la soumission, à la résignation, au gaspillage des richesses et des intérêts nationaux, est-ce que vous acceptez de nous acheter du pétrole à 40 ou 60 dollars le baril sans augmenter à votre tour les prix de vos produits exportés, comme c'est le cas à présent, chaque fois qu'on augmente un peu le prix du pétrole ? Car il faut qu'il y ait une différence qualitative entre notre régime et le leur, sinon tous nos efforts n'auraient pas de sens. Si vous agissez de la sorte, l'injustice mondiale scandaleuse serait éliminée radicalement et une véritable justice serait rétablie entre les peuples. Autrement, ce qu'on appelle l'internationalisme serait une lueur et un trompe-l'œil. Aucun changement dans la propriété des moyens de production ne pourra faire prévaloir sa qualité de socialiste, s'il ne se traduit pas sur le plan international par l'acceptation de l'égalité et de la justice mondiale entre les peuples. A moins que ce socialisme ne soit enfermé entre les frontières du territoire nationale et ne dépasse pas l'appropriation des moyens de production par l'Etat.

— Le Français (contemple et réfléchit) : Cela ne peut pas se réaliser du jour au lendemain; nous pouvons y parvenir progressivement et à la longue, probablement au bout de plusieurs décennies.

— L'Arabe : Autant dire que vous allez continuer le pillage en cours, pendant les dizaines d'années à venir; c'est-à-dire que vous allez continuer à donner libre cours à votre pillage et à votre avidité, et que nous, nous allons continuer à nous soumettre, à nous résigner et à dissiper nos richesses. Et même si nous acceptons que la situation passée subsiste encore pendant quelques dizaines d'années, comment pouvons-nous être certains que cette prolongation débouchera à la fin sur un changement radical ?

— Le Français : Peut-être ce problème ne peut pas être résolu au niveau de deux pays et que sa solution nécessité la victoire de la révolution dans le monde entier.

— L'Arabe : Evidemment, je ne peux comprendre ce propos qu'à travers la logique de profit et de perte chez les capitalistes, appliquée aux nouvelles circonstances. Cependant ce que vous dites là, signifie tout d'abord que l'étape qui s'étend de la période actuelle jusqu'à la victoire finale de la révolution dans le monde entier, maintient la situation actuelle (avec quelques retouches d'ordre pratique, accompagnées de beaucoup de propagande), et ensuite que le problème serait plus facile à résoudre si du côté de la table de négociation où tu es assi maintenant, se trouvent tous les pays du Nord en face de tous les pays du Sud. Mais ne penses-tu pas que dans ce cas, l'entente serait plus difficile et que les négociations conduiraient à une véritable impasse ? Car si les choses se sont envenimées entre nous alors que nous ne discutons que de l'échange de deux articles seulement, comment serait-ce, si nous discutions des prix de tous les articles fabriqués et de toutes

les matières premières ? Comment se comportera-t-on lorsqu'il s'agira de discuter des problèmes de l'industrialisation qui devrait nous faire accéder à l'auto-suffisance et nous permettre même de rivaliser avec vous ? Ou lorsqu'on débattra de la « technologie », de ses prix et des moyens de son transfert vers les pays du tiers-monde ? Que ferez-vous lorsque le tiers-monde vous demandera des indemnisations ? Et puis, que dire de la situation où l'on évoquera les questions concernant la nécéssité de changer les lois internationales relatives aux mers, à l'environnement et à tous les domaines abordés lors des conférences internationales et par les commissions issues de l'Organisation des Nations-Unies ?

Enfin, comment pouvons-nous être sûrs que vous accepterez de discuter du fond de ces problèmes, sans complaisance et sans dominer et diriger les discussions et leur méthodologie ? Comment pouvons-nous nous assurer que nos revendications ne nous conduiront pas à nous accuser de chauvinisme, de nationalisme, et de vouloir nous écarter de l'esprit internationaliste de « coopération et de répartition du travail », ou même de vouloir œuvrer pour le sabotage du socialisme et de ses réalisations ? Car à partir de telles accusations, vous pourriez, vous permettre d'isoler et d'encercler les « accusés », de les boycotter, de leur faire subir des compagnes de dénigrement, et d'encourager l'opposition intérieure, voire même d'occuper militairement leurs pays, sous prêtexte de sauver le socialisme; c'est-à-dire, sans même leur donner le droit de porter le titre de mouvements de libération nationale qui défendent l'indépendance et les droits légitimes de leurs peuples respectifs et qui essaient de mettre fin à l'injustice consécutive à une longue période de domination capitaliste sur le monde.

Là, le silence s'impose. Puis, il est interrompu par la conclusion décisive suivante :

— L'Arabe : En toute franchise et pour dire la vérité, tu ne peux être, camarade, ni internationaliste ni socialiste que de nom, si le sens réel de ces termes comporte l'égalité et la justice entre les peuples, ainsi que la réparation des injustices perpétrées pendant une longue période par un petit groupe de pays dominateurs contre la majorité des pays du monde. Ceux que vous appelez, dans vos pays, les prolétaires, vous étrangleraient, si vous osiez mettre en application — même au minimum — les notions de socialisme, d'égalité et de justice. Pourquoi ? Non que le prolétariat dans vos pays soi inconscient ou mal intentionné, mais parce que son existence objective civilisationnelle et sa formation intellectuelle et doctrino-culturelle exigent de lui de préserver les acquis du capitalisme ou des anciens empires, et même d'œuvrer en vue de les consolider dans la même direction. Par conséquent, le contenu du socialisme, de l'internationalisme, de la justice et de l'égalité entre les peuples est lié à la sauvegarde des acquis en question, et ne vient pas à son encontre, comme on pourrait le croire. Ainsi, si

nous nous référons aux écrits marxistes-léninistes, par exemple — y compris vos propres écrits — nous remarquerons qu'ils insistent sur la nécessité d'améliorer la situation matérielle des ouvriers et sur la promesse de doubler leur niveau de bien-être matériel sous le socialisme. Cela veut dire que l'état d'esprit qui prévaut chez votre prolétariat, c'est le désir d'amélioration du niveau de vie, de croissance du pouvoir d'achat, et de diminution du temps de travail. Or, ceci ne peut se réaliser que si subsistent les injustices qui prévalent actuellement dans les rapports entre les pays industrialisés du Nord et ceux du tiers-monde. Quand à la réévaluation des prix sur des bases autres que celles fixées par le capitalisme, ainsi que la réévaluation de la valeur du travail sur le plan international, elles conduiraient inévitablement à la baisse du niveau de vie en vigueur actuellement dans vos pays, et à la détérioration de la qualité des biens matériels et des services dont le prolétariat bénéficie à présent. Il s'agit d'une baisse de l'ordre d'un dizième — dans le meileur des cas — et probablement d'un vingtième et plus. Or cela représente un grand « sacrifice » pour vous, sacrifice que vous n'accepteriez pas de consentir volontairement, car il s'oppose à l'idéologie prolétarienne, à vos rêves, à vos ambitions et à vos écrits, et nécessite que vous changiez votre vision de la vie, que vous établissiez d'autres objectifs pour l'homme, et que vous tendiez vers un nouvel équilibre entre, d'une part, les besoins matériels de première nécessité, et d'autres part, la course effrénée à l'acquisition du bien-être matériel, menée aux dépens de la richesse spirituelle, morale et des rapports humains.

Là, le dialogue entre dans une impasse, car il traite modestement d'un problème mal abordé et dont les véritables dimensions ne sont pas perçues.

Plus-value ou pillage mondial ?

La question qui se pose maintenant est de savoir si cette situation peut être autre. Absolument pas. Car le fossé creusé entre l'ensemble des pays du Nord et l'ensemble des pays du Sud est devenu tellement profond que le niveau du revenu national par individu dans les premiers pays est parfois quarante fois supérieur à celui de certains pays d'Asie, d'Afrique et d'Amérique Latine. Cet écart entre les deux niveaux du revenu national ne provient pas, à l'origine, d'un écart considérable de niveau de production, si développées que soient les forces de production dans les pays du Nord, mais du pillage systématique des richesses de la majorité écrasante des peuples et de la spoliation de la plus-value de leur travail.

C'est pourquoi, on ne peut que constater la naïveté de toute discussion sur la plus-value dans les pays capitalistes, lorsqu'elle ne tient pas compte de l'opération du pillage mondial, ou lorsqu'on considère que cette plus-value est l'élément essentiel de l'accumu-

lation capitaliste au lieu du pillage mondial. On peut même dire que la théorie de la plus-value ne peut être comprise en dehors du système de pillage mondial. C'est le fait de n'avoir pas vu ce problème dans son cadre mondial, qui a fait croire que la prise du pouvoir par les ouvriers et l'appropriation des moyens de production conduiraient à la restitution de la plus-value à la classe ouvrière; ce qui devait permettre la réalisation des promesses d'amélioration du niveau de vie des ouvriers, ou devait amener automatiquement le pays (où se produit ce changement) à adopter une politique socialiste internationaliste dans ses relations avec les autres pays. Mais une telle théorie n'est pas fondée, car elle analyse la question de la plus-value dans un cadre local, à l'intérieur de la société capitaliste, et non dans celui du pillage mondial. Par conséquent, elle ne saisit pas avec exactitude l'accumulation réalisée dans les pays capitalistes et résultant du pillage mondial et de l'injustice causée par les différences entre les prix des articles fabriqués et des matières premières ou des produits semi-finis.

Sans doute, une étude exhaustive de cette question permettra-t-elle de constater que le niveau du revenu national dans n'importe lequel de ces pays n'est pas originellement le résultat du travail intérieur, lequel est comptabilisé à la lumière de l'ordre économique mondial actuel, relativement à l'estimation de la valeur du travail dans les pays du Nord et du Sud. Ainsi, dès que l'on aborde la question dans un cadre mondial et non dans le cadre de chaque société prise à part, en ignorant les considérables revenus illégaux provenant de ce pillage, le véritable sens de l'opération devient évident. C'est pourquoi l'on peut dire que ce que gagnent les ouvriers dans les pays indistrialisés dépasse la valeur réelle de leurs efforts, grâce à ce qu'on appelle la plus-value de leurs efforts. Il en ressort que, si l'on prend en considération les sommes considérables qui entrent dans l'évaluation de leur travail, comparativement à l'évaluation du travail des pays du tiers-monde, les divers services dont ils bénéficient sous forme de sécurité sociale, d'assurance maladie et d'assurance chômage et autres services généraux, si l'on considère également leur niveau de vie élevé grâce au pillage du monde entier au bénéfice de leurs pays, de leur capital et de leurs Etats, alors on se rend compte que, lorsque ces travailleurs accèderont au pouvoir et réorganiseront leur situation, ils se trouveront incapables de maintenir le niveau de vie en vigueur, s'ils ne maintiennent pas l'évaluation actuelle du travail mondial, et s'ils ne continuent pas le pillage du tiers-monde. C'est ce qui impose à la classe ouvrière occidentale de faire partie — ce qui est d'ailleurs le cas — dès le début, de cette même orientation, de ce même contexte, de cette même voie qui a engendré le capitalisme et au sein desquels elle a grandi : c'est-à-dire la voie de la violence contre le monde extérieur, du pillage de ce dernier et de la domination du monde.

Les exemples qui illustrent cette vérité sont, sans doute, nombreux dans le passé comme dans le présent. Il est illusoire d'attribuer à la classe ouvrière des pays industriels des qualités qu'elle ne possède pas. Tout ce qu'on dit des traits caractéristiques du prolétariat ou de l'internationalisme prolétarien est pure imagination et n'a rien à voir avec le prolétariat effectif et ses traits caractéristiques actuels. En témoigne par exemple le racisme contre les gens de couleur, et même contre les peuples du tiers-monde, que l'on peut constater à tout moment dans la vie quotidienne. De même, le traitement que le prolétariat réserve aux ouvriers étrangers travaillant dans son pays, se caractérise par le plus haut degré d'égoïsme, d'animosité, de mépris et de xénophobie. Aussi, l'acheminement vers le déchéance des mœurs et des valeurs est-il devenu tellement évident qu'il ne nécessite aucune démonstration. Pour tout cela, la prise du pouvoir par la classe ouvrière pourrait, certes, produire un changement relatif dans la répartition de la richesse intérieure du pays concerné, mais ne saurait aboutir à un changement quelconque dans la situation mondiale. Bien au contraire, cette classe sera plus virulente et plus portée à l'expansionnisme et au pillage des richesses d'autrui. Sinon, elle constatera qu'elle doit s'abolir elle-même, et abolir l'idéologie qu'elle porte, lorsqu'elle aura cessé d'œuvrer en vue de maintenir le niveau actuel et même de le développer; autrement dit, lorsqu'elle aura accepté le grand sacrifice d'entrer dans une longue étape d'austérité, au nom des principes, de la morale et des idéaux; sacrifice encore plus difficile lorsque la classe ouvrière, en raison de ses positions de force — même au sein de l'internationalisme prolétarien — a la possibilité de ne pas le consentir.

Pour cette raison, lorsque les socialistes prennent le pouvoir dans des pays capitalistes et y commencent une vaste nationalisation, ils se trouvent dans l'incapacité d'appliquer les principes de l'internationalisme prolétarien — dont ils avaient tant loué les mérites — c'est-à-dire de rétablir la justice et l'égalité entre leur société socialiste et les peuples moins développés; car ils perdraient ainsi beaucoup de sources de richesse et constateraient que leur niveau de vie baisse considérablement. Cela les conduit donc à renier les principes d'égalité, de justice et de droit à l'autodétermination qu'ils professaient, notamment en ce qui concerne les pays qui faisaient partie de l'empire de leurs capitalistes. Là, ils inventent un tas de prétextes pour maintenir cet empire ainsi que le droit de l'élargir sous d'autres appellations. On pourrait déceler en eux cette intention avant même qu'ils ne prennent le pouvoir, et ce, en remarquant leur tentative pour diriger leurs homologues des pays dépendants.

La différence théorique résulte ici de la nature de la réponse à la question suivante : est-ce que le pillage mondial, l'expansionnisme impérialiste et la violence réactionnaire sont quelques-unes des

malédictions du capitalisme qui disparaissent avec la disparition de ce dernier ? Ou bien, au contraire, est-ce la société capitaliste tout entière qui est la malédiction de ce pillage, de cet expansionnisme et de cette violence ? Est-ce que l'élimination de l'exploitation de l'homme par son semblable, dans cette société, n'est-elle possible que si l'on élimine l'exploitation de la majorité des pays du monde par les sociétés capitalistes, ce qui permettrait aux natons dominées de définir elles-mêmes la nature et la direction de la révolution mondiale ?

En réalité, on ne pourra justifier le refus d'envisager ce problème dans son cadre mondial et la tentative de limiter le socialisme au contexte de l'évolution interne des sociétés capitalistes et de leurs forces de production, par l'existence d'une relation dialectique entre l'intérieur et l'extérieur; car dans toute relation, il faut déterminer son aspect majeur ou l'élément le plus important déterminant son trait caractéristique.

Pour ne pas perdre le fil des sujets évoqués ci-dessus, il est indispensable de revenir à l'origine même du capitalisme. Car, ce qui caractérise le capitalisme aujourd'hui remonte à sa naissance et à son origine elle-même, et entre dans le processus historique de la relation entre le capitalisme et la domination du monde.

La naissance du capitalisme :

Lorsqu'on discute de la naissance du capitalisme, on insiste sur une considération théorique selon laquelle cette naissance est une étape dans un processus historique qui se poursuit et qui est régi par des lois internes de la société, et le capitalisme, par conséquent, est le produit du féodalisme et porte le socialisme dans ses entrailles. Mais ce point de vue ne correspond pas au déroulement effectif de l'évolution historique, c'est-à-dire qu'il n'est pas difficile de prouver que le processus de violence, d'expansionnisme et de pillage du capitalisme et n'a pas été causé par la nécessité de répondre au besoin de forces de production capitalistes, pressant ce même capitalisme de recourir à la violence, à l'expansionnisme et au pillage du monde extérieur, comme on voudrait le faire croire. Les termes de l'équation, ici, sont tout à fait inversés, car les forces de production capitalistes ont été engendrées et se sont développées en Europe pour répondre aux besoins nés des succès qu'ont connus la violence, l'expansionnisme et le pillage extérieurs. Ces forces de production capitalistes se sont instaurées, non pas grâce à une accumulation interne qui serait née de l'évolution des forces de production, mais grâce à une accumulation résultant du pillage extérieur, qui a permis le développement des forces de production et une accumulation intérieure liée à celle-ci; donc, l'accumulation de base provenait et provient toujours du processus de la violence, de l'expansion et du pillage.

L'avènement de la société capitaliste après le féodalisme ou sur ses ruines, ne conduit pas à supposer automatiquement qu'il s'agisse là d'une évolution naturelle dans les entrailles de la société féodale. Car la succession d'un évènement à un autre dans l'histoire ne signifie pas nécessairement l'existence d'un lien de causalité entre les deux évènements. Il faut d'abord étudier les raisons réelles de l'arrivée du nouvel évènement, et puis essayer de démontrer si cette succession est due à une évolution naturelle ou si elle est le produit de facteurs qui n'ont rien à voir avec une évolution interne à l'évènement précédent.

Les faits historiques affirment que la pratique du pillage, de l'expansion et de la violence par la féodalité européenne était antérieure au développement des forces de production capitalistes ou bourgeoises. Il est donc très important de déterminer lequel des deux phénomènes est antérieur à l'autre, ou lequel est la cause de l'existence de l'autre. Là, on peut avancer l'idée selon laquelle c'est la pratique de la violence, de l'expansion et du pillage du monde extérieur qui a engendré le besoin du développement des forces de production et y a contribué. Lorsque l'Europe s'est trouvée agrandie aux dépens d'un bon nombre de pays africains, asiatiques, d'Amérique Latine et du Nord, elle a estimé qu'elle pourrait mettre la main sur le monde entier, ce qui a engendré chez elle le besoin d'un système dynamique, capable d'envahir et de dominer le monde entier. Pour cette raison, l'Europe a été amenée à se remodeler dans le moule capitaliste, de façon à servir la situation nouvelle et ses perspectives d'avenir. (On pourrait objecter que l'expansion extérieure, la violence et le pillage ont été pratiqués dans plusieurs sociétés à travers l'histoire, sans déboucher sur le capitalisme. Cette objection est irrecevable, car là, l'expansion a vécu avec une évolution précise des sciences que le monde a connue à cette époque-là, et qui a aidé à la réception de nombreux besoins et à leur utilisation dans le développement des outils de production).

Cela nous conduit à récuser la thèse selon laquelle le capitalisme est le fruit d'une évolution naturelle au sein du féodalisme, et à affirmer que le capitalisme est le produit d'une situation mondiale née dans une circonstance exceptionnelle qui a permis à l'Europe de réussir à envahir le monde par la force. Par conséquent, le capitalisme est le fils légitime de cette situation mondiale et ne peut survivre qu'à condition de pouvoir l'engendrer continuellement, c'est-à-dire en continuant à dominer le monde par la force et à réaliser le plus haut degré de pillage (et de profits). En raison de cela, en ne percevant pas cette loi, Marx a pensé que le développement capitaliste nécessitait l'orientation vers une plus grande polarisation mondiale, c'est-à-dire la domination, par un petit nombre d'Etats (qui sont en lutte les uns avec les autres) du monde entier, ainsi que son pillage continuel, et ce, jusqu'à la fin.

Car, plus ces Etats grandissent, plus ils sont liés à la nécessité du pillage, de l'expansion et de la violence. C'est dire qu'ils seraient incapables de revenir à leur dimension précédente, de crainte de subir le sort du dinosaure, car ce genre d'évolution est « dinosaurienne » : c'est la tendance continuelle à accentuer la violence, le pillage illimité, l'avidité extrême. Cela nous permet de dire que ce qui se cache à l'état latent dans les entrailles de ce dinosaure, c'est l'Etat centralisé qui avance sur cette même voie, et non pas le socialisme ou l'internationalisme. Quant à l'autre alternative, c'est la destruction totale plutôt que le recul. C'est ce qui nous explique le développement monstrueux de la force militaire et la préparation à la troisième guerre mondiale. Il est, sans doute, légitime de penser que ces Etats sont prêts à détruire tout, plutôt que d'accepter une réduction du degré de chauffage ou du niveau de leur bien-être, sans parler de l'éventualité qu'ils acceptent de subir le froid et la famine ou l'égalité avec les autres peuples. Cela s'applique à ces Etats, dans leur intégralité, ils ressemblent à un corps occupant tout entier le même espace et marchant dans la même direction.

LE PRIX DE LA CIVILISATION OCCIDENTALE

Dr Shākir Mustafa

Dès le départ, ce miracle occidental s'est réalisé au prix du sang et au détriment des richesses des autres peuples !

Au cours du dialogue, son ami lui disait :

— Je me rappelle encore, comment, lors de la soutenance de ma thèse de doctorat, deux membres du jury rougirent en refusant que je qualifie de 'barabare' l'invasion de Jérusalem par les croisés occidentaux qui y ont massacré 70 000 personnes; « Ce ne sont pas des propos scientifiques », prétendaient-ils. Je leur dis alors : « Avant toute réponse, je voudrais vous demander comment vous qualifiez, dans vos livres scientifiques et même vos manuels scolaires, la conquête de l'Europe par les Huns et leur chef Attila, ou la marche des germains sur l'empire romain ? Comment qualifiez-vous parfois, et particulièrement dans les livres d'enfants, l'entrée des Arabes en Espagne et la bataille de Poitiers ? C'est de ces sources de savoir que je tiens ce que j'ai appris. En Occident, vous avez longtemps été habitués à être les seuls à écrire l'histoire, et à ce que les autres la lisent... Désormais, ce sont les autres qui l'écriront à leur tour et de leur propre point de vue, et ce sera à vous de la lire. Vous ne vous êtes pas encore vus dans le miroir et ce sont les autres qui le dresseront devant vous : toute la pourriture du passé sera placée, un jour prochain, dans vos corbeilles, à la place de vos fleurs... »

Alors, l'ami réagissait : « Supposons que ce que vous venez de dire est la vérité-même, le fait est que l'histoire est écrite par les plus forts et par les conquérants; la civilisation occidentale continuera à

camoufler jusqu'à ses crimes derrière la façade de ce qu'elle a offert d'universel à l'homme sur le plan intellectuel ! »

Son ami lui répondit : « Mais le prix payé en échange de cet apport a été horrible. Vous rendez-vous compte de l'exorbitance de ce prix-là ? C'est le monde entier qui l'a payé... le monde entier, sauf l'Europe elle-même. L'autre face de cette civilisation occidentale n'a pas été encore décrite. Le revers de cette médaille n'a pas été dévoilé et sa radiance aveuglante n'a pas permis encore que l'on voit le gâchis de sang et de cadavres perpétré de l'autre côté ».

Nouvelle réaction de l'ami :« Maitenant, je commence à croire que le noble et regretté Don Quichotte est l'ancêtre de toute une dynastie encore vivante, qui se bat contre des moulins à vent. Vous voudriez que j'oublie les merveilles de cette civilisation et tout ce qu'elle a fourni à l'homme pour méditer sur les problèmes de l'histoire ? Vous ne voudriez tout de même pas que je fixe mes regards sur le passé et ses erreurs, pour ne pas voir l'arrivée de l'homme sur la lune. »

Son ami lui répondit : « Tout ce que j'ai voulu dire c'est que cette réalité a une autre face sombre, telle que la lune... et que nous sommes des partenaires à part entière, dans l'édification de cette civilisation occidentale. Cela, non seulement de par l'héritage de notre passé lointain, mais aussi de par nos propres efforts : car nous nous sommes saignés aux quatre veines pour avoir notre part dans cette civilisation. Nous devons être parfaitement conscients de ce fait et ne jamais cesser de le répéter; il doit être le B.A.-BA de nos enfants aussi. Je ne m'intéresse pas à l'histoire des relations de sauvagerie qu'elle a établies avec les peuples opprimés et grâce auxquelles elle a pu édifier « le miracle occidental contemporain ». Voulez-vous que je vous parle de ce « miracle » et de son prix ?

C'est une épopée qui s'est réalisée en trois étapes dont chacune fut une catastrophe pour l'humanité. La première fut celle de l'extermination collective, de l'esclavage des Noirs et de l'expansion tentaculaire. Puis, ce fut l'étape du pillage à l'échelle mondiale; et enfin s'annonça la dernière étape que nous vivons actuellement : celle qui consiste à développer le « sous-développement ».

1. — L'Etape de l'Extermination et de l'Esclavage :

L'épopée doit sa naissance, au tout début, à deux instruments que l'Europe occidentale emprunta aux Arabes : la boussole et la poudre à canon. Le premier permit les voyages des gigantesques navires à voiles, ouvrit la porte aux forces navales et offrit la possibilité d'envisager de grands déplacements. Le deuxième, c'est-à-dire la poudre à canon, devint le moyen qui conçut la marche à suivre pour ses propres navires traversant l'Atlantique, comme pour les autres navires occidentaux qui lui succédèrent : l'avance vers l'Ouest pour encercler et piller l'Orient qui représentait la

richesse et l'or; cet Orient était l'héritage de tout un riche passé, il était l'« autre », envié. Aujourd'hui, les « objectifs » de ce même Occident sont encore d'aller loin, de tuer à distance et de piller les autres.

L'Occident donc ruina ainsi trois continents, qu'il continua à détruire et détruire toujours pendant quatre siècles. Du premier continent, il élimina tous les habitants de race rouge armés d'arc et de flèches; leur sang pur fut sacrifié par l'homme aux yeux bleus et à la peau blanche qui portait le fusil dans une main et la Bible dans l'autre. Quand aux habitants du deuxième continent, l'Occident les réduisit en esclavage; ce n'étaient que des nègres; avaient-ils une âme ? On était en droit d'en douter; dans ces conditions, ils n'étaient bon qu'à constiter des caravanes d'esclaves. Quand aux habitants du troisième continent, ils étaient une multitude de fourmis qui ne méritaient que d'être exploités et de mourir; qu'ils fussent donc exploités et qu'ils mourussent...

L'Occident a ainsi massacré quatre millions d'hommes sur le premier continent, s'est emparé de cent millions d'esclaves dans le deuxième et a exploité à fond cinq cent millions d'hommes dans le troisième.

L'homme européen a abordé sur le premier continent, c'est-à-dire l'Amérique, avec un appétit d'ogre et une avidité incommensurable. Les habitants de ce continent, que l'homme européen a appelés « Indiens », l'ont accueilli comme s'il était « le dieu blanc ». Mais ils se sont vite rendus compte qu'il était le diable de l'enfer et le dragon dévorant à sept têtes.

Avant Christophe Colomb, l'Amérique était un univers débordant de civilisations : des systèmes de gouvernement, d'organisation sociale, des rois, des armées, des forteresses, des murailles, des routes, des châteaux aux portails en or, des cités éblouissantes, des œuvres d'art dépassant l'imagination en sculpture et en dessin. Il y avait aussi une écriture, une arithmétique, une géométrie et des connaissances astronomiques précises, une médecine, différents artisanats et une agriculture pourvue de réseaux d'irrigation surprenants. S'y trouvaient également des joyaux d'une beauté légendaire; l'industrie minière de l'or, de l'argent et de l'étain y était prospère; bref, on avait affaire là à l'histoire des rapports humains, des guerres, des empires, des coutumes festives et des rites religieux des Indiens, ces Indiens, que les films de « cow-boys » et de la conquête de l'Ouest nous présentent avec de sauvages yeux rouges, des traits crispés par la haine, et armés d'un couteau traître pour déchirer les tentes tranquilles. Cette image des Indiens est un mensonge des medias américains et ce type d'Indiens n'existait qu'aux lointains confins de ces civilisations-là.

La terre des Amériques, du nord au sud, était répartie entre les civilisations des Aztèques au Mexique, avec leurs villes fantasti-

ques, des Mayas en Colombie, des Incas au Pérou, des Tupinambas au Brésil, des Guaranis au Paraguay et des Araucans au Chili; chacune de ces civilisations suivait son chemin. Mais, soudain, au 16^{e} siècle, ce fut la catastrophe avec l'apparition de Christophe Colomb. Alors, toutes ces civilisations s'éteignirent l'une après l'autre, sous des coups redoutables et diaboliques. Elles furent englouties sous le sang et l'or de leurs bâtisseurs. La folie de l'or qui avait atteint les conquérants les conduisit à anéantir la race des Indiens et à détruire jusqu'à leurs maisons. Dans son ouvrage relatif à l'extermination des Indiens, connu comme « l'histoire noire », Las Casas donne des récits de ces crimes horrifiants; et bien que ce livre ait été traduit en plusieurs langues, l'on n'en entend aucun écho. Quant au reste des Indiens, ils ont vécu dans l'humiliation, après avoir été écrasés par les canons et sous les pas des chevaux.

De plus, en arrivant sur le nouveau continent, les conquérants y avaient introduit la variole et les maladies vénériennes, ce qui fit disparaître des milliers d'Indiens. C'est ainsi que la tristesse creusa les traits de leurs descendants qui se trouvent dispersés jusqu'à nos jours; et c'est ainsi qu'en un peu plus d'un siècle, les Indiens se trouvèrent en voie de disparition sur leur grand continent, tandis que l'homme européen héritait de la terre et de tout ce qu'elle portait.

C'est pour l'exploitation de cette terre que le deuxième continent, l'Afrique, connut, lui aussi, la catastrophe. Les flottes européennes imposèrent leur hégémonie aux côtes africaines, d'où elles chassèrent les populations noires, qui devaient assurer les travaux des champs et de la mine, ainsi que les fonctions subalternes en Amérique. L'Afrique, que les Européens ont qualifiée de noire, n'était, elle non plus, ni le pays des tam-tams enroués et des visages barbouillés de peinture, ni le pays de la crispation hystérique autour des lances, dans la longue nuit menaçante. L'image de l'homme noir conçu comme la bête des forêts sauvages n'est qu'un autre mensonge de l'Occident. Aux 16^{e} et 17^{e} siècles. l'Afrique était un pays où régnait la civilisation islamique en culture et en production. Ainsi, après le vaste empire du Ghâna qui reposait sur l'exploitation de l'or, s'était bâti l'empire musulman des Mandingues au Mali. Sa capitale, Tombouctou, foisonnait de savants, de mosquées, de châteaux et de richesses en or et en étain. L'agriculture y était prospère et les routes peuplées de caravanes. Puis, il y avait eu l'empire Songhaï au Nigéria avec ses rois, son armée bien organisée, ses réseaux d'irrigation, ses arts avancés et ses formes de guerre, de paix et de vie sociale.

L'effet produit sur ces structures de civilisation, par l'arrivée des flottes européennes, fut comparable à celui d'un tremblement de terre. Elles ne se contentèrent pas de vider ces civilisations de leur force vitale, ni d'anéantir leurs peuples en jetant les neuf dixièmes à la mer, et en abandonnant le reste au fouet outre-mer. Elles

déséquilibrèrent profondément les structures sociales de ces civilisations et les condamnèrent à la stagnation technologique. Elles dénaturèrent les systèmes de production et détruisirent les relations économiques propres à ces civilisations qui furent ainsi privées de leur mode de production, pour souffrir d'un état dans lequel les hommes se chassaient et s'entretuaient sauvagement. En revanche, le commerce des esclaves devenait cependant l'un des plus vastes et des plus lucratifs qui fût. Il avait ses chasseurs, ses marchés et ses ports d'exportation comme Liverpool, Bordeaux et Lisbonne, tandis que l'Afrique souffrait d'une hémorragie fatale.

L'or afro-américain et le sang indo-noir constituaient les deux sources d'énergie gratuite et fantastique alimentant l'Occident européen. Ils ne lui permirent pas seulement de construire sa puissance navale et économique gigantesque, mais aussi d'étendre les réseaux de sa domination sur toutes les côtes de l'Asie et d'y installer les bases et les centres de son exploitation. Quand cette étape s'acheva au bout de deux siècles environ, l'Europe dominait toutes les mers, ainsi que l'ensemble du système commercial mondial.

2 — *L'étape du pillage à l'échelle mondiale :*

A partir de là s'amorça cette étape de pillage à l'échelle mondiale, que l'on qualifie ironiquement d'étape de la colonisation. Mais est-il besoin de formuler un nouveau « récit noir » pour dévoiler le vrai visage de cette colonisation après tout ce que les peuples ont souffert de ses desseins infernaux ? Le dragon occidental s'était assuré un degré de puissance sans égal au monde pour lui faire face. En même temps, son avidité s'était accrue encore plus vite que sa force et nulle richesse ne comblait sa faim. Et alors qu'il répandait les idées de progrès, de liberté, de fraternité et d'égalité en Europe, le plan d'action de la colonisation se consolidait et renforçait l'ordre du pillage à l'échelle mondiale.

Ce plan d'action se fondait sur le triangle des trois « M » (Missionnaire — Mercenaire — Marchand). Les missionnaires exploraient les terrains et les mercenaires ou les armées les suivaient pour anéantir toute résistance; puis arrivaient les marchands, sous forme de grandes compagnies, pour mettre en œuvre le processus du « pompage » des richesses vers l'Europe. Cela se répéta partout, en Chine comme au Mozambique et au Ghâna et en Syrie comme en Algérie et dans le Golfe.

Le système du pillage se fortifia par l'établissement du système de l'économie qui ne vise qu'à fournir la matière première aux usines occidentales, au détriment de la production alimentaire locale, et qui exploite la main d'œuvre sur place, par la force et à coups de fouet, au lieu de la déporter comme esclave au-delà des mers. Ainsi, l'achèvement des 114 kms de voie ferrée partant de

Brazzaville coûta la vie à 17 000 hommes, tandis que le reste des forces vives du peuple étaient spoliées par le marché de consommation qui leur était imposé. A ce propos, aurions-nous oublié la guerre de l'opium en Chine ou la consommation obligatoire du vin en Indochine ?

De cette manière, l'huile, la pistache, le coton, l'or ou les diamants produits par les colonisateurs étaient vendus parfois dix fois ou des dizaines de fois leur prix d'origine. Cela, quand la production de pistache (au profit des compagnies huilières) constituait 85 % de la production nationale du Sénégal par exemple, ou quand les vignes et la production du vin en Algérie constituaient la source principale de recettes de ce pays, bien qu'il fût un pays musulman, et quand le coton d'Inde et d'Egypte faisait tourner les usines de Manchester. Pendant tout ce temps-là, les peuples de ces pays importaient leur nourriture ou souffraient de la famine.

Mais, alors que l'artisanat local de ces pays se voyait sur la voie de l'extinction et que l'économie alimentaire était voué à la ruine, quelque chose de plus dangereux que tout cela se réalisait sur la plan culturel : la destruction de l'identité culturelle et de la civilisation de ces peuples; en d'autres termes, l'« occidentalisation », qui conduisait à supprimer la langue nationale pour la remplacer par celle du colonisateur, tout en exploitant l'ignorance religieuse et en abusant des valeurs et des richesses de la civilisation d'origine dont les trésors étaient usurpés par les musées européens.

Mais, bien pis que cela, l'éducation elle-même fut modelée pour servir le « sous-développement ». Le but de l'enseignement fut de former un minimum d'individus apprivoisés, aptes à mettre en place les organes locaux au service des intérêts coloniaux. C'est ainsi, qu'après 4 siècles de colonisation afro-asiatique, les analphabètes constituaient plus de 86 % des populations de ces deux continents. Lorsque la France, par exemple, est entrée à Madagascar au 16• siècle, 140 000 jeunes bénéficiaient de l'enseignement; lorsqu'elle a quitté le pays en 1960, ces jeunes n'étaient que 104 000. En Afrique Occidentale Française qui rassemblait 15 millions d'habitants, il n'y avait pas, en 1938, plus de 70 000 élèves dans les écoles, c'est-à-dire 0,5 % de la population. Au Nigéria et au Kenya, le budget de l'éducation de 1935 était respectivement de 4 % et de 3 % du budget d'état. Le Portugal a quitté le Mozambique après 4 siècles d'occupation sans qu'on y dénombre un seul médecin originaire du Mozambique.

Pendant tout ce temps-là, les flottes occidentales dont la force et le nombre grandissaient, acheminaient, telles que des tentacules infernaux, les fruits de l'exploitation et les richesses des 3 continents vers l'Europe qui gagnait ainsi une force technologique et militaire lui assurant une supériorité écrasante. Ainsi, avec

l'installation de structures capitalistes formidables, l'excédent en matière de civilisation s'accumulait gratuitement en Occident selon un cercle vicieux : la croissance des forces de l'Occident menait à la croissance de l'exploitation et cela, à son tour, appauvrissait davantage les colonies qui, de ce fait, rendaient l'Occident encore plus fort et ainsi de suite. C'est grâce à cet excédent de civilisation gratuit et toujours croissant, qu'une poignée de dragons capitalistes sauvages se créérent, et devinrent des représentants des forces motrices européennes : Barkley, Rothschild et bien d'autres par exemple. Leurs richesses légendaires se sont accumulées aux dépens des peuples noirs, bruns et jaunes. Même les Européens qui arrivaient en Amérique du Nord pratiquèrent le même pillage à l'égard du mélange de races d'Amérique du Sud; ceux du Nord se joignirent à l'Occident agresseur tandis que ceux du Sud se trouvèrent mêlés au reste des populations du tiers-monde dont le pétrole, l'étain et l'argent faisaient les bases d'une hégémonie qui nous a condamnés à l'état du « sous-développement ».

3 — *L'étape finale : développer le « sous-développement » :*

Enfin, la 3e étape, qui consiste à développer le « sous-développement » est commencée; c'est en fait celle que nous vivons aujourd'hui. Mais, cette réalité a-t-elle besoin d'être exposée avec pièces et preuves à l'appui ? Le cercle vicieux, dont beaucoup pensaient qu'il ne fonctionnait plus depuis la deuxième guerre mondiale, et l'avènement des proclamations d'indépendance, est en effet en pleine activité aujourd'hui. Impitoyablement, à travers les cartels des multinationales et sous le commandement du dragon américain, ce cercle continue à écraser les relations humaines. Les forces technologiques et atomiques aux mains de l'Occident sont déployées à fond, non seulement pour encercler et piller le tiers-monde, mais aussi pour accroître l'état de « sous-développement » afin de dominer les peuples à travers leurs structures affaiblies et leur besoin de pain. Ce pain qui est à la fois le pain d'aujourd'hui et une promesse de destruction pour demain.

Je ne voudrais pas rappeler ici le dialogue de sourds établi entre le Nord et le Sud, ni la distinction entre pays avancés et pays en voie de développement, ni non plus le fait que les pauvres s'appauvrissent de plus en plus, tandis que les riches s'enrichissent toujours davantage. Toutes ces histoires sont déjà connues; mais quelques détails et quelques chiffres ne mettront-ils pas mieux en valeur les dimensions de la tragédie ?

* En 1974, tout le monde fut appelé à crier au scandale, contre les Arabes, quand les prix du pétrole augmentèrent; l'Occident trouvait par là anormal que le revenu national de certains des pays du tiers-monde augmente. Pourtant, la totalité des revenus du pétrole arabe n'équivaut pas au produit national brut de la seule Italie. De

plus, les 3/4 de ces revenus sont réorienté vers les établissements occidentaux, soit pour payer les biens de consommation, soit à titre de dépôts bancaires éternels dont Dieu seul connait les destins. Mais laissons tomber l'exemple du pétrole et de ses cartels qui sont devenus un sujet de scandale et soulignons quelques autres traits caractéristiques de cette tragédie.

* La Compagnie Exxon est plus forte que n'importe quel pays dans le tiers-monde (à l'exception de l'Inde, du Mexique et du Brésil). En 1974, le budget de cette Compagnie était de 44 milliards de dollars et il s'élève aujourd'hui au double de cela.

* Le budget de la Compagnie « General Motors » était de 32 milliards de dollars il y a 7 ans et se monte aujourd'hui à 58 milliards de dollars.

* Le budget de la Compagnie « Nestlé » dépasse le produit national brut de la plupart des pays d'Afrique; en 1980, ce budget était d'environ 11 milliards de dollars.

Par contre, les producteurs de bananes perçoivent seulement 6 % des prix de vente, les producteurs de thé 10 %, de cacao 13 %, de café 4 %, de pétrole 11 %,seulement.

Même les organisations internationales font campagne aux côtés de l'Occident et contre l'homme du tiers-monde :

* Le Fonds Monétaire International compte 123 pays membres, mais 23 pays industrialisés y contrôlent 66 % des voix;

* La Banque Mondiale compte 141 pays membres, mais 22 pays industrialisés y contrôlent 66,2 % des voix. De même, bien que les 2/3 de la population du tiers-monde soient des ruraux, cette banque n'a accordé dans les années 1970 que 15 % de ses emprunts à l'agriculture.

L'on parle aussi de l'aide des pays avancés aux pays « sous-développés ». A ce propos, précisons que 73 % des aides dirigées vers des pays du tiers-monde dans les années 1970 ont été récupérées la même année, par ceux qui les avaient offertes.

Le même vieux pillage continue et même s'amplifie; il est même accompagné d'autres entreprises destructrices à l'égard de ce monde de déshérités. Ces pays sont continuellement privés de leurs richesses, qui, ainsi, ne peuvent constituer une base solide de développement. Ils sont pris dans l'engrenage de la consommation, et deviennent ainsi plus vulnérables devant les menaces de famine. Tous les facteurs de division sociale, religieuse, linguistique, politique et économique sont sans cesse entretenus dans ces pays du tiers-monde, afin qu'ils demeurent toujours trop faibles pour

profiter de leurs richesses, ou qu'ils ne puissent pas se révolter. C'est cela le développement à l'occidentale pour les pays en « voie de développement » : c'est en fait le développement du sous-développement.

C'est ainsi que son ami parlait au cours de ce dialogue...

Mais était-ce vraiment un dialogue entre son ami et lui-même ? N'était-ce pas plutôt une sorte de monologue douloureux sur la sauvagerie humaine ? Ou bien encore peut-être était-ce un regard de défi lancé vers le soleil à travers des lunettes noires ? Ou enfin tout simplement, une invitation à remettre l'histoire sur ses pieds et à approcher la vérité de deux côtés ?

Je ne sais point.

— Cet article est tiré et traduit de :
« *Al 'Arabi* », revue mensuelle paraissant au
Koweit, pp. 17-21.
Décembre 1981.

LA MODERNITE : LES COUCHES MODERNISEES DANS LA CRISE DE LA PENSEE ET DE LA PRATIQUE

Walid Nuwayhid *

Il est tout à fait dans l'ordre des choses que les « tendances modernes » se mobilisent pour affronter ce qu'elles appellent les « forces obscurantistes » qui œuvrent à faire revenir les aiguilles du temps en arrière ! ! Cette mobilisation a-t-elle pour cause la crainte de voir « la raison moderne » et les « forces éclairées » taillées en pièces et décimées par la résurgence des « puissances des ténèbres » qui règnent dans la région arabo-islamique ou a-t-elle d'autres raisons derrière lesquelles s'alignent ces tendances modernes ? Tous les indices révèlent que cette crainte et ce souci que « les lumières » ne soient annihilées par « les ténèbres » ne s'originent pas dans le fait de tenir au progrès de la connaissance humaine, mais plutôt dans celui de tenir aux privilèges que l'Occident a créés, durant l'étape de sa domination, au profit de certaines couches et ceci aux dépens de la majorité. Ce sont ces privilèges qui empêchent la communication entre les élans révolutionnaires dans la région islamique et l'ensemble des forces alliées à l'Occident. Malgré la domination et l'aliénation que les disciples de l'Occident ont fait subir aux peuples musulmans pendant une longue période.

Il n'est point surprenant dès lors que l'on retrouve le « marxiste », le « libéral », le « laïc » et le « bourgeois » alignés sur les mêmes

* Journaliste et observateur politique libanais, exerce actuellement la fonction de rédacteur en chef de la revue hebdomadaire « *Ash Shirā'* » paraissant à Beyrouth.

assises politico-idéologiques pour affronter l'Islam. En effet, l'Islam qui a pu unir les gens dans le cadre de l'hostilité historique et déterminée à l'égard de l'hégémonie occidentale, a en même temps et du même coup réalisé l'union des différents groupes et couches occidentalisés ou intéressés à la domination de l'Occident dans un cadre commun; de telle sorte qu'il devient indémêlable de savoir qui, parmi ces derniers, professe le plus de haine à l'encontre de l'Islam. Dans la mêlée, tous se rencontrent sur la base de la lutte contre l'Islam et les adversaires d'hier sont devenus les associés d'aujourd'hui avec l'argument que l'ennemi historique commun est de nouveau sur la scène, cet ennemi implacable dont le glaive hante les nuits de toutes les têtes.

Et la question se pose : comment se fait-il que toutes ces couches et tous ces groupes inégaux et opposés dans plusieurs domaines se soient retrouvés du jour au lendemain réconciliés dans et par les seules hostilité et haine vis-à-vis de l'Islam et des courants islamiques ? Il n'est nullement objet de doute que la perception de l'Islam qu'ont ces groupements politiques et sociaux repose sur l'évaluation et la compréhension communes, élaborées par l'Occident durant la période de son infiltration et de sa domination dans nos pays. C'est un point de vue à l'extérieur duquel sont demeurées les forces et les couches qui ont vite fait de reconnaître dans l'Occident, l'instrument de destruction de l'histoire constituée par l'Islam, destruction qui n'est que l'amorce d'un affrontement ultérieur et plus direct avec l'Islam lui-même. C'est pour cette raison qu'il n'est point surprenant que certaines régions du monde islamique livrent aujourd'hui le tableau d'une lutte sans merci entre la domination occidentale et les courants religieux. Ces luttes se sont elles-mêmes accentuées après l'échec de l'Occident à modeler les courants religieux et à les intégrer aux grands plans de « réformes » capitalistes entrepris sur la base de la victoire de l'Occident après la fin de la première guerre mondiale.

En contrepartie de cet échec, l'Occident a réussi à impliquer certains secteurs et couches sociales dans sa sphère d'influence moderne. Mais, malgré ce relatif succès, l'influence occidentale capitaliste n'est pas arrivée à se constituer des positions stables dans la structure des sociétés islamiques. Cette influence est demeurée limitée à un cadre relatif de relations économiques et politiques modernes, sans pouvoir s'immiscer en profondeur pour venir à bout du « rideau de glace » qui sépare les forces « traditionnelles » et les forces « modernes » de la société. Vu l'hétérogénéité et l'inégalité de ces relations, la position de l'Occident dans ces sociétés se trouve en crise et son influence est menacée d'effondrement à chaque moment historique et à chaque tournant décisif.

Cette crise des relations capitalistes occidentales ne s'est pas cantonnée aux secteurs et couches traditionnels dans les sociétés

capitalistes mais a touché certains secteurs et couches modernes nés et développés à l'ombre de l'influence occidentale afin de lui servir d'intermédiaire avec l'ensemble des forces de la société. Mais, quelque degré qu'aient atteint les désaccords entre les couches modernes et l'Occident, l'hostilité véritable et inconciliable est demeurée celle qui oppose les couches traditionnelles renfermées sur elle-mêmes et les rapports capitalistes modernes. Quand aux courants politiques d'opposition qui ont vu le jour sous la domination capitaliste occidentale, ils n'ont pas pu s'instaurer en pôle effectif de recrutement et de polarisation des différentes forces sociales et ceci, malgré les crises fréquentes qui secouent leur relation à l'influence et à la domination occidentales.

La raison de l'échec des courants politiques modernes opposés à la domination, à l'hégémonie et à la dépendance vis-à-vis de l'Occident, revient au fait que ces couches luttaient et essayaient de contrer l'occupation étrangère sur le sol même des rapports capitalistes modernes qui ont parachevé leur domination sur la base de la victoire de l'impérialisme au niveau mondial.

De là vient que ces courants sont restés incapables de constituer une force de recrutement et de polarisation politique effective pour s'engager dans l'affrontement général, et se sont confinés au rôle de « groupes de pression » politiques dans les limites et les possibilités de la règle du jeu qui leur est imposée. La conséquence de cette limitation est que ces courants politiques modernes n'ont pas pu se transformer en puissance d'attraction du corps social pour la lutte contre l'étranger, même si, dans certains cas particuliers, ils ont rempli le rôle de forces de pression.

Ainsi, malgré tant d'efforts déployés par les courants politiques modernes dans leur opposition à la pénétration étrangère, ils sont restés incapables de se constituer en alternative et d'être en même temps la force de lutte et de résistance contre cette pénétration. Le terrain apparaissait donc nécessairement dépourvu d'une force d'attraction politique, et ceci pour une longue durée, à cause de l'absence du cadre et de la force motrice qui peut mobiliser les couches renfermées sur elles-mêmes, contre la domination étrangère. Il était tout à fait normal, face à cet échec des courants politiques modernes, que la scène soit vide des éléments de la véritable et effective contre-offensive. Reste que les luttes engendrées par les courants modernes d'opposition politique à l'époque de leur retrait du terrain véritable d'affrontement n'ont pas dû longtemps attendre l'avènement des forces capables d'une mobilisation effective.

Lorsqu'aujourd'hui nous nous penchons sur les différents pays islamiques, nous constatons que les luttes laissées par les couches de l'opposition modernes commencent à se ressourcer dans le réservoir des forces et des couches traditionnelles. Nous constatons

aussi que les couches sociales renfermées sur elles-mêmes commencent à s'ouvrir à l'appel de la Révolution islamique pour s'engager dans l'affrontement décisif avec l'occident. Nous constatons que vis-à-vis de ce mouvement, les couches modernisées esquissent un mouvement de retrait politique à une période et dans un moment où le combat a besoin de toutes les capacités et de toutes les énergies. La raison de ce retrait réside dans la crainte où se trouve l'opposition moderne quant à sa propre existence, à son idéologie, à ses programmes, la crainte également de subir l'hégémonie de la majorité dans l'affrontement et la lutte contre la domination occidentale. C'est pour cela que nous voyons cette opposition politique moderne préférer tantôt se renfermer sur elle-même, tantôt arborer le soutien verbal public, plutôt que de répondre sans réserves ni ambiguïtés à l'appel de la confrontation générale. Au lieu de fournir l'effort d'essayer de comprendre ce phénomène, de l'analyser et de l'interpréter comme phase préparatoire à la phase d'adhésion et de ralliement au mouvement sous la direction de ses représentants révolutionnaires, nous constatons qu'elle a plutôt pris des positions de repli, qu'elle a multiplié ses remarques et critiques négatives de certaines transformations qui se font jour dans la confrontation en cours à plusieurs niveaux.

Il est évident que de telles positions ne trouvent pas leur raison exclusivement dans sa crainte pour ses intérêts, ses relations et son opposition toute relative aux rapports capitalistes — qui demeure néanmoins sur le terrain même de l'Occident — mais également dans le maintien de ses outils épistémologiques importés d'Occident dans la compréhension du phénomène de la résurgence islamique et dans l'interprétation et la saisie de son mouvement interne.

La dépendance de ces couches modernisées, vis-à-vis des outils épistémologiques occidentaux, a contribué à justifier ces positions de retrait et d'abandon de la lutte et à les enrober dans des légitimations idéologiques faites sur mesures. L'erreur mortelle ne résidait pas dans le fait d'utiliser les méthodes modernes pour analyser ces phenomènes, mais dans l'incapacité où étaient ces couches modernisées de les adapter et de les reconstruire selon les données de la réalité que l'on visait d'analyser et d'interpréter. Aussi, ces moyens de connaissance, ces outils épistémologiques ont joué un grand rôle dans l'égarement et la mystification des couches modernes et dans leur incapacité à assimiler le mouvement de la réalité. Au lieu d'être des points d'appui pour un ralliement total au mouvement de résistance et de lutte contre l'Occident, ces outils ont constitué un lieu d'aliénation, de divorce avec la réalité et, qui pis est, le lieu où se tente la contre-offensive en face de la montée de la vague d'opposition radicale à la domination étrangère occidentale. Le mauvais usage des moyens et outils de connaissance a sclérosé la capacité de s'adapter à la réalité toujours

en transformation et par voie de conséquence au divorce et à l'éloignement de plus en plus accusés vis-à-vis des choix fondamentaux de la majorité qui lutte contre la domination occidentale.

A partir de là, ces thèses théoriques et ces outils de connaissance ne sont pas dans l'erreur uniquement pour ce qui est de la compréhension des luttes que connaissent les pays islamiques mais, ce qui pis est, leurs conclusions politiques sont erronées. L'incapacité des couches modernes à s'adapter à la réalité a contribué à son incapacité à adapter la théorie à la réalité. A partir de cette double incapacité, les analyses se sont érigées sur une compréhension discordante avec la réalité en transformation devant elles. Les analyses théoriques ont extrait des textes et des livres des séries toutes prêtes de thèses qu'elles ont voulu obstinément appliquer au mouvement historique que vivent les pays musulmans. Il n'est donc point étonnant, sur la base de ces thèses toutes prêtes, que les couches politiques modernisées présupposent et fassent l'hypothèse de plusieurs opinions, programmes et lois qui ne répondent en rien au mouvement de la réalité et ne présentent aucune interprétation accordée aux lois qui régissent cette réalité. C'est pour cela que nous voyons que certaines de ces couches modernisées ont abouti dans leurs analyses théoriques à des hypothèses générales, qui se sont toutes effondrées sans difficultés devant le défi de la réalité et des lois qui la régissent. Parmi ces hypothèses générales, il y a celle qui consiste à expliquer les polarisations politiques et historiques sur la base des classifications économiques et ainsi à en déduire des interprétations sur la base de l'appartenance de classe et à les utiliser pour l'étiquetage politique de telle ou telle partie.

Ainsi, au lieu que l'interprétation historique du mouvement réel ne repose sur des réalités concrètes où se constituent les tendances et courants politiques et les polarisations sociales et idéologiques, nous constatons que l'interprétation faite de toutes pièces s'érige sur des bases erronées qui utilisent le critère économique et de classe sans prêter attention aux différences aiguë entre le cours de l'histoire en Occident et l'ensemble des mouvements qui l'affrontent à partir d'un sol et d'une histoire en altérité avec la logique d'évolution de l'Occident. Ainsi, à partir des développements et extrapolations théoriques tout prêts, les couches modernisées ont été incapables de fournir une analyse un tant soit peu consistante du phénomène de polarisation religieuse et de l'avènement des religieux dans la confontration décisive avec l'Occident. Ainsi, ces couches modernes n'ont pas pu fournir l'interprétation scientifique de l'apparition des polarisations religieuses sur la base de la négation du développement capitaliste moderne dans les pays musulmans. La position de retrait ne s'est pas arrêtée à l'incapacité théorique, mais cette incapacité est allée de pair avec l'incapacité politique qui s'est manifestée tantôt par la surprise et l'admiration

apparentes et tantôt par la crainte et le repli sur soi-même. Malgré cela, certaines couches modernisées ont tenu avec insistance à donner des interprétations fausses du mouvement de polarisation. Elles ont ainsi essayé de donner une image moderne des courants religieux ce qui les a amenées à déduire, par la suite, que ces courants étaient en dernière analyse des courants réactionnaires, et donc qu'il fallait dès maintenant s'en méfier, être sur ses gardes à leur égard et même les combattre. Cette insistance a jeté des ombres de doute sur la sincérité des positions politiques des couches modernisées, et ceci non seulement pour ce qui relève de leurs craintes idéologiques, mais surtout pour ce qui touche aux liens qui existent entre certains de leurs groupements et les intérêts de l'Occident ou, du moins, les profits que tirent certains d'entre eux de la persistance de la domination occidentale dans les pays islamiques. Il est fort possible que cet élément soit la principale cause de l'obstination des uns et de la précipitation des autres à jeter le discrédit et le doute sur les courants islamiques qui luttent contre la domination étrangère et ses symboles dans les différentes régions du monde musulman. Reste, cependant, que nonobstant l'obstination théorique précitée et malgré le caractère erroné des conclusions politiques qui vont avec, les questions persistent et le défi demeure présent sur le sol même de la réalité et demeurent nécessaires plus d'efforts pour une autre et meilleure compréhension du mouvement du réel en vue d'une conscience plus juste et plus accordée aux évènements que nous vivons.

Quelles sont donc, dans ce même horizon de questions, les racines du mouvement de polarisation religieuse au niveau historique ?

Les outils épistémologiques modernes et les racines du mouvement de polarisation religieuse ?

Les mouvements que connaissent les différents pays musulmans et arabes constituent des états de lutte politique, sociale et idéologique. Les pays musulmans qui ont, en effet, vu la succession des gouvernements de type occidental et oppressif dans leurs régions, n'ont pas pu jusqu'à présent rentrer en possession d'eux-mêmes ou retrouver leur identité pour jouer leur rôle indépendant au niveau mondial. Les peuples musulmans sont, jusqu'à présent, maintenus sous le poids de la domination des despotismes réactionnaires minoritaires liés à l'Occident et dépendants de sa culture idéologique et de sa main-mise économique. Et si ces peuples vivent aujourd'hui une renaissance contre toutes les formes de domination et d'hégémonie et contre toutes les sortes d'oppression, de déculturation et de marginalisation, cela ne veut pas dire que cet élan de négation advient pour la première fois, ni que ces régions n'aient pas auparavant connu de semblables évènements aux multiples facettes et aspects. L'on peut même dire que les conflits auxquels nous assistons aujourd'hui sont le

prolongement de conflits antérieurs ayant eu lieu au milieu du siècle précédent et au début du siècle actuel. Les polarisations politiques, idéologiques et sociales qui ont lieu aujourd'hui ne sont que la suite historique de polarisations précédentes apparues de façon discontinue et entrecoupée dans le passé.

Si l'on veut établir une distinction entre les périodes précédentes entrecoupées et la période actuelle, cette distinction atteint plus de justesse une fois que l'on a reconnu que le courant révolutionnaire islamique a été battu au début du siècle à cause des vagues de déculturation et de la domination des conceptions occidentales. Il est certain que la domination et l'hégémonie de la culture occidentale et l'aliénation qu'elle a infligé à de multiples couches n'est pas une simple question de détail, mais le résultat d'une lutte historique longue et complexe qui s'est stabilisée à la fin de la 1° guerre mondiale sur la base de la main-mise de la souveraineté occidentale sur la région.

Cette « défaite » politique et économique ne peut être isolée des transformations qui ont eu lieu au niveau de l'équilibre international à cette époque-là et qui ont abouti à la victoire du courant occidental, et à l'extension de son influence aux diverses parties du tiers-monde et du monde musulman. Mais cette « défaite » ne signifiait nullement la fin de ce courant et son anéantissement; au contraire, elle reflètait le degré de l'équilibre des puissances mondiales et leur ruée avec tout leur poids sur les peuples islamiques et arabes.

Depuis cette « défaite », la lutte n'a pas cessé, mais au contraire elle s'est étendue à des formes diverses et inégales pour s'organiser après une longue structuration dans des vagues de résistance,tantôt passive et tantôt violente, aux formes de domination, d'hégémonie et d'oppression. Ces vagues montantes dans diverses parties du monde musulman ont porté en elles et avec elles, avec excès et force, les conceptions populaires les plus diffusées comme elles ont aussi fait remonter à la surface des courants et des forces qui luttent violemment contre toutes les tentatives d'aliénation, d'occidentalisation et de marginalisation. C'est pour cela que la distinction qu'on pourrait faire entre l'étape précédente et l'étape actuelle se résume à la chose suivante : la défaite du courant islamique au début du XX° siècle reflète la victoire militaire, économique et politique de l'Occident sur les pays musulmans, alors que le développement, de nouveau, du courant islamique reflète les débuts de la défaite de l'Occident à tous les niveaux. Sur la base de cette donnée historique pour distinguer les tournants qu'a connus la région sous le poids des pressions internationales et de l'équilibre général des forces, nous pouvons dire que les divers courants élitistes culturels qui ont régné dans le monde musulman et arabe sont le produit de l'Occident ou la face opposée qui est apparue après la « défaite » du courant révolutionnaire islamique.

Ces courants ont vu leur développement accompagner la domination occidentale de la région économiquement et politiquement et la domination de ses conceptions tout au long d'une époque historique relativement étendue. Mais cette domination n'a pas réussi à déraciner la culture islamique qui demeurait vivante dans les profondeurs des peuples de la région. A partir de cela, il n'est pas étonnant que la région assiste aujourd'hui à une renaissance et à un éveil islamiques qui s'expriment dans une vigilance politique culturelle et idéologique portant en elle les racines et les fondements du passé pour combattre la réalité actuelle et pour la pousser dans le sens d'un retour aux fondements.

Cet éveil et cette vigilance sont le cadre général où s'opère une reprise de la lutte précédente à la lumière du commencement de la défaite de l'Occident et de l'effondrement de l'impérialisme. Cette reprise représente une sorte de « vengeance » des affres subies à l'issus de la défaite précédente, défaite qui a eu lieu sur la base de la victoire de l'Occident dans ses guerres internes et dans ses combats pour la domination des « peuples-matières premières » et sa tentative de les « gaspiller » à sa manière.

C'est pour cela que les combats que nous voyons aujourd'hui ne se limitent pas à la lutte contre la domination économique et politique occidentale, mais comportent différents aspects culturels et idéologiques.

Il est certain que, parmi les buts de ce combat, il y a la nécessité de travailler à constituer une méthode conceptuelle qui a ses propres outils en vue de la connaissance des caractéristiques spécifiques de notre société et, par là des traits spécifiques des formes de lutte contre l'Occident. Cette dimension épistémologique de la lutte actuelle commence à constituer, ces derniers temps, une base culturelle et politique qui rassemble et unifie dans son cadre général de multiples couches sociales, celles qui objectivement sont opposées aux intérêts de l'Occident ou qui subissent sa domination. Cette dimension épistémologique a commencé à se tracer une voie vers une cristallisation dans des conceptualisations; et sous le poids des nécessités de la confrontation aux multiples aspects, cette dimension commence à s'engager dans des terrains de luttes philosophiques, idéologiques et politiques contre des couches qui portent dans leurs têtes des conceptions avec lesquelles elles ne pourront jamais comprendre le mouvement complexe de la réalité et, par voie de conséquence, la complexité de la confrontation avec l'Occident. Dans de telles conditions, il est tout à fait normal que la confrontation avec l'Occident dominant économiquement et politiquement ne se limite pas à ce dernier, mais s'engage également contre les couches qui essayent de lutter contre l'Occident avec des conceptions nées et développées en son sein.

Ces couches, dont les conceptions se sont épanouies à l'ombre de la domination occidentale, et qui n'existaient pas à l'époque où les

pays musulmans et arabes résistaient à la tentative occidentale d'imposer sa domination, se sont montrées incapables de mettre fin à cette domination ou de donner jour à un courant de masse contre cette dernière. A cette époque, l'Occident a engagé des combats sanglants contre le courant révolutionnaire islamique, et après sa victoire sur lui, les partis politiques modernes ont commencé à pousser comme des champignons sur le sol de ses conceptions. A partir de cela, nous pouvons comprendre la faillite et l'incapacité de ses couches et nous pouvons comprendre leur isolement politique et leur échec à recruter la majorité des peuples musulmans et arabes à leurs côtés. Et l'échec de toutes les tentatives de polarisation et de recrutement ne se limite pas seulement à la qualité de la direction politique et à son rôle, mais s'étend au type et à la qualité de la Pensée et de la Méthode qu'elle véhicule. L'impasse à laquelle ont abouti ces couches à l'époque actuelle ne s'explique pas seulement par la crise de la pensée et de la méthode qui régissent cette direction et ses derniers avatars.

L'opération qui réduit l'impasse de ces couches au problème de la direction actuelle et à son remplacement par une autre du même type ne permet pas d'avancer dans la solution du problème, mais présente, au contraire, des obstacles nouveaux à la transformation et au changement voulus. L'opération de séparation entre la crise de la direction et la crise de la Pensée et de la Méthode n'est en fait qu'une tentative pour prolonger la crise et consacrer en état de fait l'impasse que désignent indirectement ces couches politiques. Il était normal que les directions de ces couches politiques expriment, sur la base de la séparation précitée, leur crainte vis à vis de toute tentative sérieuse de remettre en cause leur Pensée et leur Méthode et de les reconsidérer.

Cette crainte ne s'est pas limitée à rejeter toute tentative de reconsidérer les bases mêmes de la Pensée et de la Méthode, mais elle en est arrivée à opprimer et à étouffer tout projet d'y penser... Car la lutte contre l'Occident a besoin de l'arme de la critique et de l'affrontement, arme que ces couches politiques n'ont pas rendue disponible et dont elles essayent aujourd'hui d'interdire l'accès, en détournant le regard des gens de la véritable impasse, et en ne désignant point le fondement des problèmes et les moyens de les résoudre. La tâche d'appropriation de l'arme de la critique passe nécessairement par la critique des directions de l'étape actuelle dans le combat de libération islamique et arabe. Mais, cela n'est pas suffisant dans la lutte contre la domination étrangère, car ce qui est requis au niveau de cette tâche, c'est de travailler à critiquer la pensée régnant dans les milieux de ces couches politiques qui travaillent, elles, à freiner et stopper toutes les tentatives réellement critiques à son encontre, et à encercler leur projet de transformation, en vue de consacrer les conceptions existantes. Ces dernières trouvent leur origine dans la culture de l'Occident, et elles ont été

importées et greffées en masse à l'époque qui a succédé à la « défaite » du courant révolutionnaire islamique.

Si nous voulons repérer la crise de la Pensée et de la Méthode, nous n'aurons pas beaucoup de difficultés à connaître les origines de ces conceptions, cela en remontant la chaîne des idées « de gauche » et laïques régnant actuellement au sein des élites intellectuelles. Nous allons trouver que ces conceptions et pensées remontent à des courants politiques qui se sont diffusés et épanouis au sein des minorités religieuses, confessionnelles et ethniques à l'époque de la domination occidentale et de la dislocation qu'elle a fait subir à la région. Les traits principaux de ces courants politiques modernes peuvent être ramenés aux points suivants :

1° La domination exercée par la raison occidentale sur ces couches et leur tendance à l'imiter, abstraction faite de la nature du pays et des conditions historiques où il se trouve et qu'il traverse.

2° La prépondérance de la logique de morcellement et de division sur celle de l'union et la préférence accordée aux programmes politiques coupés à la mesure des régions ainsi divisées, sans considérer l'importance de la concentration de la lutte sur les questions qui rassemblent et qui symbolisent les intérêts de la majorité a

3° La domination des courants modernes par les vagues minoritaires, à tel point que se produit une espèce de ressemblance et de confusion entre la réalité et les intérêts des minorités, et la pensée qu'elles portent et pour laquelle elles luttent.

A partir de ces traits, nous constatons que les racines de la pensée laïque et « de gauche » dans nos pays ne sont pas seulement le *résultat de la prépondérance de l'Occident sur les pays musulmans* et le tiers-monde, elles sont aussi l'une des sécrétions de la domination occidentale. La pensée laïque et « de gauche » est arrivée dans le courant de la montée de la vague d'occidentalisation et de marginalisation et en même temps a été fille de la dislocation, de la division et du repliement au sein des minorités religieuses, sectaires et ethniques. Pour cela, il n'est pas étonnant de constater cette mimésis de l'Occident malgré l'hostilité verbale, souvent verbeuse, à ce même Occident. Il n'est pas non plus étonnant que cette pensée soit toujours tournée vers les minorités et leurs revendications, et adopte leurs causes et leur défense, ceci en tant que moyen de contrecarrer le pouvoir de la majorité historique et humaine de la région. Tous ces traits se retrouvent dans les programmes des partis de gauche et des partis laïcs, et nous voyons qu'ils constituent l'essence de ce qu'on appelle la pensée « progressiste » dans nos pays. C'est pour cela qu'il n'est pas vraiment original de remarquer que la plupart des partis et des organisations politiques sont constitués à base de rassemblements minoritaires et d'élites intellectuelles choisis dans tel ou tel camp. La majorité

craignait et craint toujours le rôle de la fonction de tels partis e organisations au point de mettre en doute leur crédibilité et leu sincérité. Car, elle les a soupçonnés de n'être souvent que de paravents incrustés de mots d'ordre prometteurs et artificiels pou mieux faire passer en douce et par les coulisses, des choix au profi de la domination de l'étranger.

La raison de la crainte et des doutes de la majorité revien principalement non à la composition de ces partis, mais au fait qu les programmes et les thèses de ces couches n'ont jamais dit mo de ses droits et de ses intérêts à elle aussi. Elle y trouve des mot d'ordre et des ordres du jour exigeant des garanties, des droits pou les minorités, au moment où la majorité lutte encore pour arrache ses droits à elle et ses garanties pour le présent et le futur contre l domination étrangère. C'est pour cela que la majorité n'a pas trouv dans les programmes des partis et des organisations le pont ou l moyen effectif qui sont à même d'amener la minorité vers le positions de la majorité et de l'encourager à rallier, côte à côte ave la majorité, les combats contre la domination étrangère e l'Occident. Et au lieu d'ouvrir des voies et des chemins partout pou permettre à la minorité de connaître la vérité de la majorité, ce partis et organisations ont au contraire fermé les issues et constitu les premières lignes de l'affrontement politique, et parfois armé contre la majorité.

Ainsi, au lieu que la majorité se renforce par les partis e organisations pour traverser les obstacles que l'Occident a contri bué pour une grande part à créer pour isoler les minorités, ces parti et organisations sont devenus des citadelles où s'installent le minorités pour livrer la guerre à la majorité. Et c'est ici précisémen que nous découvrons le secret de la déviation de ces partis e organisations et leur transformation en obstacles aux changement historiques et populaires spontanés. Cette déviation tient de l non-désignation précise de l'ennemi principal des pays islamiques Nous voyons en effet ces courants politiques modernes ne poin organiser l'effort dense et élargi pour lutter contre l'Occident e arracher les droits et l'indépendance. Au lieu de cela, ils disperser l'effort et les capacités en exigeant de la majorité qu'elle accorde se droits à la minorité; au lieu que le problème se pose avec l'étranger il se pose avec la majorité qui continue à lutter pour faire sorti l'Occident des pays musulmans. Cette déviation originelle arriv jusqu'à la situation actuelle et il n'est pas possible de la corrige sans reconnaître et accepter les deux points suivants :

— il n'y a pas de question des minorités indépendante totalemen de celle de la majorité.

— il n'y a pas de libertés, de droits, de revendications à l'extérieu de ceux de la majorité.

Au sein d'une telle conception unificatrice et réaliste, nou pourrions sortir, au moins au niveau de la Pensée, de l'impasse

laquelle sont arrivés et nous ont fait arriver les partis et les organisations. Et sur la base de cette Méthode, nous pouvons de nouveau nous engager dans un renouvellement de l'affrontement total avec l'Occident.

— Cet article est traduit de : « *Al Wahda* », revue libanaise, pp. 67-76, n° 6. Safar 1400 H/novembre 1980

SUNNA ET SHI'A ENTRE LES EFFORTS MUSULMANS DE RAPPROCHEMENT ET LES COMPLOTS DE LA DIVISION

Dr Izz Ad-Dīn Ibrāhīm

... Mon but dans cette courte étude, est d'exposer aux musulmans en général, et aux bases du mouvement islamique en particulier, quelques vérités importantes. Je ne tenterai pas de me livrer à un Ijtihad [1] en disant que les Shi'ites et les Sunnites sont des frères en Islām, séparés seulement par leurs respectifs Ijtihād-s quant à l'interprétation du livre et de la Sunna, sans que leurs différences portent atteinte à leur fraternité, ni qu'elles placent les uns aux yeux des autres à l'extérieur de l'Islām. Je ne citerai point les arguments que le Shar' (loi religieuse) met à notre disposition pour prouver la vérité de cette thèse claire et certaine. Car c'est là un autre domaine de recherches auquel nous ne nous trouvons contraints que parce que nous vivons des temps d'ignorance et d'odieuse intolérance. Je prendrai donc le sujet par un autre biais qui se trouve être complémentaire et qui consiste à essayer d'exposer la position et les opinions sur cette question de différents leaders, penseurs et dirigeants musulmans dont la plupart font consensus, pour leur qualité d'Imam, de tous les courants islamiques.
L'Imam martyr Hassan Al Bannā, l'un des pionniers du mouvement islamique contemporain est un de ceux qui ont vécu et pratiqué l'idée d'un Takrīb (rapprochement) entre Shi'ites et Sunnites; il fut membre actif du « Groupe de Rapprochement entre les doctrines islamiques », Rapprochement dont certains ont pensé qu'il était impossible et dont Al Bannā et un groupe de savants et d'Imams de l'Islām ont pensé qu'il était possible et même proche. C'est ainsi qu'ils se sont mis d'accord, pour que se rencontrent tous les

musulmans (Sunnites et Shi'ites) sur la base des dogmes et des principes qui font l'accord de tous les musulmans, et que les uns ne tiennent pas rigueur aux autres pour toutes les choses secondaires qui ne sont pas des conditions de la foi religieuse, ni des pilliers de la religion, ni ne représentent un reniement de ce qui est explicitement comme faisant nécessairement partie de la religion.

Dans son livre « L'unité musulmane » recueil d'articles de savants Shi'ites et Sunnites déjà parus,[2] dans la revue « Message de l'Islam » publiée par Al Azhar, Abd Al Karim Ash Shirâzi dit, page 7, à propos du Groupe de Rapprochement : « Il se mis d'accord sur le fait que le musulman est celui qui croit en Dieu, qui croit que Mohammed est le prophète et l'envoyé, et qu'il n'y a ni prophète ni envoyé après lui, que le Coran est le livre révélé et que la Ka'ba est la Kibla (direction de la prière), qui croit aux cinq piliers connus de l'Islām et à la résurrection et se plie aux règles et exigences de la religion ».

Ces points ont fait l'accord des savants réunis, représentant les Sunnites avec leurs quatre écoles connues et les Shi'ites avec leurs deux écoles : l'Imamisme et le Zaydisme. Cela sans oublier qu'ont participé à ce Groupe de Rapprochement, le cheikh de l'Azhar, 1[ère] autorité de l'Ifta' (délibération et consultation en matière de loi religieuse) de l'Islām à l'époque, le grand Imām Abd Al Magīd Salīm, l'Imām Mustapha Abd Ar-Razik et le Cheick Shaltūt.

Nous ne disposons pas de précisions sur le rôle particulier joué par l'Imām Martyr Al Bannā, mais un des penseurs des frères musulmans, Salem Al Bahnsaoui dit à la page 57 de son livre « Mensonges à propos de la Sunna » : « depuis la création, du Groupe de Rapprochement entre les écoles islamiques, auquel ont contribué l'Imām Al Banna et l'Imām El Kommi, l'entraide et la collaboration sont à l'œuvre entre frères musulmans et shi'ites; cela a abouti à la visite de l'Imām Nawab Safawī au Caire en 1954 ».

Il ajoute à la même *page* : « à ceci rien d'étrange, car les méthodes des deux groupes aboutissent à cette collaboration ». Il est aussi connu que l'Imān Al Banna a rencontré l'autorité Shi'ite, l'Ayatollah Al Kāshānī, lors du pélerinage à la Mecque en 1948. Il y eut entre les deux hommes une entente signalée aujourd'hui par l'un des élèves de l'Imām, Mr Abd Al Musta'al Al Djabri qui dans son livre « Pourquoi Hassan Al Banna a été assassiné ? » (1[ère] édition, page 32), cite Robert Jackson : « si la vie de cet homme (Al Banna) avait été plus longue, cela aurait permis de réaliser beaucoup pour le monde musulman; surtout s'il était arrivé à un accord avec l'Ayatollah Al Kāshānī, le chef religieux iranien, pour éliminer le désaccord entre Shi'ites et Sunnites. Les deux hommes se sont rencontrés au Hidjāz en 1948, et il paraît qu'ils se sont entendus et ont abouti à un point d'accord fondamental. Mais l'Imam Al Banna fut assassiné peu après. » Mr Al Djabrī commente : « Robert

Jackson eut raison, et perçut grâce à son sens politique, l'effort que déployait l'imam Al Banna en vue de rapprocher les différentes tendances musulmanes... Qu'aurait-il dit, s'il avait vraiment pris connaissance de son immense rôle dans ce domaine... ». Nous concluons de cela quelques vérités importantes : 1/ Les Sunnites et les Shi'ites se considèrent réciproquement comme musulmans. 2/ La rencontre et l'entente entre eux ainsi que le dépassement des discordes sont possibles et nécessaires et relèvent de la responsabilité du mouvement islamique conscient et engagé. 3/ L'imām Al Bannā a déployé un grand effort dans cette voie. Le docteur Ishāk Moussā Al Hussaynī relate dans son livre, « Les frères musulmans... grand mouvement contemporain », que certains étudiants Shi'ites qui poursuivaient leurs études en Egypte se sont engagés dans le mouvement. De même il est connu que les rangs des frères musulmans en Irak comportaient beaucoup de Shi'ites. Et lorsque Nouwāb Safawī visita la Syrie et rencontra le docteur Mustapha As-Subā'ī, ce dernier se plaignit à lui de ce que certains jeunes Shi'ites s'engagaient dans les mouvements laïcs et nationalistes. Safawī, monta sur un manbar et s'adressant à une foule de Sunnites et de Shi'ites, il dit : « celui qui veut être un véritable Shi'ite devrait s'engager dans les rangs des frères musulmans ».

Mais, qui est ce Nouwāb Safawī ? C'est le dirigeant de l'organisation islamique Shi'ite « Fedayyin Islam » dont Mr Mohammed Alix Ad-Dannāwī dit dans son livre « Les grands courants islamiques des temps modernes », page 150 : « Malgré leur appartenance au Shi'isme, ils ont une conception de l'unité islamique qui ressemble beaucoup à celles des frères musulmans en Egypte. Il y eut même des relations et des contacts entre les deux courants ». Et lorsque Mr Ad-Dannāwi résume quelques principes de l'organisation « Fedayyin Islam », il y trouve que : 1/ L'islam est une organisation complète de la vie. 2/ Il n'y a pas de lutte confessionnelle entre musulmans, c'est à dire entre shi'ites et sunnites. Puis il cite Nouwāb qui dit : « Travaillons unis et oublions tout, hormis notre Djihād dans la voie de la gloire de l'Islām. N'est-il point temps que les musulmans comprennent, et laissent de côté les divisions entre Shi'isme et Sunnisme ? »

Dans son « Encyclopédie du mouvement », page 163, Mr Fathi Yaken parle de la visite de Safawī au Caire et l'enthousiasme avec lequel il fut reçu par les frères musulmans, puis à propos de l'injuste condamnation à mort de Safawī par le shāh, Yaken dit : « Cette condamnation injuste a eu un écho violent dans les pays musulmans. Les masses musulmanes ont été secouées, elles qui considéraient et admiraient l'héroïsme de Nouwāb Safawī et son Djihād, se sont révoltées contre cette condamnation et envoyèrent des milliers de télégrammes de tous les coins du monde musulman dénonçant le jugement contre le Moudjāhid croyant et héroïque dont l'exécution allait être une perte sans mesure pour l'islām dans

les temps modernes ». Ainsi, un musulman Shi'ite devient, aux yeux de Mr Fathī Yaken, l'un des plus grands martyrs des frères musulmans. Il considère même que Safawī et ses compagnons, par leur martyre, se sont liés à la marche des martyrs dont le sang pur sera là qui éclairera pour les générations futures le chemin de la liberté et de l'abnégation. Et c'est ce qui arriva, car la Révolution iranienne éclata et détruisit le trône du Shāh despote qui erra sur terre sans refuge. Dans son livre « L'Islām, idée, mouvement et soulèvement », M Fathi Yaken dit qu'après la reconnaissance d'Israël par le Shāh, page 56 : « *Il est nécessaire pour les arabes, de* chercher en Iran Nouwāb Safawi et les frères de Nouwāb, (...) mais les Etats arabes n'ont pas compris cela jusqu'à présent... et ne savent pas encore que seul le mouvement islamique soutient leurs causes à l'extérieur du monde arabe... y a-t-il encore en Iran aujourd'hui des Nouwāb Safawī ? » Mr Fathi attendait donc un Nouwāb; pourquoi alors des mains tremblèrent-elles et des corps tressaillirent-ils lorsqu'éclata la Révolution iranienne et que vinrent des Safawī et même des plus grands que Safawī ? »

Quant à la revue « Les musulmans » que publiaient les frères musulmans en Egypte, elle dit dans son numéro d'avril 1956, page 37, sous le titre « Avec Nouwāb Safawī » : « Le cher martyr — que dieu glorifie son évocation — est intimement lié à notre revue « Al Muslimūn » et il fut même son hôte au Caire lors de sa visite en 1954 ». Puis la revue cite, page 76, l'avis de Safawī sur les arrestations des frères musulmans : « Lorsque les despotes tyrannisent les hommes de l'Islām partout où ils sont, les musulmans s'élèvent au-dessus de leurs différences doctrinaires et partagent avec leurs frères leurs souffrances et leurs problèmes. Il n'y a nul doute que par notre lutte positive islamique, nous allons venir à bout des complots des ennemis visant à semer la discorde entre les musulmans. Il n'y a pas de mal à l'existence des écoles et des doctrines, et il n'est, en plus, pas en notre pouvoir de les éliminer, ce que nous devons faire c'est empêcher et stopper, par tous les moyens, l'utilisation de cette situation par les malintentionnés. » A la fin de l'article, la revue cite Safawī qui dit : « Nous sommes sûrs que nous seront assassinés, si ce n'est aujourd'hui, ce sera demain; mais notre sang et nos sacrifices vont revivifier l'Islām et le pousseront à la résurgence. L'Islām a besoin aujourd'hui de ces *sacrifices et ne se relèvera point sans elles* ».

Avant de laisser cet aspect de la relation des frères musulmans avec le Shi'isme, mentionnons que le directeur des frères musulmans au Yemen du Nord, et jusqu'à ces deux dernières années, était un Shi'ite , Monsieur Abd Al Majīd Az-Zandāni, et que nombre de frères musulmans au Yemen sont Shi'ites. Revenons maintenant au sujet du Groupe de Rapprochement pour écouter un membre influent, à savoir, le grand Imām Mohammed Shaltūt, Sheikh de la mosquée Al Azhar : « J'ai cru à l'idée du Rapprochement comme

bonne méthode et j'ai participé depuis le premier jour aux travaux du groupe » (in « l'unité islamique », page 20). Il dit encore, (page 22) : « Voici que Al Azhar Ash-Sharîf accepte le principe de Rapprochement entre les différentes écoles et décide d'enseigner le Fikh des différentes écoles et doctrines sunnites et shi'ites, d'une manière qui repose sur la preuve et le raisonnement et est exempte de partialité envers telle ou telle école ». Il continue, page 24 : « j'aurais aimé parler des réunions à la Maison du Rapprochement où l'égyptien côtoie l'iranien, le libanais, l'irakien, le pakistanais ou d'autres que ceux là, issus des différents peuples. Et où s'asseyent le Hanafite, le Malékite, le Shafi'ite et le Hanbalite côte à côte avec le Zaydite et l'Imamite, autour d'une même table où l'on entend des voix pleines de savoir, de mysticisme et de Fikh; et en plus de tout cela, l'esprit de fraternité et le goût de l'amitié, et de la camaraderie, de la science et de la sagesse ».

Le Sheikh Shaltût signale qu'il y a ceux qui combattirent l'idée de Rapprochement, croyant qu'elle visait à l'élimination des différentes écoles et doctrines ou leur intégration les unes aux autres. Il dit : « Cette idée fut combattue par les esprits étroits comme par les malintentionnés poursuivant des buts personnels, et il est évident qu'aucun peuple ne manque de cette espèce. L'idée de Rapprochement fut combattue par ceux qui trouvent dans la division la garantie de leur mainmise et de leurs privilèges ainsi que par les individualistes et les aliènés. Ceux qui partout louent leur plume aux politiques de division qui ont leurs méthodes directes et indirectes pour lutter contre tout mouvement de réforme et pour s'opposer à tout dessein susceptible de réunir les musulmans et d'unir leurs décisions. »

Et avant de quitter Al Azhar, écoutons la Fatwa [3] qu'il édicta à propos du Shi'isme voici un extrait : « La doctrine Ja'farite, connue sous le nom de Shi'isme duodécimain est une doctrine dont il est licite, du point de vue du Shar' (loi religieuse) de pratiquer le culte comme c'est le cas pour les autres doctrines sunnites. Les musulmans doivent le savoir et éviter la ségrégation injuste contre les autres doctrines. La religion de Dieu et sa loi ne sont point réservées à telle ou telle doctrine ou école, bien au contraire, tous sont des Moudjatahidûn [4] et acceptés par Dieu ».

En partant du Groupe de Rapprochement, nous cheminerons vers une procession infinie de penseurs musulmans, nous aborderons le Sheikh Mohammed Al Ghazâli qui dit à la page 142 de son livre *« Comment nous devons comprendre l'Islâm »* : « Les croyances n'échappèrent point à la destabilisation de la politique et du pouvoir, car les passions de supériorité et les égoïsmes furent mêlés à ce qui ne les concernait pas. Nous vîmes alors les musulmans divisés en deux grands groupes : Shi'ites et Sunnites, et cela, bien que les deux croient en Dieu l'unique et au message de

son prophète, et que l'un n'ajoute point, par rapport à l'autre du nouveau aux principes de la foi par laquelle s'accomplit la religion et se garantit le salut ». A la même page, il ajoute : « Et bien que personnellement je parte dans mes jugements de doctrines qui ne sont pas celles des Shi'ites, je ne considère pas mon opinion comme une religion qui classe comme mécréant celui qui s'en écarte. C'est aussi ma position vis à vis de certaines opinions de Fikh largement diffusées parmi les sunnites ». Page 143, il dit : « le terme de cela fut de faire de la discorde entre shi'ites et sunnites, quelque chose qui touche aux principes mêmes de la religion, pour que la religion d'une se déchire en deux parties et que l'Oumma unie se morcelle en deux branches, chacune guettant l'autre. Toute personne contribuant à cette division tombe parmi ceux que concerne le verset coranique : « Oui, ceux qui font schisme en leur religion et se forment en sectes, tu n'es en rien des leurs. Rien d'autre : leur affaire appartient à dieu, il les informera de ce qu'ils faisaient ». (Sourate 6, verset 159).

Pages 144, 145, il ajoute : « Les deux groupes font reposer leur relation à l'Islām sur la croyance dans le livre de Dieu, la Sunna de son envoyé, et sont dans un absolu accord sur les principes unificateurs de cette religion. Si par la suite les opinions divergent dans les ramifications du Fikh et de la jurisprudence, toutes les doctrines musulmanes sont pour dire que le « Mudjatahid aura sa récompense, qu'il ait raison ou qu'il se soit trompé. » Il continue « et lorsque nous abordons le domaine du Fikh comparé et que nous considérons l'écart que crée le désaccord entre telle et telle opinion, ou entre le jugement d'authenticité d'un Hadīth ou son rejet par le jugement de la faiblesse de son Isnād (référents), nous voyons à ce moment-là que la distance entre Shi'ites et Sunnites n'est point différente de celle qui peut exister entre la doctrine d'Abou Hanifa et celle de Mālik ou de Ash Shāfi'ī... Nous considérons que tous ceux-là sont en quête de la vérité, même lorsque varient les méthodes et les voies ».

Dans le livre « Regards sur le Coran » du même Cheikh Al Ghazālī, on trouve une citation d'un savant Shi'ite. A la page 179 il en dit « C'est l'un des grands Fakīhs des Shi'ites et l'un de leurs grands écrivains. Et nous avons tenu à citer l'intégralité de ses propos, car quelques incapables comprennent le Shi'isme comme quelque chose d'étranger à l'Islam, détourné de sa voie ». Il dit page 158 à propos d'un autre savant Shi'ite (Hibat Ad-Dine Al Hussayni) qu'il est un grand savant en ce qui concerne le Coran et le I'jaz [5], et qu'il est un exemple, en cela, de la vénération qu'ont les Shi'ites pour le Livre de Dieu.

Ainsi parle Sheikh Al Ghazāli, un des plus importants penseurs des frères musulmans, au sujet du Shi'isme. Quand au Dr Sobhi As Salih, dit dans son livre « les aspects de la loi religieuse musul-

mane » page 52 : « Dans les paroles des Imâns de la Shi'a, eux aussi ne citent que ce qui est conforme à la tradition du prophète ». Puis, il rajoute « Le Sunna a chez eux une place importante, elle vient juste après le Livre de Dieu pour ce qui est des sources de la loi religieuse ». Quand à Saïd Hawā, il évoque dans son livre « l'Islām » (tome 2), page 165, les divisions administratives à l'intérieur de « Dār Al l'Islām en disant : « la réalité du monde musulman, c'est qu'il est constitué d'écoles et de doctrines juridiques (Fikh) dont chacune triomphe dans une région. Devant cette réalité, y-a-t-il un obstacle juridique à ce que l'on prenne en considération ces données dans les divisions administratives ? La région ayant une même langue sera une wilāya (vilayet), la région Shi'ite sera une wilāya, la région qui a une appartenance à la même école de Fikh sera une autre Wilāya, chaque Wilāya choisit ses gouvernants à l'intérieur de ses limites mais avec soumission à l'autorité centrale représentée par le Khalife ». Ceci est un aveu sans détours, par l'un des grands penseurs des frères musulmans d'aujourd'hui, que la différence et la multiplicité des doctrines, y compris la Shi'a, ne portent pas atteinte à l'Islām des gens de chaque doctrine, ni à leur religion et que les Shi'ites seraient gouvernés par un des leurs sous l'autorité de la Khilafat dans « Dār Al Islam ».

Dans son livre « Islam sans doctrines diverses » le chercheur musulman Mustaphā Ash-Sak'a dit page 183 : « les Imamites duodécimains, sont ceux des Shi'ites qui vivent de nos jours parmi nous et auquels nous lient, nous Sunnites, des rapports d'acceptation mutuelle et d'effort pour le rapprochement des doctrines, car l'essence de la religion est la même et ne tolère ni séparations ni divisions ». Quand au grand Sheikh Mohammed Abou Zahra, il dit dans son livre : « Histoire des doctrines Islamiques », page 59 : « Il est hors de doute que le Shi'isme est une doctrine islamique, si l'on exclue certains courants extrémistes comme les Saba'iyya qui ont divinisé Ali *, (il est connu que même les Shi'ites les déclarent mécréants). Il est hors de doute aussi que le Shi'isme, dans tout ce qu'il dit, reste attaché au Coran et à la Sunna. Ils se conduisent amicalement vis à vis des Sunnites qui sont dans leur voisinage et ne leur sont pas hostiles ».

Dans son livre « Introduction à l'étude de la Shari'a (loi religieuse) musulmane », le Docteur Abd Al Karīm Zaydān, un des plus important penseurs des frères musulmans en Irak dit page 128 : « la doctrine imamite existe en Irak, en Inde, au Pakistan et au Liban. Elle a aussi des adeptes en Syrie et ailleurs. Il n'y a à proprement parler, entre le Fikh imamite (Ja'farite) et les autres écoles de Fikh pas plus de divergences qu'entre une école et une autre ».

Le conseiller Sālem Al Bahnasāwi un des penseurs des frères musulmans qui ont amplement abordé ce sujet dit dans son livre « Mensonges à propos de la Sunna », à la page 60, en réponse à

ceux qui disent que le Musbaf Shi'ite n'est pas le même que le Musbaf Sunnite, que ce Musbaf est le même; et page 263 il dit : « le Shi'isme imamite considère comme mécréante toute personne déformant le Coran, sur lequel il y a consensus de l'Oumma (la communauté), depuis l'aube de l'Islâm ». Par ailleurs, et dans le même ouvrage, il continue dans le cadre de ses réponses Mubib Al Dîn Al Khatîb et à Ihsân Zahîr au sujet de la déformation du Coran en citant, (page 68 à 75), une lettre, qui explique et expose les opinions de plusieurs savants Shi'ites sur ces questions. Il cite l'Imâm Al Khu'i page 69 : « ce qui est connu chez les musulmans c'est qu'il n'y a pas lieu de parler de Tahrif (altération, déformation) à propos du Coran et que le Coran que nous avons entre les mains, est la totalité de ce qui fut révélé au Prophète ».

Al Bahansâwî cite également le Sheikh Mohammed Réda Al Muzaffar : « celui — le coran — que nous avons entre les mains pour le lire et le réciter, est le même que celui révélé au Prophète, et celui qui prétend autre chose que cela est dans l'erreur, car la parole de Dieu n'est point accessible à l'erreur, d'où qu'elle vienne ». Puis Al Bahansâwî cite l'Imâm Kâshif Al Ghata' : « il n'y manque rien, il ne comporte pas de déformation, ni de surajouts et cela fait l'unanimité ».

En outre, page 61, Al Bahansaoui discute, la question de la'isma [6], il dit : « la'Isma, que refusent les Sunnites, si elle était bien comprise par les deux groupes sur la base de ce qui était en usage chez les 12 Imams, n'aurait rien occasionné qui puisse aboutir à ce qu'un groupe excommunie l'autre. Ceci parce que, si ce qui existait chez ces Imams n'est pas considéré comme étant une transgression de la foi islamique selon les Sunnites, la 'Isma est rejetée toutefois théoriquement parce qu'elle ne figure, pas dans les textes considérés comme authentiques. Par ailleurs il est connu que la mécréance n'est attestée que s'il y a non reconnaissance de ce qui est stable et sûr du coran et de la Sunna en le sachant. Si la personne concernée ne le sait pas, ou croit à l'inauthenticité du discours rapporté (Riwâya), elle n'est pas considérée comme mécréante, tant que la preuve juridique (Shar') n'est pas établie. »

De Bahansâoui à Al Djundi qui dit dans son livre « l'Islâm et le mouvement de l'histoire » page 240 : « L'histoire de l'Islâm fut pleine de débats et de polémiques doctrinaires, et de luttes politiques entre Sunnites et Shi'ites. Les forces de la conquête extérieur qui s'étend des croisades à nos jours, ont tenté avec vigilance et obstination de nourrir et d'activer ces désaccords et d'en approfondir les traces pour que ne se réalise pas l'unité de l'Islam. D'ailleurs le mouvement d'occidentalisation était derrière la provocation de luttes entre Sunnites et Shi'ites, et derrirère leur division... Mais Sunnites et Shi'ites ont fini par s'en apercevoir et ont commencé à restreindre l'écart et les désaccords ».

Avons-nous donc compris qui provoque cette illicite discorde, à qui profite-t-elle ? Avons-nous compris que c'est Satan qui nous pousse à nous diviser et nous jeter l'anathème, les uns sur les autres, alors que le différend est plus mince que ne le croient ceux qui se sont laissés prendre. Al Djundi dit, (page 421) : « En vérité, le désaccord entre Sunnites et Shi'ites ne dépasse pas le désaccord entre les 4 écoles sunnites ». Et pour éviter l'illusion que le Sunnisme et Shi'isme sont une seule et même chose et qu'ils n'aient pas connu d'extrémismes, nous lisons dans le livre de Al Djundi, page 421 : « le chercheur doit être éveillé pour distinguer entre Shi'ites et Shi'ites extrémistes (les Ghulāt) qui ont été dénonçés par les Imams Shi'ites eux-mêmes ».

Quant à Mr Samih 'Atef Az-Zayn, auteur de « l'Islām et la culture de l'homme », il a écrit un autre livre, intitulé « Qui sont les musulmans ? », où il discute la question de la Sunna et de la Shi'a; il dit dans son introduction, à la page 9 : « je ne cacherai pas au lecteur que ce qui nous a poussé à entreprendre ce livre est la discrimination aveugle qui a lieu, dans notre société, aujourd'hui entre musulmans Shi'ites et musulmans Sunnites, et qui aurait dû s'évaporer avec le recul de l'ignorance. Mais, malheureusement, elle demeure dans les âmes malades car son enracinement a été profondément établi par les groupes qui ont gouverné le monde musulman sur une base de division, ceux qui sont les ennemis de cette religion et qui vivent en parasites du sang des autres. Je te relaterai dans ce livre, mon frère musulman Shi'ite et toi, mon frère musulman Sunnites, de grandes vérités sur le désaccord d'interprétation du Coran entre Sunnites et Shi'ites, désaccord qui ne porta jamais sur le livre et la Sunna mais uniquement sur leur interprétation ». A la fin de ce livre, Samih 'Atef Az-Zayn » dit, pages 98-99 : « Après avoir pris connaissance des principales causes de l'épreuve de cette Oumma, nous concluons ce livre en disant que : Il est de notre devoir de musulmans, et surtout à notre époque, de faire revenir sur leurs pas ceux qui prirent la voie des divisions et désaccords entre écoles islamiques, pour égarer et manipuler les esprits et augmenter le doute ».

Nous devons effacer l'esprit de division confessionnelle et couper le chemin à ceux qui propagent la querelle en religion. Ceci afin que les musulmans redeviennent comme avant, une seule communauté d'entraide et d'amour, et non des groupes et sectes hostiles et s'entredéchirant. Ils doivent, en cela, prendre exemple sur la tolérance et l'appel à l'entraide des premiers Khalifs. Abou Al Hassan An-Nadawī allait dans le même sens qui disait à la revue islamique égyptienne « Al I'tisam » (n° de Muharram 1398) : « si ce rapprochement a lieu, il va opérer un bouleversement sans équivalent dans le renouvellement de la pensée islamique ».

Dans son livre « Des défis devant l'arabité et l'Islām », Mr Saber To'ayma s'exprime, page 208, ainsi : « Il est juste de dire qu'entre la

Shi'a et la Sunna, il n'y a point désaccord sur les principes généraux, car ils croient tous à l'unicité de Dieu, leurs désaccords conçernent plutôt les ramifications d'ordre secondaire. En Effet les désaccords ressemblent à ceux qui peuvent exister dans deux écoles Sunnites, telles par exemple Shafi'ites et Hanafites. En effet elles croient toutes deux aux principes de la religion, tels qu'ils sont dans le Coran et la Sunna, comme elles croient à tout ce qu'il est du devoir du musulman de croire et sans quoi la réalité du musulman s'annule nécessairement selon les jugements connus dela réligion. En vérité, Sunnisme et Shi'isme sont deux doctrines islamiques issues du Livre de Dieu et de la Sunna ».

Quant aux savants des *Usūl Al Fikh,* (Sciences des Fondements du Fikh) ils considèrent qu'il n'y a pas d'Idjmā'[7] (consensus), si les savants Shi'ites se livrant à l'Ijtihād ne sont pas d'accord de même que lorsque les savants Mudjtahidūns-Sunnites ne le sont pas. M' Abd Al Wahhāb Khallāf dit, dans le livre « La science des Usūl Al Fikh », 14• édition, page 46, que le Idjmā (consensus) n'a lieu en droit religieux (Shar') que si quatre 'Arkān (piliers) sont satisfaits, et ce sont les suivants :

Que se mettent d'accord sur le jugement du Shar' concernant le cas d'espèce, tous les savants se livrant à l'idjtihād parmi les musulmans, à l'époque ou le cas se présente, ceci abstraction faite de leur pays, de leur race, de leur groupe confessionnel. Si le jugement, selon le Shar', ne rassemble que l'accord des savants mudjtahidūn des deux lieux Saints de l'islām, ou celui des descendants du Prophète ou celui de la Sunna et qu'il y manque celui de la Shi'a, cet accord particulier ne peut être considéré comme un Idjmā, car l'Idjmā' n'a lieu qu'avec l'accord général entre les mujtahidūns du monde musulman à l'époque de la chose considérée, et eux seuls sont l'exemple.

Si donc l'accord de la Shi'a est nécessaire pour l'Idjma' des musulmans, au nom de quoi resterait-elle après cela une secte égarée et condamnée à l'enfer ?

Le professeur Ahmed Ibrahim Bek, maître de Shaltūt, de Aboū Zahra et de Khallāf, dit dans son livre « La science des fondements du Fikh », dans la partie consacrée à l'histoire de la législation, page 21 : « Les Shi'ites imamites sont musulmans, ils croient en Dieu, son prophète et au Coran, ainsi qu'à tout ce que Mohammed a apporté. Leur école est très répandue en Iran ». Il ajoute, page 22 : « Il y a eu, parmi la Shi'a, dans les temps passés, et de notre temps, de très grands Fukaha (hommes de Fikh), et de très grands savants dans tous les domaines, ils sont profonds quant à la pensée et très érudits quand à l'étendue des connaissances. Leurs ouvrages se comptent par centaines de milliers ». En marge de la même page, Mr Bek ajoute : « Il y a parmi les shi'ites, des Ghulāt (extrémistes) qui sont sortis par leur dogme du cercle de l'islām, mais ce sont

quantité négligeable et ne sont pas pris en considération par les masses shi'ites Imamites ».

Après ce flot de témoignages de savants musulmans, évoquons ceux qui ont voulu généraliser la Fatwa de Ibn Taymiyya contre les Rafida [7] — qui compte plusieurs groupes — au Shi'isme imamite duodécimain et par conséquent l'utiliser contre la révolution islamique en Iran. Ces gens-là ont commis plusieurs erreurs importantes :

1/ Ils ne se sont pas demandé pour quelle raison on ne trouve pas dans l'histoire musulmane avant Ibn Taymiyya une Fatwā pareille, ceci malgré le fait que Ibn Taymiyya ne soit venu sur la scène qu'au 7e siècle de l'Hégire, c'est à dire six siècles après l'apparition de la Shi'a.

2/ Ils n'ont pas assimilé l'époque de Ibn Taymiyya et les contradiction rencontrées par la société musulmane qui devait faire front à l'invasion extérieure.

3/ Ils n'ont pas essayé, à cause de leur haîne à l'égard de la révolution islamique en Iran et de leur position politique vis à vis d'elle, de savoir si le mot « Rāfida », utilisé par Ibn Taymiyya, s'appliquait au Shi'isme imamite duodécimain. Mr Al Djundi, dans son livre : *« L'Islām et le mouvement de l'histoire »*, dit, page 422 : « Les Rāfida ne sont pas les mêmes que les Sunnites ou les Shi'ites ». De même, le professeur Abou Zohra passe en revue, dans son livre sur Ibn Taymiyya, certains groupes Shi'ites comme les Zaydites et les Duodécimains sans faire allusion à un quelconque point de vue négatif de Ibn Taymiyya à leur égard. Mais, quand il en arrive à l'Ismā'iliyya, il dit à la page 170 : « c'est ce groupe qui comporte quelques tendances contre lesquelles Ibn Taymiyya a lutté; il les a combattues, avec sa science, sa langue et son sabre ». Le professeur Abou Zohra, à cause de cela consacre plusieurs pages à cette secte, comme il le dit lui-même.

C'est là l'exposé de la position de quelques mouvements et directions islamiques à propos des bruits artificiels autour de la Shi'a et de la Sunna.

Quand à la révolution iranienne qui s'est déclenchée au début de l'année 1978, elle a éveillé l'âme de l'Oumma (communauté) islamique tout le long de l'axe qui s'étend de Tanger à Jakarta. Les masses musulmanes se sont retournées vers Téhéran et Qôm avec, dans leur mémoire, les grandes victoires de l'Islām à ses débuts, et avec les progrès de la révolution, son recrutement parmi les masses s'est accrû. Ces masse ont exprimé leur joie dans les rues du Caire, à Damas, à Karāchi, à Khartoūm, à Istamboul, autour de Bayt Al Makdis, (les Mosquée d'Omar à Jérusalem), et partout où il y a des musulmans. En Allemagne de l'Ouest, 'Isām Al Attār un des dirigeants historiques des frères musulmans connu pour son

obstination dans le Djihâd [7] et pour sa pureté révolutionnaire, cet homme qui n'a jamais accepté de se compromettre avec les gouvernants était en train d'écrire un livre sur la révolution islamique et ses racines, il déclare publiquement son appui et télégraphie à plusieurs reprises à l'imām Khomeini pour le féliciter et le soutenir. Ses cassettes en faveur de la révolution islamique sont très répandues parmi les jeunes musulmans. La revue *Ar Rā'id* qu'il publie, a joué aussi un grand rôle dans le soutien de la Révolution et l'explication de ses positions.

Au Soudan, la position du mouvement des frères musulmans et des jeunesses musulmanes de l'Université de Khartoūm fut l'une des plus belles qui aient été vues dans les capitales musulmanes car on les a vus sortir dans des manifestations de soutien à la Révolution. Le Docteur Hassan Al-Turābī, dirigeant du mouvement au Soudan, et connu pour l'étendue de sa culture et son expérience politique, s'est rendu en Iran où il a rencontré l'Imam Khomeini, pour apporter son soutien à la révolution et à son dirigeant.

En Tunisie, la revue du mouvement islamique, « Al Ma'rifa », fut elle aussi du côté de la Révolution; elle la bénissait et appelait les musulmans à la soutenir. Les choses en sont mêmes arrivées au point que le dirigeant du mouvement Islamique en Tunisie, M^r^ Rāched Al Ghnoushi, écrit dans la même revue pour proposer l'Imām Khomeini à l'imat de tous les musulmans; ce qui a abouti à la suppression de la revue et à l'arrestation des dirigeants par le gouvernement de Bourguiba. Al Ghnoushi considère que le courant islamique s'est cristallisé et a pris une forme précise avec les Imāms Al Bannā, Al Mawdūdī, Kutb et Khomeini qui représentent les plus importants courants du mouvement islamique contemporain (cf : *le mouvement islamique et la modernisation* Rached Al Ghnoushī et Hassan Al-turabī page 16). A la page 17, il considère qu'avec la victoire de la Révolution en Iran, l'Islām entre dans un cycle nouveau de civilisation, et plus loin, à la même page et sous le titre : « Qu'entendons nous par le terme de mouvement islamique » ils disent : « Ce que nous entendons par là, c'est le courant qui part de la conception totale de l'Islam et de l'État islamique, sur la base de la dite conception. Ce terme de mouvement islamique s'applique à trois grands courants : les frères musulmans, les groupes musulmans du Pakistan et le mouvement de l'Imam Khomeini en Iran ». A la page 24 il dit : « En Iran a commencé une opération qui est probablement ce qui pouvait arriver de plus important sur la voie des mouvements de libération dans toute la région : l'affranchissement de l'Islām de la mainmise des pouvoirs qui ont œuvré et œuvrent toujours à l'utiliser contre la vague révolutionnaire dans la région ». Quant au Liban, l'appui du mouvement islamique à la Révolution y fut un des plus clairs et des plus profonds. Et on a vu son dirigeant, M^r^ Fathī Yaken et sa revue « Al' Amām », prendre, vis à vis de la révolution, une des positions les plus honorables.

En Jordanie, Mr Mohamed Abd Ar Rahmâm Khalîfa, directeur général des frères musulmans, a déclaré publiquement son soutien à la Révolution; cela, aussi bien avant, qu'après sa visite en Iran. Maître Youssouf Al Azm, quant à lui, fit un poème, publié dans différentes revues, parmi lesquelles « Al 'Amān », où il fait l'éloge de Khomeini et appelle à ce que tous les musulmans lui accordent leur Bey'ā [*].

En Egypte, les revues « Ad-da' wa », « Al'I'tisām » et « al Mukhtar Al islāmī » se sont rangées au côté de la Révolution, affirmant son caractère islamique et la soutenant, elle et son dirigeant. Quand commença l'invasion de Saddām Hussein, « Al'I'tisām » écrivit sur sa page de couverture (N° d'Octobre 1980) : « Le camarade At-Takrītī, disciple de Michel Aflak, veut faire une nouvelle Kādissiyā en Iran musulman », et dans le même numéro, Al'I'tisām écrit sous le titre « Les causes de la tragédie » :

« La peur de la propagation de la Révolution islamique en Irak », puis elle ajoute : « Saddām a vu que l'étape de transition que traverse l'armée iranienne et sa transformation d'armée impériale en armée islamique est une occasion en or qui ne s'offrira plus, pour l'atteindre mortellement avant qu'elle ne devienne une armée invincible du fait de la foi islamique ancrée dans l'âme de ses officiers et de ses combattants ». Dans le numéro de décembre 1980, Mr Jāber Rizk, un des meilleurs observateurs politiques des frères musulmans, écrit page 26, expliquant les causes de la guerre : « Le temps qui voit éclater cette guerre est celui là même qui a vu l'échec de tous les complots américains contre la Révolution du peuple iranien musulman ». A la page 27, Mr Rizk continue : « Saddam a oublié qu'il allait combattre un peuple qui fait quatre fois celui de l'Irak. En plus, ce peuple se trouve être le seul peuple musulman qui a pu se révolter efficacement contre l'impérialisme croisé et sioniste ». Il poursuit : « Tout le peuple iranien est décidé à poursuivre la guerre jusqu'à la chute du Ba'th sanguinaire... Il est également à noter que la mobilisation spirituelle parmi le peuple iranien musulman ne connait pas d'antécédent comparable, et que le désir du martyre prend la forme du courage et de l'empressement à l'engagement volontaire. Ce peuple est certain que la victoire finale sera pour la révolution islamique iranienne ».

Ensuite, Mr Jābir Rizk explique les buts que poursuit l'impérialisme en perpétrant une telle guerre pour étouffer la révolution : « Avec la disparition du régime révolutionnaire iranien, disparaît le danger qui menace cette espèce de despotes qui tremblent à l'idée que leurs peuples peuvent se révolter contre eux et les faire tomber, comme le peuple iranien en a donné l'exemple contre le Shāh, valet de l'impérialisme ». A la fin de l'article, il dit : « Mais le parti de Dieu triomphera... le Djihād et le martyre sont nécessaires, et Dieu secourra certes ceux qui le secourent ». Ceci est donc le mot de la vérité sur cette guerre, et non ce que répètent les apôtres de l'islam

« à la saoudienne », les innocents qui ne comprennent pas grand chose à ce qui les entoure, disant : « L'Iran shi'ite veut sauter sur le régime sunnite d'Irak et le détruire... » Qu'elle est attristante cette cécité et combien est criminel celui qui sème cette ignorance et cette haine dans le cœur des gens.

Dans son numéro de janvier 1981, « Al'I'tisam » écrit en page de couverture : « La Révolution qui refait les comptes et renverse les équilibres », et, à la page 29, la revue s'interroge : « Pourquoi la Révolution iranienne est-elle considérée comme la plus grande Révolution des temps modernes ? », et à la fin de l'article écrit à l'occasion du deuxième anniversaire de la victoire iranienne, l'auteur, après avoir évoqué la puissance de l'armée impériale et ses moyens de répression, dit : « Et malgré tout cela, la Révolution iranienne a été victorieuse après que des milliers de martyrs furent tombés... Elle est pour cela la Révolution la plus importante de l'histoire moderne ainsi que pour son efficacité, ses résultats positifs et ses conséquences qui ont remis en cause les comptes et renversé les équilibres ».

D'Egypte nous passons à la position de l'organisation mondiale des frères musulmans qui a adressé un manifeste aux responsables des mouvements islamiques dans les différentes parties du monde, et ceci durant la crise des espions otages on y lit notamment : « Si la chose ne concernait que le seul Iran, il aurait accepté une solution de compromis, mais cela concerne l'Islam et ses peuples partout dans le monde. C'est un dépôt sacré entre les mains du seul gouvernement islamique au monde qui ait pu s'imposer, grâce au martyre de ses fils, en plein XX[e] siècle, pour asseoir le pouvoir de Dieu au-dessus du pouvoir des puissants et du pouvoir de l'impérialisme et du sionisme international ». Le manifeste déclare aussi que pour la Révolution iranienne, toute personne qui tente de lui porter atteinte, relève d'un de ces quatre cas : soit qu'il s'agisse d'un musulman qui n'a pas encore pu comprendre l'époque de la résurgence massive islamique et qui vit encore dans la résignation; celui-là doit demander pardon à Dieu et essayer de combler ce qui fait défaut à la compréhension de la signification du Djihād et de la dignité en Islam; ou bien d'un agent travaillant pour les intérêts des ennemis de l'Islam en exhibant tout un discours sur la fraternité et sa sauvegarde; ou bien d'un musulman, sans volonté et sans caractère, qui se laisse manipuler par le premier venu; ou bien d'un hypocrite, qui parie entre ceux-ci et ceux-là ».

Quand a commencé l'invasion de Saddām contre l'Iran musulman, l'organisation internationale des frères musulmans a fait sortir un manifeste adressé au peuple irakien où elle attaquait le parti Ba'th athée et mécréant, selon l'expression du manifeste. Le manifeste ajoute : « Cette guerre n'est pas une guerre pour libérer les dominés, hommes, femmes, et enfants, qui n'ont rien en leur

pouvoir et ne trouvent pas leur voie. Le peuple d'Iran s'est libéré lui-même du pouvoir injuste et de l'impérialisme américain, sioniste, au prix d'un Djihād héroïque et extraordinaire et par une Révolution unique en son genre dans l'histoire humaine et sous la direction d'un Imām musulman qui est sans doute la fierté de l'Islam et des musulmans ». Le manifeste ajoute concernant les buts de l'agression Saddamienne, en disant que l'un d'eux consiste à : « Frapper le mouvement islamique et d'éteindre et d'étouffer la flamme de la libération islamique qui a resurgi en Iran ». A la fin il s'adresse au peuple irakien en disant : « Liquidez vos bourreaux, car l'occasion inesperée s'est présentée, laissez tomber vos armes et ralliez le camp de la révolution islamique; la révolution islamique est votre résolution ».

Quant à la position du mouvement islamique au Pakistan, elle est exprimée par la Fatwā de Mawlānā Abou Al A'Lā Al Mawdūdi, qui a été publiée par la revue égyptienne « Ad-da'wa », Le Caire, avril 1979, n° 29, et qui a été donnée en réponse à une question que lui avait posée la revue sur la Révolution islamique en Iran. Le grand savant Moudjtahid, qui est considéré de l'accord général de tout le mouvement islamique, comme étant un de ses plus importants pionniers en ce siècle, a répondu : « La Révolution de Khomeini est une Révolution islamique et ses dirigeants sont un groupe de musulmans et de jeunes ayant reçu leur éducation et formation au sein des mouvements musulmans. Aussi, les musulmans en général et les mouvements musulmans en particulier doivent soutenir cette Révolution et lui procurer l'aide dans tous les domaines ».

C'est donc cela la position du Shar' (loi religieuse) vis à vis de la Révolution, telle que l'expose Al Mawdūdī : Le devoir de soutien et d'aide si nous voulons nous engager dans la voie de l'Islam. Quant à la haine à l'égard de la Révolution et la perpétration d'une croisade douteuse menée contre elle, et par qui ? Par des groupes qui font partie du mouvement islamique, cela mêne à contrevenir au point de vue de la Shari'a, ā la Fatwā du grand Mudjtahid. Mais avant de quitter le sujet de la Fatwā de Abu Al A'lā Al Mawdūdī, je voudrais parler du cas d'un jeune homme qui m'a annoncé un jour que Al Mawdūdī était revenu sur sa Fatwā. Je fus surpris par ce que me disait ce bon jeune homme qui tenait son information d'un autre qui lui aussi la tenait d'une source « sûre ». Ma surprise s'est très vite dissipée, lorsque j'ai découvert les mains sales qui se tenaient derrière cette blague de mauvais goût. Qui avait donc publié que le grand Mudjtahid était revenu sur sa Fatwā ? N'était-ce pas logique que la revue « Ad-Da'wa » qui avait publié la Fatwā, publiât également ce retour sur la dite Fatawā ? Mais ni « Ad-Da'wa » ni personne d'autre ne l'a fait ni ne le ferait. Le premier a en être sûr est celui qui inventa de toutes pièces cette « mauvaise blague ». Tout à fait dans l'habitude et le style, de ces fameuses « sources sûres ».

Mais ce qui est le plus étonnant dans cette affaire, c'est précisément ce qu'ignorait même cette pauvre « source sûre » : à savoir que Abu Al'lā Mawdūdī avait été rappelé par la miséricorde de son Dieu durant le premier mois qui s'était écoulé depuis la publication de la Fatwā ! ! !

Quant à la position d'Al Azhar, elle a été exprimée par le Cheikh d'Al Azhar dans une interview accordé au journal « Ash-Shark Al Awsat » (qui paraît à Londres et à Djeddah) à la date du 3-2-76. Il y dit : « L'Imām Khomeini est un frère en Islam et c'est un musulman sincère », puis il ajoute : « Les musulmans, avec leurs diverses écoles et doctrines, sont frères en Islām, et Khomeini se tient sous l'étendard de l'Islām comme je m'y tiens moi-même ».

Dans son dernier livre, qui circule entre les jeunes du mouvement islamique : « L'ABC de la conception active du travail islamique », le professeur Fathi Yaken expose les complots de l'impérialisme et des puissances mondiales contre l'Islām. Il dit, page 48 : « Dans l'histoire récente, nous disposons d'un témoignage probant de la véracité de ce que nous disons : c'est l'expérience de la Révolution islamique en Iran qui a vu se liguer contre elle et pour la faire avorter, toutes les puissances mécréantes de la terre. Et cela continue, car elle est islamique, ni du bloc est, ni du bloc ouest ».

Qui donc cette jeunesse islamique doit-elle écouter et prendre pour référence ? Des savants de la taille d'Al Mawdūdī et de Fathī Yaken ou des pseudo-instruits, des imposteurs et même des personnes aux motivations douteuses ?

Une des dernières choses qui nous soient parvenues à ce sujet est ce que dit la revue « Ad-Da'wa », refugiée en Autriche, dans son numéro 72, mai 1982, à la page 20 : « Il y a dans le monde, aujourd'hui, un réveil islamique total, dont une des conséquences a été la révolution islamique iranienne qui a pu, malgré ses écueils, détruire un des empires les plus anciens, un des plus haineux à l'égard de l'Islām et des musulmans ».

Ainsi, la revue Ad-Da'wa, dans un de ces derniers numéros considère que la Révolution iranienne est une Révolution islamique et qu'elle est une des conséquences de l'éveil islamique total auquel nous assistons. Quand aux écueils, ce sont à mes yeux, les difficultés et les obstacles que l'impérialisme essaie d'accumuler sur le chemin de la Révolution pour en influencer le cours. Et le devoir des musulmans engagés est de les surmonter.

Telle est donc la position des savants et penseurs des mouvements islamiques sunnites.

Quant à l'autre côté, il est suffisant d'évoquer ici les paroles de Khomeini, à son arrivée à Paris, en réponse à une question sur les origines de la Révolution : « La cause pour laquelle les musulmans

sont devenus des sunnites et des shi'ites est aujourd'hui révolue... Nous sommes tous des musulmans... c'est une Révolution islamique... nous sommes tous frères en Islām ». De même dans le livre : « Le mouvement islamique et la modernisation », Mr Al Ghnoushi cite, à la page 21, la parole de Khomeini : « Nous voulons gouverner avec l'Islām, tel qu'il fut révélé à Mohammed, sans différence entre Sunna et Shi'a, car, les écoles et doctrines n'existaient pas au temps de l'Envoyé de Dieu ».

En outre lors de la 14e rencontre de la pensée islamique qui a eu lieu en Algérie, le représentant de l'Imām Khomeini, Mr Khasroushāhi a dit : « Les ennemis, mes frères, ne distinguent pas entre sunnites et shi'ites, ils veulent annihiler l'Islām en tant qu'idée et en tant qu'idéologie universelle, et c'est pour cela que tout appel ou activité pour diviser les rangs au nom de la Sunna ou de la Shi'a signifie le ralliement ou l'engagement au côté des mécréants et contre l'Islām et les musulmans. C'est par conséquent, comme l'a dit l'Imam Khomeini dans une Fatwā, une chose illicite du point de vue de la Shari'a et les musulmans doivent la combattre ».

Pouvons-nous, après tout cela, comprendre l'essence de la Révolution, ses tâches historiques et son devoir divin... ? L'Islām surgit de nouveau en face du défi occidental moderne. Les musulmans iraniens, avec tous les musulmans conscients et engagés, lèvent l'étendard de la renaissance en vue de réaliser la victoire de l'Islām sur terre et en vue de réaliser le but ultime de toute vie : le contentement de Dieu.

Ecoutons le journaliste littéraire égyptien marxisant, Ghāli Shukrī dire lors d'une attaque contre la Révolution islamique, (Revue « Al Bayādir », parue à Al Kods (Jerusalem) N° 11 du 1/2/1982, page 36) : « L'un des paradoxes — certains continuent — apparaissant noir sur blanc à l'observation, fut de voir des penseurs connus pour leur passé marxiste, devenir du jour au lendemain des musulmans irréductibles, des penseurs qui de naissance étaient chrétiens devenir en un clin d'œil musulmans extrémistes et des penseurs qui appartenaient par leur culture à l'occident, devenir sans limite ni conditions, des orientaux fanatiques. Ainsi, sous le drapeau de Khomeini, se sont rassemblés des rangs d'intellectuels arabes au nom d'une remise en cause des idées consacrées, au nom du retour aux sources authentiques après un long exil et une longue occidentalisation-aliénation, au nom de l'échec cinglant qu'ont essuyé marxisme, laïcisme, libéralisme, nationalisme... » Fin de cette tirade de Ghali Shukri qui, tout en visant à tourner en dérision la Révolution Iranienne, sans le vouloir, ni le savoir, a pu toucher à l'essence de cette Révolution : sa capacité divine de transformer les hommes.

A la fin de cet article, nous ne pouvons que répéter avec l'imām Khomeini, un mot qu'il a dit il y a dix sept ans, dans une Khotba

(Discours) en Jumâdâ Al'Awwal, 1384 de l'hégire : « Les mains sales qui sèment la division entre Shi'ites et Sunnites ne sont celles ni des shi'ites ni des sunnites ce sont les mains du colonialisme qui veulent piller nos richesses à travers différents stratagèmes et différentes ruses. Ce sont eux qui sèment la division au nom du Shi'isme et du Sunnisme. »

Extrait de : *At Talī'a Al Islāmıya*
Revue mensuelle, N° 0, pp. 12-28, Londres
Safar 1403 H/décembre 1982

Notes

1. Idjtihâd : Littéralement le fait de se donner de la peine, et en droit islamique, le terme technique pour indiquer d'abord l'usage du raisonnement individuel, et en suite et dans un sens restreint l'utilisation de la méthode du raisonnement par analogie (Kiyas) (NDT).
2. Tous les titres de livres et de revues, figurant en français dans cet article, sont des traductions de titres de livres et de revues parus en arabe.
3. Fatwâ : Consultation et délibération sur telle ou telle question de Droit religieux (shari'a).
4. Ceux qui se livrent à l'Idjitihâd.
5. I'jâz : Caractère inimitable du Coran.
6. Isma : infaillibilité.
7. Idjmâ' : La troisième et en pratique la plus importante des bases du droit religieux (usūl) musulman. Théoriquement : consensus Idjmâ' : des musulmans sur une règle (Hukm) imposée par Dieu.
Techniquement : c'est la doctrine et l'opinion unanime, sur une question donnée, des théologiens musulmans (Fukaha-s) reconnus à époque concernée. (NDT).
8. Bay'a : 'allegance' est une traduction approximative. Ce mot a ici le sens de la reconnaissance de la légitimité du guide spirituel et religieux.

COMMENT LE MARXISME A ENVISAGE LA RELATION DU MODELE OCCIDENTAL MODERNE AVEC LES AUTRES SOCIETES

Dr Hassan Dīkā *

Dans l'arène, le plus fort impose à celui qui l'est moins sa technique et la logique qu'il veut imposer au déroulement du combat. Il arrive ainsi que le moins fort soit obligé d'attaquer aux endroits les moins vulnérables que lui présente le vainqueur. Ce sont bien sûr les endroits les plus résistants, les moins vulnérables, les points faibles demeurant hors d'atteinte, inaccessibles. Pourtant, les points qui semblent forts ne le sont que parce que les zones faibles sont dissimulées, et dès qu'elles seront visées et atteintes, s'écroulera ce qui était, au départ, considéré comme invincible.

En examinant ce qui se déroule dans le domaine de la lutte idéologique, menée par les peuples opprimés en général et les peuples islamiques en particulier, contre les différentes écoles idéologiques sur lesquelles est basé le système occidental moderne, qu'il soit capitaliste ou socialiste, nous découvrons des caractéristiques essentielles qui ont dominé historiquement l'environnement et la nature de cette lutte, et les dominent plus ou moins encore.

Ce modèle a réussi à imposer des valeurs, des idées et des instruments précis dans le cadre de la lutte qui se déroule entre lui

* Chercheur et professeur à l'université libanaise; de nombreuses publications dont la dernière est son livre *« Samir Amin : l'expérience de l'écriture historique marxiste, lecture de la crise de la méthode et de la théorie »*.

et les peuples musulmans, depuis les mots d'ordre de liberté, d'égalité jusqu'aux valeurs de « scientificité » et d'« objectivité ». Il a donné des contenus précis à ces formules, devenues des armes menaçant de larges secteurs des peuples musulmans.

Et les différentes écoles européennes ont passé sous silence d'autres valeurs, concepts et instruments auxquels elles ont cependant recours, dans leur relation avec les différentes sociétés humaines qui sont hors du cercle du modèle occidental moderne.

Dans cet article, nous allons essayer d'amorcer une approche de l'un des courants issus du mode de pensée européen, à savoir le système de pensée établi par le marxisme. Ce système se pose comme l'un des courants les plus « cohérents » et comme le plus « radical dans la confrontation avec l'exploitation et la domination ».

Nous avons choisi de traiter le sujet sous l'aspect suivant : la place qu'occupent les différentes sociétés humaines dans ce système, ou en d'autres termes, la vision marxiste de ces sociétés. Dans ce cadre, nous allons nous axer sur les questions suivantes : comment le marxisme a exprimé la nature de sa vision des différentes sociétés, à travers ses nombreuses conclusions sur sa relation avec celles-ci. Ensuite, comment nous pouvons, en lisant les textes marxistes, avancer de quelques pas sur la voie de la détermination et de la découverte des bases idéologiques qui accompagnent et règlent la vision et la méthode marxistes.

L'équation historique dualiste :
occident = civilisation / les autres = barbarie.

Celui qui poursuit la lecture des différentes œuvres de Marx et d'Engels, concernant les sociétés non-européennes, « les autres », découvre sans difficulté qu'il y a une équation de pensée constante à toutes les étapes de leurs écrits, lorsqu'il s'agissait de la nature de l'expérience européenne moderne d'une part, et de celle des autres civilisations humaines d'autre part.

Cette équation, ou plutôt cet élément moteur de la pensée de l'école marxiste repose sur la base de la division du monde *actuel en deux catégories de sociétés : la première, représentée* par la société européenne moderne qui constitue le centre et la forme ultime de la civilisation mondiale, et la seconde représentée *par le reste des civilisations humaines, qui constitue le centre de la* « barbarie » et de l'immobilisme, en fait l'obstacle entravant la diffusion de la civilisation européenne. Nous percevons cette équation stable dans la doctrine marxiste, à travers ses différents écrits relatifs aux « autres ».

Dès le début de la pratique littéraire marxiste sur la prépondérance de la civilisation européenne les textes se sont multipliés sur

l'importance et la nécessité de coloniser l'Algérie. Dans un article écrit en 1847, à propos de l'arrestation par les colonialistes français de l'Emir Abdel Kader Al Jaza'iri, dirigeant de la résistance *algérienne à cette époque, Engels dit : « la conquête de l'Algérie est* un fait important et propice au progrès de la civilisation. Les pirateries barbaresques ne pouvaient s'arrêter que par la conquête d'un de ces Etats... Après tout, le bourgeois moderne, avec la civilisation, l'industrie, l'ordre et les « lumières » qu'il apporte tout de même avec lui, est préférable au seigneur féodal ou au pillard de grand chemin, ou à l'état barbare de la société à laquelle ils appartiennent » (Marxisme et Algérie, pp. 25-26).

Cette analyse d'Engels est à mettre en relation avec ce qu'il a écrit ultérieurement (en 1860), après que les colonialistes français eurent avancé à grands pas dans la pratique du génocide et de la destruction économique, politique et culturelle des musulmans d'Algérie, et après que ces derniers eurent eux aussi largement avancé dans la résistance au colonialisme français, dans l'opposition courageuse à toutes sortes de machinations de l'occupant. Sous le titre : « l'Algérie, école militaire », Engels traite de plusieurs sujets militaires, où il considère qu'il s'agit d'un exploit important, de la part de l'armée française, que de découvrir des moyens et des méthodes de combat différents dans leurs pratiques de génocide des musulmans algériens; et finalement, il conseille à l'armée impériale britannique de profiter, dans ses guerres au nord de l'Inde de l'expérience française : « Il y a encore des possibilités d'améliorer ces innovations. Pourquoi l'armée anglaise n'y contribuerait-elle pas pour sa part ? Pourquoi l'armée au nord-ouest... de l'Inde ne parviendrait-elle pas à constituer les troupes qui y sont actuellement engagées en un corps capable d'être pour l'armée anglaise ce qu'ont été, pour les français, les chasseurs et les zouaves » (idem, p. 52). Par ces exemples, Engels nous fournit, quelques clefs importantes qui sont à la base de la pensée marxiste.

Sans commenter le degré d'importance, du point de vue historique, de l'analyse d'Engels, elle nous permet néanmoins de découvrir une série de valeurs et de positions constituant la base de sa formulation. D'un côté, l'Europe avec sa civilisation, son industrie, son ordre, sa lumière et son progrès... de l'autre, les sociétés humaines barbares, qui appartiennent au stade le plus reculé de l'histoire humaine. Le progrès exige l'élimination de ce stade, la civilisation doit nier la barbarie, et par conséquent, l'Europe doit anéantir et détruire ces sociétés. Engels écrit l'histoire, grisé par la naissance et l'expansion de la civilisation européenne, au point d'aller jusqu'à conseiller à l'Angleterre, de profiter de l'expérience colonialiste française en Algérie pour hâter l'opération de modernisation en Inde.

Il est difficile pour nous ici, comme peut le remarquer le lecteur, de distinguer entre Engels historien et savant — « qui adopte la

méthode marxiste scientifique » — et Engels missionnaire de la civilisation européenne et théoricien militaire et stratégique à son service. Plus encore, ce que nous percevons très clairement ici, c'est qu'Engels, savant et historien, est au service d'Engels, missionnaire et appelant à la colonisation européenne moderne, et que Engels, « guide de la classe ouvrière européenne » est en même temps un général inventif au service des armées colonialistes européennes.

Mais, là peut s'amorcer l'objection suivante : Engels, à plusieurs reprises, a été un élève peu fidèle à son « maître » Marx, il serait donc injuste de porter au compte de l'école marxiste, les conclusions d'Engels. Il faut, par conséquent, revenir au fondateur, qui est plus représentatif et plus près de la méthode scientifique.

Nous pouvons suivre, dans l'œuvre de Marx, plusieurs articles qui analysent et évaluent différents sujets sur le rôle de l'Europe dans les sociétés asiatiques. Dans un article de 1853, sous le titre « la politique traditionnelle russe », Marx discute le rôle joué par l'empire ottoman dans le cadre du projet de la civilisation européenne, il conclut que : « la lutte entre les puissances occidentales et la Russie pour la possession de Constantinople se ramène à cette question : Constantinople est le pont d'or jeté entre l'Orient et l'Occident et la civilisation occidentale, semblable au *soleil, ne peut faire le tour du monde sans passer par ce pont* ».

Le texte de Marx est en fait plus précis et plus clair que celui de son camarade Engels. Il nous présente, ici, un tableau précis de la structure idéologique sur laquelle il s'appuie, et où se meuvent les formules analytiques auxquelles il est arrivé. Marx bâtit son analyse sur une dualité nette et tranchante : l'occident = la lumière de la civilisation, dans sa confrontation avec l'Etat ottoman qui bloque son expansion.

Marx ne s'arrête pas là, il poursuit en adressant plusieurs *critiques au ministre des affaires étrangères britannique, Lord Palmerston à l'époque; il décrit l'hésitation et l'incapacité de ce* dernier à réponde aux besoins de l'expansion de la civilisation européenne. En d'autres termes, Marx voit que Palmerston est un défenseur hésitant des intérêts de la « bourgeoisie » anglaise qui nécessitent l'expansion de la lumière de la civilisation européenne. C'est ainsi que Marx pense que « l'Angleterre ne peut accepter que *la Russie soit maîtresse des Dardannelles et du Bosphore, car ce* serait un coup très dur, sinon mortel, du point de vue commercial et politique pour la force britannique ».

L'individu va d'étonnement en étonnement, comment Marx le « théoricien de la révolution prolétarienne mondiale » peut-il être plus au courant des intérêts du colonialisme anglais que le ministre des affaires étrangères de cet Etat ? Notons de plus qu'il est profondément sensible à ces intérêts, et qu'il prend leur défense.

Comment alors fait-il pour concilier les nombreuses contradictions que le texte met à jour ? D'un côté, Marx voit dans la Grande-Bretagne et l'Occident en général la lumière de la civilisation qui cherche à rayonner sur le monde, il voit d'autre part dans l'Etat ottoman une réalité empêchant ce rayonnement. D'un autre côté, il souligne que cette « lumière » ne peut rayonner qu'en soumettant et en pillant l'Etat ottoman. Si la Grande-Bretagne ne peut asseoir sa domination sur cet Etat, elle se trouve mortellement menacée dans ses intérêts commerciaux et stratégiques. Mais si la colonisation, le pillage et la soumission du monde sont les conditions de la perpétuation de cette civilisation, comment celle-ci peut-elle rayonner sur le monde dont elle pille et engloutit le corps et les différentes richesses ?

Comment ensuite les « intérêts démocratiques révolutionnaires peuvent-ils être étroitement liés aux intérêts de l'Angleterre » et comment un marxiste peut-il parler de la « révolution européenne », de « la force d'expansion des idées démocratiques et de la soif de liberté accompagnant l'humanité » ?

A la lumière de ce qui vient d'être dit, nous remarquons comment Marx perd le principe de la division du travail, souvent exprimé dans ses écrits. A certains moments, il prend le rôle du « savant » détaillant les faits historiques, les distinguant selon une équation de pensée permanente : l'occident = la civilisation/l'Orient = la barbarie; à d'autre moments, Marx se transforme en politique et stratège, il reproche à Palmerston de ne pas appréhender les intérêts britanniques. Puis, nous le voyons jouer le rôle du missionnaire de la civilisation européenne et des idées démocratiques qu'elle porte en elle. Dans le texte marxiste, seule la réalité historique de l'expérience européenne moderne apparaît et sont, par conséquent, supprimées les lignes de démarcation, de clivage, et de différenciation entre Europe et non-Europe, pour faire apparaître la théorie marxiste comme une théorie globale et universelle. Mais quelle globalité et quelle universalité ?

Toutes les études et positions qui ont essayé de se poser des questions à propos de la vision qu'implique le modèle européen moderne quant aux différentes sociétés humaines, sont accusées d'embrasser un attitude trop chauvine et trop marquée par l'esprit de clan, lorsqu'elles rejettent l'universalité de la civilisation européenne moderne, ainsi que celle de ses méthodes et de ses théories. Les courants de pensée qui s'opposent à la subordination idéologique à l'Occident moderne sont taxés de « despotisme », d'« immobilisme », d'« irrationalité ». Puis à partir de là, de « jeunes imitateurs » dans nos pays (musulmans) se sont lancés dans l'élaboration de thèmes psychologiques contre des courants de pensée indépendants, et spécialement des courants unificateurs, les affublant de complexes d'infériorité et d'une incapacité à se représenter la modernité et ses modes, et par là, les traitant

d'inaptes à s'intégrer à l'universalité et à la mondialité de la pensée européenne.

Nous ne voulons pas traiter ici des conséquences ni de l'exactitude de ces schémas. Par contre, nous posons la question suivante : n'est-ce pas le monde occidental moderne qui a établi toutes ces classifications, conçu toutes ces catégories ainsi que distinction : *Occident-civilisation* face à *Orient-barbarie ?* Est-il production, ou à celui des relations, des valeurs, des doctrines et des difficile de vérifier que le climat idéologique qui alimente les thèmes du marxisme concernant la civilisation et la barbarie, le progrès et l'arriération, le mouvement et l'immobilisme, expressions de deux modes de sociétés antagoniques et sans lien entre elles, est basé sur la thèse que la civilisation occidentale moderne, est non seulement différente des autres, mais également que ces dernières constituent un obstacle à son rayonnement ?
L'universalité et la globalité de la pensée marxiste et occidentale en général n'est que l'universalisation et la globalisation de la domination occidentale moderne, basée sur la dualité antagonique entre le modèle occidental moderne et tous les autres modèles de civilisation. Dans le premier, selon la vision marxiste, se situe la civilisation, toute la civilisation, et dans le second, la barbarie, toute la barbarie. La survie de la civilisation occidentale ne peut se réaliser que dans la destruction, la négation et la liquidation des autres modes sociaux. C'est la base sur laquelle s'appuient les termes de « scientificité » et d'« objectivité » de la pensée marxiste. Il devient évident alors que l'appel lancé aux peuples opprimés pour s'intégrer à ce projet est un appel pour se laisser dépouiller volontairement, sinon, la loi du « déterminisme historique » n'épargnera pas les sociétés barbares, qui seront annihilées du fait même de leur refus de s'intégrer à ce projet.

Les expressions de « dialectique » et de « matérialisme historique » ne sont que des termes de rhétorique qui servent à diffuser les mécanismes déterminant la structure de la pensée marxiste, dans sa relation avec les autres sociétés humaines.

Le résultat du combat entre le civilisation occidentale et la barbarie orientale n'est pas un nouveau-né portant les caractéristiques positives des deux modes, comme le suppose la « méthode du matérialisme dialectique ». Il s'agit plutôt d'un nouveau-né purement européen, ne portant pas l'empreinte de sa naissance hors d'Europe. Il est né sur une terre brûlée, que ce soit au niveau de la *production,ou*à celui des relations, des valeurs, des doctrines et des philosophies. Evidemment, cette naissance est accompagnée de douleurs fâcheuses, les inévitables douleurs de l'accouchement. Mais, sur cette question, laissons la parole à Marx, qui dans un article « de vision stratégique » sur ce qui se déroule en Inde, écrit en 1853 : « Or, aussi triste qu'il soit du point de vue des sentiments

humains de voir ces myriades d'organisations sociales patriarcales, inoffensives et laborieuses se dissoudre, se désagréger en éléments constitutifs et être réduites à la détresse, et leurs membres perdre en même temps leur ancienne forme de civilisation et leurs moyens de subsistance traditionnels, nous ne devons pas oublier que ces communautés villageoises idylliques, malgré leur aspect inoffensif, ont toujours été une fondation solide de despotisme oriental, qu'elles enfermaient la raison humaine dans un cadre extrêmement étroit, en en faisant un instrument docile de la superstition et l'esclave de règles admises, en la dépouillant de toute grandeur et de toute force historique. (...) Il est vrai que l'Angleterre, en provoquant une révolution sociale en Hindoustan, était guidée par les intérêts les plus abjects et agissait de façon stupide pour atteindre ses buts. Mais la question n'est pas là. Il s'agit de savoir si l'humanité peut accomplir sa destinée sans une révolution fondamentale dans l'état social de l'Asie. Sinon, quels que fussent les crimes de l'Angleterre, elle fut un instrument inconscient de l'histoire en provoquant cette révolution ».

Le système idéologique marxiste s'attache à des expressions et des instruments nouveaux. L'histoire n'est que l'histoire de l'Europe, projetée sur le monde par ses armées, ses produits et ses missionnaires. L'autre, c'est le « despotisme oriental », l'« autoritarisme » et l'immobilisme dont le seul horizon est la mort certaine, face aux roues de la civilisation européenne qui déferle pour planter l'histoire, le mouvement et la dialectique sur la terre de la mort et du despotisme. Mais de quelle histoire s'agit-il ? C'est, sans doute, l'histoire de la domination colonialiste européenne. C'est ce qu'exprime clairement un autre article de Marx à propos de l'Inde, où il ajoute : « L'Angleterre a une double mission à remplir en Inde : l'une destructive, l'autre régénératrice, l'annihilation de la vieille société asiatique et la pose des fondations matérielles de la société occidentale en Asie ». C'est une histoire pure, sans difformité. C'est l'histoire de l'Europe qui se répand dans le monde selon les lois de l'expansion et de la greffe, et écartant de sa voie tous les obstacles barbares. Marx n'oublie pas alors de formuler une loi générale décrivant les relations entre l'Inde et les autres peuples à travers l'histoire. Il affirme : « Arabes, Turcs, Tatars, Mongols qui envahirent successivement l'Inde furent « hindouisés », les conquérants barbares étant, par une loi éternelle de l'histoire, conquis eux-mêmes par la civilisation supérieure de leurs sujets. Les Britanniques étaient les premiers conquérants supérieurs et par conséquent, inaccessibles à la civilisation hindoue. Ils la détruisirent en détruisant les communautés indigènes, en extirpant l'industrie indigène et en nivelant tout ce qui était grand et élevé dans la société indigène. L'histoire de leur domination en Inde ne rapporte guère autre chose outre cette destruction. L'œuvre de régénération perce à peine au travers d'un monceau de ruines. Elle a néanmoins commencé ». (Sur les sociétés précapitalistes).

Le langage idéologique utilisé ici par Marx pour formuler son analyse nous rappelle les études biologiques sur les catégories d'espèces vivantes et les différences qualitatives existant entre elles, où c'est « la loi de la survivance du meilleur » qui domine. La philosophie de Darwin à propos de « l'origine des espèces » passe sans grande difficulté chez Marx dans sa philosophie de l'histoire. Il existe, dans la nature, une sélection naturelle, qui, selon Darwin, conduit à la disparition d'espèces au profit d'autres, supérieures. C'est le même langage, repris, amélioré et reformulé dans la science de l'histoire. La société et la civilisation européennes sont les espèces supérieures, empêchées de se mouvoir par les autres sociétés humaines, qui n'ont plus de raison d'exister, à partir du moment où existe la nouvelle espèce.

Les termes de suppression des « anciennes organisations sociales », de la « production indigène » et le coup porté aux formations sociales qui empêchent l'avancée du nouveau projet, cachent une position idéologique globale, ou plutôt elles s'en nourrissent et se basent sur elle. Cette position présente des valeurs et des normes d'évaluation de l'événement historique, qui font qu'il devient impossible pour celui qui les admet, d'établir un contact direct avec la réalité historique effective. Il n'est pas étonnant de ne pas trouver dans les écrits de Marx et d'Engels des allusions aux résultats globaux des invasions européennes modernes dans les différentes sociétés humaines. Le langage abstrait, entrecoupé et choisi avec précision sert les besoins du modèle européen moderne, et rend difficile d'y réaliser le prix de la domination européenne sur le monde, domination qui a abouti à la destruction complète de plusieurs civilisations, et au génocide de centaines de millions d'hommes. Le langage idéologique marxiste possède un dispositif développé de défense qui dès qu'il réussit à imposer au lecteur un dialogue avec le texte (marxiste) seul, fait que la lecture devient un pur processus de lavage de cerveau. En revanche, la cohésion de ce texte chancèle d'un coup, lorsque nous essayons de comparer le texte au mouvement de la réalité historique. Alors, le texte marxiste est remis à sa place naturelle, et il se révèle comme un langage idéologique, ayant une fonction déterminée dans le cadre idéologique du système occidental moderne, avec les mêmes demandes et les mêmes réserves que celui-ci, visant à détruire et à soumettre les différentes sociétés non-européennes, afin de satisfaire ses ambitions et ses besoins agressifs.

Marx et Engels poursuivent leur cheminement dans le traitement des problèmes futurs, où Marx pense de nouveau que l'Orient sera un obstacle au développement socialiste. Dans un article écrit en 1858, il indique que « la révolution est imminente dans le continent, elle prendra évidemment un caractère socialiste, néanmoins, la société bourgeoise mérite une plus grande gloire, car elles ne cesse de se développer dans le monde. »

Pour Marx, l'Orient est toujours l'Orient, même après avoir adopté certains mécanismes de la civilisation occidentale, il formera toujours un obstacle à la révolution en Europe, comme si l'Orient possédait une nature biologique stable qui entraîne toujours l'immobilisme et l'arriération. C'est l'Orient qui entrave l'Occident, même lorsqu'il se trouve en voie de disparition et d'annihilation, sous les coups des armées occidentales.

Dans ses derniers écrits, Engels conclut en 1882 que même si la révolution se produit en Orient, elle ne peut survivre tant que le prolétariat d'Europe occidentale n'a pas vaincu la bourgoisie... « Les pays attardés » n'ont pas seulement besoin du soutien du prolétariat occidental, mais il faut, de surcroît, que l'Europe leur montre « comment faire », avant qu'ils puissent eux-mêmes amorcer leur développement chancelant vers le socialisme.

L'Europe est le centre et l'avenir du monde. C'est elle qui fournit le modèle et l'exemple à suivre aux différentes sociétés humaines. En 1882, Engels écrit une lettre à Kautsky au sujet de la position des ouvriers anglais vis-à-vis de la politique colonialiste britannique, il dit : « ... vous me demandez ce que les travailleurs anglais pensent de la politique coloniale. Eh bien, tout juste ce qu'ils pensent de la politique en général; c'est tout juste ce que les bourgeois en pensent. Ici, il n'y a pas, vous le savez, de parti ouvrier, il n'y a que des conservateurs et des radicaux libéraux, et les ouvriers mangent allègrement leur part de ce que rapporte le monopole de l'Angleterre sur le marché mondial et dans le domaine colonial » (Marxisme et Algérie, p. 259).

Remarquons ici les contradictions du texte marxiste à partir de ces exemples écrits en 1882, à « l'étape mûre ». Dans le premier texte, il ne peut y avoir de révolution en Orient sans le prolétariat européen. Et dans l'autre, le prolétariat européen est intégré au mouvement politique colonialiste de sa bourgeoisie. Cette contradiction de la pensée de Marx et d'Engels, dans leurs derniers écrits, reflète en fait l'horizon fermé auquel ils ont aboutis. On ne peut comprendre cette contradiction qu'à la lumière des données historiques qui ont en général affaibli la main-mise de la domination européenne sur le monde. La succession des faits et données historiques ayant submergé la philosophie marxiste de l'histoire, a poussé Engels finalement hors du cadre de l'histoire. Dans une lettre adressée en 1882 à Edward Bernstein, à propos du mouvement d'Arabi Pacha, Engels définit ainsi la nature du combat entre les Anglais et Arabi Pacha; il s'agit d'un combat de nature précise, qui m'oblige à nous situer « contre les violences des Anglais sans nous solidariser pour cela avec leurs adversaires militaires actuels. Dans toutes les questions de politique internationale, il faut se méfier au plus haut point de la sentimentalité des journaux de parti, français et italiens; nous, les Allemands, devons garder, dans ce domaine aussi, la supériorité que nous donne, dans la théorie, la

manière critique d'envisager les choses ».

La supériorité raciale allemande, qui s'exprime ici en termes de supériorité théorique, envahit l'histoire réelle, où le mouvement d'Arabi Pacha et ceux qui lui sont similaires, sont des mouvements de notables voulant profiter de certains privilèges aux dépens du sultan : par conséquent, rien ne justifie de le soutenir. Ce sont des mouvements préhistoriques du point de vue de la civilisation européenne, comment serait-il alors possible de les soutenir face à la bourgeoisie anglaise, malgré ses grandes erreurs ? Voilà la conclusion d'Engels.

La révélation de ce qu'est la littérature marxiste, pour les pays islamiques, qui avaient déjà perçu dans la pratique, le rôle effectif de cette pensée, s'est accompagnée de la naissance et de l'établissement d'un Etat puissant adoptant cette pensée-là. Les différentes pratiques de cet Etat dont la puissance devient de plus en plus marqués, rentrent dans le cadre général du monde occidental moderne. C'est une des raisons qui transforment les forces et organisations adoptant cette pensée, en instruments dociles, au service de forces étrangères, et toujours en confrontation avec les peuples, leurs doctrines et leurs visions de l'univers, de la société et de l'existence. Par conséquent, cette pensée n'est qu'un instrument de propagande, dont le but est de couvrir les objectifs des forces colonialistes externes.

Entre la pénétration colonialiste française en Algérie et l'invasion de l'Afghanistan par l'Etat russe, il existe une ligne de conduite continue, une prolongation et une répétition du même langage, celui du racisme et du chauvinisme européens, dont l'essence est destructrice et dominatrice. Cela s'exprime en des termes voués à l'exportation, tels que « liberté » et « progrès », à certains moments, « socialisme » à d'autres. Nos peuples n'ont-ils pas le droit de dire que mettre fin à la dépendance idéologique à l'égard du système occidental moderne, sous ses deux faces, « capitaliste », « socialiste », est la clé de leur délivrance de toute forme de dépendance politique, économique et culturelle ?

Cette question n'est-elle pas à la base de la conviction de la nation de la TAWHID (Unicite) et le baromètre de son DJIHAD continu pour la reconquête de sa liberté totale et l'établissement de la société de la TAWHID et de la Justice.

Etude parue dans *« Al Ghadīr »* : revue mensuelle islamique publié par le Conseil Supérieur Islamique Shi'ite au Liban, pp. 56-65,
Radjab 1401 H/mai 1981.

GRANDES FIGURES DE LA PENSEE ET DU DJIHAD ISLAMIQUES

Cette rubrique vise à donner un aperçu de la façon dont deux éminentes personnalités de l'histoire contemporaine de l'Ilsam abordent et traitent différentes questions théoriques qui ne sont pas sans lien avec la pratique. En effet, le Pakistanais, Mawlānā Abul A'lā Al Mawdūdī et l'Iranien, Āyatullah Murtada Mutaharī, puisqu'il s'agit d'eux, ont été voués autant à l'action socio-politique qu'à l'étude des questions théoriques de la religion, de la pensée et de la culture.

Voici d'abord trois articles de Mawlānā Abul A'lā Al Mawdūdī (1903-1979); ils sont parus successivement entre septembre et octobre 1961. Quant à leur auteur, c'est une des plus grandes figures de l'Islam contemporain et un grand savant qui a mêlé, comme nous venons de le signaler ci-dessus, activité socio-politique et intense activité culturelle. Son livre sur le Djihad en Islam se place parmi les œuvres les plus importantes de la pensée islamique des temps modernes.

La deuxième figure de la pensée et du Djihad islamique que nous avons choisi de présenter dans ce numéro de « Al Muntaka » (voir l'article entitulé « La Liberté », pp. 10 — 10 ci-après), est Āyatullah Mutaharī (1919-1979). C'est aussi un homme religieux, penseur et éducateur de premier plan. Après 15 ans d'étude à la Hawza (academie et centre de décision religieux) de Qom (en Iran) où il enseigna par la suite, il fut désigné en 1955 titulaire de chaire à l'université de Téhéran. Ses divers activités culturelles et politiques lui ont valu la prison et la fermeture de la Mosquée et du centre d'enseignement et de propagande islamique qu'il dirigeait. A sa libération, il joua un rôle important dans la chute de l'ex-shah, et devint ensuite membre puis président du Conseil de la Révolution. Assassiné en 1979, il laisse derrière lui plus de 70 ouvrages et des milliers d'enregistrements.

(1) Mawlāna Abul A'la Al Mawdūdī

THE OBJECTIVES OF THE SHARI'AH

Let us now proceed to understand the scheme of life envisaged by the *Shari'ah.* To understand that, it is essential that we should start with a clear conception of the objectives and the fundamentals of *Shari'ah.*

Ma'rufat and Munkarat

The main objective of the *Shari'ah* is to construct human life on the basis of *Ma'rufat* (virtues) and to cleanse it of the *Munkarat* (vices). The term *Ma'rufat* denotes all the virtues and good qualities that have always been accepted as "good" by the human conscience. Conversly, *Munkarat* denotes all the sins and evils that have always been condamned by human nature as "evil." In short, the *Ma'rufat* are in hormony with human nature and its requirements in general and the *Munkarat* are just the opposite. The *Shari'ah* gives a clear view of these *Ma'rufat* and *Munkarat* and states them as the norms to which the individual and social behaviour should conform.

The *Shari'ah* does not, however, limit its function to providing us with an inventory of virtues and vices; it lays down the entire scheme of life in such a manner that virtues may flourish and vices may not poison human life.

Subsidiary Ma'rufat and Munkarat

To achieve this end, the *Shari'ah* embraced in its scheme all the factors that encourage the growth of good and has recommended steps for the removal of impediments that might prevent its growth and development. This process gives rise to a subsidiary series of *Ma'rufat* consisting of the causes and means initiating and nurturing the good, and further of

Ma'rufat consisting of prohibitions of preventives to good. Similary there is a subsidiary list of *Munkarat* which might initiate or allow growth of evil.

The *Shari'ah* shapes the Islamic society in a way conducive to the unfettered growth of good, virtue and truth in every sphere of human activity, and gives full freedom to the forces of good in all directions. And at the same time it removes all impediments in the path of virtue. Along with this, it attempts to eradicate evils from its social scheme by prohibiting vice, by obliviating the causes of its appearance and growth, by closing the inlets through which it creeps into society and by adopting deterrent measures to check its occurrence.

Three Categories of Ma'rufat

The *Shari'ah* classifies *Ma'rufat* into three categories : the Mandatry *(Fard* or *Wajib),* the Recommendatory *(Matlub)* and the Permissible *(Mubah).*

Fara'id or Wajibat

The observance of the mandatory *Ma'rufat* is obligatory on a Muslim clearly demanded of us while others have been recommended by them. The recommendatory *Ma'rufat* are those which the *Shari'ah* wants a Muslim society to observe and practise. Some of them have been very clearly demanded of us while others have been recommanded by implication and deduction from the Sayings of the Holy Prophet (peace be upon him). Besides this, special arrangements have been made for the growth and encouragement of some of them in the scheme of life enunciated by the *Shari'ah.* Others still have simply been recommended by the *Shari'ah* leaving it to the society or to its more virtuous elements to look to their promotion.

Permissible Ma'rufat

This leaves us with the Permissible *Ma'rufat.* Strictly speaking, according to the *Shari'ah* everything which has not been expressly prohibited by it is a Permissible *Ma'rufat.* It is not at all necessary that an express permission should exist about it or that it should have been expressly left to our choice. Consequently the sphere of Permissible *Ma'rufat* is very wide, so much so that except for a few things specifically prohibited by the *Shari'ah* everything under the sun is permissible for a Muslim. And this is exactly the sphere where we have been given freedom and where we can legislate according to our discretion, to suit the requirements of our age and conditions.

Munkarat Haram and Makruh

The *Munkarat* (or the things prohibited in Islam) have been grouped into two categories : *Haram, i. e.,* those things which have been prohibited absolutely and makruh, i.e., those things which have been simply disliked. It has been enjoined on Muslims by clear and mandatory injunctions to refrain totally from everything that has been declared *Haram.* As for the *Makruhat* the *Shari'ah* signifies its dislike in some way or the other *i. e.,* either expressly or by implication, giving an indication also to the degree of such dislike. For example, there are some *Makruhat* bordering on

Haram, while others bear affinity with the acts which are permissible. Of course, their number is very large ranging between the two extremes of prohibitory and permissible actions. Moreover, in some cases explict measures have been prescribed by the *Shari'ah* for the prevention of *Makruhat*, while in others such arrangements have been left to the discretion of the society to the individual.

Characteristic of the Shari'ah

The *Shari'ah*, thus, prescribes directives for the regulation of our individual as well as collective life. These directives touch such varied subjects as religious rituals, personal character, morals, habits, family relationships, social and economic affairs, administration, rights and duties of citizens, judicial system, laws of war and peace and international relations. In short, it embraces all the various departments of human life. These directives reveal what is injurious and harmful, what are the virtues which we have to cultivate and encourage and what are the evils which we have to supress and guard against, what is the sphere of our voluntary, untrammelled, personal and social action and what are its limits and finally, what ways and means we can adopt to establish such a dynamic order of society and what methods we should avoid. The *Shari'ah* is a complete scheme of life and an all-embracing social order — nothing superfluous, nothing lacking.

Shari'ah An Organic Whole

Another remarkable fact about the *Shari'ah* is that it is an organic whole. The entire scheme of life propounded by Islam is animated by the same spirit and hence any arbitrary division of the scheme is bound to harm the spirit as well as the structure of the *Shari'ah*. In this respect, it might be compared to the human body which is an organic whole. A leg pulled out of the body cannot be called one-eight or one-sixth man, because after its separation from the living human body the leg can no more perform its fonction as a part of the living body. Nor can it be placed in the body of some other animal with any hope of making it human to the extent of that limb. Likewise, we cannot form a correct opinion about the utility, efficiency and beauty of the hand, the eye or the nose of a human being separately, without judging its place and function within a living body.

The same can be said in regard to the scheme of life envisaged by the *Shari'ah*. Islam signifies the entire scheme of life and not any isolated part or parts thereof. Consequently, neither can it be appropiate to view the different parts of the *Shari'ah* in isolation from one another and without regard to the whole, nor will it be of any use to take any particular part and bracket it with any other " ism ". The *Shari'ah* can function smoothly and can demonstrate its efficacy only if the entire system of life is practised in accordance with it and not otherwise.

Misunderstandings

Many of the present-day misunderstandings about the *Shari'ah* owe themselves to this faulty attitude in judging its worth, namely, forming opinions about its different aspects separately. Some of its injunctions are isolated from the main body of Islamic Law and then they are considered in

the perspective of modern civilization or they are viewed as if they were something completely self-contained. Thus, people take just one injunction of the *Shari'ah* at random, which becomes maimed after its removal from the context and then view in it the context of some modern legal system, and criticise it on the score of its incongruity with present-day conceptions. But they fail to realise that it was never meant to be isolated like that, for it forms an organic part of a distinct and self-contained system of life.

Piecemeal Treatment

There are some people who take a few provisions of the Islamic Penal Code out of their context and jeer at them. But they do not realize that those provisions are to be viewed with the background of the whole Islamic system of life covering the economic, social, political and educational spheres of activity. If all these departments are not working, then those isolated provisions of your Penal Code can certainly work no miracles.

The Case of Theft

For example, we all know that Islam imposes the penalty of amputating the Hand of the comitment of theft. But this injunction is meant to be promulgated in a full-fledged Islamic society wherein the wealthy pay *Zakat* to the state and the state provides for the basic necessities of the needy and the destitute; wherein every township is enjoined to play host to visitors at its own expense for a minimum period of three days; wherein all citizens are provided with equal privileges and apportunities to seek economic livelihood; wherein monopolistic tendencies are discouraged; wherein people are God-Fearing and seek his pleasure with devotion; wherein the virtues of generosity, helping the poor, treating the sick, providing the needy are in the air to the extent that even a small boy is made to realize that he is not a true Muslim if he allows his neighbour to sleep hungry while he has taken his meal. In other words, it is not meant for the present-day society where you cannot get a single penny without having to pay interest; where in place of the *Bait al-Mal* there are implacable money-lenders and banks which, instead of providing relief and succour to the poor and the needy, treat them with callous disregard, heartless refusal and brutal contempt, where the guiding moto is : everybody for himself and devil takes the hindmost, where there are great privilages for the privilaged while others are deprived even of their legitimate rights, where the economic system, propelled by greed and piloted by exploitation, only leads to the enrichment of the few at the cost of crushing poverty and intolerable misery of the many, and where the political system serves only to prop up injustice, class-privilages and distressing disparities. Under such conditions, it is doubtful if theft should be penalised at all, not speak off the thiefs hands. Because to do so would, as a matter of fact, amount to protecting the ill-gotten wealth a few blood-suckers have, rather than awarding adequate punishment to the guilty.

The Aim of Islam

On the other hand, Islam aims at creating a society in which none is compelled by the force of circumstances to steal. For in the islamic social

order, a part from the voluntary help provided by individuals, the state guarantees the basic *necessities of life to all. But, after providing all that,* Islam enjoins a severe and exemplary punishment for those who commit theft, as their action shows that they are unfit to live in such a just, generous and healthy society and would cause greater harm to it if left un-checked.

Caution

Here it must not be misunderstood that I am defending theft or any other form of lawlssness. Not the least. My intention is only to show the vast and radicaldifferences that reign between the context in which was and is applicable and the state of affairs enveloped in. The only logical conclusion that follows is the need for a change in the entiere system of life. When the entire structure of society is changed and a new way of life is established, the incongruity between the injunction and the present context of affairs would be obliterated and the avenue for its application would be opened.

Adultery

Similar is the case of the punishment for adultery and fornication. Islam prescribes a hundred strips for the unmarried and stoning to death for the married partners in the crime. But, of cours, it applies to a society wherein every trace of suggestiveness has been destroyed, where mixed gatherings of men and women have been prohibitee, where public appearance of painted and pampered women is completely non-existent, where marriage has been made easy, where virtue, piety and charity are current coins and where the remembrance of God and the hereafter is kept ever fresh in mens minds and hearts. These punishments are not meant for that filthy society wherein sexual excitement is rampant, wherein nude pictures, obscene books and vulgar songs have become common recreations, wherein sexuel perversions have taken hold of the cinema and all other places of amusement, wherein mixed, semi-nude partis are considered the acme of social progress and wherein economic conditions and social customs have made marriage extremely difficult.

(Al-Islam, September 15, 1961,
Karachi)

(1)
Mawlāna Abul A'la Al Mawdūdī

(II)

LEGISLATION AND IJTIHAD IN ISLAM

Two Basic Facts

For an adequate appreciation of the subject under discussion, two basic facts have to be cleartly borne in mind, viz : *(i)* the sovereignty of God, and *(ii)* the prophethood of Muhammad (Peace be upon him).

Sovereignty of God

Islam admits of no sovereignty except that of God and, consequently, it does not recognise any Law-giver other than Him. The concept of the Unity of God, as advocated by the Qur'an, is not limited to His being the sole object of worship in the religious sense alone. Along with it, He is invested with complete 'legal sovereignty', in the sense in which the term is understood in Jurisprudence and Political Science. This aspect of the legal sovereignty of God is as much and as clearly emphasised by the Qur'an as the one pertaining to His being the only deity to be worshipped. According to the Qur'an these twin facets of the Divinity of God are the *sine qua non* of the Divine Entity and are so vitally interlinked that a negation of either *ipso facto* infringes the very concept of His divinity. And the Qur'an leaves no room for the impression that the Divine Law may mean merely the law of nature and nothing more. On the contrary, it rears the entire edifice of its ideology on the basis that mankind should order the affairs of its ethical and social life in accordance with the Law *(Shari'ah)* that God has communicated through His Prophets (May His blessings be on them). It is this submission to the Revealed Law and surrender of one's freedom to it that has been assigned the name of Islam (Surrender) by the Qur'an. It denies in the clearest terms the right of man to exercise any discretion in such matters as have been decided by Allah and His Prophet. Says the Qur'an : —

" It is not for the faithful, man or woman, to decide by themselves a matter that has been decided by Allah and His Messenger, and whosoever commits an affront to Allah and His Messenger is certainly on the wrong path. " *(xxxiii : 36)*

Prophethood of Muhammad

The second point which is as fundamental in Islam as the Unity of God, is the finality of the Prophethood of Muhammad (May God's blessings be on him). It is really because of this factor that the concept of the Unity of God transforms itself from an abstract idea into a practical system and the whole edifice of the Islamic way of life is raised upon this foundation. According to this concept the teachings of all the earlier Messengers of Allah have been incorporated, with the numerous important additions and alterations, in the teachings of Muhammad (May God's blessings be on him). Hence these teachings constitute *the only source of Divine Guidance and Law,* as no further revealed guidance is to come to which it may become necessary for mankind to run. It is this dispensation by Muhammad (May God's blessings be on him) that constitutesthe Supreme Law which represents the Will of God, the real Sovereign. This Law has been bequeathed to us by the Holy Prophet in two forms :

First: the Qur'an which embodies, word by word, the instructions and commandments of God and is His unadulterated Word.

Second : the ideal conduct of Muhammad (May God's blessings be on him), that is to say, the *Sunnah,* which clarifies, explains and exemplifies the meanings of the Qur'an.

Leader : Ruler : Teacher

In fact, the Holy Prophet was not merely the bearer of a Message having nothing more to do than transmitting the Word of God to mankind. He was also the Divinely appointed leader, the ruler and the teacher. The duty laid on him was to explain and illustrate the law of God by his words and deeds, to make people understand its real import, to train individuals and form them into a disciplined body, and with their aid to initiate a struggle for the reconstruction of society, and finally, to mould the society into a reformed and reforming state and thus to demonstrate how an ideal civilization, founded on the principles of Islam, could be established. This entire life-work of the Holy Prophet, which was completed in twenty-three years of his prophethood, is the *Sunnah,* which, in conjunction with the Qur'an, formulates and completes the Supreme Law of the real Sovereign, and this Law constitues what is called the *Shari'ah* in Islamic terminology.

Scope of Legislation

From what has been stated heretofore one is apt to thing that these fundamental facts leave no room for human legislation in an Islamic State, because herein all legislative functions vest in God and the only function left for the Muslims lies in their observance of the God-made Law vouchsafed to them through the agency of the Prophet. The fact of the matter, however, is that Islam does not totally exclude human legislation. It only limits its scope and guides it on right lines. Human legislation, according to Islam, is and should be subject to the supermacy of Divine Law and within the limits prescribed by it.

Now I proceed to describe the scope and limits of this legislation which, in Islam, takes the following four forms :

(i) Interpretation

In certain matters the Qur'an and the *Sunnah* have laid down clear and categorical injunctions and prescribed specific rules of conduct. In such matter no jurist, judge, legislative body, not even the *Ummah* as a whole, can alter the specific injunctions of the *Shari'ah* or the rules of behaviour expounded by it. This does not mean, however, that there is no scope left for legislation in this sphere. The function of human legislation in relation to such matters lies in : *a)* finding out exactly and precisely what the law is: its nature and extent; *b)* determining its meaning and intent; *c)* investigating the conditions for which it is intented and the way in which it is to be applied to the practical problems; *d)* working out minor details in the case of such laws as are too brief for a straightaway application in actual life; and *(e)* determining the extent of its applicability or non-applicability in case of exceptional circumstances.

(ii) Analogy

Then there are those types of problems about which, although no specific injunctions have been laid down in the *Shari'ah*, provisions have been made about some analogous situations. In this sphere the function of the legislature would be to apply such injunctions, after a precise appreciation of the reasons and causes underlying them, to all those matters wherein identical causal connections actually exist and to exempt all such cases from their application wherein these connections are non-existent.

(iii) Inference

There is yet another category of human affairs about which the *Shari'ah*, has prescribed no specific guidance but has laid down broad principles or indicated the intention of the Law-giver as to what is to be encouraged and what is to be discouraged. In regard to such affairs, the function of the legislature is to understand the principles of the *Shari'ah*, and the intention of the Law-giver and formulate such laws about the practical problems as are based on these principles and fulfil the intention of the Law-giver.

(iv) Province of independent Legislation

A part from these, there is yet another vast range of human affairs about which the *Shari'ah* is totally silent. It has neither made any direct provision in respect thereof nor is there any guidance for identical or kindred situations so as to enable us to draw an analogical inference therefrom. This silence is by itself indicative of the fact that the Supreme Law-giver has left it to human beings to decide such matters in their own discretion and judgement. Hence independent legislation can be resorted to in such cases, but it must be in consonance with the real spirit of Islam and its general principles and, what is more important, should in no way be repugnant to the general pattern and temperament of Islam. It must naturally and appropriately fit into the general scheme of the Islamic ideology.

Ijtihad

The whole of this legislative process which makes the legal system of Islam dynamic and makes its development and evolution in the changing circumstances possible, results from a particular type of academic research and intellectual effort which, in the terminology of Islam, is called *Ijtihad*. Literally the word *Ijtihad* means 'to put in the maximum effort in performing a job', but technically it signifies maximum effort to ascertain, in a given problem or issue, the injunction of Islam and its real intent.' Some persons seem to be labouring under the erroneous impression that *Ijtihad* means completely independent use of one's opinion. But no one conversant with the nature of Islamic Law can imagine that there can be any place for this kind of independence in the legal system of Islam. The real Law of Islam is the Qur'an and the *Sunnah*. The legislation that human beings may undertake must essentially be derived from this Fundamental Law or it should be within the limits prescribed by it for the use of one's discretion or the exercise of one's opinion. For the *Ijtihad* that purports to be independent of the *Shari'ah* can neither be an Islamic *Ijtihad* nor is there any room for such an incursion in the legal systerm of Islam.

Essential Qualifications

It is clear from what has been said above that the purpose and object of *Ijtihad* is not toreplace the Divine Law byman made law.Its realobject is to properly understand that Supreme Law and to impart dynamism to the legal system of Islam by keeping it in conformity with the fundamental guidance of the *Shari'ah* and abreast of the changing conditions of the world. In view of this basic fact, no healthy *Ijtihad* is possible unless our law-makers are equipped with the following qualification :—

Faith

(1) Faith in the *Shari'ah* and conviction of its truthfulness : a sincere intention to follow it; absence of any desire to act independently of it; and the will to derive inspiration and acquire all objectives, principles and values from it and not from any other source.

Knowledge of Arabic

(2) A proper knowledge of the Arabic language, its grammer and literature because the Qur'an has been revealed in that language and the means of ascertaining the *Sunnah* also depend upon this medium.

Knowledge of Qur'an and Sunnah

(3) Such knolwledge and insight in the teachings of the Qur'an and the *Sunnah* as would enable one not only to be conversant with the details of Islamic injunctions and their application in actual practice but fully to appreciate the basic principles of the *Shari'ah and its objectives. One should know, on the one hand, the Shari'ah's* over-all reform scheme for human life and, on the other hand, the exact place of each aspect of life within the frame-work of this comprehensive scheme, the lines on, which the *Shari'ah* desires to mould human life and society and the objectives underlying it. In other words, such knowledge of the Qur'an and the

Sunnah is the *sine qua non* of *Ijtihad* as would enable one to grasp the kernel of the *Shari'ah*.

Knowledge of Islamic Law

(4) Acquaintance with the contributions of the earlier jurists and thinkers *(Mujtahiddin)* of Islam. This is necessary not merely for training in the technique of *Ijtihad* but also for the sake of ensuring continuity in the evolution of law. Of course it is not, and should not be, the purpose of *Ijtihad* that every generation may necessarily destroy or discard what previous generations have built up and thus try to build the whole structure afresh.

Correct Appreciation of Current Problems

(5) Acquaintance with the problems and conditions of the new times — the new problems of life to which an answer is souhgt and the new conditions in which the principles and injunctions of the *Shari'ah* are to be applied. A correct appreciation of the current problems is extremely essential for the proper exercise of *Ijtihad.*

Good Personal Character

(6) Commendable character and conduct according to the Islamic ethical standard. Absence of this virtue is bound to affect adversely the quantum of public trust in the legislators. A law made by the *Ijtihad* of unworthy individuals, devoid of good moral character, is not likely to inspire respect and confidence in the Muslim people.

The above description of the essential qualifications does not entail that anyone undertaking *Ijtihad* sould produce a certificate before the commencement of his assignment that he is fully possessed of them. Rather the ieda is merely to show that a healthy development of Islamic law on proper lines through *Ijtihad* is possible only if the system of legal training and education starts producing learned men of such calibre and qualifications. Any legislation undertaken with-out these requisites would neither fit into the legal system of Islam nor would it ever be palatable to the Muslim society to accept and digest it.

Technique of Ijtihad

Just as *Ijtihad* and any legislation based thereon depends for its popular acceptance on the ability of those responsible for it, similarly its success would, to a large degree, depend upon the employment of a correct method and proper technique. A *Mujtahid,* whether he is engaged in the interpretation of injunctions or is busy in analogical reasoning or in drawing inferences, has, in any event, to base his reasoning on the Qur'an and the *Sunnah.* Even while indulging in 'independent legislation' in the sphere of permissibles *(Mubahat)* he must clearly establish that the Qur'an and the *Sunnah* have not laid down any rule or order nor even have furnished a basis for any analogy for that particular issue. Furthermore, the methods adopted for putting construction on the Qur'an and the *Sunnah* should be reasonable and well-recognised. While arguing from the Qur'an it is imperative to interpret the meaning of a verse in accordance with the requierements of the language, *i. e.,* Arabic lexicography, grammar and established usage which should fit into the context of the verse and may

not be in conflict with the observations made elsewhere in the Qur'an on the same topic. In addition to that, if it is not positively supported by word or deed of the Prophet, at least the *Sunnah* be not contrary to such meaning. While drawing upon the *Sunnah* in consonance with the considerations of language, its rules and the context, it is also essential that the traditions which are relied upon about a particular matter are authentic ones in accordance with the principles concerning this branch of knowledge (of Traditions), that other relevant traditions are not ignored and no single citation *(Khabar-i-Wahid)* is allowed to hold its own against a *Sunnah* that has been well established on the strength of authentic sources. Any *Ijtihad* based on wishful interpretation and in disregard of these precautions, even if raised to the status of law by dint of political power, will neither be accepted by the collective conscience of the Muslim community nor can it form an integral part of an Islamic system of law. As soon as the political power enforcing such a Law disappears from the political arena, such a law would be thrown into the dust-bin.

How Ijtihad attains the status of Law

A number of methods have been recognised in the legal system of Islam whereby an *Ijtihad* acquires the force of law. *Firstly,* consensus of opinion *(Ijma')* by the learned men of the community. *Secondly,* the *Ijtihad* of an individual or a group of individuals may gain wide popularity and people may *suo moto* adopt their verdict, for instance, the *Ijtihad* of the Hanafite, the Shafe'ite, the Malikite, and the Hanbalite schools of law were voluntarily accepted by large groups of Muslim masses. *Thirdly,* a Muslim Government may adopt a particular piece of *Ijtihad* as its law, as for example the Ottoman government had adopted the Hanaifi Law as the Law of the land. *Fourthly,* an institution may be constitutionally empowered by an Islamic state to legislate and it may enact a particular piece of *Ijtihad* in the form of law. Apart from these four methods, any *Ijtihad* performed by various Muslim scholars can be no more than a verdict *(fatwa).* As regards the judicial pronouncements of the judges (Qadis) they are enforceable as law only in respect of the particular case in which a court may have pronounced them and they may also have the force of a precedent, but they cannot be classified as law in the true sense of the term so much so that even the judicial pronouncements of the Rightly guided Caliphs — given by them in their judicial capacity as *Qadis* — did not acquire in Islam the force of law. The concept of the " judge-made-law " is foreign to the legal system of Islam.

(Al-Islam, October 1, 1961,
Karachi)

(1)
Mawlāna Abul A'la Al Mawdūdī

(III)
THE SUNNAH AND IJTIHAD : SOME DOUBTS CLARIFIED

I will now try to answer as briefly as possible the criticism that has been offered on my paper on 'The Role of Ijtihad and the Scope of Legislation in Islam.'

The Sunnah

The first criticism relates to the status that has been assigned to the *'Sunnah'*along with the Qur'an. Indealing withe this I should like to mention a few points in a certain sequence so that the problem may be clarified.

An Important Question

It is an irrefutable historical fact that after receiving the prophetic assignment, Muhammad (Peace be upon him) did not stop at the mere transmission of the Qur'an to the people but led an all-comprehensive movement which resulted in the evolution of an organised Muslim society, a new system of civilization and culture, and the establishment of a state. The question arises : In what capacity did the Prophet perform those functions which were in addition to the mere transmission of the Qur'an ? Were these tasks performed in his prophetic capacity in which he represented the Will of God in the same way as it is represented in the form of the Holy Book ? Or, did his prophetic status end with the transmission of the Qur'an and thereafter he merely acted like an ordinary Muslim individual whose words and deeds did not possess in themselves any legal authority ? If the former, then there is no alternative but to accept the *Sunnah* as possessing legal authority along with the Qur'an. If the latter, then of course there can be no ground for treating it as law.

Divinely-Appointed Teacher

The Qur'an gives a very clear verdict in this matter by stating that Muhammad (Peace be on him) was not merely a messenger but a divinely-appointed leader, ruler and teacher as well, rendering obedience to whom is obligatory on the Muslims and whose life had been put forward by God as an ideal to be followed by the faithtul. Reason and intellect fail to conceive that a Prophet is to be treated as such to the extent merely of transmitting the Word of God and, thereafter, he is reduced to the level of a common man. In so far as the Muslims are concerned they have, from the advent of Islam up to this day, unanimously upheld, in every age and clime, that the Holy Prophet was an ideal to be imitated, and his injunctions (both positive and negative) were obligatory on the Believers. Even a non-Muslim student of Islam cannot deny the fact that the Muslims have always assigned this position to the Holy Prophet and on this very basis his *Sunnah* has been treated, along with the Qur'an, as a source of law in the legal system of Islam. I cannot indeed imagine how anyone can challenge this legal aspect of the *Sunnah* unless he takes up the position that the Holy Prophet was a Prophet only in so far as he transmitted the Holy Book and thus his prophetic status ended with the performance of this duty. And if anyone puts forward such a claim he will have to state whether he is assigning this position to the Holy Prophet on his own or whether the Holy Qur'an itself has assigned it to him. In the first case his stand would be no concern of Islam at all, while in the second case he will have to produce some proof of his claim from the Holy Book.

Source of the Sunnah

On accepting the *Sunnah* as a source of law, the question arises as to how it can be ascertained. How can we find out what *Sunnah* had been bequeathed by the Prophet who was raised so many centuries ago ? In this connection it should be remembered that this is not a problem with which we are confronted for the first time after the lapse of 1381 years. The following two historical facts are incontrovertible.

Continuity of the Sunnah

The first one is that the community and the society, which were formed on the basis of the teachings of the Qur'an and the *Sunnah* of the Holy Prophet on the very first day of the advent of Islam, has been continuously in existence; its life was not interrupted by a single day and its institutions have been working all the time without any break. The deep similarity which exists at present among the Muslims the world over in respect of their beliefs, modes of thinking, ethical standards and values, acts of worship and mundane affairs and in their social concept and ways of life (wherein the elements of similarity are more than those of disparity and which is the largest fundamental factor in keeping them together as an *Ummah* dispite being scattered all over the surface of the earth) is positive proof of the fact that this society was established on the *Sunnah* and that tradition has continued without interruption throughout these long centuries. There is no " missing link " for which we may have to search in the dark.

All Necessary Precautions Taken to Ascertain the Sunnah

The second historical fact which is equally patent is that the Muslims have, in every age after the death of the Holy Prophet, been endeavouring consistently to ascertain what exactly his established *Sunnah* is and whether any novel factor *(bid'a)* was entering into their system of life through some forged means. They neither were nor could afford to be careless about investigating and ascertaining the *Sunnah* because it had the status of law for them and it formed the basis of judicial decisions in the law-courts, and all their affairs, starting from their homes right up to the governmental affairs, were being managed in accordance with it. The means of this research and the results thereof have been bequeathed to us from generation to genaration from the time of the first Islamic Caliphate right up to our own and the labours of each genration have been fully preserved. If one understand these two histocrical facts fully and properly and then makes a scientific study of the means by which the *Sunnah* is to be ascertained, he will never fall a prey to any misgiving.

Differences

There is no doubt that there have been numerous differences in the matter of ascertaining and establishing the *Sunnah* and such differences can also arise in the future. But then similar differences have occurred, and many indeed will occur in the future, even in the matter of interpreting a good many rules and injunctions of the Holy Qur'an. If such differences cannot form an argument for giving up the Qur'an why should they be made an excuse for giving up the *Sunnah ?* The principle has been accepted in the past (and even now there is no alternative but to accept it) that who-ever puts forward anything as the injunction of the Quran or the injunction of the *Sunnah,* should produce his arguments in support of his claim. If his argument is sound, it will be accepted by the learned men of the *Ummah* or at least by a large section of them, and anything which would be devoid of convincing argument will not be able to gain ground. This is the principle on the basis of which millions of Muslims in various parts of the world have agreed on a particular juristic school of thought and large blocs of their populations have established their social systems on the strength of a particular interpretation of the Qur'anic injunctions and a particular set of the proved *Sunnah.*

Allegation of Contradiction

The second criticsm that has been offered about my paper is that there is contradiction in it. A certain critic has sought point out that on the one hand I have stated that no one has the authority to change the clear and positive injunctions of the Qur'an and the *Sunnah* and, on the other, I have said that in exceptional conditions and circumstances *Ijtihad* can be utilised to ascertain the situations justifying deviations from these injunctions to suit the exigencies of time. I have not been able to appreciate the nature of the alleqed contradiction. Every law in the world makes provision for exceptions from the general rules in abnormal and extraordinary situations. In the Qur'an also there are numerous examples of such concessions and from these the jurists have deduced the principles which have to be borne in mind in regulating the limits and occasions for

the concessions, *e. g.*, the dictum that 'necessities make certain inhibitions legal' or that 'difficulties attract concessions.'

Conditions for Ijtihad

The third criticism has been extended to all those who have mentioned some conditions for *Ijtihad* in their discourses and as I am also one of them it is incumbent on me to answer it. I would respectfully submit that the conditions mentioned by me may be studied over again and then the particular condition which is sought to be annulled should be pin-pointed. Is it desired to rule out the condition that those undertaking *Ijtihad* should be sincerely desirous of following the dicates of the *Shari'ah* and not wanting to overstep its limits ? Or the condition that they should be conversant with the language of the Qur'an and the *Sunnah* ? Or the condition that they should have made such a deep study of the Qur'an and the *Sunnah* as would enable them to fully undestand the system of the *Shari'ah* ? Or that they should be congnizant of the contributions made by the past *mujtahidin* ? Or the condition that they should be conversant with the problems and affairs of the world ? or again, that they should not be persons of bad conduct and devoid of Islamic moral standards ? Whichever of these conditions is considered to be unnecessary by the critic should be specified precisely. To say that in the wholde Islamic world not more than ten or twelve persons can be found who fulfil these conditions and come up to this standard, is, in my view, expressing a very poor opinion about the Muslims of the whole world. Perhaps even our opponents do not consider us to be so degraded as to think that we Muslims of the whole world cannot produce more then ten or twelve persons possessing such qualifications. Nevertheless, if anyone wishes to dash the door of *Ijtihad* wide open for every Tom. Dick and Harry, qualified or unqualified for the job, he may do so. But I should like to know how he will be able to make the muslim public swallow the results of *Ijtihad* thus undertaken by men who are devoid of good conduct and sound learning and whose motives and sincerity is looked upon as doubtful and questionable ? Can the *Ijtihad* exercised by such people ever win the support, confidence and loyalty of the people ? And if it cannot, as it is bound not to, then of what value would it be for us and for posterity.

(Al-Islam, 15 October, 1961,
Karachi)

(2)
Āyatullah Morrtada Mutaharī

LA LIBERTE

Qu'est-ce que la liberté ?

Tout d'abord, il nous faut savoir ce qu'est la liberté, ainsi que les droits qu'elle octroie à l'être humain.

Habituellement, nous constatons l'existence de deux sortes de libertés chez l'homme. L'une est véritablement humaine, l'autre animale, c'est-à-dire qu'elle se rapporte aux désirs et aux passions.

Dans le lexique des anciens, cette dernière liberté est celle de la force rascible et de la force concupiscente. Quand à ceux qui méditent sur la liberté, ils n'ont pas en vue la liberté animale, mais plutôt cette réalité sacrée que constitue la liberté humaine.

En effet, l'être humain possède des dispositions et aptitudes bien plus élevées que celle de l'animal. Dispositions qui représentent soit *le côté des émotions* et des penchants humains sublimes, soit le côté des perceptions et des pensées.

Il nous faut ici considérer, ne serait-ce que brièvement, ces deux *sortes de libertés* puisque certains furent conduits à la confusion, faute de distinguer entre les deux genres.

La liberté doctrinale et la liberté de pensée

Il y a une différence entre la liberté de pensée et la liberté de doctrine. La liberté de pensée découle des dispositions humaines qui permettent à l'homme de penser les divers problèmes et faits.

Ces dispositions doivent nécessairement être libres et non conditionnées, car le perfectionnement et l'évolution de l'humanité *dépendent* de cette liberté. Quand à la liberté doctrinale, elle se distingue par une autre caractéristique. Nous savons qu'il n'est pas nécessaire que toute doctrine découle d'une pensée juste et saine. Beaucoup de *doctrines* proviennent d'un ensemble d'habitudes et de coutumes. La doctrine, ainsi définie, ne mène pas vers une libération de l'esprit des habitudes et des coutumes, ni vers son épanouissement, mais risque plutôt de mener à son étouffement. La pensée humaine, dans cette situation, se trouve renfermée sur elle-même et cristallisée. Ainsi, cette force sacrée se trouve enchaînée dans les profondeurs de l'homme.

Ici, la liberté doctrinale n'est pas seulement sans entraves, elle se *transforme encore en une force destructrice, conduisant à des maux* nombreux pour l'individu et la société.

Par exemple, devons-nous respecter la doctrine de l'idolâtre qui adore les pierres du fait qu'il croit qu'elles possèdent une pensée, et qu'il croit être parvenu à cela par un raisonnement logique ? Ou ne pouvons-nous l'accepter ?

L'histoire d'Abraham

Il s'impose à nous d'agir de façon à libérer sa raison et sa pensée des chaînes de cette doctrine idolâtre. C'est-à-dire que nous devons répéter l'action même du prophète Ibrahim, « l'intime de Dieu » (sur lui la Paix). Nous connaissons tous son histoire sublime. Tous les hommes de son pays adoraient les idoles, obéissant ainsi aux habitudes et aux coutumes. Lors d'une fête, tous les habitants sortirent de la ville. Pourtant, Ibrahim n'en sortit point. Il profita de cette occasion précieuse et brisa toutes les idoles au moyen de sa pioche, ne laissant intacte que la plus grande statue, l'idole principale au cou de laquelle il accrocha sa pioche. Il désirait ainsi que les futurs spectateurs puissent avoir l'impression qu'un combat

avait eu lieu entre toutes ces statues dont avait triomphé la plus grande d'entre elles.

Mais après cette première impression, les hommes devaient se poser la question de la possibilité de l'occurence d'un tel combat. Car les êtres humains sentent,par nature, que ces statues ne peuvent se mouvoir. Cette raison profonde, naturelle *gisant* dans les profondeurs, provoque l'ébranlement de la construction mentale de l'homme et le ramène à lui-même.

Ainsi, lorsque les gens revinrent et constatèrent la situation, ils se mirent avec colère à la recherche de celui qui brisa leurs idoles.

Après enquête, ils apprient que dans leur ville se trouvait un jeune homme qui s'opposait violemment à leurs actes déviés et *rejetait* leur doctrine idolâtre. Ils se précipitèrent donc vers Ibrahim, mais Ibrahim (sur Lui la Paix) leur dit : « Pourquoi m'accusez-vous, moi ? Le véritable criminel est cette grande idole qui est demeurée debout. »

Les gens lui répondirent alors que tels actes ne peuvent provenir de pierres immobiles. Il répliqua : « Comment se fait-il qu'un tel combat ne peut être l'œuvre de ces statues, alors qu'elles peuvent répondre à vos demandes ? » Le Coran utilise ici une expression fort belle : « Ils revinrent à eux-mêmes. » Du point de vue du Noble Coran, la réalité de l'homme est son esprit et sa raison pure, ainsi que son raisonnement adéquat. Le Coran dit que ces gens s'étaient séparés d'eux-mêmes et que ce rappel les a ramenés à eux-mêmes.

La question est : comment expliquer cet acte d'Ibrahim. Son action était-elle contraire à la liberté doctrinale, dans le sens reconnu du terme ? Ou bien allait-elle dans le sens de cette liberté dans son contenu authentique ?

Si Ihrahim avait dit : « des millions de personnes respectent ces idoles », il nous incombe donc de les respecter. Cela aurait-il été juste ?

Du point de vue de l'Islam, un tel acquiescement à la doctrine déviée d'autrui vient de la tromperie, de l'ignorance et cela ne va pas dans l'intérêt de la liberté véritable.

Nous remarquons dans l'histoire de l'Islam des faits ressemblants à l'action d'Ibrahim (sur Lui la Paix). Le prophète, lors de la conquête de la Mecque, ne laissa point les statues sur leurs piédestals, sous prétexte de sauvegarder la *liberté doctrinales*. Il vit plutôt, dans la permanence de ces idoles, un grand facteur de la cristallisation de la doctrine. Car des siècles étaient passés et les gens demeuraient esclaves et prisonniers de statues faites de bois ou de métal.

L'anéantissement de ces statues fut le premier pas du prophète (que Dieu le bénisse ainsi que sa famille), après la conquête de la Mecque, pour libérer réellement la société de ses limitations.

On réalisera mieux l'importance d'un tel événement historique si on le compare à l'acte accompli par le Roi d'Angleterre, lors de son voyage en Inde. Son programme de voyage comportait une visite aux sanctuaires des idoles. Lesindiens avaient l'habitude d'ôter leurs chaussures avant d'entrer dans ces lieux. Cependant le Roi les ôta bien avant d'y arriver, pour bien marquer son respect et sa vénération pour le sanctuaire. Il se recueillit ensuite avec humilité et respect devant les idoles, peut-être même avec plus de respect que les indiens eux-mêmes.

Certains naïfs expliquèrent ce geste comme une manifestation du degré de respect envers les doctrines d'autrui, éprouvé par le représentant d'un pays civilisé.

Mais la réalité de la chose leur a échappé. En effet, ce geste fait partie d'un comportement astucieux du colonialisme, visant à utiliser les peuples. Ce colonialisme, qui sait mieux que quiconque que ces statues constituent un des facteurs destructeurs qui lui ont ouvert la voie, et qu'elles ont renforcé la servilité du peuple indien. Un tel respect ne sert pas la liberté de la doctrine mais est bien au service du colonialisme. Lorsque l'Inde se libèrera de l'emprise de ces mythes, elle ne s'abandonnera plus au colonialisme.

Lorsque, par ailleurs, nos livres d'histoire déformés traitent de Qouroch et de sa splendeur, ils nous rapportent que lors de la conquête de Babel (Babylone), il respecta les sanctuaires des idoles. Ceci est la conduite normale du colonisateur qui désire réduire un peuple à l'esclavage. C'est une tactique bien connue, *mais quelle est la valeur de ce geste selon l'opinion courante ?* Qouroch avait-il foi dans les idoles ? Certes non. Qouroch savait que cette doctrine déviée constituait un des facteurs puissants qui maintiennent les gens dans le sommeil et facilitent ainsi leur esclavage. C'est pourquoi il utilisa ce moyen trompeur.

L'application des principes de la liberté

Revenons à notre sujet principal : la liberté de la pensée. Toute vue fondamentale (principe) qui possède une idéologie qu'elle tient pour vraie, doit nécessairement être pour la liberté de la pensée. Inversement, une vue qui n'est pas sûre d'elle-même combat la liberté de la pensée. Une telle vue renferme les gens sur eux-mêmes et les fait évoluer dans un domaine conceptuel étroit, les empêchant par la force de s'émanciper intellectuellement et de dépasser les limites de leur horizon particulier.

Cette attitude est visible aujourd'hui dans les nations socialistes. Dans ces nations, l'on essaye d'institutionnaliser l'idéologie officielle et d'imposer un encadrement soviet au peuple, de peur que la critique et l'opposition ne mènent à l'ébranlement de la condition des gens. Jusqu'aux postes radio qui sont fabriqués de façon à ne pas permettre de capter les émissions étrangères. A la suite de cet

encadrement, les gouvernants obtiennent ce qu'ils veulent de leur peuple.

Je déclare bien clairement ici qu'il n'existe aucune restriction ni oppression dans l'organisation de la République islamique. Il faut que chacun puisse être libre dans l'expression de ses pensées et de ses opinions. Il faut cepenant se souvenir constamment que la conspiration et la *ruse* n'y sont pas permis.

Le marxisme

J'ai discuté, il y a quelque temps, avec des jeunes marxistes qui me demandèrent : quels sont les points faibles du slogan : « L'unité, la lutte, la liberté ». J'ai répondu qu'il n'en comportait point.

Ils dirent alors : « Ce slogan est donc notre slogan commun. » Je leur ai demandé : « Lorsque vous dites la lutte, c'est la lutte contre qui ? Contre le régime et contre la religion ? Vous avez choisi ce slogan avec des mots diplomatiques, obscurs et incompréhensibles. Vous avez pour but réel de réunir les gens simples sous votre bannière à l'aide de ce slogan trompeur pour les mener vers vos buts déviateurs. Je suis prêt à clamer ce slogan mais en précisant dès le début que j'entends par la lutte le combat contre l'impérialisme et le communisme. Je dis ceci en toute franchise et sans craindre personne.

Je vous invite à parler de même très franchement. Vous ne suivez pas la ligne de l'imam Khomeiny — dans vos réunions privées vous dites que vous suivez cet homme jusqu'à telle étape et qu'ensuite vous vous révolterez contre lui et le combattrez. Alors pourquoi afficher ses photos dans vos manifestations ? Pourquoi mentez-vous ? L'imam dit : « La République islamique »; dites donc votre opinion sans cacher ce que vous pensez en réalité, car vous manifestez quelque chose mais vous dissimulez quelque chose d'autre.

Actuellement, vous mentez au nom de la liberté doctrinale. Celui en qui vous croyez, c'est Lénine, alors portez les photos de Lénine; pourquoi portez-vous les photos de l'imam Khomeiny ? Vous portez ses photos pour faire croire à tous que vous suivez la même ligne que l'imam alors que vous voulez aller sur un chemin différent. Il faut que nous distinguions entre la liberté de la pensée et la liberté de tromper les gens, de conspirer et d'être hypocrite.

Venez et parlez comme nous, franchement. De même que nous vous disons que le gouvernement que nous désirons est différent de celui que vous désirez, que notre système économique est différent du vôtre, que notre système doctrinal et conceptuel est différent du vôtre. Dites-nous franchement votre position, de façon à ce que les gens soient libres de choisir. Pourquoi nous dire : faisons de la liberté une devise commune, alors que pour vous la

liberté est tout d'abord une liberté doctrinale et que pour nous c'est la liberté par rapport à tout étouffement ou pression, même communiste. Ainsi votre liberté est différente de la nôtre.

Je dis à ces individus non-musulmans que l'Islam est pour la liberté de la pensée. Pensez en toute liberté. Vous êtes libre de manifester votre croyance et de l'exprimer mais à condition d'en donner la version intégrale. Et ceci dans cette université même.

Voici quelques années j'envoyais une lettre au conseil de l'université dans laquelle j'ai écrit que la seule université où il faut qu'il y ait une chaire d'études marxistes soit l'université de la Charia`t, à condition que le directeur d'études ne soit pas un musulman, mais un marxiste convaincu. Le mieux étant qu'il ne soit même pas croyant en Dieu.

Il faut s'éloigner de cette idée fausse qui consiste à penser qu'il ne faut pas enseigner le marxisme à l'université de la Charia`t. Cependant, il faut arrêter le mensonge et la ruse, c'est-à-dire que la marxiste n'a pas le droit de prendre un verset coranique et de déclarer qu'il illustre un des principes du marxisme. Nous nous opposons à *ce procédé* car il constitue une trahison de notre Coran.

L'utilisation excessive du Coran

Parfois les idées marxistes sont également travesties et présentées sous des apparences islamiques. Ceci aussi est une grande trahison.

Nous avons reçu dernièrement certains livres qui s'essayent à commenter le Coran. Jusqu'à maintenant je ne sais pas si les auteurs de ces livres sont réellement inconscients ou s'ils pensent réellement ce qu'ils écrivent. Il est probable qu'ils ont été attirés par les idées marxistes, lesquelles ont subjugué leurs *vues*, si bien qu'ils ont compris les versets coraniques d'une manière marxiste. Par exemple, à propos du noble verset : « Ceux qui croient en l'invisible », ils ont écrit que le mot « invisible » (Gaïb) fait allusion à la période cachée de la révolution. Tant que l'ordre impérialiste domine, la révolution triomphe, elle entre dans la phase de manifestation.

Nous demandons : pourquoi recourez-vous au Coran pour exposer vos idées ? Pourquoi ne les attribuez-vous pas à vous-mêmes. Vous ne pouvez pas ici réfuter notre objection au nom de la liberté de doctrine. Car cette compréhension n'a pas de lien avec la liberté doctrinale. Une telle démarche, consistant à faire du livre sacré des musulmans un moyen et un outil pour atteindre des buts non religieux; une telle démarche, faite de tromperie et de ruse, est une trahison des gens, une trahison de leur liberté.

Un autre exemple est l'histoire des hommes de l'Eléphant dans le Coran. Le Coran, ainsi que des livres historiques, rapporte que

l'armée des Abyssins attaque la Mecque dans le but d'anéantir la Kaabah, la maison sacrée de Dieu. Mais Dieu envoya des oiseaux vivant sur la rive de la Mer Rouge, avec dans leurs becs des pierres faites d'argile durcie. Les oiseaux lâchèrent ces pierres sur l'armée des Abyssins qui tombèrent aussitôt morts. Jusque-là l'histoire est véridique et ne donne lieu à aucune suspicion. Par contre, quels sont les détails de cet événement ? Est-ce que l'armée fut ravagée par la rougeole ou par une épidémie similaire ? Le fin mot de l'histoire n'est pas connu.

D'autre part, la révélation de la Sourate eut lieu quarante ans après l'événement. L'histoire n'a pas enregistré un seul démenti de la part des habitants de la Mecque lorsque la Sourate leur fut récitée; plusieurs d'entre eux étaient même des témoins visuels de l'événement. Si le récit avait été faux, les gens n'auraient pas manqué d'accuser le Prophète de mensonge au début de sa mission.

Un des « interprètes » du Coran auxquels nous faisons allusion a écrit qu'à l'époque de la naissance du prophète, il existait à la Mecque un groupe révolutionnaire constitué pour lutter contre l'impérialisme mondial. Les impérialistes eurent vent de la chose et dirigèrent une troupe armée vers la Mecque dans le but d'exterminer ce groupe. Toutefois, les révolutionnaires réagirent, bondissant comme des oiseaux, et décimèrent l'armée des impérialistes. L'auteur de ce commentaire ajoute que ce fait n'est pas mentionné dans les sources historiques, mais que cela ne justifie pas que nous l'ignorions.

Le moins que l'on puisse dire à propos de cette compréhension et de ce commentaire du Coran c'est qu'ils sont inexacts.

Je demanderai à ces frères qu'ils considèrent certains savants qui évitent avec hantise de commenter le Coran (bien que je ne partage point leur non-engagement obsessionnel). Leur attitude exprime toutefois une attention précise, un souci de ne pas projeter sur le Coran leurs opinions personnelles, ou des idées dont ils ne sont pas absulument sûrs.

Si nous refusons cette attitude trop rigide, nous ne nous tournons pas pour autant vers l'inattention et l'explication du Coran selon nos désirs.

L'Islam nous dit clairement que l'univers avec toutes ses lois et ses composantes, que ce soit les pierres, les vents, l'eau ou la vie, est soumis à la volonté divine. Les innombrables aspects de l'univers sont des armées de Dieu qui peut modifier les situations du monde selon Sa volonté.

Malheureusement, les tenants des idées matérialistes ne veulent pas reconnaître ces vérités. Ils affirment que tant que la matière et les choses matérielles existent, elles ne peuvent échapper à leurs

lois particulières. De là, ils expliquent les versets coraniques selon ces idées.

J'avertis clairement ici du danger de telles orientations et de la propagation de telles idées qui ne servent pas du tout l'Islam, mais le colonialisme.

L'état islamique et la liberté

Examinons présentement la position du futur Etat Islamique en Iran. Comme il a été souvent répété par notre Chef et Imam, l'Etat Islamique accorde la liberté à tous les partis, y compris ceux qui ne sont pas musulmans mais ne permet pas la conspiration et la tromperie. Nous acceptons avec tolérance les partis et les individus qui expriment clairement leurs positions et analysent les choses selon leur logique propre. Toutefois, s'ils présentent leurs idées et leurs opinions sous le couvert de l'Islam, il nous incombe de défendre notre Islam et de montrer que les vues islamiques ne sont pas celles qu'ils prétendent. Je ne pense pas qu'une telle liberté dans la confrontation des idées se trouve ailleurs, dans quelque endroit du monde que ce soit.

Vous connaissez bien l'histoire de l'Islam, vous savez que dans l'Etat prenant réellement appui sur la religion, la liberté fut accordée aux non-croyants de venir à la mosquée du Prophète et à la Mecque et d'exprimer aux gens leurs idées contraires à la religion. Ils niaient l'existence de Dieu, la prophétie du Prophète, le pèlerinage et la prière. Les croyants reçurent ces détracteurs avec tolérance, les témoignages en sont nombreux dans l'histoire de l'Islam. C'est la liberté même que l'Islam accorda à ses ennemis qui le garda vivant au long des siècles.

Si les musulmans avaient répondu aux athées en les frappant ou les tuant, l'Islam ne serait pas demeuré vivant.

Nous avons tous entendu l'histoire de Moufadhal, l'un des compagnons de l'Imam Es-Sadeq (sur Lui la Paix) :

Un jour qu'il priait dans la mosquée du Prophète, deux individus athées s'assirent près de lui et se mirent à discuter entre eux de sorte que Moufadhal puisse les entendre. De leur discussion ils en vinrent à parler du prophète, disant qu'il était un homme de génie qui rêvait de transformer radicalement la société, et qu'il avait estimé que le meilleur moyen pour ce changement résidait dans la religion et que, certes, il ne croyait ni en Dieu ni en la résurrection, mais qu'il exploitait la religion comme un moyen d'arriver à son but. Devant ces propos, Moufadhal se fâcha et s'avança pour leur répondre. Mais prenant les devants, ils lui demandèrent : « Informes-nous ! Tout d'abord, de quel groupe fais-tu partie. Si tu es membre des disciples de l'Imam Jaâfar Es-Sadeq, saches que nous avons exposé de telles idées en sa présence et même des plus

osées que celles-ci. L'imam ne se fâcha point, mais écouta nos arguments comme s'ils partageait nos vues; lorsque nous eûmes fini notre discours, il nous répondit avec respect. »

Voilà donc le facteur qui a permis la longévité de l'Islam. De plus, si nous nous demandons qui a conservé les idées adverses qui ont été exprimées tout au long de l'histoire islamique, nous trouverons que ce sont les religieux qui les consignèrent dans leurs livres, tout en les discutant et les rejetant. Sans ces derniers, les livres des matérialistes auraient été perdus.

A ceux des jeunes croyants qui ont à cœur de défendre l'Islam et qui ont recours à de manières violentes, je dis que cela n'est pas la bonne manière. Un seul chemin est à prendre pour la défense de l'Islam, c'est le chemin de la connaissance et de la confrontation objective des divers courants de pensées. L'Islam a la capacité de contenir, d'intégrer toutes les tendances comme il l'a montré au long de son histoire radieuse.

Où sont ceux qui disent que la religion se limite au groupe des vieilles femmes et aux quartiers pauvres du Sud de Téhéran ? Existe-t-il un facteur autre que la religion et la religion islamique en particulier, pour unifier tous les groupes formant le peuple : l'étudiant et le professeur, l'ouvrier et le paysan, le commerçant et le fonctionnaire ? Grâce à la religion tous les rangs ont été resserrés et unifiés en face de l'injustice et de la tyrannie,pour la vicoitre dans une révolution populaire sans précédent dans l'histoire des peuples. J'ai grande confiance et espoir que cette révolution s'étendra à tous les peuples opprimés du monde, en commençant par les peuples musulmans qui s'éveilleront tous en une grande révolution islamique. A l'Iran reviendra le mérite du premier pas et du lancement de la révolution islamique de notre temps.

Que la Paix soit sur vous.

LA CONQUETE CULTURELLE OCCIDENTALE INITIATRICE ET COMPLICE DU COLONIALISME MODERNE DANS LE MONDE ARABE

Dr Wajih Kawtharānī *

Cet article est un essai de résumé rapide d'une étude plus large, qui porte le titre « La pénétration culturelle occidentale dans les sociétés islamiques : les formes d'accord et les formes de résistance ». Les lignes générales de cette étude ont fait l'objet d'une communication au congrès de l'éducation islamique, (Beyrouth, 1981), sous le titre « L'Islam et l'Européanocentrisme ». La présente étude a été exposée au colloque sur la conquête culturelle impérialiste et sioniste du monde arabe » qui a eu lieu à Tunis en 1982.

Il existe une période historique qui constitue, tout au long des XVe et XVIe siècles, le point de rencontre et de démarcation entre deux situations historico-géographiques, et le point de départ entre deux relation qui prendra, entre ces deux situations, par la suite, la forme du centre et de la périphérie, de la domination et de la dépendance :

— la situation européenne qui se dégage de son long rétrécissement historique, une seconde fois, après les croisades, dont une des conséquences les plus saillantes a été la croissance des villes en Europe et la concentration des richesses pillées à l'extérieur, à l'intérieur de leurs frontières[1].

Cette expansion s'est faite par le biais d'un mouvement d'encerclement du monde musulman et de la Méditerranée, de la découverte du Cap de Bonne Espérance comme voie vers l'Inde et de celle du Nouveau Monde à travers l'Atlantique. Cet événements, qui est généralement étudié comme faisant partie de la Renaissance européenne, a été porteur d'une violence sanglante, violence qui a été exercée sans limite d'aucune sorte contre les civilisations attaquées, sous forme de piraterie et de pillage des richesses et des hommes.

* Historien libanais, l'auteur est professeur d'université, son domaine de recherche principal est l'histoire de la Khilafat (Khalifat) ottomane. Il a publié divers articles spécialisés dans les revues arabe et participé à des colloques et congrès internationaux.

— *la situation orientale islamique* (y compris la situation arabe) qui tentait à ce moment là de sortir progressivement des conséquences de l'invasion mongole (attaque de Bagdad par Hūlagū), des séquelles des croisades et de l'invasion de Tamerlan. L'état Ottoman était bel et bien apparu comme une grande puissance politique islamique : il avait pu pénétrer en Europe par les Balkans s'opposer à la conquête espagnole du Nord de l'Afrique et la stopper. Mais cette puissance qui avait affronté et arrêté la pénétration européenne en Méditerranée, ne pouvait résister et tenir longtemps, vu sa structure d'Etat-exacteur [a] dans sa relation à la société. L'institution militaire ottomane, liée comme elle l'était au régime de l'exaction reposant sur l'Iltizām [b], s'est progressivement destructurée et éparpillée [2]. Mais il est utile de remarquer également que cette cause ne suffit pas, prise isolément, à expliquer les probabilités de la conquête occidentale du monde musulman. Il est de fait connu que l'épanouissement de ce monde s'est réalisé au travers des étapes de l'histoire de ses différents centres urbains en liaison avec le commerce; ce qui a constité des cercles commerciaux interdépendants. Ces différents centres se sont distribués les surplus commerciaux de telle sorte que cela n'ait occasionné aucune domination d'un centre sur une périphérie. A l'époque Abbasside, à titre d'exemple, l'épanouissement et les richesses se sont distribués de Samarkand aux villes du Maghreb, en passant par Bagdad, Damas, Medine et la Mecque [3]. Après la découverte du Cap de Bonne Espèrance qui vient marquer une étape dans le déclin du monde musulman amorcé depuis Hülagü et les croisades, la voie se trouve occupée à toute probabilité d'activer le mouvement des échanges commerciaux à l'intérieur du monde musulman et sous la direction de l'Etat Ottoman. Ce dernier s'est trouvé au XVI[e] siècle devant une situation de stagnation économique générale. Cette stagnation s'était accusée plus profondément depuis que la navigation portugaise était arrivée à supplanter l'activité commerciale arabe dans l'océan indien, et à asséner des coups à la navigation arabe et musulmane, et depuis le déplacement du transport commercial et du mouvement de navigation de la Méditerranée vers l'Atlantique et l'océan Indien [4]. C'est pour cela que l'empire Ottoman, depuis le milieu du XVI[e] et par la suite, alors qu'il était encore au faîte de sa puissance militaire, a pu croire que l'octroi du régime des capitulations et de protection aux commerçants européens dans les marchés de l'empire, était à même de vivifier le mouvement des échanges et de stimuler la Djibaya (Perception des impôts) sur laquelle repose le Kharādj [c] des gens d'Etat. Mais, dans le cadre de cette stagnation et dans le courant de l'épuisement et du drainage vers l'Europe, du stock de monnaie métallique du pays, dans le cadre aussi de la ruée des commerçants et des aventuriers européens vers le monde à conquérir et de la répartition des bénéfices issus du pillage des richesses minières entre eux et leurs Etats qui ont mis à leur disposition leurs flottes et leurs armées. L'ouverture au négoce occidental ne pouvait qu'aboutir graduelle-

ment à la constitution de pouvoirs locaux occidentaux à l'intérieur des terres ottomanes. Cela, par le biais notamment des positions économiques et politiques rendues possibles par les traités de capitulation en faveur des commerçants étrangers et de leur protégés autochtones.

Par la suite, avec la révolution industrielle européenne qui a reposé sur le pillage de la périphérie et non sur l'accumulation interne (en Europe), la périphérie s'est transformée en marché spécialisé et dépendant. Pour garantir cette dépendance et l'étendre, les privilèges accordés aux ressortissants étrangers se sont étendus à d'autres aspects d'activité dont l'un des plus importants fut le mouvement missionnaire religieux et les missions scolaires.

Ainsi et jusqu'à la fin du XIX[e] s'est réalisée une dépendance totale vis à vis du centre européen aussi bien au niveau de l'Etat [5], (crédits et pression des banques étrangères), qu'au niveau des commerçants autochtones (au travers de leur implication dans le réseau des relation d'échange avec l'Europe), et qu'au niveau d'un secteur marginal de l'activité économique — et du secteur de société et de culture qui s'y rapportent — où l'enchaînement à l'occident est devenu total pour les marchandises, le réseau ferroviaire, la construction des voies routières, les banques, les activités portuaires, la science, l'école... [6]

Cette dépendance dans les rapports entre les deux situations géo-historiques a été confirmée par une domination, qui s'est présentée comme universelle dans son projet de civilisation, de culture, de science et de politique. Un Etat européen (la Grande-Bretagne) en arrive même, dans sa vigilance pour ce qui est de diffuser ses valeurs mercantiles, jusqu'à imposer à la Chine, par la force brutale, le commerce de l'opium. La Grande-Bretagne entre en guerre à deux reprises contre l'empereur de Chine parce que ce dernier a osé interdire aux navires anglais l'acheminement et la contrebande de l'opium vers les côtes chinoises, ce faisant, il aurait porté atteinte au « saint sacrement » de la loi du libre échange mondial [7].

De la même manière, l'Europe impose au Sultan Abd Al Majid un traité de douane sans équivalence entre la taxation des marchandises importées et celle des marchandises exportées. De même Mohammed Ali est menacé par la flotte britannique s'il ne cède pas sur son projet protectionniste et « monopoliste » et s'il ne livre pas, toutes portes ouvertes, l'Egypte aux marchandises occidentales [8]. Sous la même pression occidentale, le régime ottoman des « Milal » [d] se trouva transformé en régime de privilèges pour les minorités; privilèges qui s'instaurent en obstacles à l'opération d'équilibrage social autochtone, et engagent les minorités dans des projets de création d'Etats, selon le modèle occidental, qui rejoignent les projet de zones d'influence et les projets de division en Orient arabe [9].

L'expédition française en Syrie, en 1860, hisse l'étendard légitimant de la protection des catholiques et des maronites, avec en réalité pour but inavoué, de garantir aux négociants français de la soie, les sources de sa production et de son approvisionnement dans le Mont Liban, ainsi que l'instauration d'un ordre politique favorable aux « amis locaux », et aussi pour exercer une pression sur le sultan à propos de l'affaire de Le Lesseps au Canal de Suez; sans oublier l'appui aux missions d'évangélisation et leurs visées. Puis, se succèdent les occupations étrangères, de l'Algérie à la Tunisie, l'Egypte, la Libye, l'Irak, le Shām (Syrie-Palestine)... jusqu'à la stabilisation grâce à la formule de l'Etat moderne, dans des régions morcelées aux prémisses du XX^{e} siècle, comme structure d'intégration à la « tutelle », au mandat, ou comme aide à l'accès à « l'Universelle » civilisation occidentale que cela soit pour la consommation, la culture ou les valeurs.

Dans le cadre de cette relation, le centre occidental tient énormément à venir à bout de toutes les formes locales de résistance à l'adaptation des conditions économiques, sociales et politiques de l'intérieur au modèle de civilisation du centre. Cela dans un mouvement d'expansion continue du marché capitaliste, dans les régions qui s'en différencient en tout, de la culture à la production, à la consommation aux valeurs et aux goûts. C'est ici que la conquête culturelle joue, à l'intérieur des formules d'« instruction », « civilisation » et parfois « modernisation », le rôle initiateur et préparateur de cette expansion, où apparaissent des secteurs et groupes sociaux et culturels associés et complices au niveau interne, avec les options et les directives du colonialisme moderne.

En ce sens-là, « la conquête culturelle » occidentale apparaît comme une opération continue dans l'histoire de la relation de dépendance et de domination. Elle ne se retire pas de la scène, son rôle de préparateur ne s'arrêtant pas aux écoles missionnaires du XIX^{e} par exemple, mais bien au contraire, elle ne fait là que commencer et elle continue jusqu'à nos jours à travers un réseau complexe et dense de canaux et de courroies de transmissions culturels modernes. Et elle continuera tant que le besoin demeurera de domestiquer et de dresser les régions rebelles à la consommation occidentale, et tant que du nouveau apparaîtra dans cette consommation (nouveau qui sera présenté comme besoin dans l'opération de manipulation des goûts, des valeurs culturelles et des modes de vie), tant qu'il s'avérera « nécessaire » de renouveler la domination politique de l'Occident sous la forme d'une dépendance renouvelée et continuelle, tant qu'il sera nécessaire de raviver la conquête culturelle sous diverses formes : en commençant au XIX^{e} siècle, par le tissu qui imite le style local pour flatter le goût autochtone, pour arriver en dernier lieu à imposer l'usage des dernières inventions électroniques, (sans prendre en considération ni les besoins réels

des hommes, ni la situation des forces laborieuses, ni les modes de vie) en passant par l'importation de véhicules de parade et autres produits de luxe qui ne répondent qu'à des caprices individuels parasitaires. Tout ceci allant de pair avec la pénétration culturelle des méthodes de la pensée politique arabe, des méthodes des Sciences de l'homme et même des méthodes d'étude de l'Islam et de l'histoire arabe et islamique.

Le penseur iranien martyr Ali Shariati nous cite dans une de ces conférences intitulée « Civilisation et modernisation », [10] un exemple très révélateur de l'effort que déploient les capitalistes occidentaux et leurs Etats dans l'utilisation des sciences sociales, psychologiques et anthropologiques en vue de comprendre les obstacles qui s'opposent à l'extension de la consommation occidentale et par la suite de définir les moyens à même d'aboutir à l'unification mondiale des valeurs et des goûts de consommation, en fonction des besoins de la marchandise moderne : « Lorsque j'étais étudiant en Europe, une usine de voitures a publié une offre d'emploi pour un étudiant en sociologie et un en psychologie, contre un très bon salaire. Comme j'étais à l'époque en quête d'un emploi, sans parler de l'intérêt que je portais à savoir pour quelle raison une usine de voitures pensait avoir besoin d'un sociologue et d'un psychologue, je me suis présenté. Durant l'entretien qui eut lieu avec le responsable des relations publiques de l'usine, ce dernier me dit : « Vous vous demandez pourquoi nous nous adressons à des sociologues et psychologues alors qu'en principe nous devrions nous adresser à des techniciens ? ». Lorsque j'eus acquiescé, il commença à m'expliquer en prenant une carte de l'Asie et de l'Afrique : « Si l'on prend par exemple les villes A, B, C, D; les voitures de la compagnie s'y vendent bien, alors qu'à l'opposé, dans les villes X, Y, Z, nous ne trouvons pas d'acquéreurs. Ce n'est pas le technicien ingénieur qui pourrait en connaître la cause, mais le sociologue. Il s'agira pour lui de savoir quel est le goût de ces gens, et pour quelles raisons ils n'achètent pas ces voitures; si cela ne dépend que de nous, nous changerons le modèle, le coloris, et s'il ne dépend pas de nous, nous changerons les goûts des gens. » Ce responsable me donna ensuite l'exemple du type de pénétration culturelle qu'a réalisée la société Renault à l'encontre d'une tribu vivant au bord du Tchad, en parvenant à favoriser l'acquisition par le chef de la tribu, de deux voitures Renault de luxe, et en substituant la valeur voiture comme symbole de « chefferie » et de pouvoir, à la valeur traditionnelle représentée par l'acquisition de deux chevaux. Cela fut suivi par des leçons de conduite d'automobile, organisées par les experts de la société puis par l'aide pour commencer à tracer quelques kilomètres de voie comme préparation à la généralisation du « besoin » d'acquérir des voitures, avec tout ce que cela entraîne comme extension et élargissement du réseau de consommation occidentale, à tous les niveaux jusqu'à faire arriver les parfums Ch. Dior entre les mains des femmes de la tribu, qui auparavant se

faisaient une beauté en utilisant des extraits végétaux issus des arbres de la forêt ». [11]

C'est ce « passage », que le responsable de Renault appelle « modernisation » de la tribu et « transmission de la civilisation ». Il s'agit bien, comme le dit Shariati, d'une modernisation qui nécessite une refonte radicale des mœurs et coutumes et un passage de l'ancien au nouveau dans le domaine de la consommation... Ainsi, il est du devoir de tout ce qui n'est pas européen de devenir moderne. Autrement dit, que toute l'humanité s'unisse autour du modèle de l'Homo Europeanus. La voie et le moyen menant à ce but est la transformation des cultures autochtones, la transformation de la religion ou son adaptation, et l'élimination des mœurs, coutumes, goûts et valeurs propres [12].

Quant à l'Islam, qui à continué à résister à la pénétration occidentale tout au long du XIXe siècle, ce dernier s'est trouvé en face, sur la base de certaines études orientalistes, de tentatives politiques visant à le vider de son contenu en le transformant en « culte » où « le politique » serait hermétiquement séparé du religieux. Ainsi « le religieux » muerait en « papauté symbolique » et « le politique » serait détourné au profit de l'Etat occidental concerné et de ses vassaux locaux. Nous avons trouvé, lors de nos recherches aux archives du ministère français des affaires étrangères, deux documents consultatifs, rédigés en 1915 par le comité des études islamiques auprès du ministère des colonies françaises, et relatifs au sujet de la Khilafat et des manières dont il faut s'y prendre avec l'Islam politique. Le comité d'études islamiques proposait à la diplomatie française de contribuer activement au mouvement de morcellement de l'Islam, en Islam turc, Islam arabe oriental et Islam arabe maghrebin. Les deux documents insistent sur l'importance décisive de la distinction entre ce qui est politique et ce qui est religieux, pour éviter le danger d'un mouvement de mobilisation de la part des académies et centres de décisions religieux (Hawzats) et des mosquées dans les grandes villes islamiques.

Nous sommes ici en présence du problème de la « modernisation » et de l'imitation de l'occident pris comme modèle depuis l'époque de « Renaissance » et jusqu'à nos jours. Car en effet, nous remarquons que certains courants modernistes dans le monde arabe et dans le tiers-monde en général, et sous le mot d'ordre du rationalisme des « lois universelles » et du « déterminisme » historique qui pousse toutes les sociétés dans un seul sans, celui de l'« Histoire », nous remarquons que ces courants essaient de défendre certaines thèses dont l'existence d'aspects positifs dans la relation de l'Europe au reste du monde [13], ou du caractère [14] biculturel ou multiculturel issus de l'opération d'acculturation, ou de la probabilité de choisir telle ou telle idéologie révolutionnaire certes née en Occident, mais utile au monde arabe et musulman et aux autres sociétés du tiers-monde [15].

Ces tendances expriment en réalité l'état d'errance culturelle qui distingue la relation dominé-dominant. Car lorsque les choix ne sont sélectionnés et proposés que par le dominant, il est fort peu possible d'avancer un quelconque biculturalisme ou de parler d'une mutuelle influence culturelle. Ce qui a lieu en effet, dans le cadre de la relation inégale, n'est qu'une des formes du mimétisme à l'égard de tel ou tel autre courant de la culture occidentale, et une des formes de pénétration de la culture arabo-islamique permettant de l'adapter et de la dresser selon les besoins du modèle de civilisation du dominant, modèle qui est principalement un modèle productiviste-consommateur aboutissant à la transformation de l'homme en machine ou en partie de machine.

Il est fort probable que l'explication de cette connivence de l'intellectuel autochtone avec le point de vue de la domination occidentale procède du fait qu'il s'est construit, pour l'Europe et pour le reste du monde, une espèce d'histoire hypothétique, reposant sur la « malinterprétation » des causes réelles de la « Renaissance » européenne et de sa Révolution industrielle et sur de fausses analyses de ce qui est communément appelé l'ankylose, l'arriération et le sous-développement dans l'histoire des pays dépendants, car il — l'intellectuel autochtone — a présenté comme cause de la Renaissance de l'Europe capitaliste, la science et l'école. Ainsi, il a effacé et en a rendu invisible la cause réelle, qui est la violence extravertie, la piraterie, le pillage et la destruction (rationalité mercantile). Il a également dissimulé les causes de la destructuration et de l'ankylose économique générale, dont l'économie méditerranéenne, l'épuisement de la monnaie métallique des marchés et la destructuration de la production des artisanats locaux. Dans la même foulée, toute résistance autochtone à ce génocide de civilisation a été attribuée à la mentalité arrièrée, au fanatisme religieux et au refus de s'ouvrir, d'apprendre et de collaborer avec l'autre, le civilisé.

L'on a même vu quelques personnalités de la « Nahda » (éveil ou Renaissance moderne arabe) conseiller le bon accueil aux occupants pour en tirer profit. (Faris Nimr [16]). D'autres sont même allés jusqu'à prêcher une théorie cosmopolite du fait mondial, où disparaissent les cultures locales et les intérêts nationaux et patriotiques. Ainsi Shibli Shumayyil croit-il qu'il est erroné que le conseil législatif égyptien s'oppose, en 1909, à la prolongation des privilèges anglais dans le Canal de Suez, car dit-il, le canal est international donc revient au monde entier et non à l'Egypte seule. [17]

La théorisation du centre européen, dans son effort de réécriture de l'histoire universelle, à l'époque de l'expansion coloniale, en vue d'imposer une représentation historique universelle de tous les peuples, arrive avec Renan, dans son étude sur le rapport des musulmans à la science, la philosophie et l'évolution, jusqu'à considérer « l'Islam et le christianisme oriental sémite comme des

entraves au progrès ». Le Rationalisme européen en arrive avec Renan, à une taxinomie raciste des civilisations et de la production des sciences. Il dit : « Cette faculté de produire la civilisation est un privilège des aryens. Quant aux sémites, avec leur religion simpliste, dont le christianisme primitif oriental est une des sources, ils représentent le mépris des arts et de la libre pensée, le dogmatisme religieux et la foi simpliste. » [18]

Cette image n'a point été améliorée par l'orientalisme « sympathisant » avec l'Islam. L'image dominante est demeurée le mépris des autres civilisations, dans leurs tendances, leurs points de vue sur l'homme, l'existence, le pouvoir. Et même lorsque il s'agissait de se livrer à un témoignage juste et équitable à leur propos dans tel ou tel domaine particulier, cela passait, immanquablement, par la valorisation de ce qui, en eux, ressemble au point de vue européen. Ainsi Ibn Roshd (Averroès) est soustrait à son appartenance au monde arabe et islamique, et relié à l'Hellénisme et au Logos Grec. [19] De même pour Ibn Khaldūn, qui est perçu comme un cas unique, et même comme anormal dans l'histoire arabe. Il est ainsi considéré de l'intérieur de l'Europe et non de l'intérieur de l'Islam [20]. De même pour Al Afghāni, qui est, pour ce qui concerne sa méthode philosophique, ramené par Renan à son origine aryenne, origine selon lui, seule à même de produire la pensée philosophique et scientifique.

Si Renan représente un exemple du racisme dont use la culture occidentale dans son rapport et dans ses manières de traiter, les autres cultures, le regard orientalistes sympathisant est lui aussi demeuré captif de la relation du Pouvoir au Savoir durant la période de formation de la domination occidentale du monde, et plus précisément du monde arabe et musulman. Et c'est ici que l'intellectuel autochtone court tous les risques de dérapage, quand il essaye de définir son attitude vis à vis de l'orientalisme sur une base éclectique et avec les critères du bon et du mauvais, du positif et du négatif, du progressiste et du réactionnaire, et aussi sur la base du classement des orientalistes selon leur plus ou moins grande implication avec l'Etat colonial : ceux qui en ont été les conseillers et les fonctionnaires et ceux qui étaient des savants indépendants et sans rapport avec la politique immédiate. Cette courte vue ne considère nullement le rapport du Savoir au Pouvoir et ici, plus précisément, la domination occidentale et les formes de sa préparation à l'intérieur. L'accumulation de Savoir qui s'est constituée en Europe sur la base des textes orientalistes, dont certains étaient hostiles à la civilisation arabo-islamique et d'autres plus ouverts et même admirateurs à l'égard de cette civilisation, ne peut être isolée et prise séparèment de la prépondérance de la domination occidentale et de la nature de la relation de supériorité/infériorité qui s'est établie entre les deux mondes.

Les choses considérées ainsi, il est sans intérêt de parler de tels orientalistes admirateurs de l'Islam, ou de tels autres qui seraient plutôt neutres. Car l'utilisation fonctionnelle du Savoir ne se limite pas et ne se trouve pas liée par le degré de bonne foi ou par les bonnes intentions que tel savant orientaliste ou tel autre assigne à son Savoir. Massignon, par exemple, a eu une très grande admiration pour la mystique musulmane. Il croyait que le devoir de l'Occident et plus précisément de la France était de comprendre les musulmans, de les aider, et d'accéder à leurs demandes. Malgré cela, il fut conseiller des affaires étrangères françaises, et mit ses compétences d'orientaliste islamologue à la disposition de la délégation française, en Syrie en 1925, pour aider à régler le problème du soulévement syrien à l'époque. Ce rôle ne diminue en rien la valeur des travaux scientifiques de Massignon sur Hallādj, et ne porte nullement atteinte à la qualité de son érudition pour ce qui concerne l'Islam. C'est pour cela qu'il faut considérer l'orientalisme depuis l'angle de la critique et de l'assimilation d'une étape historique précise de la relation entre l'Occident et l'Orient, plus précisément de la constitution de la domination occidentale. Cette manière d'aborder les problèmes permettra de constituer un regard scientifique capable d'assimiler et doué de larges vues ne reposant ni sur la sélection éclectique et typologique ni sur le refus et l'ignorance réactionnaire, mais au contraire, replaçant l'orientalisme à sa juste place comme une partie des études historiques et de leurs sources, aussi bien sur l'Orient que sur l'Occident, pour l'Europe que pour l'Islam, au travers de la relation entre les deux parties.

Poser le problème de l'orientalisme de cette manière qui se trouve être celle exigée par l'étape actuelle, (étape de l'indépendance culturelle dans le monde arabe et islamique), constitue un des indices de l'inauguration de cette indépendance culturelle, sûre d'elle-même, où l'orientalisme devient objet d'étude et se retrouve partie d'un savoir qui peut dire vrai ou se tromper, mais qui demeure invariablement le tenant d'une fonction précise, dans son rapport au Pouvoir qui l'a utilisé à une époque précise au sein du projet de domination occidentale.

A côté de la nécessité de cette assimilation critique de l'orientalisme, considéré comme une des formes préparant à la pénétration culturelle occidentale, par le biais de l'influence active de ses présupposés et de ses méthodes, l'indépendance culturelle pose également la tâche de dépister la faille méthodologique dans ce qui a été consacré, dans l'esprit des intellectuels arabes, comme méthodes d'investigation, de pensée et de procédure; ceci, en chacune des différentes sciences humaines constituées en Europe et qui nous sont arrivées au travers des canaux des institutions modernes, n'épargnant aucune discipline et touchant jusqu'aux sciences proprement liées à la civilisation musulmane comme par exemple l'Histoire.

Au niveau de la conscience historique de l'intellectuel arabe moderne, nous sommes en présence d'une incorporation du cours de l'Histoire européenne : son passé et son présent, sa Renaissance et ses Révolutions industrielle et technologique. L'incorporation des conceptions de l'Histoire occidentale à propos de ces questions et leur reproduction au niveau du discours local, reflète une série de mots d'ordre et de représentations du passé (idéologie); representations qui construisent une Histoire hypothétique suivant le parangon de l'Histoire occidentale elle-même et qui incorporent sans critique et sans assimilation le résultat des sciences humaines constituées sur la base d'une expérimentation dans une réalité précise dont on n'est pas en mesure d'évaluer le degré de ressemblance et d'affinité avec la réalité locale.

La méthode historique par exemple, opère une périodisation arbitraire de l'histoire arabo-musulmane et ceci sur la base de la périodisation européanocentriste de l'Histoire : Ancienne, Médiévale, Moderne. Alors que ce sont là des termes porteurs de contenus précis en économie, en doctrines idéologiques et dans le domaine des rapports sociaux; contenus qu'il n'est pas légitime d'étendre à toutes les Histoires du monde.

« Moyen-Age » par exemple, connote en Europe la domination de l'église et de la féodalité et une incorporation du christianisme catholique reposant sur les formes les plus violentes de domination et de contrôle de l'être humain, de sa frustration et de son cloisonnement dans un étau d'interdits [21]. Face à cela, la période chronologiquement correspondante dans l'Histoire musulmane présente un modèle de civilisation qui se distingue relativement par l'ouverture, la tolérance et la liberté. Cela est particulièrement visible dans le multiconfessionnalisme et l'existence de diverses doctrines, et de minorités florissantes, dans la lutte des idées et des tendances, dans l'expression des sentiments dans la vie quotidienne des hommes dans des formules et des modes qui ont été consignés à l'époque par les livres d'Adab (littérature), les biographies et les chroniques; sentiments et humeurs dont les moindres manifestations au sein de la civilisation du Moyen-Age occidental exposaient leur auteur à l'excommunion, au bûcher et au châtiments corporel [22].

Et malgré cela, l'expansion coloniale occidentale a imposé, dans le sillage de l'expansion du capitalisme sous la forme du centre et de la périphérie, une évocation du passé historique arabo-islamique qui est justement celle du « moyen-âge » et une image de la modernisation liée aux valeurs de la Renaissance et de l'Aufklarung, et à la Révolution industrielle et technologique. Une telle image se présente dans le sillage de l'expansion capitaliste à partir du centre : féodalisme, servage et église cléricaliste d'un côté et progrès et évolution de l'autre. Sans oublier que tous ces termes sont définis par référence aux concepts qui par ailleurs, occupent une place dans les fondements mêmes des méthodes de recherche en sciences

historiques, philosophiques, sociales et socio-psychologiques. Il arrive que certains historiens tentent de ne pas se laisser lier par la périodisation européenne pour ce qui est de l'étendue chronologique. Ainsi l'historien Saïd' Achour considère que les temps modernes pour le Shām (Syrie-Palestine) par exemple, ont commencé avec l'expédition de Ibrahim Pacha et que le moyen-âge correspond à la période du gouvernement turc. Il n'en demeure pas moins que sa comparaison entre les deux époques ne fait appel qu'au seul et même modèle, européen : le moyen-âge synonyme de la domination religieuse, et la modernité liée à un positivisme rationaliste qui libère la raison de la domination religieuse. Ainsi, la méthode scientifique se mue malgré lui (et à cause de sa volonté, en tant que musulman, de ne pas impliquer l'Islam dans les temps médiévaux) en méthode raciste hostile aux turcs ottomans, de telle sorte que toutes les catastrophes sont imputées à la domination ottomane turque, qui est rattachée de droit au moyen-âge européen [23].

En réalité situer l'histoire turque ottomane à l'intérieur de l'Histoire islamique ne porte en rien atteinte à l'Islam. Ibn Khaldun lui-même avait analysé les causes de la transformation d'un Etat, bien qu'il tienne sa légitimité de la Da'wa et de la Shari'a (loi religieuse), d'Etat reposant sur « la 'asabiya » (esprit de corps) en Etat despotique et injuste. Ibn Khaldūn a fait cette analyse et personne n'a mis en cause son Islam. Réferer l'Etat ottoman aux temps médiévaux ne repose sur aucun arrière-plan scientifique. Il demeure toutefois que chercher dans l'Histoire arabo-islamique des périodes qui correspondraient au moyen-âge occidental et d'autres qui correspondraient aux temps modernes, reflète une position qui nous rattache à l'européanocentrisme et constitue une des formes de connivence avec la domination culturelle du colonialisme moderne.

D'un autre côté, l'adoption de ces concepts (Le Médieval et le Moderne) à partir de l'attitude positiviste occidentale aboutit à un éclectisme dans la recherche historique et philosophique, qui met la religion à l'extérieur de l'Histoire et tient à retrouver les caractéristiques de l'Histoire européenne moderne dans l'Histoire musulmane. Nous voyons ainsi un des spécialiste de la pensée philosophique arabo-musulmane Nāsif Nasār intituler un de ses livres : « Le concept d'Oumma entre la religion et l'histoire » (comme si la religion n'était pas dans l'histoire), et tenter de trouver pour les phénomènes de l'époque moderne occidentale des passerelles, dans les textes du patrimoine musulman. Ainsi, quand il analyse le concept d'Oumma chez Ibn Khaldun il conclut : « Le concept d'Oumma est parmi les concepts khaldouniens qui peuvent être considérés comme des ponts permettant à la pensée arabe de passer de la culture des temps médiévaux — sic — à la culture des temps modernes » [24].

Cette tendance chez l'intellectuel colonisé en accord avec les conceptions du dominant et avec ses valeurs et qui cherche son authenticité culturelle dans son patrimoine, mais après avoir passé la terminologie de ce dernier au crible d'un système conceptuel qu'il considère comme étant scientifique (à savoir vérité objective, car s'accordant avec les concepts des sciences humaines positives en Europe), cette tendance ne pose aucune question, n'a aucun doute concernant la scientificité de ces concepts, à savoir leur capacité de totalisation et leur universalité. Le moyen-âge est moyen-âge pour le monde entier et les temps modernes de même. Et si d'aucuns essayent de distinguer leur histoire pour ce qui est de la chronologie, ils demeurent en accord, quant à la périodisation, avec les conceptions et les contenus qui ont été façonnés par le cours de l'Histoire occidentale, qu'il s'agisse de la théorie des étapes des modes de production ou de la classification des étapes en ancienne, médiévale et moderne.

Le patrimoine, pour l'intellectuel colonisé, est un champ de sélection avec lequel il établit un rapport au travers de passerelles qui relient les termes et les concepts, sur la base du rattachement du terme ancien à un concept moderne. Et le débat porte toujours sur le degré d'accord obtenu entre le terme ancien et le concept appris dans le livre de la science occidentale qui offre une représentation idéologique, représentation idéologique qui devient avec l'intellectuel colonisé la science même : la « religion », le « nationalisme », l'« Oumma », « l'Etat », « la démocratie », « la laïcité », « le socialisme », deviennent des concepts qui accèdent à des contenus réels, référents au monde, en intégrant et incorporant le contenu de leur « équivalents » occidentaux et en devenant des citations de Diderot, Mazzini, Renan, Marx, Lenine, Staline. Vérités éternelles, que prêche l'intellectuel colonisé en toute occasion, telles des « tables de la loi » scientifiques dont il conseille de s'éclairer pour trouver le salut.

Les théories psychanalytiques et les théories pédagogiques occidentales prennent entre les mains de certains de nos chercheurs, l'aspect de traductions hâtives et de plagiats, et se trouvent plaquées sur des situations dont l'historicité, la réalité, et les fonctions n'ont point été étudiées de l'intérieur : la religion, la tribu, le clan, la famille et les diverses institutions historiques autochtones durables. Ainsi, des sujets tels que l'Islam, les relations familiales, claniques et inter-ethniques se trouvent tout bonnement classés par certains marxistes arabes dans la catégorie du « précapitaliste », celle du « mode de production asiatique » ou bien du « féodalisme oriental ». Pour les liberaux modernistes, la chose est plus simple et plus expéditive. Il s'agit tout simplement des séquelles du sous-développement et de l'arrièration moyenâgeuse [25].

Cette espèce de terminologie devient dans les domaines des sciences sociales et humaines, telle la baguette magique, capable d'expliquer différents phénomènes psychologiques, économiques

et sociaux (la violence, la frustration, les complexes, la croyance en l'au-delà) et également une base de distinction entre le normal et le pathologique, et de définition du progrès et de l'arrièration. Ainsi l'histoire s'abrége jusqu'à l'anéantissement dans l'européanocentrisme et cela à deux reprises, à partir de deux lieux différents et d'un seul coup :

1/ L'Histoire occidentale est niée quand la théorie occidentale n'est pas mise dans l'Histoire, à savoir, quand l'étude ne la replace pas dans les propres conditions de production et de constitution qui l'ont instaurée comme « science ». Et quand le mouvement de critique occidentale de la science occidentale n'est pas pris en considération.

2/ L'Histoire orientale arabo-musulmane est niée quand ses institutions et ses valeurs, différentes de celles de la modernité, c'est à dire celles de l'Europe moderne et contemporaine, ne sont considérées que comme des aspects du sous-développement. Et ne sont point abordées et étudiées comme des formes de modes de vie et de relations humaines avec une méthodologie expérimentale, mais classées et décrites selon des critères qui en arrivent chez certains jusqu'à l'envie de renier leur Histoire, à la haîne à son encontre et même jusqu'à l'aliénation et la rupture avec la réalité. Tout cela vient en résultat d'une domination culturelle qui trouve au plan intérieur, des intérêts qui s'y accordent et s'y rattachent consciemment ou inconsciemment, bien que d'aucuns croient d'autant mieux résister à la culture occidentale qu'ils l'incorporent, en assimilent les valeurs et en imitent les armes.

La question demeure : comment pourrions-nous nous constituer une Histoire et un Avenir en incorporant l'Histoire occidentale, en assimilant son passé et son présent, sa renaissance et sa Révolution industrielle ? Une histoire qui s'est constitué en essayant de démolir l'Histoire des autres et particulièrement notre Histoire arabo-islamique ? La réponse ne réside pas en une formule à proposer lors d'un colloque, au fil des pages d'un texte. Elles se rattache à un long combat historique, où la lutte pour la libération de l'emprise culturelle occidentale occupe la place de pivot central.

— Cet article est traduit de : « *Al 'Irfān* », revue mensuelle libanaise, pp. 4-14, n° 5, Radjab 1402 H/mai 1982, vol. LXX, Liban.

NOTES

a) Au sens ancien du mot (NDT).
b) Système d'affermage des impôts; Cf Ba-Cvetkova : « Le système d'affermage des impôts, Iltizām, dans l'empire ottoman du XVIe au XVIIIe siècles », in Izvestiya ha instituta Zparvani nauki, Academie bulgare des sciences XI/2 1960, pages 125-223. Cf aussi Encyclopédie de l'Islam, article « Iltizām ».
c) Pour simplifier le sens du mot Kharādj nous pourrions dire qu'il correspond aux sommes dues par les paysans, en échange de l'usage des terres appartenant à toute la communauté musulmane. (NDT)
d) Régime des groupes ethniques. (NDT)

1. Voir : Hassan Ad-Dika, « L'Expérience de l'écriture historique marxiste : lectures de la crise de la méthode et de la théorie », (en arabe), Beyrouth 1981, pages 28 et 32.
2. Comparer avec S. Diviciolgu, « Modèles économiques de la société ottomane des XIV et XV siècles », La Pensée, avril 1969.
3. Voir : Maurice Lombard, « L'Islam dans sa première grandeur », Flammarion, Paris. Pages 90, 100, 108, 111, 131.
4. Voir : F. Braudel, « La méditerranée et le monde méditerranéen », Paris 1979, pages 458-459.
5. Voir : Basil Homsy, « Les capitulations et la protection des chrétiens au XVIIe et au XVIIIe siècles », pages 15-16.
Voir aussi pour 'Djibaya' et état reposant sur l'exaction, Ibn Khaldun, « Al Mukaddima », pages 279 et 286.
6. Voir : Hirshlag, « Introduction à l'histoire économique moderne du Moyen-Orient », (traduction arabe), le Caire 1966, pages 94, 110, 123, 157; voir aussi : J. Thobie, « Intérêt et impérialisme français dans l'empire ottoman, 1895-1914 », Paris 1977, pages 647-698.
Pour les missions scolaires, voir : Mustafa Khalidi et Omar Farrukh, « L'Evangilisation et le colonialisme dans le monde arabe », (en arabe), 5e édition, pages 65 et 112.
7. Voir : Pankarque : « L'Asie et la domination occidentale », (traduction arabe), pages 124 et 143.
8. Voir : Maxime Rodinson, « Islam et capitalisme », (traduction arabe), Beyrouth 1968, pages 187 et 190.
9. Voir notre contribution, à ce sujet, in « Les chrétiens arabes » Beyrouth 1981.
10. Ali Sharia'ati, « Civilisation et modernisation », page 24.
11. Ibid., page 25.
12. Ibid., page 26.
13. Chez la plupart des tenants de la tendance libérale laïque depuis la Renaissance et jusqu'à nos jours.
14. Voir : Sélim Abou, « Le bilinguisme arabe-français au Liban ».
15. Voir, par exemple : Nadim Al Baytar dans sa discussion du livre d'Edward Saïd, « L'Orientalisme ».
16. Voir la revue arabe « Al Muktataf », vol. 38, pages 260 et 265.
17. Lorsque le Conseil Législatif discuta, en 1909, la question de la prolongation des privilèges pour le canal de Suez, et aboutit au rejet, Shumayyil s'écria que l'intérêt de l'Egypte était de prolonger et d'accepter l'offre de la société anglaise parce que « le progrès scientifique est aujourd'hui plus rapide qu'avant, qu'il en va de même

pour le progrès social, que le concept de patrie est en train de changer et que bientôt il couvrira le monde entier. Lorsque les privilèges disparaîtront en 1968, le canal ne sera pas plus à l'Egypte qu'à la Chine ou à l'Amérique. L'Egypte doit donc accepter la contrepartie proposée, du moment que son droit sur le canal est reconnu, et qu'elle utilise pour l'intérêt général ». Voir : in Albert Horani, « La pensée arabe à l'époque de la Nahda (Renaissance) », (traduction arabe), Beyrouth, page 301.

18. M. Rodinson, « Marxisme et monde musulman », Paris 1972, pages 97-98.

19. Comparer Ernest Renan, « Averroès et l'averroïsme », (traduction arabe), le Caire 1957, pages 13-18. Voir aussi : Radwan Assayyid, « De la raison et du pouvoir dans le domaine arabo-islamique », dans la revue arabe « Al Massira », n° 6, Beyrouth.

20. Voir : Yves Lacoste, « Ibn Khaldun », (traduction arabe), Beyrouth 1975, pages 217 et 169.

21. Comparer avec André Coutin, « Huit siècles de violence au Quartier Latin », Paris, pages 17-46.

22. Comparer avec Michel Foucault, « Surveiller et punir », Paris 1975, pages 9-21.

23. Voir, par exemple : Saïd 'Achur, « La société du Sham à l'époque ottomane entre le Moyen Age et les temps modernes », 2e Congrès international de l'histoire du Sham — université de Damas, 1978.

24. Nasif Nassar, « Le concept d'Oumma entre l'histoire et la religion », Beyrouth 1979, page 140.

25. Exemples de ce genre d'études : Salwa Al Khammas, « La femme arabe et la société traditionnelle sous-développée », Beyrouth 1973, Ibrahim Badran et Salwa Al Khammas, « Etudes sur la mentalité arabe : Al Khurafa (le Mythe), Beyrouth 1973;
Mustafa Hijazi, « Le sous-développement social, introduction à la psychologie de l'homme opprimé », Beyrouth 1978.

L'EDUCATION EN ISLAM ET EN OCCIDENT

L'un des domaines, sinon le domaine, le plus fortement en crise dans l'ensemble des sociétés mondiales est celui de l'enseignement et de l'éducation.

Partout, dans un effort qui n'est pas limité à certaines sociétés, les valeurs morales professionnelles sur lesquelles se fondent les enseignements, ainsi que les méthodes d'enseignement sont revues, révisées, critiquées.

Ainsi deux notions fondamentales de l'enseignement occidental sont remises en cause : l'enseignement professionnel, parce que le développement sans cesse accéléré des connaissances techniques, scientifiques, le rend rapidement insuffisant, inadapté. Pour prendre un exemple dont nous avons pu être témoins, les sciences des années 50 continuaient à être enseignées alors que le progrès techniques des années 70 s'accomplissaient notamment dans les domaines de l'informatique et des communications. La formation professionnelle spécialisée demande donc à être constamment révisée, et le professeur, le médecin, l'ingénieur, le technicien occidentaux, doivent sans cesse se recycler. Ainsi peu à peu, à cette notion s'oppose la notion de formation permanente, continue.

Une autre conception commence à se faire jour en Occident selon laquelle la formation et l'enseignement ne sont pas uniquement l'école. Cette nouvelle conception considère la formation comme un processus continu qui englobe aussi bien l'éducation hors des écoles, l'éducation hors des écoles, l'éducation des personnes

âgées — « l'université du 3e âge » — que la formation des jeunes, et ne se découpe pas en enseignement primaire, secondaire, universitaire, permanent. Il s'agit d'une conception davantage globale de l'enseignement.

Or, les principes révélés dans le Coran et toute l'histoire de la communauté musulmane nous enseignent — et ceci doit être pour les Musulmans non pas une confirmation mais la constatation d'une coïncidence — que la conception islamique de l'enseignement a toujours été plus vaste que la formations spécialisées de l'artisan, du médecin ou du juriste, par exemple, mais cherchant à atteindre la totalité, la plénitude de l'homme, de l'homme lié à la société, et de l'homme lié à Dieu.

Formation la plus complète de l'homme

Ainsi la conception islamique de l'éducation vise à la formation la plus complète de l'homme et la formation professionnelle en est une partie certes légitime, mais n'en est qu'une partie.

De même les méthodes modernes d'enseignement en occident qui tendent à une conception plus globale de l'enseignement correspondent à la notion islamique de la permanence de l'enseignement qui commence au berceau pour se terminer au tombeau. Cette conception permanente de l'enseignement a d'ailleurs été à l'origine de malentendus de la part d'auteurs occidentaux au sujet de l'université d'Al Azhar. Pouvait-elle avoir le titre d'université, bien qu'étant à l'origine des universités d'Oxford, de la Sorbonne, et de tant d'autres, puisqu'autour d'un maître se groupaient aussi bien les enfants, que les hommes dans la force de l'âge, que les hommes âgés ? Cette absence de distinction entre la madresa et l'université, la formation professionnelle et la formation de l'individu, la présence de l'enseignement spirituel et moral islamique et celle d'un enseignement scientifique, technique, a suscité des malentendus chez les occidentaux s'étonnant de la réunion d'enfants, de vieillards, de juristes, d'artisans, de savants...

Or cette absence, absence relative, de distinction entre le primaire, le secondaire, l'universitaire est dûe à la notion, fondamentale en Islam, de l'Unité, de Tawhīd, qui a elle-même pour garant l'Unité de la Réalité, l'Unité de Dieu, et pour reflet l'unité de la société et l'unité de l'homme.

Les enfants

Dans la conception musulmane, s'il existe bien un enseignement donné aux enfants dans les madresas, il n'y a pas de différence fondamentale entre les cycles d'études et la rupture constatée longtemps en Europe entre les enseignements primaire, secondaire ou universitaire, chacun étant différent qualitativement et sanctionné par des examens de passage, n'existe pas. Pour les Musulmans,

l'examen de passage dure toute la vie. Ce qui compte n'est ni le cycle d'enseignement ni la formation professionnelle qui succède à un enseignement général, mais la Loi et le maître. Tous les âges peuvent se réunir dans la mosquée pour écouter le même maître parce que la personnalité de l'individu et du maître est plus importante que le programme d'enseignement. Le programme est attesté par l'existence d'une Loi révélée, d'une Loi unique qui n'a pas besoin d'être constamment refaite par des ministres, et il appartient au maître de l'appliquer, de la dévoiler de manière vivante, actuelle, immédiate pour tous, aussi bien les enfants, que les étudiants, que les hommes âgés...

Jonction entre les générations

A ce sujet, il n'est pas inutile de s'attarder sur le fait que l'enseignement coranique opère une jonction entre les différentes générations. Ce secret se trouve perdu dans d'autres civilisations et l'ensemble des sociétés en a le plus grand besoin aujourd'hui.

L'origine sociale n'est pas plus décisive et la science est offerte à tous, indépendamment de la fortune des parents ou de la fortune personnelle.

Cette ouverture de l'enseignement à tous les âges et à toutes les conditions révèle que la société islamique, ainsi qu'entre autres la société africaine, intègre tout aussi bien les anciens que les enfants. Les anciens sont honorés, ont un rôle social, transmettent leur expérience. Ils peuvent apprendre et recevoir, mais aussi donner. Les enfants ont certes leurs propres caractéristiques mais ne reçoivent pas un enseignement spécialisé, d'ailleurs de plus en plus remis en cause en Occident. L'enfant reçoit l'éducation maternelle puis passe sous le contrôle de son père et le sévère tutelle de son professeur.

Il n'y a pas de spécialisation, de coupure, entre l'enfant, l'homme et le vieillard mais une continuité, une droite ligne.

Mais en « Occident »

Or, paradoxalement, alors que nous voyons les deux conceptions de l'enseignement scolaire, opposé à l'enseignement permanent, et de la formation professionnelle, opposée à la formation complète, totale de la personne, objets de critiques et de recherches nouvelles en « Occident », les universités des pays islamiques introduisent dans leur enseignement un cloisonnement, une compartimentalisation, une spécialisation de la formation, abandonnant leurs propres principes qui sont ceux de la formation totale de l'homme.

En d'autres termes les pays orientaux sont en train, comme dans bien d'autres cas, de recommencer la fin du 19e et le début du 20e siècle européen — alors que le reste du monde prépare le 21e

siècle — adoptant des notions qui partent non plus de l'homme dans sa plénitude, mais de la profession, inventant une formation professionnelle qui sera dépassée dans quelques années et fera des chômeurs intellectuels ou favorisera l'exode des cerveaux vers d'autres emplois où la technique est mieux adaptée aux innovations.

Au moment même où les pays d'Occident révisent la notion de formation spécialisée — par exemple la France où la distinction sacrosainte entre le secondaire et l'universitaire laisse peu à peu la place à une sorte de continuité entre les deux formations — et reviennent à préférer la formation de la personne — ainsi l'enseignement du Cheikh réunissant tout à la fois les enfants, les jeunes, les adultes, les hommes âgés — à la formation professionnelle, non seulement parce qu'elle est plus vraie en métaphysique, mais parce qu'elle est plus efficace en physique, paradoxalement les conceptions musulmanes d'enseignement vont-elles être oubliées dans les universités islamiques ? Conceptions de la formation du 'Abdoullah et du khalifatou Ilah fi-l-arz, (de l'homme soumis à la Loi religieuse et de l'homme capable d'être le représentant de Dieu sur la terre) et d'innover par ses propres moyens, d'élargir ses connaissances jusqu'à la mort...

Problèmes fondamentaux

Les pays musulmans me paraissent donc devoir affronter trois types de problèmes fondamentaux. Il serait sans aucun doute possible d'en dénombrer davantage mais les questions les plus importantes me semblent être :
— l'intégration de l'enseignement,
— l'enseignement religieux,
— les techniques et les sciences dans la culture, la civilisation islamique.

L'intégration

La réponse à la question de l'intégration de l'enseignement est contenue dans la conception musulmane de l'éducation que nous venons de développer. L'intégration consiste donc à freiner le mouvement d'hyperspécialisation qui se trouve déjà contesté en Europe ou aux Etats-Unis par les étudiants qui ne veulent pas être simplement transformés en machines à produire et à consommer et qui posent la question de finalités de l'homme et de la société.

Le Coran

La conception de l'éducation selon les principes coraniques assurant la totalité du développement humain sans faire une distinction — qui n'existe pas en Islam — entre les sciences physiques et les sciences métaphysiques, toutes étant des

sciences islamiques, est la seule voie du maintien non seulement de l'intégration dans l'enseignement mais de l'unité dans les sociétés islamiques.

Formation des religieux

Le deuxième point, avec la formation des religieux porte au cœur même de la civilisation islamique. Le problème de la compétence générale des théologiens musulmans est essentiel. Ils doivent être capables de répondre aussi bien aux questions métaphysiques, théologiques, que scientifiques, politiques, économiques ou sociales.

L'Islam préparerait des générations de scientifiques, laïques, athées et verrait des tensions, des conflits entre jeunes et anciens si ses religieux n'avaient pas d'autres arguments que l'apologitique ou l'argument d'autorité et affirmaient que les portes de l'Ijtihad sont fermées. L'Islam serait son propre contraire s'il était sclérosé, replié sur lui-même, magicial, folklorique, une théologie au sens occidental donc isolée des autres voies. L»Islam doit être sans cesse ouvert, total, universel. « Allahou Akbar » ne signifie-t-il pas dépassement constant et continu ? Les théologiens qui ont la charge la plus importante de l'Islam, la charge spirituelle, doivent être capables de défendre l'Islam non pas dans un combat d'opposition à autrui, négatif, d'arrière-garde mais dans un combat des premiers temps, d'avant-garde permettant d'assurer l'ouverture et en même temps l'universalité de l'Islam.

La Traduction

Je me souviens que lorsque j'étais enfant, j'avais traduit à ma grand-mère : « Nous appartenons à Dieu et nous revenons à Dieu » le mollah refusant toute traduction ou explication. Je sais maintenant que ma grand-mère comprenait le Coran bien mieux que le mollah et que moi-même, et si le mollah commettait le péché d'avarice, de sclérose, je faisait l'erreur de divulgation, de divulgation primaire, à savoir se contenter de traduire, de conceptualiser, de remplacer un iman (foi), par une connaissance qui n'était que discursive, n'était pas le 'Aql (la raison).

L'éducation musulmane doit donc échapper aussi bien à l'avarice, à la sclérose, au repli, à l'apologétique qu'à la divulgation et à la profanation.

La réforme première, principale, est donc la création de centres, d'instituts islamiques qui forment des religieux, des théologiens à la fois hommes de foi et d'intelligence, de iman et de 'aql. Selon la tradition musulmane, ces instituts ne doivent pas être réservés aux religieux, mais ouverts à tous, aux différents âges, différentes professions aux scientifiques notamment, le tronc commun de

l'enseignement dispensé étant la connaissance des Usul-ed-Din, les principes religieux.

Il existe à côté des tentatives de rénovation de l'Islam par quelques intellectuels — tentatives partielles, marginales, improvisatrices, et dominées par le dialogue avec l'Occident — un renouveau de l'Islam qui est fondamentaliste, qui est le retour au Coran, à la révélation.

Seul ce courant, à la fois mouvement de libération politique, économique, social et réflexion sur l'origine de l'Islam, est rénovateur.

Les instituts islamiques doivent donc être à la fois fondamentalistes parce que revenant aux Usûl-ed-Din, aux Principes de l'Islam, et rénovateurs parce que refusant la distinction entre deux cultures, entre la spécialisation professionnelle et la formation de l'homme.

De tels instituts, centres ou universités islamiques éviteront à la société de se désintégrer selon des spécialisations, des cloisonnements étrangers à l'Islam.

(....)

Les techniques et les sciences

Enfin, du 3e point, de l'intégration des techniques, de la science, me paraît dépendre l'échec ou le succès de la civilisation islamique.

Y aura-t-il une dualité dans le monde musulman, un chirk, à savoir, une civilisation exclusivement scientifique, laïque et athée et d'autre part, une autre civilisation qui serait dite islamique et se trouverait dans une position de repli ?

Dans le monde actuel dominé par quantité d'éléments scientifiques, techniques, la nonintégration de ces éléments conduirait l'Islam à n'être qu'une civilisation marginale, folklorique. Or la résignation à un tel état de fait ne serait pas musulmane. Ce serait faire de l'Islam une simple affaire psychologique, de for intérieur, réduite à un catéchisme et bonne pour le vendredi au lieu du dimanche.

Deux types d'éducation en Islam signifieraient d'une part une éducation technique et scientifique destinée aux plus aptes, aux plus capables et, d'autre part, une éducation de consolation pour les moins doués.

La religion apparaît alors comme l'opium du peuple, comme devant uniquement servir de consolation.

Or l'Islam doit affronter ce défi de notre époque comme il a déjà fait face autrefois. N'a-t-il pas assimilé la pensée grecque et les sciences indiennes et byzantine tout en présentant l'Unité ? Ces

éléments, intégrés, sont devenus musulmans et ont fait sa vitalité.

Un peu partout, dans des proportions et avec des accents différents se pose le problème de l'intégration de la science dans la culture moderne. Il s'agit de l'une des grandes inquiétudes de notre époque parce que le refus de désintégrer ainsi la connaissance a pour corollaire le refus de laisser désintégrer la société et l'homme lui-même; alors que beaucoup de civilisations cherchent de façon plus ou moins improvisée et empirique à reconstituer cette unité, à concilier l'efficacité et l'intériorité, l'Islam est la seule Doctrine révélée qui se trouve suivie par une grande partie de l'humanité et qui pose comme principe fondamental l'Unité de la connaissance. Ce principe fondamental d'Unité, de « tawhid », ne peut s'accomoder de plusieurs cultures, les unes étant laïques et scientifiques, les autres étant des catéchismes, les unes réservées aux adultes, les autres aux enfants, aux vieillards, aux femmes...

L'intégration dans le système d'enseignement se trouve donc au cœur de la réflexion sur les données de la foi. Les centres, instituts, universités d'enseignement islamique, doivent être constamment ouverts à tous, accessibles sans dinstinction d'âge, de catégorie sociale, de profession. Tous doivent pouvoir, lorsqu'ils le désirent et pour aussi longtemps qu'ils le souhaitent, ressourcer leur connaissance dans leur foi, leur ilm (savoir), leur ʿaql dans une maʿrifat (connaissance) qui les englobe.

Ceci est essentiel pour l'Islam. Ainsi seront maintenues l'unité et l'intégrité de l'éducation, comme l'unité et l'intégrité de la société, comme l'unité et l'intégrité de l'homme, comme l'Unité de Dieu.

L'identité culturelle

Pour faire face aux problèmes qui leur sont posés, les Musulmans doivent donc prendre conscience de leur identité culturelle. Il ne s'agit pas d'une question d'un autre âge, d'ethnologue, d'habitudes ou de folklore. Il ne s'agit pas, par exemple, d'être moderne ou non, de porter le voile ou non, mais de la faculté de l'universalité de l'Islam. L'Islam doit se replier sur son identité culturelle pour ne pas être « comme les autres », pour ne pas substituer à la véritable universalité une « fausse universalité » qui n'est que conquête de la technicité et de l'argent, conformité passive, banalité d'une certaine presse, radio, télévision, films, de « multinationales » qui répandent la même « vérité » un peu partout dans le monde. A cela l'identité culturelle islamique doit savoir dire non. Le retour aux valeurs et à l'identité de sa propre histoire, de ses propres ancêtres, l'affirmation de ses aspirations particulières, spécifiques permettent d'accéder à l'universalité — non à la fausse universalité de techniques qui rendent stupides — mais ne suffisent cependant

pas. La spécificité doit permettre de se situer, donner des forces.
Il ne doit pas y avoir d'un côté une civilisatin de rêveurs et de l'autre une civilisation d'hommes d'action. En fait, les deux doivent être liées et la spécificité doit permettre d'être, afin d'avoir aussi.

Elément actif, agissant et militant

Pour les Musulmans la religion n'est donc pas une consolation, un opium, elle est un élément actif, agissant, militant. Elle n'est pas exclusive de la radio, de la télévision, des techniques, des sciences... L'Islam, dans un monde qui tatonne, qui cherche obscurément à reconstituer l'intégrité de la personne et l'intégrité de la culture, apporte un modèle original éprouvé par le temps, partagé par un milliard de croyants, et qui peut parfaitement faire face aux problèmes politiques, économiques, sociaux, scientifiques, et autres, de notre époque.

En réalité l'Islam est infiniment plus englobant que ne le soutiennent la plupart des Musulmans. L'Islam présentant le Principe d'Unité, de Tawhid, est capable d'intégrer non seulement les catégories sociales, les différents âges, mais la culture et la science dans une seule réalité.

L'Islam est bien autre chose qu'un passeport ou le fait d'habiter tel ou tel pays, ce qui serait une forme de fatalisme.

De même que la plus grande défaite de l'Islam serait d'abandonner l'efficacité technique, scientifique, la liberté politique, le développement économique pour se consacrer uniquement aux âmes. L'Islam n'est pas fait seulement pour les âmes mais pour la totalité de l'homme.

Réponse à l'avenir

La réponse à l'avenir n'est ni dans le capitalisme, ni dans le communisme, ni dans le socialisme, ni dans le libéralisme. Elle n'est pas en dehors de notre propre culture, de notre propre civilisation, mais dans un Islam progressiste, social, ouvert, conforme à la Révélation.

L'unification par l'argent ou par la puissance n'est pas une véritable unification.

Dieu peut donner la richesse ou la puissance comme il peut les retirer. Il s'agit de mystères insondables. L'essentiel pour la Communauté musulmane est d'avoir reçu la Révélation, le Coran.

Loin d'être une doctrine d'un autre âge, l'Islam est une construction, un ensemble non pas moderne — qui est la chose la plus fuyante du monde — mais immuable, intemporel dont chaque génération doit prendre conscience puis actualiser.

Tant que la Communauté musulmane restera une communauté de mu'minin, (de croyants), restera fidèle à elle-même..., elle conservera la conception d'une religion qui n'est pas uniquement consacrée à la délectation personnelle mais englobe l'ici-bas, insiste sur les institutions, la vie économique, la défense de l'indépendance politique, et donc la conception véritable, pleine et entière de l'Islam.

Cette conception a non seulement l'histoire devant elle, mais elle a l'éternité pour elle. Elle ouvre, dans nos consciences individuelles et dans la société, la voie de l'Eternité.

— Cet article est tiré de : « *Le Message de l'Islam* » : revue mensuelle iranienne, pp. 13-17, n° 10, mai/juin 1981, Téhéran.

REFLEXION
SUR L'EDUCATION SENEGALAISE : DEFINITION DE LA BONNE EDUCATION

Cheikh Toure *

Qui suis-je ? D'où suis-je venu ? Pourquoi suis-je venu ? Quelle est la finalité de mon existence ?

Voilà des questions qu'aucun homme ne peut éviter de se poser. Et des réponses qu'il y apporte dépendent sa conduite, son comportement, son bonheur ou son malheur et son devenir.

La bonne éducation est donc celle qui aide à trouver des réponses correctes à ces questions fondamentales et a se conduire dans la vie en conséquence. Ainsi toute éducation qui n'aborde pas ou aborde mal l'éternel problème de l'existence du Créateur et de la finalité de sa création, en particulier les rapports entre l'Absolu et l'homme son représentant sur terre, une telle éducation ne manquera pas de mener fatalement, tôt ou tard, à l'impasse.

Les réponses adéqautes à ces interrogations ne se trouvent ni dans les laboratoires, ni dans les théories des philosophes. Ni Aristote, ni Platon, moins encore les rationnalistes encyclopédistes ou Desartes, les sociologues Durkheim ou Freud, les naturalistes Darwin et autres, ni les matérialistes dialectiques Marx ou Sartre, aucun de ces penseurs ne donnent une thèse aussi solide, aussi

* Savant et personnalité religieuse islamique sénégalaise et africaine, directeur de la revue trimestrielle « *Etudes Islamique* » qui paraît à Dakar.

rationnelle, aussi digne de l'homme que celle apportée par les Prophètes d'Allah. Certains de ces penseurs ont eu l'honnêteté d'avouer publiquement l'incapacité de la raison humaine d'arriver seule à appréhender l'INFINI.

C'est le cas de Voltaire avec sa fameuse « je cultive mon jardin ». D'autres par contre, se heurtant à cette réalité, ont proclamé orgueilleusement des absurdités telles que : « il faut tuer DIEU pour exister » de NIETZSCHE. C'est ainsi qu'ils ont poussé l'homme dans l'abîme où il se trouve maintenant.

La solution n'est ni dans ces positions d'indifférence ou de rebellion ni dans l'animalisme de Umru ul Kays qui disait « Jouis de la vie car tu vas mourir. Jouis des belles femmes et du bon vins », elle n'est pas non plus dans le pessimisme de Aboul 'aLā' qui voulait que fut transcrit sur sa tombe ce vers de sa composition « Ceci (son existence) est le délit de mon père contre moi. Moi je n'ai commis de délit contre personne ». La solution n'est pas non plus dans l'ascétisme exagéré assez commode en réalité et qui mène très souvent à la prétention de divinisation impossible de Hallaj « Je le suis » c'est-à-dire « Je suis Dieu ».

L'unique voie de salut nous est offerte par le Créateur dans sa sollicitude infinie pour l'homme, son Elu.

« Voilà le livre (le vrai). Point de doute dedans. Il est guide (infaillible) pour les pieux qui croient à l'invisible et prennent tout soin de la prière et dépensent de ce que nous leur avons donné (gratuitement) dans le chemin d'Allah et qui croient à ce qu'on a fait descendre sur Toi (MOUHAMMED) et à ce qu'on a fait descendre vers (les Prophètes) avant toi, et qui sont convaincus de la vie dernière. Ceux-là sont dans le droit chemin et ceux-là, ce sont les gagnants ». (1, 2, 3 et 4 de la Sourate 2).

Les différentes formes de l'éducation sénégalaise :

Après cette introduction, jetons un regard sur les différentes formes de l'éducation dans notre pays.

Trois formes d'éducation se juxtaposent jusqu'à nos jours au Sénégal :

1) L'éducation Africaine influencée par la culture islamique.

2) L'éducation Islamique pure.

3) L'éducation officielle qu'on ne peut pas qualifier de française parce qu'elle reste encore presque entièrement telle que le colonisateur français l'avait conçue, dans le but de réaliser trois objectifs.

- Former des auxiliaires dociles et dévoués à la colonisation.
- Radicaliser la liquidation de la culture autochtone, en assurant

la permanence du triomphe de la culture coloniale.

• Enfin et surtout enrayer à jamais la culture islamique de nature révolutionnaire, donc anti-colonialiste et anti-impérialiste.

L'éducation officielle qui, du fait de ses origines, de sa philosophie, de ses valeurs et de ses moyens : langue, programme, manuel ect... et surtout des objectifs visés par ses fondateurs, est naturellement étrangère, anti-nationale et farouchement anti-islamique. Il n'est donc point besoin de chercher plus loin pour trouver les causes réelles du découragement des enseignants, du dégoût des élèves ou de la défaillance des parents.

Hérité du colonisateur, puis imposé tel quel est par les dirigeants, ce système d'éducation est non seulement responsable de sa propre faillite, mais est aussi à l'origine de la plupart des maux dont souffre aujourd'hui, à tous les niveaux, notre société sénégalaise :

Des contradictions flagrantes

a) Tous les spécialistes de la pédagogie sont d'accord là-dessus :

Il est insensé d'essayer d'éduquer positivement les fils d'un peuple dans une langue qui leur est étrangère. Nos Oulémas l'avaient bien compris, qui enseignaient les sciences islamiques, les mathématiques, l'astronomie, la philosophie etc... dans la langue nationale. Cette éducation dans la langue nationale a encore cours, de nos jours, dans plusieurs centres d'enseignements islamiques tels que FASS TOURE et TOUBA.

Pourquoi donc, vingt années d'indépendance n'ont pas été suffisantes pour que soit officialisé l'usage de l'une de nos langues bien que leur richesse et leur beauté, — que nous sommes en train de perdre — ont été largement prouvées par nos ancêtres qui nous ont laissé des œuvres remarquables, écrites en ces langues ? Les colonisateurs, à leur début, utilisaient eux-aussi ces langues, pour rédiger non seulement leurs actes et correspondances administratives et diplomatiques, mais aussi leurs journaux officiels.

b) Si la laïcité peut se justifier dans les pays européens où DIEU a été relégué au dernier plan après avoir été matérialisé, quelles seraient ses justifications dans des sociétés où l'ISLAM, religion de la grande majorité ne reconnait ni César ni Clergé, ni pouvoir divin, ni théocratie ?

Notre état prétend se tenir a la distance entre la religion des 95 % et de la minorité.

Mais alors pourquoi l'état impose-t-il comme jour de repos hebdomadaire le dimanche, jour de la messe des catholiques au lieu de vendredi ? Pourquoi le calendrier officiel des fêtes comporte-t-il plus de fêtes chrétiennes que de fêtes musulmanes ? Pourquoi la Croix Rouge au lieu de Croissant Rouge ?

En tout état de cause, la laïcité de l'Etat n'est nullement incompatible avec l'organisation dans le cadre du système éducatif officiel, d'un enseignement religieux pour nos enfants : l'organisation d'un tel enseignement est d'autant plus nécessaire que l'Etat nous impose d'envoyer nos enfants à l'école dès l'âge de 6 ans.

c) Notre pays est sous-développé, ses grandes masses sont très pauvres, mais on a adopté un système d'enseignement où l'enfant scolarisé, s'il n'est pas renvoyé plutôt dans la rue, devra atteindre l'âge de 25 ans ou plus avant de pouvoir commencer à produire.

« Si vous pouvez pénétrer dans les flancs du ciel et de la terre pour en connaître les secrets, alors pénétrez et vous n'y parviendrez qu'en vertu d'une autorité » (Qurane LV, 3L). L'Islam incite à la connaissance et à la science.

Dans un pays comme le nôtre priorité doit être donnée à la science et à la technologie dont nous avons un grand besoin d'or, or, on apprend à nos enfants du grec, du latin, de la littérature et les droits étrangers à nos goûts, à nos mœurs, à nos coutumes, à nos valeurs et traditions.

d) Par les immenses efforts qu'il fournit afin de créer et d'entretenir tant bien que mal à travers tout le pays de nombreuses écoles islamiques privées dont les effectifs sont souvent plus importants que ceux des écoles publique, lepeuple sénégalais a démontré son attachement à la culture et aux valeurs islamiques qui font aidé à résister à la politique d'assimilation. Et pourtant l'école sénégalaise ignore, pour ne pas dire plus, nos valeurs, elle véhicule des valeurs issues de l'occident chrétien « elle encourage jusque dans les écoles, les bals et danse entre fille et garçons, les marjorettes » etc...

Que fait-on par ailleurs pour combattre la prolifération des débits de boissons alcoolisées, des boites de nuit, des Dancings, des Cabarets, des lieux de prostitution (officielle), bref tout ce que l'ISLAM réprouve et considère comme danger menaçant la société, parce que corrupteurs de ses mœurs.

e) Tout le monde le sait... C'est avant tout pour des motivations religieuses que le peuple sénégalais s'accroche à l'enseignement de l'arabe, précisément pour faciliter une bonne formation islamique à ces enfants.

Mais au lieu de satisfaire ce besoin légitime et impératif de la nation en assurant la formation des cadres indispensables dans ce domaine, on oriente tous les étudiants arabisants vers d'autres disciplines sous des prétextes falacieux tels que la laïcité (encore elle) ou l'inutilité de tels cadres comme si l'éducation islamique était moins utile pour la nation que la danse, la musique et la chanson.

Ainsi, l'Institut Islamique qui a été construit avec l'apport des pays musulmans dans ce but, a été lui aussi détourné de sa mission

originelle et réduit à donner de nuit des cours d'initiation à la civilisation islamique. L'école « coranique » qui, même à l'époque coloniale continuait à s'occuper de la formation de l'encadrement religieux, est aujourd'hui non pas aidée à se réorganiser et à se moderniser mais dénoncée au nom de l'encouragement au tourisme. Peut-on faire mieux pour convaincre que dans le Sénégal d'aujourd'hui, l'argent est plus important aux yeux de certains que l'homme et ses valeurs et que l'étranger reste bel et bien le Maître ?

Malgré tout le tapage que l'on fait depuis des dizaines d'années autour de l'enseignement de l'arabe et autour de l'amitié et de la solidarité avec les pays arabes, malgré notre appartenance à la ligue Mondiale Islamique qui a ouvert un bureau dans notre capitale, ainsi qu'au Congrès des Etats Islamiques, il n'existe nulle part dans notre pays un seul édifice public digne de ce nom pour dispenser un enseignement arabe sérieux et rationnel, ni un seul centre culturel islamique.

Toutes les tentatives dans ce domaine ont échoué (............)

En revanche, pour la culture occidentale chrétienne, notre pays est truffé de Centres Culturels, de Clubs, d'Associations Internationales plus ou moins louches, souvent maçonniques ou sionistes, toujours concurrents à l'ISLAM ou simplement anti-Islamiques.

L'EGLISE, déjà très largement favorisée par la langue, la culture et les valeurs que l'école Sénégalaise véhicule peut former les cadres dont elle a besoin d'autant plus facilement qu'elle perçoit 80 % (sinon plus) des subventions d'Etat à l'enseignement privé.

Cheikh TOURE

Cet article est repris
à la revue trimestrielle
sénégalaise « Etudes Islamiques »,
N° 4, Janvier 1980.
Dakar

LES INFORTUNES DE BEYROUTH DANS L'HISTOIRE

Cheikh Tāha Al Wali

Quand les Arabes musulmans ravirent la Syrie aux Byzantins et que la ville de Damas fut acquise à l'Islam en 635 ap. J.C. par les troupes de Abī 'Ubaida 'Amir Ibn 'Abdullāh Ibn Al Djarrāh et celles de Khālid Ibn Al Walīd, d'autres contingents, menés par Yazīd Ibn Abī Sufiān et son frère Mu'āwia, poursuivirent la conquête jusqu'aux côtes syriennes. Ces forces ne recontrèrent de résistance notable ni de la part des habitants locaux, ni de celle des occupants byzantins présents depuis bien longtemps. Ces faits nous ont été relatés par des historiens éminents tels que Ahmad Ibn Yahia Ibn Jābir Al Baghdadī, surnommé Al Balādirī qui, dans son ouvrage « Futūh Al Buldān », (Les conquêtes des pays), précise : « après la prise de Damas, Yazīd et son frère Mu'awiya s'en allèrent à la conquête des villes côtières de Saïda (ou Sidou), 'Arqa Jbail (ou Byblos) et Beyrouth qu'ils contrôlèrent sans difficulté. Mais cela n'empêcha pas l'exode des populations ». [1]

C'est ainsi que la ville de Beyrouth fut gagnée par les musulmans arabes sans guerre ni siège, qu'elle ne subit pas de destruction et que sa population n'eut pas à souffrir.

Cependant, les Byzantins ne furent pas découragés et tentèrent, vers la fin du califat de 'Umar Ibn Al Khattāb et le début de celui de 'Uthmān Ibn 'Affān, un débarquement sur les côtes syriennes dont ils occupèrent une partie. Mais Mu'awiya, alors vali de Syrie, bien qu'assiégé, refoula ses ennemis. Puis, à la suite des directives données par les Califes, il entreprit la fortification de ces villes et renforça leur équipement militaire.

Selon Al Baladirī : « A chaque conquête musulmane, les villes côtières ou exposées étaient défendues par le nombre de combattants nécessaire et, dans le cas d'une attaque, des renforts en hommes et en matériel y étaient acheminés. Quand 'Uthman Ibn 'Affan (que Dieu le bénisse) devint Calife, il ordonna à Mu'awiya de mener à bien la fortification des côtes, de les fournir en armements et de prendre toutes les dispositions pour couper court à de nouveaux débarquements. Ce qu'il fit ». [2]

Al Baladiri poursuit : « Abū Hafs, tenant ces propos de Sa'īd Ībn'Abd Al'Azīz, m'a raconté : « j'ai entendu dire qu'après la mort de son frère Yazīd, Mu'awiya, dans une lettre à 'Umar Ibn Al Khattāb, exposait la situation des côtes, évoquant la restauration des remparts, l'organisation des troupes, l'installation de gardes sur les tours (d'observation) etc... »

Beyrouth et la piraterie byzantine à l'époque abbasside :

Le mouvement libérateur que les Arabes, sous l'étendard de l'Islam, ont mené depuis la péninsule arabique et qui a abuti à l'évacuation des occupants byzantins de notre pays, n'a pas découragé ces derniers de tenter d'y rétablir leur influence. En effet, ils poursuivirent leurs incursions contre les côtes syriennes, sous forme de razzias visant les villes côtières, en pratiquant le vandalisme et en massacrant arbitrairement la population musulmane. Par ailleurs, ils incitèrent les non-musulmans, par un soutien financier et militaire, à s'insurger contre les autorités arabes (locales). Ce qui poussa les Mardaites [3] — chrétiens eux aussi — à adhérer à cette politique.

Le cheikh Tannūs Al Chidyāq, décédé en 1861 ap. J.C., raconte : « Lors du passage du Calife abbasside Al Mahdī Ibn Al Mansour à Damas, les princes Al Mundir et son frère Arslān lui rendirent visite au village de Mazza. Ils furent reçus avec les honneurs dignes des exploits accomplis, en l'occurence la protection des voies jadis menacées par les ennemis. Le Calife ordonna la confirmation de leur pouvoir sur leur vilayet qu'il étendit, et leur prolongea le séjour, puis ils l'accompagnèrent à Jérusalem et rentrèrent satisfaits.

Par la suite, ils eurent à affronter les Mardaites à maintes reprises. Parmi les batailles qui les opposèrent, les plus célèbres furent celle de Nahr Al Mawt (le fleuve de la mort) [4] dénommé ainsi à cause du nombre élevé de victimes qui y tombèrent, ainsi que celle de Antiliās où les deux parties perdirent plus de 300 combattants. Ces deux batailles consacrèrent les victoires des deux Emirs et eurent pour conséquence le repli des Mardaites du littoral de Beyrouth. De la sorte, la sécurité s'y établit et les deux princes acquirent une grande renommée ». [5]

C'est ainsi que, à l'époque du Calife abbasside Al Mahdī (avant dernier quart du 9e siècle ap. J.C.) Beyrouth se trouva exposée à un

raid mardaite qui se solda par un échec pour les agresseurs et par leur retrait de la ville, et cela grâce à la résistance des Emirs Arslān, alors valis.

Cependant, les Byzantins poursuivirent leurs actes de piraterie contre Beyrouth, enlevant ceux des musulmans qu'ils parvenaient à isoler aux alentours de la ville. L'Emir Chakīb Arslān relate l'enlèvement par les Byzantins et l'Emir 'Umar, l'un des fils de l'Emir Arslān dont dépendait le « fief » des Arsalān.

'Umar habitait la localité de 'Ain Al Tīna, à proximité de la tombe de l'Imam Al Awzā'ī sur la côte. Il fut incarcéré pendant 4 ans et libéré en échange de prisonniers byzantins (à Lāmis au nord de la Cilicie). Cela eut lieu, et pour la première fois en Islam [6], en 231 H. (845 ap. J.C.) [7] sous le règne du Calife abbasside Al Wāthiq.

Par ailleurs, Ibn Al Athīr signale cet échange dans la suite d'évènements survenus cette même année. Cependant, il ne cite pas les noms des prisonniers beyrouthins dont faisait partie l'Emir 'Umar Arslān; mais précise : « ... les Byzantins vinrent à la rencontre des musulmans sur la rivière de Lāmis, à une journée de marche de la ville de Tarsūs, où l'échange eut lieu.

Pour cela, le calife Al Wāthiq ordonna d'acheter les prisonniers byzantins se trouvant à Baghdad et ailleurs. Puis, confiant à Ahmad Ibn Sa'id Ibn Silm Ibn Qutaiba Al Bāhilī les villes frontalières de l'empire, il lui ordonna ainsi qu'à Khāqān Al-Khādim de tester les prisonniers dans le but d'en identifier les faux musulmans. Celui qui dit : « Le Coran a été créé et Dieu est invisible dans l'au-delà », est appelé et est récompensé d'un dinar. Quant au défaillant, il est abandonné aux Byzantins.

La rencontre entre les belligérents pour échanger les prisonniers eut lieu de part et d'autre de la rivière en 231 H., à l'anniversaire de la mort de l'Imam Al Husain ('Āchūrā). Les prisonniers étaient libérés un par un, simultanément des deux côtés et se croisaient au milieu de la rivière. A l'arrivée du prisonnier musulman, ses coreligionnaires clamaient « Allāh Akbar (Dieu est le plus Grand) ! Tandis que le prisonnier byzantin était accueilli par les siens avec des cris de joie. Les prisonniers musulmans comptaient 4460 hommes, dont 800 femmes et enfants et 100 dhimmis (gens du Livre — chrétiens et juifs — vivant en Terre d'Islam). La rivière était traversée sur un radeau. Certains disent qu'il y avait un pont... » [8]

Le raid des Mardaites en 875 ap. J.C. : la bataille de la rivière Beyrouth :

Appuyés par les Byzantins, les Mardaites n'abandonnèrent pas leurs aggressions contre Beyrouth. En effet, les uns et les autres la harcelaient chaque fois qu'ils parvenaient à en atteindre les côtes, soit à bord de leurs vaisseaux, soit en s'infiltrant par voie terrestre jusqu'aux portes de la ville.

A ce propos, l'historien Tannūs Al Chidyâq raconte qu'en 262 H./875 ap. J.C. l'Emir An Nu'mān fit construire une grande demeure à Beyrouth, il affronta durant plusieurs jours les Mardaites dans un violent combat qui se solda par la défaite de ces derniers. Certains furent tués et d'autres faits prisonniers. L'Emir alors informa de l'évènement le Calife Al Mutawakkil ainsi que Mūsa Ibn Bagha à qui il envoya les têtes et les prisonniers. Celui-ci, satisfait de cette victoire, honora les messagers. Quand à Al Mutawakkil, il envoya à An Nu'mān une lettre d'éloges pour sa vaillance, l'incitant à poursuivre le combat et le confirmant dans son vilayet, en signe de reconnaissance pour son triomphe. D'autre part, il lui offrit un sabre, une ceinture (en tissu) et une chéchia noire *. Il reçut aussi des messages de félicitation de la part de son frère Al Muaffaq et d'autres personnes. Les messagers furent reçus avec générosité. Par la suite, An-Nu'mañ ceignit sa ceinture et son sabre, coiffa sa chéchia et fit des vœux au Prince des Croyants. A cette occasion, les villes furent décorées, les poètes récitèrent des panégyriques et la gloire de l'Emir s'en trouva augmentée et son pouvoir confirmé » [10]

Nouveau raid sur Beyrouth :

Toujours sous le règne de l'Emir Al Nu'mān, Beyrouth fut l'objet d'une double agression perfide : l'une menée par les vaisseaux byzantins et l'autre par les fantassins mardaites. Tannus Al-Chidyāq relate quelques détails de ce raid : ... En l'an 915 ap. J.C. (303 H.), les vaisseaux des Francs accostèrent à Beyrouth et les marins y débarquèrent. L'Emir An-Nu'mān les affronta avec une escouade, tuant six hommes et en emprisonnant huit autres. Après quoi, un échange de prisonniers eut lieu sur le port, où An-Nu'mān récupéra ses hommes. Alors, il se dépêcha d'en informer l'Emir Tikkīn, gouverneur de Damas et de ses dépendances, qui l'invita chez lui pour l'honnorer ».

Cet événement est confirmé par l'Emir Chakīb Arsalān qui révèle que l'Emir An-Nu'mān avait enregistré le déroulement de ce raid dans ses mémoires. Arsalān ajoute aussi que l'Emir Tikkīn recommanda An Nu'mān auprès des autorités de Bagdad qui le félicitèrent et étendirent son pouvoir jusqu'à la ville de Safad [11].

Les Byzantins assiègent et ruinent Beyrouth :

L'évacuation byzantine de la région syrienne, après la percée des troupes arabes musulmanes vers le milieu du 7e siècle ap. J.C., n'avait pas dissuadé les Byzantins de tenter la reconquête. Leurs échecs successifs leur suggérèrent d'encourager leurs « agents locaux » hostiles à la présence musulmane à fomenter des troubles.

Dans le courant du 4e siècle de l'Hégire (10e ap. J.C.) ils profitèrent des conflits internes ethniques et doctrinaux que connaissait la société musulmane de l'époque pour organiser des attaques

régulières aux limites de l'Etat musulman à travers les frontières irakiennes et syriennes. Ces attaques culminèrent en 969 ap. J.C., lorsque l'Empereur de Constantinople, Nicéphore II Phocas, parvint à occuper et à intégrer dans son Empire, et cela pour une certaine période, les villes d'Antioche et d'Alep.

En l'an 974 ap. J.C., l'Empereur byzantin Jean 1er Izimiskès reprit les offensives contre la Syrie et prit possession de la ville de Homs, et de là se dirigea vers la vallée de la Biqā' d'où il atteignit la Palestine. Ses armées investirent alors le littoral syrien et resserrèrent l'étau sur la ville de Beyrouth. Quand il finit par l'occuper, l'Empereur la livra à ses soldats qui la ravagèrent, la pillèrent, et dépouillèrent et décimèrent sa population en guise de châtiment pour le courage et la résistance qu'elle avait manifesté.

L'Empereur quitta Beyrouth, laissant derrière lui une ville en ruines et une population décimée dont une bonne partie prit l'exode.

Les Croisés à l'attaque de Beyrouth :

Un siècle plus tard, après l'arrêt des offensives byzantines, la relève fut prise par les royaumes chrétiens d'Europe qui appelèrent à l'invasion de l'Orient musulman « pour libérer le Saint-Sépulcre de la domination musulmane ».

Vers la fin du 11e S. ap. J.C., l'empereur byzantin Alexis 1er Commène implora à maintes reprises le Vatican de réagir contre les Seldjukides dont l'expansion constituait une menace pour le territoire byzantin et Constantinople même.

Ces appels trouvèrent un écho chez le pape Urbain II qui prononça le 26 Novembre 1095 à Clermont-Ferrand un discours violent incitant les peuples européens à libérer le Saint-Sépulcre de la domination des « infidèles » musulmans. Au printemps 1097 ap. J.C., ils étaient 150 mille guerriers francs et normands attroupés à Constantinople et prêts à mener la guerre sainte en territoire syrien.

Les Croisés entamèrent leur guerre, en occupant les villes côtières les unes après les autres jusqu'aux abords de Beyrouth qu'ils assiégèrent le 19 Avril 1099. Cependant, ce siège fut de courte durée car les Croisés préféraient atteindre d'abord Jérusalem. Ils se contentèrent alors de présents offerts par les Beyrouthins en échange de la garantie de non-agression de leur ville. C'est ainsi qu'aucune belligérance n'eut lieu. De plus, Al'Ubaydī, gouverneur de Beyrouth, approvisionna les Croisés en vivres pour que ces derniers ne s'attaquent pas aux récoltes.

Reprise des raids contre Beyrouth à l'époque du vali Sa'd Al Dawla Al Tawāchī :

L'année 1100 ap. J.C. fut le théâtre d'une violente bataille dans la région de Beyrouth entre les troupes croisées se dirigeants vers la

Palestine et les troupes musulmans menées par le vali de Beyrouth Sa'd Al Dawla Al Tawāchī. Dans sa relation de cet évènement, Ibn Al' Athiī rapporte l'anecdote de la mort dudit vali, prophétisée par les astrologues : « Al Afdal, le prince des armées d'Egypte avait envoyé à son père en Syrie un mameluk surnommé Sa'd Al Dawla et connu sous le nom de Al Tawāchī, pour combattre les Francs dont le commandant s'appelait Baldwin (que Dieu le maudisse). L'affrontement eut lieu entre les villes de Ramla et de Jaffa où ce dernier prix le dessus. Quant à Al Tawāchī, les astrologues lui avaient prédit que sa mort résulterait d'une chute de cheval. Depuis, quand il montait à cheval, il prenait beaucoup de précaution et, pour conjurer le sort, et éviter les chutes, il avait fait arracher les dalles des rues de Beyrouth. Mais tout cela ne l'empêcha pas de trouver finalement la mort à la suite d'une chute de cheval durant le combat ». [12]

Les Croisés aux portes de Beyrouth, à Nahr Al Kalb (la rivière du chien) :

La mort de Godefroy de Bouillon, roi de Jérusalem, survint au cours de la même année (1100 ap. J.C.). Les princes francs élirent alors son frère Baldwin pour lui succéder. Ce dernier arriva en Palestine venant de la ville syrienne Rahā, en passant par le littoral et accompagné de 1000 guerriers environ. A l'annonce de l'arrivée de Baldwin, l'Emir 'Adad Al Dawla Chams Al Ma'ā Abu Al Mahāsin qui avait succédé à son père sur le vilayet de Beyrouth alerta les Emirs de Saida, Tyr et Saint Jean-d'Acre pour lui tendre une embuscade à Nahr el Kalb et l'empêcher de traverser le fleuve. La victoire du roi chrétien obligea 'Adad Al Dawla à rentrer à Beyrouth avec ses troupes. Le roi de Damas, Chams Al Mulūk Daqqāq, apprenant la nouvelle de la défaite, lui ordonna d'inclure Saida dans le champ de son pouvoir, et de la faire fortifier ainsi que Beyrouth pour faire face à d'éventuelles attaques.

Cependant, les princes d'Europe survivants des croisades d'Anatolie de 1101 ap. J.C., le Comte d'Aquitaine, Stéphane de Blois, Stéphane Comte de Burgondie et l'empereur Conrad III, accompagnés de quelques barons des Pays-Bas ainsi que de l'évêque d'Avray, Icare, et de l'évêque Massis, se dirigeant vers St Jean d'Acre, vinrent à la rencontre de Baldwin qui marchait sur la ville palestinienne de Ramla. Ils longèrent les côtes de Beyrouth sans y débarquer, car ils désiraient fêter l'Ascension à Jérusalem au printemps de l'an 1102 ap. J.C. Leur souhait ne se réalisa pas et nombre d'entre eux périrent à la bataille de Ramla où les armées musulmanes venues d'Egypte imposèrent une grande défaite aux Croisés [13]

L'échec des Croisés devant les portes de Beyrouth en 1102 ap. J.C.

Dès que Baldwin fut installé sur le trône de Jérusalem, il rassembla ses troupes et partit à la conquête des villes côtières non

soumises encore. Il réalisa sa volonté et marqua de la croix les portes et les murailles de ces villes, à l'exception de Beyrouth qui lui opposa une résistance farouche en 1102 ap. J.C. [14]

L'été 1109 ap. J.C. (502 H.), Baldwin appuya Bertrand de Toulouse dans sa campagne pour la prise de Tripoli de Syrie. A son tour, le Comte de Toulouse soutint Baldwin, lorsque ce dernier assiégea Beyrouth en 1110 ap. J.C. (503 H.). Par ailleurs, Pise, Gênes et le Saint-Empire Romain-Germanique dépêchèrent 40 vaisseaux sur place, ce qui eut pour résultat de resserrer l'étau sur cette ville. Le siège dura 11 semaines (de février à mai 1110 ap. J.C.) malgré les 18 vaiseaux envoyés par le gouverneur d'Egypte pour y mettre fin. Cet échec découragea la population de Beyrouth à tel point que son gouverneur prit la fuite pour Chypre où il se rendit aux Byzantins [15]. Cet acte sema le désordre dans les rangs des défenseurs de la ville qui négocièrent leur capitulation. Mais Baldwin viola l'accord et livra la ville aux Italiens qui, par haine contre l'Islam, la mirent à feu et à sang, sans épargner vieillards, femmes ni enfants. Au lendemain de l'occupation, Baldwin emmena les captifs en dehors de la ville et les décapita.

A l'annonce des nouvelles de ces atrocités barbares parvenues de Beyrouth, les habitants de Saïda, craignant de subir le même sort, dépêchèrent leur Cadi (juge) et certains vieux notables auprès des Francs, pour leur proposer leur soumission et demander leur protection. [16]

Dans son ouvrage « Akhbār Al A'iān FiDjabal Lubnān » (Chronique des notables du Mont-Liban), Tannūs Al Chidyāq dépeint ainsi l'entrée des Croisés dans Beyrouth : « ... En 1100 ap. J.C., Baldwin, un prince des Francs rassembla ses armées et fit le siège, par mer et par terre, de Beyrouth, alors gouvernée par Chudja Ad-Dawla et ses cousins. Les difficultés que rencontra l'agresseur l'incitèrent à appeler les Francs du littoral ainsi que les Emirs Mardaites à son secours. Francs du Nord (de Beyrouth) et Mardaites s'attroupèrent à Jbail (Byblos) et se dirigèrent vers le sud par la steppe, tandis que les Francs du Sud (de Beyrouth) se massaient à Marj Al Ghāziya puis s'avançaient en longeant la côte. Ensuite, ils se rencontrèrent à Gharb (région d'Aley) qu'ils pillèrent et ruinèrent. Quand à la population, elle fut massacrée et seuls survécurent ceux qui réussirent à s'enfuir ou à se cacher. Ce carnage décima un certain nombre d'Emirs de la région. (...)

Puis les Francs dévalèrent les hauteurs jusqu'à Beyrouth qu'ils encerclèrent fortement et occupèrent le 23 Avril (le 13 Mai plus exactement). Le siège dura 2 mois pendant lesquels 5 Emirs trouvèrent la mort...
(...) et le lendemain, Baldwin emmena les prisonniers en dehors de la ville et les décapita. Puis, il poursuivit son chemin vers Saïda gouvernée par l'Emir Majd Al Dawla qu'il défia. La ville céda. Un

accord de paix fut conclu. L'Emir versa 20 000 dirham à Baldwin en échange de sa liberté et de celle de sa famille et livra la ville au conquérant. Majd Al Dawla se rendit à Gharb qu'il trouva en ruine et où l'on n'entendait que pleurs et gémissements. Il entreprit la reconstruction de la région, encourageant la population à y revenir. Enfin, il y assit son pouvoir... » [17]

Salih, Ibn Yahya rapporte ce qui suit au sujet de cette même bataille dans son ouvrage « Tarikh Bayrūt » (Histoire de Beyrouth) au chapitre intitulé « Futūh Al Faranj Li Bayrūt » (Les conquêtes franques de Beyrouth) : « Depuis la conquête musulmane, Beyrouth demeurait sous l'influence des dynasties musulmanes successives, sans qu'elle eût à souffrir. Jusqu'au jour où Baldwin, roi de Jérusalem, l'attaqua, lui imposa un long siège et finit par l'occuper le vendredi 11 Chawwal 503 H. (1110 ap. J.C.) car Dieu le voulut ainsi !... » [18]

Avant de refermer cette page noire de l'histoire des invasions croisées de Beyrouth, nous considérons utile de signaler les actes de vandalisme commis par les Croisés contre la forêt de pins de Beyrouth dont l'ombre caressait l'entrée sud de la ville depuis des millénaires. A ce propos, Dr Philippe Hitti note : « Les croisés trouvèrent dans la forêt de pins qui entoure jusqu'à présent (1959 ap. J.C.) le sud, une source inépuisable de bois pour la construction de tours d'observation d'où ils pouvaient atteindre la muraille de la ville... »

Cet article est traduit de :
« Al Makāsid », revue mensuelle publié par
l'Association de bienfaisance islamique Al
Makāsid, pp. 40-47, n° 8.
Safar 1403 H/janvier 1982. Liban.

NOTES

1. « Futūh Al Buldān » (La Conquête des Pays), Al balādīri, le Caire 1319 H. (1901 ap. J.C.) p. 133.
2. Idem p. 134.
3. Les Mardaites étaient une peuplade originaire d'Arménie en Anatolie. C'étaient des mercenaires, tantôt au service des Byzantins et tantôt à celui des Arabes. Ils furent chassés définitivement du Liban par les Abbassides. Le jésuites H. Lamens nie tout lien entre les Mardaites et les Maronites, quoiqu'ils aient fait collusion à certaines périodes contre les autorités musulmanes.
4. Cette rivière n'existe plus de nos jours. Elle se situait au Nord Est de Beyrouth près du village Sin Al Fīl. Certains historiens (tel que le jésuite H. Lamens) prétendent que le nom est antérieur à cette bataille.
5. Al Chaikh Tannūs Ibn Yūsif Al Chidyāq Al Hadathī Al Mārūnī : « Akhbār Al A'iāN Fi Jabal Lubnān » (Chroniques des notables du Mont Liban) publié par Butrus Al Bustānī, Beyrouth 1859, p. 648.
6. « Mahāsin Al Masā'ī Fi Manāqib Al Imām Al Awzāī (Approche de l'étude l'histoire), Beyrouth 1959 p. 350, que le gouverneur ainsi qu'une bonne partie de Nous doutons de la justesse de cette affirmation puisque Al Mas'ūdī, dans son ouvrage « Al Tanbīh wa Al Ichrāq » (le Caire 1357 H./1938 ap. J.C., p. 160) rapporte que le premier échange de prisonniers est celui de Abī Sulaim qui se déroula à l'époque du califat de Al Rachīd en 189 H. (804 ap. J.C.).
7. Selon Al Chidyāq : op. cit. Tome II, p. 496, cette bataille eut lieu en 185 H./845 ap. J.C.
8. Ibn Al Athīr : « Al Kāmil Fī Al Tārīkh (Histoire Générale) 1357 H. Tome V p. 275.
9. Pour plus de détails sur ce sujet, voir Dr Salāh Husain Al 'Abidi, « Al Malābis Al'Arabiya Al Islamiya Fi Al 'Asr Al 'Abbāsi » (Vêtements arabo-musulmans de l'époque abbasside) Bagdad 1980 p. 47.
10. Akhbār Al A'iān... op. cit. p. 653.
11. Voir « Mahāsin Al Masā » : op. cit., p. 22.
12. Ibn Al Athīr : op. cit., Tome VIII, p. 218.
13. Voir Al Chidyāq : op. cit., Tome II, p. 664.
14. Voir Sālih : op. cit., Tome VIII, p. 218.
15. voir Steven Ransiman : « Histoire des Croisades », traduit en arabe par le Dr Al Bāz Al 'Arīnī, Beyrouth 1968, Tome II, p. 149-150. Quant au Dr Philippe Hitti, il souligne dans son ouvrage « Lubnān Fī At Tārīkh » (Le Liban dans l'histoire) Beyrouth 1959 p. 350, que le gouverneur ainsi qu'une bonne partie de la population furent massacrés tandis que l'autre partie s'enfuit vers Chypre.
16. Ibn Al Athīr : op. cit., Tome I, p. 260.
17. Al-Chidyaq, op. cit., p. 665 et suivantes.
18. Sālih Ibn Yahia, op. cit. p. 17.

Des idées à débattre :

A PROPOS DU THEATRE DANS L'ISLAM

Roger Assaf

La question de l'activité théâtrale au sein de notre société fait surgir des interrogations troublantes, aussi bien sur le plan historique que sur la plan social. D'une part, la généralité du théâtre en tant que manifestation du génie des peuples est en contradiction avec son absence nette dans la civilisation islamique. D'autre part, la pratique du théâtre telle qu'elle est connue se trouve en discordance avec le comportement approuvé par les peuples, dont la sensibilité et le rationalisme n'ont pas encore été façonnés dans les forges et sur l'enclume de la culture occidentale.

Cette double opposition mène à la confusion des artistes de bonne foi, car l'activité artistique (et le théâtre en particulier) ne procède qu'en fonction de mœurs qui présupposent l'approbation par son audience virtuelle, de sa légitimité et de la réalité de sa place dans la conscience de la société. Cela doit sa source à des idées reçues, ne reposant pas sur un raisonnement juste, mais déformant notre connaissance des arts théâtraux et menant à la confusion ou à la rigidité excessive, lorsqu'il s'agit d'accepter ou de rejeter le travail des acteurs de théâtre, en tant que forme d'expression.

La première illusion que la pensée occidentale contemporaine a introduite et alimentée, c'est que le théâtre occidental s'est formé à partir de l'évolution naturelle et inéluctable de la vie communautaire, en partant de formes rituelles primitives pour atteindre des formes civilisées et rationalisées parallèlement à un processus conduisant la société d'un état « arriéré » vers un état de « pro-

grès ». Ainsi, en faisant remonter ses origines au théâtre grec, et par conséquent, aux sources de l'art, le théâtre occidental s'accorde le droit exclusif d'apprécier et de juger toutes les formes d'expression émanant d'autres peuples et d'autres civilisations; ce théâtre se dresse comme le modèle authentique à suivre dans le domaine des moyens d'expression collective visant l'information, la mobilisation, l'agitation ou la communication intellectuelle.

Nous n'avons pas l'intention de tenir ici de longs discours sur le théâtre occidental, pour exposer les arguments qui confirment ses liens avec l'avènement de la modernité européenne et avec la rupture arbitraire qu'elle a imposée à l'homme, dans la continuité du temps et du développement naturel des sociétés et des peuples. Nous avons déjà traité de tout cela (voir « Un regard dans le Théâtre Contemporain »); néanmoins, notre propos, en bref, est d'affirmer que le théâtre occidental reflète le projet de la cité-état innové par Athènes, puis promu par la suite par Rome et les capitales européennes.

Ce projet se concrétise chaque fois que la ville en tant qu'institution s'impose comme le seul et unique point de référence dans la vie de l'homme, à tous ses niveaux (intellectuel, politique et économique); c'est-à-dire, chaque fois que la cité défie les divinités, arrache l'homme à sa complémentarité avec le cosmos, et occupe arbitrairement et d'une façon despotique la place de mandataire de l'homme, qui revient aux ancêtres et à la nature. Dans ce genre de cité, l'homme est censé se soumettre à des conditions nouvelles dans l'organisation de sa vie, et adhérer à un environnement abstrait qu'il a « créé » et qui se prétend capable d'assurer la justice et le bonheur à travers ses institutions et ses lois. Quant au prix de cette soumission à la doctrine de la cité-état, c'est la rupture entre l'homme et les forces vitales et fondamentales de la communauté humaine (c'est-à-dire l'ensemble des valeurs et des croyances qui relient l'homme à Dieu, ainsi qu'à l'univers et à la vie sociale). C'est alors qu'un nouveau langage dans le style et l'expression devient indispensable pour s'adresser aux gens au nom de la cité, et pour justifier le pouvoir de ses institutions et leur raison d'être. C'est ainsi que des moyens artistiques s'avèrent nécessaires pour exprimer les valeurs et les règles nouvelles qu'il faudra généraliser au sein de la société.

Le théâtre grec, puis le théâtre européen ont surgi pour remplir cette tâche; cela s'est fait à travers la représentation de la tragédie de l'homme, aux prises avec les « vieilles » forces (les divinités, le destin, le féodalisme et les horreurs des sociétés non-organisées selon le rationalisme de la cité-état); ou à travers la représentation des malheurs consécutifs à l'irrespect des règles de la cité ou des normes de la citoyenneté; dans ces représentations, les « anormaux » sont, soit des objects de dérision, soit des épouvantails effrayants, et tout cela se passe dans un théâtre de fiction qui donne

aux spectateurs l'illusion de sa réalité, et dans lequel le temps et la réalité sont enfermés pour subir la domination de l'intellect.

De ce fait, la représentation devient une manifestation du rejet et de la négation que le bloc citadin implique à l'égard de tous les éléments qui échappent aux règles de la cité et qui attestent l'affiliation de l'homme à d'autres sources. Cet état de fait ne se limite pas aux thèmes, aux idées et aux contenus qui ont marqué les pièces fréquemment jouées dans le théâtre courant, mais il est aussi présent et même fondamentalement, dans l'essence de l'art de la comédie, tel qu'il a été propagé par le théâtre occidental. L'acteur, dans ce type de théâtre, abandonne son entité réelle (sa personnalité réelle) pour s'en composer une autre (celle du rôle ou du personnage fictif), en supposant que cette nouvelle entité fera apparaître une vérité qui n'était pas manifeste auparavant. En d'autres termes, la disparition de l'entité réelle créée par Dieu devient ainsi l'une des conditions d'émergence de la vérité procédant de la nouvelle entité « créée » par l'homme. La légitimité d'un tel processus ne nécessité alors ni décret, ni législation, mais seulement l'approbation par le public des paroles de l'acteur et de la réalité fictive qu'il incarne. Cela suffit donc essentiellement à confirmer la légitimité du discours provenant de cet acte d'illusion. Et comme il est ainsi concevable qu'une entité fictive, créée par l'homme et fabriquée par son intellect, présente des faits convaincants et significatifs, propres à contribuer à l'orientation des gens vers la perception de la réalité, de telle sorte qu'ils modifient leur comportement, il devient par conséquent concevable que les institutions citadines édifiées par l'homme soient capables de faire la part du vrai et du faux, du bien et du mal, et cela est valable tant pour la légilastion, que pour la gestion des affaires de la société.

A partir de cette analyse, la question de l'absence du théâtre dans la civilisation islamique ne se pose plus. De même, il n'est plus étonnant de constater les réserves spontanées et profondes que le jeu des acteurs (tel qu'il est connu) suscite chez les fidèles et parmi les couches populaires conservatrices, dont les désirs n'ont pas encore été asservis par le tapage de la consommation. Mais cela nous amène à concentrer nos efforts et nos facultés d'appréhension sur l'exploration des éléments qui composent les langages de nos peuples et les moyens par lesquels ils expriment leur entité collective et leurs révoltes contre les formes, les institutions et les états avec lesquels ils n'entretiennent pas d'échanges, puisqu'ils sont illégitimes, parce que contraires à la Loi de Dieu.

A mon avis, cet effort est aujourd'hui très nécessaire, étant donné les considérations suivantes :

1° Le propre du colonialisme est d'absorber les sociétés après avoir détruit leur unité en usurpant les esprits, en conquérant les territoires et en éliminant tout ce grâce à quoi elles pourraient se

consolider; autrement dit, l'aliénation culturelle constitue un aspect essentiel de la soumission des peuples.

2° Quand l'esprit européen dévaste à la fois la conscience et les territoires des autres peuples, ces derniers retrouvent les bases de leur force et de leur résistance, dans les éléments constitutifs de leur entité collective, tels que la langue, l'héritage culturel, les rapports spirituels et tous les facteurs qui les relient à leur terre et à leurs ancêtres.

3° L'agression continuelle que le colonialisme exerce contre les peuples prend des formes invisibles et multiples qui visent à effacer leur identité intrinsèque et à appauvrir leur vie culturelle en affirmant la supériorité du développement technologique et de la condition « avancée » de l'état citadin matérialiste.

4° L'immobilisme que les peuples adoptent souvent face à cette agression est l'expression de la résistance innée à tout intrus; cette résistance enferme l'imagination collective dans une chrysalide stérile et laisse insatisfaite l'aspiration des gens à l'expression.

5° A partir de là, nous comprenons la facilité avec laquelle se font accepter les moyens de communication modernes (le cinéma, la télévision, l'affiche, la publicité...) qui sont apparemment dociles mais au fond destructeurs en raison des préjudices implicites qu'ils portent à la vie collective : dans les cercles de vieillards, dans les réunions de familles et dans les rassemblements qui permettent aux individus de participer à la vie de la communauté et de stimuler la vie de la mémoire collective.

En tant que manifestation de la présence des individus au sein de la communauté et de la présence de la communauté dans l'univers, l'art fait partie intégrante de l'humanité. L'effort pour conjuguer la mémoire collective et l'imagination active (c'est-à-dire, plus précisément, lier le plaisir à la connaissance) est au cœur de la vie des communautés depuis leur constitution; et rien, parmi les éléments de la vie sociale n'égale cet effort pour resserrer sans cesse les rangs de la communauté populaire.

Si, par relâchement ou par fanatisme, nous négligeons cette question, nous laisserons une brèche à travers laquelle nous parviendrons des coutumes et des habitudes dont nous n'imaginons pas à quel point l'influence sera négative sur de vastes catégories du peuple. Mais si, en revanche, nous suivons les voies faciles du ralliement au cadre des arts occidentaux, nous nous trouverons alors dans l'impasse évoquée au début de cet article.

Il est donc indispensable dans ce cas qu'il y ait un effort conjuguant théorie et pratique, héritage culturel du passé et

présent, afin de découvrir les composantes de l'art authentique et actif (dynamique) qui pourra lier l'expression politique à la foi et les manifestations collectives à l'esprit de l'Unicité (Tawhīd).

Cet article est traduit de : « *Al Ghadīr* », revue mensuelle islamique publié par le Conseil Supérieur Islamique Shi'ite au Liban, pp. 59-62, n° 0. Muharram 1401 H/novembre 1980.

Actualités Bibliographiques

Le choix des livres présentés dans les pages suivantes n'a pour but que d'offrir un échantillonnage des parutions arabes récentes, sans prétendre de faire le tour des domaines couverts par l'édition arabe traitant de l'Islam ou du monde musulman, que ce soit dans le passé, dans le présent ou dans le futur.

Notre objectif n'a pas été non plus de faire une revue complète des livres relatifs à l'Islam parus partout dans le monde. Mais, nous essayerons, dans nos prochains numéros, de surmonter les difficultés qui nous ont empêchés dans celui-ci, de varier les sources d'édition (du point de vue géographique et linguistique).

Disons enfin que cette bibliographie rapide est motivée par le souci d'œuvrer pour la promotion du livre et des études islamiques et par le désir de donner, dans la mesure du possible, aux spécialistes non-musulmans de l'histoire et de la civilisation de l'Islam, un aperçu des sujets traités dans ces domaines, par les chercheurs et écrivains musulmans. Ainsi, nous espérons contribuer à l'émergence d'une pluralité et d'une diversité de vues qui situeraient toute approche des questions de l'Islam à l'intérieur même de l'Islam, de son histoire et de ses lois.

(Récentes Parutions en Arabes)

La logique des Mashrikiyyīns par Ibn Sīnā (Avicenne), Introduction de Dr Shukrī An Nadjdjā; Collection du Patrimoine Arabe. Editions Dar Al Hadātha, Beyrouth, 1982, 144 pages.

Ce livre a été publié pour la première fois en 1910 par les éditions de la Librarie Salafiya au Caire. Il est généralement considéré comme le seul consacré par Ibn Sīna à l'exposé et à l'explication de sa théorie sur un seul sujet, à savoir la logique. Ceci à la différence de ses autres livres qui rassemblaient une foule d'opinions et d'idées sur la Médecine, la Philosophie, la Logique, la Science, sans aucune méthode quant à l'ordre des questions traitées. C'est là la première caractéristique de cet ouvrage; la deuxième tient au fait qu'il représente dans l'œuvre d'Ibn Sīnā un carrefour nouveau et le moment de maturation de ses vues sur certaines questions après qu'il ait cessé d'adopter à leur sujet le point de vue d'Aristote. La raison en est peut-être dûe à sa pratique de médecin qui en le confrontant à la vie sociale, a rendu sa pensée plus indépendante et plus critique et, par la suite, occasionna son projet d'une philosophie différente de celle d'Aristote et des grecs qui reposait sur l'Essence.

La Contribution des Savants Musulmans aux Mathématiques, par Dr'Ali Ad Daffā', traduction de Djalāl Shawkī. Editions Dār Ash Shurūk, 1981, 144 pages.

Le livre comporte une introduction et sept chapitres. Il traite de la contribution des savants musulmans anciens aux mathématiques et

aux sciences exactes, du rôle des Califes dans la stimulation du mouvement scientifique par l'aide et l'encouragement. Le livre introduit à la contribution des musulmans dans les domaines des Nombres, de l'Algèbre, de la Géométrie, de l'Optique, de la Médecine. Il fournit également des indications biographiques sur Al Khawārizmī, Al Beyrūnī, Ibn Al Haytham, Thābit Ibn Kurrah, Al Kindī...

La Mise par Ecrit du Coran, Premier Document de l'Islam, par Dr Mohammed Kubay sī. Editions Dār Al Ajak Al Djadīda, Beyrouth 1981.

Ce livre comporte une introduction et huit chapitres où l'auteur expose les bases théoriques de la mise par écrit (Tadwīn) en Islam, les étapes de la mise par écrit du Coran depuis le Prophète jusqu'à l'état définitif du temps du calife 'Uthmān. Il jete aussi un éclairage sur le rôle des premiers califs et du scribe du Prophète, Zayd Ibn Thābit, dans l'achèvement du Tadwīn.

Al Istikhradj li Ahkām Al Kharadj (l'extraction des lois du Kharādj), par l'Imam Al Hafiz Abul Faradj Ibn Radjab Al Hanbalī, Collection du Patrimoine Arabe. Editions Dar Al Hadātha, Beyrouth, 1982, 128 pages.

Ce livre étudie le Kharādj et ses principes et ce qui s'y rapporte de méthodes d'exposition des problèmes, de formulations des doctrines et d'administration des preuves. Il est organisé en dix chapitres : le premier traite du mot Kharādj du point de vue de la langue; le deuxième de ce que la sunna en a dit; le troisième de l'origine de l'instauration du Kharādj et des premiers responsables qui l'ont institué; le quatrième de ce qui tombe sous la lois du Kharādj et de ce qui ne tombe pas; le cinquième de la signification du Kharādj et de la question de savoir s'il est une contrepartie ou le prix d'une Djizya; le sixième des terres que le deuxième Calife, Omar, a sousmis à la Lois du Kharādj; le septième de la quantité du Kharādj; le huitième des principes régissant la manière dont les propriétaires des terres Kharādj peuvent en disposer; le neuvième de la manière dont l'Imam doit traiter la question des terres L'Unwa (terres gagnées par les musulmans dans le Djihad) lorsqu'elles deviennent des terres Wakf; enfin, le dixième chapitre traite des principes réagissant les biens et les richesses issus du Kharādj et de la manière dont l'Imam doit traiter la question des terres Unwa

La Lutte Armée en Islam, par Mohammad 'Itanī. Editions Dār Al'Awda, Beyrouth, 1981.

Ce livre comporte un aperçu sur les données constitutives de l'art de la guerre pendant la période anté-islamique, la méthode de propagande de l'Islam et sa préparation au combat final. Le livre développe ensuite la théorie de la lutte armée en Islam et les principes de la conservation et de la sauvegarde de la révolution islamique.

Le Patrimoine et le Renouveau, Dr Hasan Hanafi. Editions Dār At Tanwīr, Beyrouth, 1981, 160 pages.

Le Patrimoine est pour l'auteur une question de culture, quant au Renouveau, il représente un développement naturel des possibilités du Patrimoine et une réponse aux exigences de la réalité. Le Patrimoine vise à libérer le sujet de l'aliénation culturelle qui influe sur tous les aspects de la vie. Il vise aussi à le libérer socialement et politiquement sur le plan intérieur tel que cela apparait dans le refus et la lutte contre les relations de domination entre gouvernant et gouverné.

Le Mouvement de la Traduction en Orient Islamique aux 3e et 4e siècles de l'Hégire, par Rashīd Hamīd Hasan Al Djumaylī. Tripoli, 1981, 455 pages.

Ce livre se divise en quatre parties : la première traite de l'histoire de la traduction, son évolution et son apogé, depuis le premier siècle jusqu'au quatrième siècle de l'Hégire. La deuxième partie traite du rôle qu'on joué certains Califes dans cette histoire du mouvement de traduction et leurs efforts dans cette voie. Dans la troisième partie, il s'agit des assises de ce mouvement de traduction, à savoir, les centres de traduction, et, les traducteurs les plus importants et leurs œuvres. La quatrième partie évalue les résultats généraux de ce mouvement et donne un exposé des contributions précieuses des arabes des œuvres de science, comme en astronomie, en chimie, en sciences naturelles, en géographie, en philosophie, en médecine, en mathématiques ainsi qu'en musique.

Fikh et politique (Siyasa) : Etude sur la pensée politique d'Al Māwardī; par Sa'id Bensa'id. Editions Dār al Hadātha, Beyrouth, 1982, 160 pages.

Ce livre est une tentative de lecture « moderne » d'Al Māwardī, c'est à dire d'accorder une certaine attention à la signification du projet politique tel que le concevait le fakīh shāfi'ite et aux buts et fins visées par un tel projet. L'auteur s'est fondé dans son étude, à côté des livres publiés d'Al Mawardi sur le manuscrit inédit connu sous le titre de « Nasihat Al Mulūk » (Conseil aux Monarques). Cette œuvre à ouvert devant lui de nouveaux horizons dans la compréhension de ce que l'on appelle communement le projet politique d'Al Māwardī. La base de cette compréhension d'Al Māwardī est constituée par son livre célèbre « Les Statuts Gouvernementaux », qui a représenté et représente un modèle de l'écriture politique chez les Fukahā'-s (Docteurs de la loi islamique). L'œuvre politique d'Al Māwardī marque une étape fondamentale dans l'évolution de la pensée politique islamique et nous procure un excellent exemple de la relation dialectique dans la pensée politique entre l'existence sociale et la théorisation politique de cette existence.

L'évolution du régime de propriété des terres en Islām (l'exemple des terres Sawād-s), par Mohammed'Ali Nasr-Allah. Editions Dār Al Hadātha, Beyrouth, 1982, 220 pages.

Ce livre comporte cinq chapitres : le premier est consacré à l'étude du régime de la propriété des terres et des méthodes de production agricole avant l'Islam : époque sassanide, époque byzantine, arabie. Le deuxième chapitre traite de la propriété des terres à l'aube de l'Islām avec des développements sur la politique suivie par le Prophète et par les quatre premiers Khalif-s vis à vis des terres conquises, la propriété des terres Sawād-s au temps des mêmes Khalif-s, et enfin l'Iktā' des terres à l'aube de l'Islām. Le troisième chapitre est consacré à la propriété et à l'évolution de l'Iktā'. Le chapitre quatre porte, quant à lui sur les effets de la propriété des terres sur l'organisation politique et administrative lors de la domination Omayyade dans la région des terres Sawad-s. Enfin le chapitre cinq concerne l'attitude des Fukahā'-s musulmans à l'égard de l'Iktā' et des terres sous protection juridique (Hima) en Islam. Nous trouvons à la fin du livre une conclusion et en annexe quelques propos du Prophète sur l'Iktā' et des tableaux compartifs sur le régime féodal, le mode de production asiatique et le régime de propriété des terres Sawād-s.

Les Etudes Arabes et Islamiques en Europe, par Dr Michel Djoha, Ma'had Al Inmā Al 'Arabi, Beyrouth, 1982, 286 pages.

Ce livre expose une partie du travail des orientalistes depuis la naissance de cette discipline en Europe et jusqu'aux temps modernes. Il se limite aux travaux anglais, italiens, espagnols et allemands de l'ouest. Il traite aussi de l'attitude des arabes musulmans vis à vis des orientalistes. Le livre comporte les sept chapitres suivants : Les études arabes en Grande Bretagne, les études orientales et arabes en Grande Bretagne après la deuxième guerre mondiale. Les chaires d'études arabes dans les principales universités britanniques, Les études arabes en Italie, Les universités et instituts italiens qui dispensent un enseignement d'arabe et de civilisation islamique, Les études arabes en Espagne, Les études arabes en Allemagne de l'Ouest.

Le Dommage de Source Delictuelle en Droit Musulman : la Diyya, par Ahmad Fathī Bahansī. Editions Dār Ash Shurūk, Beyrouth, 1981.

C'est une recherche sur la signification de la Diyya, les conditions requises pour qu'il y ait Diyya et les cas de Diyya, son recouvrement ainsi que celui de l'héritage. Le livre se base sur des ouvrages de sciences islamiques, des ouvrages de Fikh Hanafite, Malikite, Shafi'ite, Hanbalite et Shi'ite, ainsi que des ouvrages de droit pénal.

Le Coran et l'Etat, par Dr Ahmad Mohammad Khalaf Allah. Edition Al Mu'asasa Al'Arabiya Lid Dirāsāt, Beyrouth, 1981.

Le livre traite du problème de l'Etat selon la représentation qu'en donne le Coran. Il contient les parties suivantes : Les centres de pouvoir dans la période anté-islamique, Une nouvelle communauté arabe, Les institutions nouvelles, Le pouvoir législatif, L'Organisation politique, Le tribunal constitutionnel suprême, Le pouvoir exécutif, La mission de l'« Etat » dans la société régie par le Coran.

Le Drame Asiatique et la Portée Economique de la Révolution Iranienne, par Anas Mustafa Kamel. Editions Dār Al Hakīka, Beyrouth, 1981, 134 pages.

Trois chapitres : le premier est une introduction historique qui vise à faire comprendre la structure sociale de l'Etat des Shahs et de la politique de planification économique, le deuxième traite des facteurs pétrole et énergie et leur influence sur l'évolution économique de l'Iran, des surplus financiers issus du pétrole et la situation générale et leur rôle dans l'orientation des faits vers la révolution; le troisième chapitre traite de la structure du commerce extérieur du temps de l'ex-Shah. La conclusion concerne la révolution iranienne et la recherche d'une solution islamique au problème du sous-développement.

Le Coran et la Psychologie, par Mohammed 'Uthmān Nadjātī. Editions Dār Ash Shurūk, Beyrouth, 1982.

Un essai de synthèse des concepts psychologiques qui occurent dans le Coran en vue de les prendre pour guides pour constituer une vision claire de la personnalité de l'homme et de son comportement. C'est un pas vers d'autres études qui commencent déjà ici et là en vue d'élaborer les fondements de nouvelles théories de la personnalité qui s'accordent dans leurs concepts et leurs résultats avec la conception coranique de l'homme. Les chapitres du livre portent les titres suivants : le comportement dans le Coran, les réactions psychologiques dans le Coran, le perception dans le Coran, souvenir et oubli dansle Coran, le système nerveux et le cerveau dans le Coran, la thérapie psychologique dans le Coran.

Points de Vue Critiques sur les Problèmes de la Religion, de la Philosophie et de laLogique, par Dr Mahdī Fadl Allah, Dar Al Andalus, Beyrouth, 1981.

Le livre avance que la religion, la raison et la civilisation constituent des problèmes délicats dans l'histoire de la pensée islamique, de la Shari'a (Loi religieuse) et du Idjtihād. A partir de cela, il traite de la philosophie en général et de la philosophie orientale; la pensée religieuse égyptienne; les conceptions de la genèse et de la création chez les anciens égyptiens; le régime politique chez les égyptiens; la pensée indienne; le Boudhisme et Dieu; l'homme, l'univers, la logique; méthodes de recherche en

philosophie et dans la Shari'a; la logique aristotelienne et la logique avicinienne; entre la poésie, la philosophie et la logique.

L'Islam et l'Homme, par Dr Hasan Sa'b. Editions Dār Al 'ilm lil Malāyīn, Beyrouth, 1981, 160 pages.

Le livre traite d'un certain nombre de concept islamique à partir du concept de l'unicité de Dieu que l'auteur considére comme étant le même quant à son essence, même si ses formes culturelles varient ainsi que ses constitutions dans le temps et l'espace.

L'Attitude de l'Etat Ottoman vis à vis du Mouvement Sioniste (1897-1909), par Hasan 'Ali Hallak. Editions Ad Dār Adj Djāmi'iya, Beyrouth, 430 pages.

Ce livre se constitue de cinq chapitre : il publie pour la première fois des documents britanniques, turques et arabes sur l'attitude de l'Etat ottoman vis à vis de l'émigration juive en Palestine à la deuxième moitié du XIXe siècle, et explique la politique suivie par le Sultan Abdul Hamid vis à vis du mouvement sioniste. Dans un exposé très développé, le livre traite de l'émigration sioniste de 1868 à 1909, date du coup d'état contre la position de l'Etat ottoman, de la situation et de l'état de la Palestine sous le pouvoir ottoman. Le dernier chapitre est consacré à l'explication de la politique musulmane et internationale du Ṣultan Abdul Hamid et du rôle des juifs pendant son régne.

Les Fatimides et les Croisades, par Fahmī Tawfik. Editions Ad Dār Al Djmi'iya, Beyrouth, 1981, 189 pages.

Le livre porte sur le rôle de l'Etat fatimide et de sa position vis à vis des croisades. Il analyse les forces islamiques en présence au lendemain de la première croisade du Proche-Orient, la situation de l'Etat fatimide dans les pays du Shām (Syrie-Palestine) à l'époque de la première croisade, la poussée des croisées vers Bayt Al Makdis, la position des fatimides lors de la chute de Bayt Al Makdis, le Djihād de la marine fatimide dans la défense des localités frontalières du Shām contre la conquête croisée, les aspects de l'unité « shamienne » et égyptienne dans la lutte contre les envahisseurs, la lutte islamique contre les visées croisées en Egypte et enfin la chute de la Khilafat fatimide.

الاتحاد السوفياتي العديد من هذه الطرق، لكن اهمها اثنتان هما:
1 ـ النقشبندية: وهي دخلت القوقاس الشالي في القرن الثامن عشر الميلادي، وكانت هي المحرك الرئيسي للمقاومة الجبلية القوقاسية اثناء الغزو الروسي. كما نظم النقشبندية في 1898 انتفاضة انديجان Andijan وذلك في 1920 - 1922. وكذلك قاد رؤساؤهم من امثال الامام نجم الدين ديكوزة Nadjmuddin de Gotzo والشيخ اوزون حاجي Uzun Hadji انتفاضة دغستان وتشتشنيا وذلك في 1920 - 1922. كما كان انصار هذه الطريقة من بين مقاتلي ثورة الباسماتشي Basmatchis في اسيا الوسطى، والتي لم يستطع النظام السوفياتي انهاءها الا في عام 1932 وبعد ان استمرت اكثر من عشر سنوات.

2 ـ القادرية: ودخلت الى القوقاس الشمالي في نهاية القرن التاسع عشر. هذا ويقدر الكاتب بأن هذه الطريقة تمارس الغمل السري افضل من الطريقة النقشبندية، كما انها كانت وراء المعارضة الضروس للشعب التشتشني عند مقاومته للاجراءات السوفياتية خلال الفترة 1920 - 1943.

وتوجد طرق اخرى اقل نفوذا مثل الكبروية Qubrowiya في خوارزم (تركمنستان الشمالية) والياسوية Yasawiya التي اسست في القرن الثاني عشر في قازاخستان الوسطى، كما يوجد منتمون لهذه الطرق في عموم اسيا الوسطى.

تقدر المصادر السوفياتية مؤخرا ان عدد المنتمين لهذه الطرق اليوم هو اكثر مما كان قبل عام 1971. بل ان طرقا جديدة تكونت، مثل طريقة الاشندرية Tchiktun Echander المنبثقة من الياسوية واخيرا الطريقة التشيتشينية Tchétchéne التي اسسها فيس حاجي Vis Hadji على اساس الطريقة القادرية.

لا تمثل هذه الطرق فرقا صغيرة ومعزولة كما قد يتبادر الى الذهن، بل انها رغم طابعها شبه السري منظمات جماهيرية. فعلى سبيل المثال، كان 51% من المسلمين «المؤمنين» لجمهورية التشيتشينو ـ اينكوش يلتزمون في 1978 بواحدة او باخرى من هذه الطرق، وهذا يعني ان عددهم يصل الى حوالي 150 - 180 ألفا، بينما لم يكن يتجاوز عددهم قبل ثورة اكتوبر (60) الف مريد و(38) شيخا.

وفي الاماكن التي لا يوجد فيها الملاّ المسجل (الرسمي)، يقوم مسئولون من هذه الطرق بسد النقص، فيشرفون على الزواج والختان والدفن، اضافة الى اشرافهم على شبكة من المدارس القرآنية السرية يفوق عددها عدد الجوامع العلنية. وهكذا، ففي عام 1977، كان في اذربيجان 16 جامعا (رسميا) مقابل (300) جامع (سري). اما مراكز نشاط الطرق الصوفية هذه، فهي حول عدد كبير من الاماكن الشريفة وخصوصا قبور الشهداء الذين قاتلوا الغزو الروسي. هذا، وكلما كشفت الحكومة احدى هذه القبور واغلقتها، يقوم انصار الطرق باعادة فتحها في اول فرصة تضعف فيها مراقبة الشرطة.

شامل تقريبا رغم محاربة السلطات له، ويشمل حتى المسئولين والمرتدين في المناطق الاسلامية.

ـ يمارس الزواج الشرعي بين مسلمي الاتحاد السوفياتي بشكل واسع فمثلا، 92% من الزيجات في جمهورية التشيتشن لعام 1978 تمت حسب الاصول الدينية.
ـ تراعى مراسم الدفن حسب الاصول الاسلامية من قبل الجميع تقريبا.

المؤسسات الاسلامية

خلال الحرب العالمية الثانية، وضمن اهداف بعيدة المدى، تمت الموافقة على انشاء بعض الادارات الرسمية للمسلمين. اما تنظيم هذه الادارات التي وافق ستالين عليها، فهو مستوحى من اصلاحات الامبراطورة كاترين الثانية، ولا يوجد لها مركز واحد عدا «قسم العلاقات الدولية» الذي اقيم في موسكو عام 1962 لينظم العلاقات الرسمية بين رجال الافتاء السوفيات الاربعة والعالم الاسلامي الخارجي. عدا هذا، فهناك مجلس الشئون الدينية المرتبط بمجلس الوزراء السوفياتي وهو يقوم بتنظيم العلاقات بين المؤسسات الدينية والحكومة السوفياتية.
ويقسم الاسلام «المعترف به رسميا» الى اربع مناطق جغرافية، لكل منطقة «ادارة روحية» تديرها لجنة تنفيذية برئاسة المفتي او شيخ الاسلام (في باكو). اما هذه المناطق وادارتها فهي:

1 ـ الادارة الروحية لمسلمي اسيا الوسطى وقازاخستان: مقرها طاشقند (في جمهورية ازبكستان)، ويرأسها المفتي الكبير ضياء الدين باباخانوف الذي يلعب دور المفتي الاعلى لعموم الاتحاد السوفياتي.
2 ـ الادارة الروحية لمسلمي روسيا الاوربية وسيبريا: مقرها يوفا (في جمهورية باشكيري)، ويرأسها المفتي تولكات تاجييف Tolgat Tajiev منذ عام 1981.
3 ـ الادارة الروحية لمسلمي القوقاس الشمالية وداغستان: مقرها مكهكش ـ كالا Makhatch - Kala ويرأسها المفتي محمد جيكيف Mahmed Gekkiev منذ عام 1978.
4 ـ الادارة الروحية للمسلمين الشيعة والسنة في القوقاس: مقرها باكو ويرأسها شيخ الاسلام الشكور باشا زادة منذ 1981 ويساعده المفتي اسماعيل احمدوف منذ 1976.

هذه الادارات الاربع هي الوحيدة المعترف بها لذلك فان جميع الشئون الدينية العامة والخاصة يجب ان تمر عبرها، كما ان كل الجوامع والمدارس الدينية تقع تحت اشرافها وتدار بواسطتها. كما انها تصدر النشريات الدينية. اما عدد العاملين في هذه المؤسسات فقد قدر عام 1980 بـ (2000 - 3000) شخص.
هذا عما تسميه السلطات بالاسلام الرسمي، اما النشاط الديني الذي يجرى خارج هذه المؤسسات فيسميه الاخصائيون السوفيات «بالاسلام الموازي»، ويقصد به عموما الفرق «الصوفية» المنظمة تنظيما هرميا والتي يمارس اعضاؤها انضباطا حديديا. يوجد في

ـ ان اعمال النشر التي تقوم بها الادارة الروحية لاسيا الوسطى وقازاخستان هي الوحيدة من نوعها في البلاد الآن. فلقد اصدرت الادارة في 1946 مجلة فصلية باللغة الاوزبكية (بالاحرف العربية)، عنوانها «مجلة الادارة الروحية لمسلمي اسيا الوسطى وقازاخستان». لكن عنوانها هذا تغير في 1968 ليصبح «مجلة مسلمي الشرق السوفياتي»، وهي تصدر باللغتين العربية والاوزبكية (بالاحرف العربية)، وقد اضيفت اليها طبعتان فرنسية وانكليزية في 1974. وعدا هذه المجلة فلقد صدرت عدة طبعات (5 - 6) من القرآن الكريم، غير ان عدد النسخ المطبوعة غير معروف تماما. فاستنادا الى مساعد مفتي باكو، تم طبع (20000) نسخة في 1972، و 50000 في 1977، بينما يورد مصدر آخر معلومات عن 10000 نسخة في 1977. هذا وقد اصدرت الادارة الروحية لطاشقند في 1970 مجموعة «الحديث» المعنونة بـ «الأدب المفرد» للامام اسماعيل البخاري، كما اصدرت في 1973 المجموعة الثانية لـ «الحديث» والمعنونة «جامع الصالح» للامام اسماعيل البخاري ايضا. الى جانب ذلك، فان الادارة الروحية في ايوفا Ufa اصدرت كتابا تعليميا وطبعه من القرآن الكريم وتقويما زمنيا.

ـ استمرار المسلمين على ممارسة طقوس عباداتهم رغم الضغوطات والصعوبات :

ـ الصلاة: تمارس الصلاة بمعدل مهم اذا اخذنا بنظر الاعتبار الدعاية المضادة. فمثلا، كان معدل ممارسة الصلاة في جمهورية التشيتشينو في 1979 هو 20 - 40 %. هذا ويمارس 35.2 % من الشباب الصلاة مع بعض الانقطاع بينما يؤديها 25 % منهم باستمرار.

ـ الصوم: يصوم 40 - 60 % من السكان الريفيين في شهر رمضان. وحسب تحقيق جرى في عام 1978 مع شباب جمهورية التشيشينو ـ انكوش، فان 40 % من الشباب يصوم في شهر رمضان، وان 24 % يصومون كامل الشهر والبقية يصومون عدة ايام فقط.

ـ الزكاة: رغم ان القانون يحرم الزكاة بشدة، الا ان عددا من المسلمين مازالوا يخرجون الصدقة، وخصوصا لاعمار المساجد. ويشير تقرير سوفياتي الى ان الفرق الصوفية البكتاشية والقادرية في القوقاس الشمالية مستمرة على استيفاء الزكاة من اعضائها.

ـ الحج وزيارة الاماكن المقدسة: من المحال بالنسبة لغالبية المسلمين في الاتحاد السوفياتي اداء فريضة الحج. الا انه يسمح كل عام لـ 30 - 60 شخصا، معظمهم من مسئولي الادارات الروحية، بالذهاب الى بيت الله الحرام في مكة. اما زيارة الاماكن المقدسة في الكاظمين في العراق أو قم ومشهد في ايران فهي ممنوعة. لهذا يعوض المسلمون حرمانهم من الحج والزيارة بارتياد المراكز الشريفة المحلية وقبور الشهداء.

ـ تحتفل الجمهرة الواسعة من المسلمين بعيدي الفطر والاضحى وبالمولد النبوي الشريف وفي عاشوراء... فعلى سبيل المثال، تشير التحقيقات الى ان 63 % من شباب جمهورية التشيتشن قد احتفل بعيد الفطر في عام 1978 وان 56 % احتفلوا بالمولد النبوي الشريف. اما الختان فهو شبه

على التعصب الديني ويقف ضد التقارب والصداقة بين المسلمين و«شقيقهم الاكبر» الشعب الروسي».

وهنالك ايضا الحملة الموجهة خاصة ضد ما يسمى «بالاسلام الموازي» والتي لها في التنظيمات الاسلامية «السرية» طابعها المعادي للسوفيات وتعصبها وعداءها للنظام السوفياتي وللروس والشيوعية.

مظاهر صمود المسلمين ومقاومتهم:

ـ بناء الجوامع الجديدة او اعادة افتتاح ما اغلق منها: من الصعب تقدير عدد الجوامع في الاتحاد السوفياتي، ولذلك فعندما سئل مفتي طاشقند عن عدد الجوامع اجاب «العلم عند الله». ترى هل يشير هذا الجواب الى عدم معرفة مسئول ذي صفة رسمية بعدد الجوامع، ام ان ذلك سر حكومي؟ ام هل ان هناك جوامع سرية؟ على كل حال، وبعد حملات اغلاق الجوامع، يمكن القول بان عدد الجوامع في عموم الاتحاد السوفياتي لم يكن في عام 1978 يتعدى 400 - 450 جامعا. كما تكلم المفتي ضياء الدين باباخانوف عام 1979 عن وجود 200 جامع في اسيا الوسطى يضاف اليها عدد الجوامع الصغيرة». بينما يقدم احد المسئولين للادارة الروحية لمسلمي طاشقند الرقم 143 للجوامع في اسيا الوسطى (قازاخستان). اما عن المناطق الأخرى، فتذكر بعض المصادر السوفياتية الارقام التاليه:

- في داغستان (1977). 27 جامعا
- في اذربيجان (1976): 16 جامعا
- في تركمنستان (1978): 4 جوامع
- في تشيتشينو ـ انيكوش (1978): 2 جامع

هذا علما بأن العدد الاكبر من هذه الجوامع موجود في المدن، بينما تقع القرى والارياف ضمن اختصاص «الاسلام الموازي»، اي الحركة الاسلامية «السرية».

ـ بعد اغلاق جميع المدارس الدينية في 1928، تم لاحقا اعادة افتتاح مدرستين، وذلك بعد تبني سياسة المصالحة مع المسلمين.

1 ـ مدرسة الميري عرب Miri - Arab في بخاري التي افتتحت في 1945. وهي مدرسة متوسطة ومدة الدراسة فيها 7 سنوات. يرتادها (50) طالبا من عموم المناطق الاسلامية في الاتحاد السوفياتي، ويتخرج منها سنويا 10 - 15 طالبا بدرجة امام ـ خطيب. ويستطيع الخريجون الذهاب الى مدرسة «الامام اسماعيل البخاري» في طاشقند لمتابعة الدراسات العليا.

2 ـ مدرسة «الامام اسماعيل البخاري». اسست في عام 1971، ومدة الدراسة فيها اربعة اعوام. كان عدد طلابها (30) طالبا في 1978. اما الدبلوم الممنوح من هذه المدرسة، فيسمح بالالتحاق باحدى المؤسسات الروحية الاربع في البلاد، بينما يرسل المتفوقون الى الجامعات الاسلامية في البلاد الاسلامية، كالأزهر والقيروان وغيرها.

6 ـ مرحلة 1978 - 1980 : اعيد في هذه المرحلة فتح عدد من الجوامع التي سبق وان اغلقت، كما سمح للادارات الروحية الاسلامية المعترف بها من قبل الحكومة بالعمل بحرية اكثر من السابق.

على اية حال ورغم ما تقدم، فان المنظمة الحكومية المكلفة بالدعاية ضد الاسلام ظلت دائما منظمة قوية، مكونة من جهاز ضخم ذي نفقات عالية ويستخدم آلاف الاخصائيين المتفرغين او شبه المتفرغين. هذا وتتم الدعاية بكل الوسائل وعلى شتى المستويات: كالمدرسة والنقابة والمعمل والجامعة وحتى من خلال الزيارات المنزلية وبالاستخفاف بعقول المسلمين عندما يقال لهم بان غاغارين لم ير الله اثناء رحلته الفضائية.

اما اشكال الدعاية هذه عموما، فهي:

1 ـ الدعاية الموجهة ضد الدين بشكل عام: وهذه تتم على اساس ان الدين «افيون الشعوب».

2 ـ الدعاية الموجهة ضد الاسلام بشكل خاص: وهذه تتناول التركيز والتفصيل في مقولات وجوانب منها ما يأتي:

ـ الجانب الخارجي للاسلام: اي ان الاسلام فرض من قبل الفتوحات الخارجية العربية (في اسيا الوسطى) ومن قبل السلاطين العثمانيين (في القوقاس الغربي) وشاهات ايران (في القوقاس). والتركيز على هذا الجانب اخذ يقل مؤخرا بعد ان كان يستخدم بشكل واسع جدا في الستينات.

ـ الجانب اللااجتماعي للاسلام: يتم تحت هذا الباب اظهار الاسلام على انه «الدين الاكثر رجعية والاكثر محافظة من بين مجموع ديانات العالم». فالرجل «يضطهد المرأة» و«الكبير يتعسف بالصغير». كما تعرض العادات الاسلامية كالصوم والختان كعادات بربرية وغير صحية، ويتم الحديث عن الصلوات الخمس على اساس انها تقلل من انتاجية العمل... الخ.

ـ الجانب الاخلاقي للاسلام: يقدم الاسلام في هذا المجال على انه «يضعف روح المبادرة»، وبأنه يغرس في نفوس الناس اكثر من اي دين آخر روحية «الخضوع والتعصب والقدرية»... وبان الروحية الاسلامية تعارض الروحية الاشتراكية والسوفياتية...

ـ الجانب الثقافي للاسلام: يربط الفن الاسلامي بالاشكال القديمة، على اعتبار ان الادب التقليدي يردد اداب العصور الاقطاعية، وان التقاليد الثقافية الاسلامية هي عوائق امام الثقافة السوفياتية..

ـ الجانب «القومي» للاسلام: يقدم الاسلام على انه يشجع معاداة الاجانب وذلك بتقسيمه العالم الى مؤمنين ومشركين. وتضرب دعاية الدولة امثلة حول هذا العداء من خلال التذكير بحملات الجهاد التي شنت ضد الغزاة الروس منذ عهد الشيخ منصور (نهاية القرن الثامن عشر) والى الشيخ شامل في القوقاس. فبهذا يكون الاسلام مشجعا

ـ 1932 : بداية الحملة القمعية ضد رجال الدين المسلمين والمؤمنين الذين اتهموا بالطفيلية والتخريب والثورة المضادة وبالجاسوسية لمصلحة اليابان وانكلترا والمانيا، وترافقت هذه الحملة مع دعاية معادية للدين قادها «اتحاد المناضلين الملحدين» الذي تأسس عام 1925 . كما تم في 1932 ، اغلاق معظم الجوامع . ففي 1912 كان يوجد 26000 جامعا يقوم عليها 45000 شخصا، ولم يبق في 1941 سوى حوالي 1000 جامع .

3 ـ خلال الحرب والى موت ستالين : كان هناك اتفاق نسبي في هذه الفترة بين الحكومة والمؤسسة الاسلامية . . ففي 1942 ، بادر مفتي روسيا الأوربية عبد الرحمن رسولوف باعادة الاتصال مع ستالين حيث تحقق بذلك نوع من الاتفاق، فألغى ستالين الدعاية المضادة للاسلام مقابل دعم المسلمين لجهود الحرب . وقد شهدت هذه المرحلة تطبيع العلاقات بين الدولة السوفياتية والاسلام «الرسمي»، فانشئت عدة «ادارات روحية اسلامية» كلفت بادارة ما تبقى من المؤسسات الاسلامية . غير ان هذه الخطوة لم تأت الا لموازنة عمليات التهجير التي شملت اكثر من مليون مسلم من مناطقهم .

4 ـ المرحلة الخرتشوفية : في هذه المرحلة ، عادت اجراءات القمع الى الظهور، فشنت حملة مضادة للاسلام استمرت من 1959 الى 1964 ، اغلقت خلالها معظم الجوامع واماكن الزيارة، فانخفض عدد الجوامع من 1500 في عام 1958 الى اقل من 500 في 1964 . كما نظمت حملات صحفية واعلامية (الراديو، التلفزيون، السينما، المسرح)، بالاضافة الى نشر 920 مؤلفا وبلغات مختلفة ضد الاسلام، فيما يلي احصائية لعدد ما صدر منها بكل لغة :

العدد	اللغة	العدد	اللغة
177	الازبكية	13	الكاباردية
140	الداغستانية	12	اديغجركسية
126	القوزاقية	11	القرةقلباغية
96	الازرية	6	الابخازية
70	الطاجيكية	5	الويغورية
69	القرغيزية	4	الاجارية
65	التتارية	3	الكراتجي بلكارية
50	جيتشينو ـ اينكوش	2	الدانغانية
44	التركمانية	2	الاوسيتية
24	البشكيرية	1	الاباظية

5 ـ مرحلة ما بعد سقوط خروشوف : توقفت في هذه المرحلة الحملات الشاملة ، وان ظل الاعلام المعادي للاسلام مستمرا باشكال «عملية» اكثر، اضافة الى انه تم التخلي نسبيا عن الحملات ضد رجال الدين .

الثامن عشر الميلادي، وعددهم لم يكن يتعدى (1000 - 2000) مسلم حسب احصاءات 1979.

- المسلمون الغجر Tziganes في اسيا الوسطى: اللولي Lulis والمازانج (Mazanges): ويقدر عددهم بحوالي (100000) نسمة.

3 - الجماعات الاسلامية التي تعرضت قبل الثورة البلشفية لعمل تبشيري خاص والتي تنصر قسم منها:

- تتار الفولغا: تعرضوا مرتين وذلك في القرن السادس عشر الميلادي والقرن الثامن عشر الميلادي لضغط الارثذوكسية الروسية، الأمر الذي ادى الى تكوين فئتين مسيحيتين، احدهما المتنصرون القدامى (Starokryachens) وهم الذين تنصروا في القرن السادس عشر الميلادي وتبلغ ذريتهم اليوم حوالي 200000 نسمة. اما المتنصرون الجدد (Novokryachens) وهم الفئة الثانية، فقد تنصروا في القرن الثامن عشر الميلادي وكان عددهم في مطلع القرن العشرين حوالي 300000 نسمة. الجدير بالذكر هو ان الاغلبية الساحقة من هؤلاء عاد الى اعتناق الاسلام بعد 1905.

- الاكراد: بلغ عددهم عام 1979 (25 - 50) الفا من مجموع 116000 نسمة معظمهم من الاكراد اليزيدين الذين سبق وان هاجروا من العراق.

- الابخازيون Abkhaz والاوسيتيون Ossètes: كانوا قديما من المسيحيين الارثذوكس الذين لم يسلموا، اذ بقي نصف الانجازيون وثلاثة ارباع الاوسيتيون على دينهم المسيحي. ويقدر ان حوالي (40000) ابخازي (من مجموع 91000 في 1979) و 150000 اوستي (من مجموع 542000) هم مسلمون.

سياسة الحكومة السوفياتية ازاء الاسلام: مرت سياسة الحكومة السوفيتية ازاء الاسلام بعدة مراحل يمكن تلخيصها كما يلي:

1 - السنوات الاولى للدولة السوفياتية: تميزت هذه الفترة بعداء اعلامي رافقته مصالحة اقتضتها الظروف الاستراتيجية للحرب الاهلية (1917 - 1920).. فلقد تبنت الحكومة ازاء المؤسسات الاسلامية عندئذ سياسة الأمر الواقع ولم تدخل معها في صدام مباشر لعقد من السنين.

2 - الحرب العالمية الاولى - 1924: اتسمت هذه الفترة بشدة سياسات القمع التي تكشف عن ملامحها بعض الاجراءات والتواريخ التالية:

- 1924: الغاء محاكم الشرع والعادات الاسلامية.

- 1928: اغلاق جميع المدارس الدينية، الابتدائية (الكتاتيب) والثانوية (المدارس) والتي كان يقدر عددها قبل 1971 بحوالي 15000 مؤسسة. وفي ذلك العام ايضا، شنت حملة مباشرة على الاسلام استمرت حتى الحرب العالمية الثانية.

- 1930: تم الاستيلاء على آخر الاوقاف الاسلامية.

الاتحاد السوفياتي -

«الدين شأن خاص»، ذلك ما ينص عليه دستور الاتحاد السوفياتي. اما احصاءات (1926 - 1939 - 1959 - 1970 - 1979)، فلا يورد اي منها شيئا عن الانتماء الديني للمواطنين السوفييت.

يقدر عدد المسلمين في الاتحاد السوفياتي باكثر من 43 مليون مسلما، اي 16.5% من مجموع سكان الاتحاد السوفياتي (262 مليون نسمة وذلك حسب احصاءات 1979). ويمكن رؤية مناطقهم وانتماءاتهم بالشكل التالي:

1 - الجماعات الاسلامية المتكاملة:

- اسيا الوسطى ومجموعهم هو 26398000 نسمة وهم: الازبك (12500000) Uzbeks . . القازاخ Kazakhs (6500000) . . التركمان (2030000) . . الكرجيون Kirghiz (1900000) . . القره قلباخ Karakalpakhs (300000) . . الويغور (220000) Uyghurs . . الطاجيك Tadjiqs (2900000) . . الايرونيوون Ironis (31000) . . البلوش Baluches (13000) في 1970 . . . الافغان Afghans (4000) في 1970 . . .

- الفولغا الوسطى - الاورال - سيبريا الغربية ومجموعهم هو 7800000 نسمة وهم: التتار Tatars (6400000) والباشكير Bachkirs (1400000).

- القوقاس ومجموعهم 9416000 وهم: الازريون Azeris (5500000) . . الكيوميكيون Kumyks (230000) . . النوكايون Nogays (60000) . . الكاراشي Karachays (130000) . . الترك Turcs (95000) . . البلكار Balkars (67000) . . الاوسيت Ossètes (180000-150000) . . الاكراد Kurds (120000) . . التاتيون Tates (22000) . . الداغستانية Dagestanais (1369000) (منهم: الافار Avars (483000)- الدرغنيون Darghins (287000)- اللزغنيون Lezghins (383000)- اللاك Laks (100000) - التاباساران Tabasarans (75000) - الروتوليون Rutuls (15000) - التسخوريون Tsakhurs (14000) - الاغوليون Aguls (12000) - الششن (756000) Tchétchénes - الانكوش Ingouches (186000)- الكابارديون Kabardes (322000)- الاديك Adyghes (109000) - الجركس Tcherkess (46000) - الاباظيون (29000) Abazas - الجرجيون المسلمون (150000 - 180000) - الابغازيون Abkhazes (40000).

2 - الجماعات الاسلامية المتواجدة وسط جماعات اخرى:

المسلمون الجورجيون (الاجاريون Adjars والانيكيلوي Ingilois): الاجاريون هم الذين اسلموا على يد العثمانيين في القرن الثامن عشر الميلادي، بينما الاينكيلويون هم الذين اسلموا على يد الداغستانيين والايرانيين في القرن الثامن عشر الميلادي، ويقدر عددهم جميعا بحوالي (150000) حسب احصاءات 1979.

- المسلمون الارمن: (الهمشيون Hemchins): اسلموا على يد العثمانيين في القرن

والروسي عليها. وخلال تاريخ هذا الصراع برز اسمان هما:

- ☐ برهان شهيدي Burhan Shahidi وهو من تتار السينكيانك، وقد تلقى تعليمه في روسيا القيصرية، ويعتبره الصينيون الناطق الرسمي للويغور. تولى برهان شهيدي منصب حاكم منطقة سينكيانك بين 1949 و 1955 وهو تاريخ تحول المنطقة الى منطقة مستقلة، حيث حل محله سيف الدين عزيزي. اما السيد برهان فقد ظل رئيسا للجمعية الاسلامية ويقدم كالرمز الاول للمسلمين الصينيين.

- ☐ سيف الدين عزيزي Saif ud-Din Azizi تلقى تعليمه في الاتحاد السوفياتي واكتسب الجنسية السوفياتية وساهم في الانتفاضات الكبرى لتركستان الشرقية وصار عضوا في الحزب الشيوعي السوفياتي في الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن. وهو واحد من بين القلة من «مواطني» الاقليات الذين قبلوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوغي الصيني منذ 1956. ولقد استطاع الصمود امام جميع عواصف الصراعات والتصفيات، وهو اليوم مسؤول الحزب والحكومة والجيش المحلي في سنكيانك، اضافة الى كونه مرشح احتياط للمكتب السياسي للحزب، وكل هذه المناصب لم يسبق لاحد من غير قومية الهان ان حصل عليها.

اما منطقة الويغور والقازاخ في سنكيانك هذه، فانها تتميز في مجملها بكونها ذات اهمية فائقة بالنسبة للصينيين وذلك بسبب محاذاتها للاتحاد السوفياتي، كما ان فيها احتياطيات نفطية ضخمة، اضافة الى قاعدة نووية ومؤسسات صناعية مهمة.

ولا يزال القازاخيون الذين هاجروا في 1950 الى تركيا، يرفعون شعار جمهورية تركستان الاسلامية، وهو شعار له ولا ريب صدى معين داخل تركستان الصينية. ولقد شاع في 1958 بأن سياسة «دع مائة زهرة تتفتح» كانت قد وفرت للمسؤولين المحليين الفرصة لاعلان جمهورية فدرالية للويغوريين وكذلك في تركستان الشرقية للقازاخيين، اي اعلان جمهورية مستقلة بدون «الهان». وبالاضافة الى ذلك، فان تلك السياسة كانت ايضا فرصة للمسؤولين لاعلان معارضتهم لتعميم التعليم الصيني ولقوانين الزواج ولغير ذلك من الاجراءات الحكومية، كما اثارت حملات التطهير اللاحقة وفرض التعاونيات مقاومة مسلحة قادت في عام 1962 الى هجرة جديدة نحو قازاخستان الروسية هذه المرة.

ثم عادت الحكومة في 1973 الى تطبيق خططها لتحويل الحرف العربي للغتين الويغورية والقازاخية الى حرف لاتيني، وهي سياسة بدأتها في الاعوام 1957-1958 بعد فشل سياستها السابقة لتحويل الحرف الى المقاطع الصينية. وفي 1980 اصبحت الصحافة والوثائق الرسمية والكتب المدرسية بالاحرف الصينية. اما كتب الارشاد الزراعي وتقنيات تربية الحيوانات والطبيعيات والقصص القصيرة وكذلك الكتب الاسلامية فقد بقيت تتبع الكتابة التقليدية.

حول المساجد وتحت اشراف «اخوند» أو امام، الا ان الجماعات الاكثر اهمية تعيش في بكين وتيانتسن وفي المدن الساحلية الكبرى، وكذلك في غرب وشمال غرب الصين، وخصوصا ان نانكشيا Ninghsia حيث اعطوا حق تشكيل منطقة مستقلة. وقد اختص «الهوي» منذ القدم بتربية الماشية والاعمال الحرفية واعمال النقل. ورغم ان هذه الاختصاصات قد استغلت من السلطات الشيوعية الا ان توجهات المسلمين هذه حفظت استقلالهم عن مركزية الدولة من جهة وسمحت لهم بمواصلة الاتصال بجماعاتهم المتناثرة من جهة اخرى. عدا ذلك، فمهما يكن صغر الجماعة واينما يكن موقعها ـ حتى في اقصى القرى المتأخرة ـ فان لها جامعا ونظاما للتعليم الابتدائي أو على الاقل اماكن لتعلم اللغة العربية. هذا ويشير الكاتب الى ان موقف مسلمي الشرق الاوسط في العقود الاولى من هذا القرن كان يتسم بعجرفة وعدم تفهم للمستوى الثقافي لمسلمي الصين. اما اليوم، فان الاعجاب قد حل محل نزعة العجرفة وذلك بسبب تمسك المسلمين الصينيين بدينهم. وعندما حاولت السلطات الصينية في 1952 الاستيلاء على الاوقاف اندلعت ثورة مسلحة في الغرب وارغمت السلطات على التراجع والتنصل من افعال المسئولين المحليين. وكانت سياسة الحكومة تتحاشى بشكل عام الاصطدام بالمسلمين في المواقع التي يكثرون فيها لتنفرد بمجاميعهم المنعزلة. وتحت شعار الصراع الطبقي داخل الاسلام شنت الحكومة عدة حملات لاعتقال رجال الدين والزعماء المحليين على اعتبار انهم من اعداء الشعب. وخلال الثورة الثقافية اشتدت الحملة ضد المسلمين واغلقت معظم الجوامع ولم يبق غير جامعي بكين وكانتون المخصصين للاعياد الكبرى ولرجال السلك الدبلوماسي والاجانب. وبعد الثورة الثقافية روجت السلطات الصينية نفسها الاخبار عن الاعدامات والتعذيب والبؤس الشديد في مناطق «الهوي» وتكلمت عن مناطق تعرضت للقصف الجوي (مثل يونان Yunnan) وذلك لرفض المسلمين فيها تربية الخنازير أو احراق موتاهم أو اكل لحم الخنزير مقابل الحصول على ترقية أو منصب.

وخلال 1979 - 1980، اعيد افتتاح العديد من الجوامع كان من بينها 158 جامعا في منطقة «الهوي» المستقلة في نينكشيا. كما يبدو ان صوم رمضان لسنة 1980 كان شاملا بين المسلمين. ووفرت المخازن من جديد للمسلمين الزيت النباتي والصابون والكعك وذلك كما سبق واعتادوا عليه، وكذلك تم توفير الملابس اللائقة سواء للرجال أو للنساء وتم ايضا توفير ادوات الوضوء والصلاة. . .

2 ـ المسلمون الويغور والقازاخ في سنكيانك Sinkiang: وهم الصينيون المتحدرون من اصول تركية ويسكنون في مناطق شاسعة وجرداء تبلغ مساحتها 16,5 الف كم^2 وبكثافة سكانية معدلها 4-5 شخص/كم. وتجاور هذه المناطق تركستان والاتحاد السوفياتي الامر الذي ادى الى تكوين علاقات متبادلة اثرت في مجرى الوقائع وذلك حسب الظروف. ففي أواسط القرن الثامن عشر تم ضم تركستان الشرقية من قبل الامبراطورية الصينية، ولكن بعد حركة الاستقلال بقيادة يعقوب بيك (1866-1877) استطاع السكان اخذ مقاليد امورهم بايديهم، الا انها عادت الى الصين ثانية وسط تعاقب النفوذ البريطاني

ثانيا ـ السياسة الدينية للحكومة الصينية :

يتحدد جزء رئيسي من طبيعة تعامل الحكومة الصينية مع المسلمين من خلال تعاملها معهم كشخصية عرقية وليس كقوة اجتماعية. ويبدو هذا الأمر واضحا خصوصا ازاء الجماعة الاسلامية الرئيسية وهي «الهوي»، اذ تتفاخر الحكومة بأنها تحترم فلكلورهم ورقصاتهم وازياءهم. فهي تعتبر مثلا امتناع المسلمين عن تناول لحوم الخنزير عادة صحية يجب احترامها. ولكن، من جهة اخرى، يرى المسئولون الصينيون بأن الممارسات العبادية الاسلامية ستزول بالتدريج من خلال التثقيف الماركسي المناسب.
هذا ويؤكد الكاتب بأن هناك عاملين رئيسيين لعبا دورهما لمصلحة المسلمين الصينيين في علاقتهم بالحكومة :

- اثارة فكرة الجهاد لتضامن المسلمين الصينيين مع اشقائهم في الدين والجنس والذين يعيشون خلف الحدود في الاتحاد السوفياتي.
- العلاقة بالدول العربية والاسلامية.

وفي عام 1953 انشئت «الجمعية الوطنية الاسلامية» التي تشرف على أوضاع المسلمين خصوصا «الهوي والويغور». كانت هذه الجمعية وسيلة لتحسين العلاقة خصوصا مع الدول العربية والاسلامية، لاسيما بعد مؤتمر باندونغ 1955. كما اشرفت الجمعية ايضا على حج المسلمين الصينيين الى مكة منذ 1955 والى 1964 ثم من جديد في عام 1979 (19 حاجا). هذا وتلعب الجمعية دورا متزايدا في علاقة الصين بالعالم الخارجي، حيث تستقبل معظم الوفود الافرواسيوية.
اما على الصعيد الداخلي فان الجمعية تلعب بالتعاون مع ممثليها في المناطق دورا مهما في ادارة المؤسسات الدينية وكذلك في تكوين القيادات الاسلامية. ويشير الكاتب الى ان السلطات الصينية تقبل دخول المسلم الى الحزب بينما لا توافق على دخول المسيحيين مثلا. هذا ويدرس معهد البحث في الديانات العالمية منذ عام 1968، الاسلام من زاوية المادية والماركسية.
مما تقدم، يمكن استخلاص ان ثقل الاسلام في تزايد مستمر سواء على صعيد العلاقات الصينية الداخلية أو الخارجية، وذلك منذ الثورة الثقافية والى الآن.

المظالم التي تعرض لها المسلمون الصينيون

1 ـ المسلمون الصينيون أو «الهوي Hui»: ان تسمية المسلمين بـ «الهوي» هي جزء من سياسة تهدف الى التحجيم والالحاق. فرغم ان للتسمية بعض الاصول التاريخية، الا ان استخدامها هو من صنع السلطات وذلك لتحصر المسلمين ضمن فئة محددة ومطوقة لا تضيف اليها سياسة «الاقليات» و «القوميات» الا المزيد من القيود والمراقبة و «التنظيم». وبالرغم من ان «الهوي»، الذين هم من اصول عربية وفارسية اختلطت قديما بالاصول الصينية، قد انتشروا في عموم الصين وذلك على شكل جماعات مهمة

2 ـ بين 1957 و 1958 : في هذه الفترة تشددت السلطات الصينية واتبعت سياسة «القفزة الكبرى الى الامام» خلال السنوات 1958-1960. كما كثر الكلام في تلك الفترة عن المطالب المشبوهة «للقوميات المحلية» حسب التعبير الصيني وصار وسمها «بالثورة المضادة» امرا عاديا. فاوقفت اجراءات ابراز الخصائص التاريخية لكل شعب ووسمت بالبرجوازية، والحقت اراضي ومواشي الجماعات الاسلامية بالتعاونيات الشعبية، كما تم اجتياح المناطق الأسلامية بهجرات واسعة ومنظمة تحت شعار اتحاد القوميات والعمل في القاعدة والارياف. ورغم ذلك، فان سياسة «دع مائة زهرة تتفتح» ادت الى المطالبة بتأسيس جمهورية مستقلة للهوى في نينكشيا وشن المسلمون حملة واسعة ضد السياسة الدينية الحكومية وخصوصا ضد الزامهم برفع صور ماوتسي تونغ في الجوامع واغلاق المدارس الدينية واجبارهم على الزواج المختلط (مع غير المسلمين).

3 ـ بين 1961 و 1964:ادت المصاعب العملية الناجمة عن السياسات السابقة الى بعض التراجعات عن تلك السياسات، فتم الاعتراف بان «الاقليات تحمل طابعا خاصا» ويجب احترامها. فاعيد دراسة تاريخ «الاقليات» الاسلامية مع الكثير من الدعاية والتفاخر وذلك للبرهان على قدم الروابط التي توحد اسيا الوسطى بالهان، كما تم تشجيع اللغات «القومية» ايضا.

4 ـ بين 1966 و 1976 : تحت شعار الصراع الطبقي والانتقال الى الشيوعية، شنت حملة واسعة لتدمير المؤسسات والمظاهر الاسلامية. . . كانت هذه الفترة ببساطة هي فترة الحاق وضم اتسعت فيها حركة ارسال الشبية الصينية الى آسيا الوسطى. فمنذ نهاية الثورة الثقافية والى عام 1975، تم حسب الاحصاءات الرسمية ارسال 10 ملايين جامعي الى مختلف «الاقليات»، مما قلب موازين العلاقة بين السكان. فمثلا في السينكيانك، وهي مناطق المسلمين القازاخ صار الهان يشكلون 40 % من السكان في 1975، بعد ان كانوا يشكلون 6 % في 1949.

5 ـ منذ 1977 ولاحقا. . جاء سقوط «عصابة الاربعة» ـ حسب تقدير الكاتب ـ لمصلحة «الاقليات» و «المسلمين». فاذا صدق المرء شهادات المسافرين مؤخرا الى اسيا الوسطى، يبدو ان المسلمين قد بدأوا يشعرون بأنهم يخرجون الآن من نفق مظلم طويل.

اذن، يمكن القول بأن المسلمين الصينيين استطاعوا المقاومة على الاقل، فلم تستطع الحكومة الصينية مثلا تطبيق سياسة تحديد النسل المتبعة في عموم الصين على مناطق السينكيانك، كما استطاع المسلمون الحفاظ على بعض حقوق الملكية والتعليم باللغة التركية وغيرها. وفي الآونة الاخيرة (1979)، قامت الحكومة الصينية بحملة دعائية واسعة طالبت فيها التركستانيين «المقيمين في الخارج»، اي في الشرق الاوسط والاتحاد السوفيتي، بالاتصال بعوائلهم في الصين بل وحتى بالعودة اليها.

. .

المسألة يعبر عن الاحراج الذي يشعر بـه الحزب الشيوعي اليوغسلافي من «بعض المؤشرات التي تبين ذلك التجدد المثير للحركة الدينية». ويؤكد الكاتب على الاحراج الذي يشكله تنامي قوة الجماعة الاسلامية بشكل لم يسبق له مثيل، ثم يتساءل كيف سيتسنى للحكومة تعديل هذا الوضع يوما ما، خصوصا وان قادة الجماعة الاسلامية يقدمون علنا الاشتراكية ليس فقط كنتاج للفكر الاسلامي بل كنتاج وحيد الجانب وغير متكامل وينقصه الشيء الاساسي الذي هو العامل الروحي.

الصين الشعبية

تقدر احصاءات 1953 المسلمين الصينين بحوالي عشرة ملايين نسمـة. هذا بينما كانت التقديرات السابقة للثورة تتكلم عن 50 مليونا من المسلمين الصينيين. وقد يعود هذا الفرق في الارقام الى نظام تسمية وتوزيع «القوميات» الذي اتبع بعد الثورة والذي على ضوئه لم تحسب «القومية» الثانية بعد «الهان» على المسلمين كما كان الامر يجـري سابقا. ويقدر عدد المسلمين الذين يعرفون باسم الهوي Hui باكثر من ست ملايين نسمة، وعدد مسلمي اتراك اسيا الوسطى المعروفين باسم الويغور Uigue، (حوالي اربع ملايين في 1961 و 5.5 و 6.5ملايين لكل من الهوى والويغور في عام 1978). اما المجموعة الاسلامية الثالثة فهم القازاخ Kazakh في النصف الشمالي من سينكيانك Sinkiang. واضافة الى الجماعات الثلاث هذه، توجد جماعات اصغر واقل مثل الكرجس Kirghiz (70000) والسالار Salar (30000)والازبك Uzbek (12000)والتتر Ta-tar (4000) والايرانيين الطاجيك Tajik (15000)والمنغول Mongols (155000).

موقف الحكومة الصينية من المسلمين: يتميز موقف الحكومة الصينية ازاء المسلمين بجانبين. فهي تتعامل من ناحية مع المسلمين وعندذاك تطبق عليهم مـا ينطبق عـلى «القوميات» الأخرى. ومن ناحية ثانية تتعامل معهم كدين بصفتهم ممثلين للاسلام. لذلك يمكن التعرف على موقف الحكومة الصينية هذا من خلال المحورين التاليين:
<u>أولا ـ السياسة ازاء «الاقليات»:</u> مرت سياسة الحكومة ازاء الاقليـات بعدة فتـرات متميزة هي:

1 ـ بين 1949 و 1955: اتسمت هذه الفترة بسياسة تكريس الوحدة الداخلية والتهدئة بعـد انتصار الثـورة وانتهاء الحـرب الاهلية. لـذلـك احتـرمت اللغـات والعـادات والمعتقدات المختلفة، وحتى ان الدعاية الرسمية ركزت حملتها على شـوفينية القـومية الكبرى (الهان) في علاقاتها بالاقليات بالرغم من ان هذه الفترة لم تخل من مضايقات للمسلمين. ففي عام 1951 كان الايمان بالله يعتبر ـ حسب الدعايات الرسمية ـ غطاءا لاستغلال المؤمنين، وكان النبي محمد (ﷺ) يقدم «كمنافق» (كذا) يمسك الكتاب بيد والبندقية بيد واموال المؤمنين بيد ثالثة، مما اثار رد فعل سريع وعنيف لدى المسلمين مما دفع السلطات الى التحفظ عند التعامل مع هذه المسألة.

اسلامي، ولكن هذا الاعتراف لا يشمل سوى مسلمي جمهورية بوزني هيرزوكوفين Bosnie-Herzégovine، بينما استمرت الحكومة على اعتبار مسلمي مقدونيا Macédoine ومونتينكروا Monténégro والصرب Serbieوالكروات Croateكمواطنين من القوميات المقدونية والمونتينكرية والصربية والكرواتية والالبانية أو التركية الذين يدينون بالاسلام.
2 ـ في كوزوفو Kosovo، ومعظم هؤلاء من المسلمين الالبان الذين يزيد عددهم على مليون مسلم يضاف اليهم عشرات الآلاف من المسلمين الاتراك.
3 ـ في مقدونيا Macédoine. يصعب تحديد عدد هؤلاء المسلمين الذين يزيد عددهم على مائة أو مائتي الف مسلم، اضافة الى آلاف المسلمين الالبان وحوالي مائة الف مسلم تركي يقطنون هذه المنطقة.

والى جانب المسلمين في هذه المناطق الثلاث تجب اضافة عشرات الآلاف من المسلمين في مونتنيكروا (مسلمون مونتنيكرويون ومسلمون البان)، وكذلك عشرات الآلاف من المسلمين الغجر اضافة الى عشرات الآلاف من المسلمين المنتشرين في عموم البلاد والذين ينتسبون للفئات المختلفة اعلاه.

ورغم ان سياسة الحكومة اليوغسلافية بعد الحرب العالمية الثانية كانت مشابهة لسياسة بقية الجمهوريات الاشتراكية المتميزة بسياسة شديدة العداء للدين، الا ان ثلاثة اعتبارات خاصة ميزت سياسة الحكومة اليوغسلافية وقادت الى اقرار سياسة مفادها عدم التصادم المباشر مع السكان المسلمين. وبدت الرغبة واضحة في سياسة الحزب الشيوعي خلال فترة المقاومة وكما توضح ذلك الكراريس والنشريات التي اهتمت بتعبئة السكان المسلمين.

وقد تطور هذا الوضع انطلاقا من عام 1948 (وهو عام الخلاف بين بلغراد وموسكو) ووصل الى اقرار الحريات الدينية في 1979، وهو تاريخ اصبحنا من بعده نشهد تجددا للحركة الاسلامية في يوغسلافيا لم يكن بالامكان تصوره سابقا. ويرجع الكاتب هذا التجدد الى عدة اسباب اهمها عمق التدين لدى جزء كبير من السكان المسلمين وخصوصا لدى الفئات الشعبية في المدن والارياف. غير ان اتجاه الصحف متناقض بهذا الصدد. فهي تقلل من شأنه احيانا بينما تتكلم عنه احيانا اخرى بصراحة لتؤكد بذلك على حرية النظام. اما السبب الثاني في هذا التجدد فيعود (حسب رأي الكاتب) الى ضرورة تأكيد الهوية التي تأخذ شكل الاسلام.

ولقد استفاد المسلمون من هذه الاوضاع الجديدة الخاصة بشكل دائم وذكي. ولقد نجح المسلمون وبحكمة كاملة وضمن احترام الدستور في بناء مواقعهم واعادة روابطهم وضمان وضع ثابت لهم لم يسبق وان تمتعوا به سابقا. يشهد على ذلك بناء عدد كبير من الجوامع واقامة عدد لا يحصى من الاحتفالات الدينية (بما في ذلك احياء ذكرى معركة بدر في عام 1971)، واقامة روابط وثيقة مع الاوساط الدينية لعدد من البلدان الاسلامية. بل يجب الاشارة الى ان اكثر من 100 طالب دين قد ارسلوا الى الازهر والى جامعات دينية اخرى.

بكلمات اخرى، استفادت الهيئات الاسلامية من هذا الوضع بحنكة كبيرة بحيث تعدت المخططات الاولية للحكومة. وما يظهر في الصحافة اليوغسلافية فيما يخص هذه

2 -- 1950 - 1951 طرد واسع بلغ حوالي 155000 شخص.
3-- 1952 -- 1968 وقف الهجرة كليا. حوالي 20 حالة طوال الفترة.
4 -- منذ عام 1969: هجرة عادية.
1969: 2529 مهاجرا.
1970: 11010 مهاجرا
1971: 9540 مهاجرا
1972: 10465 مهاجرا
1973: 3283 مهاجرا

البانيا

يشكل مسلمو البانيا 70 % من السكان، يتوزعون على المذهبين السني (2/3، 3/4) والبكداشي، بينما يشكل الارثوذكس 20 %والكاثوليك 10%من مجموع السكان. وفي عام 1945، كان عدد المسلمين 785430مسلما (أو 816677-حسب احصائيات نشرة وكالة البرق الالبانية في 23 ديسمبر 1948). ويقدر عدد المسلمين في عام 1967بحوالي 1300000«1400000 مسلم من مجموع سكان البانيا الذين كان يقدر عددهم انذاك بحوالي 1964130 نسمة. وفي عام 1967 (عام الثورة الثقافية) اعتبر الاسلام رسميا في حكم الملغي في البانيا، كما اغلقت جميع اماكن العبادة في البلاد.

هذا ويمكن استعراض وضع المسلمين في البانيا من خلال مرحلتين:

1 ـ المرحلة الاولى (1945-1953): قامت السلطات في هذه المرحلة بحل جميع المنظمات الدينية بسرعة، وترافقت هذه الحملات احيانا مع تصفيات جسدية.

2 ـ المرحلة الثانية (1954-1967): اصبحت المعلومات الواردة حول المسلمين خلال هذه المرحلة نادرة تماما. . وتنتهي هذه المرحلة بالاعلان «الرسمي» للحكومة الالبانية بنهاية الاسلام في البانيا وذلك في عام 1967.

يوغسلافيا

غيرت الحكومة اليوغسلافية سياستها الاسلامية مرات عديدة منذ عام 1945 والى الآن. ورغم صعوبة التقدير، حيث لا تشمل الاحصاءات اليوغسلافية ديانة المسلم، الا ان عدد المسلمين اليوغسلاف اليوم يتعدى ثلاثة ملايين مسلم بكثير. اما جغرافيا، فيتوزع المسلمون اليوغسلاف على ثلاث مناطق هي كالتالي:

1 ـ في جمهورية بوزني هيرزكوفين الشعبية Bosnie-Herzégovine، وهؤلاء يتكونون من مسلمين كرواتيين Croate ومسلمين صرب ومسلمين من جمهورية بوزني هيرزكوفين. . . ويقدر عددهم جميعا بحوالي مليون ونصف مليون نسمة. ومن المفيد الاشارة للفئة الاخيرة من المسلمين في هذه المنطقة والذين رفضوا في حينها ان يصنفوا كقومية صربية أو كقومية كرواتية واعلنوا انفسهم «كقومية غير محددة». ولعلاج هذا الوضع، اضطرت الحكومة اليوغسلافية في 1969، ان تعترف رسميا بهم كانتماء

مع عدد من المسلمين الرومان في الوفد الروماني الى مؤتمر طرابلس في فبراير 1976 ، كما زار وفد من المسلمين الرومان ايران واجتمعوا بآية الله الخميني والرئيس السابق بني صدر.

بلغاريا :

عدد المسلمين في بلغاريا غير معروف بالضبط وذلك لعدم ذكر الاحصاءات عادة لديانة المواطنين. آخر احصاء وردت فيه ديانة المواطنين يعود الى 31 ديسمبر 1946حين كان عدد المسلمين 938418 مسلما، اي حوالي 13.4 %من مجموع السكان البالغ عددهم آنذاك 7029349 نسمة، علما بان عدد سكان بلغاريا حسب احصاء 1975قد بلغ 8728720 نسمة. هذا ويتشكل المسلمون البلغار من اجناس عديدة هم :

1 ـ البلغار الذين اسلموا والذين يطلق عليهم بوماسي (بوماك في اليونان)، وهم يتكلمون اللغة البلغارية ويعيشون في جبال رودوب Rhodopes وفي مناطق رازلوك Razlog ويبلغ عددهم حوالي 150000نسمة.

2 ـ البلغار الذين يبلغ عددهم 600000 نسمة ويتكلمون التركية ويعيشون في الشمال الشرقي (ديلي أورمان Deli Ormani، دبروجا Dobroudja وعلى طول الدانوب)، وفي الجنوب الشرقي من البلاد (الرودوب الشرقي Rhodopes Orientales). ولا تعتبر السلطات البلغارية هذه الجماعة كجماعة دينية بل كاقلية عرقية.

3 ـ هنالك ايضا حوالي 6000 مسلم يتكلمون اللغة التتارية ويسكن معظمهم في دبروجا Dobroudja .

4 ـ كما تجب الاشارة اخيرا الى وجود عدد من المسلمين بين الغجر Gitans ، ولكن يصعب تقدير عددهم.

واذا لم نقل من المستحيل، فمن الصعب جدا تعداد جميع الاجراءات المتخذة سواء لعلمنة المسلمين البلغار أو لتطبيق سياسات تمييزية ازائهم، من بينها اثارة التفرقة بين المسلمين الاتراك والمسلمين البوماك. . . ارغام هؤلاء على ابدال اسمائهم الاسلامية باسماء بلغارية. . . دفع كبار رجال الدين الذين يتم انتخابهم تحت اشراف وبموافقة السلطات للانتماء الى الحزب. . . الغاء الاعياد الدينية. . . عدم وجود صحافة اسلامية. . . استحالة الحج بالنسبة للمسلمين البلغار وكذلك استحالة اقامة الصلوات مع الجماعات الاسلامية في البلدان المجاورة. . تنظيم دروس «الالحاد العلمي» في المدارس و «النوادي الالحادية».

كما ان اوضاع المسلمين الذين يتكلمون التركية تتماوج مع طبيعة العلاقات السياسية بين تركيا وبلغاريا. وهذا ما شجع قيام حركة واسعة لهجرة المسلمين «الاتراك» من بلغاريا، والتي اخذت شكلا فاجعا في شتاء 1950-1951، عندما طردت بلغاريا 155000 مسلم من البلاد. اما هجرة المسلمين الاتراك من بلغاريا، فقد مرت باربع مراحل هي :

1 -- 1945 -- 1949 حالات نادرة ومعزولة للهجرة.

المجر :

لا يمكن اليوم الكلام عن جماعة اسلامية مجرية بل عن حالات انفرادية فقط، بالرغم من ان الوضع لم يكن على هذه الصورة سابقا. فعندما استدعت الحاجة اثناء الحرب العالمية الاولى الى طلب دعم كل القوى، قامت الحكومة المجرية في 1916 بنشر «قانون حول المسلمين» جعل من الاسلام دينا معترفا به في المجر Religion Reconnue وان كان ذلك يعني بأن وضعه القانوني هو اقل من وضع الديانات الاخرى التي منحت وضع الديانات المقبولة Religions acceptées.

رومانيا :

تقدر الجالية الاسلامية في رومانيا بـ 50 الف شخص تقريبا، وهم من الاتراك والتتار. وقد كان عددهم يزيد عن ذلك بعد الحرب العالمية الثانية. وفيما يلي احصائية رسمية عن عدد المسلمين للاعوام 1956 و 1966 و 1977.

	1956	النسبة المئوية قياسا الى مجموع السكان	1966	النسبة المئوية قياسا الى مجموع السكان	1977	النسبة المئوية قياسا الى مجموع السكان
الأتراك	14329	0,08	18040	0,09	23303	0,108
التتار	20469	0,1	22151	0,1	23107	0,107
المجموع	34798	0,18	40191	0,19	46410	0,212

كان للمسلمين في رومانيا ما لا يقل عن ثلاثين جريدة ومجلة صدرت بين 1888 و 1941. اما اليوم فلا يعرف الا عن وجود صحيفة نصف فصلية واحدة تصدر عن اللاجئين التتار في اسطنبول باسم «امل» Emel.

تعيش الجالية الاسلامية في رومانيا أوضاعا صعبة ودفاعية... فلقد اغلقت المدارس الاسلامية منذ 1967.. كما اغلقت الندوة المجيدية في نفس العام ايضا.. ويبدو ان تطورات الوضع الدولي خلال السبعينات وتحسن العلاقات بين رومانيا وبعض الدول الاسلامية والعربية قد دفع الحكومة الرومانية الى ابداء بعض الاهتمام بالمسلمين. فصدر كراس دعائي في 1976 في بخارست عنوانه «المسلمون في رومانيا.. الماضي والحاضر». ويظهر من هذا الكراس انه سمح لعدد من المسلمين الرومان باداء فريضة الحج في عام 1973، كما ان وفودا اسلامية رومانية قامت بزيارات رسمية الى المغرب والعراق ولبنان في 1972 والى مصر في 1973 والى العربية السعودية في 1974. كما اشترك وفد روماني اسلامي في المؤتمر الاسلامي الذي عقد في بغداد في شهر فبراير 1975، هذا اضافة الى ان مفتي كونستانزا Constanza الشيخ يعقوب محمد Iacub Mehmet، شارك

الاسلام والمسلمون في العالم الاشتراكي

هذه المقالة خلاصة لثلاث مقالات منشورة في كتاب «الاسلام والدولة في عالم اليوم» L'Islam et L'Etat dans le Monde D'Aujourd'hui والذي اشرف على اصداره أوليفيه كاريه OLIVIER CARRÉ والصادر عن دار PUF في باريس، عام 1982. اما المقالات الثلاث فهي:

١ - الاسلام والدولة في بلدان جنوب شرق أوروبا، بقلم أ. بوبونيك.
L'Islam et L'Etat dans les Pays du Sud-Est Européen par: A. POPONIC

٢ - الاسلام والدولة في الصين الشعبية، بقلم ف. أوبان.
Islam et L'Etat en Chine Populaire par:F. AUBIN

٣ - الاسلام في الجمهوريات السوفيتية الاسلامية، بقلم أ. بنيسن ولمنسيان قلقجي.
L'Islam dans les Republiques Musulmanes Soviétiques. par: A. Bennigsen et C. Lemencien - Quelquejay.

الواضح من هذه العناوين اذن هوأن موضوع هذه المقالة هو أوضاع المسلمين في بلدان العالم الاشتراكي التي يختلف فيها حجم تواجد المسلمين بين بلد واخر، وهذا ما دعانا الى العرض السريع جدا في حالة بعض البلدان والعرض المفصل في حالة بلدان اخرى.
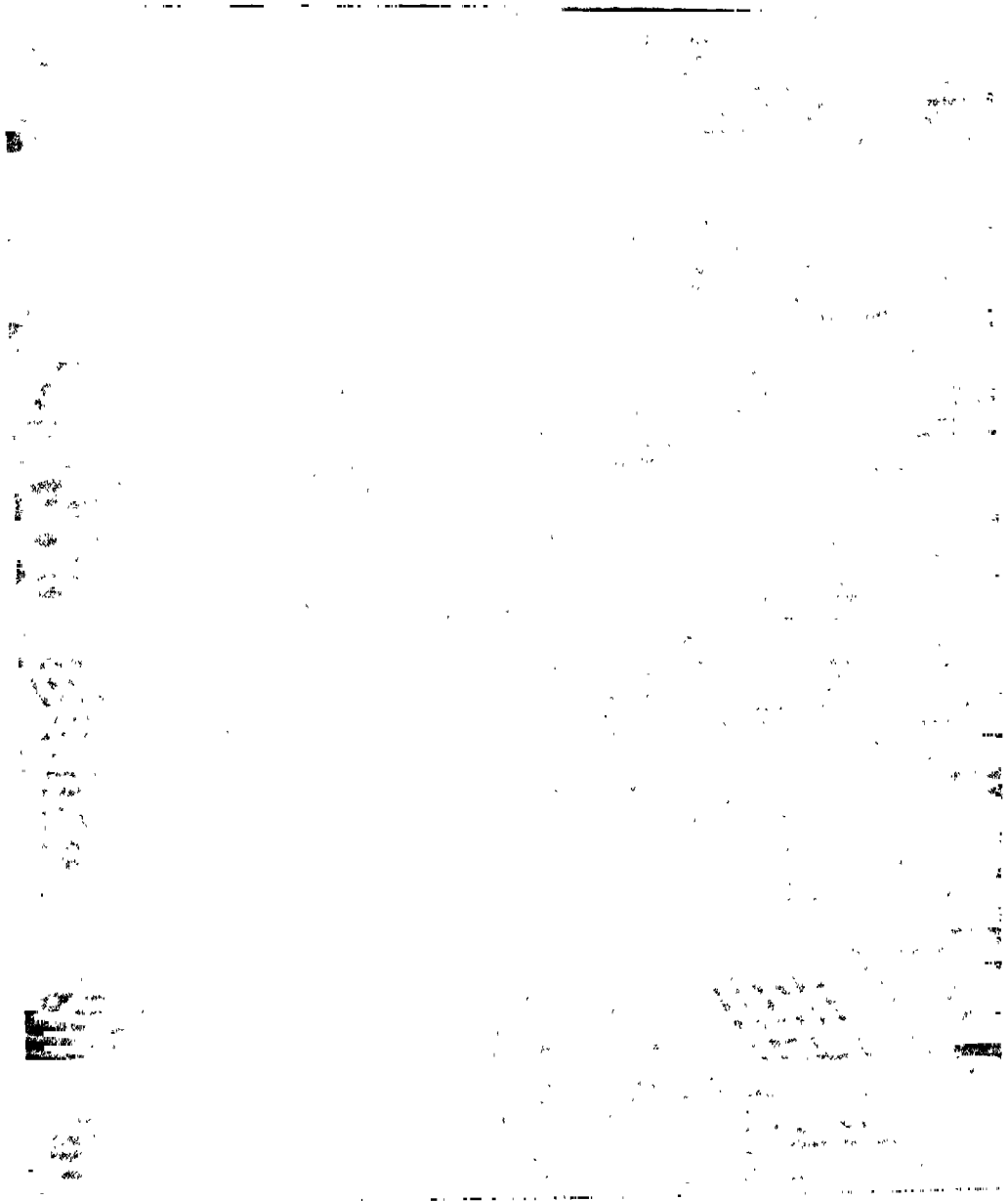
الشكل (4) : زخرفة من الفخار المزجج لضريح عبدالله الانصاري قرب هرات في افغانستان والذي اعاد بنائه شاه رخ في القرن الخامس عشر الميلادي.
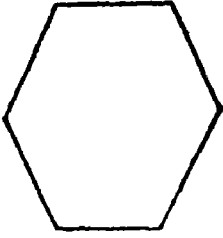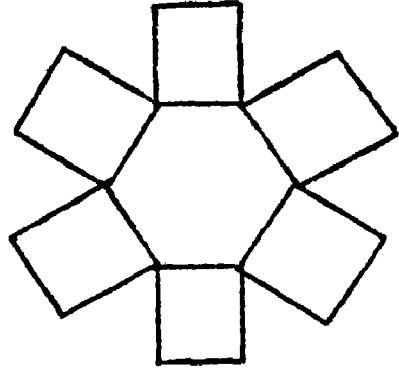
التفصيل (1)
التفصيل (2)
التفصيل (3)
التفصيل (4)
التفصيل (5)
التفصيل (6)
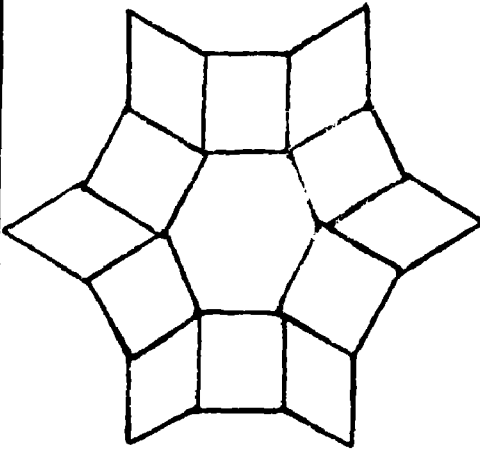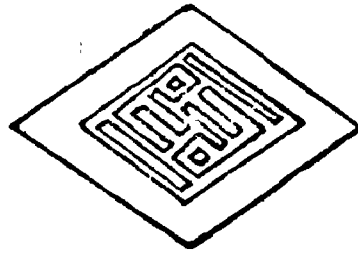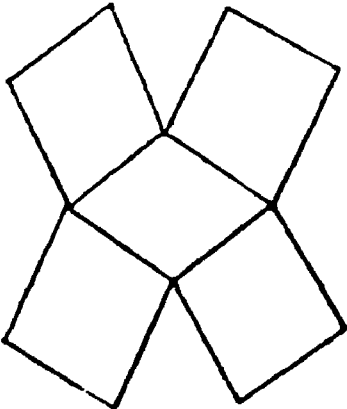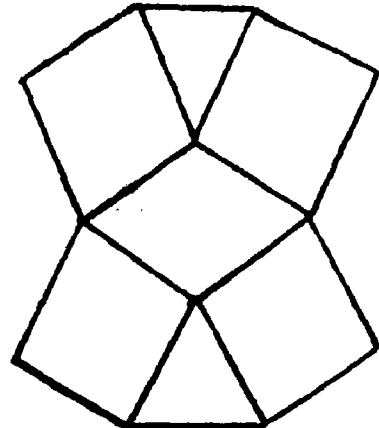
الشكل (٣): جامع قرطبة في اسبانيا.

الشكل (٢): باب مدرسة السلطان حسن في القاهرة وهي مكونة من طلاقتين خشبيتين مغلفتين بالنحاس ومطعمتين بمعادن ثمينة (القرن الرابع عشر الميلادي).

الشكل (١) سجادة بطرّه وسطية، تركيا، القرن السابع عشر الميلادي.
من مجموعة جوزيف ليدز وليام، متحف فيلادلفيا للفنون.

هوامش

1 - انظر ص 81 - 109 في: Ismail R. al Faruqi «Islam and Art», Studia Islamics, Fasc 37. P P. 109 - 81

انظر كذلك Lois Lœmya al Faruqi, «Aesthtic Experience and the Islamic Arts in Islam and the Modern Age Society Delhi

Lois Lamya al Faruqi Deveelopment and the Islamic Arts

راجع ايضا:

محاضرة ضمن اعمال المؤتمر السنوي لرابطة علماء الاجتماع 1977 27 - 35

2 - لقد شُرحت هذه التركيبات في محاضرة ألقيت في الاجتماع السنوي لـ American Academy of Religion, st. Louis, Missouri. وسوف تنشر في مطبوع آخر.

3 ـ ان عدد اسماء الله الحسنى عموما 99 ولكنها في الواقع غير محدودة.

4 ـ اي واحد من المثلثات في شكل 4 يستطيع ان يكون ايضا نقطة انطلاق جديدة لانتشار زخرفي.

5 ـ نجد شيء مماثل في سورة الرعد· الآيتين 2 و 3.

بسم الله الرحمن الرحيم

الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيت لعلكم بلقاء ربكم توقنون (2) وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهرا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى اليل النهار ان في ذلك لآيت لقوم يتفكرون.

6 ـ لقد وصف القرآن بأنه «أول عمل من اعمال الفن في الاسلام» Ismail R. al Faruqi, Islam and Arts ص ٩٥)

7 ـ لاحظ حالة التردي التي يعاني منها الخط العربي في معظم بلدان العالم الاسلامي في هذا القرن وقارنها بما كان عليه هذا الفن من عظمة وروعة في العصور الاسلامية الأولى.

5 ـ ان الاقتراح الخامس هو اعادة انتاج المواد الفنية. والسبيل الى ذلك يكمن في تدريب المحترفين بصورة جيدة. ان الواقع الحالي للتربية الفنية يتلخص في طريقتين للعمل، الاولى تكاد تكون غربية خالصة وان تمت داخل البلاد الاسلامية. والثانية تتم بشكل اعتباطي على يد المعلمين الشعبين بدون اي دعم وتشجيع من قبل المؤسسات الحكومية والخاصة (7)* ان الاشخاص الذين يتحدون الحالة العامة الرافضة للفن يجدون انفسهم مجبرين على الذهاب للخارج لغرض التدريب الاحترافي وعندما يعودون الى بلادهم يجدون انفسهم اكثر غربة عما كانوا عليه قبل تركهم لاوطانهم وذلك بسبب تأهيلهم غير الاسلامي الذي تم مثلا في أوروبا الغربية أو روسيا أو امريكا. قسم قليل جدا من هؤلاء ينجح في «هضم» التأهيل الاجنبي ليستطيع فيما بعد انتاج اعمال اسلامية حقيقية.

نحن لا نتوقع ان تقوم كافة المؤسسات التعليمية في العالم الاسلامي بتوفير برامج تدريبية للموسيقى وللفن المعماري والفنون البصرية. ولكن ليس من الكثير ان نقترح قيام مؤسسة تعليمية واحدة في كل بلد اسلامي بوضع برنامج تأهيلي لتخرج المحترفين لمختلف الفنون يكون مبنيا على الاسس الجمالية الاسلامية. ان تدريب الاطفال في المدارس وعلى كافة المستويات سيخلق في المستقبل جمهورا واعيا في ميدان الفن الاسلامي وهذا بدوره سيصبح حافزا ثانيا لابداعات فنية جديدة حيث سيخلق هذا الوسط المتنور بتقديره العالي للفنون مجالات واسعة أو فرص عمل تدفع الفن الاسلامي الى آفاق ابداعية جديدة. ان اقامة مؤتمرات دولية للفنانين لتشجيعهم ولتقوية اهتمامهم بالمبادىء الحقيقية للفن الاسلامي سيكون عاملا جديدا في اعادة انتاج اعمال فنية ذات طبيعة وخواص اسلامية بحتة. ان المعارض والمحاضرات والنقاشات التي تتم في هذه المؤتمرات يجب ان تبين للفنانين وللجمهور علاقة مختلف الفنون بالتوحيد. ان على هذه المؤتمرات ان توفر ثقافة ناضجة وموثقة حول الخصائص الشكلية والمضمونية التي توضح هذه العلاقة في كل فرع من فروع الفن وفي كافة الاقطار التي يمثل المسلمون فيها اغلبية سكانية.

ليس هناك طريقة اكثر صحية من هذه في تعزيز وتشجيع الوعي والتضامن والوحدة بين شعوب العالم الاسلامي. ليس هناك برهان اكثر وضوحا من هذا في اقناع الفنانين وغير الفنانين في امتنا بأن الاسلام يعمل ويؤثر في كل جانب من جوانب حياة الفرد المسلم.

ترجمة بتصرف من «Islamic Culture»
ص 21-35 المجلد 36، العدد 1، يناير 1982. حيدر آباد، الهند.

«ترجمة» للمثل الاسلامية والرسالة المحمدية. نحن لا نستطيع مواصلة دس رأسنا في الرمال لكي لا نواجه المهمة الصعبة في فرز اي من الفنون صالح واي منها لا يتلائم مع الفكر والثقافة الاسلامية ـ يجب ان نتذكر دوما بأن نزوع الانسان نحو الخلق الفني هو حالة قديمة كقدم اول الوثائق التي وصلتنا حول النشاطات الانسانية في التاريخ البشري. ونحن باهمالنا توجيهه وقيادته نحو الخلق الفني سوف لن نجعل منه حالة خامدة بل على العكس ستقوم قوى أو شعوب أو اديولوجيات اخرى بايقاض وانعاش حالة النزوع هذه لاهداف سوف لن تكون بالتأكيد بمستوى نبل اخلاقنا واهدافنا.

2 ـ على مؤسساتنا التعليمية والعاملين فيها القيام بتهيئة برامج وبحوث لكي تساعدنا على تشخيص تلك النتاجات الفنية الملائمة لرسالة التوحيد ولنهضة الشعوب الاسلامية. ان هذا ممكن فقط بدراسة معمقة وشاملة للقرآن الكريم وللحديث النبوي. يجب ان يكون هدف هذه الدراسات ليس فقط اكتشاف المحرمات والوصايا والقواعد الدينية المبينة في مصادر ارشاد المسلمين هذه بل ايضا في اكتشاف اشكال مساهمة القرآن بصفته المثل الاعظم لذروة الابداع الادبي الاسلامي (6)* في رسم معالم الطريق للخصائص الفنية شكلا ومضمونا والتي يجب تشجيعها في كافة الفنون الاسلامية. ولكن كيف يمكن لهذا الشيء ان يتحقق ومجالات البحث والاجتهاد في الفنون الاسلامية لازالت حكرا بيد المؤرخين غير المسلمين كما هو معلوم للجميع. الشيء الذي جعل مادة تاريخ الفن الاسلامي تكاد ان تكون نظاما غربيا خالصا. ونحن لسنا في هذا الصدد بحاجة الى تذكير القارىء بالمفاهيم الخاطئة حول الفن الاسلامي والتي تملأ اعمال هؤلاء الباحثين بالرغم من ذكاءها وشموليتها.

3 ـ المقترح الثالث هو اعداد مواد فنية وكتب دراسية جديدة للطلبة بكافة الاعمار. لكي تكون هذه الكتب والمواد فعالة ومؤثرة يجب ان لا تحتوي فقط على نصوص كتابية اسلامية فيما يتعلق بالفنون بل يجب ان تكون بالاضافة الى هذا مليئة برسوم جذابة تبين نماذج واقتراحات لمشاريع ابداعية فعلية يستطيع الطلبة ان يشاركوا فيها بصورة فعالة. ان الباحثين غير المسلمين سوف لن يقوموا ابدا بهذه المهمة بدلا عنا، وسوف لن يستطيعوا القيام بها حتى وان ارادوا ذلك.

4 ـ في الوقت الذي نوفر مادة لتدريس الفن الاسلامي علينا ان ندرب أساتذة للدراسات الابتدائية والثانوية والجامعية متخصصين في هذا الباب ـ كيف يمكن للمعاهد الغربية ان تدرب هؤلاء الناس من اجلنا وهي تتعامل مع الفن الاسلامي بصفته تعبيرا جماليا بدائيا لم يصل بعد الى تقنية وكمال الفن الغربي أو ترى فيه حالة غير قابلة للتألق بسبب الحظر الموروث ضد الفن التصويري. ان المدرسين الذين يدربون على مثل هذه المفاهيم سيدمرون بلا شك الفنون الاسلامية بدلا من ان يشجعوها.

ان شرط نجاحنا في ادخال الفن الاسلامي الى قلوب المسلمين وجعلهم قادرين على تذوقه بصورة صحيحة مرتبط بنجاحنا في تأهيل مدرسينا بهذا الخصوص. كذلك سوف لن يكون بأمكاننا تدريب ذوق الجمهور بدون ان يطالب هذا الاخير بكتب معاصرة ذات طابع اسلامي خالص حول الفنون، وبدون جمهور يتمتع بوعي جمالي عالي سوف تذهب كافة المنافع التي تستطيع الفنون تحقيقها لمجتمعاتنا الاسلامية ادراج الرياح.

وحول مبادىء ديننا الحنيف سوف لن يكون لها التأثير اللازم على المسلم اذ كان هذا يمضي ما تبقى من الاسبوع وهو لا يعيش كمسلم وكموحد في منهج حياته اليومي. ان الفنون الاسلامية تستطيع ان تمارس دورا اساسيا لو شجعت أو دفعت للانتعاش عبر استعمالها طريقا وواسطة لترفيهه والانعاش الجسدي والروحي.

5 ـ واخيرا، تستطيع الفنون ممارسة دورا خطيرا في حياة المجتمعات الاسلامية داخل العالم الاسلامي وخارجه عبر توظيفها في التربية الاسلامية للطفل. ان كل امرؤ يعلم مدى صعوبة ايصال الخطاب الاسلامي اللفظي للطفل. بالرغم من هذا لم تبادر الى حد الان مؤسساتنا التعليمية (الا في حدود ضيقة جدا) الى استعمال الفن الاسلامي كاسلوب في تعميق المبادىء الاسلامية في وجدان الطفل. اين هي المدرسة في العالم الاسلامي (دعك من اطفالنا المحرومين في اميركا الشمالية وأوروبا) التي تأتي بآنية معدنية مكفته الى الفصل لكي تدرب الأطفال على تذوق فن الزخرفة الاسلامي الجميل ـ اين هي مدارسنا وكلياتنا التي تضم في مناهجها الدراسية برامجا حول الفن الاسلامي وليس الغربي ـ في اي بلد اسلامي يدرس الخط العربي بصفته تعبيرا فنيا راقيا لتهذيب وتربية الذوق الفني للناشئة. كيف واين سيتأتى لشبابنا معرفة وتثمين التراث الاسلامي في الفن أو تطوير معيار ذوقي وجمالي يمكنه من فرز الغث والسمين في الفن الاسلامي؟ لقد انتج لنا هذا الواقع جهلا هائلا من الفن مما جعل المسلمين غير قادرين على التمييز بين ما هو راقي وسامي من الفنون والتي تخدم رسالة التوحيد وبين التقليد الرخيص الذي يثير الاحاسيس الوضيعة. اصبح المسلم غالبا ما يعتمد في تقيمه للفن معيار حدسي خالص، وهذا ما يقوده في كثير من الاحيان نحو تبني الحل السهل ولكن غير الجدي في الوقت ذاته وهو اعتبار كافة الفنون غير مجدية. اذ استمر اطفالنا يربون في مناخ غير اسلامي في المدارس ولا يمنحون التأهيل اللازم لمواجهة التأثيرات الغربية فان رجال الغد سيفقدون على الارجح حتى الحدس الفطري في تقيم تراثهم الفني وسنكون بهذا قد دمرنا حلقة اخرى من السلسلة التي يجب ان توحد جوانب حياتنا كمسلمين.

اقتراحات لغرض التطبيق في المجال التعليمي والتربوي

لقد رأينا كيف يمكن لفهم عميق لتراثنا الفني ان يلعب دورا مهما في التربية الاسلامية. ما هي اذن الاقتراحات التي يمكن ان نطرحها لاولئك المهتمين بتطوير المناهج التعليمية في عالمنا الاسلامي؟ ما هي احتياجات المجتمع الاسلامي في مجال تعليم الفنون الاسلامية؟ ما هي الخطوات الواجب اتخاذها لكي تصبح التربية الذوقية والجمالية عاملا مهما في مواجهة حالة نزع الهوية الاسلامية عن المسلمين؟ ولكي نستطيع ان نجعل من مختلف جوانب حياتنا وفعاليتنا الانسانية وحدة واحدة متماسكة على طريق الاسلام.

1 ـ ان اول خطوة يجب اتخاذها هي في ازالة ـ كافة اشكال الاحكام المسبقة والتحامل على الفنون ـ يجب ان نفتح اذهاننا لاكتشاف الفضائل الحقيقية للفن بصفته انعكاسا او

جل جلاله وتعطيه شعورا بالدهشة والرهبة وبالقدرة غير المحدودة لهذا الخالق المبدع. كنا قد دربنا وعلمنا كيف نفهم الانماط الزخرفية الاسلامية بصفتها رموزا تمثيلية لمبادى ديننا الحنيف لاستطعنا ان نفهم بشكل اعمق الرسالة السماوية على مستوى التجربة الحسية والوجدانية.

3 ـ ان موضوع قدرة الفن الاسلامي على خلق مناخ ايحائي وتعبيري راقي لاعمق مفاهيمنا الدينية، تقودنا الى تشخيص دور آخر مهم للفن وهو قابليته على الانعاش الروحي والنفسي. ان وطأة الحياة اليومية وما تحمله في تفاصيلها من خيبات امل واخفاقات قد تخلق لدى الفرد شعورا مضنيا بالاحباط والمرارة مما يدفعه الى التساؤل عن معنى وجدوى كفاحه في هذه الدنيا. وقد يربط هذا التساؤل بمعنى وغاية المصير البشري ككل ولكن عندما يرى المسلم المرهف الحس نفسه محاطا بانماط الفن الاسلامي السمعي والبصري (سواء كانت هذه الانماط ممثلة بتجويد مبدع للقرآن الكريم او تقاسيم موسيقية اسلامية أو بناية مستوحاة من المعمار الاسلامي أو لوحة ذات بعدين بالوان جميلة) فانه سيجد حتما ما يربط هذه الاشكال والزخارف الاسلامية المتداخلة والمتلاحقة بعالم متداخل من الله والانسان ـ حيث ستذكره هذه الاشكال بتنوعها الجميل بالقدرة غير المحدودة لله سبحانه وتعالى الذي يسير كل شيء وفق خطة حكيمة ودقيقة بالرغم مما قد تبدو عليه التجربة اليومية للانسان من محدودية وضيق. وهنا ستحقق حالة الانعاش الروحي والنفسي وسيجد المسلم ان ايمانه بجدوى الحياة قد تجدد، وانه ليس مجرد قشة في التاريخ لاحول لها ولا قوة بل عنصر لا غنى عنه في المصير والمستقبل البشري وجزء من التصور الألهي للخلق. وهذا سيعيد ارتباطه بالعالم وما يحيط به ويسمح له بالعودة الى شؤون الحياة اليومية الصغيرة وهو على يقين بأنه من خلالها سيستطيع ان يساهم ايضا في عمل الصلاح وفي تحقيق ارادة الله جل جلاله.

4 ـ ان الفنون الاسلامية تستطيع ان تساهم في توحيد جوانب حياتنا المختلفة وذلك عبر دمج أوقات الترويح عن النفس والراحة بالجوانب الاخرى من حياتنا. ان الكثير من المسلمين يصرون على ان الاسلام لا يحدد لنا واجباتنا الدينية فقط ولكن فعالياتنا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. في الواقع ان الاسلام لم يكن ابدا «دينا» (Religion) بالمفهوم الغربي الضيق للكلمة. ولكن نهجا متكاملا في الحياة. واذا اعترفنا بهذا وجب علينا القول بأن اسباب التسلية والراحة يجب ان لا تنفصل عن الجوانب الاخرى من الشخصية الاسلامية اي يجب ان تستلهم التوحيد وتنبع منه. مع هذا لم نعمل الا الشيء القليل جدا في توفير جوانب التسلية الاسلامية للجمهور المسلم بمختلف الاعمار. نحن نسمح لاولادنا ولانفسنا وللاخرين بقضاء الساعات الطوال في مشاهدة التلفزيون أو السينما او الاستماع الى المذياع في حين ان هذه الوسائل لا تعمل في تحييد الذوق العام فحسب بل تعرض شخصية المستمع أو المشاهد الى تأثيرات خطيرة على المستويات الفكرية والثقافية والاجتماعية. ولا داعي لان نذكر انفسنا بعوامل التهديم المدمرة التي تنتجها موضوعات العنف والجنس والتي اصبحت المكونات النمطية للبرامج الترفيهية في الثمانيات. مما جعل كافة الصحف والمجلات تتناول بشكل لا ينقطع نتائج هذه المشكلة. متى سنصحو اذن ونعترف ان خطبة الجمعة حول التوحيد

كنقطة انطلاق للعين لوجدنا انه بالاضافة الى ان هذا الشكل يعتبر بذاته زخرفة نمطية نباتية وزهرية فهو في الوقت نفسه عنصر مركزي تنبعث منه اشكال رباعية الاضلاع تحتوي على زخارف هندسية (تفصيل ـ 2) ولو اضفنا الى التكوين السابق الاشكال الخطية المعينية لاصبح لدينا مشروع زخرفي قابل للتوسع الى ما لا نهاية (تفصيل ـ 3) لكننا لو لم نأخذ الشكل السداسي كنقطة بداية واخذنا بدلاً عنه الشكل المعيني الذي يحتوي على كلمة الله (تفصيل ـ 4) لوجدنا انه انطلاقا من هذا الشكل كمركز اساسي سيتكون لدينا تشكيل جديد بعد اضافة الاشكال الرباعية الاضلاع التي ستكون الجوانب الاربعة للمعين (تفصيل ـ 5) ولو رغبنا ان نوسع التركيبة الزخرفية لهذا الشكل فباستطاعتنا عندها ان نضيف اليه مثلثين اضافيين فيصبح لدينا بذلك تكوين جديد (تفصيل ـ 6). ويمكن مواصلة رحلة الابداع هذه باضافة الاشكال السداسية الاضلاع الى مجموع تركيبة الشكل السابق لنجد انفسنا مرة اخرى امام هذا الينبوع المدهش من الحيوية الدائمة والخصوبة التي لا تموت. (4)*وتستمر حالة الاكتشاف خارج حدود اللوحة لتتتابع وتتكاثر في خيال ووجدان الانسان «مترجمة» من خلال لا محدوديتها مفهوم التوحيد عبر الانماط الزخرفية الاسلامية.

2 ـ ان الدور الثاني الذي يمكن ان يلعبه الفن في حياة الامة الاسلامية هو في «فتح الباب» للغوص في اعماق المعاني وتهذيب الحدس والدعوة الى التأمل الشيء الذي ليس من السهل تحقيقه من خلال الشروحات العقلانية والمنطقية. ان وقوف المسلم جنبا الى جنب مع اخيه المسلم في الصلاة يوفر له تجربة حسية عميقة لمعنى الاخوة الاسلامية وعما تعنيه امة الاسلام في العالم. وهذه التجربة الحسية أو الوجدانية هي التي تعمق وبشكل تلقائي ومباشر فهمه للخطاب الاسلامي *الذي يدعو الى اخوة المسلمين والى وجود امة اسلامية واحدة في العالم كله. ان تأثير عمل فني راقي سيكون له نفس الاثر السامي في «ترجمة» ونقل الكلام الاسلامي الى مستوى تجربة وجدانية عميقة يعيشها الانسان المسلم ذو الحس المرهف. وهكذا فان قراءة فصل من السيرة النبوية سيثير بلا شك انفعالات عظيمة لدى المسلم او المسلمة ولكن هذه الانفعالات ستصبح اكثر حدة وعمقا حين تقرأ وتغنى قصيدة حول النبي (ﷺ).

ان المقاطع القرآنية التي تدعو المسلم الى تأمل عظمة الخالق من خلال الانسجام والتوافق المذهل الذي يميز فعالية الكون: الشمس والقمر (سورة يونس: (5)) الليل والنهار (سورة يونس: (6)) سورة الاسراء: (12) المطر والفصول (سورة فصلت: (39) سورة الجاثية: (5)) الحيوان والخلائق (سورة الجاثية: (4)) - انها «آيات للمؤمنين» و «آيات لقوم يعقلون» تبين عظمة الله سبحانه وتعالى في خلقه المبدع لهذا الكون. (5)*

لكن ماذا سيحدث لو قرأنا او سمعنا هذه الايات العظيمة ونحن نتأمل في عين الوقت زخارف اسلامية بانماطها الجميلة المتشابكة والمتداخلة حيث تنتقل العين بانبهار من شكل الى آخر بتتابع لا ينضب. انها تذكرة جميلة لابداع الله سبحانه وتعالى في خلقه. ان استحصار هذا الكمال المتمثل في أدق الاشياء كما في أعظم المجرات له تأثير بالغ على المسلم المؤمن حيث تدفعه بشكل لا يقاوم شيئا فشيئا الى تأمل سمو وتعالى الله

عليه. كذلك لم يهدف الفنان المسلم في ميداني الشعر والملاحم الى ابراز وتضخيم الذات البشرية والخوض في تفاصيل دوافعها النفسية على حساب الكل الجمعي الذي أصبح الابداع فيه يعتبر بحق المحك الحقيقي والاصيل لموهبة الفنان المسلم وفي الموسيقى جرى الابتعاد عن الايقاع المبتذل والمزاجية الرخيصة لصالح تركيبات نغمية سامية تنسجم مع روح الفنان المسلم المنغمسة في الذات الالهية. وهكذا فان التعبيرات الحسية الواطية والمحاكاة المباشرة للواقع يشكلان في الحقيقة اهانة للمشاعر الدينية العميقة للمسلم ولابداعية الفنان المسلم المشروطة بايمانه الديني.

ليس المضمون في الفن الاسلامي هو الجانب الوحيد الذي يعزز مفهوم التوحيد. ان الهيكل التركيبي او الشكل (اي طريقة عرض المضمون) لا يقل دورا وفعالية في ترجمة رسالة الاسلام التوحيدية الى رسالة جمالية. يتضمن الفن الاسلامي في الموسيقى وفي الادب وفي المعمار بنى وانماط وهياكل تركيبية محددة تكرر في كافة الحقول الفنية (2)* . وبغض النظر عن أيها يختار النحات أو المعماري أو الحائك أو الخطاط أو الشاعر او الموسيقي يبقى هدف التركيبات الزخرفية الاسلامية هو في توفير احساس لدى الناظر أو السامع بلا نهائية النمط الزخرفي المعروض.

وهكذا فان لا نهائية الذات الالهية كما تتجلى في صفاته (3)*واسمائه الحسنى عز وجل تكرس وتعزز من خلال الانماط الفنية البصرية والسمعية. وبغض النظر عن المجال الذي تستعمل به (سجاد أو خزفا أو عرضا موسيقيا) فان الانماط الزخرفية الاسلامية لا تولد لدينا احساسا ببداية أو نهاية ففي كل هذه المجالات نرى انفسنا خاضعين لانطباع محدد هو ان النمط الزخرفي يمتلك بالضرورة قوة هائلة على التواصل والاستمرار خارج حدود الاطار الموضوع له. ان الطرة الوسطية المبينة في شكل رقم I مثلا المكررة في الاعلى والاسفل والطرر النصفية على جانبي السجادة تولد لدينا الانطباع بأن هذا النمط يستطيع ان يستمر وان يتكاثر الى ما لا نهاية. ونجد انفسنا امام تأثير مماثل حين ننضر الى الباب النحاسي لمدرسة السلطان حسن في القاهرة (القرن الرابع عشر الميلادي) ـ شكل رقم 2 . من ناحية اخرى نرى ان التلاوة القرآنية أو القصيدة المقروءة أو المغناة تعرض على الدوام سلسلة من المقاطع الادبية الغنائية الرائعة والتي لا يقودنا اي مقطع منها الى احساس بالخاتمة وهكذا فان من الممكن دائما اضافة اية اخرى أو بيت آخر لهذا التعبير الفني بنهاياته الغير قابلة للانغلاق.

وفي المعمار الاسلامي بابعاده الثلاثة تواجهنا مرة اخرى نفس الحالة. فالناظر الى الاروقة والاقواس في جامع غرناطة ومن اية زاوية كانت (شكل 3) يجد ان هذا النمط المعماري الرائع يتكرر بتلاحق يبهر الانفاس. نفس الشيء يؤكده جامع شهزادة في اسطنبول. ولكن الفنان هذه المرة يبدع تتابعا وتكررا ليس في الاقواس أو في الاروقة بل في المساحات، فمن القبة المركزية الى اشباه القبب الى فتحات النوافذ يخلق انفجارا حقيقيا في الحيز المكاني.

مثل آخر على النمط غير المتناهي هو تعددية المركز في الزخرفة الاسلامية وشكل 4 يعطينا برهان ذلك في تصميم على الفخار المزجج لضريح عبد الله الانصاري قرب هرات في افغانستان. فلو اخذنا ايا من الاشكال السداسية الاضلاع (تفصيل ـ I)

استثناء تقريباً فشلوا في ان يرووا في الابداع الفني للشعوب الاسلامية غير بدائل فقيرة للفن الغربي. وعندما يدرج الفن في المناهج الدراسية للمعاهد والمؤسسات التعليمية في بلداننا لغرض الثقافة العامة أو التخصص فنحن لا نجد غير التدريب على اصول ومنهج الفن الغربي. ومنذ المراحل الدراسية الاولى يكيف ذهن الطفل على ان الرسم التصويري هو الفن وان الاشكال التجريدية للفن الاسلامي هي مسألة ثانوية يمكن اهمالها، وهكذا نجد ان كل معرض أو متحف للفنون الحديثة في العالم الاسلامي يضم مجموعات محلية تحاكي بشكل كاريكاتوري في اغلب الاحيان الفن الغربي الشيء الذي يكاد لا يشكل اي عامل جذب او اثارة للجمهور المسلم.

قد يقول البعض منكم ان الفن كله هو غير اساسي بل وغير نافع وان الانشغال بالاعمال الفنية وتقييمها وخلقها، كل ذلك مشاغل تضر بالنقاء الديني للفرد والمجتمع. لكي نتعامل مع مثل هذا الموقف ونبين صوابه من خطئه فانه من الضروري ان نعلم كيف يعمل الفن في مجتمع ما وما هي فوائده. بهذا فقط نستطيع ان نحدد الدور الذي يجب ان يلعبه في مناهجنا التدريسية المقبلة في عموم العالم الاسلامي وما هي الخطوات الواجب اتخاذها لتعزيز هذا الدور.

2 ـ دور الفن في المجتمع الاسلامي

1 ـ ان اهم دور مارسه الفن في المجتمع الاسلامي هو في قابليته على تقوية وتعزيز رسالة التوحيد. ولكن كيف يمكن للوحة أو لبناية أو لموسيقى ان تعزز حقيقة دينية؟ لكي نجيب على هذا السؤال يجب الا ننسى ان رسالة التوحيد لا تقبل اي خلط بين الخالق وبين خلقه، ان الله سبحانه وتعالى هو الواحد الاحد ولهذا كان المسلم في السابق عندما يريد ان يعبر عن أعمق افكاره ومعتقداته بصورة جمالية لم يختر مطلقا اسلوب المحاكاة في تصويره للانسان أو لسائر مظاهر الطبيعة كموضوع أو مضمون لفنه. وبما ان القرآن الكريم يقول لنا. . . «لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار. . .» الانعام: 3

ادرك الرجل المسلم العبثية أو حتى الكفر المرتبطين بكل محاولة لتخيل الله بشكل مرئي. وعلى هذا الاساس لم تكن افكاره عن طبيعة الوجود والانسان قادرة على التعبير عن نفسها بنجاح من خلال صور آدمية أو حيوانية أو بمشاهد واقعية من الطبيعة لقد كان في حاجة الى خلق اسلوب جديد في توجيه افكار الانسان نحو السمو والتعالي وجاء حله عبر خلق انماط متداخلة عرفت بالزخرفة العربية (arabesques). ان هذا الحل لم يكن رد فعل فاقد الحياة ازاء الممنوعات والمحرمات الشرعية بل شكل جوابا ايجابيا وابداعيا لمسألة التعبير الفني. (1)*

ان هذه الانماط المتداخلة مكونة من مفردات غنية من الاشكال الهندسة والنباتية والخط العربي. ونجد ان الفنان المسلم لم يتورع في بعض الاحيان عن استعمال اشكال آدمية وحيوانية على صفيحة معدنية أو في المنمنمات ولكنه كان يجد نفسه دائما ينحو ـ بصورة واعية أو غير واعية ـ نحو تفريغ الصورة من شكلها الواقعي والطبيعي ومنحها ملامح وصفات أصبحت من الخواص الثابتة والاصيلة في فهم الفن الاسلامي والتعرف

دارت الكثير من النقاشات حول ما اذا كان انحطاط أوجه الحضارة السياسية والمادية قد أدى الى انحطاط روحي أو العكس. في جميع الاحوال نحن نعلم بأنه خلال القرون الماضية تردت قوة المسلمين وان هذا قد صوحب بانحطاط مماثل في ذوقهم الجمالي وفي ابداعهم الفني. نتيجة لكل هذا نجد الكثير من أدبائنا ومعمارينا ونحاتينا وحرفيينا والمغنين وأصحاب الفنون الصناعية قد إنجرفوا باتجاهات تغلبت فيها الاهواء والنزعات الحسية المباشرة. وقد وجد المسلمون انفسهم شيئا فشيئا غير قادرين على التمييز بين الحسن والسيء في التعبيرات الفنية الجديدة. نتيجة لذلك بدؤوا يتساءلون عن جدوى الفن كله.

وعندما دخل الاوروبيون المستعمرون الى العالم الاسلامي ساهموا وهم الغرباء في تجذير المشكلة أكثر فأكثر (وذلك بالاضافة الى انهم كانوا المسؤولين المباشرين عن الانحطاط الذي تكلمنا عنه مسبقا) وشكلوا المصدر الثاني الخارجي للانحطاط الفني عندما. لم يستطيعوا وهم الوافدون من محيط مختلف تماما فهم الفنون الاسلامية التي بدؤوا يتعاملون معها في المناطق المستعمرة. لم يكن بمستطاعهم رؤيتها الا من خلال النظرة المحكومة بكل ثقل أعرافهم وقيمهم وانماطهم الثقافية وبمقارنة هذه الفنون بالنماذج الفنية الغربية المسيحية كانوا يجدون على الدوام عيبا ما في فنوننا ولغرض خدمة مصالحهم السياسية والتبشيرية قاموا بالاضافة الى ذلك بدفعنا الى نبذ تقاليدنا الفنية والجمالية وتبني القيم العائدة للمستعمر الاوروبي. اي طريقة أجدى من هذه لقطع المسلمين عن جذورهم ودفعهم الى التفكير بأن انجازاتهم الفنية كانت في أحسن الاحوال غير ذات اهمية وفي أسوأ الاحوال تخريجات بدائية متخلفة؟ اي طريقة اجدى لفصلنا جماليا عن علاقتنا بالقرآن، ذلك الابداع المقدس في ثقافتنا الاسلامية من ان يقحموا في عقولنا فكرة دونية وتخلف أدبنا أمام آداب الغرب. اما نحن ومن مواقعنا الضعيفة فاننا لم نستطع ان نجابه هذه الهجمة او ان نقوم بحملة مضادة لافهام المسلمين اهمية الفن الاسلامي وعلاقته بالقرآن والتوحيد.

ليس من المستغرب مع هذه الضغوط الخارجية والداخلية التي تواجه الفنون الاسلامية ان نجد ان حقل الفعاليات الفنية في عصرنا الراهن لا ينتج الا عددا قليلا من النماذج التي تضاهي تلك التي كان المسلمون يبدعونها في عصورنا المجيدة. قليلون هم المسلمون الذين يستطيعون التحدث بذكاء عن الفنون السمعية أو البصرية واكثر هؤلاء هم في الحقيقة عبيد للاطروحات الغربية عن الفن. وان تكلموا عن الفن الاسلامي فان كلامهم لا يتعدى حالة الانبهار السطحي الذي قد نجده عند طلبة المدارس. انهم يبدون غير واعين تماما لهذه التركيبة المريضة الغير المتجانسة. ان المؤسسات التعليمية العامة والخاصة تهمل اهمالا تاما الفنون الاسلامية باستثناء الادب، وحتى هذا الاخير لم ينج من ايادي مربينا العصريين ورجال الادب الذين يدعون الى ترجمة وتدريس الادب الاوروبي دافعين بأدبنا الى اسفل السلم بدلا من ان يصبوا جهودهم لنشر وتعريف روائع الأدب الاسلامي وعلى رأسها القرآن الكريم. وباستثناء هذا الحقل الاخير نجد معظم الذين يكتبون عن الفن الاسلامي هم من الغربيين غير المسلمين بصورة عامة. وهم وان قاموا بجهود ضخمة في جمع وحفظ الاعمال الفنية الاسلامية الا انهم وبدون

الدور الديني والتربوي للفنون الاسلامية

(بعض المجالات التطبيقية)

لُيس لمياء الفاروقي*

1 ـ الحالة الراهنة :

خلال القرون القليلة الماضية تعلمنا نحن المسلمين ان نحتقر الفنون السمعية منها والبصرية. وفي الواقع اننا لن نعدو الحقيقة اذا قلنا ان حقل الفنون في التربية الاسلامية المعاصرة وفي الحياة الاسلامية بصورة عامة أصبح مجالا منكوبا، فالكثير منا نشأ في العالم الاسلامي وهو يعتقد ان الشعر ما هو الا تلاعب بالالفاظ وبأن الفنون البصرية تلهي العابد عن التأمل وان الموسيقى هي حافز للانحلال الخلقي. ان هذا الاحتقار جاء من مصدرين :

ـ المصدر الاول داخلي يتعلق بالوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للعالم الاسلامي خلال الحقبات الماضية. وليس هناك من شك في ان التاريخ الاسلامي في الفترة الماضية كان يعبر عن حالة من الانحطاط العام باستثناء بعض النقاط المضيئة هنا وهناك والمعبرة عن اصلاح حقيقي ونشاطات بناءة. سوف لن ندخل في الاسباب الكثيرة والمنوعة لهذا الانحطاط، ولكن المهم تذكره في هذا الباب ان فترات الانحطاط لا تشهد فقدان الشعب لقدراته وابداعاته في المجالين السياسي والاقتصادي بل حيويته الروحية والفنية ايضا. هذه هي الحالة بلا شك في العالم الاسلامي فالصراعات السياسية والفشل الاقتصادي في الحقبات الراهنة قد صاحبه تراجع وانهيار في الثقة والقوة التي كانت تميز انجازاتنا الروحية والاجتماعية والفنية خلال عهودنا الزاهرة. لقد

* باحث ومؤلف متخصص في الفن الاسلامي واستاذ جامعي في مادة الفن وعلم الديانات في جامعة تمبل في فيلادلفيا.

الـــهـــوامـــش

1 ـ هنا تجدر الاشارة الى ان العلاقات الدبلوماسية كانت مقطوعة بين فرنسا والفاتيكان خلال الفترة 1904 - 1920 ، كما ان الموجة العلمانية كانت خلال تلك الفترة في صعود .

2 ـ كتب بول كامبون Paul Cambon وهو من الدبلوماسيين المختصين بشؤون الشرق، وذلك في 9 اكتوبر 1918 ما يلي :
افضل ما في الأمر اننا لم نقم بأي عمل جيد في سوريا منذ اعوام . . . لا توجد حماقة لم نرتكبها بينما نتكلم اليوم في صحفنا عن الضم والحماية . ان هذه الكلمات تثير العرب الذين يجب ان نستعمل هذه الكلمات معهم بحذاقة لا يمتلكها افراد سلكنا السياسي .
ولسوء الحظ ، فان كليمنصو لا يهتم ابدا بالشرق . . . . وبما انه لا يوجد غيره في الحكومة ، فاننا بأعمالنا نعد لأنفسنا مشاكل كثيرة وخيبات امل كبيرة .
(من كتاب كامبون المعنون : (مراسلات 1870 - 1924) الجزء الثالث، ص 143 . باريس 1940)

3 ـ خلال اجتماع اللجنة في (15 مايو 1920) ، لم يتردد بعض المتكلمين ، كالكونت شابان Chabannes ـ والقس لاجير Lagier والسيد تاسارد M. Tassard، بالمطالبة بتوسيع ما تحتله فرنسا في الشرق ليتعدى سوريا وسلوقية الى كردستان وارمينيا وحتى بحيرة فان بل وحتى ما وراء الحدود الايرانية .

4 ـ انظر الكونت غونتوبيرون ـ كيف حلت فرنسا في سوريا (1918 - 1919) باريس ، 1922 ، ص 235 .

5 ـ حول هذا الموضوع راجع هوارد
. H.N. Howard «the King Crane Commission, An. American Inquiry into the Middle East». Beirut. Khayats, 1963,

6 ـ المرجع السابق ص 45 .

7 ـ ورد النص في كتاب
Contaut -Biron- «Comment la France s'est Installée en Syrie (1918 - 1919)» Paris, 1922.
ص 574 .

عصبة الامم التي تعرف نظام الانتداب، على ان يكون هذا الرفض المبدئي قابلا للتغيير في حالة اي عون امريكي او بريطاني محتمل ولكن غير قابل للتغيير في حالة الانتداب الفرنسي [5].

ألم يصدر عن روبرت دي كي Robert de Caix، السكرتير العام المقبل للجنة العليا، بان الامريكيين «شرفاء اكثر من اللازم ليستطيعوا التعامل مع الشرقيين [6]»؟ غير انه في ساعة الحساب، لم يكن من الصعب عليه ان يرفض جميع الاستنتاجات، وذلك دائما بأسم المبادىء الاساسية للديمقراطية: لذلك نراه يقول في مجلة le Temps بتاريخ 7 ابريل 1919: «ان عدم معرفة شيء عن الشرق هو الذي يجعل المرء يؤمن بقدرته على اللجوء الى الاجراءات الغربية في التحقيق دون توقع عواقب وخيمة. ان الديمقراطية لا ترتجل». . . . .

بعد اتفاقية 15 سبتمبر 1919 التي تنظم استبدال القوات البريطانية بالقوات الفرنسية في المنطقة الزرقاء (الساحلية)، كان على رؤساء غرفة تجارة ليون ومرسيليا مقابلة كليمنصو في 4 اكتوبر. وفي 8 اكتوبر عين الجنرال غورو Gouraud بدل جورج بيكو Georges Picot كرئيس للهيئة العليا للجمهورية الفرنسية في سوريا وقائد جيش المشرق، وذلك في غياب اي قرار حول مستقبل المنطقة. الا ان كليمنصو اوضح للشعب السوري المرامي التي سبقت هذا الخيار وذلك في 15 نوفمبر 1919: «بارسالها خيرة جنود النصر الى المشرق، ارادت الحكومة الفرنسية ان تبين للشعب السوري الاهتمام الخاص الذي توليه اياه. فما من احد اقدر منه هو على ان يضمن للسكان ما يتوقعونه من الاحتلال، اي النظام والادارة والعدل. . » اما السوريون المعنيون بذلك فقد قدروا جيدا التشريف الذي قصدوا به. ولكن صحيفة «الأردن» كتبت في 21 نوفمبر 1919: «ان غورو (Gouraud) معروف بحزمه وصرامته وسفكه للدماء. . . ففي المغرب. . . قام باعمال كشفت عن وحدة هذه الخصائص المريعة في شخصيته، لذلك فان كل شيء يوحي بالخوف والقلق، فلماذا عين غورو Gouraud وهو عسكري دموي في مهمة ذات طابع سياسي بحث؟» [7] اما الليبونيون، فيمكن اعتبارهم محظوظين، ذلك لأن المسألة قد ترتبت بعد ذلك جيدا. وفي 11 نوفمبر استقبلت غرفة التجارة بضجيج كبير المفوض العالي الجديد وهو في طريقه الى سوريا. وبالمناسبة، لم يفت ممثلو التجارة والصناعة ان يستغلوا هذه المناسبة ليمرروا توصياتهم الاخيرة المتعلقة باطلاق زراعة الحرير السورية واعادة المواصلات واستيراد المنتجات الفرنسية. . . .

ـ السيد مارتون M. de Martone، الاستاذ في السوربون، اكد على «الوحدة الجغرافية لسوريا».
ـ السيد كازانوفا M. Casanova، البروفسور في الكلية الفرنسية، اثار انتباه الحاضرين الى اهمية دمشق «عاصمة الدول الاسلامية». مهيئا التبرير لغزو الجنرال غورو Gouraud اللاحق.
ـ الدكتور كوري A. Coury، من بيروت، ذكّر بالثمن الغالي الذي دفعه لبنان خلال الحرب بدافع حبه لفرنسا. اما الارقام المؤثرة التي قدمها المتحدث حول ضحايا الوحشية التركية، فانها كانت كافية لتجد لدى المؤتمرين التبرير اللازم لرغبة الخطيب في رؤية القوى العظمى المتحالفة وهي تقوم في مؤتمر السلام «بارغام الاتراك على اصلاح جميع الاضرار التي عانى منها السكان اللبنانيون التعساء، اصلاحا كاملا وتاما».
ـ بول ماسون Paul Masson، البروفسور في جامعة اكس مارساي Aix - Marseille قدم «كشاف المصادر الفرنسية في سوريا»، وهو عمل موسوعي ذو فائدة تاريخية اكيدة.
اما قسم التعليم الذي يرأسه بول هفلن Paul Huvelin، فقد قدم كشفا كاملا بالسيطرة المدرسية الفرنسية على سوريا. فأكد بأن 52000 طفل من الذين يفكرون بالعقلية الفرنسية لهم الحق في ان نهتم بهم. ولهذا تم اختيار هفلن بالذات ليترأس بعثة تحقيق الى سوريا، مهمتها القيام بجرد اولي لمصادر وحاجات هذه البلاد بعد الخراب الذي احدثته الحرب. هذا مع العلم بأن القسم الاقتصادي من المؤتمر اكد على ضرورة هذه البعثة التي تشكلت بالتعاون مع وزارة الخارجية الفرنسية وذلك خلال مايو ـ سبتمبر 1919. وبعد تصريحات ستيفن بيشون Stephen Pichon في 29 ديسمبر امام مجلس العموم والتي نصت على ديمومة «حقوقنا الثابتة» في سوريا ولبنان وسلوقية وفلسطين، اكتسحت موجة من التحركات المدن السورية الخاضعة للادارة الشريفية. فجرى التوقيع في كل مكان على المضابط من اجل الاستقلال العربي، ووزعت الصحف والكراريس، واجتاحت جموع المناضلين الوطنيين الجوامع والمقاهي. . في مثل هذا الجو الساخن كان من المستحيل لحقوقي مثل بول هيفلن Paul Huvelin، الخبير في الديمقراطية، ان يرى بجدية هذا الشكل للتعبير الشعبي.
وقبل وصول البعثة، اي في 30 مايو، حط الامير فيصل رحاله في بيروت عائدا من مؤتمر السلام، واستقبل في دمشق استقبال المنتصرين فأكد علنا التزامه بالاستقلال الكامل وبدون شروط (7 مايو). رغم ذلك، فان المبعوثين المؤمنين بفكرة «فرنسا الكبرى» فزعوا حينذاك من الشائعات عن تفريغ اسلحة وعتاد ليلا في بيروت ونقلها سرا الى دمشق. كما جرى الحديث ايضا عن تجنيد الحكومة العربية 25000 رجل وذلك ليحلوا محل القوات البريطانية [4]. وفي 25 يونيو وصلت بعثة التحقيق الاميركية، كينك ـ كرين King - Crane، الى دمشق، كما كان بين الوفود التي استقبلتها اللجنة ايضا وفد المؤتمر السوري في 3 يونيو. ومن المعروف ان ميثاق هذا الوفد كان يطالب باستقلال سوريا بما في ذلك فلسطين، وذلك في ظل حكومة دستورية ملكية على رأسها الامير فيصل. اضافة الى ذلك، كان ميثاق هذا الوفد يرفض مبدئيا المادة 22 من ميثاق

اكبر، ويلاحظ ان اللجوء الى الاتفاقات السرية هو اسلوب ضار في هذه الظروف اذ انها تخالف المبادىء التي اعلنها الرئيس الامريكي ولسون.

الافضل هو ابراز الحقوق التاريخية لفرنسا وذلك بدل اثارة المنافسات السرية. فهم سيتساءلون لماذا لا تستطيع شعوب هذه المناطق السيطرة على بلادها.

السيد جوبان **M. Joubin**: لكننا مرغوبون في سوريا والاهالي يتوقعوننا بالرغم من انه يمكن ان تكون الشعوب قد عانت بسببنا. لكنها تدرك جيدا بأنها لا يمكن ان تحقق وضعا افضل الا بمساعدة احد الشعوب الغربية.

السيد لبين **M. Lépine**: لا تستطيع اللجنة ان تدافع الا عن مصالح فرنسا والسوريين، والواحدة لا تتم بدون الاخرى.

السيد موريل **M. Morel**: يلاحظ ان السكان السوريين يطلبون بالحماية وبان ذلك امر غير قابل للنقاش.

السيد تيراي **M. Terrail**: لا بد من التعبير عن المطلوب بشكل واف بل وحتى مشافهة ايضا. يجب ارسال الوفود لان الوزراء لا يعرفون شيئا عن المسألة.

السيد موريل **M. Morel**: سيكون ذلك شغل اللجنة.

السيد هوفلن **M. Huvelin**: يجب القيام بدعاية للوقوف بوجه النفوذ الانكليزي. أن السوريين بحاجة لمن يهتم بهم والرأي العام لا يعرف شيئا. يجب الاحتجاج وتنوير الرأي العام.

السيد ليفي **M. Lévy**: يلفت الانتباه الى وجود شباب سوريين على استعداد للتحرك بشكل ما. ويقتطف من مقاله منشورة في اوربا الجديدة (Nouvelle Europe) رأيا يقول بتأسيس فدرالية من جمهوريات آسيا الصغرى.

السيد اسحاق **M. Isaak**: (الرئيس الفخري لغرفة التجارة) يقترح انشاء لجنة عامة تضم جميع الشخصيات الحاضرة في الاجتماع وانشاء مكتب يمثل الجامعة وغرفة التجارة والبعثات التبشيرية.

بعد المداولات، تم انتخاب لجنة ليون للمصالح الفرنسية في سوريا.

وفي يناير 1919، عقد «مؤتمر سوريا» الذي نظمته غرفة تجارة مارسيليا ودام ثلاثة ايا اجتمعت فيه شخصيات وطنية سياسية وتجارية وصناعية وادبية ودينية في اربعة مجالا متخصصة هي الاقتصاد والتاريخ والتعليم والطب. تم في هذا المؤتمر تطوير مستو المعارف حول سوريا وعبرت الشخصيات المجتمعة بعد ذلك عن «امانيها» بخصوص الموضوع. ففي قسم التاريخ، يمكن تلخيص الآراء الصادرة كما يلي:

- البرفسور لويس بريهية Louis Brehier، الاستاذ في جامعة كليرمون، بيّن بأ بدايات فكرة «الحماية» نجدها بشكل جنيني في ممارسات شارلمان في فلسطين.

- كليمن هيوار Clément Huart، استاذ اللغة الفارسية في مهد اللغات الشرق والمترجم لدى وزارة الشئون الخارجية، شرح كيفية امتداد «الحدود التاريخية لسوريا» القرون الوسطى الى طوروس.

وبالنظر لأن السكان المحليين قد برهنوا منذ اربعة اعوام وعن طريق شهدائهم على ارتباطهم الوثيق بفرنسا،
وبالنظر لأن هذه الوقائع ترتب على بلادنا واجبات قبل الحقوق،
واخيرا، لأن جامعة ليون تهتم منذ اربعين عاما بالتطور الثقافي لسوريا،
فان المجلس يعبر عن رغبته بضم سوريا كلها بما في ذلك ولاية دمشق وحلب وموانىء حيفا ويافا والاسكندرون ضمن منطقة النفوذ المباشر لفرنسا ويرجون من السيد الوزير ان يعبر عن مشاعرهم هذه امام مجلس الوزراء.»

وعندما نعلم بأن رئيس اساقفة ليون نشر في نفس الوقت رسالة طالب فيها الحفاظ على حقوق فرنسا، ابنة الكنيسة البكر، والمكلفة بحماية المصالح الدينية للمسيحية في الشرق وخصوصا في سوريا، عندئذ نكون قد استعرضنا المجاميع الرئيسية الثلاث التي تدخلت في الضغط الذي مارسته ليون. والاكثر من ذلك، فمن اجل الوصول الى فعالية أفضل، قررت المجاميع الثلاث هذه تكوين اللجنة الليونية للمصالح الفرنسية في سوريا. تشكلت هذه اللجنة المؤسسة من 12 عضوا واجتمعت في 28 اكتوبر، وفيما يلي قراءة لبعض مقاطع محضر الجلسة الموجود في ارشيفات غرفة التجارة:

السيد جوبان M. Joubin (رئيس الجامعة): اننا نطالب بسوريا كلها.

السيد تيراي M. Terrail (رئيس اتحاد تجار الحرير): لا قيمة لبيروت. على العكس فان حيفا مهمة جدا. نريد حيفا. من الصعب الحصول على حلب. الموصل بعيدة. حيفا هي الاكثر اهمية. الاسكندرون ستدوّل لذلك من الافضل عدم المطالبة بها.

السيد ليبين M. Lépine: ان جوهر المسألة هو بطلان اتفاقية **1916**. يجب المطالبة بسوريا كلها. اما ان يعوضوننا بأرمينيا فهذا وهم. وبالمناسبة، فان الجميع يرفضون ارمينيا.

السيد موريل M. Morel يشير الى ان مقاطعة ادنة المقدمة الى فرنسا هي مهمة وغنية جدا.

السيد هوفلن M. Huvelin: نستطيع ان نطالب بالاسكندرون، فهي اهم من مرسان Mersin. يجب المطالبة باكثر مما يمكن وعدم التقليل من ادعاءاتنا.

السيد شامونارد M. Chamonard: يجب المطالبة باكثر ما يمكن لنحصل على اقل من ذلك. [3]

السيد موريل M.E. Morel يقترح تشكيل لجنة.

السيد ليفي M. Lévy (استاذ في الجامعة ومساعد في البلدية) يقول انه يخشى ان تتبنى الحكومة رسالة غرفة التجارة الأكثر اعتدالا لأن هذه الرسالة تطابق رغبات الحكومة.

السيد براديل M. Pradel يقترح اعادة الكتابة فورا الى غرفة تجارة مرسيليا لتتبنى وجهة نظر الجامعة الأعم من وجهة النظر المعتدلة لغرفة التجارة.

السيد ليفي M. Lévy يريد التركيز اكثر على فرص فرنسا في الحصول على شيء

اما من زاوية نفوذنا التاريخي في المشرق، فان اخضاع دمشق لحكم امارة عربية سيغير كليا من الطبيعة التقليدية لسوريا. ستكون سوريا بلدا مقطوع الرأس وغارقا في المجهول. فمن يستطيع معرفة ما سيكون عليه حال الأمراء العرب الذين سيحكمون دمشق؟ وكيف سيستثمرون الهيبة الدينية المرتبطة بالمدن المقدسة للاسلام؟ ان كل هذه المدن كدمشق وبغداد والقاهرة ومكة قد كانت قبلا مقرات قوية لكراسي الخلفاء. فهل يجب ان تختص انكلترا بكل ذلك؟ الا تمتلك فرنسا ايضا قوة اسلامية؟ افلا يعتمد مستقبل مستعمراتنا في افريقيا الشمالية بشكل ما على الحالة المعنوية التي يمكن ان تسود في الشرق؟ ان ليون التي ساهمت كثيرا في رفع شأن ممتلكاتنا الافريقية تعتقد ان من حقها ابداء رأيها حول التساهلات التي لا يمكن التواني عن كشفها والموجودة في معاهدات 1916 المشار اليها. ان الوقت لم يفت بعد للمطالبة باعادة النظر في هذا الاتفاق المعلن بين حكومات غيرت الاحداث بشكل محسوس من ظروف كل منها، ما دامت الحكومة الامبراطورية الروسية لم تعد موجودة في حين دخلت في ساحة الصراع قوة عظمى اخرى هي الولايات المتحدة الامريكية التي طالما اهتمت بمصير السكان البائسين في آسيا الوسطى . . . ان ما يطلبه (رعايانا) كأمر ضروري لمصالحنا وهيبتنا هو تخصيص دمشق وحلب وبالتالي الموصل ضمن منطقة النفوذ الفرنسية».

التوقيع : انيموند موريل

Ennemond Morel

الجدير بالملاحظة هذه المرة هو ان مجلس جامعة ليون قد اجتمع في 23 اكتوبر وارسل نتائج مباحثاته الى الوزير، علما بان الصياغات كانت اكثر حدة وهذا ما يسمح بالاعتقاد بان ممثلي «المعرفة» كانوا في تلك الظروف اكثر جهلا بالوضع الميداني من ممثلي التجارة (٢)، وفيما يلي مقاطع من نتائج مباحثات المجلس:

«باعتبار ان المعاهدة اذا ما وقعت فعلا، فانها تصبح لاغية نتيجة تقصير احد الموقعين وهو ما يفرض تعديلها، وفيما يلي مقاطع من نتائج مباحثات المجلس:

وباعتبار ان سوريا التي جرى تقليصها الى هذا الشريط الساحلي المحروم من الامتداد البري ومن طرق العبور الى البحر ومن الموانىء الطبيعية هي ليست بسوريا،

وبالنظر خصوصا الى ان حلب والعاصمة دمشق التي هي من احدى المدن المقدسة للاسلام لا يمكن ان تنتزع من مجال السلطة المعنوية لفرنسا بدون ان يحدث ذلك اربكات خطيرة لسياستنا الاسلامية، وذلك لكي توضع تحت النفوذ المباشر او غير المباشر لقوة اخرى عرفت كيف تدخل الى المدن الثلاث الاخرى وهي بغداد والقاهرة ومكة،

وبالنظر لحصول فرنسا منذ عدة قرون على مصالح ثقافية ضرورية في سوريا كلها، الامر الذي يجعل وجودها ليس مقبولا فقط بل مرغوبا فيه من قبل السكان المحليين،

ان تنال منها طوال الاعوام الخمسين الماضية . . . اننا لم نستنكر مزاعم حليفتنا بريطانيا العظمى عندما جعلت من مصر جزءا رئيسيا من امبراطوريتها عبر البحار. كما اننا نتوقع ان تحقق روسيا احلامها التاريخية على ضفاف البسفور، ولا نحتج ضد مطامح ايطاليا بخصوص تواجدها في أسمرة. غير اننا نسيء لانفسنا بقبولنا ذلك الجزء من الغنيمة الذي لا يليق تماما بتاريخنا وذلك اذا رضينا بفصل سوريا عن ولاية ادنة وقصرها فقط على ولايتي دمشق وبيروت. ان سوريا التي يعرفها تجارنا والتي يطالبون بها لفرنسا كأمر لا غنى لها عنه، تمتد من طوروس Tourus الى مصر وتضم سلوقية Cilicie القديمة كما تضم فلسطين القديمة والتي ادخلها التاريخ منذ القرون الوسطى في ارثنا المعنوي. . . وكما لا يخفى عليكم، فان غرفتنا لم تتوقف من جهتها عن اظهار فكرتها الرفيعة عن دور فرنسا في المشاريع الخارجية. . . وعلى سبيل المثال، فان الغرفة قد اوصت بالغزو الاقتصادي لبلدان جديدة مثل تونس والمغرب والهند الصينية بدون ان يعني ذلك اهمال الاسواق القديمة كمصر وتركيا».

وفي الجلسة المنعقدة في 9 سبتمبر، عرضت الغرفة جواب الوزير ديلكاسة Delcassé الذي شكر فيه الغرفة على مذكرتها واعلمها بأن مصالحها حظيت باهتمام وزارته.

واثناء تفكك الدولة العثمانية، وفي الوقت الذي كانت فيه سوريا محتلة من قبل بريطانيا والجيوش العربية، لجأت غرفة تجارة ليون الى الهجوم وذلك بتوجيهها رسالة جديدة مؤرخة في 25 اكتوبر 1918 الى ستيفن بيشون Stephen Pichon وزير الخارجية. كانت لهجة الرسالة اكثر اعتدالا ومطاليبها معقولة اكثر وذلك لانه منذ نوفمبر 1917 وبعد ان كشف البلاشفة عن جميع المراسلات الدبلوماسية بين روسيا القيصرية والحلفاء فقد اصبح واضحا بان ما كان يجب عمله عندئذ هو تقاسم الكعكة السورية ومراعاة الحساسيات، وخصوصا حساسيات انكلترا. اما الرسالة، ففيما يلي بعض سطورها:

«لقد علمنا بالملاحظات الجديدة بخصوص الاتفاق الحاصل في 1916 بين فرنسا وروسيا وانكلترا. وعليه فان مناطق النفوذ المعترف بها لكل قوة تكون قد تحددت وتبين ان حصة فرنسا في سوريا لم تكن بالحجم الذي كان من حقنا ان نأمله. ذلك ان اختزال سوريا وقصرها على الشريط الساحلي قد افقدها الخصيصة الجغرافية التي كنا نعرفها بل قبل الحرب. لقد نزعت منها ثلاث مناطق مهمة هي حلب والموصل ودمشق على اساس تخصيص هذه الاخيرة لامارات عربية. والاكثر من ذلك هو ان انكلترا ستحتفظ بموانىء عكا Acre وحيفا Caiffa كما اعلن ميناء الاسكندرون Alexandrette كميناء حر. فمن الناحية الاقتصادية تكون سوريا بهذا قد قلصت بشكل خاص ولم يعد لديها سوى ميناثين هما طرابلس وبيروت. اما ميناء حيفا الذي يشكل نهاية خط سكة حديدية عريضة، وقد يصبح بعد عدة اعوام محطة نهائية لشبكة تمتد من الهند الى المتوسط لتستقبل بذلك جميع النقل الداخلي، فانه يحظى بذلك بالافضلية على بيروت التي هي محطة نهائية لخط طوله 96 كيلو مترا من ضمنها 35 كيلو مترا من الخط المسنن (الجبلي).

دور الاقتصاد :

ماذا كان وضع المصالح الاقتصادية و«الروحية» غداة الحرب العالمية الثانية؟

- فيما يخص صناعة الحرير، تراجع الانتاج تراجعا خطيرا من ستة ملايين الى اربعة ملايين كيلو غرام من جوزات الحرير في عام 1914 . . . ثم تراجع الانتاج في عام 1921 الى 1,1 مليون وارتفع قليلا في عام 1922 الى مليوني كيلو غرام. ومن مجموع الاحواض اللازمة في عمليات الغزل والتي كان عددها 11 000 حوض في عام 1914، لم يبق الا 1.500 حوض بعد الحرب. كما تراجعت نسبة بالات الحرير الواردة من سوريا الى ليون من 4.72 بالمائة من واردات الحرير الليوني عام 1914 الى 1.33 بالمائة عام 1919، ثم وصلت النسبة الى صفر في عام 1917. ومن جانب آخر، فقد تم اقتلاع ثلث اشجار التوت خلال الحرب وذلك لاستخدامها كحطب للتدفئة ولتشغيل القاطرات الانكليزية خصوصا. ويشير تقرير بعثة هيفلن (Mission Huvelin 1919) الى ان هذا الخشب كان ينقل كخشب للتدفئة بالقطارات الى مصر. ومقابل اقتلاع اشجار التوت هذه كانت تزرع الحنطة احيانا مثلا، حيث كان لبنان يعاني في حينها من قحط خطير، وهكذا كان حال معظم المزروعات بعد الحرب.

وفي حالة اشجار التوت، فان ضعف الامكانيات المالية، وخصوصا النقص الخطير في عدد سكان الجبل، قد عاق التعويض عن الاشجار المقتلعة بسبب المرض او للاسباب اعلاه.

اما نقص السكان فكان ظاهرة خطيرة بالنسبة لمستقبل الاقتصاد في سوريا.

كان عدد السكان في لبنان قد انخفض بنسبة 30% خلال اربعة اعوام فقط. وهكذا بلغ عدد المهاجرين ارقاما عظيمة نسبيا، فيقدر عددهم في عام 1924 بحوالي 130.000 مهاجر من مجموع 560.000 نسمة.

اما عن الجانب الروحي، فان المادة الثانية من القانون الفرنسي الصادر في 7 يوليو 1904 ألغت التعليم الرهباني في فرنسا. الا ان اهداف فرنسا الكبرى وضرورة سيطرتها «الروحية» على الشعوب الأخرى دفعتها لمنح معهد الاخوة للمدارس المسيحية، مثلا، بحق الاحتفاظ بمدرستين ابتدائيتين في الرون والجيروند لاعداد المدرسين الدينيين لمدارس الخارج. وخلال 18 عاما (1904 - 1922) [1]، اعدت هاتان المدرستان 136 عنصرا، اي بمعدل 8 سنويا تقريبا. لكن هذا المعدل كان يقل كثيرا عن الحاجة التي قدرها المسئولون آنذاك وهي 250 - 300 مدرس سنويا.

رغم جميع هذه الصعوبات، فان مجموعة ليون واصلت ضغطها من اجل التدخل بالعنف وذلك حتى قبل انتهاء الحرب. فمنذ تسرب اول الاخبار الدبلوماسية عن النية في تصفية الامبراطورية العثمانية، وجهت غرفة تجارة ليون رسالة بتاريخ 7 يونيو 1951 الى وزير الخارجية ديلكاسيه (Delcassé)، فيما يلي بعض فقراتها الاساسية:

(ان ليون ومرسيليا موجودتان في عموم سوريا، من الجبل والى تخوم الصحراء. ان هذين الاسمين يمثلان فرنسا ويساهمان في الحفاظ على هيبتها التي كادت احداث كثيرة

وعلمانيا يقابلهم عشرة رؤساء اقسام ومساعدين من اهل البلاد. وفي كل عام كان يأتي ثلاثة اختصاصيين من فرنسا، وخصوصا من ليون، لأجل الاشراف على الامتحانات. . . وخلال الاعوام 1912 - 1913، ارسلت جامعة ليون بعثتين دراسيتين الى سوريا برئاسة كل من السيد هفيلن Huvelin، الاستاذ في كلية الحقوق بليون والسيد ريكولو Rigollot، مدير المدرسة المركزية في ليون، ونجم عن هاتين البعثتين تأسيس مدرسة الحقوق في بيروت كفرع من كلية الحقوق في ليون ومدرسة الهندسة المدنية تحت الاشراف الاداري لجامعة القديس يوسف وذلك عام 1913. وخلال الاعوام 1919 - 1922، تولى الحقوقي الليوني بول روبيه Paul Roubier منصب مدير مدرسة الحقوق في بيروت علما بأنه كان ايضا رئيس الجمعية الليونية لتطوير التعليم العالي والفني في الخارج والتي ساهمت بنشاط بعد الحرب في الجدل الذي ثار حول الانتداب. الى كل ما تقدم يجب اضافة بعض الوقائع الاخرى، منها انشاء المطبعة الكاثوليكية (1853) والخزانة الشرقية (1880) وندوة الدراسات الشرقية (1902) التي ترتبط جميعها بجامعة القديس يوسف والتي بدورها تسعى الى بسط تأثيرها على كل الشرق الادنى اضافة الى ايران ومصر والسودان والبلقان.

اما كلية الجامعة والمخصصة للدراسة الثانوية، فقد كانت تضم 600 طالب من مختلف المشارب الدينية مع تفوق ساحق للمسيحيين بالطبع.

وبالرجوع الى الاحصاء الذي قام به في 1912 موريس بيرنو Maurice Pernot المكلف من قبل لجنة المصالح الفرنسية في الشرق لدراسة وضع المؤسسات الدراسية المحمية من قبل فرنسا، نجد ان هذه المدارس (145 مدرسة من مجموع 500 مدرسة) كانت تستقبل 52.000 طالب من مجموع طلاب سوريا وفلسطين البالغ عددهم آنذاك 92.000 طالب. هذا علما بأن الاحصاء المذكور لا يشمل جميع المدارس التبشيرية لتلك الفترة. اما بقية الطلاب فكانوا يتوزعون اما على المدارس الحكومية او على المدارس الاجنبية الاخرى. وفيما يخص المدارس الاجنبية هذه فيمكن تقديم المعلومات التالية:

- المدارس الانكليزية التي كان يوجد منها ما يقرب الـ 100 في سوريا وكانت تضم 7000 طالب. وتدير هذه المدارس البعثات البروتستانتية البريطانية والامريكية.
- كانت المدارس الايطالية تحت اشراف جمعية تورين Turin الايطالية والجمعية الوطنية للبعثات.
- كانت المؤسسات اليونانية الارثوذكسية تحصل على دعم من روسيا القيصرية، وكانت جمعية القدس الامبريالية تدير حوالي 100 مؤسسة دراسية في عموم الشرق الأدنى.
- كانت المدارس الالمانية (2000 طالب) تدار من قبل البعثة البروتستانتية وجمعية فلسطين - فرين Verein والجمعية الكاثوليكية.

مقابل هذا الهجوم التبشيري الديني حينذاك، لم تلعب المدارس العلمانية الفرنسية دورا كبيرا، عدا البعثة العلمانية التي حققت نتائج معتبرة في بيروت وذلك من خلال الكليتين التابعتين لها والتي كانت تضم كل منها 200 طالب.

وفي 1898، كتب البابا ليون الثالث عشر الى الكاردينال لانجنيو (Langenieux) بما يلي:
(لقد علمنا برضا كامل (. . .) بأن تفكير شخصيات بارزة يتجه نحو تكوين لجنة وطنية في فرنسا للحفاظ على الحماية الفرنسية في الأراضي المقدسة والدفاع عنها. . . فعسى ان تضمن هذه الجهود المتحدة وجودا مستقرا للكنيسة الكاثوليكية في الشرق لكي تعمل بنجاح على نشر الايمان الحقيقي ولعودة الرعايا الضالين الى حظيرة الراعي الكنسي الأوحد والاعلى).

قبل الحرب العالمية الاولى، بلغ مجموع عدد المبشرين المرتبطين بالمقام البابوي 73 000 مبشرا. كان ثلاثة ارباع هؤلاء من التابعية الفرنسية الذين توجهوا في سوريا نحو مجال التعليم. اما الهدف من ذلك فتكشف عنه الكلمات التالية:
(كان لا بد من انشاء طبقة حاكمة لهذا الشعب المسيحي المستعبد والمنهك من قبل المشركين. كان لا بد من تشكيل طبقة وسطى. يضاف الى ذلك ان مجمل هذا الجزء من الشرق الادنى كان بحكم الأمر الواقع ومن خلال علاقاته الطبيعية قد انجر وراء حضارة الغرب المادية وبدل الوقوف ضد تيار لا يقاوم، فضل السير معه. الاكثر من ذلك هو ان اليسوعيين في سوريا كانوا يسعون الى تصدر هذا التيار لكي يتسنى لهم قيادته (شارلس، «البعثات اليسوعية»، باريس 1929).

في كل ذلك، كانت ليون تحتل الدور المبادر. وفي 1834، اوكل المشرف العام للجمعية اليسوعية ادارة البعثات الجديدة الى سوريا لمحافظة ليون، فجدد بذلك التقليد الذي كان ساريا، اذ كانت اول بعثة يسوعية قد انشئت في سوريا عام 1626 وبمبادرة اليسوعيين الليونيين والمقام العالي كاسبر مانيلير Gaspard Manilier وجان سيلا Jean Sella. وحين تم نقل منتداهم المسمى (Saint François Xavier) للجزيرة والمؤسس سنة 1843، الى بيروت سنة 1875، فانه تحول الى جامعة القديس يوسف التي اقيمت على اساس خارطة للأب بوييو Pouilloux وبفضل المعونات الكاثوليكية الأمريكية الساعية الى مواجهة تأثير الكلية السورية البروتستانتية في الشرق.

وفي عام 1881، اعترف البابا ليون الثالث عشر بالصفة الجامعية لهذه المؤسسة حين انشأ فيها وبموجب امر كنسي كلية الفلسفة والعلوم الدينية للدراسات الشرقية، كما اعترف لها بحق منح الشهادات الاكاديمية ودرجة الدكتوراة في العلوم المقدسة، وذلك بما يتطابق مع العادات السارية في الجامعة الغريغورية في روما. ومن اجل توفير الجانب الوظائفي للطبقة الحاكمة المنوي اقامتها فقد كان لا بد من توفير مجال الدراسات العلمانية ولذلك تأسست كلية الطب والصيدلة في عام 1883 من قبل الأب ريمي نورمان Remi Normand المشرف على الرهبانية في سوريا. دعمت فرنسا علنيا هذا المشروع بلسان جيول فيري Jules Ferry كما تبلور هذا الدعم على شكل مساعدة سنوية تقدمها الحكومة، بعد ان خصص مجلس العموم في 1881 مبلغ 150.000 فرنك في ميزانية 1882، كاعتماد اضافي زاده كامبيتا Gambetta (رئيس الوزراء في حينه) بمقدار 25.000 فرنك وذلك لاعتقاده بأن «معارضة تدخل رجال الدين في الشؤون العامة ليست مادة للتصدير». كان عدد المدرسين الفرنسيين عشية الحرب هو احد عشر مدرسا يسوعيا

دور التعليم :

«ان وطنية الرهبانيات الفرنسية في المشرق هي وطنية نقية وغيورة ومتفانية. والثقافة التي تنشرها هي ثقافة مسيحية خالصة وفرنسية واضحة. انها قبل كل شيء ثقافة فرنسية ومن ثم هي مسيحية. لقد اصبحت فرنسا سيدة سوريا بلا ادنى نقاش، وان النفوذ الفرنسي في سوريا متوغل الى المظم واداتها الاقوى لتحقيق ذلك هي المدرسة.»

مجلة La Stampa الايطالية في 5 أبريل 1914 .

هذه الفقرة اعلاه تسر الليونيين كثيرا وغالبا ما يذكرونها في النقاشات المثيرة حول «الحقوق التقليدية» لفرنسا في المشرق، هذه «الحقوق» التي حازتها باعتبارها قوة حامية للأقليات المسيحية في المشرق. ولقد نال هذا الدور الفرنسي اهتماما خاصا من قبل الرأي العام كما تشهد على ذلك المؤلفات والاطروحات الكثيرة حول الموضوع.

وطالما ربطت هذه الحقوق بخلفيات تاريخية تعود الى ما يقال عن سفارة هارون الرشيد الى شارلمان تسلم الاخير مفاتيح بيت المقدس من يد الخليفة ومن ثم سيادته على الارض المقدسة (800 م). كما يشار ايضا وبالطبع الى الحملات الصليبية، والى العهد الاستسلامي لفرانسوا الاول وذلك في عام 1535 والذي لم يوقع ابدا.

لقد اهتم المؤرخون بشكل خاص بالمارونيين. ويشار في هذا الصدد الى 000 30 ماروني الذين انضموا منذ الحملة الصليبية الاولى الى جيش كوديفروا دي بويون (Godefroy de Bouillon)، كما ان المارونيين ساهموا لاحقا في الحملة على مصر مع سانت لويس (Saint Louis) الذي وصفهم لحظة مغادرتهم لفلسطين بأنهم «جزء من الأمة الفرنسية». وفي 1860، نزل 6000 فرنسي في ميناء بيروت ليضعوا حدا للمذبحة التي اقامها الدروز ضد المارونيين.

اما بالنسبة لرجال القانون في مطلع القرن العشرين، فان مؤتمر برلين (13 يونيو ـ 13 يوليو 1878) قد قدم الاعتراف الدولي «للحقوق» الفرنسية في المشرق. وبهذا الصدد، فان المادة 62 من المعاهدة تعترف بحق كل دولة موقعة في حماية مواطنيها المسافرين في الامبراطورية التركية وفي حماية مؤسساتها الدينية وجمعياتها وما شابه ذلك. وتخص المعاهدة الفرنسية حماية المؤسسات الكاثوليكية المنشأة اصلا من قبل التبرعات المسيحية الكاثوليكية والمدارة والمعانة من قبل «مؤسسة الدعاية» التي كانت تدعم المرامي الفرنسية في المشرق. وبذلك فانها كانت تعزز الاتجاهات التي كانت موجودة اصلا لدى الرأي العام الليوني. هذا ولقد صدر عن «مؤسسة الدعاية» هذه تعميم في سنة 1888 تضمن ما يلي: ـ

(اننا نعلم بأن الحماية الفرنسية قائمة في المشرق منذ عدة قرون، ولقد تأكدت هذه الحماية من خلال المعاهدات الموقعة بين الحكومات، لذلك يجب ان لا يتم اي تغيير على الاطلاق بخصوص هذه النقطة. يجب الحفاظ دينيا على هذه الحماية اينما كانت سارية كما يجب ان تعلم البعثات التبشيرية بأن تلجأ عند الحاجة لأي عون الى قناصل وممثلي الأمة الفرنسية».

فرغم ان نسبة الحرير السوري التي تصل الى ليون كانت اقل اهمية بكثير من نسب الحرير الصيني او الياباني على سبيل المثال، الا ان ذلك لم يخفف من اندفاع ليون للسيطرة على مجمل الانتاج السوري من الحرير وعلى جميع مراحل انتاجه. كان عدد المغازل الفرنسية في سوريا قليلا، غير انها كانت متقدمة تقنيا وانتاجيا على منافسيها. كانت في سوريا عشية الحرب العالمية الاولى 3 مغازل فقط (هي فيف كيران Veuve Guérin وبورتالي Portalis وموراك دالك Mourgue d'Algue) مقابل 10 مغازل في عام 1867. كانت وسيلة السيطرة الرئيسية هي تمويل النشاط المتعلق بتربية دود القز السوري، وكانت التسهيلات المالية تمنح في البداية، عن طريق معامل الغزل نفسها، مثل معمل غزل فيف كيران الذي لعب هذا الدور التمويلي منذ بداية القرن التاسع عشر. ثم جاء بعد ذلك دور رأس المال الليوني كأداة ضرورية لتطور ومضاعفة معامل الغزل اللبنانية(*) على النمط الاوروبي. وكما يقول شيفاليه، فان هذه المعامل كانت ركيكة وتنتج حريرا من الصنف الثاني، ولكن هذا الحرير كان يشكل الشحنة الاكبر من الحرير الى فرنسا. اضافة الى ذلك، فان تقاطر الاموال الليونية لدعم صناعة الحرير في جبل لبنان شكّل ميزة مهمة هي تكوّن برجوازية تجارية متأوربة، وذلك خصوصا في بيروت حيث تدفقت رؤوس الأموال الفرنسية لتوسيع الميناء واقامة سكة الحديد. اما هذه الفئة، فانها سرعان ما صارت زبونا سياسيا مناصرا للقضايا الفرنسية، كما ان ليون لم تكن تتردد في تحريك العناصر الموالية هذه في اللحظات المناسبة. (**)

* * * * *

* ـ لا عجب ان صناعة الحرير ترتكز في لبنان خصوصا، فالتقديرات التي يقدمها دومينيك شيفاليه عن وضع صناعة الحرير في لبنان في مطلع القرن الجاري هي كالتالي:

28 مليون شجرة توت في جبل لبنان.
9.17 مليون شجرة توت في ولاية بيروت
3.6 مليون شجرة توت في ولاية دمشق.

اما في البوادي وداخل البلاد، فكانت المغازل العربية المدارة اجتماعيا وثقافيا من قبل التعاونيات الدمشقية تعبيرا عن رفض البلاد لاوروبا الغازية. وفي مطلع هذا القرن، كانت لا تزال لتجارة الحرير الدمشقية دائرة توزيعها المستقلة والممتدة من بلاد الاناضول الى السودان عبر مكة. الا ان دائرة هذه التجارة تقلصت بسبب ضغط التنظيم التجاري والمالي للتجار الليونيين.

** ـ جرت العادة ان تدفع المغازل المحلية للصيارفة البيروتيين الوسطاء بينها وبين رجال المال الليونيين بالحرير. بعد ذلك، كان كل واحد من هؤلاء الصيارفة الوسطاء يقوم بارسال حريره الخاص الى ليون مقابل حصة معينة يقتطعها من سعر الفائدة. في كتاب (صناعة الحرير في سوريا ولبنان) الصادر في باريس 1931، يذكر مؤلفه ج دوكوسو (G. Ducousso) اسم الصيرفي باسول (Bassoul) الذي كان اكبر مصدر للحرير من ميناء بيروت في عام 1911، كما يذكر اسماء اخرى تبرز من بينها بعض الاسماء التي كانت ستلعب لاحقا دورا سياسيا مهما في الحياة اللبنانية من امثال فرعون والحلو ولحود وطبيب (Tabib) والخوري والبستاني والنقاشي... وهنا يجب لفت الانتباه الى ان البرجوازية المسيحية كانت تحتل دور الصدارة من خلال حجم وكمية صادراتها التي كانت تبلغ سنويا 426 14 باله (الباله = 100 كغم) مقابل 275 باله كان يصدرها التجار المسلمون.

اخيرا من فرض وجهة نظرها في الوقت المناسب، وذلك بفضل النشاط المشترك لممثلي التجارة والجامعة والكنيسة.

كانت ليون غداة الحرب عاصمة اقليمية تضم 800 000 نسمة. كما كانت قد استفادت خلال سنوات الحرب من تأثير بعض النشاطات الصناعية في المقاطعات التي تعرضت للاحتلال الالماني في شمال شرق فرنسا، فقامت في المدينة مصانع جديدة مثل بيرليه Berliet، وزينيت Zenith، وهوتشكس Hotchkiss كما ان هذه الحركة ساهمت في مضاعفة عدد العمال واحيائهم السكنية الامر الذي ادى الى تغيير وجه المدينة... كانت المصارف ومقرات الشركات الصناعية الكبيرة (خصوصا صناعة الحرير التي تحرك قطاع العمل في ليون وضواحيها) متمركزة حول مبنى البلدية وقصر التجارة. لذلك كان تأثير هذا الحي يتعدى حدود المدينة والبورصة واصبح مركزا ذا تأثير اقليمي بل ذا تأثير عالمي. اما الى الغرب من هذا الحي وحيث يقع مركز المدينة القديمة، فكانت هناك شبكة اخطبوطية من نوع اخر هي شبكة البعثات التبشيرية والجمعيات الدينية. وبدل التصارع للحفاظ على مجالاتها الحيوية، كان للشبكتين المالية والدينية تقليد عريق في تنسيق نشاطهما، وهذه احدى السمات الاساسية للشخصية الليونية التي يرتبط فيها الربح «بعمل الخير» والحياة الدينية بالمصالح المادية والنزعة المثالية الرفيعة بالواقعية المفرطة الى حد الابتذال. وهكذا، وبعد ان ولد طريق الهند ـ ليون نتيجة متطلبات تجارة الحرير، اصبحت لسوريا، بالنسة لهاتين الشبكتين، اهمية مركزية، وخصوصا في تلك الفترة التي طرحت فيها «المسألة الشرقية»، وفي الوقت الذي بدا فيه واضحا بأن الامور كانت تتجه نحو تقسيم تركة «الرجل المريض».

هذه هي باختصار الاسباب التي جعلت ليون ضحاة الحرب العالمية الاولى محمومة ببسط سيطرتها على سوريا اقتصاديا وثقافيا. اما تفاصيل ذلك، فستعرف عليها من خلال بحثنا في الدور الذي مارسته قوى الضغط الليونية على الحكومة وعلى الرأي العام الفرنسي حتى نالت مرامها، علما بأن قوى الضغط الليونية هذه هي غرفة التجارة والكنيسة والجامعة.

* * * * * *

«ان الحرير هو الذي يربط مدينتنا بالبدان التي تديرونها.»

من خطاب ل. برادل عند استقباله الجنرال ويغاند Weygand في غرفة تجارة ليون (26 مايو 1924).

في مقالة اخاذة، يعرض دومينيك شيفاليه Dominique Chevallier الظروف التي حدت بتجار الحرير الليونيين الى الاهتمام بتربية دود القز في سوريا اعتبارا من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. كما تشير المقالة الى الاجراءات التي اتبعت للسيطرة على الاقتصاد السوري عشية الحرب العالمية الاولى. لذلك نكتفي هنا بالتذكير فقط ببعض المسائل الاساسية.

دور مدينة ليون الفرنسية
في اقامة الانتداب الفرنسي في سوريا :

المصالح الاقتصادية والثقافية وتصارع الآراء
(1915 - 1925 م)*

ميشال سيورال

«كلكم تعلمون ان الليونيين يتاجرون منذ اقدم العصور مع هذه البلاد، ويمكننا القول اننا في ليون نعتبر سوريا مستعمرة ليونية .»

من خطاب رئيس غرفة تجارة ليون ل. برادل، عند استقباله للجنرال غورو، في مقر الغرفة في ليون (5 ابريل 1922)

في 25 ابريل 1920، قرر في سان ريمو، المجتمع الدولي الممثل بمجلس الاربعة (ايطاليا والمملكة المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة) وضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي، وبذلك اصبحت فرنسا تتمتع رسميا «بحقوق» تجارية وثقافية كانت تمارسها عمليا منذ زمن طويل. تسعى هذه الدراسة الى الكشف عن الدور الرئيسي الذي لعبته ليون في اقامة هذا الانتداب. فبعد اربع سنوات من الكابوس الذي كان يخيم قبل ذلك على فرنسا، كان الشعب الفرنسي عموما لا يزال عديم الاكتراث بما يسمى «المسألة الشرقية»، وكان موقفه هذا مشابها لموقف حكومته ورئيسها جورج كليمنصو الذي كان يعلن على الملأ بأنه لم يكن «سريانيا». وسنرى من خلال هذا البحث كيف ان ليون كانت تقف منذ عام 1951 ضد هذا الاتجاه غير الراغب في التدخل، ثم كيف تمكنت

* هذه المقالة تلخيص وترجمة بتصرف عن مقالة Michel Seurat المعنونة : Le Rôle de Lyone dans L'Installation du Mandat Francais en Syrie: Intérêts Economiques et Culturelles, Luttes d'Opinion (1915 - 1925) والمقالة منشورة في «Bulletin d' Etudes Orientales»، المجلد 31، 1980 من اصدار المعهد الفرنسي بدمشق .

to Israel (New York, 1963), ص 124-5.
28. OFM, 332/17, unnumbered, to all the Ottoman delegations abroad, 1899.
29. YPA, C 11/85-86/54/136. Ali Ferruh to the Palace. Washington, 15 June 1898; OFM, 332/17, no. 9597/81, Ali Ferruh to Tewfik Pasha, Washington, 23 July 1898.
30. YPA, C 11/98/54/136, Ali Ferruh Bey to the Palace, Washington, 23 July 1898; OFM, 332/17, no. 9597/81. Ali Ferruh Bey to Tewfik Pasha, Washington, 23 July 1898.
31. M. Feinstein, *American Zionism (1884-1904)* (New York, 1965), ص 150.
32. OFM, 332/17, no. 9557/66, Ali Ferruh Bey to Tewfik Pasha, Washington, 12 May 1898.
33. OFM, 332/17, no. 60, Ali Ferruh Bey to Tewfik Pasha, Washington, 23 April 1898.
34. OFM, 332/17, no. 23598/216, Antopulos to Tewfik Pasha, London, 8 June 1898.
35. YPA, C 11/35-37/54/136, Ali Ferruh Bey to the Palace, Washington, 22 April 1898. YPA, C11/48-49/54/136, Ali Ferruh Bey to Tewfik Pasha, Washington, 27 April 1898.
36. YPA, C 11/275-276/54/136. Ali Ferruh Bey to the Palace, Washington, 24 January 1899.
37. YPA, C 11/226-229/54/136, Ali Ferruh Bey to the Palace, Washington, 1 October 1898; C 11/218/54/136. Ali Ferruh Bey to the Palace, 15 September 1898.
38. N. Sokolow, *History of Zionism* (London, 1919), ii, ص 326-31.
39. PRO, FO, 78/1692. no. 218, Finn to Russell, Jerusalem, 19 June 1862; 195/2028, n° 408, Dickson to O'Conor, Jerusalem, 21 November 1898.
40. PRO, FO, 195/1575, White to Moore, Therapia, 19 October 1887; FRUS (1888), no. 1083. Straus to Bayard. Constantinople, 19 May 1888.
41. PRO, FO, 83/1723, encl. to no. 394. White to Salisbury, Therapia, 10 September 1891.
42. PRO, FO. 195/1510, no. 14, Elridge to Granville, Beirut, 25 May 1882.
43. *Diaries*, ii, ص 669-671.
44. FRUS (1888), no. 1101, Adee to Straus, Washington, 6 November 1888.
45. YPA, C 11/275-276/54/136, Ali Ferruh Bey to the Palace, Washington, 24 January 1899.
46. FRUS (1893), Mavroyeni to Gresham, Washington, Correspondence with the Legation of Turkey, 28 August 1893.
47. Atif Hüseyin Bey, *Hatiralar*, Turkish Historical Association Library Y-255, ص 18.

NOTES

1. R. Patai (ed.), *The complete Diaries of Theodor Herzl (London, 1960), iii, p. 909.*
2. *Diaries,* i, ص 378.
3. A. Osmanoğlu, *Babam Abdülhamid* (Istambul, 1960), ص 46.
4. Tahsin Pasa, *Abdülhamid ve Yldiz Hatiratari* (Istambul, 1931), ص 7-9.
5. Public Record Office, London (later to be cited as PRO), Foreign Office Files (later tc be cited as FO), 78/5479, n° 71, Dickson to Bunsen, Jerusalem, 29 December 1900; n° 34, O'Conor to Lansdowne, Constantinople, 27 January 1901.
6. *Foreign Relations of the United States* (later to be cited as FRUS), (1886), n° 445, Cox to Bayard, Constantinople, 5 January 1886; FRUS (1893), encl. to n° 3, Mavroyeni to Gresham, 22 November 1893, Therapia.
7. FRUS (1898), n° 78, Angell to Sherman, Constantinople, 5 January 1898; FRUS (1906), n° 1370, Jay to the Secretary of State, Constantinople, 25 April 1906; PRO, FO, 195/1765, n° 35, Dickson to Clare-Ford, Jerusalem, 30 December 1892.
8. These were all kept in a dossier entitled " The Question of Zionism, " catalogued under 332/17 of the Ottoman Foreign Ministry Archives (later to be cited as OFM).
9. OFM, 332/17, n° 1205/30, Missak Effendi to Tewfik Pasha, La Haye, 17 August 1907; n° 23600/182, Mahmud Nedim to Tewfik Pasha, Vienna, 21 July 1898; Yildiz Palace Archives at the Porte, Istambul (later to be cited as YPA), C 11/67/54/136, Ali Ferruh Bey to the Palace, Washington, 20 May 1898; 6 11/48-49/54/136, 27 April 1898.
10. OFM, 332/17, n° 9597/81, Ali Ferruh Bey to Tewfik Pasha, Washington, 23 July 1898.
11. OFM, 332/17, n° 1683/136, A. Tewfik to Tewfik Pasha, Berlin, 17 August 1900.
12. OFM, 332/17, n° 23598/216, Antopulos to Tewfik Pasha, London, 8 June 1898.
13. Abdülhamid, *Siyasi Hatiratim* (Istambul, 1975), ص 76-77.
14. OFM, 332/17, no. 3309/178. A. Tewfik to Tewfik Pasha, Berlin, 31 November 1903.
15. YPA, C 11/48-49/54/136, Ali Ferruh Bey to the Palace, Washington. 27 April 1898.
16. OFM, 332/17, no. 9950/63, Ali Ferruh Bey to Tewfik Pasha. Washington. 29 April 1898.
17. Abdülhamid, *op. cit.,* ص 76.
18. المصدر السابق، ص 68
19. I. Friedman, *Germany, Turkey and Zionism 1897-1918* (Oxford, 1977); ص 65.
20. المصدر السابق
21. *Diairies,* iii, ص 770.
22. Friedman, *op. cit.,* ص 79.
23. Bülow, *Memoirs* (London, 1931), ii, ص 250.
24. OFM, 332/17, no. 1683/136, A. Tewfik to Tewfik Pasha, Berlin, 17 August 1900.
25. المصدر السابق
26. OFM, 332/17, no. 3309/179. A. Tewfik to Tewfik Pasha, Berlin, 31 November 1903.
27. H.H. Bodenheimer (ed.), *The Memoirs of Max Bodenheimer : Prelude*

الصهيونية حيث كانوا يقولون (نظرا للاضطهاد الحالي الذي يتعرض له اليهود في روسيا لا يبدو من الحكمة حرمان اليهود في سوريا وفي فلسطين فجأة من الحماية البريطانية) (42).

كذلك لم يجد الباب العالي تعاونا حقيقيا لدى كل من المانيا وروسيا، حيث ان البلدين كانت لديهم مصالح حقيقية في دعم السياسات الصهيونية (43). وكما قال هرتزل لقيصر ولبلهف بأن هجرة اليهود من هذه البلدان تعني بأن الحركة الاشتراكية ستحرم من قادتها ومؤيديها من جهة وان عداء السامية سيشتد من جذوره. ومن جهة اخرى، ويقدر تعلق الامر بالسياسة الخارجية. كان الألمان والروس يعتقدون بأنه متى ما وضعت هذه العناصر اليهودية تحت حمايتهم فانها ستشكل عملاء لهم مما سيعزز نفوذهم المتصاعد في هذه المنطقة.

وكمحاولة اخيرة اتجهت وزارة الخارجية صوب الولايات المتحدة. كان موقف الولايات المتحدة ازاء الحركة الصهيونية متروكا لعناية السفير الأميركي في القسطنطينية أوسكار شتراوس(Oscar Straus)الذي كان من المدافعين عن الحركة الصهيونية(44)، ومن المؤيدين لموضوع الدولة اليهودية. ونتيجة لمحاولات شتراوس المتكررة في الدفاع عن مصالح اليهود. ابرق علي فروح بيك الى السلطان يخبره بأن شتراوس يقف حجر عثرة في سبيل الموافقة الامريكية على سياسة العثمانيين الوقوف ضد اقامة اليهود الامريكان في فلسطين (45). على اثرها قام عبد الحميد الثاني بعزله من منصبه في القسطنطينية.

في 28 آب 1873 طلب السفير العثماني في واشنطن من وزارة الخارجية اعتبار المسألة الصهيونية قضية داخلية من اختصاص الامبراطورية العثمانية وان على امريكا ان تلتزم بمبادىء وثيقة (مونرو) (Monroe) أي ان لا يتدخل اي طرف من الاطراف بشكل مباشر أو غير مباشر بشؤون الطرف الآخر (46). مع هذا لم تبدل هذه الاحتجاجات من موقف امريكا تجاه الصهاينة في فلسطين.

في 1911 وبعد ان رأى ان كافة جهود حكومته قد ذهبت هباء قال عبد الحميد الثاني الذي كان مخلوعا ومنفيا في ذلك الوقت الى طبيبه الخاص بأن انتصارات الصهيونية في فلسطين ما هي الا البداية وهي مقدمة لتحقيق هدفهم النهائي: (انني متأكد بأنهم مع الوقت سوف ينجحون في خلق دولتهم في فلسطين (47).

ترجمة بتصرف من:

«Arab Quarterly Studies»

المجلد 2، العدد 4، خريف 1980،

بلمونت، الولايات المتحدة.

علموا بأن مجموعة من الصهاينة في طريقها الى فلسطين اخبروا السلطات العثمانية حالا برقيات الشفرة (37). كان من المدهش حقا ان تتمكن وزارتي الخارجية والداخلية من تحقيق هذا المستوى الرفيع من الانسجام والتعاون.

III

بالرغم من تشدد السلطات العثمانية، تمكن الصهاينة من النفاذ عبر الحدود وتوطين الآلاف من اتباعهم في فلسطين. وبحلول عام 1909 ارتفع عدد اليهود في فلسطين الى 80 الفا وهو ثلاثة اضعاف العدد في 1882. وعندما فرضت لأول مرة قيود الدخول كان الصهاينة قد استطاعوا الحصول على 156 ميلا مربعا من الارض واقاموا 26 مستعمرة (38). ان الفجوة الواسعة بين النظرية والتطبيق في السياسة العثمانية المضادة للصهيونية (وما تمخض عن ذلك من نتائج) تعود الى تدخل القوى العظمى لصالح الصهاينة المستعمرين. استطاع العثمانيون ان ينجحوا بفضل جهود وزارة الخارجية في اقناع الدول الكبرى بعدم مد يد المساعدة الى الصهيونية. بناء على هذا لم تتوسط القوى الكبرى لدى الامبراطورية العثمانية بخصوص فلسطين. ولكن استطاع اليهود الالتفاف على هذه المسألة وحولوا خسارتهم على الصعيد الدبلوماسي الى نجاح لا شك فيه على صعيد آخر، فقد اتبع اليهود الذين دخلوا الى فلسطين سياسة ثابتة في رفضهم للجنسية العثمانية ولجوءهم الى حيازة جنسيات اجنبية لكي يتمتعوا بالامتيازات الممنوحة للقوى الكبرى تحت قانون الامتيازات الأجنبية (Capitulations). وبعد ان يحصل المهاجرون على وثائق حماية بطرق غير مشروعة يعترف بهم القناصل الاوروبيون كرعايا لهم (39).

بناءا على هذا قامت القوى الكبرى بابلاغ الباب العالي بشكل واضح جدا بأن حق رعاياها في السفر والاقامة داخل حدود الامبراطورية مضمون بقانون الامتيازات الاجنبية. وبهذا اصبحت الاجراءات المضادة للصهيونية غير قابلة للتطبيق وأفرغت من كل محتواها السابق حيث باتت تتعلق الآن بأشخاص يتمتعون بحماية القوى الكبرى (40).

وهكذا لم تتردد البعثات الاوروبية والامريكية من التدخل لدى السلطات العثمانية حماية للمصالح الصهيونية بهذا تم تجاوز كل اجراء من الاجراءات المضادة للصهيونية التي شرعتها الحكومة العثمانية.

بعد ان رأت ان جهودها في ايقاف المد الصهيوني داخل حدود الامبراطورية قد ذهب هباء، قامت وزارة الخارجية بخطوة يائسة اخيرة.

حاولت ان توضح للقوى الكبرى بأن المهاجرين اليهود كانوا يحصلون على وثائق حماية مزورة وانهم يستخدمونها في التهرب من الاجراءات المضادة للصهيونية التي شرعها الباب العالي. وطلب سعيد باشا وزير الخارجية العثماني في مذكرة مؤرخة في شهر نيسان 1877 من القوى الكبرى سحب حمايتهم للصهاينة التي تمنح لهم بموجب نظام الحماية الذي هو في الواقع معين لا ينضب من سوء التصرف والاستعمال (41).

بالرغم من ان بريطانيا وافقت مبدئيا الا ان سياسة لندن الفعلية استمرت في دعم الحركة

ان هذا التصريح المباشر كان شديد الفعالية. ففي 17/6/1998 أوردت صحيفة جويش ماسنجر (Jewish messenger) مع بعض الارتياح بأنه كان لهذه الخطبة (تأثير شافي على فرسانها الدون كيشوتيين) (30).

وبعد سنة اشتكى رئيس رابطة الصهاينة لمدينة نيويورك جي بلوستون (J. Bluestone) بأنه (بات من الصعب جذب اعضاء جدد أو حتى بالاحتفاظ بالقدامى منهم) (31). كانت الخارجية العثمانية ترى في تحقيق تحالفات مع بعض المجموعات المعادية للصهيونية مهمة اخرى يجب ان تسعى لتحقيقها. وتحرك على فروح بيك مرة اخرى واقام اتصالا مع محمد ويب (M. Webb) زعيم المسلمين الأمريكان في مايو 1898 وطلب منه مساعدة الخليفة في الحملة المقدسة التي تشنها الامبراطورية العثمانية ضد الصهيونية. اتصل ويب على اثرها برتشارد كوثل (R. Gothel) رئيس الرابطة الامريكية الصهيونية محاولا اقناعه بعدم مواصلة المحاولات بشأن فلسطين (32).

كذلك كانت الدبلوماسية العثمانية تأمل في استقطاب بعض اليهود الى جانبها لايقاف النمو الصهيوني. ولقد ظهر ان بعض قطاعات المجتمع اليهودي بامكانه المساهمة في ذلك. اليهود التقليديون (الأرثوذكس) كانوا يعتقدون ان مخلصا أو مسيحا فقط يستطيع ان يعيد فلسطين اليهم. بناءا على هذا فان هرتزل الذي عين نفسه في هذا المنصب المقدس ما هو الا محتال. فهو لا يتدخل بمشيئة الله فحسب بل انه يعد اليهود بشيء لا يملك وهو المخلوق الفاني ان يحققه (33).

اما الاصلاحيون اليهود فلم يكن رأيهم بالحركة الصهيونية ايجابيا تماما. حيث كانوا في غرب أوروبا لا يعتقدون بأن اليهود يشكلون شعبا بل دينا. كانوا يعتقدون كذلك بأنهم بدلا من الهجرة الى فلسطين على أمل تشكيل دولتهم الخاصة بهم عليهم ان يستوعبوا الحضارات التي يعيشون بين ظهرانيها. كانوا يخشون انه في حالة نجاح هرتزل في اقناع الاتراك سوف يتعرض موقعهم للتهديد عبر موجة جديدة من الاضطهاد حيث قد تصر الدول التي يعيشون في ظلها على تهجيرهم الى فلسطين (34). ولم تكن لليهود الذين اندمجوا في المجتمعات الاوروبية الغربية اي رغبة في تركها اذ انهم كانوا يعيشون في سلام ووئام. وان قضية عابرة كقضية دريفيوس (Dreyfus Affair) مثلا لا تشكل حالة حقيقية لخلق مناخ صعب يدفعهم للهجرة. وبناء على هذا وجد علي فروح بيك الاصلاحيين اليهود في امريكا متعاونين جدا حيث قال له ستودن (Stoden) رابي واشنطن الكبير بأن قسما كبيرا من المجتمع اليهودي ينتمي الى المدرسة الاصلاحية وليس لديه اي تعاطف مع الصهيونية (35).

وكاجراء اخير لمنع الصهاينة من استعمار فلسطين، أمرت الخارجية العثمانية هيئاتها الدبلوماسية بعدم منح سمات دخول لليهود المنتمين الى الحركة الصهيونية (36). وقد فوجيء اليهود الذين تسللوا الى الأراضي العثمانية بدون سمات دخول بأن السلطات الحدودية والجمركية كانت تعلم بهم قبل وصولهم. وكانت الشرطة العثمانية في اغلب الاحيان تعرف مسبقا البلد وتاريخ الاقلاع وعدد الصهاينة على ظهر السفينة حتى قبل ان تصل شواطيء حيفا ويافا. وكان هذا الامر يتم بالتنسيق مع الممثليات العثمانية في الخارج التي كانت لها شبكات لجلب المعلومات ومراقبة نشاطات الصهاينة. ومتى ما

في مطامع الالمان في الشرق الأدنى) بان الدولة اليهودية اذا كانت ستقوم لا محالة فالافضل ان تكون تحت حمايتها. بدلا من ان تكون تحت حماية المانيا. ولكن عندما تراجع الالمان عن تأييدهم للمشروع الصهيوني في فلسطين وجدت الحكومة الروسية بأنه لا جدوى من تعقيد الوضع الدولي باضافة مشكلة جديدة اليه. وبناءا على هذا وضعت المسألة اليهودية على الرف حتى يحين وقتها من جديد.

اما فيما يخص الفرنسيين فان باريس كانت دائما ضد مشروع هرتزل كتب بودن هايمر (Bodenheimer) الذي رافق هرتزل في جولته في الشرق الأوسط (كان من الواضح ان باريس كانت تراقب الاحداث في فلسطين بشك وحذر. أي تصريح متهور حول محمية أو دولة يهودية كان سيؤدي الى تعقيدات خطيرة. لو كان الأسطول الفرنسي الذي وضع في حالة تأهب في طولون، قد رسى على الساحل السوري لنتجت عن ذلك بكل تأكيد مشاكل خطيرة)(27). اما بريطانيا فقد أرتأت ان تعرض على هرتزل واتباعه، خوفا من تعريض التوازن الدولي للخطر، مناطق اقل حساسية مثل أوغندا أو قبرص ليقيموا عليها دولتهم.

II

بعد ان قامت بواجبها على الصعيد الدبلوماسي في اقناع القوى الكبرى بسحب تأييدها للحركة الصهيونية، وجهت الخارجية العثمانية اهتمامها الى جانب آخر من جوانب سياسة الحكومة المضادة للصهيونية. كان العثمانيون يرغبون في اقناع اليهود في العالم، وبواسطة اليهود انفسهم، بأن خطط هرتزل ليست فحسب غير مقنعة بل غير ممكنة. كانوا يأملون بأنه في حالة نجاحهم ستهبط نسبة اليهود الذين تستقطبهم الحركة الصهيونية في صفوفها مما سيسلب الصهاينة مصدر قوتهم الاساسية. اما الأسلوب النمطي الذي استخدمته الخارجية العثمانية فقد تلخص في نقض كل الخطب المتفائلة حول العلاقات اليهودية ـ التركية التي كان زعماء الصهيونية يرددونها في مؤتمراتهم. في 1899 أعلنت وزارة الخارجية (بالرغم من ان السيد هرتزل قد استقبل بشكل ودي من لدن صاحب العظمة الامبراطورية السلطان الا انه لم يمنح بأي شكل من الأشكال الحق في توطين الصهاينة في فلسطين) (28). مثل هذه التصريحات التي كانت ترمي الى تثبيط عزائم اليهود في اعتمادهم الخطط الصهيونية لمشروع الاستيطان، كانت غالبا ما تحمل عنصرا من التهديد كالتلميح مثلا الى ان اليهود (في تركيا كانوا ولا زالوا أحرارا وسعداء ومرفهين) وقد قال علي فروح بيك بشكل صريح موجه كلامه الى وسائل الاعلام (ليس من الحكمة في شيء ان يشجع (الصهاينة) على خلق مشاكل للحكومة التركية من خلال محاولة وضع افكار خيالية موضع التنفيذ. انني اخشى ان النتائج الوحيدة التي ستترتب عن هذه المحاولة هي الحاق الضرر باخوانهم المسالمين والسعداء في تركيا) ثم اضاف بأن حالة الانسجام والسعادة التي ميزت العلاقة بين السلطات العثمانية ورعاياها من الأرمن قد عكر صفوها حفنة من العصاة «الذين ارتكبوا حماقة الاستماع الى نصيحة ميكيافيلية من بعض الغرباء وعاشوا نادمين على ما فعلوه بدون ان يحصلوا على اي نتيجة» (29).

وعندما بدأت الحكومة العثمانية في تطبيق سياستها المضادة للصهيونية طلبت من وزارة الخارجية اقناع الدول العظمى بعدم تقديم اية مساعدة للحركة الصهيونية. وبما ان المانيا كانت القوة الاوروبية الاكثر تعاطفا مع تركيا رأت الحكومة العثمانية كسب القيصر الى جانب سياستها المعادية للصهيونية. ولكن الغريب في الامر ان المانيا خلاف كل القوى العظمى الاخرى كانت الاكثر ايجابية ازاء الحركة الصهيونية. حيث اعترف القيصر قائلا بان (الفكرة الاساسية للصهيونية كانت دائما تثير اهتمامي وحتى تعاطفي) (19).

في ايلول 1898 كتب السفير الالماني في النمسا الكونت ايفلنبرك (Count Evlenburg) الى هرتزل قائلا (لقد اعلن جلالته عن استعداده للتوسط لدى السلطان وابدى استعداده لحماية اليهود في الشرق) (20).

عندما حاول الامبراطور الثاني الالماني اثارة النقاش حول المسألة مع السلطان واخبره بان الصهاينة ليسوا (خطرا على تركيا، ولكن اليهود يثيرون القرف مما يدفع بالمرء الى الرغبة في التخلص منهم، اجابه عبد الحميد بانه راض تماما عن رعاياه اليهود) (21).

وخلال جولته في القدس قال توفيق باشا وزير الخارجية لولهلم الثاني (Wilhelm 2) بان السلطان لا يرغب مطلقا في التعامل بأي شكل من الاشكال مع الصهيونية ومع فكرة خلق مملكة يهودية مستقلة (22). نتيجة لهذا، فان ولهلم الثاني، الذي لم يشأ ان يثير حفيظة مضيفه حول هذا المشروع، فقد حماسه للقضية الصهيونية. بولاو (Bülow) كان مسرورا الى حد كبير لرؤية هذا التحول لدى القيصر وزاد في تعزيز قناعة القيصر بهذا الخصوص حين اشار الى ان سياسة المانيا بدعم خطط هرتزل لا تتماشى مع سياسة المانيا التقليدية في المحافظة على سلامة ووحدة اراضي الامبراطورية العثمانية خصوصا وان الصهيونية تشكل خطرا جديا على السيادة العثمانية (23). لقد استعملت السلطات العثمانية نفس المنطق مع القوى الاخرى التي كانت لديها مصلحة في الحفاظ على وحدة الامبراطورية وقد لخصت الدعوة لهذه القوى بأن: (يتخلوا عن فكرة ادخال اليهود كدولة في المجتمع الدولي لأن هذا المشروع الذي يتضمن خلق دولة داخل دولة في قلب الامبراطورية العثمانية سيؤدي حتما الى تدمير تركيا) (24). ان الدعاية التركية بهذا الخصوص كانت من القوة بحيث كتبت صحيفة Allegemeine Zeitung في 1900/8/11 (عش ودع غيرك يعش، هذه هي سياسة الدول الكبرى ليست فقط ازاء اليهود بل وازاء الاتراك ايضا) (25).

كان يبدو ان المانيا قد لعبت دورا اساسيا في تشكيل مواقف القوى الاخرى من القضية الصهيونية. فبعد تراجعها عن تأييد هرتزل حذت روسيا حذو المانيا في حين ان الموقف الروسي كان مؤيدا لخلق دولة يهودية مستقلة في فلسطين، فقد كتب بلهيف (Plehve) وزير خارجية روسيا الى هرتزل في آب 1903 قائلا (اذا كانت الصهيونية لا ترغب الا في خلق دولة مستقلة في فلسطين. . . . ستكون الحكومة الروسية مؤيدة تماما لهذا الأمر) (26).

يبدو جليا ان الروس كانوا قد منحوا تأييدهم للصهاينة لكي يبعدوا الريح عن اشرعة الالمان. حيث ان سان بيترسبرغ كانت تفكر (اذا اخذنا بعين الاعتبار شكوكها الدائمة

غامضة حول مستقبل الشعب اليهودي فان الصهيونية ترمي في الواقع الى اقامة دولة يهودية كبيرة في فلسطين تطمح الى التوسع على حساب البلدان المجاورة) (11). وقبل ان تصل هذه الرسالة الى اسطنبول بعامين كان السفير العثماني في لندن انتوبولوس باشا (Antopulos Pasha) قد حذر الباب العالي بانه : (مع ازدياد عدد المستعمرات في فلسطين سوف لن يرضى المستعمرون الصهاينة بالعيش تحت ظل قانون البلدية العثماني) (12). واضاف بأن الصهاينة خلافا لما قالوه في باسل سوف يضغطون باتجاه الحصول على اعتراف دولي بهم تحت مظلة قانون الأمم.

بعد تحليل هذه التقارير قال السلطان، بصفته صانع القرار الوحيد في الامبراطورية العثمانية، بانه قد (فهم مشاريعهم الشريرة. وهو بقدر ما يحمي رعاياه من اليهود يعتبر نفسه عدوا لهؤلاء الذين يحملون تصورات خيالية حول فلسطين) (13).
بعد ان قامت الهيئات الدبلوماسية العثمانية باطلاع الباب العالي على تطورات الحركة الصهيونية اخذ اعضاء هذه الهيئات وبحماس يشيرون على الحكومة العثمانية باتباع الاساليب الملائمة لمجابهة هذه الحركة والتي كانت حسب رؤيتهم تهدد السيادة السياسية للامبراطورية وسلامة اراضيها. في 1903/11/31 حث سفير الباب لدى برلين حكومته على تطوير الاجراءات الخاصة النافذة آنذاك والتي تمنع الصهاينة من حيازة الاراضي في فلسطين وتحول دون استعمارهم للبلاد وما يعتبره مشروعا يرمي الى خلق دولة مستقلة داخل اراضي الدولة العثمانية (14).

ومنذ 1898 كتب علي فروخ بيك الى السلطان وارسل نسخة من الكتاب الى وزارة الخارجية لدى الباب(15) يقترح بأن (الوقت قد حان لدولة عظمة السلطان باتخاذ اجراءات خاصة لاصلاح الخطأ الذي وقع به اسلافه حين سمحوا لغير المسلمين بالسكن في فلسطين ـ حيث ان زيارة الامبراطور الالماني الى فلسطين بينت بوضوح بأن الكاثوليك والبروتستانت والارثوذكس واليهود يمهدون الطريق للقوى الكبرى لكي تعزز مواقعها السياسية والدينية داخل الاراضي العثمانية) (16).

واخبر علي فروخ بيك، الذي كان والده قائم مقام في القدس، السلطان كذلك بانه خلال زيارته لفلسطين مؤخرا رأى كيف ان الصهاينة كانوا ينهبون خيرات البلد على حساب السكان المسلمين المحليين. واقترح لغرض تقويم الوضع بان تسهل الحكومة هجرة المسلمين الى فلسطين لكي لا تترك المجال لليهود في الاستيطان. ويبدو جليا ان السلطان عبد الحميد كان يشارك علي فروخ بيك قلقه بهذا الصدد حيث اعلن (يجب ان ننسى فكرة السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين لأن هؤلاء سيتمكنون مع الوقت من جمع القوة بايديهم اينما استقروا وسنكون بهذا العمل قد وقعنا حكما بالاعدام على اخواننا في الدين) (17).

وفي مناسبة اخرى قال عبد الحميد (نستطيع فتح حدودنا فقط لهؤلاء الذين ينتمون الى نفس قوميتنا وديننا، يجب ان نقوي العنصر العثماني في كياننا السياسي) (18). وعندما نزح المسلمون العثمانيون الى تركيا جراء الاضطهاد الذي عانوه في البلقان وروسيا اسكنهم عبد الحميد الثاني في وادي حوران في فلسطين.

بسياسات محددة ومتكاملة في الوقت نفسه لكي يواجهوا بها الظاهرة الصهيونية على الصعيدين المحلي والعالمي.

وقد تضمن البرنامج النهائي الذي تمخضت عنه اجتماعات مجلس الوزراء والذي وافق عليه السلطان اربع مجاميع من السياسات توزعت مسؤولية تطبيقها على عدة وزارات (4).ففي الوقت الذي كان على وزارة الخارجية ان تقنع القوى العظمى بعدم مد يد المساعدة الى الحركة الصهيونية كانت وزارة الداخلية مسؤولة عن ايجاد الطرق الكفيلة بعدم السماح للصهاينة بالدخول الى البلاد (5). بالرغم من هذا استطاع بعض اليهود التسلل الى فلسطين الأمر الذي القى على عاتق رئيس الوزراء شخصيا مهمة تدبير الوسائل الكفيلة بالحيلولة دون حصول المتسللين على حمايات اجنبية مما يؤهلهم للتمتع بقانون الامتيازات الأجنبية (6).

بالاضافة الى هذا كان على مديرية تسجيل الاراضي ان تمنعهم من حيازة الارض في فلسطين ونواحيها (7).

ان وزارة الخارجية العثمانية اصبحت هي الجهة المشاركة على كافة المستويات في صنع القرار الذي تعتمده الدولة العثمانية في رسم سياسة الصراع مع الحركة الصهيونية. واهمية دورها بهذا الخصوص يبدو جليا في ما يلي: -

1 - ان صورة الصهيونية كما يراها عبد الحميد الثاني ومستشاروه كانت تشكل بملامحها الاساسية عبر تصورات وتحاليل الدبلوماسيين العثمانيين في الخارج وعبر نقلهم لهذه التصورات الى القسطنطينية.

2 - اثبتت وزارة الخارجية العثمانية انها قادرة على التأثير بقوة في صنع الخلاصة النهائية للسياسات العثمانية بمواجهة نشاطات الصهاينة على المستوى الدبلوماسي وفي داخل فلسطين.

3 - كانت وزارة الخارجية تتحمل قياسا بالوزارات العثمانية الاخرى العبء الاثقل في تطبيق تعليمات الدولة العثمانية ضد الحركة الصهيونية.

- 1 -

عندما باتت الصهيونية تحتل وجه الصدارة في تمثيل المصالح اليهودية في اعقاب المؤتمر الاول الذي انعقد في باسل (Basle) سنة 1897، وظف الدبلوماسيون العثمانيون في الخارج كل الامكانيات لتغذية العاصمة بالمعلومات المفصلة حول التطور الذي لحق بمجموع الحركة الصهيونية. وفي الوقت الذي كانت فيه التقارير المفصلة وقصاصات الصحف تصل تباعا الى اسطنبول (8) حاول الدبلوماسيون العثمانيون ان يستنطقوا كبار الشخصيات الصهيونية وقاموا حتى بارسال عملاء متنكرين الى مؤتمراتها (9).

ومنذ البداية كان الممثلون الدبلوماسيون للامبراطورية العثمانية لا ينظرون بعين الارتياح الى الظاهرة الصهيونية. في 1898 كتب علي فروح بيك (Ali Ferruh Bey) السفير في واشنطن بأن الصهيونية (تمس بشكل حيوي السيادة العثمانية) (10). وفي 17/8/1900 كتب السفير في برلين علي توفيق باشا الى الباب قائلا: (يجب ان لا تكون لدينا اية اوهام بخصوص الصهيونية، وبالرغم من ان المؤتمرين عالجوا عموميات

الحركة الصهيونية ووزارة الخارجية العثمانية في عهد عبد الحميد الثاني

بلند كمال اوك*

اصبحت فلسطين في نهايات القرن التاسع عشر المحور المركزي لنشاطات الصهاينة الغربيين الرامية الى تسليم «ارض المعاد» الى اتباعهم في العقيدة والدين، وذلك في وقت لم تكن فيه هذه البلاد خالية من السكان أو بدون سيادة. فقد كانت فلسطين آنذاك جزءا من المقاطعات الآسيوية للامبراطورية العثمانية يسكنها رعايا الخليفة من العرب. وقد اعترف هرتزل، الشخص الذي ارتقى بالحركة الصهيونية الى عنصر فاعل في العلاقات الدولية بعد ان كانت عبارة عن مجاميع مفككة غير متجانسة، بأن (القرار هو بيد عظمة السلطان فقط) (1) ولغرض استدراج السلطان عبد الحميد الى مشروعه هذا، قام هرتزل بخمس رحلات الى اسطنبول خلال الفترة من 1896 الى 1902 استطاع اثنائها الوصول الى الباب العالي والى القصر وناقش المسألة مع مختلف المسؤولين ومن ضمنهم رئيس الوزراء وحضى بمقابلة السلطان عبد الحميد بشخصه. لكن هرتزل اكتشف بعد مضي فترة قصيرة بأن السلطان يقف بقوة ضد خلق دولة يهودية في فلسطين (2).

وموقف السلطان هذا لم يكن طارئا فان العثمانيين اخذوا الحركة الصهيونية على محمل الجد وادركوا خطورتها منذ البداية. ونستطيع القول باطمئنان بان عبد الحميد الثاني بنفسه هو الذي وضع حجر الزاوية لسياسة مواجهة الحركة الصهيونية حيث كان مصرا على منع الهجرة اليهودية الى فلسطين بأي ثمن (3). بالاضافة الى انه طلب من وزرائه ان يدرسوا ويحيطوا بعناية بكافة جوانب المسألة في اجتماعاتهم وان يخرجوا

* محاضر في السياسة الدولية في جامعة اسطنبول، معهد العلوم السياسية.

سيطرت بعض العوائل المملوكية الغنية من بين عوائل العلماء في القاهرة وفي غيرها على مناصب كثيرة في مؤسسات الدولة. اما في العهود العثمانية اللاحقة، فقد صارت المؤسسة الدينية دائرة حكومية يرأسها العلماء وتحت سيطرة السلطان. وعلى سبيل المثال، ففي النصف الثاني من القرن الخامس عشر والنصف الاول من القرن السادس عشر، لم يكن بالامكان الوصول الى المناصب الدينية العليا، وهي منصب رئيس القضاة ومنصب شيخ الاسلام، الا عن طريق التدرج في الوظائف الحكومية من صغراها الى علياها ومن خلال دائرتين مستقلتين احداهما عن الاخرى. وهكذا، وبناء على كل ما سبق، يستنتج الكاتب بأن القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين يمثلان نقطة تحول في تطور المجتمع الاسلامي وفي حياة الجماعة الاسلامية، كما ان هذين القرنين مثلا مرحلة انتقالية بين فترة التكوين المستقل والارادي وفترة التكوين الحكومي والمهني لجزء من هيئة العلماء المسلمين.

ان نشاط العلماء ودورهم «كمهنة» ازداد تبلورا - كما يرى الكاتب - بازدياد تطور النظام الدولي للتعليم الاسلامي في مدينة دمشق. وقد تطور وضع العلماء خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين من شكل التفرغ الجزئي والاهتمام الشخصي الى شكل التفرغ الكامل ذي الطابع الوظيفي. وفي الوقت الذي كان فيه طلبة العلم قبل هذين القرنين يدرسون من باب الرغبة الخاصة والتطوع بينما كانوا يقومون باعمال اخرى لكسب عيشهم، اصبحت قلة منهم فقط تزاول اعمالا اخرى خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وصارت اغلبيتهم الساحقة متفرغة تفرغا كاملا للتعلم والتعليم. وبهذا الصدد، فان الارقام التالية تعكس لنا صورة عن وضع تفرغ العلماء الذين تناولتهم هذه الدراسة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين:

	المتفرغون	غير المتفرغين
الاحناف	156	لا يوجد
الشافعيون	190	5 (تاجران، بقال، عامل اخشاب، عامل سباكة)
الحنابلة	88	3 (تجار)
المالكية	71	2 (تاجر وحطاب)
الصوفية	90	12 (6 يعملون في مجال التجارة، خياط، وتاد، عامل في صناعة الحرير، عامل حدادة، عطار، عامل في منشرة).

كما يؤكد الكاتب على عدم وجود اية اشارة الى ان العلماء كانوا قبل منتصف القرن الثالث عشر الميلادي يحوزون على اية ملكية كبيرة للارض. الا انه مع نهاية الفترة الأيوبية فقط وبعد منتصف القرن الثالث عشر الميلادي وخلال الفترة المملوكية، ازداد عدد العلماء الذين صاروا في خدمة الدولة وتبوأوا المناصب السياسية وحصلوا على الثروات، وهذا يدحض الفكرة التي شاعت عن ان العلماء كانوا اصحاب ثروات في كل العهود.

اما عن العلاقة بين الحاكم والعلماء خلال الفترات المختلفة من التاريخ الاسلامي، فيمكن تلخيص وجهة نظر الكاتب بما يلي:

حاول الخلفاء العباسيون خلال القرن التاسع الميلادي السيطرة على الفقه الديني وعلى محتوى التشريع الاسلامي ولكنهم فشلوا في تحقيق ذلك. اما في دمشق في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، فان الدولة اكتسبت نوعا من السيطرة على العلماء بعد ان انتبه حكام دمشق من السلاجقة والبوريين والزنجيين والايوبيين الى اهمية تأثير الشبكة الدولية للتعليم الاسلامي والى الفوائد الاجتماعية والسياسية التي كانت يمكن ان تتأتى لهم من خلال تأطيرها. اضافة الى ذلك، فان دعم الحكام لمؤسسات العلماء كان يعني اقترابهم من مصدر الشرعيه مع امكانياتهم التأثير على العلماء مادام هؤلاء هم المصدر الوحيد للشرعية وبالتالي القادر على مواجهة سلطة الخليفة. اما في فترات الحكم الاسلامي المتأخرة، فقد تبنى المماليك ومن بعدهم العثمانيون التقاليد الاسلامية السابقة في مجال العلاقة بينهم وبين العلماء. ففي نهاية القرن الثالث عشر ثم القرن الرابع عشر،

كضريح لورثة صاحب الوقف. كما نص وقف المدرسة العصرونية المؤسسة حوالي 570 / 1174 شرق القلعة، على الانفاق على ما لا يزيد عن عشرين فقيها شافعيا وغير شافعي، وعلى ان يبقى التدريس محصورا بين افراد عائلة مؤسس الوقف، وهم بنو عصرون، وذلك في حدود قدرتهم على تلبية هذا المطلب. هذا في حين يرغب مؤسس المجمع المكون من المدرسة الضيائية المحمدية ودار الحديث في الصالحية، وذلك من جملة ما يرغب به، تخصيص مكان لصغار السن للاستماع للحديث، مع انه كان قد بنى دار الحديث هذه للمحدثين وللطلبة الزوار بالرغم من قلة امكانياته المالية. اما مؤسس خانقاه المجاهدية، في محلة شرف، غرب المدينة، فانه خصص في عام 650 / 1252 نفقات لعشرين صوفيا. من كل ذلك يتبين ان كل مؤسسة كانت تنفق على ما يقارب 20 - 25 طالبا للعلم.

ومن الوثائق المنشورة لاحد الاوقاف، وهو وقف دار الحديث الاشرفية، والتي يعود تاريخها الى 633 / 1235 ، يمكن استخلاص المعلومات التالية حول ما كانت تنفقه هذه المؤسسة على العاملين والدارسين فيها :

ـ معلم حديث	90 درهما شهريا
ـ امام (امامة الصلاة وتعليم القرآن)	60 درهما شهريا
ـ مرشد	60 درهما شهريا
ـ خادم المحراب	40 درهما شهريا
ـ قارىء حديث	24 درهما شهريا
ـ مؤذن	20 درهما شهريا
ـ ناظر مكتبة	18 درهما شهريا
ـ حارس	15 درهما شهريا
ـ قارىء قرآن	10 دراهم شهريا
ـ كل طالب دائم	8 دراهم شهريا
ـ كل طالب مبتدىء	3 - 4 دراهم شهريا

علما بأن المؤسسة كانت تضم حارسين وعشرة قراء قرآن. وتنص الوثيقة في بعض فقراتها على انه في حالة وصول طالب علم أو عالم معروف الى مدينة دمشق، فإن بامكانه الاقامة في دار الحديث الاشرفية، حيث كان يخصص له مبلغ درهمين في اليوم، بينما كان يسلم 30 درهما عند مغادرته. اما طلاب العلم (أو العلماء) الذين كانوا يأتون من اماكن اخرى من بلاد الشام، فكانت تصرف لهم مخصصات اقل من ذلك بقليل. وفيما يخص شهر رمضان، فيتحمل الوقف خلاله اما الطعام، واما مبلغ 1000 درهم كانت توزع كما يبدو بين المشرفين والطلاب والزائرين. واذا عجز الوقف عن تحمل هذه النفقات، كان يجري عند ذاك تخفيض مخصصات الطلبة المبتدئين بدون ان تتغير مخصصات المعلم والامام وقارىء القرآن والمؤذن والطلاب الدائمين.

والتعليمية . اما الطلاب، فكانوا يعتمدون قبل ذلك على الدخل العائلي أو على الاعمال المتنوعة . ومن جهة اخرى، فان امكنة التعليم السابقة كالجوامع والمكتبات والحوانيت والمنازل والحدائق استبدلت تدريجيا بمبان مخصصة لم تكن فقط اماكن للدراسة والتعبد والعمل، بل كانت ايضا مساكن للمدرسين والطلاب . . وخلال السنوات 468/1260 اقيمت 121 مؤسسة وقفية اشتملت على 422 منصبا تدريسيا كمعدل مدور عبر السنين، كما تبين ذلك اللوحة رقم (4):

مؤسسات الوقف الاسلامية التعليمية الجديدة في دمشق
والمعدل المدور لعدد مناصب المعلمين والشيوخ
1260/658 - 1076/468

نوع البناء (أو المؤسسة)	عدد الابنية	عدد المناصب
المدارس الشافعية	34	145
المدارس الحنفية	35	165
المدارس الشافعية الحنفية المشتركة	4	25
المدارس الحنبلية	9	40
المدارس المالكية	3	7
دور الحديث	7	14
دور الحديث ضمن مدرستين حنبليتن ومدرسة حنفية	3	3
الخانقات	11	8
الرباطات	7	2
الزوايا	8	13
المجموع	121	422

اللوحة رقم ـ 4ـ

اما الاموال المنفقة على هذه المباني وعلى القائمين بها، فكانت تأتي من ايجارات الوقف المخصصة مبدئيا الى الابد لهذا الغرض. وكمثال على ذلك، فان مؤسس المدرسة الاقبالية اقر عام 628/1230انشاء وقف يتحمل نفقة 25 فقيها تخصص لهم عطاءات شهرية لائقة مع غذاء يومي وحلويات في العطل، وفواكه في المواسم وملابس مشرفة للمعلمين ولمساعديهم، وكذلك لبقية الفقهاء في ذكرى تأسيس المدرسة. اما المدرسة العادلية الصغرى والواقعة داخل باب الفرج وعلى الشرق من بوابة القلعة، فانها كانت تتحمل نفقات مدرس ومساعد وامام ومؤذن وبواب وحارس وعشرين فقيها، هذا اضافة الى ان الوقف كان يدفع ايضا لصيانة البناء ولمصاريف نزلائه. اما البناء، فكان ينقسم الى ثلاثة اقسام قسم للمدرسة، وقسم للاقامة، وقسم

الخانقات والروابط والزوايا في دمشق 468/ 1078 - 658/1260

السنة الميلادية	داخل الهجرية	المدينة	الضواحي			
			الشرفية	العقيبة	الصالحية	شرق الصالحية
1076	468-479					
	480-489	رباط				
1100	490-499		خانقاه			
	500-509					
	510-519					
	520-529		خانقاه			
	530-539					
1150	540-549					
	550-559	رباط				
	560-569	خانقاه+ رباط				خانقاه
	570-579					
	580-589	خانقاه	خانقاه			
1200	590-599	رباط				
	600-609					
	610-619					
	620-629			خانقاه	خانقاه + زاويتان	زاويتان
	630-639	رباط+زاوية			رباط +زاوية	
	640-649		زاوية			
1260	650-658		خانقاه + زاوية		زاوية	

اللوحة رقم ـ 3 ـ

وهكذا، فقد كان العلماء والطلاب الزائرون والمحليون يقيمون في المدارس ودور الحديث والخانقاهات والروابط والزوايا. . وكان للمدرسين والشيوخ رواتب، بينما كان الطلبة يتمتعون بمعونات. كانت هذه المساعدات منظمة، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين في دمشق، على خلاف الممارسات السابقة التي كان العلماء يعتمدون فيها على مكاسبهم وعلى الرعاية التي كانوا يتلقونها من الآخرين للقيام بمهامهم العلمية

2 ـ دور الحديث : تأسست هذه في دمشق ابتداء من النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وكانت معظمها تقع داخل جدران المدينة كما تبين ذلك اللوحة رقم (2):

دور الحديث التي اقيمت في دمشق بين (468 هـ ـ 1076 م) و (658 هـ ـ 1260 م)

		داخل اسوار المدينة	الضواحي	
الميلادية	الهجرية		الشرقية	الصالحية
	550-559			
	560-569	1		
	570-579			
	580-589			
1200	590-599	1		
	600-609			
	610-619			
	620-629	2	1	1
	630-639			1
	640-649	1		
1260	650-658	1		1

اللوحة رقم ـ ٢

المدارس في دمشق بين 468 هـ / 1078 م و 658 هـ / 1260 م

السنة الميلادية	السنة الهجرية	حول الجامع الكبير	في مواقع اخرى	الشرفية	عقيبة	خارج باب توما	الصالحية	حي الاكراد
1076	479-468							
	480-489	1						
1100	499-490		1					
	509-500							
	510-519		1					
	520-529		3	1				
	530-539		1					
1150	540-549		3					
	550-559		3					
	560-569	1	4	1				
	570-579	1	4	1				
	580-589		4					
1200	590-599		6				1	
	600-609		1	1				
	610-619		3		1		2	
	620-629		3	2			8	1
	630-639		5			3	2	
	640-649	1	4				1	
1260	650-658	1	5				2	

اللوحة رقم - 1 -

مسار تطور التعليم الاسلامي الذي قاد الى انبثاق النظام التعليمي والى تبلور نشاط رجال الدين الذين اخذ دورهم شكل المهنة. اما مفهوم الكاتب لتعبيري النظام التعليمي والمهنة فهو كالآتي:

النظام التعليمي: اي العناية المستمرة بتوفير المتطلبات اللازمة للمدرسين ولأماكن اقامتهم واستخدام القسم الاكبر من رجال العلم والالتزام الدائم بدفع رواتب المستخدمين وتكاليف الابنية.

المهنة: اي الحفاظ على مستويات واصول ثابتة في التعليم، اضافة الى توفر الرواتب التي تكفل ممارسة المهنة.

ثم يقدم الكاتب شروحا تفصيليه حول كل من النظام التعليمي والمهنة الدينية، ويشير في مجال التفصيل في النظام التعليمي الى انه تطور من خلال ثلاثة محاور هي المدارس، ثم دور الحديث، واخيرا الخانقاهات والروابط والزوايا.

1 - **المدارس**: في نهاية القرن الحادي عشر وبدايات القرن الثاني عشر الميلاديين، وبسبب تواجد كثرة من طلاب العلم والعلماء المشهورين، بدأ بعض الوجهاء ببناء مدارس الشرع في دمشق، ثم اخذ عدد هذه المدارس يزداد بالتدريج خلال القرنين اللاحقين. وكانت اول مدرسة في دمشق تقع في الجامع الكبير في قلب المدينة، بينما كانت معظم المدارس في بدايات القرن الثاني عشر تقع داخل اسوار المدينة ومباشرة حول الجامع الكبير، وفيما يلي بعض الارقام عن هذه المدارس:

الحادي عشر والثالث عشر الميلادي. واستنادا للمراجع ذاتها، فان دمشق كانت بين 1076/468 و 1260/658 مقصدا لطلاب العلم من اكثر من مائة مدينة وناحية وقرية تنتمي الى جميع انحاء العالم الاسلامي من اسبانيا والمغرب والى آسيا الوسطى. كان السوريون يشكلون العدد الاكبر من بين هؤلاء الطلبة في حين كان الطلبة من العراق وخصوصا من بغداد يشكلون المجموعة الثانية من حيث العدد. اما اسبانيا وشمال افريقيا ومصر والجزيرة وايران، فقد كانت ترسل هي ايضا اعدادا كبيرة من طلبة العلم، بينما كان القادمون من صقلية وتركيا واواسط آسيا اقل عددا. وبدءا من النصف الثاني للقرن الثالث عشر الميلادي، صار طلب العلم يمر عبر محور دمشق ـ القاهرة.

اذن يمكن تقسيم العلماء في دمشق في القرون الوسطى الميلادية الى اربعة اصناف:

1 ـ العلماء المولودون اصلا في بلاد الشام: وكانوا يشكلون تقريبا اقل من نصف طلاب العلم الذين كان يبلغ عددهم 1047 طالبا.
2 ـ العلماء المهاجرون الى مدينة دمشق: وكانوا يشكلون تقريبا نصف العلماء المقيمين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وكان بينهم علماء سبق وان اكتسبوا الشهرة في اماكن اخرى.
3 ـ طلاب العلم العابرون الذين كانوا يودون الاستفاضة في العلم على يد عالم معين في الوقت الذي كانوا يمارسون فيه التعليم ايضا. وكان هؤلاء يشكلون في اواخر القرن الحادي عشر الميلادي، حوالي خمس مجموع العلماء في دمشق.
4 ـ طلاب العلم المهاجرون من دمشق: وهم قلة كانوا يهاجرون من دمشق بحثا عن فرص احسن، وكان اغلبهم يميل خلال القرن الثاني عشر الميلادي الى الهجرة نحو العراق ثم اصبحت وجهة معظمهم خلال القرن الثالث عشر هي مصر.

تقنين النظام الدولي للتعليم الاسلامي وتحول نشاط العلماء الى مهنة

يؤكد كاتب المقالة بأن العلماء طوروا خلال القرون الخمسة الاولى للاسلام ممارستهم واطرهم بشكل مستقل عن الدولة. وقد اعتمد الامويون والعباسيون على العلماء كمستشارين وكقضاة وكسفراء، غير انهم لم يؤسسوا معاهد ثابتة بمدرسيها ومخصصة لبحث امور الاسلام الدينية والشرعية، بل كان ذلك يتم عادة تحت رعاية المحسنين لبعض العلماء او لمشروع علمي او لاقامة معاهد تدريسية او من خلال النشاطات المستقلة للعلماء، هذا اضافة الى نشاطات القلة من طلبة العلم الذين كانوا يتمتعون برعاية الدولة أو بعض المحسنين. ان النمط غير الرسمي في التعليم والتنظيم واكتساب المكانة الاجتماعية من قبل طلاب العلم والعلماء سرعان ما تطور الى نشاطات منظمة ادت فيما بعد الى قيام النظام الدولي للتعليم الاسلامي. هذا هو حسب رأي الكاتب

عالم مشهور، فان الحداد كان يعمّ كل العالم الاسلامي.

ولاعطاء صورة مقربة عن هذه العلاقات وتأثير العلماء بعضهم على بعض، يعرض الكاتب المثال التالي عن كل من الخطيب البغدادي (392 هـ/ 1001 م - 463 هـ/ 1070 م) وابن عساكر (499 هـ/ 1105 م - 571 هـ/ 1175 م) والسمعاني (506 هـ/ 1112 م - 562 هـ/ 1167). فبينما كان الاول محدثا مشهورا في بغداد، كان الثاني فقيها ومحدثا معروفا ومن عائلة مرموقة من عوائل علماء دمشق، اما الثالث فكان من علماء مدينة مرو. كان كل واحد من هؤلاء قد سكن وسافر الى كل من سوريا والعراق وخراسان، فكان ابن عساكر قد سافر الى مرو حيث التقى بالسمعاني، كما ان الخطيب البغدادي كان قد زار دمشق وكتب وحاضر فيها مرتين. كان في المرة الاولى في طريقه الى مكة المكرمة بينما مكث في المرة الثانية ثمان سنوات (451 هـ/ 1059 م - 459 هـ/ 1099 م). ورغم موت البغدادي بثلاثين سنة قبل ولادة ابن عساكر فان اساتذة ابن عساكر كانوا طلبة علم سبق وان درسوا مع البغدادي في دمشق، وكانوا هم ايضا قد سافروا الى بغداد ودرسوا اعمال البغدادي مع زملائه وتلاميذه. كما ان السمعاني كان قد جاء عام (535 هـ / 1140 م) الى دمشق حيث التقى مجددا بابن عساكر. وقد ارسل السمعاني بعد مغادرته دمشق كتابا الى ابن عساكر بمذكراته عن مدينة دمشق اضافة الى انه كتب «تاريخ مرو» كما كتب تتمة لكتاب البغدادي «تاريخ بغداد».

ويستنتج الكاتب بان اعمال هؤلاء الثلاثة وغيرهم هي ليست فقط تعبيرا عن التفاخر المحلي، بل هي مظاهر لانخراط كل من هذه المدن وغيرها في مجريات تطور التعليم وانتشاره على نطاق عالمي. اما دمشق على وجه الخصوص، فانها كانت آنذاك محطة مهمة لتبادل العلوم والافكار المتنقلة غربا وشرقا، كما ان المؤسسات التي قامت فيها في اواخر القرن الحادي عشر وحتى القرن الثالث عشر الميلادي، فقد اصبحت دعائم للنظام الدولي للتعليم الاسلامي.

العلماء في مدينة دمشق في القرون الوسطى الميلادية

ان دراسة وتحليل المراجع التي كتبها ثلاثة عشر عالما اسلاميا (1) في القرون الوسطى الميلادية تدل على وجود ما يزيد عن الف عالم في مدينة دمشق وذلك بين نهايات القرن

---

1 - انظر:

- تاريخ دمشق 363 - 555 هـ لابن القلانسي،
- تهذيب التاريخ الكبير وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر،
- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان لسبط ابن الجوزي،
- كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة،
- وفيات الاعيان لابن خلكان،
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي،
- الجواهر المضيئة في: طبقات الحنفية لابن ابي الوفاء،
- كتاب الذيل على كتاب الحنابلة لابن رجب،
- كتاب العبر في اخبار من غبر وتذكرة الحفاظ للذهبي،
- البداية والنهاية لابن كثير،
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد،
- الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة لابن شداد،
- الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي.

اما عن الفترة التي تهتم بها المقالة بشكل خاص، فهي الفترة المتعلقة بحياة العلماء الاجتماعية وتنظيمهم في مدينة دمشق بين 468 هـ / 1067 م - 658 هـ / 1260 م وهي فترة ادت فيها العلاقات بين العلماء والاسر الحاكمة الى ازدياد ارتباط المؤسسات الدينية بالحكم واقتراب نشاط العلماء ودورهم من شكل الوظيفة، ويمثل هذا التطور تغيرا مهما في جانب كبير من البنية الاجتماعية الاسلامية وفي حياة الجماعة الاسلامية.

حدث ذلك ضمن حركة الاحياء التي شهدتها دمشق في القرنين الخامس والسادس الهجريين، اذ اتسعت وعظمت المؤسسة الدينية فاستحدثت اعداد هائلة من الوظائف ذات الرواتب للمدرسين ومن المنح لطلبة العلم، كما ان اعدادا كبيرة من الدارسين اخذوا يتقاطرون من انحاء العالم الاسلامي نحو دمشق. هذه الحركة بمجملها هي التي تمخضت عما يسميه الكاتب «بالنظام الدولي للتعليم الاسلامي» The International System of Muslim Scholarship

تطور النظام الدولي للتعليم الاسلامي

اذن، فان مؤسسة رجال الدين (ان صح التعبير) كانت تتطور قبل القرن الخامس الهجري بشكل مستقل سواء عن الولاة او عن البيوتات الدمشقية. وقبل ان تتمركز شبكة علماء الدين في القرنين الخامس والسادس الهجريين، كان العلماء يتنقلون في ارجاء الاقاليم الاسلامية، اما طلبا للعلم او لنشره، كما وكانت مجاميع طلبة العلم دائمة السعي في الاتصال المباشر فيما بينها، الامر الذي ادى الى انتشار شبكة من طلاب العلم عبر العالم الاسلامي. كان تنقل طلاب العلم هذا يتم تلبية لمتطلبات مهنية واجتماعية بالاضافة الى المتطلبات الدينية التي تطورت من خلال تبادل المعلومات الدينية، وهذه الممارسات هي التي شكلت ما يسميه الكاتب «بالنظام الدولي للتعليم الاسلامي».

كان طلاب العلم في القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الميلادية يدرسون في مدنهم ولكنهم سرعان ما اخذوا يتنقلون بين عدة اماكن لاستكمال معارفهم. وعندما كان ينال اي منهم المعرفة الكافية ويحصل على ما يثبت اهليته، كان يسعى عند ذاك لاحتلال موقع ما في بلاده او خارجها. وحيثما اقام العلماء فانهم كانوا يستكملون تعلمهم بالاستفادة من العلماء المقيمين او المسافرين وذلك في نفس الوقت الذي كانوا يقومون فيه انفسهم بتدريس الآخرين. كما كان البعض يدرس لدى عدة اساتذة في آن واحد بينما كان آخرون يدرسون سنين لدى استاذ واحد، حتى كان البعض من هؤلاء يصبح رفيقا او مساعدا لهذا الشيخ يتنقل معه من محل الى آخر. واضافة الى ذلك، فان علاقات التصاهر بين المتعلمين والعلماء وعوائلهم المقيمة او المتنقلة بين مختلف المدن الاسلامية كانت تربطهم الى جانب علاقاتهم ببعضهم بشبكة واسعة جدا من العلاقات الاجتماعية التي كانت تغطي العالم الاسلامي، وهذا ما يفسر سهولة وصول الافراد الى مدن جديدة طلبا للعلم، حيث كان هناك دائما من يستقبلهم ويعتني بهم ويوفر لهم العمل والمأوى في تلك المدن. فضلا عن ذلك، فان العلماء كانوا يتراسلون فيما بينهم حول الاحداث السياسية ومختلف الشؤون الدينية كما كان يخبر بعضهم البعض بالاحداث العسكرية وما قد يحصل في مناطق كل منهم، وعند وفاة اي

انتظام التعليم الاسلامي ووظيفة رجال الدين في دمشق بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (القرون الوسطى الميلادية)*

يعرض الكاتب في هذه المقالة فهمه لتطور «مؤسسة» العلماء (رجال الدين) في دمشق
لك بين سنة 468 و 658 هجرية. ففي مقدمة المقالة يشير الكاتب الى ان علماء
سلمين انتشروا عقب الفتوحات الاسلامية، حيث كانوا يتنقلون في ارجاء المعمورة
، اسبانيا واسيا الوسطى وذلك لتباحث الامور الدينية وتبادل المعلومات ولاغراض
عليم. لقد كان الجيل الاول الذي تبع جيل الصحابة يسمون بـ «التابعين» بينما
ميت الاجيال اللاحقة بـ «العلماء»، وهم المهتمون بدراسة امور الدين والشرع، ثم
اروا يشملون القضاة الشرعيين ومدرسي الفقه ونقلة الحديث والائمة والوعاظ
لستشارين والصوفية وغيرهم من المتبحرين في شؤون الدين. وعبر كل فترات التاريخ
سلامي كان العلماء هم الذين يقومون بالوظائف الدينية، وان كانت الادوار التي
بوها على صعيد الحياة الاجتماعية تختلف باختلاف العصور. كما انهم كانوا يقبلون او
نضون تعيينات الحكام لهم باختلاف الفترات وباختلاف امكنة تواجدهم، وقد كانوا
القرون الاولى من تاريخ الاسلام مستقلين وموزعين على كل شرائح المجتمع،
انت تربطهم فيما بينهم علاقاتهم الخاصة، في حين اصبح بعضهم في قرون متأخرة
بضون الرواتب واصبح تنظيم هؤلاء خاضعا لمؤسسات الدولة.

المقالة اعلاه هي تلخيص لمقالة Joan E. Gilbert ، (الاسكا)، والمعنونة:

Institutionalization of Muslim Scholarship and Professionalization of the 'Ulama' in Medieval Damascus.

ي منشورة في العدد 52 من «Studia Islamica» والصادر في 1980 بباريس.

وان الشرق مستعبد للغرب ان لم يكن من جهة السياسة فمن جهة الاقتصاد. افلا ينظرون الى حالة تركيا المالية اليوم؟ افلا يرون ماذا اضر بها التفرنج في اقتصادياتها اذ ارادت ان تقتدي باوربة في الزي والزينة وهي لا تملك ما يملكه الافرنج من الثروة.

ولقد كنت اصادف من مصر ومن الشام بعض شبان يحصلون في اوربا الميكانيكيات او الكهرباء او فن النساجة او صنعة اخرى فيسرني ذلك اكثر من الذين يحصلون مجرد العلوم واللغات لا لان العلوم واللغات لا تفيد المجتمع بل لوجوب الموازنة بين اركان العمران التي منها الصناعة والزراعة والتجارة ومن حيث اننا نقتدي بالاوربيين في كل شيء افلا اقتدينا بهم في توزيع المعارف على النسبة اللازمة لترقية البلاد؟

ولا اريد ان اطلق القول واحكم على جميع الذين حصلوا العلوم في اوربة بفساد العقيدة بل هناك من الناشئة من استفاد وعاد الى بلاده فافاد وبقيت مباديه طاهرة وانما اريد ان اقول ان ارسال الولد الى اوربة قبل ان يبلغ اشده معناه ارساله لينشأ تنشئة اوربية ليس فيها شيء من الاسلام ومباديه، فاذا عاد هذا الولد الى اهله شابا عاد اما عدوا لقومه او محتقرا لهم، ونشأ هذا التنافر الذي نراه الآن في الاوساط الاسلامية بين الفوج القديم أو المتمسك بالقديم وبين الفوج الجديد والذاهب الى نبذ كل قديم.

وسيزداد هذا التنافر تدريجا الى ان ينتقل من الافكار الى الايدي فتسيل الدماء وتضطرب الدهماء ويكون من الخطوب ما هو فوق الحساب.

وقد يقال ان تركيا وقع فيها الانقلاب رأسا على عقب وما جرى شيء مما تقول. والجواب لا يقدر احد ان يقول ان الامر انتهى في تركيا وان الامور ركزت على ما نراها عليه اليوم. ولكن الذي اسكت الاتراك اكثر من الرضى بالانقلاب الاجتماعي الحالي انما هو الخوف من الفتنة الداخلية واهتبال الافرنج هذه الغرة للرجوع الى البلاد؛ فتحمل الاتراك كل ما فرض عليهم مؤخرا تفاديا من الاستعباد للاجنبي الذي كانوا ذاقوا مرارته وحبا بالراحة والسكينة بعد هذه الحروب المستمرة المتصلة التي اتت على حرثهم ونسلهم. فرأوا الصبر على هاذا احجى وقالوا لا بد من الفرج.

والخلاصة اننا من فوضى التعليم في خطر عظيم من عدم تجانس التعليم ستكون في العالم الاسلامي فتن وشدائد بين ابنائه انفسهم اشد خطرا من غارات الافرنج واحتلالاتهم التي لا بد من ان يتقلص ظلها بالصبر والثبات واغتنام الاوقات. ولن ننجح ولن نفلح الا اذا اقتدينا بالامم الاوربية الراقية التي مع تبحرها في جميع العلوم الطبيعية والاشتغال الى الدرجة القصوى بالمادة لا تزال بانية ثقافتها على ديانة مضى عليها اكثر من 19 قرنا وعلى لغات وآداب مضى عليها اكثر من ثلاثين قرنا ولم يمنعها الولوع بهذا الجديد من الاحتفاظ بذلك القديم.

لوزان، 4 ذي القعدة (1348)

في اوربة وجب ان نرتدي جميع اثواب مدنية اوربة بلا استثناء، وان لم نفعل ذلك كان تعليمنا ناقصا وغير واف بالحاجة! ولا نعلم لماذا اوربة نفسها رقت هذا الرقي كله ولم تزل صبغتها مسيحية ولم يضرها ذلك في رقيها شيئا.

واغرب الغرائب انك تجد بين هؤلاء الأباء الذين يرمون بافلاذ اكبادهم في اوربة بدون تفكر ولا تدبر آباء مسلمين حق الاسلام مؤمنين جد الايمان قائمين بالفروض والسنن والطاعات كلها لا تجد في احوالهم الشخصية عوجا ولا أمتاً ولا يريدون ان يكون اولادهم الا كما كانوا هم من جهة التقوى والآداب والفضائل ومع هذا فان هؤلاء الآباء انفسهم يعتقدون ان مستقبل اولادهم متوقف على ارسالهم الى التحصيل في اوربة وتجدهم تلتهب في قلوبهم نار الغيرة من ذهاب ابن فلان وابن فلان الى برلين او باريز او لندن فلا يهمهم بعدها شيء الا ان يرسلوا اولادهم الى حيث ارسل غيرهم اولادهم حتى يفتخر الواحد منهم بان له ولدا تعلم في باريز، وهناك السعادة العظمى والفوز الاكبر، فهو يرسل ابنه الى اوربة ولو علمه خاليا املس من العقيدة ومن العربية ولا يبالي على اي جنبيه وقع الأمر.

يصلي ويصوم وقد يزكي وربما قد حج بيت الله ولا يطيق ان يسمع كلمة سوء في الاسلام ويرخص روحه في سبيل دينه، ولا يبالي بارسال ابنه الى اوربة وهو بعد مثل العجينة ان يخرج ابنه مارقا من الاسلام مروق السهم من الرمية. ان هذا لمن التناقضات التي لا يفهمها العقل.

واغرب منه ان اولادا من اولاد هؤلاء يعودون على آبائهم من اوربا وقد امتلأت ادمغتهم من احتقار المدنية الشرقية والثقافة الاسلامية فيهزأون بآبائهم ويزدرون بأهلهم ويجادلونهم في الدين وينكرون امامهم الوحي ويقولون لهم في وجوههم ان هذه العقائد ان هي الا خرافات واساطير ويكون قصارى جواب الاب لابنه: نحن هكذا ولدنا وهكذا نشأنا وهكذا نموت واما انتم فاعملوا ما شئتم!

هذه هي سياسة هذا المسلم المصلي الصائم المزكي في عائلته وهذا مقدار اكتراثه لمستقبل ابنه! ولعمري ماذا تنفعه صلاته وماذا يفيده نسكه بعد هذا؟ وهو يزج ابنه في الكفر والالحاد وانكار الاديان ويرسله الى الديار الغربية اعزل من الاعتقاد عن برهان فيكون كمن ارسل ابنه بلا سلاح ولا سنان.

فاذا كان هذا عدم اكتراث الآباء المسلمين المتدينين لمستقبل اولادهم فكيف يكون شأن الآباء الذين هم من الاصل غير مبالين بالدين ولا هم من المعتقدين؟ لا جرم ان الواحد من هؤلاء يرسل ولده الى اوربة عمدا على امل انه يكسب هناك من الثقافة المادية ما يجعل الحاده مبنيا على علم ودليل بدلا من ان يكون فطريا كالحاد ابيه.

وجميع هؤلاء الآباء لا يرون لابنائهم مستقبلا الا في الذهاب الى احدى العواصم الاوربية والتحصيل فيها كيفما كان منقلبه في الآخر. ولو تأملوا في حقائق الامور لعلموا ان اتقان فلاحة واحكام صنعة والتفنن في تجارة هي افيد لاصحابها من تحصيل علوم لا يعرفون ماذا يعملون بها وهم يرون البلاد الشرقية عيالا في جميع المصنوعات على الاوربيين وانها لا تصدر الى اوربة من محصول زراعتها ما يساوي واحداً حتى تشتري منها ما يساوي ثلاثة بالاقل.

يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون)

ومثله: (واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض)

وغير ذلك من الآي الكريمة التي تكرر فيها هذا المعنى بصور متنوعة وما تكرر ذلك الا من كثرة هذا الخلق في الخلق ومن انهم لا يعرفون الله الا تحت الحمل واذا ازيح عن ظهورهم بطروا وارنوا واول شيء جاء ببالهم هو الالحاد او الجحود.

ولننظر في العلة الاصلية لهذا التهافت على الكفر بمجرد اصابة اقل خير او شيم ادنى وميض نجاح فنجدها عند الناشئة الذين لم يكن لهم نصيب من التعليم الاسلامي فبناؤهم منه ضعيف ينهار من اول عاصف.

ماذا تأمل من الشاب الذي ارسله ابوه الى اوربة وهو ابن 14 سنة لا يعرف شيئا من عقيدة قومه ولا من البراهين التي يقوم عليها الاسلام: فوصل الى هناك «خاما» كما يقول وحشا دماغه في اوربة بكل ما يحقر الاسلام ويصغره ويزدريه وقيل له ان ما عليه امته من التأخر والجمود والضعف انما هو بأجمعه اثر الاسلام أفيكون من العجب بعد هذا ان تنشأ عند هذا الفوج الجديد «الاسلامي» هذه الكراهية للدين الاسلامي وهذه النفرة من الثقافة الاسلامية؟

كلا. بل العجب كل العجب ان يكون الامر بخلاف ذلك. وان خرج من جميع هؤلاء الشبان مسلم واحد فعلا يكون المنطق معدوما من الدنيا. ولا ننكر اننا رأينا نزرا من هؤلاء الشبان متدينين او متباعدين عن الالحاد في الدين، ولكننا علمنا انهم قبل ان يسافروا الى اوربة كانوا على شيء من علم العقيدة او كان اهلهم ذوي تربية اسلامية متينة بحيث رسخت فيهم منذ الصغر فلم تؤثر فيها قرقة اوربة.

فالخطأ اذا ليس خطأ اوربة التي تريد ان تبث تعاليمها مما هو طبيعي، والتي لو وجد فيها الميل الى الانصاف لم يوجد عندها العلم بحقيقة الاسلام الذي لا يصل اليها عنه العلم الا مقلوبا. وانما الخطأ هو خطأ الحكومات الاسلامية التي كانت ترسل الناشئة للتحصيل في فرنسة وانكلترة والمانية وبلجيكا وسويسرة واوستريا الخ وتظن انها ربت فيهم رجالا للمستأنف، والحقيقة انها ارسلتهم ـ الا الاقل ـ غير مجهزين بشيء من السلاح المعنوي الذي يمكنهم ان يذبوا به لو هوجمت عقيدتهم فكانوا معرضين لكل خطر كما رأيناهم.

والخطأ الذي هو اكبر منه هو خطأ الوالدين الذين يرسلون اولادهم الى اوربة اقتداء بغيرهم ممن يرسلون اولادهم الى اوربة وهم لا يبالون كيف يكون مصيرهم ولا يسألون هل اولادهم اكفاء لتحمل صدمة اوربة ام لا؟

ان التعليم في اوربة لازم بل ضروري، ولا سيما العلوم الطبيعية والميكانيكيات والاقتصاد والزراعة والتجارة وغيرها من العلوم، ولكن تلقينا هذه العلوم في اوربا لا يستلزم ان ننسلخ من عقائدنا وعاداتنا واخلاقنا واذواقنا ومشخصاتنا القومية ومقوماتنا الاجتماعية. وقد سبق لغيرنا من الشرقيين مثل اليابانيين ان تلقوا هذه العلوم وبرعوا فيها وضارعوا فيها الاوربيين وسبقوهم في كثير منها ولبثوا على ما كانوا عليه من عادة وعقيدة وذوق ومشرب وكتابة وادب، ولا نعلم لماذا نحن وحدنا الذين اذا حصلوا العلم

ولقد تحققت ان كثيرين من شبان المسلمين السوريين الذين كانوا لا يعرفون الصلاة ولا الصيام وكانوا يجاهرون بالمبادىء اللادينية قبل نهاية الحرب لما رأوا ما رأوا من سياسة الانكليز والفرنسيس بعد الحرب العامة عادوا من كرههم لهم يصلون ويصومون ويقيمون شعائر الاسلام. وبلغني ان اناسا كانوا يلبسون الطرابيش فقط فلاثوا من حولها عمائم.

وانا اعتقد انه لو فرضْ المحال وكان الحلفاء قد وفوا بما عاهدوا العرب عليه لكان مثل هؤلاء لبسوا من اجلهم البرانيط. ان هذه الحالة الروحية قد تظهر مستغربة ولكنها صحيحة.

ولولا «الوطن القومي الصهيوني» لم يكن الاعتصام بالاسلام في فلسطين كما نراه اليوم. ولو لم تنتصر تلك الدولة الاسلامية المعهودة على اليونان وتعقد اوربة معها معاهدة لوزان لما كان ظهر فيها شيء من الالحاد ولا من عداوة الاسلام ولا كان جرى هذا التبديل في الازياء وفي الحروف وفي القوانين ولا خطر ببال قادتها شيء مما فعلوه ويفعلونه اليوم.

نعم لا خلاف في انه لو كانت هذه الحكومة باقية كما كانت حكومة غير معروفة ولا عارفة مصيرها وكان الحلفاء محتلين بلدانها الى اليوم لكان زعيمها المعهود يحضر كل جمعة قراءة مولد ويخطب كل بضعة ايام خطبة ينوه فيها بالعرب «مِلّتِد اشلرمِزْ» والمصريين «ملتد اشلرمز» ويتكلم عن العالم الاسلامي وعن قيامه هو لاجل نصرة الدين وانقاذ الخليفة من بين ايدي الاجانب وصيانة الخلافة وما اشبه ذلك ولكان لا يزال يقبل يدي السيد احمد الشريف السنوسي ويستقبله الى المحطة ولكان يبرق اليه كما ابرق اليه وهو بماردين قائلا له ما معناه: «ابتدأت المعركة ادركونا بقراءة البخاري الشريف» ولكان الذي هو رئيس وزارته اليوم لا يزال يأتي الى السيد السنوسي ويركع على ركبه امامه مدة ساعتين ولا ينصرف الا بعد ان يلتمس منه الفاتحة...

انه لمتفق على ان هكذا كان يكون لو بقي هؤلاء القوم في ارجوحة الشك واليقين لم يأمنوا على استقلالهم.

وليس هذا منحصرا في هؤلاء الجماعة بل هو في ناشئة العصر من العرب ايضا. فالاسلام لا يعودون اليه الا عند الشدائد. وهذا خلق عام. ولو وقعت تلك الدولة يوما في حرب مع دولة من الدول العظام لرأيت منها اسلاما وايمانا وجمعا وموالد وختمات واذكارا لا تحصل في مكة.

ما اصدق قوله تعالى:

(واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما، فلما كشفنا عنه ضره مرّ كأن لم يَدْعُنا الى ضر مسه، كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون)

ومثله قوله عز وجل:

(... دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين، فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق)

ومثله وهو لا بد ان يتحقق ويشاهده الناس بأعينهم ويتذكرون هذه الآية:

(ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون، ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم

طريقة التعليم التي معناها ان ينشأ الحدث المسلم بدون عقيدة من الصغر تنقش في لوح صدره وان لا يكون له نصيب من حفظ القرآن ولا من قواعد العربية وان يطلب منه بعد ذلك ان يكون مسلما!

فالمسلمون اليوم يشتكون من ثورة الافكار وفشو المبادىء المضرة كالالحاد والاباحة وعدم الطاعة والقول بكل شيء مادي والانصراف عن كل شيء روحي الى غير ذلك مما ابتلي به العالم الاسلامي الحاضر ومما لحظه الافرنج في ناشئة المسلمين في السنوات الاخيرة.

فقد قرأنا كثيرا في جرائد اوربة ومجلاتها ورحلات السائحين الاوربيين الذين طافوا في الشرق في هذه الاعوام التي عقبت الحرب فرأيناهم مجمعين على ان الالحاد ضارب بعصاه في بلاد الاسلام اليوم، وهم يرون ان هذه الحركة الفكرية عند مسلمي هذا العصر اشبه بالحركة التي انتشرت في اوربة في اواخر القرن الثامن عشر.

وقرأت في مجلة هولاندية ما معناه: ان هذه الحركة اللادينية في العالم الاسلامي لن تدوم لكنها الآن سارية في كل مكان منه.

ولما عاد ويليام مارتين الكاتب السويسري الشهير من سياحته في الشام والعراق بهذا الشتاء القى عدة محاضرات في جنيف صرح فيها بان الناشئة الحديثة في العراق حسبما لحظ في بغداد ليست على شيء من الدين الاسلامي. . .

وخطب في باريز رئيس احدى الرهبانيات الافرنسية التي لها مراكز في الموصل منذ مائة وخمسين سنة وهو نفسه مقيم بالعراق منذ 35 سنة فقال:

«لقد فشا الالحاد وكره الدين بين شبان المسلمين فشوا هائلا وفسدت معه الاخلاق الى حد اننا نحن القسوس والرهبان صرنا نفضل المسلمين الشيوخ المتمسكين بديانتهم على هؤلاء الشبان الملحدين» ثم شكا هذا الراهب الكبير الضعف الزائد الذي عليه حكومة العراق بازاء هذه الحالة الروحية السيئة.

وجميع اهل مصر يئنون من مظاهر عداوة الدين التي كانت تصل احيانا الى مجلس النواب نفسه والتي لولاها لم تكن الجامعة المصرية نفسها بؤرة شبهات باسم حرية التفكير!

وسورية نفسها منطوية احناؤها على كثير من سل اللادينية الساري بسرعة، ولو كان الله ألهم انكلترة وفرنسة ان تفيا بالوعود التي اكدتاها للعرب والعهود التي حررتاها في قضية استقلالهم لكان انهار الدين الاسلامي انهيارا مدهشا في سورية.

ولكن نكث الحلفاء في عهودهم ووعودهم واساءتهم معاملة الشرقيين وبخاصة المسلمين وانقلابهم من نعاج قبل الانتصار على المانية الى ذئاب من بعده وغير ذلك من سياستهم الجائرة احدث عند المسلمين حتى الشبان منهم حركة اسلامية منشؤها كره الاجنبي الغادر الناكث الماكر الذي لو كان وَفَى معهم لكانوا احبوه وكرهوا الاسلام لاجله، ولكنه من حيث انه نكث كرهوه وعادوا الى الاسلام.

لا اقول هذا على الاطلاق فان الاطلاق غير جائز، ولكني اقول ان هذا التصوير لحالة سورية الروحية مطابق جدا في الكثيرين.

ومنهم من يرى ان هذا الهجوم المستمر من الافرنج على بلاد الاسلام لم يكن كله اثر جشع دنيوي ولا طمع مادي وانه وان صحبته مظاهر استعمار وطرق استغلال ومساع في كسب الاموال فان اصله الاصيل ليس بمادي، بل هو تكملة للحروب الصليبية التي استمرت بين الاوربيين والمسلمين قرونا والفريقان فيها بين جزر ومد الى ان اتيح للافرنج الظهور في هذا العصر فهبوا يستأنفون اعمالا كانوا حبطوا فيها سابقا ويستثمرون دماء كانت سالت لهم من قبل هدرا. ففرنسة مثلا زحفت الى سورية احدى عشرة زحفة صليبية وزحفت في زمن نابليون الاول وزحفت في زمن نابليون الثالث، وفي كل زحفة كان نصيبها ان تخسر المال والرجال وترجع ولو بعد حين. فلا عجب اذا حاولت الآن ان تتمكن في ارض قصدتها ثلاث عشرة مرة واضطرت ان تخرج منها كرها.

وانكلترة حاول ملكها ريشارد قلب الاسد ان يستولي على بيت المقدس في القرون الوسطى فدفعه عنه الفاتح الايوبي، فعادت بعد سبعمائة وخمسين سنة تكمل عملا كانت عجزت عنه في تلك القرون وخسئت عنه وفي قلبها حسرات لم يخمد اوارها الا على يد الجنرال اللنبي. ولقد صرح هذا المارشال بدون محاباة انهم بعد ثمانية قرون ابطلوا عمل صلاح الدين. . .

وبعضهم يقول: كلا ليست هناك عداوة دينية ولا حرب صليبية فان العصبية النصرانية قد زالت من اوربة (وهذه من جملة اضاليل المجددين ودسائس المستعمرين) وقام مقامها عصبية المدنية الاوربية والثقافة الغربية (والحقيقة ان هذه المدنية وهذه الثقافة مبنيتان على النصرانية وان النصرانية الاوربية هي مزيج من مبادىء سامية ويونانية ولاتينية) فاوربة لا يهمها نشر دينها وانما يهمها نشر ثقافتها التي هي افضل وانفع للنوع الانساني من الثقافة الشرقية.

واخرون يقولون: ان هذا التكالب الغربي على العالم الاسلامي اساسه ما بين الدول الاوربية من التنافس ومن الكفاح لاجل حفظ الحياة، فكل من هذه الدول تخشى تفوق جارتها عليها او مزاحمتها لها فتضطر الى وضع يدها على قطر من الاقطار الاسلامية لتأمن سد الطريق على تجارتها او لئلا تسبقها الى ذلك القطر دولة اخرى تزداد بالاستيلاء عليه قوة وبسطة وترجع عليها في ميزان السيادة وتستأثر بالسلطان الاكبر.

وكل يرى الضعف الذي حل بالاسلام ودوله وشعوبه نتيجة ما يقرره من الاسباب التي عددناها ويجد الاخطار المستقبلة والمهالك المستأنفة بأجمعها من احدى هذه الجهات او من مجموعها.

ونحن نقول: ان كل هذه العلل صحيحة وان كلها واقع بالاسلام وواقع فيه الاسلام، وليس في واحدة منهن مبالغة في الوصف ولا زيادة على المقدار الذي وزن به الخطر، ولكنها كلها اقل خطرا واخف ضررا من طريقة التعليم التي جرت عليها الحكومات الاسلامية والمسلمون في هذا العصر. وهي الطريقة التي ستكون نتيجتها اشد ويلا على المسلمين من الاستعمار ومن الحروب الصليبية ومن الغارات الاقتصادية ومن كل مصيبة وداهية.

الازمة الحقيقية الحاضرة في الاسلام
هي أزمة التعليم

الامير شكيب أرسلان*

يضرب الناس اخماسا في اسداس في اسباب المصائب التي حلت بالعالم العربي وافضت به إلى هذا الانهيار الحالي الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الاسلام ولا في الكائنة الصليبية ولا في الكائنة المغولية ولا في غيرهما.

ويقلبون وجوه الآراء في الاخطار المحدقة بالاسلام والازمات المتوالية عليه، ويلتمسون منها مخرجا وينشدون لها علاجا وكل يدلي برأي ويستظهر بحجة ويشير بعلاج ويصف طريقة.

ومن الناس من يرى داء العالم الاسلامي في الاستعمار الاوربي وتكالب هذه الامم الشمالية والغربية على المال وعبادتهم الدينار واهتمامهم عامة ليلهم ونهارهم بالكسب وقرش الاموال (قرش المال وتقرشه: جمعه) حتى يرفهوا به ابدانهم ويرضوا به شهواتهم ويصلحوا به معايشهم. وانهم حسبما وصف ذلك الامام يحيى صاحب اليمن لما غربلوا جميع خيرات بلادهم ونخلوها واكلوها ولم يبق فيها شيء يؤكل انقلبوا على العالم الاسلامي الذي فيه كرائم الخطط وعقائل الاموال يحاولون ان يستغلوها ويستثمروها وينزحوا جميع ما في آبارها ليزدادوا ثروة الى ثروة ورفها الى رفه.

* ننشر هذه المقالة للامير شكيب ارسلان (1869 - 1946) وذلك كوثيقة تبين كيف ان العديد من اهم المشاكل التي يعاني منها العالم الاسلامي سبق وان اشار اليها وتصدى لها رجال هذه الامة منذ زمن ليس بالقصير. كما ان المقالة بحد ذاتها تكشف كيف ان محتواها لا يزال واقعا حيا نستطيع تلمس آثاره وظواهره كل يوم، بالرغم من انها نشرت في جريدة «الفتح» الاسبوعية، العدد 199، 18 ذي القعدة 1348 هـ الموافق 17 ابريل 1930.

كان سيد امير علي كمعاصره سير سيد شخصا عقلانيا وكتابه الشهير «روح الاسلام» هو محاولة على هذا الطريق حيث اراد ان يثبت فيه ان الاسلام لا يتناقض ومتطلبات «المجتمع الجديد» والجديد هنا هو الغرب ليس الا، والمجتمع الجديد هو المجتمع المبني على اسس غربية والاسلام هو الذي عليه ان يبرهن على مقدرته في «التكييف» مع «المجتمع الجديد». كان هذا هو الفخ الذي وقع فيه اناس مثل سير سيد وشبلي نعماني وبدر الدين تيابيجي وسيد امير علي بالرغم من حسن نواياهم واخلاصهم في خدمة المسلمين والاسلام.

لقد حاولوا ان يأتوا بالاسلام الى الغرب معتبرين ان الحضارة الغربية هي قاعدة ثابتة ومطلقة وان الاسلام هو الذي عليه ان يبذل الجهود ليستقر فوقها وهم بهذا اخطأوا مرتين. الاولى في عدم فهمهم لطبيعة هذا الغرب وللمحمولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لحضارته والثانية في محاولاتهم لترويض الاسلام والمسلمين للحالة الجديدة والتي كانت لا تعني غير خدمة الاستعمار وفقدان الهوية الحضارية الحقيقية للمسلمين. لذا لم يكن من المستغرب ان يقوم العلماء المسلمون في حمل رايات الجهاد ضد الانكليز وان تخرج هذه الرايات من المدارس الدينية. ولم يكن من المستغرب كذلك ان يقوم المستعمر بتحطيم المدرسة الاسلامية كمدخل لاضعاف روح المقاومة لدى المسلمين...

ترجمة بتصرف عن «Islamic Studies»، المجلد 20 العدد 1، ربيع 1980، ص. 1 - 21، لندن.

الــهــوامــش

1 - انظر ص 1 - 10 في Hunter W.W., « *Report of the Indian Education Commission* », Calcutta, 1882.

2 - المصدر السابق، ص 12

3 - انظر ص 16 - 17 في Adam, W., *First Report on the state of Education in Bengai*, 1835, Calcutta, 1865.

4 - انظر ص 115 - 114 في Macaulay Minute, 2nd February, 1835, Bureau of Education, India Selections from Educational Records, Part I, 1781-1839, H. Sharp, C.S.I., C.I.E., Calcutta, 1920.

5 - انظر ص 264 في Baliga, B.S., « *Madras District Grzetteers* », *Madras*, 1960.

6 - انظر ص 205 في « *Encyclopædia of Islam* », the Hague, 1965, Vol. II.

7 - انظر Rawlinson, H.H., « Sir Sayyid Ahmad Khan », *Islamic Culture*.

8 - *Encyclopædia of Islam.*

9 - انظر ص 23 في: « Shibli N'umani, *Bâqiyat-i-Shibli* », ed. by Mušhtaq Husain, Delhi, 1964.

10 - انظر ص 63 في « Šhibli N'umânî, *Khtbât-i-Šhiblî* », ed. by Sayyid Sulaiman Nadvi, Azamgarh, 1965.

11 - المصدر السابق، ص 101 Shibli N'umâni, *Bâqyat-i-Šhiblî*, ed. by Mušhtaq Husain, p. 176.

12 - انظر ص 108 في Tyabji, *Husain*, « *B. Badruddin Tyabji : A Biography* », Bombay, 1952.

الغربية بين المسلمين اعتقادا منها ان هذا هو الطريق الاصلح في انهاضهم وتحسين احوالهم العامة . ومن الخدمات المهمة لهذه المؤسسة في تشجيع ورفع مستوى التعليم في الجنوب انها اسست لجنة لاحصاء وتصنيف المدارس الموجودة في بومباي . وقد انجزت هذه اللجنة تقريرها في 4 كانون الثاني 1885 معلنة عن وجود مائة وأحد عشر مدرسة . عرضت انجومان ان تعطي هذه المدارس روبية عن كل طالب يأتون به اليها يستطيع ان يقرأ عشر سور من القرآن الكريم ويعد من الواحد الى المائة . وطمئنتهم بعدم التدخل في ادارتهم ولكنها اصرت على ان تقوم كل مدرسة باعداد سجل خاص بها (12) قد لا نبالغ اذا قلنا ان جزءا كبيرا من النجاح الذي حققته انجومان يعود الى شخص واحد فقط هو بدر الدين تيابجي (Badruddin Tyabji) الذي كرس حياته كلها لخدمة هذه المؤسسة .
كان بدر الدين محاميا لامعا وقاضيا ناجحا ومصلحا اجتماعيا كبيرا ومربيا مشهودا له بالفضل . ينتمي الى طائفة البهرة السليمانية وهو اصغر سنا من سير سيد بسبع وعشرين عاما . وكان كالاخير يعتقد بان على المسلمين الا يكتفوا بالمعارف الاسلامية الخالصة بل عليهم الانكباب على الثقافة الغربية والاستفادة من علومها ولغاتها . وهو كشبلي ايضا كان يرى ضرورة مد الجسور بين المسلمين اصحاب الثقافة الغربية وبين طبقة العلماء . كان يدعو الجانب الاول الى الوقوف على ارض صلبة من المعارف الاسلامية ويدعو الجانب الثاني الى الاخذ بالعلوم وبالثقافات الاخرى وعدم الاكتفاء بما لديه فقط . وبالرغم من ان قضايا التربية والتعليم كانت تستحوذ على الجانب الاكبر من تفكير ونشاط بدر الدين الا انه كانت له مواقف مشهودة في مواجهة الانكليز وهو بهذا يختلف كليا عن السير سيد وانتقد مرارا مواقفه المؤيدة لبريطانيا . لقد حث المسلمين على ان يرموا بكامل ثقلهم في معركة التحرر من الاستعمار البريطانيا جنبا الى جنب مع الهندوس . لهذا السبب ونتيجة لتعاونه مع مجلس عموم الهند لم ينظر الانكليز مطلقا بعين الرضا الى مدرسة انجومان في بومباي وحجبوا عنها فرص التطور والنمو والتحول الى جامعة كبيرة الشيء الذي كان ممكنا جدا لو ان بدر الدين سار على خطا السير سيد في محاباته للانكليز .

بينما كان بدر منهمكا في اصلاحاته التعليمية في جنوب وغرب الهند وسير سيد في الشمال كان سيد امير علي منشغلا في مهمة مماثلة في شرق الهند . ان حياة امير علي كانت سلسلة متواصلة من الجهود في سبيل انهاض المسلمين في الهند ولكنه هو ايضا لم يفلت من فخ الثقافة الانكليزية التي كان يرى فيها كمعاصرية الجسر الذي لا بد منه في ربط «الماضي بالحاضر» . «ربط الشرق بالغرب» اسس امير علي في 1877 الرابطة المركزية للوطنيين المحمديين في كلكتا . كان الهدف الرئيسي لهذه الرابطة كما اعلنته في 1882 هو التالي «لقد تأسست هذه الرابطة بهدف ترقية احوال المسلمين من خلال كافة الوسائل الشرعية والدستورية . حيث انها قامت على اساس الالتزام الحرفي والمخلص للتاج البريطاني وهي اذ تستلهم تقاليد الماضي النبيلة تود في نفس الوقت العمل بانسجام وتوافق مع التيارات التقدمية المعاصرة ومع الحضارة الغربية ، وتهدف الرابطة الى ترقية احوال المسلمين الهنود عبر اعادة ربطهم بالمثل الاخلاقية العظيمة ومن خلال بذل الجهود لدى الحكومة البريطانية لكي تعترف بحقوقهم العادلة والمعقولة . »

مسلمين بكل معنى الكلمة وفي نفس الوقت ذوي اطلاع تام على الثقافة الغربية (١١).

قضى شبلي السنوات الاخيرة من حياته في خيبة امل كبيرة. الندوة لم تصبح ما اراد لها شبلي ان تكون بسبب عدم تعاون مجموعة العلماء. فهؤلاء لم ينظروا بارتياح للدور الجديد الذي كان شبلي يريد لها ان تقوم به.

بالاضافة الى هذا فان حماسه المفرط واندفاعه الشديد نحو التحديث جعله يتصرف بشكل اغضب الكثير من المسلمين الذين كانوا لا زالوا يرون في الثقافة الانكليزية لغة الاستعمار الذي يتحكم بمصيرهم ولغة الدين الجديد الذي يحاول فرضه عليهم.

مع هذا يبقى الفرق بين شبلي وسير سيد في نظرتهما الى الثقافة الانكليزية وعلاقتها بالثقافة الاسلامية فرقا جوهريا. فالسير سيد كان مبهورا الى حد بعيد بكل ما له علاقة بالحضارة الغربية عموما، اما شبلي فكان يقدر الثقافة الغربية ولكنه احتفظ دائما بوعي حاد يفرز ما هو اساسي وغير اساسي من عناصر هذه الثقافة. سير سيد كان واقعا تحت التأثير الغربي تماما ومعياره في الحكم على الامور صغيرها وكبيرها كان غربيا بحتا. وايمانه غير المحدود بالعقلانية جعله لا يقبل ايا من القوانين الاسلامية قبل ان يمتحنه على محك المنطق. اما شبلي فكان ينتمي الى مجموعة العلماء وايمانه بالقوانين والمبادىء الاسلامية كان ثابتا لا يتزعزع. فهو بالرغم من آرائه الحديثة كان متمسكا بشدة بجماعته لكنه كان يحاول ان يفهم القيم الغربية من خلال الاسلام بعكس سير سيد الذي كان يتعامل مع الاسلام عبر القيم الغربية. لم يكن برنامج شبلي هو اصلاح الاسلام بمعطيات وقيم جديدة ولكن بتنشيطه وانعاشه من الداخل واعادة تنظيم مواده الثقافية والتعليمية بصورة كلية متبعا نفس الخطوط التي سمحت بالتألق الذي حصل في بغداد العباسيين. ان شبلي كان مخلصا للاسلام ومؤمنا برسالته ولكنه اخطأ في تقدير مسألة على جانب كبير من الخطورة وهي ان التعامل مع الثقافة الاجنبية من موقع الضعف والانحدار ليس كالتعامل معها من موقع القوة والنصر، واذا كانت الحالة الاخيرة تزدهر وتتألق فان الحالة الاولى لا بد وان تنتج بؤسا ثقافيا وخليطا مسخا من اشياء لا يمكن ان تسمى حضارة في كل الاحوال.

اذا اتجهنا نحو الجنوب والغرب سنجد الموقف يختلف كليا عن الشمال. ففي هذه المناطق احتك المسلمون، بصورة مبكرة، مع الامم الاوروبية ومع الانكليز على وجه الخصوص. ولم يظهروا ازاءهم مقاومة كبيرة لذا كان من الطبيعي ان يقعوا تحت تأثير الغرب قبل مسلمي الشمال كذلك تختلف هذه المناطق عن الشمال بعدد ونوعية مدارسها الاسلامية فهي هنا ليست فقط غير كافية بل ما يوجد منها ليس بالمستوى المطلوب. كانت اكثر هذه المدارس تؤسس لاجل الثواب لذا فان موادها عادة لا تتجاوز تعليم قراءة القرآن الكريم وتدريس اللغتين الفارسية والاوردية وهناك بعض المدارس القليلة التي تدرس بالاضافة الى هذا القراءة والكتابة وبعض الرياضيات.

تعتبر مدرسة انجوماني اسلام (Angoman - i - Islam) التي تأسست في عام 1876 وافتتحت في سنة 1880 أهم مدرسة في الجنوب وشهرتها في هذه المنطقة تقابل شهرة علي كره في الشمال. دأبت هذه المدرسة بالاضافة الى برامجها الاسلامية على نشر الثقافة

اهلته لان يلعب دورا مهما في مجالات التربية والتعليم الاسلامية. حاول شبلي ان يجعل من «الندوة» ساحة تلتقي فيها الاتجاهات المتنافرة في التربية الاسلامية. فهو بالرغم من انتمائه الى وسط العلماء، الا انه كان من اشد الناس انتقادا للمناهج التعليمية في المدارس الاسلامية وكان له فيها تجربة عملية خصبة.

كان يرى ان المناهج كانت بحاجة الى دم جديد، ووجه انتقاداته الى العلماء الذين يدعون الى المحافظة على عين المناهج التي كانت ما برحت تدرس منذ اكثر من قرن. وكان يحاجج بان الثقافة التي تعطى بالمدارس لم تكن ثقافة اسلامية بالمعنى الصحيح لان بعض المدارس كانت تركز على كتب الفلسفة والعلوم الاغريقية اكثر مما تركز على الكتب الدينية (9) وما دامت هذه هي الحالة، فقد كان يتساءل لماذا اذن كان العلماء يعادون الثقافة الانكليزية بهذا الشكل. وكان يستشهد بكثرة بالتاريخ الاسلامي لاثبات ان المسلمين لم يكونوا يخشون الاستفادة من معارف الغير ويضرب المثل بألق الحضارة الاسلامية في اسبانيا والعباسية في بغداد. ومن جانب آخر كانت لشبلي تجربة طويلة مع مدرسة علي كره بلغت 16 عاما. فقد كان يعرف بالضبط نقاط ضعفها المميتة ونواقصها التي باتت غير قابلة للاصلاح. وكان يرى كيف انها كانت تخرج اناسا لا يفقهون شيئا في امور الاسلام الامر الذي كان يجعلهم يفقدون احترام الجمهور المسلم الذي كان يحس بهم كغرباء عنه. هذا كما لم يكن بالاضافة لذلك يجد لدى طلبتها اي اهتمام حقيقي بالتيارات الفكرية للعصر الحديث، بل والاكثر من هذا هو انهم لم يكن يبدو عليهم التعلق بالاسلام والتقاليد الاسلامية. كان همهم الاساسي (وهم ينتمون في غالبيتهم الى طبقة النبلاء والطبقات العليا) هو الحصول على الدرجة التي تؤهلهم للعمل لدى الحكومة. يضاف الى هذا كله انه كان يرى كيف كان السير سيد يسير من قبل اعضاء الهيئة التدريسية من الانكليز (الذين كان ذا ثقة عمياء بهم) في الوقت الذي كانوا لا يمثلون غير مصالح البريطانيين وسياستهم في داخل المدرسة وخارجها. هذه هي الاسباب التي جعلت شبلي يطمح الى ان يجعل من الندوة القاعدة المشتركة التي تجمع على ارض واحدة مجموعة العلماء وفئة ذوي الثقافة الانكليزية وذلك لكي يخرجوا معا ببرنامج مشترك فيه خير ومصلحة المسلمين عموما. كان شبلي يعلم علم اليقين بان الثقافة الانكليزية سوف لن تنتشر ابدا بين المسلمين ما لم يسند العلماء هذا المشروع. كما ان كافة الجهود لجلب الجماهير المسلمة الى الثقافة الانكليزية كان محكوم عليها بالفشل ما لم يعط العلماء موافقتهم على جعلها جانبا اساسيا من البرامج التعليمية.

في 1904 التحق شبلي «بالندوة» واصبح سكرتيرا لها، وبالرغم من المعارضة القوية من جانب العلماء ادخل الانكليزية الى برنامجها التعليمي. كانت هذه خطوة جريئة بدون شك ولكن نتائجها لم تكن محسوبة بدقة. فقد حجبت تعاطف عدد كبير من الناس الذين لم يكونوا يرغبون في ان تدرس الانكليزية في مؤسسة مكرسة للثقافة والدراسات الاسلامية، بالاضافة الى ذلك اغضبت هذه الخطوة بعض الوجهاء المسلمين ودفعتهم الى سحب المعونات المالية وابطال الاوقاف التي خصصوها لهذه المدرسة. (10) اصبح الشبلي متعلقا «بالندوة» الى الحد الذي باتت تمثل كل شيء بالنسبة اليه. اعطى كل دقيقة من وقته لجعلها مدرسة راقية ولتحويلها فيما بعد الى جامعة عظيمة تخرج طلبة

3 ـ تعليم الناشئة الآداب الحسنة وتقوية وازعهم الاخلاقي مع تدريبات رياضية مستمرة (7).

وبالرغم من ادراج العلوم الاسلامية في منهج كلية علي كره فانها كانت تبدو على طرفي نقيض مع مدرسة ديوباند. ان الفرق بين هاتين المؤسستين الاسلاميتين هو في الواقع الفرق بين مؤسسيها. ففي الوقت الذي كان السير سيد شخصا عقلانيا حاول تفسير الاسلام على هذا الاساس، كان مؤسسوا ديوباند من اتباع شاه ولي الله ويعتبرون محاولات السير سيد بهذا الخصوص جهودا ضائعة وغير مجدية. فحين كان يرى ان من مصلحة المسلمين نسيان الماضي وان يصبحوا رعايا مطيعين للامبراطورية البريطانية، كان اصحاب ديوباند يدعون الى العكس من ذلك تماما. فهم لم يألوا جهدا في تأليب الشعب ضد الانكليز معتبرين ان الدخول في اية مساومة معهم خطيئة لا تغتفر وهذا ما جعل مدرسة ديوباند تسند دائما المجلس (Congress) في سياسته الرامية الى تحرير البلاد من الحكام الاجانب. لذلك فان خدمات هذه المؤسسة في معركة الحرية سوف لن تنسى ابدا.

لقد انتقد السير سيد مرات كثيرة بسبب ولائه للانكليز. يقول عنه الافغاني بانه خدم سادته افضل مما خدم المسلمين. وفي هذا النقد شيء من الصحة، فلقد تصرف في بعض الاحيان بشكل بدا فيه عميلا سافرا للانكليز. ولكن لا يبدو من الانصاف القول بانه خدم الانكليز افضل مما خدم المسلمين. كان مستقبل المسلمين شغله الشاغل وكان يؤمن مخلصا بان خلاص المسلمين مما يعانوه من اوضاع سيئة يمر عبر ولائهم للانكليز وبتحصيلهم للعلوم والثقافة الغربية. كان مأخوذا بالثقافة الغربية بشكل افقده رؤية جوانبها السيئة. كان حاد الذكاء بلا شك ولكنه لم يكن يملك بصيرة ثاقبة وعقلا تحليليا يستطيع بهما الغوص في عمق الامور وفرز الحقيقة عن الباطل.

كانت مادة الثقافة الاسلامية في جامعة علي كره جثة هامدة، وذلك لأنها لم تكن الا ذريعة لجعل الثقافة الاسلامية سائغة ومقبولة لدى المسلمين. وكانت النتيحة هي ان طلبة هذه المؤسسة لم يبدوا اي اهتمام حقيقي بالدراسات الاسلامية بل واكثر من ذلك كان طلبتها متغربين عن الاسلام الى حد بعيد. من هنا نبعت الحاجة الى مؤسسة جديدة تعزز وترسخ الروح الاسلامية في نفوس طلبتها وتطور في نفس الوقت ملكتهم النقدية وذلك بتعريفهم على جوانب الثقافة الغربية والافكار الجديدة، فتأسست لتلبية هذه الحاجة مدرسة «ندوة العلماء» في 1892 و«دار العلوم» في 1894. واصبح سيد محمد علي كمبوري اول رئيس لدار العلوم. (8)

كان الهدف الرئيسي «للندوة» هو اعادة النظر في مجمل مناهج التعليم الاسلامية واضافة علوم عملية ومناهج تدريب فنية اليها. حاولت «الندوة» موازنة الوضع التعليمي الاسلامي باتخاذها موقفا وسطا بين مدرستين بات اختلافهما في المنهج والفكر **واضحا وهما ديوباند وعلي كره. الاولى كانت تهمل العلوم اهمالا تاما، والثانية فشلت في غرس روح اسلامية حقيقة لدى طلبتها وغرّبتهم الى حد كبير.**

كانت ألمع شخصية ارتبط بها اسم «الندوة» هي شخصية شبلي النعماني الذي نشأ وتربى في اسرة دينية وتلقى تربية اسلامية خالصة، وكان ذا اطلاع واسع وثقافة رفيعة

قدمت دار العلوم خدمة كبيرة للاسلام في الهند بمحافظتها على ثمرة التقاليد الاسلامية التربوية وعلى الثقافة الاسلامية عموما. وكانت اول من اتخذ خطوات عملية في مواجهة التبشير المسيحي من خلال اعطاء طلبتها تدريبات خاصة تؤهلهم لمواجهة ودحض الادعاءات التبشيرية. لذا لم يكن من باب المصادفة، بل بسبب وجود دار العلوم، ان الجمعيات التبشيرية لم تفكر ابدا في تأسيس مدارس لها في ديوباند. ألهمت دار العلوم مدارس اخرى كثيرة مثل دار العلوم دارية (Dariya) في مراباداد (Murabadad) ومفتاح العلوم في سرانبور ومؤسسات اخرى كثيرة. وكان تشجيعها للفئات الفقيرة من المسلمين وحثهم لارسال أولادهم اليها مثل حي على المبادىء السامية للأسلام الذي لا يألوا جهدا في الدعوة اليها. اما رفضها في اخذ اي مساعدة من الحكومة واصرارها على الاعتماد على نفسها فقد حاز اعجاب حتى اولئك الذين لم يكونوا يتفقون معها في السياسة والعقيدة.

ان سياسة دار العلوم في عدم ادخال اية مادة في منهجها غير العلوم الاسلامية ورفضها تعليم اللغة الانكليزية والعلوم الحديثة الاخرى اوجد مكانا لمؤسسة تعليمية تقف وسط القطبين النقيضين (اي المدرسة الانكليزية والتبشيرية من جانب والمدرسة الاسلامية البحتة من الجانب الآخر). وهنا قفز السير سيد (Sir Syed) واتباعه لملء هذا الفراغ بطريقتهم الخاصة. لم يكن السير سيد من المعارضين للثقافة الاسلامية بل كان من المدافعين عنها، ولكنه كان يرى ان العلوم الدينية لا تكفي وحدها لتلبية حاجات عصره. كان يرى في الثقافة الانكليزية والعلوم الحديثة فائدة كبرى للمسلمين تعينهم على فهم افضل واذكى لنواحي الحياة المختلفة وتسلحهم بموقف نقدي في تعاملهم مع الامور. كان يرى في المدارس الدينية الاسلامية، مؤسسات «فاقدة الصلة» مع ما يسميه بالعصر الحديث. بالاضافة الى هذا، فأنه كان يعارض تسمية الهند بدار الحرب او ارض الجهاد وذلك لأن الانكليز حسب زعمه كانوا لا يتدخلون في القوانين الاسلامية وفي نمط المعيشة الاسلامي. لذلك كان يطلب من المسلمين ان يكيفوا انفسهم وفق النظام السياسي الجديد وان يقتربوا اكثر من الحكام الانكليز، وهذا برأيه لم يكن ممكنا بدون الثقافة الانكليزية.

واجه السير سيد معارضة قوية من المسلمين بصورة عامة والعلماء والمجاهدين المسلمين بشكل خاص ولكنه حضي بتأييد جماعات مهمة من القطاعات العليا والمتوسطة من المسلمين الذين باتوا يرون في الثقافة الاسلامية الخالصة خطرا يهدد مصالحهم خصوصا بعد ان تلمسوا ازدياد نفوذ وقوة الطبقات المماثلة لهم من الهندوس الذين اعتمدوا الثقافة الانكليزية منذ البداية.

وهكذا تأسست كلية علي كره (Aligharh) على يد السير سيد معتمدة برنامجا من ثلاث نقاط:

1 ـ تأسيس كلية يمكن للمسلمين ان يتلقوا فيها ثقافة انكليزية بدون اي تجاوز لدينهم الاسلامي.

2 ـ انشاء مدرسة داخلية يمكن للاباء ان يرسلوا ابناءهم اليها مطمئنين ما دام سلوك الابناء كان سيخضع لمراقبة شديدة.

كان من الطبيعي اذن ان يتجاوزهم الهندوس شوطا طويلا في مضمار الثقافة الانكليزية وان يحرموا من الوظائف الحكومية التي كانت تطالب بمثل هذه الثقافة شرطا للعمل. (لم يكن هذا هو السبب الوحيد لابعاد المسلمين عن وظائف الدولة فالحكومة كانت غير راغبة حتى في تعين المسلمين اصحاب الثقافة الانكليزية).

قاد هذا الموقف الى اعطاء روح جديدة للمدرسة الاسلامية التي كانت قد بدأت تموت شيئا فشيئا بسبب قلة الموارد والرعاية. ان المدارس الاسلامية التي كانت تركز بشدة على العلوم الدينية وترفض التعامل مع كل ما له علاقة بالغرب، هي بلا شك تلك الاماكن التي تعكس، ولو بصورة غير كاملة، مجد الاسلام الغابر مع احتفاظها على الدوام بمشعل الحرية ملتهبا. انها هي التي انجبت رجالات مثل شاه عبد العزيز واسماعيل شهيد. ومجاهدين آخرين رفضوا تصديق ان ايام الاسلام قد ولت وان الانكليز قد اتوا ليبقوا. وشاه عبد العزيز هذا هو نفسه الذي اشعل فتيلة الثورة واعطى اشارة البدء للعلماء باصداره فتوى اعلن فيها ان الهند قد بطلت كدار للاسلام. وكان ذلك دعوى للجهاد ونداء للمسلمين بجمع شملهم تحت راية واحدة ومقاومة الحكام البريطانيين.

ادرك العلماء المسلمون بأن المواجهة مع الانكليز على المستوى السياسي والثقافي والديني تتطلب بناء مؤسسات اسلامية جديدة تخدم حالة الصراع مع المستعمر وتهيء المسلمين بشكل افضل لخوض معركة طويلة الأمد. وذلك لأن المدارس الاسلامية القديمة مثل مدرسة فيروز شاه ومدرسة خير العلوم لن تستطيع ان تلبي حاجات المعركة الحالية. وهكذا قامت لأول مرة مجموعة من العلماء المسلمين القادة الذين كانوا في طليعة المجاهدين في معارك الحرية عام 1857 بتأسيس مدرسة اسلامية في ديوباند (Deoband) في مقاطعة شرنابور (Sharanpur) سنة 1876. هدفها غرس الروح الاسلامية بين المسلمين وفق تعاليم شاه ولي الله وتحضير طلبتها للجهاد ضد الاستعمار البريطاني. ان مدرسة ديوباند هذه والتي اصبح اسمها دار العلوم وضعت لنفسها ثلاثة اهداف:

الهدف الاول هو الدعوة الى احياء ونهضة المجتمع الاسلامي الذي بدأ يتفسخ ويبتعد متغربا عن ماضيه.

الهدف الثاني هو دعوة المسلمين الى التمثل بالمبادىء الاسلامية في حياتهم عامة كانت او خاصة.

الهدف الثالث هو عدم طلب مساعدة مالية من الحكومة او من الأسر النبيلة المسلمة. والنقطة الثالثة تمثل التزاما حرفيا بتعاليم شاه ولي الله.

ان مساهمة دار العلوم في تطوير واثراء المعارف الاسلامية كانت هائلة. فقد جمعت هذه المدرسة خواص ثلاثة اصناف من المؤسسات الدينية كانت موجودة في دلهي ولكناو وخير اباد خلال القرن التاسع عشر. كانت مدرسة دلهي تركز على التفسير والحديث ومدرسة لكناو تدرس علوم الفقه بينما كانت مدرسة خير آباد متخصصة بعلم الكلام والفلسفة.

استطاعت ديوباند ان تخرج بتوليفة واحدة من هذه العلوم المختلفة مولية في نفس الوقت اهمية كبيرة للتقاليد التي وضعها شاه ولي الله ومدرسته، للمحدثين في دلهي (6).

العظيمة لأدبنا او للوضع الخاص لهذا البلد، فسوف لن نجد غير اللغة الانكليزية لغة تستطيع ان تكون اكثر نفعا لرعايانا المحليين». ويستطرد ماكولي في دفاعه عن الثقافة الانكليزية مهاجما الثقافات الاخرى المحلية بصورة تتسم بالعنجهية والغرور والسخرية قائلاً: «السؤال الآن ببساطة هو انه حين سيصبح في مقدورنا ان ندرس هذه اللغة (اي اللغة الانكليزية) هل سندرس معها لغات اخرى علما بان اي كتاب يكتب فيها وحول اي موضوع كان لا يستحق ان يقارن بما لدينا. هل سندرس الى جانب العلوم الاوروبية علوماً اخرى، علماً بأن هذه العلوم عندما تتباين وتختلف مع العلوم الاوروبية فانها دائما تختلف نحو الاسوء. هل سندرس الى جانب الفلسفة المنطقية والتاريخ الصحيح عقائد تنتمي الى العهود المظلمة. هل سندرس علوما فلكية تصلح لاضحاك فتياتنا الانكليزيات في مدارسنا الداخلية هل سندرس تاريخا يروي لنا قصصا عن ملك طوله ثلاثون قدما وحكم ثلاثين الف سنة. هل سندرس جغرافية مكونة من بحور من الدبس وبحور من الزبدة» (4).

اصدر الحاكم العام بنتنك على اثر مذكرة ماكولي قرارا ينص فيه بوضوح على «ان الهدف الكبير للحكومة البريطانية يجب ان يتمثل في نشر وتعزيز الادب الاوروبي والعلوم الغربية بين السكان المحليين في الهند وسوف يتم وضع كافة المبالغ المخصصة للتعليم في خدمة الثقافة الانكليزية فقط» (5).

ادى قرار 1835 الى نقمة واسعة في صفوف المسلمين. فهو لا ينص على جعل المبالغ الحكومية تصرف على الثقافة الاجنبية فحسب بل ينص كذلك على قطع المساعدة على الطلبة الذين يدرسون في المؤسسات الاسلامية. المدارس التبشيرية، كما بينا، كانت تمزج المسيحية بالتعليم، ولم يكن من الممكن للمسلمين ارسال اولادهم الى مثل هذه المدارس خوفا من التأثيرات الهدامة للثقافة الانكليزية على تربية اولادهم الاسلامية. ان خوف المسلمين كان مبررا، فالمبشرون لم يكونوا يخفون ان مرامهم الاساسي من وراء تلقين الادب الانكليزي والعلوم الاوروبية الاخرى هو البلوغ بالهنود الصغار الى «معرفة شاملة للمسيحية بدلائلها وعقائدها». لهذا ليس من الانصاف الزعم بان المسلمين رفضوا الاستفادة من الثقافة الانكليزية لانهم اكثر «رجعية» من الهندوس. ان المسلمين كانوا دائما يعون اهمية التعليم في حياة الانسان ولهذا فقد اعطوا اولادهم افضل اشكال الثقافة التي تصلح دينهم وتعينهم في دنياهم.

بعد ان سلبت من المسلمين قوتهم، ازداد تشبثهم بالدين ووقفوا بعنف ضد كل محاولات الاختراق التي باتوا يتعرضون لها بشكل منظم ومدروس. كان الاسلام لديهم معركة اما ان ينتصروا به أو يموتوا دونه. وهو لم يكن بالنسبة لهم دينا للعبادة فحسب بل اسلوبا كاملا للحياة. على هذا الاساس اعتبروا ان كل فعل دنيوي هو ديني في الوقت نفسه، اي ان كافة الفعاليات الانسانية اليومية تعرف على اساس المبادىء والاحكام الاسلامية. لذا كان من الطبيعي ان يقاوموا بشدة وعنف نشاطات البعثات التبشيرية. فهم لم يتصوروا حتى للحظة واحدة بأن المسيحية افضل من الاسلام وان القيم الغربية افضل من الثقافة الاسلامية.

قبل عام 1854 كان للبرتغاليون في الهند الغربية مؤسساتهم التعليمية في بومباي. ولكن بعد ان ثبتت الشركة اقدامها في جنوب الهند بدأت البعثات التبشيرية تعمل هناك ايضا. وقد اصبحت بومباي موضع تنافس البعثات التبشيرية (التي غطتها تماما) العائدة لكل من امريكا وانكلترا واسكتلندا. في 1814 افتتحت الجمعية التبشيرية الامريكية مدرسة للاولاد في بومباي ولأول مرة تم افتتاح مدرسة للبنات من قبل نفس الجمعية في 1824. من جانب آخر اختارت جمعية لندن التبشيرية مدينة سرات (Surat) ومدن اخرى في كجرات (Gujrat) لهذا الغرض (2).

في البنغال وبهار (Bengal, Bihar) ظلت نشاطات الجمعيات التبشيرية محدودة حيث كان للمسلمين وللبراهمة هناك، (والذين كانوا يشكلون معا الطبقات الراقية) نظام ومؤسسات تعليمية راسخة وواسعة الانتشار. واستنادا الى اول تقرير رفعه ادم (Adam) كان في البنغال وبهار مدرسة ابتدائية لكل اربعمائة شخص ومدرسة قروية واحدة (كمعدل وسطي) لكل 63 طفل في سن التعليم. وعلى مستوى التعليم العالي كان في البنغال (كمعدل وسطي) مائة مدرسة في كل مقاطعة (3).

لقد صرف المبشرون المسيحيون طاقات كبيرة في التعليم وفي انشاء المدارس ولكن جهودهم هذه لم تكن لاغراض انسانية خالصة. فقد استعمل التعليم كوسيلة تمكنهم من الدخول في علاقة مباشرة مع الاهالي في مختلف مستوياتهم لتحويلهم فيما بعد الى المسيحية ـ وقد لجأ المبشرون الى انشاء مدارس ـ البيوت (School - Houses) بكثرة وتحويلها الى مجالات للتعارف الاجتماعي والعبادة ودورها في هذا المجال يفوق أهمية دورها كمعاهد تعليمية.

في 1813 بدأت الشركة تولي المسألة التعليمية اهتماما جديا وخصصت «لك» (Lakh) واحد من الروبيات سنويا لهذا الغرض. وتمشيا مع هذه السياسة الجديدة شكلت الحكومة في سنة 1823 هيئة عمومية للارشاد العام مهمتها تقرير اذا ما كان على الحكومة الاستمرار في تشجيع الهيئات التعليمية التقليدية او استبدالها بثقافة انكليزية. كان المستشرقون من اعضاء الهيئة يؤيدون باغلبيتهم استمرار التعليم التقليدي. في مواجهتهم كان يقف دعاة الثقافة الانكليزية وهم مجموعة من الهندوس يقودهم راجا راموهان روي (Raja Rammohan Roy) وكانوا يرون عدم فائدة المؤسسات القديمة ويدعون بقوة الى تبني الثقافة الانكليزية. ترددت الشركة في اتخاذ قرارها، وحسم الموقف ماكولي (Macualay) العضو التشريعي الجديد في مجلس الحاكم العام الذي اقنع اللورد ويليم بنتنك (W. Bintink) الحاكم العام بمحضر قوى العبارة قدمه اليه. لقد دافع ماكولي عن قضية الثقافة الانكليزية بكل حجة ممكنة واقنع الحكومة بأهمية بث الثقافة الغربية بين السكان. يقول: «علينا ان نعلم شعبا ليس بالامكان تثقيفه في الوقت الحاضر بواسطة لغته الأم. يجب ان نعلمهم لغة اجنبية. ولغتنا هي اللغة المؤهلة لهذا الغرض. فهي تقف شامخة حتى بين لغات الغرب. . . وكل من يعرف هذه اللغة تتفتح امامه كافة ابواب الثراء الفكري الذي ابدعته وجمعته اذكى الامم خلال التسعين جيلا الاخيرة. والانكليزية هنا في الهند هي لغة الطبقة الحاكمة وتتكلمها ايضا الطبقة العليا المحلية التي تشغل المناصب لدى الحكومة. وكيفما كان الأمر سواء نظرنا الى القيمة

المغول الى الشركة كان من المنطقي ان تبدي هذه اهتماما بالمسألة التعليمية التي تخص «رعاياها». لكنها لم تعر هذا الجانب اي اهتمام. بل على العكس قامت بسلب المعاهد الاسلامية اوقافها التي تشكل المصدر الرئيسي لمواردها مسببة بذلك اضمحلالها شيئا فشيئا. وبالرغم من النصائح التي كان يقدمها اشخاص مثل غرانت (Grant) الذي كان يدعو الى تعليم ابناء البلاد اللغة الانكليزية لكي يتمكن الحكام من استيعابهم وتدجينهم، فان الشركة كانت مسكونة بهاجس الخوف من ان انتشار الثقافة بين الناس قد يقود الى ازالة وجودها في الهند. وقد حاولت تدعيم هذا الموقف بآراء اخرى منها ان الحكومة البريطانية ذاتها لا تبدي اي حماس لتعليم وتثقيف ابناءها في انكلترا فكيف يراد منها، اي الشركة، ان تهتم بثقافة سكان الهند. لكن هذا لا يعني ان الشركة لم تر في مجالات التعليم ما يفيد سياستها في الهند. بناءا على هذا تأسست مدرسة اسلامية جامعة في كلكتا سنة 1780 وانشئت كلية بنارس السنسكريتية في 1781.

كانت مدرسة كلكتا التي انشأها اللورد وارن هاستينكز (Warren Hastings) اول مؤسسة تعليمية تؤسس في الهند في ظل حكم الشركة وكان الهدف من انشائها تعليم الطلبة المسلمين مبادىء اللغتين الفارسية والعربية واصول القوانين الفقهية لكي يشغلوا مناصبا قضائية وادارية في محاكم الجنايات ودوائر الشرطة التي رأت الشركة في سنة 1781 انه من المناسب ان تبقى بيد المسلمين. وفي الواقع كان الغرض الرئيسي الذي دفع اللورد هاستنكز لتأسيس هذه الكلية هو استمالة مسلمي كلكتا من خلال المولانويه الذين كانوا بالاضافة الى سلطتهم المطلقة في الشؤون الدينية، قادة معترف بهم في المجتمع الاسلامي. وقد عين هؤلاء لتدريس العربية والفارسية بالاضافة الى الفقه.

لقد منح موقف الحكومة اللامبالي ازاء المسألة التعليمية (خصوصا للفترة من 1765 - 1813) فرصة ذهبية للبعثات التبشيرية الغربية للاستفادة من الحالة وتأسيس معاهدها ومدارسها الخاصة. وقد قامت هذه البعثات، التي ثبتت اقدامها في الهند في فترة موازية لميلاد شركة الهند الشرقية، بجهود خطيرة في هذا المجال. في 1790 قامت جمعية نشر الثقافة المسيحية بفتح مدرسة للمواطنين المحليين اصبحت فيما بعد كلية سانت بيتر في تانجور (St Peter College at Tanjone). في 1834 افتتحت هيئة البعثات التبشيرية الامريكية عددا من المدارس الابتدائية في مقاطعة مادوراي (Madurai). في 1873 افتتح اندرسن (Anderson)، اول مبشر للكنيسة الاسكتلندية في جنوب الهند، معهدا في مدراس (Madras) وقد حاول ان يدرس الثقافة الغربية للهنود بواسطة اللغة الانكليزية.

في 1841 اسست جمعية الكنيسة التبشيرية كلية في ماسوليبتام (Masulipatam)، وافتتح الآباء اليسوعيون كليتهم في نيجاباتيم (Negapatem) في سنة 1846. وفي مدراس افتتح معهدان الاول في سنة 1851 من قبل بعثة وسليان (Wesleyan) والثاني في 1853 من قبل جمعية لندن التبشيرية ـ في 1854 بلغ عدد الطلاب في المدارس التبشيرية 30 ألف طالب (1).

في منتصف القرن التاسع عشر اصبحت الثقافة العامة في مدراس كليا بيد البعثات التبشيرية.

الشيء الذي لم يكن في حسبان احدٍ انه سيحدث في يوم من الايام، (وقد حدث بالفعل) هو ان يأتي عنصر غريب تفصله آلاف الاميال من المحيطات العظيمة من موطنه ليرث امبراطورية المغول بعد ان يحطم جميع منافسيه.

كيف استطاع الانكليز ان يسيطروا على هذه البقع الواسعة من الأرض، القصة تبدأ في سنة **1498** باكتشاف فاسكو دي كاما (Vasco da Gama) طريقا جديدا الى الهند. لقد كانت هذه الحادثة منعطفا في حياة الهند لانها تمثل اول مواجهة لها مع الشعوب الاوروبية. كان البرتغاليون هم اول شعب اوروبي وضع اقدامه في هذه البلاد. اسسوا **مستوطناتهم في الساحل الغربي من الهند اي في جوا (GOA) ودامان (Daman) وديو** (Dieu). كان غرضهم في بادىء الأمر هو التجارة ونشر المسيحية بين السكان ولكن بمسحهم للموقف السياسي وجدوا ان الارض صالحة لوضع انفسهم في موضع السلطة. لم تدم سيطرة البرتغاليين لوقت طويل ففي منتصف القرن السابع عشر ارجعهم الهولنديون الذين جاؤوا بعدهم الى حجمهم الطبيعي. لم يهتم الهولنديون ببناء المستوطنات كثيرا بل وجهوا معظم جهودهم الى تجارة التوابل. لقد سهل هذا الأمر لدولتين اخرتين ملء الفراغ بصورة اكثر فعالة: الانكليز والفرنسيون. في الواقع لم يكن للبرتغال وهولندا تأثير يذكر على الساحة الهندية في مختلف جوانبها.

في 31 كانون الاول 1600 منحت الملكة اليزابيت وثيقة امتياز الى بعض التجار الانكليز خولتهم بموجبها احتكار تجارة الهند وبلدان شرقية اخرى. وهكذا ولدت شركة الهند الشرقية بصفتها كيانا اقتصاديا ذا امتيازات سياسية. كانت التجارة وليس السياسة هي الهدف الاول لهذه الشركة. ولكن بازدهار تجارتها وازدياد نفوذها بدأت تراودها فكرة تأسيس امبراطورية. العقبات امامها لم تكن بسيطة، كان عليها اولا، اذا ارادت تحقيق هدفها، مواجهة قوى اوروبية اخرى لا تقل عنها قوة ودهاء على المستويين العسكري والسياسي. كلتا هاتين القوتين كانتا تتنافسان في السياسة والتجارة. لقد وجد الفرنسيون في دوبليكس (Dupleix) حاكما طموحا ومقتدرا ذا عزم راسخ فيما يتعلق بدفع الانكليز الى الوراء وبناء امبراطورية فرنسية في الهند ـ استطاع دوبليكس في بادىء الأمر بحيويته الفائقة المصحوبة بذكاء ديبلوماسي عالي ان يحقق بعض النجاح وان يهدد الوجود البريطاني كله. ولكن باستدعائه الى فرنسا ودخول هذه الاخيرة في حرب السبع سنوات التي اضعفتها كثيرا، استطاع الانكليز فرض سيطرتهم من جديد والى الابد.

وهكذا اصبحت شركة الهند الشرقية بعد عام 1765 ليس كيانا تجاريا فحسب بل قوة سياسية يحسب لها الف حساب.

عندما استولت الشركة على مقاليد الامور من ايدي الحكام المسلمين والهندوس كان هؤلاء يشجعون الى حد كبير التعليم والثقافة في معاهدهم المختلفة: المدرسة **(Madrssa) والباذسهالا (Pathsahala) وكان طبقة العلماء المولانويه (Moulawis)** والباندت (Pandit) يلاقون احتراما كبيرا لدى الناس. كان حقل الثقافة الاسلامية بالذات خصبا الى حد كبير. حيث اهتم الحكام المسلمون اهتماما فائقا بتوفير التعليم لرعاياهم وانعكس هذا في كثرة المدارس الدينية التي كانت على درجة عالية من حسن الادارة والتنظيم خصوصا في المدن الكبيرة، وعندما انتقلت السلطة من ايدي الحكام

المدرسة الاسلامية بين التبشير المسيحي والثقافة الغربية:

(مقدمة في تأثير الغرب على الثقافة الاسلامية في الهند)

اخلاق احمد*

تميزت الحالة العامة في الهند خلال القرن الثامن عشر بالفوضى العامة وانحلال وتداعي السلطة المركزية. كان هذا حطام امبراطورية المسلمين المغول الاخيرة. ملامح الخارطة السياسية تبدلت تماما. السلطة المركزية ضعفت الى الحد الذي جعل النبلاء والزعماء المتنفذين يؤسسون ممالك صغيرة مستقلة. اما رؤساء العشائر، اصحاب الاقطاعات الكبيرة والذين كانوا يعيشون حياة بالغة الترف منغمسين في لذاتهم الخاصة متغافلين عن مصالح الناس، فقد بددوا قواهم في حروب مهلكة، وفي سبيل مصالحهم الضيقة وحبهم للسيطرة لم يترددوا في طلب العون من الغرباء الذين استغلوا الموقف لصالحهم. النتيجة كانت هي ان الـ: «مراتها» (Marathas) والـ: «جات» (Jats) والـ: «سيك» (Sikhs) بدأوا يحضرون انفسهم للاستيلاء على امبراطورية المغول. نذكرنا هذا بالخطأ السياسي الفادح الذي اقترفه اورنجزاب (Aurangzab) بتدميره للممالك الاسلامية الصغيرة في الدكن والتي كانت تقف سدا منيعا امام القوة المتزايدة لـ: «مراتها».

لقد اضافت الحروب التي شنت من قبل نادر شاه واحمد شاه عبدلي مزيدا من المصاعب للوضع السياسي المتدهور في الهند. فقد اضعف غزو نادر شاه قوة الحكومة المركزية اما احمد شاه عبدلي فقد وجه ضربة قاصمة للمراتها لم يقوموا منها الا بعد زمن طويل. كان هذا هو الموقف العام حين دخل الاوروبيون الى الساحة.

* كاتب وباحث جامعي في قسم الدراسات الاسلامية في جامعة علي كره (اليجار) الاسلامية، الهند.

فقط . اننا كلنا فلسطينيون ما دامت فلسطين من اليوم فصاعدا هي الصخرة التي تلتقي عندها كل افعال المقاومة والصمود في المستقبل وما دامت تحتوي وفي آن واحد الاسلام والعروبة بكليتيهما.

فليبارك الله فلسطين . . .

وليبارك الله لبنان . . .

وليبارك الله بيروت الغربية واهلها . . .

فليبارك الله بطولتك يا شعبنا الذي عرفت كيف تحافظ على جذوة الحق في ظلام الليل العربي وفي هذا العهد من الزمن الاسلامي الذي هجرك فيه الجميع بينما انقضت عليك فيه قوى البربرية. ان اطفالنا واطفال اطفالنا واحفادهم عبر القرون والى الابد سيحملونك في سويداء القلب ويباركونك.

فليبارك الله صبرا وشاتيلا. فليبارك اطفالها المذبوحين ونساءها وشيوخها، اطفالها المدفونين بطوفان النار الملحدة. فليبارك عظامهم المسحوقة وخصلات شعرهم المقطعة الشهيدة.

ان لبنان سيولد من المأساة المروعة لبيروت الغربية وصبرا وشاتيلا ولادة تكون فاتحة لولادة فلسطين المحررة.

ان بيروت الغربية وصبرا وشاتيلا هي خط الحدود الاخيرة الفاصلة بيننا وبين التخاذل. انها الرباط الذي ظل صامدا في الوقت الذي لم يصمد فيه اي شيء آخر.

انه فجر حياة جديدة والاعلان عن نهوضنا القريب.

يوما سيقول التاريخ : في بيروت الغربية وصبرا وشاتيلا كانت البداية . .

الراهنة حلها الصحيح : مشاكل التنمية ، التي تجعل من الانسان همها الاول في شمولية حادة يتميز بها الاسلام ، وتحافظ على الطبيعة -لان التنمية والمحافظة على البيئة وجهان لعملة واحدة - تنمية تحل مشكلة الجوع الذي يصبح اكثر فاكثر مشكلة وذلك نظرا للانفجار السكاني في العالم الثالث والذي سيعد اكثر من 5 مليارات نسمة من مجموع 6.5 مليار نسمة الذين سيشكلون نفوس العالم سنة 2000 وتحل مشكلة العنصرية واخيرا مشكلة الامبريالية ، كما تحل مشكلة الثقافة المرتبطة باختراع معرفة وعلم وتكنولوجيا تسهل تحقيق هذه الاهداف الكبرى .

لقد تكلمنا عن العلم والتكنولوجيا وما يجران اليه وخاصة الاستغلال واشرنا الى انهما حلا اليوم محل سياسة الغزو الاستعماري القديمة ولكن باسلحة جديدة اكثر خبثا وذلك لربطنا بعربة الامبريالية . ان اختراع عالم جديد يعني اولا اختراع علم وتكنولوجيا جديدين ، ملائمين لهذه الاهداف الجديدة وذلك لأن حضارة جديدة تتطلب ادوات جديدة . ولكن كيف يمكن ترجمة مشروع كهذا على ارض الواقع في وقت تلتهب فيه هذه الارض تحت اقدامنا ويتبدى فيه المأزق التاريخي لحضارة الغرب شاملا؟ في هذا المأزق الذي نجد نحن ايضا انفسنا فيه ، كيف لا نرى عبر ظلماته اننا ايضا مسؤولون وان لانحرافات هياكل الدولة والتدهور الذي احدثته في انظمتنا السياسية حصتها الكبيرة في مسؤولية هذا الانحطاط الذي قاد الى احتلال بيروت؟

لذلك ينبغي ان ننتبه الى ان الشر كامن فينا وبان ضعفنا هو السبب الرئيسي في نكباتنا . ان ما يجري منذ عقود من السنين وبالرغم من بعض الوثبات التي لم تدم كما ان ما جرى امام اعيننا طوال شهرين في لبنان ثم في بيروت ، كل ذلك ليس الا شهادات صريحة على ما نقول . هذه الصور ليس باستطاعة احد ولا اي شيء ان يمحوها من اذهان الاجيال القادمة ولقرون وقرون .

هكذا برزت الى الاضواء التمزقات المرعبة في نسيجنا الاجتماعي والثقافي والسياسي والتي تفسر وحدها المأساة وتفرض الاقرار بأمر جلي هو ان رؤسائنا من السياسيين قد قطعوا وشائجهم مع الشعب وان القطيعة الكاملة قد حلت بين الجانبين ولذلك حلت الكارثة . اصبح الانسان العربي مهزوما مذلا يداري خطر الموت .

لا بد لنا من اصلاح هذا التمزق باي ثمن وبشكل عاجل ، خصوصا في الوقت الذي يريد فيه شارون ، وزير الدفاع الاسرائيلي ، ان يحقق خيالات سعاره . الم يقل في ديسمبر الماضي في معهد الدراسات الاسرائيلية في تل ابيب بصدد المصالح الاستراتيجية لاسرائيل : ان هذه المصالح لا تقف عند البلدان العربية والشرق الاوسط والبحر الاحمر . فلاسباب الأمن خلال الثمانينات ، سيكون على هذه المصالح ان تمتد لبلدان مثل تركيا وايران والباكستان والى مناطق الخليج وافريقيا واواسطها؟ هذا ما قاله شارون . اما المذابح المريعة بين المدنيين والتي ارعبت الضمير الانساني ، افليست هي الدلائل لهذه الارادة الواعية في الوصول الى الهدف المنشود؟

لا ثم لا سنقولها بكل قوانا . واذ تجتمع كل الأمة ، فاننا نعتبر انفسنا في حالة دفاع مشروع عن النفس ما دامت دار الاسلام معرضة للخطر . ان مذابح لبنان يجب ان تشكل العام الاول في تقويم النهوض الاسلامي . منذ هذا اليوم ، نتوقف عن كوننا عربا

جنرال موتورز، انترناشيونال بزنس ماشين، الى توقيع عقود مع الاتحاد السوفياتي»، ثم تمضي نوفوستي قائلة: «ان عمالقة ماليين مثل روكفلر وبنك اميركا وبنك الولايات المتحدة للتوريد والتصدير تفتح فروعا لها عندنا، حتى هؤلاء اصحاب تشيز مانهاتن بنك، يشعرون بالفخر لان لهم مكاتب في العنوان التالي: ساحة كارل ماركس»، وتختتم نوفوستي مقالتها قائلة «اليست في ذلك دلالة رمزية بشكل رائع؟»

فعلا انه لرمز رائع. كما يمكن ان نضيف الى قائمة هذه الشركات الامريكية: كروب، فيات، بيجو، رينو، والصفقات الحقيقية التي حققتها الشركات اليابانية المتعددة الجنسية في سيبيريا وايضا اكتساح نادي البحر الأبيض المتوسط الفرنسي لبلدان اوروبا الشرقية.

هنالك عامل مهم يدل على تشابك هذه المصالح بين الغرب والشرق وهو حجم ديون بلدان اوروبا الشرقية للغرب. فمن 1975 الى 1980 تضاعفت ديون البلدان الشرقية ثلاث مرات: من عشرين مليار سنة 1975 قفزت الى 60 مليار دولار اليوم. اضف الى ذلك ان ثلاثين بالمئة من تجارة اوروبا الشرقية مع الخارج تجري مع الغرب وان اربعين بالمئة من واردات بولندا تأتي من الغرب وان بولندا وحدها تستأثر بثلاثين مليار دولار من هذه الديون اي نصف ديون البلدان الشرقية من الغرب، كما ان مدفوعات هذه الديون تلتهم 80 % من عملاتها الصعبة، وهذا ما يبرهن على بؤس اقتصاد هذه الديمقراطيات الشعبية ويساهم بقوة في اثارة استياء الجماهير فيها، ولا شك ان مثل هذا الانحطاط الاقتصادي يكمن وراء احداث بولندا الاخيرة. وهكذا فأن اثار الازمة الاقتصادية في الغرب هي نفسها في غرب اوروبا كما في شرقها بل انها في الشرق تبلغ احيانا مدى اوسع واعمق، وهذا ما جعل احدى الصحف الاسبوعية الفرنسية تكتب: ان معظم بلدان الديموقراطيات الشعبية تعاني هذه السنة من الركود الاقتصادي، هذا الداء الذي قيل عنه مرارا انه داء رأسمالي، كما ان بلدان الكتلة الاشتراكية عليها كجميع البلدان الاخرى ان تقود سفينتها بحذر شديد. وكما قال احد الخبراء انه الانتقال المعروف من سيء الى اسوأ.

التيلورية مرفقة بهذه الشركات المتعددة الجنسية والتي ليس ريجان وبريجنيف او اندروبوف في نظرها سوى رئيسي قبيلة قصيري النظر ينسجان دون ان يرف لهما جفن علاقات خانقة للعالم الثالث ليرسيا نظامهما العالمي الذي يتعالى على الحدود القومية البالية، هذا هو الحلم الذي اصبح جزئيا حقيقة: تلاقي نظامين يعملان في الارض بدقة تضاهي دقة ابولو وسيوز في الفضاء.

واخيرا فان الاشتراكية الرسمية والرأسمالية يظهران اكثر فاكثر كما هما في الواقع: ظاهرتان غير متناقضتين لنفس الرقعة الثقافية ولنفس الحضارة، يجران وراءهما استغلال الانسان للانسان بكل عواقبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وان كان نظام الحزب الواحد في الاشتراكية الرسمية يزيد من هذه العواقب الوخيمة.

المطلوب من المسلمين هو ان يبتدعوا عالما جديدا لا مكان فيه للاستغلال، سواء كان في داخل نظامهم او في علاقاتهم مع للآخرين ممن لا يشاطرونهم ايمانهم، عالما بدون ربا ـ وانا أستعير هذا التعبير من الثورة الاسلامية في ايران ـ عالما تلقى فيه المشاكل

العالم الاشتراكي لم يتحقق منها شيء وان البروليتاريا التي كان من المفروض ان تصبح المشرفة على عمل بنائي هائل لم تبرر الآمال التي علقت عليها، كما ان مواجهة الرأسمالية التي قيل مرارا انها ضرورة لا غنى عنها، لم تحدث كما نصت على ذلك العقيدة الماركسية، والحروب الدائرة بين الرأسمالية والاشتراكية الرسمية والمفروض فيها ان تنتهي بموت الرأسمالية طالت ولم تسفر عن نتيجتها المرجوة. بل ان الادهى من ذلك هو ان الضربات التي وجهها الخصم المحتضر نظريا قد احدثت اضرارا اكثر مما كان متوقعا وتركت اثارا لا جدال في دلالتها، كمعسكرات الاعتقال الستالينية او الجولاج كما باتت تسمى. ولا جدال اليوم في ان الاشتراكية الرسمية تلاحق نفس اهداف النظام الرأسمالي المتمثلة بمجتمع الاستهلاك وهذا الهدف كامن ضمن شعار الاشتراكية الرسمية: «اللحاق بالرأسمالية وتجاوزها».

هذان القطاران، الرأسمالي والاشتراكي، واللذان كان من المفروض أن يتصادما، ترى منذ متى قاما بانعطافة اصبحت تقودهم اليوم الى ان يسيرا متوازيين في نفس الاتجاه، الى نفس المحطة، الى نفس الثقافة ونفس الحضارة؟ هل منذ يالطا حيث تقاسم تشرشل وروزفلت وستالين اوروبا عشية هزيمة المانيا الهتلرية كما يؤكد البعض، ام منذ تبنى لينين سنة 1918 التيلورية التي هي طريقة علمية جهنمية لتكثيف استغلال العمال، وتحويلهم الى آلات صماء؟ لا شك ان هذا السبب الاخير كان هو الحاسم. ولكن لا شك ان تصفية ستالين لسلطان جاليف، هذا التتري الذي كان صديقه ولكنه كان نصيرا للثورة في المستعمرات ولممارسة تراعي الاسلام، قد اثرت كثيرا على افقاد الاشتراكية السوفياتية آخر اوهامها. لقد قدم سلطان جاليف حياته ثمنا لجهله بأن التعصب العرقي الروسي توام للتعصب العرقي في الغرب الرأسمالي. لكن ما هو اشد حسما من العوامل المذكورة التي جعلت الرأسمالية والاشتراكية الرسمية تلتقيان على ارضية واحدة وهدف واحد هو التواطؤ النشيط ـ وهو شيء غير معروف تقريبا ـ بين ثورة اكتوبر ومؤسس الاسرة البهلوية في ايران. فقد شارك الحزب الشيوعي الايراني، الذي كان سيسمي نفسه لاحقا تودة، مشاركة فعالة في تصفية جمهورية جيلان التي قامت في ايران منذ 1916 في اعقاب نضال مسلح ظافر واعلنت من تلقاء نفسها بانها جمهورية المجالس العمالية (السوفيات) كما طلبت من ثورة اكتوبر مساعدتها والاعتراف بها، لكن دون جدوى. عاملان مزعجان في جمهورية جيلان كانا مناقضين للعقيدة الماركسية: فالذين صنعوها كانوا فلاحين بينما كان، ميرزا خان، تلميذا لجمال الدين الافغاني. انها نفس العقيدة التي جعلت انجلز يقول ان فتح الجزائر يعتبر حدثا هاما وملائما للتقدم والحضارة وهي قناعة كان يشاركه فيها نسبيا ماركس بخصوص احتلال انجلترا للهند.

منذ تصفية جمهورية جيلان والتيلورية واغتيال سلطان جاليف وصفقة يالطا، حدث امر آخر سرع الاتفاق بين الاهداف المشتركة للرأسمالية والاشتراكية الرسمية: هذا الامر هو تشابك المصالح الاقتصادية بين النظامين وهو ما تشجعه الشركات المتعددة الجنسية الغربية التي اصبحت تتكاثر خلف «الستار الحديدي». ولقد حيت موسكو هذه الظاهرة بلسان فصيح هو لسان وكالة نوفوستي التي كتبت بالحرف الواحد في فبراير 1974. «ان افاق تطور عظيمة تدفع الشركات الاميركية الكبرى: جنرال الكتريك،

قدرة الاسلام على تشجيع التعبئة في منظور التطور فانها تحمل في ثناياها اتهاما اشد خطورة حتى ولو لم يكن ذلك الا ايحاءا، وهو اتهام لا يتعلق فقط بالقدرة على التعبئة بل بالقدرة على التطور نفسه. وبالامكان ترجمة هذا الاتهام كما يلي: اليس الاسلام موسوما بعدم ملائمته لتشجيع التطور بمفهومه الغربي؟ في الواقع ان هذا الامر لم يدرس بما فيه الكفاية في نظري. لقد بدأ الاسلام «يحتوى»، هذا اذا تحدثنا مثل فوستر دالس، في ذات اللحظة التي لاحت فيها معالم مرحلة تاريخية جديدة: مرحلة الرأسمالية التجارية التي تحولت فيما بعد الى رأسمالية صناعية.

ترى، الا يكون عدم الملائمة لبعث التطور الرأسمالي عدم ملائمة للتكيف مع نظام مثل الرأسمالية كما مع النظام الآخر الذي يزعم انه نفي لهذا الاخير، اي الماركسية؟ هاهنا مسألة تستحق الطرح وما زالت بعض الدراسات المفيدة احيانا لم توفها حقها. اليس ما يعتبر عدم ملائمة هو في الحقيقة الاجلال من جانب الرذيلة للفضيلة؟

من جديد، هاهو الاسلام ينبض حياة، وغدت شعبيته على مسرح التاريخ مشهودة الآن حيث نضجت شروط جديدة تسمح للانسانية بان تتجاوز المرحلة الرأسمالية في تعبيرها الجنوني. الا يدل هذا على سعي الاسلام لتشجيع التطور بشرط ان يكون هذا التطور قد اعد ليكون في خدمة الانسان اولا واخيرا؟ وحتى اذا لم يصل بعد لشيء من ذلك فان هذا الظمأ وهذا التوتر من اجل بلوغ هذا الهدف، الا يشجعان على الثقة فيه؟

لسنا هنا بصدد تقديم برنامج عمل دقيق يندرج ضمن مشروع حضارة جديدة. فمثل هذا العمل ما زال لم ينجز بعد، ولا بد لانجازه من جهد واجتهاد جماعي يبذلها المسلمون وخاصة من اوتي منهم العلم الضروري لاعداد مثل هذا المشروع وهو ما لا املك منه شيئا. ولكن الى جانب هذا الجهد الفكري المطلوب فان العمل مطلوب للتصحيح الضروري. وبالتأكيد فان مشروع هذه الحضارة لن يخرج من «غرفة التأمل» او من مختبر، كبدلة جاهزة، وانما يتكون شيئا فشيئا وبلمسات متتالية ضمن عمل في الهواء الطلق والحر ويرتبط بالتأمل والجهد الفكري ارتباطا جدليا.

ما هو المقصود عمليا؟ المقصود هو مشروع حضارة ـ أي ذات بعد كوني ـ نعارض به الحضارة الرأسمالية ونظامها العالمي، مشروع ارقى نوعيا ويرمي الى علاقة نوعية بين الانسان والانسان وبين الانسان والطبيعة، ولن يكون هذا ممكنا الا اذا قضى هذا المشروع الحضاري قضاء مبرما على تلك الثمرة التي عفنت كل شيء في النظام الغربي، والمقصود بذلك هو استغلال الانسان للانسان واستغلال الأجهزة للانسان. ان استغلال الانسان للانسان الذي يقوم عليه النظام الاجتماعي في الغرب واضح كل الوضوح في الاشتراكية المطبقة في الدول الشرقية ايضا. فاغتصاب املاك المغتصبين تمت في الاشتراكية الشرقية ولكن لا لصالح المنتجين المباشرين بل لحساب اكثر المغتصبين ضراوة، الا وهو الدولة.

ان العالم الاشتراكي الرسمي، وهو الوحيد الذي يهمنا هنا، لم يشكل بديلا مقنعا للعالم الرأسمالي. لقد ولد هذا النظام منذ 65 عاما، وكان من المفروض ان يقضي على شرور الرأسمالية. ولكن ها هو يعترف بهذه الشرور جميعها ويمارسها بدوره وفي مقدمتها استغلال الانسان للانسان. ان اقل ما يقال بهذا الصدد هو ان الاهداف التي اعلنها

الكتاب من اليهود والمسيحيين. اما قدرة الاسلام على تعبئة الناس في اتجاه التقدم فانها لا تحتاج الى برهان، والتاريخ يشهد عليها بوضوح. فمن وجه شعبنا نحو التحرر غير الاسلام؟ اليس افتراء على الكلمات ان ننسب للقومية معنى غير معناها الحقيقي عندنا؟ اننا في الجزائر، في المغرب، في تونس، في مصر والسودان وفي كل مكان من دار الاسلام وفي مواجهة كل التحديات الخارجية وخاصة التحدى الاستعماري والامبريالي، حين كانت جميع قناعاتنا تهتز وجميع احلامنا تتلاشى، الم يكن آخر ملجأ لنا هو «الله اكبر» الذي هو غالبا رمز النصر والذي يحيي الهمم الخامدة ويزيل الخوف في القتال، وكذلك في حرب رمضان كما في طهران وفي غرة نوفمبر 1954 كما في زمان الامير عبد القادر، ومن حرب الريف الى حرب الحاج عمر في افريقيا السوداء، ومن حرب المهدي في السودان الى حرب عمر المختار في ليبيا؟

في كل مكان، عندما نعتقد باننا اصبحنا نرزح تحت الاغلال، هذه الصيحة، بل هذه القذيفة النارية التي كنا نرميها في وجه العسف والطغيان والحيوانية، كانت دائما تتصاعد من صدورنا تمجيدا لله وتشريفا للانسان: اليس التقدم هو قبل كل شيء حرية وكرامة؟

اما فيما يخص قدرة الاسلام على التعبئة في منظور تقدمي، فلا بد من ان نعرف مضمون هذا التقدم. ما المقصود به؟ هل التقدم هو هذا الذي يقود الى الاندهاش امام ادوات مجتمع الاستهلاك القادرة على نقل الانسان الى القمر ولكنها تملأ في نفس الوقت ثلث المستشفيات بضحايا الامراض العقلية؟ هل هو تقدم هذا الذي يجعل رواد الفضاء يضربون الرقم القياسي في الدوران حول الارض بمدة 100 يوم لكنه يسجن 70 % من المسنين في دور العجزة التي هي تمهيد للموت؟ هل هو تقدم هذا الذي يجعل الناس يفضلون رفقة القطط والكلاب على رفقة هؤلاء المسنين وذلك بنسبة عائلة من كل عائلتين في فرنسا حيث تبلغ الميزانية السنوية للعناية بالكلاب وحدها حوالي 13 مليار فرنك بينما لا تبلغ ميزانية الصومال والبالغ عدد سكانها 3.5 مليون نسمة ملياري فرنك فرنسي سنويا؟ هل هو تقدم هذا الذي يحل رموز عناصر الوراثة لكنه يقدم بسخاء 30 مليون دولار للمنظمة العالمية للصحة وذلك لتمويل مشروع مكافحة الامراض الاستوائية التي تكبل مليار انسان وتجعل حياتهم جحيما؟ هل هو تقدم هذا الذي لا ينفك يضاعف الهيئات الرسمية للمساعدة في نصف الكرة الشمالي وذلك لتعويض الخراب الذي لا يعوض والذي احدثه في نصف الكرة الجنوبي، خراب عنفه الاعمى الذي لا يستثنى حتى الاطفال المختطفين او المقطعين اربا لقاء فدية؟ هل هو تقدم هذا الذي يبدو انه سيعود بنا من جديد الى الطاعون الاسود ومشتقاته مثل المنظمات العنصرية كالكوكلاكس كلان في الولايات المتحدة ومنظمات الفاشية الجديدة في ايطاليا وغيرها وذلك بعد جيلين بالكاد من اختفاء موسوليني، هتلر، ستالين، جوبلس، وبيريا؟ اليس المحيط الحيوي ونادي روما هما اللذان يرفضان هذا النوع من التقدم؟

علينا اذن ان نحل مسألة دلالة الكلمات قبل ان نقدم اجابة او بتعبير ادق، بعض عناصر اجابة، لان الاجابة التي بامكانها تقديم حل مرض لجميع المسائل المرتبطة بجميع المشاكل، ما زالت الانسانية لا تعرفها بعد. أما المسألة المتعلقة بقدرة او عدم

لقد برهن التاريخ على ان لا شيء بتهائي وانه يعرف كيف ينتظر طويلا وطويلا جدا احيانا ليذكر بهذه الحقيقة. نادرا ما يعفو التاريخ عن الجرائم الكبرى وابادة الهنود الاميركيين التي ارتكبت ضد عرق بكامله هذا اذا تركنا جانبا الحديث عن الجرائم التي ارتكبت ضد السود وضد سكان المستعمرات وضد اليهود والغجر، يكفي ان ينظر الانسان حوله وان يلقي نظرة ثاقبة على ما هو على قيد الحياة. عندئذ سيتضح ان موت الهنود الاميركيين طويل جدا، ورغم انهم ملاحقون حتى في قلب الادغال الامازونية، فانهم يثيرون تقريبا في كل مكان، ببطء ولكن بيقين، موجة متصاعدة من الجنوب نحو الشمال. وقد صار لهم الى الآن خمس جمهوريات اميركية وسطى وجنوبية يمثل الهنود الحمر فيها اغلبية السكان.

ان يد الله والتاريخ والطبيعة تعرف الطريق الافضل لاصلاح مظالم جريمة من اكبر الجرائم في تاريخ البشر. هذا الاصلاح للجريمة يتجلى اولا سكانيا حيث لم تجد نفعا جمع المكائد الفكرية والمادية لوقف تزايد عدد سكان الهنود الحمر لكن اصلاح هذه الجريمة يأخذ احيانا شكلا سياسيا عندما يلجأ الى حمل السلاح كما في غواتيمالا. وبالتأكيد ان (نازا) حاضرة وتصوب صواريخها نحو السماء، لكن اقول لمن تطمئنهم هذه الصواريخ المصوبة نحو السماء لا تنسوا المثل الآسيوي القائل: «عندما يشير الاصبع الى القمر، يرى الاحمق الاصبع».

وفي مواجهة العلم، والتكنولوجيا، والعقلانية وتطور «الشك المنهجي» عند الفلاسفة الجدد ولهذه الحضارة، يتساءل البعض اليس الاسلام في هذا السياق هو الملجأ وذلك في محاولة للتعلق بالماضي امام الخضات الاجتماعية والثقافية التي لم يسبق لها مثيل على وجه الارض؟ أسألوا انفسكم، انه ليس ملجأ بل هو مناخ صحي يجعل شعوبه ترفض اكثر فاكثر التبعيات للعلم والتكنولوجيا الثقافية التي تفسد وتلوث البيئة. اما اذا كان علينا ان نتحدث عن ملجأ فانه ينطبق اكثر ما ينطبق على هذا الجزء من الشباب الغربي الحائر والباحث عن اديان وآلة جديدة حتى ولو كانت في اقاصي الارض. ان الاسلام لا يرفض استخدام العقل، وهذا تحصيل حاصل ولكنه يرفض استعمال العقلانية للعقل.

وبالمناسبة، فمن المفيد التذكير بأن الكوجيتو «انا افكر فانا موجود» قد صاغها الغزالي حرفيا تقريبا، اي قبل ديكارت باكثر من خمسة قرون. وليس من المستبعد، نظرا لشهرة الغزالي في اوروبا يومئذ، ان يكون ديكارت قد اخذها عنه لكن الغزالي استخدم الكوجيتو استخداما مختلفا قاده الى التصوف. اختباراتي ليس هذا مكانها، وهذا ما احب التأكيد عليه. ورغم اني اكن احتراما كبيرا للغزالي الذي يعتبر افضل الادمغة في تاريخ البشر الا اني اقف بالاحرى الى صف ابن رشد في السجال بينه وبين الغزالي، واعتبر ان احد اسباب الانحطاط الاديولوجي للاسلام يعود الى ان مجهود ابن رشد لم يتابع وان العلم الاسلامي لم يأخذ نوبته ويلعب دوره، فالنوبة انتقلت الى الغرب اولا بواسطة القديس توما الاكويني حتى في دحضه لافكار ابن رشد.

وفي حين لا يعترف الغرب لله بمكان في حياته واحل الهة اخرى محله فان الغالبية العظمى من المسلمين لا تعترف الا بآله واحد: اله الاسلام الذي هو نفس اله اهل

سيقولون ان كل هذه الشرور قد خرجت خطأ من جرة باندورا التي كانت مليئة بالشرور حسب الاساطير (الاغريقية) انها بالعكس حلقات من نفس السلسلة، تشد بعضها بعضا وتبشر احداها بالاخرى، ومنتهاها متضمن سلفا في مبتداها، ومن اول هندي اميركي اغتيل الى مبيدات الزرع في فيتنام، هناك نفس المنطق المرعب الذي قاد الى الانحراف في مسيرة المصير البشري والذي لم ينج من شره واحد.

التبذير هو بالتأكيد في كل هذا الحطام من الاشياء، هذا التلوث الذي يعلن افلاس النموذج الذي قامت عليه الحضارة الحديثة بكاملها، بهذا الاطار الضيق الذي يقدمه للانسان، بهذا الانتقاص من كل ما هو نوعي لحساب ما هو كمي في نمط ومستوى عيشه، بالهواء الفاسد الذي يتنفسه، وبالماء الذي يشربه ويخوض فيه، بالمعمار الذي يخنقه والذي يجعله يبحث بحثا مسعورا كل اسبوع عن فرار قصير نحو الطبيعة نفسها التي يعمل جاهدا على تدميرها بدون رحمة. لكن التفريط هو ايضا وبالتحديد تفريط بالانسان اذ ان كل واحد يؤثر في الآخر كنوع من الفعل ورد الفعل.

هذا الجرم ينخر في كل النصف الشمالي من الكرة الارضية، بشرقه وغربه.

اعرف بالتجربة ان ما قلته حتى الآن سيزعج الكثيرين في الغرب. وسيجد فيه بعضهم نبرات عنصرية ضد الغرب. لكن ذلك سيكون تحميل كلماتي اكثر من معناها اذ لا يتعلق الامر هنا ابدا باجراء محاكمة للغرب كله، ذلك لان هناك ايضا الغرب الذي شيد الكاتدرائيات، غرب القديس اوجيستان والقديس توما الاكويني. لقد انتج الغرب رجالا ونساء اجلاء، وانا اجدر من يتحدث عن ذلك. انا الذي كان عليّ ان اعد صداقاتي الوثيقة خلال حياة مضطربة. وقد وجدت دائما في الغرب مثل هذه الصداقات، وهذا ما لا انساه. ان الامر يتعلق فقط باصدار حكم على مرحلة تاريخية سيطر عليها الغرب لا اكثر ولا اقل. فمن ذا الذي لا يرى حصيلة هذه المرحلة التاريخية - وليس تاريخ الغرب كله - لها جوانب سلبية بل انها كانت كالكوارث بالنسبة لشعوب كثيرة غير غربية، هذا اذا لم نقل بالنسبة لاعراق باكملها - وخاصة العرق الاحمر - بل انها وفي نهاية المطاف سلبية حتى بالنسبة للغرب نفسه. من ذا الذي لا يرى ان الحضارة التي ولدت منذ خمسة قرون تقريبا قائمة على قبر الهنود الحمر وان عظاما بشرية هائلة تملؤ الارض حول مائدة الوليمة المنصوبة؟ لماذا لا يسمح بالخوض في هذه المسألة الخطيرة الا تلميحا لا تصريحا.

واقعة واحدة تكفي لفهم ما تقدم فهما افضل. منذ بعض الوقت بدأت وسائل الاعلام تتحدث عن الهنود الحمر، عن الفضائع التي لحقتهم وما تزال تلحق بهم. وصدرت كتب وصفت بانها جدية وموهوبة عن مأساتهم وعن موت روحهم كاقلية وابادتهم كنوع انساني في عملية بدأت منذ خمسة قرون وما زالت متواصلة حتى اليوم كما ذكرنا قبل قليل. لكن الذين يندددون بهذه المأساة يكتفون، كما في السيرك الروماني، برفع الابهام نحو السماء ليطلبوا عدم الاجهاز على الضحية. كفى، شيئا من الرحمة، هذا ما يقولونه للانسانية ترى كم هو عدد الذين يطالبون بشيء غير الرحمة للهنود الحمر الاميركيون كالمطالبة مثلا باسترداد هؤلاء الهنود الاميركيين لممتلكاتهم، وقبل كل شيء لأرضهم وثقافتهم، ولن يكون ذلك سوى وضع الامور في نصابها الصحيح.

ولادة هذا الآله الجديد وهذا العالم الجديد الموسومة باغتيال العرق الاحمر، ترافقت ايضا مع اخذ زبدة عرق آخر: العرق الاسود وذلك من خلال النخاسة المختلفة عن الرق المنزلي الذي يريد بعض الغربيين ان يشبهه بها، وان كان الرق المنزلي نفسه مذلا للانسانية جمعاء. لم تنته النخاسة الا في القرن التاسع عشر، وذلك ليس على الاطلاق لاسباب اخلاقية كما حاول البعض الايهام بذلك، فالدوافع الاخلاقية لم تلعب سوى دور ضئيل في صدور قرار منع النخاسة. لقد منعت النخاسة لان انجلترا لم تعد في حاجة اليها نظرا لتقدم اقتصادها. كما كانت انجلترا تهدف من منع النخاسة الى مضايقة منافسيها المباشرين وخاصة الفرنسيين. الخلاف حول الرقم الدقيق للهنود المختطفين كعبيد يبدو في الواقع مشاحنة سخيفة قياسا بخطورة الموضوع. هل بلغ العدد 100 مليون انسان ما دام عدد العبيد كان قد بلغ 10 ملايين باعتبار ان النخاسيين الغربيين كانوا يحتفظون بعبد واحد مقابل كل 9 عبيد كانوا يقتلون كما يؤكد بعض الباحثين، ام ان الرقم كان اكثر تواضعا؟ وحتى اذا لم نحتفظ، على افتراض المستحيل، الا برقم 10 ملايين الذي لا يستطيع احد انكاره لانه معترف به من الجميع، يكفي ان يتذكر الانسان لكي يقتنع بما كان بالامكان ان تكون عليه افريقيا اليوم، ان انجلترا لم تكن تعد الا 3 ملايين نسمة يومئذ. وكان لا بد من انتظار عصر نابليون لكي تصبح فرنسا بالخمسة والعشرين مليون نسمة اكثر بلدان اوروبا سكانا، وكان عدد سكانها هذا مساويا لعدد باقي سكان اوروبا، مقابل ذلك كانت المكسيك وحدها تعد 25 مليون ساكن عند قدوم كورتيس الاسباني اليها. وبعد 30 عاما انخفض هذا الرقم الى مليون واحد فقط. هذا وحده كاف لبيان حجم المذبحة التي ارتكبت ضد العرقين الاحمر والاسود.

وتقريبا في نفس الوقت الذي تقرر فيه الغاء الرق، كان الاستعمار قد بدا يحل محله، والاستعمار ليس الا رقا مقنعا بالكاد، يرافقه النهب والذبح على صعيد العالم. فالجزائر وحدها فقدت نصف سكانها اي مليونين، خلال المقاومة التي قادها الامير عبد القادر، ولكي تستعيد استقلالها فقدت مليون ونصف مليون انسان. ومن ذا الذي يتجاسر على تقديم رقم اجمالي لجميع ضحايا المقاومة التي قادها المقراني وانتفاضتي اولاد الشيخ، وانتفاضة الظهرة وزاعتوتا ومحاولات انتفاضات اخرى محلية. كما لا بد ان نضيف الى كل هذا تلك الحشود البشرية الهائلة من الرجال والنساء والاطفال المحبوسة 18.ساعة يوميا بين جدران المصانع، هذه الكنائس الجديدة، تلك الحشود البشرية الهائلة باتت تقدم قربانا على مذبح امون الجديد: الربح.

وكنتيجة طبيعية للتركيز الاقتصادي المتعاظم دوما من اجل ربح اكثر دائما، ظهر تركيز سياسي ادى الى نهايته المنطقية: حربين عالميتين كلفت الاولى الانسانية 20 مليون قتيل، والثانية 60 مليونا. ومن نتائج ذلك ايضا: معسكرات اعتقال الجنود وغرف الغاز العنصرية، والجولاج، ومستشفيات الامراض العقلية لمعارضي موسوليني وهتلر وستالين، قنابل هيروشيما وناجازاكي العنصرية ومبيدات الزرع التي اسقطت بآلاف الاطنان في فيتنام، والانهار والبحيرات والبحار الملوثة، والهواء الملوث ايضا مع الخلاصة الاجتماعية لكل ذلك: العنف الاعمى والانانية.

سجلت سنة 1492 الى جانب سقوط غرناطة حدثا هائلا هو بدايات مغامرة لم يسبق لها نظير بالنسبة للغرب لكنه كان ايضا بداية انحراف اخذ يقوى على مر السنين والقرون، ليمثل تطورا عبر عنه جواب العالم الفرنسي لابلاس حين اكد لنابليون بأنه لم يعد يحتاج في منظومته الفكرية الى الله كفرضية.

عند اكتشاف اميركا، كانت اوروبا تتحكم في 9% من الكرة الارضية. ولكنها لحظة انهيار الامبراطورية المغولية في الهند، كانت تتحكم في ثلث الكرة الارضية، ثم صارت تتحكم في ثلثيها بعد مؤتمر برلين والاقتسام الاستعماري في 1881، حتى اصبحت عشية الحرب العالمية الاولى تسيطر على 85% من اراضي القارات الخمس.

ومع ميلاد هذا العالم الجديد ظهر آله جديد هو الرأسمالية التجارية التي اعقبتها الرأسمالية الصناعية التي كانت ستولد منها الامبريالية. ومثل هذا النظام لا يسمح بالوجود الدائم لآلهين اثنين في نفس الوقت. وقد تم تبني صنمية الآله الجديد هذا على حساب الايمان بالله سبحانه وتعالى، والاداة التي نفذت ذلك اسمها البارادیجم او النموذج. لقد ادى كل ذلك بالطبع الى نجاحات مهولة: فنزل الانسان على سطح القمر، وتراجعت الامراض تراجعا مشهودا، كما اختفت الاوبئة او كادت، وانتشرت المعرفة ـ بغض النظر عن مضمونها ـ بكثافة، على الاقل في النصف الشمالي من الكرة الارضية. اما الحسنات المادية، فمن ذا الذي يقدر على تعدادها؟

ولكن اي ثمن فادح دفعه الانسان والطبيعة معا، واي تبذير كان ثمن كل ذلك؟ فالآله الجديد ينفث سم الانانية التي بلغت مدى لم تبلغه قط، كما انه يقتل في اللحظة التي يعلن فيها: «لتتحقق ارادتي».

لقد اعتاد تاريخ الانسانية على التضحيات الفردية والجماعية التي قدمت على مذبح الطموح و«المجد». لكن هذا الآله كان سيغتال عرقا كاملا من البشر هو العرق الاحمر، شمال وجنوب اميركا؛ وكان سيجعل البيض الوافدين من اوروبا يستأثرون بأرض الهنود الحمر. اما الذين استطاعوا منهم البقاء، فلم تكتب لهم الحياة الا بانطوائهم في تخوم غابات الامازون او بحشرهم في حظائرهم الخاصة التي ليس بامكانهم مغادرتها لاقرب مدينة لهم الا اذا كانوا حاملين جوازات سفر داخل نفس الارض التي كانت قديما «موطنهم». فمن بقي حيا من هنود اميركا لا حق له في الحياة الا في سراديب موت جديدة، لا يزال حتى فيها مطاردا. ولكي يقطعوا نسلهم، ها هم يصيبونهم بالعقم وينشرون بينهم الادمان على الكحول. وفي نفس الوقت الذي يتعرض فيه هنود اميركا للابادة العرقية فانهم يتعرضون ايضا لاغتيال من نوع آخر هو اغتيال الروح وذلك لاتمام اضخم عمل تدميري عرفه تاريخ البشر. ان التصفية الجسدية لهنود اميركا ما زالت متواصلة ليومنا هذا، ففي بوليفيا، يقتلون بالطعم المسموم كما لو كانوا ذئابا او كلابا سائبة وذلك عندما يأتون جوعى ليحوموا حول مزارع البيض. وفي البرازيل، كما كشفت عن ذلك صحيفة «اللوموند»، ينظم البيض في غابات الامازون رحلات قنص لاصطياد الهنود الاميركيين. بل ان تقرير عالم الاجناس بيير جولان كشف عن ان هنودا امريكيين اغتيلوا لان سوق كاركاس كان يعاني من ندرة الجلود المدبوغة.

الافعال الكبرى كما هو حاضر في حركات وسكنات الحياة اليومية الاقل شأنا. وفي الوقت الذي ليس فيه لله ذكر بين الاهتمامات الجوهرية للكثيرين في الغرب، فان العالم الاسلامي يحيا ـ وخاصة الشباب ـ فترة من الحماس الديني لا مثيل لها منذ عقود من السنين.

ان الانحطاط السياسي الذي اصاب العالم الاسلامي ادى احيانا الى الحديث عن انحطاط الاسلام، وهذا الالتباس الفظ يدل على جهل كبير بالاسلام. الاسلام لم يتأثر جديا بانحطاطه السياسي، انه لم يتخل عن حدوده الجغرافية التي كان عليها منذ دمرت جحافل المغول بغداد، عاصمته السياسية والروحية، بل ان تقويم الانحطاط السياسي نفسه ينبغي ان يعاد النظر فيه ويصحح جديا. فالخلافة العثمانية ظلت زمنا طويلا بلا نظير في قلب اوروبا نفسها حتى سنة 1683. كما ينبغي ان يصحح ذلك ايضا على الصعيد الثقافي: فالحضارة المغولية الباهرة لم تخرب الا في القرن الثامن عشر بسبب التغلغل الاستعماري الانجليزي. الا يعيد اسم الامبراطور اكبر الى الذاكرة ابهة حضارة ما زال بريقها المعماري يثير العجب والاعجاب حتى اليوم؟

مثل هذه الاخطاء مصدرها الخطأ الشائع الذي يخلط عند الخوض في امور الاسلام بين الزمني والروحي. وحتى فيما يخص الانحطاط الزمني فان من الخطأ تأريخه بسقوط بغداد في 1258، اذ ان ذلك يعني تثبيته انطلاقا من الانحطاط السياسي للاسلام العربي. ان من مساوىء مثل هذا الخطأ هو محو خمسة قرون من التاريخ.

ان حكم الخلفاء ما كاد يتهاوى، كما ما كاد تقدم العثمانيين يصد، حتى كانت افكار جديدة تظهر في العالم العربي. فقد ساعد حكم محمد علي في مصر على بزوغ حركة الاصلاح الديني والثقافة والنهضة وذلك مع ظهور جمال الدين الافغاني. كانت هذه الموجة ستبلغ، عبر امواج متعاقبة، تخوم الاسلام لتحيي جذوته حتى ايامنا هذه وكانت ستتركز في ايران مع الثورة الاسلامية. هذا بينما يتدفق الشباب في كل مكان من ارض الاسلام على المساجد مطالبا بعودة هذه المساجد لاداء وظيفتها القديمة في كونها الخلية الحية التي توجه حياة مجتمع يستضيء بنور الايمان بالله.

ولكن، قبل ذلك كله كانت هنالك حركة اصلاحية اخرى تستمد تعاليمها من نفس مصدر حركة النهضة (ابن تيمية). ظهرت تلك الحركة في قلب الجزيرة العربية نفسها وبقيادة رجل بارز هو محمد بن عبد الوهاب، وعرفت فيما بعد باسم الوهابية، غير انها بقيت هامشية بعد ان كانت قد احيت الكثير من الآمال. هذا في حين اخصب فكر جمال الدين الافغاني العالم الاسلامي اخصابا دائما. فهذه المساجد التي لا تفرغ وهذه المنارات المتكاثرة الشاخصة نحو السماء كصلاة خاشعة، ندين بها اولا لتعاليم جمال الدين.

ان جمال الدين هو فكر تجسد فعلا. لقد كان حقنة من الكظرين ـ الادرينالين ـ انعشت جسد الاسلام. لكن رسالة الاسلام وعظمته الروحية والثقافية والسياسية وحتى فيما يخص اسلام الانحطاط السياسي فقد بقت عالقة والى الابد في قلوب من آمن به، لا تزعزع حتى عندما يكون هذا الايمان غير معاش بشكل كامل وغير مضطلع به على نحو صحيح.

الاسلام والمأزق التاريخي للنموذج الغربي الحديث*

يقول الفلاسفة اننا نعيش في زمن (الشك المنهجي)، وكثيرون يعتقدون بأن الله قد مات قتيل العلم والتكنولوجيا والعقلانية والتطور. الشك باعتباره منهجا معياريا لكل تأمل فلسفي ليس شيئا جديدا. الجديد هو الشك المنهجي، المتشائم عمدا، والمتولد عن غرق الايديولوجيات والمنظومات في الغرب. ولكن هل تبرر مثل هذه المعاينة حكما اكثر تعميما يؤكد «موت الله» في غير الغرب وفي كل مكان؟

صحيح بمعنى من المعاني ان الثورة الصناعية التي ادت الى تركيز اقتصادي وسياسي متعاظمين دوما، والى ميلاد عقلانية مبتذلة تشكل خلفية النظام كله وتعطي الافضلية للكمي وللعلوم التطبيقية، كل ذلك جعل من المصنع كاتدرائية لدين جديد ومن الربح الها لكنيسة جديدة.

ولكن من يستطيع ان يزعم بان حتى هذا قد نجح تماما في الغرب نفسه؟ ثم الا تدحض مثل هذا الحكم ظواهر مثل حنا الثاني وجماهير الشباب الغفيرة المتدافعة لتحيته، او اشعاع بعض الكنائس في امريكا الوسطى والجنوبية والتي انحازت الى العدل؟ الاكثر من ذلك ايضا هو ما يجري وراء الستار الحديدي، في الجمهوريات الاسلامية، سيما في اكرانيا وغيرها، او في بولاندة مثلا.

لقد عاش عالم الاسلام من جهته وما زال يعيش على هامش مثل هذا القلق وعلى هامش امثال ازمات الضمير هذه. ان الله حاضر دائما في عالم الاسلام. انه حاضر في

* اخترنا هذا العنوان لهذه المقتطفات من كلمة الرئيس احمد بن بللا في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد بباريس في سبتمبر 1982

المسلمون والاستفادة منه في الوقوف بوجه الحملات الدعائية المختلفة الاشكال والوسائل وفي شتى المجالات والاوساط والتي تتربص بالاسلام وتريد ان تجعل منه شيئا آخر غير الاسلام عندما تعمل على تشويه صورته او تحريفه ومسخه او القضاء عليه. لا شك ان القدرات والامكانيات المسخرة في هذا السبيل هائلة في ضخامتها وتعقيدها وفنونها ووسائلها ولكن كل ذلك لا يمكن ان يكون سببا لعدم التصدي له حتى خارج العالم الاسلامي بل وخصوصا خارج العالم الاسلامي.

يبقى القول باننا سعينا في عملنا هذا كله الى الالتزام بالجدية والموضوعية دائما، بدون ان يمنعنا ذلك عن الحرص على التعبير عن حرارة الايمان بما نعتقد ومع الحرص ايضا على عدم السقوط في الديماغوجية الجوفاء. عدا ذلك، وفيما يخص التفاصيل التقنية، فقد توجد هنالك معلومات او شروحات او اية اعتبارات اخرى تتعلق بكل مقالة، لذلك لجأنا الى الاستفادة من هوامش الصفحة الاولى من كل مقالة للاشارة الى تلك الاعتبارات. كما اننا اعتمدنا رموز النظام الصوتي المستعملة في الموسوعة الاسلامية لأنها ربما الأوسع انتشارا وذلك لنقل الالفاظ الابجدية العربية الى الابجدية اللاتينية. اما اعتماد اللغة العربية من بين باقي اللغات غير الاوروبية فيبرره كون اللغة العربية هي لغة القرآن وبذلك فانها اكثر حظا في الوصول الى اوسع جمهور من المسلمين باختلاف اصولهم العرقية او اللغوية او غيرها. وبخصوص عدم التوازن الموجود بين اللغات اللاتينية من ناحية حجم المنشور او غياب وحضور هذه اللغة او تلك في متن المجلة، فقد فرضته اعتبارات فنية بحتة وبعض الضيق في الوقت والامكانيات وسنعمل ان شاء الله في الاعداد المقبلة على معالجة هذا الجانب بشكل افضل. كما اننا اخترنا في النصوص المنشورة بالعربية اسماء الاشهر المتبعة في شمال افريقيا لكونها مفهومة لدى اوسع جمهور المسلمين في العالم العربي وان لم تكن تلك الاسماء هي التي يستعملونها جميعا. اضافة الى ذلك، فلقد حاولنا الاختيار قدر الامكان من بين المقالات المنشورة بعد بداية القرن الخامس عشر الهجري (نوفمبر 1980 م) وذلك لكي لا يتشتت بحثنا ومتابعتنا للمقالات في غياب اي محور لحصر مجال الاختيار، غير اننا لا نلتزم بذلك بشكل مطلق لئلا يمنعنا عن الاستفادة من مقالات نعتقدها مفيدة وتستحق اعادة او توسيع نشرها وان كانت تنتمي الى ما قبل القرن الخامس عشر الهجري هذا، وعند ذاك فاننا ننشر مثل هذه المقالات كوثائق.

واخيرا، فاننا لا ندعي الكمال في عملنا كما نترك هذا العمل مفتوحا امام كل نقد بناء وكل مساهمة غير مشروطة ما دام في ذلك خدمة للاسلام العزيز ولنصرته ونرجو من الله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(التحرير)

ربطها بكل ما يستجد. اذن، فان اعتمادنا الترجمة عموما لا يلغي امكانية ان نلجأ مستقبلا الى نشر مقالات لم يسبق نشرها في مكان آخر. اضافة الى هذا، فاننا بجمعنا ونشرنا لمقالات سبق نشرها بشكل متناثر ومتباعد في الزمان والمكان سنكون قد عملنا على توسيع دائرة توزيعها والتعريف بها، كما ان كل مقالة منها يمكن ان تكتسب ثقلا اكبر ووقعاً اعمق بوجودها الى جانب غيرها في مجلد واحد. واخيرا فان تواجدها معا يمكن ان يساعد على استخلاص الاستنتاجات بشكل اسهل واسرع واوضح.

لكن طموحنا لا يقف فقط عند السعي للربط بين المسلمين ولتنشيط الحوار والاتصال بينهم والاكتفاء في ذلك بحدود العالم الاسلامي. فالتجربة اليومية على الصعيد العالمي تكشف لنا بانه لا يمكن لاية امة او دولة او منطقة ان تنعزل وتصبح بمنأى تام عن آثار مجريات الاحداث وعن ظروف العالم المحيط كله. اضافة الى ذلك، فاننا لا يمكننا ان نرضى بالسكوت امام جاهلية «حضارة» اليوم الضالعة بالبطش والنفاق والجشع والمادية الحيوانية بينما نجد في شرع الاسلام وتاريخه ووجوه تنظيمه لجوانب الحياة الروحية والمادية وعلى مستوى الفرد كما على مستوى الجماعة ما يقدم الجواب على ضياع وفوضى القيم والمبادىء والموازنات وعلى باقي ما تعاني منه «حضارة» الغرب الحديثة من امراض. لهذا ايضا، فاننا نطمح في ان يساهم عملنا المتواضع هذا في وضع حد لموقف السلبية والتلقي او موقف المتفرج القنوع بان يبقيه الآخرون خارج ساحة التاريخ وكأنه لا ينتمي الى الحاضر او لا يملك متطلبات الحضور والفعل التاريخي المنسجم مع «العصر». اننا لا نريد للاسلام والمسلمين ان تكون هذه صورتهم بعد ان كادت عهود طويلة من القهر والانكفاء والالم والمعاناة والدجل والتشويه ان تجعل هذه الصورة تبدو وكأنها هي الحقيقية والاصيلة والمعبرة عن ذاتنا دينيا وثقافيا وحضاريا، وفي كافة المجالات سواء كانت علمية او ادبية او ادارية او فنية. لكننا لا نريد ايضا ان يؤدي بنا طموحنا الى نشر الاسلام من خلال الكشف عن وجهه الحقيقي الساطع الى ان نخضع او نخضع لأفخاخ «الحوار» التي تتضمن كونه فرصة يقدمها الاقوياء والاعلون «بطيبة خاطر» للضعفاء ليبرر هؤلاء من خلالها «بلوغهم الحضاري» واهليتهم بالوجود وبالحرية. وعلى اية حال، فاننا مبدئيا لسنا ضد اية جسور غير ملغمة ولا تمرر السموم والقيود عند تمريرها لغير ذلك او بحجة تمريرها غير ذلك.

عدا هذا، فان اعتماد مبدأ اعادة النشر والترجمة تفرضه ايضا ضرورة العمل لخدمة الاسلام خارج العالم الاسلامي بدون الاعتماد في ذلك على اللغة والمنطق والخطاب السائد بتفريعاته المختلفة بين اوساط المستشرقين او بين جمهور غير المسلمين وانما بالاعتماد على المسلمين انفسهم قبل غيرهم وذلك من خلال دراساتهم وتحليلاتهم واجتهاداتهم. ولهذا السبب بالذات لم نلجأ احيانا الى الترجمة وانما الى التلخيص والعرض عند نقل بعض المقالات المكتوبة من قبل غير المسلمين لننقل عندئذ جانب المعلومات في اعمال هؤلاء بدون ان نخضع بالضرورة لتحليلاتهم واستنتاجاتهم. ومن جانب آخر، فان اعتماد اعادة النشر والترجمة يوفر ايضا منهلا للتزود من كل ما يكتبه

لكن تجربة القرون الاخيرة من تاريخ الاسلام لم تكن بلا جروح. فالمعركة كانت طويلة وضارية وكذلك ستكون. غير ان الشيء الاكيد الذي تكشف عنه التجربة في هذه الحلبة الدموية هو ان المسلمين كانوا يترنحون امام ضربات عدوهم كلما ضعفت صلتهم بدينهم وبمبادئهم السامية وان العدو يعرف ذلك ولذا عمل جاهدا على سلب هذه الأمة سلاحها الذي قاتلت وصمدت به وبه فقط طوال الف واربعمائة عام.

وهكذا، فلقد كان وظل شرط نجاح المشروع الاستعماري الغربي الحديث الذي استهدف دار الاسلام هو فصل المسلمين عن دينهم لكي يستفرد بهم ويجبرهم على قبول الهزيمة. ولكي يحقق المستعمر غايته هذه فانه خاض معركة لا هوادة فيها ضد الاسلام كرسالة سماوية وكمنهج متكامل للحياة وذلك بنفس الضراوة التي خاضها بها ضد المسلمين الذين حملوا دائما هذا الدين سلاحا في معركتهم ضده. انها الحرب الضروس التي سخر ويسخر لها الغرب كل اسلحته وامكانياته بينما لا تزال ابواقه لم تكف عن تذكيرنا ليل نهار باننا من بقايا الماضي وبانه هو الحاضر والمستقبل وهو التقدم والمثال.

هو الصراع اذن، ولكن هذا الصراع ليس بالامر الجديد، كما ان الحاضر لا يمثل فيه الا طورا من اطواره، هذا اضافة الى ان اغلب سمات هذا الحاضر ليست الا اعراضا او ملامح تمس السطح والشكل اكثر مما تمس الجوهر والمضمون. غير ان القول بهذا يعني ان الاساسيات قد قيلت، ان لم يكن كلها، فأهمها. اي ان الحديث والتحليل والكشف عن ابعاد وظروف الصراع ومتطلبات خوضه وما الى ذلك من اعتبارات اخرى تتعلق به قد تم منذ زمن ليس بالقصير. لذلك فان هنالك اليوم حاجة ملحة للتذكير بهذه الاساسيات التي سبق وان اشار اليها باشكال مختلفة رجال الفكر والعمل من المؤمنين الغيورين من ابناء هذه الأمة. فلقد بذلت وتبذل قوى الاعداء كل ما في وسعها لطمس تلك الاساسيات والتغطية عليها وتغييبها ولقد نجحت الى حد ما في ان تعزلها او تعزل عنها قطاعات واسعة من امة الاسلام التي اصبحت بذلك بلا دفاع ولا حصانة امام القوة الغاشمة واللامبدئية والمكر واللؤم والجشع والاغراءات المادية الوضيعة. لهذا سعينا الى اصدار هذه المجلة التي تعتمد في اغلب مادتها على اعادة النشر والترجمة من اجل تعميق تلك الاساسيات بين صفوف جميع المسلمين الذين يتكلمون لغات مختلفة باختلاف مناطق تواجدهم وذلك لكي يوحدوا الصفوف وليطلعوا على آراء بعضهم البعض بخصوص تاريخهم الماضي وحاضرهم ومستقبلهم.

لقد اعتمدنا مبدأ اعادة النشر والترجمة لنساهم من خلالها في بلورة الوعي والتمسك بتلك الاساسيات بين صفوف المسلمين في مواجهتهم لتحديات ومشاكل عالم اليوم. لكن هذا الحرص والعمل على التذكير بتلك الاساسيات لا يعني ولا يجب ان يعني غلق الباب امام اي جهد لتعميقها وتطويرها من خلال البحث والدرس والعمل حاضرا ومستقبلا. بل على العكس، فلا بد من تشجيع كل الجهود والطاقات في سبيل تعميق تلك الاساسيات والكشف عن الخيوط بينها وبين احداث وظواهر الماضي او الحاضر او

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

(صدق الله العظيم)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

اما بعد، فكما لا يخفى ، «المنتقى» لغة، اشتقاق من «انتقى» و«انتقاء» ويمتد في جذوره «الى النقاء».

هذا التسلسل اللغوي البسيط والجامع لمعاني الانتقاء والاختيار مع الحرص على النقاء والاصول يكشف عن المعايير التي نستهدي بها في تشكيل مادة «المنتقى». غير ان الجامع الحقيقي والاكبر في ذلك هو الاسلام الذي ينظم وجهة الخيار ويثبت مصداقية الاصول. اما الاسلام نفسه، افهل يحتاج الى تعريف؟ بل كيف يمكن تعريفه؟ هل هو الاركان الخمسة والقرآن والسنة فحسب؟ وماذا عن «العدل» و«القسطاس» و«خليفة الله في الارض» و«الأمة» و«الجهاد»؟ بل ماذا عن التوحيد ككل جامع للعبادة والمجتمع والانسان والوجود؟ ثم ماذا يمكن ان نستخلص من كل ذلك حين نقابله بعالم اليوم وبالاسلام والمسلمين في هذا العالم؟ لماذا يعانون من الفقر والقهر والفوضى والتشتت وفقدان الحيلة والوسيلة بينما ارض الاسلام مليئة بالخيرات وشرعه وانظمته وتجاربه تملأ التاريخ ازدهارا وعلما وعمرانا وحضارة؟

لا شك ان الانقطاع والابتعاد عن الاسلام اذن هو الذي جعلنا ويجعلنا نعاني من اختلال التوازن في عالم اليوم الذي تسوده شريعة الغاب والقوة العمياء. ان التفريط بالاسلام والتهاون فيه هو الذي افقدنا القوة المعنوية والمادية التي سهلت وتسهل سيطرة الآخرين علينا وتلاعبهم بمصائرنا وتسخيرنا وما يتفق ومصالحهم. هذا هو الذي يجعل الغلبة لحضارة المادة التي ما انفكت تسعى منذ قرون لاضعاف الاسلام اكثر فاكثر وفي كافة مجالات الحياة. ورغم ذلك، فان الأمة الاسلامية التي اراد لها اعداؤها ان تدفن حية في مقابر «حضارتهم» والى الابد، لا تزال من جانب آخر نابضة بالحياة، حاضرة وصامدة. بل انها بدأت تتلمس الدرب الى النهوض من جديد لتعود شامخة كما كانت، واعدة كعادتها بالحياة في زمن يشهد انحطاط وافلاس هذه الحضارة الغربية وبداية موتها.

فهرست المقالات العربية

الاسلام والمسلمون خارج العالم الاسلامي

...رس العام

مركز الدراسات والتوثيق الاسلامي

Courrier de l'Islam

مجلة فصلية

بسم الله الرحمن الرحيم